تاريخ مصر

من بدايات القرن الأول الميلادى حتى نهاية القرن العشرين

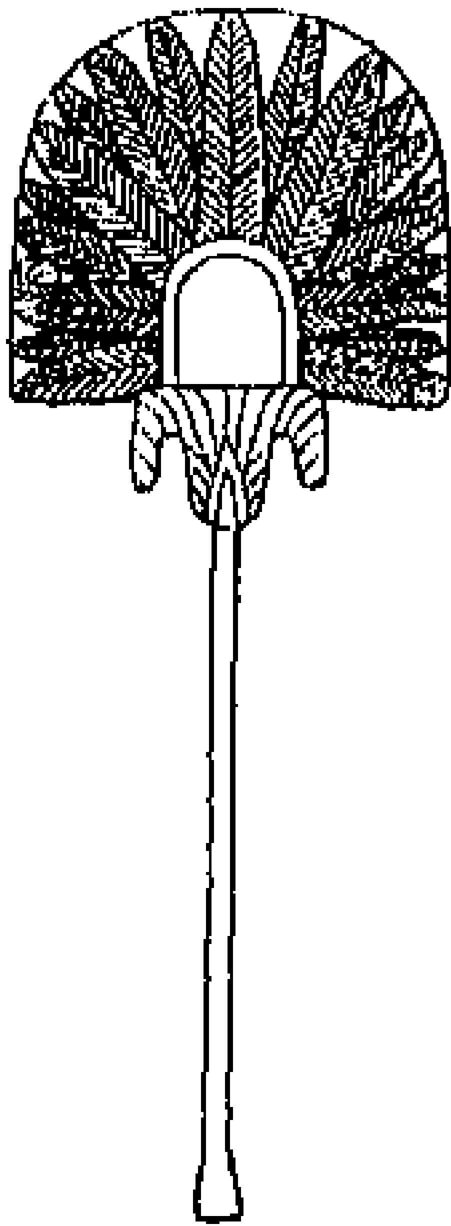
من خلال مخطوطة
تاريخ البطاركة
لساويرس ابن المقفع

إعداد و تحقيق
عبد العزيز جمال الدين

الجزء الثانى

من مار مرقس حتى البطرك ٣٨ بنيامين الأول ٦٢٢/ ٦٦١م

مكتبة مدبولى



تاريخ مصر

من بدايات القرن الأول الميلادى
حتى نهاية القرن العشرين
من خلال مخطوطة

تاريخ البطاركة

لساويرس بن المقفع

الجزء الثانى

إعداد وتحقيق
عبد العزيز جمال الدين

تاريـــخ مـصـــر

من بدايات القرن الأول الميلادى
حتى نهاية القرن العشرين
من خلال مخطوطة

تاريـــخ البطاركـــة

لساويرس ابن المقفع
الجزء الثانى

إعداد وتحقيق:
عبد العزيز جمال الدين

الإخراج الفنى:
تامر ومصرية عبد العزيز
الطبعة: الأولى ٢٠٠٦
الناشر: مكتبة مدبولى
٦ ميدان طلعت حرب القاهرة
ت: ٥٧٥٦٤٢١ ، تليفاكس: ٥٧٥٢٨٥٤
رقم الإيداع: ٢٠٠٥/١٣٤٣٧
الترقيم الدولى: 977-208-549-6
الجمع التصويرى والتنسيق الداخلى:
دار جهاد - ٢٦ ش اسماعيل أباظة -
لاظوغلى - ت: ٧٩٦٤٧٨٣

تاريخ مصر

من بدايات القرن الأول الميلادى
حتى نهاية القرن العشرين
من خلال مخطوطة

تاريخ البطاركة

لساويرس ابن المقفع

الجزء الثانى : من البطرك ٣٩ أغاتون ٦٦١ / ٦٧٧م حتى البطرك ٥٢ يوساب ٨٣٠ / ٨٤٩م

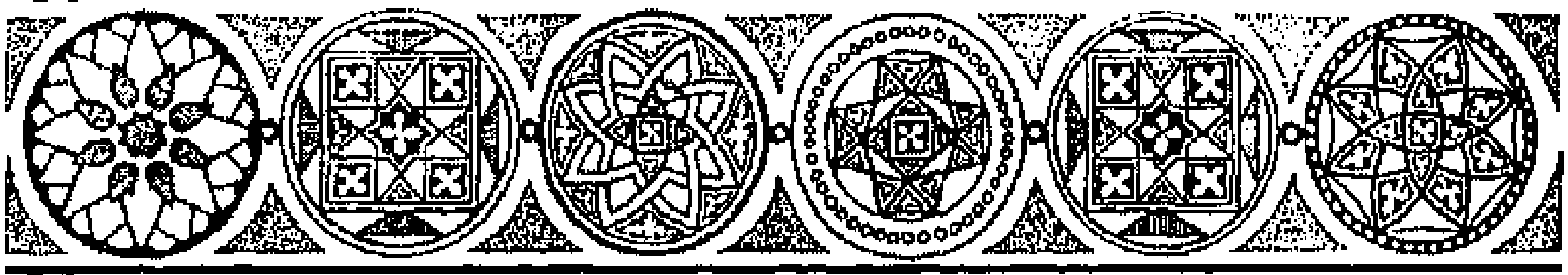
إعداد وتحقيق

عبد العزيز جمال الدين

الناشر :

مكتبة مدبولى

٢٠٠٦



تقديم

ها هو الجزء الثانى من تاريخ البطاركة الذى يستعرض الفترة التاريخية من البطرك ٣٩ «أغاثون» (٦٦١/ ٦٧٧م) حتى البطرك ٥٢ «يوساب» (٨٣٠/ ٨٤٩م) وهو ما يغطى فترة الخلافة الأموية والعباسية تقريباً. وقد سرتُ فيه على منوال الجزء الأول من حيث أنتخاب النص من مجموعة المخطوطات التى ذكرتها فى الجزء الأول، والتعليق عليه فى هامش جانبى، هذا بالإضافة إلى المادة التاريخية التى رصدتها فى الجزء الأسفل من صفحات هذا الجزء والتى تتابع مادة المخطوط فى مسيرتها التاريخية انتخبتها من كتب المؤرخين المسلمين من أمثال محمد ابن يوسف الكندى وابن عبدالحكم، والواقدى والطبرى والمقريزى وغيرهم.

وفى هذا الجزء السفلى رصدت حوليات مختصرة للسنوات الممتدة من سنة ٦٣٩ إلى سنة ٨٦١م، ثم اتبعتها بسرد كامل ومتوسع لكل الولاة من عمر ابن العاص حتى بداية حكم الطولونيين.

كما أضفت فى نفس هذا الجزء عرض لتاريخ مصريو النوبة وشمال السودان وعلاقتهم

بالكنيسة المصرية واعتناق ملوكهم للإسلام فيما بعد، والحقت كل ذلك بمطالعات فى الفكر الإسلامي من العصرين الأموى والعباسي.

أما عن الهوامش الجانبية فيهمني أن نذكر منها موقف المصريين من الحركات السياسية التى ظهرت فى ظل الخلافتين الأموية والعباسية، كذلك العلاقة بين بيزنطة والمسلمين بين عامى ٧١٧/ ٨٦٧م. والنزاعات داخل الامبراطورية البيزنطية.

وسوف نلاحظ ان ساويرس قدم لنا فى هذا الجزء ترجمة لأربعة عشر بطركاً يغطون الفترة التاريخية من عام ٦٦١م إلى سنة ٨٤٩م.

ويبدو من هذه التراجم التى صنفها وجمعها ساويرس، أنها كانت بمثابة تقويم أو روزنامة للكنيسة المصرية، وأنها كانت تعتمد على المشاهدات والاتصال بأبطال الحوادث، أو كتابة الأخبار المتواردة حينذاك، فهى أشبه شيء «بالمذكرات» أو «اليوميات»، ولا نتبين من كتابتها الرجوع إلى مؤلفات سابقة أو معاصرة اللهم إلا فى النادر.

ونلاحظ أنه منذ القرن السابع الميلادى (الأول الهجرى) ـ وخاصة منذ غزو العرب لمصر ـ يصبح تاريخ البطاركة أكثر اكتمالاً وأعظم أهمية، إذ يدون الاخبار ويكتب التراجم كتبة معاصرون، كما يبدأ فى هذا القرن السابع الميلادى تاريخ مصر فى العصور الوسطى.

ويهدف ساويرس من تراجم البطاركة وسيرهم إلى غرض دينى بحت وهو تمجيد الدين المسيحى والإشادة بالمذهب الأرثوذكسي أو ـ كما يسميه ساويرس ـ الأمانة المستقيمة، وبيان جهاد البطاركة فى سبيل حمل أمانتهم.

وبالرغم أن هذا الكتاب يختلف فى هدفه عن الكتب التاريخية العامة أو الخاصة ومع ذلك فهو يشترك معها جميعاً فى أن الدين كان يمتزج بالتاريخ امتزاجاً شديداً وهذه ظاهرة نلمسها فى تاريخ أوربا فى العصور الوسطى كما نلمسها فى التاريخ الإسلامى، ومن هنا نرى أن ساويرس وإن كان قد أرخ للبطاركة وللكنيسة القبطية فى ظل الحكم الإسلامى إلا أنه اشترك مع المؤرخين المسلمين ومؤرخى العصور الوسطى الأوربية فى أنه مزج بين الدين والتاريخ.

كذلك نرى مؤرخ البطاركة يشترك مع المؤرخين المسلمين ومؤرخى أوربا فى العصور الوسطى فى سرد الأساطير والقصص العجيبة والخوارق والكرامات، فيحدثنا مثلاً عن الدموع

التى تسيل من صور القديسين والشهداء، والدم الذى يقطر من هذه الصور والأيدى التى تمتد خارجها، كما يكثر ساويرس من ذكر كرامات بعض البطاركة ورجال الدين المسيحيين، مثل إعادة البصر لمن فقده وإعادة الحياة لمن غرق، وإعادة الصحة لمن استعصى شفاؤه.

وليس هذا الكلام بمستغرب على ساويرس، فإن ساويرس يمثل عقلية العصور الوسطى، إذ كان الاعتقاد بالخرافات والكرامات لا يقتصر على الطبقة العامة كما هو معروف الآن وإنما كان هذا الاعتقاد شائعاً بين مختلف طبقات الشعب.

كذلك نرى ساويرس ـ مثل غيره من مؤرخى العصور الوسطى ـ يعلل الأشياء فى الغالب تعليلاً ألهياً سماوياً فكل ما يحدث سببه رضا الله أو غضبه وسخطه، ولا يحاول بعد ذلك تعليل الأشياء بالدرس والنقد والتمحيص.

يتعرض كتاب ساويرس ـ خلال تراجم البطاركة ـ لتاريخ العصور الوسطى وطبيعى أن يركز ساويرس اهتمامه بتاريخ مصر، فيبين لنا كيف تم غزوها على يد العرب، ثم كيف كانت معاملة الفاتحين العرب للمصريين من النواحى الدينية والمالية والاجتماعية والإدارية.

كذلك يفصل ساويرس الكلام على الأحداث الهامة السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية التى حدثت فى العصر الذى اصطلحنا على تسميته «عصر الولاة» وهو الذى يبدأ بغزو العرب لمصر وينتهى بقدوم أحمد بن طولون إليها وتأسيسه الدولة الطولونية فيها.

وقد أشار ساويرس فى تاريخه إلى الرخاء فى مصر، كما فصل الكلام عن القحط والوباء والمجاعات فى بعض السنين، بل إن ساويرس يهتم بهذه الظواهر التى ترد فى حوليات الكنيسة المصرية أكثر من اهتمام سائر المؤرخين بها، وينفرد بذكر بعض المجاعات التى لم يرد ذكرها لدى غيره من المؤرخين.

ولا شك أن ساويرس يشترك مع بقية المؤرخين فى ذكر كافة الأحداث الهامة مع العناية بشئون مصر على غرار المؤرخين المصريين مسلمين كانوا أم مسيحيين، لكنه يمتاز عليهم جميعاً بأن كتابه له قيمة الحوليات، والمذكرات، والمصادر المعاصرة، فى وقت نتلمس فيه المصادر المعاصرة للغزو العربى لمصر وما بعد الغزو بحوالى قرنين ونصف من الزمان فلا نكاد نجدها اللهم إلا فى بعض الأوراق البردية، وكتاب «التاريخ» للمؤرخ حنا أسقف نقيوس ، الذى توفى فى القرن السابع الميلادى.

وقد وضع حنا النقيوسي كتابه في تاريخ مصر باللغة القبطية، وجاء فيه ذكر الحوادث التي وقعت زمن الغزو العربي لمصر، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اليونانية والعربية، ثم قام أحد القساوسة المصريين بترجمة النسخة العربية إلى اللغة الأثيوبية، ولم يبق مما كتبه هذا المؤرخ المصرى سوى النسخة الأثيوبية التى نشرها الدكتور M.H.Zotenberg مع ترجمة فرنسية لها.

أما أقدم مؤرخ مسلم نعرفه بعد ذلك فهو ابن عبدالحكم صاحب كتاب«فتوح مصر وأخبارها» والمتوفى سنة (٨٧٠ ـ ٨٧١م).

ومما يزيد فى قيمة كتاب ساويرس أنه يبين منذ غزو العرب لمصر وجهة نظر المصريين نحو الحكومات الإسلامية المتتالية.

ولا يهمنا الآن الحديث فيما اشترك فيه ساويرس مع بقية مؤرخى الخلافة الإسلامية، وإنما يهمنا الكلام فى حديثنا هذا على بعض ما انفرد ساويرس بالكتابة فيه أو توضيحه.

ولعل من أهم الأمور التى انفرد ساويرس ببيانها أو توضيحها بحكم تأريخه للبطاركة وللكنيسة وللأقباط، ما كتبه عن مركز المصريين فى ظل السلطة الإسلامية من ناحية وبناء أو تجديد كنائسهم، وعلاقة المصريين بالمسلمين فى مصر وفى غيرها من البلدان، وموقفهم من الحكومات الإسلامية المتعاقبة فى مصر.

كذلك أفاض ساويرس فى حديثه عن نشر الإسلام فى مصر بل إنه فى بعض الأحيان يعطينا أرقاماً بعدد الذين تحولوا إلى الدين الإسلامى فى ظل الظروف الاقتصادية القاسية تخلصاً من الجزية.

ولم تكن للسلطة الإسلامية سياسة ثابتة بشأن بناء الكنائس والأديرة فكانت تسمح للمسيحيين فى بعض الأحيان ببناء كنائس جديدة، وكانت تمنعهم فى بعض الأحيان حتى من إصلاح الكنائس القديمة.

كذلك يبين لنا ساويرس أن الأقباط شغلوا كثيراً من الوظائف فى ظل السلطة الإسلامية وخاصة الوظائف المالية، ويورد ساويرس فى مناسبات مختلفة أسماء كثير من كبار الموظفين الأقباط.

كما يذكر ساويرس حركة الهروب من الأرض والفلاحة فى ولاية قرة بن شريك الذى أتى بعد عبدالله بن عبد الملك. وتشدد قرة فى قمع تلك الحركة والقضاء عليها.

وقد اتخذت حركة الهروب فى عهد قرة بن شريك شكلا واسعاً. فيذكر ساويرس أن أسر بأكملها كانت تهرب من مكان إلى مكان فراراً من دفع الضرائب والجزية. واضطر قرة إزاء هذا إلى إنشاء هيئة خاصة مسلحة لوقف تلك الحركة وإعادة كل شخص إلى موضعه. وظل قرة يقاوم تلك الحركة بنشاط إلى أن توفى سنة ٧١٤م.

ويؤكد كلام ساويرس ما استخلصناه من الأوراق البردية العربية واليونانية التى ترجع إلى عهد هذا الوالى.

وبعد وفاة قرة والخليفة الوليد، ولي خراج مصر أسامة بن زيد التنوخى فى خلافة سليمان بن عبدالملك.

وقد تشدد أسامة بن زيد فى طلب الجزية والخراج. وأسلم الكثيرون فى أيامه كى يتخلصوا من الأعباء المالية. ولكن حركة الهرب استمرت، من جانب الذين أثقلت كاهلهم الأعباء المالية والجزية ولم يرغبوا فى اعتناق الدين الإسلامى.

ولكى لا يتمكن أحد من الهروب من منطقة إلى أخرى عملت سجلات للأهالى أشبه بالبطاقات الشخصية اليوم. فألزم كل شخص يريد الإنتقال من جهة إلى أخرى فى أنحاء القطر، أو يريد ركوب سفينة أو النزول منها، أن يحمل معه سجله. أما من فقد سجله أو أتلفه فقد ألزمه الوالى بالحصول على سجل آخر مقابل دفع خمسة دنانير.

والواقع أن ساويرس هو المؤرخ الوحيد الذى كتب وفصل لنا الكلام على حركة الهروب، تلك الحركة التى تنطوى على مقاومة المصريون لسلطة العرب مقاومة سلبية بعدما أصبح الالتجاء إلى الأديرة وسلوك سلك الرهبنة، لا يعفهم من الألتزامات المالية منذ خلافة عبدالملك بن مروان وولاية أخيه عبدالعزيز على مصر.

كذلك يذكر ساويرس أن الخليفة العباسى الأول أبا العباس عبدالله السفاح قرر أن يعفى من الجزية كل من يعتنق الدين الإسلامى ويقيم شعائره، فتخلى كثير من المسيحيين، أغنياء كانوا أو فقراء، عن دينهم واعتنقوا الدين الإسلامى بسبب فداحة الجزية والأعباء الملقاه عليهم ولكنه فى ذات الوقت الذى رفع فيه الجزية عن الذين اسلموا أضاف ما كان يدفعونه على من لم يسلم مما زاد من فداحة الأموال التى كان يدفعها المصريون القبط.

أما عن انتشار الإسلام فى مصر منذ أواخر عصر الولاة، فيتضح لنا مما كتبه ساويرس أن العامل المالى من أهم العوامل التى حولت أغلبية الأقباط إلى اتباع الدين الإسلامى.

ويتضح من كتابات ساويرس أن الرهبان كانوا يبغضون السلطة الإسلامية لأنهم كانوا يفلتون فى البداية من دفع الجزية والخراج إلى أن بدأ والى مصر عبدالعزيز ابن مروان (٦٨٤ ـ ٧٠٥م) سنة فرض الجزية عليهم.

فمن المعروف أن الرهبنة كانت منتشرة حينذاك فى مصر. وقد ساعد على انتشارها ما وقع للمصريين من ظلم واضطهاد زمن البيزنطيين، ففضل الكثيرون أن يعيشوا فى عزلة عن العالم منفردين أو جماعات فى أديرة، ولما كان الراهب لا يملك شيئا ويعيش فى عزلة عن العالم، لذا لم تفرض عليه أى ضريبة فى عهد الرومان والبيزنطيين بل أعفيت الأديرة والرهبان من الضرائب.

ولما احتل العرب مصر حافظوا على هذا التقليد تقرباً من الكنيسة اليعقوبية وما لبث العرب أن فطنوا إلى أن الأديرة أصبحت تملك ثروات ضخمة والى أن كثيراً من الأقباط لجئوا إليها كى يتخلصوا من الضرائب.

ولذا نرى والى مصر عبدالعزيز بن مروان ـ أخ الخليفة عبدالملك بن مروان ـ يأمر بإحصاء الرهبان وفرض الجزية عليهم. كما أنه ألزم الاساقفة بأن يؤدوا قدراً معيناً من المال سنوياً بالإضافة إلى خراج أوقاف الأديرة والكنائس.

وكانت السلطة الإسلامية تفرض أشد العقاب على الرهبان أو رجال الدين الفارين من الضرائب، كما كانت تتشدد فى جمع الجزية من المصريين.

ويبين ساويرس أن كثيراً من المصريين أسلموا ليتخلصوا من الجزية والضرائب المفروضة عليهم، كما يذكر أن الأقباط الذين بقوا على دينهم قاموا بمقاومة سلبية ضد الحكومة، تنطوى على الهروب من مكان إلى مكان، وهجر الأراضى الزراعية، وذلك منذ خلافة الوليد بن عبدالملك الأموى (٧٠٥ـ ٧١٤م). وفى أثناء ولاية أخيه عبد الله بن عبد الملك أصدر والى مصر أمر بوسم الفارين الذين وجدوا فى الأقاليم المختلفة، على أيديهم بالإختام المحماة بالنار مثلما يفعل مع البهايم ونفيهم إلى أماكن مختلفة.

وبما لا نشك فيه أن الأمثلة التى يوردها ساويرس ، والتى تبين أن الأقباط الأغنياء ضجوا من الجزية والضرائب كما ضج الفقراء، تظهر أن الجزية كانت المورد الرئيسى للمال الذى تعنى به السلطة الإسلامية، وأنها كانت أمراً ثقيلا ، ولم تكن بالضريبة الهينة وإلا لما حملت الكثيرين على التخلى عن دينهم.

على أن الأقباط بدءوا منذ سنة ٧٢٥م فى التخلى عن مقاومتهم السلبية وأخذوا يقاومون سلطة العرب مقاومة إيجابية وذلك بالقيام بالثورات العلنية ضدهم.

والمعروف أن العرب بعد احتلالهم مصر فرضوا على المصريين الجزية وعلى أراضهم الخراج، في الوقت الذى عاملوا فيه الأراضى التى نهبتها قبائلهم البدوية بنظام الزكاة (أى تحصيل العُشر).

ونلاحظ أن الأراضى التى كانت ملكا خاصاً للأباطرة أو التى هرب أهلها أو هلكوا زمن الغزو العربى، آلت إلى القبائل البدوية فى مصر. وقد زادت تلك الأراضى زيادة كبيرة أثناء الحكم العربى نفسه بما أضيف إليها من الأرض المهجورة والمستقطعة والمصادرة وطرح النهر والتى هاجر عنها أهلها بسبب الظلم وفداحة الأعباء المالية المفروضة عليها.

ومن الوجهة النظرية كان المصرى الذى يعتنق الإسلام تصبح أرضه عشرية ولكن الحكام العرب رأوا فى هذا جل الخطر على ماليتهم، وأصبح المصرى إذا اعتنق الإسلام لا تعفى أرضه من الخراج حتى لو اسقطت عنه الجزية. كأن الأرض ظلت كافرة رغم إسلام صاحبها.

ثورة البشمور:

وحين بدأ المصريون الاقباط يثورون ضد سلطة العرب بسبب مطالبها المالية المجحفة، وجدوا فى المصريين المسلمين الذين زاد عددهم فى مصر وأصبحوا يملكون أراضى خراجية، شريكا لهم فى تلك الثورات. ولذلك نرى سائر مؤرخى مصر المسلمين يشتركون مع ساويرس فى ذكر تلك الثورات بل يفصلون الكلام أحيانا فيما لا يفصل فيه مؤرخ البطاركة.

وقد تعددت ثورات المصريين وشملت الوجهين البحرى والقبلى. وكان أعنف هذه الثورات تلك التى كان يقوم بها أهل البشمور أو البشرود، وهى المنطقة الرملية الساحلية بين فرعى دمياط ورشيد وفى تنيس ومنطقة الحوف الشرقى.

ولقد ظل المصريون الأقباط يقومون بالثورة بعد الأخرى طوال القرن الثامن الميلادى، وكانت حكومات العرب والعباسيين تقابل تلك الثورات بالقسوة والعنف.

وكان يتبع أخماد تلك الثورات فى العاة تحول عدد كبير من الأقباط إلى الدين الإسلامى.

وكان آخر تلك الثورات وأعظمها تلك التى أنتهت فى بداية القرن التاسع الميلادى (٨٣٢م) بمجىء الخليفة المأمون وإبادته للثائرين.

ويخبر ساويرس عن هذه الثورة فيقول أن الخليفة المأمون صحب معه إلى مصر البطرك ديونوسيوس بطرك انطاكية وأنه استعان به وببطرك الأقباط الأنبا يوساب، لإخماد ثورة البشموريين وسير إليهم قائدة الأفشين لمحاربتهم، ثم سار إليهم بنفسه على رأس جيوشه وقضى على حركتهم.

يتضح لنا مما كتبه ساويرس أن الشعور الوطنى كان ضعيفاً بين المصريين آنذاك، فلم يكن فى ثورات الأقباط ضد سلطة العرب عنصر وطنى، بل كانت كلها بسبب الضرائب والجزية إما لحمل الحكام المسلمين على تخفيفها وعدم اتباع القوة فى جبايتها، وأما للهرب من دفعها. ولعل ضعف هذا الشعور الوطنى كان أكبر عون للحكام المسلمين للقضاء على حركات المصريين.

ويؤكد سلبية الشعب المصرى حينئذ ما نعرفه من أن أهل البلاد لم يشتركوا فى الحركات السياسية والدينية التى قامت فى ظل الخلافة، والتى اشترك فيها الجند العربى فى مصر والإجناد الأخرى الذين أتوا إليها فى عهد الدولة العباسية، مثل الثورة التى أنتهت بمقتل الخليفة عثمان بن عفان، والنزاع بين على ومعاوية، والخلاف بين الأمين والمأمون.

أما الأقباط فقد اشتركوا فقط فى معاونة العباسيين الذين كانوا قد نجحوا فى إسقاط الدولة الأموية فى المشرق والذين أتت جيوشهم وراء الخليفة الأموى مروان بن محمد فى مصر.

ولا يدعنا ساويرس نتلمس الأسباب التى دعت المصريين إلى معاونة العباسيين فى مصر فيذكر صراحة أن العباسيين وعدوا الأقباط بتخفيف الجزية والخراج عنهم.

والواقع أننا لا نجد مؤرخا غير ساويرس يفسر لنا السبب الذى حمل أغلبية القبط على التحول إلى الدين الإسلامى. فساويرس يؤكد دائما أن الهروب من الجزية ومن الخراج كان أكبر عامل على انتشار الإسلام فى مصر.

وهو يزن دائما الولاة والأمراء والخلفاء الفواطم بالميزان المالى، ولهذا نرى مؤرخ البطاركة قد يحكم على أمير أو خليفة واحد حكمين على طرفى نقيض، لأن هذا الأمير قد يكون رحيما بأهل الذمة فى وقت من الأوقات، وقد يشتد فى جمع الضرائب والجزية، عندما يحتاج إلى الأموال فى وقت آخر، ومثل ذلك كلام ساويرس على الخليفة عمر بن عبدالعزيز، وهشام بن عبدالملك، والخليفة المتوكل على الله العباسى وأمير مصر أحمد بن طولون والحاكم بأمر الله.

وواضح من كتابات ساويرس أن الأساقفة والبطاركة ورجال الدين المسيحيين كان يفرض عليهم أموال كثيرة، وكان رجال الدين يلجئون بدورهم إلى الشعب المصرى القبطي ليدفع هذه الأموال، وكانت أحسن فرصة للخلاص من كل هذه الأعباء الدخول فى الدين الإسلامى، تحت أمل إعفائهم من أموال الجزية.

ومن الأمثلة الصارخة التى يبين فيها ساويرس إسلام الكثيرين بسبب الفقر وقلة ما معهم من المال ما حدث فى خلافة المنتصر العباسى (٢٤٧ ـ ٢٤٨هـ = ٨٦١ ـ ٨٦٢م) حينما ولى خراج مصر أحمد بن محمد بن المدبر، إذ فرض هذا الوالى ضرائب باهظة على الكنيسة وعلى المصريين عامة مما دفع الكثيرين إلى التحول إلى الإسلام تحت أمل إعفائهم من الجزية.

والمعروف أنه أنشىء فى العصر العباسى ديوان خاص للنظر فى شئون أهل الذمة المصريين سمى «ديوان الجوالى» وكان على رأسه موظف من كبار المسلمين.

ويحدثنا ساويرس عن شخصيات من رجال الدين الأقباط الذين خرجوا للشكوى فى مقر الخلافة العباسية من الأعباء المالية الزائدة واغتصاب اراضيهم ومنقولاتهم، ومثل ذلك خروج أحد رجال الدين المسيحيين فى مصر واسمه إبرا هيم إلى مقر الخلافة فى أيام المعتز (٢٥٢ ـ ٢٥٥هـ ـ ٨٦٦ ـ ٨٦٩م) يشكو تعسف ابن المدبر، فكتب الخليفة سجلاً بالتخفيف عن النصارى، ثم أكد هذا السجل الخليفة المهتدى (٢٥٥ ـ ٦ ٢٥هـ) الذى ولى بعد المعتز والذى أمر بأن يرد إلى النصارى ما اغتصب منهم من المنقولات والأراضى.

وقد تمكن المصريون من أن يتقلدوا وظائف مختلفة فى الدولة وأن يزداد نفوذهم حتى وصل بعضهم إلى الوظائف العليا فى الإدارة، كما وصل آخرون إلى أن يصبحوا الكتاب الرئيسيين والوزراء عند بعض الولاة والأمراء، وذلك بسبب عدم كفاءة الجهاز الإدارى الإسلامى وحاجته إلى خبرات غير المسلمين فى إدارته.

وكان هذا يؤدى في بعض الأحيان إلى احتجاج فقهاء الدين، وثورة المسلمين من العرب والترك وغيرهم أصحاب المصلحة للمطالبة بالحيلولة دون سيطرة المصريين أو ابتزازهم، مما كان يستتبع إصدار تشريعات تحد من نشاط المصريين وتبعدهم عن وظائف الحكومة وتلزمهم بالتزام ملابس محددة تميزهم عن المسلمين.

ومن ذلك ما حدث في عهد الخليفة الأموى عمر بن عبدالعزيز الذى أمر بعزل أهل الذمة من مناصب الدولة الهامة ومنعهم من إنشاء الكنائس أو المعابد الجديدة.

كذلك يذكر ساويرس أن الخليفة المتوكل على الله العباسى (٢٣٢ـ ٢٤٧ = ٨٤٧ ـ ٨٦١م) أمر بهدم الكنائس وأن يتميز المسيحيون واليهود فى لبساهم عن المسلمين كما أمر أن يشغل الوظائف المسلمون فقط، ويذكر ساويرس أن كثيرين أسلموا حينئذ إما لحاجتهم وفقرهم، وإما رغبة منهم في الإبقاء على مناصبهم. والواقع أن مؤرخى الخلافة يشتركون مع ساويرس فى تفصيل اضطهاد المتوكل للمصريين .

ونلاحظ أن ساويرس يعنى بالتأريخ للاسكندرية عناية خاصة، وليس هذا بمستغرب فالاسكندرية كانت مقراً لبطركية الأقباط، ولذا نراه يسميها فى معظم الأحيان المدينة العظمى.

ويذكر ساويرس أن الاسكندرية كانت تعرف باسم مدينة قيسرون ويقول أيضا أنها تسمى باللغة العبرانية مدينة آمون.

ويؤكد ساويرس في مناسبات مختلفة ما نستشفه من سائر المصادر بأن الاسكندريه كانت منذ العهد اليونانى حتى عصر الأخشيديين تعتبر فى معظم الأحيان جزءا مستقلا عن مصر حتى في القضاء.

كذلك يحدثنا ساويرس عن أهمية الاسكندريه التجارية وأنها احتفظت بتلك الأهمية بعد غزو العرب لها فظلت ميناءاً تجارياً هاماً تأتيها التجارة براً وبحراً.

ويثنى ساويرس على الخليفة المتوكل ثناءاً كبيراً لأنه أمر بتوصيل القناة التى تجلب ماء النيل إلى داخل الاسكندريه. وكان الماء العذب لا يصل قبل ذلك إلى الاسكندريه إلا وقت الفيضان، وبعد حفر هذا الخليج أصبحت المراكب الكبار تصل إلى داخل المدينة وكثرت المراكب والتجار فى الاسكندريه كما زرع الناس الكروم والبساتين على جانبى القناة.

ويحدثنا ساويرس عن متمرد من سكان الإسكندريه من بنى مدلج قام بتمرد فى أواخر عصر الولاة فى الوجه البحرى وانضم إليه جماعة كبيرة مقاتلة من أصحابه، ومن العربان، وأخذوا يهاجمون عمال الخراج ويأخذون ما لديهم من أموال.

ويذكر أنه لما زادت جماعته، حاصر مدينة الاسكندريه، ولكنه لم يستطع فتحها بأى وجه من الوجوه ، وذلك لوقوف حصونها حجر عثرة فى سبيل ذلك، ولعدم وجود آلات لدك الحصون لدى المتمردين، ومع ذلك فأنهم حاصروها ومنعوا الاغذية من الوصول إليها عن طريق البحر والبحيرة. ويذكر ساويرس أنه لما طال حصار الاسكندريه اجتمع رؤساؤها وتشاورا مع واليها واتفقوا على إحاطتها بسور كبير حولها. وقد اشترك فى بناء هذا السور أهل الاسكندريه، إذ بنى كل صاحب دار أو أرض حائطاً أمامه ووصله إلى حائط جاره، وبذلك أصبح للاسكندريه سور حولها وجعلوا له أبواباً، ولم يكن يفتح إلا باب واحد فى المرة الواحدة وبذلك تحصنت الإسكندريه وأمن أهلها الأعداء.

ولما وصل والى مصر مزاحم بن خاقان (٢٥٣ ـ ٢٥٤هـ = ٨٦٧ ـ ٨٦٨م) استطاع أن يشتت هؤلاء المتمردين الذين كانوا قد اتخذوا مراكز لهم بين مدينتى بنا وأبو صير فى الوجه البحرى فأعمل فيهم القتل بالسيف وأغرق آخرين وانهزم من بقى منهم فى الجبال بالصعيد.

هذا إلى جانب ما يذكره ساويرس عن هجمات القراصنة الاندلسيون على الاسكندريه واستقرارهم بها حوالى اثنى عشر عاماً قبل أن يتركوها إلى كريت.

ويهمنى أن أضيف هنا ملحوظة هامة وعامة تختص بالتحديد الحاسم لتواريخ التحولات والأحداث فى مصر فى العصور الوسطى.

فهى ما زالت خاضعة للإجتهاد بسبب التضارب الواضح بين مؤرخى تاريخنا فى هذه الفترة. وسوف يكون هذا ملحوظاً فيما يكتبه ساويرس وما يذكره محمد ابن يوسف الكندى أو ابن الحكم أو الواقدى والطبرى ويوحنا النقيوسى والمقريزى وغيرهم.

بسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد

الجزء الثانى من سير البيعه المقدسه

وهو ست سير وأربعة عشر بطركا

السيرة الخامسة عشر

أغاتون ولد بنيامين البطرك بالروح لا بالجسد وهو من العدد التاسع والتلتون [٦٦١ / ٦٧٧م]

ولما عاد المجاهد العظيم ضابط الامانه بالسيد يسوع المسيح ومعلم الامانه الارتدكسيه انبا بنيامين

حوليات تاريخ مصر من عام ٦٣٩ (١٨هـ) إلى عام ٨٦١ (٢٤٧هـ).

سنة ١٨ هجرية

استهل المحرم بيوم الثلاثاء الموافق ١٢ يناير ٦٣٩م.

* سميت هذه السنة عام الرَمَاد لأن الريح كانت تسفى ترابا كالرمادة كما سميت عام القحط لأن الناس أصابهم قحط وجدب ومجاعة شديدة.

* إنتشر الطاعون فى هذه السنة وعرف بطاعون عَمَواس نسبة إلى قرية بفلسطين كانت أول ما ظهر بها وراح ضحيته اعداد كبيرة خاصة من اهل الشام ومن القواد العرب.

* قدم الخليفة (عمر) الجابية للمرة الثانية وقسم مواريث الموتى من العرب وغيرهم. وفيها أتاه عمرو بن العاص يستأذنه فى السير إلى مصر لفتحها حتى تكون قوة للمسلمين وعوناً لهم فأذن له فسار حتى بلغ العريش فى يوم عيد النحر (١٠ ذى الحجة).

* تم على يد عِيَاض بن غَنْم فتح حران والرُّها والرَّقَّة.

من النفى وجلس على الكرسى الانجيلى ببيعة الله وجدد ما كان قد هدمه هرقل والمجمع الطمث الخلقدونى [وهو ابروطاريوس] اعاد هذا الاب انبا بنيامين بناه ورتبه بمعونة السيد المسيح الراعى الصالح الذى بذل نفسه عن خرافه كما قال فى انجيله الطاهر: ان الراعى الصالح يبذل نفسه عن خرافه. فمشى بنيامين فى اثار سيده وحمل صليبه وتبعه وصبر على البلايا والشرور والتجارب العظيمه الى الموت من اجل الامانة المستقيمه ولم

سنة ١٩ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأحد الثانى من يناير ٦٤٠م.

* إستولى معاوية بن أبى سفيان على مدينة قَيْسَّارية الحصينة بعد محاولات دامت سبع سنين، ذلك أن الروم كانوا يمدونها بحراً بالسلاح والأقوات.

* بدأت مع بداية السنة مسيرة عمرو بن العاص لغزو مصر على رأس ٤٠٠٠ وقيل ٣٥٠٠. وفى ١٢ من المحرم أفتتح عنوة حصن الفرما بعد أن قاتل الروم شهراً ومن الفرما سار إلى بلبيس فكان الاشتباك الثانى مع الروم وبعد شهر من القتال عاود سيره إلى عين شمس ثم إلى أم دُنَيْن (تندوتياس) فى جمادى الأول، وفى ٩ من جمادى الثانية وصل إليه المدد من المدينة يضم ٤٠٠٠ رجل فى مقدمتهم الزبير بن العوام وعُبادة بن الصامت.

* حج بالناس فى هذه السنة الخليفة عمر بن الخطاب.

* تولى على الكوفة عبدالله بن غطفان خلفاً لسعد بن أبى وقاص، وفى البصرة مرت ثلاث سنين على ولاية أبى موسى الأشعرى.

* توفى فى هذه السنة بالمدينة أبى بن كعب وكان من أحبار اليهود ومن كتاب الوحى وممن إشترك فى جمع القرآن وقيل توفى سنة ٢١.

٣٩: أغاتون ولد بنيامين ٦٦١ / ٦٧٧م

يتخل ولا رجع الى وراه فى جهاده الى أن تممه حتى اخذ النعمة مع القديسين ابايه الذين تقدموه كما قال داود النبى فى الزبور: كريم امام الرب وفاة اصفياه. فمات الاب بنيامين، وان الشعب المومن الخايف من الله بأمر الرب أخذو ذلك القس الخايف من الله أغاتون واجلسوه بطركا كاتفاق اسمه مع فعله معا، اذ هو صالح وعمله صالح مزين بكل فعل جميل مملو نعمة روح القدس والامانة الارتدكسية.

---

* تابع يزدجرد ملك الفرس فراره إلى أصبهان بعد أن استولى العرب صلحاً على حلوان بقيادة حريز بن عبدالله البجلى.

سنة ٢٠ هجرية

استهل المحرم بيوم الخميس الموافق ٢١ ديسمبر ٦٤٠م.

* تولى عمرو بن العاص إمارة مصر للمرة الاولى، إذ فى الثانى من المحرم الموافق ٢٢ ديسمبر تم فتح مصر (بابليون) على يديه ثم سار لفتح الاسكندرية فى ربيع الأول من السنة وفى يوم الجمعة أول جمادى الآخرة تم إستيلاؤه عنوة على الاسكندرية عاصمة مصر البيزنطية وكان قد أخلف على مصر (بابليون) خارجة ابن حُذافة ولكن عمرو قد جعل أهلها ذمة على أن يخرج منها من يخرج ويقيم من يقيم باختيارهم.

* فى الشمال جرت أول محاولة لغزو الروم على أرضها بقيادة عبدالله ابن قيس، وفى أقصى الشرق إستولى المسلمون على تستر بقيادة البراء بن مالك الذى قتل على أبوابها.

* إستولى العرب بقيادة أبى موسى الأشعرى على مدينة تستر بعد حصار دام أكثر من عام.

* أمر الخليفة عمر بإجلاء اليهود عن خيبر إلى مصر كما أجلى يهود نجران إلى الكوفة.

وكـانو المسلـمون يقاتلون الروم بغـضب وكـان لهم ملك اسـمـه طيبـاريوس قـد ملكوه وله عـدة جـزاير فـأسـروهـم من بلادهم الى بلاد غـريبـه وكـذلك صـقليـه(*) وجـميع اعـمـالهـا ملكوها واخـربوهـا وجـابو سبيـهـا الى مـصـر، وكـان هذا القـديس البطرك أغـاتون حـزين القلب اذ يرى اعـضـاه [اى السبـايا] فى ايدى الامم. وكـانو الغـزاه قـد اباعـو منهم انفسـا عـده فيشـتـريهم [البطرك]

(*) غزو العرب لصقلية واستيلائهم عـلـي رودس سـنـة ٦٧٢م = ٥٣هـ.

---

* فى هذه السنة كانت وفاة إمبراطور الدولة البيزنطية هرقل الذى عاصر قيام الدعوة الإسلامية وخلفة إبنه قسطنطين (١١ فبراير ٦٤١م).

سنة ٢١ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الاثنين ١٠ ديسمبر ٦٤١م.

* فى الأول من هذه السنة أعاد عمرو بن العاص فتح مدينة الاسكندرية بعد انتقاضها عليه.

* تم إخلاء الروم لمدينة الاسكندرية (١٦ شوال) وأبحروا إلى القسطنطينية فبذلك طويت صفحة الاستعمار الرومانى لمصر.

* استولى المقداد بن الاسود على دمياط.

* بعث عمرو بن العاص قائدة عقبة بن نافع غربا ففتح زويلة من أرض برقة.

* بعد عودة عمرو من فتح الاسكندرية ورفض الخليفة أن تكون عاصمة لمصر الإسلامية بدأ تخطيط مدينة الفسطاط وبناء مسجدها العتيق أقدم المساجد فى أفريقيا وخامس خمسة فى الإسلام.

٣٩: أغاتون ولد بنيامين ٦٦١ / ٦٧٧م

ويعتقهم. وكانو من اصحاب الهارسيس الطمث المعروفين بالغايانيين الذين لا يتقربون والبرسنوفية. ولم يكن يدع قسمة الاساقفة فى كل موضع ليردو الضان [الخراف] الذى قد اضلها الشيطان الى بيعة السيد المسيح. واوقع به الشيطان تعبا عظيما من اجل طهارة قلبه وفضيلته، فتولى فى تلك الايام امر اسكندرية انسان اسمه تاوضوروس(*) [تاوضوسيا]، وكان ريسا فى جماعه من الخلقدونيين، وكان مقاوم [معادى]

(*) اضطهاد تاوضوروس الملكانى للبطرك أغاثون.

---

* ولى الخليفة النعمان بن مقرن الجيوش التى سارت لفتح مدينة نهاوند الفارسية التى عرفت بفتح الفتوح وعلى أسوارها قتل فاتحها النعمان، قيل فقد الفرس فى المعركة مائة ألف قتيل.

* توالت الفتوح بعد سقوط نهاوند فتم فتح همدان وأصبهان على يد عبدالله ابن عتبان، وفى الشمال إستولى أبو هاشم بن عتبة على أنطاكية وملطية من الروم.

* توفى فى هذه السنة بمدينة حمص بالشام خالد بن الوليد، إشترك مع قريش فى يوم أحد ضد المسلمين وأسلم عام ٧هـ مع عمرو بن العاص فى يوم واحد وحمل الراية فى غزوة مؤتة واشترك فى حروب الردة وفى فتوح العراق والشام.

* صرف عمر قائده سعد بن أبى وقاص عن الكوفة وولاها عمار بن ياسر على الصلاة وعبدالله بن مسعود على بيت المال وعثمان بن حنيف على مساحة الأرض.

سنة ٢٢ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم السبت ٣٠ نوفمبر ٤٦٢م.

* تولى المغيرة بن شعبة على الكوفة خلفاً لعمار بن ياسر، وعلى البصرة أبو موسى الأشعرى وتولى على الموصل محمد بن مروان خلفاً لسعيد بن عامر.

الارتدكسيين التاوضوسيين. فمضى الى دمشق الى مقدم المسلمين واسمه يزيد بن معاوية(*) اخذ منه سجلا يتسلط به على شعب اسكندرية ومريوط وكلما يليها، ولا يكون لمتولى مصر عليه حكم لانه دفع له مالا جزيلا. وعاد وتسلط على الاب انبا اغاتون واقلقه وطلب منه المال الذى غرمه واخد منه سته وتلتين دينارا جزيه كل سنه عن تلاميذه. وليس هذا فقط بل وكلما كان ينفقه على النواتية

(*) يزيد بن معاوية : بعد وفاة معاوية في ابريل ٦٧٩م = رجب ٦٠ هـ. تولى يزيد الخلافة الاموية، ثم بايعه الناس ماعدا الحسين وعبدالله ابن الزبير وعبدالله بن العباس وعبدالله ابن عمر.

---

* سار عمرو بن العاص من الاسكندرية غرباً إلى برقة فصالحه أهلها على الجزية وتابع سيره إلى طرابلس فحاصرها شهراً حتى فتحها.

* غزا حذيفة بن اليمان مدينة الدينور واستولى عليها وكانت قد فتحت لسعد ثم انتقضت، كما أعاد نعيم بن المقرن فتح همدان ثم كر على الرى ففتحها، وعلى يد المغيرة بن شعبة جرى فتح قزوين وزنجان، كذلك إنتهى بكير بن عبدالله إلى أذربيجان وفتحها، بينما إنتهى سراقة بن عمرو إلى بلاد القوقاز وفتح الباب، وامتدت الفتوح شرقاً حتى غزا الأحنف بن قيس بلاد خراسان واستولى على هراة عنوة، وفى الشمال غزا معاوية أمير الشام بلاد الروم على رأس عشرة آلاف، وفيها كاتب سويد من مقرن ملك جرجان وسار إلى بلاده وضمها صلحاً وحذا حذوه ملك طبرستان.

* تابع ملك الفرس يزدجرد فراره شرقاً حتى بلغ الرى وفيها حاول واليها الفارسى آبان جازويه القبض عليه غدراً، ومن الرى سار إلى أصبهان، ومنها إلى كرمان، ومنها إلى مرو الروذ بخراسان وكاتب ملوك الترك والصين طالباً نجدتهم، وانتهى إلى بلخ مما ألجأ الأحنف بن قيس إلى مطاردته.

في الاسطول(*) يخسره اياها، وكلما يلحقه يلزمه اياه. ولم تكن جماعة الخلقدونيين يختلطون بهذا الرجل، وكان يحتاج الى سبعة الاف دينار لتاوضوروس الخلقدوني خارجة عن خراج وساياه، وما كان يمكنه يخرج من باب قلايته من قوة بغضته له لاجل الامانه الارتدكسيه، حتى انه امر وقال: من راى بابا التاوضوسيين يخرج ليلا او نهارا فيرجمه بالحجاره ويقتله وانا المجاوب عنه. وكان الاب اغاتون مختفيا ايام ذلك الملك المنافق وهو

(*) كان المصريون ملزمون بمصاريف وتجهيز الاسطول العربي في مصر.

سنة ٢٣ هجرية

وافق مستهل العام يوم الأربعاء ١٩ نوفمبر ٦٤٣م.

* شهدت السنة مع نهايتها نهاية خلافة عمر بن الخطاب.

* تولى إمارة مكة نافع بن الحارث، وعلى الطائف سفيان بن عبدالله، وعلى حمص عمير بن سعيد وعلى البحرين عثمان بن أبي العاص.

* توالت الفتوح شمالاً وشرقاً، ففي فلسطين فتح معاوية عسقلان صلحا، وغزا بلاد الروم حتى بلغ عمورية، وفي المشرق فتح الأحنف بن قيس نيسابور وتولى عليها، وتم فتح كرمان على يد سهل بن عدي، وسجستان على يد عاصم ابن عمر ومكران من بلاد الجبل على يد الحكم التغلبي، وفي فسا ودارابجرد لقي سارية بن زنيم مقاومة شديدة إذ أتاه الفرس من كل جانب.

* فيها احتفر عمرو بن العاص الخليج الموصل بين النيل والبحر الأحمر ودعاه خليج أمير المؤمنين.

* في ٢٦ من الحجة الموافق (٢ نوفمبر ٦٤٤هـ) اغتيل خليفة المسلمين عمر ابن الخطاب على يد أبو لؤلؤة غلام المغيرة لأنه أبى أن يرفعه من خراجه وكان صانعاً ميسوراً ودفن عمر في حجرة عائشة بجوار أبي بكر وله من العمر ٦٣ سنة، وكان قد أسلم عام ٦ هـ ودامت

داع له كوصية الانجيل: حبو اعداكم باركو على لاعنيكم.

وفى ايامه عمرت البيعه التى على اسم ابى مقار وكثرت الاخوه حتى انهم بنوا القلالى قريب البهلس وكانوا ينمو بنعمة السيد المسيح، وكانوا الاخوه المومنون يعينونهم.

وفى هذه الايام ظهر انسان من الدير طاهر البدن نقى القلب عارف بالحكمتين البيعيه والعالميه اسمه يوحنا من اهل سمانود كان معتكفا فى

خلافته نحو ١١ سنة. بويع عثمان ابن عفان بالخلافة بعد أن ترك عمر الشورى بين ستة من الصحابة بينهم إبنه عبدالله مشيراً ولا شيء له من الأمر وهم: على بن أبى طالب وعثمان بن عفان وسعد بن أبى وقاص وعبدالرحمن بن عوف والزبير بن العوام وطلحة بن عبيدالله.

سنة ٢٤ هجرية

وافق مستهل المحرم يوم الاحد ٧ نوفمبر ٦٤٤م.

* فى يوم الجمعة الثالث من المحرم بويع عثمان بن عفان بالخلافة وله من العمر نحواً من احدى وسبعين سنة فصلى بالناس وزاد من اعطياتهم .

* سميت هذه السنة عام الرعاف (وهو مرض خروج الدم من الأنف) لكثرة من أصيب به كما إعتبرت هذه السنة بداية انقسام المسلمين إلى أمويين (يمثلهم عثمان) وهاشميين يمثلهم على بن أبى طالب.

* أقر الخليفة الجديد عمال الولايات جميعها لأن عمر أوصاه بذلك باستثناء الكوفة اذ أعاد اليها سعد بن أبى وقاص وولى الكوفة الوليد بن عقبه بن ابى معيط، وكان أخا عثمان من أمه.

البرية اعتل علة عظيمة ولم يعتقد احد من الشيوخ انه يبرا، فراى ليله من الليالى مناما كان [كأن] انسان مضى [ء] نورانى عظيم المجد جالس على كرسى السارافيم ومعه جماعة نزل قريبا من باب قلايته، ونظر جماعة من الشيوخ الابا القديسين الذى فى البرية تقدمو لياخذو البركه من الجالس على الكرسى، فقال فى فكره: لو ان لى انسانا يمسكنى انا ايضا لاتقدم الى هذا الملك السماوى العظيم واخذ بركته فلعلى كنت استريح

---

* كاتب الامبراطور البيزنطى سراً أهل الاسكندرية من الروم لنقض الصلح مع العرب واستعد عمرو بن العاص لوأد الفتنة وهى السنة الخامسة لولايته على مصر.

* جرى غزو أذربيجان وأرمينية للمرة الثانية على يد الوليد بن عقبة بعد أن منع أهلها ما كانوا قد صالحوا المسلمين عليه.

* استنجد أمير الشام معاوية بن أبى سفيان بالخليفة لصد جموع الروم التى تحركت لغزو الشام واستعادتها من المسلمين فخف لنجدته جيش أهل الكوفة قوامه ٨٠٠٠ رجل وعليه سلمان بن ربيعة الباهلى كما قاد جيش الشام حبيب بن مسلمة فشنوا الغارات على الروم وأوقعوا بهم.

* عاصر خلافة عثمان: الامبراطور البيزنطى كونستانز الثانى، وفى روما البابا يوحنا الرابع.

سنة ٢٥ هجرية

استهل المحرم بيوم الجمعة الموافق ٢٨ أكتوبر ٦٤٥م.

* نقض أهل الاسكندرية من الروم الصلح بعد أن جاءتها قوات من القسطنطينية بقيادة منويل الخصى ولكن الحملة فشلت وقتل منويل وبقى المقوقس والمصريون على عهدهم ولم ينزعوا الى الفتنة، ومن الأسكندرية سير عمر قائده عبدالله بن أبى سرح الى أفريقية غازياً.

من هذه العلة والوجع، فعند ذلك تقدم اليه واحد ممن كان حول الكرسى والجالس عليه وهو لابس لباس البطاركة الرسل وعلى صدره كتاب يشبه انجيل فقال: تختار ان اقدمك لسيدنا لينعم عليك بالعافيه. فسجد له بدموع وطلب اليه قايلا: ارحمني يا سيدى وامض بى اليه لانى فى تعب عظيم. فاجاب ذلك القديس وقال له: يا يوحنا (لأنه كان كاهنا): قل لى انك اذا عوفيت من الرب تكون لى ولدا وانا امضى بك اليه. فعاهده

---

* عزل الخليفة عدداً من أمراء الولايات وأقام غيرهم، منهم عمرو بن العاص الذى عزله عن خراج مصر بعبدالله بن أبى سرح وهو أخو عثمان لأمه، وجاءه الكتاب وهو بالفيوم، وولى إمارة مكة خالد بن العاص ثم أخلفه فى العام نفسه بالحارث بن نوفل، وعزل سعد بن أبى وقاص وولى الكوفة الوليد بن عقبة مكانه، وهو كذلك أخ لعثمان من أمه وكان عقبة عاملاً على عرب الجزيرة.

* توالت الفتوح فعاود معاوية الذى ضم اليه حكم الموصل مع الشام غزو أرض الروم، كما غزاها سليمان بن ربيعة حتى بلغ برذعه، وفى الشرق بلغ عثمان ابن عبدالله أرض كابل (أفغانستان الحالية).

سنة ٢٦ هجرية

افتتحت السنة بيوم الثلاثاء الموافق ١٧ أكتوبر ٦٤٦م.

* السنة الأولى لإمارة عبدالله بن أبى سرح على مصر.

* استقدم عثمان عمرو بن العاص وكان قد عزله أولاً عن خراج مصر ثم عن إمارة الحرب بعد أن اختلف مع عبدالله بن أبى سرح الذى تولى على الأثر غزو أفريقية حتى بلغ مدينة سبيطلة (جنوبى تونس) وهو أخو عثمان من الرضاعة.

في الرويا بان يكون له ولدا الى يوم وفاته. فامسك بيد وقدمه الى مخلص العالم فخر يوحنا ساجدا على رجليه. فقال له المخلص: يا يوحنا لماذا تحبون الباطل يا بني البشر وترفضون الحق وتطلبون الكذب اذ ظننت انك جيت الى هاهنا تبنى لك قلايه طين وهى تضمحل عن قليل، أو تكتنز لك كنوزا في السما وتبنى لك في اورشليم السماويه المدينه الجديدة بيتا لا يضمحل. فوقع على رجليه وطلب منه العفو فاقامه الرب وقال له: الان قد

---

* أمد الخليفة جيش الفتح فى أفريقية بقوات جديدة فى مقدمتها عبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمر وعبدالله بن عمرو بن العاص لهذا سميت هذه الوقعة بغزوة العباد له، وفيها قتل القائد البيزنطى جرجير على يد ابن الزبير واستولى المسلمون على أرض تونس.

* تولى إمارة مكة عبدالله بن خالد وهو أموى خلفاً للحارث بن نوفل.

* استعاد المسلمون إصطخر على يد عثمان بن أبى العاص.

سنة ٢٧ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأحد ٧ أكتوبر ٦٤٧م.

* عاد أمير مصر عبدالله بن أبى سرح من أفريقية بعد خمسة عشر شهراً مد خلالها الفتوح الى تونس وهزم ملكها جرجير (هو جريجورى بطريق افريقية) وكان قد استقل بها عن بيزنطه.

* فيها وضع أساس مدينة القيروان بضرب فسطاط فى مكانها.

* استعد معاوية لغزو جزيرة قبرص وكان عمر قد أبى عليه غزو البحر حتى ألح على عثمان الذى اشترط أن لا يشترك فى الغزو سوى المتطوعة، وكان منهم أبو الدرداء وأبو أيوب الأنصارى، وأبو ذر الغفارى، والمقداد وفضالة ووائلة الكنانى، وكعب الأحبار وعمره نحو المائة.

انعمت عليك بالعافية لاجل مرقس الانجيلى فامض فكلما يامرك به فافعله. وصعد الرب الى السما بمجد وكرامه. فاستيقظ من الرويا وهو معافى وفكر قايلا: ما هذا الفعل الان. فنزل عليه التسلى من ذلك اليوم وصار الى دير من اعمال الفيوم ومعه تلميذاه واختفى هناك. فظهر(*) للاب انبا اغاتون من قال له: انفذ الى يوحنا القس الذى من سمانود ليعينك ويساعدك وهو الذى يجلس بعدك على الكرسي. فانفذ كهنه الى اسقف الفيوم انبا

(*) رؤية الأب اغاتون بخصوص تولية يوحنا السمنودى البطركية من بعده.

---

* تبادل الامبراطور البيزنطى كونستانز الثانى الرسائل والهدايا مع الخليفة عثمان ومن ذلك أن أم كلثوم ابنة الامام على بعثت الى زوجة الامبراطور هدية من طيب فردت عليها بهدية فيها عقد ثمين.

* ذكر الطبرى فيما رواه انه جرت محاولة للنزول على أرض الاندلس وهى أول إشارة فى التاريخ الإسلامى الى هذه البلاد.

سنة ٢٨ هجرية

أهل المحرم يوم الخميس الموافق ٢٥ سبتمبر ٦٤٨م.

* هذه السنة هى الرابعة من ولاية ابن أبي سرح على مصر، وفيها كان على فارس عبيدالله بن معمر، وعلى نيسابور من أرض خراسان الأحنف بن قيس، وعلى اليمن يعلى بن منبه.

* تم فى هذه السنة فتح جزيرة قبرص مصالحة وكان على رأس الحملة التى أنفذها معاوية عبدالله بن قيس لخبرته بشئون البحر وكان قد خرج بسفنه، التى صنعت فى الاسكندرية وزودت برجالها من المصريين مع عتادهم وذخيرتهم، من ميناء عكا الى الجزيرة.

* انتقض أهل أذربيجان بعد أن استسلمت لحذيفة بن اليمان فأعاد غزوها الوليد بن عقبة فتم ذلك صلحاً.

٣٩: أغاتون ولد بنيامين ٦٦١ / ٦٧٧م

مينا وكتب اليه بان ينفذ له القس يوحنا، وكان ذلك الأسقف يحبه ويربح من كلامه، فما يقدر ان يخالف الاب البطرك فبعث الرسل اليه فحملوه في مركب وانفذه الى اسكندريه، فلما راه البطرك فرح به لان كان حكيما جدا فسلم له بيعته وجعل له السلطان عليها وعلى المدينه. وكان بعض الناس يسالوه ان يقسمه اسقفا على الصعيد واخرون لبعض الكراسى والله يحفظه لدعته مثل داود حتى يتم له ما هو موعود به فى الرويا بوادى هبيب.

---

* دخل حبيب بن مسلمة أرض الروم من بلاد الشام.

* إستولى معاوية على جزيرة أرواد القريبة من ساحل الشام.

* استعاد عبدالله بن عامر بن كريز مدينة إصطخر عنوة وكان قد قتل بها القائد عبيدالله بن معمر فأسرف ابن عامر في تأديب أهلها انتقاماً.

* انتقضت أذربيجان للمرة الثانية فأعاد فتحها سعيد بن العاص الذى ولاه عثمان على الكوفة خلفاً للوليد بن عقبة.

* عزل عثمان أبا موسى الأشعرى عن البصرة بعد أن تولاها ثمانى سنوات وولى عليها عبدالله بن عامر بن كريز فاتح إصطخر وهو ابن خال عثمان وله من العمر خمس وعشرون سنة. ودام حكمه لها ست سنين وعزل الوليد بن عقبه عن الكوفه بسبب انه شرب الخمر وصلى بالناس الفجر اربع ركعات.

* افتتح المسلمون أصبهان من أرض فارس وضم حكمها الى ابن عامر.

سنة ٣٠ هجرية

استهلت السنة بيوم السبت الموافق ٤ سبتمبر ٦٥٠م.

* السنة الثامنة لخلافة عثمان بن عفان وفيها بلغ عثمان ما وقع فى أمر القرآن، وأن

وكان الاب الحقاني اغاتون مهتما في جميع ايامه بقسمة الكهنه المستحقين للشرطونيه الخايفين من الله والناس يشكرون الله على افعاله.

وكان في ايامه الاسقف المغبوط اغريغوريوس اسقف القيس، وسرياني اسمه يوسف. وفي ايامه ظهرت بدعة الهارسيس فيماناخوس النجسه(*).

(*) ظهور بدعة فيما ناخوس.

وكان امير من المسلمين اسمه مسلمه(*) جمع سبعة اساقفه وانفذهم الى سخا بسبب قوم علم

(*) هو مسلمه بن مخلد. انظر الهامش السفلي ص ٣٠٢ ولي مصر على عهد معاوية =

العرب في العراق يقولون قراءتنا أصح لأنا قرأنا على أبي موسى، وأهل الشام يقولون قراءتنا أصح لأنا قرأنا على المقداد، وكذلك غيرهم. فأمر عثمان زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومي بجمع مصحف موحد وقال لهم: إذا اختلفتهم على شئ فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل القرآن بلسانهم.

* برز دور عبد الله بن عامر بن كريز والي البصرة الجديد في فتوح المشرق، فتم له صلحاً أو عنوة فتح جور ونيسابور وسرخس وطوس، فبعث اليه أهل مرو يطلبون مصالحته على ألفي ألف ومائتي ألف في السنة.

* أشخص معاوية الصحابي أبا ذر الغفاري من الشام الى المدينة بموافقة الخليفة لأنه كان يؤلب الفقراء على الأغنياء في الشام فأتى الربذة وخط بها مسجداً.

* سار الأحنف بن قيس الى بلاد الترك من طخارستان والجوزجان والغاربات وعليهم طوغان شاه فكسرهم، وسار منها الى بلخ فدخلها صلحاً.

* فيها سار سعيد بن العاص لغزو طبرستان ومعه الحسن والحسين وعبدالله ابن العباس وعبدالله بن الزبير وغيرهم حتى أتى جرجان (على ساحل بحر قزوين الجنوبي) فدخلها صلحاً ولكنها انتكست بعد عودته.

انهم كانو يحرقون بالنار من القوم المستخدمين ليكشفو عن جروتهم، فوصلو واجتمعو بانسان ارخن بسخا اسمه اسحق وسددو حالهم [ما عليهم] واعفو من الحريق. واجتمع اسحق المذكور مع والى سخا وظفرا على تاوضوروس الخلقدونى الذى فى اسكندرية. وكان هذا اسحق قد تولى جميع الكوره لاجله لاجل ما فعله مع البطرك من السو.

ثم انه اكمل ايامه بشيخوخه حسنه واعتل واقام سبع عشره سنه على كرسيه وتنيح فى سادس

= فجمع له الصلاة والخراج وبلاد المغرب.

---

* فيها خرج يزدجرد الثالث ملك الفرس الهارب من جور بعد فتحها الى كرمان ومنها الى خراسان وعلى أثره مجاشع بن مسعود.

سنة ٣١ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأربعاء ٢٤ أغسطس ٦٥١م.

* توالت في هذه السنة فتوح المشرق على يد عبدالله بن عامر بن كريز وقواده، فتم فتح ابرشهر ونيسابور على يد أمين بن أحمر، وتم فتح بيهق على يد الأسود بن كلثوم، وبلغ الأحنف بن قيس أرض خوارزم ورجع عنها الى بلخ، واستولى الربيع بن زيادة على زرنج، وفتح عبدالله بن سمره كابل.

* قام أمير مصر عبدالله بن أبى السرح بغزو بلاد النوبة حتى بلغ دنقلة وهادن أهلها وعقد معهم صلحا يعطوه على أساسه عدد من العبيد سنويا ليتاجروا فيهم.

* شهدت السنة وفاة يزدجرد الثالث آخر ملوك فارس الساسايين وحفيد كسرى وكان قد تولى سنة ١١هـ (١٦ يونيه ٦٣٢) وفقد عرشه بعد هزيمة نهاوند، وفر إلى فارس ثم الى خراسان وانتهى الى نواحى مرو وفيها إغتاله أحد الناس وكان قد أوى اليه فسلبه مامعه من جواهر.

عشر بابه وجعل جسده كما في سيرة ابى مقار مع الاب بنيامين وهوحايط الامانه الارتدكسيه لابس اكليل البر مع جميع القديسين فى كورة الاحيا الى ابد الابدين امين.

يوحنا من أهل سمانود

وهو الاربعون من عدد الابا البطاركة

[٦٧٧ / ٦٨٦م]

ولما تنيح الاب القديس انبا اغاتون وضع

سنة ٣٢ هجرية

الأول من السنة وافق يوم الأحد ١٢ أغسطس ٦٥٢م.

* إمتدت الفتوح إلى القوقاز فغزا عبدالرحمن بن ربيعة مدينة بلنجر وحاصرها وأتاه المدد بقيادة حبيب بن مسلمة متأخرا فقتل عبدالرحمن على أبوابها.

* تولى عبدالله بن حازم إمارة خراسان من قبل عبدالله بن عامر بعد أن أوقع الهزيمة بقارن ملكها عند هراة، وتولى على الجزيرة العلاء بن وهب وهو صحابى ممن شهد القادسية.

* فى هذه السنة غزا معاوية مضيق القسطنطينية إلا إنه لم يبلغ أسوارها، وذكر أن قبرص غزاها المسلمون للمرة التانية فى هذا التاريخ.

سنة ٣٣ هجرية

إستهل المحرم بيوم الجمعة الموافق ٢ أغسطس ٦٥٣م.

* مرت عشر سنين على تولية عثمان بن عفان الخلافة.

* غزا معاوية بلاد الروم وبلغ مدينة ملطية وافتتح حصن المرأة.

تاوضـوروس الخلقـدونى يده على الكل حتى انهم لم يجدو خبزا ياكلوه فى يوم وفاته لانه ختم على كلما له وعلى جميع ما عندهم الى ان انتقم منه الرب بضربة صعبه فى احشايه وهى علة الاستسقا وصار ياكل كل يوم اثنى عشر رطلا خبزا واربعه وعشرين رطلا لحما وقرطلين تينا ويشرب زقا واحدا نبذا من مريوط ولا يشبع ولا يروى ولا يمتلى بطنه. ومات بموتة سو، وولو ولده عوضه وصار لابينا انبا

---

* عاد عبدالله بن أبى سرح أمير مصر إلى غزو أفريقية للمرة الثانية حين نقض أهلها العهد حتى أقرها على الإسلام والجزية وممن استشهد فى هذه الحملة معبد بن العباس بن عبدالمطلب.

* نفى عثمان جماعة من أهل الكوفة إلى الشام كانوا يعيبون عليه ويطعنون فيه.

سنة ٣٤ هجرية

وافق مستهل المحرم يوم الثلاثاء ٢٢ يوليو ٦٥٤م.

* السنة العاشرة من ولاية عبدالله بن أبى سرح على مصر.

* عزل الخليفة سعيد بن العاص عن الكوفة لشدة فيه وخلفة أبو موسى الأشعرى للمرة الثانية.

* جرت أول معركة بحرية فى الإسلام وهى التى عرفت بذات الصوارى لكثرة تشابك صوارى السفن البيزنطية والمصرية التى إشتركت فيها. جرت إلى الغرب من الأسكندرية وكانت عدة الأسطول البيزنطى فى رواية ألف سفينة عليها الامبراطور قنسطانز الثانى، وقاد الاسطول المصرى عبدالله بن أبى سرح أمير مصر وعدته مئتا سفينة واقتتل الفريقان بالسيوف والخناجر وانهزم قنسطانز الثانى وهرب إلى صقلية.

يوحنا كالولد وكان له امانة فيه ومحبه، وكان الاب البطريرك يهديه كالوالد.

وكان في بداية جلوسه على الكرسي قتل طيباريوس الملك على بزنطيه واخذ ولده الملك واسمه أوغسطس. ولما ملك هذا جعل اجتهاده السواحل التي أخذوها المسلمون فاستعادها(*) فاخذ جزاير كثيره مما كانو المسلمون ملكوها، وكذلك صقليه عمرها. وفي ذلك الزمان قام غير

(*) استعادة الامبراطور البيزنطى اوغسطس لمعظم الجزر التى استولى عليها العرب فى البحر المتوسط.

---

* بدأت الاجناد العرب الثورة في مصر على حكم عثمان.

* قام معاوية بن حديج من قواد ابن أبى سرح فى مصر على رأس حملة إلى أفريقية بسبب نقضها العهد ثم غزاها معاوية بعد ذلك مرتين حين تولى إمارة مصر.

سنة ٣٥ هجرية

وافق مستهل المحرم يوم السبت ١١ يوليو ٦٥٥م.

* انتقلت ثورة الاجناد على عثمان من مصر والكوفة والبصرة إلى المدينة.

* خرج أمير مصر عبدالله بن أبي سرح في رجب من العام متوجهاً إلى عثمان واستخلف عقبة بن عامر دون ولاية، ولم يكد عبدالله بن ابى السرح يغادر مصر. حتى استغل الفرصة محمد ابن ابى حذيفة، وهو احد زعماء الجند الاسلامي في مصر من القرشيين فجمع حشدا من الجنود والساخطين، وهاجم عقبة بن عامر وهزمه واخرجه من مدينة الفسطاط ودعا الناس الى خلع عثمان بن عفان من الخلافة.

ووصل الخبر الى عبدالله بن ابى السرح وهو فى الطريق نحو المدينة، فكر راجعا الى مصر، ولكن رجال محمد بن أبي حذيفة تصدوا له وحالوا بينه وبين الدخول الى مصر وقاتلوه. فانسحب الى فلسطين. حيث لا يعرف ما الذى انتهى اليه امره وان كان الراى على انه لم

٤٠ : يوحنا ٦٧٧ / ٦٨٦م

راهب في مدينة القسطنطينيه اسمه مكسيموس وحرك اضطرابا وقلقا في كورته وقال: ان كنتم على امانة خلقدونيه حقا فاعترفو بقول المجمع بطبيعتين وشخصين واقنومين وارادتين ومشيتين [مشيئتين]. فتبعه جمع كثير فوقع بينهم خصومه عظيمه وغضب عليهم اوغسطس الملك وانفذ هذا الغير راهب الى النفي. ومضى هذا الملك الى صقليه(*) بعد زمان فقتل هناك ذبحا بيد استاذ له من استاذيه وولى الملك بعده ولده يوستنيانوس [جوستنيان] عوضه. وكان

(*) نفي اغسطس الامبراطور إلى صقلية ثم ذبحه على يد أحد قواده، وتولية ابنه يوستنيانوس (جوستنيان).

يلبث أن قتل في مدينة الرملة. وانحازت شيعة عثمان وعلى رأسهم معاوية بن خديج وخارجه بن حذافة ويسر بن ارطاه ومسلم بن مخلد الى مدينة خربتا.

* قتل في هذه السنة الخليفة الثالث عثمان بن عفان على يد العرب بعد أن تحولت الثورة عليه إلى فتنه مسلحة احاطت بداره وهو يقرأ في المصحف حتى سال الدم عليه وذلك في يوم الجمعة ١٨ من الحجة (الموافق ١٧ يونية ٦٥٦م). بعد حصار دام حول بيته أربعين يوما، وقام به جيش من ستمائة مقاتل وفد من مصر بعد امور وحوادث وقعت بينهم وبين الخليفة وجماعات اخرى وفدت من البصره والكوفة اجمعت كلها على خلع عثمان ولكنه رفض التنازل عن الخلافة وتلبية إجماع الوفود تحت دعوى أنها (أي الخلافة) ثوب البسه الله إياه فلا يخلعه عنه البشر، وكان يتزعم الثائرين محمد بن أبي بكر الصديق ووقف كبار رجال الصحابة بالمدينة وعلى رأسهم على بن أبي طالب من هذا الحصار موقفا سلبيا، وان كانوا قد ارسلوا اولادهم ليدافعوا عن عثمان ويحولوا دون قتل الثائرين اليه.

وقد خشي الثائرون من طول الحصار، أن يصل اليهم جيش من الشام قيل ان معاوية سيبعث به، فرأوا ان يحسموا الموقف بقتل عثمان الذى رفض ان يتنازل عن الخلافة، واذ كان اقتحام مدخل البيت متعذرا، فقد تسوروا سطح بيت من البيوت المجاورة، ونفذوا الى داخل حجرات عثمان وانقض عليه بعض الوافدين من مصر كما يقول المؤرخون، فضربوه، وطعنوه، ولم يلبثوا ان قتلوه بالسيف...

ملكا جرما فوقع خوفه في قلوب المسلمين مثل اسد يثب على الدياب.

وفى هذه الايام بعد موت(*) يزيد بن معاوية قام من كورة المسلمين ملك اسمه مروان ثار مثل الاسد اذا خرج من الغابه جايعا ياكل ويدوس الباقي برجليه، هذا ملك الشرق وفسطاط مصر وولى اولاده كل الكور، الكبير منهم اسمه عبدالملك دفع له دمشق والثاني عبدالعزيز دفع له مصر. وكان خوف عظيم بين مروان وبين المصريين

(*) بعد وفاة يزيد بن معاوية تولى الخلافة الأموية ابنه معاوية بن يزيد في ١٢ نوفمبر ٦٨٣ = ١٤ ربيع اول ٦٤، وبعد حوالى أربعة أشهرخلع معاوية نفسه من الخلافة واعتكف فى منزله حتى مات. فسادت الفوضى فى اركان الخلافة الأموية حتى اجتمع أمر الأمويين على تعيين مروان بن الحكم الخلافة فى أواخر عام ٦٤هـ. ثم ارسل جيشا تحت =

في آخرها تمت تولية على بن أبي طالب الخلافة باتفاق أكثرية الصحابة بالمدينة وتخلف بنو أمية عن بيعته.

* لقى عبدالله بن أبى سرح مصرعه عند الرملة بفلسطين أثناء محاولة العودة إلى الفسطاط.

* وكان أول ما فعله على بمجرد تسلمه الخلافة ان عزل جميع ولاة عثمان على الأمصار، وذلك على عكس المشورة التى وجهت اليه وهو ان يبقيهم على اعمالهم حتى تتم البيعة له، ثم يعزلهم بعد ذلك.

وقد رفض معاوية بن أبي سفيان: قرار عزله وأعلن توليه المطالبة بدم عثمان. واذ كان معاوية قد استقر على امارة الشام أيام عمر بن الخطاب، وطوال أيام عثمان... فقد كان سلطانه قد تدعم فيها، ولم يعد أهل الشام يعرفون لهم قائدا غيره.. وكان ذلك أول الفرقة والتصدع بين المسلمين.

* قيل أن معركة ذات الصوارى التى ذكرت فى السنة السابقة والتى تعرف فى المراجع الأجنبية باسم موقعة فينيكوس قد جرت فى هذه السنة.

لانهم كانوا يترجون وصول انسان اخر اسمه ابن الزبير فوصل وغلب مروان، وجعل له كاتبان مامونان ارتدكسيان جعلهما علي جميع كورة مصر ومريوط ومراقيه ودبلوا وهي لوبيه، اسم احدهما اتناسيوس وكان له تلتة أولاد وهو من اهل الرها من اعمال سوريه، والاخر اسمه ابا اسحق هو وولده من أهل شبرا وهم قوم اخيار ارتدكسيون.

ولما تولى عبدالعزيز مصر كتب الاب البطرك

= قيادة ابنه عبد العزيز لغزو مصر في العام التالي فتم له ذلك، ولكنه لم يلبث أن خنق في نفس العام بيد زوجته ام خالد بن يزيد ابن معاوية، وتولى الخلافة بعده في نفس العام ٦٨٥م = ٦٥هـ ولده عبد الملك فأقر أخاه عبد العزيز على ولاية مصر التي دامت عشرين سنة.

سنة ٣٦ هجرية

الأول من المحرم وافق يوم الخميس ٣٠ يوليو ٦٥٦م.

السنة الأولى لخلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رابع الخلفاء الراشدين.

* ولم يلبث الخلاف أن أخذ صورة القتال الدموى، ذلك ان الزبير بن العوام وطلحة وقد كانا أول من بايع عليا، أعلنا انهما قد بايعا مكرهين، وخرجا من المدينة قاصدين مكة: حيث التقيا فيها بعائشة التى روعها مقتل عثمان على الرغم من أنها كانت تؤلب عليه الناس لخلافات بينهما. وقرر الثلاثة ومن انضم اليهم ان يطالبوا بالقصاص من قتلة عثمان، وساروا نحو العراق لهذا الغرض، واخرجوا والى البصرة واعتدوا عليه فقصد اليهم على بن أبى طالب، وعبثا حاول اقناع القوم بالكف عن الخلاف والشقاق ودارت بين الجانبين موقعة رهيبة عند الخريبة بالقرب من البصرة فى شهر جماد الثانى (٩ ديسمبر) قتل فيها من الجانبين حوالى العشرة آلاف اشتهرت فى التاريخ باسم موقعة الجمل نسبة الى الجمل الذى كانت تركبه السيدة عائشة والذى كان كالعلم للجيش فاستمر القتال حوله الى أن عقر الجمل وخر الى الأرض. وكانت الغلبة فى النهاية لعلى بن أبى طالب واعاد السيدة عائشة الى المدينة.

ولكنه كان انتصارا مؤلما على المسلمين، فقد مات فى الموقعة الزبير بن العوام وطلحة بن

من اسكندريه الى مصر الى الكاتبين اللذين توليا ديوانه يعرفهما حال الختم الذى كان على الاماكن وما هو فيه من الضر مع الخلقدونيين الكفره، عند ذلك انفذ الكاتبان المذكوران رسلا الى اسكندرية بأن يفك الخاتم عن الاماكن وتسليم جميع ما البيعه الى الاب البطرك. وكان هذا الاب قديسا عليه نعمه الله ظاهره فى وجهه مثل موسى النبى، حتى ان كل أحد لا يتمكن من النظر الى وجهه ولا يقدر يميز ولا محاجر عينيه من كثرة النور


موسى النبى : نقش قبطى على الحجر الجيرى

عبيد الله وهما من المبشرين بالجنة وقتل من المسلمين والصحابة مالم يقتلوا من قبل فى معركة من المعارك... ولكن هذه المرة بأيدى أخوانهم وأصحابهم فى الدين.

* فى الأول من رمضان جرى قتال فى مصر بين أنصار على يمثلهم محمد ابن أبى حُذَيْفة وأنصار معاوية بن أبى سفيان وعليهم معاوية بن خديج والتقى الجمعان عند خربتا من نواحى محافظة البحيرة وفيها أنتصر أصحاب على، وجاء إلى مصر معاوية بن أبى سفيان أمير الشام وزعيم المطلبين بدم عثمان واتفق مع جماعة علىّ على ترك الحرب وان يأخذ الطرفان رهن لذلك فخرج ابن أبى حذيفة فى الرهن ثم قتل بأمر معاوية فى العام التالى فى سجنه.

* تولى امارة مكة من قبل على أبو قتادة الحارث بن ربيعة الأنصارى، وتولى إمارة مصر من قبله كذلك قيس بن سعد، وامارة الموصل الأشتر، بينما تولاها من قبل معاوية الضحاك بن قيس، وتولى على نيسابور خُليد بن كاس من قبل على.

سنة ٣٧ هجرية

٦٥٧م

* لم يقر على بن أبى طالب محمد بن أبى حذيفة الذى كان قد غصب امارة مصر

---

٤٠ : يوحنا ٦٧٧ / ٦٨٦م

الذى عليه. وكان الرب يشفى كثيرا من المرضى بدعاه وكان بتول النفس والجسد وكان مسالما لكل احد من الناس، وظهرت أفعاله وعجايبه حتى بلغت الى الملك [يوستنيانوس] والى جميع من فى قصره حتى انهم انفذو اليه هدايا من القسطنطينيه.

وفى اول سنه تولى عبدالعزيز مضى الى اسكندرية (كعادة من يتولى) لياخذ خراجها، وكان ذلك فى كل يوم الف دينار عينا، فحمل الى

فأرسل قيس بن سعد بن عبادة أميرا على مصر وذلك فى مستهل ربيع الاول من هذه السنة.

ولم يكد قيس يصل الى الفسطاط حتى صعد على المنبر فى الجامع الكبير وتلا على المصليين كتاب أمير المؤمنين الى مسلمي مصر، وهو خطاب بصدد أحداث ذلك الزمان.

وبعد ان تلا قيس الخطاب قال: أيها الناس قد جاء الحق وزهق الباطل، ما بايعنا الا من هو خير من نعلم بعد نبينا ﷺ فقوموا فبايعوا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فان نحن لم نعمل بها فلا بيعة لنا عليكم.

فقام الناس وبايعوا ـ واستقامت أحوال مصر.

معاوية يوقع بين على وقيس:

واذ كان معاوية يعلم خطر مصر فى تدعيمها لجانب على، واذ كان يعلم من ناحية اخرى قوة مراس قيس بن سعد وأنه كفيل بتحويل مصر الى قاعدة قوية لمؤازرة على فقد استعمل دهاءه للايقاع بين على وقيس فاصطنع خطابات بينه وبين قيس توهم أنه يتفاوض معه، فنجحت خطته وأساليبه وعزل على قيسا ابن سعد من مصر، فلم تدم امارته الا أربعة أشهر وخمسة أيام.

ملك الروم [جوستنيان] مال كثير. وكانت مهادنه(*) عشر سنين بغير حرب، فلما وصل الى المدينه ولم يكن وصوله ظاهرا بل مستورا فلم يخرج البطرك ليتلقاه لانه لم يعلم بوصوله، فحينئذ سعو به أقوام كثير كفره ومخالفون وكان مقدمهم رجلا يسمى(*) تاوفانيس (وهو زوج أخت تاوضوروس الخلقدونى) وقالوا انه ما خرج ولا تلقاك لكثرة تجبره وكبرياه وكثرة ماله، فانفذ بغضب احضر الطوبانى انبا يوحنا الى الايوان

(*) هذه بين الامبراطور جوستنيان البيزنطي والخليفة الاموى عبد الملك بن مروان مقابل ألف دينار تدفع يوميا للأمبراطور مدتها عشر سنين.

(*) الملكانيون يستغلون علاقتهم القويه بالامويين ويحرضون الوالى عبد العزيزعلى إضطهاد القبط.

امارة محمد بن أبى بكر الصديق:

جرى الخلاف فيمن ولى مصر بعد انصراف قيس بن سعد عنها، فقيل هو محمد ابن أبى بكر الصديق: وقيل بل هو الاشتر النخعى وجاءت ولاية محمد بن أبى بكر بعده ويرجح ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة، ان يكون محمد بن أبى بكر قد ولى الامور فى مصر على وجه من الوجوه عقب انصراف قيس بن سعد عنها، فلما لم يحسن التصرف نظرا لحداثة سنه استبدله على بن ابى طالب بالاشتر النخعى عقب فراغه من موقعة صفين.

واقعة صفين:

فى شهر ذى الحجة من هذه السنة، كانت موقعة صفين وهى التى تقابلت فيها جيوش الشام وعلى رأسها معاوية مطالبة بدم عثمان: بجيوش العراق وعلى رأسها على بن أبى طالب وذلك عند بلدة صفين على شاطىء نهر الفرات الغربى يقدرها البعض بالاسابيع ويقدرها البعض بالأشهر وقد تحاجز الفريقان عن بعضهما فترة طويلة دارت خلالها المفاوضات، فلما انتهت المفاوضات الى غير نتيجة بدأ الصراع العنيف لبضعة أيام متتالية: بل لقد تواصل القتال بالليل فيما سمي ليلة الهرير. واوشكت الدائرة فى ختامها ان تدور على جيش الشام فأشار عمرو بن العاص على معاوية وقد كان نصيره فى هذه المعركة، أن يلجأ الى خديعة جيش على وذلك برفع المصاحف بدعوى الاحتكام الى كتاب الله وحقن دماء المسلمين. وقد أدرك

فاوقفه بين يديه وقال له ما سبب غلظ رقبتك وتاخيرك عن الخروج للقاى دون هذه المدينه؟ فأجاب الطوباني وقال له: قد علم الله انى لم أفعل هذا لغلظ رقبه لكن لضعفي ولانى لا امكن فى كل وقت من الخروج من المدينه الى موضع اخر. فحينذ غضب الامير وسلمه لمترسمين الى ان يقوم بماية الف دينار. فتسلمه صاحب برج اسمه سعد رجل ليس فيه رحمة قاسى القلب مملو سوا، فتسلمه اول يوم من جمعه الفصح الكبيره فاخذه

على بن أبى طالب ما فى هذا العمل من خدعة ومحاولة لشق صفوف جنده، فأبى الا المضى فى المعركة حتى نهايتها المظفرة، ولكن الخدعة أحدثت أثرها وسط أصحاب على وقد كان أكثرهم من رجال الدين والتقوى فقالوا كيف يدعوننا لكتاب الله ونأبى عليهم. فقال على لهم كلمته المشهورة.

«انما هى كلمة حق أريد بها باطل» ولكن الاغلبية من رجاله أصروا على ايقاف القتال وبقبول التحكيم بالنزول على ما يقضى به القرآن.

وتم الاتفاق على ان يختار كل من الطرفين حكما يمثله... ومرة أخرى فرض أصحاب على عليه أن يختار ممثلا له فى التحكيم أبا موسى الأشعرى وكان قد أبدى خلافا مع على، وذلك فى الوقت الذى اختار فيه معاوية عمرو بن العاص.

وتم الاتفاق فى شهر صفر على ان يجتمع الحكمان فى دومة الجندل فى شهر رمضان من هذا العام ٣٧ هجرية.

وكان مجرد هذا الاتفاق على التحكيم أن قامت هدنة بين على ومعاوية وجيوش كل منهما، وتم الاعتراف من الناحية الواقعية البحتة بقيام سلطتين، أولاها يمثلها على فى العراق، والثانية يمثلها معاوية فى الشام.

ومضى به الى منزله ليعذبه حتى يقوم بالمال. فلما اوقفه قدامه وكان معه رجلان من اولاده الاخيار، وهما اراس القس الامين على مال البيعه رجل ذو سلامه مزين بكل فضيله معروف بالدعه عند اهل المدينه. والشماس [اسحاق] كاتبه رجل حكيم محب للناس عارف بالكتب فاضل. فلما أوقف ذلك الرجل السو ابانا البطرك قدامه قال: اريد منك ماية الف دينار التى امر الامير ان تقوم بها. فاجاب وقال له بسكينه وهدو: تطلب منى ماية

وقد اعتبر البعض مجرد قيام هذه الحالة ورضاء على بها اخلالا بالدين وحكم القرآن فاعلنوا تمردهم عليه وأطلق عليهم أسم الخوارج.

قرار التحكيم وعزل على:

واجتمع الحكمان كما تم الاتفاق في دومة الجندل وجازت على أبى موسى الأشعرى هذه الخدعة المشهورة التى خدعه بها عمرو بن العاص، عندما اتفق معه على ان يخلع كل منهما صاحبه ويدع للمسلمين اختيار من يريدون، ثم قدم عمرو بن العاص أبا موسى ليعلن للناس ما اتفقا عليه، فأعلن أبو موسى خلع على ومعاوية، وتلاه عمرو بن العاص فوافق على خلع على وأقر معاويه، فثار عليه أبو موسى معلنا أنه قد خدعه، ولم ينفع عليا بعد ذلك رفض نتيجة التحكيم فقد استشرت فتنة الخوارج من أصحابه بحيث كان مضطرا لمحاربتهم قبل ان يمضى لحرب معاوية.

أمارة الاشتر النخعى على مصر:

أرسل على بن أبى طالب الاشترالنخعى أحد رجاله الاقوياء ليلى أمارة مصر بعد انصرافه من موقعة صفين، وقد أدرك معاوية من جديد مغبة وصول الاشتر النخعى الى مصر فيقولون أنه طلب من البعض أن يخلصوه من الاشتر فى مقابل مكافأة معلومة، فدس له هذا البعض سما فى شراب من عسل قدمه له، فمات وهو على أبواب مصر ولم يدخلها.

---

٤٠ : يوحنا ٦٧٧ / ٦٨٦م

الف دينار وما معى منهاماية الف درهم ولكن الاهى لم يجعل فى شريعته ان اترك معى شيا ولا اقتنى مالا قط لانه اصل كل شر، فما شيت أن تفعل فافعل جسدى بيدك ونفسي وجسدى معا بيد سيدى يسوع المسيح. فلما سمع الكافر ذلك غضب جدا وصر اسنانه على القديس وامر ان يحضر له قصريه نحاس مملوه جمر نار وتجعل رجلاه فيها حتى يقول انه يقوم بالمال.

ويذكر عن عمرو بن العاص وكان يجالس معاوية عند وصول نبأ موت الاشتر بهذا الأسلوب قوله: أن لله جنودا من عسل.

قتل محمد بن أبى بكر أمير مصر من قبل على وذلك على يد معاوية ابن حديج وقيل أن معاوية ابن حديج لما قتل محمد بن ابى بكر وضع جثته فى جيفة حمار واحرقها.

* فيها توفى بعسقلان عبدالله بن سعد بن أبى سرح، وعبيد الله بن عمر، وكريب الحميرى من أصحاب معاوية، ومات فى الطريق إلى مصر الاشتر النخعى من أصحاب على وكان ممن اشترك فى معركة اليرموك بفلسطين وفى النهروان ضد الخوارج وانتصر لعلى ودعا لبيعته وولاه امارة مصر فلم يصلها.

سنة ٣٨ هجرية

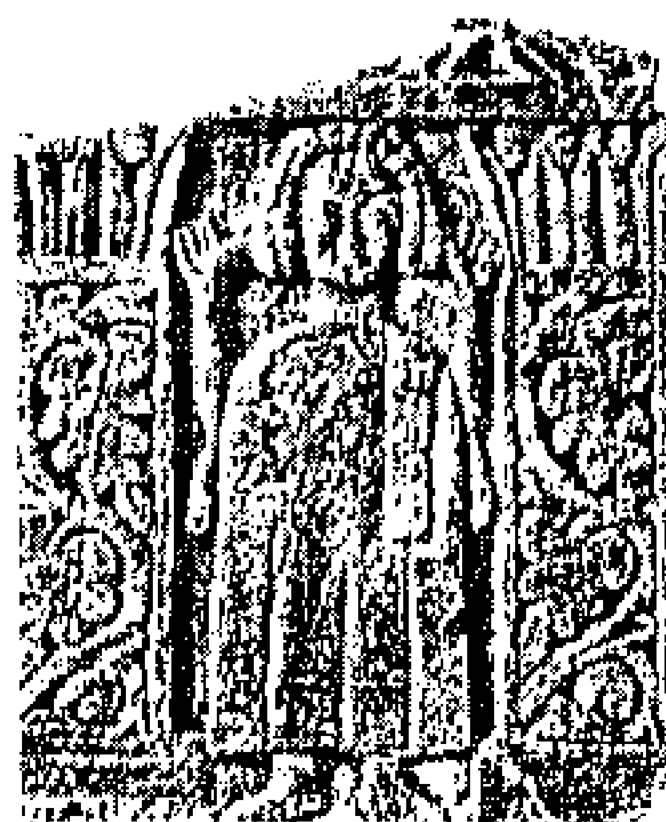
استهل المحرم بيوم السبت الموافق ٩ يونية ٦٥٨م.

* تولى على مصر عمرو بن العاص من قبل معاوية وجمع له الصلاة والخراج والحرب والشرطة وذلك للمرة التانية وكان دخوله فى ربيع الأول على رأس جيش من ستة آلاف مقاتل لانتزاع مصر من سلطان محمد بن أبى بكر الصديق حيث كان يحكمها باسم على. ولم يستطع محمد بن أبى بكر أن يتصدى لهذه الجيوش القوية وفر هاربا.

---

٤٠ : يوحنا ٦٧٧ / ٦٨٦م

والله مدبر عبيده انزل فى تلك الليله على زوجة الامير عبدالعزيز امرا صعبا حتى انها قلقت وانفدت استاذها الى سعد وقالت له: احذر ان تفعل سوا برجل الله البطرك الذى سلموه لك لان قد اصابني بسببه بلايا عظيمه في هده الليله. فخلاه بغير اختياره هو وولديه الاخيار الصالحين الى غد ليفكر فيما يفعل به. فلما كان في وقت صياح الديك مضى سعد الى الامير واجتمع به وعرفه الخبر وانه لم يعاقبه. فقال له الامير: اياك ان



حفر قبطي على الحجر الجيرى لرجل يصلى

وعاد عمرو بن العاص الى الفسطاط... ونزل في دار الامارة التي بناها. وقد كانت امارة مصر وأموالها هي الثمن الذى اشترطه عمرو بن العاص على معاوية ليقف الى جواره في صراعه ضد علي. فلما ان انتهى التحكيم الى ما انتهى اليه على ما قدمنا، وفيّ معاوية لعمرو بن العاص فسيره على رأس جيش الى مصر فدخل مصر على الصورة السابقة..

ولم يلبث معاوية بن خديج أحد كبار الأمويين أن عثر على محمد بن أبى بكر الهارب فقتله شر قتلة ثم وضعه في جيفة حمار وحرقه، وذلك كله بدعوى أنه كان ممن شارك في قتل عثمان.

اختصاصات أمير مصر:

واذ عاد عمرو بن العاص الى امارة مصر على ان يكون حاكمها المطلق المتصرف في كل شئونها، فمن الخير ان نحدد اختصاصات الامارة وكيف أنها ستجتمع لبعض الولاة كما هو الشأن بالنسبة لعمرو بن العاص هذه المرة، وكيف توزع أحيانا على أكثر من شخص.

اما هذه الاختصاصات فتتلخص على ما حددها الماوردى في سبع مواد:

١ـ النظر فى تدبير الجيوش، وترتيب النواحي وتقدير الارزاق.

٢ـ النظر في الأحكام وتقليد القضاة والحكام.

---

٤٠ : يوحنا ٦٧٧ / ٦٨٦م

تمس جسده لاجل ما نالنا في هذه الليله بسببه، لكن مهما قدرت عليه خذه منه بلطف والا فلا تقربه بسو لان الله قد اظهر لى انه عبده. فعاد سعد الى بيته وكان هذا يوم التلت من الجمعه الكبيره فاحضر يوحنا البطرك القديس قدامه وكلمه بكلام كتير وهدده تهديدا عظيما وجاب له تياب يهودى وحلف انه ان لم يحمل ما يقرر عليه اولا باول والا البسه أياها [ملابس اليهود] ولطخ وجهه برماد وطاف به حول المدينة كلها، فلم يخاف بالجمله

٣ـ جباية الخراج وقبض الصدقات وتعيين العمال فيها، وتوزيع المستحق منها على مستحقيه.

٤ـ حماية الدين والذود عن الحريم.

٥ـ اقامة الحدود في الله وحقوق الآدميين.

٦ـ الامامة في الجمع والجماعات، ويقوم بها بنفسه أو يستخلف عليها.

٧ـ تسيير الحجاج.

فاذا كان هذا الاقليم قفرا متاخما للعدو اقترن بهذه المعالم مهمة ثامنة وهى جهاد من عليه من الاعداء.

وقد كانت هذه الاختصاصات كلها في ولاية عمرو بن العاص الأولى في السنوات الأولى من فتح مصر باعتباره صاحب الفضل فيه ومنفذه، على أن عمر بن الخطاب لم يلبث أن فصل الخراج عن اختصاصات عمرو بن العاص وعهد بها الى عبدالله بن أبى السرح، ثم لم يلبث ان عين قاضيا للحكم بين الناس، وهو اجراء سيلجأ اليه فيما بعد الخلفاء فيعينون القضاة بامر منهم.

وقد كانت كل هذه الاختصاصات فيما عدا ما يختص منها بجمع الخراج يقع في سلطان الأمير الذى يلى مصر على الصلاة: على أساس ان الحكم الاسلامى حكم دينى، ومن يلى

بل كان يقول له بقوة قلب: ان لم يخلصنى الرب الاهى من يديك والا فما لك قدره ان تفعل فىّ شيا الا بامره. فقال له سعد الكافر: انا اترك لك خمسين الف دينار وتقوم بخمسين الف دينار وانا اطلقك [تدور و] تتسبب [تتسول] فى حالك وتحصلها. اجاب القديس البطرك وقال له: الذى أقدر عليه ثيابى التى على جسدى. ولم يزل ينازله الى أن بلغ عشرة الاف دينار فقال له البطرك: ما اقول ما لا اقدر عليه. فلما اتصل الخبر بالكتاب

الصلاة فهو أمير المسلمين ولذلك فسوف يصادفنا من الآن ان هذا الوالى أو ذلك ولى على الصلاة والخراج معا، أو على أحدهما دون الآخر.

سنة ٣٩ هجرية

وافق أول السنة يوم الأربعاء ٢٩ مايو ٦٥٩م.

* تجدد القتال بين على وبين الخوارج من شيعته السابقين فجرت معركة حروراء والنخيلة وقتل فيها من رؤسائهم زيد بن حفص الطائى، وشريح بن أوفى العبسى.

* تمثل النزاع بين أصحاب على وأصحاب معاوية فى إمارة الحج هذه السنة فكان الأمير قثم بن العباس من قبل على ويزيد الرهاوى من قبل معاوية فاصطلحا على أن يقيم الموسم الصحابى شيبة بن عثمان حاجب الكعبة.

* وعلى الصعيد العسكرى بعث معاوية قائده معاوية بن عوف لاستخلاص الأنبار والمدائن من أصحاب على، والضحاك بن قيس لادخال أعراب البادية فى طاعته.

* تولى زياد بن أبيه إمارة فارس بعد مقتل ابن الحضرمى.

* توفى فى هذه السنة البطرك بنيامين الذى أعاده عمرو بن العاص الى كرسيه وكتب له امانا سنة ٢٠هـ.

المتصرفين باسكندريه ان الحال انتهت الى عشرة الاف دينار انفدو اليه وقالو له: أقبل بالعشرة الاف دينار ونحن نقسطها على الاساقفه والكتاب والدواوين التى نحن مستخدمون فيها ليلا يجرى على البيعه شى.

ثم مضو الى عبدالعزيز وسالوه احضار البطرك ليسمع منه قوله، وكان يوم الخميس الكبير، فلما احضره ورفع نظره اليه رأه كأنه شبه ملاك الله فامر

سنة ٤٠ هجرية

وافق الأول من السنة يوم الأحد ١٧ مايو ٦٦٠م.

* السنة الأخيرة لخلافة على بن أبى طالب وبه انتهى عصر الخلفاء الراشدين.

* تولى على المدينة الصحابى أبو أيوب الأنصارى، وخلفه فى نهاية العام الصحابى المحدث أبو هريرة من قبل معاوية، وعلى البصرة عبدالله بن عباس.

* أرسل معاوية جيشاً للاستيلاء على المدينة بقيادة بشر بن ارطاة من عاملها أبى أيوب الأنصارى الذى فرّ منها ثم سار إلى اليمن فهرب عاملها عبيد الله بن العباس فذبح ولديه الصبيين.

* أشرنا الى هذا النفر الذين خرجوا على على بن أبي طالب لقبوله التحكيم، واعتبروا ذلك كفرا والحادا في دين الله وطلبوا من على أن يتوب ويستغفر والا حاربوه وقاتلوه.

فجرت لهم معارك مع على هزمهم فيها هزيمة منكرة عند النهروان ودحرهم وأوقع بهم مقتلة عظيمة.

فاتفق ثلاثة نفر منهم على أن يقتلوا عليا ومعاوية وعمرو بن العاص فى ليلة واحدة ليخلصوا المسلمين منهم.

للوقت ان يحضر له بمخده كبيره فرميت له [وامره بالجلوس] فجلس عليها وقال له: ما تعلم ان السلطان لا يقاوم. فاجاب القديس وقال له: السلطان يسمع منه امره فيم يجب، ويخالف امره فيما يغضب الله، فقد قال ربنا فى الانجيل «لا تخافو ممن يقتل الجسد وليس له سلطان على النفس ولكن خافو ممن يقدر ان يهلك النفس والجسد جميعا» يعنى الله القادر على ذلك وحده. فقال له الامير: الهك يحب الصدق والحق؟ فقال

وفشل من تصديا لقتل معاوية وعمرو بن العاص فى تحقيق هدفهم... ولكن عبدالرحمن بن ملجم الذى أخذ على عاتقه قتل على بن أبى طالب، نجح فى مهمته اذ تربص له فى المسجد عند صلاة الفجر وطعنه في المحراب بخنجر مسموم أعده لذلك وقيل بسيف وقتل قاتله ومُثّل به.

ولم يلبث على أن مات متأثرا بجراحه ودفن بالكوفة فى المكان الذى يعرف بالنجف الاشرف.

وكانت وفاته ليلة الأحد فى التاسع عشر من رمضان (يناير ٦٦١م) واختلف فى عمره ساعة وفاته فمن قائل أن عمره كان ثلاثة وستين عاما بينما يقول البعض بل كان ثمانية وخمسين عاما فقط.

وعلى بن أبى طالب أشهر من أن يتحدث عنه، وهو الذى انفرد بتعظيمه جانب كبير من المسلمين الشيعة، حتى ليغلو بعضهم فيجعله فوق البشر، والمعتدل منهم لا يعترف بامامة غير امامته: ولا يفهم قيام مجتمع اسلامي لا يكون على راسه أحد من ذرية على أماما.

* بويع الامام الحسن بن على على أثر إستشهاد أبيه، وأول من بايعه قيس ابن سعد الأنصارى، وكان عمره ٣٧سنة.

* مقتل ابن ملجم ومقتل وردان بن مجالد وكلاهما ممن اشتركوا فى إغتيال الامام على، أما الثالث وهو شبيب بن بجرة ففر هارباً فى زحمة الناس.

له البطرك: الهى حق كله وليس فيه كذب بل يهلك كلمن ينطق بالكذب. فاجاب الامير وقال له: انت عندى صادق فمهما كانو النصارى قد دفعوه لك بسبب مطالبتى لك ادفعه لى وما اريد منك غيره. فقالو الكتاب للبطرك: افعل هذا. فقبل البطرك ذلك واطلقه الامير بمجد وفرح وسرور وبهجه نالت الارتدكسيين، وغم وخزى نال اعدا البيعه. وخرج البطرك المغبوط من دار الامارة راكبا والشعب حافون به وبين يديه وهو راكب دابته

سنة ٤١ هجرية

افتتحت السنة بيوم الجمعة الموافق ٧ مايو ٦٦١م.

* سميت هذه السنة عام الجماعة لاجتماع الأمة على خليفة واحد هو معاويه بن أبى سفيان.

* فى ربيع الآخر من هذه السنة (أكتوبر ٦٦١م) تم لقاء الحسن ومعاوية عند الأنبار، وكانا قد خرجا لقتال فسار الأول من الكوفة والثانى من الشام ثم اصطلحا وتنازل الحسن لمعاوية بالخلافة حقناً لدماء المسلمين، ولكن الخوارج ساروا لقتال معاوية منهم حوثرة بن وداع وفروة بن نوفل وشبيب بن بجرة.

* أصبح معاوية بن أبى سفيان خليفة بعد عشرين عاماً تولى فيها إمارة الشام، فنقل عاصمة الحكم من المدينة الى دمشق مؤسساً بذلك الدولة الأموية الوراثية.

* توالى تعيين أمراء الولايات من الأمويين: ففى مكة تولى عتبة بن أبى سفيان أول أمرائها من الأمويين، وعلى المدينة مروان بن الحكم جد الخلفاء المروانيين، وعلى البصرة بسر بن أبى أرطأة وخلفه فى العام نفسه عبدالله بن عامر للمرة الثانية، وعلى نيسابور قيس بن الهيثم، وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة، وفيها استعمل عمرو بن العاص أمير مصر عقبة بن نافع على أفريقية.

* عاصر قيام الدولة الأموية بدمشق الامبراطور البيزنطى كونستانز الثانى، وفى روما البابا فيتاليان.

بالقراءة والترتيل حتى دخل الى البيعة وصلى على القصرية(*)، وغسل ارجل الشعب. ثم قدس وحمل السراير المقدسه وقرب الشعب وعاد الى قلايته برحمة الله ومعونته.

ونال المخالفين من ذلك خزى وغم كثير، واكثر من الكل الذين سعو به ولا سيما تاوفانس الريس على مريوط. وفي تلك الايام قبض الامير عليه اى على تاوفانس بسرعه وسلمه الى الكاتب فانفذه

(*) القصرية: هى غالباً ما يسمى الآن اللقان. وهو حوض صغير يوضع به ماء لغسل الاقدام كان قديماً يثبت فى أرضية مدخل الكنيسة. ويوجد اللقان بهذه الصورة فى بعض الكنائس الأثرية، أما الآن فإن غالبية الكنائس تستخدم لقاناً متنقلاً. ويستخدم اللقان ثلاث مرات فى السنة هى أعياد (الغطاس، خميس العهد، الرسل).

سنة٤٢ هجرية

٦٦٢م

* تحركت الخوارج بالنهروان وجمعوا صفوفهم وبايعوا المستور بن علفة التيمى وخاطبوه بأمير المؤمنين.

* بعث معاوية المغيرة بن شعبة إلى زياد بن أبيه وكان على فارس من قبل على فخدعه المغيرة وأنزله من قلعته وكان معتصماً بها ممتنعاً عن معاوية ثم قدم زياد بعد ذلك على معاوية في الشام.

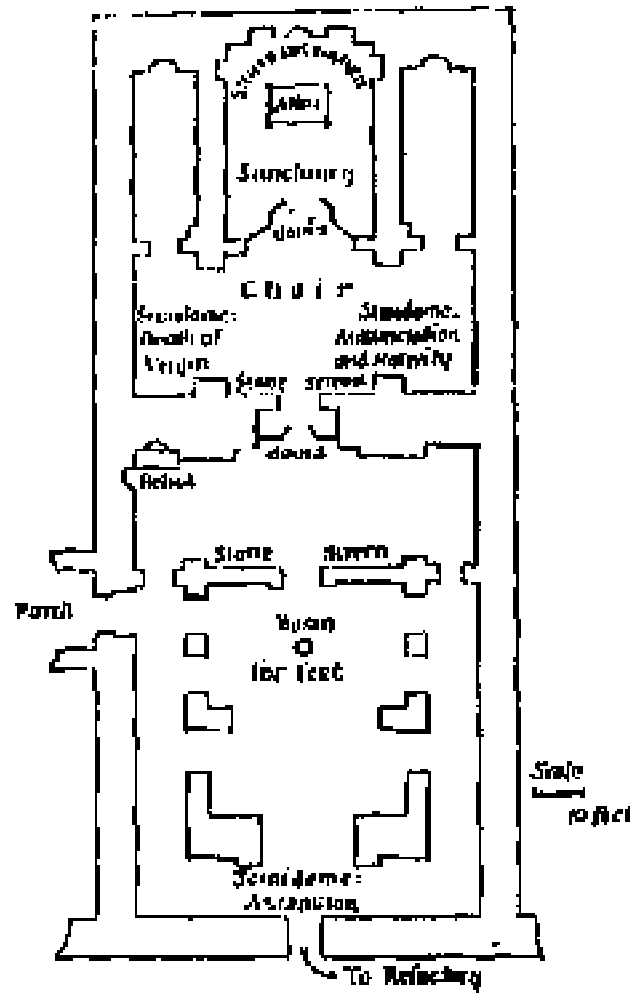
* تولى إمارة مكة خالد بن العاص للمرة الثانية.

* إفتتح عقبة بن نافع غدامس وهى مركز هام فى الصحراء الكبرى الافريقية.

* استؤنفت الغزوات شرقاً فتولى عبدالرحمن بن سمرة فتح سجستان للمرة الثانية، بينما سار راشد بن عمر مشرقاً وشن الغارات على السند.

* فى الثالث من شهر يناير من هذا العام طويت حياة الانبا بنيامين بطريرك الأقباط المصريين لتسع وثلاثين سنة، شهد فيها انسحاب الروم ودخول الفرس الى مصر ثم انسحابهم منها وعودة الروم، ومقدم المسلمين وانسحاب الروم.

الى السجن ثم قتله بعد عذاب شديد ومضى الى الجحيم، والله صانع العجايب وحده رزق الاب البطرك قبولا ونعمه عند الامير فامر فى جميع المدينه ان لا يخاطب احد البطرك الا بالخطاب الحسن ولا يذكر فيه كلمة سو ولا يعترض له احد فيما يريده ولا فى خروج ولا فى دخول فى المدينه. حينذ وجدو الزمان وساعدوه الاراخنه والكتاب المومنون وجميع الشعب الارتدكسى حتى اوفى



أديرة وادى النطرون: مخطط : يظهر فيه التخطيط الداخلي لدير السوريان وكنيسة العذارء.

سنة ٤٣ هجرية

* تولى على السند عبدالله بن سوار العبدى الذى قتل فى إحدى غزواته، وتولى على خراسان عبدالله بن خازم من قبل عبدالله بن عامر.

* تجددت أعمال الفتوح فشملت شتى الجهات: ففى المشرق إستعاد عبدالرحمن بن سمرة سجستان مستولياً على زرنج وكابل وبست وغزنة، وفى الشمال غزا بسر بن أرطاة بلاد الروم، وفى الغرب أوغل عقبة بن نافع فى بلاد السودان، كما أوغل رويفع بن ثابت فى بلاد أفريقية (تونس).

* واصل عقبة بن نافع فتوحاته الأفريقية ففتح كوراً من السودان (الغربى).

* جرت موقعة حاسمة بين جيش معاوية والخوارج وفيها قتل زعيمهم المستور بن علفة فى مبارزة مع معقل بن قيس الذى لقى نفس المصير.

* توفى فى هذه السنة أمير مصر عمرو بن العاص وذلك فى السنة الخامسة من ولايته الثانية على مصر وذلك ليلة عيد الفطر من السنة (٦ يناير ٦٦٤م) ودفن فى سفح جبل المقطم، غير أن قبره غير معروف حتى اليوم.

امارة عتبة بن أبى سفيان:

ولى معاوية أخاه لأبيه عتبة بن أبى سفيان امارة مصر على الصلاة، بينما يقول الطبرى فى

الامير ما قرر له. ومن بعد ذلك ساعدوه ايضا فى بنيان بيعه الشهيد الجليل الانجيلى مارى مرقس وكملها فى تلت سنين بكل زينه، واشترى لها رباعا بمصر وفى مريوط واسكندريه وبنى طاحون كعك ومعصرة زيت حار ودورا كثيرة جعلها لبيعة القديس مارى مرقس وباركه الرب من كل وجه فى أعماله وكلامه.

وفى ايامه اشتركو الارتدكسيون مع اهل اغراوه

أحداث عام ٤٣ أن معاوية ولى عبدالله بن عمرو بن العاص بعد موت أبيه فوليها فيما زعم له الواقدى نحوا من سنتين.

وقد حسم المقريزى هذه القضية بقوله ان عمرو بن العاص استخلف ابنه عبدالله قبل وفاته فولى صلاة مصر، قبل أن يولى عليها معاوية أخاه عتبة، وقد قصد عتبة بعد ذلك الى الاسكندرية ليقيم بها مرابطا واستخلف على مصر عقبة بن عامر الجهنى.

سنة ٤٤ هجرية

وافق مستهل المحرم يوم الخميس ١٤ ابريل ٦٦٤م.

* السنة الثانية لولاية عتبة بن أبى سفيان على مصر.

* وهى نفس السنة التى توفى فى الشهر الأخير منها بالاسكندرية إذ لم يدم حكمه سوى ١٢ شهراً.

* تولى فى آخر هذه السنة عقبة بن عامر الجهنى إمارة مصر، وفيها تولى عبدالله بن خالد إمارة مكة للمرة الثانية، وتولى على البصرة الحارث الأزدى خلفاً لعبدالله بن عامر الذى عزل، وعلى نيسابور تولى الحكم الغفارى.

واهل سخيطس(*) لانهم كانوا خلقدونيين وكانت نعمة المسيح تعينه وتقويه.

(*)اهل سخيطس : هم رهبان وادى سقيط: وادى النطرون،وكانوا من الخلقدونيين.

وسال الرب ان يظهر له من يصلح لان يجلس بعده على الكرسى، فلما علم عن اخ عالم فضيل مشتمل بكل فضيله متعبد فى دير القديس ابى مقار بوادى هبيب اسمه اسحق، كان هذا قد صار ولدا روحانيا لاسقف اسمه زخريا مملو من نعمة روح القدس فى هيبته ووقاره واتضاعه [تواضعه]

---

* غزا المهلب بن أبى صفرة أرض السند وهى أولى غزواته، بينما فتح عبدالرحمن بن سمرة كابل، وأوغل عبدالرحمن بن خالد (ابن الوليد) فى بلاد الروم وشتى بها، بينما غزا بسر بن أرطأة فى البحر.

سنة ٤٥ هجرية

استهل المحرم بيوم الاثنين الموافق ٢٤ مارس ٦٦٥م.

* تولى زياد بن أبيه إمارة البصرة بعد أن تولاها الحارث الأزدى أربعة أشهر ثم تولى على العراق كله، وكان معاوية قد استلحقه أى نسبة إلى أبيه أبى سفيان فى السنة التى مضت.

* السنة الأولى لإمارة عقبة بن عامر على مصر، وفيها عاد خالد بن العاص إلى إمارة مكة للمرة الثالثة ودامت إمارته ٣ سنوات.

* شملت الفتوح شمال إفريقية على يد معاوية بن حديج، والقيقان من بلاد السند على يد عبدالله بن سوار العبدى.

وحسن اعماله فكتب القديس يوحنا البطرك فاحضره اليه وكان يحفظه مثل حدقة العين، وكان الاخ اسحق مجتهدا فى أعمال الله وفى الكتابة والنسخ. وكان قد امره البطرك مع ذلك بمشاركته له فى الاعمال البيعيه، فحدث غلا فى ايام القديس يوحنا البطرك المذكور اقام تلت سنين واعان الله هذا الاب على القيام بحال ضعفا المدينه تلت سنين وألا كانو هالكين من الغلا، وكان يدفع لهم قوتهم دفعتين فى كل جمعه ويدفع ايضا لهم

سنة ٤٦ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الجمعة ١٣ مارس ٦٦٦م

* ولى معاوية الربيع بن زياد الحارثى حكم سجستان خلفاً لعبدالرحمن ابن سمرة فزحف الترك على كابل حتى نزح عنها المسلمون ثم إلتقى بهم الربيع عند بست وهزمهم وأنطلق وراءهم حتى رخج من نواحى سجستان، وفى الشمال شتى المسلمون بأرض الروم.

* فيها توفى عبدالرحمن ابن خالد بن الوليد وكان قد قضى الشتاء بأرض الروم غازياً فلما بلغ حمص (وفيها توفى أبوه) قيل سقاه إبن أثال شربة مسمومة بايعاذ من معاوية خشية بأسه وعظم شأنه عند عرب الشام،

كان اهتمام معاوية بن أبى سفيان الأول موجها نحو سيادة المسلمين على البحر اتقاء لهجمات القسطنطينية وتمهيدا لغزو القسطنطينية نفسها فعهد الى عقبة بن عامر الجهنى ان يحتل جزيرة رودس بأسطول مصرى فأقدم عقبة على تحقيق المهمة التى نيطت به وخرج بأسطوله قاصدا صوب رودس.

دراهم. وكانت طاحونة الكعك لا تبطل لا ليلا ولا نهارا بل تعمل للمنقطعين، وكانت عينه ملاى، وكان كتير الصدقه وكان يدفع صدقات كتيره مثل البحر وما كان يعجز عن شي في اعماله المرضيه لله كما فعل يوحنا الانجيلي. فلحقه وجع في رجليه من النقرس وتعذب في ذلك كثيرا جدا حتى ان الاطبا كانو يعالجونه بمشورة اهله وأخوته المحيطين به، ثم سار عبدالعزيز الى مصر فخرج صحبته الى ان وصل الى مصر فلحقه نخس في

---

* بعث معاوية بن ابي سفيان مسلمة بن مخلد ليكون أميرا على مصر، ولكنه طلب منه أن يخفي نبأ توليه حتى يبارح عقبة بن عامر مصر بأسطوله.

وقد جمع معاوية لمسلمة بن مخلد صلاة مصر وخراجها.

سنة ٤٧ هجرية

وافق مستهل المحرم يوم الأربعاء ٣ مارس ٦٦٧م.

* عزل معاوية عقبة بن عامر عن إمارة مصر بعد أقل من ثلاث سنوات وولاها مسلمة بن مخلد وجمع له الصلاة والخراج ومد ولايته إلى شمال المغرب، وفيها سار رويفع بن ثابت الأنصارى أمير طرابلس إلى أفريقية (تونس) واستعاد جزيرة جربة، وفى أقصى المشرق لم تنقطع المعارك بين المسلمين والترك وفيها قتل عبدالله بن سوار العبدى على حدود الهند وسائر جيشه، وفى الشمال شتى مالك بن هبيرة بأرض الروم.

* وفيها أنفذ زياد أمير العراقين الحكم بن عمرو الغفارى الى خراسان فغزا جبال الغور وكانت قد ارتدت.

جنبه فاخبرو الامير بذلك فحزن عليه وانفذ الكتاب ليفتقدوه واعدو له مركبا لينحدر الى اسكندرية، وكان كاتب هذه السيرة معه لانه ولده، فلما وصل الى مدينة اسكندرية وصل الخبر الى جماعة الاساقفه انه متوعك فدخلو اليه، وكان صحبتهم اغريغوريس اسقف القيس. وابا يوحنا اسقف نيقيوس، وابا يعقوب اسقف ارواط وأبا يوحنا أسقف سخا وأبا تيدر اسقف مليدس وجماعه من الشعب، وكانو كلهم حزانا لما راو


احد وجهاء القبط وشكل عمامته

سنة ٤٨ هجرية

الأول من المحرم وافق يوم الأحد ٢٠ فبراير ٦٦٨م.

* السنة الأولى لولاية مسلمة بن مخلد على مصر وهى التى إمتدت أكثر من ١٥ عاما وهو أول أمير جمع بين حكم مصر وأفريقية وكان ممن إشترك فى فتح مصر مع عمرو بن العاص.

* تولى إمارة السند سنان بن سلمة خلفاً لعبد الله بن سوار الذى قتل فى حرب الترك من قبل زياد أمير المشرق كما ولى غالب بن فضالة على خراسان، وفيها تولى إمرة المدينة سعيد بن العاص خلفاً لمروان بن الحكم الذى عزله معاوية (وقيل فى السنة التالية).

* فى هذه السنة لقى الامبراطور البيزنطى كونستانز الثانى مصرعة فى سيراكوز بجزيرة صقلية وخلفه ابنه باسم قسطنطين الرابع الذى عاصر الغزو العربى للقسطنطينية نفسها.

سنة ٤٩ هجرية

استهل المحرم بيوم الجمعة الموافق ٩ فبراير ٦٦٩م.

* تميزت أحداث هذه السنة بالحملة البحرية التى نظمها معاوية لحرب الروم حتى بلغت

راعيهم يدعى من الارض الى السما، وانه لم يقم في جيلهم من يشبه افعاله. ولما وصل الى بيعة القديس مارى مرقس الانجيلى التى بناها باحكام الله الغير مدروكه حملوه ودخلو به الى المذبح الكبير فوقف بقوة الروح وقال صلاة الشكر على كمالها، فغاب حسه فحملوه ودخلو به مخدعه فاسلم الروح فى يد السيد المسيح بمجد وكرامه.

وكانت مدة مقامه على الكرسي تسع سنين وتنيح فى اول يوم من كيهك(*) وجعل جسده فى

(*) سنة ٣٩٢ = ٤٠٢ق =٦٨٦م.

أسوار القسطنطينية لأول مرة وكانت تحت إمرة سفيان بن عوف واشترك فيها يزيد بن معاوية.

حرض مسلمة بن مخلد معاوية على غزو القسطنطينية ولابد أنه هيأ لمعاويه الأسطول اللازم لهذه الغزوة، فقد كانت مصر فى هذه الفترة القاعدة الرئيسية للاسطول الاسلامى وقرر معاوية أن يكون غزو القسطنطينية من البر والبحر معا ووضع الحملة تحت قيادة ابنه يزيد، الذى لم يخف سريعا لتولى القيادة.

واستطاعت الجيوش البرية أن تتوغل فى آسيا الصغرى حتى وصلت الى مشارف القسطنطنية فى الوقت الذى حاصرت الأساطيل المدينة نفسها، وقد دام الحصار الذى فرض على المدينة ست سنوات، وهو أخطر حصار تعرضت له، ولم ينجها منه الا توفيق البيزنطيين الى اكتشاف سلاح رهيب فى هذه الفترة وهو ما أشتهر باسم النار الاغريقية حيث كان يتعذر اطفاؤها فكان هذا السلاح المفاجيء حاسما فى تدمير السفن الاسلامية، وفشل الغزوة بعد كل الجهود المضنية التى بذلت: واضطر معاوية فيما بعد الى ابرام معاهدة صلح مع بيزنطة مدتها ثلاثون سنة.

* لقى الخطيم الباهلى زعيم الخوارج مصرعه بالبصرة على يد زياد أمير العراقين الذى أمر

المكان الذى بناه لنفسه قبل نياحته فى كنيسة مارى مرقس الرسول بقرا [ء]ة وتسابيح صاعده الى الله الذى له المجد والوقار والتسبيح والعظمه والقدره الى ابد الابدين امين.

السيره السادسة عشره من سير البيعه المقدسه
اسحق البطرك وهو فى العدد الحادى والاربعون
[٦٨٦ / ٦٨٩م]

هذا الاب ابا اسحق الذى ظهر للاب ابا يوحنا

به فقتل، كما لقى مصرعه خارجي آخر هو شبيب الأشجعى (غير الثائر شبيب الشيبانى) وذلك على يد كثير بن شهاب بأرض أذربيجان.

سنة ٥٠ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الثلاثاء ٢٩ يناير ٦٧٠م.

* فى هذه السنة كسفت الشمس حتى رؤيت النجوم فى المدينة نهاراً، وتذكر اسطورة أن معاوية أراد أن ينقل منبر الرسول إلى دمشق فكسفت الشمس.

* وضع عقبة بن نافع نواة مدينة القيروان لتكون عاصمة للمسلمين فى إفريقية واتخذها بعيداً عن ساحل البحرر بمأمن من غارات الروم وهى المدينة الإسلامية الثانية بافريقية بعد الفسطاط.

* استشرى الطاعون بالكوفة وهو رابع طاعون فى الإسلام وتوفى به عدد من أعيان الدولة.

* جمع معاوية إمارة البصرة والكوفة (أى العراق كله) لزياد بن أبيه وهو أول من جمعت له وكان يقيم فى كل منهما ستة أشهر، وفيها وجه الربيع الحارثى إلى خراسان فاستعاد بلخ وفتح قوهستان عنوة.

انه يجلس بعده بسواله ورغبته على ما تقدم ذكره، لان الكتاب يقول: «ان الرب يفتقد اصفياه». وقال ايضا: «لا ياخذ احد كرامه من نفسه الا ان يعطاها من عند الرب من السمـا». وقال في المزمور: «طوبى لمن اصطفيته وقبلته اليك».

ولما ان مضى ابا يوحنا الى الرب بالتذكار الجيد اجتمعو(*) الاساقفه، وكان مقدمهم اسقف القيس اغريغوريس، ويعقوب اسقف ارواط، ويوحنا اسقف

(*) أزمة بين رجال الكنيسة حول تعيين البطرك اسحاق ومحاولة بعضهم تعيين بطرك آخر.

---

* وفي هذه السنة (٥٠هـ) في شهر ربيع الاول توفي الحسن بن علي بن أبي طالب وينسب البعض الى يزيد بن معاوية أنه تسبب في موته بأن تآمر مع زوجة الحسن جعده بنت الاشعث بن قيس الكندى على وضع السم له مما أدى لموته.

سنة ٥١ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم السبت ١٨ يناير ٦٧١م.

* مرت عشر سنين على خلافة معاوية بن أبي سفيان أول الأمويين، وفيها حج معاوية بالناس وأخذهم ببيعة ابنه يزيد.

* غزا بسر بن أرطأة الصائفة وشتى فضالة بن عبيد بأرض الروم.

* تولى الربيع بن الحارث إمارة خراسان من قبل زياد وسير معه خمسين ألفا من المسلمين من أهل الكوفة والبصرة مع أسرهم ليستوطنوا خراسان، وفيها عاد وفتح بلخ للمرة الثانية صلحا.

* تولى إمارة السند أبو الأشعث العبدى خلفاً لراشد الازدى ودامت إمارته عشر سنين.

* فيها كان مقتل الصحابي حجر بن عدى وكان يلقب حجر الخير مع ستة من أصحابه

نقيوس، وجماعه من الاساقفه والشعب المسيحى، تشاورو مع كهنة اسكندرية فاشركو معهم الكاتب المتولى واتفقو فى ان يقدمو الشماس جرجة الذى من سخا بطركا من غير مشاوره الامير عبدالعزيز. وقالو: ان هو وجد علينا أو تقمقم قلنا له ان ابا يوحنا البطرك تقدم الينا ان يكون هذا يجلس مكانه من بعد وفاته واخذ علينا عهودا وإيمانا بذلك فلم يمكنا مخالفته. ثم اخذو الشماس جرجه واقسموه قسا والبسوه اسكيم الرهبنه، ثم

متهمين بالتشيع لآل البيت أرسلهم زياد من الكوفة إلى معاوية بدمشق فأمر بهم فقتلوا بمرج غدراء (بالقرب من دمشق).

سنة ٥٢ هجرية

وافق مستهل المحرم يوم الخميس ٨ يناير ٦٧٢م.

* حج بالناس فى هذه السنة أمير المدينة سعيد بن العاص.

* جرى الصلح بين عبيد الله بن أبى بكرة وبين رتبيل أمير كابل على مليون درهم وكان على السند أبو الأشعث، وفيها شتى سفيان بن عوف (قائد حملة القسطنطينية) بأرض الروم، بينما غزا الصائفة (ضد الروم) محمد بن عبدالله الثقفى.

* فيها استشرت ثورة زياد العجلى على الأمويين بالعراق فقاتله زياد بن ابيه وقضى عليها وفيها قتل العجلى.

* فيها توفى بمصر معاوية بن حديج قائد الكتائب ممن شهد صفين مع معاوية والذى أخذ بيعة أهل مصر له بعد مقتل محمد بن أبى بكر أميرها من قبل على ثم غزا المغرب وصقلية.

نادو فى البيعه ان فى غد يقسم البطرك وسهو عن قول الكتاب [المقدس]: الرب يغدر ارا [ء] الامم ويبطل افكار الشعوب ويوقف امور الملوك». ولما كان بالغداه البسوة ثوب البطركيه واعدو حوايجهم واخرجوه بتعظيم وكانو مجتهدين فى اصلاحه، واجتمعو بارشيدياقن المدينه وكان اسمه مرقس وكان رجلا فهما فاضلا مميزا فى المدينه، فمنعهم وقال: ان لم تيجو يوم الاحد على ما جرت به العادة فى القوانين ويجتمع جميع اهل

سنة ٥٣ هجرية

الأول من المحرم وافق الاثنين ٢٧ ديسمبر ٦٧٢م.

* استولى الصحابى جنادة الأزدى على جزيرة رودس، وكان قد اشترك فى غزو مصر، وفى هذه السنة قاد حملة بحرية أنفذها معاوية لغزو الجزيرة فاستولى عليها كما استولى الفاتحون على تمثالها المشهور الذى كان يعتبر إحدى عجائب الدنيا السبع القديمة.

* فى مقابل غزو المسلمين لجزيرة رودس من الروم قام البيزنطيون بغزو ساحل مصر عند بحيرة البرلس والأمير عليها مسلمة بن مخلد للسنة السادسة فردهم وفيها قتل عابد بن ثعلبه البلوى ووردان مولى عمرو بن العاص، وعائذ بن ثعلبة.

* استعمل معاوية على الكوفة الضحاك الفهرى خلفاً لزياد بن أبية، وعلى مكة عمرو بن سعيد بن العاص الذى استمر عليها حتى ثورة عبدالله بن الزبير، وفيها استعمل على البصرة سمرة بن جندب من طرف زياد أمير المشرق كله، بينما ولى ابنه عباد بن زياد على سجستان فاستولى على قندهار كما أمر ابنه عبيد الله ابن زياد على نيسابور (خراسان).

---

٤١ : اسحق البطرك ٦٨٦ / ٦٨٩م

المدينه والا فما اوسمه. وهذا امر من الله ليقدم من اصطفاه اولا وهو ابا اسحق الراهب من اهل شبرا. فلما كان بالغداة وصل قوم من اصحاب الامير وقالو اين الذين اوسموه بطركا واين الاساقفه والكهنه الذين اوسموه بطركا نمضى بهم الى مصر موكلين بهم، فاخذوهم وسارو. فلما كشفو الامر وجدو الكتب تشهد انه ليس الذى قال عنه ابا يوحنا فى حياته، فغضب الامير عبدالعزيز وبطل

سنة ٥٤ هجرية

استهلت السنة بيوم الجمعة الموافق ١٦ ديسمبر ٦٧٤م.

* عبر المسلمون نهر جيحون (أمودارايا) بأسيا الوسطى لأول مرة بقيادة عبيد الله بن زياد وسار نحو بخارى وافتتح بعض نواحيها، وفيها غزا ابن هبيرة الشيبانى طبرستان (جنوبى بحر قزوين) فصالحه أهلها على نصف مليون درهم.

* ولى معاوية على المدينة مروان بن الحكم للمرة الثانية خلفاً لسعيد ابن العاص، وعلى البصرة ابن غيلان الثقفى خلفاً لسمرة بن جندب، وكان على خراسان خليد بن يربوع وعلى الكوفة عبيد الله بن خالد.

سنة ٥٥ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأربعاء ٦ ديسمبر ٦٧٤م.

* ولى معاوية فى هذه السنة أبا المهاجر دينار على أفريقية خلفاً لعقبة بن نافع الذى عزله، كما عزل ابن غيلان الثقفى وولى البصرة عبيدالله بن زياد، كذلك ولى الضحاك بن قيس على الكوفة.

امر جرجه وامر بتقديم اسحق، وكان الامر من الله [ليقدم من أصطفاه]، فمضو به الاساقفه واوسموه. وجلس على الكرسى تلت سنين وكان الرب معه يعينه حتى اقام البيعه الكبيره التى للقديس مرقس لما مالت حيطانها والابسقوبين. وعلى يديه تجددت قداديس بيع الارتدكسيين التى لم يتمكنو من أن يفعلوها اولا. وبنى بيعه لحلوان لان فى ذلك الموضع كان يمضى الامير عبدالعزيز وكان قد امر

سنة ٥٦ هجرية

افتتحت السنة بيوم الأحد الموافق ٢٨ نوفمبر ٦٧٥م.

* اعتمر معاوية فى رجب من هذه السنة مستطلعاً الرأى فيما اعتزمه من تولية ابنه يزيد الخلافة من بعده والبيعة له.

* غزا سعيد بن عثمان بن عفان سمرقند وقاتل الصغد وهزمهم وكان من قواده المهلب بن أبى صفرة وطلحة الطلحات، وكان سعيد قد تولى على خراسان بعد عزل عبيد الله بن زياد، وصالحه الصعد وأعطوه رهناً ٥٠ غلاماً من أبناء عظمائهم وفيها غزا يزيد بن شجرة فى البحر.

سنة ٥٧ هجرية

* غزا البحر جنادة بن أمية فاتح رودس، وغزا الروم عبدالله بن قيس ومالك ابن عبدالله الجثعمى.

اراخنة الصعيد وساير الكور ان يبنى كل واحد منهم لنفسه مسكنا بحلوان المدينة.

وفى تلك الايام كتب(*) البطرك الى ملك الحبش وملك النوبه ان يصطلحا ولا يكون بينهما سجس وذلك لخلف كان بينهما، فسعى قوم من اهل المكر الى عبدالعزيز [وأخبروه بذلك] فغضب جدا وانفذ من يحضره ليقتله، فكتبو الكتاب كتبا غير الكتب ودفعوها الى الرسل الذين انفذهم الى

(*) كانت الديانة السائدة فى الحبشه والنوبة هى المسيحية على مذهب الكنيسة المصرية التى كانت تملك سلطاناً روحيا على المملكتين وتقيم لهم الاساقفة. ولكن بسبب قيام مملكة النوبة بالإغارة المستمرة على الحبشة من أجل جلب الرقيق لبيعهم فى اسواق الخلافة بحسب الاتفاق القديم بينهم وبين عثمان بن عفان، قامت عدة حروب محدودة بينهما. انظر كذلك ص٩١٥ وما بعدها الهامش السفلى.

سنة ٥٨ هجرية

الأول من المحرم الموافق يوم الثلاثاء ٣ نوفمبر ٦٧٧م.

* نشبت ثورتان للخوارج الأولى فى الكوفة وتزعمها حيان بن ظبيان السلمى، والثانية فى البصرة تزعمها طواف الهثهاث ولكن قضى عليها وقتل حيان وطواف، كما قتل من زعمائهم عروة بن أدية على يد زياد.

* ولى معاوية ابن اخته عبدالرحمن بن أم الحكم على الكوفة فثارت عليه المدينة وأخرجته لسوء سيرته ثم ولاه أمر مصر فطرده منها معاوية بن حديج وكان ذا شأن فى خلافة معاوية، حتى كانت تزين له الطرق عند قدومه دمشق.

* أعاد عقبة بن نافع غزو بلاد تونس واختط مدينة القيروان وبنى مسجدها.

* كان مسلمة بن مخلد قد بعث عقبة بن نافع لاعادة فتحي افريقية التى كانت قد انتقضت على الحكم الاسلامى، فأعاد فتحها وأسس مدينة القيروان.

* فيها توفى عقبة بن عامر أمير مصر وضريحه مازال قائما بقرافه الإمام الشافعي.

الحبشه، واخذو تلك الكتب منهم خوفا على البطرك، وانما فعلو هذا الامر ليلا يلحق البيعة ضرر. ومن قبل ان يصل البطرك الى الامير عرفوه ان الرسل هاهنا ومعهم الكتب فانفذ سرعة طلبهم واخذ الكتب، فلما وقف عليها لم يجد شيا مما ذكر له فسكن غضبه وانفذ للوقت واعاد البطرك الى اسكندريه. ولم يدعه بعد هذا يصعد الى القبلة [مقابلته]، حينذ أمر بكسر جميع الصلبان التى فى كورة مصر حتى صلبان الذهب والفضه. فاضطربو



رسم للسيدة مريم فى حالة تعبد . من الحبشة.

سنة ٥٩ هجرية

وافق أول السنة يوم السبت ٢٣ اكتوبر ٦٧٨

* غزا أبو المهاجر دينار أمير أفريقية الاندلس حتى نزل على مدينة قرطاجنة ثم افتتح بلدة مليلة وهى إلى الشرق من بجاية وقضى فى حملته نحو عامين.

سنة ٦٠ هجرية

افتتحت السنة يوم الخميس الموافق ١٣ اكتوبر ٦٧٩

* فى رجب من هذه السنة على الأرجح توفى معاوية ابن أبى سفيان مؤسس الدولة الأموية وكانت سنه عند وفاته سبعا وسبعين سنة وقد دامت خلافته عشرين عاما وكان قبلها أميرا على الشام لعمر وعثمان، وأسلم معاوية قبل أبيه.

وأبوه سفيان بن حرب الذى تولى حرب المسلمين وظل على شركه حتى كان فتح مكة فدخل الاسلام مكرها. وقيل أن معاوية قد أسلم قبل فتح مكة وان كان قد أبقى اسلامه فى الخفاء خوفا من أبيه.

نصارى ارض مصر. ثم كتب عدة رقاع وجعلها على ابواب البيع بمصر والريف ويقول فيها: «محمد الرسول الكبير الذى لله، وعيسى ايضا رسول الله، وان الله لم يلد ولم يولد.

ثم ان الطوباني [اسحق] تنيح ومضى الى الرب بسلام وهو حافظ الامانة الارتدكسيه لابس اكليل البر مع جميع القديسين. وبعد نياحته جعل جسده في المكان الذى أنشاه في بيعة مارى مرقس بقراء[ء]ة وتسبيح.

وهو ينطوى على اخلاق مؤسسى الأسرات الحاكمة فى كل زمان ومكان عندما لا يتحرجون من شىء لبلوغ غرضهم، وهم فى نفس الوقت منطوون على مهارات وقدرات فائقة وسعة صدر وحكمة ودهاء واستعداد للبطش من ناحية أخرى.

على أن سقطة معاوية الكبرى التى لا تحتمل دفاعا من أى نوع كان. هى فرض ولاية العهد من بعده لابنه يزيد الذى كان يعرف عدم صلاحيته لهذا المنصب من كافة النواحي فقد كان كل همه الصيد والشراب والمجون... فدل ذلك على أنه قد حكم هواه، وكان معنى ذلك، أنه حول منصب الخليفة الى منصب وراثى قد يتولاه البله أو المجانين أو المفسدين فى أكثر الأحوال كما حدث بعد ذلك.

سنة ٦١ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الاثنين الأول من اكتوبر ٦٨٠م.

* السنة الأولى من خلافة يزيد بن معاوية، والرابعة عشرة من ولاية مسلمة ابن مخلد على مصر.

وكان الشعب والكهنة مهتمين في من يقدمونه بعده على كرسي البطركيه. ووقع بين كهنة مارى مرقس الانجيلي وكهنة بيعة الانجيليون في المدينة خصام(*)، قوم يقولون لاجل يوحنا الاغومنس بدير الزجاج ويسمى بالروميه «طورهانتون»، انه مستحق لهذا لانه رجل عالم كاتب وكان اشبين الكاتب المتولى، واخرون يقولون عن انسان اسمه بقطر اغنومنس دير (تفسر) [تابوصيرص] وكان ايضا رجلا فاضلا. ثم عرفو اهل بيعة الانجيليون لاجل

(*) النزاع بين رؤساء الكنيسة القبطية حول تعيين البطرك الجديد عقب وفاة البطرك اسحاق.

---

* شهد العام النزاع المسلح بين يزيد والعلويين وعلى رأسهم الامام الحسين وقد بدأت مقدماته منذ وفاة معاوية في العام الماضي وامتناع الحسين وعبدالله ابن الزبير (ابن عمة الرسول) خاصة وخرج كلاهما من المدينة إلى مكة.

* جرى اللقاء الحاسم بين الامام الحسين وشيعته وجيش الأمويين بقيادة عبيد الله بن زياد عند كربلاء في يوم عاشوراء الموافق العاشر من المحرم وهو ما عرف بيوم كربلاء الدامي وفيه قتل الحسين كما قتل من اخوته جعفر وعتيق ومحمد والعباس كما قتل ابنه الأكبر على وعبدالله وابن أخيه القاسم ابن الحسن وابنا مسلم بن عقيل وعبدالله وعبدالرحمن وغيرهم.

* ولى يزيد على المدينة الوليد بن عتبة للمرة الثانية بعد أن عزل عمرو بن سعيد وحج بالناس.

سنة ٦٢ هجرية

استهل المحرم بيوم الجمعة الموافق ٢٠ سبتمبر ٦٨١م.

* ولى يزيد إمارة المدينة ابن عمه عثمان بن محمد بن أبى سفيان وهو الذى حج بالناس

يوحنا ففرحو وساعدهم الكاتب لانها البيعه الكبيره وفيها مايه واربعون كاهنا. فكتب لهم تاودرس ارخن مدينة اسكندرية الى الامير عبدالعزيز يذكر له يوحنا اغومنس دير الزجاج هو الذى وقع اختيار الجمع عليه ان يصير بطركا(*).

ومدة مقام ابينا البطرك انبا اسحق على الكرسى الرسولى سنتان وتسعة شهور وتنيح فى اليوم التانى من هتور ومضى الى السيد المسيح حافظا امانته

(*) لعله بسبب الخلاف السابق بين اساقفة الاسكندرية، قرر الوالى عبد العزيز أن يكون انتخاب البطرك فى بابليون الفسطاط. ومنذ هذا التاريخ حتى القرن الحادى عشر الميلادى والبطاركة ينتخبون فى بابليون ولكن رسامتهم كانت تتم فى كنيسة الملاك بالاسكندرية.

فى هذه السنة، وفيها أعاد يزيد إمارة افريقية لعقبة بن نافع الذى قاد الحملة الثانية والكبرى لفتح شمال افريقية، بدأها من برقة وانتهى الى ساحل المحيط الأطلسى عند موقع ميناء أغادير الحالية، ولكن عند عودته لقى مصرعه؛ وفى أقصى المشرق غزا أسلم خوارزم وصالحوه على مال. وتولى امارة مصر سعيد ابن يزيد لمسلمة بن مخلد بعد وفاته.

* أعلن عبدالله بن الزبير إصراره على رفض مبايعة يزيد وصد عن مكة جيشا ارسله يزيد بقيادة اخيه عمرو بن الزبير وحبس اخاه الذى توفى تحت السياط.

* توفى فى هذه السنة أمير مصر مسلمة بن مخلد الأنصارى الذى تولى منصبه ١٥ سنة و٤ أشهر متوالية وهو أول من جمع له حكم مصر وافريقية. وأول من احدث المنابر والمساجد وهو الذى هدم ما بناه عمرو واعاد بناء مسجد الفسطاط وتوسيعه، وكان قد اشترك فى فتح مصر مع عمرو، توفى بالاسكندرية يوم ٢٥ رجب (٩ ابريل ٦٨٢).

سنة ٦٣ هجرية

وافق الأول من السنة يوم الأربعاء ١٠ سبتمبر ٦٨٢م.

* اعلن عبدالله بن الزبير فى مكة خلع يزيد من معاوية من الخلافة وأعلن نفسه خليفة

ضابطا رعيته. وقد ذكر لى فى نسخة اخرى انه اقام فى البطركية تلت سنين. الرب يرحمنا بصلاته وصلاة من ارضاه باعماله امين.

سيمون(*) [سيماون] البطرك
وهو من العدد التانى والاربعون
[٦٨٩ / ٧٠١م]

وكان معه فى الدير رجل قديس خايف من الله فاضل عالم اكثر من جماعه فى جيله اسمه

(*) البطرك سيمون من أصل سريانى ولكنه كان على مذهب الكنيسة المصرية. وكان تعيينه أحد أسباب الوفاق بين الكنيستين المصرية والسريانيه فى هذا الوقت. ولكن بسبب توبيخه الشديد للأساقفه وأنعزاله عنهم دبروا له مؤامرة أدت إلى موته مسموما.

للمسلمين، وامتدت الثورة على يزيد إلى المدينة بالرغم من الوفد الذى ارسله واليها عثمان بن محمد إلى دمشق ومبعوث يزيد إلى المدينة النعمان بن بشير وتزعم ثورة المدينة عبدالله ابن حنظلة (وهو ابن الصحابى الشريد الذى حكى ان الملائكة غسلته).

* انتدب يزيد لقمع ثورة الحجاز مسلم بن عقبة على رأس ١٢ ألف سار بهم إلى المدينة، وقبل نهاية السنة جرت وقعة الحرة (موقع فى شمال شرقى المدينة) وتعرف بحرة واقم وفيها هزم أهل المدينة وأحرقها بعد القتل و الفسق وفعل ما لا يفعل وبلغ عدد من قتل من الأنصار والمهاجرين بها ٣٠٦ ولذا لقب قائد يزيد مسرفة بن عقبة، لأسرافه فى القتل فى ٣١ أغسطس ٦٨٢، وسار من المدينة إلى مكة يريد ابن الزبير ولكنه مات فى الطريق.

* فى افريقية تولى زهير البلوى القيادة بعد مقتل عقبة بن نافع على يد كسيلة قائد البربر ولكنه هزم بدوره فاخلى القيروان ولجأ إلى برقة.

سنة ٦٤ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأحد ٣٠ أغسطس ٦٨٣م.

* تعددت الفتن والثورات فشملت الحجاز والشام ومصر وشمال أفريقية، وتعدد الخلفاء الذين تولوا عرش الأمويين.

سيمون من اهل المشرق جاباه ابواه الى اسكندريه منذ صباه ودفعاه قربانا للبيعه، مثل صمويل، اجل [لأجل] جسد القديس مارى سويرس، لانه فى تابوت في ذلك الدير. وكانوا السريان يجيبون له قرابين ونذور. ثم ان تادرس المذكور اخذ سيمون اولا من ايام انبا اغاتون ومضى به الى ابا يوحنا لما كان شمسا ليعلمه قوة الكتابه وفصول الكتب [والعلوم البيعيه]. وبنعمة السيد المسيح الذى معه تعلم [الكتب] العتيقة واشيا كتير من الكتب

---

* أعلن ابن الزبير حقه فى الخلافة فأقام على المدينة أخاه عبيد الله، وعلى الكوفة عامر بن مسعود، وعلى البصرة عمر بن عبدالله التيمى، وعلى خراسان عبدالله بن حازم، وفيها حج بالناس عبدالله بن الزبير.

* تولى الحصين بن نمير السكونى قيادة جيش الأمويين بعد وفاة مسلم بن عقبة فلما بلغ مكة حاصرها ورمى الكعبة بالمنجنيق.

* شهد العام وفاة الخليفة يزيد بن معاوية فى ١٤ ربيع الأول (١١ نوفمبر) وله من العمر ٣٨ سنة.

* تولى الخلافة معاوية (الثانى) بن يزيد ثالث الخلفاء الأمويين ولكنه لم يلبث أن خلع نفسه بعد حوالى أربعين يوماً. وبعد أن خلع نفسه دخل داره فتغيب حتى مات، فاضطربت أحوال بنى أمية فى الشام بالاضافة إلى إستقلال ابن الزبير بالحجاز وتعيينه ولاة من قبله على أكثر الأمصار بما فيها مصر الذى جعل عليها عبدالرحمن بن جحدم، ومات فى العام نفسه بدمشق.

* نجح الأمويون حول نهاية العام فى لم شملهم وولوا الخلافة مروان بن الحكم (٣ القعدة) ولكنه واجه خصومة الضحاك الفهرى الذى كان قد بايعه أهل دمشق حتى تنتهى الفتنة وتحول النزاع إلى حرب قتل فيها الضحاك.

الحديثه في زمان يسير لان أبا يوحنا كان فاضلا، فلما راه انبا اغاتون جيدا فى افعاله اوسمه قسا وهو كان التانى بعد ابيه يوحنا فى طقس الدير. فكتب للامير وانفذ يحضر يوحنا، فسار ولده معه وقوم من كهنة اسكندرية والارخن تادرس صحبتهم، فلما وصلو دفعو الكتاب للامير وفيه اسم يوحنا فاراد ان ينظره فلما راه طاب قلبه عليه لان [لأنه] كان شخصا حسنا بهى المنظر. ثم سال الكهنه والأساقفه عنه فقالو نعم هو يصلح.

سنة ٦٥ هجرية

استهل المحرم بيوم الخميس الموافق ١٨ أغسطس ٦٨٤م.

* جلس فى هذه السنة على دست الخلافة الأموية مروان بن الحكم ثم إبنه عبدالملك بن مروان.

* استعاد الخليفة مروان حكم مصر بعد زحفه عليها فى غرة جمادى الأولى من السنة وكان عليها عبدالرحمن بن جحدم من قبل بن الزبير فازاحه، وقتل من أنصار ابن الزبير ٨٠ رجلاً واستعمل عليها إبنه عبدالعزيز بن مروان التى دامت ولايته عشرين سنة متوالية.

* هزم ابن الزبير جيش مروان وعليه حبيش بن دلجة الذى قتل، وممن هرب بعد الهزيمة الحجاج وأبوه يوسف بن الحكم وكانا فى جيش حبيش، وولى إبن الزبير على خراسان المهلب بن أبى صفرة الذى تصدى لحرب الأزارقة من الخوارج.

* إنتشر الطاعون فى البصرة وعرف بالطاعون الجارف وقيل بل وقع سنة ٦٩هـ.

* توفى الخليفة مروان بن الحكم فى ٢٧ رمضان (٥ مايو ٦٨٥م) مخنوقا، خنقته زوجته أم خالد بن يزيد ابن معاوية وخلفة بعهد منه إبنه عبدالملك.

* ظهر جيش التوابين فى الكوفة المطالبين بدم الحسين وعلى رأسهم الصحابى سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة ولكنه هزم على يد عبدالله بن زياد أمير العراق لعبدالملك.

وجرى فى ذلك اليوم أمر عجيب مثل امر فارص وزارح او مثل ادونيا وسليمان ولدى داود، وهو ان بعد ان استقر تقدمة يوحنا اقام الله واحدا من الاساقفه مثل دانيال فى ذلك الزمان، بغير موافقة ولا مشاورة مع أحد، وقال: هذا لا يكون لنا نحن بطركا. فعند ذلك نزل على جميع الناس سكوت وبهيته [بهته] حتى انه لم يجاوبه احد بحرف واحد. فقال الامير: فمن يصلح تقول انت لهذا الامر؟. فقال الأسقف بمحضر الجمع: ان

---

* فيها توفى زعيم الازراقة الحرورية نافع بن الأزرق قتل فى حرب المهلب ابن أبى صفرة، كان من أنصار الثورة على عثمان حتى قضية التحكيم واجتمع فى حروراء مع غيره ونادوا بالخروج على الامام على فمن ثم عرفت جماعته بالخوارج الحروريين.

سنة ٦٦ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الثلاثاء ٨ أغسطس ٦٨٥م.

* السنة الأولى من خلافة عبدالملك بن مروان.

* حج بالناس عبدالله بن الزبير، وحج فى الوقت نفسه إبن الحنفية، كما حج نجدة الحرورى بعد إستيلائه على اليمامة والبحرين وكان كل منهم فى جماعة يوم عرفات لا يمنعهم من المواجهه سوى حرمة الحج.

* ظهر فى هذه السنة المختار الثقفى بالعراق فالتفت حوله الشيعة وجعل يتتبع قتله الحسين فقتل منهم شمر بن ذى الجوشن وعمرو بن أبى وقاص صاحب الجيش الذى قتل الحسين وهو الذى أمر أن يداس صدر الحسين وظهره بالخيل. وضعف أمر عبدالله بن مطيع أمير العراق من قبل ابن الزبير، بينما هزم ابن زياد جيشا للمختار فى الأيام الأخيرة من هذه السنة.

سيمون مستحق لهذه الرتبه. فامر الامير باحضاره قدامه فلما نظره سالهم وقال: هذا من اى موضع هو؟ فقيل له هو سريانى من اهل الشرق. فلما علم قال للاساقفه: فما تقدرون انتم أن تقيمو واحدا من بلادكم. فاجابوه وقالو له: ان الذى قد اخترناه قد احضرناه الى بين يديك والامر لله ثم لك. ثم التفت الى المغبوط سيمون وقال له: تستصوب ان يكون هذا الشيخ يوحنا بطركا. فاجابه وقال له: ما يوجد فى كورة مصر ولا فى

---

* وفيها اتخذ المختار الثقفى كرسيا وادعى أن فيه سراً، وأنه لهم مثل التابوت لبنى إسرائيل. ولما خرج المختار لقتال عبيدالله ابن زياد، امير العراق، خرج بالكرسى على بغل يحمله فى القتال.

سنة ٦٧ هجرية

استهل العام يوم السبت الموافق ٢٨ يولية ٦٨٦م.

* تعاظم أمر المختار بعد أن هزم قائده ابن الأشتر عبيدالله بن زياد أمير العراق الأموى فى معركة خازر وشتت جيشا قوامه ٤٠ ألفاً ولقى عبيدالله حتفه فى المعركة كما قتل الحصين بن نمير الذى سبق أن رمى الكعبة بالمنجنيق.

* دعا المختار لمحمد بن الحنفية وأمر أتباعه بإخراجه من سجنه مما أغضب ابن الزبير فصار المختار بين عدوين: عبدالملك فى الشام وابن الزبير فى الحجاز.

* عقد الخليفة عبدالملك بن مروان معاهدة مع الامبراطور البيزنطى جستنيان الثانى مدتها ١٠ سنوات على أن يدفع عبدالملك اتاوة سنوية قدرها ألف دينار ذهباً.

* جرت المواجهه بين ابن الزبير والمختار الثقفى بعد أن عاد مصعب بن الزبير أميرا على العراق من قبل أخيه لحرب المختار ونجح فى حصر المختار بالكوفة وقتله.

المشرق من يستحق مثل هذا وهو ابى الروحانى وربانى من صغرى وسيرته كسيرة الملايكه. فلما سمع الامير هذا تعجب جدا وكان جمع كثير مجتمعا، فخرج صوت من الاراخنة والاساقفه والكتاب قايلين: الله يحيى الامير لنا سنين كثيرا، سلم الكرسى لسيمون فهو مستحق البطركية مثل انبا بنيامين كذلك سيمون. وان البيعة مساعدة لهما. فلما نظر الامير اليهم وسمع كلامهم لاجل انسان غريب لا يعرفونه بالجمله الا منذ يومين

سنة ٦٨ هجرية

وافق أول المحرم يوم الخميس ١٨ يوليو ٦٨٧م.

* نازع عبدالملك بن مروان بن الحكم: الزبيريين والخوارج والعلويون وبرز هذا الخلاف على بطحاء عرفات إذ إجتمعت يوم الحج أربعة ألوية: لواء بنى أمية، لواء عبدالله بن الزبير، لواء نجدة الخارجى ولواء محمد بن الحنفية وليست بينهم حرب فى الحرم.

* عزل ابن الزبير إبنه حمزة عن إمارة العراق وأعاد أخاه مصعب بن الزبير، كما أعاد جابر بن الأسود إلى إمارة المدينة.

* تولى حرب الخوارج وعلى رأسهم قطرى بن الفجاءة وابن الماحوز عمر ابن عبيدالله بن معمر من قبل ابن الزبير وخلفا للمهلب بن أبى صفرة وفيها قتل ابن الماحور، فلما قوى أمر قطرى بن الفجاءة حتى جبى الأموال أعاد ابن الزبير المهلب لحربهم.

* استعاد عتاب الرياحى فتح أصبهان عنوة لمساعدة أهلها للخوارج.

* عم القحط بلاد الشام وكان ذلك نتيجة لفشل الخليفة فى قتال الخارجين عليه.

* توفى الامبراطور البيزنطى قسطنطين الرابع (بوجوباتوس) وقد عاصر حصار العرب للقسطنطينية ولم ينقذها سوى إستخدام النار اليونانية، وخلفه جستنيان الثانى وقيل فى العام السابق.

فامرهم بمعونة الله ان يمضو به ويوسموه بطركا.
وتقدم الى اكتر الاساقفه بالمسير صحبته فمضو به
الى اسكندرية وقدموه على الكرسى الرسولى فى
البيعة العظما المعروفة بالانجيليون [لان كان فيها
مايه واربعون كاهن] وكان فرح عظيم للشعب
الارتدكسى وسلامه واتحاد فى البيعه، والامور تنمو
كل يوم. ثم أنه اقام اباه يوحنا على امور البيعه
وكان هو يقرا فى الكتب المقدسه.

سنة ٦٩ هجرية

استهل المحرم بيوم الاثنين الموافق ٦ يوليو ٦٧٧م.

* بدأ الخليفة عبدالملك بناء قبة الصخرة بالقدس واستمر البناء ثلاث سنوات كما جرى تعمير المسجد الأقصى المجاور للصخرة قاصداً تحويل الحج إليها كما جاء فى بعض الروايات.

* إنتشر الطاعون الذى يعرف بالجارف في البصرة وبعد ثلاثة أيام من إنتشاره لم يبق بالبصرة سوى اليسير من الناس (وفي قول انتشر عام ٦٥) وبلغت ضحاياه ٧٠ ألفاً وهو الطاعون السابع فى الاسلام.

* ولى عبدالعزيز بن مروان حسان بن النعمان فاتح قرطاجنة إمارة أفريقية، كما تولى زهير البلوى إمارة برقة وبنى مقياساً على النيل فى حلوان.

سنة ٧٠ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الجمعة ٢٥ يونية ٦٨٩م.

خرج الخليفة عبدالملك بن مروان صوب العراق لتحريرها من حكم الزبيريين فانتهز الامبراطور البيزنطى الفرصة وغزا بلاد الشام وأستولى على قيسارية فاضطر عبدالملك الى مصالحته على أن يؤدى اليه كل إسبوع ألف مثقال ذهب، ومن ناحية أخرى إنتهز عمرو بن

وفى طول حياة يوحنا لم يلتفت الاب البطرك سيمون لشى من امور البيعه بل سلم جميع ذلك الى يوحنا ابيه كما كان معه فى الدير، وكان مطيعا له ويدعوه ابى.

ثم انه كتب سنوديقا الى يوليانوس بطرك انطاكيه تعجب منها وانفذها مع اساقفه يذكر له فيها الاتحاد وان هذه الامانه الواحده والاتحاد بين الكرسيين اسكندرية وانطاكية. فلما وقف عليها

سعيد بن العاص خروج الخليفة من دمشق العاصمة فوثب عليها واحتلها ثم احتال عليه عبدالملك ثم أمر به فقتل.

* زحف الطاعون الى مصر، فلجأ أميرها عبدالعزيز بن مروان الى مدينة قديمة جنوبى الفسطاط على النيل حيث بنى مدينة حلوان.

سنة ٧١ هجرية

وافق هلال المحرم يوم الأربعاء ١٥ يونية ٦٩٠م.

* تجددت المناوشات بين عبدالملك ومصعب بن الزبير وبدأت تدخل نهايتها وكانت الدولة الاسلامية منقسمة الى خلافتين الأولى عليها عبدالله بن الزبير وتشمل الحجاز والعراق والمشرق، والثانية عليها عبدالملك وتشمل الشام ومصر.

* حج بالناس فى هذه السنة عبدالله بن الزبير.

* عاود عبدالملك حرب الروم واستعاد قيسارية.

* رفض مصعب بن الزبير الامان الذى أعطاه إياه عبدالملك وحارب حتى قتل فدعا عبدالملك جند العراق الى بيعته.

وجـدها مملوه من حكمـة الله والكتب الروحـانيـه فـفـرح جـدا وخطب فى بيعـتـه باسم الاب انبـا سيـمـون وكتب له جـوابهـا واعـاد رسله بكرامـات جزيلات الى مصر، فلما أقام تلت سنين تنيح أبوه يوحنا بسلام واستحق ان يجعل المغبوط سيمون البطرك يده على عينيه حتى انه كفنه بيده واخذ بركة ابيه وحمله الى الدير ودفنه وقام عنده اربعين يوما حتى بنى له قبرا وجعل جسده فيه ووسعه لنفسه اذا مات ليدفن معه فيه. ثم نزل به تجربة من

---

* ولى عبدالله بن الزبير (الخليفة على الحجاز) طلحة بن عبيدالله على المدينة خلفاً لواليه جابر بن الأسود وهو آخر من تولاها من قبل الزبيريين.

* ولى عبدالملك على البصرة (بعد مقتل ابن الزبير) خالد بن عبدالله ابن خالد والياً (أموياً) خلفاً لحمران بن أبان.

سنة ٧٢ هجرية

وافق أول المحرم يوم الأحد ٤ يونية ٦٩١م.

* جرت فى جمادى من هذه السنة (فى رواية ثانية) معركة دير الجاثليق وبعدها خرج حكم العراق من الزبيريين.

* دخل عبدالملك (بعد مقتل مصعب بن الزبير) مدينة الكوفة وأخذ البيعة من القبائل فيها وفرق أعمال العراق على شيعته.

* فى جمادى من هذه السنة وجه عبدالملك الحجاج بن يوسف الثقفى الى الحجاز لقتال عبدالله بن الزبير واخراجه من مكة التى كان يتحصن بها، فخرج الحجاج وقصد الطائف وقضى بها بضعة شهور كان يبعث خلالها البعوث لمناوشة ابن الزبير عند عرفات.

* استولى طارق بن عمرو مولى عثمان على المدينة من واليها الزبير طلحة بن عوف.

الله الذى يسبك اصفياه وينقيهم، مثل الذى ينقى الفضة الخالصة من الغش فيصيرون مثل الذهب النقي، وبنعمة السيد المسيح صبر حتى نال الاكليل، لانه كان انسانا مملحا مثل الملح الانجيلى ليس عنده مراياة ولا بخل لجل الأجل! راحة او اكل او شرب، بل كان زمانه كله غداه خبزا وملحا مدقوقا بكمون وبقل وما يشبه ذلك ليضعف قوة شهوات الجسد ويجعله عبدا للروح. ولم يكن يحضر مع الاساقفة ولا الكهنة لانه كان

---

* فى غرة ذى القعدة من هذه السنة رمى الحجاج مكة بالمنجنيق (بعد أن إستأذن عبدالملك) فانطلقت صاعقة أحرقت المنجنيق ولقى فيها بعض رجال الحجاج حتفهم ولكن القصف استمر فاخذ أصحاب ابن الزبير يتفرقون عنه.

* مرت السنة السابعة على ولاية عبدالعزيز بن مروان على مصر.

* أتم عبدالملك فى هذه السنة بناء قبة الصخرة، وقد بدأ فى بنائها قبل عام أو عامين، وهى بناء حجرى مثمن مصفح بالرخام والفسيفساء بلغ طول كل جدار ٢٠,٥ متراً وارتفاعه ٩,٥ متراً وعدد نوافذه من مفتوحة ومغلقة ٥٦ نافذة، كما تم تجديد المسجد الأقصى.

وأراد عبدالملك أن يجعل فى فلسطين حرما مقدسا يحج اليه الناس فبنى قبة الصخرة فى القدس والجامع الأقصى، وكان المسلمون يطوفون حول الصخرة كما يطوفون من حول الكعبة وينحرون يوم العيد ضحاياهم وصار اخوه عبدالعزيز بن مروان والى مصر لايذهب للحج إلى مكه ويقف وقفة عرفات بمصر.

سنة ٧٣ هجرية

استهل المحرم بيوم الخميس الموافق ٢٣ مايو ٦٩٢م.

* شهدت هذه السنة نهاية حصار مكة على يد الحجاج قائد الخليفة عبدالملك

يطلب الانفراد لملازمة اوقات الصلوات، ولجل [لأجل] هذا صار مبغوضا من اهل اسكندرية(*)، فمضى قوم من الكهنه الى قوم سحره ودفعو لهم ذهبا حتى عملو لهم سموما بسحرهم للموت وجعلوها فى الانا [ء] الذى كان يشرب فيه وجاو[جاءوا] بها الى الاب سيمون البطرك ليستعمل منه، وكان قد تناول من السراير المقدسه قبل ان يشرب منه فلما شربه لم يضره، ثم فعلو ذلك دفعه تانيه هولا القتله للابا [ء] فلم يضره ولا

(*) مؤامرة على البطرك سيمون تنتهى بقتله بالسم بعد مرض طويل.

لاستخلاصها من يد عبدالله بن الزبير الذى خلع بيعة يزيد بن معاوية منذ سنة ٦٣هـ ثم أعلن نفسه خليفة، إلا أن سقوط العراق فى العام السابق ومقتل أخيه مصعب أضعف جانبه واستمر الحصار ١٦ شهر و١٧ يوماً ورميت الكعبة بالمنجنيق حتى استسلمت مكة فى ١٧ جمادى الأول ولقى ابن الزبير مصرعه على يد الحجاج الذى مثل بجثته وعلقها عبرة وعظة.

* صفا الحكم للخليفة الأموى عبدالملك بن مروان الذى ولى إمارة مكة الحجاج بن يوسف الثقفى، وإمارة الجزيرة وارمينية أخاه محمد بن مروان، والبصرة أخاه بشر بن مروان.

* استمرت الحرب بين الأمويين والخوارج من الأزارقة وعلى رأسهم أبو فديك الذى استولى على البحرين ولكنه قتل قبل نهاية السنة، ثم قطرى بن الفجاءة الذى دانت له الأهواز.

* قتل فى هذه السنة (١٧ جمادى الأول) الخليفة عبدالله بن الزبير منافس عبدالملك الخليفة الأموى بدمشق وهو يقاتل قائده الحجاج بمكة وقد تفرق عنه أكثر أتباعه وله من العمر ٧١ سنة، اذ كان أول مولود فى الاسلام بعد الهجرة، ودعا لنفسه بالخلافة بعد وفاة معاوية وجعل من مكة حاضرة له خلال ١٠ سنين وقد دخل فى طاعته أهل الحجاز وأكثر أهل العراق وعليه أخوه مصعب الذى استشهد قبله.

ناله سو. فلما نظرو ذلك السحرة بهتو من امر هذا القديس. ثم انهم اخذو تينا حسنا فى غير اوانه وجعلو فيه سما قاتلا اوصو الكهنه وقالو لهم اطعموه هذا وهو على الريق صايم بغير قربان فانه ينشق من وسطه، فاتو اليه بذلك بمكر ومراياه وسالوه وتضرعو له ان ياكل منه، وكانو قوم يدلون عليه، ولقموه من التين المسموم فتحركت عليه احشاه فى تلك الليله واقام اربعين يوما فى كرب عظيم، حتى ان كل احد تمنى له الموت، فاقامه

سنة ٧٤ هجرية

وافق الأول من السنة يوم الثلاثاء ٣ مايو ٦٩٣م.

* ضم الخليفة عبدالملك إمارة المدينة الى الحجاج بالاضافة الى مكة بعد أن عزل عنها طارق بن عمرو مولى عثمان، فسار اليها الحجاج وقضى بها ثلاثة أشهر يتعنت أهلها.

* تولى قتال الأزارقة من الخوارج المهلب بن أبي صفرة.

* تولى امية بن عبدالله بن خالد على خراسان خلفا لبكير بن وشاح بسبب الفتنة بين بطون تميم بخراسان، وولى أميه ابنه عبدالله على سجستان.

* أمر عبدالملك بضرب دنانير إسلامية من الذهب عليها البسملة بخط كوفى وكانت دار الضرب بدمشق أولاً.

* فيها وللسنة الثانية غزا محمد بن مروان بلاد الروم (الأنضول).

سنة ٧٥ هجرية

الأول من المحرم وافق يوم السبت ٢ مايو ٦٩٤.

* تولى الحجاج إمارة العراق فسار الى الكوفة فى إثنى عشر ركباً حتى دخل مسجد الكوفة فألقى خطبة توعد فيها أهل العراق ووسمهم بالبغى والخلاف والشقاق والنفاق

الرب المحيى واظهر فيه اعجوبة فظهر له فى الرويا قايل يقول له: لاى سبب صبرت على هذه البلايا.

فلما وصل الامير الى المدينة نظر اليه وقد تغير منظره مما جرى عليه، فسال عن سبب ذلك فقيل له : ان اربعه من الكهنه سقوه سما. فامر الامير ان يحرقو احيا والساحرة معهم خارج المدينه من بحريها فى موضع يسمى الفاروس، فعندما ارادو ان يحرقوهم ركع الاب على وجهه بدموع غزيره

ووصفهم بأنهم عبيد العصا، وأعاد هذا الوعيد فى البصرة فثارت عليه بزعامة عبدالله بن الجارود.

* حج بالناس لأول مرة الخليفة عبدالملك بن مروان وخطب على منبر الرسول وكان قد ولى أبان بن عثمان على المدينة خلفاً للحجاج.

* قام الحجاج بضرب دينار ذهبى بالكوفة على طراز الدينار الذى أمر بضربه الخليفة فى دمشق.

* تجددت الحرب مع الروم وكان على رأس الجيش الامبراطور جستنيان الثانى وتولى قيادة الأمويين محمد بن مروان أخو الخليفة الذى أوقع الهزيمة بالروم عند مرعش.

* تجدد القتال بين المهلب والخوارج وفيها قتل عبدالرحمن بن مخنف ساعد المهلب.

* خرج أمير مصر عبدالعزيز بن مروان وافداً على أخيه الخليفة بدمشق لأول مرة بعد أن استتب الأمر لعبدالملك واستخلف على مصر زياد بن حنظلة الذى لم يلبث أن توفى فتولى على مصر الأصبغ نيابة عن ابيه عبدالعزيز بن مروان.

* انتشر الطاعون فى الكوفة للمرة الثانية.

* ولد ببرقة القاضى عبدالرحمن بن أنعم قيل هو أول مولود فى الاسلام بأفريقية (أى الشمال الافريقى).

* توفى سليم التجيبى أول من تولى القضاء بمصر وشهد فتحها.

قدام الامير وساله فيهم وقال له: ان نالهم شي من اجلي وجب على القطع ولا يصح لى ان اكــون بعد ذلك بطركا. فتعجب الامير من حسن افعاله وامر باطلاقهم، وان يحرقو السحره احيا [ء] لاجل عـمل تقـدم لهم فـاحـرقـو بالنار. ثم انه سلم لابا يوحنا اسـقف نقيوس(*) تدبير حـال الديارات لانه كـان خـبـيـرا بتـقلب الرهبـان وقـوانينهم واعطاه سلطانا عليهم، وكانو يعمرون القلالى بغير فتور والاراخنه يقومون باحوالهم.

(*) كان أسقفا لابروشية نقيوس فى النصف الثانى من القرن السابع. ولما كان خبيرا بأحوال الرهبان قلده البابا سيـمون البطريرك ال ٤٢ رئاسـة الاديرة. وحـدث أن أحد الرهبان المحبين للشهوات =

سنة ٧٦ هجرية

وافق أول السنة يوم الأربعاء ٢١ ابريل ٦٩٥م.

* تزعم الخوارج شبيب بن يزيد الشيبانى فوجه إليه الحجاج زائدة بن قدامة فهزمه شبيب وقتله ثم أوقع الهزيمة بجيوش الحجاج جيشا بعد جيش واستفحل أمره بعد دخوله الكوفة عنوة.

* بدأ فى دمشق ضرب الدراهم من الفضة بعد أن تم ضرب الدينار الذهبى الإسلامى.

* فى هذه السنة تم تداول الدنانير والدراهم الإسلامية بعد أن كان التعامل بالعملة البيزنطية ونقشت عليها الشهادة والصورة تمثل الخليفة محاكاة للسكة البيزنطية التى حرم الخليفة تداولها وكان ذلك من أسباب زيادة النفرة مع الروم ثم محيت الصور من العملة الإسلامية.

* غزا محمد بن مروان أخو الخليفة بلاد الروم بعد أن تجدد النزاع بسبب حرب العملة حتى بلغ ملطية.

* ولد فى هذه السنة مروان بن محمد اخر الخلفاء الأمويين.

* شهدت هذه السنة الثورة على الامبراطور جستنيان منها ثورة ليونتيوس الذى جدع أنف الامبراطور فعرف بمجدوع الأنف ونفاه إلى القرم وتولى العرش مكانه.

ثم ان قوما من المحبين الشهوات اخرجو عدرا من ديرها ودخلو بها وادى هبيب واوقعو بها الفعل سرا، فلما ظهر ذلك بين الرهبان كان بينهم قلق عظيم ما لم يسمع بمثله فى ذلك الموضع. فاخذ الاسقف [يوحنا] الراهب الذى عمل الخطيه وضربه ضربا موجعا، وبعد عشرة ايام من تاديبه مات الراهب. فلما شاع الخبر اجتمعو جميع الاسافقه بكورة مصر سرا وسالو[سألوا] الاسقف عن قضية الراهب فاخبرهم بها واعترف انه الذى

= أخرج عذراء من ديرها ودخل بها وادى هبيب وارتكب معها الاثم. فلما ظهر ذلك بين الرهبان جزعوا وارتعبوا وانتهى الخبر الى مسامع الانبا يوحنا فقام بتأديب الراهب وضربه ضربا موجعا حتى مات بعد عشرة أيام من شدة الضرب.

فلما بلغ الاسافقة فى مصر خبر موت الراهب اجتمعوا سرا وسألوا الانبا يوحنا عن القضية فاعترف أمامهم انه هو الذى ضربه فأوجبوا عليه القطع لكونه تعدى على الواجب وحرموا عليه أن يتقدم

سنة ٧٧ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأثنين ١٠ ابريل ٦٩٦م.

* تم فى هذه السنة توالى إنتصارات شبيب الخارجى ففيها هزم الجيش الثانى الذى ارسله الحجاج وقتل قائده عتاب، وهزم الثالث وقتل قائده الحارث ابن معاوية، والرابع وقتل قائده أبو الورد والخامس وقتل قائده طهمان، ثم جاءت هزيمة شبيب على يد الحجاج الذى توفى غريقاً فى نهر دجيل، كما ثار مطرف ابن شعبة وخلع عبدالملك من الخلافة فقاتله الحجاج حتى قتل.

* تم فى هذه السنة تعريب النقود الاسلامية منذ أن فسخ عبدالملك المعاهدة البيزنطية قبل أربع سنوات بعد ذلك استقلت العملة الاسلامية العربية عن التبعية البيزنطية مما أدى الى تجدد حروب الصوائف بين الدولتين وخلت العملة من دينار ودرهم من الصور ونقش على وجه منها (لا إله الله وحده لا شريك له) وعلى الوجه الآخر (محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) كما نقش على الوجه الأول (ضرب هذا الدينار سنة سبع وسبعين) واقتصر الضرب على دمشق والفسطاط.

* وفيها حاول أمية بن عبدالله عبور نهر بلخ لغزو الترك فحوصر وجهد هو وأصحابه ورجعوا الى مرو.

ضـربه، فـاوجـبـو عليـه القطع لكونه تعـدى حـد الواجب من ادبه فقطعوه، فوقف في وقت قطعهم اياه وكانو قالوا له ما انت في حل ان تدنو الى شي من [اعـمـال الكهنوت ولا تمس شـيـا] من الات الهيكل من الان بل تاخذ السراير كـراهب، فنادى وقـال للشـعـب: كـمـا قطعـتـمـونى ظلما الرب الاله الذى اعرف اسمه يجعل جميعكم يا اساقفه غربا عن كراسيكم الى تمام الزمان الذى حكمتم على فيـه. ثم أقـامو اخـر اسمـه مينا من دير ابى مـقـار

لوفع الاسـرار الربيـة بل يتناولهـا كـراهب. فلمـا سـمع الحكم وقف في وسطهم وقال «لقد قطعتمونى ظلمـا هكذا يجـعلكم الله غـرباء عن كـراسـيكـم الى تمام الزمـان الذى حكمتم به على».

سنة ٧٨ هجرية

استهل المحرم يوم الجمعة الموافق ٣٠ مارس ٦٩٧م.

* جمع عبدالملك المشرق كله للحجاج الذى ولى على خراسان نائبا عنه قائده المهلب بن أبى صفرة بعد أن قضى بنجاح على ثورة الأزارقة من الخوارج كما تولى على سجستان من قبله أبو عبيد بن أبى بكر.

* تولى موسى بن نصير امارة المغرب كله وسار حتى بلغ ميناء طنجة على المحيط فقدم على مقدمته قائده طارق بن زياد الصدفى فاتح الأندلس فيما بعد.

* بدأ الحجاج فـى تأسيس مدينة واسط أقامها في نحـو الوسط بين الكوفة والبصرة وكان يتناول الاقامة فى كل منهما خلال العام الواحد والمسافة بين الكوفة والبصرة نحو مائة فرسخ.

* لم تنقطع الحرب بين الروم والعرب، ففيها استولى محرز بن أبى محرز على مدينة أرقدة كما استعاد عبدالملك فتح هرقلة.

* وافقت هذه السنة الثورة على الامبراطور البيزنطى ليونتيوس الذى اغتصب عرش سلفه جستيان الثاني قبل ذلك بعامين فاسقطه القائد تيبريوس وتولى مكانه باسم الامبراطور تيبريوس الثالث.

عوضه وكان رجلا وجيها قوى الكلام محب الاخوه.

وبعد ايام قلايل تم كلام الاسقف القديس على الاساقفة المساعدين على قطعه وعلى كل الاساقفه، فنزل عليهم امر.

كان فى ذلك الزمان قوم يتشبهون بالامم وتخلو عن نساهم الحلال واخدو نسا غير الحلال(*) يظهرون محبتهم للشهوه وكانو يقولون انهم

(*) بدعة الطلاق : وجرى فى ايام البابا سيمون الـ ٤٢ ان قوما من الاقباط تركوا نساءهم واخذوا =

سنة ٧٩ هجرية

وافق مستهل المحرم يوم الأربعاء ٢٠ مارس ٦٩٨م.

* استولى العرب على مدينة قرطاجنة (بتونس) فقضوا بذلك على اخر معاقل الامبراطورية البيزنطية بافريقية.

* فيها غزا الوليد بن عبدالملك بن مروان ملطية فغنم وسبى ثم عاد إلى أبيه.

* وفيها قتل الخليفة عبدالملك الحرث بن عبدالرحمان بن سعد الدمشقى الذى أدعى النبوة،وكان أنضم إليه جماعة كبيرة.

* استولى الحجاج على البحرين واستعمل عليها محمد بن صعصعة وضم اليه عمان بعد القضاء على ثورة الخوارج ومقتل رأسهم قطرى بن الفجاءة الذى عثر به فرسه فاندق عنقه.

* استشرى الطاعون فى الشام حتى أفنى اكثر أهله لهذا لم يخرج للغزو تلك السنة احد فيما قيل.

* انفذ الحجاج امير المشرق عبيدالله بن أبى بكرة إلى زنبيل امير كابول التركى لأنه منع الخراج فاستدرجه زنبيل واخذ عليه الطريق واوقع به خسائر جسيمة ولم ينج الا بمشقة الأمر الذى عجل بوفاة ابن ابى بكرة كمدا.

نصارى فيردعونهم الاساقفه ويمنعونهم السراير المقدسه، فمضى منهم قوم الى الامير وقالو له: قد منعونا ان نتزوج واخرجونا الى ان نزنى. فغضب وارسل جمع الاساقفه من كراسهم الى مدينة اسكندريه، فاجتمع اربعه وستون اسقفا ولم يعلمو لما ذا حضرو ولا السبب فيه، وكانو فى كل جمعة يسلمون على الامير. وكانو اصحاب المقالات الغير اساقفه مجتمعين وهم تاوفيلسطس ا الملكانى ا من الخلقدونيه، وتادرس كان من اصحاب اوطاخى

= غيرهن فجعل الاساقفة يردعونهم عن هذا العمل فاغتاظوا منهم ومضوا الى الوالى وقالوا له ان الاساقفة منعونا عن الزواج واضطرونا الى ارتكاب فعل الزنا فغضب وجمع الاساقفة من كراسيهم الى مدينة الاسكندرية فاجتمع منهم ٦٤ اسقفا ولم يعلموا سبب حضورهم ولما علموا السبب اطلعوا الوالى على الحقيقة وبعد مناقشة فيما بينهم حكموا بقطع اولئك القوم ان لم يتركوا النساء الغريبات.

سنة ٨٠ هجرية

وافق الاول من المحرم يوم الاحد ٩ مارس ٦٩٩م.

* شهدت هذه السنة انهمار السيول التى اجتاحت بيوت مكة وبلغ المياه الركب وقيل كان السيل يجرف الابل وعليها الاحمال فسمى السيل الجارف او الجحاف.

* صلب عبدالملك سعيد الجهمى لإفكاره القدرية.

* تولى على اليمن محمد بن يوسف الثقفى اخو الحجاج.

* غزا عبدالواحد بن ابى الكنود جزيرة قبرص سار اليها بأسطول عدته من المصريين من الاسكندرية. وفى اقصى المشرق عبر المهلب بن ابى صفرة نهر بلخ إلى كش ومنها سار إلى بلاد الختل، وفيها تولى على سجستان عبدالرحمن بن الاشعث خلفا لابن أبى بكرة بعد وفاته.

سنة ٨١ هجرية

الأول من السنة وافق يوم الخميس ٢٦ فبراير ٧٠٠م.

* بدأ النزاع بين الحجاج وواليه على سجستان عبدالرحمن بن الاشعث بسبب سياسة المسالمة مع أمير كابل (الزنبيل) مما أحنق عليه الحجاج وتهدده فى الرسائل اليه.

* خلع ابن الاشعث الحجاج وانضم اليه جندا الكوفة والبصرة وبايعوه على جهاد الحجاج

الغايانيين، ومن اصحاب برسنوفه جرجه [جرجس البرسنوفي]، وجماعه اخر يسمون اساقفه، وكانو ايضا قد اجتمعو. فلما كان يوم احد وصلت اخبار الى الامير ان عسكر الروم قام على يوستنيانوس [جوستنيان] الملك وخلعوه وولو عوضه لاونتيوس(*)، فامر الملك للوقت ان يجتمع اراخنة كل كوره واهل اسكندريه والاساقفه والمسلمون ليعلمهم بهلاك [ملك] الروم. فاجتمع حينذ جمع

(*) قام ليونتيوس بجدع أنف جوستنيان ونفاه إلى شبه جزيرة القرم، ولكنه بعد عامين تقريباً قامت عليه ثورة بزعامة القائد تيبريوس الذى حكم الامبراطوريه باسم تيبريوس الثالث.

واخراجه من العراق وبالتالى خلعوا بيعة عبدالملك وتحرك جيش ابن الأشعث إلى البصرة ووقع اول صدام في ذى الحجة (يناير ٧٠١) على نهر دجيل وفيها انتصر ابن الأشعث.

* وقعت بين ابن الاشعث والحجاج أربعة وثمانون وقعة، في مائة يوم، كانت ثلاث وثمانون على الحجاج وواحدة له. كان مع ابن الاشعث ٣٣ ألف فارس ومائة وعشرون الف راجل.

* غزا عبدالله بن عبيد الله فاليقلا من أرض الروم، وفيها هجم الديلم على مدينة قزوين وتم خلاصها على يد محمد بن ابى سيرة ولم ينج من الديلم بعد حصارهم احد.

* في هذه السنة توفى ابن الحنفية وهو ابن الامام على من زوجته خيولة بنت جعفر نسب اليها ابنها الذى ولد حول عام ٢١ من الهجرة وتنسب اليه الطائفة الكيسانية التى تعتقد أنه لم يمت لأنه المهدى المنتظر بل اختفى في أحد شعاب جبل رضوى ليعود ويملأ الدنيا عدلا، وفيها قتل بحير بن ورقاء وكان قد اشترك في فتح بلاد ما وراء النهر مع المهلب، وكان مقتله اخذا بثأر بكير بن وساج.

سنة ٨٢ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الثلاثاء ١٥ فبراير ٧٠١م.

* شهدت السنة ذروة الحرب الأهلية بين ابن الأشعث ومعه جمهور اهل العراق والحجاج

عظيم قالو قد جرت عادة الروم فى كل وقت ان يخلع ملك ويجلس اخر.

ثم انه امر فى ذلك اليوم بان تمنع قداسات النصارى، وقالو: انهم ضالون يجعلون لله زوجه وولدا. ويقولون مقالات كثيرات في دينهم وشتم قلة اتفاقهم على كلام الدين.

ثم التفت الى تادرس الاسقف ريس الغايانيين وقال له: من هو من هولا[هؤلاء] التلته اساقفه

نائب عبدالملك ومن قواده سفيان بن ابرد الذى هزم ابن الاشعث عند الخريبة (المحرم ـ مارس ٧٠١) ثم جرت المعركة الحاسمة عند دير الجماجم (ربيع الاول) واضطر ابن الاشعث للتقهقر إلى سجستان والاحتماء بالزنبيل امير كابل الذى خلصه من الاسر.

* تولى على المدينة هشام بن اسماعيل المخزومى خلفا لأبان بن عثمان.

* غزا محمد بن مروان اخو الخليفة ارمينية وهزم اهلها وصالحهم على مال ولكن لم يلبثوا ان غدروا.

* وافق هذا التاريخ تولية البابا يوحنا الثانى.

سنة ٨٣ هجرية

الأول من المحرم وافق يوم السبت ٤ فبراير ٧٠٢م.

* انتقل ميدان القتال بين ابن الأشعث والامويين إلى سجستان وخراسان وتوالى افتراق اصحاب ابن الاشعث عنه.

* فى هذه السنة ولد بالمدينة الامام الحسن (الثانى) بن زيد بن الحسن ابن الامام على وهو ابو السيدة نفيسة المتوفاة بمصر، كما ولد بها فى نفس السنة عيسى بن على عم الخليفتين السفاح والمنصور.

اقرب اليك وتقبله نفسك؟ فقال: ابا سيمون. ثم التفت الى تاوفيلستس الاسقف صاحب الملكيه وقال له: من اقرب اليك وتوثر دينه؟ فقال: دين ابا سيمون. ثم قال لجرجس البرسنوفي: من اقرب اليك من هذه الاساقفه ومن تقبله نفسك؟ فقال: ديني ودين ابا سيمون واحد وهو الذى تحبه نفسي. التفت اخيرا الى الاب ابا سيمون منادى الحق وقال: من هو من هولا اقرب اليك وتحبه نفسك فاجاب وقال فى المجمع بصوت عال وقال: ما من

---

* توفي بمصر قاضيها عبدالرحمن ابن حجيرة الخولاني، وعمرو بن كريب وكان على جند مصر لعبدالعزيز ابن مروان. وتوفى فيها روح بن زنباع وهو الذى قدم الحجاج الثقفي الى الخليفة عبدالملك ـ وكان مشيره ـ فصار من امر الحجاج ما صار.

سنة ٨٤ هجرية

وافق الأول من السنة يوم الأربعاء ٢٤ يناير ٧٠٣م.

* تجددت الحملات والغزوات شمالاً وشرقاً بعد أن تم القضاء على ثورة ابن الأشعث: فى الشمال غزا محمد بن مروان أخو الخليفة ارمينية وأحرق كنائسها وقتل وخرب وغنم وسبى لنكث أهلها العهد وقتلهم واليها العربى، وفيها إفتتح عبدالله بن عبدالملك ابن الخليفة المصيصة من بلاد الروم وبنى حصنها وأسس مسجدها ولم يكن المسلمون سكنوها قبل ذلك، لذا سميت سنة الحريق.

* فى أقصى المشرق فتح يزيد بن المهلب، الذى خلف أباه على خراسان، قلعة نيزك من بلاد باذغيش، وفى أفريقية هزم حسان بن النعمان الكاهنة البربرية وبعد مقتلها أخلد البربر إلى الطاعة، ودون حسان الدواوين باللغة العربية، وجدد جامع القيروان.

* بعث الخليفة إلى أخيه عبدالعزيز أمير مصر الفقيه المحدث عامر الشعبى بشأن تحويل الخلافة إلى إبنه الوليد بن عبدالملك، كما بعث الشعبى سفيراً إلى إمبراطور الروم جستنيان.

احد يقرب الى ولا احب احدا منهم وانا أحرمهم بالكتاب والكلام ومقالتهم المرذوله وشركتهم ومن يساعدهم ومن يتقرب منهم، انا ارذلهم مثل اليهود. حينذ صاح الناس بصوت عظيم وقالو: ابا سيمون معترف بالحق بغير زلل. وغشى هولايك فضيحه.

وبعد ذلك وصل قس من اهل الهند(*) الى ابا سيمون يطلب منه ان يقسم له اسقفا للهند، ولم يكونو اهل الهند مطيعين للمسلمين، فقال له: ما

(*) أزمة البطرك سيمون مع الوالى عبد العزيز بسبب طلب احد الهنود تعيين أسقف لهم فى الهند.

---

* ولى عبدالعزيز بن مروان أمير مصر عياض بن غنم التجيبى فاتح أرمينية على الأسكندرية.

* توفى ابن الأشعب زعيم الثورة على الحجاج لاجئا عند الزنبيل ملك كابل.

سنة ٨٥ هجرية

وافق مستهل المحرم يوم الاثنين ١٤ يناير ٧٠٤م.

* تولى أمرة مصر عبدالله بن عبدالملك (الخليفة) بعد وفاة عمه عبدالعزيز ابن مروان وذلك بعد نحو خمسة أشهر من بداية هذه السنة.

* بنى محمد بن مروان مدينة أردبيل ومدينة برذعة بعد أن أعاد فتح أرمينية وولى عليها عبدالعزيز بن حاتم الطائى، وفى الأنضول تجددت الحرب مع الروم فى طوانة بالقرب من المصيصة.

* جهز عبدالله بن عبدالملك بن مروان يزيد بن حنين فى جيش عظيم لغزو الروم فقتل حوالى الف نفس من أهل أنطاكية.

* عزل يزيد بن المهلب عن إمرة خراسان وخلفه عليها أخوه الفضل الذى عزل بدوره وخلفه قتيبة بن مسلم، وفى حرب الترك قتل موسى بن عبدالله بن حازم وكان قد إستولى على ترمذ وما وراء النهر مدة ٥ سنين.

اقدر ان اقسم لكم اسقفا بغير امر الامير المتولى على كورة مصر، امض اليه واعلمه بحاجتك فان امرنى فعلت لك ما طلبته ومضيت مصحوبا بالسلامه الى بلادك. فخرج من عنده ليمضى الى الامير فاجتمع به قوم من الغايانيين ومضو به الى تادرس ريس اصحاب فنتاسياس [فانتسياستس] وعرفوه السبب الذى اوصله من كورته. فقال له: انا اقضى لك حاجتك. ثم اخد انسانا من مريوط اوسمه له اسقفا واوسم له كاهنين وانفدهم سرا

---

* توفى فى هذه السنة (١٣ جمادى الأولى) أمير مصر وأخو الخليفة عبدالعزيز بن مروان الذى دام حكمه عشرين سنة بانى مدينة حلوان، وهو أبو الخليفة عمر بن عبدالعزيز (وقيل كانت وفاته فى التاريخ نفسه من السنة التالية) وفيها تولى قاضى مصر مالك بن شراحبيل وكان قد شهد فتحها، وولى خراسان موسى بن خازم.

* توفى خالد بن يزيد حفيد معاوية وهو الذى تنازل عن حقه فى الخلافة على أثر وفاة أخيه معاوية الثانى فمن ثم إنتقلت الخلافة إلى البيت المروانى.

سنة ٨٦ هجرية

الأول من السنة وافق يوم الجمعة ٢ يناير ٧٠٥م.

* السنة الأولى من خلافة الوليد بن عبدالملك بدأت مع النصف من شوال وذلك خلفاً لأخيه عبدالملك بن مروان وبعهد منه.

* أمر عبدالله بن عبدالملك أمير مصر أن تنسخ دواوين مصر بالعربية وكانت تكتب بالقبطية.

* تولى إمارة مكة عمر بن عبدالعزيز (الخليفة بعد ذلك).

* أعاد قتيبة بن مسلم فتح بلاد خراسان فآتاه أهل الصاغان (اوزبكستان الحالية) بمفتاح

الى الهند. وبعد أن مشو عشرين يوما قبضوهم حفظه الطريق الذين من قبل المسلمين وانفذوهم الى الامير الكبير [الخليفه]، وكان اسمه عبدالملك فهرب القس الهندى وعاد الى مصر ومضو بالتلته الى عند عبدالملك مربوطين، فلما علم انهم من كورة مصر ومريوط وهم سايرون إلى كوره غريبه قطع ايديهم وارجلهم، وانفذهن الى مصر الى عبدالعزيز وكتب اليه يستعجزه ويقول له: كانك ما تعرف ما يجرى فى بلادك، ان بطرك النصارى

من ذهب وسلموا له بلادهم بالأمان، وإنقلب الحجاج على آل المهلب فعزل حبيب بن المهلب عن كرمان وحبس أخاه يزيد.

* غزا مسلمة بن عبدالملك ابن الخليفة بلاد الروم وافتتح حصنى بولق والأخرم.

* توفى فى ١٤ شوال من السنة الخليفة عبدالملك بن مروان وله من العمر ستون سنة وكان قد تولى بعهد من أبيه مروان ودامت خلافته أكثر من عشرين سنة قضى السنوات السبع الأولى منها فى حربة مع ابن الزبير الذى دعا لنفسه بالخلافة.

* إنتشر الطاعون فى مصر وسمى طاعون القينات (جمع قينه) لانه بدأ فى النساء المجلوبات بعد أن إكتسح البصرة وواسط والشام ومات فيه خلق كثير.

* وافق هذه السنة مقتل الامبراطور ليونتيوس على يد جستنيان الذى إستعاد القسطنطينية بمساعدة البلغار وكان المقتول قد سلبه عرشه ونفاه من بيزنطة، ويشار إليه فى المراجع العربية بإسم الاحرم بورى.

سنة ٨٧ هجرية

استهلت السنة بيوم الأربعاء الموافق ٢٣ ديسمبر ٧٠٥م.

* مرت ثلاثة شهور منذ أن تولى الخلافة الأموية الوليد بن عبدالملك.

المقيم باسكندريه قد انفذ اخبار مصر الى الهند ويجب عند وقوفك على هذه الكتب ان تضربه مايتي سوط وتاخد منه ماية الف دينار وتحملها الينا سرعه مع الرسل الواصلين اليك من غير تاخير. وكان البطرك ابا سيمون يومذ [يومئذ] بحلوان ومعه اسقف، فوصلت الكتب الى الامير من عند اخيه في ثاني ساعه من الليل. فانفد صقالبه واحضر القديس ابا سيمون وولديه الروحانيين كاتبيه، فقال له الامير: خف من الله واحفظ

---

* أضيفت إمارة المدينة إلى عمر بن عبدالعزيز (مع مكة) بعد عزل أميرها هشام بن إسماعيل فكان أول ما فعله أن أقام مجلساً للشورى يتألف من عشرة من فقهاء المدينة منهم عروة بن الزبير وخارجة بن زيد وسليمان بن يسار.

* غزا مسلمة أخو الخليفة بلاد الروم وافتتح قمقم ونواحي سيواسي.

* في أقصى المشرق دخل قتيبة بن مسلم بيكند من نواحي بخارى بعد حرب شديدة مع الترك من أهل التركستان وصالحوه ثم نقضوا الصلح فأعاد فتحها عنوة، وفي أقصى المغرب جرت محاولة بحرية لغزو جزيرة سردينية.

* شح النيل وعلت الأسعار واستشأم أهل مصر من ولاية عبدالله ابن عبدالملك.

سنة ٨٨ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأحد ١٢ ديسمبر ٧٠٦م.

* غزا مسلمة أخو الخليفة والعباس إبنه بلاد الروم وافتتحا سوسنة وطوانة وفي آسيا الوسطى غزا قتيبة ما وراء النهر وهزم الصغد وأهل فرغانة وكانوا مئتي ألف، واستخلف قتيبة أخاه بشارا على مرو.

* فيها شرع الخليفة الوليد بن عبدالملك بن مروان في بناء جامع دمشق الاموى، وكان نصف مساحته كنيسة.

نفسك ولا يخرج من فمك كذب فيما اسلك عنه. فاجاب البطرك: الاهى انا أخاف منه ونفسى انا مدبرها فى العمل لخلاصها بان تكون عاملة الصلاح فى كل حين، واما الكذب فليس اليوم فقط لكن جميع زمانى ارذله لانه من الشيطان عدو البشر، وانا مستعد للموت او للحياه فيما اعرفه من الصدق فانى اقوله امام الله وسلطانك. فخمد ناره وغضبه وقال له: حقا وليت احدا اسقفية الهند؟ فاجاب وقال له: وصل الى قس من

---

* وفد امير مصر عبدالله على أخيه الخليفة الوليد بعد أن استخلف عبدالرحمن بن عمر بن قحزم الخولانى، وأهل مصر فى شدة عظيمة وضيق عيش مخيف والخراج والجزية تثقل ظهورهم.

سنة ٨٩ هجرية

استهلت السنة بيوم الخميس الموافق الأول من ديسمبر ٧٠٧م.

* ولى موسى بن نصير مولاه طارق بن زياد على طنجة.

* جرت فى هذه السنة حملة بحرية قادها عبدالله ابن أمير أفريقية موسى بن نصير وسيرها إلى جزيرتى ميورقة ومنورقة (البليار)، وفتح أخوه هرون بن موسى بلاد السوس بالمغرب الأقصى.

* ولى الحجاج ابن أخيه محمد بن القاسم قيادة الحملة لاعادة فتح بلاد السند فسارت براً وبحراً واستولى على ميناء ديبل وهرب الملك البرهمى داهر شمالاً وواصل إبن القاسم مسيرته بعد أن بنى مسجداً بديبل إلى بيرون فدخلها صلحاً ثم جرت المعركة الفاصلة التى قتل فيها الملك البرهمى وتوالى الفتح ودخول أهل السند فى الاسلام حتى بلغ الملتان.

* غزا مسلمة أخو الخليفة بلاد الروم حتى بلغ عمورية.

هناك والتمس منى هذا الامر ورددته وقلت له ان لم تجينى بامر الامير فما اقدر ان افعل هذا، ثم كتبت له الى الكتاب ليطلعوك على امره وخرج من عندى لما كنت باسكندرية ولم يعد الى الان. فلما سمع الامير هذا القول ظن ان المغبوط خاف من القتل فاخفى الحق فقال له: الويل لك هو ذا ايدى وأرجل اصحابك قد انفذهن الملك الى وقد امر ايضا ان اخذ منك ماية الف دينار بعد أن اضربك خمس ماية سوط، وقد

سنة ٩٠ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الثلاثاء ٢٠ نوفمبر ٧٠٨م.

* بعث موسى بن نصير أمير أفريقية إلى الخليفة الوليد يستأذنه فى فتح بلاد الأندلس بعد أن أخذ العهد مع يوليان أمير سبتة القوطى على أن يزوده بالسفن والادلاء فأمره الوليد أن يبدأ بأن يخوضها بالسرايا حتى لا يغرر بالمسلمين.

* فر فى هذه السنة يزيد بن المهلب من سجن الحجاج وذهب إلى الرملة بفلسطين لاجئاً إلى أميرها سليمان بن عبدالملك أخو الخليفة.

* تولى إمارة مصر قرة بن شريك خلفا لعبدالله أخى الخليفة، فكان أول ما أمره به توسيع مسجد الفسطاط فقضى فى ذلك عدة سنين وفرض الجبايات الهائلة على المصريين.

* إستولى قتيبة بن مسلم على مدينة بخارى الهامة بعد هزيمة ملكها «وردان خداه» بالرغم من تحالف ملك الصغد طرخون معه، الذى لم يلبث أن صالح قتيبة على فدية يؤديها فرجع طرخون إلى بلاده.

اخفيت الحق وانا اهلك واقتل الاساقفه بالسيف وأهدم جميع البيع، والان فهذا أماني ان صدقتني وزنت [دفعت] عنك المال من عندى ولم ينلك مني سو فاعلمني الحق. وكان ذلك ليلا، حينذ اجاب القديس بغير خوف وقال له كرامه للملك ان يحب العدل وشفاه متقلبه دغلة تكون مرذوله، والان على ما ارى لو نزل صوت من السما يامرني بالاحادة عن الحق ما قلت سواه وانت فلا تصدقني لاجل مـا بيني وبينك من وصـول الكتب اليك

سنة ٩١ هجرية

استهل المحرم بيوم السبت الموافق ٩ نوفمبر ٧٠٩م.

* تولى مسلمه بن عبدالملك (أخو الخليفة) إمارة الجزيرة وأرمينية خلفاً لعمه محمد بن مروان، وفيها غزا بلاد القوقاز حتى بلغ الباب (دربند).

* تعددت فتوحات قتيبة بن مسلم في المشرق ففيها استولى على الفارياب فاستعمل عليها عامر بن مالك، كما فتحت شومان وكش ونسف، وتجدد القتال مع الصغد الذين عزلوا ملكهم طرخون وولوا غوزك لحرب عبدالرحمن بن قتيبة ولكنه فشل.

سنة ٩٢ هجرية

وافق يوم الأربعاء ٢٩ أكتوبر ٧١٠م.

* شهدت هذه السنة فتح الأندلس في أقصى الغرب على يد طارق بن زياد مولى موسى ابن نصير أمير افريقية وكان طارق عاملاً له على طنجة، وبدأ عبور طارق على رأس ١٢ ألف مقاتل (بعد إكتمال قواته) من ميناء سبتة في ٥ رجب (٢٧ أبريل ٧١١) وعلى الفور استولى على جزيرة الخضراء، ثم جرت المعركة الحاسمة عند شذونة في ٢٨ رمضان (١٧ يوليو) وفيها تشتت جيش الملك رذريق ومنها سار طارق شمالاً صوب طليطلة وفي طريقه استولى على ولاية

بقضية القوم المقطوعين الاعضا [ء] والناس الذين قطعت منهم، والان فهم والكتب التى معهم تشهد لى وتظهر الحق فان وجدت امامك نعمة فاكتب لينفذو الناس اليك لتعرف حقيقة الامر منهم ومن الكتب الصادره على ايديهم، ويقولو لك من انفذهم فان ظهر شى يخالف قولى افعل ما تريد. فاجاب الامير وقال له: كيف ياتون بقوم قد قطعت ايديهم وارجلهم الى هاهنا، اترى بطركا اخر للنصارى بمدينه اسكندريه غيرك؟ لماذا

مرسية (تدمير) وعلى عاصمتها أريولة صلحاً وانتهى الى طليطلة وأقام عليها حاكماً من أهلها، وفى الوقت نفسه انفذ عدة حملات جانبية فاستولى مغيث الرومى على قرطبة كما سقطت مايقة والبيرة.

* غزت حملة بحرية جزيرة سردانية (سردينيا).

* غزا أرض الروم بالأنضول أخو الخليفة مسلمة بن عبدالملك، بينما قصد قتيبة بن مسلم أرض سجستان وتمت المصالحة مع أميرها زنبيل كابول.

* وافق فتح العرب للأندلس حكم الامبراطور جستنيان الثانى بعد أن استعاد عرشه، وفى روما عاصر الفتح البابا قسطنطين الأول.

سنة ٩٣ هجرية

افتتحت السنة بيوم الاثنين الموافق ١٩ أكتوبر ٧١١م.

* عزل الخليفة الوليد بن عبدالملك ابن عمه عمر بن عبدالعزيز (الخليفة فيما بعد) عن مكة والمدينة وذلك بسبب إنكار عمر لما كان يرتكبه الحجاج من مظالم فى العراق، وولى على مكة خالد القسرى للمرة الثانية (الأولى عام ٨١) وعلى المدينة عثمان بن حيان.

* عبر موسى بن نصير البحر الى الأندلس واستخلف على إفريقية ابنه عبدالله وبدأ زحفه على شذونة ومنها الى أشبيلية.

تحاججنى. فاجاب القديس سيمون وقال له: قد ضقت فى كل جهه، الحق ما تقبله منى، وأنت تلزمنى ان اقول ما لم افعل لكن بموضع الله من قلبك امهلنى سبعة ايام وكلما جرى فانت تقف عليه على حقيقته. فقال له: لعلك تريد ان تهرب او تقتل نفسك، لكن هذا الراهب ايش هو منك؟ فقال له: هو ولدى فقال له الامير: انت تستوثق منه. فقال له: نعم هو مثل روحى. فقال له الامير: كما فعل اخى بالماخوذين السايرين الى الهند

---

* شهدت هذه السنة إستيلاء قتيبة بن مسلم على مدينة سمرقند بعد أن استسلمت له بخارى وخوارزم، وجعل من سمرقند عاصمة للدولة وقاعدة لفتوحاته التالية وأقام بها مسجداً خطب فيه بعد أن هدم بيوت النار ومعابد الأوثان وأجلى عنها كل وثنى.

* قتل جوستنيان الثانى بالقسطنطينية فى أواخر فبراير ٧١١م.

* غزا مسلمة بن عبدالملك (أخو الخليفة) بلاد الروم، كما غزاها العباس ابن الخليفة وفتح سميساط وطرسوس.

سنة ٩٤ هجرية

وافق مستهل السنة يوم الجمعة ٧ أكتوبر ٧١٢م.

* وقعت سلسلة من الهزات الأرضية بالشام استمرت أربعين يوماً.

* بينما كان طارق بن زياد يوالى زحفه شمالاً حتى خليج بسكاى كان موسى بن نصير يحاصر مدينة ماردة الحصينة التى لم تلبث أن استسلمت (رمضان ـ مايو ٧١٣) وتابع سيره شمالاً حيث التقى بمولاه طارق فى طليطلة عاصمة القوط ثم افترقا موسى الى جبال البرانس وطارق شرقاً.

* فى آسيا الوسطى أوغل قتيبة بن مسلم شرقا مستوليا على فرغانة بعد أن عبر نهر سيحون (سرداريا) حتى أتى خجندة فأخذها عنوة، وفى الهند أوقع محمد بن القاسم الهزيمة

كذلك افعل بك ان لم تصدقنى. فاجاب القديس وقال له: هو ذا نحن بين يديك مع الله فمهما اردت فافعل فالذى عندى قد قلته لك. فسكت الامير ساعه وقال: [دع ولدك هذا عندى و] انا امهلك تلته ايام فامض وانظر ما تفعل ولعل الله يعلمنى الحق. فخرج من عنده ودعا الله بخضوع ودموع وساله ان يظهر للامير براته مما ذكر عنه فى هذه القضيه. وعند مغيب الشمس فى اليوم التانى نظر ولده الراهب الروحانى الى شاطى البحر فراى

بالملك الهندوسى صصة بن داهر وكلاهما قتل فى المعارك، وفى الشمال غزا العباس ابن الخليفة أرض الروم واستولى على أنطاكية.

سنة ٩٥ هجرية

الأول من المحرم وافق يوم الثلاثاء ٢٦ سبتمبر ٧١٣م.

* فى شهر ذى الحجة من هذه السنة بدأ موسى بن نصير ومعه طارق بن زياد رحلة العودة الى المغرب ومنها الى دمشق إطاعة لأمير الخليفة الوليد بن عبدالملك، وخلف على إمارة الأندلس عبدالعزيز بن موسى بن نصير، وحمل موسى معه مالا يوصف من الأسلاب والغنائم وآلاف الأسرى.

* افتتح قتيبة بن مسلم الشاش (طشقند الحالية أو نواحيها عاصمة جمهورية أوزبكستان).

* غزا العباس بن الوليد أرض الروم وفتح مدينة هرقلة وقنسرين وأماسيا.

* تولى سليمان بن يزيد بن أبى مسلم على العراق (الكوفة والبصرة) خلفاً للحجاج.

* توفى فى هذه السنة (٢٥ رمضان) أمير المشرق الحجاج بن يوسف الثقفى عن نحو ٥٥ سنة منها ٢٠ سنة على العراق.

ذلك القس الراهب الاسود الهندى الذى كان قد جا اليه وساله ان يصلح له اسقفا ماشيا، ولم يكن يعلم بشى مما جرى لانه كان هاربا، فمضى اليه وقبضه ومضى به الى القديس البطرك وقال له: يا ابى قد قبل الله صلاتك ايها الاب وكشف ظلامتنا. واعلمه انه مسك القس الهندى فاحضره معه الى البطرك، فحدثته [الهندى] بالخبر وكيف اقسم له تادرس الغاياني اسقفا وكهنه. فلما كان غداة اليوم التالت مضى به الى الأمير وهو محتفظ به وكان

سنة ٩٦ هجرية

أهل المحرم يوم الأحد الموافق ١٦ سبتمبر ٧١٤م.

* تولى عرش الخلافة الأموية سليمان بن عبدالملك خلفاً لأخيه الوليد (١٥ جمادى الآخرة) وذلك بعهد من أبيهما عبدالملك بن مروان.

* تولى إمارة مصر عبدالملك بن رفاعة للمرة الأولى خلفاً لقرة بن شريك وكان على شرطته أخوه الوليد بن رفاعة، وتولى على مكة عبدالعزيز بن عبدالله بن خالد، وعلى المدينة أبو بكر بن محمد من قبل الخليفة سليمان، وتولى إمارة أفريقية محمد بن يزيد.

* فتح قتيبة بن مسلم مدينة كاشغر (التركستان الصينية) وبلغ حدود الصين الغربية، وبعث هبيرة بن مشمرج الكلابي على رأس وفد رسولاً منه الى ملك الصين، فرد عليه بالهدايا والجزية.

* توفي في هذه السنة (جمادى الآخرة) الخليفة الوليد بن عبدالملك وله من العمر ٤٨ سنة حكم منها نحو عشر سنين.

* في هذه السنة وبعد تولية سليمان بن عبدالملك قتل فاتح المشرق قتيبة بن مسلم اذ أعلن الخروج عن الطاعة كما أعلن خلع سليمان فوثب عليه وكيع بن أبي سود وقتله، وفيها توفي قرة بن شريك أمير مصر، وفيها قتل عبدالعزيز بن موسى بن نصير أمير الأندلس اتهمه مواطنوه بالتعالي والكبر وكان قد تزوج امرأة الملك رذريق القوطي بعد موته.

مهتما كيف خلصه ويخلص تا درس من الموت، فلما نظره الامير قال له: لعلك تقول الحق بغير كذب فاجابه القديس سيمون بعد ان سجد لله على وجهه قال: سلطان الناس من سلطان الله ويجب لمن تولى سلطانا في الدنيا ان يكون طويل الروح ممهلا مثل الله تعالى وفي الصفح، واريد ان تعطيني عهد الله لي ولمن حضر معي في هذه القضيه ان لا تفعل بهم سوا [سوءاً] ولكن تعفو عنهم لوجه الله ويظهر لسلطانك الحق. فاعطاه

سنة ٩٧ هجرية

وافق الأول من السنة يوم الخميس ٥ سبتمبر ٧١٥م.

* حج بالناس سليمان بن عبدالملك بعد خمسة أشهر من توليته الخلافة.

* تولى إمارة مكة طلحة بن داود الحضرمي ثم عبدالعزيز بن عبدالله، وتولى إمارة الأندلس إيوب بن حبيب اللخمي خلفاً لعبد العزيز بن موسى، وتولى يزيد ابن المهلب خراسان.

* تعددت الحملات وشن الغارات على أرض الروم فبينما استعد الخليفة بتجهيز جيش لحصار القسطنطينية، استعمل ابنه داود على الصائفة ففتح حصن المرأة، كما قاد حملة أخرى مسلمة بن عبدالملك، وغزا عمر بن هبيرة أرض الروم في البحر وشتى بها.

* توفي في هذه السنة على الأرجح أمير أفريقية موسى بن نصير، قيل بوادى القرى وهو في صحبة الخليفة حاجاً وذلك بعد مقتل ابنه بالأندلس، هذا وقد نشأ موسى في دمشق وغزا البحر لمعاوية ومنها قبرص ثم غزا افريقية وهو الذى انفذ مولاه طارق بن زياد الى الأندلس لفتحها، وتوفي عن نحو ٧٨ عاماً.

سنة ٩٨ هجرية

أهل المحرم يوم الثلاثاء الموافق ٢٥ أغسطس ٧١٦م.

* جرى في هذه السنة حصار القسطنطينية للمرة الثالثة بقيادة سلمة بن عبدالملك وكان

عـهـده انه لا يناله منه سـو، فـاحـضـر اليـه القس الهندى فاعلمه بكلما جرى وان سيمون برى من هذه القـضـيـه. فلمـا علم الامـيـر انفـذ الهندى الى السـجن وامـر ان يوخـد تادرس يصلب. وشكر القديس سيمون البطرك وفرح به وعرف صدقه وكتب الى عبدالملك اخيه يعلمه بما جرى وان ليس لبطرك النصـارى بمدينة اسكندريه في هذه القضيه شى وانه برى منها، ومدحه عنده وذكر له صلاحه وسداده وعفافه ووفى له بما عاهده عليه

أخوة الخليفة قد سار معه الى دابق (بجوار حلب) فلما عبر البحر وضرب الحصار على المدينة جاءه المدد برا وبحرا من مصر وبالرغم من وفاة الخليفة واصل مسلمة الحصار الا أنه فشل فى النهاية بسبب خديعة وقع فيها على يد ليو (أليون) الذى أنقذ المدينة فولاه الروم إمبراطوراً.

* غزا يزيد بن المطلب أمير خراسان الجديد طبرستان فصالحه أهلها على الجزية وأعاد فتح جرجان بعد أن نكثوا العهد وقتلوا عامله عليها.

* فى هذه السنة أخذ الخليفة العهد لابنه أيوب بن سليمان ولكنه لم يلبث أن توفى فى السنة نفسها.

* تولى إمارة الأندلس الحر بن عبدالرحمن الثقفى، وتولى على اليمن سليمان ابن عروة.

سنة ٩٩ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم السبت ١٤ أغسطس ٧١٧م.

* تولى الخلافة عمر بن عبدالعزيز (١٠ صفر) خلفاً لابن عمه سليمان ابن عبدالملك وبعهد منه وهو الثانى من بنى أمية وخامس الخلفاء الراشدين عند بعضهم.

* تولى على مصر أيوب بن شرحبيل من قبل الخليفة الجديد خلفاً لعبدالله بن عبدالملك بن

انه يهب له تادرس والقس الهندى وعلم ان ليس عنده غش. وبعد تلت سنين اطلق الاساقفه الى كراسيهم وامر لهم ان ينو بيعتين فى حلوان. وكانو الاساقفه ينفقون من عندهم على عمارتهما ووكل الوالى بعمارتهما اغريغوريس اسقف القيس. وكان الامير محبا للعمارة وبنى حلوان واعمر بها فساقى، وكذلك مصر(*) بنى فيها دورا وقياسر وحمامات، وفى كل مكان على البحر [النيل] من مصر الى اسكندريه. وامر بحفر بحر(*) اسكندرية

(*) مصر: يقصد بها هنا الفسطاط

(*) بحر اسكندرية: يقصد هنا الترعة الحلوة من النيل لإسكندرية.

رفاعة، وفيها تولى على الكوفة عبدالحميد بن عبدالرحمن حفيد زيد بن الخطاب، وعلى البصرة عدى بن ارطأة الفزارى، وعلى خراسان الجراح الحكمى.

* عاد مسلمة بن عبدالملك من حصار القسطنطينية بعد أن أمده الخليفة بالخيل والطعام.

* عبر الحر بن عبدالرحمن أمير الأندلس جبال البرانس الى أرض فرنسا وأعاد فتح مدن قرقشونة وأربونة وبزييه وتابع زحفه حتى ضفاف نهر الجارون.

* فى العاشر من صفر على الأرجح (وقيل بقرية دابق) توفى بمدينة الرملة بفلسطين الخليفة سليمان بن عبدالملك بعد حكم لم يدم سوى سنتين وخمسة أشهر وذلك عن ٤٥ سنة وخلفه ابن عمه عمر بن عبدالعزيز بعهد منه.

* ممن توفى فى هذه السنة: أبو الأسود الدؤلى بالبصرة بعد أن فلج عن ٩٩ عاماً.

* وافقت هذه السنة تولية الامبراطور البيزنطى ليو الثالث خلفاً لتيودوسوس الثالث وهو الذى خدع ابن عبدالملك فى حصار القسطنطينية.

سنة ١٠٠ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأربعاء ٣ أغسطس ٧١٨م.

اكتمل بهذه السنة القرن الأول الهجرى، وخليفة المسلمين عمر بن عبدالعزيز الثامن من

من بحريها عند ترعة نقيطا وان تبنى عليه اميال إلى مدينه اسكندرية، وكذلك المدينه أقام شوارعها بعد أن سقطو. وكان يستعمل الناس مثل فرعون في زمانه. واشيا كثيره فعلها تضيق السيره عن شرحها خوفا من التطويل. وكان هذا القديس سيمون مجتهدا طول عمره ان لا يكون له عثره بين النصارى والمسلمين ولا يخسر احد من اجله: وكان الرب يظهر عجايبه على يديه. وكان له اقنوم قد ولاه الديكونيه وهو قس وتحت يده كلما

خلفاء بنى أمية، ومعاصره ليو الثالث البيزنطي، والصراع المسلح لم ينقطع بين الدولتين على الحدود المشتركة، وفى هذه السنة أمر الخليفة إخلاء مدينة طرندة والعودة الى ملطية لأنها أكثر أماناً وذلك خوفاً على المسلمين من الروم ثم أخرب طرندة بعد إخلائها.

* اعلن شوذب زعيم الخوارج الحرورية الثورة في العراق فأرسل الخليفة الى واليه على العراق أن يدعو شوذب للمناظرة وألا يستخدم القوة إلا اذا نزع الى سفك الدماء.

القرن الثانى الهجرى

سنة ١٠١ هجرية

وافق غرة القرن الثانى الهجرى يوم الاثنين ٢ من يوليو عام ٧١٩ ميلادية وسنة ٤٣٥ قبطية.

* شهد مولد القرن الثاني الهجرى في دمشق الخليفة الأموى عمر بن عبدالعزيز، ومن الولاة في المدينة ومكة عبدالرحمن بن الضحاك الفهرى، وفى مصر بشر بن صفوان، وفى الكوفة عبدالحميد بن عبدالرحمن نائب يزيد المهلبى، وفى البصرة عدى بن أرطاة، وفى المشرق ابن هبيرة، وفى خراسان نائبه سعيد خدينة، وفى الهند عمرو بن مسلم، وفى الأندلس عنبسة الخولانى.

* توفي الخليفة عمر بن عبدالعزيز (٢٠ رجب) بدير سمعان من نواحى قنسرين وله من

للبيعة وكان يوصيه في كل وقت ويقول له: يا قس مينا انظر لا تفرط بالبيعة في كتاب ولا شيء لها تدعه في منزلك فينزل عليك البلا [وان لا يخفى شي من آنيه البيعه]. فلم يطب قلبه بهذا، وكان الرب لم يعطه ولدا كما ضرب ابكار مصر في ذلك الزمان [القديم]، وكان يضمر التوبه ولا يرتدع، ثم ان الله انزل عليه سرعه عله التصق لسانه بحنكه وزال عقله، وكان يمضغ لسانه وهو

العمر اربعون سنة بعد حكم دام سنتين وخمس أشهر، وهو الذى ظل قبره مصاناً استثناء لما جرى عليه العباسيون بعد ذلك من نبش قبور بني أمية.

* تولى الخلافة الأموية يزيد الثاني بن عبدالملك خلفاً لعمر بن عبدالعزيز (٢٠ رجب) وهكذا رجعت الخلافة لأبناء عبد الملك حسب اشتراط سليمان قبل موته.

* ضمت إمارة مكة الى عبدالرحمن بن الضحاك الفهرى أمير المدينة.

* عبر أمير الأندلس عنبسة الخولاني جبال البرانس واستولى على مدينة أربونة (ناربون) وجعلها نقطة ارتكاز لغزوات العرب في جنوب فرنسا.

* جرت معركة باب الأبواب ين الجراح الحكمي والترك وعليهم الخاقان الذى هزم.

* توفي أمير مصر أيوب بن شرحبيل تولاها ثلاث سنوات. وفي اوائل ابريل ٧٢٠ توفى ايوب فتولى مصر بشر ابن صفوان من قبل يزيد.

* قتل في هذه السنة شوذب (بسطام اليشكرى) الثائر وأحد مشاهير الخوارج على بني أمية على يد سعيد الحرشي قائد مسلمة بن عبدالملك.

* عاصر بداية القرن الهجرى الثاني حكم الامبراطور البيزنطي ليو الثالث في القسطنطينية، وحكم شارل مارتل ملك الفرنجة في فرنسا، والبابا جريجورى الثاني في روما.

نايم على فراشه، و[كان] تلته رجال يمسكونه مما كان يفعله بنفسه [وقت صرعه] فحملوه الى بيته، وكان الاب سيمون البطرك مهموما لاجله ولاجل مال البيعه لانه تحت يده ولا يعرفه غيره. فسهر وسال السيد يسوع المسيح ان يقيمه من هذه العله لاجل البيعه. فلما كان النصف من الليل وصل الخبر الى الاب بطريرك بان القس مينا قد قارب الموت، فانفد ولدا له وتقدم اليه بان يسال زوجته

سنة ١٠٢ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الجمعة ١٢ يوليو ٧٢٠م.

* بايع الخليفة يزيد الثاني لأخيه هشام بن عبدالملك ولياً لعهده ومن بعده لولده يزيد.

* توالى غزو بلاد الروم فدخلها ابن هبيرة من أرمينية وفتح عباس بن الوليد مدينة دلسة.

* تقدم السمح الخولانى أمير الأندلس فى أرض فرنسا الى تولوز بعد أن استولى على أربونة ولكنه استشهد أمامها، وينسب للسمح بناء قنطرة قرطبة.

* جرت معركة بين يزيد بن المهلب وكان قد غلب على البصرة (١٤ صفر) ومسلمة بن عبدالملك قائد الخليفة وفيها قتل المهلبى.

* تولى إمارة الأندلس بعد استشهاد السمح الخولانى وللمرة الأولى عبدالرحمن الغافقى صاحب موقعة بلاط الشهداء بعد ذلك ودامت إمارته هذه ثلاثة أشهر.

* توفى طارق بن زياد فاتح الأندلس عن اثنين وخمسين عاماً بعد عودته الى المشرق مع موسى بن نصير، وكان والياً على طنجة حين عبر البحر عام ٩٢ هـ.

ان كان قال لها شيا عن مال الكنيسه. ومن قبل ان يصل رسول البطرك الى البيت خرج صوت صارخ بان القس قد مات. ولما توفى البسوه ثياب الكهنه واضجعوه على مرقده كعادة اهل اسكندرية وهو لابس ثياب قداسه. فلما وصل ولد البطرك الى البيت الذى كان فيه مضطجعا وحوله جمع كتير من الكهنه [و] لاجل كهنوته وطقسه انحنى عليه الاخ ليقبله فوثب جالسا وعلق يديه

سنة ١٠٣ هجرية

فى هلال المحرم يوم الثلاثاء الأول من يوليو ٧٢١م.

* خرج حنظلة بن صفوان الى الاسكندرية واستخلف على مصر عقبة بن مسلم التجيبى. ولم يلبث أن ورده كتاب من الخليفة يزيد بن عبدالملك يأمره بكسر الأصنام والتماثيل فعمل جهده لتنفيذ هذا الأمر حيث كانت العبادات المصرية الفرعونية ما زالت قائمة.

* عزل عمر بن هبيرة أمير المشرق ابن خدينة عن خراسان وولاها سعيداً الحرشى.

* فى الأندلس تولى عنبسة بن سحيم الامارة خلفاً لأميرها المؤقت عبدالرحمن الغافقى.

* ارتحل أهل الصغد بالتركستان عن بلادهم بعد تولية سعيد الحرشى خوفا منه بسبب تحالفهم مع الترك ولجأوا الى إقليم فرغانة.

* غزا الصائفة عثمان بن حبان ودخل أرض الروم وانتهى الى قيصرة.

سنة ١٠٤ هجرية

استهلت السنة بيوم الأحد ٢١ يونية عام ٧٢٢م.

* ولد فى هذه السنة بالشراة أبو العباس السفاح (ربيع الآخر) أول الخلفاء العباسيين، أبوه محمد بن على حفيد العباس وأمه الحارثية.

في رقبته وقال: الله الواحد إلاه الاب الطوباني أنبا سيمون. فلما نظروه الجموع الذين حوله هربو خوفا من ذلك الاخ الذى مسكه، فقال له: ثق وتقو وتصبر يا قس مينا فاجاب وقال له: بصلوات سيدى الاب البطرك ابا سيمون وهب الله لى الحياه دفعه اخرى. فاستدعى الاخ الكهنه وبقية من كان في البلد وعرفهم ان القس مينا تكلم، فقال لهم القس مينا وهم مبهوتون متعجبون: انى مت مثل كل الناس الذين يموتون ومضى بى رجلان منيران

---

* توالت المعارك في آسيا الوسطى بين سعيد الحرشي والصغد وانتهت بهزيمتهم واصطفاء ذراريهم وأموالهم.

* في إقليم القوقاز ظفر الخزر بالمسلمين وقد أعانهم القفجاق وغيرهم من الترك فكر عليهم المسلمون بقيادة الجراح الحكمي.

* عزل ابن الضحاك عن مكة والمدينة وتولى عليهما عبدالواحد النصرى.

* شهدت الأندلس مقتل بلج القشيرى الذى استولى على البلاد قسراً من واليها الشرعي عبدالملك بن قطن فلم تدم إمارته سوى احد عشر شهراً.

سنة ١٠٥ هجرية

افتتحت السنة بيوم الخميس ١٠ يونية عام ٧٢٣م.

* توفى الخليفة يزيد بن عبدالملك بواد الأردن (٢٥ شعبان) وله من العمر ثلاث وأربعون سنة وكانت خلافته أربع سنين وشهراً، أمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية وكان قد تولى خلفاً لابن عمه عمر بن عبدالعزيز.

* تولى الخلافة الأموية بدمشق هشام بن عبدالملك خلفاً لأخيه يزيد المتوفى (٢٦ شعبان) عن أربع وأربعين سنة.

فاقاما بى قدام منبر المسيح الملك العظيم الكبير فنظرت الابا البطاركه من الأب اسحق الاول إلى البشير مارى مرقس فى طقوسهم ووبخونى قايلين: لماذا اخفيت مال البيعه وكلما لها عن خليفتنا أبا سيمون. ثم أوقفت أمام المسيح الملك فقال أمضو به إلى الظلمه البرانيه وفيما هم يجذبونى سجدو القديسون البطاركه إلى السيد المسيح قايلن بسؤال تراف [تراءف] على ولدنا هذا العبد ان تطلقه هذه الدفعه لأنه لم يظهر مال البيعه وهذا أخونا

---

* هشام بن عبدالملك يعزل عمر بن هبيرة عن إمارة المشرق وولاها خالد القسرى فحبسه هذا فى سجن واسط إلا أنه هرب من سرداب حفره غلمانه وسار الى دمشق.

* تولى امرة مصر محمد بن عبدالملك أخو الخليفة وكانت مصر تعانى أهوال الطاعون حتى أن محمد هرب إلى الصعيد ثم لم يلبث أن استعفى فأعفى.

* ولى هشام بعد انصراف أخيه عن مصر ـ الحر بن يوسف أميرا على الصلاة فقط وولى عبيد الله الحبحاب على الخراج. ولا تزال الأوزان الزجاجية لدراهم ودنانير الحبحاب وما كان عليها من كتابة باقية حتى الآن.

ثورة لاقباط مصر،

وفى عهد الحر بن يوسف، وبسبب سياسة عبدالله بن الحبحاب المالية قام أهل مصر من الأقباط على ما يروى الكندى بثورة على زيادة خراج الأرض، فقد كتب ابن الحبحاب للخليفة هشام يقترح زيادة خراج الأرض قيراطا على كل دينار فانتفضت بعض كور مصر (كورة تنو [تنيس؟]، وتمى، وقربيط، وطرابية) وعامة الحوف الشرقى، فبعث اليهم الحر بن يوسف بأهل الدواوين (أى الجند من العرب) فاخضعوا الفتنة بعد قتل عدد كبير من الثائرين.

* بدأت دعوة بن العباس السرية ببلاد السند وفارس على يد بكير بن ماهان.

سيمون يدعو بسببه. فأمر باعداتي دفعه اخرى، وقال لي: هكذا تموت وتستحق الموت ولكن لأجل مصطفاى وخليفتي سيمون أنا أطلقك هذه الدفعه وإذا أنت لم تتمسك بالتوبه ولم تشفق على نفسك والا فانت تعود إلى هاهنا ولا أقبل فيك سؤال. ثم قام ونهض وقد عوفي ثم اخرج جميع مال البيعه وسلمه للأب القديس أبا سيمون وسلمه الأب البطرك إلى ولده الروحاني، ومكث

سنة ١٠٦ هجرية

وافق هلال المحرم من هذا العام يوم الاثنين ٢٩ مايو ٧٢٤م.

* تابع مسلمة بن سعيد مسيرته لغزو اقليم فرغانة (بين التركستان والصين) بالرغم من تفرق كثير من جنده حتى جاوز جخندة ودخل أرض المغل ولم يلبث أن عزل اسد القسرى أخى أمير العراق خالد القسرى.

* ولد الأديب المنشىء عبدالله بن المقفع ومؤلف كليلة ودمنة والأدب الصغير والكبير، وكان ابن المقفع مجوسياً وأسلم على يد عيسى بن على عم السفاح وقد أتهم باختلاس اموال بيت المال فضرب على يديه حتى تفقعت ومن هنا أتى اسمه «المقفع».

وقد سعى عبدالله بن الحبحاب عامل الخراج لكى يمكن لنفسه فى مصر، فكتب الى هشام يطلب منه تهجير بعض قبائل قيس الى مصر، فأجابه هشام الى طلبه، فوفد الى مصر أربعمائة عائلة من بطون قيس المختلفة فنزلت بالحوف الشرقى حول مدينة بلبيس ثم توافدت جموع أخرى منهم بلغ عددها ألف وخمسمائة عائلة.

وسرعان ما سوف تتحول هذه الأسر الوافدة الى بذرة خلاف وفتنة فلا تكاد تمضى فترة من الزمان، حتى يكون للقيسيين من أهل الحوف الشرقى ملحمة من النهب والسلب أو خلق الفتن والاضطراب.

إلى حين نياحته بخوف الله. ومجد جميع الشعب الله صانع العجايب فى قديسيه على هذه الأعجوبه العظيمه. ثم أن الأب البطريرك أبا سيمون اختار قوما روحانيين مضيين [مضيئين] فى أفعالهم متبحرين فى الكتب والحكمه والعلوم فاوسمهم أساقفه على كل مكان، وأول [ولى] أولاده أنبا زخارياس أسقف مدينة سخا، وأبا طلموس الأخ الروحانى أخوه فى الرهبنه جعله أسقفا على كرسى منوف العليا، وكثير لا أتذكرهم، هولا

سنة ١٠٧ هجرية

وافق هلال المحرم يوم السبت ١٩ مايو عام ٧٢٥م.

* لم تنقطع الغزوات فى أنحاء الدولة الاسلامية من قلب أسيا شرقاً إلى الأندلس غرباً، ففي هذه السنة غزا مسلمة بن عبدالملك قيسارية وأخذها بالسيف، وغزا اسد القسرى أمير خراسان الجديد بلاد الغور من جبال هراة فهرب أهلها فاستولى على رحالهم، وفيها استعمل القسرى الجنيد بن عبدالرحمن على بلاد السند وغزا بلاد الكرج، وفيها غزا معاوية ابن الخليفة هشام جزيرة قبرص.

* انتشر الطاعون ببلاد الشام فهرب أهلها إلى البوادى.

* ثار عباد الرعينى باليمن وهو من الخوارج المحكمة فقضى على ثورته والى اليمن يوسف بن عمز.

* فى الأندلس، غزا عنبسة الكلبى أمير الأندلس بلاد فرنسا وحاصر مدينة قرقشونة (كركاسون الحالية) بعد أن عبر نهر الرون وأطلق ما فى المدينة من أسرى المسلمين وألزم أهلها باحكام الجزية، وفى طريق العودة أصيب فى بعض المعارك فمات من سنته، وكانت ولايته سنة وأربعة أشهر.

* أسلم نمرون ملك الغرشستان (اسيا الوسطى) على يد اسد القسرى.

أوســـمـــهـم وفــرقــهـم عـــلى الكراسى يرعــون
الخــراف الناطقه.

وأقام تسع سنين ونصفا بطركا ثم اعتل فى يوم الخمسين(*) علم أنه وجع نياحه فقال لولده نمضى إلى الوادى المقـدس وادى هبيب آخـذ بركـة الأبا القـديسين والرهبـان فاننى مـا أرجع أشـاهدهم بعـد هذه الدفعـه في الجـسـد، فـانحـدر من حلوان لأنه كـان قد توجه إليها من اسكندريه بسبب الأسـاقفه حتى فرقهم فى الكراسى، وانحدر إلى وادى هبيب

(*) احتفال يقام يوم الاحد السابع بعد صعود المسيح.

سنة ١٠٨ هجرية

افتتحت السنة بيوم الأربعاء الموافق ٨ مايو ٧٢٦م.

* كـان على امارة مـصر فى أول هذه السنة الحر بن يوسف وعلى بقيـة العام حفص بن الوليد وهو حضرمي ولكن لم تطل ولايته سوى عدة أسابيع.

* وقع الخلاف بين الحر بن يوسف وبين عبيدالله بن الحبحاب، لتزايد سلطانه وغلبته على شئون البلاد، ولكن هشام بن عبدالملك انحاز الى جانب عبدالله بن الحبحاب وعزل الحر بن يوسف، وولى على صلاة مصر بدلا عنه حفص بن الوليد. وكـان حفص بن الوليد هو القائم على شرطة مصـر: كما ولى مـصر باستخلاف الحر بن يوسف. على أن الخلاف سرعـان ما نشب بين حفص بن الوليد وبين عبدالله بن الحبحاب فعزل هشام بن عبدالملك حفص بن الوليد.

* عبر أسد القسرى نهر جيحون لغزو بلاد الختل (على حدود الصين) فـانهزموا وحوى المسلمون عسكرهم وأسروا وسبوا وغنموا.

* وقع حريق بناحية مرج دابق فى شمال سورية فاحترق المرعى والدواب والرجال كـما فشى الطاعون بالشام منذ العام الماضى.

* فـشـل دعـاة بنى العبـاس الذين أرسلهم بكيـر بن مـاهان الى خـراسـان بعـد أن انكشف أمرهم.

وأخذ بركة الأبا القديسين الرهبان وتوجه إلى اسكندرية فانتقل باحكام الله الغير مدروكه إلى كورة الأحيا فى الرابع والعشرين من أبيب الموافق للتامن عشر من يوليوس في شهور الروم سنة أربع مايه وست عشره لديقلاديانوس الملك الكافر قاتل الشهدا. وخلى الكرسى بعده تلته سنين وشهورا، صلاته تكون معنا آمين] وتقدم لاولاده أن يجعلو جسده في دير الزجاج موضعا جعل فيه جسد أبيه يوحنا، واجتمع رهبان الديارات بهاناطون حتى

---

* تولى على الموصل الحر بن يوسف أمير مصر السابق بعد أن استعفى هشاماً فاعفاه وعنى في الموصل بالبناء والتعمير وهو باني القصر الذى عرف بالمنقوشة لأنه كان منقوشاً بخشب الساج والرخام والفصوص الملونة ودامت امارته نحو ست سنوات.

سنة ١٠٩ هجرية

استهل المحرم بيوم الاثنين الموافق ٢٨ أبريل ٧٢٧م.

* مضت أربع سنوات على خلافة هشام بن عبدالملك.

* تولى امرة مصر الاخوان: عبدالملك بن رفاعة للمرة الثانية دخلها في أول المحرم مريضاً فتوفي بها بعد خمسة عشر يوماً، وخلفه أخوه الوليد بن رفاعة فامتدت أيامه.

* ولى الوليد بن رفاعة الصلاة، وجعل على شرطته عبدالله بن أبى سمير الفهمى، وكان على خراج مصر عبيدالله بن الحبحاب صاحب النفوذ الكبير فسعى الوليد ابن رفاعة عند الخليفة هشام على ما يقول تغرى بردى فأخرجه هشام من مصر واستعمله على افريقيا. ومن هنا طالت امارة الوليد بن رفاعة على مصر، على خلاف كل من سبقه من الامراء.

* توالت الغزوات والفتوح شرقاً وغرباً، ففى هذه السنة غزا معاوية ابن الخليفة هشام أرض الروم وفتح حصناً يقال له طينه، وغزا مسلمة الترك من ناحية أذربيجان، وغزا عبدالله بن عقبة

كـملو عليـه الـصلوات، ونزل جـســده إلى قـبـره بتمجيد وتهليل السيد المسيح الذى ينبغى له المجد والكرامـة مع الأب والروح القـدس المحيى إلى الابد والدهر امين.

تمـــت(*) السيره السادسه عشره وأنتهت سير الآبا رزقنا الله بركة صلواتهم إلى سيرة أنبا سيمون وهو التـانى والأربعون بطركـا، سوى مـا نقلناه من دير ابى مقار وهى سير عشرة بطاركه من خايال(*)

(*) أتم هذه السير ميخايل ابن بدير الدمنهورى وبقيره الشماس.

(*) خـايال الثـالث هو البطرك من ٨٨١ إلى ٩١٣م.

فى البحر، وفيها غزا بشر بن صفوان عامل افريقية جزيرة صقلية فغنم شيئاً كثيراً ورجع الى القيروان، وفيها غزا اسد القسرى فى أقصى الشرق فهزم خاقان وافتتح غورين.

* عزل الخليفة هشام الأخوين خالد القسرى وكان على العراق واسد القسرى وكان على خراسان وولى على المشرق كله الحكم بن عوانة فولى أشرس بن عبدالله على خراسان فكان أول من استعمل الربط (جمع رباط) بها واستقضى محمد ابن يزيد.

* تولى إمارة البصرة وقضاءها بلال ابن أبى بردة وهو حفيد أبى موسى الأشعرى ولزم منصبه نحو ستة عشرة سنة حتى عزله يوسف الثقفى وحبسه فمات سجيناً.

سنة ١١٠ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الجمعة ١٦ أبريل ٧٢٨م.

* تولى امارة افريقية عبيدة السلمى خلفاً لبشر بن صفوان.

* بعث أشرس بن عبدالله أمير خراسان الجديد أبا الصيداء (صالح ابن طريف) الى أهل الصغد لدعوة أهلها الى الإسلام فيكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، فأسلم كثيرون وبنوا المساجد فلما تنكر اشرس لوعوده ولم يسقط الجزية عنهم انضم أبو الصيداء الى المسلمين الجدد دفاعاً عن حقهم فى المساواة.

الأخير إلى سانوتيوس الأول، سوى ما نقلناه هاهنا تسعة بطاركه، وذلك فى سنة سبع مايه وست وتسعين للشهدا من بقيره الشماس ومن ميخايل ابن بدير الدمنهورى(*) بفضل الله بوجودنا السير فى دير ابى مقار بالأخ تادرس الأمين ابن بولس فى يوم الأحد سادس بؤونة سنة سبع مايه سبع وتسعين للشهدا الأبرار، وقابلنا بعضها مع بعض فوجدناها موافقه لما نسخناه فتحققنا صحتها.

(*) بقيره الشماس وميخايل ابن بدير هما نساخ السير السابقة.

---

* غزا في هذه السنة مسلمة بن عبدالملك بلاد الخزر وكانت معركة استمرت شهراً، وفيها غزا معاوية بن هشام أرض الروم ففتح سماله، وفيها كان على الغزو فى البحر عبدالرحمن بن حديج، وفى هذه الحروب قتل الحجاج النضرى بخراسان وصخر بن مسلم، و ثابت قطنة على أبواب آمل وأصيبت عينه فى معارك خراسان فوضع عليها قطنة فعرف بها.

* ولد فى هذه السنة بمصر القارىء عثماين بن سعيد الذى اشتهر بلقبه ورش ومن ثم عرفت به أشهر مدرسة في القراءات.

* ممن توفوا فى هذه السنة، الحسن البصرى الذى لقب حبر الأمة وإمام أهل البصرة عن ٨٩ عاماً وكان قد نشأ بالمدينة في كنف الامام علي، وفيها توفيت السيدة فاطمة بنت الامام الحسين وكانت مع أبيها فى يوم كربلاء، وفيها توفيت أم الهذيل الفقيهة القارئة عن سبعين سنة.

* شهد العام وفاة اثنين من مشاهير شعراء العصر هما: جرير بن عطية الخطفى توفى باليمامة عن ٨٢ سنة، وقرينه الفرزدق وله احدى وستون سنة والذى قيل عنه لولا شعره لذهب ثلث لغة العرب، وتوفى من الشعراء سعد بن ناشب كان من الشعراء الفتاك، وتوفى مغنى المدينة فى أيامه أبو مسعود الهذلي وكان حجاراً ينقر البرم، وفيها توفى محمد بن سيرين المحدث.

الواجب أن نذكر ما قد كان من بعدوفاة الأب الجليل الكريم الطوباني الراعى الصالح أبا سيمون الذى سمع من السيد يسوع المسيح القول: أيها العبد الأمين أمينا كنت على القليل انا أقيمك على الكثير أدخل إلى فرح سيدك. فاعلمو الأمير عبدالعزيز والكتاب بمصر فلحقهم عليه وجع قلب وحزن لأن جميع النصارى فقدو راعيهم فى

سنة ١١١ هجرية

استهل العام بيوم الثلاثاء الموافق ١٥ أبريل ٧٢٩م.

* عزل الخليفة هشام أخاه مسلمة عن أرمينية واعاد اليها الجراح الحكمى الذى افتتح المدينة البيضاء أو نساتك القديمة وكانت للخزر، وفيها غزا سعيد ابن الخليفة هشام الصائفة حتى بلغ قيسارية من أرض الروم وغزا أخوه معاوية ووغل فى أرض الروم.

* تولى الجنيد بن عبدالرحمن المرى إمارة خراسان خلفاً لأشرس الذى عزل بسبب موقفه من مسلمى الصغد مما أثار الفتنة فى الاقليم وفتح باباً ذهبت فيه الأموال والأرواح من سوء تدبيره.

* تولى إمرة الأندلس الهيثم الكنانى خلفاً لعثمان بن ابى نسعة من قبل والى افريقية عبيدة ابن عبدالرحمن وكان توالى الولاة من أسباب الفتن فى الأندلس.

سنة ١١٢ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأحد ٢٦ مارس ٧٣٠م.

* تولى إمارة الأندلس للمرة الثانية عبدالرحمن الغافقى من قبل الخليفة هشام وذلك بعد استشهاد أميرها الهيثم الكنانى صاحب الفتوحات فى جنوب فرنسا والتى شملت الاستيلاء

وقت صـعب وبلايا من الولاه. ولم يزل الســيد المسيح يدبر البيعه. وكان اتناسيوس المومن متولى الديوان وكـان مـراعـيـا لأمـر البـيع. ثم أنه هو والكتاب تقدمو إلى الأمير براى موفق وقالو له: أن أمر البيعه باسكندريه يلزمها خراجا عظيما ونحن نسألك أن تنفد اغريغوريس الأسقف إلى اسكندريه ليحتاط على مال البيعه وكلما يتعلق بها، فالله يمد في عمرك أيها الأمير. فأجابه عبدالعزيز إلى ما سأله وانفـذ اغـريغـوريس أسـقف القـيس إلى اسكنـدرية

على مدن ليون وشالون ومانسون واوتون بعد عبور نهر الساؤون، وكان أهل الأندلس قد استعملوا عليهم حمد بن عبدالملك الأشجعى لحين تولية الأمير الجديد.

* تجددت الحرب بين الجراح الحكمى والخزر فى القوقاز فزحف من برذعة إلى أردبيل ليرد ملكها عنها وفيها انكسر المسلمون واستشهد الجراح وغلبت الخزر على اذربيجان وتولى سعيد الحرشى حرب الخزر بعده وفتح بلنجر وانتقم لمقتل الجراح واطلق السبايا والأسرى.

سنة ١١٣ هجرية

وافق أول السنة يوم الخميس ١٥ مارس ٧٣١م.

* عاد الجنيد بن عبدالرحمن أمير خراسان الى قتال الترك بعد مقتل سورة ابن الحر أمير سمرقند وأوقع الهزيمة بهم ودخل سمرقند.

* أخذ أمير الأندلس الجديد عبدالرحمن الغافقى فى إعداد العدة لغزو فرنسا بجيش كبير إنتقاماً لمصرع سلفه الهيثم الكنانى.

* غزا المستنير بن الحارث جزيرة صقلية غير أن سفنه غرقت فى العودة ونجا بنفسه فعاقبه والى افريقية بالحبس والجلد.

* ولد بدمشق عبدالرحمن بن معاوية ابن الخليفة هشام بن عبدالملك، وهو الذى عرف بعد

وجعل له الأمر فى مال البيع وابسقوبية البطرك وتدبيره برأيه، فكتب له بذلك سجلا واخذه وسار. وكانو مهتمين بمن يقدمونه بطركا موافقا لغرضهم ممن يعرف بالحكمة والعلم، فاقامو تلت سنين هكذا إلى ان اراد الرب وطاب قلب الولاه على ذلك بعد سؤال عظيم. وبارادة الله السيد يسوع المسيح العارف بمن يختاره من الطاهرين المتقين النقيين القلوب، قدمو القس الأكسندروس من دير الزجاج[باسكندرية]، وكان راهبا بتولا وديعا لم

ذلك بلقبه صقر قريش، مات أبوه فى طفولته فتربى فى بيت الخلافة وأفلت من مطارديه العباسيين بالهرب الى المغرب والعبور الى الأندلس واقامة دولة الخلافة الأموية بها.

* ولد بالكوفة قاضى القضاة أبو يوسف (يعقوب بن ابراهيم) صاحب الامام أبى حنيفة ومؤلف كتاب الخراج.

* فشلت محاولة لبنى العباس لنشر دعوتهم فى خراسان اذ أخذ أميرها الجنيد ابن عبدالرحمن دعاتهم ومثل بهم.

سنة ١١٤ هجرية

استهل العام بيوم الاثنين الموافق ٣ مارس ٧٣٢م.

* ولى الخليفة هشام بن عبدالملك ابن عمه مروان بن محمد (آخر الأمويين) إمارة الجزيرة وجمع له أذربيجان وأرمينية خلفاً لأخيه مسلمة، وسيره على رأس جيش ضم ١٢٠ ألفاً لغزو بلاد الخزر (القوقاز) من جهات مختلفة فتم له ما أراد صلحاً، وفيها غزا الجنيد بلاد الصغانيان (أوزبكستان الحالية).

* تولى إمارة افريقية والمغرب والأندلس عبيدالله بن الحبحاب وكان صاحب خراج مصر طويلا، وذلك خلفاً لأبى عبيدة السلمى الذى دامت ولايته أكثر من أربع سنين واستعفى الخليفة فأعفاه.

يكن فيه عيب، عالما بالكتب [المقدسة] من صغره.

واحضروه إلى الأمير فنظر النعمة فى وجهه فاطلق لهم بارادة الله ان يقدمو الأكسندروس.

الأكسندروس [الكسندر الثانى] البطرك
وهو من العدد الثالث والأربعون

[٧٠٥(*)/ ٧٣٠م]

(*) فى نفس هذا العام عاد جستيان الثانى واستولى على الحكم بمساعدة البلغار.

فاتفق الشعب الارتدكسى بحضور جماعه من الأساقفه والكهنه وكتاب الديوان فكرزو الأب

---

* جرت فى هذه السنة المعركة الفاصلة بين العرب وأوروبا المسيحية على نهر اللوار بفرنسا وهى التى تعرف باسم بلاط الشهداء أو بواتييه أو تور، بدأت مع بداية العام بمسيرة عبدالرحمن الغافقى أمير الأندلس مخترقاً جبال البرانس الى فرنسا ومستولياً على آرل على نهر الرون ثم عبر الجارون مستولياً على بوردو ثم ليون وبيزانسون ثم ارتد الى اللوار حيث جرت المعركة مع القوات المسيحية المتحالفة بقيادة شارل مارتل (٢٦ شعبان) وفيها هزم الجيش العربى قتل قائده عبدالرحمن الغافقى.

* تولى إمارة الأندلس عبدالملك بن قطن لاستعادة هيبة الخلافة بعد هزيمة عبدالرحمن الغافقى.

سنة ١١٥ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم السبت ٢١ فبراير ٧٣٣م.

* انطلق أمير الأندلس الجديد عبدالملك بن قطن على رأس جيش شاخصاً إلى الاقاليم الشمالية التى انتشرت فيها قلاقل الأسبان فقضى على محاولات الثوار فى إقليم ارغون وعبر جبال البرانس إلى بسقونية ومنها الى مقاطعة لانجدوك واكوتين الفرنسية وعاث فيها منتقماً من هزيمة بلاط الشهداء.

الأكسندروس بطركا في يوم عيد القديس مارى مرقس الذى هو اخر برمودة سنة اربع مايه وعشرين لديقلاديانوس. ونال كورة مصر مسره عظيمه وخاصة الأرتدكسيين لكون البيعه كانت معطلة تلت سنين وكانو فيها كاليتامى. وكان الرب مع الأب الأكسندروس يسهل جميع أموره لتواضعه وعفته واتكاله على الرب وحده مدبره، فلما مضت أيام يسيره وهو مستريح أثار الشيطان شعثا على الأساقفة مما نذكره.

---

* استشرى الطاعون ببلاد الشام وامتد الى العراق، وعاصر الوباء وقوع قحط شديد بخراسان وأصاب أهلها المجاعة وامتد القحط والمجاعة الى بلاد الهند.

* خرج بخراسان الحارث بن سريح على هشام بسبب الضرائب التى فرضها على الموالى من الفرس.

* توفي الأمير أبو حفص عمرو ابن الخليفة مروان بن الحكم وزينب المخزومية، تولى امرة مصر مرتين.

سنة ١١٦ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأربعاء ١٠ فبراير ٧٣٤م.

* لم تطل إمارة عبدالملك بن قطن على الأندلس بعد انتصاراته فى فرنسا بسبب سخط زعماء الأندلس عليه لصرامته وشدة بطشه فعزله ابن الحبحاب أمير افريقية بعقبة بن الحجاج.

* تزوج الجنيد أمير خراسان فاضلة بنت المهلب بن ابى صفرة مما أغضب الخليفة على الجنيد فعزله وولى على خراسان عاصم الهلالى ولم يلبث أن توفى الجنيد فى عامه.

* بعث عبدالله بن الحبحاب اميرافريقية وصاحب خراج مصرسابقاً جيشاً إلى بلاد السودان، فغنموا وسبوا.

كان لعبد العزيز ملك مصر ولد (اكبر اولاده) يسمى الأصبغ وكان يظن انه يجلس عوض أبيه إذا توفى فولاه على جميع الكوره واليا ومستخرجا وكان جميع القسوس سامعين له بخوف لأجل انه ولد الأمير، ولما دفع له من السلطان، وكان مبغضا للنصارى سفاك الدما رجل سو كالسبع الضارى. ثم انطوى إليه شماس أسمه بنيامين فكان يعمر له وكان يحبه اكثر من جماعة أصحابه ويظهر له

---

* في اول جماد الثاني = ٢٨ يونيو ٧٣٥م توفي الوليد بن رفاعة في الفسطاط بعد أن حكم مصر تسع سنين فتولى مكانه عبدالرحمن بن خالد الفهمي.

* امتدت ثورة ابن سريح بعد أن انضم اليه بعض العرب بخراسان فاستولى على بلخ والجوزجان والطالقان حتى بلغ مرو وهناك هزمه أسد القسرى وانسحب ابن سريح الى ما وراء النهر واختفى اسمه فترة بينما أخذ أسد عدة من أصحابه ومثل بهم.

* بعث عبدالله بن الحبحاب أمير افريقية جيشاً إلى بلاد السودان للغزو والفتح.

سنة ١١٧ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الاثنين ٣١ يناير ٧٣٥م.

* تولى إمارة مصر (جمادى الآخرة) عبدالرحمن بن خالد بن مسافر خلفاً للوليد بن رفاعة المتوفى وكان عبدالرحمن من قبل على شرطتها وصلاتها.

* اكتشف أمر بعض دعاة العباسيين بخراسان فقتل البعض وحبس البعض.

* غزا معاوية ابن الخليفة ومروان بن محمد بلاد الروم دخلها الأول من الجزيرة وسار الثاني صوب الانضول، وافتتح مروان ثلاثة حصون وأسر كورمانشاه وبعث به الى الخليفة فمن عليه وأعاده الى مملكته.

اسرار النصارى بسعايته، حتى انه فسر له الأنجيل بالعربى وكتب الكيميا وكان يبحث عن الكتب لتقرى عليه وكذلك الأرطستيكات كان يقراها لينظر هل يشتمون فيها المسلمون ام لا. ولم يكن يتخلى عن سو يعمله مع النصارى. وكان أصحاب النار المخالفون يسعون عنده بالرهبان النصارى ويقولون انهم ياكلون ويشربون ا ولا يعملون ا. فانفذ صاحبا له اسمه يزيد ممن يامن إليه ومعه اخر

---

* وصل القائد الأندلسى عبدالرحمن بن علقمة اللخمي في غزوة فرنسا الى مجرى الرون فى أقصى الشرق مستوليا على ارل ثم على مدينة أفنيون بعد محالفته أمير بروفانس الفرنسى.

سنة ١١٨ هجرية

استهل العام بيوم الجمعة ٢٠ يناير ٧٣٦م.

* انفذ الامبراطور ليو الثالث حملة على سواحل مصر فنزلت بها وخربت وسلبت فغضب هشام وعزل أمير مصر عبدالرحمن بن مسافر بعد سبعة أشهر من ولايته وذلك فى الاول من محرم = ٢٠ يناير سنة ٧٣٦م، وأعاد حنظلة بن صفوان.

* دخل مروان بن محمد أمير أرمينية ورتنيس من بلاد الروم فهرب ملكها إلى القوقاز.

* قتل فى هذه السنة الجعد بن درهم متهماً بالزندقة، كان مؤدب مروان بن محمد آخر الأمويين لهذا عرف بمروان الجعدى، لقى حتفه على يد خالد القسرى والى العراق.

* توفى في معتقله بالحميمة عن ٧٨ عاماً جد العباسين ابو محمد على بن عبدالله الملقب بالسجاد اتهمه هشام بن عبدالملك بالدعوة لبنى هاشم.

* نشطت الدعوة العباسية فى المشرق بالرغم من فشل محاولاتها وتولاها فى مرو عمار بن يزيد نائباً عن بكير بن ماهان وتسمى خداشاً للتعمية كما تظاهر بالدعوة للخرمية وكان فى الأصل نصرانياً بالكوفة وأسلم ولحق بخراسان فبلغ خبره أسدا فظفر به وقطع لسانه.

فاحصى[*] جميع الرهبان فى كل الكور ووادى هبيب جبل جراد وساير الأماكن، وجعل عليهم جزيه دينارا واحدا على كل نسمه وامرهم ان لا يرهبو احدا بعد من احصاه. وهذه اول جزيه وزنوها الرهبان من الكافر الأصبغ. ثم ان اساقفة الكور الزمهم ان يقومو بالفى دينار خارج وساياهم وكانو يقومون بذلك فى كل سنه، وكان يفعل افعالا عظيمه ويلزم الناس ان يصلو صلاته. وكان

(*) ترد بدل كلمة أحصى فى أحد المخطوطات كلمة أخصى وهو فى الغالب خطأ من النساخ.

سنة ١١٩ هجرية

أهلت السنة بيوم الثلاثاء ٨ يناير ٧٣٧م.

* دخل حنظلة بن صفوان مصر (٥ المحرم) وزاد من ارهاق أهلها فانتقض عليه القبط فحاربهم حتى هزمهم وقتل منهم أعداد كبيرة بعد أن سلب ونهب.

* توالى تقدم قوات عرب الأندلس فى فرنسا بقيادة عبدالرحمن اللخمى ولكن قوات شارل مارتل نجحت فى استعادة أفنيون وانزال الهزيمة بالحملة البحرية التى أرسلت نجدة لعبد الرحمن ومع ذلك قاومت حامية أربونة حتى اضطر الأفرنج لرفع الحصار عنها.

* وفيها خرج المغيرة بن سعيد بالكوفة، فلما بلغ خبره خالد بن عبدالله القسرى جئ به، وأمر خالد بالنار والنفط والقاه فيها مقيداً فأحرقه هو ومن كان معه.

* استمرت الحروب والغزوات فى الشرق والشام ففى هذه السنة هزم أسد القسرى ملك فرغانة الخاقان وقتله، وفى الشمال دخل مروان بن محمد بلاد الخزر (القوقاز) حتى بلغ مشارف الفولجا.

* ممن خرج فى هذه السنة بهلول الشيبانى من الموصل وهزم جيش الشام وبلغ الكوفة فسار يريد الشام ولكنه صرع فى الطريق، وفيها خرج الصحارى ابن شبيب بناحية الجبل فقتل على يد خالد القسرى، كما ظفر خالد أمير العراق بالدعى الدجال المغيرة بن سعيد التى عرفت باسمه طائفة المغيرية من المجسمة فقتله وصلبه وشتت أتباعه.

بنيامين الشماس الراهب أشر على النصارى من كل احد ويهيجه على كل بلا[ء]، واضطر جماعة إلى ان اسلمو ومن جملتهم بطرس والي الصعيد واخوه تاودرا وولد تاوفانس مقدم مريوط، وجماعه كهنه وعلمانيين لا يحصون من كثرتهم، فلم يمهله الرب يسوع المسيح وفى زمن يسير ازعجه من مسكنه لبغضه للشعب المسيحى. وذلك انه لما كان يوم سبت النور دخل [الاصبغ] إلى دير حلوان نظر إلى الصور مزينة كما يجب، وكانت

سنة ١٢٠ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأحد ٢٩ ديسمبر ٧٣٧م.

* ولى الخليفة هشام إمارة المشرق كله يوسف بن عمر الثقفى بعد أن عزل خالد القسرى وموت أخيه أسد فى خراسان واتهم خالد الذى دامت امارته ١٥ سنة بأنه كان يمالىء أهل الذمة، وفى خراسان تولى نصر بن سيار خلفاً لأسد.

* استأنف عقبة بن الحجاج أمير الأندلس غزو فرنسا واسترداد ما انتزعه منه شارل مارتل وعقد حلفاً مع الدون مورنتوس فبعد أن عبر جبال البرانس اخترق اقليم سبتمانيا وعبر نهر الرون استرد مدينة أرل للمرة الثالثة ثم استعاد مدينة أفنيون فرد الأفرنج بتسيير ثلاثة جيوش متحالفة اضطرت عقبة الى اخلاء اقليم بروفانس واغلب اقليم سبتمانيا ولم يبق فى يد المسلمين سوى أربونة والشريط الساحلى.

* أوفد محمد بن على شيخ العباسيين بكير بن ماهان الى خراسان لتزعم الدعوة العباسية بنفسه وبث النقباء فى الانحاء.

سنة ١٢١ هجرية

وافق هلال العام يوم الخميس ١٨ ديسمبر ٧٣٨م.

* بدأ نصر بن سيار أمير خراسان الجديد عهده بأن رفع الجزية عن

صورة السيده الطاهره مرتمريم والسيد المسيح فى حضنها، فلما نظر إليها وتأملها قال للأساقفه وجماعه معه: من هذه الصوره؟. فقالو: هذه مريم ام المسيح. فافترى عليها وملا فمه بصاقا وبصق فى وجهها وقال: ان وجدت زمانا فانا امحق النصارى من هذه الكوره، ومن هو المسيح حتى تعبدوه إلها. ولما كان [الاصبغ] فى تلك الليلة أنزل الله عليه انتقاما، فاصبح جا [ء] إلى أبيه فوجده جالسا وعنده جماعة من المسلمين ومن

الصغد وغيرهم من الترك الذين دخلوا فى الاسلام لاقرار المساواة فى الحقوق والواجبات مع العرب.

* دعا الامام زيد بن على الذى ينسب اليه المذهب الزيدى وسادس الأئمة الاثنى عشرية عند الشيعة الى العودة الى الكتاب والسنة وجهاد الظالمين قاصداً بنى أمية ثم انه أمر أصحابه فى اليمن بالخروج فشخص الى الكوفة ولكن تفرق عنه كثير من أنصاره.

* انسحب الأمير عقبة بن الحجاج أمير الأندلس الى قرطبة بعد غزوته الأخيرة فى أرض فرنسا بعد أن شق طريقه بعناد عبر جبال البرانس التى حاول البسكونيون والقوط سد ممراتها فى وجهه.

* اسر عاصم بن عمير قائد جند سمرقند ملك الترك كورصول وأتى به إلى أميره نصر بن سيار فأمر به فقتل فشق بعد ذلك على رعيته حتى انهم قطعوا اذانهم وأذناب خيولهم ومنها سار إلى فرغانة.

سنة ١٢٢ هجرية

أهل المحرم يوم الاثنين ٧ ديسمبر ٧٣٩م.

* ثارت الصفرية بافريقية والمغرب فخرج لقتالهم أميرها عبيدالله ابن الحبحاب واستظهر

النصارى وكان يوم احد الفصح المقدس، فجلس وقال لوالده: يا مولاى أن الشياطين عذبتنى فى هذه الليله. فقال أبوه: كيف يا ولدى؟ فقال: نظرت وكان واحدا جالسا على كرسى عظيم مخوفا مهابا جدا ووجهه يشرق نورا اكثر من شعاع الشمس، وحوله الوف وربوات حاملين السلاح ولباسهم أبيض كالثلج، وانا وانت خلفه قياما مربوطين بسلاسل حديد، فسألت واحدا بصوت خفى، من هذا الذى اخذ ملك ارض مصر

عليهم ثم أنفذ اليهم جيشاً ثانياً عليه أبو الأصم خالد فقتل فى حربهم واستفحل أمرهم حتى بعد مقتل زعيمهم عبدالواحد.

* غزا حبيب الفهرى جزيرة صقلية واستولى على سرقسطة أكبر مدنها فهابه أهلها وارتضوا دفع الجزية.

* انتزع عبدالله بن قطن امارة الأندلس من عقبة بن الحجاج وهى ولايته الثانية، وفيها لقى عقبة حتفه بقرمونة وكانت ولايته نحو ست سنوات، وفى عهده فتحت اربونة وبنبلونة من أرض فرنسا.

* استشهد فى هذه السنة الامام زيد بن على زين العابدين فى الرابعة والأربعين من العمر بنواحى الكوفة وكان قد خرج إليها مع انصاره من المدينة معلناً أنه أحق بالخلافة من هشام فخذلته جماعته وقتل أثناء المحاربة فدفنه اصحابه وخفوا مكان قبره ولكن الخليفة أمر بالكشف عنه حتى عثر على جثته واحتز راسه ثم صلب جثمانه وبعد ذلك احرق وذر رماده فى نهر دجلة. وزيد مؤلف كتاب المجموع فى الفقه وسادس الأئمة الاثنى عشرية.

سنة ١٢٣ هجرية

الأول من المحرم وافق يوم السبت ٢٦ نوفمبر ٧٤٠م.

* تفاقم أمر الصفرية فى شمال أفريقية وعلى رأسهم أبو يوسف الأزدى الذى أوقع الهزيمة

من أبى؟ فقال لى: ما عرفت هذا إلى الآن؟ فقلت له فى المنام، من هو هذا؟ فـأجـاب وقـال: هذا يسوع المسيح ملك النصارى الذى هو أجل وأعلى من جـمـيـع ملوك الأرض، هذا الذى هزأت به وبصـقت فى وجهـه أوراك ضـعـفك فى المنام أنت البـايس وأباك، واوراك مـجـده وجلاله. وفيـمـا هو يقول لى هذا واذ قد جا واحد من حاملى السلاح وأنا عـريان فطعننى بحـربه فى جنبى ولم يقلعـهـا حـتى اسلمت روحى إليهم وهـم الشـيـاطين الذين

بجيش الخليفة وعلى رأسه والى أفريقية الجديد كلثوم بن عياض الذى قتل فى المعركة وفر ابن أخيه بلج القشيرى إلى الأندلس.

* عقد نصر بن سيار أمير خراسان الصلح مع الصغد ومنحهم شروطاً أنكرها عليه أمراء خراسان ثم غزا نصر بلاد فرغانة للمرة الثانية.

* غزا جيش من الروم مدينة ملطية فأنفذ اليها هشام جيشاً أزاحهم عنها.

سنة ١٢٤ هجرية

استهلت السنة بيوم الأربعاء ١٥ نوفمبر ٧٤١م.

* نشط منذ هذه السنة أبو مسلم الخراسانى فى الدعوة للعباسين بخراسان بعد أن وجهه اليها ابراهيم الامام.

* ولى الخليفة هشام إمارة مصر لحفص ابن الوليد للمرة الثانية بعد أن ولى حنظلة امرة افريقية بعد مقتل كلثوم وتعاظم أمر الخوارج من الصفرية.

* انتقلت الفتنة بين البربر والعرب من شمـال افـريقـيـة الى الأندلس التى لجأ اليـهـا بلج القـشـيـرى بعد هزيمته ومـقـتل عـمـه كلثوم، فلم يلبث أن وثب على أميـر الأندلس الشيخ عبدالملك بن قطن وقتله وتولى امارة الأندلس.

سـحـرونى. فلمـا سـمع والده حـزن جـدا، وحم الصـبى للوقت بحـمى عظيـمـه وحـمل لوقـتـه واضجعوه على فراشه ولم يفتح فاه بعد ذلك.

ولا اكل ولا شرب، فلما كان الساعه التانيه من الليل مـات ودفن ولـم يقـدر أحـد ان يسلى والده عنه، وبعـد أربعين يومـا مـات أبوه كـمـا رأى ولده الكافر المنام.

فلمـا جرى ذلك مضى اتناسيـوس المؤمن المحب

---

* قتل بلج القشيرى فى معركة بغرب قرطبة بعد ان ثار عليه ابنا ابن قطن وأنصارهما، وتولى الامارة ثعلبة العاملى (شوال).

سنة ١٢٥ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأحد ٤ نوفمبر ٧٤٢م.

* توفى هذه السنة (٦ ربيع الثانى) الخليفة الأموى هشام بن عبدالملك ببلدة الرصافة أو رصافة هشام التى كان قد بناها على مشارف بادية الشام وله من العمر أربع وخمسون سنة، ومدة خلافته تسع عشرة سنة ونحواً من عشرة أشهر، وكان مرضه الذبحة.

* بويع بالخلافة الوليد بن يزيد بن عبدالملك فى يوم وفاة عمه هشام ابن عبدالملك وله من العمر سبع وثلاثون سنة.

* تولى إمارة الأندلس أبو الخطار (حسام الكلبى) من قبل والى افريقية حنظلة بن صفوان خلفاً لثعلبة بن سلامة الذى لم يدم حكمه سوى عشرة أشهر فعمل على تفريق أهل الشام على مختلف مدن الأندلس تمزيقاً لعصبتهم.

* وجه الخليفة الجديد خاله يوسف بن محـمد الثقفى والياً على المدينة ومكة والطائف، وولى على قضاءها يحيى بن سعيد الأنصارى.

للمسيح هو واولاده إلى الأمير الكبير عبدالملك إلى دمشق، فقبض على اتناسيوس هناك وحاسبه فأخذ منه كلما كسبه بمصر باخلاف عملها له، ثم انفذ ولدا له اسمه عبدالله(*) يحتاط على كورة مصر، فلما وصل إلى كورة مصر فعل أيضا أفعال سو. وكان جميع الاراخنه خايفين منه لفعله الذى حسنه له الشيطان، وصنع آلات يعذب بهن الناس. وكان كالوحش الضارى حتى أنه فى أكثر أوقاته إذا جلس على المايده [المائدة] يقتلون الناس قدامه

(*) عبدالله ابن عبدالملك: تولى مصر على صلاتها وخراجها فى عهد أبيه الخليفة عبدالملك ابن مروان. وذلك بعد وفاة عبد العزيز بن مروان فى الفسطاط فى ١٣ ابريل ٧٠٥م = ١٣ جماد أول ٨٦هـ.
انظر الهامش السفلى ص ٣٢٨.

سنة ١٢٦ هجرية

استهل المحرم بيوم الجمعة ٢٥ أكتوبر ٧٤٣م.

* خرج يزيد بن الوليد بن عبدالملك المعروف بالناقص على ابن عمه الخليفة الوليد بن يزيد لما انتهك من الحرمات وبويع بالمزة وكان الوليد بتدمر.

* قتل الخليفة الوليد بن يزيد ببعض نواحى دمشق فى قتال جيش ابن عمه الوليد (جمادى الاخرة)، وكانت خلافته سنة وثلاثة أشهر.

* تولى الخلافة الأموية يزيد بن الوليد بعد مقتل الوليد بن يزيد (٢٧ جمادى الاخرة) ولكن لم يلبث أن توفى فى ٧ ذى الحجة من هذه السنة نفسها لهذا لقب بالناقص وله من العمر ست وثلاثون سنة، وبويع أخوه ابراهيم بن الوليد بيعة مترددة.

* تولى إمارة مكة والمدينة عبدالعزيز ابن الخليفة عمر بن عبدالعزيز خلفاً ليوسف بن محمد الثقفى (خال الخليفة الوليد وابن أخى الحجاج) ولم تدم إمارته سوى عام واحد.

* ولى الخليفة الجديد منصور بن جمهور المشرق كله (العراق وخراسان) إلا أن نصر بن سيار أمير خراسان إمتنع عليه فعزل الخليفة منصوراً واستعمل على العراق عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز.

* استولى المهير بن سلمى على اليمامة بعد إزاحة الوالى الأموى ولكن لم يلبث أن توفى.

وربما طار دمهم فى الصحن الذى يأكل منه فيفرح بذلك.

وفى تلك الأيام خرج الطوبانى الأكسندروس وسار إلى مصر ليسلم عليه كالعادة من البطاركة والولاة، فلما نظر إليه قال: ايش هو هذا؟ قالو له هذا اب وبطرك جميع النصارى. فأخذه وسلمه لواحد من حجابه وقال له: أفعل ما تريه من الهوان إلى أن يقوم بتلته آلاف دينار. فأخذه وأقام

سنة ١٢٧ هجرية

وافق مستهل السنة يوم الثلاثاء ١٣ أكتوبر ٧٤٤م.

* سار مروان بن محمد من أرمينية الى الشام وخلع ابراهيم بن يزيد فهرب ابراهيم من دمشق فدعا مروان لنفسه (١٤ صفر) واختفى ابراهيم فترة ثم ظفر به مروان وقتله.

* بايع الخليفة الجديد مروان ابن محمد لولديه عبيدالله وعبدالله بالعهد من بعده وزوجهما بإبنتى هشام بن عبدالملك.

* انتشر الطاعون في الشام وكان يسمى بطاعون غراب.

* ثارت الفتنة بين المضرية واليمانية بالشام بسبب الخلاف بين مروان وابراهيم ابن يزيد وانصرفت اليمانية عن مروان ومالوا إلى دعاة الدولة العباسية.

* اشتعلت الثورات على مروان في نواحي مختلفة، ففي الكوفة ظهر عبدالله بن معاوية (جد أمراء الأندلس الأمويين) ودعا لنفسه، وفيها خلع سليمان ابن الخليفة هشام بيعة مروان وحاربه، وفيها خرج الضحاك الشيباني الحروري مما زاد من عدد الثائرين على مروان، وفى أقصى المشرق تحركت شيعة بني العباس تحت زعامة أبى سلمة حفص بن سليمان (الوزير فيما بعد) بعد موت كبيرهم بكير ابن ماهان.

* تولى إمارة مصر للمرة الثالث حفص بن الوليد.

عنده تلته أيام والنصارى مواصلون المسأله له أن يحط شيا مما قاله فلم يفعل، كان جميع من فى الكور تحت قلق عظيم لذلك، ووقع خوف عظيم على الأساقفه والرهبان لأجل ما جعله على البطرك من المال. فلما نظر ذلك جرجه الشماس التمراوى أنه ما يفرج عن البطرك إلا بعد أن ياخذ المال تقدم إليه وقال له: يا سيدنا تطلب نفس البطرك او مالا؟ فقال له: أريد المال. فقال له الشماس جرجه: ضمنى أياه مدة شهرين انحدر به إلى بحرى أطلب

---

* ثار يزيد ابن أمير العراقين خالد القسرى المقتول بدمشق ونودى به أميراً على الشام ولكنه قتل وصلب على باب الفراديس بدمشق.

سنة ١٢٨ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأحد ٣ أكتوبر ٧٤٥م.

* دخل ابو مسلم وهو ابن تسع عشرة أرض خراسان مع كتاب من إبراهيم الامام بتوليه الدعوة العباسية ويطلب من شيعته السمع والطاعة له.

* تجددت الثورات على الخليفة مروان، فممن خرج عليه ابراهيم بن هشام، وفى اليمن ثار عليه أبو حمزة حليف طالب الحق.

* استقر أمر عبدالرحمن بن حبيب على افريقية بحكم الواقع ثم أقره مروان فى هذه السنة بعد أن كاتبه وهاداه وأظهر له الطاعة.

* تولى حوثرة بن سهيل إمارة مصر من قبل مروان الملقب بالحمار ومهد حكمه بقتل سلفه حفص بن الوليد وعدداً كبيراً من مؤيديه ومواليه واستصفى اموالهم ومتاعهم.

* توفى فى هذه السنة جهم بن صفوان رأس الفرقة الجهمية التى تنسب إليه مات قتيلاً.

له من الاراخنه والنصارى وأقوم لك عنه تلته آلاف دينار. فسلمه إليه فطاف به المدن والقرى على المومنين بالمسيح حتى حصل المال وحمله. وكان يجمع له الأساقفه والمقدسين والرهبان فيهزأ بهم بتجبر بكلام صعب ويقول لهم: انتم عندى مثل الروم ومن قتل منكم واحدا غفر الله له لأنكم أعدا [ء] الله. ولما استوفى الخراج من الناس الذى جرت به عادتهم زاد عليهم وجعل على كلمن عليه دينار خراج دينار وتلتين حتى أن بيعا كتيره خربت بهذا

سنة ١٢٩ هجرية

الأول من المحرم يوافق يوم الخميس ٢٢ سبتمبر ٧٤٦م.

* خرج بحضرموت طالب الحق عبدالله بن يحيى الكندى وتغلب عليها واجتمع عليه الإباضية، فسار منها إلى صنعاء واستولى عليها بعد هزيمة أميرها القاسم الثقفي، ثم جهز إلى مكة جيشاً وعليها عبدالواحد حفيد عبدالملك ابن مروان فخرج منها بعد هزيمته.

* أظهر أبو مسلم الدعوة العباسية في خراسان فتعاقدت عامة قبائل العرب على قتاله، وفيها قبض أبو مسلم على عبدالله بن معاوية الطالبى وسجنه وهو المطالب بالخلافة.

* في أقصى الغرب تولي يوسف الفهرى القرشي إمارة الأندلس خلفاً لثوابة الذى توفى بعد حكم لم يدم سوى سنتين وبضعة أشهر وذلك على أثر الخلاف بين المضرية واليمانية كل يريد أن يكون الأمر منهم.

* فيها جهز طالب الحق عشرة آلاف مقاتل وسار إلى مكة، وبها عبد الواحد بن سليمان ابن عبدالملك بن مروان، فتغلب طالب الحق على مكة وهرب منها عبدالواحد.

* لم تنقطع ثورات الخوارج في هذه السنة، ففيها ظهر شيبان الحرورى خليفة الخبيرى خليفة الضحاك الشيباني ودخل في حرب مروان وعلى جيشه ابن هبيرة وقاتل أهل الموصل في جانب الخوارج.

السبب. وكان محبا للمال جدا. ثم أصر بأن يجمع جميع بلاده من ابن عشرين سنه إلى ما دون ذلك، فسارو وجمعو. وكان الذين أقامهم لذلك من أصحابه رجلين وهما عاصم ويزيد ومعهما جماعة من الأعوان، وانزلو على الناس بلايا عظيمه وقتل لأجل ذلك جماعه وأوسمو الغربا الذين وجدوهم على ايديهم وجباههم وانفذوهم إلى مواضع لم يعرفوها(*) [أى نفاهم]. وكان على الارض قلق واضطراب. وامر أن لا

(*) لعل هذه هى أحد طرق جميع الناس للعمل فى الأسطول أو البلاد التى استولى عليها العرب.

سنة ١٣٠ هجرية

استهلت السنة بيوم الاثنين ١١ سبتمبر ٧٤٧م.

* وقع زلزال شديد بالشام واخربت بيت المقدس حتى خرج اهلها إلى الصحراء وفيها إنتشر الطاعون.

* تحول الخلاف بين المضرية واليمنية فى الأندلس الى حرب سافرة والتقى الفريقان عند شقندة بالقرب من قرطبة وتزعم المضرية الصميل ويوسف ابن عبدالرحمن وعلى الجانب الآخر ابو الخطار الذى هزم وقتل فى هذه السنة.

* نجح ابو مسلم فى اظهار الدعوة العباسية بخراسان ودخل مدينة مرو (ربيع الاخر) التى هرب منها الوالى الأموى نصر بن سيار.

* انتهت فى هذه السنة ثورة شيبان الحرورى بمقتله، وفيها قتل طالب الحق الذى ثار باليمن وبويع بالخلافة، كما قتل قائده ابو حمزة السليمى وكان اباضياً من الفتاك، كما قتل قاتله عبدالملك بن عطية الذى قضى على ثورة طالب الحق باليمن وابى حمزة بالحجاز.

* فيها كان الشروع فى اتخاذ ميلاد المسيح أساساً للتأريخ.

يدفن ميت حتى يقومون عنه بالجزيه، وولى إنسانا اسمه محمد على ذلك حتى أن المستورين الذين لا يقــدرون على الجـزيه إذا مـاتو لا يدفنهم أحـد إلا بأمره.

فـمـا أعظم الحـزن والشـقـا والتنهـد الذى كـان بأرض مصر والصعيد لأفعالهم، حتى انتقم الرب منه بسرعه بعد أن أقام سنتين يفعل هذه الأفعال فقبض الرب نفس عبدالملك أبيه وتولى موضعه

سنة ١٣١ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم السبت ٣١ أغسطس ٧٤٨م.

* انتشر فى هذه السنة الطاعون الذى سمى الطاعون العظيم أو طاعون أسلم ابن قتيبة بدأ بالبصرة فى شهر رجب واشتد فى رمضان وهلك فيه خلق عظيم وهو خامس عشر طاعوناً وقع منذ قيام الدولة الاسلامية.

* بسط أبو مسلم سلطانه على خراسان بأسرها وهزم الجيوش التى أرسلها الخليفة الأموى، وساعد على انتصاراته موت نصر بن سيار (١٢ ربيع الأول) آخر الولاة الأمويين فى خراسان.

* جرت معارك بين ابن هبيرة قائد مروان وعامر بن ضبارة بنواحى أصبهان قتل فيها هذا الأخير، وأرسل مروان مدداً لابن هبيرة على رأسه حوثرة أمير مصر ثم قاتل ابن هبيرة ومدده قحطبة قائد ابى مسلم الذى أراد دخول العراق.

* تولى امرة مصر (رجب) المغيرة بن عبدالله خلفاً لحوثرة.

* ولد بالمدينة الامام المكتوم محمد بن اسماعيل حفيد جعفر الصادق وأول الأئمة المكتومين عند الشيعة وتنسب الى ابيه الشيعة الاسماعيلية.

* توفى فى هذه السنة ابراهيم الامام زعيم الدعوة العباسية قبل ظهورها وهو الذى وجه ابا مسلم الى خراسان، مات فى سجنه بحران مقتولاً على الأرجح.

ولده الأكبر، وكان اسمه الوليد(*)، ولما جلس على كرسي الملك بدا يعزل الولاه ويولى غيرهم من أصحابه فولى واحدا مصر اسمه قره [ابن(*) شريك]، ولم يعرف ذلك الكافر عبدالله، وبينما هو جالس في قصره وصل الوالى عوضه بغته وجلس موضعه فلحقه لذلك فضيحه عظيمه وخزى.

وانزل قره بلايا عظيمه على أصحاب عبدالله النصارى والمسلمون طرحهم في السجون أقامو فيها سنه.

(*) كان والدة قد أخذ له البيعة بالخلافة قبل وفاته في عام ٧٠٣م = ٨٤هـ.

(*) قرة بن شريك: تولى مصر على صلاتها وخراجها في ٢٢ يناير ٧٠٨م = ٤ ربيع أول ٩٠هـ. انظر الهامش السفلى ص ٣٥٦.

---

* ممن توفوا في هذه السنة شيخ المعتزلة واصل بن عطاء عن ٥١ عاماً ومؤلف السبيل الى معرفة الحق.

سنة ١٣٢ هجرية

وافق مستهل المحرم يوم الأربعاء ٢٠ أغسطس ٧٤٩م.

* شهدت هذه السنة نهاية دولة وقيام دولة، ففيها سقطت دولة بنى أمية بعد أن حكمت نحو قرن من الزمان وقامت دولة العباسيين بعد سلسلة من الانتصارات العسكرية امتدت خلال شهور العام كله وانتهت بدخول دمشق في رمضان ومقتل مروان آخر الأمويين بأبى صير في مصر التى لجأ إليها هارباً (٩ الحجة).

* في المشرق وثب أبو مسلم على نيسابور وأزاح الوالى الأموى وبايع للسفاح العباسى بالخلافة (ربيع الأول)، وفي الشمال جمع أنصار العباسيين جموعهم بعد مقتل قحطبة وولوا ابنه الحسن الذى استولى على الكوفة (١٠ المحرم) وهرب واليها الأموى زياد بن صالح وبويع السفاح وتولى أمرها ابو سلمة الخلال الذى استولى على واسط، وعلى مشارف الشام التقى جيش الخليفة مروان بقوات العباسيين وعليها عبدالله وصالح بن على عما السفاح عند الزاب فانهزم مروان الى دمشق التى حوصرت واستسلمت لصالح بن على (رمضان) وفيها سار مروان هارباً الى غزة ومنها الى بوصير بمصر حيث قتل (٢٧ الحجة).

وكان فى أيامه انسان ارتدكسى اسمه يونس من دميره وكان ذا أمر ونهى. وفعل قرة بلايا بالبيع والرهبان حسب ما يأتى شرحه.

وكانت مملكة الروم مثل لعب الصبيان(*) فلما خلعو الروم يوستنيانوس الملك ملكو لاون [ليونتيوس] موضعه، وقتل لاون قبل أن يكمل له تلت سنين فى الملك. وملك بعده ايسماروس وقتل جماعه من البطاركة فى القسطنطينيه وقتل البطرك

(*) دخلت الامبراطورية البيزنطية منذ منتصف القرن الخامس الميلادى فى دور طويل من الانحدار بسبب الحكم الاستبدادى المغلق الذى أدى إلى تدهور كبير فى الاقتصاد إلى جانب الحروب الكثيرة فى الشرق مع الفرس والعرب وفى الغرب مع البلغار-

---

* نودى بالسفاح خليفة فى جامع الكوفة (١٣ ربيع أول) وله من العمر ٢٨ سنة، وهو أبو العباس عبدالله بن محمد بن على تقدم فى الخلافة على أخيه الأكبر ابى جعفر الذى عرف بالمنصور بعد ذلك.

* ولى السفاح ابا سلمة الخلال وزارته فكان أول وزير منذ قيام الدولة الاسلامية، ولكن لم يلبث ان فتك به قبل نهاية العام، كما ولى السفاح اعمامه الولايات فتولى عبدالله على الشام وداود على الحجاز وعيسى على المشرق، وعقد لأخيه ابى جعفر بولاية العهد، وعلى خراسان ابو مسلم.

* فى جماد الثانى = أواخر يناير ٧٥٠م تولى مصر عبدالملك بن مروان من قبل الخليفة مروان بن محمد. وفى ١١ جماد ثان كانت هزيمة الخليفة مروان بالزاب. وعبدالملك هذا هو الذى اتخذ المنابر فى المساجد ولم يكن قبل ذلك منبر فى المساجد، وكانت ولاة مصر تخطب على العصى إلى جانب القبلة. وهو آخر ولاة بنى أمية فى مصر وقد حاربه أهل مصر من القبط حروباً طويلة حتى قدم العباسيين إلى مصر.

* توفى فى هذه السنة قتلاً فى المعارك أو إغتيالاً أو فى السجون كثير من رؤوس الدولة الأموية المنهارة لاسيما فى يوم الزاب أو عند نهر ابى فطرس بفلسطين، منهم: القائد ابن هبيرة وحوثرة بن سهيل أمير مصر، وسليمان بن هشام حفيد عبدالملك، وابراهيم الوليد الذى بويع بالخلافة أياماً قبل مروان، والوليد ابن معاوية أمير الشام، ومحمد بن مروان أمير مصر فترة،

وملك وأطلق سبايا كثيرا من بلاده وعادو إلى بلادهم وزود كل واحد بتلته دنانير نفقة الطريق. وملك بعده فيلابكوس. وبعد سنتين ملك انسطاسيوس إلى الان [يعنى بقوله إلى الآن إلى زمان وضع السيرة].

وكان متولى ديوان اسكندريه تلك الأيام تاودرس وكان بينه وبين الأب البطرك الاكسندروس معاداة عظيمه، فلما وصل قره إلى مصر مضى

= والامبراطورية الرومانية الغربية. وما يهمناهنا هو أنه مع ضعف الامبراطورية البيزنطية واصلت الخلافة الاموية منذ معاوية ومن أتى بعده الإغارة على آسيا الصغرى وجزر البحر المتوسط وظلوا منذ عام ٦٦٣م حتى عام ٦٧٨م يغيرون سنوياً على الولايات البيزنطية فى أسيا حتى وصلوا إلى خلقدونية مما عاد على هذه الولايات بالخراب الاقتصادى.
وفى عام ٦٦٩ تمرد الجيش على قسطنطين الرابع وطلب منه أن يتوج معه أخويه هرقل

والغمر ابن الخليفة يزيد ومعه ثمانون رجلاً، وثعلبة بن سلامة العاملى قتل مع مروان بمصر، وسعيد ابن عبدالملك.

سنة ١٣٣ هجرية

استهلت السنة بيوم الأحد ٩ أغسطس ٧٥٠م.

* فى أول المحرم من هذه السنة ولى الخليفة عبدالله السفاح عمه صالح بن على إمارة مصر وله من العمر سبع وثلاثون سنة خلفاً لواليها الأموى عبدالملك بن مروان حفيد موسى بن نصير الذى استمرت ولايته سبعة أشهر فى ظل الخلافة العباسية وأرسل رأس مروان إلى الشام وقتل اعداداً هائلة من اشياع بنى أمية وجنودهم واكابرهم واستصفى اموالهم ومتاعهم ولكنه لم يقتل عبدالملك ابنى مروان بنى موسى الوالى الاموى واخذه معه إلى فلسطين بعد ذلك.

* وزع السفاح حكم الولايات الباقية على أقاربه وأنصاره، فولى عمه سليمان ابن على على البصرة وخاله زياد بن عبيدالله على مكة، وابن خاله محمد بن زياد على اليمن، ومحمد بن الأشعث على افريقية.

* استخلف صالح بن على أمير مصر أبا عون عبدالملك فعمر مدينة العسكر ووضع



وطيباريوس. وقد استغل معاوية فى ذلك الوقت ثورة الجيش واحتل جزيرة خيوس بعد أن كان قد احتل من قبل رودس وقبرص. وبلغ الأمر أن قام الاسطول المصرى من الاسكندرية بأشتباك بحرى أمام أسوار القسطنطينية وتكرر ذلك حتى عام ٦٧٩م عندما عقد الامبراطور قسطنطين معاهدة مدتها ثلاثين عاما مع معاوية.

وفى عام ٦٨٠م واجه قسطنطين غزو قبائل البلغار لشبه جزيرة البلقان وفشل فى ذلك خاصة

نظام الشرطة العليا تمييزاً لها عن شرطة الفسطاط وقضى فى ولايته هذه (الأولى) على ثورة للقبط.

* انتهز الامبراطور قسطنطين الخامس الاضطرابات التى صحبت سقوط الدولة الأموية وقيام دولة بنى العباس وشن حملة على أراضى الدولة الشامية استولى فيها على ملطية فتفرق أهلها فى بلاد الجزيرة وهو الذى أحرز انتصاراً على البلغار والسلاف فى البلقان.

* فى أقصى الشرق التقى زياد بن صالح قائد ابى مسلم بأهل فرغانة وحلفائهم من أهل الصين على نهر طراز (ذى الحجة) وظفر بهم وأسر فى قول عشرين ألفا وهرب الباقون الى الصين.

* قتل شريك المهرى من دعاة العباسيين وكان قد ثار على ابى مسلم بنواحى بخارى بسبب اسرافه فى سفك الدماء.

سنة ١٣٤ هجرية

وافق هلال المحرم يوم الجمعة ٣٠ يوليو ٧٥١م.

* نقل الخليفة السفاح عاصمة حكمه من الحيرة الى مدينة الأنبار المجاورة.

* تولى ديوان الخراج للخليفة السفاح وزيره الثانى خالد بن برمك جد البرامكة.

الأب البطرك كالعادة ليهنيه بالولاية ويسلم عليه، فلما وصل إليه قبض عليه وقال له: الذى قبضه منك عبدالله بن عبدالملك تحتاج أن تقوم لى بمثله. فقال له الأب البطرك: شرعنا يأمرنا أن لا تكون لنا قنيه ولا نكثر ذهبا ولا فضه بل نصرف حاجة يوما فيوما لما نحتاجه من الكلف والفقرا والمحتاجين، وانما فعل بى عبدالله ما فعل بسعاية ناس السو حتى ظلمنى والزمنى تلته آلاف دينار ولم يجد معى منها شيا حتى أخرجنى إلى البلاد كالمكدى

عندما اتحد البلغار مع السلاف مكونين مملكة متحدة بين الدانوب وجبال البلقان اجبرت قسطنطين على دفع جزية سنوية.
وفى عام ٦٨٥م توفى قسطنطين بعد صراع داخلى مع أخويه هرقل وطيباروس فتولى ابنه جستنيان الثانى العرش فى الوقت الذى كانت فيه الخلافة الاموية تعانى من الاضطرابات الداخلية بسبب الثورات التى قامت فى الحجاز والعراق، ولم يستطع عبد الملك بن مروان الخليفة الأموى أن

* انتشر الطاعون فى إقليم الرى (فارس) ومات فيه خلق كثير.

* جرت غزوة كش على مشارف الصين قادها خالد بن ابراهيم فقتل ملكها الأخريد وعاد الغزاة محملين بالطرف من نعوم الصين من الحرير والأوانى المنقوشة المذهبة والسروج المزركشة ما لم ير مثلها.

* تولى خازم بن خزيمة وهو خراسانى قتال الخوارج منهم بسام بن ابراهيم وكان على عسكر السفاح بخراسان، كما ركب البحر الى عمان وجزرها وعليها الجلندى فقتل فيمن قتل شيبان بن عبدالعزيز الخارجى.

سنة ١٣٥ هجرية

استهلت السنة بيوم الثلاثاء ١٨ يوليو ٧٥٢م.

* غزا عبدالله بن حبيب جزيرة صقلية بعد أن أعاد الروم تحصينها وبنوا أسطولاً بقصد مهاجمة مراكب المسلمين فى البحر فنجح ابن حبيب فى دك حصونها وتحطيم بعض سفن الأسطول فتركها بعد أن صالحه الروم فعاد مثقلاً بالغنائم والأسلاب.

* كان على مكة فى هذه السنة العباس بن عبدالله وعلى المدينة زياد الحارثى، وعلى الكوفة عيسى بن موسى، وعلى حمص وبعلبك والأردن عبدالله بن على، وعلى فلسطين صالح بن

اتصدق حتى وفق الله ما طيب به نفسى، وعلى إلى الان خمس ماية دينار، فمن اين يكون معى شى؟. فقال الأمير: فتحلف لى أن ليس معك ذهب. فقال له: قد أمرنا الله أن لا نحلف البتة فصدقنى الان أن خراج اواسيى الذى لابد من القيام به لا أقدر عليه والله اعلم أن ليس عندى ذهب. فقال الامير: هذا كلام ما ينفع ولو أنك تبيع لحمك لابد من تلته الاف دينار والا فما تخلص من يدى. فلما راى أنه لا يخلص منه سأله أن يسيره إلى الصعيد

يفتح جبهة للقتال ضد الروم، فسارع إلى عقد معاهدة مع جستنيان الثاني، قبل فيها أن يدفع له أتاوه لبلاده، وأن تتقاسم الدولتان الجزية التى تجمع من قبرص وأرمينيا. ثم اندلعت الحرب بين جستنيان الثاني والخليفة مروان سنة ٦٩١ / ٦٩٢م. ونظراً لأن الجنود الصقالبة غدروا بجستنيان وأنحازوا للأمويين، فقد لقى جيش الروم هزيمه أعادت أرمينيا إلى أحضان الامويين.
وبسبب بعض التعديلات التى

على، وعلى الموصل صالح بن على، وعلى أذربيجان محمد بن صول، وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك.

* ثار ببلاد ما وراء النهر (التركستان) زياد بن صالح فسار إليه أبو مسلم الخراسانى ففر زياد ولم يلبث أن قتل على يد أحد الدهاقين وكان قد لجأ إليه.

* ولد فى هذه السنة بالبصرة أبو الهذيل العلاف أحد زعماء مذهب المعتزلة.

* من وفيات هذه السنة، سباع بن النعمان أحد القائمين بالدعوة العباسية فى المشرق تولى سمرقند بعد نجاحها ولكن لم يلبث ان انقلب على أبى مسلم فقتله خوفاً منه، وفيها قتل سليمان ابن الخليفة هشام الأموى وكان على خلاف مع مروان بن محمد فالتجأ إلى بنى العباس فأمنه السفاح حتى اثاره عليه أبو مسلم ودس عليه شعراً كان سبباً فى قتله، وفيها قتل أثناء هربه زياد الحارثى والى الكوفة إبان الحكم الأموى.

سنة ١٣٦ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم السبت ٧ يوليو ٧٥٣م.

* تولى إمارة مصر للمرة الثانية صالح بن على عم المنصور وعاد إليها على رأس جيش كبير لغزو بلاد المغرب وأناب على مصر أبا عون واليها المعزول.

ومهما فتح الله من صدقات الناس أرسله إليه. فتركه قره وطلع إلى الصعيد يطوف المدن والقرى ويسأل فكان الرب يسوع المسيح يشفى أعلا كثيرا بصلواته وكان كل أحد يفرح به ويقول أن من زمان الأب بنيامين ما رأينا بطركا فى الصعيد إلا هذا الأب، ولقى تعبا ومشقه وغربه. حتى أن الشيطان مبغض الخير فعل هذا الأمر، وهو أن سايحا كان اسمه فيتباستس وهو مقيم على صخره ومعه راهبان ولداه فامرهما أبوهما السايح

أدخلها قسطنطين على القوانين الكنيسة وأعلن بابا الفاتيكان سرجيوس بطلانها أرسل قسطنطين قوة للقبض على البابا كما فعل جده قنسطانس سنة ٦٥٣م مع البابا مارتينوس، ولكنى الحال كان قد تبدل وفشلت خطته.

ونتيجة للأموال الباهظة التى صرفها قسطنطين فى حروبه وزيادة الضرائب قامت ثورة فى القسطنطينية نهاية عام ٦٩٥م قبضت عليه وجدعت انفه ونفوه إلى نفس المدينة التى نفى إليها

---

* بدأ الخلاف بين أبى مسلم الخراساني والخليفة الجديد الذى بعث إليه جريرا البجلى من باب المداهنة ليدخل الطمأنينة على نفسه.

* تولى الحسن بن قحطبة إمارة أرمينية استخلفه عليها المنصور العباسى.

* حج فى هذه السنة لأول مرة الخليفة المنصور وفى طريق العودة دخل الكوفة وصلى بأهلها الجمعة وخطبهم وفيها سار إلى الأنبار وعليها عيسى بن موسى نائبه.

* تولى الخلافة العباسية أبو جعفر المنصور (١٣ الحجة) خلفاً لأخيه أبى العباس السفاح أول العباسيين الذى توفى فى هذا التاريخ عن أثنين وثلاثين عاماً وكانت خلافته أربع سنوات بينما دام حكم الخليفة الجديد أثنين وعشرين سنة وكان المنصور أسن من أخيه السفاح.

* بايع أهل دمشق على أثر وفاة السفاح هاشم بن يزيد الاموى، بينما دعا إلى نفسه عبدالله بن العباس عم الخليفتين السفاح والمنصور غير أن الحركتين احبطتا.

* وصل عبدالرحمن بن معاوية المعروف بصقر قريش إلى المغرب بعد نجاته من مذابح الشام وفلسطين، وفى أواخر هذه السنة بعث مولاه بدراً إلى الأندلس ليتعرف أحوالها وينشر دعوته بين أنصار بنى أمية.

جده قسطانس البابا مارتينوس وهي مدينة خرسون Cherson في شبه جزيرة القرم. وعقب ذلك سادت الفوضى في الامبراطورية وسقط شمال أفريقيا في يد العرب عام ٦٩٧م، أما عن العرش فقد جلس عليه في أول الامر قائد عسكرى يدعى ليونتيوس Leontius الذى حكم من ٦٩٥ إلى ٦٩٨م. ثم تولى أبسيمار امبراطورا باسم طيباريوس الثالث وحكم من ٦٩٨ إلى ٧٠٥م. وفى نفس العام هرب جستنيان الثانى من سجنه في

ان ينضفا له موضعا خارجا عن الصخرة، وفيما هما ينضفان ويحفران وجدا خمسة كيزان نحاس مملوه مالا من سكة الروم فاخفو أحدهم واظهرو الأربعه للسايح، فقال لهما الشيخ السايح بقلب طاهر: هذا جميع ما وجدتماه؟ قالا: نعم. فسر بذلك ثم قال لهما: الرب قد وفق هذا المال للأب البطرك لأنه مطلوب بما ليس معه. ثم انفذ إلى وكيل البطرك وكان اسمه جرجه الراهب والى كاتبه فاحضرهما وسلم لهما الأربعة كيزان وقال

سنة ١٣٧ هجرية

استهلت السنة بيوم الخميس ٢٧ يونية ٧٥٤م.

* شهدت هذه السنة مقتل أبى مسلم الخراساني بالمدائن عن ٣٧ عاماً، وكان داعية العباسيين في المشرق وهو المؤسس الحقيقي لدولتهم، لقى حتفه بسبب تشكك المنصور في نياته، قيل في وصفه كان أقل الناس طمعاً، مات وليس له دار ولا عقار.

* أضاف المنصور إمارة المدينة إلى زياد بن عبدالله الحارثى وكان على مكة، وعلى الكوفة عيسى بن موسى وعلى البصرة عم الخليفة سليمان بن على عم المنصور، وعلى خراسان أبو داود خالد إبراهيم وعلى الجزيرة حميد بن قحطبة، وعلى مصر صالح بن على عم الخليفة.

* كان رد الفعل الأول لمقتل أبى مسلم خروج سنباذ المجوسى مطالباً بدمه وغلب على نيسابور والرى فانفذ إليه المنصور قائده جهور بن مرار العجلى فقضى على الفتنة بعد سبعين يوماً، وفي الجزيرة خرج ملبد بن حرملة الشيباني وهزم خمسة جيوش انفذها إليه المنصور لهذا لم تجر في هذه السنة صائفة مع الروم بسبب الخلافات الداخلية.

* في ٢٦ رمضان = أوائل مارس ٧٥٥م دخل ابو عوف مصر والياً عليها من قبل صالح بن على العباسي عندما توجه إلى فلسطين.

* توفى بالقيروان أمير تونس عبدالرحمن بن حبيب الفهرى إغتاله أخوه إلياس في قصره طمعاً في الحكم والسلطة.

لهما خذا هولا ادفعاها عن الأب الاكسندروس البطرك، فاخذاها ومضيا ودفناها بفعل سو، وكان الأب البطرك غايبا يجمع فى الصعيد، فأخذ الراهبان ولدا السايح الكوز المال اقتسماه وبديا يفعلا أفعالا غير مرضيه، وتركا الرهبنه وابتاعا لباسا فاخرا وجوارى سرارى. فقبض الوالى والكاتب على أحدهما وقالا له: من اين لك هذا المال؟ وعاقبوه، فلما أحرقه الضرب قال لهم: عاهدونى أن لا تفعلون معى سو[ء] وأعرفكم كل

خرسون والتجأ إلى إمارة الخزر، ورحب به خان هذه الإمارة، بل زوجه من أخته التى اعتنقت المسيحية، وجعلها جستيان تتسمى بإسم تيودورا تيمناً باسم تيودورا الكبرى زوجة جستيان الاول، ثم لجأ إلى ملك البلغار الذى وعده بإعادته العرشه مقابل اتاوة باهظة، وبالفعل عاد جستيان لعرشه بعد تشرد دام عشر سنوات، ولكنه لم يستقر حوالى الثلاث سنوات حتى ثار عليه قائد يدعى باردانيس وتولى العرش تحت اسم فيليبكوس

سنة ١٣٨ هجرية

وافق هلال المحرم يوم الاثنين ١٦ يونية ٧٥٥م.

* نزل صقر قريش عبدالرحمن بن معاوية (فيما بعد عبدالرحمن الداخل) ساحل البيرة بشرق الأندلس (فى ربيع الآخر) فاستقبله زعيم أنصاره أبو عبيدالله بن عبدالله وانزله فى قرية طرش بالقرب من الجزيرة الخضراء، وقبل نهاية العام كانت قد ذاعت دعوته فى جنوب الأندلس كله وأقبل عليه أنصار بنى أمية من المضرية واليمانية وأهل الشام وفى ١٠ الحجة جرت المعركة بينه وبين أمير الأندلس العباسى يوسف الفهرى ومعه الصميل فهزما وهربا ودخل عبدالرحمن قرطبة وبويع بالامارة.

* خلع جهور العجلى بيعة المنصور بعد إنتصاره على الثائر سنباذ ولكن لم يلبث أن لقى نهايته بين الرى وإصباهان على يد محمد ابن الأشعث، كما هزم فى هذه السنة ثائر آخر هو ملبد بن حرملة الذى خرج بالجزيرة على المنصور العباسى واستفحل أمره وهزم الجيوش التى جدت فى طلبه حتى قتله قائد الأمير خازم ابن خزيمة وهو نضلة بن نعيم النهشلى.

* غزا العباس بن محمد الصائفة ومعه من أعمام الخليفة صالح بن على وعيسى ابن على.

* فيها كانت الحرب بين فرنسا وايطاليا وانهزام استوف ملك اللومبارديين ومحاصرة روما. وكانت هذه الحرب ضمن حروب كثيرة. حدثت فى أوربا بين ممالكها، وقد حاول بابا روما التوفيق بينها بأن وجه هذه الحروب إلى الشرق تحت دعوى محاربة اعداء المسيح واستخلاص الاراضى المقدسة فيما عرف باسم الحروب الصليبية.

شي. فعاهدوه فاعلمهم خبر الخمس كيزان وأنه هو ورفيقه أخذا منهم واحدا وان الأربعة كيزان الأخر عند وكيل البطرك وكتابه. فاعلمو قره بذلك سرعه، فأمر بغلق الابسقوبيون وأخذ كلما فيه من الأواني والذهب والفضه والكتب والبهايم وأنزل بلايا عظيمة على أصحاب البطرك، وأخذ الأربعة كيزان المال سوى أواني البيعه ومال الابسقوبيون، وانفذ إلى الصعيد واحضر البطرك وهم بقتله بسبب يمينه أن ليس معه ذهب. ولما أخذ منهم

واعدم جستنيان الثانى وكل اسرته. ولكنه لم يستمر سوى عامين، إذ راح ضحية مؤامرة فى القصر قتل فيها وتولى مكانه انسطاسيوس الثانى، والذى غرقت فى عهده الامبراطورية فى فوضى تامه حتى عزل واحتل مكانه ثيود وسيوسى الثالث عام ٧١٦م الذى لم يستطع صد الغارات العربية على حدوده الشرقية فعزل وتولى مكانه ليون Leon الثالث الملقب بالأيسورى وبذلك قضى تماماً على اسرة هرقل الحاكمة مما يعتبر تمهيداً لحكم اباطرة الاسرة

---

* توفي في هذه السنة: أمير مصر حفص بن الوليد وكان قد تولاها مرتين وقتل على يد خلفه حوثرة، وفيها قتل إلياس بن حبيب الفهرى على يد إبن أخيه حبيب ابن عبدالرحمن إنتقاماً من غدره بأبيه وكان عبدالرحمن أميراً على أفريقية.

سنة ١٣٩ هجرية

استهلت السنة بيوم السبت ٥ يونية ٧٥٦م.

* استسلم يوسف بن عبدالرحمن الفهرى والصميل الكلابى زعيما حركة المقاومة بالأندلس بعد أن أمنهما عبدالرحمن الداخل (صقر قريش) واعادهما إلى قرطبة تحت المراقبة.

* جرى في هذه السنة الفداء بين الخليفة المنصور وقسطنطين الخامس إمبراطور بيزنطة فاستنقذ المنصور أسرى بلدة «قالي قلا» وعمرها ورد إليها أهلها.

* عزل المنصور عمه سليمان بن على عن ولاية البصرة والبحرين وعمان وولاها سفيان بن سعيد وكان سليمان قد أخفى عنده أخاه عبدالله الذى خرج على المنصور ودعا إلى نفسه فظفر به المنصور وسجنه.

٤٣: الأكسندروس البطرك ٧٠٥ / ٧٣٠م

الأربع كيزان هرب جميع أصحاب البطرك مثل الحواريين ذلك الزمان. فلما أحضرو البطرك إليه صر باسنانه عليه واراد قتله فمنعه الرب عنه، فكبله بالحديد وطرحه في السجن، فأقام سبعة أيام، ثم بعد ذلك الزمه أن يقوم بالتلته ألاف دينار. ولحقه تعب عظيم وضيق إلى أن تخلصت له ألف دينار بعد سنتين. ثم حلت بالأب القديس تجارب كثيره وهو صابر عليها.

الايسورية منذ عام ٧١٧ حتى عام ٨٦٧م الذى تولى فيه الحكم الاسرة المقدونية من ٨٦٧ إلى ١٠٥٧م.

سنة ١٤٠ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأربعاء ٢٥ مايو ٧٥٧م.

* أعاد الخليفة المنصور على يد ابنه إبراهيم عمارة مدينة المصيصة وكان سورها قد تهدم بفعل الزلازل وسماها المعمورة، كما أعاد واليه الحسن بن قحطبة تعمير مدينة ملطية بعد أن خربها الروم فاسكنها المنصور أربعة الاف من الجند الترك وأكثر فيها السلاح وحاول الامبراطور قسطنطين إعادة الكرة عليها ولكنه رجع لما بلغه من كثرة المسلمين.

* اتخذ بنو مدرار بالمغرب مدينة سجلماسة عاصمة لهم بعد أن اضطلعوا بتعميرها.

* توفى ألفونسو ملك جليقية (غاليسيا) إحدى الولايات الآسبانية المسيحية فى شمال غربى الأندلس.

سنة ١٤١ هجرية

هلال المحرم وافق يوم الأحد ١٤ مايو ٧٥٨م.

* فر يوسف الفهرى آخرى أمراء الأندلس من مدينة قرطبة بعد أن أمنه عبدالرحمن الداخل وأتجه يوسف إلى ماردة حيث أهله وأنصاره من العرب والبربر وهاجم غرناطة وأشبيلية.

ثم أن قوما أشرارا مضو وسعو به أن عنده قوما يضربون الدنانير وان عنده سكه، وفيما هو جالس فى تاسع ساعه من النهار فى بعض الأيام يفطر وليس عنده علم إلا وقد احاطو بالابسقوبيه وأن أهل مدينة اسكندرية والكاتب بأمر قره قد قبضو عليه وعلى أصحابه وطرحوه على الأرض، وضربو أصحابه وعوقبو حتى سالت دما هم إلى الأرض، وكادو يموتون من العقوبه، ووجدو ما سعو به عليه باطلا. ولم يزالو فى هذه البلايا إلى اليوم

---

* تولى إمارة مصر ثم عزل منها فى نفس هذه السنة أبو عيينة موسى بن كعب التميمى وقد اشتهر أبو عيينة بأنه جعل للامارة رهبة حتى كان لا يجتاز باب الأمير إلا من أذن له فى ذلك، وحين عزله الخليفة المنصور قال له إنما عزله عن غير سخط ولكن خوفا من أن يقتل كما جاء فى نبوءة عن مقتل وال يدعى موسى وكان موسى أول من بايع السفاح أول العباسيين، خلفه محمد ابن الأشعث الذى قدم مصر فى الخامس من ذى الحجة من السنة.

* عزل زياد الحارثى عن المدينة ومكة والطائف وتولى على المدينة محمد بن خالد القسرى وعلى مكة والطائف الهيثم العتكى.

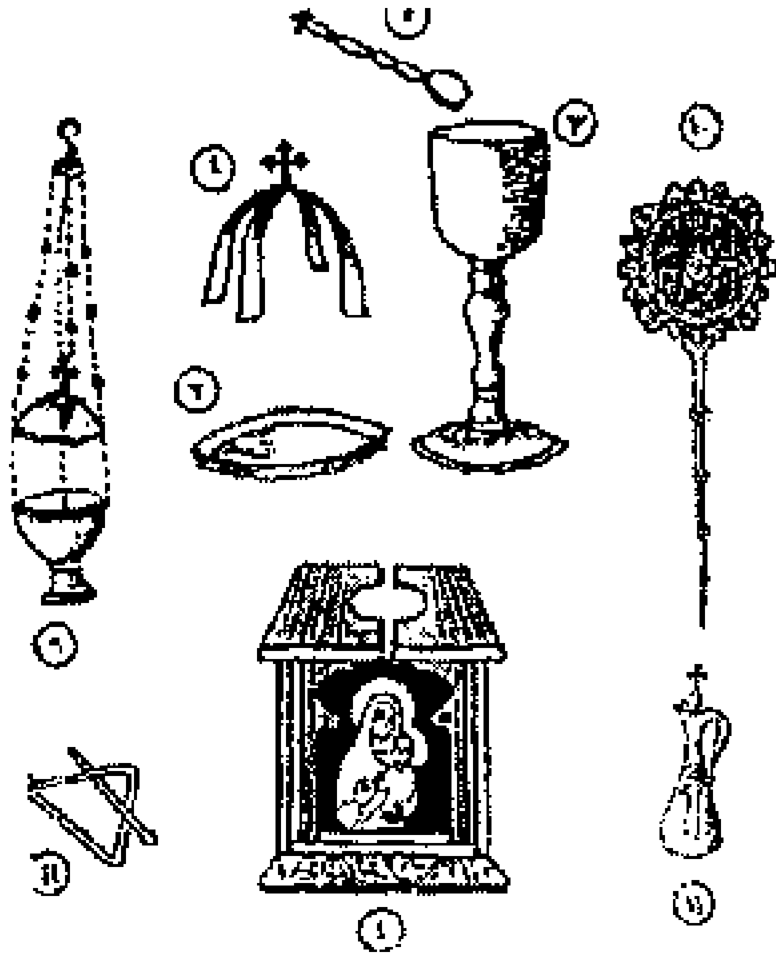
* استولى الثائر أبو الخطاب المغافرى زعيم الاباضية على تونس فوجه اليه المنصور أمير مصر الجديد محمد بن الأشعث، وفيها خرجت على المنصور طائفة الراوندية وهى فرقة من غلاة الخراسانيين كانوا يقولون بتناسخ الأرواح ويؤلهون الخليفة.

* تولى المهدى ابن الخليفة المنصور إمارة خراسان خلفا لعبد الجبار الأزدى الذى خلع بيعة المنصور فنفى إلى جزيرة دهلك بالبحر الأحمر، وفيها استعاد المهدى مع قائديه خازم بن خزيمة وعمرو بن العلاء بلاد طبرستان.

* فى هذه السنة ظهر معن بن زائدة أحد مشاهير الأجواد وكان قد ثار على المنصور ولكنه أبلى فى قتال الراوندية فأعطاه المنصور الأمان.

* ممن توفوا فى هذه السنة: أمير مصر موسى بن كعب.

التانى فى أمشر سنة أربع مايه وتلتين لدقلاديانوس، ثم بعد هذه البلايا التى نالت الاب قامو عليه أهل اسكندريه والكهنه والزموه أن يقوم لهم برسوم وديارات فى تالت عيد الفصح. ولم يكن له شى يدفعه لهم، وكان يقول لهم: يا أخوة قد نظرتم نهب جميع مال البيعه حتى الكاسات اللاتى يرفع فيهن الدم الزكى جعلنا عوضا من الذهب والفضه كاسات زجاج، والدسقسات خشبا، من أجل نهب قره لهم. وكانو يكتونه بكلام كثير صعب وهو



◄ الأوانى المقدسة.

سنة ١٤٢ هجرية

أهل المحرم يوم الجمعة ٤ مايو ٧٥٩م.

*تخلص عبد الرحمن الداخل من زعيمى الثورة ضده، ففيها سار يوسف الفهرى بعد هربه إلى مدينة طليطلة محاولاً تنظيم قواته لحرب عبد الرحمن إلا أن بعض الخونة من أنصاره إغتالوه وحملوا رأسه إلى قرطبة فبذلك توفى آخر أمراء الأندلس قبل قيام الخلافة الأموية بها عن سبعين سنة حكم خلالها الأندلس نحو عشر سنين، ثم إستولى تمام بن علقمة على المدينة وأسر محمد بن عبدالرحمن، وفى الوقت نفسه دس على الصميل الزعيم الثانى من قتله فى داخل سجنه.

* ثار على الخليفة المنصور أمير خراسان عبد الجبار الأزدى ولكنه أسر وضربت عنقه بالكوفة، كما ثار بالسند أميرها عيينة بن موسى فأنفذ اليه جيشا بقيادة عمرو بن حفص العتكى فغلب عليه وخلفه فى الولاية.

* توفى فى هذه السنة الكاتب المنشئ الفارسى الأصل عبد الله بن المقفع عن ٣٦ عاماً وهو مترجم كتاب كليلة ودمنة ومؤلف كتاب الأدب الصغير والأدب الكبير.

صابر على تبكيتهم. وداع إلى السيد المسيح راعى الرعاه أن يتسلم منه شعبه بسلام.

والرب يسوع المسيح فعل فى أيامه امورا عجيبه، لأنه مهتم بخلاص كل أحد من الناس كان أنسان أسمه يونس أرخن رزقه الله قبولا عند الولاه فمضى إلى قره وقال له: يجب أن تعلم ان الرهبان والأساقفه الذين فى ساير الأماكن قد ثقل عليهم الخراج وهاهنا أمر سهل، منهم من هو

(*) الأوانى المقدسه وهى:
١ .الكرسى أو التابوت:
هو عبارة عن صندوق خشبى وغالبا ما يوضع فوق المذبح فى الوسط لحفظ الكاس أثناء التقديس ويعلوه غطاء من جزئين يفتح من الوسط حتى يسهل وضع الكأس واخراجها حسب متطلبات طقس الخدمة ويرسم على جوانبه صورة العشاء الربانى وصورة يسوع وبعض القديسين.
* يسمى عرش أو كرسى إشارة إلى الكرسى الجالس عليه المسيح (أش ٦ :١)، (رؤ ٤ : ٢)،حيث أن

سنة ١٤٣ هجرية

وافق مستهل السنة يوم الثلاثاء ٢٢ أبريل ٧٦٠م.

*تولى إمارة مصر حميد بن قحطبة (٥ رمضان) وعزل عنها يزيد بن حاتم فى ذى الحجة من السنة نفسها وفى خلال ذلك أنفذ قائده أبا الأحوص العبدى لقتال الثائر أبى الخطاب بإفريقية ولكنه هزم فقاد حميد الجيش وكر على أبى ا لخطاب فهزمه، وحميد هذا هو الذى تولى خراسان بعد ذلك.

* واجه عبد الرحمن الداخل بالأندلس ثورة جديدة قادها رزق بن النعمان صاحب الجزيرة الخضراء الذى نجح فى الاستيلاء على شذونة ثم على اشبيلية وفى هذه الأخيره حصره عبد الرحمن فتقرب اليه نفر من أهلها بتسليم رزق إليه فقتله وأمنهم.

* ثار الديلم على المسلمين وفتكوا بهم فأنفذ إليهم المنصور جيشاً لقتالهم، وفى إفريقية استمرت الحرب مع الأباضية بعد مقتل أبى الخطاب.

* حج بالناس فى هذه السنة أمير الكوفة عيسى بن موسى، وفيها عزل الخليفة المنصور الهيثم عن إمرة مكة بالسرى بن عبد الله العباسى.

* توفى فى هذا التاريخ: اسماعيل ابن الامام جعفر الصادق فى حياة أبيه واليه تنسب الفرقة الاسماعيلية من الشيعة ويعتبر اسماعيل جد الخلفاء الفاطميين وزعموا أنه ما زال مستوراً وأنه لا يموت حتى يملك الأرض وينشر العدل.

مكثر ومنهم من لا يقدر على قوته، ونحن نعرف حال ساير النصارى فإن رأيت أن توليني أمرهم استخرجت الخراجات. فولاه على الأساقفه والرهبان فلما أعطاه السلطان قال لقره: أن فيهم من لا يومن بأمانة النصارى القبط ولا يصلون مع المسلمين فما ترى ان أفعل بهم؟ فقال: أفعل بهم بناموس النصارى وضاعف الجزيه عليهم. فخرج من عنده بتدبير الله ومضى أولا إلى كرسى «صا»

الكأس التى فيه يوضع بها دم يسوع الجالس على كرسى مجده وتسجد له جميع القوات السمائية.

* يسمى أيضا تابوت إذ يحوى الكأس الذى به دم المسيح المن السماوى الذى يحيى كل من يشرب منه (يو ٦ : ٥٤) كما كان تابوت العهد القديم يحوى داخله قسط المن (خر ١٦ : ٣٣).

٢.الصينية.

تصنع الصينية من الذهب أو الفضة أو أى معدن آخر مناسب، وهى مستديرة مسطحة ولها حافة وليس لها قاعدة ولا حوامل ولا يوجد بها أى ◄

سنة ١٤٤ هجرية

أهل المحرم يوم السبت ١١ أبريل ٧٦١م.

*ظهر بالمدينة محمد النفس الزكية وهو محمد بن عبد الله حفيد الامام الحسن ودعا ومعه إخوه ابراهيم لنفسه وبايعه عامة أهل المدينة طوعا أو كرها فاستولى على مكة ودخلت اليمن فى طاعته ولكنه فشل فى ضم الشام اليه، ثم ندب المنصور لقتاله ولى عهده عيسى بن موسى بعد أن دارت بين المنصور والنفس الزكية مكاتبات إدعى فيها الأخير بأنه أحق بالخلافة من المنصور وكان قد امتنع من قبل عن مبايعة السفاح.

* عزل المنصور ولاة المدينة واليا بعد وال لتفريطهم فى طلب محمد النفس الزكية وإنتهى بتولية رباح المزنى.

* سار محمد بن الخليفة السفاح بجيش جمع من الكوفة والبصرة وواسط لقتال الديلم والقضاء على ثورتهم

* بنى الإباضى عبد الرحمن بن رستم رأس الدولة الرستمية بشمال إفريقية مدينة تاهرت وجعلها عاصمة له.

* واجه عبد الرحمن الداخل ثورة جديدة تزعمها الغافر اليمانى بأشبيلية.

* ممن توفوا فى هذه السنة، الزعيم الإباضى أبو الخطاب المعافرى قتل على يد أمير مصر.

وهو كرسيه، وكان هناك قوم مخالفون وهم: غايانيون، وشمطيكيون الذين ليس لهم بركة فازال مقالتهم النجسه وعمدهم باسم الأب والابن والروح القدس فاضا [ء] عليهم نور المعموديه وابتهجت نفوسهم. ثم مضى إلى المنى وكان أسقف كرسيه أبا هور، وعمد الرهبان هناك عند [بعد] دحضهم الخلاف، وكذلك الغايانيون والبرسنوفيون الذين هناك أشركهم مع

نقش بل تكون ملساء مستوية. فى الغالب لم يستخدم الرب الصينية عندما تمم العشاء السرى ليلة آلامه إلا أن الكنيسة إعتمدت إستخدام الصينية طول وقت القداس حتى لا يتبعثر منها أية جواهر أثناء القسمة والتوزيع.

* يوضع فى الصينية القربانة المختارة لتتحول إلى جسد المسيح للتذكير بالعذراء القديسة مريم التى حملت المسيح والمزود الذى ولد فيه وأيضاً القبر الذى رقد فيه.

سن ١٤٥ هجرية

وافق الأول من السنة يوم الخميس أول أبريل ٧٦٢ م

* بدأ الخليفة المنصور تخطيط وبناء مدينة بغداد بدلاً من الهاشمية التى بناها أخوه السفاح بجوار الكوفة وقد زهد فيها المنصور بعد ثورة الراوندية ، فخرج بنفسه يرتاد موقعان مناسبا حتى استقر على موضع بين دجلة والفرات فاشترى الأرض من أصحابها ورسمت خطوط المدينة الجديدة بالرماد على الأرض ثم بحب القطن المشتعل فلما أقر تخطيطها أمر بضرب اللبن وحرق الأجر وحفر أساس السور وجعل عرضه خمسين ذراعاً وأوكل بالعمل أربعة من قواده ووضع بيده أول لبنة فى أساس السور.

* إمتدت بيعة محمد النفس الزكية إلى عرب مصر وبايع كثيرون فى الباطن وماجت الناس مما دعا الوالى يزيد بن حاتم إلى منع عرب مصر من الحج.

* فشلت دعوة محمد النفس الزكية فقتل بالمدينة عن ٥٢ عاما على يد عيسى ابن موسى، ثم قتل أخوه ابراهيم بالبصرة بعد نجاح قصير على يد حميد بن قحطبة قائد المنصور، وشهد العام موت أبيهما عبد الله بن الحسن وأهل بيته فى حبس المنصور بالكوفة قيل أن المنصور حبس من بنى الحسن بن على بن أبى طالب أحد عشر رجلاً مقيدين فى سرداب تحت الارض لايعرفون ليلاً ولا نهاراً. وهذا السرداب عند قنطرة الكوفة، وهو موضع يزار، ويقال إن المنصور ردم عليهم السرداب فماتوا اختقاً.

الارثذكسيين. وخرج من هناك مضى إلى وادى هبيب. وكان هناك أيضا مقاله الغايانيين من مدة مايه وسبعين سنه من وقت الفرق [الخلاف] على يد يوليانوس أعادهم أيضا إلى الامانة الارتدكسية، وجمع كل البيع مجمعا واحدا بنعمة السيد المسيح معينه. وليس هو فقط بل وفى كل موضع يجد فيه أصول مره، التى هى المقالات النجسات من الرهبان او من غيرهم. وفى مدينة بنا وبوصير

٣. الكأس.
يوجد بالكأس تجويف يأخذ شكل المخروط الناقص (قريب من شكل الجرس)، وله عنق طويل يستقر على قاعدة دائرية الشكل، وكثيراً ما كانوا يرسمون على الكأس فى العصور الأولى صورة الحمل كإشارة إلى أن الكأس تحوى دم حمل الله الذى يرفع خطايا العالم. استخدم المسيح الكأس ليلة تأسيس هذا السر المبارك (مت ٢٦: ٢٦، ٢٧) والرسل أيضا تمثلوا به إذ سماها الرسول بولس كأس البركة وكأس عشية الرب. (١ كو ١٠: ١٦، ٢١). ◄

سنة ١٤٦ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الاثنين ٢١ مارس ٧٦٣م.

* إنتقل الخليفة المنصور إلى مدينته الجديدة بغداد قبل أن يكتمل بناؤها وجعلها مدورة فى وسطها المسجد والقصر واستخدم فى البناء بعض أنقاض قصر كسرى بالمدائن كما نقل إليها أبواباً من الكوفة وواسط والشام ، وبلغ مقدار ما أنفق حتى هذه السنة أربعة آلاف ألف درهم وكان أستاذ البنائين يعمل يومه بقيراط فضة.

* أعلن العلاء بن مغيث الثورة فى الأندلس على حكم عبدالرحمن الداخل رافعاً الراية السوداء رمز العباسيين بمدينة باجة ولكنه هزم قبل نهاية العام وتشتت أتباعه.

* عزل المنصور سَلْمَ بن قتيبة عن البصرة لميله إلى العلويين واستعمل عليها محمد بن سليمان.

* ولد فى هذه السنة شاعر العراق فى عصره أبو نواس (الحسن بن هانى) وذلك بالأهواز ومنها انتقل إلى البصرة قبل أن يستقر فى بغداد.

* ممن توفوا فى هذه السنة، النسابة محمد بن السائب الكلبى وهو أبو هشام بن السائب مؤلف كتاب الأصنام، وفيها قتل الشاعر سديف بن ميمون على يد عبد الصمد عم المنصور وكان متشيعاً للعباسيين ابان الحكم الأموى ثم متشيعاً للعلويين ابان حكم العباسيين.

٤.القبة.

تتركب القبة من قوسين من الفضة غالباً، ومتعامدين مع بعضهما البعض على شكل صليب وفى العادة يعلوها صليب صغير. قيل أن القديس يوحنا ذهبى الفم هو أول من أدخل إستخدام القبة، وتوضع القبة فوق الصينية لحفظ الخبز المقدس الموضوع عليها، كما تساعد فى وضع الأغطية عليه، وهى تحمل لنا بهذا الشكل منظر القبر كما أن الصليب الذى يعلوها يذكرنا بالنجم الذى ظهر للمجوس.

٥.المعلقة (بالقبطية ميستير).

تستخدم المعلقة فى تناول الدم المقدس، وقيل إن الكاهن فى القرون الأولى كان يضع الجسد فى أيدى المتناولين أو أفواههم، أما الدم فكانوا يتناولونه من الكأس مباشرة وفى القرن السادس فقط أستخدمت المعلقة.

٦.الإنجيل (البشارة)

نسخة من العهد الجديد تغطى بغلاف معدنى وتزين بالأيقونات، وفى الوسط على أحد الجانبين توجد أيقونة الصليب أو القيامة وفى الجانب الآخر توجد أيقونة العذراء مريم أو قديس البيعة، وفى زواياه الأربع يحلى برسم الإنجليين الأربعة.

٧.إناء الذخيرة.

عبارة عن وعاء من الفضة أو المعدن يوضع فيه الجواهر (الجسد والدم معاً)، لمناولة المرضى والمساجين وغير القادرين على الحضور. لا يستخدم هذا الإناء لحفظ الأسرار المقدسة لوقت آخر (أى تركه للطوارئ) إذ تمنع الكنيسة القبطية هذه العادة.

٨.درج البخور.

عبارة عن علبة صغيرة من المعدن أو الخشب يوضع فيها البخور، يشير البخور إلى صلوات القديسين (رؤ ٨: ٣ ـ ٤). كان يدخل البخور فى عبادة العهد القديم (خر ٣٠: ٣٨) وأيضاً دخل البخور فى عبادة العهد الجديد كما تنبأ عنه الأنبياء كقول ملاخى النبى «لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها إسمى عظيم بين الأمم وفى كل مكان يقرب لإسمى بخور وتقدمة طاهرة لأن إسمى عظيم بين الأمم..» (ملا ١: ١١)، وتحرم قوانين الرسل إستخدام أى بخور من أصل حيوانى (مثل العنبر)، والأنواع الجائزة من البخور هى (صندورس، لبان جاوى، عود، حصى لبان على جاوى).

٩.الشورية (المجمرة)

تشير المجمرة إلى العذراء القديسة مريم من حيث أنه، كما تحمل المجمرة الجمر هكذا حملت العذراء فى أحشائها المسيح. يشير البخور وهو يتصاعد من المجمرة إلى صلوات القديسين التى تقبل فى آلام المسيح، لأنه كما يحترق البخور بوضعه على الجمر فى المجمرة هكذا أيضاً إذ يدخل القديسون فى شركة آلام الرب تتصاعد صلواتهم إلى أعلى كرائحة بخور زكية، تشير القبة العليا فى الشورية إلى السماء، ويشير الجمر المتقد إلى التجسد الإلهى، والجلاجل المعلقة فى السلاسل وسيلة للتنبيه والتذكير.

١٠.المراوح

تسمى فى اليونانية (هكسا بيترجيون) أى (ذو الستة أجنحة) إذ يظهر عليها شكل الساروف ذو الستة أجنحة. ولقد جاء فى الدساتير الرسولية فى القرن الخامس أن شماسين كانا يستخدمان مراوح من الكتان أو الجلد الناعم أو ريش الطاووس، أثناء وقوفهما بجوار المذبح لطرد الحشرات حتى لا تمس الأوانى المقدسة. أما الآن فإن هذه المراوح تستخدم بحسب الطقس القبطى أثناء تلاوة التسبحة السيرافيمية لتشير إلى حضرة السيرافيم وتستخدم أيضاً فى المواكب الكنسية والدورات الاحتفالية وهى تصنع غالباً من المعدن فى شكل دائرة تمثل الهالة التى حول رأس القديس ولها يد وطويلة ويرسم فى منتصف الهالة شكل ساروف.

١١.أوان أخرى

* طبق القربان، يضع غالباً من سعف النخل ويوضع فيه الخبز المقدس الذى يتم اختيار الحمل منه، ويزين الطبق بالصلبان وأحياناً بخيوط من الفضة أو الذهب.

* الأدوات الموسيقية التى تستخدم فى الصلوات الكنيسة

بدائيـــة وبســـيطة وهى المثلث والدف.

* الإبـــريــق والـــطـــشـــت، ويســتـخــدمــان فى غــسل يدى الكاهن أثناء خـدمــة القــداس حسب متطلبات طقس الخدمة.

* قنينة الميرون، تحفظ غالباً فى علبة من الذهب أو الفضة أو أى معدن آخر ولا يمسكها إلا الكهنة ورؤساء الكهنة وتحفظ فى الهيكل أو فوق المذبح.

حامل الأيقونات (الإيقونستاسز)

وهب للكنيسة كما سبق أن ذكرنا، أن تقتنى فكر المسيح رأسها وراعيها، وبهذا الفكر يضاف إلى المبنى الكنسى أو تجرى تعديلاً عليه بما يساعدها على إقامة ليتورجياتها ويتمم رسالتها فى كل العصور ـ حيث أن كل عصر له متطلباته الخاصة فى الخدمة ـ مع مراعاة أن هذا العمل من جانب الكنيسة لا يعنى أنها تمس جوهر خدماتها أو تغير من هدف رسالتها، بل يعنى أن الكنيسة تمتلك القدرة لإقامة خدماتها والإعلان عن هدف رسالتها بالشكل الذى يناسب العصر الذى تعيشه.

* يسمى البعض حامل الأيقونات بالحجاب، نسبة إلى حجاب الهيكل فى العهد القديم، مع أن هذه التسمية لاتقبلها الكنيسة، لأن حجاب الهيكل إنشق إلى نصفين بالصليب، وأصبح الطريق إلى قدس الأقداس مفتوحاً أمام المؤمنين بالمسيح.

* ظهر حامل الأيقونات فى الكنيسة فى القرن الرابع للوقوف ضد هرطقة «مقاومة الأيقونات»، وبالدراسة التأملية فى حامل الأيقونات نجد أنه يجسم للمؤمنين رسالة الكنيسة ويعلن بوضوح هدف الخدمات الليتورجية... إنه يقوم بدور كرازى عظيم فى الكنيسة كما سنرى فيما بعد.

شكل حامل الأيقونات ومكوناته

*يتصدر حامل الأيقونات الهيكل ويفصل بينه وبين صحن الكنيسة، وهو يصنع فى الغالب من خشب ثمين مطعم بالأبنوس والعاج. كما أنه يحلى برسوم غاية ما تكون فى الدقة والجمال. تتألف هذه الرسوم فى الغالب من وحدتين أساسيتين هما الصليب والسمكة، فإن الصليب علامة الخلاص والسمكة علامة الحياة.

* يوجد فى وسط حامل الأيقونات الباب الرئيسى للهيكل ويسمى الباب الملوكى، وسمى هكذا لأنه يتم إختيار الحمل عليه كما أن الكاهن يدخل ويخرج منه أثناء الخدمة حسب متطلبات الطقس.

* إذا وجد فى المبنى الكنسى هيكلان جانبيان، فإن حامل الأيقونات الرئيسى قد يبرز قليلاً عن حاملى الأيقونات الجانبيين ـ كما هو بعض الكنائس الأثرية مثل كنيسة أبى سرجة وكنيسة العذراء بحارة زويلة ـ ليسمح بوجود بابين جانبيين بالإضافة إلى الباب الملوكى، ويستخدم هذان البابان فى طقس الدورات الإحتفالية بالأعياد ودخول الشمامسة للهيكل.

أنظر الرسم التوضحى بأسفله.

١ ـ الباب الملكى.

٢ـ أيقونة المسيح.

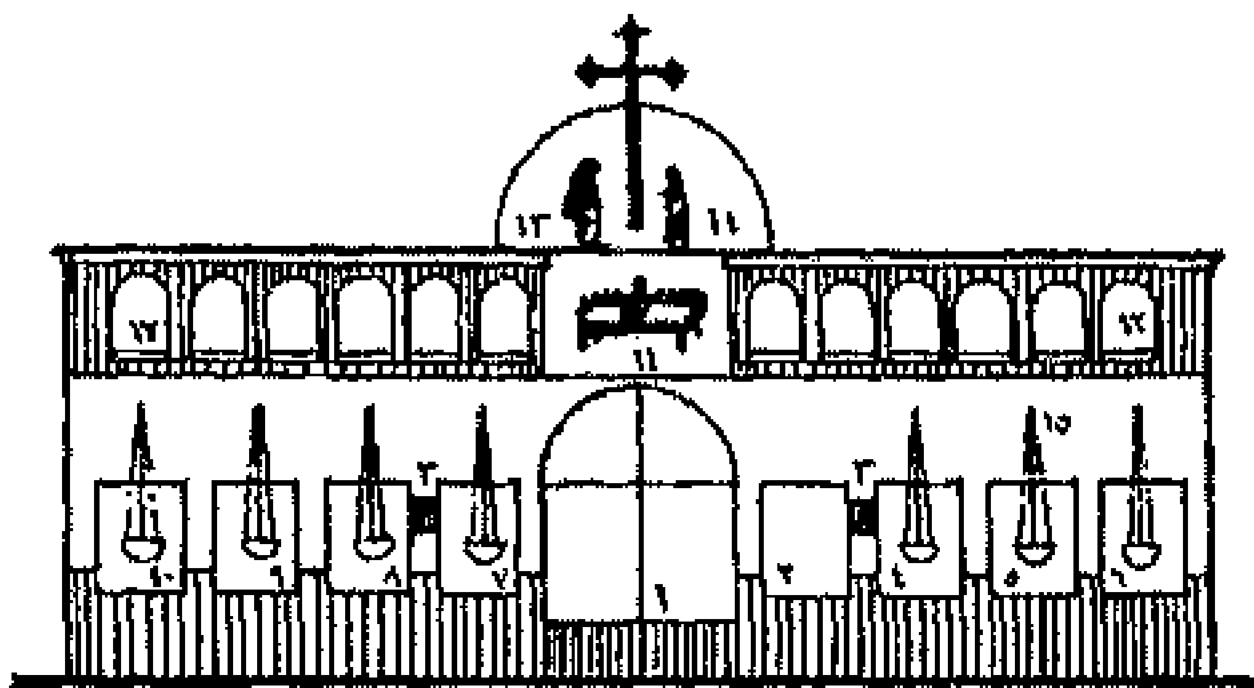
٣ ـ شباك.

٤ ـ أيقونة القديس يوحنا المعمدان.

٥ ـ أيقونة قديس الكنيسة.

٦ ـ أيقونة شهيد أو قديس أو أى حدث فى العهد الجديد أو القديم.

مكونات حامل الأيقونات

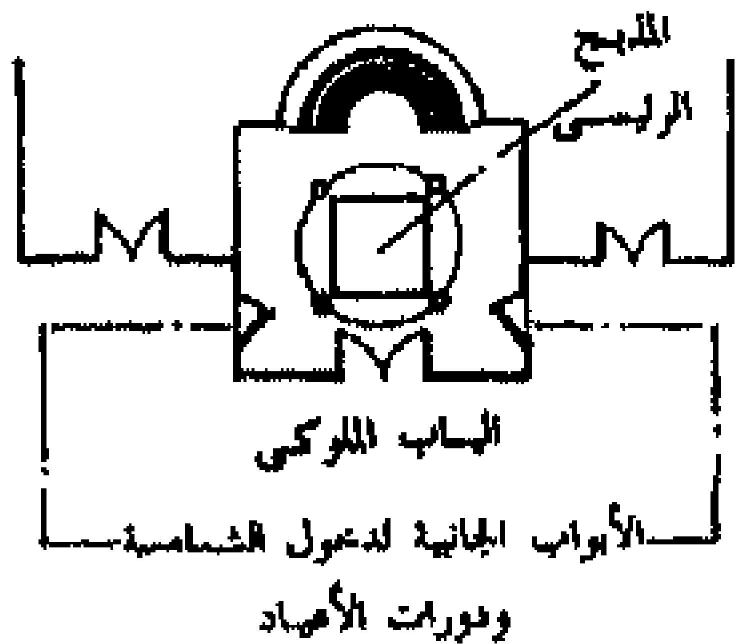


٧ ـ القديسة مريم الثيؤتوكوس.
٨ ـ البشارة.
٩ ـ رئيس الملائكة ميخائيل.
١٠ ـ القديس مار مرقس.
١١ ـ العشاء الأخير.
١٢ ـ التلاميذ.
١٣ـ القديسة مريم عند الصليب.
١٤ ـ القديس يوحنا الحبيب عن الصليب.
١٥ ـ يتدلى أمام الأيقونات السرج، فيما عدا أيقونة المسيح، في الكنائس الأثرية يتدلى ببيض النعام بين الأيقونات.

صحن الكنيسة

+كلمة صحن في الإنجليزى Nave وهى مشتقة من اللاتينية (نافيس) وتعنى سفينة، وكان صحن الكنيسة ينقسم تقسيماً عرضياً إلى ثلاثة أقسام، بحيث يفصل بين كل قسم وآخر حاجز من الخشب أو بناء متوسط الإرتفاع يسمى خورس، وبيان هذه الأقسام، كما يلى:

* القسم الأول: ـ قسم الشمامسة والمرتلين ومكانه بعد الهيكل مباشرة تجاه الغرب.



* القسم الثاني: ـ قسم المؤمنين وهو القسم المتوسط من صحن الكنيسة.

* القسم الثالث: ـ قسم الموعوظين وهو القسم الخلفى ويقع فى الجزء الغربى من صحن الكنيسة. الموعوظون هم المرشحون للدخول إلى الإيمان المسيحي وقبول المعمودية، وكان يصرح لهم بحضور قداس الموعوظين فقط، وهو الذى ينتهى بإنتهاء إنجيل القداس والعظة المرتبة عليه. لم تعد هذه الخوارس تستعمل الآن لتغير ظروف الكنيسة، فلا يوجد الآن موعوظون بالمفهوم السابق ذكره إلا أنه يجب على المؤمنين أن يقفوا بنظام وترتيب بحيث يتحقق الهدوء اللازم للعبادة إلى أقصى درجة ممكنه.

* ينقسم صحن الكنيسة حاليا تقسيماً طولياً إلى خورسين، بحيث يفصل بينهما الأعمدة مع الإحتفاظ بالجزء المجاور للهيكل للشمامسة والمرتلين، ويخصص الخورس الشمالى للسيدات بصفة عامة والخورس الجنوبى للرجال.

محتويات صحن الكنيسة:

١.الإمبل (المنبر)

* كلمة إمبل فى اليونانية امبون ومعناها المصعد، وفى الغالب كان يقام الإمبل على اثنى عشر عموداً إشارة إلى الإثنى عشر تلميذاً، وهو يصنع من الرخام أو الحجارة أو الخشب ويزين بأيقونات القديسين، ويصعد عليه الأسقف أو الكاهن ليعظ الشعب.

٢.القباب:

تحوى بعض الكنائس القبطية قبة واحدة تشير إلى الرب يسوع والبعض الآخر يحوى ثلاث قباب إشارة إلى أن المسيحى يعيش الحياة الجديدة بقوة القيامة. أو خمس قباب تشير إلى الرب يسوع والإنجيليين الأربعة.

* على العموم يشير السقف بما فيه من قباب إلى السماء، ولهذا يدهن غالباً بلون سماوى أزرق ويزين بصور الملائكة والنجوم.

* المبنى الكنسى هو المكان الذى تلتحم فيه السماء بالأرض فى المسيح يسوع. وهكذا عندما تدخل الكنيسة وتنظر إلى أعلى تشعر وكأن قلبك قد أختطف إلى السماء.

٣. الأعمدة

كانت الأعمدة فى الهيكل القديم تأخذ أسماءً خاصة: كما ذكر فى سفر أخبار الأيام الثانى «وأوقف العمودين أمام الهيكل واحداً عن اليسار ودعا إسم الأيمن ياكين واسم الأيسر بوعز» (٢ أى ٣: ١٧). أما فى العهد الجديد فلقد أصبح المبنى الكنسى يحوى غالباً إثنى عشر عموداً، إشارة إلى التلاميذ الإثنى عشر.

ومما هو جدير بالذكر أن الأعمدة بالكنائس الأثرية، يتزين كل منها بتاج يختلف عن تيجان الأعمدة الأخرى، ويندر أن تجد

تاجاً يشبه الآخر، وهذا يشير إلى أن كلاً منا له إكليله الخاص في إستحقاقات دم المسيح.

٤.المنجلية:

المنجلية كلمة معناها مكان الإنجيل، وهي ترتفع عن الأرض بحيث تكون في مستوى رؤية الشخص الواقف للقراءة،و يكون القارئ أيضاً على مرأى من الجميع. ظهرت المنجلية كبديل للإمبل وتستخدم الكنيسة حالياً إما منجلية متحركة أو منجليتين إحداهما للقراءات العربية والثانية للقراءات القبطية.

٥.اللقان:

عبارة عن إناء مستدير يثبت في أرضية الكنيسة وفي الجزء الغربي من صحنها بحيث يسمح للكاهن بإقامة الصلاة متجها إلى الشرق، يوجد اللقان بهذه الصورة في بعض الكنائس الأثرية، أما الآن فإن غالبية الكنائس تستخدم لقاناً متنقلاً، ويستخدم اللقان ثلاث مرات في السنة هي أعياد (الغطاس، وخميس العهد، الرسل).

٦.أبواب الكنيسة:

تنص الدسقولية على أنه يجب أن يكون للكنيسة ثلاث أبواب مثلاً للثالوث، أحدهما يكون في الجهة القبلية والثاني في الجهة البحرية، أمام الباب الرئيسي فقد نصت الدسقولية على أن يكون في الجهة الغربية لكي يتجه الداخل

* تشير الأبواب الثلاثة إلى المسيح فهو «باب الخراف» (يو ١٠: ٧)، الذى به وفيه يدخل إلى الكنيسة حسب تدبير الثالوث القدوس.

٧.بيت الخدمة (الدياكونية)

هو عبارة عن حجرة تجمع فيها القرابين والتقدمات والصدقات وإحتياجات الخدمة سواء كانت للخدمات الطقسية كالبخور والشموع والستور والكتب وأواني المذبح والزيت والدقيق، أو كانت لخدمة الفقراء كالملابس والمأكولات وغير ذلك، وقد أوصت الدسقولية أن تكون هذه الحجرة في الجهة القبلية على يمين الداخل من الباب القبلي.

يحقق بين الخدمة بهذه الصورة عامل الخفاء لتقدمات المؤمنين، لكي ينالوا أجرهم عليها من الأب السماوي الذى يرى في الخفاء ويجازيهم علانية (مت ٦: ٤).

٨.المعمودية:

تقام المعمودية في أقصى الغرب من صحن الكنيسة أو في قسم الموعوظين، وفي الجهة الشمالية منه، وربما تقام خارج المبنى الكنسي وأيضاً في الجهة الشمالية بحيث يكون لها باب يدخل منه الذين أعدتهم الكنيسة لنوال سر المعمودية ، وباب آخر يفتح على صحن الكنيسة ليدخل منه المعمدون بعد نوالهم سر المعمودية، ليأخذوا أماكنهم بين صفوف المؤمنين تمهيداً لاشتراكهم في سر الأفخارستيا، هذا الموقع أوصت به قوانين الرسل والحقيقة أنه يجسم فعل المعمودية (التجديد) كما يتضح فيما يلي: -

موقع المعمودية وارتباطه بالتجديد

تقام المعمودية في الجهة الغربية الشمالية من مبنى الكنيسة، حتى أن المؤمن بعد نواله سر التجديد في المعمودية يدخل إلى صحن الكنيسة حيث يتقدم مع المومنين للتناول من سر الأفخارستيا ليتحد المسيح ويعيش شركة الثالوث القدوس، بهذه الكيفية يكون المؤمن قد إنتقل من الشمال إلى اليمين ومن الغرب إلى الشرق، أى أنه رفض كل الأعمال الشريرةالتي يعبر عنها بالشمال ودخل ليقبل فعل النعمة الإلهية ويصبح من أهل اليمين، وترك الغرب الذى يشير إلى الحياة بحسب الجسد ولبس المسيح الشرق الحقيقي كما أشار إلى هذا الرسول بولس في قوله «لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح» (غل ٣: ٢٧).

المعمودية من حيث الشكل والمغزى منه

كانت المعمودية في بداية الكرازة بالمسيح وتأسيس الكنيسة تجرى بالتغطيس بإسم الثالوث القدوس في الأنهار أو البحار أو الينابيع، نذكر على سبيل المثال كيف عمد فيلبس الخصي الحبشي (أع ٨: ٣٨)، وعندما تمكنت الكنيسة من تخصيص

بعض البيوت للعبادة أو إقامة مباني خاصة للعبادة، حرصت على إقامة مبنى خاص بالمعمودية يلحق بمبنى الكنيسة، ويؤكد هذا، الإكتشافات الأثرية الكثيرة التي ترجع إلى عصر مبكر جداً منذ نشأة الكنيسة.

كانت المعمودية تقام في حجرة ملحقة بالمبنى الكنسي وأحياناً كان يلحق بها حجرة أخرى أو إثنتان أحدهما تستخدم لممارسة سر المسحة المقدسة والثانية لتغيير الملابس، وكان الشكل العام لحجرة المعمودية حتى القرن الرابع «مربع الجوانب» بحيث يعلو جرن المعمودية قبو، وفي بداية القرن الخامس ظهر في أوروبا معموديات بحيث على شكل سداسي أو ثماني أو دائري أو شكل صليب، وفي أغلب كنائسنا الأثرية مثل كنيسة الشهيد مارمينا بمريوط توجد مجموعتان من الدرجات من جهة الشرق والغرب في صلب مبنى الجرن، كما أنه في أغلب الكنائس القبطية توجد أيقونه عماد السيد المسيح في نهر الأردن وذلك على قبو المعمودية، وقد أهتمت الكنيسة الأولى بالأيقونات في حجرة المعمودية، فوجد في المعموديات التي بسرادق روما أنها مزينة ببعض صور رمزية كالحمل والسمك. وقد أعطت الكنائس الغربية إهتماماً خاصاً بحجرة المعمودية وجرنها بوضع صلبان عليهما ورسم أيقونات تمثل أحداث العهد القديم التي ترمز للمعمودية وأحداث العهد الجديد الخاصة بحياة السيد المسيح، وفيما يلي نقدم الاشكال المختلفة في شكل المعمودية...

الأشكال المختلفة للمعمودية

* الشكل الرباعي، وهو يماثل شكل القبر، لأن المعمودية كالقبر إذ يدفن فيها مع المسيح كل التابعين لكي يقوموا أيضاً معه.

* الشكل السداسي، يشير إلى اليوم السادس الذي فيه علق المسيح على الصليب.

* الشكل الثماني، يشير إلى اليوم الثامن أو اليوم الأول من الاسبوع الجديد الذي فيه قام المسيح من الأموات..

* الشكل الدائري، يشير إلى الأبدية حيث أن الدائرة بصفة عامة ليس لها نهاية محددة.

* شكل الصليب. يشير إلى أن المعمودية إشتراك سرى في صلب المسيح.

القبة:

القبو إما أن يعلو جرن المعمودية كعرش فرقها أو أن يرتفع كسقف فوق حجرة المعمودية وهو يمثل قبة السماء، وهذا بالإضافة إلى أنه، يجسم للمعمد الفكر اللاهوتي عن المعمودية وهي أنها الوسيلة التي بها تنفتح بصيرة قلبه ليرى السماء.

أيقونة المعمودية:

في أغلب الكنائس القبطية، ترسم أيقونة عماد السيد المسيح في الأردن بواسطة يوحنا المعمدان على الحائط الذي يعلو جرن المعمودية أو على القبو، ولقد أكتشفت أيقونات كثيرة في حجرات المعموديات تكشف عن فكرة الخلاص وغفران الخطايا في ذبيحة المسيح أو التجديد وقد هدفت الكنيسة من هذه الأيقونات أن يأخذ المعمد منها الإنطباعات الأولى عن حياة التجديد.

ملحقات أساسية للمبنى الكنسي

١. بيت القربان:

يطلق على بيت القربان لقب «بيت لحم» إذ أنه يعد فيه الحمل لأن الرب يسوع حمل الله الذي يرفع خطية العالم ولد في بيت لحم فهي كلمة عبرية معناها بيت الخبز.

بيت القربان عبارة عن غرفة بها فرن تصلح لإعداد الحمل وفي الغالب تبنى منفصلة عن جسم المبنى الكنسي.

٢. المنارة أو برج الكنيسة:

*الكنيسة هي سفينة النجاة من بحر هذا العالم الذي وضع في الشرير تمثل منارة الكنيسة صارى السفينة الذي من عليه ينظر البحارون إلى الميناء وتمثل أيضاً برج المينا الذي به تهتدى السفن للرسو على الميناء، المنارة إذن تجسم العمل المزدوج للكنيسة إذ أنها تحفظ أولادها من شرور العالم وتقودهم إلى الخلاص كما أنها تعلن عن الأبدية وتربط بها أولادها.

* تحمل المنارة فوق قمتها الصليب لأنه فخر الكنيسة كلها والعلامة التى تميز مبنى الكنيسة عن سائر المبانى المجاورة. الصليب تاج الكنيسة الذى تستمد منه سلطانها وتعمل به فى العالم للكرازة ببعديها الأفقى والرأسى فهو قوة الرسالة وأساس الخلاص.

* دخلت المنارة إلى مبنى الكنيسة بعد عصور الإضطهاد وأستخدمت للتنبيه على المؤمنين لحضور الصلاة، إذ وضعت فيها الأجراس كبديل للأبواق فى العهد القديم:

الرموز القبطية فى مبنى الكنيسة

إستخدمت الكنيسة القبطية الصور الرمزية فى مبانيها على نطاق واسع كما هو واضح فى حامل الأيقونات والأعمدة والحوائط والأسقف فى مبنى الكنيسة وكذلك تستخدم فى بعض الأيقونات كجزء منها وفيما يلى نذكر أمثلة للرموز القبطية..

١. السمكة:

* ترمز السمكة إلى المؤمنين، وقد رمز الرب يسوع بالسمك إلى المؤمنين كما جاء فى الأمثلة التى ذكرها عن الملكوت (مت ١٣ : ٤٧ـ٥٠)، (لو ٥ :٤ ـ ١٠).

* ترمز السمكة إلى المسيح كما فى الشرح الآتى:

يلد الرب يسوع (السمكة الكبيرة) المؤمنين (السمك الصغير) فى مياه المعمودية.

* الحروف اليونانية لكلمة سمكة تحوى الحروف الأولى من كلمات العبارة «يسوع المسيح إبن الله المخلص».

* السمكة إحدى العنصرين اللذين أشبع الرب بهما الجماهير، كرمز عن نفسه فهو خبز الحياة.

٢. الدلفين:

نوع من السمك ساد الإعتقاد بأنه أكثر صداقة للإنسان من غيره، ويوجد فى المتحف البريطانى نحت قبطى لدلفين يحمل على أنفه صليباً مكللاً بعناقيد من العنب ، ويرجع تاريخه إلى القرن السادس، ويرمز هذا المنظر إلى نفس المؤمن وهى تتنسم رائحة المسيح الذكية من خلال صليبه،و قد انفتحت هذه النفس لتشبع من ذبيحة الأفخارستيا (عناقيد العنب).

٣. الطيور:

ترمز الطيور إلى طبيعة النفس البشرية وتعتبر الطيور إحدى الملامح الرئيسية للفن القبطى لأنها أخذت عن إعتقاد مصرى قديم جداً خاص بطبيعة النفس البشرية.

٤. الحمامة:

الحمامة من الرموز الشائعة فى الفن المسيحى الأول ولها معان متعددة ...

* تشير إلى الروح القدس كما وجدت فى أيقونة البشارة وأيقونة عماد المسيح فى الأردن. «فلما إعتمد يسوع صعد للوقت من الماء . واذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه» (مت ٣ :١٦).

* ترمز الحمامة إلى فضائل المؤمنين وبالأخص السلام، البساطة، الوداعة، النقاوة.

٥. النسر:

إحدى المخلوقات الحية الأربعة المتمثلة حول العرش الإلهى تحمل شكل النسر، وهو يرمز للبشارة الرابعة لأنها تتحدث عن لاهوت المسيح، كما أن النسر يرمز أيضاً للقديس يوحنا بصفته كاتباً للبشارة الرابعة ، ولقد وجد بدير بويط بصعيد مصر رسم أثرى فريد يرجع إلى القرن السادس تقريباً وهو عبارة عن نسر يوجد على رأسه وجناحيه المرفوعين ثلاثة أكاليل من زهور متماثلة تطوى كل منها فى داخلها الحرفين الألف والياء واللذين يشيران إلى يسوع بكونه الأول والآخر.

٦. رموز أخرى:

* عنقود العنب، يرمز للمسيح (يو ١٥ : ١ ـ ٥) كما أن عصير العنب يستخدم فى تقدمه الأفخارستيا.

* الحمل ، يرمز أيضاً للسيد المسيح حمل الله الذى يرفع خطية العالم (يو ١ :٢٩)، كما أنه يرمز أيضاً للمؤمنين.

* المرساة، ترمز إلى الرجاء.

* السفينة، ترمز إلى الكنيسة.

وسمنود واعمالهن ورشيد ودمياط وقلعهم الرب من اصولهم ورمى بهم وجميع كورة مصر جعلها اتحادا واحدا وأمانه واحده، وأبطل ساير المقالات النجسات. ومقالة التاوضوسيين ابطلها ايضا.

وكان الأمير قره محبا لجمع(*) المال وكان كل أرخن يموت يأخذ جميع ماله، وكان قد مات صاحب ديوان اسكندريه، وبقيره الذى كان كاتبا

(*) زيادة غرامات وجبايات قرة ابن شريك من المصريين تؤدى إلى هروبهم من ديارهم وبلادهم.

سنة ١٤٧ هجرية

وافق الأول من السنة يوم السبت ١٠ مارس ٧٦٤م.

* في هذه السنة خلع الخليفة المنصور ولاية العهد من ابن أخيه عيسى ابن موسى وولاها ابنه محمد المهدى وجعل عيسى ولياً لعهد المهدى وكان السفاح قد جعل ولاية العهد لعيسى بعد أخيه المنصور.

* حج بالناس الخليفة المنصور وعزم على القبض على جعفر الصادق ولكن لم يتم له ذلك، وبينما هو في مكة بعث إليه عبد الرحمن الداخل أمير الأندلس الأموى برأس العلاء بن مغيث اليحصبى الذى كان داعية العباسيين في الأندلس ولكنه هزم وقتل، كما أرسل اليه كتابا كان قد بعثه الخليفة إلى العلاء يستعديه فيه على عبدالرحمن مع لواء اسود رمز العباسيين.

* تساقطت في هذه السنة الشهب في أول الليل إلى الصباح فشاع الفزع بين الناس.

* أغارت الترك على مدينة تفليس وعليها حرب بن عبدالله وهو الذى تنسب اليه خطة الحربية ببغداد فقتلوه وقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين.

* توفي في هذه السنة عبدالله بن على عم الخليفتين السفاح والمنصور عن أربع وأربعين سنة، أمه بربرية تدعى هنادة، وعبدالله هذا هو الذى هزم مروان ابن محمد آخر الخلفاء الأمويين عند الزاب وتبعه إلى دمشق وهدم سورها وقتل من بنى أمية ثمانين رجلاً بنهر أبى فطرس بفلسطين.

من تنيس، وجماعه لا يحصون من مصر، وأخذ مالهم. حتى الأساقفه أخذ ميراث الجميع، وزاد علي البلاد ماية ألف دينار سوى خراجها المعروف. وكانو الناس يهربون ونساهم وأولادهم من مكان إلى مكان وما ياويهم موضع من أجل البلايا ومطالبات الخراج وعظم ظلمه أكثر ممن تقدمه.

ثم أنه ولى إنسانا اسمه عبدالعزيز من مدينة

---

* ممن توفى في هذه السنة: مفتى الديار المصرية عمرو بن الليث، والمؤرخ الأموى أبو الحكم الكلبى مؤلف سيرة معاوية، وفيها توفى بالأندلس والى طليطلةحياة بن الوليد الذى كان قد ثار على عبدالرحمن الداخل فأسره وقتله، كما لقى مصرعه العلاء بن مغيث اليحصبى الذى سلفت الاشارة اليه.

سنة ١٤٨ هجرية

الأول من المحرم وافق يوم ٢٧ فبراير ٧٦٥م.

*تولى إمارة ا فريقية الأغلب بن سالم خلفاً لابن الأشعث الذى كان قد خرج عن الطاعة وهو جد دولة الأغالبة التي حكمت تونس وكان ابنه ابراهيم أول من إستقل بها.

* لم تنقطع ثورات أمراء الطوائف في الأندلس على عبدالرحمن الداخل فثار في هذه السنة سعيد المطرى صاحب لبلة واستولى على أشبيلية، وغياث ابن علقمة صاحب شذونة، وابن خراشة الأسدى صاحب جيان فهزمهم عبد الرحمن الواحد اثر الآخر.

* ولى المنصور على الموصل خالد البرمكى فقضى على فتن الأكراد بالقهر حينا والملاينة حينا، وفيها غزا حميد بن قحطبة بلاد أرمينية فلم يلق مقاومة.

سخا وكان يجمع الذين يهربون(*) من كل موضع ويردهم ويربطهم ويعاقبهم ويعيد كل منهم الى موضعه، وكان على الناس بلايا عظيمه.

(*) مطاردة الهاربين من أراضيهم وبلادهم والقبض عليهم وربطهم في طوابير لكي يعادوا للعمل في بلادهم تحت الظروف القاسية للحكام العرب.

ثم أنزل الله على أرض مصر وبا [ء] عظيم وصار من يموت (*) كل يوم لا يعرف عددهم. وكان أكثر من يموت من المسلمين. ثم دخل الوبا منزل قره فماتو نساه وغلمانه، وكان يهرب من

(*) انتشار الاوبئة القاتلة للناس فى كل مكان، حتى أن قرة بن شريك واهله ماتوا فى هذا الوباء.

سنة ١٤٩ هجرية

استهلت السنة بيوم الأحد ١٦ فبراير ٧٦٦ م

* أتم المنصور بناء سور بغداد وجعله مزدوجاً خارجياً وداخلياً وجعل الداخلى أعلى من الخارجى.

* غزا الصائفة ودخل أرض الروم الأمير العباس بن محمد أخو الخليفة ومعه من القواد الحسن بن قحطبة وعبد الرحمن بن الأشعث الخزاعي.

* تولى إمارة مكة عبد الصمد بن علي ثم صرف عنها بمحمد بن ابراهيم ابن محمد الامام الذى حج بالناس لسنته.

* شهدت الأندلس ثورة جديدة علي حكم عبد الرحمن الداخل تزعمها حليفه السابق أبو الصباح اليحصبى الذى خرج بأشبيلية بعد هزيمة سعيد المطرى.

* ولد فى هذه السنة (مستهل المحرم) الخليفة هرون الرشيد بمدينة الرى وهو ابن محمد المهدى من زوجته الخيزران وقيل فى تاريخ ولادته غير ذلك ، وأرضعته أم وزيره الفضل البرمكى الذى يكبره بسبعة أيام ليس إلا

* توفى فى طريقه إلى حرب الروم فى جيش العباس بن محمد قائده عبد الرحمن ابن الأشعث الخزاعى، وكان أميرا على مصر عام ١٤١هـ ، وهو الذى استعاد القيروان بعد أن قضى على ثورة ابن الخطاب.

موضع إلى موضع خوفا من الموت حتى فرغ من أجله فمات بغته بموته سو.

وقد كان يوليانوس بطريرك انطاكيه الذى مسك البيعه من أيام يوحنا بطرك اسكندرية إلى أيام الأب الاكسندروس وتنيح ومضى إلى النعيم الأبدى، فاجتمعو أساقفة المشرق ليقيمو لهم عوضا منه وكان الوالى عليهم اسمه الوليد لم يمكنهم من ذلك، وقال: ما أدع بطركا يتقدم فى أيامى.

سنة ١٥٠ هجرية

وافق هلال المحرم يوم الجمعة ٦ فبراير ٧٦٧ م.

* شبت فى خراسان ثورة قادها متنبئ يقال له أسباديس واستولى على عامة البلاد حتى تولى حربه خازم بن خزيمة فهزمه بعد أمور وبلغ عدد قتلاه سبعين ألفا وأسراه أربعة عشر ألفا، أما صاحب الدعوة فأوثق فى الحديد مع أهل بيته وأرسلوا إلى المنصور ببغداد.

* ثار المصريون فى شمال الدلتا وسخا فبعث اليهم يزيد بن حاتم جيشا لم يحقق عليهم أى انتصار ملموس.

*إنتهت ثورة أبى الصباح فى أشبيلية أخذه عبد الرحمن الداخل بالحيلة حتى قدم قرطبة فأوقع به وشتت أنصاره.

* توفى فى هذا التاريخ إثنان من زعماء الخوارج هما أبو الجارود رأس الفرقة الجارودية و زرارة بن أيمن رأس الفرقة الزرارية.

سنة ١٥١ هجرية

استهل المحرم بيوم الثلاثاء ٢٦ يناير ٧٦٨ م.

* جدد الخليفة المنصور البيعة لابنه المهدى ثم لابن أخيه من بعده عيسى ابن موسى فكان من يبايعه يقبل يده ويد المهدى ثم يمسح على يد عيسى.

وكانو حزانا لأجل ذلك، فعمدو إلى اسقف خايف من الله ممتلى من نعمة روح القدس اسمه ايليا اجلسوه على الكرسى ببيعة انطاكيه وكتب سنوديقا بناموس العتيقه وانفذها مع أسقف اسمه استفانوس إلى الأب البطرك الاكسندروس لما بينهما من الاتفاق، وكان القديس الاكسندروس يفتقد المواضع فاجتمع به فى وادى هبيب، فسلم له السنوديقا من الأسقف أنبا ايليا الذى أجلسوه

---

* بدأت عمارة الرصافة بالجانب الشرقى من بغداد وعمل لها سور وخندق وأجرى اليها الماء كما جرى العمل به فى بناء بغداد قبل ذلك.

* عزل عن ولاية مصر يزيد بن حاتم بعد سبع سنوات، وبها عزل عن السند عمر بن حفص المهلبى الذى تولى أفريقية فلما هزم على أيدى الثوار سير إليهم يزيد بن حاتم.

* نشبت ثورة جديدة بغرب الأندلس تزعمها دعى بربرى يدعى شقيا بن عبد الواحد وسار إلى شنت مرية واستولى عليها ثم دانت له ماردة وقورية ، وهزم والى طليطلة سليمان بن عثمان الذى أنفذه لحربه عبد الرحمن الداخل فأسره وقتله.

* ممن توفوا هذه السنة: الأشتر العلوى بن محمد النفس الزكية عن ثلاث وثلاثين ببلاد السند وكان قد خرج إليها ثائرا على حكم المنصور، وفيها توفى أمير خراسان أسيد بن عبد الله الخزاعى أحد زعماء الدعوة العباسية بالمشرق، وسليمان بن حكيم من زعماء البحرين كان قد امتنع عن المنصور فأرسل إليه من قتله.

سنة ١٥٢ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم السبت ١٤ يناير ٧٦٩ م.

* تولى إمارة مصر عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج وكان قد ولى شرطتها

علـى كرسى انطاكيـه، فوجدها موافقه للأمانه المستقيمه فقبلها بفرح واحضر مقدمى الكور واعلمهم ما جرى فى المشرق من منع الوالى للمومنين من تقدمة بطرك وأن الأساقفه استخلفو اسقفا عوضه ليتم الشرطونيات إلى حين زوال الغضب.

وقد كان مثل هذا فى زمان اغريغوريوس التاولوغس وابينا تاوفيلس كان بالاريانيين

من قبل لهذا جمع بين الامارة والشرطة ودامت ولايته نحوا من ثلاث سنين، وهو أول من خطب الناس فى ثياب سود رمز بنى العباس.

* تفاقمت ثورة الداعية البربرى شقيا بن عبد الواحد فى غرب الأندلس بعد مقتل عبد الرحمن الأموى لهذا خرج عبد الرحمن وقاد الجيش بنفسه فلاذ الدعى بالهرب إلى الجبال.

* غزا حميد بن قحطبة قائد المنصورإقليم كابل (أفغانستان) بعد أن تولى إمارة خراسان وفى التاريخ نفسه وثب الخوارج بسجستان على الوالى معن ابن زائدة فجرت بينهم وقائع قتل فيها معن.

* وتوفى حول هذا التاريخ بمدينة جنديسابور الطبيب السريانى جورجيش ابن جبرائيل وحفيد بختيشوع وكان قد استقدمه المنصور لعلاجه ببغداد فكان الشفاء فى علاجه، وهو أبو بختيشوع طبيب الرشيد بعد ذلك.

سنة ١٥٣ هجرية

استهل المحرم بيوم الخميس ٤ يناير ٧٧٠ م

* قبض المنصور على وزيره ابى أيوب الموريانى الذى تولى وزارته خلفاً لخالد ابن برمك ثم نكبه لأمور أخذها عليه واستصفى أمواله، وكان أبو أيوب كاتباً لسليمان بن المهلب فى دوله بنى أمية.

والاكاكيين، وقادت الضرورة إلى أن استدعو إلى القسنطينيه اغريغوريس المذكور وسلمت له البيعه، ولهذا طابت نفوس الأساقفه بمصر والبطرك وكتب جواب السنوديقا لاستفانوس ومن معه ومضى بسلام إلى كورته.

ولما تولى تادرس أمور اسكندريه فى أيام الأب الاكسندرس كان هناك طبيب من أهل اسكندريه فى أيام الوليد اسمه أنوبيس الذى هو «وجه

---

* ألزم المنصور الرجال لبس القلانس السود وكانت تشبه الدنان فى طول شبرين وتعمل من ورق على قصب وتغشى بالسواد.

* غزا الصائفة معيوف الحجورى واستولى على أحد حصون الروم فسبى وأسر وعاد بالاسلاب ثم قصد اللاذقية.

* فى أفريقية حلت الهزيمة بجيش نائب المنصور عمر بن حفص الأزدى على أيدى الخوارج الإباضية وبايعوا أبا قرة وكان على أربعين ألف من الصفرية، وفيها أغارت الحبشة على جدة فجهز إليهم الخليفة المراكب.

* ممن توفوا هذه السنة : المحدث ثور الكلاعى من أهل الشام اتهم بالقدرية فاخرج من حمص واستقر بالمدينة لحين وفاته.

سنة ١٥٤ هجرية

وافق هلال المحرم يوم الأثنين ٢٤ ديسمبر ٧٧٠م.

* جهز المنصور لحرب الخوارج الصفرية جيشاً عليه يزيد بن حاتم أمير مصر السابق وجمع له خمسين ألف فارس وأنفق على تجهيزه ثلاثة وستين ألف ألف درهم وهى نفقة لم يسمع بمثلها قبلا.

الحمار» فلما وجد الوسيلة سأل الأمير أن يأمر أن يقدمه بطركا من اسكندريه وكان روميا خلقدونيا مجدفا، فقبل سواله، وكان كاتب اسمه انسطاسيوس من اسكندريه، ودفع هذا الكاتب ألف دينار للأمير حتى جعل الغير بطرك الخلقدونى بمدينة اسكندرية، وكان يقاوم الأمانه المستقيمه ويتهزا بالاكسندروس وباخاصه إذا لحقه تجربه فى ذلك الوقت. ثم أن الشعب أراد قطع الخلقدونى

---

* عاد أمير الأندلس عبد الرحمن الداخل إلى قتال الدعى البربرى شقيا ابن عبد الواحد وقاد الجيش بنفسه وشدد فى مطاردته بين جبال غرب الأندلس دون توفيق.

سنة ١٥٥ هجرية

استهل المحرم بيوم الجمعة ١٣ ديسمبر ٧٧١ م.

* بنيت فى هذه السنة مدينة الرافقة على الفرات بجوار الرقة بعد أن تخربت الرقة وتولى عمارتها المهدى ولى العهد على طراز مدينة بغداد، كما أقام حول كل من الكوفة والبصرة سوراً وخندقاً وأنفق على ذلك من أموال أهلها ، كما أدار سوراً حول مدينة نيسابور.

* عزل المنصور أخاه العباس بن محمد عن الجزيرة وصادر مالا له لشكوى أهل الجزيرة منه كما عزل إبن عمه محمد بن سليمان لأمورن بلغته عنه.

* أحرز يزيد بن حاتم أمير أفريقية إنتصاراً حاسماً على الخوارج ودخل القيروان بعد مقتل زعيمهم أبى حاتم الاباضى الثائر فاستقامت المغرب للمنصور.

* طلب الامبراطور البيزنطى ليو الرابع الصلح إلى المنصور على أن يؤدى إليه الجزية وكان قد غزا الصائفة ودخل أرضه يزيد بن أسيد السلمى.

وقاموعليه فانهزم ومضى إلى الاكسندروس الاب وسأله بخضوع واعتذر عما كان بلغه عنه ورغب إليه أن يقبله فى الامانه الارتدكسيه، فقبله بمحبه مسيحيه وعاد إلى وصايا الله الذى قال إذا رأيت حمار عدوك ملقيا مثقلا فلا تولى عنه إلى أن تنهضه. ولم يزل على الأمانه الارتدكسيه.

ثم قام على البيعه تجارب وخرج أمر سو ا ء ا بأن تقلع من البيع العمد الملونه والرخام(*) الذى

(*)خلع الولاة للعمدان والرخام من الكنايس لاستخداماتهم الخاصة.

---

* حلت الهزيمة بالجيش الذى ارسله عبد الرحمن الداخل لمطاردة الدعى البربرى شقيان بن عبد الواحد وفر قائده عبيد الله بن عثمان.

* ولد بغداد أسحاق الموصلى من مشاهير رجال الغناء والموسيقى فى العصر العباسى ومن ندماء البلاط ببغداد.

* توفى ببغداد عن ستين سنة حماد الراوية (حماد بن سابور) وكان أعلم عصره بأيام العرب وأخبارها وهو جامع المعلقات السبع.

* فيها أغارت الحبشة على جدة عبر البحر الاحمر.

* ممن توفى فى هذه السنة: بمصر أميرها محمد بن عبد الرحمن بن حديج التجيبى وهو فى إمارته وخلفه بعهد منه موسى ابن على.

سنة ١٥٦ هجرية

وافق من السنة يوم الأربعاء ٢ ديسمبر ٧٧٢م.

* تولى إمارة البصرة سوار بن عبد الله وجمع له المنصور القضاء، وذلك خلفا للهيثم بن معاوية الذى لم يلبث أن توفى فى سنته، وفيها أقر الخليفة موسى ابن علَى على إمارة مصر خلفا لابن حديج.

فى البيع ويحمل جميعه، وكان الأب البطرك حزينا لأجل بيعته لأنها صارت خرابا لأجل ما فعلوه معه، وهو مع هذا يشكر الله ويصبر بشجاعه. ثم أن أمرين صعبين حدثا فى سنة أربع مايه واحدى وتلتين لديقلاديانوس فى تالت عشر سنه من الدكيتون [الدكتوس] لأجل خطايانا وعظم أفعالنا، وذلك ان من بعد موت(*) قره انفذ الوليد عوضه إلى مصر واليا اسمه أسامه فلما وصل الفسطاط التمس علام [مساحات] جميع

(*) تولى اسامه ابن يزيد بدلاً من قره بن شريك.

---

* نقم عبد الرحمن الداخل على مولاه بدر لفرط إدلاله عليه ولم يرع حق خدمته وطول صحبته فاستصفى أمواله ونفاه فى أقصى الشمال من الأندلس إلى أن توفى.

* ثار بناحية طرابلس الغرب أبو يحيى بن فانوس على أمير أفريقية يزيد بن حاتم واجتمع عليه كثير من البربر إلا انه فرق شملهم، كما أوقع الهزيمة بعبد الرحمن ابن حبيب وأنصاره من كتامة.

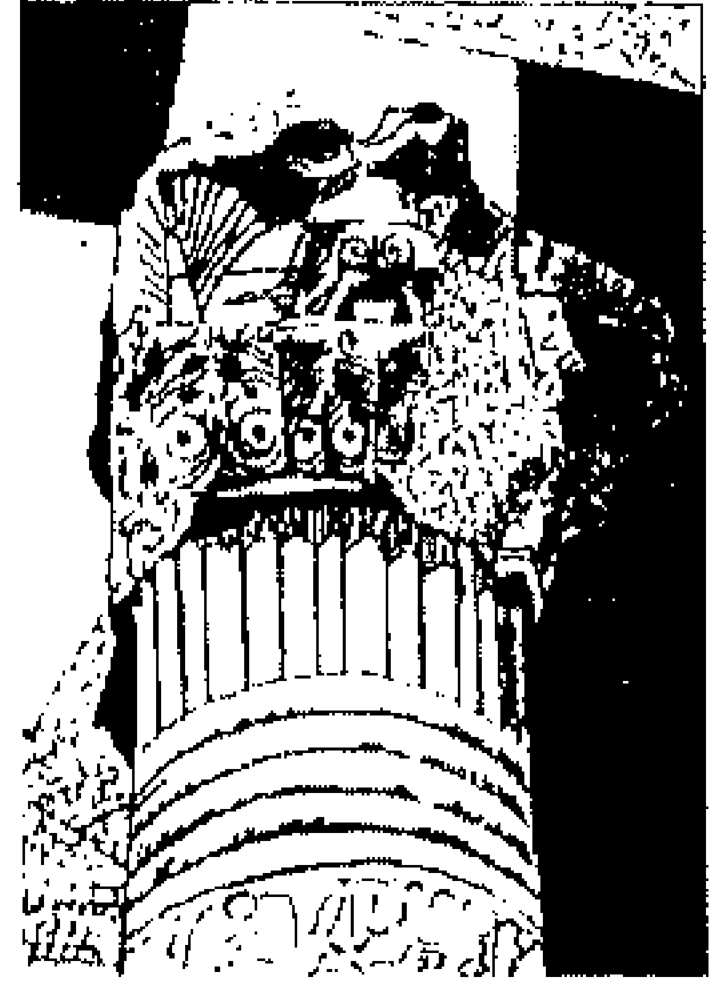
* تعاظمت ثورة شقيان البربرى بالأندلس بالرغم من تضييق عبد الرحمن عليه، وزاد من خطره نشوب ثورة جديدة فى أشبيلية تزعمها حيوة بن ملابس ومعه عمر ابن طالوت صاحب لبلة فانفذ إليها ابن عمه عبد الملك بن عمر فشتت شملهما.

سنة ١٥٧ هجرية

وافق هلال المحرم يوم الثلاثاء ٣١ أكتوبر ٧٧٥ م.

* فى هذه السنة بنى المنصور قصره الذى دعاه الخلد وراء باب خراسان وأشرف على البناء وزيره الربيع بن يونس وأبان بن صدقة وجر الماء إلى المدينة فى قنوات تنفذ إلى الشوارع والدروب، ونقل الأسواق إلى الكرخ وبنى لأهل الأسواق مسجداً فلا يدخلون المدينة.

*استعرض المنصور قواته من الجند والسلاح والخيل واتخذ مجلسه على شط دجلة



الكور وكتبها بالعربى وكان كثير ألفهم، فلما بدا بذلك حدث غلا عظيم لم يسمع بمثله من الجيل الأول، ومات فى ذلك الغلا أكثر ممن مات فى الوبا، وأشرفت جميع الأغنيا والفقرا على الموت. ثم أن رخا [ءً] عظيما أقبل حتى انتهى القمح إلى خمسه وعشرين أردبا بدينار، وبعد قليل وافى أيضا وبا [ء] فافنى العالم، ولو لم يرحم الرب من بقى منهم على الأرض لم يبق منهم أحد.

بالقرب من قطربل يشاهد العرض ورجال دولته من حوله وهو فى لباس الحرب من درع وقلنسوة وخوذة.

* ثار بالأندلس سليمان الكلبى والى برشلونة وتحالف مع الحسين الأنصارى والى سرقسطة على قتال عبد الرحمن الداخل الذى كان مشغولا بحرب الدعى البربرى بعد أن قضى على فتنة أشبيلية وقبض على ثلاثين ممن ناصروا الفتنة واعدمهم دون رحمة.

*قضى شارلمان على حكم اللمبارديين فى شمال ايطاليا.

* عزل المنصور واليه على السند هشام بن عمرو التغلبى بعد ست سنوات من الامارة وهو الذى افتتح كشمير والملتان وقندهار وبنى مساجدها لهذا عرف باسم صاحب السند.

سنة ١٥٨ هجرية

استهل المحرم بيوم الجمعة ١١ نوفمبر ٧٧٤ م.

* فى ليلة السبت السادس من الحجة توفى الخليفة المنصور وهو فى طريقه إلى الحج بالقرب من بئر ميمون وله من العمر سبع وخمسون سنة وقد دامت خلافته إثنين وعشرين سنة إلا أياما ولم يحضره عند وفاته سوى وزيره الربيع بن يونس الذى كتم خبر موته حتى أخذ البيعة لولى عهده وابنه محمد المهدى ومن بعده لعيسى ابن موسى، ودفن المنصور بثنية المعلاة بمكة.

وكان الأمير مقيما على فعله السو(*) وكل المسلمين والنصارى خايفون منه. ثم تقدم أن لا ياوى أحد غريبا فى البيع ولا الفنادق ولا فى السواحل، وكانو خايفين منه، وطردو من كان عندهم من الغربا. وتقدم إلى الرهبان ان لا يرهبو من ياتى إليهم. ثم أحصى الرهبان ووشمهم [دمغهم] كل واحد منهم بحلقه حديد فى يده اليسرى ليعرف، ووسم كل واحد باسم بيعته وديره بغير صليب بتاريخ مملكة الاسلام. وكان فى سنة

(*) اشتداد اسامه ابن يزيد فى جمع الاموال من المصريين بالرغم من الأوبئة والمجاعات ويضع فى يد الرهبان حلقات من الحديد وختم به اسم بيعته وديره كما كان يأمر جنده بنهب كل ما يقع تحت ايديهم، ويقول لهم: سلمت لكم أنفس الناس فتحملوا منهم كل ما تقدرون عليه.

---

* تولى محمد المهدى إبن المنصور الخلافة على أثر وفاة أبيه وله من العمر إثنين وثلاثين سنة، أمه أروى بنت منصور الحميرية، كان الربيع بن يونس قد انفذ رسلا إلى بغداد بخبر وفاة المنصور ودعاهم لبيعة المهدى فبايعوه وهو ثالث خليفة من بنى العباس.

* استمر عبد الرحمن الداخل بالأندلس فى مطاردة الدعى البربرى.الذى ألتجأ إلى الجبال ومع ذلك فدعوته ما فتتت مسيطرة على أهل سنت مرية وماردة لفترة بعد هذا التاريخ، وفيها أنفذ عبد الرحمن جيشا بقيادة ثعلبة بن عبيد لقتال الثائر سليمان الكلبى ولكنه هزم وأسر.

* توفى من رجال العلم فى هذه السنة: الامام الحافظ أبو زرعة (حيوة ابن شريح) شيخ الديار المصرية، وقاضى الجماعة بالأندلس معاوية بن صالح وكان ممن قدم من الشام مع عبد الرحمن الداخل وفيها توفى قاضى البصرة زفر ابن الهذيل صاحب الامام أبى حنيفة وذلك عن ثمان وأربعين.

* وافقت هذه السنة وفاة الامبراطور البيزنطى قسطنطين الخامس بعد حكم طويل دام ٣٤ عاماً إمتد منذ خلافة هشام الأموى إلى آخر حكم المنصور العباسى ولم تنقطع فيه الغزوات والغارات بين الجانبين.

ست وتسعين للهجره قلق على الرهبان وضيق على المومنين. وإذا ظهر راهب غير موسوم قدموه إلى الأمير فيأمر بقطع أحد أعضاه ويبقى أعرج. ولم يكن يحصى عدد من شوه به على هذه القضيه. وحلق لحى [رهبان] كتير وقتل جماعه وقلع أعين جماعه بغر رحمه. وكان يقتل جماعه تحت العقوبة بالسياط، وكان من محبته للدنانير يأمر الولاه أن يقتلو الناس ويحضرو إليه مالهم،

سنة ١٥٩ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الثلاثاء ٣١ أكتوبر ٧٧٥ م

* السنة الأولى من خلافة المهدى العباسي، وفيها اعتق المهدى جاريته الخيزران وتزوجها وهي أم ولديه الخليفتين الهادى والرشيد..

* كتب المهدى توقيعاً بانه اتخذ يعقوب بن داود أخا له فى الله ووصله بمال جزيل فأصبح بذلك أقرب نصحاء الخليفة وهو الذى تولى وزارته بعد ذلك خلفا لعبيد الله معاوية بن يسار.

* قاد أول صائفة فى خلافة المهدى الحسن بن الوصيف من الموالى وبلغت جيوشه أنقرة وفتحت بلدة للروم بنواحى طرسوس.

* ظهر فى هذه السنة المقنع الخراساني مدعى الألوهية فسير المهدى لحربه أبا عون ولم يظفر منه بشئ فاستعمل على حربه معاذ بن مسلم.

* وقع حريق ببغداد عند قصر عيسى احترقت فيه السفن بما فيها كما أصاب خلقا كبيراً.

* مازال شقيان الثائر البربرى معتصماً بجبال الأندلس تطاردة قوات عبد الرحمن الداخل.

* توفى فى هذه السنة حميد بن قحطبة، كان قد ولاه المنصور إمرة مصر عام ١٤٣هـ، ثم وجهه لغزو أرمينية ثم كابل ثم تولى إمارة خراسان لحين وفاته.

ويكاتبـــهم ويقـــول: سلمت لكـم أنفس الناس فتـحملو [منهم] مـا تقـدرون عليـه من أسـاقـفـه ورهبان أو بيع أو كل الناس فأحملو القماش والمال والبهايم وكلمـا تجدونه لهم ولا تراعـو أحـدا، وأى موضع نزلتمـوه فـانهبـوه. وكـانو يخربون المواضع ويقلعون العمـد والأخشـاب ويبيعـون مـا يسـاوى عشـرة دنانير بدينار حتى صـارت الفـضـة خـمـسـة وتلتين درهمـا بدينار، والقـمـح أربعين أردبا بدينار،

سنة ١٦٠ هجرية

الأول من المحرم وافق يوم السبت ١٩ أكتوبر ٧٧٦م.

* فى هذه السنة خلع الخليفة المهدى بيعة ولى عهده عيسى بن موسى تحت الضغط والتهديد وأعلن البيعة لابنه موسى الهادى، ثم حج المهدى لأول مرة فنزع كسوة الكعبة وكساها كسوة جديدة.

* تم فى هذه السنة لقاء الثائر سليمان الكلبى (ويعرف بسليمان الأعرابى) بالامبراطور شرلمان فى مدينة بادربورن من أعمال ألمانيا وعرض عليه محالفة على قتال عبد الرحمن الداخل وشجعه على غزو شمال الاندلس فى مقابل تسليمه بعض مدنها وحصونها ومنها برشلونة وسرقسطه، واستجاب شرلمان له وبدأ فى تجهيز جيش كبير لغزو الأندلس.

* استولى الجيش الذى سيره المهدى براً وبحراً على مدينة باريد بالهند.

* عزل أبو عون عن إمرة خراسان وتولاها معاذ بن مسلم.

* ممن توفى: الشاعر العباسى صالح بن عبد القدوس اتهم بالزندقة فأمر به المهدى فقتل، وفيها توفى الأمير الأموى عبد الملك بن مروان كان قد لجأ إلى الأندلس فولاه عبد الرحمن الداخل إمارة أشبيلية وزوج ولى عهده هشاما من إبنته كثيرة، وفيها توفى الفقيه الشيعى الملقب شيطان الطاق تنسب اليه الفرقة الشيطانية من الشيعة.

والنبيذ أربعين مطرا بدينار، والزيت ماية قسط بدينار. وكلمن معه شي يخاف عليه أن يظهره ليلا [لئلا] يعاقب.

ومن الضيق والضنك همو الناس ببيع اولادهم، وإذا أعلمو الأمير بهذا لم يرق قلبه ولا يرحم بل يزيد فيما هو فيه. وكان يكتب ويقول: كل موضع يوجد فيه إنسان ماشيا أو يعدى من موضع إلى موضع أو طالعا من مركب أو نازلا وليس معه

سنة ١٦١ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الخميس ١٩ أكتوبر ٧٧٧.

* أمر المهدى بتعبيد الطريق من بغداد الى مكة وزوده بأحواض لمياه الشرب وأقام عليه المنازل والقصور أوسع مما بناه عمه السفاح، كما وسع وعمر المسجد الحرام واشترى الذراع من الأرض مما دخل فى حدود المسجد بخمسة وعشرين ديناراً وحمل اليه الرخام من مصر كما أضاف إلى الحرم المدنى ثلث مساحته وأحاطه بأروقة وقباب.

* بويع عبد الرحمن بن رستم مؤسس مدينة تاهرت بالامامة مؤسسا ما يعرف بالدولة الرستمية فى شمال أفريقية.

* و اجه عبد الرحمن الداخل بالأندلس خطراً جديداً فى شخص عبد الرحمن ابن حبيب الفهرى الملقب بالصقلبى والذى عبر البحر من افريقية إلى مرسية داعياً للخليفة المهدى العباسى.

* تولى إمارة مصر عيسى بن لقمان بدلاً عن موسى بن على غير أن إمارته لم تدم سوى خمسة أشهر.

* فشلت حملة شرلمان فى الأندلس التى شنها بايعاز من حليفه سليمان الأعرابى بعد أن قاومت سرقسطة الغزو ثم منيت الحملة بكارثة فى طريق عودتها إلى فرنسا عند باب شيزر (ممر

سجله(*) يؤخذ وتنهب المركب وما فيها وتضرب بالنار. وإذا وجدو من الروم فى البحر فيحضرونهم إليه، فمنهم من يقتله ومنهم من يصلبه ومنهم من يقطع يديه ورجليه، حتى انقطع الطريق، ولم يبق من يسافر ولا يبيع ولا يشترى، وثمرات الكروم تلفت ولم يبق من يشريها بدرهم واحد لأجل قيام أربابها عند داره شهرين ينتظرون السجل(*) بالافراج عنهم. وإذا أكل فار سجل الإنسان أو

(*) اسامه بن يزيد يتشدد فى عمل سجلات مع كل شخص تكشف عن هويته، يدفع عنها مالاً لاستخراجها أوعمل بدل فاقد.

(*) لعدم قدرة الجهاز الإدارى العربى فى عمل السجلات لكل المصريين، وقفت طوابيرهم أمام الدواوين للحصول على هذه السجلات وتركوا اعمالهم.

رونسفال) بجبال البرانس على يد البشكنس المسيحيين ، وقبل أن يصل الامبراطور إلى عاصمته لقى حليفه سليمان الأعرابى حتفه.

سنة ١٦٢ هجرية

استهل المحرم بيوم الاثنين ٢٨ سبتمبر ٧٧٨م.

* تولى إمارة مصر فى هذه السنة ثلاثة من الولاة من قبل المهدى، وأولهم واضح المنصورى الخصى الذى اشتد على أهلها فشكوا منه فعزله المهدى بمنصور بن يزيد ابن خالة الخليفة ولم يلبث منصور أن عزل بعد شهرين فخلفه أبو صالح يحيى ابن داود فى ذى الحجة.

* اتهم أمير مصر واضح المنصورى بميوله العلوية وانه أخفى إدريس بن عبد الله الذى لجأ الى مصر من المدينة فحمله واضح مع البريد إلى المغرب حتى نزل ولية وفيها أقام دولة الأدارسة.

* تسللت قوات بيزنطية حتى شمال أنطاكية وهدمت سور ميناء الحدث فرد المهدى بالاغارة على بلاد الروم بقوات بلغت ٨٠ ألفا غير المتطوعة وعلى رأسها الحسن بن قحطبة.

* وضع المهدى دواوين الازمة لأول مرة وولى عليها عمرو بن مربع بحيث يكون لكل ديوان زمام أى رجل يضبطه فمن ثم كان الاسم.

أصـابه مـا [ء] أو نار أو شي من العـوارض، وبقى معه منه قطعه أو جميعه وقد تغير رسمه لا يغير له حتى يدفع خمسة دنانير غرامه وبعد ذلك يغير له.

وكانت أمرأة أرمله أخذت سجلا لولدها اليتيم الوحيد ترجو من عمل يديه ما تقتات به، فخرجت من اسكندريه إلى اغراوه وخـرج الصبى إلى النيل يشرب ما [ء] فخطفه التمساح والسجل مربوط مـعـه وامـه تبكي وتحـترق عليـه، فـرجـعت إلى اسكندريه فاعلمت الأمير الغير مومن ما جرى

---

* قضى عبد الرحمن الداخل بالأندلس على الدعوة العباسية التى كان يتزعمها عبد الرحمن بن حبيب الصقلبي فأحرق سفنه الراسية في مرسية ودس عليه من إغتاله.

* نشبت ثورة في طبرستان تزعمها عبد القهار من طائفة المحمرة ولكن قضى عليها قائد المهدى عمرو بن العلاء.

* ولد بالبصرة إمام الأدب عمرو بن بحر الجاحظ مؤلف كتاب البيان والتبيين وكتاب البخلاد وكتاب الحيوان وغيرها.

سنة ١٦٣ هجرية

الأول من المحرم وافق يوم الجمعة ١٧ سبتمبر ٧٧٩ م.

* بلغ المهدى مدينة حلب لاعداد العدة لغزوة كبرى على بلاد الروم واستخلف على بغداد ابنه وولى عهده موسى الهادى ففتح ابنه هرون حصن سمالو وغيرها من المواقع وبعدها زار الخليفة المهدى بيت المقدس ، وحج بالناس ابنه علي.

* تولى هرون ابن الخليفة إمرة المغرب وافريقية وأذربيجان، وكان على بلاد السند نصر بن محمد بن الأشعث.

* توفى عن ثلاث وسبعين خالد بن برمك رأس بيت البرامكة وكان على ديوان الخراج ثم تولى إمارة فارس وهو أبو يحيى البرمكي وجد الوزيرين الفضل وخالد.

عليها فلم يتراف عليها بل اعتقلها حتى وزنت عشرة دنانير بسبب السجل، وأنها دخلت المدينة بغير سجل، وباعت ثيابها وكل مالها وطافت تتصدق حتى أوفت العشرة الدنانير. وكان الشيطان الذى كان موافقا له وقلبه مثل قلبه يلقى فى قلبه كل اليوم السو.

ثم انفذ كشف الديارات [الأديره] فوجد فيها جماعة من الرهبان بغير [وشم] حلق فى أيديهم

---

* توفى منتحرا بقلعة سنام بالتركستان المقنع الخراسانى الذى ادعى الربوبية فلما حصره سعيد الحرشي قائد المهدى جمع أهله وسقاهم السم فمات وماتوا معه.

* توفى بالأسكندرية أمير مصر موسى بن على (بضم العين تصغير على) عن ٧٣ عاماً.

سنة ١٦٤ هجرية

استهلت السنة بيوم الأربعاء ٦ سبتمبر ٧٨٠م.

* فى أول يوم السنة عزل عن إمرة مصر أبو صالح يحيى بن داود بعد عام واحد، خلفه سالم بن سوادة.

* غزا هرون ابن الخليفة الصائفة وتوغل فى بلاد الروم (الأنضول) حتى بلغ ساحل البحر أمام القسطنطينية مما إضطر الامبراطور قسطنطين السادس أن يصالح المهدى على سبعين ألف دينار مدة ثلاث سنين، ولكن الروم لم يلبثوا أن نقضوا الصلح.

* لم تنقطع الثورات ضد عبد الرحمن الداخل فى الأندلس فقضى فى هذه السنة على ثورة السلمى فى طليطلة والكنانى فى الجزيرة الخضراء، وفى الشمال انفرد الثائر الحسين الأنصارى وبالزعامة بعد اغتياله حليفه السابق سليمان الأعرابى.

* انتصر شارلمان على الساكسونيين.

فمنهم من ضربت رقبته ومنهم من مات تحت السياط.

ثم انه سمر باب البيعة بالحديد وطلب منهم ألف دينار، وجمع مقدمي الرهبان وعذبهم والتمس منهم عن كل واحد منهم دينارا وقال متى لم تقوموا بذلك هدمت البيع واخربتها وجعلتكم في مراكب الأسطول(*)، فقلقوا شيوخ الرهبان وتمنو الموت ولم يعلمو ما يصنعو ولم يكن لهم

(*) كانت مراكب الاسطول تزود بالمصريين الذين يجبروا على العمل فيها حتى موتهم بعيداً عن أهلهم وديارهم.

سنة ١٦٥ هجرية

وافق هلال المحرم يوم الأحد ٢٦ أغسطس ٧٨١م.

* خرج بصعيد مصر دحية حفيد عبد العزيز بن مروان الأموى ودعا لنفسه فتولى أمر مصر ابراهيم بن صالح ابن عم الخليفة.

* سير عبد الرحمن الداخل جيشاً ضخماً قاده بنفسه للقضاء على ثورة الشمال التى انفرد بقيادتها الحسين بن يحيى الأنصارى فى سرقسطة وحصره فيها حتى طلب الصلح وقدم ابنه رهينة، وتابع عبد الرحمن سيره إلى مملكة النافار الأسبانية ودخل بنبلونة وقلهرة وخرب قلاعها وأرغم أميرها على تقديم الطاعة والجزية فأمن بذلك جانب الأسبان النصارى وجانب الثوار المسلمين.

سنة ١٦٦ هجرية

الأول من السنة وافق يوم الخميس ١٥ أغسطس ٧٨٢م.

* أخذ الخليفة المهدى البيعة لولده هرون بعد أخيه موسى الهادى ولقبه الرشيد.

* حمل المهدى حملة شديدة على اصحاب المذاهب المهرطقة فأباد منهم فى هذه السنة خلقاً كثراً وكان يتولى هذه المهمة وزيره الكلوذاني.

إلا اجتماعهم في البيع والصلوات والتضرع إلى السيد المسيح أن يترأف عليهم بحزن وكابه حتى سمع الله الكريم الرحيم دعاهم ونجاهم بسرعة بان توفي سليمان ابن عبدالملك(*)، وهو كان في ذلك الوقت الملك الكبير، وملك مكانه عمر بن عبدالعزيز الذى كان أمير مصر، وانفذ الوقت بارادة الله الروف واليا إلى مصر فرمى طوبه حديد في رجلي أسامه البايس [البائس] وخشبه في يديه وجعله في الحبس، وكان مظلما، إلى أن يرى رأيه

(*) وفاة سليمان بن عبدالملك وتولي عمر بن عبد العزيز الخلافة.

---

* عاد هرون ابن الخليفة من حملته على القسطنطينية بعد أن عقد الهدنة مع الروم على جزية مقدارها ٦٤ ألف دينار رومية و ٢٥٠٠ ديناراً عربية و ٣٠ ألف رطل من الصوف النقي

* تولى خراسان الفضل بن سليمان الطوسى خلفاً للمسيب بن زهير بعد ان اضطربت أحولها.

*انقلب المهدى على مستشاره وأخيه في الله يعقوب بن داود بعد أن صار الحل والعقد بيده حتى تندر بذلك الشعراء ثم تتابعت الوشايات ضده متهما بممالأة العلويين فأمر المهدى بحبسه في سجن المطبق ومصادرة أمواله، وفيها إطلق المهدى عمه عبد الصمد بن علي من حبسه الذى قضى فيه ثلاث سنين.

* ثار بالأندلس المغيرة بن الوليد على ابن عمه عبد الرحمن الداخل ونادى بخلعه فقتل.

* أمر الخليفة بتنظيم منازل للبريد بين اليمن ومكة وبين مكة وبغداد باستخدام الابل والبغال ولم يكن البريد قبل ذلك بقطر من الأقطار.

سنة ١٦٧ هجرية

وافق هلال المحرم يوم الثلاثاء ١٥ أغسطس ٧٨٣م.

* سار موسى الهادى ولي عهد الخلافة إلى طبرستان لإخماد الثورة بعد مقتل قائده عمرو بن العلاء.

فيه. ثم أخذه فأخرجه من اسكندريه إلى مصر فقبض الله روحه فى الطريق عقوبة له وضيقا بقدر استحقاقه.

وكان هذا عمر بن عبدالعزيز يصنع خيرا عظيما امام الناس ويفعل السو امام الله(*)، وأمر أن لا يكون على أواسى البيعه والأساقفة خراج، وبدا أن يجعل البيع بغير خراج والأساقفه، وأبطل الجبايات وعمر المدن التى خربت وكانو النصارى

(*) كان عمر بن عبد العزيز يصنع خيراً أمام الناس ويفعل السو أمام الله.

---

* سخط المهدى على ابن عمه ابراهيم بن صالح أمير مصر لتراخيه فى حرب دحية المروانى الثائر بالصعيد والداعى لنفسه فعزله وخلفه موسى بن مصعب.

* تولى عمارة المسجد الحرام يقطين بن موسى وكان من دعاة العباسيين قبل قيام دولتهم فأدخل فيه كثيراً من الدور حوله.

* نكث الثائر الحسين الأنصارى الصالح وجاهر بالعدوان فبعث اليه عبد الرحمن الداخل جيشاً بقيادة غالب بن علقمة ثم سار عبد الرحمن بنفسه إلى سرقسطة واقتحمها وقبض على الثائر وجماعته وأمر بهم فقتلوا جميعاً.

* توفى فى هذه السنة بشار بن برد أشعر المولدين وصاحب الديوان المتداول حتى اليوم، ولد أعمى جاحظ العينين ورمى بالزندقة، مات عن ٧٢ عاماً.

* توفى شيخ الدولة العباسية عيسى بن موسى ابن عم الخليفة السفاح، وكان قد ولى عهد الخليفة المنصورة ثم استنزله وجعله ولى عهد ابنه المهدى ثم استنزله المهدى فجعله ولى عهد هرون الرشيد.

فى أمن وهدو والبـيع. ثم من بعـد ذلك بدا أن يفعل السو وكتب كتابا إلى مصر مملو غما وهو فيه مكتوب: عمر يأمر ويقول من أراد أن يقيم فى حاله [عمله] وبلاده فليكن على دين محمد(*) مثلى ومن لا يريد فليخرج من أعمالى. فسلمو له النصارى ما بيديهم من التصرفات وتوكلو على الله وسلمو خدمتهم للمسلمين وصارو عبره لكثير، ودخلت [تسلطت] اليد على النصارى من الولاة والمتصرفين والمسلمين فى كل مكان كبيرهم

(*) عمر بن العزيز يصدر أمراً بطرد كل الكتاب والعاملين غير المسلمين من الدواوين.

سنة ١٦٨ هجرية

استهلت السنة بيوم السبت ٢٤ يوليو ٧٨٤م.

* نقض قسطنطين السادس الصلح الذى عقده مع الخليفة المهدى بعد ثلاثة أشهر فوجه اليه المهدى أمير الجزيرة على بن سليمان على رأس جيش كبير فأوقع به الهزيمة وغنم وسبى.

* ظهر بالأندلس أبو الأسود محمد بن يوسف الفهرى الذى كان قد اختفى منذ ربع قرن وادعى العمى، وأعلن الثورة ثانية على عبد الرحمن الداخل الذى هزمه وطارده حتى قلعة رباح.

* أظلمت الدنيا فى الثالث من ذى الحجة حتى تعالى النهار وأمطرت السماء مطراً أحمر ووقع إثر ذلك وباء شديد هلك فيه معظم أهل بغداد والبصرة.

* ولد فى هذه السنة الشاعر المصرى أبو عبد الله حسين بن الجمل ممن اتصلت سيرته بالخليفة المأمون بعد ذلك.

* فى التاسع من شوال = ٢٥ ابريل ٧٨٤م قتل والى مصر موسى ابن مصعب فولى المهدى مكانه اسامه بن عمر.

* توفى بمدينة تاهرت الامام الإباضى عبد الرحمن بن رستم مؤسس الدولة الرستمية

وصغيرهم غنيهم وفقيرهم. وأمر وقال أن توخذ الجزيه(*) منساير الناس الذين لا يسلمون، ولم تجر عادتهم بالقيام بها. فلم يمهله الله لكن أهلكه سرعه، ولم يمكنه بالملك لأنه كان يشبه الدجال.

(*) عمر ابن عبد العزيز يفرض الجزية على كل من كان معفيا منها.

ثم تولى بعده يزيد، وما نحسن أن نشرح ما جرى فى أيامه ولا نذكره من السو والبلايا، لنه [لأنه] سلك فى طريق الشيطان وحاد عن طرق الله. وأول ما أخذ المملكة اعاد الخراج الذى كان

بشمال افريقية وفيها توفى بسجلماسة مقدم الخوارج الصفرية، وعيسى بن زيد الطالبى وكان قد اختفى بعد ثورة محمد النفس الزكية. وفيها توفى الحسن الهمدانى من زعماء الفرقة البترية من الزيدية.

سنة ١٦٩ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الخميس ١٤ يوليو ٧٨٥ م.

* شهدت هذه السنة وفاة الخليفة المهدى، وقع عن دابته فى الصيد فى ماسبذان فلقى مصرعه، توفى عن ثلاث وأربعين وأقام فى الخلافة نيفاً وعشر سنين، وكان قد تولاها بعهد من أبيه المنصور.

* بويع موسى الهادى فى اليوم الذى مات فيه أبوه المهدى (٢٢ المحرم) وكان حين وفاة أبيه بجرجان فى حرب أهل طبرستان.

* استشهد الحسين الطالبى المعروف بصاحب فخ وحفيد الحسن المثلث وكان قد ثار على خليفة بغداد ودعا لنفسه واستولى على المدينة فلقيه جيش الهادى عند فخ وقتل، كما استشهد فيها سليمان بن عبد الله جد السلمانيين أصحاب تلمسان.

* توفى فى هذه السنة الوزير العباسى الربيع بن يونس عن ٥٨ عاماً، استوزره المنصور واليه

عمر بن عبدالعزيز قد رفعه عن البيع والأساقفه سنه واحده، وحمل على الناس ثقلا عظيما حتى ضاق كلمن فى بلاده. ولم يكتف بهذا فقط حتى أمر بكسر الصلبان فى كل مكان وكشط الصور التى فى البيع لأنه كان قد أمر بذلك، لكن السيد المسيح أهلكه لأجل ذلك، وأخذ نفسه بعد أن ناله قبل موته بلايا كثيره. وكان مدة مقامه فى الملك سنتين وأربعة شهور. وولى بعده هشام(*) أخـوه، كان رجلا خايفا من الله على طريق الاسلام، وكان

(*) وفاة عمر بن عبدالعزيز وتولى أخوه هشام بدلاً عنه.

تنسب قطيعة الربيع ببغداد، وفيها قتل دحية بن مصعب الأموى حفيد عبد العزيز بن مروان بصعيد مصر بعد أن فشلت ثورته.

سنة ١٧٠ هجرية

وافق هلال المحرم يوم الأثنين ٣ يوليو ٧٨٦م.

* فى نحو النصف من شهر ربيع الأول توفى الخليفة موسى الهادى عن ست وعشرين سنة ولم تدم خلافته سوى عام واحد، وقيل توفى خنقاً لأنه حول ولاية عهده عن أخيه الرشيد وله من الأبناء تسعة سبعة ذكور وابنتان كلهم من أمهات الأبناء.

* بويع هرون االرشيد بالخلافة فى الليلة نفسها التى توفى فيها أخوه الهادى وله من العمر خمس وعشرون سنه.

* قلد الرشيد على أثر توليته الخلافة وزارته يحيى بن خالد البرمكى وترك له أمر الرعية يحكم فيها بما يرى وكان يحيى بدوره يصدر عن رأى الخيزران أم الرشيد.

* تولى محمد بن سليمان أمرة مصر.

* ولد فى هذه السنة ابنا الخليفة الرشيد، ولد أولاً عبد الله المأمون فى النصف من ربيع

محبا لساير الناس ويخلص الارتدكسيين. فلما علم أن ليس لنا بطرك نحن النصارى بالمشرق من بعد يوليانوس الماضى بطرك انطاكية الذى جلس ايليا الأسقف عوضه، وتوفى ايليا أيضا، فأخذ انسانا اسمه اتناسيوس مملو بكل نعمه روحانيه وكان أيضا اسقفا فاعطاه بطركيه انطاكيه، ووضعو الأساقفه أيديهم عليه نيابة وصيروه بطركا. وكتب هذا اتناسيوس سنوديقا بعلوم وتواضع عظيم إلى الأب البطرك المغبوط الاكسندروس [يعلمه بجلوسه]،

الأول أمه أم ولد هى مراجل البادغسية، ثم ولد إبنه محمد الأمين فى شوال من العام أمه زبيدة بنت الخليفة أبى جعفر المنصور.

* توفى فى هذه السنة بالبصرة الخليل بن أحمد العلامة اللغوى المتفن عن سبعين سنة وهو واضع علم العروض ومبتكر النقط والشكل فى الكتابة، ومؤلف كتاب العين أقدم معاجم اللغة العربية.

* وممن توفوا من رجال العلم والأدب: الزيدى الحسن بن حى من زعماء الفرقة البترية.

سنة ١٧١ هجرية

استهلت السنة بيوم الجمعة ٢٢ يونية ٧٨٧م.

* أظهر على بن سليمان العباسي أمير مصر طمعه فى الخلافة بعد أن أعلن مسلموا مصر تأييدهم له فاسخط عليه الرشيد فعاجل بعزله واخلفه بموسى بن عيسى المرة الأولى.

* أمر الرشيد بإخراج الطالبيين من بغداد وإرسالهم إلى المدينة فيما خلا العباس بن عبد الله حفيد الامام على.

* اجتمعت ليحيى البرمكى الوزارتان بعد أن دفع إليه الرشيد خاتم الخلافة.

* ثار بالجزيرة الصحصح الخارجى وغلب عليها، فعزل الرشيد واليها أبا هريرة ابن فروخ وقضى على الفتنة قائده حرب بن قيس.

يقول: أنتى غير مستحق لهذه الرتبة منجل [من أجل] ذنوبى وليس هذا باختيارى فعلت ذلك لكن الملك لأنه كان عارف به [يعرفه] قبل هذا الزمان. فقبلها الاكسندروس بفرح، ثم كتب إليه جوابها باتحاد الامانة والصلح والسلامه، ثم كتب: نبارك على الملك هشام ونسأل أن تتثبت مملكته سنينا كتيره ويظفر باعدايه [باعدائه] ليفعل الاستقامة امام الرب. وشيع الرسل بسلام.

---

* أذن موسى بن عيسى أمير مصر الذى تولى فى ربيع الثانى من السنة خلفاً لمحمدبن سليمان (وذلك بمشورة الامام الليث) للنصارى فى بناء الكنائس التى هدمت لأنها بنيت فى الاسلام فى زمان الصحابة والتابعين.

* قام الدنمركيون بغزو انجلترا.

سنة ١٧٢ هجرية

وافق هلال السنة يوم الأربعاء ١١ يونية ٧٨٨م.

* توفى بقرطبة عن ثمان وخمسين سنة (٢٤ جمادى الآخرعلى الأرجح) عبد الرحمن الداخل المعروف بصقر قريش ومؤسس الدولة الأموية بالأندلس وكان قد دخلها قبل أربع وثلاثين سنة لم ينقطع خلالها عن قتال الثائرين عليه حتى أمن عرشه.

* ولى الرشيد أخاه عبيد الله إمرة أرمينية بعد عزل يزيد بن مزيد الشيبانى، وفيها تولى إمارة مصر مسلمة بن يحيى بن قره خلفاً لموسى بن عيسى (رمضان).

* تحالف أخوا هشام الأول أمير الأندلس الجديد وهما سليمان بن عبد الرحمن وعبد الله البلنسى (وكلاهما أكبر سناً من هشام) على الثورة والعصيان. كما ثار بسرقسطة فى شمال البلاد مطروح الكلبى.

ثم ان هشاما كتب إلى مصر يامر بان تدفع لكلمن يزن الخراج برا[ء]ه باسمه حتى لا يظلم احد ولا يكون في مملكته ظلم. فاعطاه الله مملكه جيده فأقام اتنين وعشرين سنه ملكا ولم تقم عليه حرب، لكن كل ثائر يثور عليه قد اسلمه الله في يديه بصلوات البطركين الجليلين الاكسندروس باسكندريه واتناسيوس بانطاكيه.

وكانت البيعه الارتدكسيه بدمشق ملاصقه

---

* توفي الفضل بن صالح إبن عم الخليفة من أمراء مصر في عهد الهادى وهو الذى عمر أبواب جامع دمشق وقبة الصحن،.

سنة ١٧٣ هجرية

استهلت السنة بيوم الأحد ٣١ مايو ٧٨٩م.

* عزل الرشيد عن إمارة خراسان جعفر بن الأشعب وولى مكانه إبنه العباس ابن جعفر، كما عزل عن إمارة مصر مسلمة بن يحيى بعد أحد عشر شهراً بسبب توالى الفتن وخلفه محمد بن زهير الأزدى الذى عزل بدوره في شهر ذى الحجة لأنه توانى عن نصرة عامل الخراج وتولى محله داود بن يزيد ابن حاتم.

* فشلت ثورة الأخوين سليمان وعبد الله على أخيهما هشام الأول والتمس عبد الله الصفح من هشام فعفا عنه واستقر بقرطبة ، أما سليمان فاضطر للفرار إلى الجبال.

* ممن ولد وفى هذا التاريخ الوزير الأديب أبو جعفر محمد بن عبد الملك الزيات وكان أبوه زياتا ببغداد، استوزره بعد ذلك ثلاثة من الخلفاء أولهم المعتصم، وفيها ولد الأغلب الثانى بن إبراهيم خامس أمراء الأغالبة فى تونس، وشيخ خراسان أبو عبد الله الذهلى بنيسابور.

* توفيت في هذه السنة (٢٧ جمادى الآخرة) الخيزران زوجة المهدى وأم ولديه الهادى والرشيد وكان دخلها ٦٦ مليون درهم تنفقه في الصدقات وأبواب البر، ومشى الرشيد فى جنازتها حافياً يخوض فى طين المطر اخذا بقائمة تابوتها.

للقصر الذى هو ساكنه، ثم أنه أمر أن يبنى البطرك بيته ملاصقا لمجلس الملك من كثرة حبه له حتى يسمع صلاته وقراءته، لأنه كان يقول له دفعات كثيرا: إذا بديت بالصلاة بالليل تنالنى راحة عظيمه ويزول عنى الهم بأمر المملكه ثم يأتينى النوم براحه. وكان يحبه كثيرا لأجل ذلك ويعطى كرامات كثيرا للبيع والنصارى. وكان عنده رجل مسلم يحب البيع الارثدكسيه جدا اسمه عبيد(*) الله فلما نظره الملك هشام يفعل ذلك فرح جدا

(*) هو عبيد الله بن الحبحاب ولاه الخليفة هشام بن عبدالملك خراج مصر (٧٢٣ ـ ٧٣٤م).

---

* ممن توفوا فى هذا التاريخ الشاعر السيد الحميرى (إسماعيل بن محمد) عن ٦٨ عاماً وهو الذى اشتهر بافراطه فى التشيع لبنى هاشم وهجاء غيرهم، وفيها توفيت غادر جارية الهادى وزوجته تزوجها الرشيد بعد موته ولكنها لم تلبث شهوراً حتى توفيت، وفيها توفى بالبصرة الأمير محمد بن سليمان بعد عام من زواجه من العباسة أخت الرشيد وخلف تركة عظيمة من المال والمتاع والدواب آلت إلى الخليفة.

سنة ١٧٤ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الخميس ٢٠ مايو ٧٩٠م.

* عقد الرشيد لابنه محمد من زوجته زبيدة لولاية العهد ولقبه بالأمين وعمره فى هذا التاريخ خمس سنين وهو أصغر سناً بشهور عن أخيه المأمون،وكتب الخليفة بذلك لولاة الأقاليم فأخذوا البيعة للأمين.

* انتهت ثورة الأخوين سليمان وعبد الله على أخيهما هشام الأول أمير الأندلس بأعلان استسلامهما فارضاهما بمال واشترط عليهما أن يسكنا المغرب فسارا إليه.

* تولى إمارة مصر (١٤ المحرم) داود بن يزيد فكان أول ما فعله أخراج الجند المشاغبين إلى بلاد المغرب، وفيها تولى إمارة السند اسحق بن سليمان، وفيها استقضى الرشيد يوسف بن القاضى أبى يوسف وذلك فى حياة أبيه.

وولاه [خراج] مصر وأوصاه ان يفعل الخير مع بنى المعموديه، فلما وصل إلى مصر أمر بان تحصى الناس والبهايم، وان تقاس الأراضى والكروم بحبال القياس. ففعل ذلك، وأن يجعل طابع [طوق] رصاص فى حلق كل الناس من ابن عشرين سنه إلى من عمره ماية سنه، واحصاهم وكتبهم جميعهم ودوابهم من الصغير إلى الكبير، والأراضى (الوكس) الخرس [البور] التى هى صعبه التى تنبت حلفا وشوكا. وبنى أميالا [علامات حجريه] فى

---

* ممن توفوا فى هذه السنة، قاضى الديار المصرية عبد الله بن لهيعة عن ٧٩ عاماً.

سنة ١٧٥ هجرية

وافق هلال المحرم يوم الثلاثاء ١٠ مايو ٧٩١ م.

* هاجت العصبية بالشام بين المضرية واليمانية وراح ضحيتها كثيرون وكان على الشام ولى عهد المأمون عيسى بن موسى فعزله الرشيد واستعمل على الشام موسى ابن يحيى البرمكي ، وتولى عيسى المعزول إمارة مصر للمرة الثانية.

* أخرج الرشيد وزير أبيه يعقوب بن داود من سجنه بعد أن حبسه المهدى قبل خمس سنين فسار إلى مكة مجاوراً.

* في الأندلس توالت الثورات علي هشام الأول فتصدى لها فاستعاد هشام طرطوشة من سعيد الانصارى واستعاد قائده برشلونة ثم سرقسطة من مطروح ابن سليمان الذى اغتاله أهلها، وبعدها انطلق قائده عبد الله بن عثمان إلى قشتالة وجليقية من الامارات النصرانية فهزم الجلالقة وحلفاءهم البشكنس، وتلتها حملة أخرى أوقعت الهزيمة بملك الجلالقة المسمى برمودو.

* توفى فى هذه السنة إمام أهل مصر الليث بن سعد عن ٨١ عاماً، وهو مصرى المولد

وسط الغيطان على الحدود والطرقات فى جميع أرض مصر. وأضعف [ضاعف] الخراج. فلما تمم جميع ما ذكرناه [أقام] ظلما كثيرا لم نذكره. ولما وصل الفسطاط مضى إلى مدينة منف(*) وأقام بها أربعة شهور، وأمر أن يجتمع إليه مقدمو المواضع إلى منف، وجعل علامة الأسد على أيدى النصارى، كقول الكتاب الذى قاله يوحنا ابن الرعد إذ يقول: لا يبيع أحد ولا يشترى إلا من كان على يده علامة الأسد. فلما تمم ذلك كتب إلى

(*) كان محل القاهرة الحالية تقريبا مدينة منف (الشرقية) لأن منف الغربية كانت مدينة الموتى. وكان هذا المكان يعرف كذلك بإسم كاهى رع = قاهرا = القاهرة فيما بعد فى الفترة الفاطمية.

والنشأة وكان أمراء مصر لا يقطعون أمراً إلا بمشورته، ضريحه مزار معروف بالقرب من الشافعى بالقرافة.

سنة ١٧٦ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم السبت ٢٨ أبريل ٧٩٢ م.

* عقد الخليفة الرشيد لابنه عبد الله بولاية العهد بعد أخيه محمد الأمين ولقبه بالمأمون وكتب بذلك عهداً علق فى جوف الكعبة.

* تأهب هشام الأول أمير الأندلس لإستئناف الجهاد ضد الأفرنج فعبر قائده عبد الملك بن عبد الواحد جبال البرانس إلى فرنسا بعد الاستيلاء على جيرونة فاستولى على أربونة وجرت عند نهر أوربيننا معركة بينه وبين جيش شرلمان إرتد بعدها مثقلاً بالغنائم والأسرى.

* إستمرت الفتنة فى الشام بين المضرية واليمانية وكان على المضرية أبو الهيذام حتى فصل بينهما الفضل البرمكى.

* خرج ببلاد الديلم يحيى العلوى والتفت حوله الشيعة من الأقطار المجاورة فندب الرشيد لحربه الفضل البرمكى على رأس خمسين ألفا حتى طلب الصلح فأمنه الرشيد ثم حبسه إلى أن مات.

بلاد مصر يقول: هكذا كلمن يوجد في ساير المواضع فليس على يده الرسم تقطع يده: ويخسر خساره عظيمه لأنهم لم يسمعو اوامر الملك وخالفوه. وكان له ولدان انفذ احدهما إلى القبله [الوجه القبلي الصعيد] والآخر إلى بحرى. وكان قلق عظيم واضطراب في كل كورة مصر.

ثم وصل إلى الجيزة وبنى له بها دارا عظيمه وكتب إلى كور مصر بان تحشد له جماعه من

---

* تولى حكم مصر في هذه السنة أميران هما: ابراهيم بن صالح العباسي للمرة الثانية الذى توفي فخلفه في شهر رمضان من السنة عبد الله بن المسيب وكان نائبه روح بن زنباع.

* ولد بمدينة طليطلة بالأندلس عبد الرحمن بن الحكم رابع أمراء الدولة الأموية بالأندلس وكان أبوه ولياً للعهد وواليا عليها من قبل أبيه هشام الأول.

* ممن توفي في هذه السنة أمير مصر عسامه المعافرى، تولاها عدة مرات.

سنة ١٧٧ هجرية

وافق هلال المحرم يوم الخميس ١٨ أبريل ٧٩٣ م.

* خلد هشام الأول أمير الأندلس إنتصاراته في فرنسا ببناء جناح جديد في مسجد قرطبة الجامع استخدم فيها أحجاراً جلبها معه من أنقاض سور مدينة أربونة الفرنسية وأرغم الاسرى على حملها أو جرها من أرض فرنسا.

* ولي الرشيد على إمارة افريقية الفضل وهو ابن واليها السابق روح بن حاتم الذى خلفه منذ وفاته حبيب بن نصر المهلبي وتلاه الفضل، الذى لم يلبث أن ثار عليه أهل تونس وعليهم ابن الجارود فقتل الفضل ودخل ابن الجارود القيروان فخلفه هرثمة بن اعين.

الناس يشغلهم فيما يريد [سخره] وبنى الفسطاط حتى ان الناس هلكو من التعب من كثرة ما اشغلهم.

فلما عظم التعب والقيام بالخراج الذى اضعفه عليهم ثارت حرب على النصارى والمسلمين حتى سفكت دما كثيره بأرض مصر بين القبيلتين: أولها فى مدينة بنا ومدينة صا ومدينة سمنود وما يجاورهن ومواضع كثيره فى أسفل الأرض [الوجه

---

* تولى إمارة خراسان الفضل البرمكى بعد عزل واليها حمزة الخزاعى، وتولى إمارة مصر اسحاق بن سليمان العباسى (أول رجب) خلفاً لابن المسيب الذى لم يدم أمره سوى عشرة أشهر.

سنة ١٧٨ هجرية

وافق الأول من السنة يوم الاثنين ٧ أبريل ٧٩٤ م.

* أثار البربر الفتنة فى إقليم رندة بشرق الأندلس وخلعوا طاعة هشام الأول فسير اليهم حملة بقيادة عبد القادر بن أبان فاخمدها وشتت شلمهم.

* وفى مصر ثار المصريين من أهل الحوف على الوالى اسحاق بن سليمان بسبب ما زاده من ضرائب على المزارعين حتى كرهته الناس فعقد الرشيد لهرثمة فجاءها من الشام على رأس جيش فأذعنت البلاد له ولم يلبث الرشيد بعد شهرين أن وجهه إلى افريقية للقضاء على الثورة فيها اذ كان الرشيد يندب هرثمة للملمات وخلفه على مصر عبد الملك بن صالح العباسى ولكنه لم يصلها.

* خرج الوليد بن طريف الشارى بالجزيرة وفتك بواليها ابن خزيمة وقويت شوكته فدخلت أرمينية وأذربيجان فى طاعته وكان أهل كل بلد يفتدون أنفسهم بالمال فسير اليه الرشيد بن مزيد الشيبانى ابن أخى معن بن زائدة فجعل يخاتله ويحاوره.

البـحـرى] ، وكـذلك كـان فى الطرق والجـبـال والبحار. ومتى شرحنا ذلك طال شرحه.

ولما دخل الوالى إلى اسكندرية ليـسـم الناس قبض على البطرك ليسمه(*) فـامـتنع فلم يدعـه الوالى، والتمس البطرك المضى إلى الملك فلم يجبه إلى ذلك، ثم بعد مده انفذ البطرك إلى مصـر مع جند يوصلونه إلى عبيدالله، فلمـا حـضـر بين يديه عـرّفه سـبب حـضوره فلم يتركه بغير وسم. فلمـا

(*) عبيد الله بن الحبحاب يأمر بوشم البطرك الاكسندروس.

---

* جدد هشام غزواته على بلاد الأفرنج فى شمال الأندلس فغزا ألبة قائده عبد الكريم بن مغيث وغزا بلاد الجلالقة أخوه عبد الملك بن مغيث.

* توفى فى هذه السنة مقتولاً أمير افريقية عبد الله بن يزيد المهلبى بعد عام من توليته على يد الثوار فخف هرثمة بن أعين للقضاء على الفتنة، وفيها توفى أمير مصر على بن سليمان الذى كان قد طمع فى الخلافة فى الصعيد .

سنة ١٧٩ هجرية

الأول من المحرم وافق يوم الجمعة ٢٧ مارس ٧٩٥م.

* تولى هرثمة بن أعين ولاية افريقية قدمها من مصر للقضاء على ثورة ابن الجارود (ربيع الأول) فتم له ما أراد لهيبة الناس له فبنى قصر القيروان الكبير وسور طرابلس الغرب.

* ولى الرشيد أخاه عبيد الله بن المهدى إمارة مصر للمرة الأولى، وفى هذه الأثناء هاجم شعب الأسكندرية أسطول من الأفرنج إنتقاماً من غزوات الحكم ابن هشام أمير الأندلس فخرج إليها عبيد الله فانسحب الأفرنج منها.

*فى ٣ رمضان = ٢١ نوفمبر ٧٩٥م صرف الرشيد أخاه عبيد الله عن ولاية مصر، وولى عوضه موسى بن عيسى العباسى وهى ثالث ولاية له على مصر.

نظر الأب البطرك الاكسندروس انه لا يخلى قال لعبيد الله [ابن الحبحاب] الأمير: اسيلك [اسألك] أن تمهلنى تلتة أيام. فأجابه وامهله، فدخل البطرك إلى مخدعه وسأل الرب ان لا يمكنه من وسمه بل ينقله من هذا العالم سرعه، فلما نظر الله سريرة عبده انها حسنة افتقده، فمرض فى اليوم التالت وكان المرض يتزايد كل يوم عليه فلما علم أن السيد المسيح قد سمعه وقبل صلاته انفذ قوما ثقات ورويسا من الارتدكسيين أولاده إلى عبيد الله

---

* تعاظمت ثورة الوليد بن طريف الشارى الذى إرتد إلى الجزيرة وفيها هزمه يزيد الشيبانى قائد الرشيد.

* إستبد بحكم عمان الامام الاباضى الوارث الخروصى وهو أول من تولاها من بنى خروص ورد خلال ذلك محاولات الرشيد لا سترداد عمان إلى حكم العباسين.

* توفى فى هذه السنة بالمدينة الامام مالك بن أنس امام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة من أهل السنة وذلك عن ست وثمانين، ولد وعاش وحدث بالمدينة، له الموطأ، ومذهبه السائد فى الشمال الافريقى إلى اليوم، وفيها توفى بالبصرة عن إحدى وثمانين سنة المحدث حماد بن زيد شيخ العراق فى عصره خرج أحاديثه الأئمة الستة، وفيها مقتل الوليد بن طريف الشارى الخارجى.

سنة ١٨٠ هجرية

استهلت السنة بيوم الأربعاء ١٦ مارس ٧٩٦م.

* تولى عرش الأندلس الحكم الأول خلفاً لأبيه هشام الأول وله من العمر ٢٦ سنة، أمه أم ولد اسمها زخرف، وهو الثالث من أمراء الأمويين أصحاب الأندلس.

* توفى فى الثالث من صفر أمير الأندلس أبو الوليد هشام الأول ابن عبد الرحمن الداخل

يساله أن يطلقه ليمضى إلى كرسيه قبل وفاته، فلم يمكنه، فظن ان هذا منه محال [تحايل] وأنه غير عليل. فلما مضت أربعة أيام قال الأب للأخوه: هيو [هيؤا] المركب عند غروب الشمس لنمضى، لأن فى غد يفتقدنى السيد يسوع المسيح. فمضو ولم يكن معه احد من الأساقفة غير أبا جمول أسقف وسيم. فلما انحدرو هاربين وصلو إلى ترنوط عند الصبح ففى تلك الساعة تنيح الطوبانى الاكسندرس فى ذلك المكان، فلما علم عبيد الله

عن إحدى وأربعين سنة حكم منها ثمانى سنوات، وهو الذى استكمل بناء جامع قرطبة وبلغت فتوحاته جنوب فرنسا.

* عزل الرشيد منصور بن يزيد عن إمارة خراسان واستعمل عليها على ابن عيسى بن ماهان الذى وليها عشر سنين وفى خلال ولايته كان ظهور حمزة الخارجى.

* عاد الأميران سليمان بن عبد الرحمن وأخوه عبد الله البلنسى عما الخليفة الحكم إلى الثورة وكانا قد رحلا الى المغرب بعد هزيمتهما على يد أخيهما هشام الأول ، وفى صيف العام نفسه خرج القائد عبد الكريم بن مغيث غازياً إمارات الافرنج فعاث فى بلاد البشكنس والنافار.

* فى جمادى الآخر= اغسطس ٧٩٦م صرف الرشيد موسى بن عيسى عن ولاية مصر وولاها لأخيه من أبيه عبيد الله بن المهدى ثانيا.

* توفى فى هذه السنة عالم اللغة وامام النحاة سيبويه عن إثنين وثلاثين عاماً فقط وهو مؤلف الكتاب فى النحو الذى يعرف باسمه، تتلمذ على الخليل فى البصرة وناظر الكسائى فى بغداد، وحول هذا التاريخ توفى الراوية الشاعر خلف الأحمر وهو معلم الأصمعى.

* ممن توفى فى هذه السنة قتيلا بمرو عمرو العمركى من زعماء البابكية متهما بالزندقة، كما قتل عمروية يزيد فى حرب حمزة الخارجى وكان على هراة.

أنه قد هرب بغير أمر انفذ اميرا ليعيده ومن معه فلما وصل إليهم وقبض عليهم ليردهم بغضب فوجد الأب قد تنيح فتركه وقبض على ابا جمول وسيره إلى عبيدالله فقال له: بالحقيقه أنك انت اشرت عليه بالهروب ولابد مما تقوم بالف دينار لبيت مال الملك. وكان أبا جمول فقيرا يعجز عن قوت يومه وهو عريان، وكان حلو المنظر حسن السيره وكان يعظ من يخطى فيسمع منه وكذلك يتبت كلمن هو عاجز فى الأمانه الارتدكسيه،

---

* توفى في هذه السنة الفلكي الراصد ابن جندب الفنزارى (محمد بن ابراهيم) صاحب الزيج المسمى باسمه وأول من عمل فى الاسلام أسطرلابا.

سنة ١٨١ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأحد ٥ مارس ٧٩٧ م.

* غزا عبد الملك بن صالح أرض الروم حتى بلغ أنقرة، كذلك غزاها الرشيد بشخصه وافتتح حصن الصفصاف، وجرى بعد ذلك الفداء بين الروم والمسلمين بنواحي طرسوس وكان ممثل الرشيد إبنه القاسم وممثل الروم نقفور الوزير فكان أول فداء فى أيام بنى العباسى.

* لجأ عبد الله البلنسى عم الحكم أمير الأندلس والثائر عليه وعلى أبيه من قبل إلى الامبراطور شرلمان بمدينة آخن والتمس عونه فاستجاب له وتمكن ابنه لويس على رأس جيش كبير من استعادة مدينة جيروندة والتوغل في شمال الأندلس ولكن خطته فشلت فعاد هؤلاء الخوارج إلى الطاعة.

* صرف عبد الله المهدى أخو الخليفة عن إمارة مصر بعد ١٤ شهراً وخلفه إسماعيل بن صالح.

* استعفى الرشيد عن إمارة أفريقية قائده هرثمة بن أعين فأعفاه وقلدها محمد بن مقاتل ولكن الجند اختلفوا عليه ومعهم البربر وتكاثر الخارجون عليه وانهزم أمامهم حتى أنقذه

فحلف له أنه لا يقدر على دينار واحد ولا هو فى ملكه، فلم يقبل منه وسلمه إلى شرطيين، فلما أخذاه ذانك المسلمان، اللذان لا نذكر اسماهما، سلماه إلى بربر متشبهين بالسباع فى أفعالهم، فجذبوه وجرجروه فى وسط مصر حتى جاو به إلى باب بيعة مارى جرجس وهم يسحبونه، وكان هناك جمع كثير مجتمعين ممن يبيع ويشترى، وكان خلق كثر يجرو خلفه فى مصر. وطالبوه بألف دينار مع قلة ذات يده وبدو يعذبونه ذلك

إبراهيم الأغلبى أمير الزاب، كما استعفى الرشيد وزيره خالد البرمكى فأعفاه وأذن له فى المجاورة بمكة.

* ثار بالأندلس على الحكم الأموى بهلول بن مروان صاحب سرقسطة كما ثارعليه صاحب وشقة.

* وافق هذا التاريخ وثوب الروم بالأمبراطور قسطنطين السادس وسملوا عينيه وسجنوه بإيعاذ من أمه ايرين التى خلفته على عرش بيزنطة.

سنة ١٨٢ هجرية

وافق هلال المحرم يوم الخميس٢٢ فبراير٧٩٨م.

* أخذ الرشيد وهو بالرقة وللمرة الثانية البيعة لولده المأمون بعد الأمين وولاه المشرق كله وهو بعد فى الثانية عشرة من العمر وضمه إلى جعفر البرمكى مدبراً لأمره كما كان الفضل البرمكى مدبراً لأمر الأمين.

* تحالف سليمان بن عبد الرحمن وأخوه عبد الله عما الحكم الأموى بعد هزيمتهما واجتمع معهما حشد من البربر للاغارة على قرطبة ولكنهم هزموا، (شوال) عند فنجيط.

* ممن ولد فى هذه السنة: فقيه مصر فى عصره محمد بن عبد الحكم رفيق الامام الشافعى

---

٤٣ : الأكسندروس البطرك ٧٠٥ / ٧٣٠م

اليوم بغير رحمه، ونزعوا عنه ثوبه والبسوه مسح شعر وعلقوه بذراعيه وهو عريان، وجميع الشعب ينظرونه وهم يضربونه باسياط من جلود البقر حتى جرى دمه على الأرض، والجمع يشاهدونه وما حل به من الشرطه. وأقامو أسبوعا يعذبونه هكذا حتى جمعو له تلتماية دينار. ولما نزلو قوم من أصحاب عبيد الله يسايلونه ورويسا النصارى قايلون لهم: قد قارب الموت وليس عليه ذنب في هذا الأمر على ما

وأخو المؤرخ ابن الحكم، وفيها ولد بالبصرة قاضي مصر بعد ذلك أبو بكرة ولاه عليها الخليفة المتوكل.

* شهدت هذه السنة (٥ ربيع) وفاة قاضي القضاة أبي يوسف (يعقوب بن ابراهيم) عن تسع وستين وهو أول من نشر مذهب أبي حنيفة ، تولى القضاء للمهدى والهادى والرشيد وهو مؤلف كتاب الخراج وكتاب أدب القاضي والامالي في الفقه.

* في ١٤ جماد الثاني = ٣ أغسطس ٧٩٨م صرف الرشيد اسماعيل بن صالح عن مصر وولاها اسماعيل بن عيسى العباسي. وفي الخامس من شوال = ٢٠ نوفمبر ٧٩٨م قدم إلى مصر الليث بن فضل البيوردى، واليها بدلاً من اسماعيل بن عيسى.

* ممن توفوا في هذه السنة: إمام النحو يونس بن حبيب شيخ سيبويه والكسائي كان أعجمي الأصل إستوطن ا لبصرة له كتاب النوادر وكتاب اللغات، توفي عن ثمان وثمانين.

سنة ١٨٣ هجرية

استهلت غرة المحرم بيوم الثلاثاء ١٢ فبراير ٧٩٩ م.

* تولى إمارة مصر في هذه السنة ثلاثة ولاة هم: اسماعيل بن صالح ثم اسماعيل بن عيسى فقدمها في جمادى الآخرة ثم الليث بن الفضل قدمها في رمضان وهو الذى قضى

عرفنا.عند ذلك أفرجو عنه بعد شده عظيمه لأنه قارب الموت.

ولما تنيح الأب القديس بالحقيقه الاكسندروس بشيخوخه حسنه صار حزن عظيم لحق النصارى بسبب وفاته، لأنه اقام أربعا وعشرين سنه ونصفا على الكرسي. وكان في أيام حياته قوم قديسون كتير في كورة مصر في البرارى والديارات يتعبون أنفسهم متعبدين لله وتظهر منهم عجايب وايات.

وكان إنسان قس صياد في كورة أسنا يعمل

على ثورة المصريين من أهل الحوف ودامت إمارته نحوا من خمس سنين وخرج إلى الخليفة يحمل الغنائم والاسلاب فى الخامس من شوال = ١٠ نوفمبر ٧٩٩م وأستخلف على مصر هاشم ابن عبدالله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج.

* غزا ملك الخزر إمارة أرمينية وعليها سعيد بن سلم فأوقعوا بالمسلمين وأهل الذمة فوجه اليهم الرشيد خزيمة بن خازم ويزيد الشيبانى فأخرجا الخزر بعد سبعين يوماً.

* جرت محاولة ثالثة لسليمان وعبد الله عما الحكم الأموى للثورة عليه ولكنهما هزما عند إستجة ففر سليمان الى ماردة ولكن قبض عليه وأعدم ومعه زعماء الفتنة وهرب عبد الله واختفى

* تمرد أمير افريقية محمد بن مقاتل العكى فخرج عليه تمام التميمى فانهزم وتحصن بالقيروان فخف لنجدته ابراهيم بن الأغلب الذى هزم تماما ودخل القيروان وصلى بالناس وحض على الطاعة.

* خرج بمدينة نسا أبو الخطيب النسائى فأنفذ اليه الرشيد أمير خراسان على ابن عيسى.

* عاود سليمان بن عبد الرحمن الأموى الثورة على ابن أخيه الحكم أمير الأندلس ولكنه هزم للمرة الثانية عند إستجة وفر مع أصحابه إلى ماردة.

* توفى فى هذه السنة الامام موسى الكاظم عن خمس وخمسين وهو ابن الامام جعفر الصادق وسابع الأئمة عند الشيعة ، كان قد احتمله الرشيد من المدينة وأسكنه البصرة ثم

بالشباك يتمم قانون الرهبنه وبعد زمان كثير مضى وبنى ديرا فى الجبل وترهب عنده جماعه وكانو فى حيزه وضيقه. فخرج خبر ذلك الشيخ فى الكوره البرانيه وكان اسمه متيوس من أهل أسفنت، فاظهر الله على يديه عجايب كثيرا فى الاعلا [المرضى] والبرص والذين بهم الأرواح النجسة اشفاهم، والموتى أقامهم باسم سيدنا المسيح.

وبعد أيام ظهر أمر عجيب أمامه. كان إنسان

بغداد التى مات بها سجينا ، واليه تنسب خطة الكاظمية ببغداد والفرقة الواقفية من فرق الشيعة.

سنة ١٨٤ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم السبت الأول من فبراير عام ٨٠٠م.

* تولى فى صفر من السنة ابراهيم بن الأغلب إمارة افريقية مؤسسا بذلك دولة الأغالبة بتونس خلفاً لمحمد بن مقاتل لكراهية أهل إفريقية له، وكان ابن الأغلب على ولاية الزاب وقضى على الفتنة فبعث أهل تونس يطلبون ولايته فأقره الرشيد فكان أول ما فعل نزوله عن المعونة التى كانت ترسلها مصر إلى افريقية ومقدارها مائة ألف دينار فى السنة.

* حملت رؤوس الخوارج على الحكم الأموى إلى قرطبة وفى مقدمتهم عمه سليمان بن عبد الرحمن بعد فراره الى ماردة وطيف بها للعظة وإقرار الأمن ، أما أخوه عبد الله البلنسى عم الحكم ففر إلى بلنسية ثم إ ختفى مدة حتى طلب الأمان فأمنه الحكم.

* ولى الرشيد حماد البربرى إمارة اليمن ومكة، وداود المهلبى إمارةالسند، ويحيى الحرشى بلاد الجبال (العراق العجمى) ، ومهرويه الرازى إمارة طبرستان.

* غزا أحمد بن هارون الصائفة ودخل أرض الروم فغنم وسلب.

* فيها كان شروع شارلمان فى إنشاء مملكة جرمانيا وتتوج امبراطورا فى رومه.

قبطي في اسفنت وله ولدان وابنه واحده يحفظهم في بيته وكانوا أبكارا أطهارا خادمين لله فاضلهم الشيطان التلته بصنعة مرذوله وذلك أنه دخل في أكبرهم فقال له: إذا كان أبوك لا يزوجك فامض إلي اختك نم معها فإنها تكفيك إلى زمان. وحسن له ذلك ففعله، وكذلك حسن الاخر الصغير معها أيضا ففعلا الاخوان باختهما ذلك الفعل القبيح ولم يعلم الواحد بالأخر. وكانت [الأخت] لهذا السر تلك المخالفه فحبلت سرعه، وكانا أبواها

سنة ١٨٥ هجرية

الأول من المحرم وافق يوم الأربعاء ٢٠ يناير ٨٠١ م.

* بدأ ابراهيم الأغلب أمير افريقية في بناء مدينة العباسة بجوار القيروان.

* ثار أهل طبرستان ووثبوا على أميرهم الجديد مهريه وقتلوه وكان قد ولاه الرشيد قبل شهور فخلفه ابن سعيد الحرشي، كما لم تنقطع القلاقل في المشرق فعاث حمزة الخارجي بباذغيش من نواحي خراسان فأوقع بأصحابه عيسى بن على حتى بلغ كابل وقندهار، وعاد ابو الخصيب إلى الثورة.

* تولي قضاء مصر عبد الرحمن بن عبد الله العمرى واستمر في منصبه عشر سنين وهو أول من عمل صندوقا في بيت المال جعل فيه أموال اليتامي ومال من لا وارث له.

* إستولى الأسبان على مدينة برشلونة منتهزين فرصة حروب الحكم الأموى مع الثائرين عليه وبخاصة عمه عبد الله البلنسي بعد مقتل عمه سليمان في السنة السابقة.

سنة ١٨٦ هجرية

وافق هلال المحرم يوم الاثنين ١٠ يناير ٨٠٢م.

* ولى الرشيد ابنه الأمين إمارة العراق والشام إلى آخر المغرب، وبايع لابنه القاسم بولاية العهد بعد أخويه الأمين والمأمون ولقبه المؤتمن وضم اليه الجزيرة.

يحفظاها لأجل الفضيحه ولم يعلما ما كان، فأقامت عدة شهور ولم تلد فحملاها على دابه ومضيا بها إلى القديس متيوس، فلما قربو من الجبل خرج الشيخ هاربا ينتف شعر لحيته حتى لقيهم تحت الجبل فعرفه أبواها خبرها وارادا أن يدفعا له هدايا لكى يصلى عليها لتلد، فتقدم لهم أن ينزلوها برفق من على الدابه فنزلت وهى باوجاع عظيمه، فقال لها عرفينى ما فعلت يا مرذوله، فعرفته بما قد ذكرنا وأكثر منه. فرفع يديه

---

* أجهز القائد على بن عيسى بن ماهان على ثورة أبى الخطيب.

* ظهر عبد الله البلنسى عم الحكم الأموى بالأندلس بعد هزيمته ومقتل أخيه سليمان وطلب العفو والأمان من ابن أخيه فأصدر الحكم له أماناً على أن يبقى فى بلنسية وتجرى عليه أرزاقه وزوج ابنه عبيد الله من إحدى أخوات الحكم فطويت بذلك ثورة إمتدت أعواماً.

* فيها تجمهرت تظاهرات عدة من أهل مصر عند القضاة وعند مقر الوالى الليث بن الفضل لعدم سماعة تظلماتهم من المساحين الذين استخدموا فى القياس قصبة اقل من القصبة الحقيقية ليزيدوا من مساحة الحيازات و بالتالى زيادة جباياتها. وساروا إلى الفسطاط فهجم عليهم الليث فى شعبان ومعه ٤٠٠٠ جندى واعمل فيهم القتل فتجمع اعداد كبيرة من المصريين فى ١٢ رمضان = ١٥ سبتمبر ٨٠٢م وهاجموا جنود الليث بالعصى وما طالته ايديهم ففروا منهزمين، فأعد لهم الليث اعداد اكبر من الجند وطاردهم فعادوا إلى بلادهم وأرضيهم، ولكن الليث لم يستطع جمع الخراج.

* ولد فى هذه السنة إمام اللغة والأدب ابن السكيت (يعقوب بن اسحق) ومؤلف كتاب إصلاح المنطق ومؤدب أبناء الخليفة المتوكل .

* ممن توفوا فى هذه السنة، شاعر الغزل والمجون سلم الخاسر مات ببغداد لقبه الخاسر لأنه باع مصحفا واشترى بثمنه طنبوراً، وفيها توفى فى قول المؤرخ عمر ابن مطرف وكان على ديوان المشرق له منازل العرب وحدودها ، وفيها مقتل الثائر أبى الخصيب (وهيب النسائى) كان قد خرج واستولى على وطوس ونيسابور حتى غلب عليه على بن عيسى قائد الرشيد.

إلى السما وصلى ففتحت الأرض فيها [فمها] وبلعتها. وحضر ذلك جماعه وشاهدوه وشهد لنا من كان حاضرا وهو صادق امين من أولاد البيعه ان ذلك المكان صار مثل بير مظلمه تنتهى إلى العمق، وأقام ستة شهور والنار تطلع منه إلى الجو وريحه نتن عظيم تصعد منه حتى لا يقدر أحد يقربه وهو بعيد من الدير خمسا وعشرين غلوه. وكذلك دير القديس أبا شنوده فى جبل «أدريبا»، [انتم تعلمون أن كثيرا من القديسين تثبتوا فيه

سنة ١٨٧ هجرية

استهلت السنة بيوم الجمعة ٣٠ ديسمبر ٨٠٢م.

* عاصر هذا التاريخ نكبة البرامكة التى أوقع فيها الرشيد برؤوس هذا البيت بعد أن كانوا عماد دولته ودولة أبيه وأخيه وكانوا أقرب مستشاريه اليه، وتعددت الأقوال فى سببها وجلها دوافع سياسية إبان حكم ملكية مطلقة، فأمر الرشيد بحبس يحيى بن خالد بالرقة وقتل ابنه ووزيره جعفر بن يحيى وله من العمر سبع وثلاثون وهو الذى كان يدعوه الرشيد اخى، بينما ألقى بأبناء يحيى الآخرين الفضل وموسى ومحمد فى السجن واستصفى أموالهم.

* غزا الصائفة القاسم بن الرشيد ودخل أرض الروم وعليها الامبراطورة إيرينى وهاجم حصوناً لها فبعثت اليه ثلاثمائة وعشرين أسيراً من المسلمين على أن يرحل عنهم فأجابها ورحل عنها صلحاً.

* فى المحرم سار الليث إلى الخليفة هارون الرشيد وطلب منه الجيوش لردع ثورات المصريين، ولكن الرشيد عزله عن ولاية مصر، وولاها لأحمد بن اسماعيل بن صالح.

* تجددت الفتنة ين المضرية واليمانية بالشام.

* فيها نقم الرشيد على عبد الملك بن صالح وهو فى منزلة أخى جده متهماً إياه بالطمع فى الخلافة وشى به ابنه عبد الرحمن وخادمه قمامة مما أثار خوف الرشيد فأودعه السجن.

* استولى الأسبان على مدينة تطيلة ثم إستعادها عمروس بن يوسف.

وخاصة الطوبانى الارشيمدريدس أبا سيث لأنه كان إنسانا على طريق حسنه فى حياته، وبعد ذهابه إلى الرب نظرنا قبره بعينينا قد بنى عليه بنعمه من كثرة العجايب والشفا والبرو[ء] التى تظهر من جسده المقدس إلى الآن ما لا يحصى من كثرته لأنه تكون منه عجايب فى كل يوم].

وفى برية «وادى هبيب» أيضا كانو قوم قديسون ينظرون رويا [رؤيا] وجليات [تجليات] وأطلعهم الله

---

* بويع بجامع مدينة وليلى بالمغرب إدريس بن إدريس ثانى ملوك الأدارسة وله من العمر احدى عشرة سنة.

* توفى فى هذه السنة وزير المهدى يعقوب بن داود انتكس أمره بسبب ميوله العلوية فعزله الهادى وحبسه فى المطبق حتى أخرجه الرشيد فسار إلى مكة ومات

سنة ١٨٨ هجرية

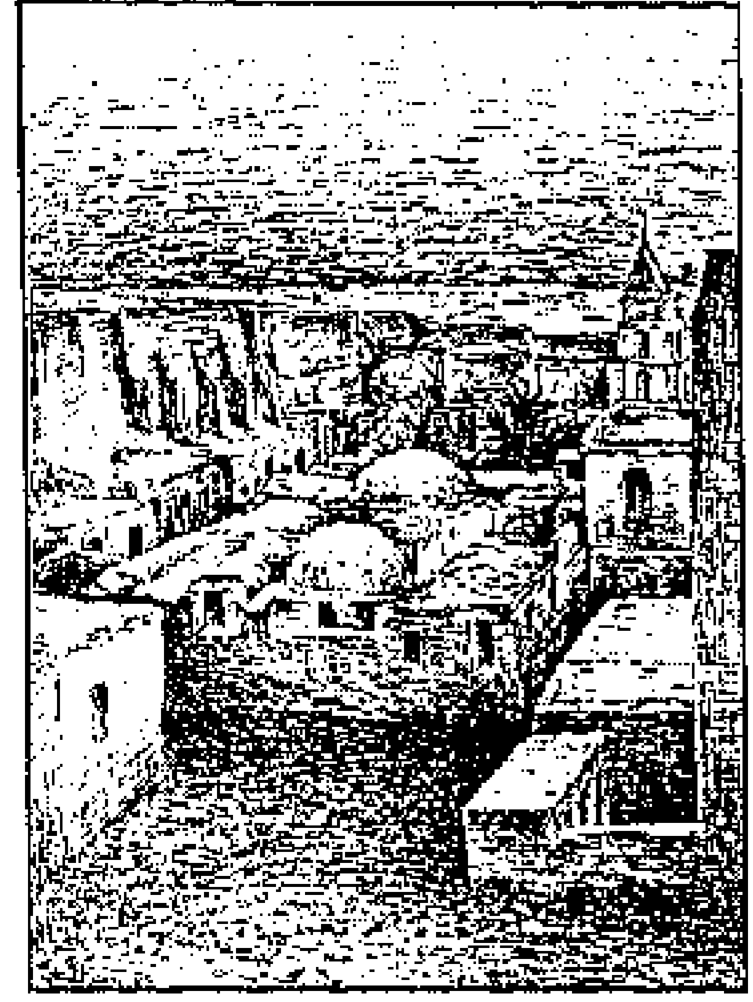
وافق الأول من المحرم يوم ٢٠ ديسمبر ٨٠٣م.

* حج الرشيد فى هذه السنة وهى آخر حجة حجها.

* غزا الصائفة ابراهيم بن جبرائيل وأوغل فى أرض الروم بالأنضول فخرج اليه إمبراطور الروم الجديد نقفور (نكيفوروس الأول) الذى كان وزير الامبراطورة إيرينى ثم خرج عليها وتولى العرش.

* ولد فى هذه السنة الشاعر أبو تمام (حبيب بن أوس) باحدى قرى حوران السورية ومنها استقدمه الخليفة المعتصم إلى بغداد وهو صاحب ديوان الحماسة المشهور المتداول.

* فيها ولد الصوفى الزاهد أبو يزيد البسطامى نسبة إلى موطنه بسطام من أرض فارس.


دير السريان بوادى هبيب

على ما فى العالم يشاهدونه كأنهم حاضرون فى جميعه، فمنهم من كان يظهر له السيد المسيح والحواريون المقدسون فيقيمونهم فى ضيقهم وعبادتهم، ومنهم من كانت الملايكه يظهرون لهم.

وكان منهم شيخ فى دير «ابى مقار» اسمه «يوأنس» [يونس] من أهل «شبرا ميسنا» التى هى «ارواط» قبضوه البربر تلت دفعات وأسروه وجعلوه عبدا وضيقو عليه وانزلو به بلايا، فنظر الرب إلى

سنة ١٨٩ هجرية

وافق هلال المحرم يوم الأحد ٨ ديسمبر ٨٠٤ م.

* دبرت فى قرطبة مؤامرة عرفت بثورة الفقهاء على حكم الحكم الأموى إذ اتهموه فوق المنابر بخروجه على أحكام الشريعة وانضم اليهم المعارضون له من أعيان قرطبة واكتشفت المؤامرة قبل تنفيذها فاحتواها الحكم وراح ضحيتها ٧٢ من الفقهاء وأعيان قرطبة منهم عماه مسلمة وأمية، وتجددت الثورة بعد شهور من العام نفسه فى ضاحية (أوربض) قرطبة فقضى عليها فمن ثم عرف الحكم بالحكم الربضى.

* سار الرشيد إلى الرى وبصحبته إبناه المأمون والقاسم واستخلف على بغداد ولى عهده الأمين بسبب شكوى أهل خراسان من أميرهم على بن عيسى بن ماهان واستخفافه بهم ثم لم يلبث أن عاد الرشيد إلى بغداد بعد أن رأى بنفسه خلاف ذلك، وفيها أعلن ملك الديلم الطاعة وأداء الخراج.

* فى شوال من السنة لما فشل احمد بن اسماعيل والى مصر فى جمع الاموال، قدم إلى مصر الوالى الجديد أبو محمد عبد الله بن محمد العباسى المعروف بابن زينب.

* جرى فى هذه السنة الفداء بين المسلمين والروم فلم يبق بأرض بيزنطة مسلم إلا فودى.

صبره كل دفعه فاعاده إلى ديره المقدس. بعد ذلك صار اغومنسا لأنه كان كاهنا وهذا كان قانونا ببرية «وادى هبيب» أى قس انتهى إليه الطقس قدموه أغومنسا، فلم يتناول السراير المقدسة حتى نظر السيد المخلص فى المنام والسيده العدرا وأسرار عظيمه ظهرت له، وكان معه قديسون من هذه البريه لا يجب إظهار أمرهم، وكان له تلميذ اسمه «ابيمخس» من «ارواط» واستحق طقس القمصيه بعده، وكان بقلبه مثله فى كل أفعاله وعليه نعمه


دير الانبا بشوى من الداخل
بوادى هبيب

---

* شغب أهل طرابلس الغرب على أميرهم ابراهيم الأغلبى ثم استتب امره صلحاً قبل نهاية السنة.

* شهدت مدينة الرى فى السنة وفاة اثنين من الأعلام هما: إمام اللغة والنحو أبو الحسن الكسائى (على بن حمزة) عن سبعين سنة وكان مؤدب الرشيد ثم الأمين ومؤلف كتاب معانى القرآن، وفيها توفى الامام الشيبانى (محمد بن الحسن) عن ثمان وخمسين ناشر مذهب ابى حنيفة ومؤلف كتاب المبسوط فى الفقه.

* اغتيل بتونس راشد مولى إدريس الأول مؤسس دولة الأدارسة بافريقية وهو الذى كان داعيته بين البربر ثم أصبح وصياً على ابنه ادريس بن إدريس .

سنة ١٩٠ هجرية

استهلت السنة بيوم الخميس ٢٧ نوفمبر ٨٠٥ م.

* فتح الرشيد مدينة هرقلة (شوال من العام) رداً على تهديد نقفور إمبراطور بيزنطة وكان فى مائة ألف فارس عدا المتطوعة فأخرب المدينة وسبى أهلها بعد حصار ثلاثين يوماً، فالتزم الامبراطور بدفع الخراج والجزية، وفيها افتتح شراحبيل بن معن الشيبانى حصن الصقالبة بالمغرب.

عظيمة مثل «موسى» النبى فى زمانه، وكان يشفى المرضى ويبرى كل عله، وصار عمره أكثر من مايه سنه وحلت عليه نعمة الروح القدس، وأطلع على أمور جليله حتى صار يعلم الغيب من قبل أن يسايله أحد، وكان له إخوان روحانيان أحدهما «أبا جرجه» والأخر «أبا إبرهام» وكانا قديسين بقلب حسن وأفعال عظيمه، وشهدو من أجلهما ثقات أنهما سارا بسيرة الكبير «انطونيوس» وتمماها وكان الشعب فى ذلك الزمان متعبدين لله باجتهاد.

---

* فى هذه السنة أسلم الفضل بن سهل على يد ولى العهد المأمون وكان الفضل مجوسياً، وهو الذى تولى وزارة المأمون بعد توليه الخلافة وتلقب بذى الرياستين.

* أعلن رافع بن الليث العصيان فى سمر قند وخلع طاعة الرشيد ورافع هو حفيد نصر بن سيار آخر الولاة الأمويين بالمشرق، كما نقض أهل قبرص العهد فغزاهم ابن يحيى فقتل وسبى.

* لما فشل أبو محمد عبدالله بن محمد العباسى فى زيادة جمع الاموال من المصريين عزله هارون الرشيد وتولى الحسين بن جميل إمارة مصر فأقام بها عشرين شهراً ثم صرفه الرشيد.

* غزا معيوف بن يحيى جزيرة قبرص بعد أن نقضت العهد فعادت إلى الطاعة.

* ولد الأمير العباسى موسى ابن الأمين ولى العهد والملقب الناطق بالحق وهو الذى حول الأمين ولاية العهد إليه بعد توليه الخلافة بدلاً من أخيه المأمون مما كان سبباً فى الفتنة بين الاخوين.

* توفى فى سجنه بالرقة عن سبعين سنة يحيى بن خالد البرمكى وكان قد نكبه الرشيد عام ١٨٧ وأعدم إبنه جعفر وسجن أبناءه الآخرين.

سنة ١٩١ هجرية

الأول من المحرم وافق يوم الثلاثاء ١٧ نوفمبر ٨٠٦ م.

* جمع الرشيد الصلاة والخراج للحسين بن جميل أمير مصر فتشدد فى جباية الخراج مما

وكانا يشاهدان فى البيعة بنى المعمودية كأنهم خراف بيض صغيرهم وكبيرهم، وإذا بواحد من الشعب قد كسل ورجع عن حسن العباده، فشاهداه هذان الشيخان وقد عاد لونه أسود في وسط الأخوه وإذا ما سرحو الكهنه الأخوه مضيا إلى قلايه ذلك الأخ فقالا له: تب عن كسلك ووعظاه وعزياه، فإذا كان بالغداه وحضر إلى البيعه فينظرانه قد أبيض أكثر من جميع الاخوه، فمجدو الله على رأفته على جنس البشر.

أثار المصريين من أهل الحوف وامتنعوا كما خرج بأيلة أبو الفداء وراح يقطع الطريق ولم يلبث الحسين أن ظفر به، وارسل له الخليفة هارون الرشيد جيش كبير من الترك والمرتزقة بقيادة يحى بن معاذ أمير عسكر الخليفة لمحاربة المصريين وجمع الخراج فتم له ذلك بعد مذابح هائلة، وأذعن أهل الحوف بالطاعة وأدوا الخراج زائداً.

* شهدت هذه السنة آخر الصوائف فى القرن الثانى ففيها تولى حرب الصائفة قائد الرشيد هرثمة بن أعين بعد أن هزم وقتل يزيد بن المخلد، وتولى مسرور الخادم شئون نفقات الجيش فأوقع هزيمة بالروم وكانت هذه آخر الصوائف لسنوات عديدة.

* قضى الحكم الأموى أمير الأندلس على ثورة أهل طليطلة مستخدما الحيلة على يد عمروس بن يوسف وابنه عبد الرحمن كما قضى فى العام نفسه على ثورة ماردة التى تزعمها اصبغ بن عبد الله فطلب الأمان فأمنه الحكم.

* عزل على بن عيسى بن ماهان عن إمارة خراسان وضمت إلى القائد المظفر هرثمة.

* نزل الرشيد بالرقة وأمر بهدم الكنائس التى بالثغور.

* قتل غازياً ببلاد الروم يزيد بن مخلد المهلبى فانتقم له هرثمة، وفيها توفى غريقا إمام عمان الوارث الخروصى الذى رد قوات الرشيد إثنى عشر عاماً.

هكذا أن أردت أن أذكر أفعال القديسين فما يسعنى الزمان ولا تحصيها الأقلام ولا تسعها القراطيس، والمجد لله دايما أبدا أمين.

قسما [قزمان] البطرك

وهو من عدد الابا[ء] الرابع والأربعون

[٧٣٠ / ٧٣١م]

ثم لما تنيح الأب الاكسندروس قدمو عوضه رجلا اسمه «قسما»، وكان راهبا قديسا من برية

---

* ممن توفوا من رجال العلم: فقيه مصر عبد الرحمن بن القاسم العتقى صاحب الامام مالك عن تسع وخمسين.

سنة ١٩٢ هجرية

وافق هلال المحرم يوم السبت ٦ نوفمبر ٨٠٧ م.

*تفاقم أمر رافع بن الليث في خراسان بعد أن وثب على عامل سمرقند وقتل عيسى ابن أميرها على بن على بن ماهان فأنفذ إليه الرشيد هرثمة ثم سار الرشيد بنفسه في الخامس من شعبان لقتال رافع.

* تحركت طائفة الخرمية بأذربيجان فوجه اليهم الرشيد عبد الله بن مالك فقضى على الفتنة.

* انتهز الامبراطور شرلمان أحداث الأندلس الداخلية فأغزى ابنه لويس إقليم الشمال وحاصر مدينة طرطوشة فأنفذ اليه الحكم أمير الأندلس ابنه عبد الرحمن على رأس جيش رد الغزاة إلى بلادهم.

* فيها جرى الفداء الأخير بين الروم والمسلمين وكان عدد الأسرى من المسلمين ألفين وخمسمائة أسير.

أبى مقار وكان من أهل «بنا» فاجلسوه بغير اختياره فلم يدع السؤال للسيد المسيح ليلا ونهارا أن يقبله إليه، فلما كان تمام خمسة عشر شهرا تنيح بمجد وكرامه فى أخر يوم من بؤونه.

وكان بظاهر «مريوط» دير يعرف «بطمنورة» وكان فيه راهب شيخ قديس روحانى وشاب أخر راهب وكانا يعذبان أجسادهما بالحديد والسلاسل وكان ريسهم اسمه «يحنس» أعطى نعمه ونبوه

---

* أعاد هرثمة بن أعين بناء مدينة طرسوس بعد أن خربها الروم وبنى مسجدها وعمرها بآلاف الاتراك جاء بهم من أهل خراسان والمصيصة وأنطاكية.

* فى أقصى المغرب بنى إدريس الثانى مدينة فاس وجعلها عاصمة لدولته.

* عزل هارون الرشيد الحسين بن جميل عن مصر وولى مكانه مالك بن دلهم.

* توفى فى هذه السنة الفضل بن يحيى البرمكى فى حبس الرشيد عن خمس وأربعين سنة بعد عامين من وفاة أبيه فى سجنه وهو الذى أرضعته الخيزران أم الرشيد كما أرضعت أم الفضل الرشيد أياما.

* قتل باليمن الثائر الهيصم الهمدانى.

سنة ١٩٣ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأربعاء ٢٥ أكتوبر ٨٠٨م.

* شهدت هذه السنة وفاة الخليفة الرشيد وتولية الخليفة الأمين.

* دخل الرشيد جرجان فى طريقه إلى خراسان لقتال رافع بن الليث بالرغم من مرضه وبرفقته ابنه صالح ووزيره الفضل والطبيب جبرئيل بن بختيشوع فاشتدت عليه العلة بالقرب

ورأى عجايب دفعات كثيره، وكان له تلميذ يخدمه أسمه تاودوروس [تادرس] وكان حاسدا لأفعاله، وهو سالك في طريقه وأعماله كلها بمحبه روحانيه، وكان قد زاد على كلمن في الدير بأفعاله وعلى الدياقنيه ومايدة [مائدة] الأخوه وعلى كل أسباب الدير وخدمته طالبا الاتضاع في كل حسن، وكان متبعا قول المسيح لتلاميذه: من أراد أن يكون منكم كبيرا فيلكن لكم خادما. وكان فعله هكذا إلى شيخوخته كما قال لنا من فيه

من طوس ولم يلبث أن توفى فى الثالث من جمادى الآخرة فصلى عليه ابنه صالح ودفن بمدينة طوس التى يقوم بها حتى اليوم ضريح باسم الهارونية، وتوفى الرشيد عن سبع وأربعين سنة حكم منها أربعا وعشرين.

* بويع محمد الأمين بالخلافة وكان قائم مقام أبيه ببغداد فلما وصل الخبر بغداد بايعه الخاصة والعامة وله من العمر ثلاث وعشرون، أما أخوه المأمون فكان بمدينة مرو عاصمة خراسان.

* تولى إمارة مصر الحسن بن البحباح الذى شهد أول خلافة الأمين بعد أن عزل مالك ابن دلهم، ثم تولاها حاتم ابن القائد هرثمة بن أعين فقابله أهل الحوف الشرقى بالصياح ومنعوه من دخول مصر فترة طويلة حتى تحايل متخفيا ودخلها.

* عاد جيش شرلمان بقيادة ابنه لويس لغزو شمال الأندلس وحصار طرطوشة للمره الثانية بعد عام واحد وانتهت الوقائع بانسحاب الأفرنج ثانية.

* صارت البندقية إمارة مستقلة.

* استمرت الحرب خلال هذه السنة بين هرثمة بن أعين والثائر رافع ابن الليث وحلفائه الترك حول سمرقند.

المقدس عند استحقاقه البطركيه. وكان يعلمنا ويحثنا على التواضع في كل حين، ولما كان في حياة الاكسندروس أبوه الروحاني قال له بنبوه: يا ولدى تاودوروس آمن انني لا أكذب. فقال له: نعم يا أبي انني ما سمعت باسم الكذب من فيك قط. قال له الأب، وفي نسخة أخرى قال له الشيخ: يا مؤمن بالله أن في السنة التي يتنيح فيها الاكسندروس أنا بمسكنتي اتنيح معه وانت تجلس

---

* عند وفاة الرشيد في هذه السنة كان أمراء الولايات: وهب بن منبه على المدينة، وأحمد بن اسماعيل على مكة، وجعفر بن المنصور على الكوفة، واسحق بن عيسى على البصرة، وهرثمة على خراسان، ويحيى بن معاذ على دمشق، ثابت بن نصر على حلب، ومحمد بن الفضل على الموصل، وداود ابن يزيد المهلبي على السند.

سنة ١٩٤ هجرية

استهلت السنة بيوم الأثنين ١٥ أكتوبر ٨٠٩م.

* بدأت بوادر النزاع بين الخليفة الأمين وأخيه وولى عهده المأمون عندما طلب الأمين من أخيه أن يقدم ولده موسى على نفسه مخالفاً بذلك وصيه أبيهما الرشيد وذلك بايعاذ من وزيره الفضل بن الربيع، وفي ربيع الأول من السنة بايع الأمين لابنه ولقبه الناطق بالحق وأمر بالدعاء له على المنابر واستدعى أخاه القاسم إلى بغداد وأمره بالمقام عنده واستعاد كتابى أبيه من الكعبة ومزقهما، ورد المأمون على ذلك وهو بالرى بقطع البريد وإسقاط إسم أخيه من الخطبه.

* تولى وزارة الأمين الفضل بن الربيع وزير أبيه وولى الأمين على بن عيسى ابن ماهان إمارة الجبال وفارس وقتال أخيه المأمون الذى اختار لقيادة جنده طاهر ابن الحسين.

على كرسى الأب الجليل «مارى مرقس» وليس بعد الأب «الاكسندروس» لكن بعد الذى يأتى بعده. فتم كلام الشيخ الارتدكسى الارشيمنطريدس. وكان شعب اسكندرية الكهنه والاراخنه مهتمين فى من يقدمونه عوضا من «أبا قسما» حتى اظهر الرب فى قلوبهم ذكر الأب الراهب القديس تاودوروس فمضو إلى الدير وأخذوه واحضرو إلى اسكندريه.

---

* نشبت الثورة بتونس وتزعمها على إبراهيم الأغلبى عمران بن مجاهد وقريش ابن التونسى ودخل عمران القيروان وبعد سلسلة من الهزائم أوقع بهما ابن الأغلب، وفى حمص صار أهلها على أميرها اسحق بن سليمان فولى عليهم الأمين عبد الله ابن سعيد الحرشى.

* سار الحكم الأموى بالأندلس بنفسه لغزو إمارة جليقية الأسبانية وتوغل فيها فيما يلى وادى الحجارة وأوقع الهزيمة بأصحابها فبذلك زجرهم عن الاغارة على الأندلس.

سنة ١٩٥ هجرية

وافق هلال المحرم يوم الجمعة ٤ أكتوبر ٨١٠ م.

* نادى الخليفة الأمين بخلع المأمون من ولاية عهده فرد المأمون بأن تسمى بإمام المؤمنين وهو بخراسان، وفى جمادى الاخرة خرج قائد الأمين على بن عيسى لقتال المأمون ومعه قيد من فضة ليقيد به المأمون.

* انتهز الأمويون بالشام الخلاف بين الأمين والمأمون فخرج على السفيانى حفيد يزيد بن معاوية واستولى على دمشق وهو بعد شيخ فى التسعين من العمر.

* تولى إمارة مصر من قبل الأمين جابر بن الأشعث ولم تدم ولايته سوى عام، وأخرجه المصريون وذلك بعد عزل حاتم بن هرثمة.

تاودوروس البطرك

وهو من العدد الخامس والأربعون

[٧٣١/ ٧٤٣م]

واجتمع جماعه من الأساقفه القديسين واوسمو الأب القديس تاودوروس بطركا بأمر السيد المسيح. وكانت أمور الأبسقوبيه والبيعه الارتدكسيه ناميه مستقيمه كل يوم من أيامه حتى عادت إلى ما كانت عليه أولا وأكثر، إلى أن صارت كأنها لم

---

* وقع أول لقاء بين جيش الأمين وعليه إبن ماهان وطاهر بن الحسين قائد المأمون بالقرب من الرى وفيه هزم إبن ماهان وقتل وطيف برأسه في خراسان فعظمت بذلك دعوة المأمون ولقب المأمون طاهراً بذى اليمينين.

* أنتهت ثورة رافع بن الليث الذى كان قد خرج فى طلبه الرشيد بعد أن استولى على سمرقند وقتل فى حصارها على يد هرثمة بن أعين.

* انفد الأمين جيشاً ثانياً بقيادة عبد الرحمن بن جبلة الانبارى ولكنه فشل فى قتال طاهر ولقى حتفه عند أسد أباد، فانفذ الأمين جيشاً ثالثا بقيادة أحمد ابن مزيد الذى لم يلبث أن ارتد عن حلوان، وفيها انتقلت قيادة جيش المأمون إلى هرثمة وانتقل طاهر إلى الاهواز بجنوب العراق.

* غزا الأمير عبد الله البلنسى عم الحكم الأموى بالأندلس أرض قطلونية الأسبانية وهاجم برشلونة وانتهت هذه الوقائع بعقد الصلح بين الحكم وشرلمان.

* حصلت معاهدة صلح بين فرنسا والدانيمرك بعد أن استمرت الحروب بينهما فترة طويلة.

تنهب اولا، وكان رجلا صالحا وديعا محبا لكل أحد حسن الصورة مثل ملاك الله، لم يكن فى زمانه شي من الشرور.

وكان عبيدالله الملك بمصر ينزل عذابا وبلايا وخسارات على أهل مصر، وأضاف على كل دينار من الخراج تمن دينار. وكان يحدث أمورا على الناس حتى أن الدينار قل وعز.

ولما تمادى على ذلك لم يصبر الله عليه لكن أثار عليه قوما من مقدمى المسلمين مضو إلى هشام

سنة ١٩٦ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الثلاثاء ٢٣ سبتمبر ٨١١م

* تعاقبت الجيوش لحرب هرثمة قائد المأمون ولكنها فشلت، بينما تقدم قائده طاهر بن الحسين إلى جنوب العراق واستولى على واسط والمدائن.

* عقد المأمون لوزيره الفضل بن سهل على المشرق كله وخطب فيها للمأمون بأمير المؤمنين.

* تقلبت حال الأمين في بغداد فأنقلب قائده الحسين بن على بن عيسى ابن ماهان عليه ونادى بخلع الأمين وبايع أهل بغداد للمأمون ثم اعيدت البيعة للأمين، بينما تمت البيعة للمأمون بمكة على يد داود بن موسى.

* تولى إمارة مصر من قبل المأمون عباد بن محمد من نواب هرثمة خلفا لجابر ابن الأشعث الذى توفى في سنته فعمل عياد على جمع الكلمة للمأمون.

* توفى فى هذه السنة إبراهيم بن الأغلب ثانى الأغالبة أصحاب تونس عن ست وخمسين وكان فى أول أمره عاملا على الزاب وهو بانى مدينة العباسة بجوار القيروان.

* ممن توفى في هذه السنة: الأمير العباسى عبد الملك بن صالح إبن عم الخليفة المنصور وأمير مصر والمدينة والشام فترة وقائد الصوائف كان قد حبسه الرشيد متهما إياه بطلب

الملك وعرفوه الشرور التى يفعلها وما أحدثه من البلا فى مصر، فامتلا عليه غيظا وكتب للوقت يعزله وانفذ أميرا وجماعة معه بغضب عظيم وأمر أن ينفى وولده الأصغر إسماعيل معه إلى بلاد البربر من أعمال أفريقيه، وينفى منها إلى مغرب الشمس ويعذب لأنه ما يفعل ما أمره به، ففعل به ذلك سرعه. وجعل ولده الأكبر القاسم بمصر واليا وولاه امورها عوضا من أبيه، ونفى المذكور إلى [بلاد] البربر. ولما أقام هناك يسيرا ملك على البربر

الخلافة وتوفى بمصر عن سبع وثمانين القارئ عثمان بن سعيد الذى اشتهر بلقبه ورش وعرفت به مدرسة فى علم القراءات.

* وافقت هذه السنة مقتل الامبراطور البيزنطى نقفور (نيكيفوروس الأول) وتولية ابنه استبراق (استوراكوس) الذى حكم شهرين وخلفه ميشيل الأول (ميخاييل)

سنة ١٩٧ هجرية

استهل المحرم بيوم الأحد ١٢ سبتمبر ٨١٢م.

* فى صفر من السنة حمل عباد البلخى أمير مصر من قبل المأمون إلى بغداد بعد هزيمته على يد أهل الحوف فأمر الأمين به فقتل.

* إمتد القتال بين المأمون والأمين إلى بغداد والأمين مازال بها، حاصرتها قوات هرثمة بن اعين قادمة من الشرق بعد مقتل عبد الرحمن بن جبلة وانسحاب الحسين بن على بن عيسى، وقوات طاهر بن الحسين قادمة من الجنوب بعد الاستيلاء على واسط ثم وافت قوات زهير بن المسيب ونصبوا المجانيق وحفروا الخنادق واشعلوا النار فى الأطراف وضعف أمر الأمين حتى استخدم أهل السجون والغوغاء، وانتقل القتال إلى قلب المدينة وأخذ أمر الأمين فى الأدبار بالرغم من الأموال التى كان يفرقها على العسكر.

بأفريقيه، وكان ولده إسماعيل هناك إلى أن ينفى إلى حيث أمر الملك، وكتب إلى هشام يستعطفه ويتوب إليه مما كان منه ويسيله [يسأله] أن يوليه تلك البلاد، فولى [فولاه] على البربر بأفريقيه وكانت أفعاله أيضا رديه، فأخذ بنات الناس الملاح وبنات المقدمين والأمرا فانفذهن إلى هشام الملك سرارى ويكتب إليه انهن جوار اشتراهن له سرارى، وكذلك النعاج إذا قربت ولادتها يشق بطونها ويخرج منها الخراف بعد أن يصوفون فيأخذ

---

* طلب الأمين الأمان لنفسه من هرثمة إلا أن طاهر بن الحسين أصر على أن يكون خروج الأمين إليه.

* لحق قاسم المؤتمن بأخيه المأمون بخراسان فولاه جرجان كما سار إليه منصور ابن الخليفة المهدى.

* تولى إمارة مصر المطلب بن عبد الله.

* وقيل توفى فى هذه السنة (لا فى السابقة) المقرئ عثمان بن سعيد الملقب ورشا.

سنة ١٩٨ هجرية

الأول من المحرم وافق يوم الخميس الأول من ديسمبر ٨١٣م.

* شهدت هذه السنة مصرع الخليفة الأمين العباسى فى ٢٥ من المحرم، حين خرج إلى هرثمة فى جرافة على دجلة فأغرقها طاهر بن الحسين وأخذ الخليفة وقتل بأمر طاهر فكانت مدة خلافته أربع سنوات إلا شهوراً وله من العمر ثمان وعشرون سنة ليس إلا بينما أخوه المأمون أسن منه بشهر واحد.

* دخل طاهر بن الحسين قائد المأمون مدينة بغداد بعد مقتل الأمين وأمن أهلها وصلى الجمعة بالناس وخطبهم وحثهم على طاعة المأمون، ولكن فى اليوم الخامس وثب الجند به

جلودهم يعمل منها فرا[ء] وينفذها إلى هشام ويقول له انه ابتاعها له، حتى افنى نعاجا كثيرا من تلك البلاد. فتشاورو عليه البربر أن يقتلو ولده إسماعيل وأهل بيته، فأخذوه ونساه وأولاده وسراريه وكلما ينطوى إليه وقتلوهم جميعهم قدامه وهو ينظرهم، ويشقون بطون النسا ونزعوا الأولاد منها وطرحوهم قدامه. ثم جابوه إلى أفريقيه وهو مربوط إلى أبيه وقتلوه قدامه وهو ينظره بعد أن شقوا بطنه أولا وضربو به رأس أبيه ووجهه، ثم

مطالبين بارزاقهم ولم يكن معه شئ فاضطر للهرب إلى عقرقوف ناحية من نواحي نهر عيسى بينها وبين بغداد أربعة فراسخ، ثم لم يلبث طاهر أن عاد إلى بغداد.

* ثار نصر بن سيار على المأمون بحلب فأنفذ إليه قائده طاهر بن الحسين بعد أن ولاه الموصل والجزيرة والشام والمغرب ولكنه لم يحرز نصراً.

* تولى إمارة مصر العباس بنى موسى العباسى من قبل المأمون فبعث بابنه عبد الله نائباً له وذلك بعد أن عزل المطلب بن عبدالله وسجنه.

* دخل فى هذه السنة ٢٨ شوال الامام الشافعى إلى مصر قادماً من العراق وهى رحلته الثانية إلى مصر التى عاش بها هذه المرة لحين وفاته بعد أن تحول عن مذهبه القديم.

* ممن توفى فى هذه السنة أبو الحسن السفيانى من أحفاد بنى أمية عن ثلاث وتسعين وكان قد دعا لنفسه واستولى قبيل وفاته على دمشق وبويع بالخلافة وتسمى المهتدى بالله حتى استعاد المأمون دمشق.

* ثارت اهل قرطبه بالاندلس على الحكم بن هشام الاموى وحاربوه لجوره واستبداده وفسقه.

*وافق هذا التاريخ تولية الامبراطور البيزنطى ليو الخامس الأرمنى وكان من قواد الامبراطور نقفور (نيكيفوراس) ثم ميشيل الأول (ميخاييل) وبعد عزل هذا الأخير خلفه على عرش

أخرجو أباه من ديارهم وهم وراه يشتمونه وهو حزين باك.

وكان أبونا تاودوروس قد عاش ورأى جميع ذلك. ثم افتقده الرب ومضى إليه بشيخوخة حسنة. وبنعمة السيد المسيح كانت البيعة تنمو بغير مقاوم لها ولا شقاق فيها في جميع أيامه. وأقام على الكرسي الرسولي أحدى عشرة سنه ونصف وتنيح في سابع يوم من أمشير. وخلي الكرسي بعده سنه واحده وشهورا، صلاته تكون معنا آمين.

بيزنطة، وقد ذكرت المصادر العربية خطأ أن توليته جرت في عام ١٩٤ هـ بقولهم «وفيها وثب الروم على ملكهم ميخائيل فهرب وترهب وكان ملك سنين فملكوا عليهم ليون القائد».

سنة ١٩٩ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الثلاثاء ٢٢ أغسطس ٨١٤م.

* قدم وزير المأمون الحسن بن سهل مدينة بغداد بعد أن خرج منها طاهر ابن الحسين إلى الرقة وفرق الحسن عماله في البلاد.

* خرج على المأمون ابن طباطبا العلوى (محمد بن ابراهيم) الذى دخل الكوفة قادماً من المدينة بتأييد من أبي السرايا الشيباني الذى إستولى على الكوفة وهزم جيشين للوزير الحسن بن سهل، وبعد وفاة ابن طباطا الفجائية أقام أبو السريا خلفاً له وهو محمد بن محمد حفيد الامام زيد.

* إستعان الوزير الحسن بن سهل بهرثمة بن اعين الذى عاد إلى بغداد لقتال أبي السرايا.

* تولى إمرة مصر المطلب بن عبد الله للمرة الثانية بعد أن ثار أهلها على العباس بن موسى وانتهت الحروب بمقتل العباس قيل مات مسموماً.

أنبا خايل [الأول] البطرك

وهو من العدد السادس والأربعون

[٧٤٤/ ٧٦٨م]

كما قال الكتاب فى المزمور ٧٨ الذى سمعنا ورأينا وأخبرونا أباونا وكما أخبر موسى النبى فانه كتب ما كان فى الأرض من آدم الأول إلى زمانه ثم بعده الأنبيا الذين تنبوا بما يكون، ثم بعدهم

---

* توفى فى هذه السنة (أول رجب) الثائر العلوى ابن طباطبا بالكوفة وهو ابن ست وعشرين قيل ان أبا السرايا قد دس له السم.

سنة ٢٠٠ هجرية

استهلت السنة الأخيرة من القرن الثانى بيوم السبت ١١ أغسطس ٨١٥م.

* سير الحكم الأموى صاحب الأندلس آخر غزوة له وعلى رأسها قائده عبد الكريم بن مغيث الذى كبس الجلالقة وحلفاءهم البشكنس ووقع فى أسره جماعة من أمرائهم.

* هرب أبو السرايا والعلويون من الكوفة بعد أن استولى عليها هرثمة بن أعين (فى المحرم) وتوجه إلى القادسية ثم عاد إلى حرب أبى السرايا الذى هزمه وقتله فأخمدت الثورة التى عرفت باسمه.

* ثار ببغداد الشغب بين الجند والوزير الحسن بن سهل، كما وقعت الفتنة فى مكة وفى اليمن وعليها ابراهيم بن موسى حفيد جعفر الصادق.

* فى مستهل رمضان عزل المأمون المطلب عن أمرة مصر وولاها للسرى بن الحكم. ولما قدم السرى حصل بينه وبين المطلب محاربات انهزم فيها المطلب.

الحواريون القديسون كرزو بما شاهدوه، وكذلك كلمن كان بعدهم على هذه الصفه وتعاليم الابا[ء] المويدين الذين للبيعه، والكلام المقوى للامانه والاخوه بنى المعموديه اللابسين النور والأبا المويدين الذين اثبتو الأساس القوى والدعامه الوثيقه، والرب يسوع المسيح المخلص الذى جانا وخلصنا من أثامنا بتجسده من العدرا الطاهره. والمنعم علينا بفتح قلوبنا واذهاننا بسماع كتبه المقدسه: «فيلن» فليمن و«يستس» و«يوسابوس»،

---

* ولد فى هذه السنة الخليفة الواثق بالله وهو هارون ابن الخليفة المعتصم وخليفته.

* توفى فى هذه السنة هرثمة بن أعين أحد مشاهير القواد فى العصرالعباسى الأول وقائد الرشيد والمأمون فى المهام الجسام تنقل فى إمارة الولايات بين خراسان وأرمينية ومصر وافريقية.

* توفى فى هذه السنة أبو السرايا رأس الثورة المعروفة باسمه قتل بأمرالمأمون (١٠ ربيع ثان) بعد هزيمته على يد هرثمة بن أعين.

* فيها قتل الروم امبراطورهم ليون وتولى مكانه ميخاييل.

* ممن توفوا فى هذه السنة بطوس الفيلسوف الكيميائى جابر بن حيان مؤلف كتاب أسرار الكيمياء وعلم السموم وأصول الكيمياء وكتاب الرحمة وغيرها وقد ترجمت مؤلفاته إلى اللاتينية.

القرن الثالث الهجرى

سنة ٢٠١ هجرية

افتتحت السنة من العام الأول من القرن الثالث بيوم الأربعاء ٣٠ يوليو ٨١٦م.

* شهد مولد القرن الثالث الهجرى: فى بغداد الخليفة المأمون العباسى، وفى قرطبة

الذين من اليــهــود الذين أخــبــرو اولا بخـــراب «أورشليم»، والذين وضـعـو لنا سـيــرة البـيـعـه المقدسه(*): «افريقنوس» افريقوس، و«أوسابيوس»، «وسـوزامنوس»، أظهـرو لنا الجـيد والردى والبـلايا التى حلت بالقـديسين، والرعـاة لقطعان السـيـد المسيح وما نالهم من التعب على البيعه والشعب الارتدكسى من المتولين فى كل زمان، ليس كـورة مـصر فـقط بل «وانطاكـيـه» و«روميه» و«افـسس»، التى كـان فـيـها «هارسيس نسطور» الذى يستـحق

(*) من مـؤرخى هذه الفـتـرة ومـا قبلها «افريقنوس» و«اوسابيـوس» و«سوزامنوس».

بالأندلس الحكم الأول الأموى، وفى المغرب إدريس ثانى سلاطين الأدارسة، وفى تونس عبد الله بن ابراهيم الأغلبى، ومن الوزراء الفـضل ابن سـهل فى بغـداد، ومن الولاة: حـمدون بن على بمكة، وهارون بن المسـيب بالمدينة، والسـرى بن الحكم بمصـر، وطاهر بن الحسين بالشـام، واسـماعيل ابن جـعـفر بالبـصرة ، وحـاتم بن هرثـمة بأذربيـجـان ، وزهيـر بن المسـيب بأرمينية، وهرثـمة بن أعين بخـراسان، وداود بن يزيد المهلبى بالهند. كـمـا شـهـد مـولد القرن فى أوروبا، لويس الأول بن شرلمان امبراطور الدولة الرومانية المقدسة، وليو الأرمنى امبراطور بيزنطة.

* أعلن الخليـفة المأمون وهو بخراسـان عليـا الرضى بن مـوسى الكاظم وليـا لعـهـده بعد أن خلع أخاه القاسـم وترك السـواد شعار العباسيين وليس الخضـرة شعار العلويين فشق ذلك على بنى العباس.

* ندب المأمـون قائده جـميل بن يحيى البـجلى الذى أعفـاه من إمارة مـصر لقتال الثائر بابك الخزمى.

* امـتنع اسـمـاعيل بن جـعفر أمير البـصـرة على المأمون بسـبب ولاية العـهـد فحـمل إلى خراسـان ومات بها ، وفى بغداد أعلن منصور بن المهدى نفسه نائباً للمأمون ببغداد وتسمى المرتضى، بينما التف أهل بغداد حول ابراهيم بن المهدى.

لسانه القطع من أصله، وبقية المخالفين فى ذلك الزمان، وبدد الله جميعهم مثل الغبار أمام الريح شبل الأسد الحكيم «كيرلس» الذى قطعه وغيره من المخالفين، وجعل كتبه فى ساير بيع المسكونه الارتدكسيه. كما أظهر لنا ذلك الكتاب الذى ابتدأ باسمايهم إلى أن انتهو إلى المعترف المجاهد بالحقيقة «ديسقرس» الذى أحرم «لاون» الذى هو السبع المفترس للانفس كاسمه. وأحرم الستمايه وتلتين المجتمعين بخلقدونيه واحرم «مرقيان» الملك والملكة

---

* ثار بعض جند مصر على أميرهم السرى بن الحكم وخلعوه فورد الخبر من المأمون بعزله عن إمارة مصر واستبدله بسليمان بن غالب، ولكن لم يلبث أن أعاده المأمون فى السنة نفسها.

* تولى زيادة الله الأول (فى ذى الحجة) إمارة تونس خلفاً لأخيه عبد الله.

سنة ٢٠٢ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأثنين ٢٠ يوليو ٨١٧ م.

* فى الأول من المحرم بايع أهل بغداد ابراهيم إبن الخليفة المهدى بالخلافة ولقبوه المبارك المنير بعد أن خلعوا بيعة المأمون وهو مازال بخراسان كما بايعه سائر بنى هاشم بسبب نقل ولاية عهده من العباسيين إلى العلويين.

* استولى ابراهيم بن المهدى على قصر ابن هبيرة وولى على بغداد ابنى أخيه الهادى: العباس واسحق.

* خرج المأمون من خراسان فى طريقه إلى بغداد.

* ثار أهل الربض (ضاحية قرطبة) على أميرهم الحكم بن عبد الرحمن يتزعمهم بعض الفقهاء وتعرضوا له وتجرأوا عليه ولكنه قضى على الفتنة بقسوة وصلب منهم ثلاثمئة إرهاباً.

«بلخاريه» المرذوله، وجعل جميع من اتبع «لاون» تحت الحرم. وأخرج بأمر الملك والملكه ومضو به إلى النفى، وتم جهاده هناك، وأعاد نفوسا كثيرا إلى السيد المسيح على يديه. وكلما جرى كتب به الينا إلى هاهنا فى تانى عشر سيره من سير البيعه، والبدو بكتب ما بعد ذلك من الأب «كيرلس» وهو فى دير «ابلاح» إلى الأب المعترف «الاكسندروس»، نسأل عنه المعلم والكاتب فى زمانه الذى هو الشماس الارشيدياقن صاحب الأب

---

* تولى الحسن بن سهل وهو ببغداد وزارة المأمون بعد مقتل أخيه الفضل.

* أغتيل وزير المأمون ذو الرياستين الفضل بن سهل عند سرخس وثب عليه قوم فقتلوه فى الحمام وهو فى ركب الخليفة، وبعد ستة أشهر توفى أبوه سهل وكان من أولاد ملوك المجوس أسلم فى أيام الرشيد وهو الذى دبر خلع الأمين وقتاله.

* ممن توفوا فى هذه السنة: على بن الحسين الهمذانى الشائر وكان على الموصل مات مقتولا، وفيها توفى المحدث أبو على النيسابورى.

سنة ٢٠٣ هجرية

استهلت السنة بيوم الجمعة ٩ يوليو ٨١٨ م.

* وصل المأمون إلى مدينة طوس فى طريقه إلى بغداد وأقام أياماً بجوار ضريح أبيه الرشيد ثم تابع سيره إلى همذان فوصلها فى أخر يوم من السنة.

* أختفى ابراهيم بن المهدى (منتصف ذى القعدة) عندما اقترب حميد الطوسى قائد المأمون من بغداد وأعلن الجند خلع بيعته بعد ٣٢ شهرا.

* أصيب الوزير الحسن بن سهل بلوثة عقلية بعد مقتل أخيه الفضل وموت أبيه حتى شد فى الحديد وحبس فى بيت بمدينة واسط.

البطرك أبا سيمون بطرك اسكندريه، وكاتبه الراهب «جرجه»(*)، فكتب ذلك فى جبل القديس «أبى مقار» «بوادى هبيب»، وأعلمنا ما جرى فى زمان «مرقيان» الملك الكافر وما لحق أبانا من التعب وما جا بعدهم إلى زمان «سليمان بن عبدالملك» ملك المسلمين الذى ولى بعده الملك «عمر بن عبدالعزيز» الذى هزم «أسامة» الملك الكافر الذى كان قبله بمصر.

(*) الراهب جرجه هو كاتب هذه السير.

---

* نشبت ثورة جديدة بباجة من نواحي الأندلس قضى عليها الحكم.

* انكسفت الشمس فى ٢٨ الحجة من السنة حتى ذهب ضوءها وغاب أكثر من ثلثها بينما تواليت الزلازل بخراسان والتركستان ودامت ستين يوماً هلك فيها خلق كثير.

* شهدت هذه السنة وفاة اثنين من رؤوس العلويين هما: على الرضا ثامن الائمة الاثنى عشرية وهو الذى عهد إليه المأمون بالخلافة وزوجه من ابنته وضرب الدنانير والدراهم باسمه مما أثار عليه بنو العباس، توفى بطوس عن نحو خمسين سنة وأقيم ضريحه الذى تحول إلى مدينة تعرف اليوم باسم مشهد، وفيها توفى محمد ابن الإمام جعفر الصادق وهو الذى كان قد بايعه أهل الحجاز عام ٢٠٠ ثم خلع نفسه وأمنه المأمون.

سنة ٢٠٤ هجرية

وافق الأول من السنة يومم الثلاثاء ٢٨ يونية ٨١٩ م.

* دخل المأمون بغداد لأول مرة منذ توليه الخلافة (منتصف صفر) وبعد ثمانية أيام ترك الحضرة شعار العلويين وعاد إلى لبس السواد مذعنا لكلام بنى العباس.

* ولى المأمون أخويه أبا على الكوفة وصالحا البصرة.

ومن أجل ذلك أسألكم أنا البائس الحقير أن تسألو السيد المسيح عني أن يحل رباط لساني الناقص بصلواتكم ويفتح قلبي المظلم ويعطيني معرفة الكلام فلعلي أقدر أن أظهر لكم ولابوتكم ما تطلبونه مني مما لا تصل إليه قدرتي ليس كمعلم وهادى أكثر منكم ولكن كمتعلم.

ولما نظرت ما كتبته بعيني وكبرته علي ولمسته يدى وما سمعته من الأحبا قبلي ممن نصدق ونأمن

---

* جرى أول لقاء بين قائد المأمون يحيى بن معاذ بعد أن ولاه الجزيرة والثائر الخارجي بابك الخرمي ولكن الحرب كانت سجالا.

* اسس محمد بن ابراهيم بن زياد مدينة زبيد باليمن وجعلها حاضرة للدولة التى أقامها.

* اتخذ القفيز مكيالا للحبوب ونحوها وهو يساوى ١٠ مكاكيك أى ١٥ صاعا ويساوى وزنا في أيامنا نحو عشرين كيلو جراماً.

* توفي بمصر ثلاثة من اعلام الفقهاء هم: الامام الشافعي (محمد ابن ادريس) توفي بالفسطاط يوم الخميس ٢٩ رجب عن أربع وخمسين واليه ينسب مذهب الشافعية ودفن بالحي الذى يعرف باسمه حتى اليوم، وفيها توفي أشهب بن عبد العزيز القيسي (٢٢ شعبان) عن ست وستين، وفيها توفي قاضي مصر لهيعة بن عيسى تولى قضاءها سنوات.

* توفي بالكوفة المؤرخ النسابة ابن السائب الكلبي (هشام بن محمد) وكان أبوه من قبله نسابة إخباريا، وهو مؤلف كتاب «الأصنام» مطبوع متداول.

سنة ٢٠٥ هجرية

أهل المحرم يوم الأحد الموافق ١٧ يونية ٨٢٠ م.

* استعمل المأمون قائده طاهر بن الحسن على المشرق كله من بغداد إلى السند وكان صاحب شرطة بغداد قبل ذلك وخلفه على الشرطة ابنه عبد الله ابن طاهر.



إليه ليلا [لئلا] أكون على قول الإنجيل الصادق في العبد الذى دفن فضة سيده في الأرض، وأقول لقدسكم أنا البايس الحقير في الناس أنني تمثلت بقول داود إذ يقول عن البارى سبحانه في المزمور ١١٣ : الذى يقيم الفقير من على الأرض والمسكين من المزبله ويجلسه مع اغنيا الشعب هو الذى أجلسنى مع الابا [ء] القديسين. وشاهدت ما نالهم بقلبي لاكتب ذلك بغير استحقاق لأنهم صارو

---

* أنفذ المأمون قائده عيسى الجلودى لحرب الزط الذين فرضوا سلطانهم على اقليم البطائح جنوب العراق وقطعوا الطريق ولكن عيسى لم يظهر عليهم، ومن ناحية أخرى ندب المأمون قائده عيسى بن محمد بن أبي خالد لحرب الخارجي بابك الخرمى بعد فشل يحيى بن معاذ.

* توفى بمصر أميرها السرى بن الحكم في مستهل جمادى الأولى وخلفه عليها ابنه محمد بن السرى ، كما توفى بها أمير شرطتها عبد العزيز الجروى وكان قد ثار على السرى واستولى فترة على الاسكندرية حتى انتقضت عليه فمات في حصارها.

* وافق هذا التاريخ مقتل الامبراطور البيزنطى ليو الخامس ويعرف باسم ليو الأرمنى على يد بعض أنصار ميخاييل العمورى الذى خلفه في حكم بيزنطة.

سنة ٢٠٦ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الخميس ٦ يونية ٨٢١ م.

* تولى إمارة الأندلس تحت حكم الأمويين (٢٧ الحجة) عبد الرحمن ابن الحكم في اليوم التالى لوفاة أبيه الحكم الربضى، أمه أم ولد اسمها حلاوة وله من العمر واحد وثلاثون.

* غزا الأغالبة جزيرة صقلية.



رعاه على الأرض وبذلو نفوسهم على اسم المسيح دفعات شتى، لأذكر يسيرا من أفعالهم وبقيتها السيد المسيح وحده العالم بها، وما كان متقدما فإن السيد المسيح يعلم اننا ما زدنا عليها شيا بل شرحت ما كان إلى حين نياحة الأب الطوبانى «تاودوروس» بطرك اسكندريه، والمملكه التى كانت فى أيامه إلى تمام السابع عشر سيره المذكوره.

---

* وجه المأمون عبد الله بن طاهر أمير الرقة والشام لحرب الثائر نصر ابن شبت وكان عبد الله على شرط بغداد بعد أبيه ذى اليمينين طاهر بن الحسين الذى كتب إليه كتابا ينصحه فيه يعتبر من نوادر رسائل الأدب فى اللغة العربية حتى ان المأمون استنسخه وبعث به إلى جميع ولاة الأقاليم.

* انفذ المأمون جيشاً ثانيا لحرب الزط على رأسه داود بن ماسجور.

سنة ٢٠٧ هجرية

استهلت السنة بيوم الثلاثاء الموافق ٢٧ مايو ٨٢٢ م.

* بايع أهل اليمن عبد الرحمن بن أحدم من حفدة الإمام على فانفذ المأمون لحربه دينار بن عبد الله وكتب معه بأمانه فقبله عبد الرحمن وسار إلى بغداد، وبايع فى السنة نفسها أهل عمان عبد الملك بن حميد إماما على المذهب الإباضى خلفاً لغسان بن عبد الله ودامت ايامه نحوا من عشرين سنة.

* تجدد فى الأندلس النزاع بين المضرية واليمانية فى لورقة، وفيها عاد للثورة الأمير عبد الله البلنسى عم الحكم واحتل كورة تدمير وطالب باقطاعها والتف حوله جمع كبير وهم بالزحف على قرطبة بالرغم من شيخوخته.

السيرة التامنه عشر من سير البيعه

والآن فبارادة الله وصلواتكم المقدسه نذكر السيرة التامنه عشر من سير البيعه. لما خرج «عبيدالله» من مصر وتولى بعده «القاسم» ولده الذى صار فيه الشر أكتر من أبيه دفعات، كقول الإنجيل المقدس: «أن كل شجره رديه تثمر ثمره رديه». هذا فعل الشر قدام الله والناس فى مملكته وسلك الردى كما أننا نذكر إذا تقدمنا. قال

---

* شهدت الأندلس موجة من القحط حتى انتشرت المجاعة فبلغ سعر مد القمح ثلاثين ديناراً.

* بايعت الجند على تولى إمارة مصر عبيد الله بن السرى (٩ شعبان) خلفاً لأخيه محمد المتوفى من عامه.

* ظهر الصناديقي باليمن و استولى عليها وادعى النبوة فتبعة خلق كثير.

سنة ٢٠٨ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم السبت ١٦ مايو ٨٢٣م.

* أنفذ أمير الأندلس عبد الرحمن بن الحكم قائده عبد الكريم بن مغيث (جمادى الأخرى) إلى ألبة والقلاع وكان ألفونسو ملك ليون قد أغار على أرض المسلمين فعاث عبد الكريم فى ألبة وخرب مخافرها.

* استعفى قاضى بغداد ابن سماعة المأمون فأعفاه وهو مؤلف كتاب أدب القاضى.

* ثار الحسن بن الحسين وهو أخو أمير المشرق طاهر بن الحسين فسار اليه أحمد بن أبى خالد وقدم به إلى المأمون فعفا عنه.

سليمان بن داود الحكيم: «الويل لأهل المملكه التى ملكها صبى» . وكان هذا القاسم صبيا فى عمره وفعله، وإذا ملك ملك جاهل فكل من يصحبه يكون مثله. فاول بداية فعله هذا كان محبا للشر ومحبا للنسا مثل الخيل التى تصهل [فـ] جعل له سرارى من كل جنس ليس لهن عدد وكان قلبه ملتهيا بهن جدا كما شاهدنا باعيننا دفعات شتى. وكان ينفذ ويحضر الطوبانى «تاودوروس» البطرك، كالديب اللابس لباس الخروف، وكان يصحب

سنة ٢٠٩ هجرية

وافقت غرة المحرم يوم الأربعاء ٤ مايو ٨٢٤ م.

* قرب المأمون أهل علم الكلام وأمرهم بالمناظرة فى حضرته منهم بشر المريسى وثمامة أبن الأشرس.

* أنفذ المأمون قائداً ثالثاً لحرب بابك الخرمى وهو على بن صدقة والى أرمينية فأسره بابك فولى قائداً رابعاً هو إبراهيم بن الليث.

* حصر عبد الله بن طاهر الثائر نصر بن شبث عند كيسوم وضيق عليه حتى طلب الأمان بعد خمس سنوات من الحروب فسيره إلى المأمون ببغداد.

سنة ٢١٠ هجرية

استهلت السنة بيوم الاثنين ٢٤ أبريل ٨٢٥م.

* زفت فى رمضان من هذه السنة بوران ابنة الوزير الحسن بن سهل ولها من العمر ثمانى عشرة سنة إلى الخليفة المأمون الذى سار إلى قصر أبيها بفم الصلح وأقام سبعة عشر يوماً فى ضيافة وزيره، وفيها أوقد شمعة عنبر فيها أربعون منا وألبست زبيدة أم الأمين العروس البدلة اللؤلؤية الأموية ونثرت جدتها ألف لؤلؤة من أنفس ما يكون.

الأب البطرك أبي الروحاني «أبا مويس» الأسقف حين يجتمع به، وكان الملك يحب أبي أكثر من كل الأساقفه وكان يحضر له الصغار من السراري حتي يبارك عليهن وأنا أبصرهن، وكان يقول للأب البطرك: هولا من أولادك ضع يدك عليهن وباركهن وأعطهن البركه لأنني اشتريتهن جددا [ابكاراً]. وكان يفعل ذلك دفعات شتي بالأب البطرك، فلما حضرنا عنده دفعه كالعادة كان هناك الأب الأسقف «أنبا إبراهام» أسقف الفيوم

---

* ظهر في ربيع الأول من السنة إبراهيم بن المهدى عم الخليفة الذى كان قد بويع بالخلافة وتلقب بالمبارك قبل دخول المأمون بغداد وظل مختفياً سبع سنين فعاتبه المأمون وعفا عنه وكانت قد شفعت له بوران ليلة زفافها، وفيها ظفر المأمون بابن عائشة وهو من حفدة إبراهيم الامام وممن سعى في البيعة لابراهيم بن المهدى وحاول نقب سجنه فقتل وصلب وكان أول عباسي صلب في الاسلام.

* في الأندلس استمرت الفتنة بين المضرية واليمانية في كورة تدمير فأمر عبد الرحمن أمير الأندلس بنقل عاصمة الولاية إلى مرسية، وفيه سير عبد الرحمن جيشاً إلى قطلونية بقيادة عبيد الله البلنسي فاجتاحها وهزم الأفرنج وانتهى إلى جيرونة في أقصى الشمال.

* استسلم نصر بن شبث زعيم الثورة على المأمون في المشرق بعد اثنتى عشرة سنة من الحروب.

* توفي من رجال العلم : بشر بن المعتمر أحد رؤوس المعتزلة وتنسب اليه طائفة البشرية توفي ببغداد وكان من أهل الكوفة.

* توفى ملك الديلم شهريار الأول بن شروين بعد حكم دام ٢٩ سنة وخلفه ابنه سابور.

والأرسينويتس لأجل أمر مهم، فلما حضرنا أيضا
دعا واحده من السرارى وكانت مغربيه، فقال لابينا
«ابراهام» هذه ابنتك وجعل يده فى يدها وكان
قلبه كالأطفال وقال له: أنت تعلم أنى أحبك جدا
من زمان وكلما كنت تطلبه من أبى أفعله لك.
فقال له القديس إبراهام: نعم. فقال له: أريد منك
تلتمايه دينار. فتقدم أبى إلى الارشيدياقن الذى كان
أقنومه اسمه «سمعان» كان قد جا معه، وهو الذى

سنة ٢١١ هجرية

وافقت غرة المحرم يوم الجمعة ١٣ أبريل ٨٢٦م.

* تولى إمارة مصر عبد الله بن طاهر بعد عزل عبيد الله بن السرى وهو بعد ابن تسع وعشرين وذلك بعد أن بايعه الجند وتحصن بمدينة بلبيس وقامت بينه وبين عبدالله بن السرى حروب ادت إلى اضطراب الأمن وكثرة أعمال السلب والنهب للمصريين.

* وهرب عبدالله بن السرى إلى المأمون ببغداد.

* وقعت الفتنة في إفريقية بين عامر بن نافع ومنصور بن نصر.

* قتل أمير الموصل السيد الأزدى فى حرب الثائر زريق بن صدقة وخلفه عليها محمد ابن حميد الطوسى، وفيها توفى أمير طبرستان موسى بن حفص فخلفه عليها ابنه.

* خلع الدنمركيون ملكهم هيرولد لأنه اعتنق المسيحية.

* تأسست مملكتا تافار وأرجون.

سنة ٢١٢ هجرية

استهلت السنة بيوم الثلاثاء ٢ أبريل ٨٢٧ م.

* استولى مهاجرو الأندلس على جزيرة كريت (إقريطش) بزعامة أبى حفص البلوطى

استحق الأسقفيه من بعده، فقال له: أحضر التلتمايه دينار. فاحضرها وسلمها للقاسم.

وكان له مال كثير للبيع(*) لأن كان عنده فى كرسيه خمسة وتلاتون ديرا بالفيوم وهو المتولى عليهم، وكان عليه خراج خمس مايه دينار الذى لبيت مال السلطان، لأجل ذلك كان مقدما عند كل أحد، وكانو تجار مصر يابيعونه ويشترون منه. ثم أنه بعد ان دفع التلتمايه دينار قال له القاسم: انا

(*) اتساع اوقاف الاديرة ونشاطها الزراعى يحقق لها إيرادات كثيرة.

وأسسوا بها إمارة عاشت ١٣٨ سنة حتى استردها أهل البندقية، وكان هؤلاء المهاجرون قد خربوا ونهبوا الأسكندرية فازاحهم منها عبيد الله بن طاهر.

* أظهر المأمون القول بخلق القرآن وهو بداية الفتنة التى استمرت حتى بعد وفاته وتعرض بسببها للأذى كثير من فقهاء العصر، كما أعلن تفضيل على بن أبى طالب على الناس بعد الرسول فاعتبر ذلك من البدع.

* وقعت موجة من الزلازل فى اليمن وكان أشدها بعدن فتهدمت دور وخربت قرى وهلك خلق كثير، وفى أقصى الغرب اجتاحت السيول والأمطار مدن الأندلس وهدمت قنطرة سرقسطة.

* اتحدت الإمارات السبع فى الجزر البريطانية تحت سلطة الملك اجيرت اول ملك للبريطانيين.

سنة ٢١٣ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأحد ٢٢ مارس ٨٢٨ م.

* ولى المأمون إبنه العباس إمرة الجزيرة والثغور، وولى أخاه المعتصم الشام ومصر فأخلف عليها عيسى الجلودى الذى لم يلبث أن عزل بسبب ثورة المصريين من أهل الحوف.

أكرمك بهذه الكرامه العظيمه حتى أني جعلت زوجتي لك ابنه ولا تدفع لها شيا تكرمها به؟ فاعطاها ماية دينار في يدها، واحتسب له بها في الخراج الذى عليه. وكان القاسم سالكا في طريق الجهل، كل حين تضاعف الظلم في أيامه على الناس، وولى ولاه في كورة مصر أشر منه، قوما يجمعون أموال الغرما من أسوان إلى إسكندرية، وألقى على الناس بلا عظيما في كل البلاد والكور الكبار والصغار، وكان الكبير ياكل الصغير والقوى

---

* تم بالأندلس القضاء على الفتنة بين المضرية واليمانية التي استمرت عدة سنوات حتى أذعن زعيمها أبو الشماخ ودخل في خدمة عبد الرحمن بن الحكم.

* تولى إمارة السند غسان بن عباد وهو ابن عم الوزير الحسن بن سهل.

* توفى في هذا التاريخ جبرئيل بن بختيشوع طبيب الرشيد وبعد وفاة الرشيد دخل في خدمة ولديه الأمين والمأمون، دفن بدير في المدائن.

* ممن توفوا من رجال الفكر: ثمامة بن اشرس رأس الطائفة الثمامية من المعتزلة، وفيها توفى ابن قتيبة الدينورى عن اثنين وستين اشتهر بكتابه عيون الأخبار وفيها توفى من الشعراء العكوك صاحب القصيدة المسماة اليتيمة، نقم عليه المأمون فأمر به فقتل.

سنة ٢١٤ هجرية

استهلت السنة بيوم الخميس الموافق ١١ مارس ٨٢٩ م.

* عاود المصريين من أهل الحوف من القيسية واليمانية الثورة وقتلوا أمير مصر من قبل المعتصم عمير بن الوليد بعد شهرين من ولايته فخلفه عيسى الجلودى للمرة الثانية فلم يلبث أن كسروه فعظم ذلك على المأمون فحث أخاه المعتصم على قتالهم بنفسه فجد السير إلى مصر بجيوش عظيمة وأوقع بهم الهزيمة عند المطرية وأفنى زعماءهم وقضى مؤقتا على الفتنة وعزل عيسى الجلودى وولى عبدويه بن جبلة أميراً على مصر من قبله.

ياكل الضعيف مثل سمك البحر. وكانو هولا الذين يجمعون مال الغرما يأكلون المستورين ويأخذون مالهم حتى ضاق كل أحد.

وبعد ذلك عمل [القاسم] مراكب مثل قصور الملوك وزينها، وكان يركب فيها نساه وعبيده ويخرج في بلاد مصر ويمضي بهم إلى اسكندريه معه وتنيس ودمياط، فيأخذ أموال التجار والناس والمقدمين في تلك المواضع، ويصعد إلى صعيد مصر وينتهي إلى أسوان يفعل ذلك.

---

* في الأندلس اضطرمت طليطلة بالثورة يتزعمها هاشم الضراب وجمع حوله العامة واستمرت الوقائع بينه وبين جيوش عبد الرحمن الأموى سنتين، وفي ماردة تجددت الفتنة فسار إليها عبد الرحمن بنفسه وهدم سور المدينة.

* ولد في هذه السنة أبو الحسن العسكرى عاشر الأئمة من الشيعة الاثنى عشرية وهو إبن محمد الجواد نسب إلى مدينة العسكر التى نفاه إليها الخليفة المتوكل فيما بعد، وفيها ولد المؤرخ أبو الحسين يحيي العقيقي من كتبه أخبار المدينة.

* لقي محمد بن حميد الطوسى أمير الموصل مصرعه في حربه مع الثائر الخارجي بابك الخرمي فولى المأمون الأمير محمد بن هشام قتاله.

*ممن توفوا في هذه السنة فقيه مصر ومؤرخها عبد الله بن عبد الحكم عن أربع وستين سنة.

* وافقت هذه السنة وفاة الامبراطور البيرنطى ميخاييل الثانى وخلفه توفيل الأول.

سنة ٢١٥ هجرية

استهلت السنة بيوم الآثنين الموافق ٢٨ فبراير ٨٣٠م.

* مع غرة المحرم خرج المعتصم من مصر قاصداً الشام بعد أن أعاد الأمن إليها وواصل سيره إلى الموصل حيث التقي بأخيه المأمون فعرفه ما فعل بأهل مصر فشكره على ذلك.

وكان يسير صحبته جماعة من الجند والعسكر ويدخلون إلى ملعب [مسرح] بأنصنا. فلما كان [القاسم] فى بعض الأيام وقد وصل إلى دير(*) القديس «أبى شنوده» صعد بتكبر عظيم وأخذ معه سريه واحده كان يحبها أكثر من جميع سراريه ومماليكه فركبها فرسا وركب هو فرسا أخرى وكان معه شيخ مقدم فى المسلمين اسمه «ريان» ابن عبدالعزيز الذى كان ملك مصر، فلما وصلو الباب

(*) هو الدير الابيض... وهو من أثار الانبا شنوده المعروف بتأسيسه لأحد نظم الديرية المصرية التالية للطريقة الباخوميه.

---

* سار المأمون من الموصل لغزو بلاد الروم واستخلف على بغداد اسحق ابن ابراهيم حتى صار إلى منبج ثم إلى دابق ثم إلى أنطاكية ثم إلى المصيصة وطرسوس فوطئ أرض الروم بينما دخلها ابنه العباس من ملطية فافتتحا عدة حصون عاد بعدها المأمون إلى دمشق بالأسلاب.

سنة ٢١٦ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم السبت ١٨ فبراير ٨٣١م.

* أعاد المأمون الكرة بغزو بلاد الروم فانتهى إلى هرقلة فصالحه أهلها ثم افتتح عد حصون قبل أن يعود إلى دمشق حاملاً اسلابه وغنائمه واشترك فى هذه الغزوة أخوه المعتصم ووزيره يحيى بن أكثم.

* شهدت هذه السنة فى مصر ثورة المصريين من أهل الوجه البحرى فأخرجوا الوالى عيسى بن منصور وخلعوا الطاعة فقدمها الأفشين قائد المأمون فى أربعة آلاف من جنوده الترك ولكنه فشل فى القضاء على الثورة بعد حروب استمرت أكثر شهور السنة.

سنة ٢١٧ هجرية

استهلت السنة بيوم الأربعاء الموافق ٧ فبراير ٨٣٢ م.

* فى الخامس من المحرم دخل الخليفة المأمون بجيوش جرارة إلى مصر للقضاء على ثورة

خرج فى لقاهم الشيخ ريس الدير وجميع أولاده ليكرموه بسبب المملكه، ولما دخل الباب التانى من الحصن الحايط [المحيط] بالبيعه وهو راكب ثم وصل باب البيعه، فاراد أن يدخل البيعه راكبا فصرخ الشيخ ريس الدير وقال: انزل ايها الملك لا تدخل إلى بيت الله بهذه الكبريا وخاصه هذه الامرأه التى معك لأنه ما دخل قط باب هذه البيعة امرأة وخرجت بالحياه بل تموت للوقت، فلم يلتفت إلى كلامه لكن دخل ومعه جيشه. وكانت

المصريين من أهل الغربية والحوف من الدلتا فقمعها وأباد أهلها متنقلا بين الفسطاط وسخا وحلوان ورحل عنها بعد أن عزل الوالى عيسى بن منصور ونسب له كل ما وقع بمصر ولعماله وكانت مدة إقامة المأمون بمصر تسعا وأربعين يوماً عاد بعدها إلى بغداد وقد ساق امامة الآلاف من الاسرى المصريين.

* تولى إمارة مصر كيدر الصغدى (من أهل التركستان)، كما تولى شرطتها أحمد بن بسطام من أهل بخارى كذلك فاستبدا بأهل مصر، وتولى إمارة السند عمران بن موسى البرمكى.

* غزا المأمون أرض الروم (الأنضول) للمرة الثالثة والأخيرة بعد أن تبادل الرسائل مع الامبراطور توفيل الذى دعاه إلى المسالمة والمهادنة خاتماً كتابه بالتهديد فرد عليه المأمون داعياً إياه وقومه للدخول فى الاسلام وإلا فالحرب والجزية.

* قتل الثائر عبدوس الفهرى وكان قد اشترك فى أحد ثورات مصر.

سنة ٢١٨ هجرية

وافق أول السنة يوم الاثنين ٢٧ يناير ٨٣٣م.

* تولى الخلافة العباسية ببغداد أبو اسحق المعتصم بن هرون الرشيد خلفا لأخيه المأمون

البيعه عظيمه جدا تسع الافا، فلما توسط البيعه وهو راكب فرسه نفرت الفرس التى تحت السريه بقوة الله فوقعت إلى الأرض فماتت السريه للوقت هى والفرس التى كانت تحتها، وأما القاسم فنزل عليه روح شيطانى نجس رماه وخنقه وخبطه حتى ازبد وصر باسنانه مثل الخنزير البرى، فلما تهدا قليلا نظر إلى الشيخ ريس الدير وقد حزن عليه فدفع للبيعه أربع مايه دينار نذرا، والفرس الذى كان راكبه. وكان هناك تابوت خشب ساج

وكان قد عهد إليه بولاية العهد قبل وفاته فى ١٨ رجب من العام وأقر العباس بن المأمون بحق عمه فى الخلافة.

* بدأت فى هذه السنة محنة القول بخلق القرآن والمأمون فى غزوته الأخيرة بأرض الروم فكتب إلى نائبه ببغداد (فى ربيع الأول) وهو اسحق بن ابراهيم بامتحان الفقهاء والقضاة والشهود بالقرآن فيمن أقر بانه مخلوق محدث أخلى سبيله ومن امتنع سقطت شهادته وقيد وعذب وكان من هؤلاء الامام أحمد ابن حنبل الذى سجن، وفى مصر قام أميرها كيدر بامتحان القضاة ورجال العلم فيها بعد أن كتب المأمون بذلك إلى جميع عماله فأقر أكثرهم مكرهين.

* أمر المأمون ببناء مدينة طوانة بأرض الروم وجعل سورها ميلا فى ميل، ثم هدمها المعتصم وأخلاها.

* شهدت هذه السنة وفاة الخليفة المأمون (١٨ رجب) وهو بأرض الروم (كما مات أبوه من قبل بها) فحمله ابنه العباس وأخوه المعتصم إلى طرسوس ودفن بدار خاقان وله من العمر ثمان وأربعون وكانت خلافته عشرين سنة وستة أشهر، أمه أم ولد تسمى مراجل ماتت فى نفاسها به.

مصفح بالعاج مثل الطابق عليه [صورة] جسد القديس «أبى شنوده» قد عملوه برسم النذر ولمن يلقي فيه نذره، وصارو يجعلون فيه الكتب، وكان حسن الصنعه عجيبا مليحا فاستحسنه «ريان» الذى كان معه واراد أن يأخذه، وكان القديس «أبو شنوده» قد انفق عليه مالا كثيرا، فقالو له: ما تقدر تاخده لأن الذى جعله هاهنا منع من خروجه. فقال: لابد لى منه بثمن أو هديه. ثم أمر عشرة رجال أن يحملوه فلم يقدرو، ثم دعا بتلتين رجلا

سنة ٢١٩ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الجمعة ١٦ يناير ٨٣٤.

* مرت خمسة أشهر على خلافة المعتصم العباسى ببغداد، كان يعاصره بالأندلس عبد الرحمن الأوسط، و فى المغرب محمد بن ادريس، وفى تونس زيادة الله الأغلبى، وفى بيزنطة الامبراطور توفيل وفى فرنسا لويس الأول.

* ظهر بالطالقان من المشرق محمد بن القاسم العلوى يدعو إلى الرضى من آل محمد فاجتمع عليه خلق كثير فواقعه عبد الله بن طاهر وهزمه وظفر به عامل نسا فقيده وبعث به إلى ابن طاهر وهذا إلى المعتصم فحبسه لكنه هرب من سجنه ليلة عيد الفطر واختفى.

* وجه المعتصم قائده عجيف بن عنبسة لحرب الزط الذين غلبوا على طرق البصرة فأخذ عليهم المسالك براً ونهرا فظفر بهم.

* استوزر المعتصم كاتبه الفضل بن مروان فاستقل بالأمور ولم يزل على ذلك سنتين.

* تولى إمارة مصر المظفر خلفاً لأبيه كيدر الصغدى نائباً عن الحاجب اشناس التركى ولم يلبث شهوراً حتى عزل وتولاها موسى بن أبى العباس الذى دامت إمارته خمس سنين.

* واصل عبد الرحمن الأوسط أمير الأندلس حرب الثائرين عليه فحاصر أخوه أمية بن الحكم مدينة طليطلة حتى عاد أهلها إلى الطاعة.

فلم يقدرو أن يحركوه. فلما نظر الأعجوبه دفع لهم تلتمايه دينار ثم خرجو بخوف وزمع وتعجب. ولم يفارق القاسم الروح النجس إلى يوم وفاته وهو يعذبه. ثم أنزل الله على كورة مصر من أجل خطايا القاسم غلا عظيما، فأول سنه كانت البلاد شراقى فقلت الخيرات وغاب القمح وعدم حتى لم يجدوه، ومات خلق كتير وبهايم كتير. ثم جا[ء] وبا [ء] على كورة مصر تانى سنه لم يكن مثله، ومع جميع ذلك لم ينقص شر القاسم بل يزداد،

---

* تقدم اسحق بن ابراهيم قائد المعتصم إلى بغداد بعد أن أوقع بالخرمية فى اقليم الجبل ومعه خلق كثير منهم.

سنة ٢٢٠ هجرية

افتتحت السنة بيوم الثلاثاء الموافق ٥ يناير ٨٣٥ م.

* خرج المعتصم من بغداد بعد أن كثر جنده الأتراك بها وأصبحوا خطراً وحرباً على أهلها وانتهى إلى ناحية القاطول لبناء مدينة ينقل إليها مماليكه.

* عقد المعتصم لقائده التركستانى الأصل الأفشين (خيدر بن كاوس) على حرب بابك الخرمي كما وجه عامله بن يوسف لعمارة الحصون التي خربها بابك.

* سار عبد الرحمن الأموى أمير الأندلس على رأس جيشه إلى طليطلة وكان قد حاصرها أخوه أمية وأوقع بأهلها، ثم سار مغربا الى ماردة لمطاردة الثائر البربرى سليمان بن مرتين وفيها توفى سليمان وقضى على ثورته.

* اطلق المعتصم الامام أحمد بن حنبل بعد أن حبسه ٢٨ شهراً لامتناعه عن القول بخلق القرآن.

* تولى أبو الأغلب ابراهيم إمارة جزيرة صقلية وافتتح عهده بالاستيلاء على عاصمتها بلرم صلحاً بعد أن عجز اسلافه.

وضاعف الخراج على الناس. وكان الإنسان إذا نام ليلا يخاف من ضو[ء] الصبح ويشتهى الليل حتى يفرغ من كثرة البلايا.

وبعد السنه الثانيه المواتة جات السنه التالته شراقيا، لم يصعد النيل البته، ولم ير الناس فى أيامه خلاصا بل كانت السنين تتقلب هكذا بأمر الله سنه وبا[ء] وسنه شراقى إلى أخر السنه التى أخذت منه فيها المملكه وهى السنه السابعه. وكان الوبا من أول هتور كل سنه إلى التانى والعشرين

---

* دخل عجيف بغداد ومعه من أسرى الزط سبعة وعشرون ألفا.

* غضب المعتصم على وزيره الفضل بن مروان وصادره ونفاه وأهل بيته إلى قرية بطريق الموصل وولى وزارته محمد بن عبد الله بن الزيات.

سنة ٢٢١ هجرية

أهل المحرم يوم الأحد الموافق ٢٦ ديسمبر ٨٣٥ م.

* جمع المعتصم مهرة الصناع وأرباب الحرف لبناء مدينته الجديدة التى سماها سر من رأى (سامراء الحالية) وجعلها حاضرة له وبدأ بتشييد قصر له وإقامة المسجد الجامع وغرس البساتين وقسمها إلى قطائع لكل طائفة قطيعة.

* جرت أولى المعارك بين الأفشين وبابك الخرمى بعد أن هزم هذا القائد بغا الكبير فهزمه الأفشين وقتل قائده طرخان.

* تولى إمارة مكة محمد بن داود بن عيسى العباسى واتسمت إمارته بسلسلة من الفتن.

* شاع مذهب النظام (ابراهيم بن يسار من أئمة المعتزلة) فى الفلسفة وتبعه جماعة سموا بالنظامية.

من بؤونه، ومعظمه بمصر لكثرة الخطايا التى كانت بها. وكان من تامن يوم من بشنس إلى أول يوم من بؤونه حل بالناس فنا[ء] لم يحصى بعض من مات فيه، يوما يموت فيه ألفان ويوم ألف ومايتان ويوما ألفان وأربع مايه بمصر والجيزه من ساير الناس القاطنين بهما، وتجار من الغربا حتى انقطع دفن الناس الأموات بالقبور، ولا يدفن رجل حتى يعلم به السلطان [القاسم] ويكتب اسمه واسم والده، حتى الطفل الذى يرضع. ثم أن

---

* وقع الطاعون بمدينة البصرة وهلك فيه خلق كثير.

* ولد فى هذه السنة ببغداد الشاعر ابن الرومى(أبو الحسن على ابن العباس) كان جده رومياً فنسب إليه، وفيها ولد بمدينة حران الطبيب الفيلسوف ثابت بن قرة قصد بغداد فى صباه واشتغل بالفلسفة والطب والطبيعيات.

* توفى فى هذه السنة محمد المنتصر ثالث سلاطين الادارسة بالمغرب وهو الذى قسم ولايات المغرب على أخوته وخلفه ابنه الصبى حيدرة.

* خلف على حيدرة أباه محمد بن ادريس على عرش المغرب وله من السن تسع سنوات

سنة ٢٢٢ هجرية

استهلت السنة بيوم الخميس الموافق ١٤ ديسمبر ٨٣٦ م.

* فتح الإفشين البد مدينة بابك الخرمي ودخلها المسلمون وخربوها فى العشرين من رمضان، وكان المعتصم قد أرسل إلى الافشين مدداً عليه جعفر الخياط، ووجه إليه غلامه إيتاخ ومعه ثلاثون ألف ألف درهم للجند والنفقات.

* قبل أن ينقضى الشهر (العاشر من شوال) وقع بابك فى أسر الافشين ومعه قائده سنباط بعد عشرين عاماً من الحروب، وحرر الافشين كثيراً من نساء وصبيان العرب كان بابك قد

أبا[ء]نا القديسين سألو الرب وأيضا الفقرا والأغنيا وتضرعو إليه بالصوم والصلاة والبكا والابتهال إلى أن ترأف الرب عليهم ورفع الوبا ورحمهم.

وبعد هذا أباعو التجار القمح للناس وظهر وكتر، فمضو قوم من تجار القمح إلى شماس ساحر كان يسكن في منف (وهي مصر القديمه) ودفعو له مالا كتيرا وسألوه أن يعمل سحرا ليغلو به القمح، فبدا ان يعمل أعمالا تغضب الله بصنعته

أخذهم أسرى، وكان المعتصم قد جعل لمن يجيئ به حياً ألفي ألف درهم فقتله المعتصم بعد أن قطع أربعته (يديه ورجليه) وبعد أن مسح بالدم على وجهه.

* في أقصى الغرب تم لعبد الرحمن الأموى اقتحام أسوار طليطلة (الثامن من رجب) بعد حصار دام سنوات وقضى بذلك على بؤرة الثورات في شمال الأندلس .

* شهدت هذه السنة ظهور مذنب رؤى إلى يسار القبلة في المسجد الحرام وله شبه ذيل طويل وبقي يرى نحواً من أربعين ليلة فهال الناس ذلك وعظم عليهم.

سنة ٢٢٣ هجرية

وافقت غرة السنة يوم الاثنين ٣ ديسمبر ٨٣٧.

* ولى المعتصم عهده ابنه هارون الذى عرف باسم الواثق بالله.

* قدم الافشين إلى سامراء ومعه اسيره بابك الخرمي (الثالث من صفر) وفي الغد قعد المعتصم واصطف الناس من باب العامة إلى قصر الافشين بالمطيرة وشهر بابك على فيل ثم جيئ بسياف أمر بقطع أطرافه ثم قتله وصلب بابك بسامراء وقتل وصلب أخوه ببغداد فبذلك طويت سيرته.

وسحره المرذول وكان عنده صبى يتيم ابن امراه أرمله ليس لها ولد سواه، فقال لها: أنت مالك شى تأكلينه ولا تطعمين ابنك أدفعيه لى أجعله لى ولدا وأعلمه صنعتى فسلمته له وهى مسروره. وكان ذلك الكافر قد مضى إلى سحره كتير فى مواضع حتى علموه سحرا عظيما، ففعل ما غلا به القمح. ثم أن الكافر أخذ ولد الأرمله ودخل به بيتا وأغلق عليه الباب وعلقه بيديه ورجليه عن الأرض وفعل به ما يغضب الله، ولم يزل يسلخ جلد الصبى من

---

* شهدت السنة إحدى المعارك الفاصلة بين الدولة الاسلامية والامبراطورية البيزنطية حين انتهز الامبراطور توفيل فتنة بابك وخرج على رأس مائة ألف وأتى زبطرة على حدود العراق وهى مسقط رأس المعتصم وأحرقها وقتل رجالها وسبى نساءها، ورد المعتصم على ذلك بغزوة كبرى تجهز لها تجهيزا ضخماً واشترك معه مشاهير قواده الترك منهم الإفشين وأشناس وايتاخ وعجيف وجعفر بن دينار وبعد أن استولى الافشين على أنقرة اتجه المعتصم على عمورية مسقط رأس الامبراطور وحاصرها واستولى عليها وخربها واستصفى أهلها (٦ رمضان) وأقام عليها ٥٥ يوماً وفرق الأسرى على القواد.

* عاصرت فتح عمورية مؤامرة دبرها ابن أخى الخليفة وهو العباس بن المأمون باتفاق بعض القواد وعلى رأسهم عجيف على اغتيال المعتصم وتنصيب العباس ولكنها أجهضت ولقى المتآمرون حتفهم.

* وقعت زلازل بأقليم فرغانة (التركستان الشرقية) فمات تحت الهدم ١٥ ألفا.

* توفى فى هذه السنة زيادة الله الأغلبى رابع أمراء الأغالبة أصحاب تونس وفى أيامه فتحت جزيرة صقلية، وفيها توفى بمنبج الأمير العباس بن المأمون الذى أثار الفتنة ابان حرب الروم، وفيها توفى أمير السند عمران بن موسى البرمكى.

وجهه إلى راسه كل يوم إلى أن انتهى إلى اكتافه فغاب القمح وعدم بعد أن كان قد أبيع عشرة أرادب بدينار، أبيع مدان(*) بدينار ولا يوجد، فمضى عريف صبيان المكتب إلى الامراه الأرمله وقال لها: لولدك عدة أيام ما جا عندنا فاى موضع هو: فمضت إلى ذلك الكافر وسألته عن ولدها فلم تجده فقال لها: لى عدة أيام ما رأيته وخرج من عندى ومضى إلى عندك ولم اعلم له خبرا. فلما سمعت هذا منه مضت بحزن عظيم، وكان

(*) مدان: مثنى «مد» وهو مكيال قديم للحبوب.

سنة ٢٢٤ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم السبت ٢٣ نوفمبر ٨٣٨ م.

* أعلن مازيار بن قارن دهقان طبرستان العصيان بسبب عدائه لعبد الله ابن طاهر أمير خراسان فأنفذ اليه المعتصم ثلاثة جيوش حتى استسلم ثم قتل وصلب متهما بالتامر مع الافشين على إعادة دولة الفرس القديمة واحياء عقيدتها.

* قدم أمير مصر الجديد مالك بن كيدر (٢٣ ربيع أخر) ودام امره عام واحد.

* قضى المعتصم فى هذه السنة على ثورتين الأولى فى أردبيل قادها منكجور من قرابة الافشين إلى أن استسلم لقائد المعتصم بغا الكبير، والثانية تزعمها ابن فهرجس من زعماء الأكراد فى الموصل الذى أوقع به القائد إيتاخ فانتحر بالسم.

* ولد بمدينة آمل بطبرستان (مازندران الحالية) شيخ المؤرخين المفسرين إبن جرير الطبرى مؤلف التاريخ المعروف باسمه والتفسير المعروف باسمه كذلك وكلاهما مطبوع متداول.

* توفى فى هذه السنة عن اثنين وستين ابراهيم بن المهدى ويعرف باسم ابن شكلة الأسود وهو أخو الخليفة الرشيد وكان قد ثار على المأمون ودعا لنفسه ودامت خلافته التى يتجاهلها المؤرخون ٢٣ شهراً، أمه أم ولد سوداء.

الصبى إلى ذلك اليوم لم يمت بل معلقا قد سلخ كثير منه، وكان الصبى العريف ينظر معلمه الساحر يدخل ساعه بعد ساعه إلى الخزانه التى فيها الصبى معلقا فقال فى قلبه ماذا يصنع معلمى فى هذه الأيام يدخل هذه الخزانه ويخرج، وكان ذكيا فدخل المعلم فتبعه الصبى بمكر فسمع الصبى ابن الأرمله يبكى ويتضرع إليه وهو لا يرحمه وكان يقول كلاما يحزن القلب: الويل لك يا أمى الحزينه الأرمله: لأنك ما تعرفى ما حل بى،

سنة ٢٢٥ هجرية

استهلت السنة بيوم الأربعاء الموافق ١٢ نوفمبر ٨٣٩ م.

* غضب المعتصم على قائده الأفشين فعزله وحبسه بعد أن وجه له تهمة خداعه وتآمره وعمله على إحياء النعرات القديمة بين الترك والفرس والخزر لا سيما بين أهل أشرونه (التركستان الشرقية) مسقط رأسه.

* تولى عبد الرحمن الأموى بنفسه قيادة الصائفة وغزا أرض جليقية (مملكة ليون) وعليها ألفونسو الثانى، ومن ناحية أخرى لجأ إليه الثائر ابن عبد الجبار فغدر به ألفونسو وأسر أهل بيته بعد أن قتل فى المعركة.

*استعمل المعتصم حاجبه أشناس على اليمن بعد عزل جعفر بن دينار وبالغ فى رفعه بأن أجلسه على كرسى ثم توجه ووشحه.

* وقعت سلسلة من الزلازل فى الأهواز استمرت اياماً وسقط الجامع وأكثر البلد وهرب الناس الى ظاهر المدن.

* استولى أبو الأغلب أمير صقلية الأغلبى على قلعة البلوط وهى من معاقل الجزيرة.

* ولد فى هذه السنة الناصر العلوى (الحسن بن على) الملقب بالأطروش وهو ثالث أمراء الدولة العلوية بطبرستان، وفيها ولد المؤرخ الامامى أبو عبد الله جعفر بن محمد الطالبى.

الويل لبطنك التى حـــملتنى وثدييك اللذين ارضعانى، اين أنتى تنظرين عذاب ولدك اليتيم، ليت لو مت وأنتى حـــامله لى ولم تلدينى على الأرض حتى وقعت فى هذا العذاب الشديد، اين عيناك تنظرانى اللتان تشتـهـيان أن تنظرانى وتشاهدانى فى هذا العذاب. ويقول مثل هذا كتيرا والصبى العريف يسمعه فخرج مسرعا بخوف عظيم يقع ويقوم من شدة الخوف إلى أن وصل بيت الأرمله أم الصبى، فقال لها: قد وجدت ابنك

سنة ٢٢٦ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأحد ٣١ أكتوبر ٨٤٠ م.

* تولى أبو العباس محمد الأول إمارة تونس خلفاً لأبيه الأغلب بن ابراهيم وهو الخامس من الأغالبة ودامت إمارته نحو ثمانى سنين بنى خلالها كثيراً من الحصون الساحلية لرد أى غزو أجنبى.

* حج فى هذه السن٢٣ة الحاجب أشناس وأمر المعتصم بأن تكون له ولاية كل بلد يدخله وخطب له على منابر مكة والمدينة وغيرهما من البلاد التى إجتاز بها إلى أن عاد إلى سامراء.

* تولى إمارة مصر أبو حسن الأرمنى (على بن يحيى) من كبار قواد المعتصم والواثق من بعده وذلك للمرة الأولى واستمر فى الحكم نحواً من ثلاث سنين استبد فيها بأهلها وعاد الى بغداد مكرماً.

* تولى إمارة عمارن المهنا بن جيفر اليحمدى بالبيعة، اشتهر بانتصاراته البحرية.

* فى جمادى من العام (يناير) أمطرت السماء فى بادية الشام بردا كالبيض قتل منه ثلاثمائة وسبعون نفساً.

* شهدت هذه السنة نهاية الافشين (حيدر بن كاوس) أبرز الشخصيات فى عصر المعتصم توفى فى سجنه بعد أن منع عنه الطعام والشراب ثم أخرج وصلب فى شعبان = مايو ٨٤٠،

فجأت مسرعه بعد أنت عاد عليها ما سمعه من فم ابنها، فمضت إلى الوالى وعادت عليه القضيه وما سمعته فانفذ معها قوما ثقات من المسلمين ومعهم أعوان إلى بيت ذلك الكافر فوجدوه داخل الخزانه التى فيها الصبى معلقا مسلوخا من رقبته إلى كتفيه، فحملوه والساحر مكتفا معه إلى الوالى وبغته ربطو يديه ورجليه وقطعت أذناه بين يدى الوالى فاعترف له بكلما كان منه واحضرو الصبى وعاينوه على تلك الحال وكتبو فى الوقت إلى

واتهم بالتآمر على الخليفة والعمل على إستعادة حكم اباءة ملوك أشرونسة كما اتهم بالارتداد إلى الوثنية المجوسية، كما توفى مازيار بن قارن صاحب طبرستان الذى ثار وظفر به مات ضرباً بالسياط.

سنة ٢٢٧ هجرية

أهل المحرم يوم الجمعة الموافق ٢١ أكتوبر ٨٤١ م.

* فى الأول من المحرم احتجم الخليفة المعتصم فأصيب بالعلة التى قضت عليه.

* تولى الخلافة العباسية ببغداد أبو جعفر هارون الواثق بالله بن المعتصم (التاسع من ربيع أول) خلفاً لأبيه المعتصم، أمه أم ولد رومية اسمها قراطيس، وله من العمر احدى وأربعون سنة وهو التاسع من بنى العباس.

* عاصر تولية الخليفة الواثق، إمبراطور بيزنطة ميخاييل الثانى (توفى فى نفس العام) وشارل الجسور فى فرنسا، ولوثار فى ألمانيا، والملك السكسونى إيثلوولف فى أنجلترا، والبابا جريجورى الرابع.

* خرج عبد الرحمن الأموى على رأس جيشه إلى شمال الأندلس ودخل أرض النافار حتى بنبلونة اذا تحالف ملكها جارسيا مع الثائر ابن قسى عامل تطيلة.

«القاسم» ملك مصر فلما وقف على الكتاب أمر برجمه وحرقه بالنار.

ومع هذه الأمور لم يتخل القاسم عن طريقته السو ومحبته جمع الذهب وكان يغير الولاة كل وقت ليرث عنهم.

وكانت قبيله في الجبل الشرقي من مصر من بلبيس إلى القلزم والبحر من المسلمين يسمون العرب وكان فيهم أكثر من تلتين ألف فارس منتشرين في تلك البرارى والبلاد ومنهم امرا

---

* خرج بفلسطين ثائر يدعى المبرقع ادعى النبوة فسار إلى حربه رجاء الحضارى أحد قواد المعتصم فأسره عندما تفرق عنه أتباعه وقتل خنقا قبل نهاية العام.

* وفى دمشق ثارت القيسية فحاصرها الأمير أبو المغيث.

* شهدت السنة (٨ ربيع أول) وفاة الخليفة المعتصم العباسى بسامراء عن نحو ثمان وأربعين، وأمه ماردة من مولدات الكوفة عن أصل صغدى، وأخلف ثمانية بنين وثمانى بنات، كانت مدة خلافته ثمانى سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام.

سنة ٢٢٨ هجرية

استهلت السنة بيوم الثلاثاء الموافق ١٠ أكتوبر ٨٤٢ م.

* أقر الخليفة الواثق وزير أبيه محمد بن عبد الملك الزيات ولم يستوزر سواه.

* خرج فى هذه السنة الفضل بن جعفر الهمدانى أمير صقلية فى البحر واستعاد ميناء مسينا وانتقل إلى ساحل ايطاليا وسار شمالاً حتى ميناء نابولى وضرب الحصار حولها ثم استدارت كتيبة من جنده حول الجبل المطل عليها ونزلت المدينة فانهزم أهلها واستسلموا كما استولى على مدينة مسكان.

*خرج عبد الرحمن الأموى صاحب الأندلس ولعامه الثانى إلى غزوه مملكة النافار (بلاد

مقدمون عليهم فولى عليهم زماما [جابى أموال] يسمى «أبا جراح» وكانت خيامه عند دير على اسم السيده مريم قريب «تنيس» وفيه جماعه من الرهبان وكهنه مزينين بأفعال حسنه، واغومنس [قمص] قديس كان من «وادى هبيب» من دير القديس «أبى مقار» واسم الاغومنس «ايماخس» واستحق الأسقفيه بعد ذلك، ورهبان قديسين البعض منهم استحق درجة الاسقفيه، وكان معه من جملة الرهبان فى هذا الدير: «أبا مينا» الذى

البشكنس) فهزم ملكها جارسيا (غرسية) وحليفة الثائر ابن قسى اللذين فرا جريحين، وعاد عبد الرحمن إلى قرطبة بعد أن وطد الأمن على حدود دولته الشمالية.

* توج الخليفة الواثق (رمضان من العام) قائده أشناس، الذى كان على مصر واليا، للمرة الثانية وألبسه وشاحين مطعمين بالأحجار الكريمة واستخلفه على سائر الولايات.

* توفى فى سجنه بمصر فى فتنة خلق القرآن الراوية أبو عبد الله نعيم بن حماد، له كتاب الفتن والملاحم ، والقاضى عبد الله بن سوار العنبرى.

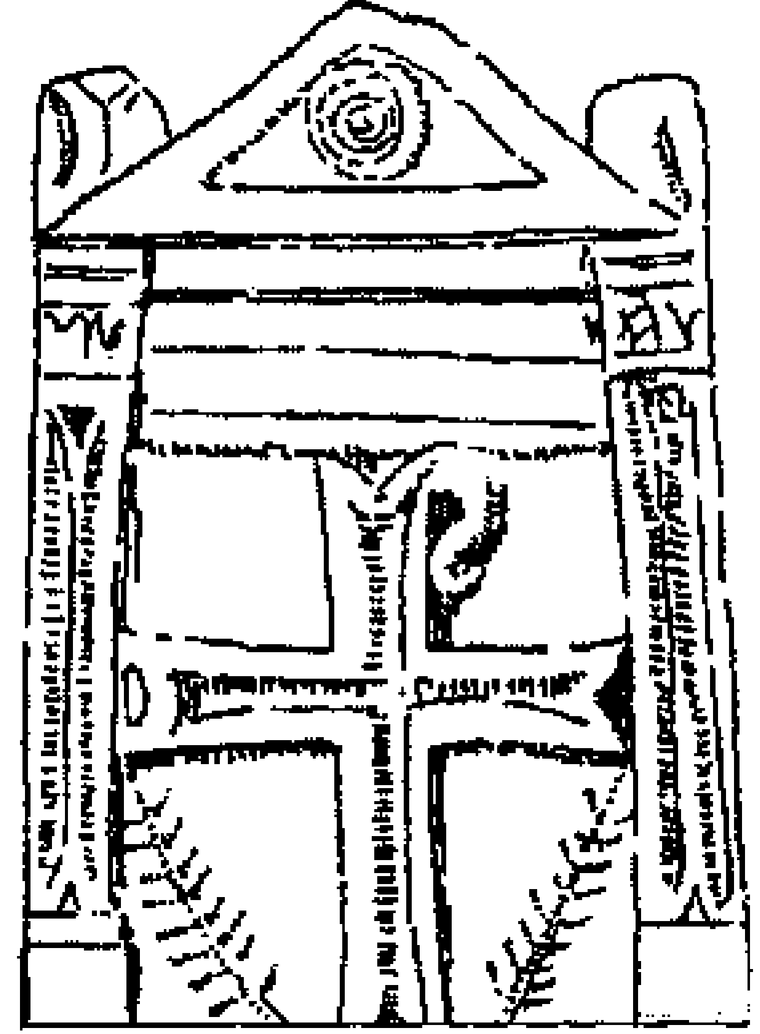
سنة ٢٢٩ هجرية

الأول من المحرم وافق يوم الأحد ٣٠ سبتمبر ٨٤٣ م.

* نكب الخليفة الواثق كبار كتاب الدواوين وأوقع بهم وطالبهم بأموال اتهمهم باختلاسها فاستخلص من أحمد بن الخصيب وكتابه مليونين من الدنانير ومن سليمان بن وهب كاتب إيتاخ أربعمائة ألف ومن ابراهيم بن رياح مائة ألف وغيرهم سوى ما أخذ من العمال الذين أسرعت إليهم الثروات بسبب عمالاتهم، وتولى أعمال المصادرة صاحب الحرس اسحق بن يحيى.

* فيها توفى ابو جعفر اشناس فى الفسطاط.

* تولى محمد بن صالح إمارة المدينة، وعيسى بن منصور إمارة مصر للمرة الثانية.



صار أسقف مدينة «منف» و«أبا يعقوب» القس، وجماعه رهبان. وكان للزمام إخوان فاخذهما وصعد إلى الدير ودخل البيعه وطرد الرهبان من البيعه ونهبوها وأخذو كلما فى الدير من قماش وغلة وأثاث، وكان أخوه الصغير أشر منه، وكان في موضع الاغومنس صليب منصوب في الشرق يستعين به على الشياطين المقابلين له في كل وقت، فدخل الصبى إلى الموضع فقال للاغومنس لأى شي هذا

---

* في أواخر هذه السنة وأوائل العام التالي فوجئ عامل أشبونة (لشبونة) العربى باسطول يضم ثمانين مركباً للنورمانديين (الفايكنج) أهل الشمال (الدنمارك أو النرويج) ألقى مراسيه والتحم الغزاة بأهل إشبونة (على ساحل البرتغال) من المسلمين.

* وافق هذا التاريخ وفاة ألفونسو الثانى ملك ليون (جليقية) في شمال الأندلس وقد دام حكمه إحدى وخمسين سنة.

* انقسام مملكة شارلمان إلى ثلاث ممالك.

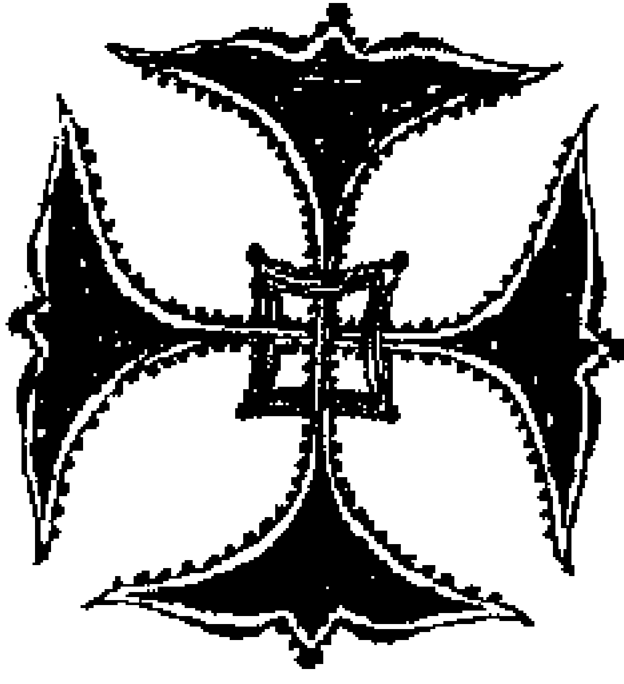
سنة ٢٣٠ هجرية

استهلت السنة بيوم الخميس الموافق ١٨ سبتمبر ٨٤٤م.

* فى أوائل المحرم ظهر اسطول الغزاة النرمانديين أمام مدينة اشبيلية بعد أن دار حول الساحل ودخل الوادى الكبير وراحوا بنهبون ويخربون ويأسرون حتى خف لنجدة أشبيلة جيش عبد الرحمن الأموى بقيادة عبد الله بن كليث وجيش من المتطوعة بقيادة نصر الخصى وعند طبلاطة جنوب اشبيلية نشبت المعركة (٢٥ صفر) فهزم الغزاة وأحرقت ثلاثون سفينة لهم ولاذوا بالفرار.

* بدأ عبد الرحمن الأموى أمير الأندلس فى بناء أسطول أندلسى كبير ليقضى على مغامرات الدول البحرية كما بدأ فى إقامة سور أشبيلية للسبب نفسه.

الصليب؟ فقال: هو صليب إلهى المسيح. فقال له: أنت تعبده؟ فقال له نعم. فبصق على الصليب واستهزأ به وشتم الشيخ الأغومنس، فخرج الشيخ من الدير بقلق عظيم قايلا أن لم ياخذ الرب الحق من هذا الصبى لا عدت إلى هذه البيعه جميع أيام حياتي. ثم مضى إلى موضع اخر وأقام فيه وقال في نفسه أني أصبر عشرة أيام وانظر ما يكون وألا مضيت فلما كان في اليوم التامن مضى الصبى أخ الزمام وجلس على بيت الما [ء] فنزلت أحشا



عوض يارب من له تعب
في ملكوت السموات

---

* أوقع بنو سليم وعلى رأسهم عُزيزه السلمي ببعض بطون بنى كنانة وباهلة حول المدينة وهزموا قوة أميرها محمد بن صالح واستباحوا ما بين مكة والمدينة فانفذ إليهم الخليفة الواثق قائده بغا الكبير على رأس جند من الأتراك والمغاربة فقضى على الفتنة وحمل مئات الأسرى إلى سامراء.

* توفى من رجال الحكم في هذه السنة: عبد الله بن طاهر (ابن الحسين) صاحب الشرطة وأمير خراسان ومصر والدينور وطبرستان والرى، أحد مشاهير الولاة والقواد في العصر العباسي الأول توفي بنيسابور عن ثمان وأربعين، وفيها توفى خالد الشيباني أمير مصر والموصل وديار ربيعة في خلافة المأمون.

سنة ٢٣١ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الاثنين ٧ سبتمبر ٨٤٥ م.

* جرى في يوم عاشوراء (١٠ المحرم) من هذه السنة الفداء بين المسلمين والروم وهو الفداء الثالث طالب به الامبراطور ميخاييل الثالث واجابه الواثق وتم على يد خاقان الخادم وجرى اللقاء على نهر اللامس بالأنضول وفيه فودى ٤٦٠٠ من المسلمين كل نفس صغيراً أو كبيراً، وكان أول فداء قد جرى في أيام الرشيد.

* استأنف عبد الرحمن الثاني الأموى حرب الصائفة بعد أن رد الغزاة النورمانديين، وكان

[ء]ه وأمعا [ء]ه وخرج كلما في بطنه مثل أريوس الكافر. فلما شاهد أخوه الزمام ذلك خاف وخرج من الدير، ولحق الخوف كلمن سمع ونظر، ثم أنه طاف في تلك الاماكن إلى أن وجد القديس ابيماخس فاعاده إلى البيعه بعد سؤال ممجدا مكرما، وأعاد إليه جميع ما أخذوه ووقع خوف عظيم على المسلمين إلى مدة طويله.

وفي جميع ذلك كانت بيعة اسكندريه أرمله

جيشه بقيادة ابنه محمد بن عبد الرحمن فدخل مملكة ليون وعاث فيها سلباً ونهباً، وحاصرها حتى ألجأ أهلها إلى الاعتصام بالجبال.

* بعث الواثق كتبا إلى عمال الولايات لامتحان العلماء بخلق القرآن وكان قد منع أبوه المعتصم ذلك ودام هذا إلى أن مات الواثق.

* تولى إمارة اليمن جعفر بن دينار، اليمامة والبحرين اسحق بن ابراهيم.

* فيها نهب النورمانديون مدينة باريس.

سنة ٢٣٢ هجرية

أهل المحرم يوم السبت الموافق ٢٨ أغسطس ٨٤٦ م.

* في الثالث والعشرين من ذى الحجة تولى الخلافة العباسية جعفر المتوكل على الله بن المعتصم وأخو الواثق الذى خلفه في يوم وفاته باختيار أعيان رجال الدولة له، أمه أم ولد خوارزمية تدعى شجاع، وقد دامت خلافته نحوا من خمس عشرة سنة.

* وقعت سلسلة من الزلازل بأرض الشام فانهارت بسببها بعض الدور بدمشق ولقى جماعة حتفهم تحت الردم، وصحب ذلك قحط بالحجاز فمات كثيرون من العطش.

* أنفذ الخليفة الواثق قائده بغا الكبير بعد أن قضى على فتنة بني سليم بالحجاز إلى بني

بغير بطرك، فاجتمعو الارتدكسيون التاوضوسيون وجمعو الأبا [ء] الأساقفه وحضر جماعه من الخلقدونيين المخالفين وجعلو مجمعا بمصر واحضرو تلتة اناس ليختارو منهم واحدا فيجلسوه بطركا فلم يشأ الرب أن واحد منهم يأخذ الدرجة لكن حفظها لمن قد اصطفاه وعرفه من البطن كما يظهر مستأنفا من القول.

ونزع الله المملكة من «القاسم»(*) وانفذ إليه

(*) عزل القاسم عن ولاية مصر.

تميم باليمامة وبعد معارك ارتد فيها جيش الخليفة مرتين غلبوا عليهم وهزموهم فسيق كثير من أسراهم إلى سامراء.

* سار الفضل بن جعفر بعد أن استولى على ميناء مسينا الايطالية إلى مدينة لسي وفتحها بعد حصار.

* ولد بسامراء الخليفة المعتز بالله العباسي ابن الخليفة المتوكل وقد عقد له أبوه البيعة وهو ابن ثلاث سنين، وفيها ولد بالمدينة الامام الحسن العسكرى ابن الامام الهادى وهو الحادى عشر عند الشيعة الامامية.

* فى الثالث والعشرين من ذى الحجة توفى الخليفة الواثق وكان قد أصيب بعلة الاستسقاء وله من العمر ست وثلاثون، وبموته يكون قد مضى على قيام الدولة العباسية قرن من الزمان.

* ممن توفوا فى هذه السنة: العالم الرياضى الفلكى أبو عبد الله محمد بن موسى الخوارزمى الذى ينسب إليه وضع علم الجبر له كتاب الجبر والمقابلة ويعتبر أول كتاب ألف فى موضوعه، وله كتاب صور الأرض أو الربع المعمور.

سنة ٢٣٣ هجرية

استهلت السنة بيوم الأربعاء الموافق ١٧ أغسطس ٨٤٧ م.

* تولى إمارة مصر هرثمة بن نصر وفى أيامه ورد كتاب الخليفة المتوكل إلى مصر بترك

الخليفه من قبض عليه وحمله إليه تحت الحوطه والضيق. ولما سار إلى بلبيس مع الموكلين به السايرين به إلى الخليفه لحقوه الأساقفه وجماعه من النصارى إلى بلبيس وسألوه أن يفسح لهم في ان يقيمو بطركا، فالتمس منهم أن يدفعو له مالا، فلم يدفعوه فامتنع ولم يطلق لهم إقامة بطرك. فقال «أبا تادرس» أسقف مصر، [وكان أكبر الأساقفه في ذلك الزمان، وهو اول التلته أساقفه الذين جلسو واحدا بعد واحد وكل منهم اسمه

الجدال في القرآن واتباع السنة وعدم القول بخلق القرآن الذى بدأ منذ خلافة المأمون ونكب بسببه كثير من العلماء.

* وقعت زلزلة عظيمة بدمشق استمرت ثلاث ساعات سقطت من جرائها شرفات الجامع الأموى الكبير وانصدع حائط المحراب وسقطت المنارة، وامتدت موجة الزلازل فشملت شمال العراق والموصل حتى أنطاكية على البحر ونشرت الخراب ولقى ألوف الناس حتفهم تحت الردم.

* ولى المتوكل ابنه محمد المنتصر الحرمين، وولى ابن خاقان ديوان الخراج وعزل الفضل بن مروان.

* شهدت السنة وفاة اثنين من تولوا إمارة مصر هما عيسى بن منصور وكان قد تولى على مصر مرتين وهو الذى فشل في القضاء على ثورة المصريين القبط، وفيها توفى مالك ابن كيدر وكانت ولايته ثلاث سنين حتى عام ٢٢٤هـ.

سنة ٢٣٤ هجرية

الأول من المحرم وافق يوم الأحد ٥ أغسطس ٨٤٨ م.

* أنفذ عبد الرحمن الأموى أمير الأندلس حملة بحرية عسكرية إلى جزيرة ميورقة كبرى

«تادرس» على كرسي مصر]، لأبي الروحاني «أبا مويسيس»(*) أسقف «وسيم»: انظر أيها الأب فعل هذا «القاسم» الذى لم تشاهده أنت إلا اليوم وما فعله من الشرور بالناس الذى أنا مشاهد له أكثر اوقاتي. فقال له الأسقف «أبنا مويسيس»: أغفر لى يا سيدى الأب أن عاد هذا إلى مصر دفعة أخرى فما تكلم الله فى أنا الخاطى قط وستسمع ما يفعل الله بهذا البايس الشقي.

(*) أنبا مويسيس (موسى): يذكر عنه القس منسى يوحنا فى كتابه «تاريخ الكنيسة القبطية ص ٣٢٨، ٣٢٩ مايلي:
من اعلام آباء الكنيسة فى هذا الجيل قصد برية شيهات وترهب عند رجل قديس فمكث فى خدمته مدة ثمان عشرة سنة سالكا طريق الفضيلة والنسك الزائد. ولما اشتهر أمره أختير أسقفا لاوسيم فرعى رعيته أحسن رعاية ولم يقتن شيئا فى كل زمانه وعرف بالتقوى والشجاعة وكان يقضى جل أوقاته فى الاصوام

جزر البليار لتأديب أهلها لتعرضهم لسفن المسلمين في البحر فاذعنوا بالولاء والطاعة ودفع الجزية.

* تولى عرش الأدارسة بفاس من المغرب يحيى بن محمد خلفا لأخيه على حيدرة وبعهد منه و دام حكمه ست عشرة سنة شغل خلالها بتعمير مدينة فاس وبناء مسجدها الجامع.

* تولى ثلاثة إمارة مصر خلال هذه السنة أولهم هرثمة بن نصر لحين وفاته في شهر رجب فخلفه ابنه حاتم بن هرثمة، وثالثهم على بن يحيى الأرمنى تولى فى رمضان وذلك للمرة الثانية، وكان ثلاثتهم نوابا للأمير إيتاخ.

* ضاعف المتوكل فى اقطاعات الأمير إيتاخ التركى ففوض إليه بالاضافة إلى إمرة مصر: الكوفة والحجاز وتهامة ومكة والمدينة ودعى له على المنابر.

*تولي قضاء القيروان الفقيه سحنون مؤلف المدونة في فقه المالكية وهى من أشهر المؤلفات فى موضوعها.

* شهد العراق من البصرة فى الجنوب إلى الموصل وسنجار فى الشمال هبوب رياح شديدة السموم لم يعهد بمثلها أحرقت الزرع والماشية وقتلت المسافرين ودامت خمسين يوماً.

* أعلن الثورة أمير أرمينية وأذربيجان محمد بن البعيث فنازله القائد بغا الشرابى حتى طلب الأمان.

والصلوات حتى لم يكن يتيسر للناس مقابلته الا في يومى السبت والاحد وكان غيورا على الايمان المستقيم ففى أول رسامته كان فى مدينة اوسيم اديرة كثيرة لاصحاب ميليتس المنشق فوعظهم بكلام كثير وكان جلهم قد لبسوا الاسكيم من يده فلما لم يطيعوه نفاهم جميعا.

ولما جرى الاضطهاد على البيعة هرب كل الاساقفة إلى كراسيهم الا ان أبروشية الانبا موسى تعلقت به لكى لا يتركها فريسة للذئاب فكان يطوف الجيزة وأعمال مصر مفتقدا المؤمنين ومثبتا اياها. واتاه يوما بعض اراخنة مصر وطلبوا اليه ان يصلى الى الله ليرفع الكرب عنهم وعن شعبه لانهم كانوا قد أحصوا الذين اعتنقوا الاسلام فوجدوهم أربعة وعشرين الفا فقال لهم آمنوا يا أولادى «ان الوالى الذى يضطهدكم يهلك فى بحر هذا الشهر» فكان كما قال ولما بلغ أمره حوثرة الوالى الذى خلف ذاك قرب اليه القديس وكان يستشيره فى الامور المهمة.

وحدث بعد ذلك خلاف بين الارثوذكسين والخلكيدونيين على البيع فخاف الشمامسة ان يدفع الخلكيدونيون رشوه للوالى فيسلم لهم فى بيع الارثوذكسيين ولذلك طلبوا من الانبا موسى ان يرشى الوالى مثلهم فأجابهم «يا أولادى لايليق بالبطاركة والاساقفة ان يدفعوا رشوة لاحد كما لا يليق بهم ان يأخذوا من احد فان الله لا يتخلى عنا حسب وعده».

وفى أثناء ثورة البشامرة ضد الحكومة سأل تلميذ له عن النتيجة فأجابه لا يترك الله بيعته الى التمام بل يخلصها وهذه

سنة ٢٣٥ هجرية

وافق مستهل المحرم يوم الجمعة ٢٦ يوليو ٨٤٩ م.

* تغير خاطر الخليفة المتوكل على حاجبه إيتاخ التركى بعد عودته من الحج وأوعز إلى صاحب شرطته اسحاق بن ابراهيم بالقبض عليه فى الباطن وحبسه وقتله ففعل، كان إيتاخ قد تولى من قبل قتل القائد عجيف والأمير العباس بن المأمون.

* غمرت السيول أنحاء كثيرة من الأندلس وفاضت الأنهار حتى غرقت المزارع والقرى.

* عقد المتوكل العهد لأبناءه الثلاثة: المنتصر والمعتز والمؤيد كما قسم بينهم الولايات: فكانت مصر وافريقية والمغرب والثغور والحجاز والسند من نصيب المنتصر، وخراسان وما وراء النهر من نصيب المعتز، وأرمينية وأذربيجان والشام من نصيب المؤيد:

* فيها ثارت البجه على الساحل الجنوبى للبحر الاحمر بمصر فانفذ الخليفة المتوكل لحربهم محمد بن عبدالله من مصر بجيش كبير فشل فى اخضاعهم.

* فى الحجة من السنة تولى إمارة مصر اسحق بن يحيى الختلى بعد عزل على بن يحيى الأرمنى.

* ممن توفى فى هذه السنة: أبو الحسن المصعبى (اسحق بن ابراهيم) صاحب شرطة بغداد وهو الذى أوقع بالثائر بابك عام ٢١٨ هـ وتولى قتل إيتاخ الحاجب فى أول هذه السنة.

المملكة تبيد وتحل أخرى محلها وبعد مدة وجيزة ضيق ابن مروان الوالي على البابا خائيل فاتى هذا صباح يوم احد الى اوسيم والجنود تقوده فعندما ابصرهم الانبا موسى قال هذا هو اليوم الذى أتوقعه ومن اراد ان يبذل نفسه فليتبعني لاني اشتهي من زمان ان اسفك دمي الدنس عوضا عن الدم الزكي المسفوك عنا. ولكن عظيم هو حزني لان جيل القديسين قد اضمحل وافتقرنا جدا لانجد انسانا يشاركنا في هذه التضحية.

ولبس القديس ثوبا وترك جميع مافي يعته وتبع البطريرك ولما مثلوا امام الوالي طرح الانبا موسى على ركبتيه ورفعت رجلاه الى فوق وضرب بدبابيس نحاس على جنبيه ورقبته وكان الجنود المكلفون بضربه يقولون له اعطنا مالا ونحن نتركك فلم يكن يجاوب بكلمة واحدة.

وأمر الوالي بقطع رقبة البطريرك وساقه السياف إلى موضع القتلى فجرى الانبا موسى خلفه ولم يشأ أن يتركه فمنعه السياف وهولا يمتنع حتى غضب منه ورفع عليه دبوس نحاس ليضربه به فمد القديس رأسه الا ان بعض الموظفين منعوا الجلاد من ان ضربه. وكان الجنود يشهدون عنه قائلين بلغتهم العربية «نعم هذا الخادم لربه» ثم وضع في السجن مع البطريرك وقيدت رجلاه مع كثيرين من الاساقفة فتنبأ لهم الانبا موسى بانهم يخرجون بالسلام وتم قوله لان مروان مضطهدهم انهزم فخرجوا من السجن سالمين الى كراسيهم.

---

* توفي في هذه السنة على الأرجح شيخ المعتزلة الفيلسوف أبو الهذيل العلاف وقد جاوز المائة من العمر.

سنة ٢٣٦ هجرية

أهل المحرم يوم الثلاثاء الموافق ١٥ يوليو ٨٥٠ م.

* تولى إمارة جزيرة صقلية العباس بن الفضل بعد وفاة إبراهيم الأغلبي وحصر قصريانة أحد المواقع الهامة في الجزيره كما هزم الاسطول البيزنطي بالقرب من سرقسطة التي توفي بها عام ٢٤٧ هـ فلما دخلها الروم بعد ذلك نبشوا قبره إنتقاماً منه.

* أشخص الخليفة القضاة إلى الولايات لبيعة ولاة عهده، وهم: المنتصر ومن بعده المعتز ومن بعده المؤيد وبعث خواصه الى الأمصار ليأخذوا البيعة بذلك وكان قد عقد لكل منهم لواءين: أسود وهو لواء العهد وأبيض وهو لواء العمل.

* وثب أهل دمشق على نائب الخليفة وقتلوه ثاراً لاذلاله بعض وجهاء المدينة.

* جاهر المتوكل بعداءه للعلويين بعد أن ثار وغضب للتكريم الذى يحظى به الامام على وبنوه حتى انتهى الأمر به الى هدم مشهد الامام على (بالنجف) وقبور العلويين.

* ضرب المتوكل وزيره محمد بن الفضل الجرجرائي لأنه ضجر من صحبة الشيوخ واستوز حدثاً هو عبيد الله بن يحيي بن خاقان.

ثم سيروه الموكلون به ولم يعد إلى مصر، بل أخذ جميع ماله وهو فى العذاب والاعتقال، وانفذ الخليفه إلى مصر أخذ عبيده وسراريه ومضو بهم إلى الخليفه. ثم عادو الأبا [ء] الأساقفه ومن معهم إلى مصر فوجدو الخلقدونيين قد سبقوهم واخذو انسانا من مقالتهم كان يعمل الابر فى السوق اسمه «قسما»، وكانو قد جمعو فيما بينهم ذهبا وفضة وآنيه ودفعوه لذلك المخالف «القاسم» قبل مضيه وتقدم لهم بأن يقيموه بطركا، فأخذوه

---

* تولى إمارة مصر في ذى القعدة من السنة عبد الواحد بن يحيى بعد أن صرف عنها اسحق بن يحيى الختلى لأنه أخرج العلويين من مصر كأمر الخليفة ولكن من غير إفحاش فى أمرهم.

سنة ٢٣٧ هجرية

افتتحت السنة بيوم الأحد الموافق ٥ يوليو ٨٥١ م.

* شهدت السنة ظهور يعقوب بن الليث الصفار حين اشترك فى الثورة بسجستان وهو جد الصفاريين.

* غضب المتوكل على أحمد بن أبى داود وكان مفلوجا وعلى ابنه أبى الوليد محمد ابن أحمد وكان قد ولاه المظالم والقضاء فعزله باستصفاء أموالهما من نقود وعقار وأقطاع .

* أطلق المتوكل جميع من كان فى السجون ممن امتنع عن القول بخلق القرآن فى أيام أبيه.

* شهد صيف هذه السنة طابور استشهاد النصارى المعاهدين بقرطبة أذكاها بعض القسس بتشجيع سب النبى محمد مما كان يستتبع قتلهم جهرة لاستفزاز عبد الرحمن الأموى ثم صدر قرار مجلس الأساقفة الذى اوقف هذه الحركة ولكن الفتنة لم تلبث أن أخمدت بعد أن لقى عدداً كبيراً جزاءه فاعتبرتهم الكنيسة من الشهداء.

الخلقدونيون واوسموه بطركا لهم وافتخرو على الارتدكسيين بانهم أقامو بطركا ولم يقيمو هم بطركا لهم.

وكان والى مصر بعد القاسم إنسانا اسمه «حفص بن الوليد الحضرمى» كبيرا فى جنس المسلمين بمصر، وكان سنيا على مذهبهم. فلما كان فى تلك الأيام اجتمع أساقفة مصر فى سنة أربع مايه وتسع وخمسين لديقلاديانوس فى اليوم

---

* بويع الصلات بن مالك الخروصى الاباضى إماماً على عمان خلفاً للامام المهنا بن جيفر.

* وثبت بطارقة أرمينية على عاملهم يوسف بن محمد فقتلوه وبلغ المتوكل ذلك فجهز لحربهم بغا الكبير فقتل منهم مقتلة عظيمة حتى بلغ عدد القتلى ثلاثين ألفاً.

* ظهرت نار بعسقلان أحرقت البيوت وبيادر الحبوب فدفعت الناس للهرب إلى النواحى.

* ولد فى هذه السنة ابراهيم بن الأغلب من أمراء الأغالبة بتونس تولى عليها بعد أخيه أبى الغرانيق.

* ممن توفى فى هذه السنة: أمير مصر اسحق بن يحيى بعد أيام من عزله وتولى مكانه عنبسة ابن اسحاق بن شمر.

سنة ٢٣٨ هجرية

وافق أول المحرم يوم الخمسى ٢٣ يونيةن ٨٥٢ م.

* حاصر بغا الكبير قائد المتوكل مدينة تفليس بعد أن قضى على ثورة بطارقة أرمينية وكان على تفليس أحد موالى بنى أمية فأسر وضربت عنقه وأحرقت المدينة كما حمل بغا معه كثيراً من بطارقة اذربيجان وأران كأسرى وعبيد.

* فى يوم عرفة من هذه السنة جاء اسطول بيزنطى إلى سواحل مصر وانتهز خلو دمياط

التامن والعشرين من مسرى وكان معهم كهنة اسكندريه الاراخنه واحضرو قوما صحبتهم ليقع التخير(*) منهم على أحد. كان بعض الأساقفه قد ذكر اسما واحدا سرا، والله العالم بكل شى قد حفظ هذه الرتبة لمستحقها. وهذه اسما [ء] الأساقفه الذين كانو مجتمعين لتقدمة البطرك: إبراهام أسقف الفيوم، مويسيس أسقف وسيم، مينا أسقف تمى، يعقوب أسقف بوصير، تادرس الأسقف المترانوس أسقف مصر، بقطر اسقف

(*) اختيار البطرك الجديد والاحداث التى صاحبته.

من الجند الذى استقدمهم أمير مصر الجديد عنبسة بن اسحق إلى الفسطاط إحتفالاً كما يقال بطهور ولديه وبالأعياد فاعملوا القتل والسبى والنهب حتى خرج عليهم أبو جعفر بن الأكشف فقدم دمياط وكان مسجوناً فاجتمع عليه أهل المدينة فحارب بهم الروم حتى هزموهم وأخرجوهم من دمياط فمضوا إلى تنيس فلم يقدروا عليها وعادوا إلى بلادهم قبل أن يصل جند عنبسة.

* تولى إمارة الأندلس أبو عبد الله محمد الأول ابن عبد الرحمن الثانى الأموى وبعهد منه، أمه أم ولد تسمى بهتر.

* عادت حروب الصائفة وغزو أرض الروم فدخلها فى هذه السنة على بن يحيى الأرمنى فأثخن فيها وأسر وسلب.

* فيها حاصر بغا مدينة تفليس، وبها إسحاق بن إسماعيل، ولما استسلمت المدينة ضرب بغا عنق اسحاق وأحرق المدينة بناسها.

* توفى بقرطبة (٣٠ ربيع الثانى) أبو مطرف عبد الرحمن بن الحكم المعروف باسم عبد الرحمن الأوسط رابع ملوك الدولة الأموية بالأندلس عن اثنين وستين، وكانت ولايته إحدى وثلاثين سنة وشهور وهو أول من أستن قواعد الملك من الأمويين بالأندلس كما شيد المساجد وبنى القصور ومد الطرق وزاد رواقين فى جامع قرطبة وضرب السكة باسمه.

مليج، يعقوب أسقف صهرجت، اسحق أسقف سمنود، إبراهام اسقف بلبيس، بطرس أسقف ترنوط، خايال أسقف اتريب، وكهنه اسكندريه، فمضو إلى الوالي «حفص» وسألوه أن يأذن لهم في إقامة بطرك فقال لهم: إذا استقر رأيكم على إنسان احفظوه حتى أبصره. فخرجو من بين يديه ومضو إلى بيعة أبي شنودة بمصر وصلو وجلسو في طقوسهم كالقانون البيعي، وكان كل واحد جالسا عند أبيه الأسقف، وكهنة اسكندريه

---

* توفى هذه السنة بقرطبة نابغة الموسيقى زرياب وكان قد استقدمه الحكم الأموى من بغداد بعد أن علت شهرته المشرق والمغرب وينسب إليه تطوير آلة العود.

سنة ٢٣٩ هجرية

بدأت السنة يوم الاثنين الموافق ١٢ يونية ٨٥٣ م.

* غزا على بن يحيى الأرمنى أرض الروم (بلاد الأنضول) للعام الثانى وأوغل فيها حتى شارف القسطنطينية وفى خلال مسيرته أحرق ألف قرية وقتل عشرة آلاف نفس وسبى عشرين ألفا وترك خلفه دماراً شاملاً يذكرنا بما حدث للبشمور فى مصر على يد الخليفة المأمون.

* عبر العباس بن الفضل أمير صقلية البحر بإسطول ضخم إلى ساحل كلبريا الإيطالى عند مصب نهر التيبر واحتل مدينة أوستى واستعد للاستيلاء على مدينة روما نفسها ولكن الحملة تراجعت بعد أن أسرعت الأساطيل المسيحية المتحالفة لانقاذ المدينة، وبعدها إتجهت الحملة إلى جزيرة كريت عادت بعدها إلى صقلية.

* تجددت الزلازل فشملت فلسطين ووقع من الجبل المشرف على طبرية صخرة ضخمة مات تحتها خلق كثير.

*أمر المتوكل بهدم البيع المحدثة فى الاسلام واضطهاد اهلها، وفيها أمر بنفى الشاعر على ابن الجهم إلى خراسان.

جالسون قدام الأساقفه، وجميعهم بسكينه لا يتكلم أحد كلمه أو يامر والأبا الأساقفه جميعهم وجوهم مطرقه إلى الأرض صغيرهم وكبيرهم. فلما عبرت الساعه السادسه رفع الشيخ الأسقف أنبا مينا أسقف تمي وجهه وقال بصوت خفي لأبا إبراهام أسقف الفيوم: يا أبي أغفر لي ما ترى ما نحن فيه ومجتمعون بسببه. قال له: يا أبني السيد المسيح يدبر الأمور كلها والقديس مارى مرقس وجميعنا وريس رعاة أنفسنا وأجسادنا معنا. فصرخ

---

* سير أمير الأندلس الجديد محمد الأول بن عبد الرحمن جيشاً بقيادة أخيه الحكم إلى قلعة رباح فأصلح سورها وأعاد من فارقها من أهلها وتقدم إلى طليطلة ولكنه إرتد عنها.

سنة ٢٤٠ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم السبت ٢ يونية ٨٥٤ م.

* خرج محمد الأول أمير الأندلس الأموى في المحرم من السنة إلى طليطلة التى كان أهلها في خلاف منذ ولاية أبيه فاستنجدوا بملك جليقية (ليون) غير أن الكمائن عصفت بالقوات المتحالفة فقتل منهم مالا يحصى كما فرق ثمانية الاف من الأسرى على الوجهاء.

* وثب أهل حمص بعاملهم أبي المغيث الرافعي فأنفذ المتوكل اليهم محمد ابن عبدويه.

*عزل المتوكل قاضى القضاة يحيى بن أكثم واستصفى ما جملته ٧٥ ألف دينار و٤٠ ألف جريب من أرض البصرة وخلفه قاضى القضاة جعفر بن عبد الواحد.

* خسفت ببلاد افريقية ثلاث عشرة قرية ولم ينج من أهلها إلا نيف وأربعون رجلاً منعهم أهل القيروان من دخول مدينتهم باعتبار أنهم مسخوط عليهم.

* وتوفى في المحرم من السنة قاضى القضاة وصاحب المظالم أحمد بن ابى دواد وذلك بعد أيام من وفاة ابنه أبي الوليد محمد الذى خلفه في مناصبه حتى غضب عليهما المتوكل فاستصفى أموالهما، وكان ابن أبي دواد متهما بأنه هو الذى أثار فتنة خلق القرآن.

جميع الشعب والجمع بصوت واحد قايلين: السيد المسيح يتم هذا الأمر بارادته. ووقفو وصلو، فلما تمو بالصلاة استقر بينهم الاجتماع بالغداه، فمضى كل واحد منهم إلى موضعه وكان بعض الأساقفه بحرى [الوجه البحرى] قد ذكرو اسم واحد اختاروه فعلم أبا إبراهام (أسقف الفيوم) فقال لهم أنبا بطرس أسقف ترنوط، كان هذا قد قام جميع أيامه في برية أبى مقار وهو حسن السيره جيد الأفعال: أحذر أن تجعل يدك على الذى

---

* ممن توفى فى هذه السنة من رجال العلم: سحنون الفقيه الذى إنتهت إليه رياسة العلم فى المغرب ومؤلف «المدونة» فى فقه المالكية وصلى عليه أمير افريقية محمد بن الأغلب، توفى بالقيروان عن ثمانين.

* فيها توفى طولون أبو الأمير أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية بمصر.

سنة ٢٤١ هجرية

استهلت السنة بيوم الأربعاء الموافق ٢٢ مايو ٨٥٥ م.

* جرى فى هذه السنة الفداء الرابع بين الروم وملكتهم تيودورا الوصية على ابنها ميخاييل الثالث وبين المسلمين وكان اللقاء على نهر اللامس بالأنضول ومثل المسلمين شنيف الخادم وحضره قاضي القضاة جعفر بن عبد الواحد وكان أسرى المسلمين سبعمائة وخمسة وثمانين من الرجال ومن النساء مائة وخمساً وعشرين إمرأة.

* إمتنع البجاة من أداء الأخماس وتجاهروا بالعصيان وأغاروا على أعالى الصعيد فانفذ اليهم المتوكل قائده محمد بن عبد الله القمى ابان إمارة عنبسة على مصر فسار اليهم براً وبحراً حتى مدينة دنقلة فأوقع بهم وأرسل ملكهم على بابا إلى سامراء فعفا عنه الخليفة.

يقدمونه لك حتى يجتمع رأى الجميع عليه لأنه ما يصلح لهذه الرتبه. وكان أنبا بطرس قد ضعف لكبر سنه وهو منفرد عنهم. فلما كان في اليوم التانى اجتمعو وصلو وجلسو وحضرو كهنة اسكندرية فقال الأبروطس: دبرو هذا الأمر يا ساداتى الابا [ء]. فقال له تادرس: من الذى اختترتموه حتى نعرفه نحن أيضا؟. فقال الأبروطس: فلان وهذا اسمه مكتوب. فقال لهم تادرس: إذا رضى به الجمع فهو جيد. فقال له

---

* أمر المتوكل بجلد عيسى بن جعفر بالسياط حتى الموت والقاءه في دجلة لأنه شتم أبا بكر وعمر وعائشة وحفصة.

سنة ٢٤٢ هجرية

الأول من المحرم وافق يوم الأحد ١٠ مايو ٨٥٦ م.

* شهدت السنة سلسلة من الزلازل شلمت بلاد فارس وخراسان فتشققت الأرض وتقطعت ا لجبال وانخسفت الأرض في اليمن ردمت القرى ومات الاف الناس تحت الهدم.

* حج من البصرة ابراهيم بن مظهر الكاتب على عجلة تجرها الأبل فكان ذلك من العجائب لأن استخدام العجل كان من عجايب الزمن بالنسبة للمسلمين.

* تولى إمارة مصر أبو خالد يزيد بن عبد الله خلفاً لعنبسة بن اسحق وكان يزيد تركياً ومن أطول ولاة مصر عهداً واستبداداً بأهل مصر.

* أغار الروم على أرض الجزيرة وقتلوا وسبوا ثم رجعوا قبل أن يلحق بهم المتطوعة ثم أمر المتوكل قائده على بن يحيى بأن يغزو أرض الروم شاتياً.

* تولى إمارة تونس أبو ابراهيم الأغلبى خلفاً لعمه أبى العباس وله من العمر ٢٢ سنة.

الأبروطس: هذا الأمر هو إلينا ما هو للأساقفه ليس لهم إلا وضع اليد فقط ونحن الذين نتخير بطركا. فقال لهم أنبا «إبراهام» أسقف «الفيوم»: وأساقفتكم أيضا يقدمون لكم الذى يختارونه، لكن إذا قدمتموه وهومستحق اوسمناه، وأن كان غير مستحق طردناه.

فوقع الخطاب بينهم فى اليوم التانى، فصلو وانصرفو.

---

* ممن توفى فى هذه السنة من رجال الحكم: أبو بكر بن أفلح رابع الأئمة الرستميين من الإباضية أصحاب تاهرت بالمغرب الأوسط (الجزائر)، وفيها توفى محمد بن الأغلب سادس أمراء افريقية من الأغالبة أصحاب تونس.

سنة ٢٤٣ هجرية

استهلت السنة بيوم الجمعة ٢٠ أبريل ٨٥٧ م.

* قدم المتوكل إلى الشام فأعجبته دمشق وأراد أن يسكنها وبنى له قصر بضاحيتها إلا أنه تراجع عن عزمه بعد أن تكلم خاصته فى ذلك.

* عاود أهل طليطلة الثورة وأغاروا على مدينة طلبيرة فخرج اليهم عاملها فانهزم أهل طليطلة وحمل إلى قرطبة بضع مئات أسرى.

سنة ٢٤٤ هجرية

وافق الأول من السنة يوم الثلاثاء ١٩ ابريل ٨٥٨ م.

* اتفق التقت فى هذه السنة أعياد اليهود والنصارى والمسلمين فى يوم واحد وهى عيد الفطير لليهود والشعانين للنصارى والأضحى للمسلمين.

ولم يزالو هكذا إلى تمام عشره أيام، وكان الصلح في هذه المده بينهم ويجرى كلام كتير نهارا وليلا وينزلو عن رأيهم ولا اشتركو أساقفة الصعيد معهم في ذلك. وكانوا أساقفة الصعيد منفردين عنهم وقالو: إن كان ليس غير هذا فما تقدمه. وكان بعض الأساقفة البحريين مع كهنة الإسكندرانيين متفقين على تقدمته. فلما كان اليوم الرابع من الشهر الجديد وهو توت بدى الشيطان يلقي بينهم السجس فلحقهم حزن وبكا لذلك،

---

* انفذ المتوكل وهو بدمشق قائده بغا الكبير لحرب الصائفة فدخل أرض الروم واستولى على حصن صملة (شوملة)، وبعد سبعين يوماً بدمشق قفل المتوكل عائدا إلى سامراء وفي خلال مقامه ثار الجند الأتراك بايعاز من ابنه المنتصر مما حمله على الاسراع بالعودة.

* فيها ثارت عصبة من الاتراك المجندين المرتزقة في دمشق على الخليفة بدعوى تأخر دفع رواتبهم، فتفادى الخليفة الأمر بأن زاد في اعطياتهم وترك دمشق، بعد أن كان ينوى الإقامة فيها، عائداً إلى سامره ومنها تحول إلى الماخوره (الجعفرية).

* شهدت هذه السنة استيلاء المسلمين على مدينة قصريانة بصقلية على يد العباس بن الفضل وكان قد جعلها ملك صقلية عاصمة له بعد سرقوسة فسار إليها العباس براً وبحراً ودلهم خائن على فتحة نفذوا منها إلى قلب المدينة فاستسلم أهلها بعد أن فتحت الأبواب واقتحمها العباس وأمر ببناء مسجدها وأدى به أول صلاة جمعة.

* جعل المتوكل من مراسم الخلافة أن تحمل أمامه العنزة وهي حربة كان قد أهداها النجاشي للزبير فأهداها الزبير للرسول وكانت تركز بين يديه عليه السلام في العيدين.

* غضب المتوكل على طبيبه بختيشوع بن جبرائيل وكانت قد ارتفعت مكانته عنده حتى نافس الوزراء جاها وقبض أموا له ونفاه إلى البحرين.

وصرخو الأساقفه المتفقون مع الإسكندارنيين وقالو: أن لم نجعل هذا الذى كتبنا اسمه وإلا فما نجعل أحدا. والسيد المسيح المهتم بجميع الأمور لم يرض بكلامهم والذى ارتضاه لهذه الخدمة محفوظ. فوقع بينهم خصومه فى ذلك اليوم كما كان جرى فى نوبة البرسنوفيين.

وفيما هم كذلك طرح الله فى قلوبهم فى تلك الساعه بأن يحضرو الأسقفين أسقف وسيم أنبا

سنة ٢٤٥ هجرية

أهل المحرم يوم السبت الموافق ٨ إبريل ٨٥٩ م.

* بنى المتوكل مدينة سماها الجعفرية واقطع الأمراء والقواد والأصحاب فيها وجد فى بناءها وأنفق عليها أكثر من ألفى ألف دينار وبنى فيها قصراً شاهقاً فى علوه سماه اللؤلؤة وحفر لها نهراً يسقى ما حولها ولكن لم يلبث أن أخربت بعد وفاته .

* تجددت الزلازل على إمتداد ساحل الشام شملت اللاذقية وأنطاكية وطرسوس وجبلة وهدمت الحصون والمنازل والقناطر وغارت العيون ففرق المتوكل ثلاثة الاف ألف درهم لضحايا هذه الزلازل.

* خرج يزيد بن عبد الله أمير مصر إلى دمياط حين بلغه نزول الروم عليها ولكنهم كانوا جلوا عنها فاقام بها مدة لم يلق حرباً ثم رجع إليها للمرة الثانية فى نفس العام وعاد دون حرب كذلك.

* أغارت الروم على مدينة سميساط فقتلوا وسبوا فلاحقهم القائد على ابن يحيى وغزا الصائفة وأسر بطريقهم فحمل إلى المتوكل وبذل ملك الروم فى فدائه عشرات المسلمين من الأسرى.

* أقام أبو أبراهيم الأغلبى أمير تونس سوراً حول مدينة سوسة حماية لها من غارات الفرنج البحرية.

مـويسـيس وبطرس أسـقف ترنوط، وقـالو: إذا لم تحضرو المذكورين ما يكون بيننا صلح. وكان أنبا مويسيس ضعيفا جدا له ستة شهور ملازما المرض في دير نهـيا، وكذلك أنبا بطرس في بيعة السيـده بجبل وسيم المقدس في دير نهيا الذى في بر الجيزه غربى مصـر. فمضى إليهـما الاثنان أسقف مصـر وأسقف الفيوم واعلماهما بما جرى. ولم يكن أنبا مـويسـيس يقـدر يركب دابه ولا يجلس من عظم الوجع فـدبرو الأبا وحـملوه على النعش الذى

---

* توفى في هذه السنة الصوفى ذو النون المصرى (ثوبان بن ابراهيم الأخـميمى) كان نوبى الأصل اتهمه قوم بالزندقة فاستقدمه الخليفة المتوكل إلى سامراء ثم أطلقه، توفى عن تسعين بجيزة مصر.

* توفى ابن زياد (محـمـد بن ابراهيـم) الحفيـد الثانى لزياد بن أبيه مؤسس الدولة الزيادية باليمن وكان قد بعثه المأمون إليها والياً لاخماد ثورة بها فتملكها.

سنة ٢٤٦ هجرية

وافق غرة المحرم يوم الخميس ٢٨ مارس ٨٦٠م.

* تحول الخليفة المتوكل من سامراء إلى مدينته الجديدة الجعفرية.

* جرى في هذه السنة الفداء السادس بين المسلمين والروم (والحكم لميخاييل الثالث تحت وصاية أمه تيودوار وخاله باراس) على يد القائد على بن يحيى فتم فداء ألفين وثلثمائه وسبع وستين نفساً، وسبق ذلك أن غزا الصائفة ثلاثة من القواد منهم عمرو بن عبد الله والفضل بن قارن الذى افتتح حصن أنطاكية ثم القائد بلكاجور الذى غنم وسبى.

* انطلق محـمـد الأول أمير الأندلس الأموى إلى مملكة قشتالة وانتهى إلى بنبلونة وافتتح عدة حصـون ووقع في أسره فرتون ابن ملكها غرسية الذى عاش في حبسه بقرطبة عشرين سنة.

يحمل فيه الموتى لأنهم لم يجدو هناك سواه، وحملوه قوم مومنون على اكتافهم إلى أن وصلو به إلى الفسطاط. وركبو أنبا بطرس دابه وكان معه جمع كتير، فوصلو واجتمعو في اليوم التامن وكهنة مصر والاراخنه معهم لكى يفصلو هذه النوبه بارادة الله ومعونته، وكان معهم ارشيدياقن بيعة أبى سرجه والشيوخ الاراخنه «منا» و«بولس» وكثير من النصارى بمصر، فصلو وجلسو وبدو يتجادلو في الكلام كما كان في الأول، وزاد

---

* تولى أبو بكر بكار بن قتيبة قضاء مصر ولزم منصبه إحدى وعشرين سنة حتى عاصر قيام الدولة الطولونية وبناء مسجد أحمد ابن طولون فكان أول إمام له.

* وفيها توفى من رجال الحكم: عنبسة بن اسحق أمير مصر السابق وهو آخر حاكم عربى تولى إمارة مصر وآخر أمير صلى بالناس ومن بعده كان غالب الولاه من الترك.

سنة ٢٤٧ هجرية

استهلت السنة بيوم الاثنين ١٧ مارس ٨٦١ م.

* شهدت هذه السنة تولية محمد المنتصر الخلافة العباسية وهو الحادى عشر من بنى العباس، وتولاها على أثر مقتل أبيه المتوكل فى الرابع من شوال على يدجنوده الاتراك ومبايعة القواد الأتراك له، وله من العمر أربع وعشرون، أمه أم ولد تركية أسمها حبشية.

* شهدت هذه السنة كذلك قيام الدولة اليعفرية فى اليمن نسبت إلى رأسها يعفر بن عبدالرحيم الحوالي وكان نائباً للأمير العباسي جعفر بن سليمان وكان يدفع له خراجا حتى إعلان استقلاله في هذه السنة منتهزاً فرصة اضطراب أمر الخلافة بالعراق.

أمر الخليفة المتوكل عامله يزيد بن عبدالله أمير مصر بناء مقياس جديد للنيل بجزيرة الروضة بدلا من مقياس أسامة بن زيد الذى أقيم سنة ٩٧ هـ وبطل بعمارته كل مقياس غيره، ووكل على القياس ابن أبى الرداد المؤذن لقياس فيضان النيل.

الشر، وكانو الأساقفه البحريون يقولون. ما نقيم هذا المكتوب اسمه. وابا إبراهام أسقف الفيوم يقول: ما له معنا نصيب. فقال لهم أنبا إبراهام: أنكم أن سمعتم مني طلبنا إلى الله جميعنا كما أمرت القوانين وسألناه أن يقيم لنا من يريد ولا تقسم البيعة قسمتين، فرضو قوم من الأساقفه البحريين على هذا الرأى وجلسوا عند أساقفة الصعيد. وكان الطوبانى «أبا مويسيس» أسقف

---

* شهدت هذه السنة اغتيال أول خليفة عباسى وهو المتوكل على يد بعض الجند الأتراك بتدبير القائد بغا الشرابى وباغر التركى قائد حرس الخليفة، وشارك فى المؤامرة المنتصر ولى العهد وذلك بعد أوغر الوزير ابن خاقان قلب الخليفة على ابنه وخوف كبار الأتراك من غدر الخليفة بهم وتم ذلك ليلة الرابع من شوال.

* توفى أمير العباس بن الفضل وولى أهلها عليهم ابنه عبدالله بن العباس.

سنة ٢٤٨ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم السبت ٧ مارس ٨٦٢م.

* استهلت السنة والخليفة المنتصر بالله العباسى له ثلاثة أشهر فى الحكم ، وتولى وزارته أحمد بن الخصيب وكان كاتبه قبلا وذلك بعد أن نفى وزير أبيه المقتدر عبيدالله بن خاقان.

* تولى الخلافة العباسية في السنة نفسها خليفة جديد بعد وفاة المنتصر هو المستعين محمد بن أحمد بن المعتصم وذلك فى الخامس من ربيع الآخر.

* أعلن المؤيد والمعتز ابنا الخليفة المتوكل وأخوا الخليفة المنتصر خلع نفسيهما من ولاية العهد لضعفهما وتم ذلك تحت ضغط القواد الأتراك وعلى غير رضا الخليفة نفسه.

* نفى المستعين أحمد بن الخصيب إلى جزيرة كريت (اقريطش) وكان وزيرا لسلفه المنتصر.

«وسيم» ملقيا وسط الجمع من شدة الوجع فسمعهم يذكرون الفرق. فقام بقوة روح القدس التي معه وأوما بيده إلى كهنة اسكندرية فقربو منه فقال لهم: ماذا تقولون انتم؟ فقالو: ما يقوله أبا مينا أسقف تمي هو قولنا ونحن الذين نقدم بطركا وليس لكم انتم في هذا شي. وكان بجانبه جريده يتوكا عليها لضعفه، فذكر ما فعله السيد في الهيكل لما طرد من كان فيه من الصيارف بالمخصرة الحبل، فقام وطرد كهنة اسكندرية وجرى خلفهم

---

* غزا الصائفة وصيف الخادم على رأس اثنى عشر ألف رجل وعلى مقدمته مزاحم بن خاقان أخو الفتح وكان على نفقات الجيش أبو الوليد الحريرى.

* سجن الخليفة المستعين عمه المعتز بالله وكان ولياً لعهد أخيه المنتصر واستمر في سجنه ثلاث سنوات حتى أخرجه الجند الأتراك.

* تولى إمارة صقلية خفاجة بن سفيان وكانت بلرم عاصمته ودام حكمه عشرين سنة.

* أصيب الخليفة المنتصر بعلة قيل هي الذبحة وقيل ورم في المعدة وقيل أثر سم دس له وقيل بسبب توبيخ ضميره للاشتراك في مقتل أبيه وذلك في يوم الخميس ٢٥ ربيع الأول ولم تمهلة العلة إذ توفى في يوم الأحد الخامس من ربيع الآخر وله من العمر نحواً من ست وعشرين سنة وشهور، وكانت خلافته ستة أشهر.

سنة ٢٤٩ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأربعاء ٢٤ فبراير ٨٦٣م.

* استهلت السنة وعلى عرش الخلافة العباسية بسامراء المستعين بالله أحمد ابن محمد بن المعتصم وله تسعة أشهر منذ أن جاء به القواد الأتراك إلى الحكم وكان يعاصره بالأندلس محمد الأول بن عبدالرحمن الأوسط الأموى، وفى القسطنطينية ميخاييل الثالث تحت وصاية أمه تيودورا وخاله باراس، وفى فرنسا لويس الثاني، وفى انجلترا ايثلبرت السكسوني.

وضربهم بالجريده حتى أخرجهم من الباب قايلا لهم: أخرجو من وسطنا لا تخربو بيعة الله لأجل شهوات قلوبكم. ثم التفت إلى الأسقف «أبا مينا» ومن معه من الأساقفه وقال: أى شي بينى وبين هذا الإنسان الذى لم يختاره السيد المسيح وانت تريده وتفرح به، أن كان عرفت له شيا من الفضايل أذكره وسط الجماعه فإن رضيت به كان أمر من الله فيتقدم. فلما سمع «أبا مينا» هذا قال له: الكتب انكرت هذا فدعه ومن رأيتم صلاحه

---

* خرج القائد أمير أرمينية أبو الحسن على بن يحيى الأرمنى لحرب الروم للمرة الأخيرة وكان قد شارف فى غزوته السابقة ساحل القسطنطينية وكان خروجه للمطالبة بدم الوالى عمر بن الأقطع الذى حصره الروم فقاتل بدوره حتى قتل وقتل معه أربعمائة من رجاله.

* تولى إمارة تونس زيادة الله الثانى الأغلبى.

* ثار الجند ببغداد ومعهم العامة بسبب سيطرة الأتراك على مقدرات الدولة وقتلهم المتوكل وهزيمة ومقتل أبى الحسن الأرمنى فرد عليهم الأتراك وعلى رأسهم بغا وأتامش بفتح السجون وإحراق الأسواق وانتهاب الدواوين وفيها قتل أتامش.

* استوزر الخليفة المستعين أبا صالح عبيد الله بن يزداد خلفاً لأتامش.

* انتشر فى هذه السنة الطاعون وهلك فيه خلائق لا تحصى.

سنة ٢٥٠ هجرية

استهلت السنة بيوم الأحد الموافق ١٣ فبراير ٨٦٤م.

* عاصر هذه السنة قيام الدولة العلوية بطبرستان التى عاشت نحواً من قرن ونصف قرن من الزمان، أسسها الحسن بن زيد الحفيد الخامس للامام الحسن، وكان أهل طبرستان والديلم قد ثاروا على حكم بنى طاهر واتفقوا على الحسن ابن زيد فجاء إلى آمل عاصمة طبرستان وتولى عليها ثم مد سلطانه إلى الرى.

قـدمـوه. ثم وضـع مطانوه وخـرج، وقـال: يكون الاتحاد بينكم والاتفاق وانا برى من هذا. ثم افترقو ذلك اليوم بعد صلاة السادسة بكآبة وحزن عظيم إذ لم يجـدو من يقـدمـونه. وكلمـا يذكـر اسـمـا جماعه لم يتفقو على أحدهم. فلما كان النصف من الليل اسـتـيـقظ شـمـاس مع الأسـقف «أبا مويسيس» وقاله: اغفر لى يا أبى قد عرفت واحدا يسـتـحق هذا الأمـر. فـقـال له: من هو يا ولدى؟ فـقـال له الـشـمـاس: هو الـقـديس النفـيس القس

---

* فـشلت ثورة تزعـمها علوى اخر هو أبو الحسن يحيى بن عمر الحفيد الخامس للامام الحسين ظهر بالكوفة واستولى عليها وانضمت إليه جموع العامة إلا انه هزم على يد قائد المستعين وقتل ثم صلب (١٣ رجب).

سنة ٢٥١ هجرية

وافق هلال المحرم يوم الجمعة ٢ فبراير ٨٦٥م.

* عادت إلى الأذهان صورة الخلافة بين الأمين والمأمون الذى كان قد إشتد منذ نصف قرن وانتهى بغلبة المأمون، فشهدت هذه السنة خلافاً جديداً بين الخليفة المستعين الذى إنتقل إليها ولجأ إلى دار قائده محمد بن عبد الله بن طاهر الذى حصن بغداد بعد أن فقد مؤازرة الجند الأتراك.

* أنفذ المعتز جيشاً بقيادة أخيه أبى أحمد (المحرم) إلى بغداد لخلع المستعين ودارت الحرب براً وبحراً طوال شهور السنة وفى أوائل الحجة إنتقل المستعين إلى دار رزق الخادم.

* خرج بقزوين الحسين بن الأرقط العلوى وغلب عليها منتهزاً اضطراب أحوال بغداد، كما خرج علوى آخر بالحجاز هو إسماعيل بن يوسف الطالبى فعاث فى الحرمين وأفسد موسم الحج.

«ميخايل» ببيعة القديس «أبى مقار» ، بتول طاهر تربى فى البريه. فصرخ الأب الأسقف «انبا بطرس» وقال: هذا الشماس الذى تكلم فيه المسيح بالحقيقه يا ولدى أن هذا القس ميخايل مستحق هذه المنزله، فلما كان بالغداة اجتمعو وجرى بينهم الخطاب كما جرت عادتهم فاجرو ذكر القس ميخايل المذكور فصرخ جميع الشعب الكبير والصغير كلهم من فم واحد قايلين: بالحقيقه هذا المستحق. وكان قبل ذلك قد نظر أنسانا قديسا

---

* سير محمد الأول الأموى أمير الأندلس جيشاً مع إبنه المنذر لحرب الصائفة فدخل مملكة ليون (ألبة والقلاع) وعاث فيها سلباً ونهباً، والتقى بجيش رذريق فأوقع به فى معركة «فج المركور» ثم عاود الأفرنج الكرة فمنوا بهزيمة أكبر وأسر نحواً من ٢٥٠٠ من رؤوس الافرنج.

* ولد فى هذه السنة بمدينة الرى الطبيب الفيلسوف أبو بكر الرازى أحد الأئمة فى الطب والطبيعيات ومؤلف الحاوى فى الطب والطب المنصورى وسر الصناعة فى الكيمياء.

سنة ٢٥٢ هجرية

استهلت السنة بيوم الثلاثاء الموافق ٢٢ يناير ٨٦٦م.

* طويت الفتنة بين الخليفة المستعين والمعتز فى يوم الجمعة الرابع من المحرم بتنازل الخليفة المستعين ومبايعة المعتز بالله (الزبير بن المتوكل) بالخلافة وتسلم منه شعارها وهو البردة والقضيب والخاتم فكانت مدة المستعين ثلاث سنوات وتسعة أشهر.

* غضب المعتز على القائدين التركيين وصيف وبغا الصغير وأمر بإسقاطهما ولم يلبث أن تراجع خوفاً من الجند الأتراك.

* تجددت اضطرابات الجند والعامة ببغداد إلى أن قبض على زعيمهم عبدان ابن الموفق وصلب.

كانت الأمور معلنة له من قبل الرب لأنه يشهد له بذلك. فقال أني سمعت صوتا من السما قايلا وأنا في بيعة القديس «أبي مقار» أن القس ميخايل مستحق البطركيه.

ثم قامو جميعا ومضو إلى القصر وعرفو «حفصا» الذي جرى وما كانو فيه، وسألوه كتب كتاب إلى شيوخ وكهنة «وادي هبيب» لسلمو لهم أنبا ميخايل المذكور. فكتب لهم الكتب وأخذوها وخرجو من عنده.

---

* أرسل الخليفة إلى واسط تحرسه كوكبة من الفرسان وكان قد اشترط تأمينه، خلع نفسه، ولم يلبث المعتز أن تنكر لكتاب الأمان فسير المستعين من واسط إلى القاطول حيث قتل في شهر شوال، وكان المستعين ابن ثلاث وثلاثين حين قتل.

* خلع المعتز أخاه المؤيد من ولاية العهد واتهمه بالتآمر عليه فحبسه وتوفي في سجنه قتيلاً (٢٢ رجب)، كما أرسل المعتز أخاه أبا أحمد إلى السجن.

* توفي القاضي عبدالله بن عمر الكرجي عن خمس وأربعين.

سنة ٢٥٣ هجرية

افتتحت السنة بيوم السبت الموافق ١١ يناير ٨٦٧.

* تولى إمارة مصر مزاحم بن خاقان التركي (أخو الفتح الوزير) خلفاً ليزيد ابن عبد الله الذي تولاها عشر سنين فأعلن مزاحم الحرب على الخارجين على الحكم في الشرقية والبحيرة والفيوم.

* تولى وزارة المعتز أحمد بن أبي اسرائيل الأنباري خلفاً لأبي فضل الاسكافي.

* ثار الجند على وصيف الخادم مطالبين بارزاقهم واغتالوه فجعل المعتز ما كان له لبغا الشرابي الذي ألبسه التاج والوشاحين.

كان الرب يسوع المسيح قد حرك مقدمى وادى هبيب لسبب جرى فخرجو من البريه وصحبتهم القس ميخايل المذكور. وكان السبب انهم اجتمعو وتشاورو قايلين ان «القاسم» الظالم أضعف علينا الخراج والجزيه فوق طاقتنا وقد وصل ملك جديد فنمضى إليه وندعو له ونهنيه بالقدوم ونتوكل على الله ونسأله أن يزيل عنا الظلم. فوصلو فى اليوم التالت عشر من توت إلى الجزيره، وفى اليوم المذكور خرجو الرسل بالكتب متوجهين إلى البريه،

---

* غزا الصائفة محمد بن معاذ ودخل أرض الروم من جهة ملطية فأسر وقتل.

* خسف القمر فى ذى القعدة من السنة.

* وافق هذا التاريخ مقتل الامبراطور البيزنطى توفيل (ثيوفيلوس الثانى) على يد باسيل المقدونى.

سنة ٢٥٤ هجرية

الأول من المحرم وافق يوم الخميس الأول من يناير ٨٦٨م.

* تولى إمرة مصر فى هذه السنة أربعة هم: مزاحم بن خاقان الذى توفى فى شهر المحرم فخلفه ابنه أحمد بن مزاحم الذى توفى فى شهر ربيع الثانى، فخلفه صاحب الشرطة أرغور (أو أرخوز) التركى حتى شهر رمضان، وفيه أقطع المعتز حكم مصر قائده التركى بايكباك زوج أم أحمد بن طولون الذى أرسل ابن زوجته إلى مصر نائبا عنه (٢٣ رمضان).

* عاود أهل ماردة بالأندلس العصيان على الأمير محمد بن عبدالرحمن الأموى الذى خرج اليهم حتى انقادوا إلى الطاعة فنقلهم وأموالهم إلى قرطبة وهدم سور ماردة.

* لقى القائد التركى بغا الشرابى مصرعه فبذلك تخلص الخليفة من مناوئ خطير له، حتى أن الخليفة أعطى قاتله عشرة الاف دينار.

فلما عدو البحر لقو شيوخ الرهبان وأبا ميخايل معهم الذى سارو لأجله. فلما رأوه تعجبو عجبا عظيما وبهتو وفرحو جدا وتعجب كل أحد منهم مما فعله السيد المسيح. فأخذوه ومضو به إلى قصر الملك وجميع كهنة مصر صارخون بين يديه بالقرا[ء]ه حتى وصلو إلى القصر وهم يقولون: قد أرسل الرب لنا الراعى المأمون الذى هو مرقس الجديد. فلما أعلمو «حفصا» بما كان تعجب جدا

---

* توفى في المحرم من السنة أمير مصر مزاحم بن خاقان وكانت ولايته سنة واحدة وخلفه ابنه الذى توفى بعد ثلاثة أشهر من نفس السنة.

سنة ٢٥٥ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الاثنين ٢٠ ديسمبر ٨٦٨م.

* شهدت السنة خلع خليفة وتولية خليفة، ففي السابع والعشرين من رجب إجتمع زعماء الأتراك وعلى رأسهم صالح بن وصيف وأجبروا الخليفة المعتز على خلع نفسه وانتهوا إلى تعذيبه حتى منعوا عنه الماء فكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر.

* بويع بالخلافة العباسية ببغداد محمد المهتدى بالله ابن الخليفة الواثق، وله من العمر سبع وثلاثون، أمه أم ولد رومية يقال لها قرب.

* شهدت السنة مقدمات فتنة الزنج بالبصرة.

* تولى وزارة المهتدى ابن جعفر الإسكافى الذى فرضه الأتراك على سلفه ثم عزله بسليمان بن وهب وهو من كبار الكتاب في عصره.

* قبض الأتراك على قبيحة أم المعتز وصادروا أموالها ونفوها إلى مكة.

* توفى في رجب من السنة الخليفة المعتز بعد أيام من خلع نفسه وله أربع وعشرون سنة.

ودق يدا على يد وقال: تبارك الله الاه النصارى قد فعل أفعالا نتعجب منها وقال لهم: هذا الرجل الذى اصطفاه الله لكم أن يكون لكم أبا خذوه وأمضو به بسلام. فتقدم إليه أنبا تادرس أسقف الكرسي ودعا للأمير وسار معه. وكان الشعب يقطعون من ثيابه للبركه. ولما كان في الغد وهو الرابع عشر من توت ركبو الأساقفه المراكب وانحدرو إلى اسكندريه في ليلة السادس عشر من

---

* توفى في هذه السنة بالبصرة إمام اللغة والأدب عمرو بن بحر الجاحظ عن اثنين وتسعين قيل قتلته كتب وقعت على رأسه، اليه تنسب الفرقة الجاحظية من المعتزلة من مؤلفاته كتاب «البيان والتبيين» وكتاب «المحاسن والأضداد» وكتاب «البخلاء».

* توفى أمير صقلية خفاجة بن سفيان فاتح سرقسطة، قتله أحد الجند إغتيالاً، وقد دامت إمارته سبع سنوات وخلفه ابنه محمد بإجماع أهل صقلية.

سنة ٢٥٦ هجرية

أهل المحرم يوم الجمعة الموافق ٩ ديسمبر ٨٦٩م.

* جلس على عرش الخلافة العباسية في هذه السنة خليفتان، أولهما الخليفة المهتدى حتى خلعه الجند الأتراك في رجب من السنة، وثانيهما الخليفة المعتمد على الله بن المتوكل وهو الخامس عشر من خلفاء بنى العباس، أمه أم ولد إسمها فتيان، بويع يوم ١٨ رجب وله من العمر خمس وعشرون.

* إستولى أمير صقلية الجديد محمد بن خفاجة على جزيرة مالطة من البيزنطيين بعد هزيمة الأسطول الذى أرسل لحمايتها وقد أضيف حكمها إلى إمارة صقلية واستمرت تبعيتها ٢٢٠ سنة حتى استخلصها النورمان.

توت، فخرج إليه خلق كتير. ولما وصلو به شوارع المدينه ومعهم شمع وصلبان وأناجيل نزل عليهم مطر أقام تلته ايام وتلته ليالى يسكب، وان جميع القبايل باسكندريه قالو هذا الرجل من الله، قد مضت سنتان ولم ينزل مطر فى هذه المدينه ومبارك دخول هذا الرجل مدينتا. وأوسموه فى اليوم السابع عشر من توت.

ونريد الآن نذكر يسيرا من أفعاله في الرهبانيه

---

* وقع الخلاف بين زعماء الجند الأتراك وفيه قتل صالح بن وصيف متهماً باغتيال الخليفة المعتز وسلب أموال أم الخليفة.

* لقى الخليفة المهتدى العباسى حتفه فى قتال مع الثائرين عليه من الجند الأتراك وله من العمر ٣٢ سنة ولم تدم خلافته سوى أحد عشر شهراً.

* توفى بنواحى سمرقند الامام الحافظ أبو عبدالله البخارى عن اثنين وستين وهو أشهر رواة الحديث يعرف كتابه الجامع الصحيح باسم صحيح البخارى وله كتاب «الضعفاء» أى ضعفاء المحدثين.

* توفى ببغداد الطبيب السريانى المستعرب بختيشوع بن جبرئيل ابن بختيشوع الذى خدم أربعة من الخلفاء أولهم الواثق، له كتاب الحجامة.

سنة ٢٥٧ هجرية

وافق الأول من المحرم يوم الأربعاء ٢٩ نوفمبر ٨٧٠م.

* تطورت ثورة الزنج التى بدأت أحداثها منذ سنين ابان خلافة المهتدى بإقليم البطائح وتزعمها مدعى علوى، فى هذه السنة وصلت طلائعها إلى البصرة كما استولوا على الأبلة وعبدان والأهواز، فأنفذ الخليفة لحربهم سعيداً الحاجب.

وعـجـايـيـه قـبل أن يكون بطركـا ولن نخـاف من التطويل لأن كل شي له مقدار كما قالت الكتب، غيـر أنني قد ذكـرتها في كتـاب سيـرته خارج عن هذه السيره.

ثم مضى إلى الرب الطوباني اتناسيوس بانطاكيه وأجلس الملك «هشام» [مكانه] رجلا مؤمنا اسـمـه يوحنا. ومـات هشـام وضـبط الملك [بعـده] إنسـان اسـمـه الوليـد(*) بن يزيد بن عـبـد الملك، وكـان جنسه يبـغـضـه، فـبـدى بنى مـدينه على اسـمـه في

(*) وفاة الخليفة هشام وتولى الوليد بن يزيد بن عبدالملك الخلافة.

---

* عقد الخليفة المعتمد لأخيه أحمد الموفق على العراق (الكوفة وبغداد وواسط والبصـرة والأهواز) وعلى الحجاز واليمن وفارس وما وراء النهر.

* امتد سلطان يعقـوب بن الليث الصـفـار إلى فـارس وبلخ وكـابل وبست والسند بعد أن كتب له الموفق بولايتها.

* هرع الاسـطول البـيـزنطى الذى أرسله الامبـراطور باسيل الأول لنجـدة جـزيرة مـالطة وتحريرها من الحكم العربى وألقوا الحصار حول الجزيرة فأنفذ اليهم محـمد ابن خفـاجة أمير صقلية إسطولاً ضـخـماً ما أن دخل مياه الجزيرة حتى إنسحب الاسطول البيزنطى عائداً الى القسطنطينية.

* توفى فى هذه السنة مؤرخ مصـر عبدالرحمن بن عبـدالحكم عن سـبعين عاماً إشتـهـر بكتابة «فتوح مصر والمغرب» أى مصر وشمال افريقية والأندلس وهو من أمهات المراجع فى موضوعه، مطبوع متداول.

* توفى أمير صقلية محمد بن خفاجة فاتح مالطة كان قد خلف أباه خفاجة ابن سفيان قبل عامين، توفى كلاهما إغتيالا.

البريه ويجعل اسمه عليها، وكان الما [ء] بعيدا منها خمسة عشر ميلا، وجمع الناس للسخره من كل موضع وبنى فيها بيد قويه، ومن كثرة الناس كان كل يوم يموت فيها جماعه من قلة الما[ء]. وكان يحمل لها الما [ء] ألف ومايتان جمل وما يكفيهم كل يوم. وكانت الجمال فريقين ستمايه تحمل يوما وستمايه تحمل غدا. فوثب عليه رجل اسمه «إبراهيم» فقتله واخذ الملك منه واطلق الاسارى، فمضى كل واحد منهم إلى موضعه.

سنة ٢٥٨ هجرية

استهلت السنة بيوم السبت الموافق ١٨ نوفمبر ٨٧١م.

* خرج أبو أحمد الموفق أخو الخليفة إلى حرب الزنج بعد هزيمة ومقتل منصور ابن جعفر عامل الأهواز وسار الجيش يرافقه اسطول نهرى وفى المعارك التمهيدية قتل مفلح أحد قواد الموفق كما قتل يحيى البحرانى قائد صاحب الزنج وانحاز الموفق إلى واسط.

* انتشر الوباء فى هذه السنة فى العراق لاسيما فى الجنوب وهلك فيه خلق كثير، كما تعرض الاقليم لموجة من الزلازل فمات خلق كثير تحت الردم.

* إستقل أحمد بن طولون بحكم مصر بعد وفاة يازكوج التركى.

ولاة مصر من عمرو بن العاص حتى بداية الطولونيين(*).

١. ولاية عمرو بن العاصى

حدثنا عبد الملك بن يحيى بن عبد الله بن بكيرقال: حدثنى أبى،

عن الليث بن سعد قال: أقام عمرو بن العاص محاصر الحصن إلى أن فتحه سبعة أشهر.

(*) أنظر كتاب: ولاة مصر لمحمد بن يوسف الكندى. تحقيق: د حسين نصار. سلسلة الذخائر ٦٦ الهيئة العامة لقصور الثقافة. القاهرة ٢٠٠١.

ولى آخر فى أرض مصر اسمه «حسان بن عتاهية»(*). هذا إبراهيم هو ابن عمه. وفى نسخة اخرى عيسى بن أبى عطا كاتب «لأسامه»، وهو عارف بجميع أعمال «أسامه». وكانت مصر قبل ولايته لها كثيرة الدهب والدينار مع الناس كالدرهم فى ذلك الزمان، فلما وصل إليها نزل عليها وبا عظيم فى أيامه حتى أن العجل الصغير دفع فيه عشرون دينارا، فعرّفه وكلايه وأصحابه بذلك قال: أنا أعرف أعمال أهل مصر ان عشت

(*) حسان بن عتاهية تولى على مصر من قبل مروان أبن محمد فى ٢١ مارس ٧٤٤م = ١١ جماد الثانى ١٢٧هـ. فثار عليه الجند العرب وطردوه فارسل الخليفة محله حفص ابن الوليد لثالث مرة على مصر. ولكن الجند العرب ثاروا عليه كذلك فارسل الخليفة حوثرة بن سهيل واليا عليها فدخلها وقبض على المناهضين له وقتلهم وكذلك قتل حفص ابن الوليد. انظر الهامش السفلى ص٣٨٤.

وحدثنى يحيى بن أبى معاوية التجيبى قال: حدثنى خلف بن ربيعة الحضرمى، عن أبيه، عن ابن لهيعة.

عن يزيد بن أبى حبيب قال: فتحت مصر فى يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين.

وحدثنا على بن الحسن بن قديد وأبو سلمة قالا: حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح، عن أبيه، عن ابن لهيعة.

عن يزيد بن أبى حبيب قال: كان عدة الجيش الذى مع عمرو، الذين فتحوا مصر، خمسة عشر ألفاً وخمس مئة.

وقال عبد ا لرحمن بن سعيد بن مقلاص:

كان الذين جرت سهامهم فى الحصن من المسلمين اثنى عشر ألفاً وثلاث مئة، بعد من أصيب منهم فى الحصار بالقتل والموت.

وقال سعيد بن عفير عن أشياخه:

لما حاز المسلمون الحصن بما فيه، أجمع عمرو على المسير إلى الإسكندرية. فسار إليها فى ربيع الأول سنة عشرين.

وحاصر عمرو الإسكندرية ثلاثة أشهر، ثم فتحها عنوة، وهو الفتح الأول. ويقال: بل فتحها مستهل سنة إحدى وعشرين. ثم سار عمرو إلى أنطابلس ـ وهى برقة ـ فافتتحها

انا ادعهم يشترون التور بدينارين. وخسر أهل مصر خسارات عظيمات وانزل عليهم بلايا وتعب وأباعو الناس بهايمهم واولادهم.

وكان بمصر صبى مسلم اسمه «رجا»(*) فحشد جماعه وأخذ المملكه، وكان «حفص» الوالى مساعدا له، ومضوا إلى «حسان»(*) يريدون قتله، فهرب منهم إلى دمشق. وأمر «حفص» أن يصلى كلمن بمصر وأعمالها بصلاة السنه،

(*)تمرد ابن رجا ضد الخلافة.

(*) هروب الوالى حسان بن عتاهية أمام جنود ابن رجا.

بصلح فى آخر سنة إحدى وعشرين. ثم مضى منها إلى أطرابلس ، فافتتحها عنوة سنة اثنتين وعشرين. وقال الليث بن سعد فى تاريخه: فتحها سنة ثلاث وعشرين.

قال : وقدم عمرو بن العاص على عمر بن الخطاب قدمتين. قال ابن عفير: استخلف فى إحداهما زكرياء بن جهم العبدرى(*)، وفى القدمة الثانية ابنه عبد الله بن عمرو.

وتوفى أمرى المؤمنين عمر فى ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين، وبايع المسلمون أمير المؤمنين عثمان بن عفان، رضى الله عنه. فوفد عليه عمرو بن العاص. فسأله عزل عبد الله بن سعد بن أبى سرح العامرى عن صعيد مصر، وكان عمر ولاه الصعيد قبل موته. فامتنع عثمان من ذلك، وعقد لعبد الله بن سعد ابن أبى سرح على مصر كلها. فكانت ولاية عمرو على مصر صلاتها وخراجها، ومنذ افتتحها إلى أن صرف عنها، أربع سنين وأشهراً . فكان علىَ شرطة فى ولايته هذه كلها خارجة بن حذافة بن غانم بن عامر بن عبد اله بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب ، فى قول الأشياخ، إلا أن سعيد بن عفير قال: دخل عمرو مصر، وعلى شرطته زكرياء بن جهم بن قيس بن عبد شرحبيل ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار. قال : ثم عزله وجعل مكانه خارجة ابن حذافة.

(*) استخلفه على الجند فقط، واستخلف مجاهد بن جبر مولى بن نوفل ابن عبد مناف على الخراج (فتوح مصر ١٧٨، ١٧٩).

وكلمن يتخلى عن دينه ويكون مسلما لا تؤخذ منه بعدا جزيه لانها كانت على الناس كلهم. ولأجل هذه الخصله أضل الشيطان خلايق من المصريين النصارى فتخلو عن دينهم ومنهم من اكتتب وصار من العسكريه. وكان الأب البطرك أنبا ميخايل ينظر هذا وهو حزين باك لنظره من يجحد السيد المسيح. ومن أجل ذلك خرجت الأساقفه من كراسيهم ومضو إلى البريه إلى الديارات وتضرعو أمام الرب بالصلوات.

---

٢. ولاية عبد الله بن سعد[*].

ابن أبي سرح الحسام بن الحارث بن حبيب بن جذيمة[١] بن نصر ابن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى بن غالب، وأمه مهانة بنت جابر من الأشعريين.

ثم وليها عبد الله بن سعد من قبل أمير المؤمنين عثمان.

حدثنا الحسن بن محمد المديني قال: حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير

عن الليث بن سعد: أن عثمان لما ولى أمر هذه الأمة، وعمرو بن العاص على مصر كلها إلا الصعيد، فإن عمر بن الخطاب ولى الصعيد عبد الله بن سعد. فطمع عمرو لما رأى من لين عثمان أن [٢]. [يعزل له عبد الله بن سعد عن الصعيد، فوفد إليه وكلمه في ذلك. فقال له عثمان: ولاه عمر بن الخطاب الصعيد، وليس بينه وبينه حرم ولاخاصة، وقد علمت أنه أخي من الرضاعة، فكيف أعزله عما ولاه غيري؟! فغضب عمرو وقال: لست راجعاً إلا على ذلك.

(*) الخطط ١ : ٢٢٩، والنجوم ١ : ٧٩، وحسن المحاضرة ٢ : ٣.

(١) كذا في التهذيب والنجوم، وفي الأصل : خزيمة.

(٢) الكلام متصل في الأصل، بدون التكملة التي بين القوسين، واضطرابه وفساده واضحان. ويبدو أن صفحة زاغت من بصر الناسخ، من لفظ «أن» إلى «أن» الثانية. وجئت بالتكملة من فتوح مصر لابن عبد الحكم ١٧٣ ـ ١٧٥، وكلها من قول الليث بن سعد، الذي يروى عنه المؤلف الخبر.

ثم أن الأب أنبا «مويسيس» أسقف «وسيم» مسكوه بكرسيه أولاده لم يمكنوه أن يمضى إلى موضع بل يصلى على رعيته ليلا يخطفهم الديب من بيعته.

وكان فى الجيزه وأعمال مصر يفتقد حال أولاده كل وقت، وإذ قوم ارتدكسيون من أراخنة مصر حضرو عنده وهم حزان وقالو له: يا أبانا صل علينا واجتهد فقد أحصينا من انتقل إلى دين الإسلام من أخوتنا بنى المعموديه من مصر

فكتب عثمان بن عفان إلى عبد الله بن سعد يؤمرة على مصر كلها. فجاءه الكتاب بالفيوم. فجعل لأهل أطواب[١] جعلاً على أن يصبحوا به الفسطاط فى مركبه ، وكان الذى جعل لهم كما يزعم آل عبد الله بن سعد خمسة دنانير. قال الليث: فقدموا به الفسطاط قبل الصبح ، فأرسل إلى المؤ ذن، فأقام الصلاة حين طلع الفجر، وعبد الله بن عمرو ينتظر المؤذن يدعوه إلى الصلاة، لأنه خليفة أبيه. فاستنكر الإقامة فقيل له: صلى عبد الله بن سعد بالناس. وآل عبد الله يزعمون أن عبد الله بن سعد أقبل من غربى المسجد بين يديه شمعة، وأقبل عبد الله بن عمرو من نحو داره بين يديه شمعة، فالتقت الشمعتان عند القبلة. قال الليث فى حديثه: : فأقبل عبد الله بن عمرو حتى وقف على عبد الله ابن سعد، فقال: هذا بغيك ودسك! فقال عبد الله بن سعد: ما فعلت، وقد كنت أنت وأبوك تحسدانى على الصعيد، فتعال حتى أوليك الصعيد، وأولى أباك أسفل الأرض، ولا أحسدكما عليه.

وجاءت الروم، عليهم منويل الخصى، فى المراكب حتى أرسوا بالإسكندرية. فأجابهم من بها من الروم، ولم يكن المقوقس تحرك ولا نكث. فلما نزلت الروم الإسكندرية سأله أهل مصر عثمان أن] يرد عمرو بن العاص لمحاربة منويل، ومعرفته بحر بهم، وطول ممارسته له. فرده والياً على الإسكندرية فحارب الروم بها حتى افتتحها، وعبد الله بن سعد مقيم بالفسطاط على ولايته، حتى فتحت الإسكندرية الفتح الثانى عنوة سنة خمس وعشرين.

(١) أطواب : قرية من عمل البهنسا.

وأعمالها على يدى هذا الوالى أربعه وعشرين ألف إنسان(*). فقال لهم الأب: يا أولادى آمنو أن فى هذا الشهر تنظرون بإعينكم هذا الوالى الكافر حفصا يحرق جسده بالنار فى وسط فسطاط مصر ويقتل رجا بالسيف، فتمت نبوة الأب سرعه. وكان هذا القديس يشفى المرضى باسم السيد يسوع المسيح وأعطى التوبه. ثم أن الملك انفذ أميرا إلى مصر ومعه خمسة آلاف مقاتل ليقاتلو «حفصا»

(*) تحول أربعة وعشرين الف انسان إلى الاسلام على عهد الوالى حفص المتولى من قبل ابن رجا.

ثم جمع لعبد الله بن سعد أمر مصر كلها: صلاتها وخراجها. فجعل على شرطته [السائب بن](1) هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى. ومكث عبد الله بن سعد عليها أميراً، ولاية عثمان كلها، محموداً فى ولايته. وغزا ثلاث غزوات، كلها لها شأن وذكر. فغزا إفريقية سنة سبع وعشرين، وقتل ملكهم جرجير. فيقال إن الذى قتله معاوية بن حديج(2)، وصار سلبه (اسلابه) إليه.

(١) ساقط من الأصل، والذى تولى الشرطة السائب لا أبوه هشام، وهو الذى شهد فتح مصر وتولى القضاء بها أيضا. انظر ف ٢٣٣، ٨٣٥، ٩٢طى١: ٣٠٥٧، وأسد الغابة ٢٥٧ وغيرها ومن كتب الطبقات. وسياق النسب فى الكتب المذكورة على النحو المذكور، وفى الأصل: هشام ابن كنافة بن عمرو بن الحصين بن ربيعة..

وبالنسبة للرموز الواردة فى هوامش هذا المتن فهى كالأتى:ـ

ص = مخطوط المتحف البريطانى لكتاب ولاة مصر لمحمد بن يوسف الكندى. ر= طبعة رفن كست للمخطوط السابق. ك= طبعة كونيج للمخطوط السابق. خـ = خطط المقريزى. طبعة بولاق. ن = النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى. طبعة دار الكتب. ى= معجم البلدان لياقوت. طبعة وستنفلد. ط = تاريخ الطبرى. طبعة اوربا. ث = الكامل لابن الأثير. طبعة اوربا. ت = تاج العروس للزبيدى. د = سيرة احمد بن طولون لابن الداية. طبع اوربا. ب = سيرة أحمد بن طولون للبلوى. طبعة كرد على. ف = فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم. طبع ليدن. س = حسن المحاضرة للسيوطى. مطبعة الوطن ١٢٩٩هـ. ع = العيون الدعج فى حلى دولة بنى طغج. طبعة اوربا.

(٢) ف: وكان الذى ولى قتله فيما يزعمون عبد الله بن الزبير.

وكان اسم الأمير «حوثره»(*) فملك مملكة مصر وأعمالها وأحرق «حفصا» بالنار وقتل «رجا» بالسيف. وأخذ جميع أموالهما كما تنبأ الطوباني، ونزع الولايه منهما لأنهما طردا «حسانا» منها وتسلطا عليها بغير أمره، وانفذ أمرهما إلى الملك.

(*) وصول حوثرة بن سهيل بقوة عسكريه كبيره إلى مصر والياً عليها من قبل مروان ابن محمد بعد أن اغتصب الخلافة من ابراهيم ابن الوليد: وذلك في يوم ٢١ مارس ٧٤٤م = ١١ جماد الثاني ١٢٧هـ.

وعادت المملكة لحسان. لأجل ذلك وكان قد حكم بالحق مثل سليمان، وهو محب للبيع والأساقفه والرهبان، وكان يحب البطرك أنبا خايل وكان يحضره ويتحدث معه دفعات شتى عند

وحدثنا [١]. ابن قديد، عن عبيد الله بن سعيد، عن أبيه قال: حدثني ابن لهيعة قال: حدثني أبو الأسود.

عن أبي أويس مولاهم قال: «غزونا مع عبد الله بن سعد إفريقية، في خلافة عثمان، سنة سبع وعشرين. فبلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار، والراجل ألف دينار».

وغزا عبد الله بن سعد غزوة الأساود، حتى بلغ دمقلة[٢]، ذلك في سنة إحدى وثلاثين. فقاتلهم قتالاً شديداً. وأصيب يومئذ عين معاوية بن حديج، وعين أبي شمر[٣] بن أبرهة بن الصباح، [وعين][٤]. حيويل بن ناشرة. فهادنهم عبد الله بن سعد، فقال شاعرهم:

لَم ترَ عيني مثل يومِ دُمْقُلَهْ ... والخيلُ تعدو بالدروعِ مثقلَهْ

فحدثني ابن قديد، عن عبيد الله بن سعيد، عن أبيه، عن ابن لهيعة.

عن يزيد بن أبي حبيب أنه قال: «ليس بين أهل مصر والأساود عهد، وإنما كانت هدنة أمان بعضنا من بعض، نعطيهم شيئاً من قمح وعدس، ويعطونا رقيقاً».

قال ابن لهيعة: «لا بأس بما يشترى من رقيقهم: منهم ومن غيرهم».

قال ابن لهيعة: وسمعت يزيد بن أبي حبيب يقول: «كان أبي من سبي دمقلة».

---

(١) ر: وحدثني. (٢) هي دنقلة الآن.

(٣) كذا في ف، والإصابة ٧: ٩٩، وفي الأصل: أبو سهم. تحريف. وهو أبو شعر بن أبرهة ابن شر حبيل بن أبرهة بن الصباح الحميرى الصحابي.

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

مضيه إليه من أول بطركيته. وأما «حوثره» من بعد ما جرى أقام بمصر وجيشه. وكان محبا للارتدكسيين، وكان ينزل بوسيم وجميع جيشه تلتة سنين. ويشاور الأب أنبا مويسيس لأجل خلاص نفسه. وكان اضطراب كثير في المملكه البرانية (*) وبينهم قتال ويقتلون واحدا بعد واحد حتى ان الملك منهم لا يقيم سنه كامله إلا ويقتل. حتى قام انسان يعرف بمروان ملك تلك الترك وجا[ء] بجيشه فاخذ المملكه بقوة وساد عليها

(*) المملكة البرانية: يقصد هنا بقية بلاد الخلافة الاموية خارج مصر.

وغزا عبد الله بن سعد أيضاً ذا الصواري، في سنة أربع وثلاثين. وفلقيهم قسطنطين بن هرقل في ألف مركب، ويقال: في سبع مئة. والمسلمون في مئة مركب أو نحوها. فهزم الله الروم. وإنما سميت غزوة ذي الصواري، لكثرة صواري المراكب واجتماعها.

وأمر عبد الله بن سعد، في إمراته، بتحويل مصلى عمرو بن العاصي، كان يقابل اليحموم[1]. فحوله إلى موضعه اليوم المعروف بالمصلى القديم.

حدثنا ابن قديد قال: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم قال: حدثنا هاني بن المتوكل، عن ابن لهيعة، ورشدين بن سعد [2]،، عن الحسن بن ثوبان.

عن حسين بن شُفي [3]،، عن أبيه «أنه لما قدم مصر، وأهل مصر قد اتخذوا مصلى بحذاء ساقية أبي عون التي عند العسكر[4].. فقال: مالهم وضعوا مصلاهم في الجبل المقروف الملعون، وتركوا الجبل المقدس [5].؟ قال الحسن ابن ثوبان : فقدموا مصلاهم إلى موضعه الذي هو به اليوم».

(١) اليحموم : جبل مطل على القاهرة من شرقيها الشمالي. وفي ك: النجوم تحريف.

(٢) كذا في ف (١٥٨)، وتؤيده الروايات التالية عنه، وفي ك، ر: راشد بن سعد.

(٣) الحسين بن شفي بن ماتع الأصبحي، مات سنة ١٢٩. وف ر: حسين بن سقي، خطأ.

(٤) كذا في ف ، خـ (٢ : ٤٥٤)، ن (١ : ٣٢٦)، وفي الأصل: المعسكر.

(٥) المقروف: الملعون، ويذهب ك إلى أن الكلمة مضرب عليها. ويريد بالجبل الملعون اليحموم، أما الجبل المقدس فهو المقطم . وانظر خـ ١٠ : ٥ب١٢)وف (١٥٦) ون (١ : ٣٠، ٣٦، ٣٧) ومعجم البلدان لياقوت، وغيرها.

بذراع قويه مثل فرعون، ولم يقدر احد على مقاومته حتى ابادهم بالسيف. وكان كل سنه يسفك دما كثيرا لكلمن يقاتله.

وكان في بيته شماس خلقدونى اسمه تاوفيلكتس [تاوفيليكا] صايغ يصوغ الذهب لاهله ويسيالهم [يسألهم] ان يأخذوا له درجه من الملك بجعله بطركا على أصحابه اليونانيين له [لأنه] لم يكن لهم بطرك في ذلك الزمان، ففعل له ذلك سرعة وصيروه بطركا على الخلقدونيين.

ووفد عبد الله بن سعد إلى أمير المؤمنين عثمان، حين حين تكلم الناس بالطعن على عثمان واستخلف على مصر عقبة بن عامر الجهنى، في قول الليث وغيرة. وقال يزيد بن أبي حبيب: استخلف عليها السائب بن هشام بن عمرو العامرى [1].. وجعل على خراجها سليم بن عتر التجيبى[2].. وكانت وفادته في وجوه الجند، في رجب سنة خمس وثلاثين.

٣. محمد بن أبى حذيفة(*).

ابن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف

ثم انتزى [3]. محمد بن أبي حذيفة، في شوال سنة خمس وثلاثين، على عقبة ابن عامرخليفة عبد الله بن سعد، فأخرجه من الفسطاط، ودعا إلى خلع عثمان، وحرض عليه بكل شئ يقدر عليه، وأسعر البلاد.

حدثنا الحسن بن محمد المدينى [4].قال: حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير قال: حدثنى

---

(١) كذا في ن (١ :٨٣، ٩٢) ف (٢٣٣) ط (١ : ٣٠٥٧) وفي الأصل: السائب بن هشام بن كنانة العامرى.

(٢) كذا في ن (١ :٩٢)، وفي الأصل: سليمان بن عمر، خطأ. وأبو سلمة سليم بن عتر التجيبى، قاضى مصر وقاصها وناسكها، وهو أول من قص بمصر، وأول من سجل سجلا في المواريث، وتولى القضاء عشرين سنة، ومات سنة ٧٥.

(*) الخطط (١ : ٣٠٠)، والنجوم (١ :٩٤) وحسن المحاضرة (٢ :٣)، وغيرها من الكتب .

(٣) انتزى: وثب. (٤) ك: المدنى

وقامت السلامة والهدو بمصر خمس سنين، ثم انهم اخرجوه من مصر وولو انسانا اسمه عبدالملك بن موسى بن نصير من جنس «حسان»(*) اليهودى وكان قد جا [ء] من المغرب، وكان يبغض النصارى جدا ومعه تكبر عظيم، وانزل تعبا عظيما على اهل مصر، واظهر امورا عظيمه بمصر، واخذ «لمروان» الذهب والفضه والنحاس والحديد وكل شي يجده. وكان يفعل ذلك بمشورة رجل سو يتعلم هذه الأفعال من الشيطان، وكان

(*) عزل حوثرة وتولى عبد الملك ابن مروان سنة ٧٥٠م.

انظر الهامش السفلى ص٣٩٥.

الليث، عن عبد الكريم بن الحارث الحضرمى: «ان ابن أبى حذيفة كان يكتب الكتب على ألسنة أزواج النبى صلى الله عليه وسلم. ثم يأخذ الرواحل فيضمرها، ثم يأخذ الرجال الذين يريد أن يبعث لذلك معهم فيجعلهم على ظهور البيوت، فيستقبلون بوجوهم الشمس لتلوحهم تلويح المسافر. ثم يأمرهم أن يخرجوا إلى طريق المدينة بمصر. ثم [يرسلون[1].] رسلاً يخبرون بهم الناس ليلقوهم، وقد أمرهم إذا لقيهم الناس أن يقولوا: ليس عندنا خبر، الخبر فى الكتب. ثم يخرج محمد بن أبى حذيفة [والناس[2].] كأنه يتلقى رسل أزواج النبى، عليه السلام، فإذا لقوهم قالوا: لا خبر عندنا، عليكم بالمسجد. فيقرأ عليهم كتب أزواج النبى. فيجتمع الناس فى المسجد اجتماعاً ليس فيه تقصير. ثم يقوم القارئ بالكتاب فيقول: إنا لنشكو إلى الله وإليكم ما عمل فى الإسلام، ما صنع فى الإسلام. فيقوم [3] أولئك الشيوخ من نواحى المسجد بالبكاء. ثم يقول ثم ينزل عن المنبر. وينفر الناس بما قرئ عليهم».

فلما رأت ذلك شيعة عثمان، اعتزلوا محمد بن أبى حذيفة ونابذوه [4]، وهو معاوية بن

(١) مابين الأقواس زيادة تناسب السياق عن الخطط ٢٠: ٣٣٥).
(٢) مابين الأقواس زيادة تناسب السياق عن الخطط ٢٠: ٣٣٥).
(٣) كذا فى خـ، ر، وفى الأصل: فيقول ، تحريف.
(٤) كذا فى خـ، وفى الأصل: وبارزوه، ولامعنى لها هنا.

ريسا على جميع صنايع مصر وامور المملكه اسمه «عبدالرحيم» وأنتهى بغيه إلى ما لم يسمع بمثله، وهو انه اخذ الاطن [دهانات](*) وعقاقير اخلط جميعها ودهن بها مراكب الأسطول لكى إذا وقع على المراكب النار من الروم لا تحترق، وكان ذلك مما نظرت بعينى وقد ضربت المراكب بالنار فلم تحترق بل تطفى النار للوقت.

(*) دهان للسفن يمنع عنها النيران.

وكانو تجار البلاد اليونان يصلون ببضايعهم

حديج، وخارجة بن حذافة، وبسر بن أبى أرطاة، ومسلمة ابن مخلد الأنصارى، وعمرو بن قحزم الخولانى [١]، ومقسم بن [بجرة، وحمزه بن سرح بن كلال، وأبو الكنود] [٢] سعد بن مالك الأزدى، وخالد ابن ثابت الفهمى [٣]، فى جمع كثير ليس لهم من الذكر ما لهؤلاء وبعثوا سلمة ابن مخزمة[٤] التجيبى ثم أحد بنى زميلة إلى عثمان، ليخبره بأمرهم، وبصنيع ابن أبى حذيفة.

حدثنا العباس بن محمد قال: حدثنا عمرو بن سواد قال أخبرنا ابن وهب قال: حدثنى ابن لهيعة، عن يزيد بن أبى حبيب، عن ربيعة بن لقيط قال:

سمعت سلمة بن مخزمة قال: «لما انتزى ابن أبى حذيفة بمصر بخلع عثمان، دعا الناس إلى أعطياتهم. قال: فأبيت أن آخذ منه، فقدر لى أنى ركبت إلى عثمان،فقلت: يا أمير المؤمنين، إن ابن أبى حذيفة إمام ضلالة كما قد علمت، وانه انتزى عليك بمصر، فدعانا إلى أعطياتنا، فأبيت أن آخذ منه. قال: قد عجزت، إنما هو حقك».

(١) ك: عمرو بن حزم الخولانى، خطأ.
(٢) مابين القوسين زيادة من خـ، سقطت من الأصل.
(٣) كذا فى ر، خـ. وفى الأصل ، ك: القهرى. وانظر س١ : ١١٣.
(٤) كذا فى ر، ك. وفى خـ: مخرمة، بالراء.

فجمعو مالا بينهم ودفعوه لمروان وسألوه ان يدعهم ينون بيع بمصر، فاجابهم وأصحاب «تاوفيلكتس» الخلقدونى ويدعى «قسما» قالوا له ان لنا كنايس كثيرا بمصر تغلبو عليها «التاوضوسيون» يعنى «القبط» عند اخذ مُلك الروم وليس لنا بيعه، نسأل ان يكتب لنا الملك كتبا على ايدينا إلى مصر بان تسلم لنا بيعة «أبى مينا»(*) «بمريوط» لنتقرب فيها لأن كان لها اسم وعجايب كتير واوقاف فى كل موضوع. فاخذ «تاوفيلكتس» الكتب إلى

(*) خلاف حاد بين القبط والخلقدينيون على بيعة أبى مينا بمريوط.

وبعث أمير المؤمنين عثمان سعد بن أبي وقاص إليهم ليصلح أمرهم.

فحدثني محمد بن عبد الوارث بن جرير قال: حدثنا ياسين بن عبد الأحد بن الليث قال: حدثني أبي، عن يحيى بن أيوب.

عن يزيد بن أبي حبيب: «ان محمد بن أبي حذيفة لما انتزى على عثمان، بعث سعد بن أبي وقاص إلى أهل مصر يعطيهم ما سألوا. فبلغ ذلك ابن أبي حذيفة، فخطبهم ثم قال: ألا إن الكذاب كذا وكذا قد بعث إليكم سعد بن مالك ليِفُل جماعتكم، ويشتت كلمتكم، ويوقع التخاذل فيكم [1]، فانفروا إليه. فخرج إليه منهم بمئة أو نحوها. فلقوه بمرحلة بنى سعد، وقد ضرب فسطاطه، وهو قائل. فقلبوا [2] عليه فسطاطه، وشجوه، وسبوه. فركب راحلته وعاد راحلاً من حيث جاء، وقال لهم ضربكم الله بالذل والفرقة، وشتت أمركم، وجعل بأسكم بينكم، ولا أرضاكم بأمير [3]ولا أرضاه عنكم».

حدثني محمد بن موسى الحضرمي قال: حدثني أحمد بن يحيى بن عميرة الجذامي قال: حدثنا عبد الله بن يوسف، عن ابن لهيعة،

(١) خـ (٢: ٣٣٥) ليفل جماعتكم.. ويوقع التجادل بينكم.
(٢) كذا في خـ، ر. وفي الأصل، ك: فليقلبوا
(٣) كذا في خـ ،ر. وفي الأصل ، ك: بأمر.

«عبدالملك بن موسى بن نصير» بأن يكشف الحال بين اليعاقبه والخلقدونيين ويحققو من بنى هذه البيعه ويسلموها إليه. فلما وقف على الكتب من عند «مروان» انفذ اميرا إلى اسكندريه وتقدم باحضار البطركين اليعقوبى والخلقدونى. وكان الصوم(*) قد قرب، فامر بإحضارهما، ولما وصل انبا خايل إلى وسيم خرج إليه الأسقف أنبا «مويسيس» وسار معه إلى ان وصل إلى «عبدالملك»، وكان معنا الأسقف أنبا «تادرس»

(*) يراعى المصريون القبط صوماً طويلاً شاقا. وهم يصومون ثلاثة أيام قبل «الصوم الكبير» بأسبوع. ويراعى بعض الاقباط هذا الصوم بالحرمان التام مدة ثلاثة ليال، ويراعيه آخرون كما يراعون أيام=

عن يزيد بن أبي حبيب قال: «انتزى محمد بن أبي حذيفة على الإمارة فأمر على مصر، وتابعه أهل مصر طراً، وإلا أن يكون عصابة، منهم معاوية ابن خديج، وبسر بن أبي أرطاة».

وحدثني ابن قديد، عن عبيد الله بن سعيد، عن أبيه، عن ابن لهيعة.

عن يزيد بن أبي حبيب قال: «وأقبل عبد الله بن سعد حتى إذا بلغ جسر القلزم وجد به خيلاً لابن أبي حذيفة، فمنعوه أن يدخل. فقال: ويلكم! دعوني أدخل على جندي، فأعلمهم[1] بما جئت به، فإني قد جئتهم بخير. فأبوا أن يدعوه، فقال: والله لوددت أني دخلت عليهم فأعلمتهم بما جئت به ثم مت. فانصرف إلى عسقلان، وكره أن يرجع إلى عثمان. فقتل عثمان، وهو بعسقلان، ثم مات بها.

وأجمع محمد بن أبي حذيفة على بعث جيش إلى عثمان.

فحدثني محمد بن موسى قالك حدثنا أحمد بن يحيى بن عميرة قال:

حدثنا عبد الله بن يوسف قال: «من يشترط [2] في هذا البعث؟ فكثر عليه من يشترط. فقال: إنما يكفينا منكم ست مئة رجل. فاشترط من أهل مصر ست مئة رجل، على كل مئة منهم رئيس، وعلى جماعتهم عبد الرحمن بن عديس البلوى، وهو كنانة بن بشر بن

(١) كذا ر، خـ. وفى ك: فأعلم.
(٢) خـ (٢: ٣٣٥): يتشرط في السياق كله.

أسقف مصر، الذى كان قبل اسقفيته أرشيد ياقن بيعة القديس «ابى مقار» «بوادى هبيب»، وكنا نحضر إلى القصر مع الخلقدونيين كل يوم، واقمنا كذلك أربعين يوم الصوم من باكر إلى اخر النهار، وكان اسقف الروم يمضى معنا «وقسما» بطركهم. وكان الأسقف المذكور يبغض اهل ملته وقال انا ما جيت إلى ان اجعل للثالوث رابعا، وكان اسمه «قسطنطين» ومعه شماس يسمى «انسطاسيوس» من بيعة الملكيه باسكندريه. وجمع «عبدالملك»

= الصوم الاخرى أهمها «الصوم الكبير» المشار عليه سابقاً، محدداً في الأصل بأربعين يوماً، غير أن البطاركه المختلفين جعلوه بالتدريج خمسة وخمسون يوماً. ويمتنع الأقباط أثناء هذه الفترة، ماعدا يومين منها أذكرهما فيما بعد عن أى طعام حيوانى مثل البيض واللحوم واللبن والزبد والجبن، ويأكلون الخبز والخضروات فقط (الفول خاصة) بالزيت غير الحار، أو زيت السمسم، والبصاره، و«الدقة» .

سلمان[١] التجيبي، وعروة بن شييم[٢] الليثى، وأبو [عمروا بن بديل بن ورقاء الخزاعى، وسودان بن أبى رومان[٣] الأصبحى، وذرع بن يشكر اليافعى[٤]».

قال يزيد بن أبى حبيب: «وسجن رجال من أهل مصر فى دورهم : منهم بسر بن أبى أرطاة، ومعاوية بن حديج. فبعث ابن أبى حذيفة إلى معاوية بن حديج، وهو أرمد[٥]، ليكرهه على البيعة. فلما رأى ذلك كنانة بن بشر، وكان رأس الشيعة الأولى، دفع عن معاوية بن حديج ما كره».

ثم قتل عثمان،رحمه الله، وكان قتله فى ذى الحجة سنة خمس وثلاثين. ثم إن الركب. انصرفوا إلى مصر. فلما دخلوا الفسطاط ارتجز مرتجزهم.

خُــــذْها إلَيْكَ واحــــذَرَنْ أبا حَـــسَن[٦]

(١) خـ: سليمان واختلف المؤرخون فى أسماء هؤلاء الرؤساء جميعاً، وانظر ط ١٠ : ٣٥) ث (٣: ١٢٥) وغيرهما.
(٢) خـ: سليم. ر، ك: شتيم.و الصواب ما أثبتناه عن ق، ء.
(٣) خـ: سودان بن ريان . ط، ث: سودان بن حمران.
(٤) ر: درع . خ: زرع.. النافعى. ط: زرع.
(٥) كذا فى خـ، وفى ك، ر: أرمل ولا معنى لها هنا.
(٦) كذا ر، خـ (٢ : ٣٣٥)، وابن دريد: الاشتقاق ٢٤٦. وفى ك، والأصل : واحذروا.

الملكيين وقرا عليهم الكتاب وكشف عن الحق وجرى من الخصومه قدامه امر عظيم، وكانو الأرتدكسيون ظافرين بالخلقدونيين وما يخاطبون به من الكتب المقدسة حتى ان «عبدالملك» تعجب، ثم احضر صاحب ديوانه وكان رجلا مسلما تحت يده ديوانان، ورجلا أخر اسمه «عيسى بن عامر» وسلمهم له ليطول روحه عليهم ويسمع كلامهم ويعرفه، وامر أن يكتب كل منا ما يقوله فى كتاب. فمضو الخلقدونيون سرا إلى دار عيسى وحملو إليه

وتفتح الكنائس لإقامة القداس مدة الصوم. ولايتناول الاقباط شيئا بعد العشاء إلى مابعد الصلوات الكنسية فى اليوم التالى ظهراً تقريباً، ولكنهم لا يفعلون ذلك في أيام الصوم الاخرى.
وهم يراعون مع ذلك بدقة مماثلة تقريباً، ثلاث فترات صوم أخرى:
الأولى : «صوم الميلاد» ومدته ثمانية وعشرون يوماً تسبق عيد الميلاد مباشرة، أى شهر كيهك كله ماعدا اليومين الأخيرين.
الثانية : «صوم الرسل». ويقع بين

إنّا نُمِرّ الحَرْبَ إمْرارَ الرّسَنِ[(١)]
بالسّيفِ كَيْ تَخْمدَ نيرانُ الفِتَنِ[(٢)]

قال يزيد بن أبى حبيب: «فلما دخلوا المسجد صاحوا: إنا لسنا قتلة عثمان، ولكن الله قتله. فلما رأى ذلك شيعة عثمان قاموا وعقدوا لمعاوية بن حديج عليهم، وبايعوه. فكان أول من بايع على الطلب بدم عثمان، وفيهم يحيى بن يعمر الرعيسى ثم العبلى. فسار بهم معاوية بن حديج إلى الصعيد. فبعث إليهم ابن أبى حذيفة خيلاً. فالتقوا بدقناش[(٣)] من كورة البهنسا. فهزم أصحاب ابن أبى حذيفة. ومضى معاوية بن حديج حتى بلغ برقة، ثم رجع إلى الإسكندرية.

ثم إن ابن حذيفة أمر بجيش آخر، عليهم قيس بن حرمل اللخمى، وفيهم ابن الجثما البلوى. فاقتتلوا بخربتا[(٤)] أول يوم من شهر رمضان سنة ست وثلاثين. فقتل قيس بن حرمل وابن الجثما وأصحابهما.

(١) كذا ر، خـ. وفى ك، والأصل : إنما نمر. والرسن: الحبل . ومره: فتله.
(٢) كذا خـ، وفى ر: تخمد. وفى ك، والأصل : تحمد نيران الوسن.
(٣) فى الأصل: بدقياس. وترسم على ثلاث صور: دقناش، ودقناس، ودقانس؛ ومكانها الآن حوض دقناش بأراضى ناحية مزورة من مركز ببا بمديرية بنى سويف.
(٤) خربتا: من مركز النجيلة بمديرية البحيرة الآن.

هدايا ليساعدهم فيما يلتمسونه، فجمع الأب البطرك انبا خايل اساقفته وكتب كتابا مملو من كل حكمه ونعمة الله وكلام كتب الله المقدسه، وما كان من بنا [ء] البيعه للشهيد مارى مينا وما لقيه أباونا البطاركـــه مـــن التـــعب والنفى مـــن الخلقدونيين واخذ البيع منهم بيد ملوك الروم، وكتبو ذلك قبطيا وعربيا، فلما اجتمعو دفعو ذلك إلى عيسى المذكور فقرا وتعجب مـن الفاظه، ثم احضر الخلقدونيون كتاب طوله شبر فيه

عيد الصعود والخامس من أبيب. وهو ذكرى لصوم الرسل بعد أن فقدوا سيدهم.
الثالثة: «صوم العدرا» ومدته خمسة عشر يوما سابقة على عيد رفع العدرا للسماء. ويصوم الاقباط أيضاً كل أربعاء وجمعة في أى فترة أخرى من السنة ماعدا الخمسين يوماً اللاحقة للصوم الكبير مباشرة. أى من انتهاء الصوم الكبير إلى آخر الخماسين. وفى أيام الاربعاء والجمعة هذه يتناولون السمك والخضر والزيت فقط.

وسار معاوية بن أبي سفيان إلى مصر، فنزل سلمنت من كورة عين شمس، في شوال سنة ست وثلاثين. فخرج إليه ابن أبي حذيفة وأهل مصر، ليمنعوا معاوية وأصحابة أن يدخلوها. فبعث إليه معاوية: إنا لا نريد قتال أحد، إنما[1] جئنا نسأل القود بدم عثمان؛ ادفعواإلينا قاتليه: عبد الرحمن بن عديس، وكنانة بن بشر، وهما رأسا القوم. فامتنع ابن أبي حذيفة وقال: لو طلبت منا جدياً رطب السرة بعثمان[2] ما دفعناه إليك. فقال معاوية بن أبي سفيان لابن أبي حذيفة: اجعل بيننا وبينكم رهناً، فلا يكون بيننا وبينكم حرب. فقال ابن أبي حذيفة: فإني أرضى بذلك.

فاستخلف ابن أبي حذيفة على مصر الحكم بن الصلت بن محرمة بن المطلب ابن عبد مناف. وخرج في الرهن هو وابن عديس. وكنانة بن بشر، وأبو شمر[3] بن أبرهة الصباح، وغيرهم من قتلة عثمان. فلما بلغوا لد، سجنهم معاوية بها، وسار إلى دمشق . فهربوا من السجن إلا أبا شمر[3] بن أبرهة، فقال: لا أدخله أسيراً وأخرج منه آبقاً[4]. وتبعهم صاحب فلسطين فقتلهم. فأتبع عبد الرحمن بن عديس رجل من الفرس، فقال له عبد الرحمن: اتق

(١) كذا ر، خـ. وفي الأصل ، ك: إنا.
(٢) كذا ر، خـ . وفي الأصل ، ك: رطبا لعثمان . تحريف.
(٣) كذا خـ، وهو الصحيح كما سبق. وفي ر، ك : أبو شمس. تحريف
(٤) كذا خـ، ر. وفي الأصل ، ك: أيضاً. تحريف.

كلمتان فلما قراه ضحك وهز رأسه، ثم قرى الكتابان علانيه، وكل الحاضرين يسمعون ما فيها. فقال له أبونا البطرك أنبا خايل: أيها السيد الكاتب ما يجب ان نجعل اعدانا الذين ليس لهم الاه يسمعون كلامنا فيجعلوه لهم حجه فيما بعد. فقال: انا اقر الكتاب. وانما فعل ذلك بمكر ومراعاة لهم لجل البرطيل.

والذى كان فى كتاب الأب البطرك المغبوط هو

ويتبع كل صوم عيد. وللأقباط سبعة أعياد كبيرة: أولا، «عيد الميلاد» فى ٢٩ كيهك = ٧يناير. ثانيا: «عيد الغطاس». وفى «طوبه (١٨ أو ١٩ يناير)، ذكرى تعميد المسيح. ثالثا: «عيد البشارة». فى ٢٩ برمهات (٦أبريل). رابعاً: «عيد الشعانين» أحد السعف قبل عيد الفصح. خامساً: «عيد القيامة» أو الفصح أو العيد الكبير. سادسا: «عيد الصعود». سابعاً: «عيدالعنصره».

الله فى دمى، فإنى بايعت النبى، صلى الله عليه وسلم، تحت الشجرة! فقال له : الشجر فى الصحرا كثير. وقتله».

وأخبرنى ابن قديد، عن يحيى بن عثمان بن صالح ، عن ابن عفير، عن الليث قال: «قال محمد بن أبى حذيفة فى الليلة التى قتل فى صباحها: هذه الليلة التى قتل فى صباحها عثمان، فإن يكن القصاص لعثمان فسنقتل فى غد. فقتل فى الغد».

وكان قتل ابن أبى حذيفة، وابن عديس، وكنانة بن بشر، ومن كا ن معهم فى الرهن، فى ذى الحجة سنة ست وثلاثين.

٤ . ولاية قيس بن سعد(*)

ابن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبى حزيمة(١) بن ثعلبة

ابن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج

ثم وليها قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى، من قبل أمير المؤمنين على ابن أبى طالب رضى

(*) الخطط (١ :٣٠٠، والمنجوم (١ :٩٥)، وحسن المحاضرة (٢ :٤)، وغيرها من كتب الصحابة.

(١) كذا فى ت، ر. وطبقات ابن سعد ٣(٢): ١٤٢، وأسد الغابة لابن الأثير (٢ :٢٨٣). وفى ك، والأصل، والاستيعاب لابن عبد البر أبى خزيمة، بالخاء خطأ. وفى تهذيب الأسماء للنووى ٢٧٤، وأسد الغابة والإصابة (٣ :٨٠: حارثة بن حزام بن حزيمة.

ذا نذكر بعضه: خايل بنعمة الله اسقف مدينة اسكندريه والشعب التاوضوسى، إلى السادة [الملوك] من اجل بيعة الجليل مارى مينا بمريوط، وكان في ذلك الزمان [السابق] الملوك المومنون المحبون لله ارغاديوس وانوريوس على عهد الأب القديس تاوفيلس البطرك، ابتدا بعمارة [بيعة الجليل] يوحنا المعمدان، فلما كملها بني بيعة أبى مينا بمريوط وبيعة اخرى على اسم تاوضوسيوس بن أرغاديوس الملك الذى ساعده على بنا البيع،

وتقام الصلوات فى الكنائس فى أول هذه الاعياد وثانيها وخامسها ليلاً، أى فى الليلة السابقة على يوم العيد.

الله عنه؛ لما بلغه مصاب ابن أبى حذيفة بعثه عليها، وجمع له الصلاة والخراج. فدخلها مستهل شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين. فجعل على شرطته السائب بن هشام بن عمرو[١]. فاستمال قيس بن سعد الخارجية بخربتا، وبعث إليهم أعطياتهم. ووفد عليه [٢] وفدهم، فأكرمهم وأحسن إليهم.

فحدثنى محمد بن موسى الحضرمى قال: حدثنا أحمد بن يحيى بن عميرة قال: حدثنا عبد الله بن يوسف، عن ابن لهيعة، عن يونس بن يزيد،

عن ابن شهاب قال: «كانت مصر من جيش على، فأمر عليها قيس بن سعد، وكان من ذوى الرأى والبأس[٣]، إلا ما غلب عليه من أمر الفتنة. فكان معاوية وعمرو جاهدين أن يخرجاه من مصر. فتغلب[٤] على أمرها، وكان قد امتنع منهما بالدهاء والمكايدة، فلم يقدرا على أن يلجا (يدخلا) مصر حتى كاد معاوية قيساً من قبل على. فكان معاوية يحدث رجالاً من ذوى الرأى من قريش، فيقول: ما ابتدعت من مكايدة قط أعجب إلى من مكايدة كدت

(١) فى الأصل: بن كنانة ،كما سبق.
(٢) فى الأصل: عليهم.
(٣) كذا ر، ك، ط (١: ٣٢٤١)، وفى الأصل: من الناس.
(٤) خـ (٢: ٣٣٦): ليغلبا على أمرها.

ولما تنيح تاوفيلس صار كلمن جا بعده يبنى فيها قليلا قليلا إلى أيام طيماتاوس البطرك فهو الذى كملها. وبعد هذا اتى ملك شيطان اسمه مرقيان وهو الذى قسم البيعه بامانته الفاسدة، ونفا الأب الجليل ديسقرس البطرك المجاهد عن امانة آبايه المستقيمه واخذ امانة جديده مرذوله، وساعده على ذلك لاون بطرك روميه الذى احرمه ديمقرس البطرك واحرم أقواله الطمثه المملوه كفرا، وفعل الملك المذكور باولاد البيعه الأرتدكسيه افعال قبيحه

بها قيس بن سعد، حين[1] امتنع منى قيس، قلت لأهل الشام: لا تسبوا قيساً ولا تدعوا إلى غزوه، فإن قيسا لنا شيعة، تأتينا كتبه ونصيحته [سرا][2]، ألا ترون ماذا يفعل بإخوانكم النازلين عنده بخربتا، يجرى عليهم أعطياتهم وأرزاقهم، ويؤمن سربهم، ويحسن إلى كل راكب يأتيه منهم.

قال معاوية: وطفقت أكتب بذلك إلى شيعتى من أهل العراق، فسمع بذلك جواسيس على بالعراق، فأنهاه إليه محمد بن أبى بكر الصديق وعبد الله بن جعفر، فاتهم قيساً، فبعث إليه يأمره بقتال أهل خربتا، وبخربتا يومئذ عشرة آلاف، فأبى قيس أن يقاتلهم، وكتب إلى على: «إنهم وجوه أهل مصر وأشرافهم وأهل الحفاظ، وقد رضوا منى بأن أؤمن سربهم، وأجرى عليهم أعطياتهم وأرزاقهم، وقد علمت أن هواهم مع معاوية، فلست مكايدهم بأمر أهون من الذى أفعل بهم، وهم أسود العرب، منهم بسر بن أبى أرطاة، ومسلمة بن مخلد، ومعاوية بن حديج»، فأبى عليه إلا قتالهم فأبى قيس أن يقاتلهم، وكتب إلى على: «إن كنت تتهمنى فاعزلنى ، وابعث غيرى». فبعث الأشتر.

(١) كذا خـ، ر. وفى الأصل ، ك: حتى. تحريف.
(٢) زيادة عن خـ، ن.

فظلم كثيرا وقتل منهم وطرد ونفا وقاسو منه شدايد عظيمه، ولم يزل معهم هكذا مظلومين إلى ان صارت المملكه للساده المسلمين وإلى الان نحن معهم متخاصمين.

هكذا يسير من كتير مما تضمنه كتاب الاب الجليل أنبا خايل البطرك. واما الخلقدونيين فكتبو وقالو: في البدايه كان الملك لنا والكنايس وجميع مالها لنا وإنما المسلمون سلموها للقبط عند تغلبهم على ديار مصر.

حدثنا حسن المديني [١] قال: حدثنا يحيى بن بكير، عن الليث.

عن عبد الكريم بن الحارث قال: لما ثقل مكان قيس على معاوية كتب إلى بعض بني أمية بالمدينة: «أن جزى الله قيس بن سعد خيراً، فإنه قد كف عن إخواننا من أهل مصر، الذين قاتلوا في دم عثمان. واكتموا ذلك، فإني أخاف إن يعزله علي إن بلغه ما بينه وبين شيعتنا» حتى بلغ علياً . فقال من معه من رؤساء أهل العراق وأهل المدينة: بدل قيس وتحول . فقال علي: ويحكم ! إنه لم يفعل ، فدعوني. قالوا : لتعزلنه فإنه قد بدل . فلم يزالوا به حتى كتب إليه : «إني قد احتجت إلى قربك ، فاستخلف على عملك، واقدم». فلما قرأ الكتاب قال: هذا من مكر معاوية، ولولا الكذب لكدت بمعاوية مكراً يدخل عليه بيته.

حدثنا أبوالعلى قال: حدثنا هشام بن عمار قال: حدثنا الجراح بن مليح قال: حدثنا أبو رافع.

عن قيس بن سعد قال : لولا أن سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول : «المكر والخديعة في النار» لكنت من أمكر الناس.

فوليها قيس بن سعد، إلى أن عزل عنها، أربعة أشهر وخمسة أيام صرف لخمس خلون من رجب سنة سبع وثلاثين.

(١) الأصل ، ك: المدني.

وكان عيسى لأجل البرطيل الذى اخذه منهم يريد ان يصدقهم ويكذب القبط، فقال: لا انتم ولا هم اتيتم بحجه فامضو واكتبو غير هذين الكتابين واحضروهم الينا. ففعلنا كقوله، فقال أيضا: ليس هذا كلام فامضو واكتبو غير هذين الكتابين. ولم يزل يدافعنا شهرا كاملا. فقال بعض الحاضرين لانبا مويسيس اسقف وسيم: الراى يدفع أبينا البطرك لهذا شيا لينصفنا من هولا المقاومين المعادين المعاندين. فقال له: يا ولدى ما يليق

---

٥. الأشتر(*)

مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن الحارث ابن جذيمة[١] بن سعد بن مالك بن النخع بن عمرو بن علة ابن جلد[٢] بن مذحج

ثم وليها الأشتر مالك بن الحارث النخعى، من قبل أمير المؤمنين على فسار إليها حتى نزل القلزم، مستهل رجب سنة سبع وثلاثين.

فحدثنى على بن الحسن بن قديد قال: حدثنا هارون بن سعيد بن الهيثم قال: حدثنى خالد بن نزار، عن سفيان بن عيينة، عن مجالد، عن الشعبى،

عن عبد الله بن جعفر قال: «كنت إذا أردت أن لا يمنعنى على شيئاً قلت: بحق جعفر، فقلت له: أسألك بحق جعفر ألا بعثت الأشتر إلى مصر، فإن ظفرت[٣] فهو الذى تحب، والا استرحت منه».

(*) الخطط (١: ٣٠٠)، والنجوم (١: ١٠٢)، وحسن المحاضرة (٢: ٦).
(١) الأصل، ك: حزيمة. واختلف فى ولاية الأشتر أكانت قبل محمد بن أبى بكر أم بعده. انظر ن (١: ١٠٢).
(٢) كذا ت، ر. وفى الأصل، ك: خلد.
(٣) خـ (٢: ٣٣٦): ظهرت.

بالبطاركه والأساقفه ان يدفعو البرطيل لحد. كما انهم لا يليق بهم اخذه من حد، وما أقمنا بعد سنه ولا سنتين ولا تلتين سنة صابرين مثل ابابنا ونحن الان مقيمون في مواضعنا وكنايسنا بيدنا، والله ما يغفل عنا ولا يتخلى عن معونتنا.

وفي ذلك الأسبوع كافا الله أوليك المخالفين بصلوات أبينا، وعزل(*) ذلك الوالي عن كتابه وديوانه، وصار اخر عوضه رجل من اولاد قضاة المسلمين يسمى أبا الحسين وكان شيخا وديعا لا

(*) عزل عيسى الوالي وتولى أبا الحسن.

قال سفيان: وكان قد ثقل عليه وأبغضه وقلاه. قال: فولاه. وبعثه، وبعث معه طيرين لي من العرب، فلما قدم قلزم مصر لقى بها بما يلقى به العمال هنالك، فشرب شربة عسل فمات. فلما قدم طيراى أخبراني. فدخلت على علي، فأخبرته، فقال: لليدين وللفم[1]

قال سفيان، عن عمرو بن دينار: إن عمرو بن العاص قال، لما بلغه موته: إن لله جنوداً في عسل[2].

حدثنا حسن بن محمد المديني [3] قال: حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير قال: حدثني الليث.

عن عبد الكريم بن الحارث قال: «وبعث علي مالك الأشتر على مصر. فلما قدم القلزم شرب شربة من عسل، فمات. فبلغ ذلك معاوية وعمراً، فقال عمرو: إن لله جنوداً من العسل».

حدثني محمد بن موسى الحضرمي، قال: حدثنا أحمد بن يحيى بن عميرة، عن عبد الله بن يوسف، عن ابن لهيعة.

(١) لليدين وللفم: دعاء عليه بمعنى كبه الله على وجهه.
(٢) كذا في الأصل، ك. وفي خـ، ن، ر: إن الله جنوداً من عسل، وإن لله جنوداً من العسل.
(٣) ك: الحسن. المدني.

يحابى احدا ولا يأخذ برطيلا، وكان حكيما فى كلامه يقطع بالحق فى قوله، فسلمونا له ليحكم بيننا وكانت اول حكومته انه قال: من هو أبو اليعاقبة فيكم؟ فاشارو الحاضرون إلى انبا خايل وقالو: هو ذا هو. ثم قال: [اين] أبو الملكيه. أوروه الاخر. فقال لانبا خايل: انت على امانة يعقوب اسقف اورشليم احد تلاميذ السيد المسيح؟ قال: نعم انا هو. ثم التفت إلى الاخر وقال: عرفنى أيها الشيخ من أبوك وما ملتك؟ قال له بطرك الملكيه:

عن يزيد بن أبى حبيب قال «بعث على مالك الأشتر أميراً على مصر. فسار يريد مصر حتى نزل جسر القلزم، فصلى حين نزل من راحلته. ودعا الله إن كان فى دخوله مصر خير أن يدخله إياها، وإلا لم يقض له بدخولها.

فشرب شربة من عسل فمات. فبلغ عمرو بن العاص موته، فقال: إن لله جنوداً من العسل.

حدثنا على بن سعيد قال: حدثنا سلم بن جنادة[1] قال: حدثنا أحمد بن بشير، عن مالك عن مجالد [2].

عن الشعبى قال: «لما بلغ علياً، رضى الله عنه، موت الأشتر قال: لليدين و للفم».

حدثنا موسى بن حسن بن موسى قال: حدثنا هارون بن أبى بردة قال: حدثنا نصر بن مزاحم قال: وفى حديث عمر بن سعيد، عن فضيل بن خديج [3]، عن إبراهيم بن يزيد،

عن علقمة بن قيس قال: «دخلت على على فى نفر من النخع، حين هلك الأشتر. فلما

(١) أبو السائب سلم بن جنادة السوائى العامرى الكوفى، وفى ر: سالم.
(٢) مجالد بن سعيد الكوفى، اختلف فى توثيقه، مات سنة ١٤٤هـ. وفى ر: مالك بن مجالد، وذلك خطأ لأن الذى يروى عن الشعبى هو مجالد نفسه.
(٣) كذا فى ميزان الاعتدال للذهبى (٣٣٤)، وط. وفى ر: حديج.

انا على امانة مرقيان الملك. فقال له القاضى: انت تومن بالملك وليس بالله؟ ثم قال له: قل لى أبو مذهبك من هو؟ ومن أين هو؟ حتى اعلم واحكم بينكم. فقال له: أبى الذى بدأ ووضع الأساس هو نسطور جمع مجمع بافسس وكان المقدم فيه كيرلس أبو هذا وكان معهم راهب من جبل ادريبا من أعمال أخميم واخروجوه من البيعه وساعدتهم الملكه فى ذلك الزمان، وبعد ذلك اقام الله مرقيان بسرعه لاون البطرك واجتمعا بنسطور ومن معه،

رآنى قال: لله مالك! لو كان جبلاً لكان من جبل فنداً [١]، ولو كان من حجر لكان صلداً! مثل مالك فلتبك البواكى! فهل موجود كمالك ؟! فوالله ما زال متلهفاً عليه ومتأسفاً حتى رأينا أنه المصاب دوننا وقالت سلمى أم الأسود بن الأسود النخعى ترثى مالكاً:

نَبا بى مَضْجَعى ونَبَا بى وسادى ... وعَينى مـا تَهُمّ إلى رُقـادى
كَـأنّ اللّيلَ أوثقَ جـانبـاه ... وأوْسَطَهُ بأمْـراسٍ شـداد
أبَعْـدَ الأشْتَـرِ النّخَـعىّ نَرْجـو ... مُكاثَرةً ونَقْطَعُ بَطْنَ واد ؟[٢]
أكُـرّ إذا الفَـوارسُ مُحْجِمـاتٌ ... وأضْربُ حِينَ تَخْتلِفُ الهَوادى[٣]

فقال المثنى يرثيه:

ألا ما لضَوْءِ الصّبْحِ أسْوَدَ حالكُ ... وَما للرّواسى زَعْزَعَتْها الدّكادكُ[٤]
وَما لهُمـومِ النّفْسِ شَتّى شُؤونُها ... تَظَلّ تُناجيـها النّجـومُ الشّوابكُ

---

(١) الفند: العظيم من الجبال.
(٢) كذا فى ص، ك. وجعله ر: ويقطع، ولا داعى لذلك.
(٣) هوادى الخيل: أعناقها. وأراد باختلافها اختلاطها وهجومها بعضها على بعض فى الحرب واختلاف وجهة كل منها.
(٤) الرواسى: الجبال. والدكدك: ما تكبس واستوى من الرمل، أو ما التبد منه بالأرض، أو أرض فيها غلظ، والجمع دكادك.

وملكا البيع فى كل موضع وولو اساقفه عليها إلى اليوم، واسقفنا باسكندريه كان ابروتاريوس قتلوه اسكندرانيون، فامر الملك بعسكر أنفذه إلى الاسكندريه وامرهم ان يقتلو بالسيف فقتلو تلتين ألف في ساعة واحده. فلما سمع القاضى ذلك دق يدا على يد وقال لمن كان حوله: ما اعظم هذا الظلم فاجاب ابونا الروحانى قال للقاضى: هو ذا لنا شهران ونحن في هذا الأمر، سلمنا الملك لعيسى بن عامر كما علمت أيها القاضى الذى

على مالكٍ فَلْيَبْكِ ذو اللَّيْثِ مُعولاً — إذا ذُكِرَتْ في الفَيْلَقَيْنِ المعارِكُ
إذا ابتَدَرَ الخطِّيَّ وانْتَدَبَ المَلا — وكان غِياثَ القَوْمِ نَصْرٌ مُواشكُ(١)
إذا ابْتَدَرَتْ يوْماً قبائلُ مَذْحِجٍ — ونُودى بها أينَ المُظَفَّرُ مالكُ؟
فَلَهفى عليْه حينَ تَخْتَلِفُ القنا — ويَرْعَشُ للمَوْتِ الرِّجالُ الصّعالكُ
ولَهْفى عليْه يَوْمَ دَبَّ لهُ الرَّدى — وَذِيفَ لَهُ سُمٌ مِنَ المَوْتِ حانِكُ(٢)
فَلَوْ بارزُوهُ يَوْمَ يَبْغُونَ هُلْكَهُ — لَكانوا بإذْنِ اللهِ مَيْتٌ وَهالِكُ
ولَوْ مارَسُوهُ مارَسوا لَيْثَ غابَةٍ — لَهُ كالتى لا تَرْقُدُ اللَّيْلَ، فاتِكُ
فَقُلْ لابنِ هنْدٍ: لَوْ مُنيتَ بمالكٍ — وَفى كَفِّه ماضى الضَّريبَةِ باتِكُ(٣)
لألفيتَ هِنداً تَشْتَكى عَلَن الرَّدى — تَنوحُ وتَنْحَبُوها النّساءُ العَواتِكُ(٤)

واستخلف الأشتر على مصر حمام بن عامر اللخمى أبا الأكدر ابن حمام، وكان الأكدر وأبوه من شيعة على، وحضرا الدار(٥) جميعاً.

---

(١) ابتدر الخطى: أسرع إليه. والخطى: الرماح المنسوبة إلى ميناء الخط بالبحرين. وانتدب الملا: برزوا للقتال. والمواشك: السريع.
(٢) ذيف: خلط. وحانك: أسود. (٣) ماضى الضريبة: سيف حاد قاطع. وباتك: قاطع.
(٤) العواتك: الشريفات، أو المحمرات من الطيب، أو الناشزات على ازواجهن.
(٥) الدار: المراد بها دار عثمان، أى يوم مقتله.

يحبه الله من أجل أحكامه بالحق، وقد كتبنا كتبا ودفعناها لعيسى ولم يفصل امرنا، وهو يطلب منا ما لا نعرفه. فامر بإحضار كتب اليعاقبه والملكيين فقراها وفهم مضمونها واستعظم ما كان بينهما وأخذها ودخل بها إلى الملك، فقراها وتعجب أيضا وامر بنفاذ الحكم، وامضاه فخرج القاضى وقال لقسما: انت رجل ليس لك دين ولا الاه وهو ذا كتبك تشهد عليك ان البيعه لانبا خايل، وقد عرفنا ما كتبتم فامضو واكتبو غير هذه الكتب

---

٦ . محمد بن أبى بكر الصديق(*)

عبد الله(١) بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد

ابن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب

ثم وليها محمد بن أبى بكر الصديق، ومن قبل أمير المؤمنين على، وجمع له صلاتها وخراجها. فدخلها للنصف من شهر رمضان سنة سبع وثلاثين. فجعل على شرطته عبد الله بن أبى حرملة البلوى.

فذكر بعض أشياخ مصر: أن قيساً لقى محمد بن أبى بكر فقال له: إنه لا يمنعنى نصحى لك ولأمير المؤ منين عزلهُ إياى ، ولقد عزلنى من غير وهن ولا عجز، فاحفظ عنى ما أوصيك به، يدم صلاح حالك: دع معاوية بن حديج ومسلمة بن مخلد وبسر بن أبى أرطاة ومن ضوى(٢) إليهم على ما هم إليه، تكفهم (٣) عن رأيهم، فإن أتوك ولم يفعلوا ، فاقبلهم، وإن تخلفوا عليك (٤) فلا تطلبهم، وانظر هذا الحى من مضر، فأن أولى بهم منى: فألن لهم

(*) الخطط (١ :٣٠٠)، والنجوم (١ :١٠٦)، وحسن المحاضرة (٢ :٥).

(١) الأصل: ابن عبد الله. وهو خطأ لأن عبد الله اسم أبى بكر نفسه . وانظر ن(١ : ١٠٦).

(٢) ضوى إليهم : انضم. (٣) خـ: لا تكفهم. وفى الأصل : تكشفهم.

(٤) كذا خـ. وفي ر: تخلفوا . وفي الأصل ، ك: يختلفوا عليك.

وايتونى بها. فخرجنا من عنده. فعلمو الخلقدونيون انهم مغلوبون فقررو بينهم كلاما بمكر وانفذو إلينا وفدا وكان معهم قسطنطين اسقف مصر، فقال لانبا خايل: أبوتك تعلم ما جرى علينا باسكندريه بسبب الأمانه، ونحن نريد ان يكون بيننا وبينك اتفاق فى البيعه ونعاهدك ونصير جميعا قطيعا واحدا، وارسل إلى الأب بذلك. فقال الطوبانى انبا خايل للأساقفه: ماذا تقولون فى ذلك ننفذ رسولا إليه ليسمع منطقه. فقالو: هو يفعل هذا بمكر

جناحك، وقرب عليهم مكانك، وارفع عنهم حجابك، وانظر هذا الحى من مدلج فدعهم وما غلبوا عليه، يكفوا عنك شأنهم، وأنزل الناس من بعد على قدر منازلهم، وإن استطعت أن تعود المرضى وتشهد الجنائز، فافعل، فإن هذا لا ينقصك، ولن تفعل ، إنك والله ما علمت لتظهر الخيلاء،وتحب الرياسة ، وتسارع إلى ماهو ساقط عنك، والله موفقك.

فعمل محمد بخلاف ما أوصاه قيس. فكتب إلى ابن حديج والخارجة معه يدعوهم إلى بيعته، فلم يجيبوه. فبعث بأبى عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعى إلى دور الخارجة، فهدمها، ونهب أموالهم، وسجن ذراريهم . فبلغهم ذلك فنصبوا له الحرب، وهموا بالنهوض إليه. فلما علم أنه لا قوة له بهم، أمسك عنهم.

حدثنا الحسن بن محمد المدينى [1] قال: حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير، عن الليث.

عن عبد الكريم بن الحارث قال: «فصالحهم محمد على أن يسيرهم إلى معاوية، وأن ينصب لهم جسراً بنقيوس[2]: يجوزون عليه ولا يدخلون الفسطاط. ففعلوا، ولحقوا بمعاوية» .

---

(١) ك: المدنى.

(٢) تختلف صور اسمها بين نقيوس، ونقو ، وانطقيوس، ونيقوس، ونيكرس، وانكرس، ونيسيو، وذهب جغرافيو الغرب إلى أنها البلدة التى تعرف اليوم باسم ابشادى، إحدى قرى مركز تلا بمحافظة الغربية، وكانت قبلاً تابعة للمنوفية، وذهب السيد محمد رمزى (مادة نقيوس) إلى أنها قد زالت ومحلها اليوم الكوم الأثرى الكائن بالجهة البحرية من سكن زاوية رزين بمركز منوف، المعروف عند الأهالى باسم كوم مانوس أو دقيانوس المحرفين عن نقيوس.

وخديعه. فقال لهم انبا مويسيس: يا أبهاتي في قلوبكم سبعة افكار كما هو مكتوب، افكرو في أمور لم تستطيعو اقامتها لكن نجربهم. فتقدم إلى قس كان كاتبه [اسمه مينا] وإلى انا البايس واضع هذه السيره(*) وانفدنا إليه لنسمع كلامه. فلما وصلنا إليهم خرجو للقانا بفرح، فلما جلسنا وخاطبه القس مينا من كلام الكتب، لنه [لانه] كان عالما فسمع منه كلام البطرك، وبدى بطرك الملكيه يتلو بأمانة ابايتا التلتماية والتمانيه عشر

(*) واضع هذه السيرة هو أبا جرجه كما جاء في مقدمتها.

وحدثني محمد بن موسى الحضرمي قال: حدثنا أحمد بن يحيى بن عميرة قال: حدثنا عبد الله بن يوسف قال: حدثنا عبد الله بن لهيعة.

عن يزيد بن أبي حبيب قال: «فبعث إلى ابن حديج حجر بن عدى الكندى بأمانه، وبعث محمد بن أبي بكر قيس بن سلامة التجيبى من بنى فهم بن أبذى[١] فصنع لهم جسراً بنقيوس. فجاز منه ابن حديج وأصحابه، فلحقوا بمعاوية».

وحدثنا حسن المدينى [٢] قال: حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير قال: حدثني الليث.

عن عبد الكريم بن الحارث قال: «ولما أجمع على ومعاوية على الحكمين أغفل على أن يشترط على معاوية أن لا يقاتل أهل مصر. فلما انصرف على إلى العراق، بعث معاوية عمرو بن العاص في جيوش أهل الشام إلى مصر[٣]. فاقتتلوا قتالاً شديداً. فقال عمرو: وشهدت ثمانية عشر زحفاً براكاء [٤]، فلم أر يوماً مثل المسناة. ثم انهزم أهل مصر. فدخل عمرو بأهل الشام الفسطاط. وتغيب محمد بن أبي بكر في غافق، فاواه رجل منهم. فأقبل معاوية بن

(١) ر: أذاء. وقال: غير واضح الكتابة في هذا الموضع، أثبتناه على ما وجدناه متكرراً فيما يأتي، ولعل أذاء هذا أبو البطن المسمى ببنى أندا بن عدى بن تجيب، ذكر مرتين في هذا الكتاب والصحيح ما أثبته.
(٢) ك: المدنى.
(٣) كذا في خـ. وفي الأصل: في جيوش إلى أهل الشام وإلى مصر.
(٤) القتال البراكاء: الذى يجثون فيه للركب ويقتتلون.

واتناسيوس وكيرلس وقرر الحال بإيمان عظيمه مخوفه معه ومع قسطنطين اسقف مصر الملكى واعترفو، وقال قسطنطين اسقف مصر الملكي: هذه امانتى قبل اليوم وأومن بها إلى النفس الأخير اتحاد واحد، الاه واحد، رب واحد، طبيعه واحده، وهو السيد يسوع المسيح ومن لا يومن هكذا فهو يهودى، ومن يقول طبيعتين(*) للواحد المسيح من بعد الاتحاد فهو غريب من الأب الابن والروح

(*) حول هذه الخلافات انظر الجزء الأول من ص ١٩٩ إلى ص ٤٣٤.

حديج، في رهط من يعينه على من كان مشى فى عثمان، فطلب ابن أبى بكر. فوجدت أخت الرجل الغافقى الذى كان آواه، كانت ضعيفة العقل. فقالت: أى تلتمسون؟ ابن أبى بكر؟ أدلكم عليه ولا تقتلون أخى؟ فدلتهم عليه، فقال: احفظونى فى أبى بكر. فقال معاوية بن حديج: قتلت من قومى ثمانين رجلاً فى عثمان وأتركك، وأنت صاحبه؟ فقتله ثم جعله فى جيفة حمار ميت، فأحرقه بالنار».

حدثنى محمد بن موسى الحضرمى قال: حدثنا أحمد بن يحيى بن عميرة قال: حدثنا عبد الله بن يوسف، عن ابن لهيعة.

عن يزيد بن أبى حبيب قال: «بعث معاوية عمرو بن العاص، فى سنة ثمان وثلاثين، إلى مصر ومعه أهل دمشق، عليهم يزيد بن أسد البجلى، وعلى أهل فلسطين رجل من خثعم، ومعاوية بن حديج على الخارجة، وأبو الأعور السلمى على أهل الأردن. فساروا حتى قدموا أهل مصر. فاقتتلوا بالمسناة، وعلى أهل مصر محمد بن أبى بكر. فهزم أهل مصر، بعد قتل شديد فى الفريقين جميعاً. قال عمرو: وشهدت أربعة وعشرين زحفاً، فلم أر يوماً كيوم المسناة، ولم أر الأبطال إلا يومئذ. فلما هزم أهل مصر، تغيب محمد بن أبى بكر. فأخبر معاوية بن حديج بمكانه، فمشى إليه فقتله، وقال: يقتل كنانة بن بشر، ويترك محمد بن أبى بكر؟ وإنما أمرهما

القدس، ويكون نصيبه مع يودس الدافع، فهذه امانتى. فلما سمع انسطاسيوس ذلك غضب ولم يقدر ان يتكلم، وكان منتظرا لما يجرى بعد هذا. فمضينا إلى الأبا قلنا لهم كلما جرى، فعادونا إليهم وقالو لنا: قولو لهم هذا الذى قلتموه تكتبونه فى كتاب بخطوطكم. فلما عدنا إليهم [لم يكتبو] وقال قسما بطركهم: عندى كلمة أخرى أريد أن أذكرها لكم. فقال له القس: لا تخف عنا شيا من

واحد. ثم أمر به معاوية بن حديج فجُر فمُر به على دار عمرو بن العاص، لما يعلم من كراهيته لقتله، ثم أمر به بجادا[1] التجيبى فأحرقه فى جيفة حمار».

وحدثنا ابن قديد، عن عبيد الله بن سعيد.

عن أبيه قال:« كان صاحب أمر الناس يوم المسناة قيس بن عدى بن خيسمة اللخمى، من راشدة. فلما انهزم أهل مصر، عاذوا بالحصن، فدخلوا فيه، وجعلوا أمرهم إلى قيس، وأغلقوا الحصن. فقيل لعمرو[2]: إن هؤلاء قد استقتلوا، ولن تصل إليهم حتى ينكوا من معك. فأعطاهم عمرو ما أحبوا، فخرجوا على صلح».

حدثنى أبو سلمة أسامة التجيبى قال: حدثنى زيد بن أبى زيد، عن أحمد بن يحيى بن وزير، من إسحاق بن الفرات، عن يحيى بن أيوب.

عن يزيد بن أبى حبيب قال: «بعث معاوية بن حديج بسليم مولاه إلى المدينة، بشيراً بقتل محمد بن أبى بكر، ومعه قميص ابن أبى بكر. فدخل به دار عثمان، واجتمع آل عثمان من رجال ونساء وأظهروا السرور بقتله. وأمرت أم حبيبة ابنة أبى سفيان بكبش فشوى،و بعثت به إلى عائشة فقالت: هكذا شوى أخوك. قال: فلم تأكل عائشة شواء حتى لحقت بالله».

---

(١) كذا فى ر. وفى ك: محاد. والكلمة فى الأصل غير منقوطة.
(٢) فى الأصل : فقيل لهم، وسياق العبارة يدل على أن القول موجه لعمرو.

افكارك لان الله ينظر إلى القلب ليس إلى الوجـه.
فقال: إذا استقر الاتحاد أى شي تفعلونه معي؟ فقال
له القس مـينا: عـرفنا مـا تريد. [قـال] انا أريد إذا
استـقـر الاتحـاد ان يكون بيعـتى وبيعـتكم واحـده
باسكندريه، وإذا حـضـر ابوكم البطرك في ايام
القداسات كنت معه، فإذا اكمل الصلاة خرج كل
منا إلى مـوضـعـه ولا يمنعنى احـد ان احـضـر كل
البيع كذلك هو هكذا. فقال له القس: هذا كلام

حدثني موسى بن حسن بن موسى قال: حدثنا هارون بن أبي بردة قال: حدثني نصر بن مزاحم، عن أبي مخنف قال:

حدثني عبد الملك بن نوفل، عن أبيه قال: «ما أكلت عائشة شواء بعد محمد حتى لحقت بالله».

حدثني موسى بن حسن قال: حدثنا حرملة بن يحيى قال: حدثني أبي، ، عن رشدين قال: حدثني سعيد بن يزيد القتباني.

عن الحارث بن يزيد الحضرمي قال: حدثتني أمي هند بنت شمس الحضرمية: «أنها رأت نائلة امرأة عثمان تقبل رجل معاوية بن حديج وتقول: بك أدركت ثارى من ابن الخثعمية. تعني محمد بن أبي بكر».

حدثنا على بن سعيد قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله الهروى قال: حدثنا هشيم، عن عبد الرحمن بن يحيى.

عن سعيد بن عبد الرحمن: «أن أسماء ابنة عميس لما جاءها خبر محمد ابن أبي بكر أنه قتل وأحرق بالنار في جيفة حمار، قامت إلى مسجدها فجلست فيه، وكظمت الغيظ حتى نشحت ثديها دماً».

وكانت وقعة المسناة في صفر سنة ثمان وثلاثين. فكانت ولاية محمد بن أبي بكر عليها خمسة أشهر. وكان مقتله بها لأربع عشرة خلت من صفر سنةن ثمان وثلاثين.

فيه خديعه. فقال له قسما: ما تظن انت؟ فقال: امضى إلى أبي وأعود لك بالجواب. فلما سمعو الأساقفه ذلك صرخ ابا مويسيس وقال: سيدنا المسيح يوصينا ان لا نسمى لنا ابا في الأرض والان ان كان [ما] قالوه ما يرضيكم فأنا أقول. فقال له البطرك: قل. فقال: ان كان يرضى ان نجعله اسقفا على كورة مصر كلها ويصير لنا أخا وليس ابا فإن المسيح يحفظ لنا أبوتك لتحفظ بيعته المقدسه

---

٧. عمرو بن العاص(*)

الثانية(١)

ثم وليها عمرو بن العاص ولايته الثانية عليها، من قبل معاوية، استقبل بولايته شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين، وجعل إليه الصلاة والخراج جميعاً وكانت مصر جعلت له طعمة بعد عطاء جندها، والنفقة على(٢) مصلحتها فجعل عمرو على شرطته خارجة بن حذافة بن غانم العدوى. ثم خرج عمرو للحكومة، واستخلف على مصر ابنه عبد الله بن عمرو. ويقال: استخلف خارجة بن حذافة.ورجع عمرو إلى مصر، فأقام بها.

وتعاقد بنو ملجم: عبد الرحمن، وقيس، ويزيد، على قتل على ومعاوية وعمرو، وتواعدوا لليلة (٣)من شهر رمضان سنة أربعين. فمضى كل واحد منهم إلى صاحبه. وكان يزيد هو صاحب عمرو. وعرضت لعمرو تلك الليلة علة منعته من حضور المسجد، فصلى خارجة بالناس. فشد عليه يزيد فضربه حتى قتله. فدخل به على عمرو، فقال له: أنا والله (٤) ما

(*) الخطط (١: ٣٠٠)، والنجوم (١: ١١٣)، وحسن المحاضرة (٢: ٦).
(١) أى ولايته الثانية، وهذه عادة المؤلف في التعبير عن تكرر الولاية.
(٢) خـ ١٠: ٣٠٠): في.
(٣) خـ (١: ٣٠٠): ليلة، و(٢; ٣٣٧): على ليلة.
(٤) خـ (١: ٣٠٠): أما والله.

فعلنا. فمضو إلى قسما واعلموه بهذا ففرح وطابت نفسه، فقال انسطاسيوس: ان تجعلونى انا أيضا اسقفا على كرسى ما. فقال له القس مينا: اليس تعلم ان كل انسان يطلب درجة ثانيه لا يصلح ان يكون اسقفا، وأهل مصر ما يساعدونك على هذا الكلام. فقال له انسطاسيوس: أن كان ما لا تفعلون فلا تتعبو ولا تتكلموا شيا من هذا. فخرجنا من عندهم.

أردت غيرك يا عمرو . قال عمرو: ولكن الله أراد خارجة . فجعل عمرو على شرطته بعد مقتل خارجة زكريا بن جهم بن قيس العبدرى.

وعقد عمرو بن العاص لشريك بن سمى الغطيفى على غزو لواتة من البربر. فغزاهم شريك فى سنة أربعين، فصالحهم. ثم انتقضوا بعد ذلك على عمرو بن العاص، فبعث إليهم عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهرى فى سنة إحدى وأربعين، فغزاهم.

فحدثنى على بن قديد، عن عبيد الله بن سعيد بن عفير، عن أبيه ، عن ابن لهيعة.

عن هبيرة قال : «كانت لواتة قد صولحوا ، فكانوا على صلحهم حتى نقضوا زمن معاوية. فغزاهم عقبة بن نافع . فتنحوا ناحية أطرابلس، فقاتلهم عقبة حتى هزمهم. فسألوه أن يصالحهم ويعاهدهم. فأبى عليهم وقال: إنه ليس لمشرك عهد عندنا، إن الله، عز وجل ، يقول فى كتابه: «كيف يكون للمشركين عهد» ولكن أبايعكم على أنكم توفونى ذأمتى[1]، إن شئنا أقررناكم، وإن شئنا بعناكم».

وعقد عمرو لعقبة بن نافع على غزو هوارة،ولشريك بن سمى على غزو لبدة[2]، فغزواهما[3] فى سنة ثلاث وأربعين. فقفلا وعمرو شديد الدنف فى مرض موته.

(١) ذامتى : كلمتى . وفى ر: ذابتى، ولا معنى لها .
(٢) لبدة : بلدة بين برقة وافريقية (تونس)، أو طرابلس وجبل نفوسة.
(٣) كذا فى ر عن خـ (١:٣٠١). وفى ص: فغزياها.

ثم حضرنا جميعا بعد هذا إلى عند «عبدالملك» وكان قد كتب ذلك اليوم كتابا إلى مصر وأعمالها يأمر أن يجمع إليه الكتاب والاراخنه من كل بلد واحضرهم، وكان القصر مشحونا بالناس حفلا حتى لم يكن أحد يسمع شيا من كترة الأصوات، فدخلنا نحن أيضا وحولنا خلق كتير. فلما جلسنا أنفرد قسطنطين الأسقف عنهم وجلس مع اساقفتنا وسألهم أن يقبلوه ويشركوه معهم ويعطوه كرسيا.

حدثنا حسن المديني قال: حدثني يحيى بن عبد الله بن بكير قال: حدثني ابن لهيعة.

عن يزيد بن أبي حبيب: أن عبد الرحمن بن شماسة حدثه: «أنه لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة بكى. فقال له ابنه عبد الله بن عمرو: لم تبكي؟ أجزعاً عن الموت؟ قال: لا والله ولكن مما بعده. فقال له: قد كنت على خير. فجعل يذكره صحبة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وفتوحه بالشام. فقال عمرو: تركت أفضل من ذلك كله: شهادة أن لا إله إلا الله».

حدثنا علي بن قديد قال: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم قال: حدثنا أبو زرعة وهب الله بن راشد قال: أخبرنا يونس عن ابن شهاب، عن حميد بن عبد الرحمن.

عن عبد الله بن عمرو: «أن عمرو بن العاص قال حين حضرته الوفاة: أي بني، إذا مت فكفني في ثلاثة أثواب أزرني في أحدها، ثم شقوا لي الأرض شقاً، وسنوا[١] على التراب سناً، فإني مخاصم. قال: اللهم إنك أمرت بأمور ونهيت عن أمور، فتركنا كثيراً مما أمرت به، ووقعنا في كثير مما نهيت عنه، اللهم لا إله إلا أنت. فلم يزل يرددها حتى قضى».

حدثنا علي بن سعيد قال: حدثني قعنب بن المحرز قال: حدثنا وهب بن جرير قال: حدثنا الأسود بن شيبان، عن أبي نوفل.

---

(١) سنه: صبه تفريق.

وكانت الجموع وأهل البلاد حولنا متطلعينى لمعرفة ما يستقر وينظرون أساقفه الارتدكسيين والخلقدونيه، فوثبو قوم من الصعيديين على قسطنطين لما علمو أنه خلقدونى ليطردوه، [فانشق ثوبه على تلته قطع وكل الحاضرين يشاهدوه] حتى رمو الأساقفه الارتدكسيون شيا من لباسهم [عليه] واخلطوه معهم وألا كادو الصعيديون يقتلونه، [وفيما هم كذلك واذا واحد خلقدونى

عن أبي عقرب قال: «لما جد[1] بعمرو بن العاص وضع يده موضع الأغلال من رقبته وقال: اللهم أمرتنا فتركنا، ونهيتنا فركبنا، ولا يسعنا إلا مغفرتك. فكانت تلك هجيراه حتى مات».

حدثنا أحمد بن الحارص بن مسكين قال: حدثنا ابن سعيد الهمدانى قال: حدثنا ابن وهب قال: أخبرنى حرملة بن عمران:

أن أبا فراس حدثه: «أن عمرو بن العاص توفى ليلة الفطر، فغسله عبد الله بن عمرو. ثم أخرجه حين صلى الصبح فوضعه بالمصلى. ثم جلس حتى إذا رأى الناس قد انقطعوا من الطرق: الرجال والنساء، قام فصلى عليه، ولم يبق أحد شهد العيد إلا صلى عليه، ثم صلى العيد بالناس، وكان أبوه استخلفه».

حدثنا ابن قديد قال: حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح قال: حدثنى نعيم بن حماد، عن ابن المبارك، عن حرملة بن عمران.

عن أبي فراس قال: «مات عمرو بن العاص ولم يترك إلاسبعة دنانير.. وكانت وفاة عمرو لية الفطر سنة ثلاث وأربعين، واستخلف ابنه عبد الله على صلاتها وخراجها».

---

(١) جد به : نزل به الموت.

تكلم كلمة تجديف] ثم صرخو الصعيدون قايلين: أبعدو الدياب من وسط الخراف، أهربو من السباع الضاريه المفترسة للنفوس، اطردو التعالب الذين يهلكون كرم رب صباووت، أبعدو يودس من وسط التلاميذ تلاميذ المسيح، لا تجعلو ثيابكم تخلط بهولا الأنجاس يا عبيد المسيح.

فعند ذلك اختفى «قسما» إلى أن زال غضبهم ثم بعد سؤال عظيم من ابانا أقبلو هادين قليلا،

---

٨ . عتبة بن أبى سفيان (*)

ابن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى

ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب

ثم وليها عتبة بن أبى سفيان، من قبل أخيه معاوية، على صلاتها. فقدمها في ذى القعدة سنة ثلاث وأربعين. وجعل على شرطته زكريا بن جهم. وأقام بها أشهراً ثم وفد على أخيه بوفد من أشراف أهل مصر. واستخلف على مصر عبد الله بن قيس بن الحارث بن عياش بن ضبيع التجيبى، أحد بنى زُميلة، وكانت أمه أخت أبى الأعور السلمى. وكانت فيه شدة على بعض أهل مصر. فكرهوا ولايته عليهم، وامتنعوا منها. فبلغ ذلك عتبة، فرجع إلى مصر.

فحدثنا يموت بن المزرع قال: حدثنا أبو حاتم سهل بن محمد قال:

أخبرنا العتبى، عن أبيه قال: «أستخلف عتبة بن أبى سفيان ابن أخت لأبى الأعور السلمى على أهل مصر. وكانت له شدة على بعض أهل مصر، فامتنعوا عليه. فكتب إلى عتبة. فقدمها فدخل المسجد، ورقى على المنبر. فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «يا أهل مصر! قد كنتم تعذرون ببعض المنع منكم لبعض الجور عليكم. وقد وليكم من إن قال فعل، فإن أبيتم

(*) الخطط (١ك١٠٣)، والنجوم (١: ١٢٢)، وحسن المحاضرة (٢: ٧)، وغيرها من كتب الصحابة.

فلما عرفوهم أنه سأل ان يجعلوه تاودسيوسيا فرحو وصرخو فى وسط القصر: أن قسطنطين اعترف بالامانة المستقيمه أمانة آبابنا الارتدكسيين. ثم حضر للوقت الأرخن متولي اسكندريه «إبراهيم الماحكى» لأنه كان جالسا في ناحيه من القصر ومعه جماعه من الهراطقه والشماس سرجيوس ولد البطرك، ومعه اثنان من معلمى الهراطقه، فجرو وارادو الهرب. وأن رجلا من أهل دمياط

دراكم[1] بيده، فإن أبيتم دراكم بسيفه. ثم جاء في الآخر ما أدرك في الأول: إن البيعة شائعة لنا، عليكم السمع، ولكم علينا العدل، وأينا غدر فلا ذمة له عند صاحبه فناداه المصريون من جنبات المسجد: سمعاً، سمعا[2]. فناداهم: عدلاً، عدلا. ثم نزل».

حدثنى عمى الحسين بن يعقوب التجيبى قال: حدثنى أحمد بن يحيى بن وزير قال: حدثنى عبد العزيز بن أبى ميسرة الحضرمى.

عن أبيه قال: لما وفدل عتبة على معاوية في وجوه الجند، استخلف عبد الله ابن قيس التجبى من بنى زميلة على الجند. وقدم عتبة على معاوية. فسأل عنه الوفد فقال: ما تقولون فى أميركم؟ فقال أبو عبادة صل بن عوف المعافرى[3]، أحد بنى خليف: يا أمير المؤمنين، حوت بحر، ووعل بر، [فقال معاوية لعتبة: اسمع ما تقول فيك رعيتك! فقال: صدقوا يا أمير المؤمنين[4]،] وليتنى الصلاة، وزويت عنى الخراج، فأكره أن أظهر لهم فيسألونى عليها».

وعقد عتبة لعلقمة بن يزيد الغطيفى على الإسكندرية، فى اثنى عشر ألفاً من أهل الديوان، يكونون بها رابطة. فكتب علقمة يشكى قلة من معه من الجند، وأنه يتخوف على نفسه

---

(١) دراً: دفع.
(٢) كذا خـ (١: ٣٠١)، ن(١: ١٢٤)، ر. وفى الأصل، ك: سمعنا سمعنا. وانظر العقد الفريد (٢: ٢٩٤).
(٣) ف (٨٦): عبادة بن صمل المعافرى.
(٤) ما بين القوسين عن ف، وهو ساقط من الأصل. وفى ر، ك: ووغل بر.

كان شريرا جدا فخاطبته أنا الخاطى بكلمه سمعتها فوثب في وسط الجماعه ووقف وشتمنى وجدف على التالوت المقدس، فحينذ شاهدته وكل الحاضرين قد انشق التوب الذى عليه من فوق إلى أسفل على تلت قطع، فصرخ كلمن فى القصر المسلمون والنصارى: لا أمانه إلا أمانة الأب انبا خايل. وكان صراخ عظيم في القصر، وسعو الناس لينظرو ما قد كان حتى أن الناس والعسكريه من

وعليهم. فخرج عتبة إلى الإسكندرية مرابطاً، فى ذى الحجة سنة أربع وأربعين. فابتنى دار الإمارة التى فى الحصن القديم. وتوفى بها، ودفن بمنية الزجاج [1]. واستخلف على مصر عقبة بن عامر الجهنى. فكانت ولايته عليها سنة وشهراً.

٩. عقبة بن عامر (*)

ابن عبس بن عمرو [2] بن عدى بن عمرو بن رفاعة بن مودوعة

ابن عدى بن غنم بن الربعة بن رشدان بن قيس

ابن جهينة، يكنى أبا عبس وأبا حماد [3]

ثم وليها عقبة بن عامر، من قبل معاوية، وجمع له صلاتها وخراجها فجعل على

(١) منية الزجاج: كانت من ضواحى الإسكندرية، على ترعة المحمودية، فى المنطقة الواقعة بين فم ترعة الفرخة وشارع الرصافة بقسم محرم بك، اشتهرت بدير الزجاج للآباء المصريين.

(*) الخطط (١: ٣٠١)، والنجوم (١: ١٢٦)، وحسن المحاضرة (٢: ٧)، وغيرها من كتب الصحابة.

(٢) الأصل: غنم. وما أثبتناه هو الموجود فى الإصابة (٤: ٢٥٠) والتجريد الذهبى (٤١٥) وتهذيب الأسماء للنووى (٤٢٦) وأسد الغابة (٣: ٤١٧) وتهذيب التهذيب لابن حجر (٧: ٢٤٢).

(٣) يكنى أبا حماد، وقيل أبو لبيد، وأبو عمرو، وأبو عبس، وأبو أسيد، وأبو أسد، وأبو سعاد، وأبو عامر، وأبو الأسود، وأبو معاذ، وأبو عمار. وفى الأصل: وأبا حفاف، ولم يذكرها أحد، ولعلها محرفة عما أثبتناه.

كثرة زحامهم نالهم جراح وقتال، فأمر عبدالملك بإخراج كلمن فى القصر.

وبالغداه أمر القاضى أن يفصل النوبه وقال أنجز حالهم ودعهم أن يمضو، فجلس القاضى وأصحاب الدواوين الكتاب ووجوه المملكة، فلما جلسو قال القاضى للبطرك انبا خايل: تحلف أن هذه البيعه لك ولابايك ملك. فقال له البطرك: شرعى يأمرنى أن لا أحلف صادقا ولا كاذبا لكنى

شرطته.....[1] وكان عقبة قارئا، فقيهاً، مفرضاً [2]، شاعراً، له الهجرة والصحبة والسابقة.

حدثنا سعيد بن هاشم بن مرثد قال: حدثنا دحيم قال: أخبرنا الوليد بن مسلم قال: أخبرنا هشام بن الغاز، عن يزيد بن يزيد جابر، عن القاسم بن عبد الرحمن.

عن عقبة بن عامر، وكان صاحب بغلة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الشهباء التى يقودها فى الأسفار، وقال: «قدت برسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهو على راحلته، رتوة[3] من الليل، وان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: أنخ. فأنخت، فنزل عن راحلته ثم قال: اركب يا عقبة. فقلت: سبحان الله! أعلى مركبك يا رسول الله وعلى راحلتك؟! فأمرنى فقال: اركب. فقلت أيضاً مثل ذلك، ورددت ذلك مراراً حتى خفت أن أعصى رسول الله، صلى الله عليه وسلم فركبت راحلته ورحله. ثم زجر الناقة فقامت، ثم قادنى رسول الله، صلى الله عليه وسلم».

ثم وفد مسلمة بن مخلد الأنصارى على معاوية، فولاه مصر، وأمره أن يكتم ذلك على عقبة.

---

(١) ساقط من الأصل.
(٢) مفرضاً: عالماً بالفرائض. انظر ن١٠ :١٢٧).
(٣) الرتوة: السويعة من الزمان.

أكتب مسطورا وأزهر [أظهر] الحق لك فيه. فقال القاضي للهراطقي قسما: تحلف أنت أن هذه البيعة لك واسلمها إليك. فقال: نعم أنا احلف. فحرك القاضي رأسه كالمستهزى به وقال له: اين لك شاهد بها بانها لك إذا حلفت؟ ثم قال لأبينا أنبا خايل: ألك شاهد بان هذه البيعه لآبايك: فقال: نعم لي من يشهد لي بذلك من يوم عُمرت إلى الآن. فقال له: كم لها يوما منذ بنيت؟ فقال:

فحدثني علي بن قديد، عن عبيد الله بن سعيد، عن أبيه قال: حدثني رشدين، عن الحجاج بن شداد، عن أبي صالح الغفاري: «أن معاوية بن أبي سفيان أمر مسلمة بن مخلد على مصر، ونزع عقبة بن عامر، وقال لمسلمة: لا تعلم بهذا أحداً. وأرسل إلى عقبة فجعله على البحر وأمره أن يسير إلى رودس. فقدم مسلمة، ولم يعلم بإمرته، وخرج معه إلى الإسكندرية. فلما توجه سائراً، استوى مسلمة على سرير إمرته، فبلغ ذلك عقبة فقال: أخلعانا[1] وغربة».

وكان صرف عقبة عنها لعشر بقين من شهر ربيع الأول سنة سبع وأربعين. فكانت ولايته عليها سنتين وثلاثة أشهر.

١٠ . مسلمة بن مخلد(*)

ابن صامت بن نيار بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج بن حارثة

ثم وليها مسلمة بن مخلد الأنصاري، من قبل معاوية، وجمع له الصلاة والخراج والمغرب.

(١) كذا في الأصل، ر، وليست في معاجم اللغة. وفي ك، خـ (١: ٣٠١): أخلعاً.

(*) الخطط (١: ٣٠١)، والنجوم (١٣٢)، وحسن المحاضرة (٢: ٧)، وغيرها من كتب الصحابة.

تلتمايه وخمسون سنه. فقال له القاضي: والشهود يعيشون إلي اليوم من ذلك الزمان وأنت تخاطبني بامثال، عرفني الحق. فأجاب وقال: أن أبي «تاوفيلس» و«طيماتاوس» الذى بعده الذين بنوها وهم الذين يشهدون لي أن تاوفيلس الذى اسسها ورتب أعمدتها وهذا اسمه مكتوبا عليها، وتنيح وطيماتاوس اكملها واسمه مكتوب عليها هولا شهودى إلى اليوم. فأرسل القاضي ثقاته ومعهم الكُتاب والتراجمه وقرو المكتوب عليها فوجدوه

فجعل على شرطته السائب بن هشام بن كنانة [١] العامرى، وإلى سنة تسع وأربعين. ثم صرفه وجعل مكانه عابس بن سعيد المرادى ثم الغطيفي. وانتظمت ولاؤه[٢] وغزواته في البر والبحر. وفي امرته نزلت الروم البرلس، في سنة ثلاث وخمسين. واستشهد يومئذ وردان مولى عمرو بن العاص، وعائذ بن ثعلبة البلوى، وأبو رقية عمرو بن قيس اللخمى، في جمع من الناس كثير.

وأمر مسلمة بالزيادة في المسجد الجامع، فهدم ما كان عمرو بناه في سنة ثلاث وخمسين.

وفيها أمر مسلمة بابتناء منار المساجد كلها، ودفع ذلك عن خولان وتجيب وأمر المؤذنين أن يكون أذانهم في الليل في وقت واحد . فكان مؤذنو المسجد الجامع يؤذنون للفجر، فإذا فرغوا من أذانهم، أذن كل مؤذن في الفسطاط في وقت واحد. فكان الأمر على ذلك إلى دخول المسودة[٣].

ثم صرف مسلمة عابس بن سعيد عن الشرط، وولاه البحر. فغزا اسطادنةُ[٤].ورد السائب

---

(١) انظر ما سبق.

(٢) الأصل: وانتصبت ولايه. وفي ر: وانتصبت ولاؤه. وفي ك: وانتصبت ولاية مسلمة (زادت مسلمة عن الهامش). وفي خـ (١:١: ٣٠١)، ن(١: ١٣٣): انتظمت غزواته (يحذف ولايه). والولاء: التولى والولاية.

(٣) المسودة. العباسيون ، وشعارهم اللون الأسود.

(٤) رجح رفن أن المراد القسطنطينية، التي وجهت غزوة إليها عام ٤٩ (١٠: ١٣٤). والكلمة محرفة عن الآستانة.

على ما ذكر أبا خايل. واستقصى القاضى صحة الخبر جيدا وكرر السؤال فيه فوجده صحيحا. فلما وقف على صحة قوله وتحقق ذلك سلم البيعة لنا وأطلقونا مبجلين مكرمين فتسلمنا بيعتنا.

وكان أبونا يوحنا البطرك بانطاكيه الذى كان اسقفا بينه وبين اساقفته مشاجره عدة أيام ولم يستطيع الصلح وكتب إلى الملك كتبا، وكتب سنوديقا [للاب خايل] ما وجد سبيلا لإنفاذها

بن هشام على شرطه، فكان على الشرط إلى سنة سبع وخمسين. فعزل السائب ورد عابساً. وخرج مسلمة إلى الإسكندرية سنة ستين، واستخلف عابس بن سعيد على الفسطاط.

وتوفى معاوية فى رجب سنة ستين، واستخلف يزيد بن معاوية، فأقر مسلمة ابن مخلد على مصر: صلاتها وخراجها، ومسلمة يومئذ بالإسكندرية. فكتب إلى عابس بأخذ البيعة ليزيد، فبايعه الجند إلا عبد الله بن عمرو ابن العاص، فدعا عابس بالنار ليحرق عليه. فلما رأى ذلك عبد الله بن عمرو بايع ليزيد.

وقدم مسلمة من الإسكندرية، فجمع لعابس مع الشرط القضاء. وذلك فى أول سنة إحدى وستين.

حدثنا على بن سعيد قال: حدثنا ابن أبى عمر[1] قال: أخبرنا سفيان بن عيينة، عن ابراهيم بن ميسرة قال: سمعت مجاهداً يقول: «صليت خلف مسلمة بن مخلد، فقرأ بسورة البقرة فما ترك ألفاً ولا واواً».

(١) ر: ابن أبى عمر. خطأ. وهو محمد بن يحيى بن أبى عمر العدنى أبو عبد الله الحافظ، نزيل مكة، كان غفلة، مات سنة ٢٤٣.

إلا في ذلك الوقت. فلما وصلو وتسلم الأب أنبا خايل من الرسل السنوديقا والكتب فقراها وحزن جدا لأجل الخلف الذى بينه وبين اساقفته لأنهم قالو أنه اسقف وليس هو بطرك، وانهم لم يقدرو أن يخاطبوه فى أيام هشام بالبطرك. ثم أن أنبا خايل أحضر جميع اكابر اساقفته بكورة مصر وقرى عليهم الكتب، فقالو: نحن ما نكتب إلى هناك كتابا ولا تنفذه لأن هذا أمر فيه صعوبه، أن أرادو أن يخرجوه قال لهم السلطان لا لأنه اسقف،

حدثنى ابن قديد، عن عبيد الله بن سعيد، عن أبيه قال: حدثنى ابن لهيعة.

عن الحارث بن يزيد قال: «كان مسلمة بن مخلد يصلى بنا، فيقوم فى الظهر فربما قرأ الرجل البقرة».

وتوفى مسلمة بن مخلد وهو وال عليها[1]، لخمس بقين من رجب سنة اثنتين وستين. كانت ولايته عليها خمس عشرة سنة وأربعة أشهر. واستخلف عابس بن سعيد عليها.

١١ـ سعيد بن يزيد[*]

ابن علقمة بن يزيد بن عوف الأزدى

ثم الفهرى من أهل فلسطين

ثم وليها سعيد بن يزيد الأزدى على صلاتها، فقدمها لمستهل شهر رمضان سنة اثنتين وستين، فأقر عابساً على الشرط.

فحدثنى ابن قديد، عن عبيد الله بن سعيد بن عفير، عن أبيه.

---

(١) فى حاشية بالأصل: «قال ابن يونس فى تاريخ مصر: توفى مسلمة بالإسكندرية سنة اثنتين وستين فى ذى القعدة».

(*) الخطط (١: ٣٠١)، والنجوم (١: ١٦٢)، وحسن المحاضرة (١: ٨).

وأن كتبنا إليهم أن لا يخرجوه انقسمت الأساقفه كما قد كتبو، بل أجعل يا أبانا الأمل باقيا على ما هو عليه، ففعل ذلك.

وأنا أريد الآن أن أذكر يسيرا من كثير مما فعله الرب على يد الأسقف أنبا مويسيس وما أعطاه الرب من النبوه والشفا من الأمراض فأمنو بقولي بقلب طاهر. كنا نحن سايرين إلى اسكندريه ليقبل الكرسي المرقسي الإنجيلي الأب أنبا خايل وينزل

عن الليث قال: «لما قدم سعيد بن يزيد واليا على جند مصر، تلقاه عمرو ابن قحزم[1] الخولاني، فقال: يغفر الله لأمير المؤمنين، أما كان فينا مئة شاب كلهم مثلك، يولى علينا أحدهم؟!».

ولم نزل أهل مصر على الشنآن له والإعراض عنه والتكبر عليه، حتى توفي يزيد بن معاوية سنة أربع وستين، ودعا ابن الزبير إلى نفسه، فقامت الخوار ج الذين بمصر في أمره وأظهروا دعوته. وكانوا يحسبونه على مذهبهم. ووفدوا منهم وفداً إليه، وسألوه أن يبعث إليهم بأمير يقومون معه ويؤازرونه . فكان كريب بن أبرهة بن الصباح وغيره من أشراف أهل مصر يقولون: ماذا نرى من العجب، إن هذه طائفة مكتتمة تأمر فينا وتنهى، ونحن لا نستطيع أن نرد أمرهم؟ ولحق بابن الزبير ناس من أهل مصر، ومنهم أبو عبيدة وعياض ابنا عقبة بن نافع بن عبد قيس الفهري، وأبو بكر بن القاسم بن قيس العذري، وحيان بن الأعين الحضرمي، وحجوة بن الأسود الصدفي.

وبعث ابن الزبير إليها بعبد الرحمن بن جحدم الفهري، فقدمها في طائفة من الخوارج. فوثبوا على سعيد بن يزيد فاعتزلهم. فكانت ولاية سعيد عليها سنتين إلا شهراً.

(١) كذا في خـ (١: ١٠٣)، ر. وفي الأصل ، ك: ابن محرم.

الجمع المقدس. ولما مشينا فى مدينة وسيم المحبة للمسيح كان فى البيعه إنسان مفلوج اليدين والرجلين مولود كذلك. كان عمره خمس عشره سنه، فظهر له الشهيد مارى جرجس وقال له: ما يكون شفاك إلا على يد الأسقف أنبا مويسيس. فمسك ثياب أبى وكان الجمع حوله يسبقونه فصرخ وقال: صلب يا أبى القديس على أعضاى المفلوجه، فصلب على يديه ورجليه وسرنا فلما عدنا بمشية الله خرج فى لقانا يمشى ويقفز مع

---

١٢. عبد الرحمن بن عتبة(*)

ابن إياس بن الحارث بن عبد أسد(١) بن جحدم(٢) بن عمرو ابن عائش بن ضرب(٣) بن الحارث بن فهر

ثم وليها عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم، من قبل عبد الله بن الزبير، دخلها فى شعبان سنة أربع وستين. فأقر عابس بن سعيد على الشرط والقضاء وقدم ابن جحدم بجمع كثير من الخوارج الذين كانوا مع ابن الزبير بمكة، من أهل مصر وغيرهم ، فيهم حوشب بن يزيد، وأبو الورد حجر بن عمرو، وغيرهم، فأظهروا التحكيم ودعوا إليه. فاستعظم الجند ذلك. وبايعه الناس على غل فى قلوب ناس من شيعة بنى أمية، منهم كريب بن أبرهة الأصبحى، ومقسم بن بجرة التجيبى، وزياد بن حناطة التجيبى، وعابس بن سعيد، وغيرهم.

ثم بويع مروان بن الحكم بالشام فى ذى القعدة سنة أربع وستين. وكانت شيعته من أهل

(*) كذا فى الأصل. وفى ن، خـ: عقبة. وانظر الخطط (١: ٣٠١)، والنجوم (١ :١٦٥)، وحسن المحاضرة (٢ :٨).

(١) ن: عبد [بن] أسد.

(٢) فى حسن المحاضرة: فحزم.

(٣) كذا فى ر. وفى الأصل ، ك: طرب.

اهل المدينه ويحدث بما كان فيه ويمجد الله ويشكر عبده الصالح الأسقف. ونقى البرص وأخرج الشياطين وفعل أفعالا عظيمه مثل التلاميذ.

وكان في تلك الأيام قلق عظيم بالمشرق من أجل الأساقفه وجات حشود كتير على مروان(*) والتقو وسفكت دما كتير بينهم، ثم أن عبدالملك جمع بمصر مقدمي جيشه واعتقلهم سبعة ايام، واعتقل أيضا كتاب الدوله ومقدمي البلاد

(*) تعرضت الخلافة الأموية فى عهد مروان بن عبدالملك لعدة هجمات من الأمبراطورية البيزنطية والمنشقين على الخلافه فى العراق والحجاز. وفيما يلى سوف نتعرض بإيجاز للعلاقات بين بيزنطة والمسلمين بين عامى ٧١٧/٨٦٧م.

مصر دعوه إليها، وهم في العلانية مع ابن جحدم. وسار مروان إلى مصر، ومعه خالد بن يزيد بن معاوية، وعمرو بن سعيد، وعبد الرحمن بن الحكم، وزُفر بن الحارث،وحسان بن بحدل، ومالك بن هبيرة السكوني، في أشراف كثير. وبعث ابنه عبد العزيز في جيش إلى أبلة، ورجا أن يدخل مصر من تلك الناحية.

وأجمع ابن جحدم على حربه ومنعه. فأشار عليه الجند بحفر خندق يخندق به على الفسطاط. فأمر بحفره، فحفر في شهر واحد. قال ابن أبى زمزمة الخشنى:

وَما الجِدّ إلاّ مثلُ جِدّ ابنِ جَحدَمٍ ... وَما العَزْمُ إلاّ عَزْمُهُ يَوْمَ خَندَقِ

ثَلاثونَ ألفاً هُمْ أثاروا تُرابَهُ ... وَخَدّوهُ في شهرٍ، حَديثُ مُصَدَّقِ

وهو الخندق الذى فى مقبرة الفسطاط اليوم.

وبعث ابن جحدم بمراكب في البحر، ليخالف إلى عيال أهل الشام، عليها الأكدر بن حمام اللخمي. وقطع بعثاً في البر. استعمل عليهم السائب ابن هشام بن كنانة[1] العامري. وبعث بجيش اخر عليهم زهير بن قيس البلوى إلى أبلة، ليمنع عبد العزيز من المسير إليها. فأما

---

(١) انظر ما سبق.١

والمواريث وطلب منهم رفع الحساب والقيام بما عليهم. ثم أحضر الأب أنبا خايل إلى مصر لأجل خراج بيعه، فلما وصلنا إليه طلب منا ما لا نقدر عليه، فأمر أن نعتقل وأن ترمى فى رجل البطرك خشبه عظيمه وطوق حديد تقيل فى رقبته ولم يكن معه أحد إلا أنبا مويسيس أسقف وسيم وأنبا تادرس أسقف مصر، وأنبا ايلياس بولس ولد أنبا مويسيس بالروح، وجعلونا فى خزانه مظلمه لا ننظر منها الشمس وليس فيها طاق لأنها كانت

= العلاقات بين بيزنطه والمسلمين من عام ٧١٧ إلى ٨٦٧م (*)

أباطرة الأسرة الأيسورية

حكم ليون الثالث ٧١٧-٧٥١م:

تولى ليون ـ أو كما سماه العرب اليون ـ عرش الامبراطورية فى مارس عام ٧١٧ ميلادية، مؤسسا أسرة حاكمة جديدة عرفت باسم الأسرة الأيسورية ظل اباطرتها يتوارثون العرش حتى عام ٨٠٢م ولقد وجدت امبراطورية الروم فى شخص هذا الامبراطور الفذ، الرجل المنقذ لها من براثن الزحف الاسلامى، فمنذ وفاة

جيش السائب بن هشام، فإن روح بن زنباع أخبر مروان أن السائب له ابن مسترضع بفلسطين، فأخذه مروان. فلما التقوا أبرز إليه الصى فقال: أتعرف هذا يا سائب؟ قال: هذا ابنى. قال: نعم ، فوالله لئن لم ترجع عودك على بدتك لأرمينك برأسه. فرجع السائب بجيشه ذلك ولم يقاتل. فسمى جيشه جيش الكرارين.

وأما المراكب فنزل عليها عاصف فغرقها، ونجا[1] بعضها، ونجا أميرها الأكدر، وعاد إلى الفسطاط.

وأما زهير بن قيس، فلقى عبد العزيز بن مروان ببصاق[2]، وهى سطح عقبة أيلة. فقاتله فانهزم زهير ومن معه. قال نصيب[3] لعبد العزيز:

مَنَعتَ بُصــاقــاً وَالبطاحَ فَلَمْ تُرَمْ ... بطاحُكَ لمّا [أن][4] حَميتَ ذمارَكا

قَسَرْتَ الألى ولَوْا عَنِ الأمرِ بَعدما ... ارادوا علَيْـه، فَـاعْلَمَنَّ، اقْـتِـسارَكـا

---

(١) كذا فى خـ (٢: ٣٣٨). وفى ر، ك: فغرق . ولا معنى لها لتكررها.

(٢) جعلها ياقوت بالسين لا بالصاد.

(٣) كذا عند ياقوت. وفى الأصل: زهير . خطأ، لأنه لا يعقل أن يمدح المهزوم هازمه ويتغنى بانتصاره.

(٤) زيادة ضرورية عن ياقوت.

نقرت في حجر. وكان ابونا البطرك تحت ضيق عظيم من التكبيل بالحديد من الحادى عشر من توت إلى تانى عشر بابه. لم ينظر في هذه المده شمسا. وكان في الاعتقال معه تلتمايه رجل ونسا [ء] أيضا معتقلات في ضيق أكثر من الرجال، والحزن والبكا والضيق العظيم عند انقضا النهار ويغلق المتولى السجن علينا ويمضى ولا يعود إلى سابع ساعه من النهار. وكانو المرضى والاعلا يجيون إلى الأب البطرك إلى السجن حتى يبارك

هرقل عام ٦٤١ ميلادية، لم تنجب الامبراطورية شخصية عظيمة، بل توالى على العرش أباطرة ضعاف، وسط مسلسل من الاغتيالات والثورات والحروب الأهلية، والدسائس والمؤامرات بين المطالبين بالعرش وبين القصور الملكية. ومن ثم كان مجيء ليون نهاية لثمانية وسبعين عاما من الضعف والفوضى والانقسام، الذى كاد يعصف بالامبراطورية ويقتلعها من جذورها ولذلك يعتبر ليون الايسورى بحق هو المؤسس الثانى للأمبراطورية الرومية بعد جستنيان

وسار مروان حتى نزل عين شمس. فخرج ابن جحدم في أهل مصر. فتحاربوا يوما أو يومين، ثم رجعوا إلى خندقهم، فصفوا عليه. كانت تلك الأيام تسمى أيام الخندق والتراويح، لأن أهل مصر كانوا يقاتلون نوبا: يخرج هؤلاء ثم يرجعون، ثم يخرج غيرهم. واستمر القتل في المعافر، فقتل جمع منهم، وقتل كثير من أهل القبائل من أهل مصر. وقتل من أهل الشام أيضا جمع كثير. قال عبد الرحمن بن الحكم:

ألا هَلْ أتاها عَلى نَأيِهـا ... نبـاءُ التَّـراويحِ وَالخَنْدقِ
بلغنا بفـيلَق يَغْشَى الظِّرابَ ... بَعيـدِ السُّمُـوّ لِمَنْ يرْتَقى[(١)]
وَجاشَتْ لنَا الأرْضُ من نحوِهِمْ ... بحَـيِّ تُجيـبَ وَمَنْ غـافِقِ
وأحْيـاء مَذْحِجَ وَالأشْعَـرِين ... وَحِميَـرَ كـاللَّهَبِ المُحْرِقِ
وَسَـدَّتْ مَعـافـرُ أفْقَ البِلاد ... بمُرْعِـدِ جَيْشٍ لهَـا مُبْـرِقِ
وَنادى الكُفَـاةُ ألا فَـابْرُزُوا ... فَحَـتّـامَ حَـتى وَلا نَلْتَـقِى
فَلَوْ كُنْتِ رَمْلَةُ شـاهَدْتِه ... تَمَنَّيْتِ أنَّكِ لَمْ تُخْلَقِى

(١) الظراب: جمع ظرب، وهو ما نتأ من الحجارة، أو الجبل المنبسط ليس بالعالى أو الصغير.

عليهم فيسرو، من النصارى والمسلمين حتى البربر كانوا يجيئون إليه ويعترفون له بذنوبهم التى فعلوها، وكان المسجونون منهم من يقول أن له فى السجن تلت سنين ومنهم قوم لهم أربع سنين. وكان يعزيهم ويصبرهم ويقول لهم أنكم أن نذرتم لله انكم لا تعودون إلى فعلكم الأول فإن الله يقبل توبتكم ويخلصكم قبل فروغ هذه السنه. فحلفو له أنهم لا يعودون إلى خطاياهم فتخلصو كلهم من السجن قبل أن تفرغ السنه بصلواته.

الكبير. ولولا وجود نظام الثغور الحربية، لما بقى لأمبراطورية الروم أى ممتلكات فى آسيا الصغرى. ولقد ساعد على انقاذ هذه الأمبراطورية اندلاع الحرب الأهلية فى الدولة الإسلامية بعد مقتل الخليفة عثمان، ثم على ابن أبى طالب عام ٦٦١ ميلادية، لكن هذه الحرب بين السنة والشيعة توقفت عام ٦٩٢ ميلادية عندما نجح الأمويون فى تأسيس دولة إسلامية سنية عام ٦٩٢ ميلادية، جعلوا عاصمتها دمشق، وتطلعت هذه الدولة الإسلامية الفتية لغزو أراضى

ثم إن كريب بن أبرهة، وعابس بن سعيد، وزيادة بن حناطة، وعبد الرحمن بن موهب المعافرى، قاموا فى الصلح بين أهل مصر وبين مروان، على أن لا يكشف ابن جحدم على أمر جرى على يديه، ويدفع إليه مالاً وكسوة[1]. فأجاب مروان إلى ذلك. وكتب لهم بيده كتاباً يؤمنهم على جميع ما أحدثوه.

ودخلها مروان لغرة جمادى الأولى سنة خمس وستين. فكانت مدة مقام ابن جحدم والياً عليها، من يوم دخلها إلى دخول مروان، تسعة أشهر[2]. ونزل مروان دار الفلفل التى فى قبلة مسجد الجامع اليوم، وقال: إنه لا ينبغي لخليفة أن يكون ببلد ليس له فيه دار. فأمر بالدار البيضاء فبنيت له، ووضع العطاء.، فبايعه الناس إلا نفر المعافر، قالوا: لا نخلع بيعة ابن الزبير.

حدثنى ابن قديد قال: حدثنا يحيى بن عثمان قال: حدثنا أبو صالح.

عن الليث بن سعد قال: «قتل مروان ثمانين رجلاً من المعافر، دعاهم إلى أن يبايعوا، فأبوا وقالوا: إنا قد بايعنا ابن الزبير طائعين، فلم نكن لننكث بيعته. فقدمهم رجلاً رجلاً، فضرب

(١) ذكر المقريزى (خـ٢ : ٤٥٨) أنه دفع إليه عشرة آلاف دينار، وثلاث مئة ثوب بقطرية، ومئة ريطة، وعشرة أفراس، وعشرين بغلا، وخمسين بعيراً.

(٢) ن(١ :١٦٦): وكانت مدة ولايته عليها تسعة أشهر وأياماً.

فـامـا آباؤنا الأسـاقـفـه فلم يغـيـرو تيـابهم ولا قلانسهم مدة سبعة عشر يوما وهم ملازمون الأب البطرك. وكـانو مـربوطى النفوس مـعه عـوضـا من الحديد. وكـان على مايدة الملك رجل مـومن خـيـر يهـتم بالأب البطرك ويفـتـقـدنا ويجـيـب لنا فى السجن مـا نحتاج إليه، وأنا الخاطى ملازم لخدمة هولا التلته شهدا بغير سفك دم ليلا ونهارا.

وكـان قـد نزل في تلك السنه وبا [ء] عظيم

الروم فى آسيا الصغرى. وهكذا جاء وصـول ليـون الثـالث الى الحكم فى الوقت المناسب. فلقد وضع مجيئه حدا للصراع على العرش، وللفوضى والاضطرابات، التى سادت الامبراطورية منذ وفاة قسطنطين الرابع عام ٦٨٥ ميلادية.

ولقد كان ليون فى الأصل قائدا حربيا للثغر الاناضولى Anatolicon، أكبر ثغور آسيا الصغرى، ومن ثم فقد كان رجلا عسكريا خبيرا فى شئون الدفاع. ولقد لقبه المؤرخون باسم الايسورى Isaurios نسبة الى اقليم

أعناقهم. وضرب عنق الأكدر ابن حمام بن عامر بن صعب، وكان سيد لخم وشيخها، وحضر فتح مصر هو وأبوه ، وكانا ممن سار إلى عثمان».

فحدثنى يحيى بن أبي معاوية التجيبى قال: حدثنى خلف بن ربيعة الحضرمى قال: حدثنى أبى ربيعة بن الوليد، عن موسى بن على بن رباح.

عن أبيه قال: «كنت واقفاً بباب مروان، حين أتى بالأكدر ليس معه أحد من قومه . فأدخل على مروان، فلم يكن شئ أسرع من قتله . وتنادى[1] الجند قتل الأكدر، فلم يبق أحد حتى لبس سلاحه. فحضر باب مروان منهم زيادة على ثلاثين ألفاً. وخشى مروان وأغلق بابه. ومضت طائفة منهم إلى كريب بن أبرهة، فلقوه وقد توفيت امرأته بسيسة بنت حمزة بن يشرح بن عبد كلال، فهو مشغول بجنازتها. فقالوا : يا أبا رشدين، أيقتل الأكدر؟ اركب معنا إلى مرون. قال: انتظرونى حتى أغيب هذه الجنازة. فغيبها ثم أقبل معهم، فدخل على مروان فقال: إلى يا أبا رشدين. فقال: بل إلى يا أمير المؤمنين. فأتاه مروان، فألقى عليه كريب رداءه، وقال للجند: انصرفوا، أنا له جار. فوالله ما عطف أحد منهم، وانصرفوا إلى منازلهم. وكان

(١) كذا فى خـ. وفى الأصل : وتراوم.

على الأطفال المرضعين بمصر حتى مات جميعهم، وفيما أنا نايم عند رجلى البطرك فى بعض الليالى وهو يعلمنى من الكتب ويجيبنى عن كلما أسأله عنه، فسألته عن موت الأطفال وقلت له: يا أبى اترى الله ياخدهم لأجل ذنوب والديهم أم لأمر آخر؟ فقال لى: لا تظن يا ولدى ذلك لكن نظر الله جنس البشر وقد عمل أكثرهم أرادة الشيطان باهتمام باطل والجحيم عامر، والنعيم الفردوس

ايساوريا Isauria فى جنوب شرق آسيا الصغرى، غير أن هناك رأيا حديثا يقول أنه سورى الأصل من أبناء بلدة جرمانيكيا Cermanicia (بالقرب من مرعش فى اقليم قبادوكيا بآسيا الصغرى)، غير أن ذلك لا يغير من الأمر شيئا، فكلا الرأيين يعترف بأنه امبراطور شرقى الأصل.

وقف توسع الدولة الاموية فى المشرق وانقاذ القسطنطينية:

منذ عام ٦٩٢ ميلادية كانت آسيا الصغرى وجزر الأرخبيل اليونانى تحت رحمة الدولة الأموية؛ التى كانت

قتل الأكدر للنصف من جمادى الاخرة سنة خمس وستين. ويؤمئذ توفى عبد الله بن عمرو بن العاص، فلم يستطع أن يخرج بجنازته إلى المقبرة، لتشغب الجند على مروان، دفن فى داره. قال زياد بن قائد اللخمى:

كَمَا لَقِيَتْ لَخْمُ مَا سَاءَهَا ... بِأَكْدَرَ، لا يَبْعَدَنْ أَكْدَرُ
هُوَ السَّيْفُ أَجْرَدَ مِنْ غِمْدِه ... فَلاقَى المَنَايَا وَمَا يَشْعُرُ
فَلَهْفِى عَلَيْكَ غَدَاةَ الرَّدَى ... وَقَدْ ضَاقَ وِرْدُكَ وَالمَصْدَرُ
وَأَنْتَ ا لأَسِيرُ بِلا مَنْعَةٍ ... وَمَا كَانَ مِثْلُكَ يَسْتَأْسِرُ

وجعل مروان صلاة مصر وخراجها إلى ابنه عبد العزيز بن مروان.

فحدثنى ابن قديد قال: حدثنى عبيد الله بن سعيد بن عفير، عن أبيه قال: أخبرنى المغيرة ابن الحسن بن راشد.

عن حرملة بن عمران التجيبى قال: «أقام مروان بمصر شهرين ثم جعل ولاية مصر إلى ابنه عبد العزيز، جعل إليه صلاتها وخراجها. فقال عبد العزيز: يا أمير المؤمنين، كيف المقام ببلد ليس به أحد من بنى أبى ؟ فقال له مروان: يا بنى، عمهم بإحسانك يكونوا كلهم بنى

خال، فأخذ الأطفال الذين ليس لهم خطيه إلى الفردوس موضع الرحمه.

ثم سألته وقلت: لماذا أخرج الله الشيطان من السما من قبل أن يخلق العالم ولا الناس؟

فأجابني وقال: يا ولدى ومن أنا البايس الحقير عند هذا القول حتى تسألني عنه. فأكثرت عليه اللجاج والطلبة في السؤال، فقال لي: قال القديس اغريغوريس التاولوغس، أن الشيطان كان

تتطلع لاحتلال القسطنطينية ذاتها، ففي السنة التي اعتلى فيها ليون العرش، أى فى عام ٧١٧ (٩٨هـ) أرسل الخليفة الأموى سليمان بن عبدالملك جيشا كبيرا، يؤازره أسطول قوى، لحصار القسطنطينية وفتحها، وجعل قيادة هذا الجيش لشقيقه مسلمة بن عبدالملك. وفى أغسطس عام ٧١٧ ميلادية وصل الجيش الأموى الى أسوار القسطنطينية، وبعدها بقليل وصل الأسطول، وضرب الأمويون الحصار حول القسطنطينية برا وبحرا: وقطعوا

أبيك، واجعل وجهك طلقاً تصف لك مودتهم. وأوقع إلى كل رئيس منهم أنه خاصتك دون غيره يكن عيناً لك على غيره، وينقاد قومه إليك، وقد جعلت معكم أخاك بشراً مؤنساً، وجعلت لك موسى بن نصير وزيراً ومشيراً، وما عليك يا بنى أن تكون أميراً[١] بأقصى الأرض، أليس ذلك أحسن من إغلاق بابك وخمولك فى منزلك؟

وقال أيمن بن خريم بن فاتك الأسدى:

إذا ما اسْتَبْدَلوا أرْضاً بأرْضٍ — لذى العَقبِ التَداوُلُ وَالطَّواءُ
فَبِالأرْضِ التى نَزَلوا مُناهُمْ — وَبِالأرْضِ التى تَرَكوا اللقاءُ

حدثنا موسى بن حسن بن موسى قال: أخبرنا حرملة بن عمران.

أن عبد العزيز بن مروان قال «أوصانى مروان حين ودعته مخرجه[٢] من مصر إلى الشام، فقال: أوصيك بتقوى الله فى سر أمرك وعلانيتك، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وأوصيك أن لا تجعل لداعى الله عليك سبيلاً، فإن المؤذنين يدعون[٣] إلى فريضة

(١) كذا فى خـ (١: ٢٠٩)، ر. وفى الأصل: أميناً، تحريف.
(٢) أى فى وقت خروجه، وزادت ر: عند مخرجه، ولاداعى لها.
(٣) خـ (١: ٢٠٩): المؤذن يدعو.

منذ أول ما خلقه الله يسعى بأصحابه الملايكه إلى الله، وكان الله يمهله ويصبر عليه. فلما خلق الله سما جديده وأرضا جديده وخلق الإنسان بصورته ومثاله، وقد سبق فى علم الله أن الشيطان محب للكبريا، فامره أن ينظر إلى أدم وحسن منظره، فأخذ معه العسكر الذى قد جعله مقدما عليه ومضى إلى حيث أدم، فلما نظره تعجب منه وقال لأصحابه: أريد أن أنصب لى كرسيا على السحب وتكون الجبال العاليه تحتى وأكون مثل العلى

المواصلات عنها، غير أنهم فشلوا فى حصارها من ناحية البحر الأسود لشدة اندفاع الأمواج. وقد استغل ليون ذلك فى استمرار نقل المؤن والعتاد الى العاصمة المحاصرة، كما استطاع بكفاءته العسكرية أن يستخدم النار الأغريقية، لبث الذعر فى جنود الأسطول العربى، والذى لم يكن قادته يعرفون عنها شيئا حتى تلك اللحظة، بالاضافة الى وصول النجدة البلغارية، التى جاءت الى الامبراطور، وهو فى أشد ساعات الحرج، غير أن الجيش الأموى ظل صامدا حتى وصل

افترضها الله عليك «إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً»، وأوصيك ألا تعد الناس موعداً إلا أنفذته، وإن حملت[1] على الأسنة، وأوصيك ألا تعجل فى شئ من الحكم حتى تستشير، فإن الله، عز وجل، لو أغنى أحدا عن ذلك لأغنى نبيه محمداً، صلى الله عليه وسلم، عن ذلك بالوحى الذى يأتيه، قا ل الله، عز وجل: «وشاورهم فى الأمر».

وخرج مروان من مصر لهلال رجب سنة خمس وستين. فكان مقامه بمصر، من يوم دخلها إلى خروجه عنها، شهرين. وكان على شرطه فى مقامه بها عمرو ابن سعيد بن العاص.

١٣ ـ عبد العزيز بن مروان(*)

ابن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، يكنى أبا الأصبغ

ثم وليها عبد العزيز بن مروان، لهلال رجب سنة خمس وستين على صلاتها وخراجها. فجعل على شرطته عابس بن سعيد المرادى.

وتوفى مروان لهلال رمضان سنة خمس وستين، وبويع عبد الملك بن مروان، فأقر أخاه عبد

---

(١) أنفذته لهم وإن حملته

(*) الخطط (١: ٢٠٩، ٢: ٣٠٢)، والنجوم (١: ١٧١)، وحسن المحاضرة (٢: ٨).

فيكون العالم كله في قبضتي وأملك عليه. ثم أنه صعد إلى السما فقال الله له: أعجبك ما رأيت ورضيت بالعالم المخلوق، لعلمه بضميره، ثم قال له: قد جعلتك ريسا عليه. وقال له هذا ليلا [لئلا] يسقط من المجد الذى كان فيه. وكان هو يحفظ الشر وفكره فيه السو. ثم أنه الشيطان بعد ذلك تأمل فقال أنا أريد ان أعرف كيف اللاهوت لكي إذا نزلت أفعل ذلك ولا تبقى لي حاجه عند الله بعد هذا. وهذا ما كان يهتم به. واراد أن ينظر

للقائد العربي نبأ موت أخيه الخليفة سليمان؛ وتولى الخليفة عمر بن عبدالعزيز عام ٧١٨م (٩٩هـ)، وعلى الفور أصدر الخليفة الجديد أمرا بعودة الجيش الى الشام، ورفع الحصار عن القسطنطينية. وهكذا انقذت عاصمة الأمبراطورية من كارثة كانت محققة.

ويتغنى المؤرخون الأوروبيون بشجاعة ليون، ويقولون أنه لو نجح مسلمة بن عبدالملك في فتح القسطنطينية عامى ٧١٧ و ٧١٨ ميلادية لا تنشر الاسلام في شبه

العزيز عليها. فأمر عبد العزيز ببنيان الدار المذهبة في سنة سبع وستين، وهي التى تدعى «المدينة»، بسوق الحمام، و[هي] غربي المسجد الجامع. ووفد عبد العزيز على أخيه عبد الملك في سنة سبع وستين، وحضر مقتل عمرو بن سعيد. ففرض عابس فروضاً، وزاد في أعطيات الناس من الجند. فلقى عبد العزيز بعد قدومه، فقال له : ما حملك على ذلك ؟ قال: أردت أن أثبت وطأتك وطأة أخيك، فإن أردت أن تنقضه فانقضه. فقال عبد العزيز: ما كنا لنرد عليك شيئاً فعلته.

ثم توفي عابس بن سعيد في سنة ثمان وسبعين، فجعل مكانه على الشرطة زياد بن حناط بن سيف بن خلاوة[١] التجيبي. وجعل على الحرس والأعوان والخيل جناب بن مرثد بن هانئ الرعيني.

فحدثني ابن قديد، عن عبيد الله.

عن أبيه قال: «ولم يشرك بينهما عبد العزيز حتى ولي جناب بن مرثد ابن زيد بن هانئ الرعيني حرسه، وضم إليه ثلاث مئة من الأمداد. فكان الرجل إذا أغلظ لعبد العزيز وخرج، تناوله جناب[٢] ومن معه فضربوه وحبسوه.

(١) في الأصل: حلاوة تحريف، إذ ان خلاوة بطن من تجيب (الذهبي: المشتبه ١٨١).
(٢) كذا في خـ (١: ٢١٠)، ر. وفي الأصل: كتاب تحريف

اللاهوت، فدخل فى وسط الملايكه بسرعه فأمر الله جنود من قوات الملايكه السماويه أن تحطه إلى الجحيم الأسفل فى الظلمه البرانيه هو وكلمن معه. هذا أظهره الله لاغريغوريس التاولوغس، وهو الذى وضع لنا ذلك، والمجد لله إلى أبد الابدين أمين. ثم أنى قلت له أيضا الله يصبر على هولا الملوك الكفرة الذين يفعلون بنا هذه الفعال فى كل وقت، ولا يطلقونا من هذا الرباط فقال لى: تصبر ياولدى وتقو إذا خرجنا من هاهنا وخلصنا

جزيرة البلقان: بين الصقالبة، والآفار، والبغار، حيث كانت الشعوب البلقانية، والسلافية، والروسية حتى تلك اللحظة لا تفقه عن المسيحية شيئا، ولا تدرى عن شعائرها وعقيدتها الا القليل، ويقولون اذا كانت روسيا الحالية دولة مسيحية أرثوذوكسية، لا دولة اسلامية شيعية، فمرجع ذلك لشجاعة الامبراطور ليون وصده لهجوم المسلمين على القسطنطينية، الأمر الذى لو تم لتغير وجه التاريخ، ولهذا يعتبرونه ليس منقذا لأمبراطورية الروم فحسب، بل للعالم المسيحى

ووقع الطاعون بمصر فى سنة سبعين. فخرج عبد العزيز منها إلى الشرقية متبدياً. فنزل حلوان فأعجبته، فاتخذها وسكنها، وجعل بها الحرس والأعوان والشرط. فكان عليهم جناب بن مرثد بحلوان. وبنى عبد العزيز بحلوان الدور والمساجد وغيرها أحسن عمارة وأحكمها، وغرس كرمها ونخلها. قال ابن قيس الرقيات[(١)]:

سَقْياً لِحُلْوانَ ذى الكرُومِ وَما ... صَنَّفَ منْ تينه وَمنْ عنَبهْ
نَخْلٌ مَواقِيرٌ بالقَناء منَ الـ ... بَرْنِي يَهْتَزّ ثُمّ فى سُرُبِهْ[(٢)]
أسْوَدُ سُكّانُهُ الحَمامُ فَما ... يَنْفَكّ غِرْبانُهُ عَلى رُطَبِهْ

حدثنى ابن قديد قال: حدثنى على بن عمرو بن خالد قال: حدثنى أسد بن ربيعة.

عن أبيه: «أن عبد العزيز لما غرس نخل حلوان، وأطعم دخله والجند معه، فجعل يطوف فيه، ووقف على غروسه ومساقيه. فقال له يزيد بن عروة الحملى[(٣)]: ألا قلت أيها الأمير كما

(١) الديوان ٨٢ (طبع فينا ١٩٠٢). والخطط (١: ٢٠٩).
(٢) مواقير: محملات. والقناء: العذق بما فيه من الرطب. والبرنى: تمر أصفر مدور، وهو أجود التمر. والسرب: جمع سربة، وهى جماعة النخل.
(٣) كذا فى الأصل. وفى خـ (١: ٢٠٩): الجملى. ولعله الأصح، لأن «جمل» حى من مذحج، وهى من القبائل التى نزل بعض أفرادها مصر.

فسنقع فيما هو أعظم من هذا فتصبر الآن فليس يأخذ أحد أجره بغير تعب، ومن يصبر إلى المنتهى يخلص، والذى يكون بعد هذا ستنظره، فليس فى هذين الملكين شي من الخير. فلما تمت سبعة عشر يوما من الشهر المذكور أنفا ونحن فى ذلك الضيق فأمر الملك باحضاره فحضرنا، وطالبه بالمال وقال له: بيعك كلها بغير خراج وأنا مطالبك عنها بما يجب عليها. وضيق عليه. فقال له: إذا كان هكذا أيذن لى أن أمضى إلى الصعيد [و] مهما دفعوه

الارثوذوكسى وحضارة أوروبا الشرقية، ولهذا فهى من وجهة نظرهم احدى المعارك الفاصلة فى تاريخ العالم.

وفى عام ٧٢٦ ميلادية عاود المسلمون الاغارة على حدود الأمبراطورية فى آسيا، فدمروا قيصرية، ووصلوا الى نيقية وشواطىء بحر مرمرة، غير أن ليون ألحق الهزيمة بالجيوش الأموية عند أكروينون Acroinon التى تسميها المصادر العربية ربض أقون (قرة حصار بالقرب من عموريه)، مما أدى الى انسحاب

قال العبد الصالح: «ما شاء الله لا قوة إلا الله» ؟ قال: ذكرتنى شكراً، يا غلام، قل لأثيناس(١) يزيد فى عطائه عشرة دنانير».

وعرف عبد العزيز بن مروان بمصر، وهو أول من عرف بها فى سنة إحدى وسبعين.

حدثنا حسن المدينى قال: حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير قال: حدثنى ابن لهيعة.

عن يزيد بن أبى حبيب: «أن أول من أحدث القعود يوم عرفة فى المسجد بعد العصر عبد العزيز بن مروان».

وفى سنة اثنتين وسبعين صرف بعث البحر إلى مكة لقتال ابن الزبير، وجعل عليهم مالك بن شراحيل(٢) الخولانى، وهم ثلاثة آلاف رجل، فيهم عبد الرحمن بن يحنس مولى بنى أبذى بن عدى بن تجيب(٣)، فهو الذى قتل ابن الزبير. ففرض له فى الشرف، وعرف على موالى تجيب. وكان قتل ابن الزبير فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين.

وخرج عبد العزيز إلى الإسكندرية، واستخلف عليها ابنه الأصبغ بن عبد العزيز، وذلك فى

(١) خـ: لأنيتاس. وفى الأصل: لأشناس. تحريف. وا نظر ف(٩٨)، وفيه: أنتناس.
(٢) كذا فى الأصل، ف(٣٦). وفى خـ(١: ٢١٠)ك شرحبيل.
(٣) ر: بحنس.. بنى أندى. وفى خـ: بحنس.. بنى أيزى. والتصحيح من تاج العروس (بذى).

لى النصارى [من الصدقات] وساعدونى به أحضرته لك. فاطلقه وخرجنا من عنده وسرنا إلى الصعيد فلحقنا برد عظيم التلج فى الليل والحر فى النهار من الشمس. وكانت كورة مصر قد هلكو أهلها من الظلم والخساير والخراج، وتعب الأب أنبا خايل فى طريقنا وشقى، ثم أنه اشفى مرضى واعلا كتيرا بصليبه فقط، وأخرج الأرواح النجسه من الناس، وأعاد خلقا كثيرا كانو حادو عن الأمانه الارتدكسيه، وإعانه الله وعدنا إلى مصر ليلة الحادى

المسلمين من غرب آسيا الصغرى، وكان هذا بمثابة التوقف النهائى لهم وانحسار موجة المد الاسلامى فى آسيا الصغرى.

اصلاحات ليون الثالث الادارية والتشريعية:

وبالرغم من انشغاله بالمعارك الشرسة بينه وبين الدولة الأموية الاسلامية، الا أن ليون الثالث وجد وقتا للقيام باصلاحات ادارية وتشريعية، فلقد وجد أن مرافق الدولة الادارية فى حاجة الى تحسين وتطوير لتسهيل الأمور للناس، ولا حداث

سنة أربع وسبعين. وقفل[1] منها، واستخلف عليها جناب ابن مرثد، ولم يعزله عن الحرس والأعوان لكنه استخلف عليها.

وخرج عبد العزيز إلى الشام وافدأ على عبد الملك، فى سنة خمس وسبعين. واستخلف على مصر زياد بن حناطة بن سيف[2] . التجيبى فتوفى زياد بن حناطة فى شوال سنة خمس وسبعين، فاستخلف على مصر الأصبغ ابنه. ثم قدم عبد العزيز إلى الفسطاط أول سنة ست وسبعين فجعل على الشرط عبد الرحمن بن حسان بن عتاهية بن حزن التجيبى، أحد بنى سعد.

وأمر عبد العزيز بالزيادة فى المسجد الجامع بمصر، فهدم كله، وزاد فيه من جوانبه كلها، وذلك فى سنة سبع وسبعين.

قال ابن عفير: «كان لعبد العزيز ألف جفنة كل يوم تنصب حول داره. وكانت له مئة جفنة يطاف بها على القبائل، تحمل على العجل إلى قبائل مصر».

قال الشاعر:

---

(١) فى الأصل: ونقل . تحريف.
(٢) كذا فى ر. وفى الأصل . منيف . وفى ن(١٩٣:١) : زياد حنظلة التجيبى.

والعشرين من طوبه ليلة نياحة السيده العدار مرتمريم.

وفى تلك الليله حدث غضب عظيم من الله، وكانت زلزله عظيمه على الكوره وانهدمت دور كتير فى كل المدن ولم يخلص منها أحد ولا نفس واحده، وكذلك فى البحور غرقت مراكب كتيره تلك الليله فى جميع بلاد الشرق من مدينة غزه إلى أخر أعمال الفرس، واحصو المدن التى

التمية والتقدم اللازمين. كما عدل من النظم المالية للدولة بهدف الحد من نفوذ وسيطرة الاقطاعيين على الحياة العامة والرسمية، غير أن أعظم أعماله السلمية هو اصداره عام ٧٢٦م باسمه وبأسم ابنه وولى عهده قسطنطين موسوعة قانونية، عرفت باسم الأكلوجا Ekloga أى المختارات، اشتملت على أهم مبادىء القانون المدنى والجنائى الذى يطبق فى المحاكم. ولقد أعطى فيها اهتماما خاصا لقانون الأسرة والوراثة، يلى ذلك قانون تنظيم وتسجيل الملكيات

كُلَّ يَوْمٍ كَـأنَّهُ يَوْمُ أضْحى ... عِنْدَ عَبْدِ العَزيزِ أوْ يَوْمُ فِطْرِ
ولَهُ ألْفُ جَفْنَةٍ مُتْرَعَات ... كُلَّ يَوْمٍ تُمِدُّها ألْفُ قِدْرِ

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات(١):

أعْنى ابنَ لَيلى عَبدَ العَزيزِ بِبا ... بِ اليُونَ تَغْدو جِفانُهُ رُذُما(٢)

وقال أيمن بن خُريم بن فاتك:

لا يَرْهَبُ النَّاسُ أنْ يَعْدلوا ... بِعَبْدِ العَزيزِ بن لَيْلى أميرا
تَرى قِدْرَهُ مُعْلَناً بِالفِناءِ ... يُلَقِّمُ بَعدَ الجَزورِ الجَزورا

وقال ابن قيس(٣):

تَكُونُ جِفانُهُ رُذُمـا ... فَمَصْبوحٌ وَمُغْتَبِقُ(٤)
إذا ما أزْحَفَتْ رُفَقٌ ... جِئْتَ مِنْ دُونِهِمْ رُفَقُ(٥)

---

(١) ط (٢: ٧٩٠). الأغانى (٤: ١٦٢). الديوان ٢٥٥.

(٢) الرذم: الممتلئة تتصبب جوانبها.

(٣) الديوان ٢٦٦.

(٤) الرذم: الممتلئة تتصبب جوانبها. المصبوح: المشروب صباحاً. والمغتبق: المشروب مساء. ولعله يريد أن من هذه الجفاف ما يقدم ويؤكل صباحا، ومنها ما يقدم ويؤكل مساء.

(٥) الرفق: الجماعات. وفى الديوان: أتت من دونهم رفق.

انهدمت تلك الليله فكانت ستمايه مدينه وقريه، ومات من الناس والبهايم ما لا يحصى عدده، وكانت كورة مصر وأعمالها سالمة سوى دمياط فقط، ولم يكن بمصر إلا خوف عظيم بغير موت ولا هدم، وكانت الأخشاب التى فى الأبواب والحيطان تبرز من مواضعها تخرج وتعود بعد ساعتين. وشهد لنا من نأمن إليه وإلى قوله أنه لم يهلك من بيع الارتدكسيين ولا مساكنهم فى المشرق شى باجمله. كان الأب أنبا خايل قد تقدم

الخاصة. ولقد كان الغرض من اصداره لهذا «الأكلوج» هو تزويد القضاة بمواد تشريعية غائبة عن النصوص القانونية، وبأخرى موجزة تغنى عن مواد القانون المطولة والمتشابكة فى القوانين العتيقة والتى تعود الى عهد جستنيان الكبير، والتى ظلت أساس القانون الرومى. ولقد تأثرت الأكلوجا بتعاليم الكنيسة، وبالعرف والتقاليد الشرقية، فيما يختص بحقوق الزوجات والأبناء، وحماية عقود الزواج، واعتبارها من الأسرار المقدسة التى لا يجوز فسخها. كما استحدثت

وقدم حسان بن النعمان الغسانى من الشام إلى مصر، بعهد إلى المغرب فى سنة ثمان وسبعين. فسأله عبد العزيز أن لا يعرض لأطرابلس. فأبى حسان ذلك، فعزله عبد العزيز، وولى موسى بن نصير مولى لخم أمر المغرب كله فسار موسى ففتح الله عليه الفتوح بها.

وخرج عبد العزيز إلى الإسكندرية خرجته الثالثة سنة إحدى وثمانين. وخرج معه إليها وجوه الناس من الأشراف والشعراء. فقال ابن قيس الرقيات[1]:

غَدَوْا مِنْ مَدْرَجِ الكرْيَوْ ... نَ حَيثُ سَفِينُهم حِزَقُ [2]
فَلَمَّا أنْ عَلَوْنَ النَّيـ ... ـلَ وَالرَّاياتُ تَخْتَفِقُ
رَأيتُ الجَوْهَرَ الحَكَمِيَّ ... وَالدِّيباجَ يَأتَلِقُ
سَفائِنُ غَيْرُ مُقْرِفَةٍ ... إلى حُلْوانَ تَسْتَبِقُ[3]

---

(١) الديوان ٢٦٥، وهى من القصيدة التى منها البيتان السابقان. ومعجم البلدان لياقوت «كريون».

(٢) المدرج: الملك. وكذا هى فى الديوان، وفى الأصل: دورج. وكريون: موضع قرب الإسكندرية. الحزق: الجماعات. والبيت عند ياقوت:

غدوا من ريح كريو ... ن حيث سفينهم حزق

(٣) مقرفة: خسيسة غير حسنة، ولعلها بفتح الراء بمعنى أنها مرمية بالشر. وفى الديوان: مقلعة وعند ياقوت: مفرقة.

إلى جميع سكان مصر ونوا حيها بمداومة الصوم والصلاة. فلما نظر ذلك الكافر «عبدالملك» ما جرى من غضب الله أخذ الذى تصدق به النصارى على البطرك منه وأطلقه.

وقد تركت كثير لم اكتبه ليلا تطول السيرة ويمل القارى ولكن قد اضطرنى الأمر أن أذكر شيا يسيرا لا تجب الغفلة عنه، وذلك أنه كان فى دونقلا (بلد من بلاد النوبه) ملك اسمه مرقوريس

الأكلوجا عقوبات لم تكن معروفة من قبل، لتحل محل عقوبة الاعدام، مثل جدع الأنف، وهى عقوبة أو جدها المصريون القدماء وطبقوها منذ عهود الدولة الوسطى، كما أوجدت الأكلوجا عقوبات أخرى مثل شق اللسان، وقطع الأيدى، وسمل العيون، وحلق شعر الرأس. وأعلن ليون فى مقدمة هذه الموسوعة القانونية أنه يشن حربا شعواء على الرشوة والفساد فى الجهاز الادارى، وأنه من أجل ذلك وفر الرواتب المناسبة لرجال القضاء من قبل الدولة.

مَحَلّ قَدْ نَحُلّ به | لَذيذٌ عَيْشُهُ غَدِق[1]
يَحُلّ بِهِ ابنُ لَيْلى وَالنَّـ | دى وَالحِلْمُ وَالصَّدَقُ

وخرج عبد العزيز إلى الإسكندرية أيضا خرجته الرابعة سنة ثلاث وثمانين. وفيها توفى جناب بن مرثد. فجعل مكانه على الحرس والأعوان والخيل عمرو ابن كريب بن صالح بن ثمامة الرعيسى. فتوفى عمرو بعد أربعين ليلة، فجعل مكانه سعيد بن يعقوب المعافرى ثم الشعبانى. وتوفى عبد الرحمن بن حسان بن عتاهية التجيبى، فى جمادى الأولى سنة أربع وثمانين. فجعل على[2] الشرط يونس بن عطية بن أوس بن عرفج بن [ضمار بن مرثد بن رحب] الحضرمى من الأشباء[3]. ثم صرف يونس لمستهل سنة ست وثمانين، فجعل على الشرط عبد الرحمن بن معاوية بن حديج التجيبى.

وكتب عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز، يسأله أن يرفع[4] له عن ولاية العهد، ليعهد إلى الوليد وسليمان، فأبى عبد العزيز ذلك.

(١) كذا فى الأصل والديوان . وفى ر: من يحل. (٢) ص: عن.
(٣) الاسم محرف وناقص فى ر، ص، فليس فيهما إلا: يونس بن عطية بن أوسن بن أوفح بن.. الحضرمى من الأشيبا. والتصحيح من تاج العروس «ضمر» ، وف ١٢٣، ١٢٤.
(٤) كذا فى ر . وفى ص: يدفع . وفى خـ (١: ٢١٠) :ينزل.

وكان يدعى قسطنطين الجديد لأنه صار بأفعاله الجميلة كأحد التلاميذ. ووهب له الرب ولدا سماه زخريا، فلما مات مرقوريس الملك لم يختر زخريا أن يكون ملكا بل كان مشغولا بكلام الله وخلاص نفسه، فرفض المملكه وقدم على المملكه قريبا له اسمه سيمون، كان ارتدكسيا فسلك طريق مرقوريس الجيده، ومات سيمون فعمد زخريا إلى شاب شجاع من القصر اسمه إبراهيم جعله ملكا، وكان متكبرا شريرا. وكان أسقف مدينة الملك

تزايد عبادة الايقونات:
منذ قيام الأمبراطورية الرومية والديانة المسيحية تلعب دورا أساسيا فى حياة وفكر المواطن، بصرف النظر عن درجته الاجتماعية أو المالية؛ وحتى القرن السابع الميلادى أى قبل دخول فلسطين فى حوزة ديار الإسلام، كان الزوار الروم يأتون برفات القديسين والشهداء من الأرض المقدسة ويحتفظون بها ويجلونها، وذلك جريا على تقليد قديم قامت به الامبراطورة هيلانة عندما ادعت بأنها جاءت بقطعة من الصلبوت الأصلى من

فحدثنى ابن قديد، عن عبيد الله بن سعيد بن عفير، عن أبيه،

عن القاسم بن الحسن بن راشد قال: «فكتب إليه عبد العزيز: إن يكن لك ولد فلنا أولاد، ويقضى الله بما يشاء. فغضب عبد الملك، فبعث إليه عبد العزيز بعلى بن رباح اللخمى يترضاه. فلما قدم على عبد الملك استعطفه على أخيه. فشكاه عبد الملك وقال: فرق الله بينى وبينه. فلم يزل به حتى رضى . فقدم على عبد العزيز، فجعل يخبره عن عبد الملك وحاله، ثم أخبره بدعوة عبد الملك. فقال: أفعل ؟ أنا والله مفارقه، والله ما دعا دعوة قط إلا أجيبت . قال سعيد: وكان فى كتاب عبد العزيز إلى عبد الملك: إنك لو رأيت الأصبغ لسرك، ولم تقدم عليه أحدا».

وقال عبد العزيز بن مروان: «قدمت مصر فى إمرة مسلمة بن مخلد، فتمنيت بها أمانى فادركتها:تمنيت ولاية مصر، وأن أجمع بين امرأتى مسلمة، ويحجبنى قيس بن كليب حاجبه». فتوفى مسلمة، فقدم مصر فوليها، فحجبه قيس، وتزوج امرأتى مسلمة:و هما كلثوم الساعدية وأروى بنت راشد الخولانى.

وتوفى الأصبغ بن عبد العزيز يوم الخميس لتسع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ست وثمانين. فمرض[1] عبد العزيز بعد وفاة الأصبغ ثم توفى ليلة الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت

---

(١) كذا فى خـ ١٠ : ٢١٠). وفى ر: مرض.

[كرياكس] يردعه ويعلمه فلا يلتفت إليه، ولأجل ذلك وقع بين الملك والأسقف خصومه فكتب كتابا الى الأب البطرك أنبا خايل يقول فيه ويقسم: أنك إذا لم تقطع كرياكوس وإلا جعلت كورتى كلها تعبد الأوثان. لأنه كتب عنه قولا محالا وشهادات زور. فلما وقف البطرك على ذلك كتب له كتب سلامه، فلم يرض لكنه رجع كتب كتبا أخرى أشر من الاول بشهود زور وانفذها إلى اسكندريه مع كرياكوس الأسقف القديس. فجمع

فلسطين، ابان رحلة لها الى الأرض المقدسة، ومنذ ذلك الوقت تدفق الحجاج الروم على الأرض المقدسة بحثا عن الرفات والآثار المباركة، وعندما كانوا يعودون الى مدنهم وقراهم يودعون ما جاءوا به في أديرتهم وكنائسهم الاقليمية، وبمرور الزمن أصبح في القسطنطينية عدد كبير من هذه الرفات والآثار المباركة. ولذا أقام سكانها معرضا خاصا، عرضوا فيه رداء ونطاقا (حزاما) اعتقدوا أنهما كانا خاصين بالسيدة العذراء؛ وبأمر صادر من جستنيان

من جمادى الأولى سنة وثمانين[١] فحمل في الليل[٢] من حلوان إلى الفسطاط، فدفن بها.

حدثنا علي بن سعيد قال: حدثنا سعيد بن يحيى الأموى قال: حدثنا ابن حديج.

عن ابن أبي مليكة قال: رأيت عبد العزيز بن مروان حين حضره الموت يقول: «ألا ليتنى لم أك شيئاً مذكوراً، ألا ليتنى كناسة[٣] من الأرض، أو كراعي إبله[٤] في طرف الحجاز، من بني نصر بن معاوية أو بني سعد بن بكر».

فاستخلف عبد العزيز على مصر أخاه محمد بن مروان على الجند[٥]، وجعل مالك بن شراحيل الخولاني يصلي بالناس.

(١) ن(١:١٧٤): كانت وفاة عبد العزيز في ثالث عشر جمادى الأولى سنة ست وثمانين من الهجرة، وقيل: سنة خمس وثمانين. وجعلها الطبرى وابن سعد في ٨٥.

(٢) خـ (١:٢١٠): في النيل.

(٣) خـ : كنابتة.

(٤) خـ: إبل.

(٥) ف (٢٣٧): «فلما توفي عبد العزيز بن مروان، أمر عبد الملك بن مروان على أهل مصر عمر بن مروان، فأقام شهراً إلا ليلة، ثم صرف وولى عبد الله بن عبد الملك». وهو الأصح لأن عمر يذكر بين من كان له قصور في مصر (ف٩٨)، إما محمد فلا ذكر له في أخبار مصر، وإنما يذكر في ذلك الوقت في أخبار أرمينية (فهرس النجوم).

الأب الأساقفه وعمل سنودس بمدينة اسكندريه، فلما اجتمعو أخرج الكتب وقريت، فعلمو أن كلما فيها محال، ثم انهم قالو كلمه لأجل ملك الكوره ليلا [لئلا] يكون فساد من الشيطان هناك، فسألو الأسقف «كرياكوس» أن يجلس فى أحد ديارات اسكندريه إلى أن يزول غضب الملك، فلم يجب إلى ذلك، فلما رأوه لا يسمع منهم قالو: أمض إلى حيث تريد لتقيم هناك. ولم يطلقوا له القداس فى كنايس مصر واقسمو الذى انفذه لهم

نفسه، حفظت هذه الأشياء فى كنيسة القديسة مريم البلاخرنية، واعتقد الناس أن رداء العذراء ونطاقها كفيلان بحماية القسطنطينية من السقوط والخطر، ومن ثم كانوا يلجأون الى حملهما، والطواف بهما حول أسوار العاصمة كلما هددها العدو.

كذلك كان الروم يقدسون ويجلون بشدة المنديل المقدس، والذى يعرف فى الكنيسة اللاتينية باسم منديل فيرونيكا Veronica والذى طبقا للرواية، أن امرأة شاهدت المسيح

قال ابن عفير: «ولي عبد العزيز مصر، فكان خراجها وجبايتها إليه. فلم يوجد له مال نض[١] إلا سبعة آلاف».

وحدثنا أسامة قال: حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح قال: حدثنا أبو صالح قال:

حدثني الليث: «أن عبد العزيز مات حين مات، وإنما ترك حلوان والقيسارية وثياباً كان بعضها مرقوعاً وخيلاً ورقيقاً».

وكانت ولاية عبد العزيز عليها عشرين سنة وعشرة أشهر وثلاثة عشر يوماً. ولم يلها منذ الإسلام إلى يومنا هذا أطول ولاية منه.

وقال ذو الشامة محمد بن عمر[٢] بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط، يرثى عبد العزيز وابنه الأصبغ:

نَقــول غــداة قطعنا الجــفـا ... ر وَالعَينُ بالدّمعِ مُـغْـرورَقـهْ
مَـقـالَ امْـرئٍ كـاره للفْـرا ... قِ تاعَ البـلادَ وَباعَ الرّقـه[٣]

---

(١) المال النض والناض: الدرهم والدينار. وفى خـ: ناض.
(٢) كذا فى ق، والتاة. وفى ر: عمرو.
(٣) تاع البلادك قطعها. والرقة: الدراهم المضروبة.

وهو يحمل الصليب يتصبب عرقا، فرق قلبها له، فاندفعت مخترقة حصار الجنود الرومان لتمسح بمنديلها وجهه، وعندما عادت وجدت أن صورة المسيح قد طبعت على هذا المنديل، وأصبحت هذه الصورة تعرف عند الأرثوذوكس باسم «صورة المسيح التي لم ترسمها يد انسان». وهناك العديد من هذه البقايا المقدسة تتوالى حسب أهميتها، والتي حافظ الروم عليها بحماس شديد، وبلغ من كثرة الآثار ان بعض كنائس

الملك وكان اسمه «يوانس» وقالوا «لكرياكوس»: ان كان هذا الأمر ليس هو من الله فسوف تنظر ما يكون وتعود إلى كرسيك دفعة اخرى لأننا لم نبعدك عن كرسيك بحرم لكن لأجل شر الملك وما اعتمده. فلما نهضو كل منهم إلى موضعه ظهرت أعجوبه عظيمه، كان لوح [أيقونه في إطار] عظيم فوق كرسي البطرك أنبا خايل وفيه صورة يوحنا فم الذهب فبعد إزالتهم الأسقف عن كرسيه انقطعت الحبال من الصوره ونزلت في

وفــــارَقَ إخْـــوانَهُ كـــارِهاً ... وَأهْلَ الصَّـفـاء وَأهل الثّـقَـهْ
أبَعْـدَ الخَليـفَـة عَـبْـد العَـزيز ... وَبَعْـدَ الأمـيـر كَـذا وابقـهْ(١)
فَـمـا مـصْـرُ لي بَعْـدَ العَـزيـ ... ز وَالأصـبَغ الخَـيـر بالمُونقـهْ
إمـــامَيْ هُـدًى وَهَـديـي تُـقـىً ... وأهْل الوَفـاء وَأهْل الثّـقَـهْ
سَـقَى اللهُ قَـبْـرَيْهِـمـا وَالصّـدى ... وَمـا جـاوَرا ديمَـةً مُـغْـدقَـهْ(٢)
فَـإنْ تَكُ مـصْـراً أشـارَتْ بهـا ... إلى الشّـرّ يَوْمـاً يَدٌ مُـوبِقَـهْ
فَـقِـدْمـاً تَقِـرّ بِمـصْـر العُـيُـو ... نُ في لَذّة العَـيْش مُـغْـدَوْدِقَـهْ(٣)

وقال سليمان بن أبان بن أبي حدير الأنصاري(٤) يرثي عبد العزيز والأصبغ:

---

(١) وابقة: مهلكة. وكذا الكلمة في ر، وكانت بغير نقط في الأصل.
(٢) الصدى: الجسد من الآدمي بعد موته، وحشو الرأس. والديمة: المطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق. والمغدقة: الكثيرة الماء.
(٣) مغدودقة: متزايدة. وفي الأصل: معدودقه، فجعلها ر: محدودقه.
(٤) نسب السيوطي في حسن المحاضرة (٢: ٨) البيت الأول إلى عمر بن أبي الجدير. ونسب البلاذري في أنساب الأشراف ١٨٤ (تحقيق جويتين) الأبيات الثلاثة الأولى إلى أبي بكر بن أبي جهم بن حذيفة العدوي.

وسط الأساقفه ولم تزال تتحرك وتقفز حتى خرجت من وسطهم، فمضو وأخذوها واعادوها إلى مكانها الأول، ولم تزل هكذا تلت دفعات، وكلما علقوها نزلت هكذا حتى مضت إلى موضع من البيعه ووقفت هناك، وكان ذلك الأسقف يشبه صورة يوحنا فم الذهب، لأن خديه كانا خاليين من الشعر حتى كأنه بغير لحيه وهذه من صفات يوحنا فم الذهب أنه كان كذلك، وكان الأسقف شيخا ابن تمانين سنة فى ذلك اليوم وكان منظره متل

الروم أقامت ملحقا خاصا يعرف بدار الشهيد Martyrion (المارتوريون)، وكان هذا الملحق يخصص لآثار القديس الذى اقيمت من أجله الكنيسة، وفى الذكرى السنوية لأستشهاده، يقام قداس خاص على روحه داخل هذا الملحق. ويرجع تاريخ هذا التقليد الى عصر الامبراطور جستنيان، أول من أقام دارا للشهيد فى القسطنطينية. ولكن تدفق هذه الآثار توقف بعد الفتح الاسلامى لفلسطين، وأصبح من الصعب على

أبَعدَكَ يا عَبْدَ العَزيزِ لحادثٍ — وبَعْدَ أبي زَبّانَ يُسْتَعتَبُ[1] الدَهْرُ
فلا صَلُحَتْ مِصْرٌ لحَيٍّ سِواكُما — ولا سُقيَتْ بالنيلِ بَعد كما مصْرٌ[2]
ولا زالَ مَجْراهُ منَ الأرْضِ يابِساً — يموتُ به العُصْفُورُ وانحَرَفَ القَطْرُ[3]
فَمنْ ذا الذي يَبْني المَكارِمَ والعُلى — ومَن ذا الذى يهدى له بَعدكَ السّفرُ[4]
فكُنتَ حَليفَ العُرْفِ والخيرِ والنّدى — فمتْنَ جَميعاً حينَ غَيّبَكَ القَبْرُ
فَبَعْدكَ لا يُرْجَى وَليدٌ لنَفْعَةٍ — وبَعْدَكَ لا يُرْجَى عَوانٌ ولا بِكْرُ[5]

وقال نصيب يرثى عبد العزيز والأصبغ ابنه:

بكيتُ ابنَ ليلى وابنَه ورأيتُني — أحَقّ الألى أمْسَوْا نَعَى ببُكاهُما
هُما أخَواىَ الصالحانِ تَوالياً — بحَمْدٍ فَهذا للفِراقِ أخاهُما
فإنْ نُزِعا مِصْراً فَبالجَدِّ فارَقا — أحلٍ وَخَلا فسْطها وَقُراهُما

---

(١) يستعتب: يطلب منه الرضا أو يعطاه. وكذا هى فى س، والبلاذرى، وفى ر: يشعب.
(٢) زيادة من س والبلاذرى ليست فى الأصل، وهى ضرورية لفهم البيت الآتى.
(٣) القطر: المطر. وفى ر: وانجدب القطر، ومال إلى أن صوابها: انجذب . وعند البلاذرى: واستبطئ.
(٤) يهدى: يسير على هدى. وربما كانت محرفة عن :يهوى.
(٥) العوان : المرأة فى منتصف عمرها.

الحجاج الروم أن يسافروا عبر أراضى الدولة الأموية الى فلسطين، ومن ثم استغل الفنانون الروم الفرصة ليقوموا برسم ايقـــونات ملونة للرسل والقـديسين لتـحل مـحل هذه الآثار الاصلية وبيعها للناس.

وفى وسط هـذا المنـاخ الدينـى نمت العقلية المتشربة بحب الخيال والخـرافـات، وعلت مكانه رجـال الدين، أحيـاؤهم وأمواتهم، وقـصـد الناس خلواتهم ومـعـتكفـاتهم، بل وأضرحـتهم، يلتـمـسـون البـركـات، ويحج اليـهـا أصـحـاب الحـاجـات،

ملاك الله، ثم انصرفو الأساقفة إلى كورهم ومضى كـرياكـوس إلى دير من ديارات بلاد النوبه ويوانس الأسـقف الجديد مضى إلى مـدينة المملكه. وشهد لنا ثقات أن المطر لم ينزل على تلك الكوره مدة ما كان بقى من حياة كرياكوس الأسـقف، وفى كل سنه يأتى عليهم وبا [ء]، والذين شهدو عليه بالزور عميت عيـونهم سريعا. وكـمل له من العـمر مـايه وأربع سنين ثـم سأل الله أن ينقله من الجسد، فلمـا تنيح مـضـو أهل كـورته إلى قـبـره وسـألوه بدمـو ع

بحُسْنِ الثّنا وَالحَمد فى النّاسِ فارقَا ... ألا بِأبى حَـــقـــاً وَأمّى ثَنا هُمـــا
فَما طَائعاً إنْ فارقَا العَيْشَ فارقَا ... نُصَـيـبـاً وَلا وَالله مـا إنْ قَـلاهُمـا
جزَى خَيْرٌ [مولَى] مَوْلَيَيَّ وَلا جزَى ... مِنَ النّاسِ خَـيـراً مَنْ أحبَّ رَداهُمـا

١٤ . عبد الله بن عبد الملك(*)

ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، يكني أبا عمر

ثم وليها عبد الله بن عبد الملك، من قبل أبيه، على صلاتها وخراجها. فدخلها يوم الأثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ست وثمانين، ووهو يؤمئذ ابن سبع(١) وعشرين سنة. وقد تقدم إليه أبوه أن يعفى آثار عمه عبد العزيز، لمكانه من ولاية العهد. فاستبدل(٢) بالعمال عمالا، وبالأصحاب أصحاباً. وأراد عبد الله بن عبد الملك عزل عبد الرحمن بن معاوية بن حديج عن الشرط، فلم يجد عليه مقالاً ولا متعلقاً، فولاه مرابطة

(*) الخطط (١: ٣٠٢)، والنجوم (١: ٢١٠)، وحسن المحاضرة (٢: ٨).
(١) كذا الأصل، ن. وفى خـ (١: ٣٠٢): تسع.
(٢) كذا فى خـ. وفى ر: واستبدل.

غزيره بان يسأل الله أن ينزل عليهم المطر، فكان ذلك حتى اخصبت كورتهم وارتفع الوبا عنهم. فلما نظر «زخريا» الملك إلى هذه الأمور نفا إبراهيم الملك إلى جزيره في وسط البحر واقام ملكا اسمه مرقس عوضا منه لأن زخريا كان قد صار أبا الملوك إلي الآن، ثم أن اصحاب مرقس مضو سرا بمكر ليقتلو إبراهيم فى النفى، فلما علمو أصدقا إبراهيم الملك بذلك مكرو بمرقس الملك وهو يصلى قدام الهيكل فى البيعه فقتلوه فى سادس شهر من

ليعودوا بأثر من آثارهم أو بصورة لهم، ليكون ذلك الأثر الملاك الحارس، والأب الروحى لهم ولأطفالهم وذويهم. وعلى هذا النحو ارتفع شأن القديس ديمتريوس فى سالونيك، والقديس اندراوس فى بتراس، وأحيطت صورهما بهالة من التقديس والأجلال، وخلع عليهما صفات ليست من صفات البشر كالعصمة من الخطيئة، والتنزيه عن الرذيلة، ونحو ذلك. كما احتلت صور المسيح والعذراء الأماكن الهامة فى القسطنطينية وغيرها من مدن الروم،

الإسكندرية. وجعل على الشرط عمران بن عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة، حليف بنى زهرة، وجمع له القضاء والشرط.

وتوفى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، يوم الخميس لأربع عشرة ليلة خلت من شوال سنة ست وثمانين، وبويع الوليد بن عبد الملك فخرج عبد الرحمن بن معاوية بن حديج، وأخذ له بيعة أهل مصر. فأقر الوليد أخاه عبد الله على صلاة مصر وخراجها.

وأمر عبد الله بن عبد الملك بالدواوين، فنسخت بالعربية، وكانت قبل ذلك تكتب بالقبطية. وصرف عبد الله أثيناس[(١)] عن الديوان، وجعل عليه ابن يربوع الفزارى من أهل حمص. ومنع عبد الله من لباس البرانس، وذلك فى سنة سبع وثلاثين. وابتنى عبد الله المسجد المعروف اليوم بمسجد عبد الله.

وفى ولايته غلت الأسعار بمصر وترعت[(٢)]، فتشاءم به المصريون. وهى أول شدة رأوها. وزعموا أنه ارتشى، وكثروا عليه، وسموه مكيسا[(٣)]. ثم قدم عبد الله إلى أخيه الوليد فى صفر

(١) ر: أشناس. (٢) كذا فى ر، وليست فى خـ، ن.

(٣) المكس: النقص والظلم، ودراهم كانت تؤخذ من بائعى السلع فى الأسواق فى ا لجاهلية، ودرهم كان يأخذه المصدق بعد فراغه من الصدقة. والمكيس: المكثر من فعل ذلك. وفى ف (١٢): مكيساً، بفتح الياء وتشديدها. وفى س(٩:٢): تكيس.

وأمامها كانوا يسجدون في خشوع، ومنها كانوا يستلهمون النصر ودفع المكروه، ومن خلالها كانوا يلتمسون البركات والشفاء وقضاء الحاجات، فهي تخفر البيوت، وتروج سلعة التاجر، وتحمى الفتاة من الحسد وتجلب لها فتى أحلامها. فقد كانت هذه الأيقونات تزود مريديها بقوة روحية لاحد لها. بل أشاعوا أن انتصار هرقل على الفرس عام ٦١٤م انما كان بسبب بركة أيقونة للعذراء هبطت عليه من السماء. وامتلأت الكنائس والأديرة بهذه الصور المقدسة، وعلقت بالدور والحوانيت، وطرزت على الملابس، ونقشت على الكتب والأثاث وغيرها، وامتلأت ميادين القسطنطينية بتماثيل المسيح والعذراء والحواريين، كما نصبت على أسوار القصور الملكية. وسرت شائعات حول صور تكلمت، وأخرى تحركت. ولقد كان في مصلحة رجال الدين تدعيم وتغذية هذا الخيال والاعتقاد، حتى يجنوا من صناعتها وبيعها الربح الوفير، معللين ذلك بأن هذه الصور ما هي الا وسيلة ايضاح لتعليم العامة والبسطاء العقيدة، لانهم لا يقدرون على فهم الكتاب المقدس، ولا على ادراك واستيعاب قوانين الايمان المسيحي ذات الطابع الفلسفي. غير أن الأمر قد أفلت من الحد المرسوم، فاضحى زعماء الكنيسة أشخاصا مقدسين، واستوى في نظر العامة الأحياء منهم والأموات. وقال الداعون الى عبادتها، أنها تخاطب العاطفة وحاسة البصر، كما تخاطب آيات الكتاب المقدس العقل وحاسة السمع؛ ومن أقوالهم «ان لم تعبد الصور، فقد كفرت بأبن الله ولم تعبده، فهو نفسه الصورة المحسوسة للرب الذي لا يراه أحد»، وقال القديس باسيليوس «أن تقديس الصور هو طريق الوصول الى المثل العليا». ومما شجع على ذلك أن قسطنطين الكبير كان قد زين جميع المرافق العامة والكنائس في القسطنطينية بصور مقدسة، استلهمت موضوعاتها من الكتاب المقدس».

شرع الرساموان الروم يرسمون صورا دينية شبيهة بتلك الصور التي تزين حوائط الكنائس، وأسقفها الداخلية منذ القرنين الخامس والسادس الميلاديين. وهذه الصور الصغيرة الحجم عرفت باسم الأيقونات، وبالرغم من أن المعنى الأصلي للكلمة الأغريقية يعني «صورة»، الا أن معناها اتسع ليطلق على جميع أنواع المصورات الدينية، خاصة تلك التي ترسم على قطع من الخشب. وفي المراحل المبكرة لهذا النوع من الفنون نجده قريب الشبه بالصور الخشبية التي وضعت كأقنعة في المومياوات المصرية وتعرف بصور الفيوم Fayum Portraits (لأن أغلبها وجد في مقابر اللاهون بالفيوم، وترجع الى ما قبل القرن الأول الميلادي)، غير أن أهل القسطنطينية ابتدعوا حكاية تقول أن أول من رسم أيقونة هو القديس لوقا Lucas أحد حواري المسيح، الذين صاحبوه في حياته، وكتبوا عنه بعد ذهابه، اذ رسم لوقا بنفسه صورة اعتبرت أول أيقونة للسيدة العذراء؛ وهناك صورة أخرى للمسيح التي ذهب بعض المغالين الى القول بأنها من صنع الله.

وربما ساعد على نشر فن الايقونات اهتمام الاباطرة مثل جستنيان بتزيين حوائط كاتدرائية أيا صوفيا المواجهة للمذبح بثلاثة مجموعات من المناظر المحفورة المعروفة باسم المسيح وحوارييه Deesis ومن بعد هذه المجموعات شاع استخدام الأيقونات في الكنائس الكبرى ذاتها، بالرغم من أن حوائطها كانت في العادة مغطاه بصور كبرى مرسومة أو مركبة من قطع الفسيفساء، أما بالنسبة للكنائس الصغرى المتواضعة فقد أقبلت على اقتناء الايقونات، وتعليقها على جدران حوائطها الصماء، غير المرسومة أو المزخرفة، لأنها الوسيلة الوحيدة لتصوير العائلة المقدسة، وأهم الأحداث التي شهدتها. غير أن العامل المؤثر في ازدهار فن رسم الأيقونات البيزنطية ومن ثم الاوربية هو دخول فلسطين في حوزة الدولة الاسلامية، وتوقف

سبيل الآثار والتحف الدينية من الشرق، مما أحدث نقصا استغله الرسامون الدينيون لرسم المزيد من الأيقونات لسد النقص؛ وبمرور الوقت أصبحت هذه الأيقونات هي التي تحظى باهتمام المتعبدين، واكتسبت معنى عاطفيا عميقا؛ بحيث يستطيع المتعبد الاقتراب منها بدرجة أكبر من اقترابه من رسومات الحوائط الكبرى والقباب العالية، ونتيجة لذلك نشأت رابطة عاطفية، روحانية بين المتعبدين والايقونات، بالرغم من أنهم كانوا يعرفون أن هذه الصور ليست صورا طبق الأصل للشخص الذى تصوره، بل اعتبروها أقرب شبها اليه، وبمرور الوقت أصبح لكل قديس يظهر على الأيقونات ملامح مميزة يسهل التعرف عليه من خلالها.

كان المتعبدون للأيقونات يشعرون بأنها تقوم مقام الوسيط، فهي تساعدهم في حث ورجاء القديسين للصلاة من أجلهم، ومن أجل أن تتوسط لهم لدى الخالق القادر على كل شيء ليحقق لهم رغباتهم وأمانيهم الدنيوية، وكان الروم يحرصون على التمييز بين عبادة الأيقونات المشروعة، وعبادة الأصنام الوثنية المحرمة. ففي الحالة الأولى يعلم المتعبد أنه يتوجه بصلواته للقديس المصور على الأيقونة، وليس للايقونة في حد ذاتها، وبالرغم من ذلك اعتقد بعض الروم أن للايقونات قدرة على الأتيان بالمعجزات والخوارق، وعندما شاع ذلك الاعتقاد ضاع الخط الذى كان يفصل بين عبادة الأيقونات، وعبادة الأصنام؛ ففى القرن الثامن الميلادى انتشرت عبادة الأيقونات Iconaltry بشكل لفت أنظار المثقفين، وجعلهم يشعرون بالقلق خوفا، من أن يؤدى ذلك الى عودة الوثنية الكامنة فى نفوس الناس تحت قشور الإيمان.

غير أن فريقا من رجال الدين أثاروا تخوفا ومعارضة ازاء تفشى عبادة الصور والأيقونات، ودعوا الى مقاومة هذه الظاهرة بحركة مضادة لا ايقونية، وذلك حتى قبل عصر الأسرة الأيسورية التى اقترن تاريخها بمثل هذه الحركة. وترجع جذور الاعتراض الى انكار بعض القديسين القدماء من أمثال كلمنت السكندرى Clement لهذه البدعة، ثم تزايدت حدة المعارضة فى القرن الخامس على يد بعض الاساقفة مثل الأسقف فيلومينوس فى هيرابوليس (شمال غرب حلب بالقرب من ساحل الفرات)، وفى القرن السادس قامت حركة فى أنطاكية ضد عبادة الايقونات، امتدت حتى اقليم الرها (Edessa) حيث قذف الجنود الثائرون صور السيد المسيح بالأحجار، ومن الأباطرة الذين قاوموا عبادة الأيقونات الأمبراطور موريق Mauricius (٥٨٢ ـ ٦٠٤م). وفى الغرب أمر الأسقف سيرينيوس أسقف مرسيليا بتحطيم جميع الأيقونات فى الكنائس مما جعل البابا جريجوريوس يبعث اليه برسالة يلومه فيها على فعلته بالرغم من تبرمه مما آل اليه أمر الأيقونات من التقديس والعبادة، لكنه كان يرى أن لبقائها فائدة وهو تعليم البسطاء، ولذلك كتب الى سيرينيوس يشكره على حماسته وغيرته على دينه، ودعوته بأنه لا ينبغى عبادة شيء يصنعه مخلوق من خلق الله؛ لكنه يوضح له أن عبادة الصورة شيء واتخاذها وسيلة للتعليم شيء آخر. كما أن هناك فرق أخرى أنكرت ما يقوم به الأيقونيون من السجود للصور المقدسة، واعتبرت ذلك ضربا من ضروب الوثنية، وقاومت عبادة الصليب والعذراء والمسيح مثل اتباع بولوس السميساطى فى كوماجينى على نهر الفرات شمال غرب الشام، وجماعة مساليا فى أرمينيا، وجماعة البوغول فى بلغاريا، مما شجع فريق من رجال الدين ومن المثقفين على الدعوة علنا لحظر هذه البدعة.

وفى حقيقة الأمر، لم تكن الحركة اللاايقونية هدفا فى حد ذاتها، وانما كانت بندا من برنامج اصلاحى كبير قصد به ليون الثالث اعادة بناء الأمبراطورية بعد أن تدهور حالها فى القرن السابع ومطلع القرن الثامن، نتيجة للفتن الداخلية الناتجة عن النزاع بين جستنيان الثانى والارستقراطية لاقطاعية، وبسبب هجوم المسلمين بقيادة مسلمة بن عبدالملك؛ كانت هذه

هى الاعتبارات التى دارت فى ذهن ليون الايسورى، حتى أنه يعتبر بحق المؤسس الثانى للأمبراطورية بعد جستنيان الكبير. ووصل الخلاف بين حزب اللاايقونيين وحزب الايقونيين الى قمته على أثر انتهاء ليون الثالث من دفع المسلمين بعيدا عن القسطنطينية عام ٧١٧، ومن ثم استدار لحسم الخلاف بين الحزبين. وقد كان موقفه من عبادة الايقونات جزءا من برنامج أكبر للاصلاح السياسى والاقتصادى والاجتماعى للامبراطورية. التى كانت مطمعا من جانب المسلمين فى الشرق، والبلغار فى الغرب. فقد راع ليون كثرة عدد الاديرة للرهبان والمتنسكين ايثارا للدعة، وطلبا للمهابة والوقار، فقل عدد المقبلين على الجندية والوظائف العامة، فرارا من المسئوليات، وتحول الفلاحون من حياة الانتاج الايجابى الى حياة التنسك السلبى، مما أدى الى انحطاط الادارة والخدمات، وضعف الجيش، وتدهورت الزراعة، وضعف الانتاج، بينما ازداد ثراء الكنائس والاديرة، وسيطر رجال الدين على الفكر والثقافة والفنون، كما كان يدور فى ذهن الاباطرة الرغبة القديمة فى السيطرة على الكنيسة والأمساك بالسلطتين الدينية والدنيوية معا، فقد كتب ليون الثالث الى البابا جريجورى الثانى فى هذا الصدد يقول «اننى امبراطور وكاهن»، بينما كتب يوحنا الدمشقى معارضا يقول أن سلطة الكنيسة يجب الا تدخل فى سلطة الامبراطور».

صدور قرار ليون الثالث بتحريم عبادة الايقونات ٧٢٦م:

تضاربت الآراء حول الدوافع التى حدت بالامبراطور ليون الثالث لأتخاذ مثل هذا القرار الجرىء بتحريم عبادة الايقونات، وازالتها من الأماكن العامة، مضحيا بشعبيته بين قطاع كبير من البسطاء، ورجال الاديرة والكنائس، والعاملين فى مجال الفنون الدينية. فقد علل البعض ذلك بأن المقصود بهذا القرار هو تقليم أظافر سلطة الاديرة، التى كانت تشجع عبادة الايقونات، واغلاق بعضها بحجة خروجها عن حدود الدين، ويدعمون رأيهم بأن الامبراطور سبق له أن قلم أظافر ملاك الأراضى، وحد من سيطرتهم على الدولة، وأن قرار تحريم الايقونات هو القرار الموازى لذلك القرار الأول. ومن ناحية أخرى اتهمه المتطرفون من رجال الكنيسة بالوقوع تحت تأثير تعاليم اليهودية والإسلام. اذ يروى ثيوفانيس Theophanes، أن يهوديا من مدينة اللاذقية، لفت أنظار الخليفة الأموى يزيد بن عبدالملك (٧٢٠ - ٧٢٤م) بأمر تكاثر الايقونات فى كنائس النصارى، وتوجههم بالصلاة لها، وعلى أثر ذلك أصدر الخليفة قرارا عام ٧٢٣ ميلادية يقضى بازالة الايقونات من جميع كنائس النصارى فى الدولة الاسلامية، وخاصة كنائس مصر. ويقول المقريزى ضمن حوادث ١٠٤هـ (٧٢٣م) أنه بعد هذا القرار «محيت التماثيل» وكسرت الأصنام بأجمعها، ولهذا يرى البعض أن الدعوة لتحطيم الايقونات والمصورات ما هى الا نتاج التأثر بالحضارة والعقيدة الاسلامية، خاصة أن الاباطرة، الذين دعوا الى ذلك، كانوا من أصول عربية، ولقد اتهم الامبراطور ليون الثالث بالذات بأنه «ذو عقلية اسلامية saracen-minded»، بدليل أنه لم يكد يمضى على قرار يزيد بن عبدالملك ثلاث سنوات، حتى أصدر مرسومه الجرىء عام ٧٢٦م فى السنة العاشرة من حكمه والقاضى بازالة جميع المصورات والتماثيل والايقونات الدينية، وذلك دون اعتبار لمشاعر عبادها، ولا للنتائج التى ترتبت على ذلك القرار، بل أشيع أن أحد السحرة اليهود كان قد لقى ليون، وهو جندى بارز، وبشره بأنه سوف يصبح امبراطورا بشرط أن يعمل على ابطال عبادة الصور المقدسة. وعلى أثر ذلك القرار بدأ جنود الجيش المؤيد للامبراطور، والذى كان مثله أيضا من أصول شرقية، بتنفيذ القرار، برفع تمثال كبير للمسيح كان مقاما فوق بوابة الطباشير، أكبر وأهم بوابات القصر الامبراطورى، واستبداله برمز للصليب. ولقد أثار منظر الجنود وهم ينهالون على التمثال تحطيما مشاعر الغوغاء وخاصة النساء، فتجمهروا حول القائد المكلف بتنفيذ الأمر، وانهالوا عليه ضربا حتى قتلوه، واعتبر

الامبراطور ذلك اهانة له، فاطلق لجنوده العنان للانتقام من عباد الايقونات Iconodules، وكانت تلك الشرارة التي عصفت بالامبراطورية لأكثر من مائة عام، فيما يعرف بالصراع حول نبذ عبادة الايقونات .Iconoclasm

وبالرغم مما أثاره حادثة انزال صورة المسيح من على بوابة الطباشير من معارضة وتذمر، الا أن العصيان والتذمر لم يتضح الا منذ عام ٧٣٠ ميلادية، عندما أصدر ليون قرارا لاحقا يحرم استخدام الصورة البشرية، لتمثيل الرسل والأنبياء في الموضوعات الدينية. وعلى أثر صدور ذلك القرار، احتج بطريرك القسطنطينية جرمانوس بشدة، وانتقد القرار علنا لدرجة أن الامبراطور ليون الثالث فقد أعصابه، فاصدر قرارا باعفاء البطريرك جرمانوس من منصبه، وتعيين البطريرك أنسطاسيوس - المؤيد للقرار - مكانه. وتجاوبت مشاعر الغوغاء مع البطريرك المعزول، ووقف الى جواره رهبان الاديرة، وانضم الى جبهة المعارضة، كبار ملاك الأراضي، والنبلاء المعارضون أصلا للامبراطور، كما أن صناع الايقونات والعاملين في مجال الفنون الدينية (خاصة من أهل افسوس) أعلنوا معارضتهم لهذا القرار، لما يسببه من كساد لمهنتهم التي يتعيشون منها. غير أن الايقونيين الذين انبروا للدفاع عن عبادة الصور هدفوا أيضا من وراء حملتهم الى الحصول على امتيازات جديدة وحريات أوسع من أجل فصل سلطة الكنيسة عن سلطة الدولة، وابطال ما يدعيه الاباطرة الروم بأنهم وحدهم هم الحراس المدافعون عن العقيدة Fidem defensores، وأنهم قبل أن يكونوا أباطرة فهم أيضا رؤساء للكنيسة على نحو ما كان عليه كل من قسطنطين الكبير، وجستنيان العظيم الذى جمع بين السلطتين السياسية والدينية، فقد كان من القاب جستنيان «الامبراطور المقدس» Imperator Sanctus كما أراد الايقونيون فوق ذلك ابطال حق الاباطرة في تعيين البطريرك والاساقفة وترأس المجامع الدينية. ومن المبكرين الذين نادوا بهذه الدعوة ثيودوروس رئيس ديرستوديون بالقرب من القسطنطينية حتى قبيل اندلاع الحركة اللاايقونية وفي اثنائها. وعلى العموم كان في مطلع القرن الثامن معسكران أحدهما أيقوني والآخر لا أيقوني، أما الأول فيتزعمه بطريرك الكنيسة الارثوذوكسية بالعاصمة، وكان في ذلك الوقت اسمه جرمانوس وكذلك البابا، ويؤيدهما كثير من الرهبان، وغالبية النساء والعوام من الناس، فقد كان اغلب النساء متعصبات للايقونات وعبادتها، وذلك بسبب حرصهن على وجود الروح الحارسة لحماية أطفالهن، أما المعسكر اللاأيقوني فقد كان يتزعمه الامبراطور ليون الثالث، وبعض رجال الدين الحاقدين على تزايد نفوذ وثراء الرهبان، وعلى رأسهم قسطنطين أسقف ناقوليا Nacolea، وتوماس اسقف كلاوديوبوليس وثيودوسيوس اسقف برجي Perge في كيليكيا، ومن الملاحظ أن هؤلاء الاساقفة الثلاثة انضموا الى المعسكر اللاأيقوني خلال مرحلة الصراع. كما وقف إلى جانب الامبراطور أكبر المثقفين في عهده، وبعض كبار رجال الادارة والوزراء، ووجوه الدولة، وبعض العامة الذين نقموا على تدخل الكنيسة ومشاركتها لهم في ارزاقهم.

وانتقل الجدل حول عبادة الايقونات من الكنيسة الشرقية الى الكنيسة الغربية، ففي روما عارض البابا جريجوريوس الثاني قرار ليون، ومن بعده عارضه خليفته جريجوريوس الثالث، معربين عن احتجاجهم بنفس اللهجة الصارمة، التي اعترض بها جرمانوس بطريرك القسطنطينية على هذا الحظر، بل ذهب

جـريجـوريوس الثـالث أبعـد من سلفـه، عندمـا أصـدر عـام ٧٣١ مـيلادية قرار الحرمـان من رحـمـة الكنيسـة ضـد جـمـيع الرافـضين لعبـادة الايقـونات، وعلى رأسـهم الامبراطور ليون نفسه!. ومرة ثانية تصـرف ليـون بعـصـبـيـة اذ أمـر بالقبض على المندوب البابوى في القسطنطينية ووضعه في السجن، وأتبع ذلك بقرار جرد فيه البابوية من ممتلكاتها في صقلية وجنوب ايطاليا، وفصل كراسي الاسقفية في هذه المناطق عن سلطان البابا، مما أدى الى اتســـاع الهــوة بين كنيسة القسطنطينية والكنيسة في روما، واستغل البابا تلك الخلافات وراح يعمل على الخروج من دائرة النفـوذ والسلطان الامـبـراطورى الرومى، ومن هـيـمنة الكنيــســة الشرقية اليونانية، ليدعم الكنيسة الغربية اللاتينية، وفي نفس الوقت بدأت الكنيسة اليونانية الشرقية تبـتـعـد تماما عن نفـوذ وتأثيـر الكنيسـة اللاتينية الغربية، وبذلك بدأ الشرخ الكبير يحدث منذرا بانفصال الكنيسة الواحدة الجامعة التي نادى بها قسطنطين الكبير الى كنيستين متعاديتين، واحدة أرثوذوكسية في القسطنطينية، وأخرى كاثوليكية في روما.

ولقد ادت المعارضة الى تحول ليون من سياسة اللين والموادعة الى سـيـاسـة العنف والبطش بالايقـونيين، فكثـرت أعـمـال التخريب واحراق الصـور وتحطيم التمـاثيل، ومن بين المآخذ التي أخذت عليه احراق مكتبة كبرى كانت مجاورة لكنيسة أياصوفيا وكـانت تحـتـوى على ٣٣٠٠٠ كتاب تقريبا، ولما احتج اساتذة جامعة القسطنطينية عاقبهم، وقيل أنه القى بهم في النار. كما ثارت عليه جزر الارخبيل اليوناني Cyclades، ونادوا بامـبـراطور جديد اسمه كوسماس Cosmas بعثوا به على رأس قـوة بحرية لخلع ليون، غير أنه هزم، وتحطم اسطولة، وانقذت الامبراطورية من حرب أهلية مدمرة.

وبالرغم من ذلك فـقـد كـان لقرار ليون الثالث نتائج ايجابية في مجال الفن البيزنطي، فخلال فترة الحظر التي امتدت من عام ٧٢٦م الى ٨٤٣ مـيـلادية اتجـه الفنانون الى الرسومات الدنيوية الحاكية لجمال الطبيعة، وازدهر الفن الدنيـوى المقلد للطبيـعـة، والذى كان مهجورا، ويطغى عليه الفن الديني، مما أحـيـا الفنون الهللينستية والسكندرية القديمة، بل وبعث الحـيـاة في روح الفن الكلاسيكي الأغريقي، وفي نفس الوقت فـرت أعـداد كـبـيـرة من الرســامين الدينيين، الذين لم يقدروا على التحـول من الدين الى الدنيـا ـ الى مـدن الغـرب اللاتيني، حيث وظفوا في أعمال تزيين الكنائس الغـربيــة بالموضوعات التورانية، سواء في روما أو فـيـرونا أو غـيـرهـمـا من المدن، مما أحـدث طفـرة في فن التـصـوير وزخـرفـة الكنائس في ايطاليــا، والولايات الغـربيــة الأخــــرى، وبدأت روح الفن البـيـزنطي العـريق، تغـزو الفن اللاتيني وتبعث فيه الحياة.

حكم قنسطنطين الخامس

الملقب بالنجس ٧٤١-٧٧٥م

وفي عام ٧٤١ ميلادية مات ليون الثالث، واعتلى العرش ابنه قسطنطين الخامس الملقب باسم كوبرونيموس Kopronymos.

وتعنى النجس.

ولقد حاول كوبرونيموس أن يسير على سياسة أبيه، ويتتبع خطواته، فلم يكد يمر عام واحد على توليه الحكم حتى قاد جيشه وعـبـر به ثغـر الأبسيق لقـتـال المسلمين، غـيــر أن زوج أختـه ارتاباسدوس Artabasdos والذى يبدو من أسـمـه أنه كـان فـارسي الأصل، انتـهـز الفرصـة، وهاجم مـؤخـرة جـيش كـوبرونيـمـوس وشتته، وهرب الامبراطور لاجئا يتنقل بين ثغور آسيا الصغرى، أما ارتابا ســدوس فـقــد دخل القسطنطينية منتصرا، معلنا أنه قد هزم عدو الأيقونات، وذلك لكي يحظى بالشرعية القانونية، ولكي

يجد سندا شعبيا لحكمه بين الجماهير. ولقد أيد الرهبان هذا المغتصب، مما يؤكد أن الايقونيين كانوا وراء هذا الانقلاب.

أما قسطنطين كوبرونيموس، فقد أصر في نفسه حقدا مريرا ضد رهبان الاديرة والايقونيين، وراح يتنقل من ثغر لآخر، يجمع أنصار أبيه من الجنود، حتى كون منهم فرقة صغيرة هاجم بها القسطنطينية، ودخلها عنوة ليسترد عرشه المغتصب عام ٧٤٣ ميلادية؛ وبعد أن طهر الادارة من الذين خانوه، من أنصار ارتاباسدوس، بدأ حملة انتقام ضد الرهبان واتباعهم الايقونيين، وجعل عدوه الأول ليس المسلمين ولكن الايقونيين، فاستدار ليقتلع الحركة الايقونية المعارضة من جذورها، حتى لا تعود مرة أخرى. وقاده ذكاؤه أن يعطي لانتقامه غلالة شرعية، اذ أمر في عام ٧٥٤ ميلادية بعقد مجمع مسكوني لرجال الدين للحصول على قرار بشرعية سحق الايقونيين باعتبارهم مهرطقين، وتم عقد المجمع في قصر القدسيات أو الاسرار القدسية (هيريا Hieria)، وحضره ٢٣٣ أسقفا من كبار رجال الدين المؤيدين له من كافة أقاليم وولايات الامبراطورية، ولم يحضره ممثلو البابا أو بطاركة أنطاكية والاسكندرية والقدس، انما اكتفى برجال الاكليروس الرومي، وعقد المؤتمر في قصر الاسرار القدسة الذى كان يقع على الشاطىء الأسيوى المواجه للبوسفور، مما يؤكد أن العناصر الشرقية كانت هي المؤيدة لحركة اللاايقونية. غير أن بعض رجال الدين المتشددين، رفضوا حضور هذا المجمع، ووصفوه بأنه مجمع المهرطقين، وكان أول الرافضين هو بابا الكنيسة اللاتينية في روما، الذى أنزل اللعنة على كل من شارك في هذا المؤتمر، وكان للبابا أهداف سياسية وراء هذه الادانة، كما أعلن بطاركة مدينة الاسكندرية المونوفيزيون ادانتهم لهذا المؤتمر، وانضم اليهم بطاركة أنطاكية والشام، وبطريرك بيت المقدس في فلسطين، وقد تصادف أن كرسي البطريركية في القسطنطينية كان شاغرا بعد موت أنسطاسيوس، ولهذا اتخذ الأيقونيون من ذلك حجة لاعلان أن هذا المجمع باطل، لأنه لا يمثل رجال الدين والاساقفة ولم يترأسه بطريرك الكنيسة.

وبالرغم من هذا الهجوم الشرس على المجمع، الا أنه استمر منعقدا لمدة ستة شهور، وراح قسطنطين يقدم البحوث تلو البحوث لكي يشرح الاسس التي تقوم عليها حركة تحريم الايقونات؛ وبعد أن تداول أساقفة المؤتمر برئاسة الاسقف ثيودوسيوس أسقف افيسوس طويلا، اصدروا في نهاية شهرهم السادس قرارات تؤكد شرعية الحركة اللاأيقونية، وأفتوا بأن تصوير المسيح والأنبياء والقديسين في صور بشرية هرطقة، «وأن التعبد للصور والايقونات ضرب من ضروب الوثنية ومن يعبدها سواء كان من المدنيين أو الرهبان سيعاقب قانونا باعتباره ثائرا ضد أوامر الله». كما اتخذ المؤتمر قرارا بطرد جميع الاساقفة، الذين يدعون الى شرعية عبادة صور وتماثيل المسيح وأمه وحوارييه، وعلى رأسهم البطريرك السابق للقسطنطينية جرمانوس، وبطريرك دمشق يوحنا. وعلى الفور شمر قسطنطين الخامس عن ساعديه لينفذ قرارات هذا المجمع، وأصدر أوامره بتدمير وتحطيم جميع الايقونات والصور والتماثيل الدينية، وأباح دم زعماء الايقولية، وتعقبهم وفتك بهم، وشرد عددا كبيرا منهم، وصادر أملاكهم، وزج بعدد آخر منهم في غياهب السجون. وكان من الطبيعي ألا يترك الامبراطور أعداءه رهبان الاديرة، التي تحولت الى مراكز للتآمر على حكم هذه الأسرة الحاكمة، فاصدر قرارات مهينة بحق هؤلاء الرهبان، فمثلا أصدر قرارا يفرض عليهم استبدال

أرديتهم السوداء بأردية بيضاء، وقرارا آخر يلزم الناس بالقسم بأنكار عبادة الصور ومن يرفض يقتل، وكان البطريرك قسطنطين أول من أقسم على ذلك، ولذلك اعتبرت الفترة من سبتمبر ٧٦٤ الى سبتمبر ٧٦٥ فترة الشهداء الايقونيين، فقد قتل عدد كبير من الرهبان من أمثال اسطفانوس رئيس أحد الاديرة نيقوميديا، والراهب اندرياس؛ كما ألغى مبدأ العزوبية الابدية للرهبان باجبارهم على الزواج، واتخذ من حفلات الزواج الجماعي للرهبان حفلات صاخبة للترويح عن الجماهير المحبة للهو والمرح. فاقام حفل زفاف صاخب في ملعب سباق الخيول الكبيرة، سار فيه الرهبان يتأبطون اذرع زوجاتهم، وسط سخرية الجماهير ونكاتهم. وعلق المؤرخ ثيوفانيس على ذلك بقوله «لقد عمل الامبراطور ضد من يغضبون الله بجنون» لأنه صادر املاك الاديرة والكنائس، وحطم ما بها من ايقونات وتماثيل، وحول بعضها الى مرافق عامة مثل كنيسة القديسة يوفينيا Euphenia التي تحولت الى دار للصناعة، وحول البعض الآخر الى مساكن عامة أو ثكنات للجنود.

ولما كان الناس على دين ملوكهم، فقد تبارى حكام الثغور في تقليد سلوك الامبراطور، بتهديد الرهبان بانهاء عزوفهم عن الزواج، والا وقعوا تحت طائلة العقاب، فتزوج من الرهبان من تزوج، وهرب الذين أصروا على العزوبية، فهجرت كثير من الاديرة، واحتل الجيش الامبراطورى هذه الاديرة، وحولها الى ثكنات للجنود ومخازن للذخيرة. ومن الطريف في الأمر أن عددا كبيرا من الرهبان الأيقونيين فروا الى بغداد عاصمة الدولة الاسلامية الجديدة، اذ كانت الدولة الأموية قد سقطت، وقام مكانها الدولة العباسية عام ٧٤٩ ميلادية، حيث أسس الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور مدينة بغداد، لتكون عاصمة للدولة الاسلامية الجديدة بدلا من دمشق. واستقبلت الدولة العباسية هؤلاء الرهبان اللاجئين، لا حبا في مذهبهم، الذى يرفضه الاسلام، ولكن نكاية في امبراطور الروم. كما هربت أعداد كبيرة من الرهبان الايقونيين للاحتماء بالبابا، وكنائس ايطاليا وأديرتها، مما كان له أكبر الأثر في ازهار الثقافة الدينية الكنسية في الغرب اللاتينى، فقد أسس هؤلاء الرهبان المدارس الدينية مثل «مدارس الأحد»، ذات الثقافة اليونانية وسط بحر من الثقافة اللاتينية، وهكذا للمرة الثانية، ساهمت ثقافة اليونان في أثراء الثقافة اللاتينية، وكانت المرة الأولى في القرن الثانى قبل الميلاد عندما سقطت بلاد اليونان في حوزة الأمبراطورية الرومانية الوثنية. كما هاجر عشرات من الرسامين والنحاتين الذين درجوا على التخصص في زخرفة وتزيين الكنائس بالصور الدينية الى الغرب اللاتينى، ووظفوا في مشروعات تشييد وزخرفة كنائس ايطاليا والغرب اللاتينى، فساهموا في تأسيس مدرسة جديدة للفن الدينى، الذى أبدع في صنعته، وكان بداية لمدارس الفن الأوروبى، التى وصلت الى ذروتها في عصر النهضة الاوروبية.

أما بقايا أنصار الايقونات الذين بقوا داخل الامبراطورية ولم يغادروها، فقد بدأوا يكونون حركة مقاومة ضد حكم الأيسوريين، وتجمعت هذه المقاومة حول شخصية دينية كبيرة هي الاسقف اسطفان رئيس دير الاوكسمنتيوس Auximentios في آسيا الصغرى، وتزايد أنصار هذه الحركة بانضمام الجماهير اليها. ولما شعر قسطنطين الخامس بذلك، حاول في البداية أن يثنى الاسقف اسطفان عن عزمه باللين والحسنى، فلما فشل في ذلك دبر مؤامرة للتخلص منه، فقد دعاه للتشاور معه في العاصمة حتى

يخرجه من حصنه؛ وبينما كان اسطفان يسير في شوارع القسطنطينية مطمئنا، أوعز رجال الأمبراطور الى الغوغاء المعادية للأيقونية، فأنقضت على اسطفان ومزقته اربا اربا، وكان لهذه الجريمة البشعة صدى سيء في نفوس شعب القسطنطينية فأعلن ادانته واستنكاره لهذه الجريمة البشعة وطالب بمعاقبة المحرضين عليها، وتحول الناس تدريجيا الى التعاطف مع الايقونيين؛ كما ارتعد المثقفون من طغيان الامبراطور وجنونه، وباتوا يدعون الى التخلص منه. وبدأ الامبراطور في أواخر أيامه يشك في ولاء حتى أقرب المقربين اليه، ففي عام ٧٦٦ ميلادية أصدر أمرا باعدام عدد كبير من القادة المدنيين والعسكريين. وكانت هذه بداية النهاية لحكم قسطنطين الخامس كوبرونيموس. فقد أصبح في نظر الناس طاغية ومهرطق يعشق سفك الدماء، ويهوى الحرق والدمار، وباتت النفوس معبأة ضده، تنتظر ساعة الخلاص منه، وتخليص الأمبراطورية من شروره وجنونه، كما أن علاقته بالجيش لم تعد كما كانت في أول عهده، وذلك بعد حركة اعدام القادة عام ٧٦٦م وبذلك أصبحت رأس الامبراطور ناضجة تنتظر من يقطفها.

حروب قسطنطين الخامس ضد قبائل البلغار

وبالرغم من هذه الصورة الكريهة التى علقت بأذهان الناس عن قسطنطين الخامس، غير أن الباحثين العلمانيين لا ينكرون فضله وشجاعته في حماية حدود الامبراطورية من خطر اعدائها المتربصين بها وخاصة البلغار. فقد استغل البلغار القلاقل التى سادت خلال تطبيق اللاايقونية لتدعيم وجودهم في حوض الدانوب الأدنى، ووحدوا مراكزهم المتفرقة بانتخاب زعيم واحد يدعى بالخان، وهو لقب أسيوى يعنى الملك. وكان أقوى «خانات» البلغار زعيم يدعى اسباروخ Asparuch استطاع أن يوحد الصفوف، ويقضى على الفتن بين جماعات البلغار، بسبب التنافس على منصب الخان، وبعد أن وحد شملهم، قادهم في حروب ضد دولة الصقالبة والسلاف، الذين درجوا على مداهمة شبه جزيرة البلقان. ولمدة ثلاثين عاما ساد السلام بين الروم ورعاياهم البلغار، فقد كانت الأسرة الأيسورية تشعر بالجميل، الذى أولوه لها عندما أرسلوا نجدة أنقذت ليون الثالث من حصار مسلمة بن عبدالملك للقسطنطينية، ومن ثم تركوهم وشأنهم، مما ساعد على تقوية شوكتهم وبناء مملكتهم حتى وصلت الى درجة هددت الامبراطورية الرومية ذاتها، ولهذا كان على قسطنطين الخامس أن يقلم أظافرهم، قبل أن ينشبوها في لحم الامبراطورية. ومن ثم بدأ يتحرش بمملكة البلغار في أواخر حكمه، اذ كان في حاجة الى حرب قومية ليمتص غضب الجماهير من الداخل، ويدعم عرشه الذى بدأ يهتز من تحته، وبدأ التحرش بهم عندما راح يبنى القلاع والحصون على طول حدود مملكة البلغار، لتأمين شعب الأرمن وغيرهم من الشعوب التى كان قسطنطين قد نقلها من الاقاليم الشرقية، ووطنها في اقليم تراقيا في شمال غرب البلقان، لابعاد البلغار عن الوصول الى مياه بحر إيجه، وحاصرهم ليصبحوا مملكة داخلية مغلقة. وبالطبع لم يعجب ذلك البلغار، بالاضافة الى ذلك حدث وأن عامل قسطنطين الخامس زعيم البلغار وممثلهم في القسطنطينية معاملة مهينة، كانت بمثابة اشعال الفتيل للحرب، وعلى أثر ذلك مزق البلغار هدوء السلام، بالعودة الى سلوكهم القديم، وهو الاغارة على حدود الامبراطورية ولم يتعجل قسطنطين في الرد عليهم، حتى يشعر شعبه بالخطر، وبأنه القائد القادر على انقاذ

الامبراطورية من خطر البلغار، وبعد أن اطمأن الى تعبئة عواطف الشعب الوطنية وتناسي موقفهم منه، قاد قسطنطين كوبرونيموس جيشه في عدة حملات عسكرية لتأديب هذه القبائل بدأت عام ٧٥٩ ميلادية، واستمرت حتى عام ٧٧٥ ميلادية، أى لآخر يوم في حياته، ولقد حققت حملاته أهدافها اذ أرهقت دولة البلغار، وجعلتها تترنح وتكاد تسقط، لهذا لقبه شعبه باسم سفاح البلغار Bulgaro ctonos وفي نفس الوقت وبين الفينة والفينة، كان يغير على حدود الدولة العباسية لشغل المسلمين عن مهاجمة دولته.

غير أن هذه الانتصارات، التى حققها قسطنطين في المشرق قابلتها خسائر لحقت بممتلكات الامبراطورية في الغرب اللاتيني، حيث ظلت أزمة فتكه بعباد الايقونات وبالرهبان تغلي تحت نيران العواطف الدينية الجياشة، وكان الرهبان اللاجئون يزكون نيرانها، كما استغل بابا الكنيسة اللاتينية في روما هذا الوضع، وراح يعمل على الانسلاخ تدريجيا من نفوذ الكنيسة اليونانية الشرقية ومن نفوذ القسطنطينية، مما أدى الى تدهور العلاقة بين الامبراطور في الشرق، والبابا في الغرب. ففى عام ٧٦٩ عقد البابا اسطفان الثاني مجمعا دينيا في روما حضره ٤٤ أسقفا، نقض به قرارات مجلس قسطنطين الذى كان قد عقده عام ٧٥٤م. وقرر فيه تكفير اللايقونيين وحرمانهم من مغفرة الكنيسة. وبالاضافة الى ذلك، فان السنوات الطويلة التى قضاها في حروب شرسة مع البلغار والمسلمين، أضعفت قبضة الامبراطورية العسكرية على ممتلكاتها في الغرب اللاتيني، وأصبح ممثل القسطنطينية في روما، مجرد رمز لا حول له ولا قوة؛ ومن ثم وجد البابوات الفرصة مواتية لتثبيت نفوذهم تنفيذا للسياسة الاستقلالية، التى وضع قواعدها جريجوريوس الكبير أول بابوات روما. وازاء هذا الضعف وعلى حسابه قويت ممالك الفرنجة خاصة مملكة اللومبارديين، التى وصلت الى أوج قوتها في عهد ملكها أستولف (٧٤٩ ـ ٧٥٦م)، فقد وصلت هذه المملكة الى أقصى اتساع لها، حيث ضمت اليها أرخونية رافنا Ravenna عام ٧٥٠م، بل وصل الأمر الى تطلع استولف الى اخضاع الممتلكات البابوية ذاتها، ولم يجد البابا من يحميه سوى أن يتجه الى دولة الفرنجة، التى كان نجمها بدأ يصعد في سماء القوة، لأن القسطنطينية لم تعد قادرة حتى على حماية ممتلكاتها من اللومبارديين؛ اذ لم يعد لها أى ممتلكات باقية شمال اقليم كالابريا. وفي ضوء ذلك أقدم البابا اسطفان الثاني على خطوة جريئة كانت نقطة التحول في مولد أوروبا العصور الوسطى وانفصال الغرب اللاتيني عن الشرق الهلليني، اذ عبر هذا البابا جبال الألب رغم قسوة البرودة في السادس من يناير عام ٧٥٤ ميلادية من ايطاليا قاصدا بلاد الغال، حيث التقى في بونثيون Ponthion بملك الفرنجة بيبن القصير Pepin Brevis وعقد معه مباحثات انتهت بالتحالف المشترك بينهما عام ٧٥٣، واعترف البابا اسطفان بأن دولة الفرنجة هى القوة الجديرة والأمينة على حماية الكنيسة البابوية وممتلكاتها، والوريث الشرعي للامبراطورية الرومانية القديمة. ولقد تلقى قسطنطين الخامس هذه الضربة الموجعة قبل عام واحد من وفاته التى حدثت في عام ٧٧٥م.

حكم ليون الرابع الشهير بالخزرى ٧٧٥ ـ ٧٨٠م

وربما كان من رضاء الله على قسطنطين الخامس أن توفاه وهو على سريره ملكا، تاركا عرش البلاد لأكبر أبنائه من زوجته أبنة ملك الخزر، وكان هذا الأبن

يسمى ليون ولذا لقبه المؤرخون باسم ليون الخزرى. ولم يكن ليون من عينه أبيه وجده، فقد كان ضعيفا يعانى من مرض السل، كما أن تأثير زوجته الجميلة ايرينى Irene ـ الآثينية المولد ـ كان عليه كبيرا. وظهر هذا التأثير فى تهاونه مع أنصار الايقونات والرهبان، فقد كانت ايرينى من أشد المتحمسين لعبادة الايقونات بحكم الوطن الذى جاءت منه، والذى كان من أهم مراكز الفنون الدينية فى هذا العصر، ولهذا لم يلجأ ليون الى استخدام العنف ضد أنصار عبادة الايقونات، وتوقف عن سياسة ملاحقة الرهبان المتمردين، واغلاق الاديرية، مما جعل كثير من الرهبان يستردون نفوذهم المسلوب، ولهذا يعتبر المؤرخون المحدثون فترة حكمه بمثابة فترة انتقال بين عصر اللاأيقونية وعصر عودة الايقونيين، والذى جاء على يدى أرملته ايرينا عندما حكمت من بعده، وقد أنجب ليون من ايرينا ولدا سماه قسطنطين، ولم يكن هذا الأبن يبلغ العاشرة من عمره حين مات أبوه ليون من جراء مرض السل بعد خمس سنوات قضاها فى الحكم، تاركا العرش لزوجة جميلة طموحة وقاسية، ولولد لم يشب عن الطوق بعد، ومن ثم حكمت ايرينا بصفتها وصية على ولدها القاصر.

حكم ايرينا كوصية على الامبراطور القاصر قسطنطين السادس
٧٨٠-٧٩٠م

ما أن جلست ايرينا على عرش القسطنطينية كوصية على ولدها القاصر، حتى شغلت نفسها طوال السنوات الثلاث الأولى باخضاع الفتن والاضطرابات، التى أثارها أشقاء زوجها الراحل، وكان عددهم خمسة، ويتزعمهم شقيقهم الأكبر نقفور المطالب بحقه فى الحكم. كما سارعت بارسال حملات خاطفة لتأديب الصقالبة السلافيين، الذين كانوا يعيشون فى أرض البلقان فسادا. وكان تصرفها هذا بمثابة امتصاص للخطر، ولكن لم يكن كافيا للقضاء عليه؛ فقد كان هدفها الأساسى هو الحصول على فسحة من الوقت لتحقق أمنية دفينة فى نفسها وهو اعادة الايقونية وعبادة الصور بطريقة شرعية، غير عابئة بمشاعر الجنود الذين كانت على أكتافهم تستند أركان الامبراطورية.

ولقد تجلى ذكاء ايرينا فى الطريقة التى أعادت بها الشرعية الى عبادة الصور والايقونات؛ ففى عام ٧٨٤م قامت بعزل البطريرك اللاايقونى باولوس وعينت مكانه رجلا مدنيا من أنصارها اسمه طاراسيوس Tarasius فى كرسى البطريركية الشاغر، وكان ذلك أول سابقة فى تاريخ دولة الروم يعين فيها رجل مدنى فى منصب البطريرك.

ثم أوعزت اليه بالدعوة الى عقد مجمع مسكونى للنظر فى قضية تحرير الايقونية، وحرصت على أن يوجه دعوة الى بابا روما هادريانوس الأول لأرسال وفد يمثل الكنيسة اللاتينية، واستجاب البابا على الفور وكان هدف البابا هو حث البطريرك الجديد على اعادة السيادة الروحية لكنيسة روما، وارجاع الاملاك الموقوفة عليها، والتى كان ليون الايسورى قد صادرها. وبالفعل تجمع حوالى ثلاثمائة من كبار رجال الدين فى كنيسة الرسل فى القسطنطينية فى اليوم الأخير من شهر يوليو عام ٧٨٦ ميلادية معلنين عقد مجمع مسكونى، لكن ما كاد المجمع يفتتح جلساته، حتى اقتحم جنود الحرس الامبراطورى قاعة المؤتمر شاهرين سيوفهم، وأجبروا المجتمعين على التفرق؛ ولم تستطع ايرينا أن تفعل أكثر من تسريح هؤلاء الحرس وتعيين آخرين موالين لها. وبقيت الوفود عاما كاملا حتى تم اعداد مجمع مسكونى آخر عام ٧٨٧ ميلادية.

وظهر ذكاء ايرينا مرة أخرى، عندما نقلت مقر المجمع المسكونى الى مدينة نيقية مهد أول مجمع مسكونى عقد برئاسة قسطنطين المؤسس، حتى تضفى على هذا المجمع الصفة الشرعية والقداسة، ولسخرية التاريخ فقد كان هذا المجمع المسكونى هو السابع والأخير فى تاريخ المجامع المسكونية. ولقد جاءت قرارات هذا المجمع بما تشتهى الامبراطورة، فقد أعلن بطلان الحجج التى قامت عليها حركة تحريم عبادة الصور والايقونات، وأقر شرعية الأسس التى قدمها أنصار الايقونية للمؤتمر، بأنها مجرد رموز لتبجيل من يظهرون مصورين عليها، وليس عبادة لها من دون الله. ومن ثم أعلن هذا المجمع الغاء قرارات المجمع السابق، الذى عقد فى عهد قسطنطين الخامس عام ٧٥٤ ميلادية واعلان تكفير اللاايقونيين، واعادة الايقونات الى سابق عهدها، وعلى الفور اتخذت الاجراءات لوضع هذا القرارات موضع التنفيذ فشغلت المناصب الحكومية بأنصارها الايقونيين، وابعدت الجيش الى الحدود بحجة رد خطر المسلمين والبلغار، وأفرجت عن الرهبان المسجونين والمنفيين، ولاسيما رهبان دير ستوديون، وبهذه القرارات كسبت ايرينا حب الجماهير لها، وعطف رجال الدين عليها، غير أنها خسرت تأييد الجيش لها، ووقوفه موقف العداء منها، فقد كان الجيش يتكون من العناصر الأسيوية الرافضة لعبادة الايقونات، والذين على سواعدهم نفذ ليون الثالث، ومن بعده أبنه قسطنطين الخامس مذهبهم اللاأيقونى. كما أن الجيش كان منذ البداية ساخطا على أن يتولى الحكم امرأة، اذ لم يتعود قادة جيش الامبراطورية أبدا أن يتلقوا أوامرهم من امرأة مثلها، فى وقت هم فيه فى حاجة ماسة الى زعيم قوى يقودهم لانقاذ الامبراطورية من الأخطار، التى تتمثل فى الدولة العباسية ومملكة البلغار. اذ يذكر الطبرى أن الخليفة المهدى أرسل فى عام ٧٨١ ميلادية حملة عسكرية بقيادة أبنه هارون الرشيد ضد أراضى الامبراطورية، «توغلت حتى وصلت الى خليج البحر الذى على القسطنطينية»، ويذكر ثيوفانيس أن هذه الحملة قد وصلت حتى مدينة خرسوبوليس Chersopolis (أى مدينة الذهب على مدخل البحر الأسود على الجانب الأوروبى للبوسفور) ووقفت الامبراطورية عاجزة عن رد هذه الحملة العباسية، فالجنود عازفون على القتال، وحركات التمرد تنتشر فى كافة ثغور آسيا الصغرى مهد الحركة اللاأيقونية، ولم يكن أمام الامبراطورية غير أن تقبل شروط المسلمين المهينة، بأن تدفع لبغداد صاغرة جزية سنوية كبيرة تسدد على قسطين، شأنها فى ذلك، شأن الجزية التى يدفعها رعايا الدولة العباسية من غير المسلمين.

ولم يكن خطر الدولة العباسية هو الخطر الأوحد الذى بات يهدد الامبراطورية؛ ففى الغرب، كان هناك خطر انفصال الكنيسة الكاثوليكية البابوية، وتعاظم قوة دولة الفرنجة فى عهد ملكها العظيم شارلمان، وكان الروم قلقين بسبب قيام الصداقة بين شارلمان والدولة العباسية، وتحالفهما ضد الخلافة الأموية فى الأندلس، وضد مصالح الامبراطورية فى المشرق، ويقال أن بداية العلاقات بين البلاط العباسى، والبلاط الكارولنجى بدأت منذ حكم بيبين الثالث والد شارلمان عام ٧٦٢ ميلادية. وكان على ايرينى أن توقف هذا التحالف بأى وسيلة، ولقد كان شأنها شأن سائر النساء اللائى جلسن على عروش الامبراطوريات وهو استخدام الدهاء السياسى، بدلا من العنف الحربى. وكان البابا قد تلكأ فى التصديق على قرارات مجمع نيقية بسبب تلكؤ الامبراطورة فى

رد أملاك كنيسة بطرس، فأمرت بردها، عندئذ اعتمد البابا على الفور قرارات المجمع، فقد سعت إلى ارضاء البابا لادراكها مدى نفوذه على الامبراطور الكارولنجي، خاصة أنها قد أصلحت ما أفسده الأيقونيون باعادة عبادة الايقونات، كما سعت إلى اقامة علاقات ودية مع شارلمان ملك الدولة الكارلنجية الفرنجية، فعرضت عليه في عام ٧٨١ أن يتزوج ابنها قسطنطين القاصر الأميرة روترود Rotrud ابنة شارلمان الوحيدة، وقد قبل شارلمان على أمل أن تنجب ابنته ولدا يحكم الشرق والغرب معا، غير أن ايرينا كانت تدرك ما يدور في ذهن شرلمان، فعمدت الى تعطيل اكمال اجراءات الخطبة والزواج، حتى تكسب الوقت، وبالفعل فسخت ايرينا خطبة ابنها عندما شعرت أنها في وضع أفضل.

انفرد قسطنطين السادس بالحكم وعزل أمه ايرينا ٧٩٠ - ٧٩٧م:

وفي عام ٧٩٠ ميلادية بلغ قسطنطين الواحدة والعشرين من عمره، وهي سن انتهاء الوصاية، وتحت الحاح الجيش قام بعزل أمه، ولكنه ارتكب خطأ عندما لم يتخلص منها نهائيا كما فعل الامبراطور نيرون مع أمه من قبل، لأنه كان ضعيفا وجبانا، فسمح لها بالبقاء في القصر، وبأتت الأم تتربص للتخلص من ابنها من أجل العودة إلى العرش بمساعدة أنصارها من رجال البلاط.

ولقد أساء قسطنطين التصرف منذ البداية، فقد صدم مشاعر الناس بالطريقة البشعة التي تخلص فيها من أعمامه المطالبين بالعرش، فقد سمل عيني عمه نقفور، وقطع ألسنة أعمامه الآخرين، وصدم مشاعر الجيش عندما سمل عيني قائد ثغر أرمينيا مما أدى الى تمرد جنود ذلك الثغر عليه، وكان نعامة في الحروب، ففي عام ٧٩٢م ولى هاربا من معركة مع البلغار عند حصن ماركيللاى على الحدود، تاركا كبار قواده يقعون في الأسر، وحقق البلغار نصرا سهلا على الامبراطورية الرومية ومهينا لكبريائها. فقد أجبر البلغار على دفع اتاوة سنوية على نحو ما تدفع الامبراطورية للمسلمين. وكلما زادت رعونته وضعفه طالب البلغار بزيادة الاتاوة، وهكذا توالت النكبات والهزائم في عهده على الامبراطورية. ولقد بلغ السيل الزبى عندما أغضب الكنيسة بطلاق زوجته دون سند شرعي، وقيامه بالزواج من احدى وصيفات القصر رغما عن أنف الكنيسة، وأعلنت الكنيسة أن هذا الزواج باطل، بالاضافة الى ذلك، فقد كانت الوصيفة العروس مطلقة وطبقا لقوانين الكنيسة «فان من يتزوج بمطلقة فانما يزني بها»، ومن ثم أضيفت إلى تهمة بطلان الزواج تهمة الزنا. وانتهزت الأم السخط على ابنها من جانب الجيش للعار الذى جلبه عليهم، والسخط الشعبي لجرائمه والبشعة ضد أعمامه، وسخط الكنيسة لطلاق زوجته والزواج من الوصيفة المطلقة، وأدركت أن ابنها يقف وحيدا بلا سند، فخرجت من جناحها بالقصر، وبمساعدة اثنين من كبار مستشاريها هما ستاوريكيوس Stauricios وايتيوس Aetios، أستولت ورجالها على حجرة العرش، وألقت القبض على ابنها الامبراطور، وأمرت باقتياده إلى المخدع الذى ولد فيه، وبلا رحمة أمرت بسمل عينيه، معلنة أنه غير مؤهل لحكم الأمبراطورية؛ وأعلنت عودتها إلى الحكم منفردة مرة آخرى، ولكن ذلك لم يوقف الكوارث، فقد أصبح سقوط حكم الأسرة الأيسورية وشيكا.

حكم الامبراطورة ايريني منفردة ٧٩٧ - ٨٠٢م:

ولم يكد يمضي سنوات ثلاث على جلوسها على العرش، حتى تلقت الامبراطورية في وقت خرج صفعة قوية من البابا ليو

الثالث، وحاميه الملك شرلمان ملك الفرنجة. ففي عام ٧٩٩م قامت ثورة في دوقية البابا في روما، ولم يجد البابا من يستجير به سوى شارلمان، الذى أسرع بقواته فقمع الثورة. وثبت أقدام البابا بقوة السلاح. واعترافا بهذا الجميل دعاه البابا لزيارة روما والصلاة في كنيسة القديس بطرس، لتتزامن مع قداس عيد الميلاد لعام ٨٠٠ ميلادية. وبعد القداس، ركع شارلمان على ركبتيه في حضرة البابا، وباتفاق بين الاثنين وضع البابا تاجا فوق رأس شارلمان مناديا، «انهض يا امبراطور الرومان الأوحد exurge، imperatore soli Romanum»، وكانت هذه الصيحة بمثابة اعتراف شرعي من قبل البابا وبحق شرلمان في فرض سيادته على شطرى الامبراطورية الرومانية الشرقي والغربي، ولم يكن شرلمان في حاجة إلى اعتراف البابا بسيادته على الشطر الغربي، لأنه كان من الناحية الفعلية، هو صاحب السلطة العليا في أوروبا الغربية، انما كان في حاجة لفتوى شرعية بأحقيته في ضم الشطر الشرقي وتوحيد الامبراطورية، كما كان للبابا قصد من هذا الاعتراف، وهو تخليص الكنيسة اللاتينية من نفوذ القسطنطينية الديني والدنيوى بل جعل الكنيسة البابوية في روما هي الكنيسة العليا على كافة كنائس الامبراطورية الموحدة بما في ذلك كنيسة القسطنطينية، كما أن رضا شارلمان بأن يتوجه البابا كان بمثابة تنازله عن السلطات الدينية والاكتفاء بالسلطة الزمنية، وهكذا أصبح من حق بابوات روما تتويج الأباطرة، مما سبب خلافات فيما بعد بين الأباطرة والبابوات، حول من له السلطة العليا على الآخر البابا أم الامبراطور؟، أو بمعنى من يعين الآخر الامبراطور أم البابا؟

ولقد قدم البابا ليو لهذا الحدث، بأن أعلن استنكار كنيسة روما للطريقة التى استولت بها الامبراطورة أيريني على العرش، وسملها لعيني فلذة كبدها، كما رفض أن يعترف بجلوس امرأة اغريقية على عرش الامبراطورية الرومانية، كخليفة للقديس بطرس نائب المسيح، كما استنكر أن يذعن العالم المسيحي لسلطان امرأة قاتلة، وبناء على هذه الحيثيات اعتبر البابا ليو الثالث عرش الامبراطورية شاغرا، وأن شارلمان الابن البار للكنيسة الكاثوليكية، وحامي حمى البابوية، وخادمها المطيع، هو الرجل المناسب لملئ كرسي العرش، وبذلك يتوحد شمل الامبراطورية الرومانية بشطريها كما كانت على عهد قسطنطين الكبير.

ولقد سبب تتويج شرلمان امبراطورا قطيعة كبيرة بين الشرق الاغريقي والغرب اللاتيني، فقد شعرت كنيسة القسطنطينية الاغريقية أن تعديا قد وقع عليها، من جراء رفض البابا ليو الثالث، أن يعترف بحق الامبراطور الشرقي في فرض كلمته على الكنيسة اللاتينية الغربية، كما شعرت هذه الكنيسة أيضا، أن نفوذ البابا على كنائس غرب أوروبا يفوق نفوذ بطريرك القسطنطينية على هذه الكنائس.

ولقد استقبلت الامبراطورة أيريني نبأ تتويج شارلمان امبراطورا على يد البابا بانزعاج شديد، وفي نفس الوقت كان شارلمان قلقا من رفض القسطنطينية الاعتراف بتتويجه، واحتمال وصول امبراطور قوى يحل محل ايريني، يعمل على استرداد نفوذه بقوة السلاح، اذ لم يكن لشرلمان القوة العسكرية القادرة على صد قوات الجيش الامبراطورى الرومي المتمرسة في فنون القتال، والمكونة من العناصر الشرقية الشرسة، ومن ثم لجأ شرلمان إلى سلاح السياسة، اذ بعث في عام ٨٠٢م بوفد إلى القسطنطينية ليعرض على ايريني الزواج، فرحبت به وبدأت تستعد للعرس. ولقد استاء الحرس الامبراطورى لهذا التصرف، الذى أودى بها

الى الوقوع في مصيدة شارلمان، فثار عليها، وأطاح بها من على العرش، وكان المدبر لهذا كله وزير خزانتها نقفور الأول (Nicephoros) ، وتم نفي أيريني الى احدى الجزر البعيدة، وبقيت فيها حتى ماتت، وقد تم ذلك في نهاية عام ٨٠٢ ميلادية، وبذلك انتهى حكم الأسرة الأيسورية الفعلي عند هذا التاريخ، لأن العرش ذهب الى بعض المغتصبين له.

حكم نقفور الأول Nikephoros ٨٠٢-٨١١م

كان نقفور من أصل أسيوى مثل سائر الأباطرة الأيسوريين، واستمر حكمه تسع سنوات نهج خلالها نهج أباطرة هذه الأسرة، فقد كان كارها لعبادة الايقونات، ومتحرقا لتحطيم الصور والتماثيل الدينية، فاعاد الحظر القديم على عبادة الايقونات، واضطهد الايقونيين مما أكسبه حنق الرهبان، الذين كانوا يحتكرون كتابة تاريخ الدولة، فرسموا له صورة بشعة كريهة مليئة بالتجنيات والقذف، مثلما فعلوا مع ليون الثالث وولده قسطنطين الخامس.

فلقد برز في عهده معارض وخصم عنيف هو الراهب ثيودوروس Theodoros رئيس رهبان دير ستوديون القريب من القسطنطينية الذى انبرى للدفاع عن الايقونية مثلما فعل يوحنا الدمشقي في عهد اسلاف الامبراطور، مطالبا بعودة الرهبان المشردين، وعندما ارسل اليه الامبراطور نقفور يستشيره في أمر تعيين بطريرك جديد بعد وفاة البطريرك طاراسيوس Tarasios الذى توفى عام ٨٠٦م، رد ثيودوروس (هبة الله) بخطاب تملق فيه الامبراطور، مبديا مايفهم منه استعداده لشغل ذلك المنصب لأن الشروط التى نصح بها تتوافر فيه وحده، مثل الخبرة، الاستقامة، والتدرج في سلك الكنيسة من ادناه إلى أقصاه، غير أن الامبراطور تجاهله، وعين في منصب البطريك أحد المؤرخين من رجال الدين من المناصرين له اسمه أيضا نقفور، فحنق الراهب ثيودور على البطريرك نقفور واتهمه بأنه العوبة في ايدى الامبراطور نقفور، وانتهز فرصة موافقة البطريرك على زواج الامبراطور للمرة الثانية بمقتضى قرار من مجلس كنسي، فجمع ثيودور مجلسا معارضا، واعلن أن مجلس البطريرك «جماعة من الزناة والمهرطقين»، وأن البطريرك قد ضحى بالقواعد الدينية في سبيل ارضاء الامبراطور وانتهى الأمر بطرد ثيودور من رئاسة الدير، ومعه زميله أفلاطون، عندئذ أعلن رهبان دير ستوديون «سوف نتحمل كل شئ».

ولقد واجه نقفور الأول عدة زوابع سياسية، وأزمات وأخطار عسكرية، فقد كانت امبراطورية الروم واقعة بين المطرقة العربية، والسندان البلغارى؛ فضلا عن استمرار الضغط النفسي من جانب شرلمان في الغرب لينتزع اعترافا بلقب «امبراطور الروم»، فقد بدأ شارلمان يستخدم صداقته الحميمة مع الدولة العباسية في عهد هارون الرشيد، لاحداث المزيد من الضغط النفسي على سلطات القسطنطينية، ولقد حاول نقفور تهدئة شارلمان، باجراء محادثات معه حول الاعتراف بلقبه، ولكن لم يكن في نيته الاعتراف بهذا اللقب، وانما ارضاء لشارلمان وتهدئته، وابطال مفعول الصداقة والتحالف بينه وبين الدولة العباسية.

وفي نفس الوقت، التقت المصالح والأهداف العباسية بالمصالح والأهداف الكارولنجية، فلقد كان هدف شرلمان من هذه الصداقة الحصول على تأييد العباسيين لتضييق الخناق على الحكم الاسلامي الأموى في الأندلس، ونحن نعرف ما كان

بين العباسيين والأمويين من ثأر وعداء، كما كان هدفه أيضا من تلك الصداقة ضمان حسن معاملة الحجاج اللاتين الى بيت المقدس، والضغط النفسى على القسطنطينية لتستجيب الى طلبه، وهو الاعتراف به امبراطورا على الغرب اللاتينى. أما هدف العباسيين ، فقد كان أيضا الضغط النفسى على القسطنطينية لجعلها تقع بين نارين ، نارهم في الشرق ، ونار شارلمان فى الغرب، أملا فى أن يعجل ذلك بسقوطها الذى كان أملا عزيزا فى نفوس العباسيين. وفى نفس الوقت التعبير عن سخطهم على الخلافة الأموية القائمة فى الأندلس، حتى ولو أدى ذلك إلى وقوع الأندلس فى أيدى الفرنجة، أى أنها صداقة تقوم على مساومة ومبادلة (quid pro quo) القسطنطينية للمسلمين، مقابل الأندلس للفرنجة. ومن الطريف أن كلا من الحكم الاموى فى الاندلس، والرومى فى القسطنطينية أدركا هذه المؤامرة، فعملا على تقوية أواصر الصداقة بينهما بتبادل الوفود نكاية فى العباسيين، وبهدف خلق محور رومى ـ أندلسى، فى مواجهة المحور العباسى ـ الكارولنجى.

وتتحدث المؤلفات اللاتينية فى الغرب عن الصداقة الحميمة بين هارون الرشيد وشارلمان، والزيارات التى لم تتوقف للوفود بين بغداد وآكس لا شابل، دون معرفة الأهداف الخفية لهذه الصداقة، وبلغ الكرم العربى أقصاه عام ٨٠٦م عندما أرسل هارون الرشيد وفدا يحمل هدايا تمثل بذخ الشرق وثرائه، فقد أرسل منسوجات حريرية مخملة، وأخرى قطنية، ولم يكن الغرب قد عرف المنسوجات القطنية بعد، كما أرسل مع الوفد فيلا أبيض اللون من فصيلة نادرة، وساعة من النحاس الأصفر تعمل بالماء، وقد حملت هذه الهدايا النفيسة ، التى خلبت لب البلاط الكارلنجى فى مركب كبير سار من بغداد حتى مدينة آكسى لاشابل (آخن الحالية (Aachen))، وقدم الوفد الهدايا الى شارلمان ومعها خطاب يذوب رقة يقول فيه هارون الرشيد «أنه يضع مودة شرلمان فوق مودة كل الملوك الآخرين».

ولم يعلم هارون الرشيد أن هذه الصداقة مؤقتة، فقد كان شارلمان على استعداد أن يقلب ظهر المجن لهارون الرشيد، لو أن الامبراطور نقفور اعترف بحقه فى حمل لقب امبراطور الرومان ، والدليل على ذلك أنه لم تكد تمر بضعة قرون حتى جاء أحفاد شارلمان غازين لديار الاسلام فى حرب عدوانية، هى الحروب الصليبية، غير أن سياسة الروم كانت من الغباء لدرجة أنها رفضت بعناد الاعتراف بشارلمان امبراطورا. لما مات هارون الرشيد عام ٨٠٩ ميلادية، وتلى موته اندلاع الصراع بين ولديه الأمين والمأمون، فترت الصداقة العباسية الكارولنجية وتلاشت تماما، ولم يتم ذلك فى عهد نقفور بأى حال من الأحوال.

ولما حاول نقفور أن يجرب حظه في ميدان الحرب، قاد حملة عسكرية مع ابنه وولى عهده ستاوراكيوس Stauracios ضد مملكة البلغار، انتهت بهزيمته ومصرعه، وهروب ابنه الى مدينة هادريا نوبوليس بعد أن تلقى جروحا بالغة تسبب عنها عجزه عن الحكم، ولم يبرز أحد من أسرة نقفور ليتولى العرش سوى زوج ابنته بروكوبيا Procopia ويدعى ميخائيل الرنجابى، ولذلك ساعدته مجموعة من النهازين من رجال البلاط، أملا فى الافادة المادية منه، حتى أوصلوه الى العرش بعد أن أجبروا ستاوراكيوس على دخول الدير، وذلك فى أواخر عام ٨١١م وقام البطريرك نقفور بتتويجة امبراطورا.

حكم ميخائيل الأول الرنجابى

Rhangabe ٨١١-٨١٣م:

كان ميخائيل الأول الشهير

بالرنجابى Rhangabe ، ينحدر من سلالة يونانية تماما مثل الامبراطورة السابقة ايرينى، أى أنه لم يكن مثل بقية أباطرة الأسرة الأيسورية الذين ينحدرون من سلالات شرقية، ومن ثم كان مثل ايرينى متعاطفا مع أنصار الايقونية، كما كان قد تلقى تعليمه فى طفولته على يد الراهب ثيودورس Theodoros كبير الرهبان فى دير البحث الدينى الشهير، والمعروف عند الروم باسم الأستوديون Studion ، والذى كان الامبراطور نقفور قد عزله ثم نفاه مع زمرة من أصحابه الرهبان خارج البلاد أثناء حركة التطهير، التى قام بها ضد الايقونيين، ولذا فما أن جلس ميخائيل على العرش، حتى استدعى استاذه الراهب من المنفى هو ورفاقه، بل جعله مستشارا له فى أمور الدولة، وبناء على نصائح ثيودورس عزل ميخائيل القيادات العسكرية والادارية لمجرد أنها كانت معادية للايقونيين،مما أدى إلى أسوأ النتائج، اذ خسرت الامبراطورية كفاءات نادرة فى وقت كان الأمة فى مسيس الحاجة اليها، وتمخض عن ذلك التصرف أن تعرضت الامبراطورية الرومية لسلسلة من الهزائهم المهينة على الصعيدين السياسى والعسكرى.

وعلى صعيد السياسة الداخلية، تميز عهد ميخائيل الرنجابى بموادعة الايقونيين، ولذلك يعتبر عهده حدا فاصلا بين فترتين تتسم كل منهما بالشدة والعنف، فسلفه وصهره نقفور كان لا ايقونيين منهم المتطرف ومنهم المعتدل، فقد كان الامبراطور أداة طيعة فى يد البطريرك نقفور خاصة فى سياسته ازاء الدين والكنيسة، كما أظهر الامبراطور ميخائيل تعاطفا مع عبادة الايقونات وأنصارها، فقد اعاد الرهبان المشردين والمنفيين، وأغدق بالهدايا والهبات النفيسة على الكنائس والاديرة والبيمارستانات، وغيرها من المؤسسات الخيرية. ولما حاول المصالحة والتوفيق بين البطريرك نقفور وخصمه ا للدود ثيودورس، انتهز هذا الأخير الفرصة، وطلب منه أن يعلن هرطقة اللا ايقونيين، واعدام زعمائهم حتى يعود اتباعهم الى الطريق الارثوذوكسى السليم، ولذلك لم نسمع عن أى حركة لا ايقونيون، فقد انتهزوا فرصة الاستياء العام من سياسة الامبراطور المتسامحة مع الايقونيين، وحاولوا تخليص أبناء قنسطنطين الخامس من المنفى حيث كانت عيونهم قد سملت وأطرافهم قد بترت، مستغلين ذلك لكى يستدروا عطف الجيش وتأليبه على الامبراطور، غير أن هذه المؤامرة كشفت، فشددت الرقابة على الامراء المشوهين، وقطعت السنة المتآمرين.

وعلى الصعيد السياسى، انتهت مفاوضاته مع شرلمان فى آكس لا شابل باهانة كبرى، عندما رضخ لمطلب شرلمان، واعترف به رسميا امبراطورا على الرومان عام ٨١٢م مقابل أن يتركه شرلمان يحتفظ بجزر البندقية، ذات الاهمية التجارية الكبرى، ومقابل تركه لسياسة الصداقة مع الدولة العباسية، وتحسين علاقاته مع القسطنطينية، وبالفعل توقفت العلاقات مع الدولة الاسلامية العباسية بعد ذلك التاريخ، الذى اعترف فيه الروم بشرلمان امبراطورا على الرومان فى الغرب. ولقد حاول ميخائيل أن يقلل من تأثير هذا الاعتراف بالمسارعة بتغيير لقبه من ملك Basileus إلى امبراطور Autokrator ، غير أن تغيير اللقب لم يجد من الأمر شيئا، فقد أصبح هناك امبراطوران فى وقت واحد لامبراطورية من المفروض أن تكون من الناحية النظرية واحدة. غير أنه على أثر هذا الاعتراف أصبح هناك من الناحية الفعلية امبراطوريتان واحدة شرقية، وأخرى غربية،

كما أصبح أيضا هناك كنيستان واحدة أرثوذكسية يونانية شرقية، وأخرى لاتينية كاثوليكية غربية. وانتهت بذلك الى الأبد أحلام المؤسس قسطنطين الكبير، في تحقيق الامبراطورية الواحدة والكنيسة الجامعة.

وعلى الصعيد العسكرى تلقى الجيش الامبراطورى الرومى هزيمة شنعاء على يد ملك البلغار القوى كروم Krum ، الذى مرغ الشرف العسكرى للروم فى الوحل فى احدى المعارك. وعندما عاد الجنود الى القسطنطينية يقصون على الشعب التفاصيل الكاملة لهذه الهزيمة، فار الدم فى عروق الناس، واستغل اللاأيقونيون التحفز والقلق، فاعلنوا أن ما أصاب الأمة من كوارث هو غضب من الله، بسبب سياسة الامبراطور المؤيدة لعبادة الصور والتماثيل والايقونات، وتدفقوا فى عام ٨١٣م على قبر قسطنطين الخامس ، سفاح البلغار، وأكثر الاباطرة الايسوريين صرامة فى استئصال شأفة الايقونيين، وراحوا ينادون عليه، وهم يبكون، أن ينهض من لحده، لينقذهم من مذلة ملك البلغار الجبار، ولكى يستلهموا من القيصر الراقد إلى الابد روح النصر لانقاذ القسطنطينية من الخراب، حتى الجماعات الساخطة على قسطنطين الخامس جرائمه وطغيانه، نسوا مافعله بهم، وانضموا إلى زمرة المعاديين للايقونية. وحسم الموقف عندما انضم الجيش الى المظاهرة التى تحولت الى انقلاب عسكرى قاده قائد عسكرى أرمنى الأصل اسمه ليون، أعلن فيه عزل الامبراطور ميخائيل . وهتف الجيش والشعب بحياة ليون، وحملوه على الاعناق الى القصر الامبراطورى، وأجلسوه على العرش. وهكذا آل العرش الى الامبراطور ليون الخامس.

حكم ليون الخامس الأرمنى ٨١٣،٨٢٠م

كان ليون ضابطا فى الجيش، ومن العناصر الشرقية، فقد كان أرمنى الأصل، ومن ثم فقد كان متوقعا أن يتخذ خطا متشددا مع الايقونيين جريا على عادة الاباطرة العسكريين الشرقيين، واستجابة لمشاعر الجماهير التى حملته الى العرش، غير أنه فاجئ الجماهير والجيش باتباعه سياسة معتدلة ومحايدة، تهدف الى ارضاء أنصار الايقونية وأعدائها فى وقت واحد، اذ أمر بيقاء الصور والتماثيل والايقونات بشرط أن تعلق عاليا، وبحيث لاتصل اليها أيدى المتعبدين، فلا يتسنى لهم التمسح بها والصلاة لها طلبا لبركاتها، غير أن هذه السياسة «الراقصة على الحبل»، وجاءت على عكس ما كان يتوقع لها الامبراطور المنافق، فعندما شرع الجنود الموالون له فى زحزحة التماثيل، ورفع الايقونات والصور داخل الكنائس، هاج رجال الدين والرهبان، وعلى رأسهم البطريرك نقفور نفسه، وهتفوا بسقوط الامبراطور ليون الخامس.

وعلى الجانب الآخر شعر أعداء الايقونية من العامة، ومن الجنود الاسيويين أن الامبراطور قد خان الأمانة، التى جاءوا به من أجلها إلى العرش، وغدر بمشاعرهم، وخيب آمالهم، وأنه رجل انتهازى لا مذهب له الا الاحتفاظ بكرسى العرش، فانطلقوا فى تحد سافر إلى الكنائس، يحطمون التماثيل المقدسة، ويحرقون الصور والايقونات، ومن ثم عمت الفوضى وأعمال الشغب كافة أنحاء الامبراطورية، لكن الامبراطور لم يغضب من تصرفات اللاأيقونيين، بقدر ما أثاره هتاف رجال الدين ضده، فتحول الى عدو لدود لهم، وهجر سياسة المصالحة، ليتبنى سياسة التطرف والاضطهاد ضد أنصار الايقونية، يعاونه فى ذلك أكبر المثقفين فى عهده وهو يوحنا النحوى أحد رؤساء الاديرة المكروه من الكنيسة لهرطقته، وكذلك الأسقف المستنير

أنطونيوس، وثيودوتوس كاسيتيراس Theodotus Kassteras وهو ابن شقيق الزوجة الثالثة لقسطنطين الخامس. وقد حرض هذا الفريق ليون الأرمني الخامس ضد الايقونات، فكلف يوحنا النحوى أن يكتب بحثا حول رأى الشرع والسلف الصالح في عبادة الايقونات، وأجاز له دخول أى مكتبة والاستعانة بأى مرجع، وانتهى يوحنا من البحث عام ٨١٤م؛ وطلب من البطريرك نقفور ابداء رأى الكنيسة فيه، فاعترض عليه؛ خاصة بعد رفع الايقونات والصور الى علو شاهق حتى لا يتمسح بها الناس، ومن ثم فعل ليون الخامس الشهير بالارمنى مثلما فعل قسطنطين الخامس من قبل، وهو أنه أمر بعقد مجمع دينى لرجال الدين الشرقيين، وتحت الحاحه اصدروا قرارا عام ٨١٥م يحرم عبادة الصور والايقونات والتماثيل، واعتبارها ضربا من ضروب الهرطقة والوثنية؛ وما أن صدر ذلك القرار حتى بدأ ليون الخامس في تصفية حساباته مع الرهبان ورجال الكنيسة، بادئا باصدار قرار يعاقب كل من يدعو الى عبادة هذه الأوثان، وطرده من رحمة كنيسة القسطنطينية، وانزال لعنتها عليه، وعلى رأسهم البطريرك نقفور وأعوانه من الرهبان المتزعمين لحركة الايقونية. وفي الحقيقة لم يلجأ الامبراطور إلى هذه القسوة الا بعد فشله في اقناع الكنيسة بقبول حل وسط، فقبل عقد مجمع عام ٨١٥ حاول التوفيق بين الفريقين، فدعا زعماء كل منهما الى القصر لاجراء مناظرة، وخوفا من تحول النقاش الى حرب أهلية، قام باستقدام البطريرك ليلا إلى القصر ومعه ثيودوروس رئيس دير ستوديون، غير أن هذا الأخير قال «ليس للامبراطور حق التدخل في شئون الكنيسة، فحكمه قاصر على الشئون الحربية والمدنية، وللكنيسة الحق في أن تحكم نفسها بنفسها» عندئذ استشاط الامبراطور غضبا، وتحمس اللاأيقونيون، وهجم أنصارهم يساعدهم جنود الجيش، وانتزعوا صورة المسيح المعلقه على باب القصر، والتى كانت ايرينى قد اعادتها الى مكانها وقذفوها بالطين والحجارة، وهنا قال الامبراطور: «دعونا نزيل هذه الصور حفظا لها من الاهانات»، كأنه ليس مسئولا عما حدث، وكثرت احتجاجات ومقالات ثيودوروس وكثر تحريضه للرهبان واثارتهم، ومن ثم قام الأمبراطور بعزل البطريرك نقفور، وعين مكانه رجلا علمانيا مدنيا هو تيودونوس وذلك في عام ٨١٥م، وذلك رغما عن انف الرهبان واحتجاج سلطات الكنيسة، لكنه تعلل بسابقة قانونية وهو أن الامبراطورة ايرينى سبق لها – وهى ايقونية متعصبة – أن عينت رجلا مدنيا في منصب البطريرك. وبعد صدور قرارات مجمع عام ٨١٥ حاول تطبيقه في أول الأمر باللين والحسنى، ولما حاول رئيس دير ستوديون ثيودوروس الاعتراض، سجنه ونفاه، فقد كان أشد ما أثار ليون الخامس هو محاولة هذا الراهب اللجوء الى البابا في روما باعتباره السلطة الروحية العليا التى لا ينبغى أن يعترض عليها أحد، ولذا اعتبر ليون الخامس هذا التصرف من ثيودوروس جريمة لا تغتفر، فصدق على قرار نفيه وسجنه. ولقد امتص هذا القرار غضب الجماهير والجنود، التى كانت آمالها قد خابت فيه، وهدأت الأحوال، وعاد الأمن والنظام،لكن الجنود الاسيويين، وزعماء اللاأيقونية، لم يغفروا له أبدا خطيئته وخيانته لمشاعرهم، وعزموا على التخلص منه عندما تلوح الفرصة، فبعد خمس سنوات من صدور قرار المجمع الدينى، وأثناء الاحتفالات بأعياد الميلاد، تمكن أحد رفاق الامبراطور من ضباط الجيش السابقين من أن يغمد خنجره في

ظهره، فخر صريعا، مضرجا فى دمائه، ولم يحزن عليه أحد. وبموت ليون الخامس أسدل الستار على تاريخ الأسرة الأيسورية والمنتسبين لها،وبدأحكم جديد لأسرة جديدة هي الأسرة العمورية.

حكم الأسرة العمورية (الفريجية) ٨٢٠-٨٦٧م

ميخائيل الثانى المتلعثم: ٨٢٠-٨٩٢م

بعد مقتل الامبراطور ليون الخامس الأرمنى، جلس على العرش أحد قادة الحرس الامبراطورى اسمه ميخائيل، ولقد أطلق عليه تهكما لفظ المتلعثم«Battos». ولقد كان ميخائيل الثانى ينتمى الى سلالة أسيوية تنتسب إلى عمورية Amorion فى ولاية فريجيا فى آسيا الصغرى Phrygia ، ولذا فقد عرف باسم العمورى أو الفريجى، كما وصفت الأسرة باسم العموريين أو الفريجيين، وهو مؤسس هذه الأسرة.

وعلى النحو الذى سار عليه أسلافه الأباطرة الاسيويون من قبله، كان ميخائيل الثانى معاديا لعبادة الايقونات، ومن ثم جعل الحظر عليهامستمرا، غير أنه لكى يحقق الوحدة الوطنية بين أطراف الامبراطورية المنهوكة القوى، تظاهر بمظهر المحايد فيما يختص بالصراع بين اللاأيقونيين والايقونيين. ومن ثم حظر على الناس الدخول فى مناظرات ومجادلات دينية فى العلن ، وفى الاماكن العامة حول هذا الموضوع ولارضاء الايقونيين وتهدئتهم، أعاد الرهبان من الاديرة النائية التى كان سلفه ليون الأرمنى قد نفاهم اليها، وأعلن على الملأ حرية كل فرد فى ممارسة عقيدته المسيحية بالطريقة التى تروق له. واختبارا لصدق نواياه، طالبه زعماء الايقونيين والرهبان، بأن يأمر باعادة التماثيل والايقونات الى أماكنها الأصلية التى كانت فيها قبل أن ينقلها جنود ليون الخامس، وشعر الامبراطور الجديد بأن الاستجابة الى هذا المطلب سوف يدفع اللاأيقونيين الى الثورة عليه، لأنهم احتملوا أكثر من اللازم، ولهذا رفض مطلب الايقونيين، مما أدى إلى عودة الصراع من جديد بين أنصار الايقونية وأعدائها. بالاضافة إلى ذلك فقد أثار ميخائيل غضب كنيسة القسطنطينية والمشايعين لها عندما اتخذ لنفسه زوجة ثانية، وهذا أمر مرفوض طبقا لتعاليم الكنيسة، وياليت كان الأمر ينتهى عند هذا الحد، اذ كانت هذه الزوجة الثانية راهبة اسمها يوفروسونى Euphrosyne ، وكانت ابنة الامبراطور قسطنطين السادس، وذلك لكى يعطى نفسه شرعية وراثة عرش الامبراطور.

وفى البداية، لم يشك ميخائيل فى أن ثيودوروس رئيس رهبان دير ستوديون كان على اتصال سرى بالبابا فى روما خلال فترة الابعاد عن البلاد، لكن تأكد له ذلك عندما بعث البابا باسكاليس الأول برسول يطلب من الامبراطور «العودة الى الدين الصحيح»؛ ورد الامبراطور على هذه الرسالة بقوله «ان الاوتوقراطية الامبراطورية هى السلطة العليا فى المسائل الروحية والمدنية على السواء». ولكى يقطع الطريق على البابا، سارع ميخائيل بالكتابة الى الامبراطور الفرنجى لويس الطيب Louis le Debonnaire عام ٨٢٤م، موضحا له خرافة عبادة الايقونات والصور، ومبينا له أن بعض رجال الدين يأخذون دهان وزيوت الصور ويمزجونه بالخبز والنبيذ ويبيعونه للجمهور، كما طلب منه فى نهاية الرسالة التدخل لدى البابا لكى يتخلى عن حماية عباد الصور والايقونات اللاجئين الى بلاد البابا فى روما؛ لكن حدث مالم يكن فى الحسبان؛ اذ وصلت اليه رسالة من البابا يطلب منه النجدة لحمايته من اللومبارديين؛ عندئذ رأت الكنيسة الكاثوليكية الافرنجية (الفرنسية) أن تتخذ موقفا وسطا من ذلك الصراع؛ واستقر الرأى على عقد مجلس دينى فى باريس عام ٨٢٥م بأمر من الامبراطور الفرنجى لبحث قضية عبادة الايقونات بالتفصيل؛ ومن باب المجاملة والاحترام طلب لويس الطيب موافقة البابا الجديد يوجينيوس Eugeniusالذى خلف باسكال، فوافق على قرار المجلس

الذى كان ينص على انكار عبادة الايقــونات، وفي نفس الوقت يلومن محطميها، ويسمح ببقائها دون عبادتها. كما توسط لويس الطيب لعقد الصلح بين البابا الجديد والامبراطور ميخائيل من أجل وحدة الكنيسة.

الاخطار التى واجهت الامبراطورية فى عهده:

١. ثورة توماس الصقلبى:

كان توماس زعيما صقلبيا، ساءة أن يرى قومه السلافيين يعاملون معاملة سيئة من قبل سلطات الأمبراطورية، وكما قاد سبارتاكوس التراقى العبيد ضد روما، قاد توماس السلاف ضد القسطنطينية. وسرعان ما لقيت دعوته استجابة من العناصر والقوميات المغبونة حقوقها فى كافة أنحاء الامبراطورية، فانضم اليه الساخطون من الأقنان والعبيد، كما استجابت لدعوته عناصر من الفرس ، والأرمن، وقبائل القوقاز، التى كانت تدخل فى نطاق الامبراطورية، ثم انضمت اليه معظم قوات الجيوش المعسكرة فى آسيا الصغرى، والتى كانت تتكون من الصقالبة والأرمن والاسيويين، كما انضمت اليه القوات البحرية بقطع من الأسطول ذاته، واستغل عاملو الضرائب فى آسيا الفرصة فقامروا بأموالهم على نجاح ثورة توماس فايدوه، وانقسمت الامبراطورية الى شرقيين وغربيين؛ بل أن توماس كسب الى جانبه شقا من الساخطين فى الجزء الأوروبى من الامبراطورية، عندما أعلن تعاطفه مع الايقونيين. وأصبح للثوار قوات برية واسطول بحرى، واتخذ توماس من مدينة أنطاكية مركزا له. ولما رأى الأحوال تتردى، والاضطرابات الدينية تتصاعد، لم يعد يطالب بتحرير السلاف وبقية الشعوب المقهورة، بل تحدى الامبراطور ميخائيل الثانى فى عقر داره، واعلن أن هدفه هو القسطنطينية. وبذلك تحولت هذه الثورة الى حرب أهلية تنذر بالخطر.

ولم يكتف توماس بتجنيد الساخطين داخل الامبراطورية، بل سعى الى طلبى العون الخارجى من الدولة العباسية ، فبعث بوفد من قبله الى بغداد يطلب المساندة العسكرية من الخليفة المأمون، مقابل أن يتنازل عن بعض مناطق الحدود فى آسيا الصغرى ؛ ووجد الخليفة المأمون أنها صفقة رابحة تقربه من أمله وأمل المسلمين فى احتلال القسطنطينية، وقد ساعد المأمون على ذلك استتباب الأحوال والفتن داخل الدولة العباسية بعد مقتل الأمين عام ٨١٣م. والتى تسببت فى وقف الزحف نحو القسطنطينية، واستجاب المأمون لطلب توماس، فامده ببعض الفرق العسكرية التى انضمت الى قوات هذا الثائر الصقلبى، وتوج توماس امبراطور فى انطاكية على يد بطريركها الايقونى، وبمباركة الخليفة المأمون، وذلك فى تحد سافر للامبراطور ميخائيل الثانى، وفى عام ٨٢١ تقدم توماس بقواته البرية والبحرية لحصار القسطنطينية حتى الاستسلام، غير أن العناصر الأوروبية فى العاصمة والشطر الشرقى وقفت وراء الامبراطور، ونسيت خلافاتها الدينية خوفا على مصالحها، فقد كانوا هم الملاك للاقطاعيات الشاسعة، والمنتشرة فى شطرى الامبراطورية، لأن توماس كان يستولى على هذه الاقطاعيات، ويوزعها على الفقراء من أنصاره؛ وهرع خان البلغار الكبير أمورتاج Omurtag لنجدة ميخائيل وانقاذ الامبراطورية، وحدثت المعركة الفاصلة بين شرق الامبراطورية وغربها فى مطلع خريف عام ٨٢٣ ميلادية، وسحقت قوات توماس وتشتت شملها، ووقع زعيم الثورة نفسه فى الأسر حيث أعدم على الفور. وهكذا فشلت احلام توماس محرر السلاف، وفشلت معها احلام المأمون. وبالرغم من ذلك، أرسل الامبراطور ميخائيل الثانى وفدا إلى بغداد، ليبلغ الخليفة بأن ثورة توماس قد سحقت، وأنه يطلب عقد هدنة لكى يلتقط انفاسه، ويصلح الخراب والدمار الذى سببته هذه الفتنة، غير أن الخليفة رفض رفضا باتا أن يهادن

الروم وامبراطوريتهم، وأصر على مواصلة الكفاح ضدها.

نتائج ثورة توماس:

أدت ثورة توماس الى ارهاق الامبراطورية واستنزافها عسكريا واقتصاديا، فقد ضعف الأسطول الرومي وخارت قواه، وأصبح غير قادر على التصدى للقوة البحرية الاسلامية فى شرق وغرب البحر المتوسط، بل حتى على حماية ما تبقى للامبراطورية المهترئة من ممتلكات فى جنوب ايطاليا وجزر البحر المتوسط.

وعلى الصعيد الداخلى، أدت ثورة توماس الى ارهاق الاقتصاد والتجارة بدرجة أثرت على التعبئة العسكرية والدفاعية، فقد اختفت طبقة صغار الملاك من المزراعين فى أسيا الصغرى، بسبب عجزهم عن الوفاء بالاعباء المالية والضريبية التى فرضها عليهم سواء الثوار أو القسطنطينية، فهجروا حقولهم، أو باعوها، أو تنازلوا عنها طواعية للاغنياء القادرين على تسديد الضرائب للدولة، كما أنه خلال فترة الحروب الأهلية ارتبكت الاسواق، وكسدت التجارة، بسبب ضياع الأمن وتعطيل القانون. وقد نتج عن ذلك ظهور الاقطاع الشرقى بشكل مخيف فى آسيا الصغرى، والذى تحول الى اخطبوط، هدد البلاد فى القرن العاشر، وظهرت خطورته وآثاره على الامبراطورية فى القرن الحادى عشر. وكان بداية النهاية.

ضياع كريت وصقلية:

أصبح الأسطول الاسلامى هو القوة الحقيقية فى شرق البحر المتوسط، بل فى غربه لأول مرة منذ عهد الامويين. بعد أن فقد الروم قواعد بحرية هامة. ففى عام ٨٢٧ قام جماعة من سكان الربض، المنشقون على الحكم الاموى فى الاندلس، والمطرودون منها، بالبحث عن وطن لهم، فاتجهوا بتشجيع من الدولة العباسية الى كريت، يقودهم زعيمهم أبو حفص عمر بن عيسى البلوطى، والذى عرف فى المخطوطات الرومية باسم أبو كابسو Apocapso واستولى الربضيون على كريت، دون مقاومة تذكر، بل على العكس ساعد سكانها الغزاة الربضيين نكاية فى الحكم اللاأيقونى فى القسطنطينية، فقد كان أهل كريت من أشد المتحمسين لعبادة الايقونات، كما ساعد رهبان أديرة كريت الربضيين، ودلوهم على الطرق والمدقات الهامة فى الجزيرة، والتى سهلت لهم احتلالها، مقابل ضمان حرية ممارسة عقيدتهم على النحو الذى يرتضونه، بالاضافة الى ذلك فقد كان كثير من أنصار توماس قد فروا الى كريت، وهؤلاء أيضا ساهموا فى تسهيل قدوم الربضيين نكاية فى الحكم الايقونى فى القسطنطينية، وساهموا فى احتلال المسلمين للجزيرة. ولم يستطع اسطول الروم أن يفعل شيئا لضعفه. وبذلك فقدت الامبراطورية جزيرة كريت ذات الاهمية الاستراتيجية والبحرية.

وفى غرب البحر المتوسط، شكلت القوة المتعاظمة لدولة الاغالبة خطرا آخر على ممتلكات الامبراطورية سواء فى صقلية أو جنوب ايطاليا، ودولة الاغالبة هى احدى الدويلات الاسلامية التى استقلت عن الدولة العباسية فى المغرب العربى، ابان الصراع الذى تلى موت هارون الرشيد، والتى أسسها ابراهيم بن الأغلب، الذى جعل مدينة القيروان عاصمة لدولته، فقد انتهز زياد الله أمير الاغالبة تدهور أحوال وقوة الروم عقب ثورة توماس، فسير حملة بحرى بقيادة قاض وفقيه شهير، اسمه أسد بن الفرات، لفتح جزيرة صقلية فى عام ٨٢٧م، تمكنت من النزول الى الجزيرة نحو الشرق حتى وصلت الى ميناء تاوريمينيوم Tauremenium فى اقصى الساحل الشرقى لصقلية على البحر الأيونى، ومن هذا الميناء ابحروا الى اقليم كالابريا (قلورية عند المسلمين)، المطل على بحر الأدرياتيك، واستولوا على ميناء باريوم Barium (بارى حاليا)، وبينما كانت هذه الحملة تشق طريقها لاكمال قبضتها على الجزيرة، جاءت الانباء بموت ميخائيل الثانى وتولى ابنه ثيوفيلوس.

حكم ثيوفيلوس Theophilos (٨٢٩-٨٤٢م):

تمسك الامبراطور ثيوفيلوس بنظرية السيادة العليا الشاملة التى حرص عليها أبوه، كما تمسك بنظرية الحق الالهى للملوك، ومن الناحية الدينية اشتط فى مقاومة الايقونات لدرجة لا تقل عن ليون الايسورى وابنه قنسطنطين، بل أنه كان أكثر تطرفا من سابقية الاثنين، رغم أن أباه حاول أن يخفف من غلواء ابنه فى التعصب للحرب اللاأيقونى. ولقد بدأت هذه السياسة باصدار قرار عام ٨٣٢ بمنع «عبادة الصور وحذف كلمة مقدس» Hieros التى كانت تسبق اسم كل قديس؛ ولما رأى أن هذا القرار لم ينفذ بالشكل الذى اراده، أمر صديقه البطريرك يوحنا - الذى كان قد عينه بطريركا فى نفس العام - ان يجمع مجلسا دينيا ليعلن من خلاله انكار عبادة الايقونات، وأشرف الامبراطور بنفسه على تنفيذ قراراته، فكثرت فى عهده حوادث الاعتقال والسجن والتعذيب لعدد كبير من الرهبان ورجال الدين.

وبالرغم من ذلك فقد كان ثيوفيلوس محبا للثقافة والفنون، والعلم والعلماء، فلأول مرة منذ عصر جستنيان نجد امبراطورا يولى البحث العلمى اهتمامه، لأنه نفسه تلقى تعليما راقيا، انعكس على طريقة تفكيره، واختياره لمستشاريه؛ فقد اختار أستاذه وهو

سنة ثمان وثمانين. واستخلف عليها عبد الرحمن بن عمرو بن قحزم الخولانى. وأهل مصر إذ ذاك فى شدة عظيمة. فقال زرعة بن سعد الله بن أبى زمزمة الخشنى:

إذا سارَ عبدُ الله منْ مصْرَ خارجاً فَلا رَجَعَتْ تلْكَ البِغالُ الخَوارجُ
أتى مِصْرَ وَالمكْيالُ وافٍ مُغَرْبَلٌ فَما سارَ حَتى سارَ وَالمُدّ فالِجُ(١)

فأهدر عبد الله بن عبد الملك دمه. فهرب إلى المغرب، وكتب إلى الوليد بن عبد الملك:

ألاَ لا تَنْهَ عَبْدَ الله عَنّي كَمَا قَدْ قالَ يجْعلُني نَكالا
وَلَمْ أشْتُمْ لِعَبْدِ الله عِرْضاً وَلَمْ آكُلْ لِعَبْدِ الله مالا

وسخط عبد الله بن عبد الملك على عمران بن عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة، فصرفه عن الشرط والقضاء وسجنه، وذلك فى صفر سنة تسع وثمانين. وجعل مكانه على الشرط عبد الأعلى بن خالد بن ثابت بن ظاعن الفهمى(٢)، وعلى القضاء عبد الواحد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج. وأمر عبد الله بسقف المسجد الجامع أن يرفع سمكه، وكان سقفه مطأطئاً، وذلك فى سنة تسع وثمانين.

---

(١) واف: تام كامل كثير.ومغربل: صاف نقى. وفالج : ناقص إلى نصفه.
(٢) كذا فى ر، ف (٢٣٨). وفى الأصل : الفهرى . خطأ.

يوحنا النحوى ـ أشهر علماء القسطنطينية فى عهده ـ مستشارا له، وفيما بعد عينه بطريركا للكنيسة ليدخل التفكير العلمى الى قلعة اللاهوت. ولقد كان يوحنا النحوى عالما متفتح الذهن، عاشقا للمنطق والتفتيش عن سر الكون، ويشجع البحث العلمى، ولذا لم ترض عنه لا أجهزة الكنيسة، ولا رهبان الاديرة. واتهموه بتهمة كانت شائعة فى ذلك الوقت كانت توجهها الكنيسة الى أى مفكر أو باحث يحاول أن يستخدم عقله فى البحث العلمى الدنيوى، وهذه التهمة هى ممارسة السحر الأسود. وبهذه التهمة كان العلماء يحرقون أحياء فى الكنيسة اللاتينية أو يطردون من رحمتها. غير أن الامبراطور لم يعر الرهبان اهتماما، فقد اوعز ثيوفيلوس الى يوحنا النحوى أن يصدر قرارا كنسيا يعتبر كل من يعارض الامبراطور فى مشروعاته متمردا على الكنيسة وخارجا على أوامرها، وكان ذلك ردا على موقف الرهبان من سياسة التنوير العلمى. ولم يستخدم ثيوفيلوس عقوبة الموت ضد أعدائه ومعارضيه، انما لجأ الى توقيع عقوبات بديلة، مثل تقطيع أيديهم أو أرجلهم من خلاف أو نفيهم من البلاد، أوالزج بهم فى السجون، باعتبارهم مارقين يحاربون الله، والمسيح والامبراطور، الذى هو خليفته على الأرض. ونتيجة لهذه

حدثنا عاصم بن رازح بن رحب الخولانى قال: حدثنا محمد بن حميد بن هشام الرعينى قال:

حدثنى أبى قال: حدثنى الحسن بن معاوية النصيرى[١] قال: حدثنى ابن أبى ليلى التجيبى، عن عبد الحميد بن حميد الكاتب مولى خزاعة.

عن أبيه قال: «كان موسى بن نصير يكاتب عبدالعزيز بن مروان.فلما هلك عبد العزيز، ولى عبد الملك عبد الله بن عبد الملك. فلم يكاتبه موسى،وكاتب عبد الملك. فكتب إليه عبد الله بن عبد الملك:

أما بعد.

فإنك كنت من عبد العزيز وبشر بين مهادين، تعلو عن الحضيض مهودهما، ويدفئك دثارهما، حتى عفا[٢] مخبرك، وسمت بك نفسك. فلا تحسبنى. كمن كنت تخلبه[٣] وأعداء بيته، وتقول: اكفيانى أكفكما، ولا كأصبغ[٤] كنت تمينه[٥] بكهانتك. وأيم الله

(١) كذا فى ر، وفى الأصل بعد . وفى الأصل هناك البصرى. وهو خطأ، لأنه يروى عن ابن نصير.
(٢) عفا: زاد وكثر. (٣) تخلبه: تخدعه.
(٤) أصبغ بن عبد العزيز بن مروان. وفى رك كأضبع.
(٥) تمينه: تكذب عليه.

السياسة الجديدة المتحررة، فقد وضع ثيوفيلوس البذور الاولى لما عرف فيما بعد بعصر الازدهار الذهبى الثانى لحضارة الروم، اذ بدأت ملامح حضارة علمية وفنية تتخلق، وتميزت عن حضارة عصر الازهار الأول الذى بدأ فى عصر جستنيان، وعرفت بأسم العصر الذهبى الثانى.

الحرب على الجبهة الاسلامية فى آسيا الصغرى:

كان الخليفة المأمون قد رفض عقد هدنة عرضها عليه وقد جاء الى بغداد من قبل الأمبراطور ميخائيل الثانى، لأن خليفة المسلمين رأى أن أوضاع الامبراطور الرومية المتردية بعد ثورة توماس فرصة سانحة لتوسيع حدود الدولة العباسية فى آسيا الصغرى، وما كاد ثيوفيلوس ابن ميخائيل الثانى يجلس على العرش، حتى سير الخليفة المأمون جيوشه لتعبر جبال طوروس، متقدمة نحو أرمينيا عبر اقليم قابادوقيا، ولم يكن ثيوفيلوس مستعدا للحرب، فبعث فى عام ٨٣٣ ميلادية بوفد الى بغداد من أجل طلب الصلح مع الدولة العباسية بأى ثمن، ولم يصل الوفد الى نتيجة؛ فقد مات الخليفة المأمون فى تلك السنة وتولى الخليفة المعتصم.

ولما علم ثيوفيلوس أن الخليفة الجديد المعتصم لم يدعم نفسه فى الحكم بعد، فقد انتهز هذه الفرصة للقيام بهجوم على بعض مناطق الحدود الاسلامية، ليدمر بعض القلاع الحصينة من ناحية،ومن ناحية أخرى ليحتل

لأضعن منك ما رفعا، ولأقلن منك ما كثرا. فضح رويداً [1]، فكأن قد أصبحت سادماً [2]، تعض أناملك نادماً . والسلام.

فكتب إليه موسى بن نصير:

أما بعد،

فقد قرأت كتابك، وفهمت ما وصفت فيه من إركانى إلى أبويك وعمك. ولعمرى إن كنت لذلك أهلاً. ولو خبرت منى ما خبرا، لما صغرت منى ما عظما، ولا جهلت من أمرنا ما علما. فكيف أتاه الله لك؟ فأما انتقاصك لهما، فهما لك، وأنت منهما، ولهما منك ناصر لو قال وجد عليك مقالاً، وكفاك جزاء العاق. فأما ما نلت من عرضى، فذلك موهوب لحق أمير المؤمنين لا لك. وأما تهددك إياى بأنك واضع منى مارفعا، فليس ذلك بيدك ولا إليك، فارعد وأبرق لغيرى. وأما ما ذكرت مما كنت آتى به عمك عبد العزيز، فلعمرى إنى مما نسبتنى إليه من الكهانة لبعيد، وإنى من غيرها من العلم لقريب. فعلى رسلك! فكأنك قد أظلك البدر الطالع، والسيف القاطع، والشهاب الساطع . فقد تم لها، وتمت له[3]. ثم بعث إليك

(١) ضح رويداً: مثل بمعنى اصبر قليلا ولا تغر ولا تعجل.
(٢) السادم النادم الحزين لا يطيق ذهاباً ولامجيئاً.
(٣) الضمير عائد على الخلافة.

بعض الاراضى، ليجبر الخليفة الجديد على قبول الهدنة، وحتى يقايض بها الأراضى الرومية التى احتلها المسلمون فى عهد المأمون، ومن ثم قاد ثيوفيلوس جيوشه ضد الحدود الاسلامية، وحقق بعض الانتصارات الهزيلة، اذ استولى مثلا على حصن زابطرة Zapatra وهدمه وأسر من فيه، ثم تقدم نحو ملطية ـ فى اقليم كاريا فى جنوب غرب آسيا الصغرى فاغار عليها وعلى ما حولها من حصون وذلك فى عام ٨٣٧ ميلادية.

وعلى الفور قام الخليفة المعتصم بتجهيز جيش قاده بنفسه، انطلق به فى عام ٨٣٨ ميلادية نحو الشمال الغربى، جاعلا وجهته اقليم فريجيا، وتوغل فيه حتى استولى على عمورية Anorion مسقط رأس هذه الأسرة الحاكمة.

ولقد بلغت نشوة الاستيلاء على عمورية حدا جعل الخليفة المعتصم يعقد العزم للسير نحو القسطنطينية ـ أمل المسلمين منذ الأمويين ـ غير أن الأنباء حملت اليه نبأ قيام الفتن فى الشام، فاستدار عائدا لاخمادها.

الاغالبة يواصلون فتوحاتهم لمدن صقلية وجنوب ايطاليا:

وفى الوقت الذى كان فيه الخليفة المأمون يقود حملاته نحو أرمينيا، كان الاغالبة يزيدون من فتوحاتهم فى صقلية، فزحفوا نحو بالرمو Palermo عاصمة صقلية، وحاصروها حتى استسلمت، عام ٨٣١م، وبفتحها انفتح الطريق أمام الاغالبة للاستيلاء على معظم مدن

الأعرابى الجلف الجافى، فلم تشعر به حتى يحل بعقوتك[١] فيسلبك سلطانك، فلا يعود إليك ولا تعود إليه . فيومئذ تعلم أكاهن أم عالم، وتوقن أينا النادم السادم. والسلام.

فلما قرأ عبد الله الكتاب ، كتب إلى عبد الملك كتاباً، وأدرج كتاب موسى فيه. فلم يصل الكتاب إلى عبد الملك حتى قبض، ووقع الكتاب فى يد الوليد بعد أن عزل عبد الله عن مصر، وولى قرة شريك. فلما قرأه الوليد استضحك ثم قال: لله دره، وإن كان عنده لأثرة[٢] من علم، ولقد كان عبد الله غنياً أن يتعرضه».

فحدثنى على بن قديد قال: حدثنى عبيد الله بن سعيد بن عفير قال: حدثنى أبى قال:

حدثنى القاسم بن الحسن بن راشد: «أن يحيى بن حنظلة مولى بنى سهم نزه عبد الله بن عبد الملك إلى منية له بالجيزة. فما رأى طعاماً كان أكثر من طعامه، إن الرجل من الجند ليأخذ الخروف ما ينازعه أحد. فلما متع النهار[٣]، أقبل قرة بن شريك على أربع من دواب البريد، وإحداهن عليها الفرانق[٤]. فنزل بباب المسجد، ونزل صاحباه. فدخل فصلى عند القبلة وتحول، فجلس صاحباه عن يمينه ويساره. فأتاهم حرس المسجد، وكان له شرط يذبون عنه.

---

(١) العقوة: المحلة. (٢) أثرة: بقية

(٣) متع النهار: ارتفع قبل الزوال.

(٤) الفرانق: الذى يدل صاحب البريد على الطريق.

الجزيرة، وأصبح الاتصال البحرى بين دولة الاغالبة في القيروان، وبين صقلية ميسورا ومؤمنا، وبذلك سهل نقل المؤن والعتاد لجيوشهم عن طريقها لتكمل فتوحاتهم في جنوب ايطاليا. وقد جاءت الاغالبة الفرصه في عام ٨٣٧م عندما استعان بهم أهل نابلي Neapolis ضد عدوان دوق بينيفيتو Benevento، فعقدوا معاهدة صداقه وتعامل مع دوقية نابلي، وقد سهل ذلك التحالف للاغالبه الأغارة على ممتلكات القسطنطينية في كالابريا (فلوريه) وحول خليج تارنتوم Terentum، بل أغاروا على مدينة كابوا Capua في سهل كمبانيا، وخربوها عام ٨٣٩م. ثم كللوا انتصارهم بالاستيلاء على مدينة تارنتوم العريقة وذات التاريخ الحافل، وعندئذ شعر أهل البندقية باقتراب خطر الاغالبه، وخشوا ان يقطع اسطولهم الطريق على سفنهم التجارية، فتحالفوا مع القسطنطينية، وانضم اسطولهم الى بقايا القطع البحرية للامبراطورية، غير أن اسطول الأغالبة أنزل بالحليفين هزيمة ساحقة في خليج تارنتوم واستولى الاغالبة على حصن باريوم Barium (بارى) المنيع عند مدخل بحر الادرياتيك وبالاستيلاء على تارنتوم وسهل كمبانيا من ناحية، وبالاستيلاء على ميناء باريوم من ناحية أخرى، أصبح الأغالبة يهددون روما نفسها.

سياسة ثيوفيلوس في غرب البحر المتوسط:

وازاء تفاقم الخطر الاسلامى في ايطاليا، فقد أسرع ثيوفيلوس بارسال وفود الى الامارات اللاتينية، فبعث بوفد الى امارة

فقالوا: إن هذا مجلس الوالي، ولكم في المسجد سعة. قال: وأين الوالي؟ قالوا[١]: في متنزه. قال: فادع خليفته. فانطلق شرطي منهم إلى عبد الأعلى فأعلمه. فقال أصحابه: أرسل إليه يأتك صاغراً. قال: ما بعث إلي إلا وله علي سلطان، أسرجوا. فركب حتى أتاه فسلم. قال: أنت خليفة الوالي؟ قال: نعم. قال: انطلق فاطبع الدواوين وبيت المال. قال: إن كنت والي خراج فلسنا أصحابك. قال: ممن أنت؟ قال: من فهم. فقال قرة:

لَنْ تَجِدَ الفَهْمِيَّ إلاَّ مُحافظاً ... عَلى الخُلُقِ الأعلى وَبالحَقِّ عالما[٢]
سأُثْنى عَلى فَهْمٍ ثَناءً يَسُرُّها ... أوافى به أهل القُرى وَالمواسما

فقال: السلام عليك أيها الأمير. وكتب إلى عبد الله بن عبد الملك يعلمه. فأتاه الخبر، وقد أهديت له جارية. فبكى ولبس خفة قبل سراويله دهشاً».

قال: وكتب رجل من قريش إلى الوليد[٣]:

عَجَباً! ما عَجِبتُ حينَ أتانا ... أنْ قَدَ امَّرْتَ قُرَّةَ بنَ شَريكْ
وَعَزَلْتَ الفَتى المُبارَكَ عَنّاَ ... ثُمَّ فَيَّلْتَ[٤] فيه رَأىَ أبيكْ

---

(١) كذا في ر. وفي الأصل: قال.
(٢) جعله ف (٢٣٩) شعراً، ونثراً.
(٣) ف (١٣١)، س٢ك (٩). ن(١:٢١٩).
(٤) فيل رأيه: قبحه وخطأه.

البندقيـة Venezia ، وهـو الـذى أسـفـر عن التحالف الفاشل بين البنادقـــة والروم لوقف زحف الأغالبة فى خليج تارنتوم، كما بعث بوفـد الى لويس التـقى ابن شـــرلمان، وقـــد أحـــسن لويس استقبال وفد القسطنطينية، ولكنه لم يكن يؤيد مناصـرة الروم على العباسيين حلفاء أبيه شارلمان. ومن ثم خطر لثيـوفـيلوس أن يحـيى الصـداقـة القـديمة مع الخـلافـة الاموية فى الأندلس، أمـلا فى أن ينجح فى اسـتـعـدائهم على العباسيين والربضيين، فارسل وفدا الى عبد الرحمن الاوسط ـ أمير الاندلس ـ عـام ٨٤٠ مـيـلادية. ولحسن الحظ أن المؤرخ الاسلامى أحمد بن محمد المقرى (المتوفى عام ١٤٤٣م) ترك لنا فى كتابه «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب». شـرحـا لأهداف هذه البعثة، والتى هدفت الى ترغيب الأمير الأندلسى فى أن يتحالف أو يتـعاون مع الروم لضرب الدولة العباسيـة فى عقـر دارها، ويغريه على ذلك بتأكيده أن هذه الدولة فى طريقـهـا الى الأنهـيـار. ولقـد طلب ثيوفيلوس عبر وفده عربونا للصـداقـة وهو مـسـاعـدته فى تخليص جـــزيرة كـسريت من الريضيين، حلفاء الدولة العباسية، والمنشقين على الحكم الأموى فى الأندلس. غير أن الأمير الأموى لم يسـتـجب لهـذا الاغـراء، وأثر أن تستمر دبلوماسية تبادل الوفود والهدايا دون التحالف العسكرى ضد العباسيين.

وفى عام ٨٤٢ ميلادية مات ثيوفيلوس تاركا من ورائه زوجته

يعنى بالمبارك هاهنا المشؤوم.

وقال عبد الله بن الحجاج الثعلبى:

فَـإنّ بِمِـصْـرَ عَـبْـدَ الله يا شُـؤ ... مَ عَـبْـد كُلُّ ذى عَظمِ هشَمْ

فكانت ولاية عبد الله عليها [ثلاث سنين و][1] عشرة أشهر.

١٥. قرة بن شريك(*)

ابن مرثد [بن] الحارث[2] بن حبش بن سفيان بن عبد الله بن ناشب بن هدم بن عوذ بن غاب بن قطيعة بن عبس ابن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر

ثم وليها قرة بن شريك العبسي للوليد على صلاتها وخراجها، فقدمها يوم الأثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة تسعين. فأقر عبد الأعلى ابن خالد على الشرط، وأخذ ،عبد الله بن عبد الملك بالخروج من مصر. فخرج عبد الله بكل ما يملك، فلما بلغ

(١) زيادة عن خـ ١٠ :٣٠٢)، ن(١ :٢١١)، وهى ساقطة من ر.

(*) الخطط (١ :٣٠٢)، والنجوم (١ :٢١٧)، وحسن المحاضرة (٢ :٩).

(٢) ن(١ : ٧ى٢١)ك ابن مرثد بن حازم بن الحارث.

الشـابة ثيـودورا، وابنا قـاصـرا لا يتعدى عمره ثمان سنوات وكان اسمه ميخائيل، ومن ثم اعلنت الامبراطورة ثيودورا نفسها وصية عليه.

حكم ثيودورا كوصية على ابنها ميخائيل الثالث: ٨٤٢-٨٥٦م:

ولقد ظلت ثيودورا تسير أمور الامبراطورية طول مدة أربعة عشر عاما، قبل أن تسلم الحكم لابنها ميخائيل الثالث في عام ٨٥٦ ميلادية، تفرغت خلالها لنصرة الايقونية، بينما تركت زمام شئون الامبراطورية لعشيق لها من رجال السياسة كان اسمه ثيوكتستوس Theoktistos ولشقيقها بارداس Bardas، والذى عـرف في المصادر العربية باسم بطرناس، وكذلك لعمها عما نوئيل، الذى كان لا أيقونيا متعصبا، وتدعى المصادر الكنسية أن هذا العم وقع فريسة لمرض طويل كاد يقضى عليه لولا صلوات الكنيسة ودعوات الرهبان في دير ستوديون، حتى قام من مرضه سليما معافى، ومن ثم تحول الى الايقونية وأصبح متحمسا لها، كما أصبح نفوذه قويا في مجلس الوصاية الامبراطورى؛ وتحت تحريض العم عما نوئيل استدعى مجلس الوصاية البطريرك يوحنا النحوى، وخيره بين أمرين: اما أن يعقد مجلسا دينيا ينتقى جميع اساقفته من الايقونيين، أو الاستقالة، فرفض الأمرين معا؛ غير أنه حدث أن أصيب البطريرك في اشتباك مع أحد حراس القصر، فاشيع أنه كان ينوى الانتحار، وهو جريمة يعاقب عليها

الأردن تلقاه رسل الوليد فأخذوا كل ما كان معه. ثم خرج قرة إلى رشيد، واستخلف عبد الأعلى بن خالد على الفسطاط وتوفى عبد الأعلى بن خالد بالفرما، وهو سائر إلى الوليد فى ربيع الأول سنة إحدى وتسعين، فجعل على الشرط عبد الملك بن رفاعة بن خالد بن ثابت الفهمى[1] ابن أخى عبد الأعلى.

وخرج قرة إلى الإسكندرية، واستخلف على الشرط عبد الرحمن بن معاوية ابن حديج، فى سنة إحدى وتسعين. فتعاقدت ا لشراة بسكندرية على الفتك بقرة. وكان رئيسهم المهاجر بن أبى المثنى التجيبى، أحد بنى فهم بن أبذى [2] بن عدى ابن تجيب، وفيهم ابن أبى أرطاة التجيبى. وكانت عدتهم نحواً من مئة. فعقدوا لابن أبى المثنى عليهم، عند منارة الإسكندرية، وبالقرب منهم رجل يكنى أبا سليمان، فبلغ قرة ما عزموا عليه. فأتى بهم قبل أن يتفرقوا، فأمر بحبسهم فى أصل منارة سكندرية . وأحضر قرة وجوه الجند وأحضرهم. فسألهم فأقروا، فقتلهم قرة[3].

ومضى رجل ممن يرى رأى الخوارج إلى أبى سليمان فقتله.

---

(١) كذا فى ر. وفى صلك الفهرى. تصحيف.

(٢) ر، أذاة . وانظر ما سبق.

(٣) فى الحاشية: «قال ابن يونس: كان قرة بن شريك خليعاً. قال: وكان من أظلم خلق الله، وهمت الأباضية بقتله والفتك به ، وتبايعوا على ذلك ، فبلغه ذلك فقتلهم». وانظر ن(١: ٢١٨).

الشرع المسيحي، فانسحب الى أحد الاديرة، وبينما هو يصلي في المحراب، شاهد صورة لأحد القديسين تطل عليه، فقام بطمسها بالطين، فعوقب بسمل عينية، وعزل من منصبه، وعين مكانه ميثوديوس الايقوني، وكان شيخا طاعنا في السن لاقى الكثير من الاهوال والاضطهاد على يد ميخائيل الثاني لمواقفه المعارضة منه؛ ومثلما فعلت الامبراطورة ايريني من قبل، أوعزت ثيودورا الى البطريرك الجديد أن يدعو لعقد مجمع كنسي في نيقية، وبالفعل عقد هذا المجمع عام ٨٤٣ ميلادية، وتحت تأثير وسعي ثيودورا، أسفرت قراراته عن عودة عبادة الايقونات، ورفع الحظر عنها، والسماح باعادة التماثيل الكبرى والأيقونات الى مواضعها القديمة، التي كانت قائمة فيها قبل اندلاع الحركة اللاأيقونية، كما أقر المجلس شرعية تصوير الرسل، والأنبياء. والملائكة، بالشكل الانساني داخل الكنائس على أن تكون صورا ليس لها ظل، أي أن لا تكون مجسمة أو مصنوعة من حجر أو أي مادة صلبة. وقبل أن ينفض المجلس، طلبت منه ثيودورا أن يصدر قرارا بالغفران لزوجها لما صدر منه في حق الايقونات، فرفض؛ عندئذ هددت بأنها سوف تتخلى عن سياستها المتعاطفة مع الايقونيين، وأخيرا توصلت الى حل لهذه الازمة، وهو أن تدلى الامبراطورة بشهادتها أمام المجلس بأن زوجها قبل أن يلفظ انفاسه، طلب منها أن يقبل أيقونه ووضعها على

فكان يزيد بن أبي حبيب إذا أراد أن يتكلم [بشيء][1] فيه تقية من السلطان، تلفت وقال: احذروا أبا سليمان. ثم قال يوماً من ذاك: الناس كلهم أبو سليمان[2].

وورد كتاب الوليد بالزيادة في المسجد الجامع. فابتدأ في هدم ما كان عبد العزيز بناه، لمستهل سنة الثنتين وتسعين. ووفد قرة إلى أمير المؤمنين الوليد بوفد أهل مصر، واستخلف عليها عبد الملك بن رفاعة الفهمي. وابتدأ في بنيان المسجد في شعبان سنة اثنتين وتسعين. وجعل على بنائه يحيى بن حنظلة من بني عامر بن لؤي. وكانوا يجمعون الجمعة في قيسارية العسل حتى فرغ من بنيانه[3]. وقدم قرة من وفادته في سنة ثلاث وتسعين. فاستنبط الإصطبل لنفسه من الموات، وأحياه وغرسه قصباً فكان يسمى إصطبل قرة، ويسمى أيضاً إصطبل القامش[4] يعنون القصب كما يقولون قامش[4] مروان، ونصب المنبر الجديد في الجامع في سنة أربع

---

(١) زيادة من ر وعن خـ (٢: ٣٣٨).

(٢) خـ (٢: ٣٣٨): ثم قال: الناس كلهم من ذلك اليوم أبو سليمان.

(٣) في الهامش: «قال ابن يونس: قيل إن قرة بن شريك كان ـ إذا انصرف الصناع من بناء المسجد ـ دخل المسجد، ودعا بالخمر والطبل والمزمار، فيشرب ويقول: لنا الليل ولهم النهار». ومثله في ن(١: ٢١٨).

(٤) كذا في خـ (٢: ١٥٢). وفي خـ (١: ٣٠٢): القاش. وفي ر: القاس. وقامش كلمة تركية، معناها القصب.

صـدره، وبناء على هذه الشهادة اصـدر المجلس قـراره بالغـفـران للامبـراطور الراحل ثيـوفيلوس، وبذلك حلت الازمـة؛ وعندمـا انفض المجمع من أعـمـاله، أقيم قداس كبير في كنيسة أيا صوفيا يوم الأحد الموافق الحادى عشر من شهـر مارس عام ٨٤٣ ميـلادية، قاده البطريرك ميثوديوس بنفسه، وفى حـضـور الامبـراطورة الام، والامبراطور القاصر، وكبار أعضاء البلاط، وجمع غفير من رجال الكنيسـة والرهبـان والمصلين.

ولايزال هذا الحـدث تحـتـفل به الكنيسة الارثوذوكسة حتى يومنا هذا وتسـمـيـه «عـيـد انتـصـار الارثوذوكسية» فى أول يوم أحد يأتى بعد عيد القيامة، وبالطبع تلا ذلك حملة انتقام ضد زعـمـاء اللاايقـونيـة، حتى قضى عليهم تماما.

ولقـد استـقـبل الروم هذه القـرارات بترحاب شـديد، فـقـد كان العداء للايقونية قد انحسر نتيجة لتزايد الاعتقاد بين الناس، أن مـا لا قـوه من هزائم مـا هو الاعـقـاب من الله لتـحطيـمـهم الصور والايقونات المباركة. كما أدى هذا القرار الى اعادة الوحدة الدينية المقسمة، والوحدة الوطنية المفككة بعـد أن حسم الموقف، وبالتالى أعاد ذلك الاستـقـرار الى الروح المعنوية لجيوش الامبراطورية المنهـارة؛ وفى المجـال الكنسى، كـانت هذه الأيام هى أعظم أيام شهدتها كنيسة القسطنطينية، اذ بدأ المبشرون، والرهبان المتجولون يعـمـلون على توسـيـع نطاق

وتسعين. فيقال: إنه لا يعلم اليوم فى جند من الأجناد أقدم منه، بعد منبر رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

ودون قرة الديوان فى سنة خمس وتسعين، وهو المدون الثالث. ثم توفى قرة بن شريك بها وهو والٍ عليها ليلة الخميس لست بقين من شهـر ربيع الأول سنة ست وتسعين، ودفن فى مقبرتها، واستخلف على الجند والخراج عبد الملك ابن رفاعة بن خالد الفهمى. كانت ولاية قرة عليها ست سنين إلا أياما(١).

١٦ ـ عبد الملك بن رفاعة(*)

ابن خالد بن ثابت بن ظاعن بن العجلان بن عبد الله بن صبح
ابن والبة بن نصر بن صعصعة بن ثعلبة بن كنانة بن عمرو
ابن القين بن فهم بن عمرو بن سعيد بن قيس بن عيلان
ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

ثم ولى عبد الملك بن رفاعة [الفهمى، من قبل الوليد بن عبد الملك، على صلاتها. فجعل

(١) كذا فى ن (١: ٢٢٠) أيضاً. وفى خـ (١: ٣٠٢): ست سنين وأياماً. وهو الأصح، لأنه قدم مصر فى ١٣ ربيع الأول ٩٠هـ. ومات فى ٢٤ من ربيع الأول ٩٦ تقريبا.
(*) الخطط (١: ٣٠٢)، والنجوم (١: ٢٣١)، وحسن المحاضرة ٢٠: ٩.

التبشير، ونشر المسيحية على المذهب الارثوذوكسي في الاصقاع الأوروبية الشرقية والشمالية والتى كانت خارج الحزام الحضارى. وبالنسبة لحقل الثقافة والفنون يعتبر المتخصصون عام ٨٤٢م عام الانطلاق لتحقيق نهضة فكرية وفنية شاملة، استمرت نشطة ومبدعة حتى سقوط القسطنطينية على أيدى الغزو اللاتينى عام ١٢٠٤م، وبلغت ذروتها فى عصر الأسرة المقدونية، وعصر أسرة آل كومنين. فقد أدى الاستقرار الى الرخاء والثراء، حيث عاش الناس عيشة ميسورة، وانتشر بناء القصور الفارهة، وزخرفت بالصور وبأعمال الفسيفساء، وانهالت على خزائن الكنائس الهدايا والنذور من القطع الفنية الرائعة والتحف النادرة، وأبدع الفنانون في زخرفة النسيج، وفى أعمال نحت العاج والطلاء المذهب، وصياغة المعادن بدقة. ولهذا يطلق مؤرخو الفن على هذه الفترة التى تبلغ ثلاثة قرون وستين عاما تقريبا، اسم العصر الذهبى الثانى لحضارة الروم.

نتائج الحركة اللاايقونية وآثارها:

لقد كان للثورة اللاأيقونية التى استمرت أكثر من قرن من الزمان (من ٧٢٦ ـ ٨٤٣م) نتائج متعددة الجوانب، تماما مثل المسببات التى انبعثت منها؛ فقد تركزت آثارها على الجانب الدينى والسياسى والاجتماعى والفكرى

أخاه الوليد بن رفاعة][(١)] على شرطه. ثم توفى أمير المؤمنين الوليد، يوم السبت لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين، واستخلف سليمان بن عبد الملك. فأقر عبد الملك بن رفاعة على صلاتها. وخرج ببيعة أهل مصر إلى سليمان بن عبد الملك، عبد الله بن عبد الرحمن بن حجيرة الخولاني. وتوفى عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان بمصر وأبو بكر بن عبد العزيز بن مروان بسكر من الشرقية[(٢)]. قال كثير:

أُصبتُ يوم الصعيد مِنْ سُكرٍ مُصيبةً ليس لى بها قِبَلُ

توفيا[(٣)] سنة ست وتسعين. ونزع الوليد بن رفاعة عن الشرط فى سنة سبع وتسعين، وجعل مكانه الشيخ ابن جرو الحضرمى.

وتوفى أمير المؤمنين سليمان فى صفر سنة تسع وتسعين، وبويع عمر بن عبد العزيز بن مروان. فعزل عبد الملك بن رفاعة عنها.

حدثنا عاصم بن رازح بن رحب قال: حدثنا أبو قرة محمد بن حميد الرعينى قال: حدثنى أبى قال حدثنى الحسن بن معاوية النصيرى قال:

(١) زيادة ضرورية عن خـ (١: ٣٠٢) ون (١: ٢٣١). وقد زاغت عن بصر الناسخ، لتكرر رفاعة.

(٢) ياقوت: معجم البلدان: سكر: موضع بشرقية الصعيد بينه وبين مصر يومان.. وبه مات عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وأبو بكر بن عبد الله بن مروان. ونسب البيت وأبياتا بعده إلى نصيب. وكذلك فعل صاحب الأغانى (١: ١٤٤).

(٣) ر: صم توفيا.

والفني، ولقد بينا كيف أن المستفيد الأول من الثورة اللايقونية هو الفنون التي لقيت رواجا وازدهارا لم يسبق له مثيل، ففي خلال فترة الحظر وتحريم تصوير الأنبياء والرسل، تحول الفنانون الى المناظر الطبيعية الخلابة، وتقديس الطبيعة، وراحوا ينهلون من التراث الهللينستي الرائد في هذا المجال؛ كما لجأوا الى فن الزخرفة التجريدية سواء، النباتية أو الحيوانية أو مجرد الخطوط والاشكال الهندسية أو الصور الشخصية، كل ذلك اعطى دفعة ديناميكية للفن الرومي، وعمق من جذوره، ونوع من موضوعاته، وجدد في اساليبه، فوصل الى درجة مذهلة، خلبت حتى عقول الرحالة والمؤرخين المسلمين. ولما عادت الايقونات بعد رفع الحظر والتحريم، عادت رسومها بشكل مختلف، واسلوب جديد، واعتبرت القسطنطينية أعظم مراكز الفن في العالم. كما أنه في خلال فترة الاضطهاد الايقوني فر كثير من العاملين في مجال الرسم الديني الى مدن ايطاليا مثل روما، وفينيسيه وفلورنسا، وجنوا، وغيرها، حيث وظفوا هناك في زخرفة وتصوير الكنائس والكاتدرائيات، ومن ثم كان ذلك بداية لحدوث نهضة فنية كبرى كانت الارهاصة الأولى لمولد الفن الأوروبي في عصر النهضة.

حدثني ضمام [١]: أن عمر بن عبد العزيز قال: دلوني على رجل من أهل مصر له شرف وصلاح، أوليه صلاتها! فقيل له بها رجلان: معاوية بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج، وأيوب بن شرحبيل. قال: أى الرجلين أقصد؟ قالوا: أيوب. قال فهذا أريد. فكتب إلى أيوب بن شرحبيل بولايته، وأمر البريد يكتم [٢] ذلك، وأن تكون موافاته يوم جمعة. فلما قدم الرسول، ودفع إليه الكتاب، وراح كما كان يروح، فركع قريباً من المنبر، وابن رفاعة يومئذ أمير الجند. فلما أذن المؤذن صعد أيوب المنبر، فخطب الناس وصلى بهم الجمعة، وانصرفوا . أقبل ابن رفاعة رائحاً، كان يروح ماشياً ، وأخوه بين يديه على شرطه، فلقى أخوه أوائل المنصرفين، فقال: مه. فقيل له:صلى بالناس أيوب بن شرحبيل . فوقف حتى أدركه أخوه فأعلمه فقال: انهم [٣]فيه امض كما أنت. فدخل المسجد فصلى ثم مال إلى مجلس قيس. فلما صلى العصر دخل إلى أيوب ، فهنأه ثم انصرف . وكانت ولاية عبد الملك عليها ثلاث سنين.

١٧ . أيوب بن شرحبيل (*)

ابن أكسوم [٤] بن أبرهة بن الصباح بن لهيعة بن شرحبيل

(١) أبو اسماعيل ضمام بن اسماعيل المرادى المعافرى، متعبد صدوق وكان يخطئ، ولد ٩٧ ، ومات ١٨٥ .
(٢) ر: [أن] يكتم . ولا داعي لزيادة أن. (٣) كذا في ر.
(*) الخطط (١ :٢ ٣٠)، والنجوم (١ :٢٣٧)، وحسن المحاضرة (٢ :٩).
(٤) ن (١ :٢٣٧): أكثوم.

مملكته، ثم أقامو ملكا اسمه كرياكوس صديقا خيرا وكان باقيا الى يوم وضع هذه السيره، وكان هذا الملك قد كوتب وقت كون الأب أنبا خايل فى الحبس ونحن معه، ووصلت الكتب إليه وسمع عبدالملك فأخذ [رسوله] واعتقله [مع البطرك]، ثم سار الملك من بلاد النوبة يريد ديار مصر (*) فى عسكر عظيم فيهماية ألف فارس بماية ألف فرس وماية ألف جمل. ولقد شاهد من أخبرنا بعينه أن الخيل التى تحتهم كانت تقاتل بأيديها وأرجلها فى

(*) حملة عسكرية للملك دنقله على مصر تصل إلى بركة الحبش جنوب الفسطاط بسبب اعتقال البطرك خايل.

ابن مرثد بن الصباح بن معدى كرب بن يعفر بن ينوف

ابن شراحيل بن أبى شمر بن شرحبيل بن ياشر (١) بن أشعر (٢) بن

ملكيكرب بن شراحيل بن يعفر بن عُمى (٣) بن أبى كرب

ابن يغفر بن أسعد بن ملكيكرب بن شمر (٤) بن أشعر بن ينوف

ابن أصبح، وأمه بنت مالك بن نويرة بن الصباح

ثم وليها أيوب بن شرحبيل ، من قبل أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز على صلاتها، فى ربيع الأول سنة تسع وتسعين. فجعل على شرطه الحسن بن يزيد الرعينى ثم أحد عجلان بن سريح(٥) وورد كتاب أمير المؤمنين بالزيادة فى أعطيات الناس عامة، وحرمت الخمر وكسرت، وعطلت حاناتها (٦) وصرف الحسن بن يزيد عن الشرط فى رجب سنة تسع وتسعين، وجعل مكانه الحارث بن ذاخر بن بهشم الأصبحى(٧) أحد [بنى](٨)السمول والحق لأهل مصر

---

(١) كذا فى ر عن ن، وفى الأصل: ياسر.
(٢) ن : أشغر. وكذا فى جميع النسب.
(٣) نك عمير
(٤) ر: سمر. ن: شمير.
(٥) كذا فى ر.
(٦) كذا فى ر عن خـ (١: ٣٠٢)، ن(١: ٢٣٨). وفى ص: جناياتها. تحريف.
(٧) كذا فى تاج العروس (ذخر). وفى ر: الحارث بن داخر بن بهسم.
(٨) الزيادة لازمة.

الحرب كما يقاتل فرسانها فوقها، وكانو خيلا قصارا مثل الحمير. فلما قربو إلى مصر ليسبوها ونزلو فى البركه المعروفه الى اليوم ببركة الحبش نهبو وقتلو وسبو المسلمين، وقد كانو فعلو ذلك بمسلمى الصعيد. وكان الملك قبل وصوله إلى مصر قد سير رسولا اسمه «الأبرخس» من كبرا المملكه إلى عبدالملك يأمره أن يطلق البطرك فأخذه عبدالملك واعتقله مع البطرك، فلما علم بمجى الملك ووصوله إلى مصر ولم تكن له قدرة

خمسة آلاف في سنة مائة. حدثنى ابن قديد عن عبيد الله بن سعيد عن أبيه عن ابن لهيعة قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى أيوب بن شرحبيل بفريضة للجند فقال:

ألصق ذلك بأهل البيوتات الصالحة فإنما الناس معادن، واقسم للغارمين بخمسة وعشرين ألف دينار. وقفل أهل القسطنطينية وكان على أهل مصر أبو عبيدة ابن عقبة بن نافع الفهرى. ونزعت موازيت القبط[1] عن الكور، واستعمل المسلمون عليهم، ومنع النساء الحمامات

وحدثنى ابن قديد، عن عبيد الله بن سعيد، عن ابيه.

عن الميسرى يعنى عبد العزيز بن أبى ميسرة، قال: شكى ضعف أيوب إلى عمر بن عبد العزيز، فقال: إن أيوب زجرت به أعراف صالحة، فلان لين الأشراف وقصد قصد السيادة.

وتوفى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة، لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومئة واستخلف يزيد بن عبد الملك. فأقر أيوب بن شرحبيل على صلاتها. قال عبد العزيز بن أبى ميسرة: إلى أن توفى لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة إحدى ومئة. وقال الليث بن سعد وأحمد بن يحيى بن وزير: نزع أيوب بن شرحبيل لسبع عشرة من شهر رمضان سنة إحدى ومئة. فكانت ولاية أيوب عليها سنتين ونصفاً.

---

(١) الموازيت: رؤساء القرى، وفى ر: مواريث، ولا معنى لهاهنا.

على محاربته وخاف منه جدا أطلق رسوله «الأبرخس» من السجن، فخرج في لقا الملك بعد أن قرر معه [عبدالملك] واستحلفه أنه يرده وعساكره إلى بلاده ولا يدعه ان يتقدم إلى حصونه ولا يحاصره، ويعرفه انه افرج على البطرك، وكتب له الاب البطرك كتاب يبارك عليه وعلى من معه ويعرفه انه يعود إلى بلاده بغير حرب، وكان ذلك في سنة مايه وتلتين منذ ظهور ملك المسلمين. وكانو المسلمون يسرقون أهالى النوبه ويبيعهم

---

١٨ . بشر بن صفوان(*)

ابن تويل بن بشر بن حنظلة بن علقمة بن شرحبيل بن عدس(١) بن أبي جابر بن زهير بن جناب بن عبد الله ابن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات ابن رُفيدة بن ثور بن كلب

ثم وليها بشر بن صفوان الكلبى، من قبل يزيد بن عبد الملك؛ قدمها لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة إحدى ومئة. فجعل على شرطه شعيب بن حميد بن أبى الربداء(٢) البلوى من الموالى. وكانت لجده أبى الربداء صحبة. ثم نزع شعيب بعد أيام، وولاه التابوت(٣). وجعل بشر أخاه حنظلة بن صفوان على شرطه.

(*) الخطط (١: ٣٠٢)، والنجوم (١: ٢٤٤)، وحسن المحاضرة (٢: ٩).
(١) كذا في ر، وفى ن (١: ٤٤): عرين.
(٢) كذا فى تاج العروس (ربد) وفى ر: الربذاء، تحريف.
(٣) قيل فى كتاب القضاة للمؤلف: «سئل محمد بن يوسف عن هذا التابوت الذى ذكر، فقال: كان تجمع فيه أموال اليتامى ومال من لا وارث له، وكان مودع القضاة بمصر». ولكنه قال أيضاً: «إن العمرى أول من عمل تابوت القضاة الذى كان في بيت المال». وولى عبد الرحمن بن عبد الله العمرى المذكور القضاء فى صفر سنة ١٨٥، فإما أن التابوت المذكور فوق غير التابوت المذكور فى كتاب القضاة، أو أنه لم يكن فى بيت المال ثم جعله العمرى فيه، أو أن نسبة أو ليته للعمرى خاطئة.

بمصر، فعاد بعسكره بعد أن نهب من المسلمين شيا كتيرا لأنه أعلمه الأبرخس أن البطرك قد أفرج عنه، وأحسن «عبدالملك» إليه وهو يأمره أن يعود ويبارك عليه.

وكانو جماعة من أولاد القيس(*) يعبدون وثنا يسمى سلقيطا(*) فظفر بهم ملك النوبه ونهبهم وغنمهم عسكره.

(*) القيس: من المدن القديمة بمركز بن مزار/ المنيا.

(*) كانت العبادات الفرعونية مازالت قائمة حتى ذلك الوقت.

وكان تحت يد كرياكوس ملك النوبه تلته عشر ملكا ضابطين المملكة والبلاد. وكان ملك المقره(*)

(*) المقره: من ممالك النوبه.

وفى إمرته نزلت الروم تنيس عليهم ررين[1]. فقتل مزاحم بن مسلمة المرادى[2] أميرها فى جمع من الموالى، ولهم يقول الشاعر:

أَلَمْ تَرْبَعْ فَتُخْبِرَكَ الرِّجَالُ ... بِمَا لاقَى بِتِنِّيسَ الْمَوالِى

وكتب يزيد بن عبدالملك بمنع الزيادة التى كان عمر بن عبد العزيز أمر لأهل الديوان بها، فمنعوها.

ولما رأى بشر بن صفوان افتراق قضاعة فى القبائل، كتب إلى يزيد بن عبد الملك يسأله الإذن له فى استخراج من كان فى القبائل منهم، فيجعلهم دعوة منفردة. فأذن له يزيد بن عبدالملك فى ذلك. فأخرج مهرة من كندة وأخرج تنوخا من الأزد، وأخرج آل كعب بن عدى التنوخي من قريش، وأخرج جهينة من أهل الراية، وأخرج خشينا[3] من لخم، فجعلهم مع سائر قضاعة دعوة مفردة. [و] تدوين بشر بن صفوان هذا هو التدوين الرابع لأن الأول تدوين عمرو بن العاص، والثانى تدوين عمر بن عبد العزيز بن مروان[4]، والثالث تدوين قرة بن

---

(١) كذا فى ص.

(٢) كذا فى خـ (١: ١٧٧). وفى ص: ابن أحمر بن مسلمة المرادى.

(٣) ر، ك خسيناً . تحريف. وانظر ف ١٤٢.

(٤) كذا فى ر. والغالب أنه عبد العزيز بن مروان لا ابنه ، إذ لم يل هذا مصر.

الحبشى ارتدكسى وهو الملك العظيم الذى نزل عليه التاج من السما وملك إلى أقاصى الأرض القبليه لأنه هو الملك اليونانى رابع ملوك الأرض، لا تقاومه مملكة و[لا] ملك يروح عنده، وهو تحت سلطان مرقس الإنجيلى، وحكم بطرك اليعاقبه بمصر عليه وعلى ملوك الحبش والنوبه جميعهم. وعنده فى بلاده أسقف ارتدكسى قسمه البطرك مطرانا، فصار يقسم له الأساقفه والكهنه فى تلك

شريك، والرابع هو هذا، ولم يكن بعد هذا فى الديوان شئ له ذكر، إلا ما كان من إلحاق قيس فيه زمن هشام، وأشياء احدثها المسودة من أرباعهم التى أحدثوها منه.

ثم ورد كتاب يزيد بن عبد الملك على بشر بن صفوان بتأميره على إفريقية. فخرج إليها فى شوال سنة اثنتين ومئة، واستخلف أخاه حنظلة بن صفوان على مصر.

١٩ .حنظلة بن صفوان(*)

ابن تويل بن بشر الكلبى

ثم وليها حنظلة بن صفوان باستخلاف أخيه بشر له عليها، فأقره يزيد بن عبدالملك. فجعل على شرطه محمد بن مطير البلوى، ثم عزله فى سنة ثلاث ومائة، وجعل على شرطه القاسم ابن أبى القاسم بن زر السبئى، ومولى لهم. وخرج حنظلة إلى الإسكندرية فى سنة ثلاث ومئة واستخلف على الفسطاط عقبة بن مسلم التجيبى حليف بنى أيدعان[1] بن سعد بن تجيب وكتب يزيد ابن عبد الملك فى سنة أربع ومئة، يأمر بكسر الأصنام، فكسرت كلها، ومحيت التماثيل،وكسر فيها صنم حمام زبان بن عبد العزيز الذى يقال له حمام أبى مرة، وله يقول كريب بن مخلد الجيشانى.

(*) الخطط (١: ٣٠٢)، والنجوم (١: ٢٥٠)، وحسن المحاضرة (٢: ٩).

(١) فى ر بدون نقط.

الكوره وإذا مات المطران قسم لهم بطرك اسكندريه غيره ممن يختاره ويقسمه لهم.

وكان عند خروجنا من الاعتقال اجتمع إلينا من الناس خلق كثير وسألو الأب البطرك أن يقدس لهم ويقربهم من يده المقدسه بالجسد والدم العظيم، ومضو معه إلى بيعة الشهيدين سرجيوس وواخس وقدس لهم ذلك اليوم وناولهم من السراير المقدسه وأوصاهم وعلمهم.

مَنْ كانَ في نَفْسه للبيضِ مَنزلَة فَلْيَأت أبْيَضَ في حَمّام زَبّان
عَبلٌ لَطيفٌ هَضيمُ الكَشْحِ مُعتدلٌ عَلى تَرائبه في الصَّدْرِ ثَدْيانِ[1]

وقدم بشر بن صفوان من إفريقية وافداً إلى أمير المؤمنين يزيد، في سنة خمس ومئة. فلما صار في أرض مصر، بلغه أن يزيد قد توفي،فرجع إلى إفريقية وكانت وفاة يزيد بن عبد الملك في شعبان سنة خمس ومئة.

وبويع هشام بن عبد الملك، فاستقبل بخلافته شهر رمضان، ثم صرف حنظلة بن صفوان عنها، في شوال سنة خمس ومئة، فكانت ولايته ثلاث سنين.

٢٠. محمد بن عبد الملك(*)

ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية

ابن عبد شمس بن عبد مناف

ثم وليها محمد بن عبد الملك من قبل أخيه هشام على صلاتها، دخلها يوم الإربعاء لإحدى

---

(١) البيتان في ف (١١٤). والعبل: الغليظ الأبيض. والكشح الخصر. وهضيمه: دقيقه والترائب عظام الصدر، أو ما ولي الترقوتين منه، أو ما بين الثديين والترقوتين، أو موضع القلادة، وكل ذلك وصف للتمثال.

(*) الخطط(١: ٣٠٢)، والنجوم (١: ٢٥٧)، وحسن المحاضرة (٢: ٩).

وجا رجل يطلب أن يتناول القربان من أول ما تقربو الأخوه وهو يمنعه ويعود ولا يدفع له قربانا، ولما سرح الشعب وصرف الناس بسلام حضر ذلك الرجل إلى الأب وهو يبكى فقال: أريد أن تعلمنى لأى سبب يا أبى منعتنى من القربان؟ فأجابه الأب الروحانى وقال له: يا ولدى أنا أيضا خاطى، ما منعك القربان إلا السيد المسيح هو الذى منعك أن تأخذ، فأظهر الآن ما قد فعلته فى وسط هذه الجماعه أخوتك ليلا [لئلا] يفعل احد منهم مثلك.

عشرة ليلة خلت من شوال سنة خمس ومئة. فجعل على شرطه حفص بن الوليد بن سيف الحضرمى. ووقع بمصر وباء شديد، فترفع محمد بن عبد الملك إلى الصعيد هاربا من الوباء أياماً. ثم قدم من الصعيد. وخرج من مصر، لم يلها إلا نحواً من شهر.

حدثنا أبو بشر الدولابى قال: حدثنى معاوية بن صالح الأشعرى قال: أخبرنى منصور بن أبى مزاحم قال:

سمعت أبا عبيد الله يقول: ولى هشام أخاه محمداً مصر، فقال له: أنا أليها على أنك إن أمرتنى بخلاف الحق تركتها. فقال: ذلك لك. فوليها شهراً، فأتاه كتاب لم يعجبه فرفض العمل، وانصرف إلى الأردن. وكان منزله بها فى قرية يقال لها ريسون[1]. فكتب:

أتترك [لى] مصراً لريسون؟ حسرة! ستعلم يوماً أى بيعيك أربح[2]

قد أدرك هشام مثل هذا[3]. فأجابه محمد: إنى لست أشك فى أن أربح البيعتين ما صنعت.

---

(١) ريسون: قرية بالأردن.
(٢) نثرت والبيت، وجعله ياقوت (معجم البلدان، وريسون) شعراً. لى: زيادة عن ياقوت. وفى ر: بيعتك. تحريف.
(٣) موضع هذا العبارة فيه بعض القلق.

فعند ذلك صرخ وقال: أنا أسلك يا سيدى الأب أن كانت خطيه قد فعلتها فاغفرها لى فما أعود إليها. فقال له الأب: لابد أن تعترف بها فقال له: أنا كنت أفطر في بيتى واجى بعد إفطارى إلى الكنيسه أتقرب وكذلك فعلت اليوم، فلما سمعت بك تقرب الشعب الارتدكسى قلت فى قلبى أمضى أخذ القربان من يده المقدسه وكان ذلك منى محبه مستحييه، والآن فقد اظهرت لك ذلك ومنعتنى، وفى صعيد مصر قوم كثير يفعلون هذا ولا يعلمون انها خطيه. فلما سمع الاب ذلك

---

٢١. الحر بن يوسف (*)

ابن يحيى بن الحكم بن أبى العاص بن أمية

ابن عبد شمس بن عبد مناف

ثم وليها الحر بن يوسف من قبل هشام على صلاتها، دخلها لثلاث خلون من ذى الحجة سنة خمس ومئة فأقر حفص بن الوليد على شرطه.

وفى إمرة الحر كتب عبيد الله بن الحبحاب صاحب خراجها إلى هشام، بأن أرض مصر تحتمل الزيادة. فزاد على كل دينار قيراطاً فانتقضت كورة نتو، ونمى، وقربيط، وطرابية[1]، وعامة الحوف الشرقى. فبعث إليهم الحر بأهل الديوان، فحاربوهم فقتل منهم بشر كثير. وذلك أول انتقاض القبط بمصر. وكان انتقاضهم فى سنة سبع ومئة. ورابط الحر بن يوسف بدمياط ثلاثة أشهر من سنة سبع ومئة. واستخلف عليها حفص ابن الوليد.

ثم وفد الحر إلى هشام فى شوال سنة سبع ومئة،واستخلف على الفسطاط حفص بن الوليد، وقدم فى ذى القعدة.

(*) الخطط (١: ٣٠٢)، والنجوم (١: ٢٥٨)، وحسن المحاضرة (٢: ٩).

(١) نتون: منيه الفرمارى، فصل منها فى ١٢٢٨هـ كفر المقدام، فدخل فى زمامه تل المقدام. ونمى: من أعمال الجيزية. وقربيط: من الوجه البحرى. وطرابية: من نواحى الحوف. وكانت فاقوس قاعدتها. والأسماء محرفة ومهملة النقط فى الأصل. وانظر خـ١: ٧٩.

كتب الكتب إلى كل مكان بان لا يتقرب أحد من المومنين إلا وهو صايم، ولا يتقرب دفعتين في يوم واحد. ثم بارك على ذلك الرجل ومضى يمجد الله صانع العجايب بقديسيه.

ولم تجد ديار مصر طمانينه ولا راحه في أيام مملكة عبدالملك لأنه لم يكن من جنس ملوك الاسماعيليين [المسلمين] الذين ملكو عليهم مثله. وصنع مع الديارات ما لا يجوز لبغضته في النصارى، وكما كان يشا أن يعمل كذلك فعل،

وكتب الحر إلى هشام، يعلمه أن النيل قد انكشف عن أرض ليست لمسلم ولا لمعاهد، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن بالبناء فيها، فإن الناس مضطرون إليها. فأذن له في بنائها قيسارية. فابتدأ في بنائها في رجب سنة سبع ومئة، وفرغ منها في سنة ثمان ومئة، وهي قيسارية هشام التي عند الجسر.

وفي سنة ثمان ومئة تباعد ما بين الحر بن يوسف وعبيد الله بن الحبحاب صاحب الخراج. وكتب عبيد الله إلى هشام يشتكي الحر. وكتب [الحر][١] يستعفي من ولايتها، فصرفه هشام في ذي القعدة سنة ثمان ومئة. فكانت ولاية الحر عليها ثلاث سنين سواء.

٢٢. حفص بن الوليد (*)

ابن سيف[٢] بن عبد الله بن الحارث بن جبل بن كليب

ابن عوف بن معاهر بن عمرو بن زيد بن مالك بن زيد

ابن الحارث بن عمرو بن حجر بن قيس بن كعب بن

سهل بن زيد بن حضرموت

---

(١) زيادة يقتضيها السياق، وتفهم من خـ (١: ٣٠٢)، ن(١: ٢٥٩)، وليست في ر.

(*) الخطط (١: ٣٠٣)، والنجوم (١: ٢٦٣)، وحسن المحاضرة (٢: ٩).

(٢) كذا في خـ، ن، وتهذيب التهذيب، الخلاصة في أسماء الرجال، وتقريب التهذيب. وفي ر: يوسف.

والسيد المسيح الذى قلوب الملوك بيده رد قلبه لمحبة أبا خايل البطرك، وكان يدعوه إلى قصره ونحن معه ويطلب منه أن يدعو له. وكانت ابنته قد سكن فيها روح نجس وكان عمرها أربع سنين فسأل الأب البطرك أن يصلى عليها فأخذ زيتا وصلى عليه ودهنها به، فخرج الشيطان منها للوقت فصار يحب النصارى لأجل محبته للأب البطرك، كان أيضا يحب الأساقفه ويكرمهم، وكان أبونا أنبا خايل حلو الكلام حسن المنظر تام

ثم وليها حفص بن الوليد من قبل هشام على صلاتها، فجعل على شرطه.[(1)]

حدثنى ابن قديد، عن عبيد الله بن سعيد بن عفير.

عن أبيه قال: كان حفص بن الوليد على شرط الحر بن يوسف، فشكاه عبيد الله بن الحبحاب إلى هشام، فعزل الحر وولى[(2)] حفص بن الوليد، فكتب عبيد الله إلى هشام: إنك لم تعزل الحر إذ وليت حفصاً، فجعل الاختيار إلى عبيد الله. فاختار عبد الملك بن رفاعة.

قال عبد العزيز بن أبى ميسرة: فصرف حفص يوم الأضحى، لم يمكث إلا جمعتين.

قال الليث وأبو ربيعة العامرى وابن وزير: إن حفصاً صرف سلخ ذى الحجة سنة ثمان ومئة.

٢٣ . عبد الملك بن رفاعة(*)

ابن خالد بن ثابت بن ظاعن

الثانية

ثم وليها عبد الملك بن رفاعة من قبل هشام على صلاتها، وعبيد الله يومئذ بالشام. ثم

---

(١) ساقط من الأصل. (٢) ر: وولاه.

(*) الخطط (١: ٣٠٣)، والنجوم (١: ٢٦٤)، وحسن المحاضرة (٢: ٩).

القامه نظيف اللباس ذا هيبه ووقار، وكان كلامه مثل السيف على أهل المعاصى وتعليمه متل الملح لأهل الصلاح والعفاف، وكانت يد الله معه فى هذه الشدايد التى فعلها عبدالملك وكانت بيعة اسكندريه تحت بلا عظيم فى زمان الاكسندروس البطرك، وكان لما نزع منها رخامها وخشبها الجليل الذى ليس له ثمن، فاهتم بها الأب خايل وجددها وأصلحها وبنى غيرها من شرقى البلد ومن غربيها، وتم ما بناه فى أيام حياته.

قدم[١] وهو عليل[٢]، ليلة الجمعة لثنتي عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة تسع ومئة[٣]، وكان أخوه يخلفه عليها من أول المحرم. هذا قول ابن أبي ميسرة. [وقيل: بل ولي أول المحرم، ومات للنصف منه. وكانت ولايته خمس عشرة ليلة][٤].

٢٤ ـ الوليد بن رفاعة(*)

ابن خالد بن ثابت بن ظاعن الفهمي

ثم وليها الوليد بن رفاعة من قبل أمير المؤمنين هشام على صلاتها. فاستقبل الوليد بولايته سنة تسع، وجعل على شرطه عبد الله بن أبي سُمير الفهمي، ثم عزله وولي عبد الرحمن بن خالد[٥] بن مسافر بن خالد بن ثابت ابن ظاعن الفهمي.

---

(١) القادم من الشام هو عبد الملك بن رفاعة، لا عبيد الله بن الحبحاب، كما قد يفهم من العبارة. ولعل عبيد الله محرفة عن عبد الملك. وانظر خـ (١: ٣٠٣)، ن(١: ٢٦٥).
(٢) كذا في ر، خـ، ن. وفي ص: عامل.
(٣) ن: «فقدم عبد الملك.. في أول المحرم، وقيل: اثني عشرة ليلة خلت من المحرم سنة تسع ومئة . والأول أصح».
(٤) زيادة عن خـ. وقد زادت ر كلمة «ومات» بعد «تسع ومئة»، ولكني آثرت وضع الزيادة هنا تبعاً للخطط.
(*) الخطط (١: ٣٠٣)، والنجوم (١: ٢٦٥)، وحسن المحاضرة (٢: ٩).
(٥) ن(١: ٢٦٥): خالد بن عبد الرحمن الفهمي. وانظر تهذيب التهذيب لابن حجر في ترجمة عبد الرحمن ابن خالد.

ولما كـان في بعض الأيام أراد الوالى باسكندريه أن يرمى [ينزل] مـراكـب الأسطول [الجـديد] إلى البـحـر [لمحـاربة الروم]. وكـانو جـمـاعـة من الارتدكسين في بيعة السيده العدرى مرتمريم نحو من عشـرة الاف إنسـان، فنظر شـاب من المسلمين مثـال صورة السيـد المسيح على الصليب مصـورا على الحايط وصاحب الحربه يطعنه، فقال للنصارى يجـربهم: أى شي هو هذا الذى على الصليب ؟ فـقالو له: هي عـلامـة الهنا المسيح على الصليب

وفي ولاية الوليد نقلت قيس إلى مصر، في سنة تسع ومئة، ولم يكن بها[١] منهم أحـد قبل ذلك إلا من كان من فهم وعدوان. فوفد ابن الحبحاب على هشام، فسأله أن ينقل إليها منهم أبياتاً. فأذن له هشام في إلحاق ثلاثة آلاف منهم، وتحويل ديوانهم إلى مصـر، على أن لا ينزلهم الفسطاط. ففرض لهم ابن الحبحاب، وقدم بهم، فأنزلهم الحوف الشرقي، وفرقهم فيه.

فحدثني يحيى، عن ابن الوزير، عن أبي زيد، عن الهيثم بن عدى، قال:

حدثني غير واحد أن عبيد الله بن الحبحاب، لما ولاه هشام مصر، قال: ما أرى لقيس فيها حظاً إلا لناس من جديلة، وهم فهم وعدوان، فكتب إلى هشام: «إن أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ قد شرف هذا الحي من قيس، ونعشهم ورفع من ذكرهم، وإني قدمت مصـر فلم أر لهم فيها حظاً إلا أبياتاً من فهم. وفيها كور ليس فيها أحد، وليس يضر بأهلها نزولهم معهم، ولا يكسر ذلك خراجاً، وهي بلبيس. فإن رأى أمير المؤمنين أن ينزلها هذا الحي من قيس، فليفعل». فكتب إليه هشام: أنت وذلك. فبعث إلى البادية، فقدم عليه مئة أهل بيت من بنى نصر[٢] ومئة أهل بيت من بنى عامر، ومئة أهل بيت من أفناء هوازن، ومئة أهل بيت من بنى سليم فأنزلهم بلبيس، وأمرهم بالزرع. ونظر إلى الصدقة من العشور، فصرفها إليهم. فاشتروا

(١) كذا في خـ (١: ٨٠). وفي ر: لها.   (٢) خك نضر. ر: مضر.

لخلاص العالم. فعند ذلك اخذ قصبه وصعد على الأسطوان الفوقاني وطعن الصوره فى الجانب الآخر الأيسر وهومستهزى بكلامه ويجدف، وللوقت صارت صورة الشاب مبسوطه كأنه مصلوب على مثال شبه الصوره التى طعنها، ولحقه وجع عظيم حتى كأنه قد طعن فى جنبه مثلها ، والتصقت يده على القصبه التى طعن بها، ولم يقدر احد يخلصها من يده، وصار معلقا فى وسط الشعب بين السما والأرض. فلم يزل كذلك نهاره أجمع

إبلاً، فكانوا يحملون الطعام إلى القلزم. وكان الرجل يصيب فى الشهر العشرة دنانير وأكثر وأقل. ثم أمرهم باشتراء الخيول. فجعل الرجل يشترى المهر، فلا يمكث إلا شهراً حتى يركب، وليس عليهم مؤونة فى إعلاف إبلهم ولا خيلهم لجودة مرعاهم . فلما بلغ ذلك عامة قومهم تحمل إليهم خمس مئة أهل بيت من البادية. فكانوا على مثل ذلك، فأقاموا سنة. فأتاهم نحو من خمس مئة أهل بيت. فمات هشام وببليس ألف وخمس مئة أهل بيت من قيس. حتى إذا كان فى زمن[1] مروان بن محمد، وولى الحوثرة بن سهيل[2] الباهلى مصر، مالت[3] إليه قيس، فمات مروان وبها ثلاثة آلاف أهل بيت، ثم توالدوا وقدم عليهم من البادية من قدم.

قال الهيثم: فحدثنى أبو عبد العزيز قال: أحصيناهم فى ولاية محمد بن سعيد على مصر، فوجدناهم صغيرهم وكبيرهم وكل من جمعت الدار منهم خمسة آلاف إلا مئة أو ومئتين.

وفى إمرته خرج وهيب اليحصبى شارداً[4] بالفسطاط فى سنة سبع عشرة ومئة. وذلك أن الوليد بن رفاعة أذن للنصارى فى ابتناء كنيسة بالحمراء، تعرف اليوم بأبى مينا[5]، فخرج

---

(١) خـ: كان زمن . وهى أفصح.

(٢) كذا ر، خ. وفى صك سهل . خطأ

(٣) كذا ر، خـ وفى ص: فمالت.

(٤) كذا فى خـ (١ :٣٠٣)، وفى رك شارياً.

(٥) بين القاهرة ومصر القديمة.

وهو يصـــرخ ويقــول: ياقــوم طعنت فى جنبى. فـصرخـو المسلمـون على النصارى بصوت عظيم ممجدين لله صانع العجايب وسالوهم ان يدعو الله لخلاصه فدعو النصارى وقالو «كيرياليصو ن» [أرحم يا رب] عدة دفوع فلم ينزل من مكانه إلى أن قال واحد من المسلمين له: انك أن لم تعترف بأمانة النصارى وتقول أن هذه الصوره صورة المسيح ابن الله وتتكلم بما يقولونه ويعتقدونه مثلهم وألا فما يخليك تنزل أبدا. فقبل قول ذلك

وهيب غضباً لذلك. فأتي إلى ابن[1] رفاعة ليفتك به. فأخذ وقتل، وهو الذى يقال له: «أين صلاتك يا وهيب؟» وكان وهيب مدريا[2] من اليمن، قدم إلى مصر. ثم خرج القُراء على الوليد ابن رفاعة غضباً لوهيب. فقاتلوا الوليد بن رفاعة بجزيرة الفسطاط التى بين الجسرين، وعليهم شريح بن صفوان التجيبى أبو حيوة بن شريح الفقيه.

حدثنى عمى قال: حدثنا ابن قديد عن أبى زيد ، يخبر.

عن أبيه قال: [إنه] رأى معونةِ[3] امرأة وهيب الشارد [4]تطوف بالليل على منازل القراء تحرضهم على الطلب بدم [وهيب وكانت][5] امرأة جزلة محلوقة الرأس.

وحدثنى ابن قديد، عن عبيد الله بن سعيد.

عن أبيه قال: أخذ أبو عيسى مروان بن عبد الرحمن اليحصبى بوهيب فى نفر فقال مروان إنما هو داف دف علينا[6] لا علم لنا به، وقد كان إبليس مع الملائكة فعصى فلم يؤاخذهم الله بمعصيته. فخلى ابن رفاعة سبيلهم.

---

(١) كذا فى خـ(٢ :٥١٢). وفى ر: فأتي إلى أثر [ابن] رفاعة.
(٢) كذا فى ر عن خـ (٢ : ٥١٢). وفى ص: موديا . ومدر: بلدة باليمن.
(٣) كذا فى خـ (٢ :٥١٢) وفى ر: سعوفة.
(٤) انظر ما سبق.
(٥) زيادة فى ر عن خـ (٢ :٥١٢).
(٦) أى قادم قدم علينا.

الرجل المسلم واعترف أنها صورة المسيح وقال: انا نصرانى وعلى دين المسيح أموت. فحينذ نزل وسط الجماعه ومضى إلى الديارات وتعمد هناك.

وكان الملك ذلك الزمان مروان وكانت يده تقيله جدا على جنده وأقامو زمانا يتحاربون ويسفكون دما بعضهم بعضا حتى كان يموت فى يوم عشرون ألفا وتلتون ألفا إلى سبعين الفا ولا يهدون من الحرب مدة سبع سنين التى ملكها

وبعث أمير المؤمنين هشام بالمُدى [مكاييل] إلى مصر، وأمرهم أن يتعاملوا [بها] فأمر ابن رفاعه فطيف به على القبائل، وأخبرهم أن أمير المؤمنين أمر به. فكل الناس مسلم لذلك، حتى أتى به إلى المعافر، فعرض عليهم. وأتى به إلى عبد الرحمن بن حيويل بن ناشرة المعافرى، وأخذه فضرب به الحجر فكسره، ثم قال: إن لنا وية وإردباً قد عرفناهما، ولسنا نحتاج إلى هذا فقيل له: كاسر المدى ، وصار هذا نسباً لبنيه إلى اليوم، يقال بنو كاسر المدى قال شاعرهم:

قَومي الذينَ تبادَرُوا ... مُدْيَ الخَليفَةِ بالحَجَرْ(١)
وتَحَزَّبوا وتَعَصَّبُوا ... وَجَثَوْا عَلَيهِ فانْكَسَرْ
مِنْ بَعْدِ ما ذَلَتْ لَهُ ... أعناقُ يَعرُبَ بَل مُضَرْ

وتوفى الوليد بن رفاعة، وهو والٍ عليها ، يوم الثلاثاء مستهل جمادى الآخرة، سنة سبع عشرة ومئة. فاستخلف عليها عبد الرحمن بن خالد بن مسافر . فكانت إمرة الوليد عليها تسع سنين وخمسة أشهر(٢)

---

(١) فى ص فوقه: بالمدر، ولعلها رواية أخرى.
(٢) كذا فى خـ، ن، وهوالصحيح، لأنه تولى ١٠٩ . وفى ر: سبع سنين وخمسة أشهر.

مروان لأجل انه أخذ مملكتهم، وفى السنه السابعة نظر شاب أسمه عبد الله(*) مناما وصوت من شخص يقول له تلت دفعات: قاتل مروان قاتل بالله تغلبه. وكان الشاب عبد الله من الباديه يسكن البريه فى الخيم وكان أبوه شيخا اسمه أبو مسلم [الخراسانى]، فظهر له فى المنام كما ظهر للشاب عبد الله وكتب الشيخ المنام وعلقه على باب الخيمه، فلما رأوه المسلمون اجتمعو له ليعرفو الخبر فأعلمهم ، فقالو له: نحن نساعدك وإذا

(*) تواتر اخبار الدعوة العباسية.

---

٢٥ ـ عبد الرحمن بن خالد(*)

ابن مسافر بن خالد بن ثابت بن ظاعن

الفهمى، يكنى أبا الوليد(١)

ثم وليها عبد الرحمن بن خالد بن مسافر من قبل هشام على صلاتها، فجعل على شرطه عبد الله بن يسار(٢) الفهمى.

فحدثنى ابن قديد، عن عبيد الله بن سعيد بن عفير.

عن أبيه: أن نافع بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع الفهرى، كان عـلى بحر أهل مصر سنة ثمانى عشرة ومئة. [فجاء الروم] فنزلوا على تروجة(٣) فحاصروها، ثم انصرفوا. وأقبلت سفن الروم فأسروا نعيم بن العجلان وعبد العزيز بن مروان(٤). فلما قدموا ألفوا على مصر

(*) الخطط (١: ٣٠٣)، والنجوم (١: ٢٧٧)، وحسن المحاضرة (٢: ٩).

(١) وقيل: أبا خالد.

(٢) ن: يشار.

(٣) تروجة: كانت قرية، موضعها اليوم كوم تروجة ، الواقع بحوض تروجة، بأراضى ناحية زاوية صقر، بمركز أبى المطامير من مديرية البحيرة. وكذا جاء الأسم فى خـ (١: ٣٠٣) وفى ر: قرمحة. وزدت ما بين قوسين، استيحاء من الخطط، إذ غير معقول أن يكون المصريون النازلين والحاصرين.

(٤) كذا فى ر، وهو إما غير الوالى السابق ذكره، وإما اسم محرف.

نصرك الله نحن نملكك علينا فاجتمع له عده
كثيره من القبايل لما سمعو بذلك وصار معه
عشرون ألف فارس، ولكن لم يكن معهم سلاح
فقطعو جرايد من النخل وجعلو عليها الأسنه
وخرجو للقتال وقوة الله معهم فخرج إليهم
مروان ومعه مايه ألف مقاتل بالعدد والسلاح
والزرود والخوذ والتقو، فقسم عبد الله جيشه على
فرقتين، فلما رأهم مروان قال لهم كما قال جليات
الجبار لداود خرجت للقتال مثل الكلب. فاخرج

عبد الرحمن بن خالد بن مسافر. فكتب إلى هشام يخبره بمصابهم. وكان سالم أبو العلاء يقرأ الكتب، فلا يُدخل على هشام إلا ما يسره. فقال عبد الرحمن بن مسافر لرسوله: أدخل هذا الكتاب في خفك[1] وأظهر هذا ـ يذكر فيه الفتح والسلامة ـ فإذا دخلت فأخبر بالكتاب الذى فى خفك. ففعل [فغضب] هشام، وقال: اكتم مثل هذا. فقيل لهشام: يا أمير المؤمنين، إنه لين وهو حدث لا يستطيع بما هو فيه. فأرسل هشام إلى حنظلة بن صفوان فسأله عنه، فلم يعرفه، فقال: إن امرأ لا يعرفه، وهو والى مصر، لجدير أن لا يستأهل ولايتها. فعزله وولى حنظلة . فقدمها يوم الرهان، وقد فرش [لابن] مسافر فى منبر الخيل. فجلس حنظلة في مجلسه. وقدم ابن مسافر حتى بلغ جبل يشكر[2]، فأخبر أن أميراً قد قدم، وجلس فى منبر الخيل. فقال: لا إله إلا الله، هكذا تقوم الساعة. ومضى كما هو إلى منبر الخيل. فلما رآه حنظلة اعتذر إليه، وقال: لو علمت أنك هو ما وليت عليك. فكانت ولاية ابن مسافر عليها سبعة أشهر وخمسة أيام.

---

(١) فى ص بعد هذا : ففعل فغضب. وواضح أن موضعها الحقيقى بعد كلمة «خفك» الاتية ، وانما زاغت عن بصر الناسخ.

(٢) جبل يشكر: بين القاهرة ومصر القديمة، وعليه جامع أحمد بن طولون.

مروان له أربعين ألف فارس بثياب ملونه مدرعين لابسين الحديد، وكان أكثر عسكر عبد الله رجاله [مشاة] فقتلوهم بنصر الله حتى لم يسلم واحد منهم ونصرهم الله عليهم كقول موسى النبى: أن واحدا ينصر الله له يهزم ألفا، واثنان يرعبان عسكرا. ونظر ابو مسلم ملاك الرب وبيده قضيب ذهب وباعلاه صليب(*) فهزم أعدا[ء]ه وكان ينظر الموضع الذى يدنو منه الصليب يسقطون بين يديه أمواتا فيأخذ اصحاب عبد الله وأبى مسلم

(*) راجع نفس القصة أثناء حروب قسطنطين فى الجزء الأول. وهى هنا قصة عجيبة لا ترد فى كتب المؤرخين المسلمين.

---

٢٦. حنظلة بن صفوان(*)

ابن تويل بن بشر

الثانية

ثم وليها حنظلة بن صفوان ولايته الثانية على صلاتها، فقدمها يوم الخميس لخمس ليال خلون من المحرم سنة تسع عشرة ومئة. فجعل على شرطه عياض ابن حريبة[1] بن سعيد بن الأصبغ الكلبى. ثم انتقض أهل الصعيد، وحارب القبط عمالهم فى سنة إحدى وعشرين ومئة . فبعث حنظلة بأهل الديوان، فقتلوا من القبط ناساً كثيراً، وظفر بهم.

وقدم إلى مصر فى سنة اثنتين وعشرين ومئة، أبو الحكم بن أبى الأبيض العبسى[2] خطيبا برأس زيد بن على ، رضى الله عنه، يوم الأحد لعشر خلون من جمادى الآخرة، واجتمع الناس إليه فى المسجد الجامع، وشكى عياض بن حريبة إلى حنظلة، ولم يحمد.

فحدثنى ابن قديد، عن عبيد الله بن سعيد.

(*) الخطط (١: ٣٠٣)، والنجوم (١: ٢٨٠)، وحسن المحاضرة (٢: ٩).

(١) ن(١: ٢٨١): خترمة.

(٢) خـ (٢: ٤٣٦): القيسى

خيلهم وسلاحهم. ثم أخرج لهم أيضا مروان أربعين ألف فارس أخرى فى رابع ساعه من النهار من خلف الحجر، فأسلمهم الله فى أيديهم وأخدو خيلهم وسلاحهم. فلما نظر مروان ذلك انهزم وفعل خديعه وهو انه أخرج ماله وما يملكه من الاموال والأوانى والمتاع وجعل الذهب فى مزاود وصار يبدده فى الطريق وهو منهزم، ومعه عشرون ألف فارس التى بقيت معه ولم يعرف عبد الله وأبو مسلم خديعته، فلما تبعوه اشتغلو بنهب المال

عن أبيه قال: قال حنظلة لحفص بن الوليد: إن عياضاً قد شكى، فأشر على من أولى الشرط. [قال][1]: فول قيس بن الأشعث التجيبى. قال: هو على الإسكندرية. قال: قد نحيت عبد الله بن عبد الرحمن بن خديج عنها، فرده إليها، فهو يكفيكها، واضمم قيساً إليك. ففعل حنظلة وولاه الشرط، وصرف عياض بن حريبة، وذلك فى سنة اثنين وعشرين ومئة.

ثم توفى قيس بن الأشعث، مستهل ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ومئة، فجعل على الشرطة عقبة بن نعيم بن صابر الرعينى، ثم أحد بنى زنباع بن مرثد.

قال سعيد بن عفير: كانت لحنظلة بن صفوان ريطة مثنية، يلبسها ويصلى فيها، فإذا كان يوم الجمعة احتزم بها على قباء أبيض ، وتقلد السيف، ثم يصعد المنبر فيخطب.

ثم ورد كتاب هشام على حنظلة بولايته إفريقية، وأمره بالمسير إليها وأن يستخلف على مصر. فاستخلف حفص بن الوليد الحضرمى عليها. وخرج حنظلة إلى إفريقية، يوم الأثنين لسبع خلون من ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ومئة . فكانت ولاية حنظلة عليها خمس سنين وثلاثة أشهر[2].

---

(١) زيادة عن ر.

(٢) نك خمس سنين وثمانية أشهر. وهو خطأ، لأنه تولى فى المحرم.

والسلاح سبعة أيام، فمضى مروان وعدى الفرات وغرق جماعه من أصحابه وطرح النيران فى المراكب ولم يصل إلى البر إلا وهو فى تمنية ألاف رجل. فتقدم الشيخ أبو مسلم لعسكره بان يعملو صلبانا(*) من كل نوع ويجعلوهم قدامهم، وقال لهم: أن هذا هو الذى أعطانا الله الغلبه به وهو الذى أخذ لنا المملكه. وكانوا يزدادو كثرة ويجتمع الناس إليهم من كل موضع يصلون إليه من خراسان وبيت صيدا والفرات وبلاد الروم كلمن

(*) وهذه من القصص النادر فى كتب التاريخ.

---

٢٧. حفص بن الوليد بن يوسف الحضرمى(*)

الثانية

ثم وليها حفص بن الوليد باستخلاف حنظلة على الصلاة، فأقره هشام عليها إلى ليلة الجمعة لثلاث عشرة خلت من شعبان سنة أربع وعشرين. فجمع له هشام الصلاة والخراج جميعاً. فجعل على شرطه عقبة بن نعيم الرعينى يوم السبت لثمانى عشرة بقين من شعبان سنة أربع وعشرين. وجعل على الديوان يحيى بن عمرو من أهل عسقلان، وعلى الزمام(١) عيسى بن عمرو.

حدثنى ابن قديد، عن عبيد الله بن سعيد، عن أبيه.

عن ابن لهيعة: أن أرزاق المسلمين كانت اثنى عشر إردباً فى كل سنة فنقص إردبين، فصار كل رجل إلى عشرة. فلما ولى حفص بن الوليد صيرهم إلى اثنى عشر اثنى عشر.

حدثنى عمى قال: حدثنى أحمد بن يحيى بن وزير قال: حدثنى ابن وهب قال:

أخبرنى بكر بن مضر قال: رأيت حفص بن الوليد استسقى بالناس فى إمارة هشام بن عبد

(*) الخطط (١: ٣٠٣)، والنجوم (١: ٢٩١)، وحسن المحاضرة (٢: ٩).
(١) كذا وفى ن (١: ٢٩١). وفى ر: الشرط.

سمع من البلاد البعيده وكل مدينه يملكونها يركزون [يتحصن] أصحابهم فيها. فاما مروان فكان يطرح النار (*) فى كل موضع يصله وهو منهزم، فلما وصل أبو مسلم وعبد الله إلى الفرات ونظرو الحريق فى المراكب لبسو تيابا سودا ولم يحلقو روسهم ولا يجتمعو بنساهم ولزمو الصوم والصلاه ستة شهور إلى أن أسلم الله عدوهم فى أيديهم. ثم انهم استخدمو مراكب وعبرو الفرات وتبعو مروان، وكانو إذا وصلو موضعا فيه نصارى

(*) مروان يحرق كل البلاد التى ينسحب منها حتى لا يستفيد منها أبو مسلم الخراسانى.

الملك، قال: فرأيته رقى المنبر، واستقبل الناس بوجهه يخطب ودعاً، ثم حول إلى الناس ظهره، واستقبل القبلة يدعو، وحول رداءه ودعا الله، ثم حول وجهه إلى الناس، ثم نزل فصلى ركعتين.

ثم توفى هشام يوم الاربعاء لعشر خلون من ربيع الاخر سنة خمس وعشرين ومئة.

حدثنا على بن سعيد قال: حدثنا سويد بن سعيد قال:

حدثنا ضمام قال: لما بلغ أبا قبيل موت هشام، وضع يده على خده حزيناً وفرح الناس. فقيل له: قد تباشر الناس وأنت حزين. قال: أو شك أن يتمنوا حياته.

واستخلف الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فأقر حفصاً على صلاتها وخراجها ، وأمر بإخراج أهل الشام الذين بمصر إلى أجنادهم. فأمرهم حفص بالخروج. فامتنعوا وحاصروا حفصاً فى داره، فقاتلهم لعصر يوم الثلاثاء للنصف من رجب سنة خمس وعشرين ومئة. فظفر بصاحبهم ربيعة من موالى أهل حمص فقتله، وأخرج أصحابه إلى أجنادهم. وقدم عيسى بن [أبى][1] عطاء على أرض لمصر وخراجها، يوم الثلاثاء لتسع[2] بقين من شوال سنة خمس وعشرين ومئة ، وصرف حفص عن الخراج وانفرد بالصلاة.

---

(١) زيادة عن خـ، ن. (٢) خـ، ن: لسبع.

يصلحون [يضعون] عليه علامة الصليب وكانو يعملونه على خيامهم وثيابهم والمسلمون يلبسون ثيابا سودا، ومن لم يكن بهاذه العلامات قتلوه، لان أصحاب مروان كانو لا يرون بذلك، فكانو إذا وجدوهم قتلوهم وشقو بطونهم وبطون نساهم الحبالى ويقتلون الأطفال ويقولون ما ندع لهم من نسل على الأرض.

ثم دخل مروان إلى بيت مال المملكه، يعنى

ووفد حفص بن الوليد على الوليد بن يزيد، واستخلف على مصر عقبة ابن نعيم الرعيني. وقُتل الوليد بن يزيد لسلخ جمادى الاخرة سنة ست وعشرين ومئة، وحفص بالشام. ثم بويع يزيد بن الوليد، فأمر حفص بن الوليد باللحاق بجنده، وأمره [أن] يفرض الثلاثين[1] ألفاً. فدخلها ففرض الفروض، وخرج ببيعة أهل مصر إلى يزيد بن الوليد عقبة بن نعيم الرعيني، والربيع بن عون بن خارجة بن حذافة العدوى وحواش بن حميد الحمصي، وهانئ بن ا لمنذر الكلاعى، وعمرو بن الحارث الفقيه مولى الأنصار . وجعل حفص بن الوليد على فروضه قواداً، وسماهم أصحاب الندبة. وفرض حفص لفروضه فى عشرين وخمسة وعشرين فهم الذين يقال لهم الحفصية والمقامصة والموالى. وجعل حفص على الصعيد رجاء بن الأشيم، وعلى أسفل الأرض فهد بن مهدى الحضرمي.

ثم توفى يزيد بن الوليد لهلال ذى الحجة سنة ست وعشرين ومئة، وبويع إبراهيم بن الوليد، فولي ذا الحجة والمحرم من سنة سبع وعشرين ومئة . وخلعه مروان بن محمد بن مروان بن الحكم فبويع، فاستقبل بخلافته صفراً من سنة سبع وعشرين ومئة. فكتب حفص بن الوليد إلى مروان، يستعفيه من ولايته على مصر، فأعفاه مروان. فكانت ولاية حفص هذه الثانية عليها ثلاث سنين إلا أشهرا[2].

---

(١) كذا فى ن. وفى ر: وأمره بفرض ثلاثين.

(٢) خـ: إلا شهراً.

دمشق لأنها كانت كرسي مملكة بني امية، واخرج منه مالا كثيرا وجواهر وذخاير واحرق الباقي بالنار. وكان يفعل هذا حتى احرق سبع كور. فلما سمع عبد الملك صاحب مصر الخبر خاف ان يخرجه مروان إلى الحرب(*)، فكتب إليه كتابا بمكر يدعوه إلى مصر ويقول له فيه: ليس لأعدايك مدخل إليها فسار وكان يقتل مقدمي البلاد والكور التي يعبر عليها، وياخذ اموالهم، وكذلك كان يفعل في ديارات الرهبان اخربها وأخذ اموالهم.

(*) عبد الملك والي مصر الأموى يطلب من مروان الحضور إلى مصر والتحصن فيها خدعة منه حتى لا يطلبه مروان للدفاع عن دمشق.

---

٢٨ ـ حسان بن عتاهية(*)

ابن عبد الرحمن بن حسان بن عتاهية بن خذذ(١) بن سعيد(٢) بن معاوية بن جعفر بن أسلمة بن سعد ابن تجيب

ثم وليها حسان بن عتاهية من قبل مروان بن محمد، وحسان يومئذ بالشام. فكتب حسان إلى خير(٣) بن نعيم الحضرمي باستخلافه عليها إلى قدومه. فسلم حفص إلى خير(٣). ثم قدم حسان يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من جمادى الاخرة سنة سبع وعشرين ومئة، فأسقط حسان فروض حفص كلها

فحدثني ابن قديد عن عبيد الله بن سعيد.

عن أبيه: أن مروان ولى عيسى بن أبي عطاء الخراج، وحسان(٤) على الصلاة. فلما استقر

(*) الخطط (١: ٣٠٣)، والنجوم (١: ٣٠٠)، وحسن المحاضرة (٢: ٩).
(١) كذا في ن، ق، ر. وفي ص: حزن.
(٢) ن: سعد.
(٣) كذا في خـ، ف (١١٤، ٢٤٠، ٢٨٢)، ر. وفي ص: جبير.
(٤) كذا في ر. وفي الأصل: عيسى. خطأ.

وكان بأعمال فلسطين دير طاهر نظيف يقرى [يعول] ويخدم الافا من عابرى الطريق، وكان فيه ألف راهب كــان اسم ذلك الدير «دير مــوت» ويسمى بلغة القبط دير «ابا هرمانوس» وهو الذى اصلح فيه «مكسيموس» ودوماديوس «اخوه هناك اولا، وهو [اباهرمانوس] الذى اخذ «طومس لاون» ومضى إلى قبور آبايه ومعه جند الامير وصاح على قبورهم بصوت عظيم وقال: لا تظنو انكم نيام وليس لكم امــر،حى هو الرب ان لم تجــاوبونى

حسان على ولايته وثب به قواد الفروض[١]، وقالوا: لا نرضى إلا بحفص. ورجعوا إلى دار حسان. قال سعيد وأحمد بن سماك بن نعيم: إن ثابت بن نعيم الجذامي[٢]، ممن خالف على مروان، كتب إلى حفص بن الوليد، مع عبد العزيز بن سماك الجذامي[٢]. وقدم معه نفر من اليمانية، فخطبوا فى مسجد مصر، ودعوا الناس إلى خلع مروان. فلم يخالفهم أحد إلا يزيد بن أبي أمية المعافرى فقال: تفسدون جندنا وتشيعون[٣] أمرنا . وقدم عليهم أيضاً رسول زامل بن عمرو من حمص[٤]، وقد خلع مروان بها، فدعاهم إلى مثل ما دعاهم إليه ثابت بن نعيم.

وحدثنى يحيى بن أبي معاوية قال: حدثنى خلف بن ربيعة، عن أبيه.

عن جده قال: لما ورد كتاب ثابت بن نعيم، أجابه أهل مصر إلى ما سأل، وركب رجاء بن الأشيم[٥] فى أصحاب الندبة إلى دار حسان ابن عتاهية، فحاصروه فيها، وقالوا : اخرج عنا

---

(١)لأنه أسقط فروضهم كما سبق.

(٢) كذا فى رعن ن ، ط. وفى صلك الحزامى.

(٣) كذا فى ر، ص، ولعله يريد تفرقون، وذهبت ر إلى أن : لعل صوابه: تشتتون.

(٤) ذهب الطبرى (٢::١٨٩٢، ١٨٩٤) وابن الأثير (٥ك٢٥٠) إلى أن زامل بن عمرو الجبرانى كان أميراً على دمشق (لا حمص)، وأنه لم يخلع مروان، وانما ثار أهل الغوطة عليه وحاصروه، فحاربهم وأتته النجدات من مروان، فهزم الثائرين.

(٥) ر: جابر بن الأشيم. وآثرت تصحيحه بحسب ما مضى وما يأتى.

لأخرجن عظامكم واحرقها بالنار، عرفونى ما ترون هل اقبل «طومس لاون» أو امانة نيقية، فقولو لى علانية سرعه. فاجابوه كلهم من فم واحد وصرخو وقالو: ملعون لاون الكافر الأسد المفترس الكافر، وبلخاريه المرذوله، وملعون مجمع خلقدونيه الستمايه وتلتون اسقفا المخالفين، وملعون كلمن يقبلهم، وملعون من يجعل للمسيح ابن الله طبيعتين بعد الاتحاد. فلما سمع الطوبانى «ابا هرمانوس» سقط على الأرض، فلما نظره الأمير

حيث شئت، فإنك لا تقيم معنا ببلد. وأخرجوا عيسى بن أبى عطاء صاحب الخراج، وذلك ليومين بقيا من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومئة.

وحدثنى ابن قديد، عن عبيد الله، عن أبيه.

عن عمرو بن يحيى[1] قال: لما رأى ذلك حسان، نقض ولايتهم، وهرب حفص بن الوليد إلى خراب حمير. فانطلقوا فاستخرجوه وأعادوه، فسكن الناس. فكانت ولاية حسان عليها ستة عشر يوماً.

٢٩ ـ حفص بن الوليد(*)

الثالثة

ثم وليها حفص بن الوليد كرها، أخذه[2] قواد الفروض بذاك. فأقام عليها رجب وشعبان، وعلى شرطه عقبة بن نعيم. ولحق حسان بن عتاهية بمروان.

وقدم حنظلة بن صفوان الكلبى من إفريقية، قد أخرجه أهلها، فنزل الجيزة. فكتب مروان إلى أهل مصر: «أما إذ أبيتم ولاية حسان، فقد أمرت عليكم حنظلة بن صفوان». فامتنع

---

(١) كذا فى ن (١: ٣٠١) . وفى ر: بحرى.

(*) الخطط (١: ٣٠٣)، والنجوم (١: ٣٠٢)، وحسن المحاضرة (٢: ٩).

(٢) كذا فى خـ. وفى ر: أخذوه.

الواصل «بالطومس» وسمع كلامهم له حلق رأسه وصار راهبا وجماعة معه، ثم استحق الشهاده بعد ذلك لن [لأن] «مرقيان» الملك لما بلغه عنه ما فعل انفذ فقتله. ومن ذلك الزمان جماعة من الأرتدكسيين باقون فى هذا الدير الجليل، ولما وصل مروان إلى هذا الدير المذكور طالبهم بمال مبلغه تلت وزنات مال، وانزل على ريس الدير والذى معه عذابا شديدا وقتلهما ونهب الدير وخرج ومعه جيشه. فلما بعدو عن الدير قليلا كان هناك حبيس

المصريون وأظهروا الخلع. ومضى رجاء ابن الأشيم فى الفروض إلى حنظلة، فأخرجة إلى الحوف الشرقى، ومنعوه من المقام فى الفسطاط. وهرب ثابت بن نعيم من فلسطين، يريد مصر. فبعث إليه حفص بشرحبيل بن قليب الحجرى يمنعه من دخولها. وخرج إليه زبان بن عبد العزيز بن مروان، ببنى أبيه ومواليه من أرض مصر. ومع زبان جمع من قيس.فقاتلوا فهزموه. قال الغطريف الحميرى:

وَمنْ زامِلٍ لا قَدّسَ الله زامـلاً ... وَمنْ أعْبُد لَمّا بتلكَ المَراغلِ(١)
وَمنْ شَيخِ سَوْءٍ خَرّقَ الله عَظمَهُ ... حُفَيصٍ وأتباعٍ لَهُ غَيرِ طائلِ

وقال سعيد بن شريح مولى تجيب يهجو حفصاً، وكان سعيد منقطعاً إلى زبان بن عبد العزيز بن مروان:

يا باعثَ الخيلِ تَرْدى فى ضَلالَتِها ... منَ المُقَطّمِ فى أكناف حُلوانِ(٢)
لا زالَ بُغضى ينمى فى صُدورِكُمُ ... إذْ كانَ ذَلِكَ مِنْ حُبّى لزَبّانِ

---

(١) أعبد: عبيد رقيق. ولما: جمعاً. المراغل: المواضع التى تنبت الرغل، وهو نبت قاتل. يريد أن زاملاً وعبيده جميعاً اجتمعوا على هذا النبات يأكلونه فى شراهة . والشطر الثانى محرف كل التحريف فى ر. ويفهم من الشطر الأول أن زاملاً ثار على مروان، وبخلاف ما عند الطبرى، كما سبقت الإشارة.
(٢) تردى: تعدو. والشطر الثانى فى ر: من المعظم فى اكتاف جاوان. وينمى : يزيد.

على عمود شيخ كبير له فيه عدة سنين، وكان ارتدكسيا تاودوسيوسيا، فقال بعض اصحاب «مروان» ان هذا الشيخ الراهب كلما يقوله حق ويصح، وجا إليه فقال له: ما ذا يجرى على؟. فقال له الشيخ بصوت خفى كصوت ارميا النبى: إذا قلت لك الحق انت تقتلنى، ولكن انا أقول ما اظهره الله لى والذى قال الله لى عنك، بالكيل الذى كلت به يكال لك، كما انك جعلت الأمهات بغير اولاد كذلك تصير امك بغير اولاد،

وسكت مروان عن أهل مصر، بقية سنة سبع وعشرين. ثم عزل حفصاً مستهل سنة ثمان وعشرين ومئة.

٣٠. الحوثرة بن سهيل(*)

ابن(١) العجلان بن سهيل بن كعب بن عامر بن عمير ابن رياح بن عبد الله بن عبد بن قراص(٢) بن باهلة

ثم وليها حوثرة بن سهيل الباهلى من قبل مروان. فسار إليها ومعه عمرو ابن الوضاح فى الوضاحية، وهم سبعة آلاف. وعلى أهل حمص نمير بن يزيد ابن حصين بن نمير الكندى، وعلى أهل الجزيرة موسى بن عبد الله التعلبى، وعلى أهل قنسرين أبو جمل بن عمرو بن قيس الكندى. وبعث حوثرة بأبى الجراح الجُرشي بشر بن أوس إلى مصر. فقدمها يوم الأحد لليلتين خلتا من المحرم سنة ثمان وعشرين ومئة. واجتمع الجند إلى حفص، وسأله أن يمانع الحوثرة.

(*) الخطط (١: ٣٠٣)، والنجوم (١: ٣٠٥)، وحسن المحاضرة (٢: ٩).

(١) كذا فى ص، خـ (١ك٣٠٣)، والتاج، وإحدى نسخ ن، وفى ر عن ن وحاشية فى صلك أخو، وتقول الحاشية: «أبن يونس فى تاريخ الغرباء: حوثرة بن سهيل الباهلى، أخو العجلان ابن سهيل، من أهل قنسرين، أمير مصر لمروان بن محمد، كان رجل سوء سفاكاً للدماء، يحكى عنه حكايات فى هذا».

(٢) كذا فى ق. وفى ر: فراض.

ويكون ملكك مخوفا جدا لكلمن يشاهدك ويستاسرون اولادك وكلمن لك، وياخذ ملكك الذى يتبعك الان [اى ابو مسلم وعبد الله] ولا ياخذ احد من جنسك الملك إلى الأبد، ويهزمونك اعداك إلى ان تصل إلى «ارسنويتس»(*) إلى «الكلاوبطره»، ويحل بك هذا كله فى هذه السنه فى شهر مسرى. فلما سمع ذلك مروان امر بهدم العمود وانزل الشيخ منه فاحرقه بالنار وهو حى.

(*) قتل مروان الحمار ببوصير فى يوليو ٧٥٠م = مسرى ٤٦٦ قبطية = ذى الحجة ١٣٢هـ وارسلت رأسه إلى عبدالله السفاح الخليفة العباسى: انظر الهامش السفلى ص٣٩٨.

فامتنع وقال لأبى الجراح: قد سلمت إليك ما بيدى. فعزل حفص يومئذ. وأمر عبد الرحمن بن سالم بن أبى سالم الجيشانى بالصلاة بالناس إلى قدوم الحوثرة. وختم على الدواوين وبيت المال.

وخشى أهل مصر من حوثرة، فبعثوا إليه يزيد بن مسروق الحضرمى. فتلقاه بالعريش، فسأله أن يؤمنهم على ما أحدثوا. فأجابه الحوثرة إلى ما سأل، وكتب لهم كتابا بعهد وأمان. فأتاهم به يزيد فاطمأنوا إلى ذلك. ثم بعث إليهم حوثرة، يستأذنهم فى المسير إليهم والدخول إلى مصر، فأذنوا له. وسار إليها حتى نزل المسناة، وبعث إليهم: إن كنتم فى الطاعة فالقونى فى الأردية. فقال رجاء بن الأشيم الحضرمى لحفص بن الوليد: أطعنى أيها الأمير وامنعهم. قال: أكره الرياء. قال: فدعنى أقف فى جبل، فإن رأيت ما تحب تطرفنا، وإن كان غيرذلك استنقذناك منهم. قال: قد أعطانى ما ترى من العهد، ولن أستظهر بغير الله. فقال رجاء: والله لا رغبت نفسى عن نفسك. فخرج إليه حفص ووجوه الجند حتى دخلوا عليه فسطاطه، فقال لحفص ورجاء: ما أنتما؟ قالا: حفص ورجاء. قال: قيدوهما، فقيدوا[1]. وانهزم أهل مصر.

وكان دخول الحوثرة على الصلاة، وعيسى بن أبى عطاء على الخراج، يوم الاربعاء لاثنى

(١) كذا فى ص بصيغة الجمع.

ثم وصل الى مصر (*) فى عشرين يوما من شهر بوونه فى سنة أربع مايه وسبع وستين للشهدا، وكان قبل ان تجرى هذه الأمور قد عصى على «عبد الملك» قوم من «البشمور» (*) ومقدمهم «مينا بن بكيره» وقوم اخر من «شبرا» بسنبوط، ومسكو تلك الكورة ولم يعطوه خراجا ولا لصاحب ديوان مصر إلى ان افتقدهم الرب وكان يعطيهم الظفر، فخرج إليهم «عبد الملك» بعسكر

(*) وصول مروان إلى مصر هاربا من العباسيين.

(*) هذه هى المرة الأولى التى يرد فيها ذكر ثورات البشمور بشكل واضح، وقد تتابعت ثوراتهم بعد ذلك فى ظل العباسيين وخاصة فى عهد الخليفة المأمون.

عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ثمان وعشرين ومئة. فجعل حوثرة على شرطه حسان بن عتاهية.

حدثنى ابن قديد قال: حدثنى أبو نصر أحمد بن على بن صالح قال: حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح.

عن أبيه قال: سمعت بكر بن مضر[1] يقول: قدم علينا كتاب أمير المؤمنين مروان فى حوثرة بن سهيل، أن قد بعثت إليكم رجلاً أعرابياً بدوياً فصيح اللسان، وحاله ومن حاله [كذا][2] فاجمعوا له رجلاً فيه مثل فضاله يسدده فى القضاء، ويصوبه فى النظر، ويسدد فى كذا و كذا . قال بكر بن مضر: فأجمع الناس كلهم يومئذ على الليث بن سعد، وفيهم معلماه يزيد بن أبى حبيب وعمرو بن الحارث . وجمع الجند إلى المسجد فخطبهم الحوثرة بشعر بليغ:

دَعَوْتُ أبا لَيلى إلى الصّلح كَىْ يَبو ... برأىِ أصيلٍ أوْ يَرُدَّ إلى حلْمِ
دَعانى لِشَبِّ الحَربِ بَيْنى وبَيْنَهُ ... فَقُلْتُ لَهُ مَهلاً هَلُمَّ إلى السّلْمِ

---

(١) أبو محمد أو أبو عبد الملك مولى ربيعة بن شرحبيل، وفى رك منصور . خطأ.
(٢) زيادة عن ر.

فهزموه(*) بقوة الله وقتلوهم بحد السيف. وانفذ عسكرا آخر واسطولا فى البحر، وبقوة الله هزموهم وقتلوهم. ولما وصل مروان إلى مصر(*) عرفوه جميع ذلك فكتب لهم كتبا وأمانا فلم يقبلوه ، فانفذ لهم عسكرا كتيرا من مسلمى مصر وممن وصل صحبته من الشام، فلم يقدر العسكر ان يصل إليهم باجمله لنهم [لأنهم] تحصنو فى مواضع الوحلات التى لا يقدر ان يصل إليها سوى

(*) هزيمة عبد الملك على يد مينا ابن بكيرة قائد ثورة البشمور، انظر ص ٤٠٤ الجزء السفلى ولاية أبو عون عبدالملك بن يزيد.

(*) هروب مروان إلى مصر أمام جيوش العباسين.

وبعث حوثرة الخيل فى طلب رؤساء الفتنة ووجوههم، وهم محمد بن شريح بن ميمون المهرى، وعمرو بن يزيد الشيبانى، وعقبة بن نعيم الرعينى، ويزيد بن مسروق الحضرمى، ومحمود بن سليط الجذامى، وأيوب ابن برغوث اللخمى. فجمعوا له وعامتهم. ثم ضرب عنق رجاء بن الأشيم، وعمرو بن سليط ، وابن برغوث، فى جمع منهم، يوم الثلاثاء لاثنى(١) عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ثمان وعشرين ومئة. وقتل محمد بن شريح بن ميمون المهرى، ثم قتل عقبة بن نعيم، وفهد بن مهدى(٢). وقال حسان بن عتاهية لحوثرة : لم يبق لحضرموت إلا هذا القرن فإن قطعته قطعتها. يعنى خير بن نعيم، كان على القضاء، فعزله حوثرة. وفرض الحوثرة لشيعة مروان، ومن كان يكاتبه، فروضاً فى الخاصة. ففرض لزبان بن عبد العزيز فى موالى بنى أمية ألفاً، وفى قيس ألفاً، وفرض لزيد بن أبى أمية المعافرى ثلاث مئة. وعقد الحوثرة لمحمد بن زبان بن عبد العزيز على الجند. وأنفذ معه أهل الديوان إلى العريش. فقتل عوف بن حراب الحروى(٣). وطلبوا ثابت بن نعيم الجذامى، حتى أسروه وبعثوا به إلى مروان . ثم قتل الحوثرة حفص بن الوليد، ويزيد ابن موسى بن وردان، يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شوال سنة ثمان وعشرين ومئة.

(١) ر: اثنى.
(٢) ص: مهرى.
(٣) كذا فى ر ، ولعله عون بن خارجة العدوى (ف ٨٤).

راجل راجل فاذا ذلت رجله عن الطريق غطس فى اللوق وهلك. وكانو العساكر يحرسونهم من بره، فيخرجون لهم فى الليل «البشامره» من طرق يعرفونها يتلصصون عليهم ويقتلون من قدرو على قتله ويسرقون اموالهم وخيلهم فيطول عليهم الأمر فيرحلون عنهم(*).

(*) هزيمة قوات مروان على يد البشمور.

ثم وصل عبد الملك بعساكر عظيمه إلى اعمال دمشق فقسم عسكره مع اميرين شجاعين يسمى احدهما صالحا بن على والأخر ابا عون صديقه،

وكان زبان بن عبد العزيز شديد التحريض على حفص بن الوليد حتى قتل فكانت حضر موت[1] .. ...وكان.... [2]عورات زبان أيام المسودة. وقال مسرور[3] الخولاني:

فـإيّاكَ لا تَجنى من الشـرّ غلطَةَ   فتودى كحَفص أوْ رَجا بن الأشيّم[4]
فَلا خيرَ فى الدّنيا وَلا العيَش بَعدهم   فكَيف وَقدَ أضحَوْا بسَيف المقطم

وقال ابن ميادة المرى:

لَقد سرّنى إنْ كانَ شئ يَسرّنى   مُغادُ ابن صَبّار على بَلخَ وَالسّفرُ
وَحوثَرَةُ المُهْدى بِمصرَ جيادَهُ   وَأسيافَهُ حَتى أستَقامَتْ لَه مِصرُ

وقال مرسل بن حمير يبكي حفصاً وأصحابه

يا عَينُ لا تُبقى منَ العَبَرات   جُودى عَلى الأحْياء وَالأموات
بَكّى الّذينَ مَضَوْا فَهُمْ [قد] صاد   فوا صَدَقات [شدّ] أبطلَتْ ثارات[5]

---

(١) كذا فى ر، وقال: ليست بينة فى الأصل كأن الكلمة «خصرموك».
(٢) كذا فى ر، وقال: بياض قدر الكلمة الواحدةت فى الأصل.
٣) ن (١:٢٩٣): المسور   (٤) كذا فى ن. وفى ر: غلطة فتودى.
(٥) البيت محرف وناقص فى ر، ولعل الصواب ما أثبته

وقال لهما: إذا وجدتما مروان واخذتماه قدمتكما ملوكا، وابو عون اعطيه مصر. ثم سير مع صالح ستين ألف فارس وستين اميرا، وسلم لأبى عون اربعين ألف فارس واربع مايه قايد. فوصلا إلى دمشق، وكان واليها صهر مروان زوج ابنته الكبيره فخرج اليهما طايعا فابقياه على ولايته وتوجها إلى مصر. وعند وصولهما إلى غزة قالو لهما اهلها: لم يلبسو اهل دمشق السواد ولا ادوا لكم طاعة. فعادو بغضب وقتلو جماعة كتيره من اكابر اهل دمشق،

يا حَفصُ يا كَهفَ العَشيرَة كُلّها … يا أخا النَوالِ وَساتِرَ العَوْرات
إمّا قُتلتَ فأنتَ كُنتَ عَميدَهُم … وَالكَهْفَ للأيْتامِ وَالجارات
أوْدَى رَجاءٌ لا كَمِثْلِ رَجائنا … رَجُلٌ وَعُقْبَةُ فارِجُ الكُرُبات
وَشَبابُنا عَمرٌو وَفَهْدٌ ذو النَدى … وَابنُ السَليط وَعامِرُ الغارات
قُتلوا وَلَمْ أسْمَعْ بمِثْلِ مُصابِهِمْ … سَرَواتُ أقْوامٍ بنَو سَرَوات
طُلّتْ دماؤهُمْ فَلَمْ يُغْرَجْ لَهُمْ … بَيْن وَلَمْ يُطْلَبْ لَهُمْ بِجُناة

وقدم إلى مصر داعية عبد الله بن يحيى طالب الحق، فدعاهم . فبايع له ناس من تجيب وغيرهم. فبلغ ذلك حسان بن عتاهية ، فاستخرجهم فقتلهم حوثرة.

ثم صرف الحوثرة عنها في جمادى الأولى[(١)] سنة إحدى، وثلاثين ومئة. وبعث به مروان مددا إلى يزيد بن عمر[(٢)] بن هبيرة بالعراق. فحضر الحصار بواسط، ثم قتل مع يزيد بن هبيرة. واستخلف الحوثرة على مصر حسان ابن عتاهية.

وقال ابن أبي ميسرة: استخلف عليها أبا الجراح الحرشي[(٣)]. فكانت ولايته عليها ثلاث سنين وستة أشهر.

---

(١) وقيل: إنه خرج لعشر خلون من رجب. (ن، خـ).
(٢) ر: عمرو. خطأ. (٣) كذا في خـ، ن. وفي ر: الجرشي.

وقتلو واليها صهر مروان واسرو ابنة مروان. ولما بلغ الخبر مروان عرض عسكره فوجد من وصل معه تمينة الاف فامر الرعية قايلا: كلمن لا يدخل في ديني ويصلي صلاتي ويتبع رأيي من اهل مصر قتلته وصلبته، ومن دخل معي في ديني خلعت عليه واركبته واثبت اسمه في ديواني واغنيته. فتبعه الف انسان سرعه وصلو صلاته، فدفع لكل واحد عشرة دنانير. ثم اجتمع إليه الفان من مسلمي مصر سوى من اطلقه من الحبس ومن كان خدمه

---

٣١ . المغيرة بن عبيد الله(*)

ابن المغيرة بن عبد الله بن مسعدة بن حكمة[١] بن مالك بن

حذيفة بن بدر بن عمرو بن جؤية بن لوذان بن ثعلبة

ابن عدى بن فزارة بن ذبيان بن بغيض

ابن ريث بن غطفان

ثم وليها المغيرة بن عبيد الله الفزارى من قبل مروان على صلاتها ، قدمها يوم الاربعاء لست بقين من رجب سنة إحدى وثلاثين ومئة[٢]، فجعل على شرطه ابنه أبا مسعدة عبد الله بن المغيرة، وكان لينا محببا إلى الناس.

وخرج المغيرة إلى الإسكندرية في رمضان، واستخلف عليها أبا الجراح الحرشي على الجند والشرط. ثم هلك أبو مسعدة فجزع عليه أبوه، ثم توفي بعده لثنتي عشرة ليلة، كانت وفاته يوم السبت لثنتي عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين ومئة. فكانت ولايته

(*) الخطط (١: ٣٠٣)، والنجوم (١: ٣١٤)، وحسن المحاضرة (٢: ٩).
(١) كذا في ر، وتاج العروس «حكم» وفي ن: عبيد الله بن سعد بن حكم ، تحريف.
(٢) وقيل إنه قدم في السادس عشر من شهر رجب.

من اجناد عسكر المملكه، وانفذ ابن اخته إلى اسكندرية ومعه مقدم من مقدمى عسكره وأمر ان ياخذ الإسماعيليين بان يصلو صلاته. وكان باسكندرية ريس مقدم أسمه الأسود قد اجتمع له خلق كثير عند ما كانو المسلمون يقاتلون الروم، وكان قد تقدم مروان إلى الذين انفذهم إليها بان يقتلوه هو وعشر مقدمين له من أجل انه لم يصل إليه إلى مصر، وكان للأسود صديق بمصر عند مروان جليسا له. فسمع ذلك فكتب إلى الأسود يعرفه بما كان قبل وصولهم إلى اسكندريه فلما

عليها عشرة أشهر[1] واستخلف ابنه الوليد بن المغيرة وأجمع الجند على أن يولوا عبد الله بن عبد الرحمن بن حديج الشرط، إلى أن يأتي رأى مروان . ثم صرف الوليد فى النصف من جمادى الآخرة.

٣٢ . عبد الملك بن مروان(*)

ابن موسى بن نصير مولى لخم

ثم وليها عبد الملك بن مروان النصيرى من قبل مروان، وجمع له صلاتها وخراجها. وكان والياً على خراجها قبل أن يولى الصلاة. فجعل أخاه معاوية بن مروان على الشرط. وليها فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين ومئة.

ثم إن معاوية استعفى أخاه من الشرط بعد أشهر . فأعفاه وجعل مكانه عكرمة بن عبد الله بن عمرو بن قحزم الخولاني. وإن عبد الملك أمر باتخاذ الناس المنابر فى الكور، ولم تكن قبله، إنما كان ولاة الكور يخطبون على العصى إلى جانب القبلة.

وخرج رجل من القبط يقال له يحنس بسمنود. فبعث إليه عبد الملك بعبد الرحمن بن

(١) ن: عشرة أشهر إلا أياماً ثلاثة، وفى إحدى مخطوطات ن: إلا أياماً قليلة، وهو الأصح.
(*) الخطط (١: ٣٠٤)، والنجوم (١: ٣١٦)، وحسن المحاضرة (٢: ٩).

علمو أهل اسكندرية ذلك حلفوا للأسود وصاروا هو وهم قلبا واحدا، فلما وصل رسول مروان ومن معه قبضوهم ورموهم فى السجن، وحشد الأسود جمعا كثيرا من اسكندريه ومريوط والبحيره من المسلمين الذين فى تلك النواحى وجعلوهم خارجا عن صور اسكندريه لحفظ الطرقات، فلما اعلمو مروان ذلك انفذ عسكرا عظيما صحبة امير مقدم اسمه كوزارا(*) وكان يشبه الوحش فى خلقه وكان شجاعا ومعه خمس مايه مقاتل، وتقدم

(*) كوزارا : هو الحوثرة أو الكوثر بن سهيل الباهلى. انظر الجزء السفلى ص٣٩٧.

عتبة المعافرى. فقتل يحنس في كثير من أصحابه. وخالف عمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان على مروان أمير المؤمنين، وتابعه على ذلك الرماحس بن [عبد](١) العزى الكنانى فى جمع من قيس. فنزلوا الحوف الشرقى وأظهروا الفساد. فبدر عبد الملك بن مروان أهل الديوان إليهم، وجعل على جماعتهم موسى بن المهند بن داود بن نصير. فساروا فى سبعة آلاف إلى بلبيس. فلما التقوا دعوا إلى الصلح، على أنهم يخرجون عمرو بن سهيل والرماحس إلى أى أرض شاءا. فأجابهم موسى بن المهند إلى الصلح وانصرفوا. ثم ظفر بعد ذلك بعمرو بن سهيل فحبس بالفسطاط.

قدوم مروان بن محمد إلى مصر

وأجمع جند مصر على منع مروان إن هو سار إليهم، وجعلوا على أمرهم ذلك عبيد الله بن عبدالرحمن بن عميرة الحضرمى. فقدم عبيد ا لله بن مروان على مقدمة أبيه، فدعاهم ابن عميرة إلى النهوض معه، فتثاقلوا عنه، فرفض أمرهم.

وقدم مروان بن محمد مصر يوم الثلاثاء لثمان بقين من شوال سنة اثنتين وثلاثين ومئة(٢).

---

(١) كذا فى القاموس المحيط (رمحس). وفى ر: الدمماحس بن [عبد] العزيز. وفى طك الرماحس ابن عبد العزيز.
(٢) ن : وقيل لثلاث بقين من شوال.

إليهم بان يخربو اسكندريه فنزلو في موضع يسمى «باقوم» بعيدا عن اسكندريه، فلما سمع الأسود ارسل إليهم اخاه ومعه خمس مايه رجل ليتحققو الخبر، فلما نظروهم اصحاب مروان ظنو انه عسكر من البلد وليس فيها من يقاتلهم سواهم فنهضو إليهم وقتلو اكثرهم وانهزم بقيتهم عايدين إلى البلد وهم يتبعونهم، فلما وصلو إلى الأسود ومن معه صرخو قايلين: قد اخذت مدينتنا فانهزمو جميعهم وكان عددهم تلتين ألفا وهرب الأسود

وسود أهل الحوف الشرقي، وأول من سود هناك شرحبيل ابن مذيلفة(١) الكلبي الزهيري. ولحق الأسود بن نافع بن أبي عبيدة بن عقبة ابن نافع الفهري بالإسكندرية فسود بها. وسود عبد الأعلى بن سعيد بن عبد الله ابن مسروق الجيشاني بصعيد مصر. وسود يحيى بن مسلم بن الأشج مولى بني زهرة بأسوان. وعزم مروان على تعدية النيل فأمر بدار آل مروان المذهبة فأحرقت. فقال له زبان بن عبدالعزيز: إنها دار بني عبد العزيز، وقد أعظمت فيها النفقة. فقال مروان: إن أبق أبنها لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وإلا فما تصاب به من نفسك أعظم. ثم دخل مروان إلى الجيزة، وحرق الجسرين. فقال عيسى بن شافع يبكي الدار المذهبة:

يَا طَلَلاً أقْوَى وَحَلّ البِلَى ... مِنْهُ لَدى العُلْو وَفي السُّفْلِ
قَدْ كُنْتَ مَغْنيً لعُيُونِ المَهَا ... وَكُنْتَ مَأوَى لظُبى الرَّمْلِ
وَكَانَ أرْبَابُكَ مَا إنْ لَهُمْ ... في النَّاسِ مِن نَوْعٍ وَلا شَكْلِ

وبعث مروان الكوثر بن الأسود الغنوي، وعثمان بن أبي نسعة الخثعمي، إلى الأسود بن نافع الفهري. فالتقوا بالكريون في ذي القعدة. فقتل عيسى بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع.

---

(١) كذا في ر. وفي ص هنا: شرحبيل بن مديلعة، وبعد هذا: شرحبيل بن بدرانة، وشرحبيل بن مذيلفة. وفي معجم البلدان لياقوت شرحبيل بن مديلفة.

واختـفى ودخل عسكر مروان المدينه مع كوزارا وملكهـا (*) وقتل منها جماعه ونهب اراختنتها واستاسر اولادهم ونساهم واخذ كلما لهم، واخذ الأب انبا خايل وقال له: كيف مكنت اولادك النصارى ان يقاتلونا، يعنى عن «البشامره»، وخاطبه بكلام كتير، والتمس منه مالا فلم يكن معه شي فاودعه السجن وجعل رجله فيها طوبه حديد(*). وكان تلاميذه وبعض كهنته لما جرى باسكندريه هربو ولم يبق منهم سوى انبا مينا القس

(*) احتلال اسكندريه بواسطة جيوش مروان بقيادة حوثرة الباهلي وهروب الأسود.

(*) حوثرة يقبض على البطرك خايل ويضعه في السجن. وقد

ودخل الكوثر الإسكندرية، فقتل عبد الأعلى بن الهجرس مولى مراد، كان على الموالى. وخالفت القبط برشيد. فبعث إليهم عثمان بن أبى نسعة فى المصصة[1] فهزمهم. وبعث زبان بن عبد العزيز إلى الصعيد. فأتى عبد الأعلى بن سعيد فقاتله. فهزمه زبان ونجا عبد الأعلى. وجعل مروان معه عمرو بن سهيل بن عبد العزيز مقيداً. فلما قتل مروان هرب عمرو بن سهيل على وجهه.

وقدم صالح بن على بن عبد الله بن عباس، وأبو عون عبدالملك بن يزيد إلى مصر يوم الثلاثاء للنصف من ذى الحجة. وسار مروان إلى بوصير من كورة الأشمونين، فنزلها ومعه [عبد الملك صاحب مصر، فوافى][2] صالح بن على فى جيوشه، وعلى مقدمته عامر بن إسماعيل. واستخلف صالح على الفسطاط محمد ابن معاوية بن بحير بن ريسان، أشار عليه به عياش بن عقبة الحضرمى.

وقتل مروان ببوصير يوم الجمعة لسبع بقين[3] من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومئة، وقتل معه زبان بن عبد العزيز بن مروان، وإبراهيم بن زبان، وعبد العزيز بن جزى[4] بن

(١) كذا فى ر، وقال: كأنه مصحف وفيه نظر إلى المقامصة المتقدم ذكرهم.
(٢) زيادة ضرورية عن ن. (٣) ن: لتسع.
(٤) كذا فى ر عن المشتبه. وفى ص: حرى.

الأقنوم الذى لبيعة مارى مرقس الأنجيلى التلميذ، وولاتينوس الشماس كاتب القلايه، وبارتولوماوس الراهب السمنودى، لنهم [لأنهم] كانو قد ربطوه معه. ثم أنه اخذ «قسما» بطرك الملكيه وجعل رجليه مع رجلى ابينا البطرك فى الحديد، فبعد خمسة ايام احضر «قسما» من شعبه وبيعته الف دينار ودفعها لكوزار فخلاه. وانفذ إلى ابينا وقال له أفعل هكذا واخليك. فاجابه: ان ما فى بيعتى شى وانا اجعل نفسى عوض المال فما اردت فافعل فى. وضيق عليه حينئذ إلى تمام تسعة ايام، فاحضره إليه

ظل البطرك منذ هذه اللحظة وحتى الافراج عنه من قبل العباسيين ينقل مسجوناً مربوطاً بالسلاسل الحديد فى كل مكان ذهب إليه مروان.

عبد العزيز. وأفلت[1] جزى [2] واسماعيل ابنا زبان، فذهبا إلى الأندلس. وقتل بالصعيد بعد قتل مروان محمد بن زبان، والطفيل بن زبان، ومروان بن الأصبغ بن عبد العزيز وابنه. ويقال: إن محمد ابن زبان ذهب هارباً، فلم يعرف به أحد ولا عرف له خبر.

ودخل صالح بن على الفسطاط يوم الأحد لثمان خلون من المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومئة. وبعث برأس مروان بن محمد إلى العراق.

الدولة العباسية

٣٣. صالح بن على (*)

ابن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم

ثم وليها صالح بن على، من قبل أمير المؤمنين أبى العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبدالله بن عباس. فاستقبل صالح بولايته المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومئة. وبعث بوفد أهل مصر إلى أبى العباس ببيعة أهل مصر، عليهم الوليد بن عبد العزيز بن المطلب، وفيهم عيسى بن

(١) كذا فى ر، وفى ص: قتل. خطأ للقرينة.
(٢) كذا فى ر تبعاً لاسم عمه. وفى ص: حرى.
(*) الخطط (١: ٣٠٤)، والنجوم (١: ٣٢٣)، وحسن المحاضرة (٢: ٩).

وأمسك بيده وجذبه على وجهه وطرحه على ركبتيه، وكان في يده قضيب فضربه به مايتي دفعه على راسه بكل قوته وحيله، وكان السيد المسيح معينه وحافظه لم ينله من ذلك شي ثم امر بضرب عنقه، وكانو يجذبونه مثل الخروف الساكت، فلما بعدو عن ذلك الكافر قليلا انزل قلنسوته على وجهه حتى توخذ رأسه ، ثم انه مد رقبته سرعه بفرح ومد السياف يده وجرد السيف وصاح قايلا: اخذ راسه. كما جرت عادته ان يستأذن عليه

شافع بن السائب[١]، ومحمد ابن معاوية بن بحير بن ريسان، وعبد الأعلى بن سعيد، ومعاوية بن الزبير ابن عبد كلال، وعبد العزيز بن ودعة الحميرى، ومحمد بن مشهور الأزدى.

وأسر عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير، ومعاوية بن مروان، وموسى بن المهند بن داود بن نصير، فسجنوا. وأخذ حسان بن عتاهية الكندى الصغير، فأتي به إلى الفسطاط. فضربه صالح بن على بالسياط، ثم قال: أستبقيك؟[٢]. قال له: مافي البقاء خير بعد هذا. فضرب عنقه. وضرب عنق عثمان بن أبي نسعة الخثعمي. ثم خلى موسى بن المهند[٣] واستعمل على ديوان الجند.

وجعل على شرطه محصن بن هانئ الكندى، من أهل جرجان، أخا يزيد بن هانئ، أياماً ثم عزله وجعل مكانه عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية ابن خديج أياماً، ثم صرفه.

ونجا عاصم بن أبي بكر بن عبدالعزيز بن مروان إلى قفط، من صعيد مصر، ومعه أخوه عمر[٤] بن أبي بكر، وبنوه عبد الملك وأبان ومسلمة بنو عاصم. فكتب إليهم صالح يؤمنهم، فقدموا الفسطاط.

(١) كذا في ر في حاشية في الأصل. وفي ص: الوليد بن عبد الملك بن على بن السائب.
(٢) ر: [أ] أستبقيك. ولا داعي للزيادة.
(٣) كذا في ر. وفي ص: الهنيد.
(٤) ياقوت (قلنسوة): عمرو.

[الحاكم] تلت دفعات، ثم استأذن تانى دفعه وهو ياذن له، ثم طرح الله فى قلبه [هدوا] وقال ما فايدتنا فى قتل هذا الشيخ انبا خايل، وقد كان منع «البشامره» عن قتالنا وكتب اليهم فما قبلو منه، لكن نحمله معنا إلى رشيد وندعه أيضا ان يكتب لهم ويقول ان كلما حل بى لأجلكم فامر بتخليته.

فلما بلغ الخبر «البشامره» خرجو لأوليك الذين كانو يحاصرونهم فقتلوهم وطردوهم وهو مسيرة

فحدثنى ابن قديد قال: حدثنا عبيد الله بن سعيد، عن أبيه قال: حدثنى العباس بن الوليد.

عن موسى بن صالح قال: قدم عاصم بن أبي بكر بثلاثة أولاد ذكور من قفط، قد أعطوا أماناً من صالح. فكتب فيهم إلى أبي العباس. قال سعيد: وكان عاصم مواصل بنى العباس. فكتب أبو العباس يأمره أن يشخصهم. فحملوا فى محامل أعْراء - وخرجتُ مع النظارة ـ فمروا بصالح، (لم يكنه) ما بالنا ننقل من بلد إلى بلد، والله ما نحن بأرقاء فنملك، ولا نساء فيستمتع بنا. فما أجابه صالح. قال سعيد: فمضى بهم إلى قلنسوة[1] من أرض فلسطين، فقتلوا بها. وقتل معهم عيسى بن الوليد بن عمر بن عبد العزيز. وأما عمرو بن سهيل بن عبد العزيز فتغيب ثم سود. وأتى شعبة بن عثمان التميمى، وكان على المضرية [2] وهو لا يعرفه، فقال: أنا عمرو بن سهيل جئت لآخذ لى أماناً من الأمير وأدخل فى دولته. فقال: النجاء! إن ظفر بك قتلك. فانطلق فتغيب[3].

ثم خرج إلى جبل ألاق بالتيه من ناحية الهامة فكان فيه. وكان يكاتب سعيد ابن سعد بن اسطس[4] ويزيد بن مقسم مولى حضر موت. فضرب شعبة خصياً له، قد كان رأى كتاب

---

(١) قلنسوة: حصن قرب الرملة من أرض فلسطين.
(٢) كذا فى ر. وفى ص، ن(١ :١: ٣٠١): المصرية، وقيل فى الذيل: والمضرية أقرب للظن
(٣) ص: فبع، ورجحت ر ما أثبتناه.
(٤) كذا فى ر.

(*) هزيمة أخرى لجنود مروان على يد البشامره.

يـومـين(*)، والذى خلص من الموت مـضى إلى مروان وعرفه اللى جرى عليهم، ووصل الخبر إلى مروان بان اعداه قد قربو منه وقتلو صهره زوج ابنته والى دمشق. فكتب مع الذين انهزمو إليه من عند البشموريين كتابا يقول لهم تعالو إلى بسرعه فقد احتجت اليكم وكل بلد تصلون إليه انهبوه واقتلو اهله، فسارو اوليك الكفره إلى الصعيد وقتلو جماعه من الأراخنه ونهبو اموالهم وسبو

عمرو بن سهيل إليه. فدخل على صالح فأخبره، فأرسل إلى سرادقه فوجد الكتاب. فضرب صالح عنق شعبة، وأرسل صالح بيزيد بن هانئ إلى جبل ألاق. فوجدوا عمراً يحقب جمالاً له. فأحيط به فأخذ هو وابراهيم ومحمد وعبد الرحمن بنو سهيل بن عبد العزيز فمضى بهم إلى قلنسوة، فقتلوا بها . قال ابن عفير: وقتل معه يزيد، وأبان ومروان وعبد العزيز والأصبغ بنوه، وقتل عثمان بن سهيل فى مرسه دات نفل[١].

وقال ابن عفير في موضع آخر: كان عبد الملك بن أبي بكر بن عبد العزيز، والأصبغ بن زبان أخذا بالهامة فقتلا بنهر أبى فطرس[٢]. قال: فكتب أبو العباس أن تشخص نساؤهم وصبيانهم إلى المدينة. ثم أمنهم أبو جعفر، فقدم من إفريقية زيد بن الأصبغ بن عبد العزيز وهو أبو وفاء، ومحمد بن الحكم ابن أبى بكر بن العزيز، وإبراهيم بن سهيل، وعبد العزيز بن مروان بن الأصبغ، وهو يومئذ حدث.

وقال ابن عفير فى موضع آخر: قتل مروان بن الأصبغ بنهر أبى فطرس، وعبد العزيز ووفاء ابنا مروان بن الأصبغ، قتلا مع أبيهما. و ترك منصور ابن الأصبغ. وهرب إسماعيل بن سهيل،

(١) كذا فى ر.
(٢) نهر أبى فطرس: على اثنى عشر ميلا من الرملة فى سمت الشمال، ومخرجه من أعين فى الجبل المتصل بنابلس، ويصب فى البحر المتوسط بين مدينى أر سوف ويافا.

حــريمهم واهاليــهــم واولادهـم واحــرقــو ديارات الرهبان وأخذو الرهبانات حتى وصلو إلى الشرق.

وكان هناك دير رهبانات عذارى كن فيه عرايس للمسيح وعدتهن تلتون عـدرا، فملكوهن عـسكر مروان، وكان فـيـهم صبيـه عدرا دخلت إلى الدير وهى ابنة تلت سنين فلما نظروها بهتو من حسنها وقالو ما شاهدنا قط فى بنى ادم صوره مثل هذه، فاخذوها واخرجوها من وسط اخواتها وتشاورو

وعمرو بن محمد بن عمارة المعيطى، وحميد كاتب زبان، على أرجلهم إلى الأندلس. وضربت عنق يزيد بن مقسم، مولى حضر موت، وعنق ابن أسطس. وهذا كله فى سنة ثلاث وثلاثين ومئة.

وفيها أمر للناس بأعطياتهم [1] للمقاتلة والعيال، وقسمت الصدقات على اليتامى والمساكين. وزاد صالح بن على فى مؤخر المسجد الجامع بالفسطاط أربعة أساطين.

وورد كتاب أبى العباس أمير المؤمنين على صالح بن على، بإمارته على فلسطين، ويأمره بالاستخلاف على مصر. فاستخلف[2] عليها أبا عون عبد الملك ابن يزيد، مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومئة.

وسار صالح بن على، ومعه عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير، وأخوه معاوية بن مروان، فى أحسن حال، وأرفع منزلة، وخرج صالح معه برجال من أهل مصر، صحابة لأمير المومنين أبى العباس. ومنهم الأسود بن نافع بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع الفهرى، وعبد الرحمن بن عُتبة المعافرى، وعياض بن حريبة الكلبى، ومحمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج، فى عشرة منهم. وأقطع صالح بن على الذين سودوا، وأقطع منهم شرحبيل ابن

---

(١) كذا فى خـ، ن، ر. وفى ص: بعطياتهم.
(٢) كذا فى خـ، ن. وفى ر: واستخلف.

فيما يفعلونه فيها، فمنهم من قال نتقارع عليها، ومنهم من قال نمضي بها إلى الملك. وفيما هم يقولون هذا قالت لهم الصبية(*): اين هو مقدمكم اعلمه بشي يساوى اموالا وتخلونى فانا عابده لله وما يحل لكم ان تفسدو عبادتى، بل إذا علمتكم بذلك الشي الذى يحصل لكم فيه اموال تردونى إلى ديرى. فقال لها مقدمهم: انا هو. فقالت له: آبائى كانو قوما مقاتلين شجعانا اقويا دفعو لى دوا كانوا يدهنون به [اجسادهم] إذا خرجو للقتال فلا

(*) معجزة عذراء الدير.

مذيلفة الكلبى، أقطعه منبوبة[١]، والأسود بن نافع الفهرى أقطعه منية بولاق ومنازل زبان بالإسكندرية. وأقطع عبد الأعلى بن سعيد قطائع بالميمون[٢] وقرى أهناس[٣].

٣٤. أبو عون عبد الملك بن يزيد(*)

مولى هناءة من الأزد، وهو من أهل جرجان

ثم وليها أبو عون عبد الملك بن يزيد على صلاتها وخراجها، باستخلاف صالح مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومئة. فجعل على شرطه عكرمة بن عبد الله بن عمرو بن قحزم الخولانى. ووقع الوباء بمصر فهرب أبو عون إلى يشكر[٤]، واستخلف عكرمة على الفسطاط. وخرج أبو عون إلى دمياط فى شوال سنة خمس وثلاثين ومئة، واستخلف عليها عكرمة بن قحزم، وعلى الخراج عطاء بن شرحبيل مولى مراد. وخرج أبو مينا القبطى بسمنود. فبعث إليه بعبد الرحمن بن عقبة، فقتل أبو مينا. وورد الكتاب بولاية صالح بن علىّ على مصر

---

(١) منبوبة: قرية من قرى مصر هى غالباً امبابه، أقطعها صالح بن على شرحبيل بن مذيلفة الكلبى، لما سود ودعا إلى بنى العباس. كذا قال ياقوت فى معجم البلدان، وفى ر: سويد.
(٢) الميمون: فى الواحات الخارجة.
(٣) أهناس: بالصعيد الأدنى من أعمال البهنسا.
(*) الخطط (١: ٣٠٦) والنجوم (١: ٣٢٥)، وحسن المحاضرة (٢: ١٠).
(٤) كذا فى خـ (١: ٣٠٦)، يريد جبل يشكر. وموضعها فى ر، وص بياض.

يعمل الحديد فيهم شيا، وتصير السيوف والرماح مثل الشمع قدامهم، فان خليت سبيلي دفعته لك وأن كنت لا تصدق كلامي فانا ادهن رقبتي قدامكم وجب اجود سيف يكون مع رجالك ودع اقوى من فيهم ان يضربني فلا يقطع فيّ شي فتعلم صحة قولي. وانما قالت ذلك لنها [لأنها] رات ان تموت بالسيف ولا تلصق بها نجاسات الكفار ولايتنجس جسدها الطاهر بهم. ثم دخلت بيتها فاخرجت برنيه(*) فيها زيت قد صلى عليه

(*) البرنيه: إناء غويط من الفخار.

وفلسطين وإفريقية، جمعوا له. ووردت الجيوش من قبل أمير المؤمنين أبي العباس لغزو [المغرب](1)، عليهم عامر بن إسماعيل.

٣٥. صالح بن علي بن عبد الله بن عباس(*)

الثانية

ثم وليها صالح بن علي بن عبد الله ولايته الثانية على صلاتها وخراجها. فدخلها لخمس خلون من ربيع الآخر سنة ست وثلاثين ومئة. فجعل على شرطه بالفسطاط عكرمة بن عبد الله بن قحزم، وعلى شرطه بالعسكر يزيد بن هانئ الكندى، من أهل جرجان.

وولى أبا عون عبد الملك بن يزيد جيوش المغرب، وقدم أمامه رجالاً من أشراف أهل مصر، دعاة لأهل إفريقية، منهم قنبرة بن بحرته(٢) بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج، وعثمان ابن عبيد الله بن موسى بن نصير(٣)، والضحاك بن محمد اللخمي، ووحوح بن ثابت

(١) زيادة في ر عن خـ في الغالب.
(*) الخطط (١: ٣٠٦)، والنجوم (١: ٣٣١)، وحسن المحاضرة (٢: ١٠).
(٢) كذا في ر، وقالك في الأصل بعد نصير «بن» حذفناه.
(٣) زيادة من خـ، ن.

القديسون وكان محفوظاً عندها، فدهنت به رقبتها ووجهها وجميع جسدها وصلت وركعت على ركبها ومدت عنقها فظنو الجهال ان الأمر صحيح ولم يعلمو ما في قلبها. ثم قالت لهم: من كان فيكم قويا وسيفه ماض قاطع فيظهر قوته فيّ فانكم ترون مجد الله في هذا الدوا. عند ذلك وثب شاب شجاع بسيف يفتخر به فسترت وجهها ببلينها وطأمنت [طأطأت] راسها وقالت له: اضرب بقوتك كلها ولا تبال. فضرب القديسه الشهيده

البلوى. فخرجوا أمام أبي عون. وكان خروج أبي عون افي ا[١] جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ومئة.

وخرج عامر بن إسماعيل في جيوشه، على مقدمة أبي عون. وبعث بالمثنى ابن زياد الخثعمي،في شوال سنة ست إلى الإسكندرية، ليجهز المراكب إلى طرابلس. وبعث بعياش بن عقبة الحضرمي في حمل الطعام لجيش أبي عون وعامر بن إسماعيل.

وتوفي أمير المؤمنين أبوالعباس في ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومئة، واستخلف أبا جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، فاستقبل بخلافته سنة سبع وثلاثين ومئة. فأقر صالح بن عليّ على صلاتها وخراجها. وكتب صالح إلى أبي عون يأمره بالرجوع، وبرد الدعاة من أهل مصر ، وقد بلغوا سرت[١]. وبلغ أبو عون برقة، فأقام بها أحد عشر شهراً[٢]. واتخذ بها مصلى وتركه [٣]. ثم رجع أبو عون في جيشه إلى مصر، وألحق صالح بن علي في أهل مصر ألفى مقاتل، وزاد أهل مصر عشرة عشرة في أعطياتهم.

---

(١) سرت : مدينة على ساحل البحر المتوسط بين برقة وطرابلس، فى شمال أجدابية، وفي خـ: شبرت.
(٢) كذا في ن أيضاً . وفي خـ: ك يوماً.
(٣) كذا في ص، ر، ورجح أنها محرفة عن نزلة.

فطارت راسها، فعلمو حينذ ما فعلت وأنها خدعتهم فندمو وحزنو حزنا عظيما ووقع عليهم خوف شديد ولم يلتفتو بعدها لأحد من الرهبانات العدارى بل تركوهن ومضو وهم يمجدون الله.

ثم كتب مروان إلى كوزارا [حوثره] الذى كان قد انفده إلى اسكندريه بان يسرع إليه ولا يتاخر عنه، فلما سار إلى ر شيد اعلموه ان البشامره قد قتلو المسلمين الذين كانو فيها واخربوها واحرقوها

ثم خلع الحكم بن ضبعان الجذامي بفلسطين. فبعث صالح من مصر أبا عون، ومحمد بن الأشعث الخزاعى، وأبان سعيد بن معاوية بن يزيد بن المهلب، فلقوا الحكم بن ضبعان فهزموه. وبعث أبو عون إلى مصر بثلاثة آلاف رأس من أصحاب الحكم. وندب[1] صالح بن على الناس إلى فلسطين، وعقد عليهم لوحوح بن ثابت البلوى، والضحاك بن محمد اللخمى، ويزيد بن الزبرقان [2]القيسى. ثم رأى صالح أن يخرج فيهم، فخرج متوجهاً إلى فلسطين، واستخلف عليها ابنه الفضل بن صالح فبلغ صالح إلى بلبيس ثم تراخى عن المسير حتى بلغه الفتح. ورجع إلى مصر[3].

فحدثنى ابن قديد قال: حدثنى عبيد الله بن سعيد بن عفير:

عن أبيه قال: لما خرج الحكم بن ضبعان بفلسطين، طلب صالح بن على [من][4] فى عسكره بمصر، من بنى روح بن زنباع . فاختفى رجاء بن روح عند محمد بن معاوية بن بحير بن ريسان. واختفى روح بن روح عند خالد بن سعيد بن ربيعة الصدفى . وأخذ سلامة بن

---

(١) ص، ر: ندر، وظن أن صوابها بدر.
(٢) الكلمة غير منقوطة فى ص، ر، وظن أن صوابه كما أثبته.
(٣) كذا فى خـ، ن. وفى ر: فلسطين. خطأ، لأنه عاد إلى مصر أولا ثم خرج إلى فلسطين.
(٤) زيادة فى ر.

بالنار، وان العدو قد قرب، فسلم الأب البطرك لاحد الامرا ليوصله إلى مروان.

(*) المتحدث هنا هو ابو جرجه كاتب هذه السيرة.

ثم انى(*) سرت واعلمت أبى ابا مويسيس الخبر لما فيه من النبوه التى اعطاه الله اياها والعجايب، فصدقونى فيما اقول فقد ابصرته بعينى، وذلك ان قبل وصول مروان إلى مصر لم يكن هناك قتال، اعلم [الانبا خايل] بنبوه من الله ما يكون من الملوك وما يجرى على البيع والشعب المومن

سعيد بن روح وزنباع بن ضبعان. فقتل سلامة بن سعيد. قال أبو ميسرة الحضرمى: فخرجت مع خالد بن حيان ابن الأعين، فدخل على صالح بن على فى سرادقه[عند][1] المصلى. فأقمت أنتظره، فأتى برجل أفطس فى الحديد فقال: أيها الناس، أنا زنباع بن ضبعان، قتل ابن عمى أمس، وأقتل اليوم. فدخل به على صالح فقتله. وبغى[2] محمد بن بحير عند صالح بن على، بأمر رجاء بن روح. فأتى محمد بن معاوية[3] مسلماً. فقال له: اقعد. فقعد حتى إذا خلا قال: يا ابن بحير، ألم أكرمك؟! ألم أشرفك؟! فكان ثوابى أن آريت أعدائى. قال: وما ذاك؟ قال: رجاء بن روح عندك قال: أصلح الله الأمير! اختر واحدة من اثنتين، فيها لى براءة ولك شفاء مما اتهمتنى: إما أن ترسل الخيل على غرتى فتفتش منازلى، وإما أن أبرئ صدقك بيمينى. قال: فسم امرأتك. قال: ابنة فهد بن كثير المعافرى. قال: فهى طالق، وكل مملوك لك حر، وعليك المشى إلى بيت الله إن كان عندك ولا تعلم مكانه، فحلف. فقال: انصرف [قال محمد بن معاوية][4]: فانصرفت فأعلمت امرأتى بنت فهد قالت: فلا تظهر ذلك فيعرف، فلا ننجو من القوم، ولكن ادخل على واعتزل مضجعى. فكان يفعل ذلك، حتى إذا سار صالح، أظهر طلاقها وأعتق رقيقه، ومشى إلى بيت الله.

(١) زيادة فى ر. (٢) كذا فى ر. وفى ص: بقى.
(٣) هو محمد بن معاوية بن بحير، كما مضى ذكره.
(٤) زيادة فى ر.

المسيحى، وقالو له في الرؤيا: استعد فانك تكون مع الابا فى القتال.

وفى تلك السنه كان يكتر صلواته وتعبده ونومه على الأرض نهارا وليلا ومداومة الصلاه والحزن والبكا والدموع الغزيره. فلما رأيته أنا البايس كنت اساله واتضرع إليه ان يعلمنى السبب الذى يفعل ذلك بنفسه لجله، وكان ذلك الأب القديس يبغض المجد الفارغ ويقول لى: يا ولدى ذنوبى

ثم صار صالح إلى فلسطين، وكتب إلى أبى عون بالمسير إليه. كان خروج صالح لأربع خلون من شهر رمضان سنة سبع وثلاثين ومئة. فلقيه أبو عون بالفرما، فأمره على مصر صلاتها وخراجها. ومضى صالح إلى فلسطين، ودخل أبو عون الفسطاط[1] لأربع بقين من شهر رمضان سنة سبع وثلاثين ومئة.

وحدثنى ابن قديد، عن عبيد الله، عن أبيه قال: حدثنى عمرو بن بحرى السبنى: أن صالحاً لما خرج عن مصر إلى الشام، خرج بنفر من وجوه أهل مصر، منهم معاوية بن عبد الرحمن بن قحزم الخولانى، وخالد[2] بن حيان الأعين الحضرمى وشرحبيل بن مذيلفة الكلبى، وغوث بن سليمان الحضرمى، وعمرو بن الحارث الفقيه.

٣٦. أبو عون عبد الملك بن يزيد(*)

الثانية

ثم وليها أبو عون عبد الملك بن يزيد الثانية على صلاتها وخراجها، باستخلاف صالح

---

(١) ر: ودخل صالح فلسطين، ودخل أبو عون الفسطاط. وفى ص: ودخل أبو عون فلسطين، ودخل أبو عون الفسطاط. والعبارتان محرفتان.

(٢) كذا فى ر وقال: فى الأصل: خلف. وقد أعيدت هذه الرواية فى كتاب القضاة وسمى هناك خالداً.

(*) الخطط (١: ٣٠٦)، والنجوم (١: ٣٣٦)، وحسن المحاضرة (٢: ١٠).

كتيره وإذا ذكرتها بكيت وندمت وقدمت الصلاه لله اساله الغفران. وكان فيّ انا الخاطى يسير من الادلال [الدلال] عليه لملازمتى له ليلا ونهارا، ولاجل ذلك مسكت قدميه وقبلتهما ودموعى تجرى عليهما وقلت: ما أقوم ولا أرفع وجهى حتى تعرفنى حقيقة هذا الأمر. فقال لى: إذا كان لابد لك من ذلك فتكون مشاركا لى انت أيضا لنه [لأنه] لم يبق لأحد فى أيام هذه المملكه خلاص وخاصه ما يجرى على البيعه من الشعب، لكن

ابن على إياه عليها، وذلك فى شهر رمضان سنة سبع وثلاثين. فجعل على شرطه عكرمة بن عبد الله بن قحزم، وعلى الدواوين عطاء بن شرحبيل. ثم أفرده أبو جعفر بولايتها.

وقدم أمير المؤمنين أبو جعفر بيت المقدس، وكتب إلى أبى عون بأن يستخلف على مصر ويخرج إليه. فاستخلف عليها عكرمة بن عبد الله[١]، وعلى الخراج عطاء بن شرحبيل مولى مراد. وخرج أبو عون للنصف من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومئة.

حدثنى ابن قديد قال: حدثنى عبيد الله بن سعيد.

عن أبيه قال: لما أراد أبو جعفر عزل صالح بن على مصر، ضم إليه فلسطين، وأمره بالشخوص إليها، وأن لا يستخلف على مصر. فلما استقر بها عزله عن مصر، وضم إليه الأردن، وأمره أن يصير إليها. فلما استقر بها عزله عن فلسطين، وضم إليه دمشق. فلم يزل ينقله حتى صار إلى الجزيرة.

ولما صار أبو عون ببيت المقدس، بعث أبوجعفر موسى بن كعب عليها. فكانت ولاية أبى عون عليها هذه المدة الثانية ثلاث سنين وستة أشهر.

---

(١) على الصلاة، كما فى الخطط والنجوم.

اعلم ان السيد المسيح ما يتركها إلى التمام، وإنها تخلص من التعب، وهذه المملكه تبيد(*) وجميع جيوشها وتكون بعدها مملكه جديده. فسمعت منه من هذا وغيره كثيرا وانا اعلم ان كل كلمه يقولها حق وتتم في وقتها، وبقيت متطلعا لذلك، ولما ياتي بعده، ومن بعد ذلك اليوم وقع الطرد على مروان ومملكته، ووصل إلى مصر كما تقدم القول، وكنت متفكرا وقايلا: ما الذى يجرى على بيعه الله في زمان الصلح والهدو وغيره.

(*) نبؤة أبا مويسيس بزوال الخلافة الأموية.

---

٣٧ ـ موسى بن كعب(*)

ابن عيينة بن عائشة بن عمرو بن سرى بن عائذة بن الحارث
ابن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد
ابن طابخة بن اليأس بن مضر

ثم وليها موسى بن كعب من قبل أمير المؤمنين أبى جعفر، وكان موسى من نقباء بنى العباس. فدخلها لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأخر سنة إحدى وأربعين ومئة على صلاتها وخراجها. فجعل على شرطه عكرمة بن عبد الله بن قحزم.

فحدثنى ابن قديد قال: حدثنى عبيد الله بن سعيد.

عن أبيه: أن موسى بن كعب لما ولى مصر نزل العسكر، فجعل وجوه الجند يغدون عليه ويروحون. فقال: ألكم حاجة؟ أتشكون ظلامة؟ قالوا: لا. قال: فما هذا الاختلاف؟ قالوا: كنا نفعل ذلك بأمرائنا قبلك. فقال: قد وضعه الله عنكم، فأقيموا فى منازلكم. فانتهى الناس، ولزمه الفضل بن مسكين بن الحارث بالغدو والرواح. فسأل يوماً من ببابه، فأخبر به، فدعا به.

(*) ترجمته فى الخطط (١: ٣٠٦)، والنجوم (١: ٣٤٢)، وحسن المحاضرة (٢: ١٠).

وفيما هو يحدثني وإذا الأب البطرك قد وصل وصحبته الجند إلى باب البيعه المقدسه بمدينة وسيم [بالجيزة] صباح يوم الأحد العاشر من ابيب، فلما ابصرهم ابى القديس مويسيس قال لى: يا ولدى هذا اليوم الذى انا منتظره الذى قلت لك قد حضر والعيان اجود من السماع، الان من أراد ان يبذل نفسه فيتبعنى وانا أفرح اليوم لن [لأن] لى زمان اشتهى هذا وأقول اننى ما استحق ان أسفك دمي الدنس عوضا من الدم الزكي المسفوك عنا.

فقال: ألك حاجة؟ أتشكو[1] ظلامة ؟ قال: لا . قال فما لزومك بابى، وقد أمرت بالكف عن ذلك ؟ قال: أنت تريد أن ترى فينا أمراً تبغينا به. فحبسه حتى عزل.

حدثنى ابن قديد، عن عبيد الله بن سعيد، عن أبيه.

عن الميسرى عبد العزيز بن أبي ميسرة قال: كان موسى بن كعب يقول فى خطبته: من كان يريد جارية فارهة، أو غلاماً فارهاً، فليرفع يديه إلى الله وقال فى خطبته: هذا أخوكم عبد الغفار الأزدى كان معكم منذ ثلاث ثم مات، فلا تغفلوا عما نزل به.

وحدثنى ابن قديد: أنه انتسخ من رقاع يحيى بن عثمان بن صالح بخطه:

حدثنى أشياخنا: أن أسد بن عبد الله البجلى كان والياً على خراسان، فاتهم موسى بن كعب بأمر المسودة، فالجم بلجام ثم كسرت أسنانه. فلما صار الأمر إلى بنى هاشم أمالوا على موسى الدنيا. فكان موسى يقول: كانت لنا أسنان وليس عندنا خبز[2]، فلما جاء الخبز[2] ذهبت الأسنان.

وذكر أشياخ مصر أن أبا جعفر كتب إلى موسى بن كعب حين عزله: إنى عزلتك عن غير سخط، ولكن بلغنى أن عاملاً يقتل بمصر يقال له موسى، وكرهت أن تكون هو فكان ذلك

---

(١) ر: أتشكون. تصحيف.

(٢) فى ص بالراء، وأصلحها ر عن خـ، ن.

لكن عظيم هو الحــزن الذى فى قلبى لن [لأن] جيل القديسين قد اضمحل وافتقرنا جدا إذ لا نجد انسانا يشاركنا فى هذه الخدمه. هكذا كما شهدت فى زمان المجمع.

وكان أبى مويسيس مع ما كان عليه من الصوم والصــلاه والصلاح الكثير يقول: ويلى انا الخاطى انا اعتقد ان المسيح ما يتخلى عنى لكن يعيننى. ثم تقربنا [تناول القربان] من يد الاب الجليل ابا خايل

موسى بن مصعب زمن المهدى. فوليها موسى. ابن كعب سبعة أشهر[1]، وصــرف فى ذى القعدة سنة إحدى وأربعين ومائة.

واستخلف على الجند خالد بن حبيب[2] وعلى الخراج نوفل بن الفرات. وخرج من مصر يوم الإربعاء لست بقين من ذى القعدة سنة إحدى وأربعين ومئة.

٣٨ . محمد بن الأشعث(*)

ابن عقبة بن أهبان بن عياذ[3] بن ربيعة بن كعب

ابن أمية بن يقظة بن خريمة بن مالك بن سلامات

ابن أسلم بن أفصى بن حارثة بن عمرو[4] بن عامر

فوليها محمد بن الأشعث الخزاعى، وهو من ولد عقبة مكلم الذئب، من قبل أمير المؤمنين أبى جعفر على صلاتها وخراجها، قدمها يوم الأثنين لخمس خلون من ذى الحجة سنة إحدى

(١) ن: وأياما.
(٢) كذا فى ر، ن. وقيل فى ر: خرجت هذه الصفحة عن محلها باختلال فى التجليد. وفى خـ: ابن خاله بن حبيب.
(*) الخطط (١ : ٣٠٦)، والنجوم (١: ٣٤٦)، وحسن المحاضرة (٢: ٢: ١٠).
(٣) كذا فى أسد الغابة وتاج العروس. وفى ر: عباد.
(٤) كذا فى ر عن الجدول، وفى ص: عمر.

البطرك القديس والشهيد المختار، ونظرنا النار صاعدة في الفسطاط، واخبرونا ان مروان احرق مخازن غله وقطن وتبن ومخازن الشعير. فلما علمو الجند بهذا اقلقونا كثيرا وصرخو علينا بضجر عظيم، وجعل أبى مويسيس يده على يدى ولبس ثوبا ووزرته وترك جميع ما فى بيعته وخرج . ولم يكن احد مع البطرك من الأساقفه ولا من اولاد البيعه سواى وحدى وقارى واحد من بيعة

واربعين ومئة. [وولى على شرطته المهاجر بن عثمان الخزاعي، ثم عزله][1] وجعل مكانه على الشرط محمد بن معاوية بن بحير بن ريسان الكلاعى. فلما استقر محمد بن الأشعث بها، بعث أبو جعفر إلى نوفل بن الفرات: أن اعرض على محمد بن الأشعث ضمان خراج مصر، فإن ضمنه فأشهد عليه وأشخص إلى، وإن أبى فاعمل على الخراج. فعرض عليه ذلك[2] فاستشار محمد بن الأشعث كاتبه، فأشار عليه أن لا يفعل. فانتقل نوفل بالدواوين إلى دار الرمل. فافتقد[3] ابن الأشعث الناس، فقيل له: هم عند صاحب الخراج. فندم على تسليمه.

وعقد محمد بن الأشعث لأبى الأحوص عمرو بن الأحوص على جيش، وبعث به إلى المغرب، لقتال أبى الخطاب عبد الأعلى بن السمح الإباضى[4] مولى المعافر. فلقيه أبو الخطاب بمغمداش[5] فهزم أبا الأحوص وقتل عسكره. فبلغ ابن الأشعث ذلك، فعسكر بالجيزة، وصلى بها يوم الأضحى سنة اثنتين وأربعين ومئة. وتوجه إلى الاسكندرية، واستخلف على مصر محمد بن معاوية ابن بحير بن ريسان.

---

(١) زيادة ضرورية عن ن. (٢) كذا فى ر عن خـ. وفى صك قال:

(٣) ر: فانتقل نوفل الدواوين إلى دار الرمل فافتقد. وفى خـ: فانتقل نوفل الدواوين فافتقد . وفى ن: فانتقل نوفل إلى الدواوين ففقد. وأظن أن الصواب ما أثبته.

(٤) كذا فى ث (٥: ٢٤٠) والبيان المغرب (١: ٦٠) ومعجم البلدان لياقوت (١: ٧١١، ٨١٥، ٢: ٧٩٧). وفى ر: بن الشيخ. وفى ص: بن السيح. وفى ن: أبو الخطاب الأنماطى.

(٥) مغمداش: بجوار سرت. (أحسن التقاسيم للمقدسى ٢٤٥).

القديس أبى مقار اسمه يعقوب كان من أهل بلبيس.

وأمر مروان أن يضرب البوق بمصر والندا تلتة أيام ويقول : انه بعد تلتة أيام ان وجدت بمصر [الفسطاط] انسانا او دابه متخلفه قتلته لنى [لأنى] أضرب جميع الفسطاط بالنار. فعدو الناس كلهم إلى الجيزه والجزيره(*) [الروضه] وغيرها، وهرب جميع الناس فى المراكب حتى البنات المخدرات اللاتى لم يخرجن قط [من بيوتهن] خرجن إليها

(*) مروان يحرق الفسطاط حتى لا تقع فى يد العباسيين اموالها وقصورها وبناياتها.

حدثنى ابن قديد قال: حدثنى عبيد الله بن سعيد.

عن أبيه قال: كان محمد بن معاوية بن بحير قد سعى [به](١) عند أبى عون، وقيل: إنه يشتمه. فضربه أبو عون، وحط عطاءه إلى عشرين ومئة، وكان فى المئتين. فلما قدم محمد بن الأشعث، ولاه الشرط. فكان يصعد المنبر فيشتم أبا عون، ويقول: النخاس الكذاب. فشتمه يوماً عند محمد بن سعيد صاحب الخراج. فقال له سالم بن سليمان الحربى القائد: أتشتمه وهو قائد أمير المؤمنين؟ قال: وأشتمك، فعليك وعليه لعنة الله! فكانت ولاية ابن الأشعث عليها سنة وشهراً.

٣٩ . حميد بن قحطبة(*)

ابن شبيب بن خالد بن معدان بن شمس بن قيس بن أكلب
ابن سعد بن عمرو بن غنم بن مالك بن سعد بن نبهان
ابن ثعل(٢) بن عمرو بن الغوث بن طيئ

ثم وليها حميد بن قحطبة من قبل أبى جعفر على صلاتها وخراجها، فدخلها فى عشرين

(١) زيادة ضرورية. وفى ر: بغى. وفى ص: نعى، بدون فقط.
(*) الخطط (١: ٣٠٦)، والنجوم (١: ٣٤٩) وحسن المحاضرة (٢: ١٠).
(٢) ر: نبهان بن فعل، ورجح ثعل، والذى فى كتب الأنساب واللغة أن نبهان وثعل أخوان، فثعل إذن مقحمة. انظر نهاية الأرب للنويرى (٢: ٢٩٩).

مع اهاليهن. وتركو الناس جميع اموالهم، وضرب النار من قبلى مصر [الفسطاط] إلى بحريها حتى انتهيت إلى الجامع الكبير.[جامع عمرو] الذى للمسلمين، ووقع فى البحر من الناس والبهايم ما لا يحصى عدده بحسب انهم لم يجدو من يعدو بهم لما هربو من النار، وكان الأخ يهرب من اخيه، والصديق من صديقه، والاعمى لايجد من يقوده، والمقعد والمفلوج والضعيف والشيخ الفانى والعجوز التى لا نهضة لها، جميع هولا احترقو

ألفاً من الجند، يوم الجمعة لخمس خلون من شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين ومئة. فجعل على شرطه محمد بن معاوية بن بحير. ثم قدم عامر بن إسماعيل فى عسكر، لست خلون من شوال. وقدم معه الأغلب ابن سالم، ومحمد بن بحير على الشرط.

فحدثنى ابن قديد قال: حدثنى عبيد الله بن سعيد، عن أبيه قال: أخبرنى الميسرى.

عن أبيه: أن عمر بن حبيب المؤذن أتى ابن بحير[1] بالصبح، وهو فى دار الفلفل. فرأى شيئاً كرهه. فبلغ ذلك حميداً فاستشار الجند فى رجل يوليه الشرط، فقيل له: عليك بعبد الله بن عبد الرحمن معاوية بن حديج. فولاه من يومه فكان مقام ابن بحير على شرط[2] حميد ستة أشهر.

وحدثنى [ابن قديد][3] عن عبيد الله بن سعيد.

عن أبيه قال: وقدم إلى مصر على بن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن، فى إمرة حميد بن قحطبة، داعية لأبيه وعمه. فنزل على عسامة بن عمرو المعافرى. فذكر ذلك صاحب

(١) كذا فى ر. وفى ص: أبو بجير.
(٢) كذا فى ر. وفى ص: الشرط.
(٣) زيادة فى ر.

بالنار، وكانو الناس مطروحين فى الشوارع والأزقه والغيطان فى اعمال الجيزه كالموات مما حل بهم تحت شقا عظيم وجوع وعطش ولا يجدون ما يقتاتون به من كثرة الخلق. وكانت الغلات التى بمصر قد احرقها مروان فمضو الجند الى كوزارا، واسمه فى نسخه اخرى «حوثره» فاعلموه بوصول الابهات فامر واحدا اسمه ازرق ان ياخذنا عنده حتى يدبر رأيه، ثم علم مروان ان اعداه الخراسانيين [العباسيين] قد وصلو إلى الفرما، فانفذ قوما إلى

السكة لحميد بن قحطبة، وقال: ابعث إلى فخذه. فقال حميد: هذا كذب. ودس إليه[١] فتغيب.

ثم بعث إليه من الغد فلم يجده. فقال لصاحب السكة: ألم أعلمك أنه كذب؟ وكتب بذلك صاحب السكة إلى أبي جعفر، فعزله وسخط عليه. ثم صرف[٢] حميد عنها في ذى القعدة سنة أربع وأربعين ومئة. وخرج منها يوم الاثنين لثمان بقين من ذى القعدة سنة أربع وأربعين ومئة[٣].

٤٠ . يزيد بن حاتم(*)

ابن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة

ثم وليها يزيد بن حاتم المهلبى، من قبل أميرالمؤمنين أبي جعفر، على صلاتها وخراجها. فقدمها يزيد يوم الاثنين للنصف من ذى القعدة سنة أربع وأربعين ومئة. فجعل على شرطه عبد

(١) كذا في خـ. وفي ر: عليه. وفي خـ (٢: ٣٣٨): ودس إليه أن تغيب.
(٢) واضح أن العبارة ركيكة. وفي خـ: فكتب بذلك إلى أبي جعفر، فصرفه في ذى القعدة. وفي ن: فكتب ذلك لأبى جعفر المنصور فغضب وصرفه عن إمرة مصر في ذى القعدة.
(٣) ن: وكانت ولايته على مصر سنة واحدة وشهرين إلا أياماً.
(*) الخطط (١: ٣٠٧)، النجوم (٢: ١)، وحسن المحاضرة (٢: ١٠).

بحرى فى المراكب إلى كل كوره ليحرقو كل مركب يجدونه فى البحر ففعلو ذلك(*)، وأرسل قوما اخرين فى البر وتقدم إليهم يحرق المدن والكور والكروم والسواقى وكلما يجدونه، فسارو حتى وصلو اتريب فهمو بحرقها، وكان هناك خمسة بحور ما [ء] تجرى إلى الغرب سوى خلجان كانت تجرى من البحر المسمى «جيحون» وهو بحر النيل، وظن مروان انه يقيم فى الوجه الغربى والخراسانيون فى الوجه الشرقى، وأنهم إذا

(*) مروان يبعث بعض جنوده لحرق المراكب فى كل مناطق مصر حتى لا يستغلها العباسيين فى مطاردته وعبور النيل. ويرسل غيرهم لحرق المدن والحقول والحيوانات.

الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج، واستخلف على الخراج معاوية بن مروان بن موسى بن نصير(١).

وفي ولايته ظهرت دعوة بني حسن بن علي بمصر، وتكلم بها الناس. وبايع كثير منهم لعلي بن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن(٢). وهو أول علوى قدم مصر. وقام بأمر دعوته خالد بن سعيد بن ربيعة بن حبيش الصدفي. وكان جده ربيعة بن حبيش من خاصة علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وشيعته، وحضر الدار(٣). فاستشار خالد بن سعيد أصحابه الذين بايعوا له. وفيهم دحية ابن المعصب(٤) بن الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان، ومنصور الأشل بن الأصبغ بن عبد العزيز، وزيد بن الأصبغ بن عبد العزيز. فقال لهم: ما ترون؟ فأشار عليه دحية أن يبيت يزيد بن حاتم في العسكر، فيضرم عليه ناراً. وقال أهل الديوان: نرى أن تحوز بيت المال، وأن يكون ظهورنا وخروجنا في المسجد الجامع. فكره خالد بن سعيد أن يبيت يزيد بن حاتم وخشي عليه اليمانية. وخرج منهم رجل من الصدف، قد شهد أمرهم كله، حتى

(١) كذا في خـ (١: ٣٠٧)، ن(٢: ١). وفي ر: سعيد.
(٢) أقحم ر عبارة «عبد الله» بين الحسنين، خطأ. وانظر مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصبهاني ٢٠١.
(٣) كذا في ر عن خـ ٢٠: ٣٣٨. وفي ص: الرأى. تحريف.
(٤) كذا في ص، خـ ١٠: ٣٠٧)، ن (٢: ٤٩). وفي ر، ى (١: ٤١٠، ٧٦٦)، والمعارف لابن قتيبة (١٨٤)، وأنساب الأشراف (القدس ١٨٥): مصعب.

وجدوه خرابا رجعو لكونه خاليا من الناس والبهايم
الغلات والمستغلات، ولا يجدون فيه ما يقوم
باودهم ولا مراكب يعدون فيها إليه فلا يستقر بهم
المقام فيرجعون علي اعقابهم. فاعلموه بقرب
وصول اعداه وان فى البحر مواضع مخاضات
يتواصلون فيها إليه، فعرفوه فانفذ اعاد الذين
سيرهم إلى اتريب ولم يحرقوها لنهم [لأنهم]
عادو إليه سرعه.

أتى إلى عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج، وهو يومئذ على الفسطاط. فخبره[1] أنهم الليلة يخرجون. فمضى عبد الله بن عبد الرحمن إلى يزيد، وهو بالعسكر، ليخبره وكان ذلك لعشر خلون من شوال سنة خمس وأربعين ومئة.

وسار خالد بن سعيد في الذين معه، وعليه قباء خز أصفر وعمامة خز صفراء، وقد سوم فرسه بعمامة، وعمد إلى المسجد الجامع فى نصف الليل. فانتهبوا بيت المال ثم تضاربوا عليه بسيوفهم. فلم يصل منهم إليه إلا اليسير. وبعث يزيد بن حاتم مع ابن حديج بنوبة بن غريب الخولاني، وبأبي الأشهل سعيد بن الحكم الأزدى من أهل الموصل، ودفيف بن راشد مولى يزيد بن حاتم. وقال لهم يزيد: إن رأيتم المصابيح في الدور فهو أمر عام، فانصرفوا إليّ، وإلا فأتوا المسجد فاعلموا الخبر. فلما انتهوا قالوا: نرجع. قال نوبة: أما أنا فلا أبرح حتى يأتي أمره، لأنه قال لكما: ارجعا ولم يقل لي. فقال له ابن حديج: فقف إذا عند دور بنى مسكين، فإنه مفرق طرق. قال: أما هذا فأفعل. وثاب إلى يزيد بن حاتم نفر من أهل مصر، وأتاه المنتظر بن إسماعيل الرعينى من الصحراء. فقال ابن حاتم: ما فعل ابن عمير الحضرمى؟ قالوا: لم يخرج معهم. قال: وأبو حزن[2] المعافرى؟ قالوا: بالباب. قال: فالأمر يسير. وأرسل ابن حاتم

---

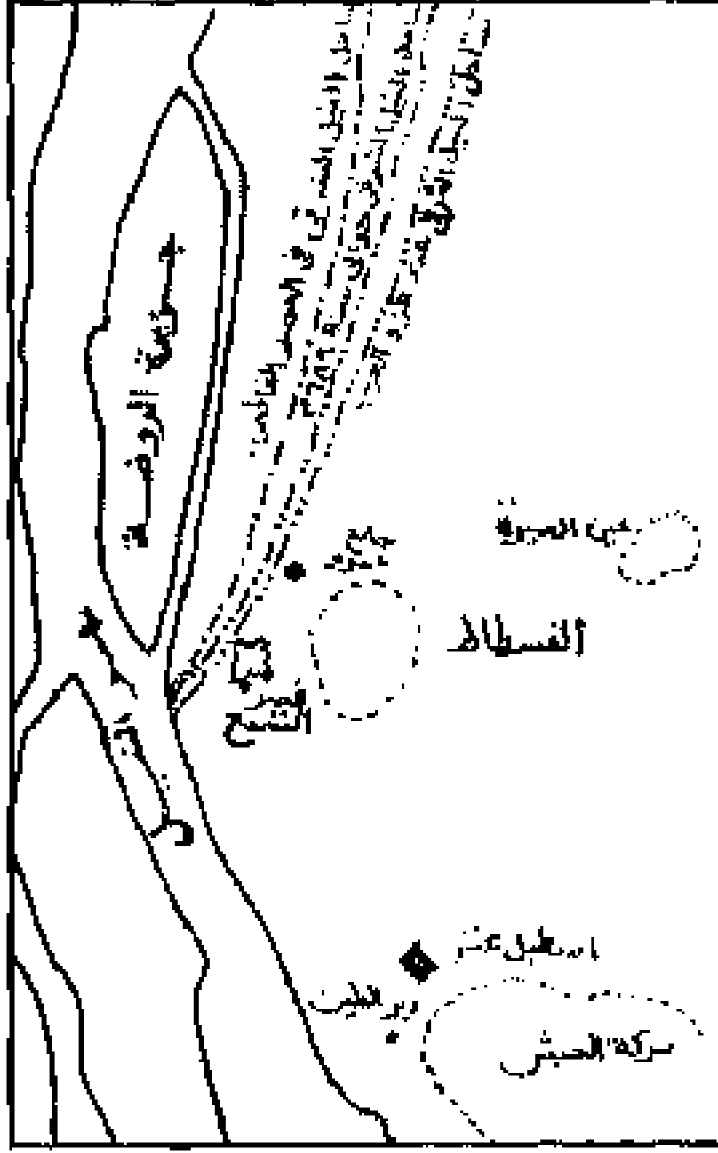
(١) كذا فى خـ (٢: ٣٣٨). وفى ر: فخبرهم.
(٢) كذا فى ر. وقال: غير واضح الكتابة فى الأصل.

وفى تامن عشر يوم من ابيب اربع وسبعين للشهدا احرق حصن مصر [بابليون] فى تلك الليله لأنه عدا فى المركب هو وجميع عسكره، فنزل على شط البحر حتى احرق الحصن ولم يحرق المراكب التى كانت معه فى بر الغرب، وكانو الجند يحضرون إليه فى كل يوم فيقول لهم احتفظو بالمراكب، وفى كل موضع يمضى إليه يسوقنا معه ونحن تحت تعب عظيم من كثرة الخلق والدواب والزحام والضغطات.

إلى أصحابه، فجعلوا يأتونه سكارى. فقال: إن نضوحكم الليلة لكثير. وكان ممن حضر ليلتئذ من وجوه قواده العلاء ابن رزين الأزدى من سليمة، ويحيى بن عبد الله بن العباس الكندى، وأبو الهزهاز النخعى، وأبو كندة بن عبيد بن مالك الكلبى. فساروا جميعاً، ثم وجه دفيفاً فى جمع منهم من قبل سوق وردان. ومضى ابن حديج، وكان بسوق الحمام. ووقف أبو الأشهل فى السراجين. وأقبل نصر بن حبيب فى الجموع من نحو دور بنى مسكين. فوقف ابن حديج على الباب الذى من ناحية بيت المال، فكلم خالد بن سعيد، وهو فوق ظهر المسج، كلمة قبطية[1] فقال: انسل. فخرج على وجهه ورمى مسود بسهم فى الظلمة نحو مخرج الكلام، فأصاب خد خالد بنشابته. وخرج من نحو سوق الحمام، وخرج ابناه إبراهيم وهدبة من نحو المرحاض الذى إلى دار بنى سهم. ومضى خالد بن سعيد إلى إسماعيل بن حيوة بن عقبة بن كليب الحضرمى فسأله أن يخفيه فقال: لقد هممت أن أوبقك وأذهب بك إلى الأمير. ثم أتى عياش بن عقبة بن كليب فقال: أخاف اليمين. فأتى يحيى بن جابر أبا كنانة الحضرمى، فآواه سبعين ليلة حتى سكن الطلب، وهدأ أمره. وقتل تلك الليلة كلثم بن المنذر الكلبى ثم أحد بين عامر، ممن كان مع خالد بن سعيد، ولم يكن هذا مذهبه، وانما كان غضب على يزيد بن حاتم، فخرج عليه مع خالد. وأمر يزيد بن حاتم عبد الله بن حديج بإطلاق الأسارى. فقال: حتى أودبهم. فضربهم وخلاهم.

---

(١) كذا فى ر، وقال: فى الأصل: نتطية، ويحتمل نبطية إلا أن (قبطية) أقرب للتصور.



وعند غـروب الشمس في اليوم التاسع عشـر من ابيب وصلو الخراسانيون [العباسيون] الى مصـر وشـاهدهم مروان من البـر الغربى فامـر باجتمـاع اصحـابه تلك الليلة، ثم تواصلو الخرسانيون الى مصر بالغداه وهم يشتمون مروان واولاده شتما قبيحا وتكاثرو جدا وضربو خيامهم قبلى الفسطاط في موضع يعرف بالاصطبل [عنتر] وافترشو الى الجبل، وشط البحر [النيل] حيث كان اولهم واخرهم من الفرما إلى غزه، وكانو هولا الطوالع.

وكان القتلى تلك الليلة من أصحاب خالد ثلاثة عشر رجلاً، ولم يكن فيهم من له ذكر غير كلثم بن المنذر الكلبى.

ثم قدمت الخطباء إلى مصر برأس إبراهيم بن عبدالله بن حسن، في ذى الحجة سنة خمس وأربعين ومئة، فنصبوه في المسجد الجامع. وقامت الخطباء فذكروا أمره. وهم شبة بن عقال[1]، وكرب[2] بن مصقلة بن رقبة الحيرى، ويحيى بن عبدالرحمن الأعلم، وخالد بن أسيد، وزافر الفياش ابن عمر، وصبيح بن الصباح، والحضرمى معاوية. وأما على بن محمد بن عبدالله بن حسن، فاختلف في أمره. فزعم بعض الناس أنه حمل إلى أبى جعفر.

وأخبرنى ابن قديد عن يحيى بن عثمان بن صالح عن ابن عفير: أن على بن محمد اختفى عند عسامة بن عمرو. وقد وجه عسامة إليه، وأنزله قرية له من طوة[3]. فمرض على بها

(١) ظن رأنه عقال، بفتح العين وتشديد القاف. وليس به.

(٢) رجح وأنه كرز بن مصقلة، وليس به، وانما هما أخوان، وكان كرب خطيباً كأبيه فى زمن الحجاج. انظر تاج العروس «رقب».

(٣) وفى خـ (٢: ٣٣٩): طرة. وقال ياقوت (طوخ): «وطوخ الخيل: قرية أخرى بالصعيد فى غربى النيل، يقال لها طوخ بيت يمون، ويقال لها طوة أيضاً، وبها قبر على بن محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب، رضى الله عنه. كان خرج بمصر فى أيام المنصور سنة ١٤٥. فلما ظهر عليه يزيد بن حاتم، أخفاه عسامة بن عمر المعافرى فى هذه القرية، وزوجه ابنته، إلى أن مات ودفن بها».

ونزل مروان ساعه في ليلة العشرين من ابيب وكان سايرا على الطريق وأمر باحضارنا لانه كان ممتليا حنقا وغضبا علينا مما حكى له عنا حوثره، فما اعظم الحزن والهم اللذين نزلا بنا في تلك الساعه، وأنا إذا تفكرت فيما كان اخاف وارتعد ممن لا يبكى إذا نظر ماجرى علينا ومن لا يحزن لما اصابنا [لأنه] تم علينا قول داود النبي في المزمور ٣٨ اذ يقول : معارفي وقفو مني بعيدا. وهرب كلمن كان معنا وحولنا من التلاميذ وغيرهم ولم

فمات ودفن بها. وحمل عسامة إلى العراق فحبس زماناً. فلما صار الأمر إلى المهدى، قام أبو عبيدالله الأشعرى كاتب المهدى في أمر عسامة، لما بين المعافر والأشعريين. فأدخله إلى المهدى وشفع فيه. فأمنه المهدى، على أن يصدقه عن على بن محمد فقال: مات والله يا أمير المؤمنين في بيتي لا شك فيه. فصدقه المهدى، وفرض له مئتين، ورده إلى مصر.

وأما خالد بن سعيد فاستخفى زماناً طويلاً، ثم مات في زمن المهدى بعد الستين ومئة في سكندرية.

وشكت المعافر إلى يزيد بن حاتم بعد الماء عنهم. فابتنى يزيد بن حاتم فسقية المعافر، وأجرى إليها الماء من ساقية أبي عون، وأنفق فيها مالاً عظيماً. فقال له أبو جعفر: لم انفقت مالى على قومك؟

وورد كتاب أبي جعفر على يزيد بن حاتم، يأمره بالتحول من العسكر إلى الفسطاط، وأن يجعل الدواوين في كنائس القصر[١]؛ وذلك في سنة ست وأربعين ومئة. [ومنع يزيد أهل مصر من الحجّ سنة خمس وأربعين][٢] فلم يحجّ منهم أحد ولا من أهل الشام[٣]، لما كان

(١) يعنى قصر الشمع، وهو حصن بناه الفرس أيام تملكهم لمصر، وكان على الضفة الشرقية من النيل قرب الكنيسة المعلقة في مصر القديمة.

(٢) زيادة عن خـ (١ : ٣٠٧).

(٣) كذا في خـ (١ : ٣٠٧)، ن (٢ : ٣). وفي ر: إلا من أهل الشام.

يبق معنا سوى القس مينا ارشيبابا بيعة ابى سرجه والاغومنس ثيدر الذى استحق الاسقفيه بعد ذلك، والشماس كاتب البطرك لانه كان بمصر، و هولا تركو نساهم واولادهم ومالهم وتبعونا قايلين: نحن نموت معكم. فلما رأى الأب خايل حسن سريرتهم بارك عليهم وأمرهم أن يعودو ولا يتبعونا فلم يفعلو، ثم مشو معنا، وكنت أنا لابسا أسكيم الرهبان بغير استحقاق، كان أبى مويسيس الأسقف يمسك يد الأب الشمال وأنا أمسك يده اليمين،

بالحجاز من الاضطراب بأمر ابن حسن. ثم حج يزيد بن حاتم سنة سبع وأربعين، واستخلف على مصر عبدالله بن عبدالرحمن بن معاوية بن حديج.

وعقد يزيد بن حاتم لعبد الأعلى بن سعيد الجيشانى على خيل، ووجههم إلى بلاد الحبشة، وكانت خارجة خرجت بهم، عليهم أبو ميمون. فقتله عبدالأعلى، وخرج برأسه ورؤوس أصحابه إلى أمير المؤمنين المنصور المهلب بن داود بن يزيد بن حاتم.

وضمّ يزيد بن حاتم برقة إلى عمل مصر، وهو أول من ضمها إليه. وأمر عليها عبدالسلام بن عبدالله بن هبيرة الشيبانى وذلك فى سنة ثمان وأربعين ومئة[١].

وخرج القبط على يزيد بن حاتم بسخا، ونابذوا العمال وأخرجوهم[٢]. وكان أميرها عبدالجبّار بن عبدالرحمن الأزدىّ، وذلك فى سنة خمسين ومائة. وصاروا إلى شبرا سنباط[٣]، فقاتلوا [ابن] عبدالرحمن. وانضمّ إليهم أهل البشرود[٤]، والأوسية[٥]،

(١) ن: وكان ذلك فى سنة تسع وأربعين ومئة.
(٢) كذا فى خـ (١ : ٧٩). وفى ر: ونابذوا وخرج العمال.
(٣) سنباط: بلدة من أعمال المحلة الكبرى.
(٤) البشرود: كورة كانت فى أراضى ناحية سيدى غازى (الكفر الغربى سابقا) بمركز كفر الشيخ بمديرية الغربية، ويدل عليها حوض البشروط.
(٥) الأوسية: واسمها الفرعونى تاميرى ومنها صارت دميرة القرية من دمياط ومعنى اسمها «مصر».

فلمـا وصلنا إلى خيـمـتـه خـرج إلينا السـياف وهو مـخـوف جـدا فعـاد معنا بامـر الملك، فلما نظر إلينا قال: من هو فيكم البطرك؟ فقيل له هذا، فأمر أن يقـدمـوه إليـه، وسلمسو أبى إلى جند يأكلون لحـوم الناس، وأفردونا ناحيه.ثم طرح الأب أنبا مويسيس على ركبه ورفعو رجليه إلى فوق وضربوه بدبابيس نحاس على أجنابه وعلى رقبته، وكانو يقولون له : أعطنا برطيلا ونخليك. فلم يقل لهم كلمة واحده لنه [لأنه] ما يعرف ما يقولون إلا ما كنت أنا افهمه

والبـجـوم[1]. فأتى الخبر يزيد بن حاتم، فعقد لنصر بن حبيْب المهلى على أهل الديوان ووجوه أهلِ مصر. فخرجوا إليهم فقتلتهم[2] القبط. فطَعن محمد بن عبدالرحمن بن معاوية بن حُدَيج حتى سقط. وطُعن نصر بن حبيب طعنتين. وقُتل عبدالجبّار بن عبدالرحمن. وألقى توبة الخولانى النار فى عسكر القبط. وانصرف الجيش إلى الفسطاط منهزمين.

ثمّ صُرفَ يزيد بن حاتم عنها. ورد عليه كتاب أبى جعفر بذلك فى شهر ربيع الآخر[3] سنة اثنتين وخمسين ومئة. فكانت ولايته عليها سبع سنين وأربعة أشهر.

٤١ ـ عبدالله بن عبدالرحمن(*)

ابن معاوية بن حديج بن جفنة بن قتيرة بن حارثة

ابن عبد شمس بن معاوية بن جعفر بن أسامة بن سعد ابن تجيب

ثم وليها عبدالله بن عبدالرحمن بن معاوية بن حُدَيج، من قبل أمير المؤمنين أبى جعفر، على صلاتها، يوم السبت لثنتى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين

---

(١) البجوم: من أعمال الدنجاوية من مصر السفلى، وأرض كانت بقرب أدكو. ويميل «ر» إلى أنها التخوم: وهى كلمة قبطية تعنى مصر، فيما يقول ياقوت.
(٢) كذا فى ص . وفى ر: فبيتهم وفى خـ: فبتهم.
(٣) ك: ربيع الأول.
(*) الخطط ١ : ٣٠٧، والنجوم ٢ : ١٧، وحسن المحاضرة ٢ : ١٠.

من كلامهم وأقوله له كلمه بعد كلمه، وكان
ساجدا على الأرض يصلي ويشكر ويدعو إلى الله
أن يجعله مستحقا أن يتألم من أجل بيعة الله. ولم
يخاطبوني أنا بلفظه واحده لأنهم كانو ينظرون
لباسي زريا.

وكان الأب القديس أنبا «خايل» البطرك قايما
ووجهه إلى مروان وكان ينظر نحو مصر
[الفسطاط] وينظر اعداه والخراسانيون ينظرون إليه

ومئة. فلم يُولّ على الشَرَط أحداً، ولكن جعل على التابوت عليّ بن زيدان التّجيبي، ثمّ عزَله فولاّه محمد بن يعفر المعافريّ، ثمّ عزَله فولاّه عمران بن سعيد الحُجريّ[1]، ثمّ عزَله فولاّه رجلاً من الموالي يكنى أبا المجيب[2].

وحدثني ابن قديد قال: حدثني عبيدالله بن سعيد، عن أبيه قال:

قال المَيْسَريّ: كان عكْرِمة بن قَحْزَم على شرطة أبي عون، فخطبَ وعليه رداء نارنْجيّ[3]. وكان ابن بَحير على شرطة ابن الأشعث يخطب في قميص وساج[4]. فأوّل من خطب في السواد عبدالله بن عبدالرحمن بن معاوية ابن حُديج.

وخرَج عبدالله بن حُدَيج إلى أمير المؤمنين أبي جعفر، لعشر بقين من شهر رمضان سنة أربع وخمسين ومئة، واستخلف أخاه محمداً عليها. ورجع في آخر سنة أربع.

وتوفي عبدالله بن عبدالرحمن، وهو واليها، يوم الأحد مستهلّ صفر سنة خمس وخمسين ومئة، واستخلف أخاه محمداً. فكانت ولايته عليها سنتين وشهرين[5].

---

(١) كذا في ر، وبلا نقط في ص، وإنما فقط تخميناً.
(٢) بلا نقط في ص. (٣) نارنجي: بلون النارنج.
(٤) الساج: الطيلسان الأخضر. وفي ر: ساج (؟).
(٥) ن: ثلاث سنين تنقص أياماً.

والمصريون على شاطى البحر جميعهم يشتمون مروان كما قلنا انفا، وإذا بواحد من الخراسانيين رمى بنشابه إلى البر الغربى ونحن ننظره، وكانو بقية النصارى بمصر قالو للخراسانيين: هذا أبونا البطرك عند مروان الكافر وما ندرى ما يصنع به. وكانو البشامره قد لقوهم من الفرما وقالو للخراسانيين: أن بطركنا قد أخذه مروان ليقتله بسبب اننا قاتلناه وقتلنا عسكره قبل مجيكم وكان

---

٤٢. محمد بن عبدالرحمن(*)

ابن معاوية بن حديج بن جفنة بن قنبرة

ثمّ وليها محمد بن عبدالرحمن، باستخلاف أخيه له. فأقرّه أمير المؤمنين أبو جعفر على صلاتها[1]. فجعل على شرطه العبّاس بن عبدالرحمن التجيبى، من بنى الفصال. وجعل أبا ميسْرة عبدالرحمن بن ميسرة مولى حضْر موت على التابوت. ثمّ توفى محمد بن عبدالرحمن، وهو واليها، ليلة السبت للنصف من شوال سنة خمس وخمسين ومئة. فكانت ولايته عليها ثمانية أشهر ونصفاً. واستخلف موسى بن علَىّ بن رباح.

٤٣. موسى بن علَىّ بن رباح اللخمى(*).

ثم وليها موسى بن علَىّ بن رباح باستخلاف محمد بن حُديج له. فأقرّه أبو جعفر على صلاتها. فجعل على شرطه أبا الصهباء محمد بن حسّان الكلبى.

(*) الخطط ١: ٣٠٧، والنجوم ٢: ٢٣، وحسن المحاضرة ٢: ١٠.

(١) ن (٢: ٢٣): والخراج.

(*) ذكر ابن حجر فى التهذيب أن على بن رباح كان يميل إلى تصغير اسمه، وذكر الذهبى (المشتبه ٣٧٠) فى المشتبه أن ابنه موسى كان يكره تصغير ابنيه، وقيل فى هامشه: «قال الخطيب: يقال: إن أهل العراق كانوا يضمون على بن رباح، وأهل مصر يفتحونها...» وترجمته فى الخطط ١: ٣٠٧، والنجوم ٢: ٢٥، وحسن المحاضرة ٢: ١٠.

حـوثره الكافـر عند مـروان يقـول لـه: هذا البطـرك كان يقول [للنصارى] تقوو فان الله ينزع المملكه من مروان ويسلمها لاعدايه، ومثل هذا كثيرا.

فلمـا سـمـع مـروان هذا قـال [على لســان] ترجـمـانه للأب البطرك: انت بطـرك اسكندريه؟ وذلك عن قـول مـروان فـقـال: أنا عـبـدك نعم. وأنا سـمـعت منه هذا لأنى كنت قـريبـا منه. فـقـال له مـروان: قل لى أنـت ريس أعـدا مـذهبنا. فـأجـابه البطرك القديس وقـال: ما أنا ريس أشـرار بل اخيار

وفي ولايته خـرَج القـبط ببَلْهيب[1]. في سنة ستّ وخمسين. فعقد موسى لعبدالله بن المهاجر بن عليّ... حليف بني عامر بن عدى بن تجيب. فخـرَج في الجند إلى بلهيب فهزم القبط.

وأخبرني ابن قديد، عن يحيى بن عثمان قال:

أخبرني أبو يحيى الصدفي قال: رأيت موسى بن عليّ يخطبُ على منبر صغير خارج من المقصورة. قال: وكان موسى بن عليّ يروحُ إلى المسجد ماشياً، وأبو الصهباء صاحب شرطه بين يديه يحمل حربته. قال: وكان أبو الصهباء إذا أقامَ الحدود على من تجب عليه. يطّلع عليه موسى بن علي، فيقول له: يا أبا الصهباء، ارحم أهل البلاء. فيقول: أيها الأمير. إنّه لا يصلح الناس إلاّ بما يفعَل بهم.

حدثنا أسامة قال: حدثنا أحمد بن سعد[2] بن أبي مريم قال:

سمعتُ الفضل بن دُكين قال: أتينا موسى بن عليّ بمنًى. فلما دخلتُ عليه قلت: بلغني أنـك وليــت لأبي جعفر؟ قال: نعم، والله ما رأيت أبا جعفَر قطّ، ولا فرِقت أحداً فرقى منه، وان لله عليّ الاّ ألي ولاية أبداً.

---

(١) محلها اليوم فزارة التى بمركز المحمودية من البحيرة. وكذا هي في خـ (١: ٧٩)، ر. وهو الصواب. وجاءت محرفة في الأصل وغيره من الكتب. وانظر فتح العرب لمصر بتلر ٢٨٩.
(٢) كذا في ر، س، ورواة ابن إسحاق ١٩. وفي ص: سعيد.

وشعبى ليس يعمل سو لكن التعب اهلكهم حتى أباعو اولادهم. ولم اسمع بعد هذا كلمه أخرى من فمه. ثم أمر مروان الأعوان الذين يمسكونه أن يمد إليه أيديهم بسرعه وينتفو شعر لحيته من عارضيه ورمو شعره في البحر، وأنا أنظره بعينى يعوم على الما، وكانت لحيته كبيره حسنه نازله على صدره مثل لحية يعقوب إسرايل. وكانو الخراسانيون في البر الشرقى ينظرون ما يعمل به، فلو وجدو سبيلا يعدون إلى مروان لكانو يقتلونه لما رأوه من

حدثنا أحمد بن محمد بن سلامة الأزدى قال: حدثنا نصر بن مرزوق قال:

حدّثنا عبدالله بن صالح قال: كان موسى بن علىّ يحدّثنا، وهو أمير مصر، وهو داخل المقصورة، ونحن من ورائها، إذ جاءه غلام أسود فقال: أصلح الله الأمير! إن مولاى ضربنى البارحة، فقلتُ: والله لآتين الأمير موسى ابن عُلىّ. فقال له موسى ابن علىّ: رحمك الله! فجعل الأسود يكرّر عليه: ابن عُلىّ، وهو يقول: ابن علىّ، لايزيده على ذلك.

وتوفى أمير المؤمنين أبو جعفر يوم السبت لستّ خلون من ذى الحجّة سنة ثمان وخمسين ومئة، وبويع محمد بن عبدالله المهدىّ. فأقرّ موسى بن علىّ عليها، إلى يوم الاثنين لثلاث عشرة بقيت من ذى الحجّة[1] سنة إحدى وستّين ومئة. فكانت ولاية موسى بن علىّ عليها ستّ سنين وشهرين.

٤٤. عيسى بن لقمان الجمحى(*)

ثمّ وليها عيسى بن لقمان الجمحى، من قِبَل أمير المؤمنين المهدى، على صلاتها وخراجها. فقدمها يوم الاثنين لثلاث عشرة بقيت من ذى الحجّة سنة إحدى وستّين ومئة. فجعل على شرطه ابن عمّ له يقال له الحارث بن الحارث من بنى جمح.

---

(١) ن (٢: ٢٧): ذى القعدة.

(*) الخطط ١: ٣٠٧، والنجوم ٢: ٣٧، وحسن المحاضر ٢: ١٠.

ظلمه وقساوة قلبه، ولكن لم يجدو مراكب يعدون فيها بالجمله.

ولم يكن البحر زاد شيا إلى أول مسرى وكان البحر الغربى قد نشف بغير ما[ء] والبحر الآخر الشرقى كان فيه مواضع قله مخاضات ولم يكونو الخراسانيون يعرفونهم، وكان مروان قد حرس عليها لمعرفته بها ولا يقرب مركب من ناحية الغرب إلى مصر. ثم جازت الساعه السادسه ذلك

حدثنا ابن قديد، عن عبيدالله بن سعيد،

عن أبيه قال: كان الحارث بن الحارث الجمحي عاملاً مع أبي ضَمْرَة صاحب الخراج فحبسه، فقدم عيسى بن لقمان فخلاه واستعمله على شرطه. فكان خليفة أبي مَيْسَرَة مولى حضر موت. قال: وقال عيسى بن لقمان: قال لي المهدى حين ولاني مصر: قد وَلّيتك عمل عبدالعزيز بن مروان وصالح ابن عليّ.

فولّيها عيسى إلى أن صُرِفَ عنها لثنتي عشرة بقيت من جمادى الأولى سنة اثنتين وستّين ومئة، وليها أربعة أشهر[1].

٤٥ . واضح مولى أبي جعفر[*].

ثمّ وليها واضح مولى أبي جعفر. من قبل المهدى. على صلاتها وخراجها؛ دخلها يوم الثلاثاء لستّ بقين من جمادى الآخرة[2] سنة اثنتين وستّين ومئة. فجعل على شرطه موسى بن زُرَيق[3]. مولى بني تميم. ثمّ صُرِفَ في شهر رمضان سنة اثنتين وستّين ومئة[4].

---

(١) ن: فكانت ولاية عيسى هذا على مصر نحو خمسة أشهر. وهو الأصح.

(*) الخطط ١ : ٣٠٧، والنجوم ٢ : ٤٠، وحسن المحاضرة ٢ : ١٠.

(٢) خـ، ن جمادى الأولى، وهو أصح. (٣) كذا في ر عن ن. وفي ص: رزيق.

(٤) ن: فكانت ولاية واضح هذا على مصر نحو أربعة أشهر، وقال صاحب البغية: ثلاثة شهور. والحق أنها نحو ثلاثة أشهر ونصف.



اليوم والأب البطرك قايم بين يديه أمرد بغير لحيه، وأبى مويسيس فى العقوبه التى ذكرناها أولاً إلى الوقت المذكور. وفتح الرب محب البشر عينى قلبه ونظر [ابا مويسيس] الشهيدين سرجيوس وواخس ونعمة الله حايطه بهما فى شبه فارسين من جند الملك عدو البحر وهما راكبان خيولهما، ولم يشاهدهما أحد سواه وحده حتى وقفا مقابل وجه مروان فقالا له: ما قعادك هاهنا وقد عدو أعداك إلى الغرب؟. ولم يشاهدهما أحد إلا أبى الاسقف

---

٤٦. منصور بن يزيد بن منصور الرعينى (*)

ثمّ وليها منصور بن يزيد الرعيني، وهو ابن خال المهدىّ، من قبل المهدى، على صلاتها. فوليها يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة اثنين وستّين ومئة. فجعل على شرطه هاشم بن عبدالله بن عبدالرحمن بن معاوية بن حُديج، ثم صرفه وولّي عبدالأعلى بن سعيد الجَيْشاني، ثمّ عزله وولّى عسّامة بن عمرو المعافرى. ثم خرج منصور إلى الإسكندريّة، واستخلف عليها عسامة بن عمرو.

فحدثنى ابن قديد، عن عبيدالله بن سعيد،

عن أبيه قال: لما ولى عسامة شرط ابن يزيد بن منصور، ذُكِرَ ذلك لابن بَحير فقال: خليفة صاحب الشرط؟ فقالوا: لا، ولكن على الشرط. فاستعظم ذلك.

ثمّ صرف منصور عنها للنصف من ذى القعدة[1]. سنة اثنتين وستّين ومئة؛ كان مقامه عليها شهرين وثلاثة أيّام.

(*) الخطط ١: ٣٠٧، والنجوم ٢: ٤١، وحسن المحاضرة ٢: ١٠.

(١) خـ: ذى الحجة. خطأ، لأنه تولى شهرين، من ١١ رمضان (وشوال) إلى نصف ذى القعدة.

أنبا مويسيس ومروان لا غير، وكان الأب البطرك مع الأعوان يعذبونه، ثم ذهبا الشهيدان القديسان.

ورحل مروان وأمر الحشود أن تلحقه وأمر أن نحفظ إلى الغداه، فاقمنا بقية ذلك اليوم على شاطى النيل ونحن فى الشمس كما أمر الجند حتى ظننت ان أبى مايعيش إلى مغيب الشمس من شدة العذاب الذى عذبوه. فلما كان بالغداة باكرا كان معنا أساقفه ورهبان من وادى هبيب جا[ء]و

---

٤٧ . يحيى بن داود الخرسى(*)

الشهير بابن مَمْدود

ثمّ وليها أبو صالح الخرسى يحيى بن داود، من قبل المهدى، على صلاتها وخراجها. قدمها فى ذى الحجّة سنة اثنتين وستّين ومئة. فجعل على شرطه عمامة بن عمرو. وكان أبو صالح وأخواه سعيد وأبو قدامة عبيداً لزياد بن عبدالرحمن القُشيرى. وكان أبوهم داود تركيّاً، وأمّهم خالة ملك طَبَرِسْتان. وكان أبو صالح من أشدّ الناس سلطاناً، وأعظمهم هيبة، وأقدمهم على دم، وأنهكهم عقوبة. ولمّا ولى مصر منعَ من يغلق الأبواب بالليل، ومنعَ أهل الحوانيت من غلقها، حتى حطوا عليها شرائج(١). القصب تمنع الكلاب منها. ومنعَ حرّاس الحمامات أن يجلسوا فيها. وقال: من ضاعَ له شيء فعليّ أداؤه. فكان الرجل يدخل الحمام فيضع ثيابه، ويقول: يا أبا صالح، احفظها. فكانت الأمور على هذا مدّة ولايته.

وحدثنى ابن قديد قال: حدثنى يحيى بن عثمان قال:

(*) كذا فى ر، ن عن المشتبه للذهبى نسبة إلى خراسان. وفى ص: الجرشى. وفى ط، ث: الحرشى. وترجمته فى الخطط ١ : ٣٠٧، والنجوم ٢ : ٤٤٠، وحسن المحاضرة ٢ : ١٠.

(١) الشرائج: جمع شريجة، وهى باب من القصب يعمل للدكاكين.

لينظرو ما فعلو بنا، فجا[ء]و الأخر [كذلك] معنا، ثم جا[ء] مروان لأنه كان راكبا وجلس وأمر باحضارنا باكر، فلما طلعت الشمس أحضر سيافا واحضر ابانا أنبا خايل وحده ليدخل به إليه، فمسك السياف يده ودخل به وقال لنا: قفو حتى يستدعيكم. فصرخ أبى أبا مويسيس وقال: حى هو الرب لافارقت أبى أبدا لكن اتبعه إلى كل مكان يمضون به إليه. فأسرعت أنا أيضا معهما لاعلم ما يعمل فيهما . فلما رأى السياف قال له: ما أمر

حدّثني حرملة بن يحيى قال: كان الذى أخذ أهل مصر بلبس القلانس الطوال، فى الدخول فيها على السلطان[1]، يوم الاثنين والخميس. قال: يحيى ابن داود الخرسى أخذ بذلك الفقهاء والأشراف وأهل البيوتات[2]. قال يحيّى: وكان أبو جعفر المنصور إذا ذكر الخرسى قال: هو رجل يخافنى[3]. ولا يخاف الله.

فوليها أبو صالح إلى المحرم سنة أربع وستّين ومئة[4].

٤٨ . سالم بن سوادة التميمى(*)

ثمّ وليها سالم بن سوادة التميمى، من قبل المهدى، على الصلاة. وقدم معه أبو قطيفة[5]. إسماعيل بن إبراهيم مولى لبنى أسد على الخراج، وذلك يوم الأحد لاثنتى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة أربع وستّين ومئة. وإنّما ذكرنا إسماعيل هاهنا لأن كثيراً من الناس يظنونه ولى صلاتها. فجعل سالم على شرطه الأخضر بن مروان البصرى.

---

(١) خـ: والدخول بها على السلطان... بلا أردية. وكذا فى ن.
(٢) خـ: وأهل النوبات.
(٣) كذا فى ن، رعن خـ. وفى ص: جافى.
(٤) ن: فكانت ولايته على مصر سنة وشهراً إلا أياماً، وقال صاحب البغية: سنتين وشهراً، والأول أثبت.
(*) الخطط ١ : ٣٠٧، والنجوم ٢ : ٤٦، وحسن المحاضرة ٢ : ١٠.
(٥) وكذا فى ن. فى خـ: أبو قطيعة.

الملك الا بدخول البطرك وحده. فقال له الأسقف: قد قلت لك اني ما أقدر أن أفارق أبي بالجمله وانما جيت هاهنا بسببه فمهما أردت أفعل فما أفارقه. فغضب السياف وقال له بحنق: ما يجوز مخالفة الملك، وأنت فما تسمع؟ و كان في يده دبوس نحاس يكون وزنه عشرين رطلا فشال الدبوس ليضرب أبي على رأسه، فقدم رأسه إليه، فلما أراد أن يضربه صاحو عليه جماعه من أصحابه المستخدمين ولم يدعوه ان يضربه، وكان

ثمّ صُرِفَ سالم بن سوادة عنها سَلْخَ ذى الحجّة سنة أربع وستّين ومئة. وليها سنة[1].

حدثنى ابن قديد، عن عبيدالله،

عن أبيه قال: كان يقال لسالم بن سوادة: سالم بن الذّؤابة، وكان أجدع جدعته[2]. اليمانية.

٤٩ . إبراهيم بن صالح(*).

ابن علىّ بن عبدالله بن عبّاس

ثمّ وليها إبراهيم بن صالح بن عبدالله بن عبّاس، من قبل المهدى، على صلاتها وخراجها. قدمها يوم الخميس لإحدى عشرة خلت من المحرم سنة خمس وستين ومئة. فجعل على شرطه عسامة بن عمرو. فاستخلف عسامة على الشرط يزيد بن خالد بن مسعود النخلانى[3]. من

(١) ن: فكان مقامه بمصر سنة إلا ثمانية عشر يوماً.
(٢) كذا فى ر، وقال: فى الأصل: أجدع جلعته. وليس بصواب.
(*) الخطط ١ : ٣٠٧، والنجوم ٢ : ٤٩، وحسن المحاضرة ٢ : ١٠.
(٣) ر: الحلانى: بدون نقط.

جميع العسكر يقولون بلسانهم ولغتهم: حقا أن هذا الأسقف نعم الخادم لربه. ثم جا[ء] رسول آخر قايلا: أدخلو بجميعهم فقد استدعاهم الملك، فدخلنا جميعا فكان مروان جالسا على شاطى البحر فتقدم أولا الأب الطوباني وحده كما أمر مروان واوقفه بين يديه نهاره أجمع نحو عشر ساعات ووجهه إليه، وكان قلبه عند المسيح ويداه مبسوطتان و جوارحه تدعو ويصلب على وجهه ولا يخاف من الملك لبغضه لعلامة الصليب فلم

الكُلاع. فمات يزيد، فاستخلف عليها عسامة على الشرط أيضاً محمد بن سعيد بن عامر الصدفي. فمات، فاستخلف عسامة أيضاً عمار بن مسلم بن عبدالله بن مَسرّة الطائي منى الغوْث.

وابتنى إبراهيم بن صالح داره العظمى، المعروفة اليوم بدار عبدالعزيز التي في الموقف[١]. ثمّ وهبها عند خروجه لآل عبدالرحمن بن عبدالجبّار.

وخرَجَ دِحْيَة بن معصب[٢] بن الأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان، بصعيد مصر، ونابذ، ومنعَ الأموال، ودعا إلى نفسه بالخلافة[٣]. فبلغَ ذلك إبراهيم ابن صالح فتراخى عنه ولم يحفل بأمره حتى ملك عامة الصعيد. فبلغَ ذلك المهدى فسخطَ على إبراهيم بن صالح، وعزله عزلاً قبيحاً. فوَليها إبراهيم إلى أن صُرِفَ عنها يوم السبت لسبع خلون من ذى الحجّة سنة سبع وستّين ومئة، وليها ثلاث سنين[٤].

(١) كذا في خـ، ن، ر. وهي بقعة مشهورة في خطط الفسطاط. وفي ص: الوقت.
(٢) كذا في خـ، ن، ومضى. وفي ر هنا: مصعب.
(٣) كذا في ر. وفي ص: الخلافة.
(٤) ن: إلا أياماً.

يخاطبه بكلمة واحده، وكان حوله عدة سيوف مسلوله والات الحرب. فأما نحن فأمر أن يجعلونا على يساره في ناحية مفرده، وأمر أيضا باحضارنا وتسليمنا إلى قوم أخرين غير الذين جابونا من اسكندرية، فسلمونا إلى قوم كأنهم الوحوش. وأمر رجلا من أصحابه مقدم رجال عنده اسمه يزيد كان شجاعا أكثر من كل من عنده ان يتسلمنا. وكان عددنا في ذلك اليوم عشره سوى الأب البطرك انبا خايل، فجعل مع كل واحد منا تلتة

---

٥٠. موسى بن مصعب الخثعمي(*)

ثمّ وليها موسى بن مصعب. من قبل المهدى، على صلاتها وخراجها. قدمها يوم السبت لسبع خلون من ذى الحجّة سنة سبع وستّين. فجعل على شرطه عسامة بن عمرو.

وأمرَ موسى بإبراهيم بن صالح أن يُردَ إلى مصر. فرُدّ إليه من الطريق. وكان المهدى قد أمره بإصفاء[١] أموال إبراهيم، وأخذ عماله. فاستخرج منهم ثلاث مئة ألف دينار. ولم يزَل إبراهيم مقيماً بمصر حتى لم يبقَ له عامل إلاّ صار في يدى موسى بن مصعب. ثمّ كتب المهدى يأذن لإبراهيم فى الانصراف إلى بغداد.

وتشدّد موسى بن مصعب فى استخراج الخراج. وزاد على كلّ فدّان ضعف ما تُقُبّل به[٢]. ثمّ عاد موسى إلى الرشوة فى الأحكام. وجعل خرْجا[٣]. على أهل الأسواق وعلى الدواب. وقال الشاعر:

(*) الخطط ١ : ٣٠٨، والنجوم ٢ : ٥٤، وحسن المحاضر ٢ : ١٠.

(١) إصفاء أمواله: مصادرتها.

(٢) كذا في ر. وفي ص بدون نقط التاء. وفي خـ: يقبل به. وفي ن: وزاد على كل فدان ضعف ما كان أولا. وفي العبارة نظر إلى كلام الخطط عن متقبل البلاد (خـ١ : ٨٢).

(٣) كذا في خـ: وفي ر: خراجا. وفي ص: خراجها. وفي ن: ثم رتب دراهم على أهل الأسواق وعلى الدواب.

من الجند وضيقو علينا جدا، فلما حميت الشمس أعد لنا ذلك الامير آلات العذاب مختلفات لأنهم لم يتفقو على قتله يقتلونا بها، ثم سألنا انا وأبى مويسيس الأب البطرك أن يقول علينا صلاة التحليل كقانون البيعه ففعل ذلك، ثم قلنا على بعضنا بعضا وصغيرنا يقول للكبير: أن وجدت رحمة عند المسيح أذكرنى . وحولنا وجوهنا إلى الشرق وصلينا والناس ينظرون إلينا من البر الشرقى والغربى وجماعه من المسلمين يبكون علينا. وكان

لَوْ يَعلَمُ المَهْدىّ مَاذا الذى | يَفعَلُهُ مُوسى وأيّوبْ
بأرْضِ مِصْرَ حينَ حَلا بهَا | لَمْ يُتّهَمْ فى النّصْحِ يعقُوبْ

كاتبه ابن داود[١].

وأظهر الجند لموسى الكراهة والشنآن. وبعث عمّالاً على الحوْف. فاخرجهم أهل الحوف. ونابذوه. وعقدت قيس واليمانية حلفاً فيما بينهم. وولوا عليهم معاوية بن مالك بن ضمضم الجذامى ثمّ الجروى[٢]. وكلموا[٣]. أهل الفسطاط من الجند، وخوّفوهم الله، وذكروا لهم ما أتى موسى إليهم. فأعطاهم الجند من أهل مصر العهود والمواثيق: أن ينهزموا[٤]. عنه إذا خرج إليهم، فلا يقاتلون معه. وتحالفوا هم وأهل الفسطاط على ذلك.

وعقد موسى بن مصعب لعبدالرحمن بن موسى بن عُلَى بن رباح اللخمى، فى خمسة آلاف من أهل الديوان. وبعث بهم إلى الصعيد فى طلب دحية بن مصعب. وأمره أن ينزل

---

(١) يريد كاتب المهدى يعقوب بن داود.
(٢) كذا فى ر نسبة إلى جرى بن عوف، المنسوب إليه عبدالعزيز بن الوزير الذى يكثر ذكره فيما يأتى. وفى ص: الحروى.
(٣) خـ، ن: وكاتبوا. ولعلها أصح.
(٤) ر: أنهم ينهزموا.

ولد مروان الكبير اسمه عبد الله باكيا علينا أيضا مع الناس فتطلع مروان إلى البر الشرقى فراى الخراسانيين فى كثره فقلق لذلك، وكان يقول: كيف أقاتلهم؟ ولم يدر ما يفعل وكان عبد الرحيم الكافر المذكور أنفا عرف [الاطن والدهانات] الذى لطخ به المراكب فامتنعت النار عنها(*)، فلطخ المراكب [وفعل هذا أيضا عدة مراكب] وحمل على كل مركب ثمانين رجلا وأمر أن يقاتلو الناس فرمو عليهم النيران ومهما وجدو من المراكب

(*) أختراع دهان للمراكب يمنع النيران الاغريقية من حرقها.

بالشرقية[١]، وكان دحية بها. فلمّا سارَ عبدالرحمن، عَدّى دحية النيل وصار فى غربيّه، وملك أكثره. وولّى دحية على الشرقية يوسف ابن نُصَير بن معاوية بن يزيد بن عبدالله بن قيس التّجيبى. فكان يوسف يُغير على عبدالرحمن بن موسى بن عُلَيَ. فاستخلف عبدالرحمن على جيشه بكّار بن عمرو، أخا عسامة بن عمرو. وسألَ أن يُعفَى. فأعفى[٢].

ومضى موسى بن مصعب فى جند مصر كلهم، وفيه وجوه الناس. فساروا حتى نزلوا الغُرَيراء[٣]. وأقبل إليهم أهل الحوف يَمَنُها وقَيْسُها. فلمّا اصطفوا ونشبت بينهم الحرب، انهزمَ أهل مصر بأجمعهم، وأسلموا موسى ابن مصعب. فبقى فى طائفة يسيرة ممّن كان قدم بهم فلم يثبت معه أحد من أهل مصر إلاّ خالد بن يزيد بن إسماعيل التجيبى، وكان صاحب أمره والمستولى عليه. وا[قُتل][٤] موسى بن مصعب، قتله مهدى بن زياد المهرى ثمّ أحد الصيعر[٥]. وعاد أهل مصر [إلى][٦] الفسطاط لم يُكلّم منهم أحد[٧]. وبلغَ المهدى مقتله

(١) يريد الضفة الشرقية من النيل.
(٢) ر: فعفى.
(٣) كذا فى ى، وهى من الحوف. وفى ر: العريرا.
(٤) زيادة ضرورية عن ر. (٥) ر: الصعر، ولعلها كما أثبته.
(٦) زيادة عن ر.
(٧) خـ: من غير أن يتكلم أحد من أهل مصر. ومثله فى ن. وهو تحريف.

[الاخرى] أحرقوها ووصل مركب إلى البر الشرقى كان فيه صالح وأبو عون ومن معهما فانقلب به المركب فغرق جميع من فيه خلا رجلا واحد، ويلقطون المصريون [البشامره] الموتى [الغرقى] واخذو ما عليهم وما كان لهم من عدة ومال، والأحيا الذين لم يغرقو استاسروهم وربطوهم بسلاسل الحديد في حلوقهم وجذبوهم الى البر وسلموهم إلى الخراسانيين. وكانو الخراسانيوس قد جابو مراكب عده إلى مصر. فلما جازت عشر

فقال: نُفيت من العباس [أو] لأفعلنَ بمهدىَ[١]. ولأفعلنَ بأهل الحوف كذا وكذا. فمات المهدىَ قبَل أن يبلغ فيهم شيئاً.

وكان قتل موسى بن مصعب بالغريراء يوم الأحد لتسع[٢] خلون من شوال سنة ثمان وستين ومئة. فكانت ولايته عليها عشرة أشهر. قال سعيد بن عفير، يذكر أهل الحَوْف:

أَلَمْ تَرَهُمْ أَلْوَتْ بموسَى سُيوفُهم — وَكَانَتْ سُيوفاً لا تَدينُ لِمُتْرِف
فَمَا بَرِحَتْ فِيه تَعُودُ وتَبْتَدى — إلى أنْ تَرَوَّى منْ حمامٍ مُدنَّف[٣]
فأصْبَحَ من مصرٍ وَما كانَ قد حَوَى — بمصرٍ منَ الدُّنْيا سَلِيباً بنَفْنَف[٤]
ولَكِنَّ أَهْلَ الحَوْفِ لله فِيهِمِ — ذَخائرُ إنْ لا يَنْفد الدَّهرُ تُعرَف

وقُتلَ معه خالد بن يزيد التجيبى، وكان ظالماً. قال له عبدالحميد بن كعب ابن علقمة: تحبَ أن لك مئة ألف دينار وأنت من أهل النار؟ قال: لا. قال: فأنتَ من أهل النار وليس لك مئة ألف دينار.

---

(١) كذا في ر. (٢) ن: لسبع.

(٣) الحمام: قضاء الموت وقدره. ومدنف: مقرب للموت، ولعلها محرفة عن: مذفف، اى مجهز على المريض. ومال ر إلى أن العبارة محرفة عن: جمام مذرف.

(٤) النفنف: كل مهوى بين جبلين. وصقع الجبل الذى كأنه جدار مبنى مستو.

ساعات من ذلك اليوم تقدم إلى يزيد الذى نحن عنده أن [ياخذ الابهات الى بحرى] إلى جزيرة النزهات(*)[فى الاعتقال] فصلينا على حافه البحر فى الغيط، فلما مضو بنا يجرونا بحنق عظيم فنظر الرب سريرتنا وأمانتنا فالقا [الله تعالى] فى قلب عبد الله ولد مروان الكبير [رحمه فسال] أباه مروان وهو يبكى بدموع غزيره وساله أن يخلينا وقال: هو ذا ترى اعدانا محتاطين بنا ونحن مستعدون إذا اشتد بنا الأمر لأن نمضى إلى بلاد

(*) جزيرة النزهات: هى جزيرة الروضة.

وحدثنى ابن قديد، عن أبى نصر أحمد بن صالح، عن على بن سعيد،

عن سعيد بن أبى مريم قال: سمعتُ الليث بن سعد، وموسى بن مصعب يخطبُ الناس، وكان ظالمًا غاشمًا، فمرّ بهذه الآية: ﴿إنّا أعتدنا للظالمين نارًا أحاط بهمْ سُرادقُها﴾. فقال الليث، وموسى يخطب: اللهم لا تقه منها(١).

٥١. عسامة بن عمرو المعافرى(*)

ثمّ وليها عسامة بن عمرو باستخلاف موسى بن مصعب إيّاه. فكتب دحية ابن مُعصّب(٢) إلى يوسف بن نُصير بن معاوية التجيبى، يأمره بالمسير فى الشرقية إلى الفسطاط. فبعثَ إليه عسامة بأخيه بكّار بن عمرو. فالتقوا ببَرْكُوت من الشرقية، فتحاربوا يومهم أجمع. فنادى يوسف بن نصير بكارًا: يا ابن أمّ القاسم، اخرج إلىّ. فقال: ها أناذا، يا ابن وهبة. فقال: قد ترى ما الذى قُتل بيننا من الناس، ابرز إلىّ وأبرز إليك، فأيّنا قتل صاحبه كان الفتح له. فبرزَ بكار، فوضع يوسف الرمح فى خاصرته، ووَضَع بكار الرمح فى خاصرة يوسف. فقتل يوسف

---

(١) كذا ف ن. وفى ر، خـ: اللهم لا تمقتنا.

(*) الخطط ١ : ٣٠٨، والنجوم ٢ : ٥٧، ولم يذكره حسن المحاضرة.

(٢) ر: مصعب.

السودان وهم على ما قيل لنا أولاد [أتباع] هذا الشيخ [البطرك] فان قتلته فما يقبلونا بل يقومون علينا هم أيضا ويقتلونا.فلما سمع منه أعادونا إلى الاعتقال . وكان فى ذلك الموضع أربع حبوس فلما دخلو بنا لحبس استوتقو منا بالخشب والحديد ونحن تحت ضيق عظيم، وأول من قيد بالحديد الأب القديس البطرك وبعده الأسقف أنبا مويسيس وأنا ولده يحنس(*) الفقير البايس الشماس الذى وضع يده المقدسه على بغير استحقاق، ثم أسقف

(*) الراوى هنا هو الشماس يحنس (يوحنا).

بكاراً، وقتل بكّار يوسف. ورجع الفلّ من الجيشين جميعاً، وذلك لثلاث بقين من ذى الحجّة سنة ثمان وستّين ومئة.

وقد كانت ولاية الفضل بن صالح بن علىّ وردت مصر. فصُرف عسّامة عنها لثلاث عشرة خلت من ذى القعدة[١]. سنة ثمان وستّين ومئة. وورد كتاب الفضل باستخلاف عسّامة عليها، فخلفه إلى سلخ المحرم سنة تسع وستّين[٢]. ومئة[٣].

٥٢ ـ الفضل بن صالح بن على العباسى(*)

ثمّ وليها الفضل بن صالح، من قبل المهدى، على صلاتها وخراجها. دخلها يوم الخميس سلخ المحرم سنة تسع وستّين ومئة. فجعل على شرطه عسامة ابن عمرو. وكان مع الفضل عسكر من الجند عظيم، أتى بهم من الشام، على أهل قِنّسرين عنبسة بن سعيد الجرشى، وعلى أهل حِمْص جَهْم بن عبدالعزيز البَهْراني، وعلى أهل دمشق عاصم بن محمد بن سعيد،

(١) خـ، ن: ذى الحجة. وذهب صاحب النجوم إلى أن العزل كان بعد المعركة بأيام يسيرة، لا قبلها، كما يفهم من عبارة المؤلف.
(٢) ص: وثمانين. سهو.
(٣) ن: فكانت ولاية عسامة على مصر ثلاثة أشهر إلا أياماً.
(*) الخطط ١ : ٣٠٨، والنجوم ٢ : ٦٠، وحسن المحاضرة ٢ : ١٠.

طنبدا أنبا مينا كاتبه وأنبا زخارياس أسقف أتريب، وولده الروحانى أسقف بوصير واسمه بطرس الذى أخذ الكرسى فى تلك الأيام، والشماس جرجه ولد الأب الروحانى الذى أخذ كرسى البسراط(*)، واتناسيوس اراشيبابا بيعة أبى مقار، وأبا يعقوب الذى استحق أيضا أسقفية سنجار(*)، وأخوه الروحانى ولد الأب بطرس من سمنود، ونحن الأحد عشر جعلو فى رجل كل واحد منا طوبه حديد تقيله جدا يكون وزنها نصف خنجور

(*) البسراط: من المدن القديمة قرب فارسكور من ناحية المنزلة تكتب أحيانا البصراط والبسراطين.

(*) سنجار: اسم لمدينة بائدة اشتهرت باللحن السنجارى، وهو اسم لمدينة أخرى خربها العرب بعد ثورات البشمور ثم اعيد تأسيسها فى العهد المملوكى تحت اسم النجار أو كوم النجار.

وعلى أهل الأُرْدُنّ قُطْبة بن سعيد القَيْسْيّ(١)، وعلى أهل فلسطين زيادة بن فائد اللخمى. [و](٢) توفى المهدى فى المحرم سنة تسع وستّين ومئة، وبويع موسى بن المهدى، فأقرّ الفضل بن صالح بن علىّ عليها.

وقدم الفضل وهى تضطرم، لما كان من أهل الحوف، وخروج دحية بن معصب(٣). وذلك أن الناس تسرّعوا إلى دحية وكاتبوه، ودعوه إلى دخول الفسطاط. فعقد الفضيل بن صالح لسفيان القائد على الجند. وعقد لابن ذى هجران السيبانى(٤). على أهل مصر، فأقام بالجيزة. وعقد لابن زَبّان على القيسيّة. وبعث بالزّهرى فى البحر. فالتقى سفيان مع دحية بسُوَيط(٥). وكان صاحب أمر دحية كلّه فتح بن الصلت بن المغيرة بن ناشر الأزدى، من بنى الحارث بن زهران؛ كان جدّه ناشر حضرَ فتح مصر. وأقبل فتح يكرّ ويفرّ، لا يعرض له شىء إلاّ هَدّه(٦). فوقفَ له إبراهيم بن الأومر بن علىّ التجيبى(٧)، من بنى سَوْم ابن عدى بن

(١) كذا فى ر، وهو بدون فقط فى ص.

(٢) زيادة عن ر. (٣) ر: مصعب.

(٤) قال ر: لعله: الشيبانى. والسيبانى بالمهملة نسبة إلى بطن من مراد.

(٥) قرية بالصعيد قرب بوصير من مديرية بنى سويف الآن.

(٦) هذه: قطعة. وربما كانت محرفة عن هده أو هزه، وشك وأنها محرفة عن هزمه.

(٧) كذا فى ر، وقال: فى الأصل: اللخمى، ينافيه ما بعده. ولعله محرف عن: إبراهيم بن الأوس.

وجعلونا خلف تلتة أبواب خشب ليس ضو ولا هوا ولا راحه، وكنا واحد ينظر إلى الشرق وواحد ينظر إلى الغرب، وكان يغشانا الضيق أكتر من [القيود] الحديد حتى قاربنا الموت من الضغطه والرباط بغير رحمه. وأمر ذلك الملك الكافر مروان أن يضيق علينا. وكان الأب [البطرك] حزينا علينا أكتر من همه بنفسه، وكان يشجعنا بكلام الله والقوانين المقدسه التى لابابنا المقدمين. وكذلك ما كان أحد منا يخفى عن الآخر شيا وكنا كلنا نفسا واحده

تجيب، وبحر بن شراحيل التجيبى وهيّاج الأنبارى. فحملوا على فتح فقتلوه. فقهقر أصحاب دحية لمقتل فتح. ومضى دحية على حامية فى طائفة معه إلى طريق الواحات. فبعثَ إلى أهلها يدعوهم إلى القيام معه، وكانوا من المسالة[١] والبربر يتديّنون بالشراية[٢]، فقالوا: لا نقاتل إلاّ مع أهل دعوتنا. فبعثَ إليهم دحية: إنّا على مذهبكم. فخرجوا إليه وقاتلوا معه يوم الدير.

وأقبلَ عبدالله بن عليّ الحمى[٣]، فى جمع كثير بعثه الفضل بن صالح. فخرج إليه دحية فى أهل الواحات، فهزموا عبدالله بن عليّ. وقُتل يومئذٍ عبدالعزيز بن مروان بن الأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان. ووجد أهل الواحات على دحية فى إثارته العرب على الموالى، وتقديمهم على البربر. فقالوا له: هذا ظلم، والإسلام واحد، ولسنا نقاتل معك حتى نمتحنك بالبراءة من عثمان. فامتنع دحية وقال لهم: والله ما أرجو الجنّة إلاّ بالرّحِم بينى وبين عثمان. فانصرفوا عنه وتركوه. فعاد إليه عبدالله بن عليّ الجنبى لمّا علم انصرافهم عنه. فحاربهم[٤]، فقُتل يومئذٍ

---

(١) كذا فى ر.
(٢) الشراية: يريد مذهب الخوارج.
(٣) نال ر: مهمل فى الأصل ويحتمل: الجنبى، نسبة إلى بطن من مراد.
(٤) كذا فى ر. وفى ص: فجل بهم. تحريف.

كـمـا قـال بولس، ومنتظرين الأجل ونسل الله أن ياتى به سـرعـه لنجـعل نفـوسنا عن الشـعب ليـلا [لئـلا] يهلك واحـد منهم. وكـان الأب إذا تكلم يتكلم بمنطق روحانى كأنها قيثاره يخرج من فيه نسيم الحيـاه بتسـابيح روحانيـه، وكان مـواصـلا الصيام والصلاه نهارا وليلا.

فاما أبى مويسيس فأول ساعة دخلو بنا السـجن وقيدونا تنبى لنا وقال : ما يقتلونا فى هذه الدفعه

مروان بن عبدالملك بن أبى بكر بن عبدالعزيز بن مروان. وكانت نُعْم أمّ ولد دحية تقاتل قتالاً شديداً. فقال شاعر من أصحاب دحية[1]:

فلا تَرْجعي يا نُعمُ عن جيشِ ظالمٍ ... يَقُـودُ جُـيُـوشَ الظَّالمينَ وَيجنُبُ
وكُسرَى بنا طَرْداً عَلى كُلّ سـانحٍ ... إلَيْنَا مَنَايَا الكَافـرِينَ تُقَـرَّبُ
كَـيَـوْمٍ لَنَا لازلْتُ أذكـرُ يَوْمَنَا ... بفَـاوَ، ويَوْم فى بُوَيْط عَـصَـبْـصَبُ
ويومٌ بأعلى الدَّيْرِ كَـانَتْ نحـوسَـهُ ... عَلَى فيئَةِ الفَضْلِ بن صَالح تَنعَبُ

٥٣ . على بن سليمان العباسى(*)

ثمّ وليها عليّ بن سليمان، من قبل موسى الهادى، على الصلاة والخراج. دخلها فى شوال سنة تسع وستّين ومئة. فجعل على شرطه عبدالرحمن بن موسى ابن عليّ بن رباح اللخمى،

(١) سقط من الأصل الشعر، فأثبته عن معجم البلدان لياقوت. وتكملة الأخبار عن الخطط: «فسير العساكر حتى هزم دحية، وأسر، وسيق إلى الفسطاط. فضربت عنقه، وصلب فى جمادى الآخرة سنة تسع وستين. فكان الفضل يقول: أنا أولى الناس بولاية مصر، لقيامى فى أمر دحية وقد عجز عنه غيرى. فعزل وندم على قتل دحية. والفضل هو الذى بنى الجامع بالعسكر، فى سنة تسع وستين، فكانوا يجمعون فيه». وقيل فى النجوم: «وكان عزل الفضل عن إمرة مصر فى أواخر سنة تسع وستين ومئة المذكورة، فكانت ولايته على مصر دون السنة».

(*) الخطط ١ : ٣٠٨، والنجوم ٢ : ٦١، وحسن المحاضرة ٢ : ١٠.

ولا نخرج من الاعتقال ومروان فى الحياه وكان كما قال.

وكنا إذا أردنا أن نفطر كان انسان يعرف بابن يسطس [الشماس من بلبيس] ينفذ لنا ما نفطر عليه، وليس عندنا سعه نأكل ولا نقدر أن نلتفت يمينا ولا شمالا من الضيق.

وكان غلا عظيم فى بر الجيزه من كثرة الخلق، وكان القمح لا يوجد بالجملة والشعير كذلك بعد

[ثمّ عزَله][(١)] فولّى الحسن بن يزد بن هانيء الكندى. وتوفى موسى الهادى فى النصف من ربيع الأوّل سنة سبعين ومئة، وبويع هارون بن محمد الرشيد. فأقرّ علىّ بن سليمان عليها. وأظهر علىّ بن سليمان فى ولايته عليها الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، ومنع الملاهى والخمور. وهدم الكنائس المُحدَثة بمصر، فهدم كنيسة مريم الملاصقة لأبى شنودة، وهدم كنائس مَحْرَس قسطنطين. وبُذل له خمسون ألف دينار فى تركها فامتنع[(٢)]. وكان كثير الصدقة فى الليل. وكان أهل مصر مع هذا يرمونه بالقدَر، وذلك أنه استخلص[(٣)] رجلين متهمين بالقدر، وهما عبدالحميد ابن كعب بن علقمة التّنوخى، وهرِم بن سُلَيم بن عياض العامرى من قريش.

وقال يحيَى بن عثمان بن صالح: قدم إدريس بن عبدالله بن حسن بن حسن إلى مصر، وعلىّ بن سليمان عليها. فعلم بمكانه ولقيه سرّا، فسأله بالله والرحم إلاّ ستر عليه، فإنّه خارج إلى المغرب. فستر عليه، وأظهر علىّ بن سليمان أنّه تصلح له الخلافة، وطمع فيها. فسخط عليه هارون. فعزَله عنها يوم جمعة لأربع بقين من ربيع الأوّل سنة إحدى وسبعين ومئة[(٤)].

(١) زيادة عن ن (٢ : ٦٢).
(٢) أى امتنع عن أخذ الدنانير، وأصر على هدم الكنائس، كما يتضح من النجوم.
(٣) استخلص: أى اصطفاهما صديقين.
(٤) ن: فكانت ولاية على بن سليمان هذا على مصر نحو سنة وثلاثة أشهر، وقيل: أكثر مره.

أن كان بيع الوبيه بتمن عظيم وعند الضيقه صار الملح بسعره الأول.

ثم أن مروان بعد تلك البلايا التى فعلها فى كل مكان أمر من معه ان يقتلو وياسرو وينهبو [الناس]، ففعلو ذلك وانفذ إلى الصعيد وقتل جماعة النصارى. وكان المتولى لهذا الأمر من قبله رجلا يسمى مروان بن عبد العزيز الذى بنى حلوان وأخربو من منف إلى مدينة تاوضوسيا.

---

٥٤. موسى بن عيسى بن موسى العباسى(*)

ثمّ وليها موسى بن عيسى بن موسى بن محمد[١]، من قبل أمير المؤمنين هارون الرشيد، على صلاتها[٢]. فجعل على شرطه أخاه إسماعيل بن عيسى فسخط[٣] ذلك فعزله، وولّى عسامة بن عمرو. ثمّ أذن موسى بن عيسى للنصارى فى بنيان الكنائس التى هدمها علىّ بن سليمان. فبُنيت كلّها بمشورة الليث بن سعد، وعبدالله بن لهيعة، وقالا: هو من عمارة البلاد. واحتجا أن عامة الكنائس التى بمصر لم تُبْنَ إلاّ فى الإسلام فى زمن الصحابة والتابعين.

ثمّ صُرِفَ موسى عنها يوم السبت لأربع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة اثنتين وسبعين ومئة. فكانت ولايته عليها سنة وخمسة أشهر ونصفاً.

(*) الخطط ١: ٣٠٨، والنجوم ٢: ٦٦، وحسن المحاضرة ٢: ١٠.

(١) وكذا فى خـ، ن. وفى حاشية بخط غير الناقل: «هو موسى بن عيسى بن محمد بن على بن عبدالله ابن عباس الهاشمى، كذا نسبه القضاعى فى خططه».

(٢) ن: فقدم موسى إلى مصر فى أحد الربيعين من سنة إحدى وسبعين ومئة.

(٣) قال ر: يظهر أنه سقط بعد هذه لفظة نحو «الجند» أو غيرها. وليس ذلك بضرورى، فحتى أن يكون المراد ان موسى سخط سيرة أخيه، أو أن إسماعيل سخط تولى الشرطة.

فلما أراد الرب ينتقم منهم لم يصبر عليهم بعد ما افسدو واستباحو من النسا وافسدو من العذارى كتير، فجا قوم يعرفون مخايض البحر [النيل] فعرفو الخراسانيين بها ودلوهم عليها وعدو بهم إلى بر الغرب، وجعلو عسكرهم أربعة أجزا [ء] جزا [ء] مع رجل يسمى صالحا يحفظ مصر وجزا [ء] مع رجل اسمه أبو الحكم وكان كبيرا عند الملك، وجز[ء] في أسفل شطنوف(*) ونواحيها يمنع من يعدوه، وجز[ء] مع أبي عون نازلا على مخاضه قد

(*) شطنوف: كانت عند رأس الدلتا في ذلك الوقت. وقد ذكرها =

٥٥. مسلمة بن يحيى البجلى(*)

ثمّ وليها مسلمة بن يحيى البجلى، أخو جبريل بن يحيى، من قبل هارون الرشيد، على صلاتها[١]. دخلها في شهر رمضان سنة اثنتين وسبعين ومئة. في عشرة آلاف من الجند. فجعل على شرطه ابنه عبدالرحمن بن مسلمة بن يحيى ثمّ صُرف مسلمة عنها في شعبان سنة ثلاث وسبعين ومئة[٢]، وليها أحد عشر شهراً.

٥٦. محمد بن زهير الأزدى(**)

ثمّ وليها محمد بن زهير الأزدى، من قبل الرشيد، على صلاتها وخراجها، لخمس خلون من شعبان سنة ثلاث وسبعين ومئة. فجعل على شرطه جنك[٣] ابن العلاء، ثمّ عزله فولى عمار بن مسلم بن عبدالله الطائى أياما[٤]، ثمّ عزله وولى حبيب بن أبان بن الوليد البجلى. وثار الجند الذين[٥] يقال لهم «القديدية»[٦]. بصاحب الخراج عمر بن غيلان[٧].

(*) الخطط ١ : ٣٠٨، والنجوم ٢ : ٧١، وحسن المحاضر ٢ : ١٠.
(١) ن (٢ : ٧١): وخراجها. (٢) لكثرة الفتن في عهده (ن).
(**) ترجمته في الخطط ١ : ٣٠٨، والنجوم ٢ : ٧٤، وحسن المحاضر ٢ : ١٠.
(٣) كذا في ر عن أمراء مصر لو ستنفلدت. وفي ص: خنك. وفي ن: حنك.
(٤) لم يذكره النجوم. (٥) ر: الذى.
(٦) الذى في التاج: القديديون: تباع العساكر من الصناع كالحداد والبيطار وأمثالهم.
(٧) كذا في ر، خـ، ن، ق. وفي ص: عمرو بن غيلان.

نشفت، ثم أن مروان انفد حوثره ورجاله [اربعه مايه فقط] مقابلهم ليلا [لئلا] يعدو. فأما مراكب مروان فأخذوها الخراسانيون اللابسون الثياب السود الذين هدمو بيعه بدير الشهيد.

ونحن مع هذا كله فى سجن الجيزه فى الاعتقال والضيق مع من هو معنا. ولم يدع أحدا الخوف أن يسأل عنا ليلا يعاقبونا، لكن إذا أراد انسان أن يجى إلينا ليأخذ بركة الابا يدفع للموكل

=أملينو فى جغرافيته فقال: إن اسمها القبطى Schentnoufi وأنها وردت أيضاً فى كتب القبط باسم Schentouf ، ووردت فى كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه ، وفى كتاب المسالك لابن حوقل ذكرها على رأس الطريق البرى الموصل من شطنوف إلى رشيد، ووردت فى نزهة المشتاق شطنوف وفى نسخ أخرى شنطوف ، وقال: إن مدينة شطنوف واقعة على رأس الخليج (أى فرع النيل) الذى ينزل إلى

فى أعطياتهم، فصلبوه ودختوا عليه حتى دفع إليهم أعطياتهم. ولم يدافع عنه محمد بن زهير، فصُرف عنها فى سلخ ذى الحجة سنة ثلاث وسبعين ومئة؛ وليها خمسة أشهر(١).

٥٧. داود بن يزيد المهلبى(*)

ثمّ وليها داود بن يزيد المهلبى، فقدمها هو وإبراهيم بن صالح بن علىّ جميعاً؛ ولى داود صلاتها، من قبل الرشيد، وبعث إبراهيم بن صالح فى إخراج القُديدية عن مصر؛ دخلاها لأربع عشرة ليلة خلت من المحرّم سنة أربع وسبعين ومئة. فجعل على شرطه عمار بن مسلم الطائى. وأخرج إبراهيم القُديديّة(٢) من الفسطاط إلى المغرب والمشرق. وجعل منهم عاملاً فى البحر إلى الشام(٣). فظفرت بهم الروم فأسرتهم.

وفى ولاية داود بن يزيد توفى عبدالله بن لهيعة يوم الأحد لخمس خلون من جمادى الآخرة، فصلّى عليه داود. وتوفى بكر بن مُضر يوم عرَفة. فصلّى عليه داود أيضاً.

فولّيها داود إلى أن صُرف عنها لستّ خلون من المحرم سنة خمس وسبعين ومئة، فكانت ولايته عليها سنة ونصف شهر.

---

(١) ن: تنقص أياماً.
(*) الخطط ١ : ٣٠٨، والنجوم ٢ : ٧٥، وحسن المحاضرة ٢ : ١٠ .
(٢) خـ: العديدة. (٣) ن: المغرب.

بنا برطيلا [رشوه] كبيرا فيضيقون علينا أكثر كما فعلو باغناطيوس القديس الشهيد لما سلموه إلى عشره من الأسد. كذلك كانو إذا فعلو أخوننا معهم خيرا قد عذبونا أكثر. ثم أقمنا معه عشرة أيام وعشرة ليال هكذا، فلما نظر الشماس [يسطس] القارى الذى من بلبيس ما نحن فيه من الضيق اسرع ومضى إلى دير أبى مقار القديس بوادى هبيب وجميع الابا الرهبان القديسين وانتصبو للصوم والصلاه فى البيعه ليلا ونهارا

دمياط، ثم قال: وعندها ينقسم النيل إلى قسمين ينزلان إلى أسفل ويتصلان بالبحر (المتوسط) ، ومن هذا يتبين: أن شطنوف كانت على رأس الدلتا فى ذلك الوقت. وقال ياقوت فى معجم البلدان: هى بلد بمصر على بعد فرسخين من القاهرة، وعندها يفترق النيل إلى فرقتين، ثم قال: هو اسم مركب. وكان رأس الدلتا ينتهى عندها حتى منتصف القرن ١٦م حيث كان النيل يتفرع عندها إلى فرعين

---

٥٨. موسى بن عيسى العباسى(*)

الثانية

ثمّ وليها موسى بن عيسى الثانية، على صلاتها وخراجها. من قبل الرشيد؛ دخلها يوم الاثنين لسبع خلون من صفر سنة خمس وسبعين ومئة. فجعل على شرطه عبدالرحمن بن موسى بن علَيّ بن رباح.

وأمرَ موسى بالزيادة فى المسجد الجامع، زاد فيه الرحبة التى تقابل الصّيارفة اليوم، وهو نصف الرحبة المنسوبة إلى أبى أيّوب، وذلك فى شعبان سنة خمس وسبعين وسمئة.

وتوفى الليث بن سعد يوم الجمعة للنصف من شعبان سنة خمس وسبعين، وصلّى عليه موسى بن عيسى(١).

فولَيها موسى إلى أن صرفَ عنها لليلتين بقيتا من صفر سنة ستّ وسبعين ومئة، وليها سنة واحدة(٢).

(*) الخطط ١ : ٣٠٨، والنجوم ٢ : ٧٨، وحسن المحاضرة ٢ : ١٠.

(١) فى حاشية: «وفاة الليث بن سعد: وذكر ابن يونس فى تاريخه بسنده إلى يحيى بن بكير قال: سمعت الليث بن سعد يقول: ولدت فى شعبان سنة أربع وتسعين. قال: ومولده بقرقشندة».

(٢) ن (٢ : ٨٠): إلا أياماً قليلة. وسبب عزله أنه هم بالخروج على الرشيد.

صارخين للسيد المسيح أن ينظر إلينا ويكشف ضرنا وما الناس فيه من السبى والقتل والنهب وضجيج الصغار والكبار. فسمعهم الله الكريم وأثار عليهم الخراسانيين فعدا أبو عون وجيشه الى بر الغرب فلما نظره حوثره وجيشه اصحاب مروان انهزمو فتبعوهم وقاتلوهم ولم يزالو يقتلون منهم الى أن وصلو وادى هبيب بصلوات القديسين، وعدا عسكر الخراسانيين فى اليوم الذى اجتمعو فيه الرهبان الى البيعه، كان يوم سبت أخر يوم من

شرقى إلى دمياط وغربى إلى رشيد، وبعد ذلك اتصلت جزيرة بأرض شطنوف فأصبح رأس الدلتا عند القناطر الخيرية، وفى سنة ١٩١٠ أتصلت جزيرة الشعير الواقعة في وسط النيل من جهتها البحرية بأراضى دروه فأصبح رأس الدلتا واقعاً جنوبى القناطر الخيرية وعلى بعد كيلو مترين منها.

---

٥٩. إبراهيم بن صالح العباسى[١]

الثانية

ثمّ وليها إبراهيم بن صالح الثانية، من قبل الرشيد، على صلاتها وخراجها، فكتبَ إلى عسامة بن عمرو فاستخلفه. وقدم نصر بن كُلثوم خليفة على الخراج مستهلّ ربيع الأوّل سنة ستّ. وتوفي عسّامة بن عمرو لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ستّ وسبعين ومئة. ثمّ قدم روْح بن روْح بن زِنْبـاع[٢] خليفة لإبراهيم على الصلاة والخراج لخمس بقين من شهر ربيع الأوّل سنة ستّ وسبعين ومئة. فجعل على شرطه خالد بن يزيد بن المهلّب بن أبى صُفْرة.

(١) ذكر أبو المظفر بن قز أو غلي في مرآة الزمان أن الرشيد ولى على مصر عمر بن مهران، بعد عزل موسى بن عيسى. وقال ابن الأثير في الكامل (٦: ٨٥): «عزل الرشيد موسى بن عيسى عن مصر، ورد أمرها إلى جعفر بن يحيى بن خالد، فاستعمل عليها جعفر عمر بن مهران». وحاول ابن تغرى بردى التوفيق بين من أهمل عمر بن مهران ومن ذكره، فقال: «لعل الرشيد لم يرسل عمر هذا إلا لنكاية موسى [كما تقول الأخبار]، ثم أقر الرشيد ابراهيم بعد خروج المذكور من بغداد، فكانت ولاية عمر على مصر شبه الاستخلاف من ابراهيم بن صالح، ولهذا أبطأ ابراهيم بن صالح عن الحضور إلى الديار المصرية، بعد ولايته مصر عن موسى المذكور، أو كانت ولاية عمران بن مهران على خراج مصر وابراهيم على الصلاة. وهذا أوجه من الأول». ويتضح من بعض أوراق البردى التي عثر عليها في مصر أن عمر بن مهران تولى مصر فعلا. انظر النجوم ٢: ٧٨ ـ ٨١. وترجمة إبراهيم في الخطط ١: ٣٠٨، والنجوم ٢: ٨٣، وحسن المحاضرة ٢: ١١.

(٢) وكذا في خـ أيضاً. وفي ن: روح بن زنباع ... [و] أبوه حفيد روح بن زنباع وزير عبدالملك بن مروان.

أبيب وقتلو خلقا كتيرا من عسكر مروان ولم يبق معه من تمانيه آلاف خرج بها من مصر سوى أربع مايه رجل فقط.

فلما علم مروان أن عسكرهم قد انقسم على أربعة أجزا انهزم قبل تعديتهم بيومين وحمل نساه وأمواله وهرب في خفيه، وقتل من أصحاب يزيد تلتمايه، لأنه انهزم من شطنوف ا وهربا يريد جبل وسيم فقتلوه رجاله وقتلو فرسه الذى كان

[ثمّ قدم إبراهيم للنصف من جمادى الأولى،][1] وتوفى إبراهيم بن صالح بها، وهو واليها، يوم الخميس لثلاث خلون من شعبان سنة ستّ وسبعين ومئة؛ كان مقامه بها شهرين وثمانية عشر يوماً. فكان قبره أوّل قبر بيّض فى مقبرة مصر. وقام بالأمر بعده ابنه[2] صالح بن إبراهيم، مع صاحب شرطه خالد بن يزيد.

٦٠. عبدالله بن المسيب بن زهير الضبى(*)

ثمّ وَليها عبدالله بن المسيّب بن زهير الضبى، من قبل الرشيد، على صلاتها، لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة ستّ وسبعين ومئة. فجعل على شرطه الأمكيس[3]. ثمّ صُرِفَ عنها فى رجب سنة سبع وسبعين ومئة[4].

٦١. إسحاق بن سليمان(*)

ثمّ وليها إسحاق بن سليمان، من قبل الرشيد، على صلاتها وخراجها، مستهلّ رجب سنة

(١) زيادة عن خـ، وهى فى ن بالمعنى.
(٢) كذا فى خـ، وفى ر: وقام بالأمر بعد أبيهى صالح بن ابراهيم.
(*) الخطط ١ : ٣٠٩، والنجوم ٢ : ٨٥، وحسن المحاضرة ٢ : ١١.
(٣) كذا فى ر. وفى ن: أبا المكيس.
(٤) ن: فكانت ولايته على إمرة مصر نحو عشرة أشهر.
(*) الخطط ١ : ٣٠٩، والنجوم ٢ : ٨٧، وحسن المحاضرة ٢ : ١١.

تحته، ومضو إلى أوليك [العباسيين] وحالفوهم. وكان ولدا مروان فى الجيزه لما هرب أبوهما ولم يعلما أى وجه توجه إليه لأنه كان أنفد الصغير بحرى جزيرة النزهات [الروضه] وكان كتير الشر مثل أبيه. وأما الكبير عبد الله فإن ابهاتنا كانو يدعون له أن لا يقع فى تجربه ولا بلا [ء] لأجل ما فعله معهم، وهكذا كان. وأما الصغير فكان عمره خمس عشرة سنه فانهزم إلى النزهات ومعه أربع

سبع وسبعين ومئة. فجعل على شرطه مسلم بن بكّار بن مسلم العُقَيلى، واستخلف معاوية بن صُرد البكّائى. فكشف إسحاق أمر الخراج، وزاد على المزارعين زيادة أجحفت[1] بهم. فخرج عليه[2] أهل الحوف وعسكروا. فبعث الجيوش فحاربهم. فقُتل كرمين بن يحيى، وكان من كبار أصحابه، فى جمع منهم. وكتب إسحاق إلى هارون الرشيد يخبره بذلك. فعقد هارون لهرثمة بن أعْين فى جيش عظيم، وبعث به إلى مصر، فنزل الحوف. فلقيه أهله بالطاعة، وأذعنوا بأداء الخراج. فقبل هرثمة منهم، واستخرج خراجه كلّه.

فوليها إلى أن صُرِف عنها فى رَجَب سنة ثمان وسبعين ومئة[3].

٦٢. هرثمة بن أعين(*)

ثمّ وليها هرثمة بن أعين، من قبل الرشيد، على صلاتها وخراجها، لليلتين خلتا[4] من شعبان سنة ثمان وسبعين. فجعل على شرطه ابنه حاتم بن هرثمة. ثمّ سار هرثمة إلى إفريقية،

---

(١) كذا فى فى خـ، وفى ر: أجحف. ويريد أنه كشف أمر خراجها، فلم يرض بما كان يأخذه قبله الأمراء، فزاده (ن).

(٢) كذا فى ر. وفى ص: عليهم. تحريف.

(٣) ن: فكانت ولايته على مصر سنة واحدة وأياما.

(*) الخطط ١ : ٣٠٩، والنجوم ٢ : ٨٨، وحسن المحاضرة ٢ : ١١.

(٤) كذا فى خـ، وفى ر: ليومين خلتا.

ماية فارس [ولم يطلق الابهات] فوجد زيتا يسمى زيت الكلاب في خوابى رخام فاقلبه على البحر وأطلق النار على النزهات، ولحق مروان أباه وأطلق كلمن في الحبوس التى كانت هناك، ولم يطلقونا بل اراد أن يحرقنا بالنار فدخل فى وسط مراكب الاسطول ليحرقها واذا بصوت يصرخ بقوه: هو ذا اعداك قد جا[ء]و. فهرب سرعه هو ومن معه، والذين بقو في النزهات من أهلها أطفو النار واطلقونا عند غروب الشمس من الاعتقال والحديد

هو ومنصور بن زياد، لاثنى عشرة خلت من شوال سنة ثمان وسبعين ومئة. أقام شهرين[1] ونصفاً.

٦٣. عبدالملك بن صالح بن على العباسى(*)

ثمّ وليها عبدالملك بن صالح، من قبل الرشيد، على الصلاة والخراج. ولم يدخلها، واستخلف عليها عبدالله بن المسيبّ الضبى. فجعل على شرطه عمار بن مسلم. فوليها إلى سلخ سنة ثمان وسبعين ومئة.

٦٤. عبيدالله بن المهدى العباسى(**)

ثمّ وليها عبيدالله بن المهدى، من قبل الرشيد، على صلاتها وخراجها، يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من المحرم سنة تسع وسبعين ومئة. فاستخلف عبدالله [ابن المسيّب[2]] عليها.

---

(١) كذا في خـ، ن، ر. وفي ص: شهراً. وكذا في ث. ويفهم من النجوم أن الرشيد ولى هرثمة على مصر قبل بعثه إلى مصر، لما بلغه ما وقع لإسحاق بن سليمان العباسي مع أهل مصر.

(*) الخطط ١ : ٣٠٩، والنجوم ٢ : ٩٠، وحسن المحاضرة ٢ : ١١.

(**) الخطط ١ : ٣٠٩، والنجوم ٢ : ٩٣، وحسن المحاضرة ٢ : ١١.

(٢) زيادة في ر عن خـ.

في أرجلنا. وا لله يشهد أن قوما من المسلمين كانو ركاب خيلهم نزلو من عليها وفكو الحديد عنا واخدو تياب النسا لبسوها واخفو في المخازن والمخادع من خوف ذلك الصوت المهول الذى سمعوه، وأخذونا نحن مضو بنا إلى [كنيسة] مارى بطرس فى الجيزه وكان يمشى معنا قوم مومنون وكانت ليلة الأحد الأول من مسرى.

ولم يكن فى بحر الجيزه ما [ء] بالجمله لأنه

ثمّ قدم عبيدالله[١] يوم الاربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل[٢] سنة تسع وسبعين ومئة. فجعل على شرطه معاوية بن صُرَد البكاني[٣]. فوليها إلى أن صُرِفَ عنها في شهر رمضان سنة تسع وسبعين ومئة. وليها سبعة أشهر[٤]، وخرجَ منها ثاني شوال.

٦٥. موسى بن عيسى[*]

الثالثة

ثمّ وليها موسى بن عيسى الثالثة، من قِبل الرشيد، على صلاتها. وقدم يحيى بن موسى بن عيسى خليفة لأبيه عليها، لثلاث خلون من شهر رمضان. ثمّ قدمها موسى بن عيسى في آخر ذى القعدة. فوليها إلى أن صُرِف عنها في جمادى الآخرة سنة ثمانين ومئة[٥].

(١) كذا في ر. وفي ص: عبدالله. خطأ.
(٢) ن: ثم قدمها عبيدالله المذكور بعده في يوم الثلاثاء لأربع خلون من شعبان.. قاله صاحب البغية، وقال غيره: قدمها عبيدالله في يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من المحرم. ويبدو أن المؤرخين خلطوا بين تواريخ تعيينه وقدومه.
(٣) ن: وجعل على شرطته معاوية بن صرد ثم عمار بن مسلم.
(٤) خـ، ن: تسعة أشهر إلا أياماً. والاختلاف آت من احتساب بعض المؤرخين مدة ولايته على مصر دون أن يقدم، وبعضهم المدة منذ قدومه فقط.
(*) الخطط ١: ٣٠٩، والنجوم ٢: ٩٨، وحسن المحاضرة ٢: ١١.
(٥) ن: فكانت ولاية موسى على مصر في هذه المرة الثالثة نحواً من عشرة أشهر.

نشف بأمر الله ولم يزد الما[ء] ولم يتحرك بالجمله إلى يوم عدونا فيه بارجلنا، فلما علمو الخراسانيون أن أولايك أنهزمو ركبو خيلهم وتبعو مروان وكلمن لقو بغيراللباس الأسود قتلوه. وفى تلك الليلة جا الى القبله [الوجه القبلى] أول الجيش الذين عدو مع ابى عون من شطنوف وسيوفهم مجرده فى أيديهم وهم مدرعين بالحديد كلهم يقاتلو مروان لياخذوه فلم ننم نحن ولا غفونا فى تلك الليله. فأقامو تلاتة أيام وتلاتة ليال يتواصلون [حتى] أول

---

٦٦. عبيدالله بن المهدى(*)
الثانية

ثمّ وليها عبيدالله بن المهدى الثانية. من قبل الرشيد، على صلاتها. فقدّم داود بن حيّاش[١] خليفة عليها لسبع خلون من جمادى الآخرة. وقدمها عبيد الله يوم الثلاثاء لأربع خلون من شعبان سنة ثمانين ومئة. فجعل على شرطه معاوية ابن صرد، ثمّ عزله فولّى عمار بن مسلم. فولّيها إلى أن صُرِف عنها لثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى وثمانين ومئة[٢].

٦٧. إسماعيل بن صالح العباسى(**)

ثمّ وليها إسماعيل بن صالح، من قبل الرشيد. على صلاتها، يوم الخميس لسبع خلون من شهر رمضان. فاستخلف عوف بن وهب الخزاعى[٣]. ثمّ قدمها إسماعيل يوم الخميس لخمس بقين من شهر رمضان سنة إحدى وثمانين ومئة، فجعل على شرطه سليمان بن الصَمّة المُهلّبى، ثم عزّله فولّى يزيد بن عبد العزيز الغسّانى[٤].

(*) الخطط ١ : ٣٠٩، والنجوم ٢ : ١٠١، وحسن المحاضرة ٢ : ١١.
(١) حـ: حباش. ن: حبيش. وقد سمى بكل هذه الأسماء كما فى القاموس والمشتبه للذهبى.
(٢) ن: فكانت ولاية عبيدالله بن المهدى فى هذه المرة الثانية على إمرة مصر سنة واحدة وشهرين تقريباً.
(**) الخطط ١ : ٣٠٩، والنجوم ٢ : ١٠٥، وحسن المحاضرة ٢ : ١١.
(٣) كذا فى ن أيضاً. وفى حـ: عون.
(٤) ن: زيد بن عبدالعزيز الغسانى.

مسرى ويسيرون ونحن ننظرهم عسكرا [طابورا] واحدا من الجبل إلى البحر. فطلب حوثره أمانا فلم يقبلوه، وقالو: إذا لم تعطنا عدو الله مروان وألا فما لك منا أمان. فمضى ليقبض [على] مروان ومكر به وقال له: هوذا أعدانا قد قربو منا قم نأخذ نسانا وأولادنا وأموالنا ونركب المراكب سرا وتنحدر في البحر ونمضى إلى الروم فإن وقعنا في يد هذا فهو يهلكنا. فقال له مروان: يا حوثره أنت

قال ابن عفير: ما رأيتُ أحداً على هذه الأعواد أخطبَ من إسماعيل بن صالح بن عليّ. فوليها إلى أن صُرف عنها في جمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين ومئة[1].

٦٨. إسماعيل بن عيسى العباسي[2]

ثمّ وليها إسماعيل بن عيسى، من قبل الرشيد، على صلاتها؛ قدمها يوم الجمعة لأربع عشرة بقيت من جمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين ومئة[3]. فجعل على شرطه المصكَّ بن مسكين الجُرَشي، ثمّ عزله وولّى عبدالوهّاب ابن موسى بن عبدالعزيز بن عمر بن عبدالرحمن بن عوف. فوليها إلى أن صُرِف عنها في شهر رمضان سنة اثنتين وثمانين ومئة[4].

٦٩. الليث بن الفضل[*]

ثمّ وليها الليث بن الفضل، من قبل الرشيد، على صلاتها وخراجها. قدمها لخمس خلون

(١) وكذا في خـ أيضاً. وفي ن: سنة ثلاث وثمانين ومئة. وكانت مدته على إمرة مصر ثمانية أشهر وعدة أيام تقارب شهراً.
(٢) ذكر صاحب البغية أن الذى تولى على مصر بعد اسماعيل بن صالح هو الليث بن الفضل، وأن إسماعيل بن عيسى تولى بعده. وأكثر المؤلفين على ترتيب الكندى. ترجمته في الخطط ١: ٣٠٩، والنجوم ٢: ١٠٩، وحسن المحاضرة ٢: ١١.
(٣) ن: سنة ثلاث وثمانين ومئة.
(٤) ن: سنة ثلاث وثمانين ومئة، فكانت ولايته على مصر ثلاثة أشهر تنقص أياماً.
(*) الخطط ١: ٣٠٩، والنجوم ٢: ١١٣، وحسن المحاضرة ٢: ١١.

تمكر بمولاك. عند ذلك أخذ مروان سيفه وضرب رقبة حوثره بيده فقلته.

والخراسانيون ما كان أحد يقاومهم ولا يقف قدامهم بعد أن قتل حوثره. ثم أنهم [الخراسانيون] نادو من كان نصرانيا يعلق مثال الصلب من الذهب والفضه والنحاس على جبهته وعلى ثوبه وعلى باب بيته، ومن لم يعمل ذلك فلا ذنب علينا منه. وكانو للخراسانيين أيضا فى حلوق خيلهم صلبان ذهب وفضه. ثم لحقو مروان وولده

من شوال سنة اثنتين وثمانين ومئة. فجعل أخاه عليّ بن الفضل على شرطه. واستخلف عبدالغنى[1] بن عدى الحُجْرى، من حُجْرِ حِمْيَر. ثمّ مات عبدالغنى، فاستخلف على الشرط عمرو بن عبدالعزيز بن يَرِيم[2] الحجرى، ثمّ عبدالوهّاب بن موسى بن عبدالعزيز الزّهرى. ثمّ ردّ عمرو بن عبدالعزيز بن يريم.

فولَيها الليث ثمّ خرج إلى الرشيد لسبع خلون[3] من شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين ومئة بالمال والهدايا، وهو على ولايته، واستخلف أخاه عليّ بن الفضل عليها. ثمّ عاد الليث إليها فى آخر سنة ثلاث وثمانين ومئة. وخرج ليث أيضاً بالمال لسبع[4] بقين من شهر رمضان سنة خمس وثمانين ومئة. ثمّ استخلف عليها هاشم[5] بن عبدالله بن عبدالرحمن بن معاوية بن حُديج. وقدم ليث يوم السبت لأربع عشرة خلت من المحرم سنة ستّ وثمانين ومئة.

وأخبرنى ابن قديد قال: كان ليث بن الفضل كلّما أغلق خراج سنة[6] وفرغ من حسابها،

(١) كذا فى ر وقا: فى الأصل: علي، وينافيه الذى بعده.
(٢) كذا فى ر وقال: فى الأصل قادرة ذكر: بريم، وطوراً: يريم، وقد ذكر يريم فى المشتبه.
(٣) خـ: لسبع بقين من رمضان.
(٤) خـ: لتسع. وفى ن: فى اليوم الحادى والعشرين من رمضان.
(٥) ن: هشام.
(٦) كذا فى ر. وفى خـ، ن: كلما غلق خراج سنة. بمعنى استحق.

والعسكر الذى مقدمه صالح وكانو قد طاردوه يوما كاملا، فالتقو ولم يزل القتال بينهم من الليل إلى الغداه حتى قتل خلايق كثير، وتبعوه إلى جبل «أبه» غربى كلاوبطرة(*) المدينه التى بناها الإسكندر المقدونى [وهو] الموضع الذى تنبى عليه الشيخ الحبيس القديس الذى أحرقه مروان بالنار وهو حى وقال له قبل أن يحرقه: أنه يقتل هناك. وقتل(*) معه أيضا مروان بن عبد العزيز، وهرب ولدا مروان وملكو الخراسانيون حلوان وكلما كان

(*) انظر ص ٣٨٩ من متن ساويرس.

(*) هزيمة مروان أمام الخرسانيين وقتله هو واتباعه. انظر الهامش السفلى ص٦٨٩.

خرَج بالمال والحساب إلى أمير المؤمنين هارون. قال ابن قديد: وهو أوّل من استعمل إبراهيم بن تميم فى كُتّاب الخراج.

ثمّ إن أهل الحوف خرَجوا على ليث بن الفضل. فكان السبب فى ذلك أن ليثاً بعث بمُسّاح يمسحون عليهم أراضى زرعهم. فانتقصوا من القصبة[1] أصابع. فتظلّم الناس إلى الليث، فلم يسمع منهم. فعسكروا وساروا إلىّ الفسطاط. فخرج إليهم ليث بن الفضل فى أربعة آلاف من جند مصر؛ كان خروجه يوم الخميس ليومين بقيا من شعبان سنة ستّ وثمانين ومئة. واستخلف عليها عبدالرحمن بن موسى بن عُلَىّ بن رباح على الجند وعلى الخراج. فالتقى ليث مع أهل الحوف لثنّى عشرة خلت من شهر رمضان سنة ستّ وثمانين. فانهزَم الجند عن ليث، وبقى فى مئتين أو نحوها. فحمل عليهم بمن معه، فهزمهم حتى بلغ بهم غَيْفَةَ[2]. وكان التقاؤهم فى أرض جُبّ عُمَيرة[3]. وبعثَ ليث إلى الفسطاط ثمانين رأساً من القيسية[4]. ورجع ليث إلى الفسطاط. ورجع أهل الحوف إلى منازلهم ومنعوا الخراج.

(١) كذا فى ر عن خـ (١ : ٨٠). وفى ص: القصب.
(٢) غيفة: ضيعة تقارب بلبيس.
(٣) جب عميرة: موضع بينه وبين الفسطاط ستة أميال.
(٤) كذا فى خـ (١ : ٨٠). وفى ر: العبسية.

فيـهـا وشـقـو بطون النسـا وأخـذو كلمـا كـان في حلوان من أمـوال مـصـر، وقـتل الفـرسـيـون [الخرسـانيـون = العـباسـيـون] أصـحـاب مـروان بالسيف وأخذو كلما لهم وحملوه في مراكب الملك وزاد النيل بعد أن كان البحر قد نشف حتى عدو الخراسانيون إلي بر الجيزه وأهلكو مروان، ثم رجع زاد من أول يوم من مسرى، وكان يزيد في كل يوم نحو الذراع حتى انتهى إلى تمانى عشره ذراعا تلك السنه. ولأجل ذلك كانو الناس يقولون

وخرج ليث إلى أمير المؤمنين هارون لمستهلّ المحرم سنة سبع وثمانين ومئة. فسأل أمير المؤمنين[1] أن يبعث معه بالجيوش إليها، وذكر أنّه لا يقدر على استخراج الخراج من أهل الحوف إلاّ بجيش يبعث به معه. وكان محفوظ بن سليمان بباب الرشيد. فرفع محفوظ إلى أمير المؤمنين يضمن له جباية خراجها عن آخره بلا سوط ولا عصا. فولاه أمير المؤمنين الخراج، وصرف ليث بن الفضل عن صلاتها وخراجها[2]. وبعث أحمد بن إسماعيل على صلاتها، مع محفوظ. فكانت ولاية ليث عليها أربع سنين وسبعة أشهر.

٧٠. أحمد بن إسماعيل العباسي(*)

ثمّ وليها أحمد بن إسماعيل بن عليّ بن عبدالله بن عبّاس، من قبل الرشيد، على صلاتها[3]. فدخلها يوم الاثنين لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين ومئة. فجعل على شرطه معاوية بن صرد.

حدّثنا أبو سلمة التجيبي، قال: أخبرني أحمد بن أحمد بن عمرو بن سرح قال: حضرتُ القسامة في والٍ من بني هاشم يقال له «أحمد بن إسماعيل»، في سنة سبع وثمانين أو سنة

(١) كذا في د وقال: في الأصل: فرفع محفوظ فولاه أمير المؤمنين يضمن له جناية، والمقصود ظاهر.
(٢) ن: في جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين ومئة.
(*) الخطط ١ : ٣٠٩، والنجوم ٢ : ١٢٤، وحسن المحاضرة ٢ : ١١.
(٣) خـ: وخراجها. خطأ، كما يتبين من مراجعة الولاية السابقة.

أن يد الرب مع الخراسانيين. وكانو إذا وجدو قوما عليهم علامة الصليب يخففون عنهم الخراج ويرفقون بهم ويعملون معهم الخير فى جميع البلاد.

وصلبو مروان(*) منكسا بعد أن قتلوه لأنهم أخذوه فى موضع يسمى «دواتون» ونحن نشاهده، وقطعو راس وزيره.

(*) قتل مروان وصلبه منكسا.

ولما سايلوا عنا الملوك ومقدمو الخراسانيين

ثمان وثمانين. وقال: أحْضَرَ أولياء المقتول المسجد الجامع. فحلفوا بعد العصر عند القبلة قياماً. ورأيتُ مع رسول السلطان خطّ عبدالله بن وهب فى كتاب قد كتبه لهم كيف يحلفون.

فوليها أحمد بن إسماعيل إلى أن صُرِف عنها يوم الاثنين لثمانى عشرة خلت من شعبان سنة تسع وثمانين ومئة، وليها سنتين وشهراً ونصفاً.

٧١ . عبدالله بن محمد العباسى(*)

ثمّ وليها عبدالله(١) بن محمد بن إبراهيم، الذى يقال له «ابن زينب»، من قبل الرشيد، على صلاتها. فاستخلف عليها لَهيعة بن عيسى(٢) بن لهيعة الحضرمى، إلى يوم السبت للنصف من شوال سنة تسع وثمانين، فقدمها عبدالله بن محمد. فجعل على شرطه أحمد بن حُوَىّ بن حُوَىّ العُذْرىّ(٣)، ثمّ عزله فولى محمد بن عَسّامة بن عمرو. فوليها عبدالله بن محمد إلى أن صُرِف عنها لإحدى عشرة بقيت من شعبان سنة تسعين ومئة. فخرج عنها واستخلف عليها هاشم بن عبدالله بن عبدالرحمن بن معاوية بن حُدَيج(٤).

(*) الخطط ١ : ٣٠٩، والنجوم ٢ : ١٣١، وحسن المحاضرة ٢ : ١١.
(١) كذا فى ن أيضاً. وفى خـ: عبيدالله.
(٢) كذا فى خـ أيضاً. وفى ن: موسى.
(٣) كذا فى ر، وصفحته ص فى المواضع المختلفة.
(٤) ن: فكانت مدة ولاية عبدالله هذا على مصر ثمانية أشهر وتسعة عشر يوماً.

ومضينا إليهم فيخلون(*) الأب القديس الشهيد أنبا خايل وأكرموه كرامه عظيمه [ودفعو له امر بجميع البيع فى كل الكور وسامحو(*) البشامره من الخراج] وكانت لحيته قد تجددت وطلعت أحسن مما كانت عليه بقدرة السيد المسيح، ومجدنا الله وجميع من نظر وشهد الخبر.

(*) اطلاق سراح البطرك خايل ومن معه.

(*) سامحوا: رفعوا عنهم الخراج. وهذه واقعة لا تذكر فى المصادر التاريخية الاسلامية.

وقال الأب أنبا خايل: أننى رأيت شخصا وأنا فى الاعتقال مسح يده على وجهى فطلعت لحيتى أحسن مما كانت.

---

٧٢. الحسين بن جميل(*)

ثمّ وليها الحسين بن جميل، من قبل الرشيد، على صلاتها؛ قدمها يوم الخميس لعشر خلون من شهر رمضان سنة تسعين ومئة. فجعل على شرطه كاملاً الهُنائى، ثمّ عزله فولى معاوية بن صرد. فأقام على صلاتها إلى يوم الجمعة(١) لسبع خلون من رجب سنة إحدى وتسعين ومئة. فجمعت له الصلاة والخراج جميعا. قال سعيد بن عُفَير:

ما كُنتُ أحسَبُ أنّ الحينَ يَجمعُ ما ... أمسَى بمصْرَ من الأنْذالِ فى الإمَرِ
أمّا الأميرُ فَحنّاجٌ وصاحبُهُ ... علَى الخَراجِ سَوادِىٌ منَ الأُكَرِ
هَذا الهُنَائى منَ الفُسْطَاطِ يَخلُفُهُ ... والبَاهلىّ علَى أعْمَاله الأُخَرِ(٢)
كُلٌ لصَاحبه شكْلٌ يُلائمُهُ ... فَهُمْ سَواسيَةٌ فى اللّؤمِ كَالحُمُرِ
ومَا هُنَاءَةُ إلاّ ظِلْفُ ذى يَمنٍ ... والبَاهليّونَ مأوَى اللّؤمِ من مُضَرِ
فَمَا يَسُوغُ لنَا عَيشٌ فَيَنْفَعَنَا ... مَعْ مَا نَرَى لَهُمْ مِنْ رِقّةِ الخَطَرِ

(*) الخطط ١: ٣٠٩، والنجوم ٢: ١٣٤، وحسن المحاضرة ٢: ١١.

(١) ن: الاربعاء.

(٢) الإمر: جمع إمرة. و حناج: مخنث. وسوادى: من سواد العراق، وهو ريفه. والأكر: الحفر، ويريد بها ما يشقه الزارع فى أرضه للزراعة. وفى ص: العاملى، فى موضع: الباهلى، ومال ر إلى أنها محرفة عن الباهلى، نظراً للبيت الخامس.

ولما التــمس الأب أنبــا خــايل من الملك رزق [أوقـاف] البيع فى جميع الكور فعل له ما طلبه منه. وأما البشامره فإنه سامحهم بالخراج ودفع لهم خراجا آخر.

وكان مروان قد احرق جميع الكتب وحساب الدواوين. ولم يكونو يعرفون مبلغ الارتفاعات [العوايد] ولا الغيره [المقايضات] وكان بمصر فى أيامهم أمر عظيم ومضى صالح وجيشه إلى فلسطين.

وفى ولايته امتنعَ أهل الحوف من أداء الخراج. وخرج أبو النداء[1] مولى بَلِيّ فى نحو من ألف رجل، يقطعُ الطريق بأيْلَة وبدا وشَغْب ومَدْيَن[2]. ثمّ أغارَ على بعض قرى الشام. ثمّ ضَوى إليه[3]. رجل من جُذام، يقال له المنذر ابن عابس بن غطفان، ومعه سلام النوبى[4]. فبلغوا مبلغاً عظيماً من النهب والقتل. فبعث أمير المؤمنين هارون يحيَى بن معاذ فى أمرهم. فسار يحيَى[5] إلى فلسطين، فبعث قائداً من قواده فى طلب أبى النداء وابن عابس. وبعث الحسين بن جميل من مصر بعبدالعزيز بن الوزير بن ضابىء[6] الجروى فى عسكر. فالتقى العسكران بأيلة[7]، فظفر عبدالعزيز بأبى النداء[8] [وفرّ][9] سلام النوبى[10] ثمّ أُدرك فأُخذ. وكان أبو النداء[11] يقول:

(١) كذا فى خـ، ن، ط (٢: ٧١١). وفى ر: الندى. وفى ص، ث: الوليد.
(٢) أيلة: هى المعروفة اليوم باسم العقبة فى شمال خليج العقبة من البحر الأحمر، على الحدود بين مصر وشرق الأردن. وبدا: من كور مصر المجاورة لبلاد الحجاز. وشغب: منهل بين مصر والشام.
(٣) ضوى إليه: انضم إليه.
(٤) ر: النوى. ورجح النوبى.
(٥) كذا فى ر. وفى ص: رجابن. تحريف.
(٦) ر: ضانى، ومال إلى: ضانىء.
(٧) كذا فى ر عن خـ، ن. وفى ص: بايه. تحريف.
(٨) كذا فى خـ، ن. والعبارة محرفة فى ص.
(٩) زيادة يقتضيها السياق.
(١٠) ر: النوى.
(١١) ر: أبو الندى. ص: أبو الوليد.

(*) أبو عـون عـبـد الملك بن يزيد يتولى مصر من قبل الخرسانيين على صلاتها وخراجها. وفي وقته حـدثت اوبئـة شـديدة وغلت الأسعار، كما ثار أبو مينا بسمنود فأرسل إليه الجيوش التي قتلته ومن معه على يد عبدالرحمن بن عـقـبـه. تولى سنة ١٣٣ هـ = ٧٥٠م. انظر الهـامش السـفلي ص٤٠٤ .

ولما أطلقنا مضى كل واحد منا إلى موضعه وأبو عون تولى مـصر(*)، وبعد قليل وصل رجلان من أصحاب الدواوين إلى مصر من عند الملك، وكانا مسلمين، كان اسم احدهما عطا بن شر حبيل والأخر صفي وكانا بعيدين من معرفة الله [قليلين الرحـمـه] فاحضر لهما أبو عون جميع حساب مصر واعادها إلى ما كانت عليه مع مروان، وبعد أن كانا قد طردا من القصر أعادهما الملك فجعلا مكسين [اصحاب المكوس] على الوجه البحرى

أَقُـولُ إذا[١] الرِّفَاقُ بَدَتْ لوَجهي — ألا خلُّوا رِحـالَكُمْ وطيـرُوا
وَإِنْ لَمْ تَشْـرُكُـوهَا فَـاسْـتَـعِـدّوا — لحَـرْبٍ مِـثْلِ جَـابِيَـةٍ تَفُـورُ[٢]
أَقُـولُ لِصُـحْـبَـتِي: كُـرّوا عَلَيْـهِمْ — فَلَيْسَ يَهْـزِمُهُمْ إلاّ الـكُرُورْ

ثمّ سارَ يحيَى بن معاذ في جيشه ذلك فنزل بلبيس. فأذعن أهل الحوف بالخراج. وكان نزوله بلبيس لإحدى عشرة خلت من شوال سنة إحدى وتسعين ومئة. ثمّ صُرِف الحسين بن جميل لثنتي عشرة ليلة من شهر ربيع الآخر[٣] سنة [اثنتين][٤] وتسعين ومئة.

٧٣. مالك بن دلهم الكلبيّ(*)

ثمّ وليها مالك بن دلهم بن عُمير[٥] بن مالك، من قبل الرشيد، على صلاتها وخراجها؛ قدمها يوم الخميس لسبع بقين من شهر ربيع الآخر[٦] سنة اثنتين وتسعين ومئة. فجعل على

(١) كذا في ر. وفي ص: أخا.
(٢) الجابية: الحوض العظيم. وكذا صحح ر العبارة. وفي ص: حاسه تعور.
(٣) كذا في خـ أيضاً. وفي ن: ربيع الأول.
(٤) زيادة ضرورية في ر عن خـ، ن. وكانت ولايته على مصر سنه واحدة وسبعة أشهر وأياماً.
(*) الخطط ١ : ٣١٠، والنجوم ٢ : ١٣٧، وحسن المحاضرة ٢ :١١.
(٥) كذا في خـ أيضاً. وفي ن: عيسى.
(٦) ن: ربيع الأول.

ومكسا واحدا على الوجه القبلى وذلك فى تانى سنه [من] الأمن والصلاح فى المملكه ، وعلما الملك وعرفاه بلايا عظيمه من أجل بغضهما لنا نحن النصارى ومحبتهما للفضه، فاعطيا [فأعطيا] السلطان [السلطة] ليفعلا ما أرادا. وكان ارتفاع [عوايد] مصر، بعد اقطاعات الأجناد، ونفقات دار السلطان، وما يحتاج إليه لتدبير المملكه، وكل ما يفضل بعد ذلك ويحمل إلى بيت المال مالا جملته

شرطه محمد بن يزيد[١] بن آدم الأودى، من أهل حمص. وفرغ يحيى بن معاذ من أمر الحوف. وقدم الفسطاط لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين ومئة. فنزل دار أبى عون، ومعه أبو النداء[٢] وابن عابس وغيرهما من أصحابهما. قال أبو عثمان السكرى أمام يحيى ابن معاذ:

وقال أيضاً:

قَدْ جَبَيْنَا قَيْساً وَلم تَكُ[٣] تُجْبَى ... وَقَتَلْنَا أَبَا النَدا وَابنَ عَابِسْ

وَتَرَكْنَا لَخْماً وَحَيّيْ جُذَامٍ ... لا يُطِيقُونَ دَفْعَ[٤] كَفٍّ تُلامِسْ

آمَنَ اللهُ بِالْمُبَارَكِ يَحْيَى ... حَوْفَ مِصْرٍ إلى دِمَشْقَ فَبَالِسْ[٥]

وَأَبَادَ الخَلاعَ مِنْ كُلِّ أَرْضٍ ... بَعْدَ مَا جَادَ عَنْهُمُ كُلَّ فَارِسْ

وقال أيضاً:

---

(١) ن: محمد بن توبة.

(٢) ر: أبو الندى.

(٣) كذا فى ر. وفى ص: تكن.

(٤) يطيقون: كذا فى ر. وفى ص: يطيعون. وفى ر أيضاً: رفع.

(٥) بالس: بلدة بالشام بين حلب والرقة.

في كل سنه مـايتي ألف دينارسـوى النفـقـات والكلف وما قدمنا ذكره.

ولما كـان في تالت سنه من مملكة الخراسانيين أضعفو [ضاعفوا] الخراج وأكملوه على النصارى ولم يوفـو لهم بما وعـدوهم ونسـيـا الكاتبـان المذكوران هما والخراسانيون أن الله الذى أعطاهم الملك، ورفـضـو الصليب المقـدس الذى أعطاهم الظفر.

يا قَـيْسَ عَـيْـلانَ إني نَاصِحٌ لكُمْ أدّوا الخَراجَ وخافوا القتلَ والحَرَبا[1]
إني أحَـذّرُكُمْ يَحْـيَى وَصَـوْلَتَـهُ فَـمـا رأيتُ لَهُ تَقْـيـاً إذا غَـضِـبـا

[و][2] ورد كتاب الرشيد على يحيى بن معاذ، يأمره بالخروج إليه. فكتب إلى أهل الأحواف: أن اقدموا حتى أوصي بكم[3] مالك بن دلهم، وأدخل فيما بينكم وبينه في أمر خراجكم. فدخل كلّ رئيس منهم من اليمانيّة والقيسيّة، وقد أعدّ لهم القيود. فأمرَ بالأبواب فأُخذت، ثمّ دعا بالحديد فقيدهم. وتوجه بهم للنصف من رجب سنة اثنتين وتسعين ومئة. فوليها مالك بن دلهم إلى يوم الأحد لأربع خلون من صفر سنة ثلاث وتسعين ومئة[4].

٧٤. الحسن بن التختاخ[5]

ثمّ وليها الحسن بن التختاخ، من قبل الرشيد، على صلاتها وخراجها. واستخلف أبا رَحْب العلاء بن عاصم الخولاني. ثمّ قدمها يوم الاثنين لثلاث خلون من ربيع الأوّل سنة ثلاث

---

(١) الحرب: سلب المال.
(٢) زيادة في ر.
(٣) كذا في خـ، ن. وفي ر: أوصيكم.
(٤) ن: فكانت ولايته على مصر سنة واحدة وخمسة أشهر، تنقص أياماً لدخوله مصر، وتزيد أياماً لولايته ببغداد من الرشيد.
(٥) ن: البحباح. وترجمته في الخطط ١: ٣١٠، والنجوم ٢: ١٤١، وحسن المحاضرة ٢: ١١.

وكتب عبد الله الملك إلى جميع مملكته أن كلمن يصير على دينه ويصلى كصلاته يكون بغير جزى [جزية]، فمن عظم الخراج والكلف عليهم أنكر كتير من الاغنيا والفقرا دين المسيح وتبعوه فمضى الأب البطرك أنبا خايل إلى أبى عون الوالى وخاطبه بسبب البلايا التى فعلت بمصر من بعد فعل الخير الذى أضمره، فقال له: الملك أمر بذلك لأن قوم سو شهدو له قايلين أن وجدو أهل مصر راحه سنه واحده نافقو عليك وحاربوك كما

وتسعين ومئة. فجعل على شرطه محمد بن خالد، ثمّ عزله وولّى أبا شُعيب صالح بن عبدالكريم، ثمّ عزله فولّى سليمان بن غالب بن جبريل.

وفى ولايته قدم عليه ابن جُبَيل ينعى الرشيد. واستُخلف محمد بن هارون. [فثار الجند بمصر][1] فأعطاهم ابن التختاخ العطاء كاملاً: ثُلُثاً عَيْناً، وثلثاً بَزّاً، وثلثاً قمحاً[2]. ووقعت فى ذلك فتنة عظيمة حتى قُتل ناس من الجند وناس من أهل مصر، فى المسجد الجامع.

وكتب الفضل بن الربيع إلى ابن التختاخ فى حمل الأموال. فلمّا صارت بفلسطين، وثبَ أهل الرملة على المال، فقالوا: هذا عطاؤنا قد ساقه الله إلينا. فأخذوا من ذلك المال عطاءهم كاملاً، وأدخلوا الباقى بيت المال.

فوليها ابن التختاخ إلى أن عُزِل عنها[3]، فسار متوجّهاً فى طريق الحجاز لفساد طريق الشام؛ وذلك يوم السبت لثمان بقين من ربيع الأوّل سنة أربع وتسعين ومئة. واستخلف عليها عوف بن وهب[4] على الصلاة، ومحمد بن زياد ابن طبق القيسى على الخراج[5].

(١) زيادة محتملة عن خـ.
(٢) كذا فى ر. وفى ص: فحا، بدون نقط. والبز: الثياب.
(٣) كذا فى أكثر المواضع من الكتاب. وفى ر هنا: عزله عنها.
(٤) ن: وهيب.
(٥) ن: فكانت ولايته على مصر سنة واحدة وشهراً وثمانية وعشرين يوماً.

حاربو البشامره مروان فسأله أن يفعل خيرا مع بيع الاسكندريه فى خراج ما يزرع برسمها فقط فأمر أبو عون الوالى ذينك الكاتبين وقال لهما: ما أراده البطرك أفعلاه له فلم يقبلا منه، وكانا يميلان قلبه إلى السو. فأقام الأب البطرك وأبى أنبا مويسيس معه وأنا الحقير أكتر من شهر ملازمين القصر نرا[ء]ى [نفاوض] هولا الكافرين. وكان هناك شيخ عربى ينظر إلينا في كل يوم على تلك القضيه وكان خايفا من الله فحدث أبانا أنبا خايل

---

٧٥. حاتم بن هرثمة بن أعين(*)

ثمّ وليها حاتم بن هرثمة، من قبل محمد بن هارون الأمين، على الصلاة والخراج. وفرض فى ألف من الأبناء قدم بهم إليها. فسارَ حتى نزل بلبيس، فصالحه أهل الحوف على خراجهم.

وثارَ عليه أهل تَنّو وتُمَيَّ، وعسكروا، وعقدوا عليهم لعثمان بن مستنير الجُذامي. فبعث إليهم حاتم بالسَّرىّ بن الحَكَم، وعبدالعزيز بن عبدالجبّار الأزدى، وعبدالعزيز بن الوزير الجروى[1]. فاقتتلوا للنصف من شهر رمضان. فانهزم ابن مستنير، وقُتل أخوه. ودخل حاتم الفسطاط، ومعه مئة من وجوه اليمانية رهائن، وذلك يوم الاربعاء لأربع خلون من شوال سنة أربع وتسعين ومئة. فجعل على شرطه ابنه، ثمّ عزله فولى علىّ بن المُثَنّى، ثمّ عزله وولّى عبيدالله الطَرْسُوسى. وابتنى حاتم بن هرثمة القُبّة التى تُعرف بقبّة الهواء، وهو أوّل من ابتناها.

فوليها حاتم إلى أن صُرف عنها فى جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين ومئة[2].

(*) الخطط ١: ٣١٠، والنجوم ٢: ١٤٤، وحسن المحاضرة ٢: ١١.

(١) كذا فى ر، خـ (١: ١٧٨). وفى ص: الخروج.

(٢) ن: فكانت ولاية حاتم هذا على إمرة مصر سنة واحدة ونصف سنة تنقص أياماً.

حديثا قايلا: مثل ما افتقدنا نحن العباد المسلمون
أنا أعلم أنكم سوف تكونون مثلنا، فقال له الأب:
صدقت وأنا اريدك أن تعلمني معنى قولك. فقال
له الشيخ: كنت وأنا صبى قد سلمني أبواى إلى
صديقين تاجرين إسماعيليين لامضى معهما بتجاره
إلى تونس أبيعها، فلما سرنا إلى الخمس مدن
[بنتابولس] وكانت الجمال موقره [محملة] بتحف
مصر والمشرق نزلنا على بركه ما[ء] عميقه جدا
وكان في وسط كل واحد منا كيس فيه أربع مايه

---

٧٦. جابر بن الأشعث الطائى(*)

ثمّ وليها جابر بن الأشعث الطائى. من قبل محمد الأمين، على صلاتها وخراجها؛ وليها يوم الاثنين لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين ومئة(١). واستخلف على الشرط عبدالله بن إبراهيم الطائى، واستخلف على الصلاة أبا شريك يحيى بن يزيد بن حمّاد(٢) المرادى. ثمّ قدمها جابر فأقرّ عبدالله بن إبراهيم على الشرط، ثمّ عزله فولى سليمان بن غالب بن جبريل.

وكان جابر بن الأشعث ليّنا محبباً إلى الناس من العامة والخاصة، حتى تباعد ما بين محمد الأمين وبين أخيه المأمون، وخلع محمد أخاه من ولاية العهد، وترك الدعاء له على المنابر، وعهد محمد إلى ابنه موسى الذى يقال له «الشديد» ودعا له. فتكلّم الجند بينهم فى خلع محمد غضباً للمأمون. فأوّل من تكلّم فيه منهم بمصر محمد بن صُعَير والسّرِىّ بن الحكَم بن يوسف. ودنا إلى أهل خراسان فى خلع محمد، والعقد للمأمون. فبايعهما على ذلك نفر يسير. ثمّ تكلّم بذلك من أهل مصر زُرعة بن معاوية بن قَحْزَم الخولانى، وابنه الحارث، وهاشم بن

(*) الخطط ١ : ٣١٠ ، والنجوم ٢ : ١٤٨ ، وحسن المحاضرة ٢ : ١١ .
(١) جعلت ن هذا التاريخ لقدومه لا لولايته.
(٢) كذا فى ى (٤ : ٣٣٠). وفى ر: صاد، تحريف.

دينار، فمن تعب الطريق والحر تعرى أحدنا لينزل الما[ء] يستحم، فطرح هميانه [كيسه] إلى رفيقه ليمسكه إلى حين صعوده من الما[ء] فسقط الهميان من يده في الما[ء] ولم يعلم بذلك أحد. فتعرى الرجل الذى وقع منه ونزل فى طلبه فلم يجده فطلع ذلك الرجل ودفع لرفيقه هيمانه عوضه ولم يعلمه أنه ضاع منه. ومضينا إلى أفريقيه وابعنا تجارتنا واشترينا غيرها مما يصلح لمصر. فقال الكبير للصغير: اعطنى الأربع مايه

عبدالله بن حُديج، وابنه هُبيرة. فبعثَ إليهم جابر بن الأشعث ينهاهم عن ذلك، ويخوفهم عواقب الفتن. وأقبل السرى بن الحكم يدعو الناس إلى خلع محمد.

فأخبرني ابن قديد: أن السرى بن الحكم كان أوّل دخوله إلى مصر أنّه كان من جند الليث بن الفضل، دخلها في أيّام الرشيد. قال: وكان قليل الأمر فارتفع ذكره بقيامه في خلع محمد.

وكتب المأمون إلى أشراف أهل مصر يدعوهم إلى القيام بدعوته. فكلهم أجابوا سرّاً. وأتى كتاب هرثمة بن أعين إلى عباد بن محمد بن حيان مولى كندة، وكان وكيلاً لهرثمة على ضياعه بمصر. فأظهر عباد كتاب هرثمة، وأحضر الجند إلى المسجد الجامع، وقرأه عليهم، ودعاهم إلى خلع محمد. فأجابه عظيم الناس إلى ذلك. فأعطاهم عباد رزقاً يسيراً، وبايعوا للمأمون. وكان خلع محمد بمصر لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ستّ وتسعين ومئة. وبويع عباد بن محمد للمأمون بيعة عامة لثمان خلون من رجب سنة ستّ وتسعين ومئة. ووثب الجند بجابر بن الأشعث فأخرَجوه. فكانت ولايته عليها سنة.

٧٧. عباد بن محمد بن حيان(*)

ثمّ وليها عباد بن محمد، من قبل المأمون، على صلاتها وخراجها. لثمان خلون من رجب سنة ستّ وتسعين ومئة. فجعل على شرطه هُبَيرة بن هاشم ابن حُديج. وبلغ محمداً ما فعله

(*) الخطط ١ : ٣١٠، والنجوم ٢ : ١٥٣، وحسن المحاضرة ٢ : ١١.

دينار التى معك لابتا ع بها تجاره. فقال له: ما ابتعناه يكفينا فى هذه الدفعه. ولح عليه فلم يقل له الخبر، فاشترى بالأربع مايه دينار التى كانت معه بضاعه، فلما عدنا إلى البركه فعل ما فعل أولا وتعرى الكبير الذى كانت له الدنانير وضاعت منه ونزل يستحم فوجد الهميان الذى كان ضا ع منه. فلما نظر إليه عرف أنه هيمانه، فقال لصديقه: أعلمنى ما جرى عليك. فعرفه ما كان من حديثه وكيف ضا ع منه، فلم يقل له الأخر أننى وجدته

المصريون من خلعه وإخراج عامله جابر بن الأشعث، فكتبَ محمد إلى ربيعة بن قيس بن الزبير[1] الجُرَشي، وكان رئيس قيس بالحوف، بولايته على مصر. وكتب إلى عبدالصمد بن مسلم بن عمارة الجُرَشي، وإلى يزيد بن الخطّاب الكلبي، وإلى عثمان بن مستنير الجذامي، يأمرهم بمعاونة ربيعة بن قيس، وإنفاذ[2] أهل الحوف كلهم معه يمنها وقيسها. وأظهروا دعوة محمد، وخُلْعان المأمون، وساروا إلى الفسطاط لمحاربة أهلها. فخندق عباد على الفسطاط. وخرج أهل الفسطاط من مسيرهم. وعقد عباد لإبراهيم بن حُوَيّ بن مُعاذ العُذْرى، على بَنَا[3]. وسَنْهُور[4]. وسَنْدَفا[5]. فخشي يزيد بن الخطّاب على ماله هناك، فسار إلى إبراهيم بن حُوَيّ. فالتقوا بدُمْرُو، فقُتل إبراهيم بن حُوَيّ. قال سعيد بن عفير ليزيد بن الخطّاب بن طَلّاب الكلبي:

---

(١) كذا فى خـ (١ : ٣١٠)، وفي ر: البرن.
(٢) كذا فى ر. وفى خـ (١ : ١٧٨): وانقاد.
(٣) بنا: مدينة قديمة بينها وبين سمنود ميلان.
(٤) سنهور: مكانها اليوم تل سنهور، في شمال أراضى ناحية المناجاة، التى بمركز فاقوس، من مديرية الشرقية، وبالقرب من بحيرة المنزلة. وكذا هى فى ر. وفى ص: سور.
(٥) سندفا: كانت فى القسم الجنوبى من المحلة الكبرى القديمة، وهى الآن جزء منها ولا يفصل بينهما غير الشارع الذى حل محل الخليج.

حتى وصلو إلى مصر وباعو التجاره فدفع الكبير للصغير ربح الأربع مايه دينار وأوصلها إليه وقال له: الله أعطاك هذا المال لك والربح يجب أن يكون لك. فلما فعل ذلك خاطبه رفيقه فيما بينهما واشتهر الأمر إلى الحاكم وجماعة الناس تعجبو من ذلك، وأخذ كل واحد منهما شيا من ماله وصدقه على الفقرا وانفردا للعباده وتبعتهما أنا ولم يبع واحد منا ولم نشتر. والآن ايها الرجل القديس فهو ذا ترى كل احد كيف هو محب للظلم وقد جعلو

قَتَلوا ابنَ سَيِّدهمْ وَفارِسَ حِزْبِهِمْ عَنْ غَيْرِ نَائِرَةٍ وَلا إجْرَامِ
أضْحَتْ قُضَاعَةُ قَد عَلَتْها كَأبَةٌ وَبَنو الجُرَيشِ سَوَافِرَ الإظْلام
فَلَئنْ قُضَاعَةُ لَمْ تُطالِبْ ثَأرَهُ بكَتيبَةٍ خَشْنَاءَ ذاتَ عُرَامِ[1]
مَا فِي قُضَاعَةَ بَعدَها مَا يُرتَجَى لِلنّائِبَاتِ وَمَا هُمْ بِكِرَامِ

وسارَ ربيعة بن قيس إلى الفسطاط، فنزل على الخندق سلخ ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومئة. فتناوشوا شيئاً من حرب. وكانت بينهم قتلى ثمّ انصرفوا. وأقبلَ عثمان بن بلادة القيسي[2]. من قبَل ربيعة، إلى الخندق[3] في جمادى الأولى سنة سبع وتسعين فتحاربوا. ثمّ انهزم ابن بلادة يومئذ من عباد. [ثمّ أقبل][4] عثمان بن بلادة إلى الخندق في شوال سنة سبع وتسعين. فاقتتلوا أيّاماً، وعلى أهل الفسطاط أبو الكرم بن حوى بن حوى[5]، فقُتل أبو الكرم. ثمّ رأى عباد أن يبعث إليهم بجيش، فيحاربهم في ديارهم. فعقد لعبد العزيز الجروي، فالتقى

---

(١) النائرة: الهائجة. والجريش: كذا يظنهار، وفي ص: الحرس: وعرام: حدة وشدة وكثرة. وفي ر: غرام. تحريف.
(٢) ر: العبسي.
(٣) كذا في ر. وفي ص: الجند.
(٤) زيادة في ر، لافتقار الأصل إليها.
(٥) كذا في ر، وقال: في الأصل: حوى بن حرى وليراجع ابراهيم بن حوى.

السو تاجا على روسهم وانت مشاهد هذا وتعلم انه صحيح [فلما سمعو الابهات هذا رجعو] تفرقنا إلى مواضعنا فلم يصبر الله على الخراسانيين، فاثار عليهم الحروب من كل موضع فالاول عبد الرحمن بن حبيب اخو الأسود المذكور اولا ملك افريقيه، وانفذ عبد الملك عساكر إلى افريقيه ليأخذوها وذلك في السنة الرابعه من مملكته.

وفى سنة أربع مايه وسبعين للشهدا سارو من

معهم بعمريط[1]، فى ذى القعدة سنة سبع وتسعين. فانهزم الجروى ومضى فى قومه من لخم وجُذام إلى فاقوس. فعذله قومه وقالوا: لم لا تدعو لنفسك؟ فما أنت بدون هؤلاء الذين غلبوا على الأرض. فمضى فيهم[2] إلى بلبيس[3] فنزلها ثمّ بعثَ عمّاله يجبون الخراج من أسفل الأرض. فبعث إليه ربيعة بن قيس بعثمان بن بلادة يمنعه من الجباية.

وسار أهل الحوف أيضاً فى المحرم سنة ثمان وتسعين ومئة إلى الخندق. فعقد عباد للسرى بن الحكم على حربهم. فاقتتلوا وقُتل جمع من الفريقين، وقُتل فيهم محمد بن حرى[4]. فانكشف أهل الحوف، وبلغهم مقتل محمد الأمين وبيعة المأمون فتفرّقوا.

وكان مقتل محمد فى المحرم سنة ثمان وتسعين ومئة. وصرف عباد[5] عنها فى صفر سنة ثمان، فكانت ولايته عليها سنة وسبعة أشهر.

---

(١) عمريط: قرية بشرقية مصر. وكذا هى فى ر، خـ (١ : ١٧٨). وفى ص: عبريط.

(٢) كذا فى خـ. وفى ر: منهم.

(٣) خـ (١ : ١٧٨): تنيس. وهو الأرجح.

(٤) لعل صوابه حوى.

(٥) ذكر صاحب النجوم خطأ أن عباداً أسر فى حروبه وحمل إلى الأمين فقتله فى صفر سنة ثمان وتسعين ومئة. وذلك محال لأن الأمين كان قد قتل قبل ذلك بشهور، منذ المحرم.

مـصـر من اول شـهـر ابيب. ولم يجـسـرو على الوصـول إلى افريقيه بل أقاموا فى البـريه وهلك اكـثـرهم بالعطش، اهلك الله عـبـد الله فى تلك السنه وجلس ولده مكانه ووقع بمصر قتال عظيم بين صالح وبين اخيـه الذى جلس ملكا. ثم انفـد صالحا إلى مصر يطلب عسكره ويستنقذه من يد أخيـه، ثم انه اعاد العسكر الذى كان سيره إلى افريقيه ودخل إلى مصر فى تاسع عشر يوم من بابه. وسار إلى فلسطين ليقاتلو اخا صالح، وكان

٧٨. المطلب بن عبدالله الخزاعى(*)

ثمّ وليها المطلب بن عبدالله الخزاعى، من قبل المأمون، على صلاتها وخراجها، دخلها من مكّة للنصف من ربيع الأوّل سنة ثمان وتسعين. فأقرّ هبيرة بن هاشم بن حُديج على شرطه، ثمّ عزله فولى محمد بن عسامة بن عِمرو المَعَافرى، ثمّ عزله وولى عبدالعزيز بن الوزير الجروى، ثمّ عزله وولّى إبراهيم بن عبدالسلام بن إبراهيم بن الهيثم الخزاعى، ثمّ عزله فولى هبيرة بن هاشم بن حُديج.

وقد كان السرى بن الحكم تلقاه فأغراه بأهل مصر، وخبّره بتسريعهم إلى أهل خراسان، وخوّفه من إبراهيم بن نافع الطائى، وكان مباعدا للسرى. فطلبَ المطلب إبراهيم الطائى، فلم يظهر له، فجدّ فى طلبه. واتهم زُرعة ابن قُحْزَم، وهُبيرة بن هاشم، وجنادة بن عيسى، وجُزَىّ(١) بن عمرو بن سهيل بن عبدالعزيز بن مروان، فسجنهم ليُظْهروه عليه. ثمّ ظهرَ له أنّه عند هبيرة بن هاشم، فعرضه على السيف أو يأتيه بالطائى. فامتنع هبيرة من إظهاره. فلمّا سكن المطلب(٢) عن الطائى، أخرجه هبيرة إلى الصعيد، فأفلت. قال سعيد بن عفير:

(*) الخطط ١ : ٣١٠، والنجوم ٢ : ١٥٧، وحسن المحاضر ٢ : ١١.

(١) كذا فى المشتبه للذهبى ١٠٤، وفى ر: حرى.

(٢) قال ر: يكون الصواب: الطلب.

أبو عون هنا فقتل من عسكره خلق كتير وكانت الحروب بينهم قايمه لم تنقطع وجازاهم الله عوض السو الذى فعلوه بارض مصر، وافنى بعضهم بعضا بغير يد غريبه، ولم يزالا يقتتلا حتى مضى صالح إلى الملك الكبير فى العراق ورجع أبو عون إلى مصر وهرب اخو صالح فلم يظهر بعد ان افنو العساكر بينهم.

ثم تنيح انبا يوحنا بطرك انطاكيه بعد ان اقام

لَعَمْرِى لَقَد أَوْفَى وَفَاقَ وَفَاؤُهُ هُبَيرَةُ فى الطائى وَفَاءَ السَمَوأَلِ

وَقَاهُ المَنَايَا إذْ أتاهُ بِنَفْسِهِ وَقَدْ بَرَقَتْ فى عَارِضٍ مُتَهَلِّلِ[1]

فَمَا انْفَكَّ مَحْبُوساً وَمْطلَبٌ لَهُ عَلَيْهِ قَصِيفٌ بالوَعِيدِ المُهَوِّلِ

فَمَا زَادَهُ الإيعَادُ إلاَّ تَوَقُّراً وَصَبْراً، وَلَمْ يَخْشَعْ وَلم يَتَفكَلِ

إلى أنْ تَجلَتْ عَنْهُ أبْيَضَ مَاجِداً كَريمَ النَشَا فى المَشْهَدِ المُتَدَخِّلِ

وبلغ المطلب مسير ربيعة بن قيس إلى يزيد بن خطّاب، ليجتمعا على حربه بأسفل الأرض. فعقد لعبدالعزيز الجروى وبعثه إليهم. فالتقوا بشَطْنُوف[2]، وكانت بينهم قتلى. وبعث المطلب بالسرى بن الحكم، فكان مقيماً بالحوف. وتفرّقت قيس وسكن أمرهم. وكان بُهلول اللخمى قد تغلب على الإسكندريّة فى ولاية عباد، فلمّا قدم المطلب ولى على الإسكندريّة حُدَيج بن عبدالواحد ابن محمدبن عبدالرحمن بن معاوية بن حديج. فخرجت بنو مدلج بالإسكندريّة. فبعث إليهم المطلب بأخيه هارون. فانهزم هارون.

---

(١) العارض: السحاب المعترض فى الأفق. والمتهلل: المتلألىء. والقصيف: الصوت الشديد. ورواية الشطر الأول من البيت الرابع فى ر: «فما زاده الابعاد إلا توقراً» تحريف. ويتفكل: لعل معناها يرتعد ويرتعش من الأفكل وهى الرعدة، ومال ر إلى أنها محرفة عن يتوكل. والنشا: الذكر.

(٢) شطنوف: بلد من كورة الغربية، يفترق النيل عنده فرقتين، فرقة تمضى شرقياً إلى تنيس، وفرقة تمضى غربياً إلى رشيد، على فرسخين من القاهرة.

مصالحا الأساقفه تلت سنين. ومنع الله الما[ء] ان يطلع [فيضان النيل] وأبو عون بمصر، وجميعا ما وصل[الماء] إلى أربع عشره دراعا ووقف. وكان الما[ء] الذى يستحبه السلطان للخراج ست عشره دراعا، وإنما منع الله الما[ء] من أجل ذينك الرجلين الكاتبين اللذين يشبهان الدجال فى افعاله. وكان منع الما بإرادة الله ليظهر عجايبه التى ظهرها كل زمان وصحة دين النصرانيه.

ثمّ صُرِف المطلب عنها فى شوال سنة ثمان وتسعين، وكانت ولايته عليها سبعة أشهر ونصفاً.

٧٩. العباس بن موسى بن عيسى العباسى(*)

ثمّ وليها العبّاس بن موسى، من قبل المأمون، على صلاتها وخراجها، فقدمها ابنه عبدالله بن العبّاس، ومعه أبو بِشْر الحسن(١) بن عُبيد بن لُوط ابن عُبيد بن عازب(٢) الأنصارى، قدمها لليلتين بقيتا من شوال سنة ثمان، فعزلا المطّلب وسجناه، وجعلا على الشرط محمد بن عسامة المعافرى. ثمّ عزلاه وجعلا مكانه عبدالعزيز بن الوزير الجروى.

وثاور الأنصارى(٣) الجند مرّة بعد مرّة، ومنعهم أعطياتهم. وتهددهم. وتحامل على الرعية وعَسَفها، وتهدّدهم بقدوم العبّاس بن موسى. فأوحش الجميع ذلك من فعله.

واستصحب عبدالله بن العبّاس، فى مسيره إلى مصر، محمد بن إدريس الشافعى الفقيه، رحمه الله؛ فذلك سبب قدوم الشافعى إلى مصر.

(*) الخطط ١ : ٣١٠، والنجوم ٢ : ١٦١، وحسن المحاضرة ٢ : ١١.
(١) كذا فى ن أيضاً. وفى خـ: الحسين.
(٢) ر: عارب، خطأ.
(٣) ثاوره: واثبه. وفى خـ: فثار الجند مراراً.

وكانو الأساقفة وصلو من كراسيهم إلى البطرك ليجتمعو عند البطرك في عيد الصليب(*) كما جرى العاده ان يجتمعو عنده ويكون لهم مجمع دفعتين في السنه، ومضى اسقف مصر وغيره واظهر الله ذلك لأبى الأسقف أنبا مويسيس وامرو ان لا يمضى إلى المجمع باسكندريه احد كما جرت العاده تلك السنه. فجمع الأساقفه بها عند البطرك.

ولما كان السابع عشر من توت يوم عيد

(*) عيد الصليب: تحتفل الكنيسة المصرية بظهور الصليب احتفالين: الأول في اليوم السابع عشر من شهر توت سنة ٣٢٦م على يد الملكة هيلانة والدة الامبراطور قسطنطين (الذى اعلن المسيحية ديانة رسمية للامبراطوريه الرومانية). وقد كشفت الملكة عن مكان الصليب بأن أحضرت عند وصولها لأورشليم شيخاً من اليهود وضيقت عليه بالجوع والعطش حتى اضطر إلى الإرشاد

وخدع عبدالعزيز الجروى عثمان بن بلادة. وشكلباً، وعابساً، وهم من وجوه قيس، فأسرهم. فقتلهم ابن العبّاس يوم النحر سنة ثمان وتسعين(١).

وعاد الأنصارى إلى التحامل على الجند والرعيّة. فثاوروه ودعوا إلى ولاية المطلب، وهو يومئذٍ في حبس ابن العبّاس، وذلك في المحرم سنة تسع وتسعين ومئة. فكانت مدّة مقام ابن العبّاس خليفة لأبيه عليها شهرين ونصفاً.

٨٠. المطلب بن عبدالله (*)

الثانية

ثمّ وليها المطلب بن عبدالله الثانية، بإجماع الجند عليه لأربع عشرة خلت من المحرم سنة تسع وتسعين ومئة. فبايعوه فجعل على شرطه أحمد بن حُوَىّ ابن حوى، ثمّ عزله وولّى هبيرة بن هاشم بن حديج. وهرب الجروى إلى تِنّيس. وانضمّ عبدالله بن العبّاس بن موسى إلى عباد بن محمد، فآواه ومنع منه. وانضمّ الأنصارى إلى المطلب. وأقبل العبّاس(٢) بن موسى بن

(١) ذهب النجوم إلى أن صاحب البغية قال: إن الجند قتلت عبدالله بن العباس في ذلك اليوم، بخلاف ما يذكره الكندى.

(*) الخطط ١: ٣١٠، والنجوم ٢: ١٦٢، وحسن المحاضرة ٢: ١١.

(٢) كذا في ر عن خـ، ن. وفي ص: أبو العباس.

الصليب المجيد جمع كهنة الجيزه والنزهات واكثر اهل الفساط والكبير والصغير من شعبه، وحملو الأناجيل ومباخر البخور ودخلنا إلى البيعة الكبيره (القتاليكون) التى على اسم القديس بطرس وكان اساسها في البحر ولم تكن البيعه تسع الناس من كثرتهم حتى انهم كانوا فى الغيطان والمواضع. ورفع البطرك الصليب وكان معه انبا مينا اسقف (منف) والأنجيل المقدس معه، وخرجنا جميعنا ونحن حاملون الصليب والأنجيل المقدس ووقفنا

عن المكان الذى يوجد الصليب فيه بكيمان الجلجثة. والاحتفال الثانى فى اليوم العاشر من شهر برمهات، وكان على يد الامبراطور هرقل سنة ٦٢٧م. وذلك أنه لما أرتد الفرس عن مصر إلى بلادهم أخذوا معهم بقايا الصليب المقدس من كنيسة الملكة هيلانه فقام هرقل بغزو بلاد الفرس وحمل بقايا الصليب معه إلى القسطنطينية حيث حفظها بكنيستها. ولأن اليوم العاشر من برمهات يكون فى

عيسى من مكّة إلى الحوف. فنزل بلبيس ودعا قيساً إلى نصرته. ثمّ مضى إلى الجروى بتنّيس[1] فشاوره. فأشار عليه أن ينزل دار قيس. فرجع العبّاس إلى بلبيس يوم الأحد لثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين ومئة[2].

فيقال: إنّ المطّلب دسّ إلى قيس فسمّوا العبّاس فى طعامه. فمات ببلبيس لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين ومئة. وعاد إبراهيم الطائى إلى المطلب فى ولايته الثانية فكان معه. وظهر المطلب على كتب من العبّاس إلى الطائى والأنصارى. فبعث المطلب بهبيرة بن هاشم فقتل الطائى. وسلّطَ الجند على الأنصارى فقتلوه. قال مُعَلّى الطائى يمدح المطلب:

كَفَاهُمْ من العَبّاسِ ما لَوْ عَنَوا به ... لأحيَا لهُمْ من جَوْرِ فرْعونَ ما عدَلْ[3]

فَمَنْ مُبلغُ المأمُون عَنى نَصيحَةً ... ومَا عالمٌ شيئاً سَواءٌ ومَنْ جَهِلْ

بِأنّ ابنَ عَبْدِ الله لَوْلا مَكَانُه ... لَعَرَفْتَ[4] للعَبّاسِ داهِيَةً جَلَلْ

---

(١) كذا فى ر، خـ. وفى ص: ببليس. خطأ.

(٢) جعل خـ، ن هذا التاريخ لوفاة العباس لا لرجوعه.

(٣) عدل: عدله وكافأه. وكذا مال ر إلى إصلاح البيت، وهو محرف فى الأصل.

(٤) ر: فعرفت.

على شاطى البحر قبل طلوع الشمس. وصلى الأب البطريرك وانبا مينا الإسقف ولم يزل الشعب صارخين كيريا ليصون إلى تلت ساعات من النهار حتى بهت جميع الجموع من اليهود والمسلمين وغيرهم من صراخنا إلى الله سبحانه وتعالى، فسمع جل اسمه الكريم [دعانا] وطلع البحر [النيل] وزاد دراعا واحده ومجد كل احد الله وشكره.

ولما اتصل الخبر بابى عون. تعجب وخاف هو

الصوم فقد استقرت الكنيسة على يوم ١٧ توت للإحتفال بظهور الصليب. انظر السنكسار جـ ١ ص ٣٧ وجـ٢ ص ٢٩.
أما عن وفاء النيل والاحتفاء به فكان يقام عند بلوغ ارتفاع ماء النيل فى القياس كما سبق وذكر الستة عشر ذراعاً. وتسمى ليلة الاحتفال بجبر [كسر] السد الذى يقام عند المقياس بمصر عتيقة بليلة النقطة، إذ يعتقد أن نقطة عجيبة تسقط حينئذ فى النيل وتسبب ارتفاعه. ويعلن ارتفاع النيل فى شوارع العاصمة يوميا

وقال سعيد بن عفير فى مقتل أبى بشر الأنصارى، ويذمّ مطلباً فيما فعل:

أرَى كُلّ جَارٍ قَد وَفَى[1] بجِوَارِهِ ... وَخَانَ أبَا بِشْرٍ جِوَارُ ابن مَالِك
أمْطلبُ هَلاّ مَنَعْتَ ابنَ عَازِبٍ ... وأدَّيْتَهُ[2] قَبْلَ انْسِدَادِ المَسَالِك
فَيَأخُذُ حَبْلاً مِنْ سِوَاكَ بعِزّةٍ ... ويَمْنَعُهُ مِنْ كُلّ تَبْلٍ وَهَالِك[3]
كَحَبْلِ حُوَىٍّ[4] أوْ كحَبْلِ ابن قَحْزَمٍ ... وَثِيقِ العُرَا للمِعْصَمِ المُتَمَاسِكِ

وقال أيضاً:

أخْبِرْ بَنِى قَحْطَانَ فى مِصْرَ أنّنى ... رَأيْتُهُمُ لا يَحْفَظُونَ لهُمْ إصرَا[5]

وكاتب مطلب أهل الأحواف بعد موت العبّاس، فانطاعوا له وبايعوه. وساروا إلى جُبّ عُميرة فلقوا مطلباً. وسألوه فولّى المطلب يزيد بن خطّاب الكلبى على أسفل الأرض. وبعث

---

(١) ر: رمى، خطأ.
(٢) ر: ابن غادر وأذيته.
(٣) التبل: الثأر. وهالك: مهلك. وفى ر: من كل طبل ومالك، ولا معنى له.
(٤) ر: نوى، ولعل صوابه ما أثبته.
(٥) الإصر: العهد.

وجميع عسكره وطرح الله فى قلبه ان قال لجيشه ولأهل مصر. يريد ان نعرف أى الأديان هو الدين الصحيح. فامر ان يجتمعو المسلمون المقيمون بمصر ويخرجو إلى الجبل الشرقى بمصر، فاجتمعو الصغار والكبار والشيوخ والشباب والعبيد والأحرار، ولم يبق احد من اهل دينه وملته، واقامو الناس مجتمعين نصف الليل إلى اربع ساعات من النهار وصلو وتضرعو إلى الله ويقولون هكذا: يا الله الواحد الذى لا نظير له يا خالق السما والأرض

ابتداء من السابع والعشرين من بؤنه أو ما يقرب من ذلك. وعندما يصل الارتفاع إلى ستة عشر ذراعاً يعلن ذلك فى كل انحاء البلاد وذلك غالباً بين الأول والحادى عشر من مسرى ثم يكسر السد المقام عند المقياس. وعن الاحتفالات التى تقام بهذه المناسبة انظر: الجبرتى، عجايب الآثار جـ٥ ص١٠٥ وما بعدها. تحقيق واعداد عبد العزيز جمال الدين ـ مكتبة مدبولى ـ القاهرة.

إلى الجروى بعَقْده على تنّيس، وأمره بالشخوص إلى الفسطاط. فامتنع الجروى من ذلك. فبعثَ المطّلب بوالٍ على تنيس. وأخرجه الجروى منها. ثمّ سار الجروى فى مراكبه حتى نزل شَطّنوف. فبعثَ إليه المطّلب بالسرى بن الحكم فى جمع من الجند، يسألونه الصلح. فأجابهم إليه. ثم اجتهد فى الغدر بهم فتيقّظوا له. فمضى راجعاً إلى بنَا. واتّبعوه فحاربوه. ثمّ عاد فدعاهم إلى الصلح، ولا طف السرى. فخرج إليه فى زلّاج، وخرج الجروى فى مثله. فالتقيا وسط النيل مقابل سندفا، والسرى بشَرقيّون[1]. وقد أعدّ الجروى فى باطن زلاجه الحبال، وأمر أصحابه بسندفا، إذا لاصق بزلاج السرى، أن يجرّفوا الحبال إليهم. فلصق الجروى بزلاج السرى، فربطه إلى زلاجه. وجرّ الحبالَ الرجالُ فأسروا السرى. ومضى به الجروى إلى تنّيس فسجنه بها، وذلك فى جمادى الأولى سنة تسع وتسعين.

ثمّ كرّ الجروى على يزيد بن خطّاب فقاتله فهزمه. فعقد المطّلب لابن عبدالغفّار الجمحى، وبعثه إلى الجروى، وأيّده بالرجال. فلقيهم الجروى فهزمهم. وأسر ابن عبدالغفّار ووجوه أصحابه. وكانت وقعتهم بسَفْط سَلبط[2]، أوّل يوم من رجب سنة تسع وتسعين ومئة.

---

(١) شرقيون: مدينة شمال المحلة الكبرى.

(٢) سفط سلبط: قرية بالمنوفية.

انت تعلم اننا لا نشرك بك ولا نعبد معك احدا ولا نقول مثل النصارى ان لك ولد ولا أنك مولود بل نوحدك ونعبدك بالتوحيد، نريد ا ن ننظر عجايبك اليوم التى انت عاملها لنعلم ونتحقق انه ليس دين مثل ديننا الذى ورثناه من آباينا، ونسالك ان تفعل معنا اعجوبه كما فعلت بالنصارى امس الذين هم اعدانا واعدا مذهبنا، الذين يجعلون معك الاها اخر مولودا منك من البدى ويسمونه المسيح المولود من مريم، يقولون انه ابنك وروح

وعقد المطّلب على الإسكندريّة لمحمد بن هبيرة بن هاشم بن حُدَيج[١]. فاستخلف محمد عمر بن عبدالملك بن محمد بن عبدالرحمن بن معاوية بن حُديج، الذى يقال له «عمر بن مَلال[٢]». فوليها عمر بن عبدالملك ثلاثة أشهر، ثمّ عزله المطّلب بأخيه الفضل بن عبدالله بن مالك. وكانت بالإسكندريّة مراكب الأندلسيين، قد قفلوا من غزوهم، فنزلوا الإسكندريّة ليبتاعوا ما يصلحهم؛ وكذلك كانوا على الزمان. وكانت الأمراء لا تمكنهم [من][٣] دخول الاسكندرية، إنّما كان الناس يخرجون إليهم فيبايعونهم. فلمّا عُزِلَ عمر بن مَلال، كتب إليه عبدالعزيز الجروى، يأمره بالوثب على الإسكندريّة والدعاء له بها، و[أن][٤] يخرج الفضل بن عبدالله منها. فبعثَ عمر بن مَلالَ إلى الأندلسيين، فدعاهم إلى القيام معه فى إخراج الفضل عنها، فساروا معه. فأخرج الفضل منها ودعا إلى الجروى. فوثب أهل الإسكندرية على الأندلسيين فأخرجوهم، وردّوا الفضل عليهم. وقُتل من الأندلسيين نفر وانهزموا إلى مراكبهم. ثمّ عزل المطّلب أخاه، وولى عليها إسحاق بن أبرهة بن الصبّاح بن الوليد بن أبى شمر[٥] بن

---

(١) كذا فى ر، خـ (١ : ١٧٢). وفى ص: جديد. تحريف.
(٢) كذا فى ثلاثة مواضع من ص، خـ. وفى ر: هلال. ويؤخذ من الشعر الآتى أن ثانيه مشدد.
(٣) زيادة تقتضيها العبارة. وفى خـ (١ : ١٧٢): لا تبيحهم دخول.
(٤) زيادة عن ر.
(٥) ر: سمر. خطأ. كما اتضح آنفاً.

القدس وانت تالتهم، وكلاما كتيرا، ونسألك أن تصنع لنا علامه وآيه في هذا الما[ء]. وفيما هم في ذلك وإذا رجل من قياسى الما[ء] يجرى فقال لهم: الذى زاد الما[ء] أمس نقصه اليوم. فلحقهم حزن عظيم ولم يعلمو ما يقول. ومضو الناس إلى مواضعهم بكابه عظيمه. ثم أمر ان يجرب اهل مصر فامر المنادى ان ينادى بخروج المسلمين إلى الجبل ليصلو وبالغداه خرج جميعهم. واليهود والسامرية خرجو ثاني يوم فلم

أبرهة بن الصبّاح الأصبحي. فسار إليه عمر بن ملال، وذلك في شهر رمضان سنة تسع وتسعين ومئة. ثمّ عزله المطلب وولاها أبا بكر بن جنادة بن عيسى المعافرى.

وأقبل عبدالله بن موسى إلى مصر، طالباً بدم أخيه العبّاس، في المحرم سنة مئتين. فنزل على عبدالعزيز بن الوزير الجروى. فسار معه في جيوش له كثيرة العدد في البر والبحر حتى نزل الجيزة. فخرج إليه المطّلب في أهل مصر، فحاربوه في صفر سنة مئتين. فرجع الجروى إلى شرقيّون[1]. ومضى عبدالله ابن موسى إلى الحجاز. وظهر للمطّلب أن أبا حَرْمَلة[2] فرجا[3] الأسود الذى كاتب عبدالله بن موسى. وحرّضه على المسير، فطلبه المطّلب. فهرب فرج إلى الجروى. فهدم المطّلب دوره كلها. فدفع إليه الجروى من الأموال ما أعاد بناءها.

وجدّ المطلب في أمر عبدالعزيز الجروى. فبلغ الجروى ذلك، فأخرج السرى بن الحكم من السجن. فعاهده وعاقده أنّه يطلقه من سجنه، ويُلقى إلى أهل مصر أن كتاباً ورد بولايته على أن يثور بالمطّلب ويخلعه. فعاهده السرى على ذلك، واتّفقا جميعاً على عقد بينهما. فاطلقه

---

(١) شرقيون: القسم الشمالي من المحلة الكبرى.
(٢) كذا في رعن خـ (١ : ١٧٨) ومواضع أخرى من الأصل، وهنا في ص: أبا حرمه.
(٣) كذا في خـ. وفي ص: فرح. وقال ر: وفي الانتصار يظهر أنه صاحب السقيفة والدار المذكورتين في هذا الكتاب وفي غيره، ولعله هو الذى سمى بعد فرج بن حرملة.

يزد الما ولا نقص بل ثبت على ما كان عليه، فبقى أبو عون الوالى تحت كآبه ولم يومن وقال: حتى انظر اخر الأمر. وبقى حايرا يقول: بصلاة النصارى زاد الما وبصلاتنا نقص . فتقدم في اليوم التالت ان لا يخرج احد بالجمله ولا يطلع أحد الى الجبل ولا يصلى. ولم يزد الما فى التلتة أيام شيا. وبعد ذلك امر باحضار النصارى الذين بالفسطاط وقبايل لم نذكر اسماهم، وتقدم الى انبا مويسيس ان يصلى هو وشعبه [وامرهم ان يصلو، فتوجهو الى ساحل

الجروى، وألقى ذكر ولايته إلى الجند. فاستقبله الجند من أهل خراسان وعقدوا له عليهم. وامتنعَ المصريون من ولايته. فنزل داره بالحمراء[١]. فبعثَ إليه المطّلب بالجند يحاربونه في كل ناحية من الفسطاط، فألجؤوه في منزله لا يخرج منه وأحاطوا به. ثمّ سار إليه هُبيرة بن هاشم بن حُديج، سلخ شعبان سنة مئتين. فتحاربوا بسوق وَرْدان وفى أصحاب القَرَظ. وثارت غُبرة لا يرى منها أحد شيئاً، وتحيّر بهبيرة فرسه عند حَيِّز الإوَزّ. فسقط فى حفرة فانكسرت رجله. وأدركه جمع من أصحاب السرى فقتلوه، وهم لا يعرفونه، واحتزوا رأسه. فأتوا به السرى، فعَظُمَ عليه مقتله. وانصرفت الفئتان، وقد أظهروا الجزع والوجد بقتل هبيرة. وانكسر المصريون لذلك، وعلاهم السريّ وأهل خراسان. قال سعيد بن عفير:

لَعَمْرى لَقَدْ لاقَى هُبَيرَةُ حَتْفَهُ ... بأفْضَلَ ما تُلقَى الحتوفُ السَوَارِعُ
بأنفٍ حَمِيٍّ لَمْ تُخَالطْهُ ذلةٌ ... وَعِرْضٍ نَقِيٍّ لمْ تَشِنْهُ المَطامِعُ
عَشِيَّةَ يَسْتَكْفِيهِ مُطَلبُ الذى ... به ضَاقَ ذَرْعاً وَالمَنَايَا كَوَارِعُ
فَمَا انْفَكَ يَحْميهِ ويَجعَلُ نَفسَه ... لَهُ جُنّةً حَتى احْتَوَتْهُ المَصَارِعُ
فَلاقَى المَنَايَا فَوْقَ أجْرَدَ سَابِحٍ ... وَفى الكَفِّ مأثورٌ من الهِندِ قَاطِعُ

(١) كذا في ر عن خـ، وقال: في الأصل: داره الحمراء، وهو غلط، لأن الحمراء موضع معروف بمصر.

البحر [النيل] وصلو وطلبو من الله الرحمه والتحنن] ، فصلو الصلاه وشكرو الله إلى سادس ساعه من النهار ونزلو طافو بمصر واتو إلى ساحل البحر وصلو بقية النهار. وفي تلك الليله زاد البحر تلت ادرع حتى صار على رأس سبع عشره دراعا ففرحو الناس كلهم فرحا عظيما وشكرو الله ومجدو اسمه.

واما ابو عون فلاجل ذلك زاد في فعل الخير مع النصارى وكنايسهم وخفف عنهم الخراج.

فَبينا يَخوضُ الهَوْلَ من غَمَراتِه ... وأعداؤهُ من حَوْله قد تَجاشَعُوا
تَقَطّرَ فى أُهْوِيّةٍ عَنْ جَوادِه ... فصادَفَهُ حَيْنٌ مِنَ المَوْت واقعُ[1]
فَلَمْ أرَ مَقْتولاً أجلَّ مُصابَه ... عَلى مَنْ يُعادى وَالّذين يُجامعْ
مِنِ ابنِ حُدَيجٍ يومَ أُعْلِنَ نَعْيُهُ ... وَقامَ به فى النّاسِ راءٍ وسَامعْ
كِلا الفَيْلَقَيْنِ...... ... مَقاماً عَلى ما كانَ فيه يُماصعْ[2]
فَوَلّوْا فَلُولاً قَدْ عَلَتْهُمْ كَآبَةٌ ... وَكُلُّهُمْ بادى التّلَهّفِ جازِعْ

وطلَبَ المطّلب الأمان من السرى، على أن يسلم إليه الأمر ويخرج عن مصر. ففعل ذلك السرى، وسلّم إليه المطّلب. وخرج المطلب في بحر القلزم إلى مكّة. قال دِعْبِل للمطّلب:

فكَيفَ رَأيتَ سُيُوفَ الجَرِيشِ ... وَوَقْعَةَ مولى بَنى ضَبّة
أحَجّتْكَ أسْيافُهُمْ كَارِهاً ... وَمَا لَكَ فى الحَجِّ مِنْ رَغْبَةِ[3]

---

(١) كوارع: جمع كارعة، وهى التى تصوب رأسها فى الماء من الحيوانات لتشرب، يريد أن المنايا متهيئة. والجنة: الوقاية والدرع. والأجرد: القصير الشعر من الأفراض. والسابح: الذى يسبح فى جريه. ومأثور من الهند: سيف هندى كريم. وتجاشعوا: تزاحموا. وتقطر: سقط. وأهوية: حفرة.

(٢) يماصع: يقاتل ويجالد. وكذا ورد البيت فى ر.

(٣) مولى بنى ضبة هو السرى بن الحكم. انظر النجوم ٢ : ١٦٥ . وفى ص فوق «رغبة» : رقبة، ويبدو أنها رواية أخرى.

ومن ذلك اليوم كان الأب البطرك والأساقفه بنو المعموديه والبيعه تحت امن وسلامه بفرح وابتهاج عظيم بارض مصر والخمس مدن وكل المواضع التى فى كرسى الأب البشير مارى مرقس الأنجيلى لما شاهده السلطان من عجايب البيعه وقوة فعلها، وكان السلطان يقول ان النصارى قلب واحد ومتفقون. وكانت الأبا فى ذلك الجيل افعالهم متل الملايكه الروحانيين، واحد يشفى المرضى ، واخر يظهر العجايب، واخر يفسر الكتب ويعلم ويعظ ،

فكانت ولاية المطلب هذه الثانية[١] عليها سنة وثمانية أشهر[٢].

٨١. السرى بن الحكم[*]

ثمّ وليها السرى بن الحكم بإجماع الجند عليه، على صلاتها وخراجها، لمستهلّ شهر رمضان سنة مئتين. فجعل على شرطه محمد بن عَسّامة بن عمرو. ووثب عمر بن ملال على أبى بكر بن جُنادة بن عيسى المَعافرى، خليفة مطلب بالإسكندرية. فأخرجه منها، ودعا للجروى بها، والجروى والسرى متسالمان. وأقبل الأندلسيون إلى ابن ملال. فكان بلغه[٣] عنهم بعض الفساد. فأمر عمر بإخراجهم من الإسكندريّة والحاقهم بمراكبهم، فاضطغنوا ذلك عليه. وظهرت بالإسكندريّة طائفة يسمّون الصوفية[٤]، يأمرون بالمعروف ـ فيما زعموا ـ ويعارضون السلطان فى أمره. فترأس عليهم رجل منهم يقال له «أبو عبدالرحمن الصوفى». فصاروا مع الأندلسّيين يداً واحدة. واعتضدوا بلَخْم ـ وكانت لخم أعز من فى ناحية

(١) ر: الثالثة، خطأ.
(٢) ن: سنة واحدة وسبعة أشهر.
(*) الخطط ١ : ٣١٠، والنجوم ٢ : ١٦٥، وحسن المحاضرة ٢ : ١١.
(٣) كذا فى ر. وفى ص: فكانوا فبلغه.
(٤) كذا فى ص. وفى ر عن خـ: بالصوفية.

واخر يتعب جسمه بالعمل والكد. وكان جميع الشعب يتعجبون منهم ويطلبون بركتهم ، وكان الأب انبا خايل لاجل ذلك مسرورا باساقفته وجميع رعيته . وكان يطوف عليهم يتفقد جميع احوالهم باهتمام يعظهم بكلامه المحيى مثل الحواريين الابا اولا، ومثل سكان البرارى و المغاير يتبتهم ويعلمهم مقاتله الارواح الشيطانيه، ورهبان الديارات يعلمهم التواضع والمحبه تكون بينهم والشعب المومن يهديهم إلى ما يرضى الله،

الإسكندريّة[١] . فخوصم[٢] أبو عبدالرحمن الصوفي إلى عمر بن ملال في امرأة، فقضى على أبي عبدالرحمن. فوجد في نفسه من ذلك، وخرج إلى الأندلسيّين، وألّف بينهم وبين لخم. ورجا أهل لخم أن يدركوا [ثأرا][٣] من عمر بن ملال. فساروا إلى عمر، وهم زُهاء عشرة آلاف من لخم، ومن الأندلسيّين، ومن ضوى إليهم، فحصروه في قصره. فعلم عمر أن القصر لا يمنعه منهم، وخافَ أن يُدخَل عليه عَنوة، فيفضح في حُرَمه. فاغتسل وتحنّط وتكفّن، وأمر أهله أن يُدلّوه إليهم. فدُلّي فأخذته السيوف فقُتل. ثمّ دُلّي إليهم أخوه محمد بن عبدالملك بن محمد بن عبدالرحمن بن معاوية بن حُدَيج، فقُتل. [ثمّ دلّي عليهم عبدالله البطّال بن عبدالواحد ابن محمد بن عبدالرحمن بن معاوية بن حديج، فقتل][٤]. ثمّ دُلّي إليهم أخوه[٥] أبو هبيرة الحارث بن عبدالواحد فقُتل. ثمّ دُلّي إليهم حُدَيج بن عبدالواحد فقتل. وانصرف القوم. قال سعيد بن عفير:

(١) كذا في خـ (١ : ١٧٣). وفي ر: وكانت لخم أحد من ناحية الإسكندرية.
(٢) كذا في ر عن خـ. وفي ص: فحرضهم.
(٣) زيادة ضرورية عن خـ.
(٤) زيادة ضرورية عن خـ، بدليل كلمة «أخوه» الآتية.
(٥) كذا في ص، وجعلها ر: ابن عمه، حين لم يذكر عبدالله البطال.

والقليلى الايمان يعلمهم التعاليم الأنجيليه، والذين هم متخاصمون يصلح بينهم ويهدى شرهم ويسكن حقدهم بتعاليمه من الكتب المقدسه.

ولو لا غرضنا الاختصار لضاقت الكتب عن أفعال هذا الأب القديس انبا خايل.

وكانت فرقتا هارسيس اصحاب مليتس قديما ويوليانوس، فراسلهم الأب برسل وكاتبهم فلم يجيبوه فمضى بنفسه إليهم [في البرارى] فلم يقدر

لا يَبْعَدَنَّ ابنُ مَلالٍ فَقَد ذهبتْ — منهُ المَنونُ بِعِلْمٍ طَيِّبِ النَّسَمِ
لا يرْأَمُ الضَّيْمَ من حبّ الحَياة ولا — يَقْبَلُ دونَ فَعَالِ الخيرِ بالقسَمِ
ولا يزالُ لَهُ مِنْ مَجده طَرَفٌ — يَسْنُدُ ما حازَ عَنْ آبائه القِدَمِ
ما انفكَّ يحمى ذمارَ اسكندريّةَ في — هَدْءِ حَميدٍ وَعِزٍّ غيرِ مُهْتَضَمِ[1]
حَتى إذا جَاءَهُ مَنْ كانَ يأمَنُهُ — وَصَرَّحَ المَوْتُ جَهْراً غيرَ مُكتَتِمِ
خاضَ الأسِنَّةَ والهندىَّ مُحتَسِباً — حَتى تَجَرَّعَ كَأسَ المَوْتِ من أمَمِ

وكان مقتل عمر بن ملال وأهله في ذى القعدة سنة مئتين.

ثمّ فسد أمر لخم والأندلسيّين عند مقتل عمر بن ملال. وقام بأمر لخم رباح[2]، فحاربهم. فانهزمت لخم، وظهر[3] الأندلسيون بالإسكندريّة عنوة في ذى الحجّة سنة مئتين. فولوها أبا عبدالرحمن الصوفى. فبلغ من الفساد بالإسكندرية والقتل والنهب ما لم يُسْمَع بمثله. فعزله الأندلسيّون عنها وولوا رجلاً منهم يُعرف «بالكنانى». ثمّ حاربت بنو مُدْلج أهل الأندلس، فظفر

(١) النسم: الروح. وعلم: كذا بالكسر في ر، ولعله يريد بها عالما. وربما كان ضبطه بفتح العين، يريد علماً أى سيداً، ثم خفف اللام بإسكانها. ويرأم: يحب ويألف. والآباء القدم: ذوو السابقة من الخير والفضل. والهدء: السيرة. وأمم: قريب.
(٢) قال ر: يحتمل رياح، لأن ثانية مهمل في الأصل.
(٣) كذا في ر. وفي ص: أظهر، تحريف. وفي خـ: ظفر.

ان يعيدهم بقلب مستقيم لانهم انكرو خلفهم، وكانو معتزلين فى الديارات منهم وفى البرارى(*) . فرفع يده إلى السما وقال: أن كان هولا الذين جحدو قدامك وفعلو رديه فاظهر فيهم اية قريبا غير بعيد لينظرهم كل احد ويمجد اسمكم . فبعد قليل اهلكهم الرب وافناهم كما اهلك سدوم. والدير الذى كان فيه تلتة الاف انسان لم يبق فيه سوى عشره انفس مومنين ولم يسلكو طريقهم ، وخاطبتهم انا الحقير ونظرتهم وقد سكنت الوحوش

(*) موقف البطرك خايل من ثورة سكان البرارى (البشمور).

بهم الأندلسيّون، فنفوهم عن البلاد. ولم يقدر أحد من بنى مدلج [أن][1]، يرجع إلى أرض الإسكندريّة إلاّ بطلبة من السرى ابن الحكم إلى أهل الأندلس فيهم، حتى أذنوا لهم فرجعوا.

حدثنى عبيدالله بن عمر بن السارح[2]، قال: حدثنى عبدالرحمن بن أبى الخطاب قال: حدثنى أبى وهانىء بن المتوكل، ومحمد بن خلاد، عن ضمام بن اسماعيل.

عن أبى قبيل قال: إنى على الإسكندريّة [من][3] أربعين مركباً مسلمين وليسوا بمسلمين، تأتى على[4]، آخر الصيف، أخوف منى عليها من الروم. قال ابن أبى الخطّاب: وحدّثنى ابن حَيْوة قال: لما ذكر ضمام هذه[5]، الأربعين مركباً، وطال اعتناؤه بها وذكره إيّاها، قلت له: يا أبا إسماعيل، ما هذه الأربعون مركباً فى هذا الخلق، لو كانت نيراناً تضطرم؟ فقال: اسكت، ويلك! منها وممّن يكون فيها يكون خراب سكندرية وما حولها.

وبلغ الجروى ما فعله الأندلسيّون وقتْلهم ابن ملال. فسار إليهم فى خمسين ألفاً حتى نزل على حصنها، فحاصرها، ثمّ أجهدهم وكاد أن يفتتحها. فخشى السرى بن الحكم أن يفتحها

(١) زيادة فى ر.
(٢) كذا فى ر. ولعله عبيدالله بن عمرو بن السرح، المتوفى ٣٠٧هـ.
(٣) زيادة فى ر عن خـ.
(٤) خـ: فى.
(٥) كذا فى ر. وفى ص: هذا.

مساكنهم بصلوات الاب القديس أنبا وخايل فى أيام ولاية عبد الله.

فان قال قايل لا يعرف الخبر ماجرم هولا حتى هلكو فانا اقول لكم بمعونة الله، لما كان ديونوسيوس الحكيم بطركا على اسكندريه ظهر الكافر بوله السميساطى [الكافر الذى لا ينبغى ذكره بخير] وكان بطرك انطاكيه، فاغضب الله بافعاله النجسه، فلما سمع ديونوسيوس كتب إلى الملوك المحبين لله المومنين يعلمهم ما انتهى إليه عن

ويملكها، فبعث عمرو بن وهب الخزاعي إلى تِنّيس ليخالف الجروى إلى منزله. فبلغ ذلك الجروى، فكرّ راجعاً إلى تنّيس، وفسد ما بينه وبين السرى. وقال ابن عفير للجروى:

أَلاَ مَنْ مُبْلِغ الجَرَوِىَ عَنّى مُغَلْغَلَةً يُعَاتِبُ أَوْ يَلُومُ

أَقَمْتَ تُنَازِلُ الأَبْطَالَ حَتّى تَمَيّزَ ذُو الحَفِيظَةِ وَالسَّؤُومُ

وَصُلْتَ بِهِمْ فَمَا وَهَنَتْ قُوَاهُمْ وَطَيْرُ المَوْتِ دائِرَةٌ تَحُومُ

وَلَوْ هَجَمَتْ جُموعُكَ حِينَ حلّوا عَلَيْهِم، بادَ جَمْعُهُم المُقِيمُ

وَكَيْفَ رَأَيْتَ دائِرَةَ التَّوَانى أَتَتْكَ بِصَحْوِ نَحْسٍ لا يُقِيمُ

أَتاكَ وَقَدْ أَمِنْتَ وَنِمتَ كَيْدٌ لِصِلٍّ لا يَنَامُ وَلاَ يُنِيمُ

وكان مسير عبدالعزيز الجروى إلى الإسكندريّة وانصرافه عنها في المحرم سنة إحدى ومئتين. ودعا الأندلسيون بها للسرى بن الحكم. ثمّ فسد ما بين السرى وآل عبدالجبّار بن عبدالرحمن الأزدى ـ وكانوا وجوه أهل خراسان بمصر ـ فدنوا من الفساد على السرى، وبايعهم الجند على ذلك. وأظهروا كتاباً من طاهر بن الحسين، بولايته سليمان بن غالب بن جبريل عليها. فوثبوا إلى السرى لمستهل ربيع الأوّل سنة إحدى ومئتين، فكانت ولايته عليها ستة أشهر.

بوله المخالف و طردوه ولم علم احد كيف كان هروبه، وكلمن اراد ان يعرف فعله الطمث فهو يجده في رسالة اثناسيوس الرسولى التى كتبها من اجله فانه يفهم ذلك ويعرفه.

ولما كان في اول قسمة ابا مويسيس كان هناك ديارات كثير في كرسيه بوسيم(*) لهولا اصحاب مليتس وكانو سكانا فيها فنفى جميعهم فمنهم من لبس الأسكيم من يده وسارو متحدين بنا، وكان

(*) انتشار اتباع مليتس فى ديارات اوسيم حول الجيزة ومنف (الفسطاط) انظر الجزء الأول ص٣٥٧، ٤٢٦.

---

٨٢. سليمان بن غالب بن جبريل[١] البجلى

ثمّ وليها سليمان بن غالب بن جبريل البجلى، على صلاتها وخراجها؛ بايعه الجند يوم الثلاثاء لأربع خلون من شهر ربيع الأوّل سنة إحدى ومئتين. فجعل على شرطه أبا بكر[٢] بن جفنادة بن عيسى المعافرى. ثمّ عزله وولى عبّاس ابن لَهيعة بن عيسى الحضرمى.

وانتهب الجند منزل السرى. فهرب منهم فلجز إلى دار عسّامة بن عمرو. ثمّ سيّره سليمان بن غالب بن جبريل إلى إخميم من صعيد مصر. فكتب السرى إلى بنى مدلج، فلحقوا به هم وكثير من الناس. وأقبل السرى سائراً فيهم إلى الفسطاط. فبلغ ذلك سليمان بن غالب، فبعث إليه بجيش. فالتقوا بقمَن[٣] فحاربوه. فانهزم السرى، وأسر هو وابنه ميمون. فأمر سليمان بردّهما إلى إخميم وقيّدهما وسجنهما. وكانت هذه الوقعة فى جمادى الأولى سنة إحدى ومئتين. قال مُعلّى الطائى:

إذا شَنّ فى أرْضٍ سُلَيمانُ غَارَةً ... أثَارَ بهَا نَقْعاً كَثيرَ المَصَائبِ
ألَمْ تَرَ مِصراً: كَيفَ داوَى سقيمَها ... عَلى حينِ دانَتْ للعَدُوّ المُناصِبِ

(١) ن: جميل. وترجمته فى الخطط ١: ٣١٠، والنجوم ٢: ١٦٨، وحسن المحاضرة ٢: ١١.
(٢) ن: أبا ذكر.
(٣) قمن: قرية من أعمال البهنسا.

من اجل ذلك بيني وبينهم مصادقه زمانا كنت فيه علمانيا، فلما نزعو عنهم ذلك الأسكيم الروحاني الذي من يد أبي لم ترجع تكون بيني وبين أحـد منهم موده فسالته عن فعلهم اولا وكان يسميهم السحره بنى الشيطان فقال لي : اريد ان أقول لك شيا أخر يفعلونه الغير متاهلون للدخول في شعب الله ولا ملكوته ، وهو انهم يسحرون اولاد الناس ويخرجونهم إلى البريه يربطونهم بحيث لا يراهم احد ويجلسون قريبا منهم يحرسونهم، فإذا شكو

حَـمَـاها وَلَوْلا منا تَقَلَّدَ أَصْـبَـحَتْ حَبِيساً عَلى حُكْمِ القَنَا وَالمَقانبِ[1]

قال: واستفسد سليمان بن غالب أهل خراسان، وقدّم عليهم أتباعه وبطانته. ففسدوا عليه وتنكّروا له. وهمّ سليمان بالفتك فيهم[2]، ليقوى أمره. فألّب عباد بن محمد عليه فخلعه[3]، وقام بالأمر عليّ بن حمزة بن جعفر بن سليمان بن عليّ بن عبدالله بن عبّاس، وذلك لمستهلّ شعبان سنة إحدى ومئتين. وسأل الجند عباداً أن يبايع، فامتنع ولحقَ بالجروى. وقال لهم عباد: هذا الرسول قادم عليكم بولاية السرى. فانطاعوا إلى ذلك. ولحق سليمان بن غالب بالجروى فكان معه. فكانت ولايته خمسة أشهر.

٨٣. السرى بن الحكم(*)

الثانية

ثمّ وليها السرى بن الحكم، الثانية، من قبل المأمون، على صلاتها وخراجها. قدم بولايته

---

(١) دانت: خضعت، وناصبه العداوة: جاهره بها. والمقانب: جمع مقنب، وهو الجماعة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين أو زهاء الثلاث مئة.
(٢) كذا في ر، ولعلها: بهم.
(٣) خـ (١ : ١٧٩): قام عباد بن محمد وخلعه. وفي ر: فخلعوه.
(*) الخطط ١ : ٣١٠، والنجوم ٢ : ١٧١، وحسن المحاضرة ٢ : ١١.

العطش لا يسقونهم فإذا اشتد بهم العطش سكبو الما[ء] على روسهم وبطونهم، فإذا قارب احد منهم الموت وبدرت عيناه ولصق لسانه بحنكه قطعو رأسه بسكين قبل ان يموت ، فيتكلم الشيطان فى تلك الرأس بغير كذب فيضلون الناس بافعالهم الشيطانيه المرذوله.

وكان قس قديس مشاركا مقيما فى قلاية وسيم فلما كان يوم الجمعه، من أيام الصوم وكنت معه

عمر أخو هَرْثَمَة، فبعث الجند إلى إخميم، فاستخرجوا السرى من الحبس. فدخل الفسطاط يوم الاربعاء لثنّى عشرة خلت من شعبان سنة إحدى ومئتين. فسلّم إليه جميع الجند الولاية. فجعل على شرطه محمد بن عسامة أيّاماً. ثمّ عزله وولى الحارث بن زُرْعة بن قَحْزم أيّاماً. ثمّ عزله فولى ابنه ميمون ابن السرى، ثمّ عزله وولى أبا بكر بن جُنادة بن عيسى المعافرى. ثمّ عزله فولى أبا صالح حمّاد بن الخارق التميمى[1]. ثمّ عزله فولى أخاه إسماعيل ابن الحكم. ثمّ عزله فولى أخاه صالح بن الحكم. ثمّ عزله فولى أخاه داود[2].

وتتبّع السرىّ كلّ من كان [حاربه][3] أو انتهبه، فجعل يقتلهم ويصلبهم. فعزّ وانتظم سلطانه وقوى أمره. ثمّ ورد عليه كتاب المأمون يأمره بالبيعة لولىّ عهده علىّ بن موسى بن جعفر بن علىّ بن أبى طالب. رضوان الله عليهم، العلَوى.. وسمّاه الرّضا. ورد الكتاب بذلك فى المحرم سنة اثنتين، فبويع له بمصر. وقام فى فساد ذلك إبراهيم بن المهدى ببغداد.

فأخبرنى أحمد بن يوسف بن إبراهيم، عن أبيه: أن إبراهيم بن المهدى قال:

---

(١) ن (٢ : ١٧١): أبا ذكر بن الخارق. والحق أن فيه سقطاً، وصحة الكلام: أبا ذكر [بن جنادة بن عيسى المعافرى. ثم عزله فولى أبا صالح حماد] بن الخارق. وفيه: أبو ذكر، فى موضع: أبو بكر.
(٢) ذكرت النجوم أن سبب كل هذا العزل تغلب أهل مصر عليه، وإصغاؤه إلى أقوالهم، ليستفحل أمره.
(٣) زيادة فى ر عن خـ، ويحتمل أيضاً: عاداه، كما فى ن.

في القلايه وكان أبي مويسيس الأسقف لا يرى احدا من الناس على شغله بالصلاة وعذاب نفسه إلا يومي السبت والاحد، فنظر ذلك القس تنينا عظيما في قلايته فعمل صليبا فضه وجعله في موضع راه فيه، فلما كان الغد وجد التنين ميتا تحت الصليب، فهل قوه اعظم من قوة الذين يعبدون الله بنيه خالصه صادقه وأمانه قويه.

وكان في تلك الأيام غلا عظيم فدخل رجل

فَلا جُزِيتْ بَنو العَبَّاسِ خَيرا ... عَلى رغمي وَلا اغتَبَطَتْ بريَ
أتوني مُهْطِعين[1] وَقَدْ أتاهُمْ ... بَوَارُ الدَهْرِ بالخَبَرِ الجَلِيّ
وَحَلَّ عَصَائبُ الأمْلاكِ منهَا ... وَشُدّتْ في رُؤوسِ بَنِي عَلِيّ
فَضَجّتْ أنْ تُشَدّ عَلى رُؤوسٍ ... تُطَالِبُهَما بِميرَاثِ النَبيّ[2]

وكتب إبراهيم بن المهدى إلى وجوه الجند بمصر، يأمرهم بخلع المأمون وولى عهده، وبالوثوب بالسرى[3]. فقام في ذلك الحارث بن زُرْعة بن قَحْزَم[4] بالفسطاط. وعبدالعزيز بن الوزير الجروى بأسفل الأرض، وسلمة[5] بن عبد الملك الأزدى الطحاوى بالصعيد، وسليمان بن غالب بن جبريل وهو إذ ذاك مع الجروى. وعبدالعزيز بن عبدالرحمن بن عبدالجبّار الأزدى. فخالفوا السرى، ودعوا لإبراهيم بن المهدى، وعقدوا على ذلك الأمر لعبد العزيز بن عبدالرحمن الأزدى، وأجمعوا على ولايته. فحاربه السرى، فظفر السرى بعبدالعزيز الأزدى،

---

(١) ر: منقطعين.
(٢) ر: فصحت، ولا معنى لها. والأملاك: الملوك.
(٣) خـ (١ : ١٧٩): على السرى.
(٤) خـ (١ : ١٧٩): محرم.
(٥) خـ (١ : ١٧٩): مسلمة. ر: سلامة، وهو ابن سلمة. وانظر معجم البلدان لياقوت «طحا» وأنساب السمعاني «طحاوى».

إلى النزهات يطلب صدقه فسرق منها شيا فرآه رجل اخر كان رجلا مومنا فاراد ان يوبخه لكى يتوب من السرقه فمنعه من ذلك صلاحه وأفكاره في الخير ، ثم مضى أيضا ذلك الرجل السارق فسرق من زرع جيرانه ودفنه حتى ياخذه فياكله، فحضر صاحب الزرع عند ابى مويسيس، فقرا عليه من الكتب واوصاه ان لا يجازى شرا بشر لكن يجازى الشر بالخير، ففعل ذلك وسمع منه فوسع الله ماله حتى تعجب منه كلمن يعرفه.

وبجمع من أهل بيته. فقتل بعضهم، وبعث ببعضهم مع ابنه عبدالصمد فقتلهم هناك[١]. وذلك في صفر سنة اثنتين ومئتين ولحق كلّ من كره بيعة عليّ بن موسى بالجروى لمنعته[٢] وشدّة سلطانه.

ثمّ أقبل عبيد بن السرى إلى الفسطاط، فعارضه سلمة الطحاوى بطَحَا. واقتتلوا فانهزم سلمة. وأسره عبيد، فبعث به إلى الفسطاط، فأطلقه السرى، فهرب سلمة إلى الجروى.

وسار الجروى إلى الإسكندريّة مسيره الثاني. فحصر الأندلسيّين بها، ثمّ اصطلحوا على فتح حصنها. فدخلها سلمة[٣] الطحاوى، وعليّ بن عبدالعزيز الجروى، ودعوا للجروى بها. ومضى سلمة[٣] منها إلى الصعيد في جمع كثير من الجند. فأخرج عمال السرى، ودعا إلى الجروى.

وسار الجروى في جموعه لمحاربة السرى. واستعدّ كلّ واحد منهما لصاحبه بأعظم ما قَدرَ عليه. فبعث السرى ابنه ميموناً على تلك الجيوش. فنزل ميمون بشطنوف، وسار معه مراكبه في البحر، قد شحنها بالرجال والسلاح. وأتاه عبدالعزيز الجروى في البّر والبحر. فالتقوا

(١) لا يتضح من السياق إلام تشير كلمة «هناك»، ولعل في العبارة سقطاً.
(٢) كذا في خـ (١ : ١٧٩). وفي ر: منعه.
(٣) ص: مسلمة. ر: سلامة.

وذكـرت لكم أيهـا الأخـوه حـال اهل فلسطين الملعونين لتبعدو عن معرفتهم . وأريد اذكر اعجوبه اخرى ظهرت من الأب ابيماخس الأسقف، كان فى بعض الأيام يعلم شعبـه فى مـدينة الفـرمـا ويوصيهم ان يبعدو عن المخالفين ولا يشاركون فى شى، وإذا قس قـد حـضـر عنده من الخلقـدونيين ليجربه بمكر فقال الأسقف كلاما كتيرا ثم قاله له: انا أومن بامانتك واعتـرف . واخـذ الأسـقف ايماخس زيتا مقدسا من جسد القديس ساويرس

بشطنوف، فقُتل ميمون بن السرى، وانهزم عسكره. وذلك فى جمادى الآخرة سنة ثلاث ومئتين. قال أبو بجاد الحارثى(١)، من بنى الحارث بن كعب:

جَـمْعُ رَعَـاعَكَ يا سَـرِىُّ فـإنَّهَـا ... حَـرْبٌ تُحِسّ سَـعيـرَها قَـحطانُ
قَـتَلوا أبَا حَـسنٍ وَجَـرّوا شِلْوَهُ ... كَالكَلب جَرَّ بشلْوه الصِّبْيانُ(٢)
ولَتْ تُجيبُ وَأسْلَمَتْهُ جيادُها ... عَيْلانُ يَوْمَ تَوَاكَلَتْ عَيْلانُ
فَاستَخرَجوهُ مُلَبَّباً فَأتَى به ... يجرى وَيَهْرِجُ حَوْلَهُ السُّودانُ(٣)
أبْشرْ فإنّ [طُلوعَ] نجمكَ بعدَهُ ... عَرْضَ السَّماء وَنجمُكَ الدَّبَرَانُ(٤)
لا تَبْكِ فَالعُقْبَى لإخوَتِهِ غَداً ... أوْ بَعْدَهُ، فَكَمَا تَدينُ تُدانُ

وقال معلّى الطائى يرثى ميموناً:

(١) ر: أبو بحاد الحارثى.. وفى ص: الوحاد الحارلى.
(٢) الشلو: الجسد.
(٣) ملبب: أى جمعت ثيابه عند نحره فى الخصومة وجر منها. وهرج يهرج: وقع فى فتنة واختلاط وقتل.
(٤) طلوع: زيادة ضرورية لإقامة الوزن والمعنى. ويبدو أنه يريد أن يقول له أبشر بأن نجمك سيطلع بعد نجم ابنك، ولكنه سيطلع مقترناً بالدبران، الذى هو نذير الإدبار والهزيمة. والدبران: نجم بين الثريا والجوزاء، وهو تابع للثريا.

البطرك ودهن وجه القس الهراطقي وقال له أن كنت تهزا الرب يظهر فيك قوته، و للوقت بسرعه وثب عليه روح شيطان نجس فصرعه وخنقه وعذبه فازبد ولم يزل عليه يعذبه إلى يوم وفاته.

ثم تقدم الأسقف بان لا يكون لاحد من رعيته اشبين غريب الا من اهلهم وابايهم، وكان هنالك قوم مخالفون لم يسمعو منه فجازاهم الله بسرعه حتى تعجب كل احد من تعاليم الرب.

لَوْ رَدَّ غَـرْبَ مَنِيَّـةٍ بِشَـجَـاعَـةٍ	أَحَـدٌ لَدَافَعَ رُكْنَهَـا مَـيْـمُـونُ[1]
لَوْ كَـانَ تَجْـرِيدُ السُّـيُـوفِ يَرُدُّهَا	لَحَـمَـاهُ مِنْهَـا مُنْصُلٌ وَثَمِينُ[2]
مَـا زِلْتُ أَطْمَعُ فِي رُجُـوعِكَ سَالِمًا	وَيَرُوعُنِي شَـفَـقًـا عَلَيْكَ ظُنُونُ[3]
فَلْيَـفْـجَـعَنَّ غَـدًا بِقَـتْلِكَ طَاهِرٌ	وَلَيَـفْـجَـعَنَّ بِقَـتْلِكَ المَأْمُـونُ

وأقبل الجروى في مراكبه بعد قتل ميمون إلى الفسطاط ليحرقها. فخرج إليه أهل المسجد، وسألوه الكفّ. فانصرَف عنها. ثمّ ظهر للجند موت عليّ ابن موسى العلوى، وانخذال إبراهيم بن المهدى، فأظهروا بيعة المأمون، ودعوا إليه، وورد كتاب المأمون إلى السرى بذلك، وبغَسْل المنابر التي دُعي عليها لعليّ بن موسى، فغُسلت.

ثمّ إن الأندلسيّين أخرجوا عامل الجروى من الإسكندرية، وهو معاوية ابن عبدالواحد بن محمد بن عبدالرحمن بن معاوية بن حديج، وغلقوا الحصن دونه. وخلعوا الجروى ودعوا إلى السرى. فسار إليهم الجروى في شهر رمضان سنة ثلاث ومئتين. فعارضته القبط بسخا. وأمدتهم

---

(١) غرب المنيه: حدتها.

(٢) المنصل: السيف. والثمين: الغالى الثمن والمحلى، ولعله يريد سيفا أو رمحاً بهذه الصفة.

(٣) ر: ظنوني.

وكانت امرأه موسره اخذت رجلا كان يزنى بها جعلته لها اشبينا [وكان معها طفل ارادت تعمده، فتوجهت هى و اشبينها الى دير فى البريه فعمدو الطفل ورجعو] فلما عادا إلى بلدهما وهما فى الطريق وصلا إلى بريه تحرك فيهما الاثم كعادتها فاضجعو الصبى وعليه تياب المعموديه، وكان فى الطريق فندق فدخلا إليه وفعلا فضيحتهما فوقع عليهما البيت فماتا ، وشهد لنا الاسقف انه شاهدهما مجتمعين لما قلعت الحجاره عنهما

بنو مدلج، وهو نحو من ثمانين ألفا[1]. فخرج إليهم الجروى فهزمهم، وهربت بنو مدلج. قال معلى الطائى:

فَقُلْ لأميرِ المؤمنينَ نَصيحَةً ... وَمَا حاضِرٌ شَيْئاً كآخَرَ غائبِ
لَقَدْ حَاطَنَا عَبدُ العَزيزِ بسَيفِهِ ... ولَوْلاهُ كُنَّا بينَ قَتْلٍ ونَاهِبِ[2]

وبعث الجروى بجيوشه إلى الإسكندريّة فحاصروها. وعقد السرى لأخيه داود فى ذى القعدة سنة ثلاث ومئتين على جيش إلى الصعيد، بعثه إلى سلمة ابن عبدالملك الطحاوى. فالتقوا، فانهزم سلمة، وأُسر هو وابنه إبراهيم. فبعث بهما إلى الفسطاط، فقتلا يوم السبت لتسع عشرة خلت من المحرم سنة أربع ومئتين. قال المعلى الطائى:

أَرَادَ الطَحَاوِىُّ التى لا شَوَى لَهَا ... فَأَوْقَدَ نَاراً، كَانَ بالنّارِ صَالِيَا[3]
وَدَبَّ لأَقْطَارِ البِلادِ بِفِتْنَةٍ ... فَجَاشَتْ بِسُقْمٍ لا يُجيبُ المُداوِيَا[4]

(١) خــ (١: ١٧٣): وهم فى نحو من متى ألف.
(٢) القتل، بكسر القاف: العدو والمقاتل والشجاع، وبضمها: جمع قتول، وهو الكثير القتل.
(٣) الشوى: الأطراف، وما لا يقتل صاحبه إذا أصيب فيه. والتى لا شوى لها: أى التى كلها مهم، يريد الإمارة.
(٤) لا يجيب المداوى: أى لا يطيعه ويشفى على يديه.

وروسهما كما كانا وجه الرجل فوق وجه المراه، ونظروهما جماعه من الناس وخافو وشاع الخبر عند كل احد، واشاعو الناس ذلك فثبت علمه عند [ابهاتنا] فمنعو من ذلك اليوم ان يشابن احد غريبا بل من اهله، ولم يبق احد ياخذ اشبينا غريبا. وأنا في صغرى رأيت جماعة زنو مع اشابينهم وأنا في الحياه حتى انقطعت اعمارهم وخربت مساكنهم.

وَرَاسَلَهُ مَنْ كَانَ يَخْفَى بِفَاقَة وأَصْبَحَ ذا مَيْلٍ إلَيْهِ مُمَالِيَا
جنتْ ما استَحقّ القتل ـ يا صَاحِ ـ كفُّه وكُلّ امرىءٍ يُجْزَى بما كان جانيا

وأجمع السرى على الغدر بوجوه الجند الذين معه، وكان يخافهم. فجمعهم إليه، وأخبرهم أن رسولاً قد قدم من قبل طاهر بن الحسين، وأشار عليهم أن يتلقوه. فخرجوا في النيل، وخرج معهم في مركب غير مركبهم. وهم عباد ابن محمد، وعوف بن وهب الخزاعى. وعليّ بن أبى عون، وعليّ بن إبراهيم، وأخو الرافقى. وحمل معهم أخاه إسماعيل بن الحكم. وجعل فى باطن المركب غلاماً له، وأمره أن يخرق المركب. ففعل الغلام ذلك، فغرقوا ومعهم أخوه. وأخرجوا أمواتاً.

ثمّ إن عبدالعزيز الجروى سار إلى الإسكندرية مسيره الرابع. فأغلق الأندلسيون حصنها. فحاصرهم الجروى أشدّ الحصار، ونصب عليهم المنجنيقات. [و] أقام على ذلك سبعة أشهر، من مستهلّ شعبان سنة أربع ومئتين إلى سلخ صفر سنة خمس. فأصاب الجرويَّ فِلْقَةٌ من حجر منْجَنيقه، فمات سلخ صفر سنة خمس ومئتين.

ومات السرى بن الحكم بالفسطاط بعده بثلاثة أشهر. يوم السبت لسلخ جمادى الأولى[1] سنة خمس ومئتين. فكانت ولايته عليها ثلاث سنين وتسعة أشهر وثمانية عشر يوماً.

(١) ن: قال صاحب البغية: ربيع الأول.

وكان الأسقف انبا يوحنا اسقف سرسنا يخرج الأرواح النجسه بما أعطى من النعمه لبتوليته وجهاده له [لأنه] اقام راهبا واسقفا عمره جميعه وتنيح بشيخوخه حسنه ، وكذلك أبا قيره اسقف طانه في وقت رهبانيته ظهر له عجب، وهو ان انسانا هراطقيا جادله بسبب الأمانه فمسك يده وأراد ان يدخل به إلى داخل بيت النار فما قدر وهرب من يده فيأخذ الأسقف ازاره وهو راهب ورماة في النار ولم يحترق.

---

٨٤. ابو النصر بن السرى(*)

ثمّ وليها أبو نصر بن السرى[١]، بويع يوم الأحد مستهلّ جمادى الآخرة سنة خمس ومئتين، وهو على الصلاة والخراج. فجعل على شرطه محمد بن قُشاش[٢]، ثمّ عزله وولى أخاه عبيد الله بن السرى. فاستخلف محمد بن عُتْبة ابن يَعْفُر المعافرى. فالذى كان بيد أبى نصر من أرض مصر فسطاطها وصَعيدها وغربيتها. وأمّا أسفل الأرض كله فكان بيد على بن عبدالعزيز الجروى، مع الحوف الشرقى.

ثمّ سار أحدهما إلى صاحبه في النيل. فالتقوا بشطنوف فاقتتلوا، وعلى جيش أبى نصر أخوه أحمد بن السرى. فانهزم أحمد بن السرى، وأخسن علىّ ابن الجروى فيه الظفر فلم يتبعه. فقال سعيد بن عفير لعلىّ بن الجروى[٣]:

الاَ مَنْ مُبْلِغٌ عَنّى عَلِيًّا ... رِسالَةَ مَنْ يَلومُ عَلى الرُّكوك[٤]
عَلامَ حَبَسْتَ جَمْعَكَ مستكفًا ... بِشَطِّ نَوفَ[٥] فى ضَنْكٍ ضَنيكِ

(*) الخطط ١ : ٣١٠، والنجوم ٢ : ١٧٨، وحسن المحاضرة ٢ : ١١.
(١) اسمه محمد.
(٢) ن (٢ : ١٧٨)؛ قابس.
(٣) الشعر فى معجم البلدان لياقوت «شطنوف».
(٤) الركوك: الضعف.
(٥) معجم البلدان: بشط النون.

وأنا اعلم أني قد طولت الكلام ولم أقصد بذلك الا اعلامكم بما كان لتفهموه. وإما القول في فعال انبا زخارياس اسقف اتريب فانه كان من صغره في البريه مواظب الصلوات ودموعه تجرى مثل مجارى المياه، وكان البكا عنده حلو وكان كثير الصدقه على المنقطعين، وكل احد يحبه واولاده الروحانيون سالكون طرقه. وكذلك الطوباني استفانوس اسقف شطب وآبايه الذين كانو قبله على هذا الكرسى الذين كانت طرايقهم

وَقَــد سَنَحَتْ لكَ العَــفَــرَاتُ مِمَّن | رَمَاكَ بجَيشِه، الوَهنِ الرَّكيكِ[١]
أمِنْ بُقْــيَــا؟ فــلا بُقْــيَــا لمَنِ لا | يَراها عِنْدَ فُــرْصَــتِــه عليك

ثمّ بعث أبو نصر أيضاً بمراكبه، عليها أحمد بن السرى. فأتاه عليّ بن الجروى في مراكبه. فالتقوا بدمَنْهُور، فيقال: إن القتلى بينهما كانوا يومئذٍ سبعة آلاف. وانصرف أحمد بن السرى إلى الفسطاط. وتبعه أبو ثور اللخمي في مراكب عليّ بن الجرويّ إلى الفسطاط، وعزم على حرق الفسطاط. فخرج إليه أهل مصر وسألوه الكفّ. ومضى فرج أبو حرملة إلى عليّ بن الجروى، فسأله الصلح، فاصطلحا على أن يكفّ أحدهما عن الآخرة.

ثمّ توفي أبو نصر ليلة الاثنين لثمان خلون من شعبان سنة ستّ ومئتين. وكانت ولايته عليها أربعة عشر شهراً[٢].

٨٥ ـ عبيدالله بن السري[*]

ثمّ وليها عبيدالله بن السرى، بايعه الجند يوم الثلاثاء لتسع خلون من شعبان سنة ستّ

---

(١) العفرات: جمع عفرة، وهي بالدوس في التراب، يريد به الإذلال. وفي ر: الغفران، تحريف.
(٢) ن (٢ : ١٧٨): فكانت ولايته على مصر استقلالا سنة واحدة وشهرين وثمانية أيام.
(*) الخطط ١ : ٣١١، والنجوم ٢ : ١٨١، وحسن المحاضرة ٢ : ١١.

الجيده. [و] اكثر من اساقفه مصر الذين منهم الأسقف أبا هزوكس التاومنتس العظيم المعترف المتكلم بالالهيات، واستافانوس الذى سلك طريقه ووهب الله له ان يشفي الاعلا[ء] ويعرف ما يكون قبل ان يكون، واظهر عجايب كتيره. وكان في كرسيه قس حبلت زوجته قبل وفاته وكانت طاهره، وبعد موته طردوها أولادها الكبار وقالو انها حبلت من غيره فقال لهم الأسقف: دعوها إلى ان تلد. فلما ولدت اخذ الطفل عمده وحمله على

ومئتين، وهو على صلاتها وخراجها. فجعل على شرطه محمد بن عتبة ابن يعفر المعافرى[1]. وكفّ عبيدالله عن عليّ بن الجروى. فكفّ عليّ عنه حتى انسلخت سنة ستّ ومئتين. وعقد المأمون لخالد[2] بن يزيد بن مَزْيَد الشيباني على صلاتها. وبعثه في جيش من ربيعة وأفناء الناس[3] حتى دخل أرضها، وراسل عبيداً. فامتنع عبيد من التسليم له، واحتجّ عبيد أن كتاب أمير المؤمنين المأمون ورد عليه بولايته. وبعث عبيد بأخيه أحمد بن السرى يمانع خالد بن يزيد من المسير. فالتقوا بفاقوس من حوف مصر الشرقي، فاقتتلوا ثمّ تحاجزوا. وانضمّ عليّ بن الجروى إلى خالد بن يزيد، وأقام له الأنْزال[4]، ودلّه على الطريق. وحفر عبيدالله خندقاً وفرض فروضاً، وخالد مُجدّ في جباية ما مرّ عليه من القرى. ثمّ سار خالد حتى نزل دمنهور، على أميال من الفسطاط. ثمّ سار أيضاً إلى خندق عبيد. فاقتتلوا لخمس خلون من ربيع الأوّل سنة سبع ومئتين، اقتتلوا ثلاثة أيّام. وأسر خالد شماس بن داود بن الحكم فقتله صبراً. ثمّ صبّحهم عبيدالله اليوم الرابع، فكرّ عليهم بنفسه، فانهزموا عنه. قال معلى الطائي:

(١) ن (٢: ١٨١): محمد بن عقبة. والمعافرى، كذا في ر عن ن، وهو الصواب كما تقدم. وفي ص هنا: المرادى.

(٢) خـ (١: ١٧٩) هنا فقط: مخلد، وفي المواضع الأخرى: خالد.

(٣) أفناء الناس: الجماعات المختلطة منهم.

(٤) الأنزال: جمع نزل، وهو المنزل وما هيىء للضيف لينزل عليه.

كتفه وكلمن في كرسيه حاضر، وأمر الطفل ان يتكلم قدام الشعب ويقول من هو أبوه، وللوقت تكلم بلسانه كأنه شبل الأسد وقال: انا ولد فلان القس حبلت بى أمي منه قبل وفاته بتسعة ايام ولم يعلم احد بهذا إلا الله الذى خلقنى وأرادو اخوتى ان يطردو امى ظلما. فصلب الأسقف على شفتيه وامره ان لا يتكلم بعدا إلى اوان الكلام فكان كذلك.

فيَا مَن رَأى جَيشاً مَلا الأرْضَ فيضُه — أطَلّ عليْهِمْ بالهَزيمَة وَاحِدْ
تَبَوّا دَمَنْهُوراً فَدَمّرَ جَيْشَه — وَعَرّدَ جَيشُ الليلِ وَاللّيلُ رَاكِدٌ[1]

ونزل خالد بدمنهور، ووافقه عبيد بها. وسفر بينهما رجال من الجند، فكان يحتجّ بكتاب أمير المؤمنين المأمون وولايته إيّاه عليها. قال سعيد بن عُفَير:

يَا أيّهَا المُتَحَارِبَان وَإنّمَا — دَعوَاهُمَا المأمُونُ في الصّدَقَات
هَل تَرْجِعَان إلى التقيّة وَالتقَى — وَتتَارَكَان تغَاوُرَ الغَارَاتَ
حَتى يَجِيءَ مِنَ الخَلِيفَة أمرُهُ — فَيَمِيز بَيْنَ الحَقّ وَالشُبُهَاتَ

ثمّ التقوا صبيحة الاثنين لمستهلّ ربيع الآخر سنة سبع ومئتين فاقتتلوا. وأسرع القتل فى الفريقين جميعاً. ثمّ عَدَوا عن[2] الحرب، فقُهر[3] أصحابُ خالد، وملوا الحرب، وكرهها أصحاب عبيد أيضاً.

وأقبل النيل، فترفع خالد إلى أرض الحوف. فلمّا رأى ذلك عليّ بن الجروى، مكر[4] بخالد

(١) عود: هرب.
(٢) كذا فى ر. وفى ص: على.
(٣) كذا فى ص، وجعلها ر: فقهقر.
(٤) كذا فى ر عن خـ. وفى ص: وفكر.

وكذلك الشيخ ابا بولة اسقف اخميم وهو كان الريس التانى فى دير أبى شنوده القديس كوكب البريه، كان انسان ساحرا أخذ صبية جعلها حماره بفعله سو[ء] قدام كلمن ينظرها ، واقامت هى معه تلت سنين كما ذكرت هى، فإذا خرج بها إلى البريه صيرها امرأه تخدمه ويزنى بها، وإذا دخل المدينه ركبها كأنها حماره، فلما كان السابع من أبيب عيد القديس أبى شنوده(*) النبى الفاضل اجتمع به الشيخ أبا بوله وهى معه فاخذها منه ولم

(*) أحد رؤساء الرهبنه المسيحية فى مصر سار على خطى أبو الرهبان باخوميوس. أسس عدة أديرة =

حتى أخرجه عن عمله، فقال لخالد: إني لا أرى لك أن تقيم في بلاد قيس، وهم جند الحوف، وهذا النيل قد مدّ، فتصير أسيراً في أيديهم؛ وقد رأيت أن أقدم إليك[1] سفناً تجوز فيها إلى غربيّ[2] النيل، وأمدك بالطعام والعلف؛ فإذا انكشف النيل عُدتَ إلى موضعك. فأجابه خالد، فقدّم إليه عليّ بن الجروى مراكبه، فعدّى فيها النيل حتى صار إلى نَهْيَا[3]، فنزل في رملها. وانصرف عليّ بن الجروى، وتركه بها في ضُرّ وجهد. قال مُعَلّى الطائي:

سَـلا خَـالداً لمّا انْجَلى عَنْهُ شَكُّهُ ... وَأَسْلَمَهُ في عُدْوَةِ البَحْرِ خاذِى لَهُ

فَـزَالَتْ أمَـانِيـهِ غـدَاةَ سـمَـا لَنَا ... بِعَـارِضِ جَـيْشٍ يمطرُ المَوْتَ وَابِلُهْ

فلمّا انكشف النيل، عسكر عبيد بالجيزة لعشر خلون من شهر رمضان سنة سبع، ثمّ سار إلى خالد بنَهيْا[4]. فحاربه فأسر خالد بن يزيد، واستأمن عُظْم[5] جيشه. ودخل به إلى الفسطاط يوم الاثنين لخمس خلون من شوال سنة سبع. قال معلى الطائي:

---

(١) ص: إلي. ر: لك.
(٢) ر: عدى.
(٣) نهيا: بلدة من نواحي الجيزة.
(٤) عظم جيشه: معظمه. وفي ر: عظيم.
(٥) المعضد: ذو الأعوان والأنصار. العبل: الغليظ.

يعلم بها احد سوى الساحر الملعون الكافر ومسكه واسلمه إلى السلطان فاحرقه بالنار بعد قتله ، ثم حلها من رباط الشيطان وسلمها لريسة دير الرهبانات، وكان عندهن من العلمانيات نسا كتير يعشن معهن.

فهولا الابا الذين رأيناهم وسمعنا كلامهم لا تحصى اعمالهم الحسنه.

ومنهم اباكيره الذى من جوجر(*) الذى رأس

=منها دير الانبا بشوى غرب سوهاج ودير الانبا شنودة. انظر: الجزء الأول الملحق الخاص بالديرية والرهبة فى مصر. ص٨٥٤ كذلك السنكسار القبطى جـ٢، ص٢٩٢.

(*) جوجر: مدينة قديمة على الضفة الغربية لفرع دمياط قرب طلخا.

ألا لا أرَى خَيْلاً أضَرَ لَهُ الوَغَى — وَأجْبَنَ فى الهَيجاء من خيل خالد
وَقُوّادُهُ أشْرارُ كلّ قَبيلَةٍ — تَمَالَوْا على إسْلامه فى الشّدائد
فَما أسَرُو منهُ جَبَاناً مُعَضّداً — وَلكن أبا شِبْلَين عَبْلَ السواعدْ
فإنْ يَقتلُوهُ يَقتلو منْهُ سَيّداً — شُجَاعاً جَوَاداً ماجداً وَابن ماجد
وَإنْ كَفَفُو عَن قَتله فهيَ منّةٌ — لآل سَرِىّ فى مَنَاط القلائد

ودعا عبيد بن السرى بخالد بن يزيد فسأله عمّا ذهب له من مال. فخبره به، فدفع إليه عبيد أضعافه، ومضنّ عليه، وخيّره بين المُقام عنده أو يخرج حيث شاء. فاختار ركوب البحر من القلزم إلى مكّة، فخرج من مصر. وقَدمَ حمّاد ابن أبى سمين[1] رسولاً من أمير المؤمنين المأمون، بولاية عبيد على ما فى يديه وضَمّنه خراجه، وبولاية علىّ بن الجروى على ما فى يديه وضمّنه خراجه.

وأقبل علىّ بن الجروى على استخراج خراجه. فمانعه قوم من أهل الحوف، وكتبو إلى عبيد يستمدّونه[2] على علىّ. فامدّهم وبعث بأخيه أحمد بن السرى إليهم. فسار علىّ بن الجروى

(١) كذا فى ر، وقال: «غير منقط فى الأصل ولعل صوابه سميره».
(٢) كذا فى ر، وفى ص: يستمدهم. خطأ.


قديس يحمل صليب حفر على الخشب بالمتحف القبطى. القاهرة

على أربعة كراسى، كان قد تزوج من صباه وعاش مع زوجته زمانا كثيرا وبلغ مايه وخمس سنين وهما بكران طاهران نايمان على فراش واحد زمانا طويلا، وطعامهما خبز شعير وملح بعباده عظيمه، وكلما لهم وكلما يجدانه يصدقانه على المستورين، فلما طعنا فى السن سلك [أرسل] أباكيره زوجته الطاهره لدير الرهبانات.

والأب ابا اسحق اسقف كرسى سمنود وما لقيه

إليه. فالتقو بالبُوب[1] من كورة بَنَا[2]، وهو الموضع الذى يقال له «بُلْقينَة». فاقتتلو يوم الاربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع ومئتين. وخرج عبيد من الفسطاط فعسكر بالبَتْنون[3] ثمّ عسكر بدفْرَى. وعاود ابن الجروى أحمد بن السرى الحرب بمحلة أبى الهيثم، سلخ صفر، وعاوده أيضاً لثلاث خلون من ربيع الأوّل؛ وهم منتصفون. ثمّ انصرف ابن الجروى فتحمل فيمن معه، ومضى إلى دمياط. قال معلى الطائى:

ألا هَلْ أتَى أهْلَ العِراقَين وَقْعَةٌ لَنَا بحِمَى بُلْقِينَ شَيَّبَتِ الوُلْدَا
وَمَا كَانَ مِنَّا قَتْلُهُمْ عَنْ جَهَالَةٍ خَطَاءً وَلَكِنَا قَتَلْنَاهُمُ عَمْدَا
وَلَمَّا تَبَيَّنْتَ المَنِيَّةَ فى القَنَا نكصْتَ تُنَادِى حِينَ ضَلَّ النِّدا سَعْدَا
فَوَلَّيْتَ عَنْ رَبْعِ المَحَلَّةِ هَارِباً عَلَى أَيْلَةٍ ما تَرْكَبُ الجَوْرَ وَالقصْدَا[4]

(١) كذا فى ى (١: ٧٢٩، ٧٥٥). وفى ر: النوب. وقال: «غير منقط الأول فى الأصل، ضبطناه بالتخمين لأنه لم يسم فى رواية الخطط، وهذا الموضع غير النوب الموجودة اليوم بالدقهلية».
(٢) بنا: بلدة قديمة بينها وبين سمنود ميلان.
(٣) البتنون: من الغربية.
(٤) ما تركب الجور والقصد: أى لا تأخذ الطريق القويم أو تحيد عنه، أى فى حيرة لا تدرى ما تفعل، أو تسير فيه تارة وتنحرف عنه أخرى. والشطر الثانى فى ر: على أبله.

من العذاب والجهاد مع البرسنوفيين حتى اعادهم إلى الأيمان بكرسى مارى مرقس الرسولى.

وكانت بيعه انطاكيه أرمله بغير بطرك. وملك انسان اسمه عبد الله ابو جعفر من جنس الملوك الاولى قبل ابو مسلم عمه، وكان أبو عون بمصر وصالح مع عبد الله، وكانت البيعه هاديه تحت سلامه في أيام الأب البطرك القديس انبا خايل على ما ناله من التعب والجهاد الذى ذكرنا بعضه،

فكَيْفَ رَأَيْتَ اللهُ أنْزَلَ نُصـرةً عَلَيْنا وَوَلاّكَ المَذَلّةَ وَالطَرْدا
سَنُهْدى إلى المَأمُونِ منّا نَصَائحاً نُضَمّنُهَا طَىّ الصّحَائف وَالبُرْدَا
بِفِعْلِ[1] عَلىّ وَالّذى كَانَ مُجمعاً عَلَيْه بإظْهَارِ الخِلافِ الّذى أبدَى

ومضى أحمد بن السرى إلى محلة شرقيون، فدخلها وأمر بنهبها، فكان من أعظم ما أتاه. ومضى علىّ بن الجروى إلى طَنّاح[2]. ومضى أصحاب عبيد إلى تنّيس ودمياط فدخلوها. ومضى عبيد فدخل تنّيس لإحدى عشرة بقيتْ من ربيع الأوّل سنة تسع. ولحق ابن الجروى بالفرما ثمّ إلى العريش، فنزل فيما بينهما وبينَ غَزّة. قال سعيد بن عفير:

ألا يا عَلىّ بنَ عَبْدِ العَزِيزِ إلى أين [صِرْتَ][3] تريدُ الفِرَارَا
فَلَسْتَ بأوّلِى مَنْ كَادَهُ عَدُوّ فكرّ عَلَيْه اعْتِكارًا[4]
وَأجرُ مَصِيرِكَ أن يَسْحَبُوا إلَيْكَ فُتُوحاً عِظَاماً كِبَارَا

(١) كذا فى ر. وفى ص: بعقل.
(٢) طناح: قرب دمياط. وفى ر: طنطاح، تحريف.
(٣) زيادة فى ر.
(٤) اعتكار: كر وحمل على العدو.

إلى ان تم خدمته وتنيح ومضى بسلام إلى السيد المسيح الر[ء]وف كما نذكر في اخر هذه السيره.

ولم تزل بيعة انطاكيه بغير بطرك بعد انبا يوحنا المتنيح لأجل الحروب والعساكر إلى ان ملكو الخراسانيون.

وفى أول ملكهم مضى اسحق اسقف حران الى عبد الله فسأله فى بطركية انطاكيه لأن انبا يوحنا كان قد تنيح كما اعلمنا ولداه اللذان جايا

فَــتُــدْرِكَ ثَأرَكَ مِنْ أهْلِهِ ... وَتَلْبَسَ بَعْدَ الكُبُوِّ الفَسَارَا[1]

وعاد عليّ بن الجروى فأغار على الفرما مستهلّ جمادى الآخرة سنة تسع. وهرب أصحاب عبيد من تنيس ودمياط فلحقو بالفسطاط. وأقبل ابن الجروى إلى شَطَنُوْف[2]. فجمع له عبيد واستعد، وعقد لمحمد بن سليمان بن الحكم عليهم. فالتقو بشطنوف، فكانت لابن الجروى أوّل النهار، ثمّ أتاه كمين عبيد فانهزم، وذلك يوم الاثنين لثمانى عشرة خلت من رجب سنة تسع. ومضى عبيد ابن السرى إلى تنيس ودمياط. ولحق عليّ بن الجروى بالعريش. قال معلى الطائي:

أَلَمْ تَرَ خَيْلَهُ صَبَّحَتْ عَلِيّا ... تَلُفّ عَلى مَناسِجِهَا النّسَاعَا[3]
فَوَلّى عَنْ عَسَاكِرِهِ وَخَلّى ... عَلى الأَسَلِ المَدَائِنَ وَالرِّبَاعَا[4]

---

(١) كذا فى ر، وقال: «فى الأصل: انفسار. والذى يظهر أنه معرب أفسر بمعنى التاج بالفارسى».
(٢) شطنوف: من الغربية، على فرسخين من القاهرة، ويفترق النيل عنده إلى فرعين، فرع شرقى إلى تنيس ودمياط، وفرع غربى إلى رشيد.
(٣) النساع: جمع نسعة، وهي السير المضفور يجعل زماماً للبعير وغيره. والمنسج: ما بين العرف وموضع اللبد أو ما شخص من فروع الكتفين إلى أصل العنق إلى مستوى الظهر، يريد أنها فى سرعتها تفعل ذلك. وفى ر: تدف. وفى ص: لوف.
(٤) الأسل: الرماح.

(*) انظر فى بقية هذه القصة ص ٥٣٦وما بعدها من متن ساويرس.

الينا، وذلك ان عبد الله الملك(*) كان من اهل حران وكانت زوجته عاقر فرأت فى منامها هاتفا يقول لها: اطلبى اسحق الأسقف ان يصلى عليك والرب يعطيك ولدا. وكانت هذه المرأه عابده لله خايفه منه، وكان لما خطبها عبد الله ليتزوج بها شرطت عليه ان لا يتزوج بغيرها عليها ولا يتسرى، وقالت له: قد عرفنا ان الله خلقنا فى البد[ء] ذكرا وأنثى فان لم تعاهدنى على ذلك فما اتزوج بك. فعاهدها وحفظ لها العهد إلى يوم فراقها. [فلما

وَلَكِنْ فَاتَ فَوْقَ أَقَبَّ نَهْدٍ كَرَجْعِ الطَّرْفِ لا يَخشى اضْطِلاعا[1]
فَحَسْبُكَ أَنَّ قَوْمَكَ من جُذامٍ وَسَعْدٍ لا تَرى لَهُمْ اجتِماعا
دَعَتْهُمْ طاعَةٌ لَكَ فَاستَجابُوا وَمِن عَجَبٍ لِمِثْلِكَ أَنْ يُطاعا

وأقبل علىّ بن الجروى أيضاً فى المحرم سنة عشر ومئتين. فدخل تنّيس ودمياط بغير قتال. وأتى محلة شرقيون. فبعث عبيد بمحمد بن سليمان بن الحكم فى المراكب، فنزل طُوخ. فبعث إليه ابن الجروى بابن غُصَين السعدى. فقاتله فانهزم ابن غصين. فبلغ ذلك عليّاً، فمضى إلى الهُو[رين][2] ثمّ دخل منها إلى جُرْجِير[3].

٨٦. عبدالله بن طاهر(*)

وأقبل عبدالله بن طاهر بن الحسين إلى الشام. فظفر بنصر بن شَبَث فى سنة عشر ومئتين. وأقبل سائراً إلى مصر فتلقاه علىّ بن الجروى بالأموال والأنزال وانضمّ إليه. وبعث عبدالله بن

(١) الأقب: الضامر البطن الدقيق الخصر من الخيل. والنهد: الفرس الحسن الجميل الجسم.
(٢) كذا فى ر. وهورين: قرية من أعمال قويسنا، تعرف بنطابة.
(٣) جرجير: قرية اندثرت كانت فى الشمال الشرقى من ناحية منشية أبى عامر، على بعد ثلاثة كيلو مترات من سكنها بأراضى ناحية المناجاة، بمركز فاقوس من مديرية الشرقية.
(*) الخطط: ١ : ٣١١، والنجوم ٢ : ١٩١، وحسن المحاضرة ٢ : ١١.

رأت ذلك المنام طلبت الاسقف المذكور] فاحضرو الأسقف انبا اسحق إليها فى صباح الغد فعرفته ما رات فى منامها فجعل بينه وبينها أسبوعا وسأل الله ان يتم ما طلبته، ثم مضى الى الدير الذى كان فيه راهبا فاعلم الأخوه باخبر فاجتمعو إلى البيعه على جسد [صاحب] الدير واستشفعو به إلى الله بسببها. ولما كان بعد تلتة أيام وهم صيام نظرت المراه إلى رجلين قايمين على موضع فراشها يشبهان أنبا اسحق الأسقف وابا الدير قايلين لها:

طاهر إلى عبيد يدعوه إلى السمع والطاعة، فلم ينْحَشْ[1]. عبيد إلى ذلك. وسار ابن طاهر فنزل بلبيس، فراسل عبيداً أيضاً وخوّفه ومنّاه وأرهبه. فلم يجنح إلى شيء من ذلك. وبعث عبيد أيضاً أبا صالح حمّاد بن المُخَارق إلى أمير المؤمنين المأمون، وجعل يدافع ابن طاهر، ويُحكم أموره، ويحفر خندقه، ويشحن سفنه، وجعل عليها ابن الأكشف. وابن طاهر يتراخى عنه، غير أنّه قد بعث عُمّاله يجبون الخراج. وسار ابن طاهر من بلبيس حتى نزل زُفَيتا[2] وعقد بها جسراً. وبعث عيسى بن يزيد الجُلودى إلى شَطْنوف. وأقبلت سفن ابن طاهر من الشام، فجعل عليها عليّ بن الجروى لمعرفته بالحرب في البحر. وبعث عبيد أيضاً مراكبه، عليها أبو السَرْد[3] عسامة ابن الوزير الشيباني. فالتقو فانهزم أصحاب عبيد. وأقبل ابن طاهر إلى خندق عبيد الذى احتفره، فنزل عليه يوم الجمعة لخمس خلون من المحرم سنة إحدى عشرة. فتقاتلو فاستأمن أبو السّرد فى جمع كبير إلى ابن طاهر ثمّ تخامَروا[4] قال أبو تمام حبيب بن أوس الطائى:

(١) ر: فلم يتحاش.
(٢) خـ (١ : ١٧٩): زفتا. وهما بلدة واحدة، كما يظهر من معجم البلدان لياقوت.
(٣) ر: أبو السرور، وانظر الشعر.
(٤) تخامروا: اختلطو وتقاربوا.

ان الله قد سمع الدعا، وفى هذه الليله تحبلين بولد ذكر، ثم غابا عنها، فقالت لبعلها ذلك ففرحا جدا ثم حبلت وولدت غلاما، ولجل ذلك كانا يحبان الأسقف انبا اسحق إلى ان اعطاه الله المملكه فاعطا عبد الله الملك السلطان ان يكون بطرك انطاكيه والمشرق، وامر انه متى قاومه احد يقتل بالسيف . ثم انه قتل مطرانين كبيرين من تلك الكوره لجل انهما قالا له: أنت اسقف حران كيف تخالف القوانين وتقو بيد السلطان على ان تاخذ

لَعَمْرى لَقَدْ كانَتْ بمصرَ وَقيعَةٌ أقامَتْ على قَصْدِ الهُدى كلّ مائلِ
على الخَندَقِ الأقصى وَما كانَ حوْلَه وَما قَد يليه منْ فضاء وَساحلِ
رَأى ابنُ السَّرىّ النّصرَ أوّلَ يَوْمه وأوْدى بلَيْثٍ من أبى السَّرْد باسلِ
لَوَيْنَ جُموعَ ابنِ السَّرىّ وَخَيْلُهُ شماطيطُ تترى كالنّعامِ الجوافلِ[1]
فَلَمّا رَأوْا أنْ لا مَحيصَ وأنّهُ كِفاحُ الرّدى فى كلّ حق وباطلِ
تَوَخّوْا أمانَ الأرْيَحىّ ابنِ طاهرٍ فَمنْ فارسٍ يأتيه طَوْعاً وراجلِ

وقدم أبو صالح التميمى بأمان عبيد من قبل أمير المؤمنين يوم الثلاثاء لأربع بقين من المحرم سنة إحدى عشرة. وبتوقيع المأمون إلى ابن طاهر فى طّى كتابه، الذى كتب به ابن طاهر يسأل فيه أمان عبيد، بهذه الأبيات[2]:

أخى أنتَ مَولاىَ الـ ذى أحْفَظُ نُعْماهُ
فَما تَهْوَى منىَ الأمْرِ فَإنى سَوْفَ أهْواهُ
وَمَا تَسْخَطُ مِنْ شَىْءٍ فَإنى لَسْتُ أرْضاهُ
لَكَ اللهُ عَلى ذاكَ لَكَ اللهُ لَكَ اللهُ

---

(١) شماطيط: متفرقة، تترى: بعضها وراء بعض. الجوافل: الهاربة.
(٢) وردت هذه الأبيات فى النجوم الزاهرة (٢: ١٩٢) مع اختلاف يسير عما هنا.

كرسى البطركيه غضبا، وأنت فقد وجب قطعك لأن القوانين تأمر ان كلمن يعتز بالسلطان يقطع. فشكا ذلك للملك فامر بقتلهما. وكان هناك قلق عظيم في ذلك المكان. ثم اخذ انبا اسحق سجلا من الملك إلى أبي عون الوالي بمصر يقول فيه كلما يكاتبك به البطرك انبا اسحق فاسمع منه وافعل له. ثم كتب كتابا عن نفسه إلى الأب المغبوط أنبا خايل بطرك مدينه اسكندريه سنوديقا وارسلها بكرامات مع ولدين له قس وشماس كانا

وقام بالصلح محمد بن أسْباط كاتب عبيد بن السرىّ على الخراج، واشترط لعبيد شروطاً. فكتب عبدالله بن طاهر لعبيد كتاب أمان، وأشهد فيه شهوداً من الجند والفقهاء وأشراف أهل مصر وجَمعاً ممّن يُنْسَب إلى العدالة؛ وذلك في صفر سنة إحدى عشرة ومئتين. وتوجه عبيد في أهل بيته على عبدالله بن طاهر يوم الاثنين لستّ بقين من صفر. فخلع عليه ابن طاهر وأجازه بعشرة آلاف دينار، وأمره بالخروج إلى المأمون.

حدثني ابن قديد قال: حدثني أبو نصر أحمد بن علي بن صالح قال: أخبرني ياسين بن عبدالأحد قال: سمعت أبي يقول: لما دخل عبدالله بن طاهر مصر، كنتُ فيمن دخل عليه، فقلت: حدّثنا ابن لهيعة، عن أبي قُبَيل، عن تُبَيع[١]، قال: يا أهل مصر[٢]، كيف بكم إذا كان [في][٣] بلدكم فتنة، فوليكم فيها الأعرج، ثمّ الأصفر، ثمّ الأمرد؛ ثمّ يأتي رجل من ولد الحسين لا يُدْفَع ولا يُمنَع، تبلغ راياته البحر الأخضر، يملأها عدلاً. فقد[٤]، كان ذلك: كانت الفتنة فوليها السرى وهو الأعرج، والأصفر ابنه أبو نصر، والأمرد عبيد بن السرىّ، وأنت عبدالله بن طاهر بن الحسين. قال أحمد الحمراوى:

---

(١) كذا في ر عن المشتبه. وفي خـ (١ : ١٨٠)، ص: سبيع.
(٢) كذا في ر عن خـ. وفي ص: قبيع يا مصرى.
(٣) زيادة في ر عن خـ.
(٤) كذا في ص. وفي ر عن خـ: فقلت.

كاتبيه، ومطرانين من الكبار احدهما مطران دمشق والاخر مطران حمص لياخذو له الجواب، وكتب السلامه مع بطرك مصر واساقفته بان يرفع اسمه عندهم كالعاده والاتحاد. وكتب كتابا عن نفسه إلى أبي عون الوالي بانه ان لم يفعل البطرك ذلك فليحضر إلى عند عبد الله الملك . فلما وصلو الكتب إلى أبي عون انفذ إلى اسكندريه واحضر انبا خايل البطرك إلى مصر وحده وقرا عليه الكتب والسجل فاجابه وقال له: لا تلزمني بهذا حتى

أَتَرْجُو مَهَاةٌ دَفْعَ ضِرْغَامِ غَابَةٍ ... لَشَتَّانَ مَا بَيْنَ المَهَا وَالهَزابِرِ(١)
وَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ أَنْ يَشْهَدَ الوَغى ... وَيَقْصِفَ أَصْلابَ المُلُوكِ الجَبابِرِ
لَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي الرَّوْعِ فِي زِيِّ غَادَةٍ ... وَلَمْ يَحْتَجِبْ صُبْحاً لِمَشْطِ الضَّفائِرِ

ثمّ وليها عبدالله بن طاهر بن الحسين، من قبل المأمون، على صلاتها وخراجها. دخلها يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من ربيع الأوّل سنة إحدى عشرة، فجعل على شرطه مُعاذ بن عزيز أيّاماً، ثمّ جعل مكانه عَبْدَوَيْه بن جبلة من الأبناء. وأقام عبدالله بن طاهر في معسكره حتى خرج عبيد بن السرى إلى بغداد، يوم الخميس للنصف من جمادى الأولى سنة إحدى عشرة. قال حبيب ابن أوس الطائي:

فَأَوْرَدَهُ بَغْدَادَ يَهْوِي بِرَجْلِهِ ... ذَمُولٌ تَرَامَى فِي قِلاصٍ ذَوَامِلِ(٢)
فَأَصْبَحَ قَدْ زَالَتْ ظِلالُ نَعِيمِهِ ... وَأَيُّ نَعِيمٍ لَيْسَ يَوْماً بِزَائِلِ

حدّثني نصر بن عبدالله بن عبيد بن السرى: أن عبيداً عاش بعد خروجه من مصر زماناً، وأنّه مات بسُرَّ مَنْ رأى سنة إحدى وخمسين ومئتين.

---

(١) المهاة: البقرة الوحشية. والضرغام: الأسد. والهزابر: الأسود.
(٢) الذمول: الناقة التي تسير سيراً ليناً كالعنق أو فوقه. والقلاص: النوق الشابة أو الباقية على السير أو الطويلة القوائم.

اجمع الاساقفه ويتشاورون على هذا الأمر حسب قوانيننا وشريعتنا، ففسح له فى ذلك وأمهله فيه. ثم جلس [البطرك] بمصر وكتب إلى اساقفة بحرى وقبلى والصعيد الاعلى والأدنى يحضرو إليه جميع الأساقفه وينظرو فى ذلك ويكتبو إليه الجواب . فلما حضرو اجابو قايلين للبطرك هو مماثلك يا ابانا وشريكك فى الخدمة فافعل ما تراه انت معه فاما نحن فما لنا فى هذا شى. وصار بينهم سجس عظيم، كان معه انبا تاودرس أسقف

وأجمع[١] عبدالله بن طاهر على المسير إلى الاسكندريّة. فبعث على مقدمته العبّاس وهاشماً من قوّاد العجم من أهل خراسان، وذلك لمستهلّ صفر سنة اثنتى عشرة، واستخلف عليها عيسى بن يزيد الجلودىّ. ونزل عبدالله بن طاهر على حصن الإسكندريّة؛ قصدها[٢] فى ربيع الأوّل سنة اثنتى عشرة، [و][٣] حصرها بضع عشرة ليلة. فخرج إليه أهلها بأمان. وصالح الأندلسيين على أن يسيرهم من الإسكندريّة حيث أحبّوا، على أن لا يُخرجو فى مراكبهم أحداً من مصر، ولا عبداً، ولا آبقاً؛ فإن فعلو فقد حلّت له دماؤهم ونكْثُ عهدهم. وتوجّهو فبعث ابن طاهر من يفتش عليهم مراكبهم. فوجد فيها جمعاً من الذين اشترط عليهم أن لا يخرجوهم. فأمر ابن طاهر بإحراق مراكبهم. فسألوه أن يردّهم إلى شرطهم، ففعل. وولّى على الإسكندريّة إلياس بن أسد ابن سامان[٤]، خذاً من ولد بهْرام شوبين[٥].

ورجع ابن طاهر إلى الفسطاط فى جمادى الآخرة سنة ثنتى عشرة. فولّى عيسى بن المنْكَدر القُرشىّ القضاء. وأمر بالزيادة فى المسجد الجامع، فزيد فيه مثلُه. ثمّ ركب النيل متوجّهاً إلى

(١) ر: جمع.
(٢) كذا فى ر، وهو يناقض قول المؤلف السابق إنه خرج إليها فى مستهل صفر، وهو ما يوافق أقوال ابن تغرى بردى والمقريزى. ولعل الكلمة محرفة عن «فحصرها».
(٣) زيادة عن ر.
(٤) كذا فى ر عن خـ (١٧٣/١). وفى ص: سليمان. تحريف.
(٥) كذا فى ر عن ط (١ : ٩٩٢) وهو بهرام جشنس المعروف بجوبين أو شوبين. وفى ص: سونين.

مـصـر التـانى الذى كـان اغـومنس الفـسطاط وقس
بيعه أبى سرجه هو وأبى انبا مويسيس اسقف وسيم
فقط، فانفذو إلى أنا الخاطى [يوحنا = يونس] لنهم
[لأنهم] يعلمون أنى عضـو من اعضاهم كـما هو
مكتـوب ليس بمعـرفـتى لكن بمحـبـه روحـانيـه
فمضيت إليهم كالولد من بعد شهر وهم ملازمون
لهم لطلب الأجوبه والتقليد الذى هو السستاتيكا.
وكـانو قـوما فـيـهـم دين ومـحـبـه، فلمـا نظرونى
المشركون الرسل وانا بلباس الرهبان وافعالى بعيده

العراق لخمس بقين من رجَب سنة ثنتى عشرة. فكان مُقامه بمصر، بعد أن صحّت له الولاية إلى أن خرج عنها، سبعة عشر شهراً وعشرة أيّام.

٨٧. عيسى بن يزيد الجلودى(*)

ثمّ وليها عيسى بن يزيد الجلودى، باستخلاف ابن طاهر له على صلاتها. فجعل على شرطه ابنه محمداً، وعلى المَظالم إسحاق بن متوكل. فكانت ولاية عيسى من قبل ابن طاهر إلى يوم الجمعة لسبع عشرة من ذى القعدة سنة ثلاث عشرة ومئتين. فقدم أبو الخير بشْر بن بُرد، رسول أبى إسحاق بن هارون الرشيد(١)، بولاية الأمير أبى إسحاق على مصر وعزل عبدالله بن طاهر عنها، وذلك لوفاء ثلاثة وثلاثين شهراً لولاية عبدالله بن طاهر وخلفائه. فأقرّ أبو إسحاق الجُلُودىَ على الصلاة فقط، وعلى خراجها صالح بن شِير زاد، فظلم الناس وزاد عليهم فى خراجهم. فانتقض أسفل الأرض وعسكروا. فبعث عيسى بن يزيد بابنه محمد فى جيش لقتال أهل الحوف. فنزل ببُلبيس، فلقيه بها جمع منهم فحاربوه وهزموه. فنجا محمد بن عيسى، ولم ينْجُ من أصحابه أحد، وذلك فى صفر سنة أربع عشرة ومئتين(٢).

(*) الخطط ١ : ٣١١، والنجوم ٢ : ٢٠٤، وحسن المحاضرة ٢ : ١١.
(١) المعتصم الخليفة بعد.
(٢) ن (٢ : ٢٠٥): «فكانت ولاية عيسى على مصر، فى هذه المرة، سنة وسبعة أشهر وأياماً».

من الرهبنه فاشارو إلى ابهاتى قايلين: انت الذى حضرت معنا وحدك تكون نايبا عن أخوتك؟ فلما نظرونى جالسا مع الأساقفه وارادّدهم فى الخطاب تعجبو وقالو: ما رأينا قط راهبا يرادد البطرك مثل هذا. فقالو المطارنه: ان لسانه مثل السيف [الحاد] ما يقاوم. فقال لهم ابهاتى هو بمنزلة اسقف، فتعجبو فقال واحد من المطارنه لى: كم لك من الولاد فى كرسيك وبلادك فقلت له: لى عشر منا [قرى] فيها [فى كل منها] عشرة

---

٨٨. عمير بن الوليد(*)

ثمّ وليها عُمير بن الوليد، باستخلاف أبى إسحاق بن الرشيد على صلاتها. وورد عليه كتاب أبى إسحاق بولايته عليها يوم الأحد لتسع عشرة[١] خلت من صفر سنة أربع عشرة. فجعل على شُرَطه ابنه محمداً، فاستخلفَ محمد رجلاً يدعى السّليل بن ربيعة. وفرض عمير الفُروض، واستعدّ لحرب أهل الحوف. وبعث بعبدالله بن حُلَيس[٢] الهلالى إلى الحوف، ليصلح أمر قيس ويردّهم إلى الطاعة. فمضى إليهم [ابن][٣] حليس، فأتاهم وحرّضهم، فعقدو له عليهم. وقام[٤] بأمر اليمانية عبدالسلام بن أبى الماضى الجُذامى ثمّ الجروى. فسار إليهم عمير فى جيوشه وفروضه، وتبعه عيسى بن يزيد الجلودىّ؛ كان خروجه من الفُسطاط يوم الثلاثاء لستّ عشرة من ربيع [الأوّل][٥] سنة أربع عشرة ومئتين. واستخلف على

(*) الخطط ١ : ٣١١، والنجوم ٢ : ٢٠٧، وحسن المحاضرة ٢ : ١٢.
(١) كذا فى ر. وفى خـ (١ : ٣١١)، ن (٢ : ٢٠٧): لسبع عشرة.
(٢) ن: ابن الجليس.
(٣) زيادة ضرورية عن ر.
(٤) ر: وأقام.
(٥) زيادة فى ر، وهى فى خـ، ن.

اواسى [كل] خمسه تكون [تطعم] فى كل سنه نحو خمسين نسمة . فقالو: بالحقيقه نحن نراك متعوبا ضعيف الجسم. فقال احدهما: انا عندى فى كرسى تسع مايه ضيعه سوى المدن والمنا [القرى] وكراسى لطاف، وكوورونا قليل [سكانها] ومضى بينى وبينهم كلام كتير وهم قوم فيهم دين ومحبه.

فلما كان فى الشهر التانى اجتمعو فى بيعة السيده استقر الأمر مع البطرك انبا خايل . قال:

الفسطاط ابنه محمداً. وقدم أبو خالد المهلبي من قبل المأمون إلى اليمانية، ومحمد بن ذؤاله القيسي إلى القيسية[١] . فبذلا لهم ما شاؤوا، فلم ينههم ذلك عن الحرب. وزحفو إلى عمير، وعلى اليمانية عبدالسلام بن أبى الماضى، وعلى قيس عبدالله بن حُليس الهلالى. فالتقو بمنية مسال الله[٢] ، فاقتتلوا، فقُتل من أهل الحَوف جمع كثير، وانهزموا. فتبعهم عمير فى نفر من أصحابه. فعطف عليه كمين لأهل الحَوف، فقتلوه باليهودية يوم الثلاثاء لثلاث عشرة[٣] من ربع الآخر. وكان الذى قتله مُبارك الأسود مولى حُميد ابن كوثر الحَرشي. فكان مقام عُمير على إمرتها إلى أن قُتل ستين يوماً. قال حبيب بن أوس الطائى[٤]:

ألا رُزِئَتْ خُراسَانٌ فَتَاهَا   غَداةَ ثوَى عُمَيرُ بنُ الوَليد
فَيَا يوْمَ الثّلاثَا كَمْ كَئيبٍ   رَمَاهُ الحزْنُ فيكَ وكَمْ عَميدٍ[٥]

---

(١) ر: محمد بن دوالة العبسي إلى العبسية. خطأ.

(٢) من مديرية الشرقية. وفي ت: منية يالله. وانظر سيرة أحمد بن طولون للبلوى ١٥١، ٢٧٣.

(٣) خـ، ن: لست عشرة خلت.

(٤) ديوان أبى تمام، تحقيق شاهين عطية، بيروت ١٨٨٩، ص ٣٢١.

(٥) العميد: المريض لا يستطيع الجلوس من مرضه، ولعله يريد من هذه الخبر فصار لا يستطيع القيام كالمريض.

السـيف او النار او الرمى إلى الأسـد او النفى او
السبى ما يقلقنى ، ولست ادخل تحت ما لا يجب
ولا ادخل تحت حرمى الذى كتبته بخطى وبدات
به بان لا يصير اسقف بطركا ، والأبا الفضلا
احرمو من ياخذ رتبه من رتب الكنهوت بيد
السلطان او عنايته ، لن [لان] الاساقفه كانو كتبو
إلى من انطاكيه فى زمان انبا يوحنا البطرك ان
كلمن ثبت بعده من الأساقفه على الكرسى يكون

فَكَمْ سَخَنَتْ فينَا منْ عُيُونٍ ... وَكَمْ أعْثَرتَ فينَا من جُدُود[1]
فَمَا زُجِرَتْ طُيُورُكَ عن سَنِيحٍ ... ولا طَلَعَتْ نُجُومُكَ بالسُّعُود[2]

وقال أيضا[3]:

أنْعَى عُمَيْرَ بنَ الوَلِيدِ لغَارَةٍ ... بكْرٍ منَ الغَارَاتِ أوْ لعَوَانِ
أنْعَى فتى الفتيانِ غيرَ مُكَذِّبٍ ... قَوْلِي وأَنْعَى فَارِسَ الفُرْسَانِ

وقال سعيد بن عفير:

سَاقَتْ عُمَيرَ إلى مِصْرٍ مَنِيَّتُهُ ... بإِمْرَةٍ لَمْ يَكُنْ فِيهَا بمَسْعُودِ
حَتى أتَتْهُ المَنَايَا وَهْوَ مُلْتَحِفٌ ... ثَوْبَيْنِ منْ حَبَرَاتِ البَاسِ وَالجُودِ
فاذهَبْ حَمِيداً فلا تَبْعَدْ فكلّ فَتىً ... يَوْماً وَإنْ كَرِيَتْ أفعَالُهُ يُودِي

واقام محمد بن عمير خليفة لأبيه عليها شهراً، ثمّ أظهر الجلودى كتاباً بولايته، فسلم إليه محمد.

---

(١) الجدود: الحظوظ. وأعثرها: جعلها عاثرة تعسة. وكذا روى هذا الشطر فى الديوان. وفى ر: وكم أعبرت فينا من خدود.
(٢) السنيح: الظبى إذا مر من مياسرك إلى ميامنك، وهم يتفاءلون به.
(٣) الديوان ٣٤٨.

محروما، فكتبت هذا بخطى فكيف يجب أن احرم نفسى واحلل اليوم ما حرمته بالأمس ، وما انكرته امس ارضى به اليوم، وما انكروه الأبا القديسيون قبلى. وقطع الخطاب. فتقدمو إلى أبى عون الوالى وقالو له: تنفذ معنا البطرك إلى بلادنا كما امر الملك. ولم يكن ابو عون يريد ان يسير الأب لأجل محبته له والنصارى، وكان له عنايه عند الله بهم وقبوله دعاهم له. فقال : للبطرك :

---

٨٩. عيسى بن يزيد الجلودى(*)

الثانية

ثمّ وليها عيسى بن يزيد، خليفةً لأبى إسحاق، على صلاتها. فجعل على شرطه رَجُلاً من أهل خراسان يقال له مُطهَّر. ثمّ سار عيسى إلى أهل الحوف، فلقيهم بمُنية مطر(١). فكانت بينهم وقعة. ثمّ انصرف أهل الحوف على حامية. ومضى الجلوديّ حتى نزل النّوَيرة، فخندق على نفسه وجيشه خندقاً، وأقام أيّاماً. فأتاه أهل الحَوف فصبّحو به. فهاله أمرهم، فلمّا أمسى تحمّل منهزماً إلى الفسطاط، وأحرق. ما ثقل عليه من رحله، وخندق على الفسطاط؛ وذلك يوم الثلاثاء لأربع خلون من رجب سنة أربع عشرة. قال حبيب بن أوس الطائى يهجو الجلوديّ:

اللهُ أرْهَقَكَ الهَزيمَةَ إذْ ... جَبَذَتْكَ(٢) أحبالُ الرّدى جَذْبَا
وَأَتَتْكَ خَيْلٌ لَوْ صَبَرْتَ لهَا ... أنْهَبْنَ رُوحَكَ فى الوَغَى نَهَبَا

(*) الخطط ١ : ٣١١، والنجوم ٢ : ٢٠٨، وحسن المحاضرة ٢ : ١٢.
(١) هى المطرية. انظر ن (٢ : ٢٠٨).
(٢) ص: جبذتك. ر: جذبتك. وهما بمعنى واحد.

انت قـد طعنت في السن والطريق بعيـده جـدا، وامض وشاور نفسك أياما قلايل فان سهل عليك الامر وإلا فالمسير بيدك. فخرجنا من عنده فاقلقونا المطارنه والرسل وخاطبو البطرك فى نجاز الأمـر بالمسير معـهم ولم يدعونا فاهتم الأب البطرك بالسفـر وهو وجع القلب قايلا لأبى مويسيس : تصحبنى فى هذه الطريق الصعبه. فاستعد أبى مويسيس للمسير معه، وأبا تاودرس اسقف مصر،

مِنْ حَيّ عَدْنَان وَإخْوَتِهِمْ قَحْطَانَ لا مِيلاً وَلا نُكُبَا[1]
أَعْصَمْتَ بِاللّيْلِ البَهِيمِ وَقَدْ أَلْقَى عَلَيْكَ ظَلامَهُ حُجُبَا
وَتَرَكْتَ جُنْدَكَ لِلْقَنَا جُزُراً وَالبِيضُ تَخْدُبُ هَامَهُم خَدْبًا[2]
فَاشْكُرْ أيَادِيَ لَيْلَةٍ سَنَحَتْ لَكَ بِالبَقَا فَرَكِبْتَهَا رَكَبَا

وأقبل أبو إسحاق بن هارون سائراً إلى مصر، فى أربعة آلاف من أتراكه. فامتنعو عليه، فقاتلهم يوم السبت لعشر بقين من شعبان سنة أربع عشرة، فهزمهم. ونزل أبو إسحاق ببلبيس يوم الأحد لتسع بقين من شعبان. وبعث فى طلب عبدالله بن حُلَيس، وعبدالسلام بن أبى الماضي. فأُتى بهما، مستهلّ شهر رمضان، فقيّدهما وسجنهما، ثمّ أقامهما للناس. ودخل أبو إسحاق الفسطاط يوم الخميس لثمان خلون من رمضان سنة أربع عشرة ومئتين. ثمّ خرج أبو إسحاق إلى الجيزة، فدعا بابن حُلَيس وعبدالسلام، فضرب أعناقهما، وصلبهما يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة سنة أربع عشرة ومئتين. قال مُعلّى الطائى:

(١) الميل: جمع أميل، وهو من يميل على السرج ولا يستوى عليه، ومن لا سلاح معه، والجبان. والنكب: جمع انكب، وهو المائل عن الحق والحائد عن الخصم.
(٢) الجزر: جمع جزور، وهى الشاة المذبوحة، ويريد تركهم للقتل. والبيض: السيوف. وتخدبهم: تضربهم. وكذا الشطر الثانى فى ر. وفى ص: تجذب مامهم جذبا.

وانا البايس يونس [يحنس = يوحنا] فلما استعدينا للمسير وصل الخبر إلى مصر في تلك الليله ان اسحق الأسقف الذى وثب على كرسي انطاكيه بيد السلطان قد توفي بانطاكيه وقد ناب على الكرسي أنسان اسمه اثناسيوس وجلس في اليوم بعينه قبل مغيب الشمس، فمات الاخر في تالت يوم ودفنوهما. فلما سمع ذلك المطارنه [والرسل] ومن معهم من الكهنة هربو ولم نعلم كيف مضو إلا انا لم نشاهدهم بعد ذلك اليوم.

إنّ الحُلَيْسيّ غدا سابقاً | في حَلْبة الجسْرين قَدْ قَصَبا(١)
عَلى طمرٌ ما لَهُ أرْجُلٌ | منْ صَنْعَة النجّار قَد شُذّبا(٢)
ولَيْس يُدْرى عنْدَ إجَامه | مَنْ أثْفر الطّرْفَ ومَن لبّبا(٣)
مُسَمّرُ الخَلْق أمُونُ الشّوَى(٤) | يأنَفُ أنْ يأكُلَ أوْ يَشْرَبا
ولَوْ سَرَى لَيْلَتَهُ كُلّها | ما جَاوَزَ الجِسْرَ ولا قَرّبا
لَوْ كانَ من بَعض نَخيل القرَى | كانَ أبُو القاسِم قَدْ أرْطَبا
كَسَا أبُو إسْحَاقَ أوْداجَهُ | أبْيَضَ لا يُعتبُ مَن أغْضَبا(٥)
وَقَدْ سَقَى عبدالسّلامِ الرّدَى | فكَيْفَ باللهِ إذا جَرّبا

وخرج أبو إسحاق، متوجّهاً إلى الشام، لغُرّة المحرم سنة خمس عشرة ومئتين في أتراكه، ويجمع من الأسارى في ضَرّ وجَهْد شديد، وولّي على مصر عَبْدَوَيْه بن جبلة من الأبناء.

---

(١) قصب: أحرز قصب السبق.
(٢) الطمر: الفرس الجواد أو الطويل القوائم الخفيف، ويعني به الخشبة التي صلب عليها.
(٣) أثفر الفرش: عمل له ثفراً أو شده به، والثفر: السير في مؤخر السرج. والطرف: الكريم من الخيل. ولبب الدابة: جعل لها لبباً، وهو ما يشد من سيور السرج في صدر الدابة ليمنع استئخار الرحل.
(٤) الشوى: الطرف.
(٥) الأوداج: العروق في العنق. وأعتبه: أرضاه.

وانا اقـول لكم مـا قـد قـيل لنا من اجل هذا اتناسيوس كان من الأساقفه القدم ومطرانا وتولى من حد حران إلى داخل، وكان كرسيه بعيدا جدا حتى انه كان يسير على الجبال والصخور والحجاره الحاده برجيله وفيهما مداس حديد حتى يطوف على كل كوره، وحدثونا أنه كان شديد القوه طويل القامه ممتلى الجسم، وكان قد أعطى فى المجمع ان يقسم الأساقفه لبعد الكوره فلما وثب على الكرسى مات.

---

٩٠. عبدويه بن جبلة(*)

ثمّ وليها عبدويه بن جبلة، من قبل أبى إسحاق، على صلاتها؛ وليها مستهلّ المحرم سنة خمس عشرة ومئتين. فجعل على شرطه ابنه، وعلى المظالم إسحاق بن إسماعيل بن حمدان[١] بن زيد. وخرجْ ناس من لَخْم بالحَوْف، فحاربو فى شعبان سنة خمس عشرة. فبعث إليهم عيسى بن منصور الرّافقى[٢]، وهو والى الحَوْف، فقاتلهم فظفر بهم. ثمّ قدم الأفشين حَيْدَر[٣] بن كاوس[٤] الصَّفْدى إلى مصر، ومعه علىّ بن عبدالعزيز الجروىّ؛ قدما لثلاث خلون من ذى القعدة[٥] سنة خمس عشرة، وقد أُمرَ الأفشين أن يطالب[٦] عليّا بالأموال التى عنده، فإن هو دفعها إليه وإلاّ قتله. فطالبه الأفشين، فلم يدفع إليه شيئاً. فقدمه

(*) الخطط ١ : ٣١١، والنجوم ٢ : ٢١٢، وحسن المحاضرة ٢ : ١٢ .
(١) ن (٢١٢/٢) : حماد.
(٢) كذا فى ر، وقال: «فى الأصل: والرافقى. حذفنا الواو لأنه ظهر أن الرافقى نسبة عيسى بن منصور، فإن عيسى ذكر بهذه النسبة فى بعض نسخ النجوم (انظر فهرس الأعلام) وقيل له فى بعضها الرافعى كما فى الخطط (١ : ٣١١).
(٣) ص: كبادر. خطأ.
(٤) ر: كاووس.
(٥) خـ (١ : ٣١١)، ن: ذى الحجة.
(٦) كذا فى ر. وفى ص: يطلب.

وجا الينا انسان من الخلقدونيين اسمه جرجه وكان خيرا ودخل معنا في الأمانه الارتدكسيه فوقع اختيار الجمع عليه فصيروه بطركا على انطاكيه فلم يمر عليه إلا قليل حتى وثب عليه اسقف من اساقفته يسمي ابا داود وكانت امه دايه لابي جعفر المنصور ملك المسلمين، فسعى به بكلام لا يجب ذكره في سيره البيع وافعالنا وذنوبنا مانحتاج إلى زياده، ثم اخذ الملك هذا جرجه وكبله بالحديد

بعد الأضحى بثلاث فقتله، وصرف الأفشين عبدويه بن جبلة عنها. وخرج الأفشين إلى برْقة ومعه عبدويه، وولّى عليها عيسى بن منصور لسلخ سنة خمس عشرة[1].

٩١ . عيسى بن منصور(*)

ثمّ وليها عيسى بن منصور، من قبل أبي إسحاق، وليها مستهلّ سنة ستّ عشرة ومئتين على صلاتها. فجعل على شرطه أبا مغيث موسى[2] بن إبراهيم ابن عَمّه. ثمّ انتقضت أسفل الأرض كلّها، عربها وقبطها[3]، في جمادى الأولى سنة ستّ عشرة، وأخرجو العمّال، وخالفو الطاعة. وكان ذلك لسوءسيرة العُمّال فيهم. ثمّ قدم الأفشين من برقة، للنصف من جمادى الآخرة سنة ستّ عشرة، فأقام بالفسطاط لأنّ النيل في مَدّه قد حال بينه وبينهم. ثمّ خرج الأفشين وعيسى بن منصور جميعاً، فعكسرو في شوّال سنة ستّ عشرة. فحاربه أهل تنو وتُمَيّ، وقد اجتمعو بإشْليم[4]، وعقدو عليهم لابن عُبَيْدُس[5] الفهرى من ولد عقبة بن نافع.

(١) ن: فكانت ولاية عبدويه بن جبلة على مصر، نيابة عن أبي إسحاق محمد المعتصم، سنة واحدة.
(*) الخطط ١ : ٣١١، والنجوم ٢ : ٢١٥، وحسن المحاضرة ٢ : ١٢.
(٢) ن (٢ : ٢١٦): يونس.
(٣) كذا في ر، خـ (١ : ٣١١). وفي ص: وقبطيها.
(٤) إشليم: قرية بالحوف الغربي.
(٥) كذا في ر. وفي ن، ط (٣ : ١١٠٥): عبدوس الفهري.

والخشب واودعه السجن في السنه التامنه من ملكه. ومن بعد ذلك الوقت وإلى الآن لم تصلنا سنوديقا [إلى مصر] ولا مضى من عندنا كتاب.

واذكر لكم اعجوبه بطرك القسطنطينيه والملك وانسان خلقدونى فى سنه أربع مايه وتمانين للشهدا، كان انسان مقدم من القسطنطينيه اسمه فيلبس قد حسن له البطرك ان يقاتل الملك وقال له: انك إذا قاتلته ظفرت به واخذت المملكه. فلما

فواقعهم الأفشين بأشليم، فهزمهم وأسرَ منهم كثيراً فقتلهم. ورجع عيسى بن منصور إلى الفسطاط، ومضى الأفشين إلى الحَوْف ففَل جماعتهم.

وبعث الأفشين عبدالله بن يزيد[١] إلى [الغربية، فانهزم إلى][٢] الإسكندريّة، واستجاشت عليه بنو مُدْلج فحصروه في حصن الإسكندريّة، وذلك في شوّال سنة ستّ عشرة. ومضى الأفشين إلى شَرْقيون، فلقى من هناك بمحلة أبي الهَيثم، فاقتتلوا. فظفر بهم الأفشين، وقتل صاحبهم أبا ثور اللخمي. ومضى الأفشين أيضاً إلى دَميرة[٣]، فحاربهم في ذى القعدة سنة ستّ عشرة، فظفر بهم. وخرج عيسى بن منصور من الفسطاط إلى نميّ، فقاتل أهلها، فانهزم أهل نُميّ. وأقبل الأفشين في جنوده إلى الإسكندرية، فلقيه طائفة من بنى مُدْلج بخَربتا، فهزمهم. وأتوه أيضاً بمحلة الخلفاء[٤]، فهزمهم وأسر أكثرهم، فنزل بهم قَرْطَسا[٥]، فضرب أعناقهم بها. وأتى الإسكندرية فدخلها. وهرب منه رؤساؤهم، وهم بَحْر بن عليّ اللخميّ، وابن عُقَاب اللخمي. وكان رئيس جماعتهم معاوية بن عبدالواحد بن محمد بن عبدالرحمن بن

---

(١) هو عبدالله بن يزيد بن مزيد الشيباني (خـ ١: ١٧٣). وفي ر: عبيدالله.
(٢) زيارة عن خـ (١: ١٧٣)، وهي ساقطة من ر.
(٣) دميرة: قرية كبيرة على شاطيء النيل قرب دمياط.
(٤) محلة الخلفاء: من مديرية البحيرة.
(٥) كذا عند ياقوت، وفي القاموس: قرطس، وفي التاج: قرطسة، وهي من قرى البحيرة.

بلغ الخبر الملك نفاه إلى بلد غربه، وطرحه فى مواضع ضيقه وأقام بطركا غيره. وكان الملك يفعل فعالا لا تحسن ذكرها ويمحى الصور من البيع(*).

(*) انظر الهامش العلوى ص٣٢٣ خاصة الجزء المتعلق بحرب الايقونات.

وما ذكرت لكم هذا ألا لتعلمو أن هذه الأمور كانت عامه ليس بانطاكيه فقط بل وفى جميع المملكه ، والبطركان القسطنطيني والانطاكى اعتقلو فى زمان واحد.

معاوية بن حُدَيج. وكان دخول الأفشين الإسكندرية لعشر بقين من ذى الحجّة سنة ستّ عشرة. ومضى الأفشين بعد فتح الإسكندرية إلى أهل البَشرُود[1]، فكان مواقفاً لهم وقد امتنعوا حتى قدم المأمون.

قدوم امير المؤمنين المأمون الفسطاط

قدم لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة ومئتين، فسخط على عيسى ابن منصور، وأمر بحلّ لوائه بلباس البياض، قال: لم يكن هذا الحدث العظيم إلاّ عن فعلك وفعل عمّالك، حمّلتم الناس ما لا يُطيقون، وكتمتمونى الخبر حتى تفاقم الأمر واضطرب البلد. وضمّ أصحابه إلى ابن عمّه موسى بن إبراهيم. وولى المأمون على شرط الفسطاط أحمد بن بسطام الأزدى من أهل بُخارا. وركب أمير المؤمنين، فنظر إلى المقياس[2]، وأمر بإقامة جسر آخر فعمل له هذا الجسر القائم بالفسطاط اليوم، وترك القديم. وعقد لأبى مغيث موسى بن إبراهيم على جيش بعثه إلى الصعيد، في طلب ابن عُبَيْدُس الفهرى، ومعه رشيد التركى. فظفرو بالفهرى بطَحا. وارتحل المأمون إلى سَخا، سلخ المحرم سنة سبع عشرة. ثمّ صار إلى البشرود، والأفشين قد أوقع القبط بها، فنزلو على حكم أمير المؤمنين. فحكم بقتل الرجال وبيع النساء والأطفال. فبيعو

(١) كذا فى ر عن خـ (١ : ١٧٤). وفى ص: الشرور. تحريف.
(٢) وأمر بتعميره. (ن ٢ : ٢١٦).

وقد ذكرنا يسيرا مما قد لقيه الأب البطرك أنبا خايل من الجهاد ولم يكن معه احد مقيما فى شدايده ولا يساعده إلا الأب الأسقف أنبا تادرس أسقف مصر وأنبا مويسيس أسقف وسيم. ولما طعن فى السن سأل الله الرحوم أن ينقله من هذا العالم ليتنيح مع القديسين فأجابه وأسلم نفسه بعد ما جاهد وعمل من الأعمال الحسنه في اليوم السادس عشر من برمهات . وكان مدة مقامه

وسُبى أكثرهم. وأتى بالفهرى إلى سخا فقتله، وتتبع كلّ من يُومأ إليه بخلاف فقتله، فقتل ناساً كثيراً.

ورجع إلى الفسطاط يوم السبت لستّ عشرة من صفر سنة سبع عشرة. ومضى إلى حلوان فنظر إليها، وأقام بها ثلاثاً. ورجع إلى الفسطاط، فخرج على مقدّمته أشناس. وارتحل المأمون يوم الخميس لثماني عشرة من صفر. فكان مقامه بالفسطاط وسَخَا وحلوان تسعة وأربعين يوماً.

٩٢. كيدر نصر بن عبدالله(*)

ثمّ وليها كيدر واسمه نصر، من قبل المأمون، على صلاتها. فجعل على شرطه إسْبَنْدِيَار(١). ثمّ بعث المأمون برجل من العجم، يقال له [ابن](٢)، بِسْطَام، فولاه الشرط. فعزله كيدر لرشوة أرتشاها، وأمرَ بضربه بالسوط في صحن المسجد الجامع، وولّى رجلاً بخاريًا يقال له ذاوَه(٣)، ثمّ عزله وولّى ابنه مظفر بن كيدر باستخلاف مظفّر ذاوه على الشّرَط. وورد كتاب

(*) الخطط ١ : ٣١١، والنجوم ٢ : ٢١٨، وحسن المحاضرة ٢ : ١٢.
(١) ن (٢ : ٢١٨) : ابن اسبنديار.
(٢) زيادة في عن ن، ويظهر أنه أحمد بن بسطام، المذكور حالاً.
(٣) لم يذكره ن.

على الكرسي الانجيلي على ماوجدنا في اولياكي بدير القديس أبي مقار تلتا وعشرين سنه ونصفا . ووضع جسده المقدس مع أجساد أباينا القديسين بمجد وكرامه، صلواته تكون معنا آمين.

[كملت السيره السادسه(*) عشر من سير البيعه المقدسه وانباخايال (خايل) البطرك الذى هو السادس والاربعين نفعنا الله تعالى بمقبول صلواته امين امين].

(*) صحتها الثامنة .

أبي إسحاق بن الرشيد[1] على كيدر بأخذ[2] الناس بالمحنة، ورد الكتاب في جمادى الآخرة. سنة ثماني عشرة ومئتين، والقاضي بمصر هارون بن عبدالله الزّهريّ. فأخذه كيدر بذلك فأجاب، وأخذ الشهود به فأجابوا. فمن وقف منهم سقطت شهادته. وأخذ بها الفقهاء والمحدّثين والمؤذنين. فكان الناس على ذلك من سنة ثماني عشرة إلى أن قام المتوكل سنة اثنتين وثلاثين ومئتين.

وتوفي المأمون بأرض الروم لسبع خلون من رجب سنة ثماني عشرة ومئتين، وبايع الناس أبا إسحاق المعتصم. فورد كتابه إلى كيدر ببيعته، وأمرَه بإسقاط من في الديوان من العرب، وقطع أعطياتهم. ففعل ذلك كيدر.

حدثني ابن قديد قال: حدثني علي بن أحمد بن سليمان قال: [حدثني] سعيد الهمذاني عن طلق بن السمح قال:

حدّثنا نافعَ بن يزيد قال: قطع مروان بن محمد العطاء سنة، ثمّ كتب إليهم كتاباً يعتذر إليهم، فيه «إني إنّما حبستُ عنكم العطاء في السنة الماضية، لعدوّ حضَرني، فاحتجت فيه إلى

(١) كذا في ر، والأصح أنه كتاب المأمون، كما في ن، خـ (١ : ٣١١).
(٢) كذا في خـ. وفي ص: [بان] ياخذ.

السيره التاسعه عشره من سيره البيعه
أنبا مينا البطرك وهوالسابع
والاربعون من العدد
(٧٦٧ / ٧٧٥)

أنه لواجب علينا الاستقصا والبحث عن جميع سير البيعة كما كان ابهاتنا المتقدمون يفعلون. فأما فيلون ويستس ويوسابوس من اليهود فانهم كتبو سيرة ما جرى بيروشليم من أجل المسيح، والذى

المال، وقد وجّهت إليكم بعطاء السنة الماضية وعطاء هذه السنة. فكُلُو هنيئاً مريئاً، وأعوذ بالله أن أكون أنا الذى يجرى الله قطع العطاء على يديه».

ولمّا قُطعَ العطاء، خرج يحيى بن الوزير الجروىّ فى جمع من لخم وجذام، قال: هذا الأمر لا نقوم فى أفضل منه، لأنّه منعنا حقّنا وفيْئنا. واستمع إليه نحو من خمس مئة رجل. ومات كيدر فى ربيع الآخر سنة تسع عشرة ومئتين[١].

٩٣. مظفر بن كيدر[*]

ثمّ وليها مظفر بن كيدر، باستخلاف أبيه له. فجعل على شرطه ذاوه. وخرج مظفر بن كيدر إلى يحيى بن الوزير، فقاتله فى بحيرة تنّيس. فأسر يحيى ابن الوزير، وتفرّق عنه أصحابه، وذلك فى جمادى الأولى[٢] سنة تسع عشرة. ثمّ صُرِفت مصر إلى أبى جعفر أشناس، فدُعى له بها.

وحدثنى ابن قديد، عن أبى نصر بن صالح، عن أشياخه، قالوا: أوّل من أمر بالتكبير بعد صلاة الجمعة مُظفّر بن كيدر. فوليها مظفر إلى شعبان سنة تسع عشرة[٣].

(١) ن: فكانت ولايته على مصر سنتين وشهرين تنقص أياماً.
(*) الخطط ١: ٣١١، والنجوم ٢: ٢٢٩، وحسن المحاضرة ٢: ١٢.
(٢) خـ (١: ٣١١)، ن (٢: ٢٢٩): جمادى الآخرة.
(٣) ن: وكانت ولاية المظفر على مصر نحواً من أربعة أشهر تخميناً.

كـتب سـيـر البـيـعـه الارتدكـسـيـه أفـريقـانوس، وأوسـابيـوس، وسـوزمـانوس وبعـدهـم أيضـا مـينا الكاتب. هولا كـتـبـو مـاجـرى على البـيـعـه إلى ديسقـرس الأب العظيم المعترف بالمسيح، وقـايل الحق الذى خلصنا من الطوفـان التـانى ومن غـرق العـمق الذى ليس له نهـايه. ومن السـتـمـايه وتلتين المجتمعين بخلقدونيه ولاون الكافر صاحب روميه، وهذا قد كتب لنا فى التانى عشر سيره للبيعه

---

٩٤. موسى بن ابى العباس(*)

ثمّ وليها موسى بن أبى العبّاس، من قبل أبى جعفر أشناس، على صلاتها(١)، مستهلّ رمضان سنة تسع عشرة. فجعل على شرطه أخاه الحسن بن أبى العبّاس.

أخبرنى ابن قديد، عن يحيَى بن عثمان، قال: كان المؤذنون على الزمان يؤذنون بين يدى الإمام يوم الجمعة، من داخل المقصورة، فأوّل من أخرجهم منها موسى بن أبى العبّاس فى ولايته على مصر.

فوليها موسى إلى ربيع الأوّل(٢) سنة أربع وعشرين ومئتين. فكانت ولايته أربع سنين وسبعة(٣) أشهر.

٩٥. مالك بن كيدر(**)

ثمّ وليها مالك بن كيدر، من قبل أشناس، على صلاتها؛ قدمها يوم الاثنين لسبع بقين من

(*) الخطط ١ : ٣١١، والنجوم ٢ : ٢٣١، وحسن المحاضرة ٢ : ١٢.
(١) ن (٢ : ٢٣٢): وجمع له الخراج فى بعض الأحيان.
(٢) ن، خـ (١ : ٣١١): ربيع الآخر.
(٣) كذا فى خـ، ن، وهو الصحيح (من رمضان إلى ربيع الأول أو الثانى). وفى ر: وتسعة.
(**) الخطط ١ : ٣١١، والنجوم ٢ : ٢٣٩، وحسن المحاضرة ٢ : ١٢.

الذين ذكرنا اسماهم لأنهم كانو قد عنو بهذا الأمر، وكذلك فى كل جيل لم يدعنا الله هكذا الأرشيدياقن والد أبينا الأب القديس أنبا قسما بطرك اسكندريه الذى هو قريبه، وأبا مقاره أيضا ومقاره الراهب، وبعدهما يوحنا [يونس] ابن أبا مويسيس أسقف وسيم.

وأنا الفقير الزمت من أبى الراهب بمنام رآه، لأنه كان شيخا قديسا، فتقدم إلى وأمرنى أن اكتب

شهر ربيع الأوّل[1] سنة أربع وعشرين ومئتين. فجعل على شرطه ذاوَه. فوليها مالك إلى يوم الأحد لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر سنة ستّ وعشرين، وقدِم يومئذٍ خليفة علىّ بن يحيَى الأرمنى. وليها مالك سنتين وأحد عشر يوماً. وتوفى مالك بن كَيدر بالإسكندرية، يوم الأحد لعشر خلون من شعبان سنة ثلاث ومئتين وثلاثين.

٩٦. على بن يحيى الأرمنى(*)

ثمّ وليها علىّ بن يحيَى الأرمنىّ، من قبل أشناس، على صلاتها؛ قدمها يومى الخميس لسبع[2] خلون من ربيع الآخر سنة ستّ وعشرين ومئتين. فجعل علَى شُرَطه معاوية بن معاوية بن نُعيم بن عبدالرحمن بن معاوية بن حُدَيج. فوليها علىّ بن يحيَى إلى وفاة أبى إسحاق المعتصم، وكانت وفاته للنصف من ربيع الأوّل سنة سبع وعشرين ومئتين. وبويع أمير المؤمنين هارون الواثق بالله. فأقرّه عليها إلى يوم الخميس لسبع خلون من ذى الحجّة سنة ثمان وعشرين ومئتين. وكانت ولايته عليها سنتين وثمانية أشهر[3].

---

(١) خـ (١ : ٣١١)، ن (٢ : ٢٣٩): ربيع الآخر.
(*) الخطط ١ : ٣١٢، والنجوم ٢ : ٢٤٥. وأسقط السيوطى الأرمنى فلم يذكره.
(٢) كذا فى خـ (١ : ٣١٢)، ن (٢ : ٢٤٥). وفى ر. لتسع.
(٣) خـ: وثلاثة أشهر. ن: فكانت ولاية على بن يحيى هذا على مصر سنتين وثمانية أشهر، وقيل: وثلاثة أشهر، والأول أصح.

سيره أبابى الطوبانيين، وما شاهدته ونقله لى قوم ثقات. وكنت خادما لأبى أبا يوسف وعند رجليه أنام، وهو الأب الروحـانى الذى طعن فى السن. وكـذلك الأب البطرك أبا شنوده، فسألت الرب الكريم وقلت كما قال داود: يارب افتح شفتى حتى أقص ما جرى على الأبا المغبوطين ربحا لمن قراه وشجاعة لمن سمعه.

لما وصب [مرض] أبونا المغبوط أنبا خايل من

---

٩٧. عيسى بن منصور(*)

الثانية

فوليها عيسى بن منصور الثانية، من قبل أشناس، على صلاتها؛ دخلها يوم الجمعة لسبع خلون من المحرم سنة تسع وعشرين ومئتين. فجعل على شرطه ابنه. وتوفى أشناس سنة ثلاثين ومئتين، وجُعل مكانه إيتاخ، فأقرّه عليها. وسجن عيسى بن منصور علىّ بن يحيى الأرمنى وضيّق عليه ثمّ أطلقه. فوليها عيسى إلى وفاة الواثق.

وقَدمت بيعةُ المتوكل إلى مصر يوم الجمعة لثنَى عشرة خلت من المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومئتين. فأقام عيسى عليها إلى يوم السبت للنصف من ربيع الأوّل سنة ثلاث وثلاثين ومئتين. فصُرف عنها، وقدم يومئذٍ علىّ بن مَهْرَوَيْه، خليفة هَرْثَمة بن النضر. ثمّ مات عيسى بن منصور فى قبّة الهواء بعد عزله، لإحدى عشرة خلت من ربيع الأوّل[1] سنة ثلاث وثلاثين ومئتين[2].

(*) الخطط ١ : ٣١٢، والنجوم ٢ : ٢٥٥، وحسن المحاضرة ١٢.

(١) خـ (١ : ٣١٢)، ن (٢ : ٢٥٥): ربيع الآخر.

(٢) ن: فكانت ولايته على مصر أربع سنين وثلاثة أشهر وثمانية عشر يوماً.

شيخوخته وتنيح بمجد وكرامه أصعدو جسده عند أجساد أبايه في اسكندريه في بيعة مارى مرقس الإنجيلي بمجد وتعظيم، وبكى عليه جميع الشعب وسالو من يقيم لهم بطركا بعده مدبرا مثلة، فاجتمعو الجماعة والأبا الأساقفه لتقدمة من يختاره الله الذى يعرف خفايا القلوب ويعطي النعمة لمستحقيها، فذكر القس مينا الراهب ببيعة القديس أبي مقار، رجل يعجب الناس بقلبه وطريقته وكان

---

٩٨. هرثمة بن النضر الجبلي[١]

ثمّ وليها هرثمة بن النضر الجبلي، من قبل إيتاخ، على صلاتها؛ قدمها يوم الاربعاء لستّ خلون من رجب سنة ثلاث وثلاثين ومئتين. فجعل على شرطه أبا قُتيبة. وورد كتاب المتوكل على هرثمة يأمر بترك الجدال في القرآن، يوم الجمعة لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين ومئتين. [ومات هرثمة، وهو وال، لسبع بقين من رجب سنة أربع][٢]، واستخلف ابنه حاتم ابن هرثمة[٣].

٩٩. حاتم بن هرثمة بن النضر(*)

ثم وليها حاتم بن هرثمة، باستخلاف أبيه، على صلاتها. فجعل على شرطه محمد بن سُويد. فوليها حاتم بن هرْثمة، إلى يوم الجمعة لستّ خلون من شهر رمضان سنة أربع وثلاثين ومئتين، وليها شهراً واحداً[٤].

(١) كذا في ر، خـ، ن. وفي ص: الحبلي. ط (٣: ١٢٦٧): الختلي. وترجمته في الخطط ١: ٣١٢، والنجوم ٢: ٢٦٥، والسيوطي ٢: ١٢.
(٢) زيادة عن خـ، وزادت ر عبارة «ومات هرثمة» فقط.
(٣) ن: وكانت ولاية هرثمة المذكور على مصر سنة واحدة وثلاثة أشهر وثمانية أيام.
(*) الخطط ١: ٣١٢، والنجوم ٢: ٢٧٤، وحسن المحاضرة ٢: ١٢.
(٤) ن (٢: ٢٣٤): فكانت ولاية حاتم هذا على مصر، من يوم مات أبوه، شهراً واحداً وثلاثة عشر يوماً.

راهبا من صباه، وكان ولد الأب أنبا ميخايل وقيم منشوبيته في دير أبي مقار، فقدم بتدبير الله بفرح وانعم الله على بيعته بهذا الراعى المأمون [أنبا مينا] الذى كان مع أنبا خايل يشاهد أعماله لكونه معه من صباه.

فلما جلس على الكرسى الرسولى علم التعليم الروحاني حتى أن كل أحد عجب من النعمه الحاله عليه وحسن تعليمه، والرب الذى اصطفاه

---

١٠٠ . على بن يحيى الأرمنى(*)
الثانية

ثمّ وليها علىّ بن يحيَى الأرمنى الثانية، من قبل إيتاخ، على صلاتها لستّ خلون من شهر رمضان. فجعل على شرطه معاوية بن نعيم. ثمّ صُرف إيتاخ في المحرم سنة خمس وثلاثين، واستُصْفيَت أمواله بمصر، وتُرِك الدعاء له، ودُعى للمُنتصر مكانه.

وليها [حاتم](١) إلى أن صُرِف عنها في ذى القعدة(٢) سنة خمس وثلاثين ومائتين(٣).

١٠١ . إسحاق بن يحيى بن معاذ(**)

ثمّ وليها إسحاق بن يحيَى بن معاذ، من قبل المنتصر ولى عهد أبيه المتوكل على الله، على صلاتها وخراجها؛ قدمها لإحدى عشرة خلت من ذى القعدة سنة خمس وثلاثين(٤). فجعل

(*) الخطط ١ : ٣١٢، والنجوم ٢ : ٢٧٨، وحسن المحاضرة ٢ : ١٢.

(١) زيادة ضرورية للسياق.

(٢) خـ (٣١٢/١)، ن (٢ : ٢٧٩): ذى الحجة.

(٣) ن: فكانت ولايته على مصر في هذه المرة الثانية سنة واحدة وثلاثة أشهر تنقص أياما.

(**) الخطط ١ : ٣١٢، والنجوم ٢ : ٢٨٣، وحسن المحاضرة ٢ : ١٢.

(٤) ن: وقدم إلى مصر لإحدى عشرة خلت من ذى الحجة من سنة خمس وثلاثين ومئتين المذكورة. وقال صاحب البغية والاغتباط: إنه وصل إلى مصر لإحدى عشرة خلت من ذى القعدة.

جعل للبيعه نمو وحفظا فى جميع أعمالها حتى نسو الناس جميع ما جرى عليهم فى أيام أنبا خايل المتنيح ودامت السلامه فى البيعه.

فأقام الشيطان مبغض الخير تجربه على الأب المغبوط فتكلم الشيطان على لسان إنسان جعله له مسكنا، وكان شماسا راهبا اسمه بطرس، أن يتكلم في قلبه بالعظايم عن أنبا مينا والأساقفه الذين فى كرسيه، وكان هذا الشماس من قرية

على شرطه الهَيّاجَى، وجعل على المظالم عيسى ابن لَهيعة بن عيسى الحضرمّى. وورد كتاب المتوكل والمنتصر إلى إسحاق [بإخراج الطالبيين من مصر إلى العراق، فأُخرجوا][1]، وفرق فيهم[2] الأموال ليتحملو بها، فأعطى كلّ واحد منهم ثلاثين ديناراً، والمرأة خمسة عشر ديناراً. وفَرّقت فيهم الثياب. ثمّ خرجو من الفسطاط يوم الاثنين لعشر خلون من رجب سنة ستّ وثلاثين ومئتين. فقدمو إلى العراق، وأُمرو بالخروج إلى المدينة فى شوال سنة ستّ وثلاثين.

فوليها إسحاق بن يحيَى إلى ذى القعدة سنة ستّ وثلاثين ومئتين[3] [ومات إسحاق. بعد عزله، أوّل ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين ومئتين][4]. قال الشاعر[5]:

سَقَى اللهُ مَا بَينَ المُقَطمِ وَالصَفَا   صَفا النّيلِ صَوْبَ المُزْنِ حينَ يَصُوبُ[6]

---

(١) زيادة فى ر عن خـ (١ : ٣١٢)، ومثلها فى ن (٢ : ٢٨٣).
(٢) كذا فى خـ (٢ : ٣٣٩). وفى ر: وفرض.
(٣) ن: فكانت ولاية إسحاق على مصر سنة واحدة تنقص عشرين يوماً.
(٤) زيادة عن خـ، تمهد للأبيات.
(٥) ن: بعض شعراء البصرة.
(٦) الصوب: المطر. والمزن: السحاب ذو الماء. ويصوب: ينصبّ.

تسمى دسيمه، وكان هذا الراهب ولدا لأنبا خايل المتنيح تربى فى قلايته، وطرح مبغض الخير فى قلبه أن يطلب اسقفيه وليس هو مستحقها من أبينا أنبا مينا فقال له الأب كما قال بطرس السليح لسيمون الساحر: أن ليس له معنا نصيب . فلم يصبر فركب المراكب ومضى إلى الشام فلما وصل إلي هناك عمل كتبا مزوره عن أنبا مينا إلى بطرك السريان أنبا جرجه بطرك انطاكيه وأساقفته ومطارنته يقول فى الكتب: ان البيعه بمصر قد

وَمَا بِيَ أنْ أسْقِي البِلادَ وَإنَّمَا | أُحَاوِلُ أنْ يُسْقَى هُنَاكَ حَبِيبُ[1]
فإنْ تَكُ يا إسْحَاقُ غِبْتَ فلم تؤبْ | إلَينا وَسَفْرُ المَوْتِ لَيسَ يؤوبُ
فَلا يَبْعَدَنْكَ اللهُ سَاكِنَ حُفْرةٍ | بمصرَ عَلَيْهَا جَنْدَلٌ وَجَبُوبُ[2]

حدثنى ابن قديد، عن يحيى بن[3] عثمان، عن هارون بن سعيد، قال: كان الناس قد تحدّثو أن إسحاق بن يحيى عزم أن يثور بمصر، فدخلتُ عليه، فقال: أبَلَغك أنّه من أراد مصر بسوء أكبّه الله لمنخريه؟ فقلت: قد رُوى. قال: فلم يلبث إلاّ يسيراً حتى عُزل، ومات بها بعد عزله.

١٠٢ . خوط عبدالواحد بن يحيى (*)

ثمّ وليها خوط عبدالواحد بن يحيى، من قبل المنتصر[4]، على صلاتها وخراجها؛ قدمها

---

(١) ن: وما بى أن يسقى البلاد وانما مرادى.
(٢) السفر: المسافرون. والجبوب: التراب، أو الأرض الصلبة من الصخر، أو الأرض عامة سميت بذلك لأنها تجبّ أى تحفر أو تجب من يدفن فيها أى تقطعه، ومنه قيل جبان وجبانة للأرض التى يدفن فيها الموتى. وفى ر: جنوب، ولا معنى لها هنا.
(٣) كذا فى ر. وفى ص: عن، تحريف.
(*) الخطط ١ : ٣١٢، والنجوم ٢ : ٢٨٨، وحسن المحاضرة ٢ : ١٢.
(٤) كذا فى ر. وفى ص: المنصور، خطأ.

جـرى عليـهـا تعب عظيم واضطهـاد وشـده من الولاه، وكـان عـارفـا بمكاتبـة البطاركـه والمطارنه والأساقفه. فلما وقف بطرك انطاكيه على الكتب قـبله بفـرح عظيم لقـوله أنه رسـول أخـيـه بطرك اسكندريه وجـمع لـه مـالا ودفع له كـتبـا إلى سـاير مطارنته وأساقفـته ليجمعو له ويكرموه باجتهاد عظيم لفعله معه. فلما حصل له ما يستعين به على فعله الردى وما يتوصل به إلى الملوك، فـمشى معه مبغض الخير، وبعد ايام وصل الى مدينة الملك وبدا

يوم الاربعـاء لسـبع بقين[1] من ذى القعدة سنة ستَ وثلاثين. فجعل على شرطه محمد بن سليـمان بن غـالب بن جـبريل البـجلى. ثمّ صُرِف خـوط عن خـراجها يوم الثلاثاء لسبع[2] خلون من صفر سنة سبع وثلاثين، وأُقِرّ على الصلاة.

وورد كـتـاب المتـوكل والمنتـصـر يوم الاربعـاء لليلتين خلتـا من ربيع الأوّل سنة سـبـع وثلاثين ومئتين، بأخـذ[3] بنى عبدالحكم، وزكرياء كاتب العَمرى، وحمزة بن المغيرة، ويزيد بن سنان، فى أموال الجروىّ، فحُبسو فيها مع اللصوص، وتُتُبِّعت أموالهم، ونُهبت منازلهم. وقدم يزيد التركيّ ليلة الاربعـاء لليلة بقيت من ربيع الأوّل سنة سـبـع وثلاثين فى طلب أمـوال الجروىّ، وأخْذها ممّن هى عنده، وقدم معه عبـدالله بن علىّ بن عبدالعزيز الجروىّ. فأطلق يزيد التركى محـمد بن أبى الليث القاضى من السجن، وأمره بالحكم على بنى عبدالحكم. فحكم عليهم بألف ألف وأربعة آلاف دينار، وعلى زكرياء بثمانية آلاف دينار، وذلك يوم السبت لثمان خلون من جمـادى الأولى سنة سبع وثلاثين. ورفع القضيّة إلى يزيد التركى. فألزم بنى عبدالحكم وزكرياء بالمال. وحكم على محمد بن هلال، ويزيد بن سنان، وحمزة بن المغيرة. ونُودى فى الناس: من كـتم شـيئـاً من أموال الجروى حلّ به وحَلّ. فالتوى بنو عبدالحكم، فأخـذ يزيد

---

(١) خـ (١ : ٣١٢): لتسع. ومثله فى ن (٢٨٨/٢).
(٢) وكذا فى ن. خـ: لتسع.
(٣) ر: فأخذ.

يكتب قصص في البطرك أنبا مينا وقلبه مملو حنقا ومكرا ويقول فيها: أن بيت مال الملك خال من المال مع حاجته للنفقه للأجناد وتدبير المملكه، وبمصر إنسان بطرك كبير في النصارى يعرف بعمل كيميا الذهب وفضه اللاتي يقدمون فيهن القرابين، وأنت أيها الملك السيد مستحق أن تكون في خزانتك هولا الآلات العظيمات اللاتي هي في كنايس مصر من الذهب اللاتي يعلمون فيهن ما لا يرضي الله. فلما كتب هذا النجس هذه القصه

عبدالحكم بن عبدالله بن عبدالحكم فعذّبه، فمات في عذابه يوم الأحد لأربع بقين من جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين. وتُتُبّع الناس وطولبوا. وورد كتاب المتوكل بإطلاقهم في رجب سنة سبع فأطلقهم خوط.

فوليها إلى سلخ صفر سنة ثمان وثلاثين ومئتين. وقدم خليفة عنبسة على صلاتها، والشِّركة في الخراج، مستهلّ ربيع الأوّل سنة ثمان وثلاثين[1].

١٠٣. عنبسة بن إسحاق الضبي(*)

ثمّ وليها عنبسة بن إسحاق، من قبل المنتصر، على صلاتها. وجعل شريكاً لأحمد بن خالد صاحب الخراج؛ قدمها يوم السبت لخمس خلون من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين ومئتين. فجعل على شرطه أبا أحمد القُمّي محمد بن عبدالله. وأخذ عنبسة العمّال بردّ المظالم، وأقامهم للناس. وأنصف منهم. وظهر[2] بالخوف من العدل ما لم يُسمع بمثله في زمانه. وكان يروح إلى المسجد ماشياً من العسكر. وكان ينادى في شهر رمضان بالسَّحور. وكان مشهوراً بمذهب الخوارج. قال يحيَى بن الفضل[3]:

(١) ن: فكانت ولايته على مصر سنة واحدة وثلاثة أشهر وسبعة أيام.
(*) الخطط ١ : ٣١٢، والنجوم ٢ : ٢٩٣، وحسن المحاضرة ٢ : ١٢.
(٢) قال ر: لعله: أظهر، كما في الخطط (٢ : ٣١٢).
(٣) خــ (١ : ٢١٤): يحيى بن الفضيل.

وقف ينتظر يوما يجد فيه الوسيلة لدفعها، ودفع لكل حاشية الملك مصانعات برطيل حتى يقدموه، وفعل له الشيطان كما يعمل لخواصه واتباعه عجبا عظيما، مثل ما عملت المرأه العرافه فى إقامة صمويل النبى من القبر لشاول، وحاشا صمويل من هذا التشبيه، ولكن عرفناكم ما يفعل الشيطان فى كل زمان من التشبيه والخيالات.

وكان فى ذلك الزمان أبو جعفر عبد الله ابن

مِنْ فَتىً يُبْلِغُ الإمَامَ كِتَابَا   عَرَبِيّاً وَيَقْتَضِيهِ الجَوَابَا
بِئْسَ وَالله مَا صَنَعْتَ إلَيْنَا   حينَ وَلَّيْتَنَا أميراً مُصَابَا
خَارِجِيّاً يَدينُ بالسَّيْفِ فِينَا   وَيَرَى قَتْلَنَا جَمِيعاً صَوَابَا
مَرَّ يَمْشِى إلى الصَّلاةِ نَهَاراً   وَيُنَادِى السَّحُورَ ضَلَّ[1] وَخَابَا

وفى ولايته نزلت الروم دمياط يوم عرفة سنة ثمان وثلاثين ومئتين، فملكوها وما فيها، وقتلو بها جمعاً كثيراً من المسلمين، وسُبى[2] النساء والأطفال وأهل الذمّة. فنفر إليهم عنبسة بن إسحاق يوم النّحر[3] فى جيشه، ونفر كثير من الناس إليهم، فلم يدركوهم. ومضى الروم إلى تنّيس، فأقامو بأُشتُومها، فلم يتبعهم عنبسة. فقال[4] يحيَى بن الفضل[5] للمتوكل:

أتَرْضَى بأنْ تُوطَا حَرِيمُكَ عَنوَةً   وَأنْ يُسْتَبَاحَ المُسلمونَ وَيُحرَبُوا[6]

---

(١) ر: ظل. تصحيف.
(٢) خـ (١: ٢١٤)، ن (٢: ٢٩٤): وسبوا.
(٣) كذا فى خـ، ن. وفى ر: فغشى، وهى غير متسقة مع السياق.
(٤) كذا فى خـ. وفى ر: قال.
(٥) خـ: الفضيل.
(٦) حربه: سلبه ماله.

أخى أبى مسلم، وهو الذى قدمنا ذكره فى السيره التامنه عشره للبيعه(*)، وهو أول من ملك خراسان، وكان قد تزوج بامرأه ذى عفاف وهو فى حران قبل مملكته، فلما ملك سكن دمشق، وكانت هذه المرأة خايفه من الله جليلة القدر فى سبطها وجنسها، وكانت قد استحلفته عند تزويجها له أنه لا يتزوج غيرها عليها لكى تحفظ ناموس الله، فلما تزوجها لم يعطه الله ولدا عدة سنين، وبعد

(*) انظر ص ٥٠٦ وما بعدها.

حمارٌ أتَى[١] دمياطَ وَالرّومْ وُثّبٌ[٢] بِتِنّيسَ مِنهُ رأىَ عَينٍ وَأقْرَبُ
مُقيمونَ بالأشْتُومِ يَبغونَ مِثلَ مَا أصَابُوهُ من دِمْياطَ وَالحَرْبُ تُرْتَبُ[٣]
فَلا تَنْسَنَا إنّا بِدَارِ مَضِيعَةٍ بِمِصرَ وَإنّ الدينَ قَد كادَ يَذْهَبُ

فأمر المتوكل بابتناء حصن دمياط، فابتُدىء فى بنائه يوم الاثنين لثلاث خلون من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين ومئتين.

وأُفرد عنبسة بالخراج مع الصلاة. وأمر عنبسة بابتناء المُصَلى الجديد، وذلك أن المصلى القديم ضاق بالناس، فابتدأ فى بنائه يومى الثلاثاء لعشر بقين من شهر رمضان سنة أربعين ومئتين. فصلّى فيه يوم النحر سنة أربعين ومئتين.

ثمّ صرف عنبسة عن الخراج لمستهلّ جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعين ومئتين، وأُفرد بالصلاة.

وورد الكتاب بالدعاء للفتح بن خاقان فى ربيع الأوّل سنة اثنتين وأربعين، فدُعى له.

(١) مكان الكلمتين بياض فى ص، وأكملها ر عن خـ.
(٢) كذا فى ر عن خـ. وفى ص: زبنت.
(٣) ترتب: مقيمة ثابتة.

ذلك نظرت مناما وشخصا يقول لها: أحضري أسحق أسقف حران حتى يصلي عليك فإن الله يقبل صلاته بسببك ويعطيك ولدا ففعلت ذلك بأمانه وجعلت لعبد الله زوجها أن ينفذ يحضر الأسقف. وقبل وصوله رأت مناما ثانيا شخصا يقول لها قد سمع الله طلبتك وتمم أرادتك بصلوات الأسقف أسحق، فلما وصل صلى عليها وباركها فحبلت وولدت ولدين. ومن أجل ذلك كان الأسقف عندها في منزلة عظيمة. فلما ملك

وكان عنبسة آخر من وليها من العرب، وآخر أمير صلى بالناس في المسجد الجامع. فوليها إلى مستهلّ رجب سنة اثنتين وأربعين ومئتين. فقدم العبّاس ابن عبدالله بن دينار خليفة يزيد بن عبدالله، بولاية يزيد عليها. وليها عنبسة أربع سنين وأربعة أشهر. وخرج منها إلى العراق في شهر رمضان سنة أربع وأربعين.

١٠٤. يزيد بن عبدالله التركي(*)

فوليها يزيد بن عبدالله، من قبل المنتصر وليّ عهد أبيه، على صلاتها؛ قدمها يوم الاثنين لعشر بقين من رجب سنة اثنتين وأربعين ومئتين. فجعل على شُرَطه ابنه خالداً، وجعل خالد عليها عليّ بن إسحاق المؤنسيّ. ثم ولّى على الشرطة يحيَى بن أحمد بن عبدالله بن دينار.

فأمر يزيد بن عبدالله حين قدمها [بإخراج](١) المؤنثين من مصر وضربهم ونفيهم، و[أن](٢) يُطاف بهم. ومنع من النداء على الجنائز وضرَب فيه.

وأمر بالمختارين فجُعلو في الكور، وهو أوّل من جعلهم [فيها](٣). وأمر يزيد بضرب رجل

(*) الخطط ١: ٣١٢، والنجوم ٢: ٣٠٨، وحسن المحاضرة ٢: ١٢.
(١) زيادة في ر عن خـ (١: ٣١٢)، ن (٢: ٣٠٨).
(٢) زيادة في ر. (٣) زيادة في ر.

عبد الله سأله الأب الأسقف أسحق أن يعطيه على بطركية انطاكيه والمشرق ففعل له ذلك، وكان ذلك سبب سقوطه لخلافه القوانين. ولما لم يصبر الله عليه أن يدعه على الكرسى كما قال الإنجيل المقدس: هو ذا الفأس موضوع على أصول الشجر، فكل شجره لا تثمر ثمره صالحة تقطع وتلقى فى النار(*). كذلك حل بهذا أسحق لماجهل وخالف شريعة الله وجلس بطركا بيد السلطان وتعدى وصايا آبايه قطع الله حياته من على الأرض فمات

(*) لوقا: اصحاح ٣ / ٩
متى: اصحاح ٣ / ١٠

من الجند فى شىء وجب عليه، فضربه عشرة. فاستحلف يزيد بحقّ الحسن والحسين إلاّ عفا عنه، فزاده ثلاثين درّة، ورفع ذلك صاحب البريد إلى المتوكل. فورد كتاب المتوكل على يزيد بضرب ذلك الجندى مئة سوط، فضُربها وحُمل الجندى إلى العراق لثمان خلون من شوال سنة ثلاث وأربعين.

وخرج يزيد بن عبدالله إلى دمياط مُرابطاً فى المحرم سنة خمس وأربعين. ورجع إلى الفسطاط فى ربيع الأوّل. فلمّا كان بينها بلغه أن الروم نزلو الفرما[1]، فرجع فى جيشه إلى الفرما، فلم يلقهم.

وأمر يزيد فى شوال ببيع الخيل التى تُتّخذ للسلطان، وعطّل الرّهان، فلم تجرِ إلى سنة تسع وأربعين. وتتبع يزيد بن عبدالله الرّوافض، فحملهم إلى العراق. وورد كتاب المتوكل بابتناء[2] المقياس الهاشمى للنيل، وبعَزْل النصارى عن قياسه. فجعل يزيد عليها[3] أبا الرّدّاد المُعَلّم، وأجرى عليه سليمان بن وَهَب صاحب الخراج سبعة دنانير، وذلك فى سنة سبع وأربعين ومئتين.

(١) وكذا فى حـ. وفى ن: دمياط.
(٢) بالهامش بخط غير الناسخ: «أى بإتمام بنائه، إذ من المقرر أن المأمون هو الذى أسسه، ولم يتمه».
(٣) لعله يريد بالضمير (ها) عملية البناء.


ناوس على قبر طفل من الحجر الجيرى.
فن قبطى

عاجلا قبل كمال السنه، وجلس على الكرسى إنسان أخر اسمه اتاسيوس غصبا فى يوم وفاة أسحق فمات أيضا ليلته كما ذكر فى [السيرة] التامن عشر [وجلس آخر اسمه انبا جرجه].

فلما كبر الولدان اللذان لعبد الله من المرأه العفيفه الخيره المذكوره أنفا مات أحدهما فحزن الملك عليه حزنا عظيما وحزنت امه وجماعة أهل القصر وأصابهم عليه حزن شديد وأمر عظيم،

وظهر يزيد في شعبان سنة ثمان وأربعين على رجل، يقال له محمد بن عليّ [ابن الحسن](١) بن عليّ بن الحسين [ابن عليّ](١) بن أبي طالب يُعرف بأبى حفدَرّى، بويع له. فبعث يزيد إلى الموضع الذى كان فيه [فأحرقه](١)، فأخذه، وأقرّ [على](١) جمع من الناس بايعوه. فأُخذ بعضهم، فضُربو بالسياط. ثمّ أُخرج العلوىّ(٢) هو وجمع من آل أبى طالب إلى العراق فى شهر رمضان سنة ثمان وأربعين.

وتوفى المتوكل ليلة الخميس لخمس خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومئتين، وبويع محمد المنتصر. وتوفى الفتح بن خاقان، وأقرّ المنتصر يزيد بن عبدالله عليها. ثمّ ورد كتاب المنتصر [بأن لا يُقبّل علوى](٣) ضَيّعة، ولا يركب فرساً، ولا يسافر من الفسطاط إلى طرف من أطرافها، وأن يُمنَعو من اتخاذ العبيد إلاّ العبد الواحد، ومن(٤) كانت بينه وبين أحد من الطالبيين خصومة من سائر الناس قُبِل قول خصمه فيه ولم يُطالَب ببيّنَةَ. وكتب المنتصر إلى العمّال بذلك.

(١) زيادة عن خـ (٢ : ٣٣٩).
(٢) كذا فى خـ (٢ : ٢٣٩). وفى ر: بالعلوى.
(٣) كذا فى ر عن خـ (٢ : ٣٣٩). وفى ص ثلاث كلمات ممحوة لا تقرأ.
(٤) كذا فى خـ (٢ : ٣٣٩). وفى ر: وان.

وكانو أهل القصر يعلمون محبة أمه له حتى أنها لم تسكت ساعه من البكا عليه ليلا ونهارا، والملك فى حزن عظيم.

وكان وفاة الصبى ابن الملك قبل وصول الشماس بطرس الغير مستحق لهذا الاسم، فخرج الملك ذات يوم من القصر وعسكره حول المدينه ليتسلى عن ولده كعادة الناس والملوك فتطلع ونظر بطرس الغير مستحق قد جعله الشيطان فى عينه

وتوفى المنتصر فى ربيع الآخر[1] سنة ثمان وأربعين ومئتين. وبويع المستعين فى ربيع الآخر. وورد الكتاب إلى مصر بذلك يوم السبت لستّ بقين من ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين. وورد كتاب المستعين إلى يزيد بن عبدالله، يأمره [أن][2] يستسقى الناس لقحط كان بالعراق. وكتب بذلك إلى الافاق. فخرج الناس معه يوم الاربعاء لسبع عشرة خلت من ذى القعدة سنة ثمان وأربعين فاستسقوا، واستسقى أهل الآفاق فى يوم واحد.

وأخرج يزيد ستّة رجال من الطالبيين إلى العراق فى شهر رمضان سنة خمسين ومئتين، ثمّ أخرج ثمانية[3] منهم فى رجب سنة إحدى[4] وخمسين.

وعزل المُؤنسى عن الشرط فى رجب سنة إحدى وخمسين، وولى محمد ابن إسبنديار.

وخُلع المستعين فى المحرم سنة اثنتين وخمسين ومائتين، وبويع المعتزّ لخمس خلون من المحرم. وكانت بيعته بمصر يوم الأحد لثلاث خلون من ربيع الأوّل سنة اثنتين وخمسين.

وخرج جابر بن الوليد المُدْلجى، من بنى الهُجَيم بن عَشْوارة بن عمرو ابن مُدْلج، بأرض

---

(١) كذا فى خـ (٢ : ٣٣٩)، ط (٣ : ١٤٩٥)، ث (٧ : ٧٤). وفى ر: ربيع الأول، خطأ.

(٢) زيادة عن ر.

(٣) كذا فى خـ (٢ : ٣٣٩). وفى ر: بثمانية.

(٤) كذا فى خـ (٢ : ٣٣٩). وفى ر: خمس. وهو خطأ، لأن يزيد عزل سنة ثلاث وخمسين ومئتين.

يشبه صورة ولده الميت حتى كأنه أياه لم يعجز [ينقص] من صورته شيا بالجمله حتى شعر رأسه، فلما رأه الملك استدعاه بفرح وعانقه وقبل فاه وعينيه كانه ولده حقيقا، ومن فرط فرحه عاد إلى القصر ودخل إلى زوجته سرعه وقال لها: إذا رأيت شبه ولدك حيا تتخلين عن هذا البكا والحزن. فقالت: ومن اين لى هذا ؟ حينذ أمر الملك ان يدخل لها بالشماس الذى قد سكن فيه الشيطان وجعله فى عينها كهيئة ولدها سوا، فلما رأته

الإسكندرية فى ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين. واجتمع إليه جمع كثير من بنى مُدْلِج الصُّلْبِيَة[1]، والموالى. فبلغ ذلك والى الإسكندرية محمد بن عبيدالله[2] بن يزيد بن مَزْيد الشيبانى، فبعث إليه برجل من أصحابه يقال له نَصْر الطَّحاوى. وعقد له على ثلاث مئة رجل، فنزلو الكِرْيَوْن وسأل[3] عن جابر وأصحابه، فأخبر بأنّهم بأرض «صا»[4]. فزحف إليهم. فقاتلهم جابر. فرجع نصر إلى جَنْبَوَيْه[5] فنزلها. وأتاهم جابر إليها. فحاربهم، فهزمهم أيضاً وبعث نصر إلى الإسكندرية يسأل المدد. ففرض محمد بن عبيدالله فروضاً، وبعث عليهم بُرد بن عبدالله وأبا العوّاء، وهو مقيم بالكِرْيَوْن. فسارو جميعاً إلى دِسُونس[6]. فأتاهم جابر فقاتلهم قتالاً شديداً. فانهزم نصر وبُرد، وظفر جابر بعسكرهم وجميع ما فيه. ورجع الفَلّ إلى الإسكندرية فتحصّنو بها.

وقوى أمر جابر بن الوليد، وأتاه الناس من كلّ ناحية، وضوى إليه كلّ من يومَى إليه بشدّة

---

(١) الصلبية: أى الخلصاء الذين من القبيلة نفسها لا من مواليها.

(٢) كذا فى ر عن خـ (٢ : ٣٣٩)، وفى ص هنا فقط: عبدالله.

(٣) كذا فى ر. وفى ص: فعال. تحريف.

(٤) خـ (٢ : ٣٣٩): لصا. وصا: من مدن الغربية.

(٥) جنبويه: من مركز إتياى البارود من مديرية البحيرة.

(٦) دسونس: قرية بالبحيرة.

قامت مسرعة واستقبلته مستبشره وظنت أنه ولدها، واعظم من هذا أن الشيطان أزال الحزن من قلبها على ولدها، فأقام عندهما فى القصر عدة شهور ينظران وجهه ويتسليان به، ورزقه الله عندهما نعمة، حتى أن الملك قال له: أن كان لك حاجه عرفنى بها لأقضيها لك. فعرفه ما قد بدينا بذكره، وبعد تلتة شهور سأل الملك أن ينفذه إلى مصر وأن يكتب له بإصلاحه بطركا على مصر، وأن يسلطه على أنبا مينا البطرك وأساقفته ليعمل

ونجدة. فكان ممّن أتاه عبدالله المَرِيسىّ، وكان رجلاً خبيثاً. ولحق به جُريج النصرانى الحارسى، وكان من شراير النصارى. ولحق به أبو حَرْمَلة النّوبَى[١]، وكان رجلاً فاتكاً. فعقد له جابر على سَنْهُور وسَخَا وشَرْقيون وبَنَا. فمضى أبو حَرْمَلة فى جيش عظيم، فضمّ هذه الأعمال، وأخرج منها العمّال، وجبى خراجها. ولحق به عبدالله بن أحمد ابن محمد[٢] بن إسماعيل بن محمد بن عبدالله بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب[٣]، الذى يقال له ابن الأرقط. فقَوّده[٤] أبو حرملة، وضمّ إليه كثيراً من الأعراب ووجوه أصحابه، وضمّ إليه [ابن][٥] عَسّامة المعافرى، وولاّه بَنَا وبُوصِير وسَمَنّود. وأبو حرملة مُقيم بشرقيون.

فبعث يزيد بن عبدالله بأبى أحمد محمد بن عبدالله الدّبَرانى فى جمع كثير من الأتراك، فنزل بدَمْسِيس[٦] فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين ومائتين. وبعث رجلاً من الترك

(١) خـ (٢: ٣٣٩): أبو حرملة فرج النوبى، ولعله الذى مضى ذكره.
(٢) كذا فى ر عن خـ (٢: ٣٣٩)، وعمدة الطالب (٢٤٣). وفى ص: محمود.
(٣) كذا فى ر، وقال: «في الأصل: طباطبا. وهو غلط، والأرقط هو عبدالله بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب فى قول ابن خلدون (٤: ١١٤)».
(٤) قوده: جعله قائداً.
(٥) زيادة ضرورية عن ر.
(٦) دمسيس: كانت واقعة على شاطىء النيل الغربى تجاه منية دمسيس بالدقهلية، ومحلها كفر شبرا اليمن بمركز زفتى. وكذا هى فى ر. وفى ص: بمسيس.

فيهم ما يحب. فكتب له سجلا إلى والى مصر فى ذلك الزمان وكان اسمه ابن عبدالرحمن يفعل له ما يأمر به. ثم أمر أن تعمل له قلنسوه من ثوب جليل ليس له قيمة [لايقدر بثمن] عليها بالقلم العربى اسمه وهو: هذا بطرس بطرك مصر. وكتب أيضا اسم الملك معه عليها، فقال من جهله بعد أن قدم اسمه وعبد الملك.

فلما وصل إلى مصر دفع الكتب للوالى فلما

يقال له غُلْبَك، ومعه محمد بن العبّاس بن مُسلم بن السّراج[1]. فلقى عبدالله بن الأرقط فيما بين بوصير وبنا. فقتل ابن الأرقط من أصحاب غُلبك نحواً من عشرين رجلاً. وثبت غُلْبَك ومحمد ريش، فقاتلاه فهزماه سلخ جمادى الآخرة. وقُتل من أصحاب ابن الأرقط مقتلة عظيمة، وأُسر منهم كثير. فبعث الدّبراني بالأسرى والرؤوس إلى الفسطاط. ومضى ابن الأرقط إلى شرقيون، فلحق بأبى حرملة.

ونزل الدبرانى مدينة بنا، وترك عسكره فيما بين بنا وسمنود. وأقبلى أبو حرملة ومعه ابن الأرقط قاصداً من شرقيون إلى بنا. وبعث أبو حرملة بكمين له، فهجمو على عسكر الدبرانى مع المغرب. فحمل عليهم أصحاب الدبراني، فانهزم أبو حرملة ومن معه إلى شرقيون. ومضى الدبرانى فنزل سندفا، وضربها بالنار، ونهب أهلها. وانهزم أبو حرملة فيمن معه. وتشاغل أصحاب الدبرانى بالنهب، فكّر أبو حرملة فقتل أبا حامد الدبرانى. ورجع أصحاب الدبرانى إلى سندفا.

وبُعثَ من العراق[2]، بمُزَاحم بن خاقان، مُعيناً ليزيد بن عبدالله. فقدمها فى جيش كثير يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة اثنين وخمسين ومئتين. فبعث برسل من

(١) ر: السراح، وصوب الجيم.
(٢) كذا فى ر عن خـ (٢ : ٣٣٩). وفى ص: العدوا.

وقف عليها انفذ احضر البطرك القديس أنبا مينا وجماعته، فلما وصلت الرسل إلى ثغر اسكندريه وأعلمو البطرق ما جرى حزن وصرخ إلى الرب من عمق قلبه وقال: يارب أخرجني من هذا الفخ الذى اخفى لى لأنك أنت الهى لا تسلمنى إلى المضطهدين لى لأنه قام على شهود الزور، وهوذا عيناك يارب على خايفين المتوكلين على رحمتك لتخلص نفوسهم من الموت . ولم يفتر من الصلاة والبكا ليله أجمع إلى الغداه، فحضرو الرسل

أصحابه إلى جابر بن الوليد، يأمره بالرجوع إلى طاعة السلطان. فاحتبس رسله أيّاماً ثمّ أجازهم بجوائز عظيمة وردّهم. وقَدَم وأخّر[1] في كتابه، ولم يُجْمِع على أمر واحد.

ومضى الدبراني في طلب أبي حرملة لمستهلّ شعبان. فالتقى مع أبي حرملة بسمنود. فانهزم أبو حرملة، وعاد إلى شرقيون ثمّ رجع إلى سندفا. وأتاه الدبراني بسندفا فواقعه. فتفرّق عن أبي حرملة أكثر أصحابه، ولحقوا بجابر بن الوليد. وبعث ابن عسّامة ابنه يطلب الأمان. فآمنه يزيد، فقدم الفسطاط، ولبس السواد. وبعث الدبراني برأس نصر بن حكيمة، وبرأس أبي هانيء. وعاد الدبراني إلى محاربة أبي حرملة. فأُسر أبو حرملة ثمّ أُدخل به الفسطاط، وبجمع كثير من الأسرى، في شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين ومئتين. وأوقع[2] سلتق التركي بمن في صا وشَبَاس[3] من أصحاب جابر، فقتلهم ونفاهم عن تلكَ البلاد. ثمّ أستأمن عبدالله بن أحمد بن الأرقط العلوي، وأُومن[4] في شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين، ودخل إلى مزاحم. فبعث به مزاحم إلى عَرَق صاحب البُرد، فكان عنده. ثمّ أمر مزاحم بإخراجه في جمع معه إلى العراق. فأُخرج بهم لمستهلّ ربيع الأوّل سنة ثلاث وخمسين، مع أخي مُزاحم. فهرب عبدالله بن الأرقط. ورجع أخو مزاحم لسبع خلون من ربيع الأوّل. ثم ظفِر به بعد ذلك

(١) ر: وأخذ. ولا معنى لها. (٢) ر: وواقع.
(٣) شباس: قرية قرب الإسكندرية، وقيل إنها من الحوف الغربي.
(٤) كذا في ر. وفي ص: وأوس.

واقلقوه إلى المسير فقام وقال بقلب منشرح: يارب أجعلنى مستحقا أن اتعب منجل[من اجل] اسمك فإنك وحدك رجاى، يارب يا الاهى فلاجل ذلك لا أخاف ماذا يفعل بى الانسان. وكان يقول هذا من اسكندريه حتى وصل إلى فسطاط مصر، فأعلمو الوالى بوصوله فأمر أن يحضر بين يديه، فلما نظر إليه فرح لأنه كان يحب النصارى، ويراعى الأب القديس أنبا خايل البطرك المتنيح فقال للأب أنبا مينا: أن ينالك منى كل خير كما كنت أفعل مع

فحُبِس، ثمّ حمل[(١)] بكتاب ورد على أحمد بن طولون فى صفر سنة خمس وخمسين ومئتين.

وخرج [ابن][(٢)] عزيز بالحوف، فخرج إليه مزاحم بن خاقان، لمستهلّ ربيع الأوّل سنة ثلاث وخمسين. ثم ورد كتاب المعتز[(٣)]، بصرف يزيد بن عبدالله عنها. فكانت ولايته عليها عشر سنين وسبعة أشهر وعشرة أيّام. وخرج يزيد عنها يومى الاثنين لثلاث عشرة خلت من شوال سنة خمس وخمسين ومائتين.

١٠٥. مزاحم بن خاقان(*)

ثمّ وليها مُزَاحم بن خاقان لثلاث خلون من ربيع الأوّل سنة ثلاث وخمسين ومئتين، وليها من قبل المعتز، على صلاتها. فجعل على شرطه أزجور[(٤)]، واستخلف ابن إسبنديار.

وعقد مزاحم ليزيد بن عبدالله فى طلب جابر بن الوليد. فخرج يزيد فى طلبه إلى ناحية الإسكندرية، وجابر يومئذ مقيم بتَروجة. وأقام يزيد بالشرّاك[(٥)]، وسار مزاحم بالحوف الشرقى

(١) أى حمل إلى العراق (خـ٢: ٣٣٩).
(٢) زيادة فى ر.
(٣) ر: نصر. والخليفة إذ ذاك هو المعتز.
(*) الخطط ١: ٣١٢، والنجوم ٢: ٣٣٧، وحسن المحاضرة ٢: ١٢.
(٤) ط (٣: ١٩٣٠)، ث (٧: ٢١٤، ٢٢٧): أرخوز. خـ: أرجوز.
(٥) الشراك: قرية من أعمال البحيرة.

البطرك الذى مات قبلك، لكن قد وصل أمر الملك بأن تطيع الواصل به وهو على دينك ومذهبك ولا تخالفه فيما يأمرك به. فتطلع الشجاع الذى لا يخاف هيبة ملوك الأرض المتكلم بالحق أنبا مينا فى وجه يودس الجديد، اعنى بطرس الشماس الذى وثق به السلطان وظن أنه قد أعطى سلطان البطركيه فقال له: نعم ما قال فيك الإنجيل الصادق، «لا يأخذ أحد كرامه من ذاته الا أن تعطى من السما من عند الله» ولكن اسمع ما

لقتال عمال ابن عزيز وابن ضَوء ومن معهما. ومات أبو حرملة فى السجن يوم الأحد لأربع بقين من ربيع الآخر، وصُلب بالمصلى. وقدم مزاحم بن خاقان من الحوف بابن عزيز وابن ضوء وبمئة رجل من الأسرى، يوم الأحد لعشر خلون من ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين.

وعسكر مزاحم بن خاقان يوم السبت للنصف من جمادى الأولى بالجيزة، وتوجّه سائراً إلى جابر. فلقيه بتروجة، فهرب جابر، وأُسر جمع كثير من أصحابه. ومضى جابر إلى نهيا من أرض الجيزة لثلاث عشرة خلت من جمادى الآخرة. فخرج إليهم أزجور فحاربهم، فظفر منهم بأربعين رجلاً. ومضى جابر إلى الفيوم، فنزل البطس[1]. وواقع الأعراب بتَنَهَمَت، فقتل كثيراً منهم. ورجع مُزاحم بن خاقان فى إثره، فنزل نهيا بعد مسير جابر منها بأربعة أيام. ورحل مزاحم إلى الفيوم، فواقع جابر فيما بين تنهمت وأقْنَى[2]. وأسر ابن عمّ لجابر، يقال له أصبغ[3]. وانهزم جابر، فرجع إلى جنبويه من كورة البَدَقُّون[4]، ورجع مزاحم إلى الفسطاط

(١) البطس: تعرف اليوم بطامية مين مركز سنورس.
(٢) أقنى: كانت فى المكان الذى يعرف اليوم بأسم أطلال مدينة يوهميريا الشهيرة بقصر البنات، بأراضى ناحية المشرك، من مركز أبشواى بمديرية الفيوم وتعرف تنهمت الآن باسم تهمنت السدر وهى من نواحى الجبال بالفيوم.
(٣) ر: أصبع.
(٤) فى كتاب المسالك لابن خرداذبه (٨٢، ٨٣) أنها من كور البحيرة، وجعلها ياقوت بالذال، من كور الحوف الغربى.

يقول الله عليك وعلى من يسلك مسلكك ويقطع عليك بالأمر الذى تستحقه، إذ قال سيدنا المسيح من فيه الطاهر «كل شجره لا يغرسها الأب السماوى تقطع وتقلع من أصلها». كذلك أنت يزول عنك هذا الاسم وتموت موتة فقر، موتة سو. فأجابه ذلك الجاهل وقال للأب القديس: أفعل الآن ما آمرك به لتخلص من العذاب الذى أنزله عليك حتى أعلم أنك [لا] تقاوم أمر الملك. وألتفت المرذول فقال للوالى: عوض ما يجيب

يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب. [و][1] طلب جابر الأمان، فآمنه مُزاحم، هو وستة نفر من قومه. فدخلو الفسطاط بأمان. فسُجن جابر خوفاً من الأنذال أن يغتالوه. ثمّ بُعث به إلى العراق مع رخْش سنة أربع وخمسين فى ولاية أزجور.

وأمر ازجور، فى ولايته على الشّرط، بمنع النساء من الحمامات والمقابر وسجن المؤنثين[2]، والنوائح. ومنع من الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فى الصلوات بالمسجد الجامع، وأمر الحسن بن الربيع إمام المسجد الجامع بتركها، وذلك فى رجب سنة ثلاث وخمسين؛ ولم يزل أهل مصر على الجهر بها فى المسجد الجامع منذ الإسلام إلى أن منع منها ازجور. وأخذ أهل المسجد الجامع بتمام الصفوف، ووجّه بذلك رجلاً من العجم يكنى أبا داوه[3]، فكان يُقدّم من مؤخّر المسجد بالسوط. وأمر أهل الحلَق[4] بتحويل وجوههم إلى القبلة قبل إقامة الصلاة. ومنع من المساند التى يُستَنَد إليها. ومنع من الحُصُر التى يجعلها الناس لمجالسهم فى المسجد. وأمر أن تُصلى التراويح فى شهر رمضان خمس تراويح، ولم تزل أهل مصر يصلّون ستّ

---

(١) زيادة فى ر.
(٢) كذا فى عن خـ (١ : ٣١٣). وفى ر: الموسر.
(٣) لعله أبا ذواه، بالذال، كالرجل الذى مر.
(٤) الحلق: جمع حلقة.

بالسمع والطاعة لأمر الملك هوذا هو يقول كلاما أنه يسأل الله أن ينزع منى السلطان الذى يسلمه لى الملك. فأجاب الوالى وقال للبطرك: لا تقاوم أمر الملك لكن تتمم ما أمر. حينذ قال له: أنا أفعل ذلك بفرح لأتمم الناموس الذى أمرنى بطاعة الملك كطاعة الله لأنه يقول: من قاوم السلطان وخالفه فقد قاوم الله ربه. فلما سمع الوالى ذلك فرح بجواب البطرك وقال للمرذول: مهما أردت مره به. فقال: ينفذ ويحضر جميع الأساقفه الذين

تراويح، حتى جعلها أزجور خمساً في شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين ومئتين. ومنع أزجور من التثويب[١]، وأمر بالأذان يوم الجمعة فى مؤخر المسجد.

ثمّ صُرف أزجور عن الشرط فى ذى القعدة سنة ثلاث وخمسين ومئتين، وأفْرِد بها محمد بن إسبنديار، وأزجور الآمر والناهى. فأمر أزجور بالتَغْليس[٢] بصلاة الصبح، وذلك أنّهم أسفرو بها[٣] فى ولاية يزيد. وأمر أزجور أن لا يُشَقّ على ميت ثوب، ولا يُسَوّد وجه، ولا يحلق شعر. ومنع من الخَلُوق الذى يجعل على الثياب مع السُّوار، وكان أُحدث فى ولاية يزيد بن عبدالله، ومنع النساء من الصِّياح، وعاقب فيه وتَشَدّد. ومرض مُزاحم بن خاقان، فاستخلف ابنه أحمد. [و][٤] توفى مزاحم ليلة الاثنين لخمس خلون من المحرم سنة أربع وخمسين ومئتين[٥].

١٠٦. أحمد بن مزاحم بن خاقان(*)

ثمّ وليها أحمد بن مزاحم، باستخلاف أبيه له، على صلاتها، فجعل على شرطه أزجور.

---

(١) التثويب: تكرير الأذان.
(٢) التغليس: أى أن يصلو فى الغلس، وهى ظلمة آخر الليل.
(٣) أسفرو بها: صلوها فى الضوء. (٤) زيادة فى ر.
(٥) ن (٢: ٣٣٨): فكانت ولاية مزاحم هذا على مصر سنة واحدة وعشرة أشهر ويومين.
(*) الخطط ١ : ٣١٣، والنجوم ٢ : ٣٤١، وحسن المحاضرة ٢ : ١٢.

تحت حكمه لأمرهم معه بما يجب. فسأل الأب الوالى أن يمهله أياما إلى أن يجمعهم. فقال المخالف: نمضى به إلى الاعتقال حتى أدخل الكنايس بمصر واصعد مذابحها كفعل البطاركه

فاعتقل البطرك واسقف مصر ٥٤٨ ودوس [تادرس] وتقدم إلى الكتاب بمكاتبة جميع الأساقفه لكى يحضرو، وظن هذا المخالف أنهم يطيعونه ويفعلون له ما قد اضمر خارجا عن قوانين

فوليها أحمد إلى أن توفى بها لتسع[1] خلون من ربيع الآخر سنة أربع وخمسين ومئتين، وليها شهرين ويوماً، واستخلف عليها أزجور.

١٠٧. أزجور التركى(*)

ثمّ وليها أزجور، باستخلاف أحمد بن مزاحم، على صلاتها[2]. فجعل على شرطه بُولغيا. وخرج فى إمرته رجل من العلويين، يقال له بُغَا الأكبر، وهو أحمد [بن إبراهيم][3] بن عبدالله بن طباطبا إبراهيم[4] بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن بن حسن، خرج بالسانه من الصعيد. فبعث إليه أزجور بأربع مئة رجل لمحاربته، فهرب بغا منهم ومات.

فوليها أزجور إلى شهر رمضان سنة أربع وخمسين ومئتين، وليها خمسة أشهر ونصفاً، ثمّ خرج منها إلى الحاجّ لمستهلّ ذى القعدة سنة أربع وخمسين ومئتين.

---

(١) خـ (١: ٣١٣)، ن (٢: ٣٤١): لسبع. وهو الأصح، لأنه تولى شهرين ويوماً واحداً.

(*) الخطط ١: ٣١٣، والنجوم ٢: ٣٤١، وحسن المحاضرة ٢: ١٢. واسمه فى خـ: أرجوز. وفى ن: أرخوز. وفى س: ارجور.

(٢) قال بعض المؤرخين إن المعتز جعل له أمر مصر جميعه لا الصلاة وحدها (ن ٢: ٢٤١، ٣٤٢).

(٣) زيادة فى ر عن خـ (٢: ٣٣٩).

(٤) كذا فى ر. وفى ص: طباطبا بن ابراهيم. وذلك خطأ لأن طباطبا لقب إبراهيم أو أبيه اسماعيل. انظر مقاتل الطالبيين لأبى الفرج الأصبهانى ١٩٩.

الأب البطرك كتابا مملو حزنا وغما و لم يشرح فيه خبرا ليلا [لئلا] يضعف قلوبهم أن لا يجاهدو، مكتوب فيه هكذا : في كل زمان لا يدع الشيطان عروسة المسيح البيعه الجامعه بغير مقاوم لها ويقم اضطرابا وشعثا لكي يغلبها بمناصبته، وعريسها المسيح الحق يحطم قوته بالقول الذى قاله لريس الحواريين بطرس: أن أبواب الجحيم لا يقهرونها(*). وقد عرفتم الان ان السيد المسيح هو الغالب فتقدمو إلى الجهاد ولا تخالفو وتوكلو على الرب

(*) «وعلى هذه الصخرة أبنى كيستى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» انجيل متى ١٦ : ١٨ .

مصر ونظم الحكم تحت العرب والعباسيين

تحدد مركز مصر السياسى بمقتضى معاهدة بابليون الأولى التى عقدت عقب استيلاء المسلمين على حصن بابليون سنة ٢٠هـ(٦٤١م). وقد أورد الطبرى[١] ومن نقل عنه من المؤرخين مثل ابن خلدون[٢] والقلقشندى[٣] وأبى المحاسن[٤]هذا الصلح، وهاك نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم بحرهم[٥] لا يدخل عليهم شئ من ذلك ولا ينقص ولا يساكنهم النوب[٦]. وعلى أهل مصر أن يعطو الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف وعليهم ما جنى لصوتهم[٧]. فإن أبى أحد

---

(١) تاريخ الأمم والملوك جـ ٤ ص ٢٢٩.
(٢) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ٢ ص١١٥.
(٣) صبح الأعشى جـ ١٣ ص ٣٢٤.
(٤) النجوم الزاهرة جـ ١ ص ٢٤ ـ ٢٥.
(٥) يقصد ببرهم أراضيهم الزراعية ويقصد ببحر هم نهر النيل. يقول المسعودى في مروج الذهب (طبعة القاهرة جـ١ ص ٢١١): «وليس في أنهار الدنيا نهر يسمى بحراً غير نيل مصر لكبره واستبحاره» ولا زلنا في كلامنا الدارج نطلق على نهر النيل اسم البحر.
(٦) النوب أهل النوبة. (٧) اللصوت: اللصوص.

فهو يذله ويبطل موامرته ويمجد بيعته عروسته ، ونحن أيضا نفرح لأننا قد تسلحنا كالجند للقتال في الحرب لننال الأكليل السماوى، كما أنه يدعونا في كل زمان كقول لسان العطر بولس: أن الإنسان لاينال الأكليل إلا أن يقاتل، فأسرعو الآن لتنالو ذلك يا أحباى [احبائي] الذين أنا أحبهم بالرب.

فلما وقفو الأساقفه على كتابه وهو يعزيهم، أسرعو وسارو واجتمعو بفسطاط مصر. فلما علم

منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزاء بقدرهم، وذمتنا ممن أبى بريئة، وان نقص نهرهم منغايته إذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك، ومن دخل فى صلحهم من الروم والنوب فله مثل مالهم وعليه مثل ما عليهم، ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا. عليهم أثلاثاً، فى كل ثلث جباية ثلث ما عليهم على مافى هذا الكتاب، عهد الله وذمته وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين. وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأساً وكذا وكذا فرساً على أن لا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة.

شهد الزبير وعبد الله ومحمد ابناه. وكتب وردان [١] وحضر. فدخل فى ذلك أهل مصر كلهم وقبلوا الصلح».

نرى من هذا الصلح أن المصريين صاروا أهل ذمة يؤدون الجزية، وأن قيمة الجزية[٢] كانت تتوقف على مقدار ارتفاع أو انخفاض ماء النيل فى كل عام، كما أنها كانت تدفع على ثلاثة

---

(١) وردان مولى عمرو بن العاص وحامل لوائه (ابن عبد الحكم: فتوح مصر ـ طبعة تورى ـ ص ٩٣).

(٢) نفهم من لفظ الجزية الذى ورد فى هذا الصلح أنه يعنى الجزية والخراج معا أى جزية الرؤوس وأحيانا تعنى الجزية والخراج معا أى جزية الرؤوس والضريبة العقارية ويلاحظ Van Berchem أن كلمة خراج كانت تعنى أحيانا جزية الرؤوس وأحيانا تعنى ضرائب أخرى تختلف فى طبيعتها عن ضريبتى الرؤوس والعقار . انظر: M. Van Berchrm

La Proprícte trrritoriale et L'impot foncirt. p. 21.

ذلك الضال ولد الشيطان أنهم قد اجتمعو في البيعه يوم الاحد، قام بشيطنه ومعه جند من عند الوالى وتقدم بغير خوف وصعد على الهيكل ليقول صلاة الشكر والسلامة كالبطرك والقلنسوه التى عليها مكتوب اسم الملك على رأسه، فلما رأوه الأبا الأساقفه وقد فعل هذا الفعل اجتمعو بروح القدس فوثب إليه أنبا مينا أسقف صنبو، وأبا مويسيس أسقف وسيم ومسكا القلنسوه ورمياها، ورميا به من على الهيكل. وقالا له: يا يوليانوس

أقساط في السنة. وفيما يختص بالروم في هذا الصلح عرفنا أن أمرهم كان معلقاً بموافقة الأمبراطور، ولذا ترك لهم عمرو الخيار في قبول هذا الصلح . وأما أهل النوب فكانت مسألتهم تختلف عن مسألة الروم إذ كانت النوبة أثناء فتح العرب لمصر مملكة قوية مستقلة ولربما كانت الإشارة هنا إلى من كان يقيم في مصر من النوبيين.

ويجدر أن نشير هنا إلى ما يراه بتلر من أن صلح بابليون كان يختص بأهل مدينة مصر (بابليون) لا القطر المصرى كله. ويؤيد بتلر وجهة نظره هذه بأنه من عادة العرب عند فتحهم لمدينة مهمة مثل دمشق أو القدس أن يعقدوا صلحاً مع أهلها، كما أنه في الوقت الذى عقد فيه هذا الصلح لم يكن قد تم استيلاء العرب على الصعيد أو الوجه البحرى. أما مقدار الجزية الذى جاء في الصلح وهو ٥٠ مليون دينار(١) فهذا ما يجب استبعاده(٢). ولكن رأى بتلر يخالف ما ذكرته المصادر القديمة التى أوردت نص هذا الصلح إذ ذكرت هذه المصادر أن أهل مصر كلهم قبلوا هذا الصلح ودخلوا فيه. ونحن نوافق بتلر في أن مقدار الجزية كان على

(١) لم يذكر في نص الصلح إذا كانت الجزية بالدينار أو الدرهم وإنما ذكر الرقم فقط وهو ٥٠ مليون ولكننا نعلم أن العرب كانوا يجبون الضرائب من مصر بالدينار لا بالدرهم (انظر المقريزى: النقود الآسلامية ص٩١).

(2)Butler: the Treaty of Misr. PP. 25 - 26, 47 - 48.

الجديد ما تستحق بيع مصر أن تتنجس بك. فامتلا خزيا ذلك النجس ثم غضب جدا وامر الذين معه أن يمضو بجميع الأساقفه إلى الحبس ويعملو فى رقابهم وأرجلهم الحديد. فلما نظرهم الأب البطرك القديس قبلهم وعزاهم وقال: يا أحباى الذى يقاتل عنا أعظم ممن يقاتلنا والرب ينجينا من أعدائنا وينقذنا ممن قام علينا ويخلصنا من عمال الأثم. فلما سمعو ذلك قالو: يا أبانا نحن مستعدون

القطر كله لا على مدينة مصر وقد رأينا أيضا ما كان لبابليون من الأهمية، وأنها كانت بمثابة قلب مصر.

١ . النظام الإدارى

لما فتح العرب مصر وجدوا بها نظما قامت منذ أقدم الأزمنة ونمت وترعرعت فى خلال العصور المختلفة، فقضت عليهم الحنكة السياسية ألا يمسوا تلك النظم، بل أبقوا عليها كما فعل الرمان من قبلهم عندما كانوا يحتلون بلاداً راقية فى نظمها متقدمة فى حضارتها. واكتفى العرب بشغل بعض المناصب الرئيسية، ليشرفوا على الإدارة وجباية الأموال بوجه عام.

كان الخليفة يعين فى مصر واليا يمثله، ويقال ولاية عمرو بن العاص مثلا أو ولاية عبد العزيز بن مروان، ويقال للوالى أيضاً «أمير مصر» وللدار التى يقيم فيها والى مصر «دار الإمارة». ونجد فى أوراق البردى اليونانية اسم آخر للوالى هو سيمبولس(١).

وكان الوالى يؤم المسلمين فى المسجد الجامع فى صلاة الجمع والأعياد بوصفه نائباً عن الخليفة، ولذا يطلق عليه أمير الصلاة، ويقال عن ولايته ولاية الصلاة. وإذ كان المسلمون يعتبرون أن إمامة الصلاة مما يختص به الخلفاء، يطلقون على الخليفة لفظ إمام، كانت إمامه

---

(1)Grohmann: Arabic Papyri vol. 111. P. 62.

للمـوت مـعك ونحن نومن ونتـوكل أننا نال الخلاص بصلواتك.

فلما مضت لهم فى السجن أيام قلايل وذلك النجس يتفكر فيما يعمله بهم من السو وبالبطرك، فتقدم إلى الوالى بأن يخرجهم من السجن ويوقفهم بين يديه ففعل، فقال الكافر للأب البطرك : أنا ما أفعل بك شيا تخاف منه كما كان غيرى يفعل بغيرك ممن هو قبلك، من زمان أبا

الوالى فى الصلاة نيابة عن الخليفة تدل على عظم سلطة الوالى وعلى رئاسته العليا السياسية فى الدولة. ولم يكن الوالى مسئولا أمام أحد عن عمله إلا أمام الخليفة. وكان يجمع أحياناً إلى سلطته إدارة المالية المعبر عنها بالخراج مما يجعله مطلق التصرف فى الدولة، وأحياناً يسند الخليفة عمل الخراج إلى شخص آخر يكون مسئولا أمام الخليفة مباشرة لا أمام الوالى، وكان هذا يحد سلطة الوالى كثيراً إذ يصبح عاجزاً عن التصرف فى الأمور المالية كما يشاء. ولذا كان لعامل الخراج أهمية كبيرة وكثيراً ما يكون منافساً للوالى مع أن الوالى هو رئيس الولاية بالنيابة عن الخليفة. وحسبنا دليل على أهمية عامل الخراج من أنه عندما هزم عمرو بن العاص الروم وطردهم من الإسكندرية سنة ٢٥هـ أراد الخليفة عثمان بن عفان أن يولى عمراً على الحرب (أى يوليه على الصلاة) وأن يولى عبد الله بن سعد على الخراج فقال عمرو «أنا كماسك البقرة بقرنيها وآخر يحلبها[١]». ورفض ما أراد عثمان بن عفان وترك ولاية مصر.

ونتبين أيضا تلك الأهمية التى كانت لعامل الخراج من أنه بعد وفاة عمرو ابن العاص، عين معاوية بن أبى سفيان (٤٠ ـ ٦٠هـ = ٦٦٠ ـ ٦٨٠م) أخاه عتبة بن أبى سفيان (٤٣ ـ ٤٤هـ) واليا على الصلاة فى مصر وولى وردان الخراج، ثم خرج عتبة بن أبى سفيان إلى معاوية فى نفر من عرب مصر، فسأل معاوية الوفد عن عتبة، فقال أحدهم «حوت بحر يا أمير

---

(١) ابن عبد الحكم ـ فتوح مصر ـ طبعة تورى ـ ص ١٧٨

أغـــاتون البطـرك انه كـــان يلزم يعـــمل بمراكب الأسطـول(*) كما كان تاودوروس الخلقدونى ريس الاسكندريه يعـــمل باغـــاتون فى مملكة يزيد بن معاويه الملك، قم أخـرج من البـيعه الأنيه الذهب والفضه ليحملو إلى بيت مال الملك فلهذا جيت. فلما سمع منه الأب البطرك قال فى نفسه: أحاط بى مخاض الموت واهوال الجحيم حدثتنى. قال هذا لعلمه بأن ليس شىء فى البيع مما يطلبه منه. وقد كان جرى على الآبا قبله أمور مشهوره لم

(*) من الواضح أن الكنيسة المصرية كانت تدعم الاسطول الإسلامى فى مصر بالمال والعتاد والخبرات والعاملين فيه.

المؤمنين على بر» . فقال معاوية لعتبة: اسمع ما يقوله فيك رعيتك. فقال: صدقوا يا أمير المؤمنين حجبتنى عن الخراج ولهم على حقوق وأكره أن أجلس فأسأل فلا أفعل فأبخل. فضم إليه معاوية الخراج[1].

ولعل أبلغ مثل يرينا مدى ما وصلت إليه سلطة عامل الخراج، هو عبيد الله بن الحبحاب عامل الخراج فى مصر زمن الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ ـ ١٢٥هـ) ، فقد ظل عاملا على خراج مصر منذ ولى هشام الخلافة حتى خرج إلى إمارة أفريقية فى سنة ١١٦هـ[2] أو سنة ١١٤هـ [3] وفى خلال هذه المدة تتابع على حكم مصر خمسة ولاة [4]، وقد امتد نفوذه إلى عزل الولاة وتوليتهم برضى الخليفة. فنراه عندما تنازع مع الحر بن يوسف والى مصر سنة ١٠٨ هـ يكتب إلى الخليفة هشام يشتكيه؛ وسرعان ما عزل الخليفة الحر عن ولاية مصر، وولى بدله حفصا بن الوليد على الصلاة، ولكن عبيد الله بن الحبحاب كتب إلى الخليفة يقول« إنك لم تعزل الحر إذ وليت حفصا» . فجعل الخليفة الاختيار إلى عبيد الله فاختار

(١) ابن عبد الحكم ـ طبعة المعهد العلمي الفرنسي ـ ص ٧٨.
(٢) المقريزى : خطط جـ١ ص ٢٠٨.
(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ١ ص ٢٧٣.
(٤) الكندى: كتاب الولاة والقضاة ص ٧٢ ـ ٧٦.

يتركو شيا من أواني البيع مع اموالهم حتى أخذوه منهم المخالفون المبغضون في زمان بعد زمان، ولما كرز هذا الأب الجليل على الكرسي لم يجد شي حتى أنهم في مدينة اسكندريه لم يجدو ما يتقربون فيه إلا كاس زجاج وكاس خشب. فقال الأب القديس لذلك الكافر: أنت ما تعرف حال البيعه من ذلك الزمان وإلى الآن. فقال له الكافر الشقي: هوذا أعرف عندك كتابا تقدر أن تصير غنيا بسرعه فيه صنعة عمل الذهب: فأجاب الأب الروحاني

عبد الملك بن رفاعة [١]. وقد ولي مصر بعد عبد الملك بن رفاعه هذا، أخوه الوليد بن رفاعة، (١٠٩ ـ ١١٧هـ) ويقول أبو المحاسن [٢]: «ولم تطل مدة الوليد هذا على مصر إلا لخروج عبيد الله بن الحبحاب المتولى على خراج مصر منها، وقد تقدم عزل جماعة كبيرة من العمال بمصر بسبب عبيد الله المذكور، فدبر عليه الوليد هذا حتى أخرجه هشام من مصر واستعمله على أفريقية، فسار إليها عبيد الله بن الحبحاب واشتغل بها عن خراج مصر». ولعل من أسباب نفوذ ابن الحبحاب أنه كان يمثل سياسة الخليفة المالية أحسن تمثيل.

وكان بيد الوالي أيضا الحرب أى الرئاسة على الجيش في الولاية، ولأهمية ذلك كان يقال أحيانا: ولي فلان الحرب كناية عن ولايته لمصر[٣]. وفوالي مصر كان يشرف على شئون الحامية الوجودة في مصر، وكان يقود بنفسه الجيش في الحملات التأمينية لمصر أو لصد الأعداء عنها، أو يرسل من يقوده نيابة عنه. ومثل تلك الحملات كانت بوجه خاص في السنوات الأولى بعد الفتح، فقد قاد عمرو بن العاص الحملات لفتح برقة وطرابلس، كما أرسل عبد الله بن سعد لفتح النوبة، وكذلك خرج عبد الله بن سعد أثناء ولايته على مصر

---

(١) الكندى ص ٧٤ ـ ٧٥.

(٢) النجوم الزاهرة جـ١ ص ٢٦٦.

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ـ طبعة تورى ـ ص ١٧٨ وطبعة المعهد ص ٧٨.

وقال له: ما أعرف شيا مما تقول لكن أفعل ما تريد وتوكلى على الله لأنى عارف أن مافى البيعه شيا مما تذكر وقد قلت للملك الكذب، فأجاب وقال للبطرك : أنا أفعل معك جميلا ولا ألزمك بأن تنفق شيا على المراكب لكن وحق الملك لا عمل [يعمل] أحد المشاق [غزل الكتان] بالزفت غيرك وأساقفتك بايديكم. فقال له: أنا أفعل هذا مسرورا واتشبه بقول بولس الرسول الذى قال: «أنا أعمل

على رأس الحملات التى سارت لغزو أفريقية والنوبة[1] كما غزا الروم فى غزوة ذى الصوارى. وفى ولاية عتبة بن أبى سفيان (٤٣ ـ ٤٤هـ) عندما شكا قائد رباط الإسكندرية من قلة من معه من الجنود خرج عتبة ورابط فيها وذلك فى سنة ٤٤هـ[2] كذلك خرج الحر بن يوسف فى ولايته على مصر مرابطا فى دمياط ثلاثة أشهر من سنة ١٠٧هـ[3]. كما نرى قرة بن شريك يطلب من صاحب كورة كوم اشقاو أن يعجل فى إرسال المال المفروض على كورته ليأمر للجند بعطائهم[4]، ونجده أيضا يهتم بالإشراف على الأدوات اللازمة لتنظيف وتجهيز مراكب الأسطول ويهتم بالمؤن التى يحتاجها الأسطول[5] كما يشرف على أجور الجند الذين يخرجون مع الأسطول للغزو[6].

وللوالى أيضا الإشراف على الشرطة، وكان مقرها مدينة الفسطاط التى بناها عمرو بن العاص. ولما بنى العباسيون مدينة العسكر التى كانت تقع شمالى الفسطاط عملت شرطة

---

(١) الكندى ص ١٢. (٢) الكندى ص ٣٦.
(٣) الكندى ص ٧٤.
(4)Grohmann: Arabic papyri. vol. 111. PP. 12 - 13- Becker: Neue Arabische papyri- Der Islam- 11. PP. 251 - 252.
(5)Bell: Tramslations of the Greek Aphrodito Papyri. 11. P. 277
(6)Bell: op Cet. 11. PP. 375- 376.

بيــدى»(*) ثم قال يشتمونا ونحن نبارك عليهم ويطردونا ونحن نصبر عليهم ويسبونا ونسالهم.

(*) رسالة بولس الرسولى الاولى اصحاح: ٤ / ١٢، ١٣.

فخرج الأب أنبا مينا والأساقفه الذين معه ليفعلو ما أمرو به كل يوم فى صناعة المراكب بمصر يعملون بأيديهم كلما تحتاج إليه المراكب فى مدة سنه، ووجوههم فى الشمس النهار كله فى أيام الصيف، والبطرك والأساقفة فى وسط الناس، والرمادية(*) فى فسطاط مصر يبكون بتنهد.

(*) الرمادية: الجماهير الفقيرة المغلوبة على أمرها.

أيضا فى العسكر وقيل لها الشرطة العليا [١] وصفت بالعليا لأهميتها. وكان الوالى هو الذى يعين صاحب الشرطة كما ورد فى المصادر القديمة، مثل كتاب الولاة والقضاة للكندى وكتاب النجوم الزاهرة لأبى المحاسن. وفى حالات نادرة جدا كان الخليفة هو الذى يعين صاحب الشرطة، ومن ذلك ما كان من الخليفة المأمون حين عين صاحب الشرطة بمصر بعد ماقضى على ثورة البشمور التى كانت فيها سنة ٣١٧هـ [٢] وصاحب الشرطة هذا كان بمثابة نائب للوالى يؤم الناس فى الصلاة إذا مرض الوالى، ويحكم الولاية إذا خرج الوالى من مقر ولايته. فنرى خارجة بن حذافة صاحب الشرطة يؤم الناس فى الصلاة أثناء مرض عمرو بن العاص[٣]، ونرى عابس بن سعيد المرادى صاحب الشرطة ينوب عن عبد العزيز بن مروان والى مصر فى حكم البلاد عند خروجه إلى الخليفة عبد الملك بن مروان سنة ٦٧هـ[٤]. ولذا نجد أن صاحب الشرطة كثيرا ما يعينه الخليفة واليا على البلاد إذا ما عزل الوالى أو مات أو تنحى عن أمور الولاية. فمثلا كان حفص بن الوليد على شرطة مصر قبل إن يلى على صلاة

(١) المقريزى: خطط جـ١ ص ٣٠٤.
(٢) الكندى: كتاب الولاة ص ١٩٢ وأبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ٢ ص ٢١٦.
(٣) ابن عبد الحكم ـ طبعة تورى ـ ص ١٠٥ والكندى ص ٣١ ـ ٣٢.
(٤) كتاب الولاة للكندى ص ٤٩.

وبعد هذا أعيد الأب وجماعة الأساقفه إلى الحبس وكان يطالبهم بأنية البيع ويقول لهم: أني ما وصلت من عند الملك إلا لأجل ذلك. فلما جازت أيام وهم فى الحبس وكان يطالبهم، فنظر الرب إلى تنهد اصفياه ففعل اعجوبه وانتقم الذى يقدر على الانتقام. وقد كنا قلنا فيما تقدم أن الوالى كان محبا للنصارى، وكان إذا رأى هذا الإنسان المرذول يقلق البطرك والاساقفه ولا يتمكن من ارداعه لخوفه من الملك، فكان يقول له: لا

مصر من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك[1]. وتكاد المراجع العربية لا تذكر شيئا عن أعمال الشرطة فى مصر، و لكن لابد أن الولاة كانوا يعهدون إلى صاحب الشرطة بتنفيذ العقوبات التأديبية التى يفرضونها، كما كانت وظيفة صاحب الشرطة فى الخلافة نفسها، ولابد أنه كان لصاحب الشرطة عمال فى العاصمة وفى الأقاليم لتنفيذ أوامره ونلاحظ أن استتباب الأمن فى مصر وتطبيق القوانين فيها وتنفيذ الأحكام القضائية ومنع الجرائم، كل ذلك كان يضمن للخلافة استغلال موارد البلاد على أتم وجه ويضمن لها أكثر ما يمكن من الضرائب. ويظهر أن المصادر القديمة ترجع دائما استتباب الأمن فى البلاد إلى ا لولاة لا إلى أصحاب الشرطة لأن الوالى هو الرئيس الأعلى فى الولاية وهو الذى يأمر صاحب الشرطة بذلك، فمثلا نسمع فى عهد ولاية يحيى بن داؤد الخرسى الشهير بابن ممدود والذى يعرف بأبى صالح (١٦٢ ـ ١٦٤هـ) أنه لما قدم إلى مصر وجد بها السبل مخيفة، لكثرة المفسدين وقطاع الطرق، فأخذ فى قمع المفسدين وأبادهم وقتل منهم جماعة كثيرة. وقد بلغ من استتباب الأمن أنه منع غلق الأبواب والحوانيت ليلا حتى جعلوا عليها شرائج [2] القصب والشباك لمنع الكلاب من دخولها ليلا [3].

---

(١) الكندى ص ٧٤ ـ ٧٥.
(٢) شرائج جمع شريجة وهى باب من القصب يعمل للدكاكين.
(٣) الكندى ص ١٢٢ وأبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ١ ص ٤٤.

يجوز لك ان تفعل هذا بمقدم النصارى. فيقول له: وأنت أيضا تقول أنه كبير النصارى وترفض امر الملك، فانا أمضي إلى الملك فأعرفه أنك نزعت مني ما جعله لي الملك . فعند ذلك كمل فيه قول سليمان الحكيم: لسان الجاهل فخ له(*). فقال له الوالي: أنت تريد ان تمضي إلى الملك وتكذب علي وترفع علي كما قلت وفعلت مع هذه الشيخ الخايف من الله، أنا الآن بعد يومي هذا لا ادعك تشاهد الضو، ويعلم كل أحد أن الله قد أخذ لهذا

(*) الأمثال: ١٧ / ٢٠.

وبالطبع كل هذه الأشياء لم يقم بها أبو صالح، وإنما قام بها صاحب الشرطة وأعوانه، ولكن الوالي كان هو الآمر الناهي، وكانت الأحوال في مصر تتوقف على درجة حزمه وشدته أو لينه وضعفه.

ومن الوظائف الرئيسية الهامة في تلك الفترة أيضا وظيفة صاحب البريد ولم تكن تلك الوظيفة قائمة في عهد الخلفاء الراشدين، وإنما بدأتها الدولة الأموية ثم تقدم نظام البريد في عهد الدولة العباسية.و يقال إن معاوية بن أبي سفيان هو أول من وضع البريد لوصول الأخبار بسرعة، وتبعه في ذلك الأمويون ومن بعده العباسيون، ولذا نجدهم يهتمون بعمارة الطرق لتقصير المسافات ولوصول الأخبار بسرعة.

وقد وصلت الينا نقوش معاصرة لعبد الملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٦هـ)، كشفت بالقرب من بيت المقدس وتشير إلى أو امره بصنعة الأميال (١) وبعمارة أربعة طرق تخرج من إيلياء(٢) ومن دمشق (٣) وقد اهتم العباسيون اهتماماً كبيراً بالطرق حتى أصبحت بغداد مركزاً تتشعب

(١) صنعة الأميال هي مسح الأراضي لوضع انصاب حجرية ثابتة على كل مسافة قدرها ميل.
(٢) أيليا هي بيت المقدس (معجم البلدان لياقوت جـ١ ص ٤٢٤).
(3)van Berchem, Materiaux Pour un Corpus Iuscriptionum Arabicarum (Jéperrtoire Chronologique d'epig- raphie Arabe. t. I. PP. 13-16.

الشيخ حقه منك. فامر في تلك الساعة أن يمضو به إلى الحبس ويطرحوه في المطبق [السجن] ويكبل بالحديد في يديه ورجليه ويحتفظ به في موضع ضيق. فأقام هكذا تلت سنين وتقدم للوقت بالافراج عن البطرك والأساقفة المجاهدين عن الحق، وكانو يسبحون الله ويقولون كما قال اشعيا النبي: أن الله يهلك مؤامرة المخالفين المنافقين ولا يخلي الرب المتوكلين عليه الخايفين الله، وقد تمت الآن كلمة ملاخيا النبي فينا: انتم الخايفين من

منه الطرق إلى جميع الجهات، فكانت جميع الطرق تؤدى إلى بغداد كما كانت جميع الطرق تؤدى إلى روما. هذا ولم يكن البريد نظاماً يستعمله الشعب إنما كان نظاماً رسمياً حكومياً، ويظهر أن الخلفاء استعملوا نظام البريد في أول الأمر لنقل الأخبار بسرعة من مقر خلافتهم إلى الولايات المختلفة ولتلقي الأخبار ثم ما لبث هذا النظام أن تطور واستعمله الخلفاء العباسيون للتجسس على ولاة الأقاليم وعمالها [1]. ولم يرد في المصادر القديمة ذكراً لأصحاب البريد الموفدين من الخلفاء إلى مصر اللهم إلا في موضع أو موضعين، فيذكر الكندى في كتابه الولاة والقضاة أن صاحب البريد بمصر كتب إلى الخليفة المتوكل بأمر يتعلق بأحد الجند[2]، وفي موضع آخر يذكر أن صاحب البريد في مصر في ولاية داود بن يزيد بن حاتم (١٧٤ ـ

(١) كان أبو جعفر المنصور يقول. ما كان أحوجني إلى أن يكون على بابى أربعة نفر لا يكون في بابى أعف منهم فقيل له يا أمير المؤمنين من هم قال. هم أركان الملك ولا يصلح الملك إلا بهم، كما أن البريد لا يصلح إلا بأربعة قوائم إن نقصت واحدة وهى، أما أحدهم فقاض لا تأخذه في الله لومة لائم، والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوى، والثالث صاحب خراج يتقص ولا يظلم الرعية فإنى عن ظلمها غني، والرابع ثم عض على أصبعه السبابة ثلاث مرات يقول فى كل مرة آه آه قيل له من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال. صاحب بريد يكتب إلى بخبر هؤلاء على الصحة. الطبرى جـ٩ ص ٢٩٧ ـ ويقول قدامه بن جعفر فى كتاب الخراج عند كلامه على ديوان البريد ص ١٨٤ ـ ١٨٥ : «والذى يحتاج إليه فى صاحب هذا الديوان هو أن يكون ثقة إما فى نفسه أو عند الخليفة القائم بالأمر فى وقته، لأن هذا الديوان ليس فيه من العمل ما يحتاج معه إلى ا لكافى المتصفح وإنما يحتاج إلى الثقة المتحفظ».

(٢) ص ٢٠٣.

اسـمى تضى عليكم شـمس البـر، اخـرجـو وانتم مـسـروررون مثل العـجـول التى تنطلق لامـهـاتهـا وتدوسون المنافقين.

فـمـضى الأب إلى اسكندريه ودخل إلى البيـعه بفرح ومـجدو الله عـلانيـه وكان مـهـتـمـا بقطيع المسيح وتدبير الكرسى الانجيلي بالنعمه التى معه. وكـــان مع هذا كله حـــزينا على ذلك المسكين البايس الخاطى الذى اسلم نفسه للموت بالخطيه وصلى إلى الله قايلا: أنت الله الرحوم الذى قلت

١٧٥هـ) أراد أن يتدخل فى عمل قاضى مصر إذ ذاك أبو الطاهر عبد الملك بن محمد الحزمى فلم يكن من القاضى إلا أن استعفى عن القضاء [١] ويظهر أن إغفال ذكر أصحاب البريد فى تلك المصادر راجع إلى أن مهام وظيفتهم كانت تعنى الخلافة وتعنى عمال الخليفة أكثر مما تعنى مصر نفسها.

تحدثنا حتى الآن عن الوظائف الرئيسية التى كانت وقفا على الفاتحين، وسنتحدث عن وظيفة القاضى فى فصل آخر، وفيما عدا ذلك أبقى الفاتحون معظم الأنظمة الموجودة كما تركوا الوظائف والأعمال فى يد أهل البلاد.

وكانت مصر بعد الفتح مباشرة مقسمة إداريا إلى قسمين رئيسين مصر العليا، ومصر السفلى. فيذكر ابن عبد الحكم [٢] أن الخليفة عمر بن الخطاب توفى وعلى مصر أميران عمرو بن العاص بأسفل الأرض [٣]، و عبد الله بن سعد بن أبى سرح على الصعيد. ولسنا نظن أن هذا البعد عن الدقة من ابن عبد الحكم ينقض ما نعرفه من أن عمرو بن العاص كان الرئيس

---

(١) ص ٣٨٤.

(٢) فتوح مصر وأخبارها ـ طبعة تورى - ص ١٧٣.

(٣) أسفل الأرض أى مصر السفلى أو الوجه البحرى. وكان مقسما جغرافيا إلى الحوف الشرقى شرقى فرع دمياط والحوف الغربى غربى فرع رشيد وبطن الريف بين فرعي رشيد ودمياط (القلقشندى: صبح الأعشى جـ٣ ص ٣٨٠ ـ ٣٩٠)

أني لا أحب موت الخاطي مثل ما يرجع ويتوب، وانت يا رب تحفظ نفس هذا الأخر ليلا [لئلا] يموت في الخطيه لكن خلصه لكي يندم ويبكى علي غلطه حتى تحى نفسه، لأن الشيطان فى كل حين يجذب الناس إلى الجحيم الذين يطيعونه. والشيطان مبغض الخير ملا [نفس] الذى في الحبس موامره وفكر سو وكان يقول فى قلبه النجس منه ومن الأساقفه والبيعه لأجله.

ولما تمت تلت سنين وهو فى الحبس عزل الوالى

الأعلي وكانت له ولاية مصر كلها. ويذكر الكندى[1] أنه في ولاية حفص بن الوليد الثانية على مصر (١٢٤ ـ ١٢٧هـ) جعل على الصعيد رجاء بن أشيم وعلى أسفل الأرض فهد بن مهدى الحضرمي.

من هذا يتبين أن مصر كانت مقسمة إداريا إلى مصر العليا والسفلي، وهذان القسمان الرئيسيان كانا مقسمين إلى أقسام أو كور، ويقال إنه كان بها ثمانون كورة [٢]، وهذه كانت مقسمة بدورها إلى قرى.ولفظ كورة مشتق من الاسم اليونانى كورة التى لم تكن شيئا آخر سوى الأقاليم المعروفة في العهد البيزنطى باسم بجارشي Pagarchie أى أن العرب احتفظوا بنظم البيزنطيين الإدارية وكان على رأس الكورة «صاحب الكورة وهذا اللقب ترجمة مضبوطة للفظ اليونانى بجاركوس[٣] فنجد مثلا قرة بن شريك والى مصر زمن الوليد بن عبد الملك (٩٠ ـ ٩٦هـ) يرسل كتابا إلى بسيل صاحب اشقوه [٤] وفي كتاب آخر يخبر صاحب

(١) كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ٨٤.

(٢) ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار جـ٤ ص ٢ والمقريزى ك خطط جـ١ ص ٢٦.

(3)Wiet: Précis de l'hist. d'Egypte t. 11, n. 127

(4)Becler: Neue Arabische Papyri PP. 251 - 252, Grohmann, Arabic Papyi, vol. lll p. 12.

اشقوه كانت كورة من كور الصعيد وهي الآن كوم اشقاو بين أبو تيج وطهطا في محافظة أسيوط وقد عثر فيها سنة ١٩٠١م على مجموعة من الأوراق البردية التى ألقت شعاعا من النور على استبداد حكم قرة بن شريك في مصر.

ابن عبدالرحمن عن مصر، وانفذ غيره إلى مصر، وعند وصوله الفسطاط كشف عن الحبوس ليعلم جريرة كل معتقل،فلما أعرض عليه خبر بطرس أمر باحضاره فلما نظره عرفه فقال له : أليس أنت الذى انفذه الملك إلى مصر فى ذلك الزمان ؟ فقال له: نعم فسأله: ما الذى لحقك وقطع ذكرك من عند الملك وصرت مع الموتى. فأجاب وقال عن البطرك العظايم والوالى ابن عبدالرحمن المعزول، فانه عطل أمر الملك واعتقلنى تلت سنين.

الكورة بأن يرسل التعليمات الخاصة بدفع الجزية إلى جسطال كورته وإلى موازيت القرى [١].

وهنا مرة أخرى نجد كلمتين غريبتين على اللغة العربية! فكلمة جسطال هنا بمعنى الموظف المشرف على مالية الكورة أى مندوب ديوان الخراج والأموال، أما موازيت فمعناها رؤساء أو مشايخ القرى. ويرى الأستاذ جاستون فييت[٢] G. Wiet أن كلمة جسطال مقابلة للكلمة البنزنطية أو جستاليوس ، وأن كلمة ما زوت مقابلة للكلمة البنزنطية ميزوتروس .

ومما سبق نتبين إلى أى حد أبقى العرب على النظم التى وجدوها فى البلاد، بل أبقوا على الأسماء كما كانت من قبلهم. ومع أن مصر كانت مقسمة إداريا إلى هذه الأقسام، فقد كانت جميعها تحت سلطة الوالى العليا مباشرة، ولم يعط الولاة فرصة لعمال الأقاليم للتمكين لأنفسهم وللاستقلال محلياً بأمور إقليمهم، فكان الحكم فى مصر مركزياً إلى أقصى حد، كانت اللامركزية معدومة فى البلاد، فكما أن الوالى كان تحت سلطة الخليفة مباشرة نرى الوالى بدوره يضع رؤساء الأقاليم المختلفة تحت سلطته مباشرة. ولقد ألقت أوراق البردى التى كشفت فى كوم أشقاو شعاعاً من النورعلى حكم الولاة فى مصر، وخاصة فى العهد الأموى، وبوجه أخص فى عهد ولاية قرة بن شريك (٩٠ ـ ٩٦هـ) إذ عرفنا من تلك الأوراق إلى أى

(1) Becker: op. cit. pp. 254. Grohmann, op. Cit. p. 17

(2)Précis de l'hist. d'Egypte. t. 11; P. 127.

وقال كلاما كثيرا عن النصارى وعن البيعه. قال له الوالي: تمضي إلى عند الملك انفذك إليه. قال له: نعم هذا غرضي لاتمم ما في قلبي.

فانفذه الوالي سرعه واصحبه كتابا يشرح فيه ما جرى عليه. فاعاده الشيطان مبغض الخير إلى ما كان فيه أولا، وجعل في قلب الملك له محبه أكثر من الأولى، سيما وقد قال له أنني أريد أن أدخل في دينك وأعود إلى مصر و اخذ حقي من

حد كانت تمتد سلطة الوالي في الأقاليم، فنراه يرسل كتبا كثيرة إلى عماله يطلب منهم ما تجمع من الضرائب، وفي الوقت نفسه يطلب من صاحب الكورة أن يعدل بين الناس ولا يفعل شيئا يكرهونه[١]، ثم نرى الوالي يرسل إلى صاحب الكورة يذكر له أن صاحب البريد أخبره بأنه أوقع الغرامة على بعض القرى ويطلب من صاحب الكورة أن يرد ما كان قد عمله حتى يكلمه في هذا الأمر [٢]. وهنا مرة أخرى نرى أنه كما كان للخليفة صاحب بريد يخبره بأعمال الوالي، كان للوالي أيضا صاحب بريد يخبره بأعمال عمال الأقاليم في مصر. وفي كتاب آخر نجد قرة بن شريك يرسل إلى صاحب كورة اشقوه بشأن أحد الأفراد الذى أعطى مالا لآخر، يطلب منه أن ينظر في أمر تسديد الدين الذى لأحدهما على الآخر [٣]. ونجد أيضا كتابا لقرة يأمر فيه بالقبض على أحد المجرمين [٤]. وفي كتاب آخر نراه يحدد أجور الصناع الذين يعملون في بناء السفن ولا يترك تحديد ذلك لصاحب الكورة التي منها الصناع[٥].

---

(1)Becker: Neue Arabische Papyri. PP. 247 _ 248, Grohman : Arabic Papyri vol. lll. PP. -5.

(2) Grohmann: Arabic Papyri. vol. lll. p. 28.

(3)op. cit. pp. 30 - 31.

(4)van Ber chem: Une Page Nouvelle de l'Histoire d' Egypte. p. 161.

(5)Bell: Translations of the Greek Aphrodito Papyri (Der Islam, Band ll) p. 271.

اعدائى. ففرح الملك بذلك، فانكر النجس اسم المسيح المخلص واعترف بدين الإسلام، فدفع له الملك كرامات كثيرات فى ذلك اليوم ثيابا ومالا وخيلا وسرارى وسماه أبا الخير.

فاراد الرب تبارك اسمه أن يريح الأب القديس أنبا مينا ليلا [لئلا] ينظر إلى شى من العذاب من هذا الرجل الجاحد، فاظهر الله اعجوبه ، لما نظر الذى سمى أبا الخير وهو أبو كل الشرور والمكر،

هذه كلها أمثلة ترينا إلى أى حد تغلغلت سلطة الوالى فى شئون البلاد المختلفة وحتى فى أمور القضاء الذى كان يعتبر مستقلا، كان الوالى فى أوقات كثيرة هو الذى يعين القاضى ويصدق الخليفة على هذا التعيين. وقد احتاج الوالى تبعاً لذلك إلى كتبة كثيرين ليستعين بهم فى تحرير رسائله إلى مختلف الجهات فى مصر وإلى الخليفة نفسه. ولذا نرى فى آخر الكتب التى كان يرسلها الولاة أسماء الكتبة الذين كانوا يحررونها (١)، مما يدل على أنه كان بمصر فى ذلك العهد ديوان رسائل أو ديوان إنشاء . ويشير القلقشندى (٢) إلى وجود ديوان إنشاء فى ذلك العهد من الفتح إلى بداية الدولة الطولونية، إلا أنه يذكر أنه كان قليل الأهمية فيقول: «ولم يكن لديوان الإنشاء بالديار المصرية فى هذه المدة صرف عناية تقاصراً عن التشبه بديوان الخلافة إذ كانت الخلافة يومئذ فى غاية العز ورفعة السلطان، ونيابة مصر بل سائر النيابات مضمحلة فى جانبها، والولايات الصادرة عن النواب فى نياباتهم متصاغرة متضائلة بالنسبة إلى ما يصدر من أبواب الخلافة، فلذلك لم يقع مما كتب منها ما تتوفر الدواعى على نقله ولا تنصرف الهمم لتدوينه».

وقد كان والى مصر بعد الفتح ومنذ ولاية عمرو بن العاص الأولى عليها يشرف أحيانا على

---

(1)Grohmann; op. cit. pp. 5,8, 13, 20, etc.

(٢) صبح الأعشى جـ ١١ ص ٢٨.

فـدفع له الملك مـا طلبـه منه من الكتب للوالى بمصر، فسار إلى مصر واعتقد أنه يفعل بالبطرك كل سـو تصل قدرته إليه، فمن قبل أن يصل إلى مصر مات عبد الله الملك، فلما علم الشقى أن رجاه قد بطل تم عليه قول النبى: مرذول الانسان الذى يتوكل على انسان. فخزى ومضى الى بلده التى ولد فيها فنظره أهله وأقاربه ومعارفه فصار عندهم مبغوضا ممقوتا كمثل اليهود الذين قتلو ربهم، وكانو يبكتونه قايلين له: يامن صار ولد

بلاد برقة وما يليها من شمال أفريقية، إذ نجد إشارات كثيرة خلال المصادر القديمة تبين سلطة والى مصر واشرافه على عمال برقة والمغرب وعلى الجيوش المرسلة إلى هناك، فنرى مثلا أن عبد العزيز ابن مروان والى مصر (٦٥ ـ ٨٦هـ) يقع سوء تفاهم بينه وبين حسان ابن النعمان الغسانى الذى قدم من الشام ليتولى أمر جيوش المغرب، فيعزله ويولى موسى بن نصير أمر المغرب[١] وكذلك نرى صالح بن على بن عبد الله العباسى فى ولايته الثانية على مصر (١٣٦ ـ ١٣٧هـ) يولى أبا عون على جيوش المغرب[٢].

على أن هذا الإشراف الذى كان لولاة مصر لم يمنع من أن يكون لبرقة والمغرب عمالها وولاتها. ولكن كانت تضم برقة والمغرب أحيانا تحت سلطة والى مصر مباشرة، فقد جمع لمسلمة بن مخلد والى مصر (٤٧ ـ ٦٢هـ) أمر مصر والمغرب[٣]، كما امتدت سلطة صالح بن على فى ولايته الثانية على مصر إلى المغرب وفلسطين[٤]، ونجد الخليفة أبا جعفر المنصور يضم إلى والى مصر يزيد بن حاتم (١٤٤ ـ ١٥٢هـ) برقة بالإضافة إلى مصر[٥].

---

(١) الكندى كتاب الولاة والقضاة ص ٥٢ ـ ٥٣.

(٢) الكندى ص ١٠٢. (٣) الكندى ص ٣٨.

(٤) الكندى ص ١٠٢ وأبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ ١ ص ٣٢٨.

(٥) الكندى ص ١٠٢ وأبو المحاسن جـ ٢ ص ٣.

الشيطان وزاغ عن طريق الحياه اين تركت خوف الله والجحيم وصوت خالقنا الذى يقطع بالأمر الهايل «أن كلمن جحدنى قدام الناس أنا اجحده قدام الأب الذى فى السموات[1]، انكرت هذا الصوت الحق فانك تسمع عوضه: اذهبو به إلى النار التى لا تطفأ والدود الذى لا ينام جزا مخالفتك[2] وقوله أيضا لمن هو مثلك : تباعدو عنى يا ملاعين إلى النار الموقده المعدة لابليس وجنوده[3]. ثم يقال لك : أن عوض الأسقفيه

(١) متى: أصحاح ١٠ / ٣٣ .

(٢) مرقس: أصحاح ٩ / ٤٤ .

(٣) متى: أصحاح ٢٥ / ٤١ .

ونلاحظ أن ولاة مصر فى عهد الخلفاء الراشدين والأمويين كانوا من العرب، ولا عجب فقد كان معظم الوظائف الكبرى فى الدولة الإسلامية حينئذ للعرب دون سواهم.

وقد أعطى الخلفاء الأمويون لعمالهم على الولايات قسطا كبيراً من الحرية ولذا ظهر فى الدولة الأموية شخصيات بارزة مثل عمرو بن العاص وزياد بن أبيه والحجاج بن يوسف الثقفى وخالد بن عبد الله القرى وعبد العزيز بن مروان وموسى بن نصير وغيرهم. وفى عهد الدولة الأموية فى مصر نجد معاوية يولى عمرو بن العاص صلاة مصر وخراجها ويجعلها طعمة له بعد عطاء جندها والنفقة على إدارتها، فظل عمرو من سنة ٣٨هـ إلى سنة ٤٣هـ حين وفاته. ونجد مثلا مسلمة بن مخلد يظل والياً على مصر خمس عشرة سنة (٤٧ ـ ٦٢) وتوفى هو وال عليها، وكذلك عبد العزيز بن مروان يظل فى ولايته على مصر حوالى إحدى وعشرين سنة (٦٥ ـ ٨٦هـ) وتوفى وهو وال عليها ، وكان عبد العزيز شبه ملك مستقل فى حكم البلاد من مقره فى الفسطاط أولا ثم فى حلوان التى أمر ببنائها فى سنة ٧٠هـ، واتخذها عاصمة له على أثر وقوع الطاعون بمصر [1] أو على أثر مرضه بالجذام [2].

وفى العصر العباسى يتغير الحال، فالدولة العباسية قامت على أكتاف الفرس ولذا نجد بين

---

(١) الكندى ص ٤٩ وخطط المقريزى جـ ١ ص ٢٠٩ وأبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ١ ص ١٧٣.
(٢) أبو صالح الأرمنى: كنائس وأديرة مصر ص ٦٦ وسعيد بن بطريق: التاريخ المجموع جـ ٢ ص ٤٠.

التى طلبتها اكتسبت الخلاف وعوض النعيم الروحانى اكتسبت نجاسة الجحود. ويسمع من هذا كثيرا وهو ممتلى حزنا وخجلا كل يوم. ثم أنه مضى إلى أساقفة كورة مصر الذين أبلاهم بذلك العذاب وسال أن يسألو الله فيه أن ينقذه من تلك الضلاله. وكأن قلبه مستقيم . وكان يسمع من فم الأساقفة كما قل الرب لتلاميذه فى ذلك الزمان: من أجل يهودا الاسخريوطى انه لا يهلك إلا ابن الهلاك.

ولاة مصر من قبل خلفائها عناصر فارسية.وكان آخر وال عربى على مصر عنبسة بن إسحق (٢٣٨ - ٢٤٢هـ)[١] على أنه ظهر عنصر جديد فى الدولة العباسية اعتمد عليه الخلفاء وهو عنصر الأتراك. وقد بدأ الخليفة المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧هـ) سياسة الاعتماد على الأتراك . والاستكثار منهم، إذ رأى فيهم قوما يحبون القتال والحرب وليست لهم عصبية العرب وليس لهم وطن قديم يريدون إحياءه كالفرس. وسرعان ما تغلغل الأتراك فى الدولة وأصبحت بيدهم شؤونها الحربية والمدينة. ونجد مصر تتأثر بتلك السياسة أيضاً فيليها ولاة من الترك كان أولهم يزيد بن عبد الله التركى (٢٤٢ - ٢٥٣هـ)[٢].

وأهم ما نلاحظ فى حكم مصر فى العصر العباسى كثرةت تغيير الولاة، وقد يكون هذا راجعاً إلى بعد مقر الخلاف العباسية (أعنى بغداد وسامرا) عن مصر، فلم يأمن الخلفاء أن يتركوا ولاة مصر فى الحكم طويلا لئلا يطمعوا فى الاستقلال بالبلاد. وقد يكون ذلك راجعاً أيضا إلى ضعف الخلفاء العباسيين الحقيقى بالرغم من مظاهر العظمة الخارجية، وخاصة منذ عهد المعتصم، ولذا عنى هؤلاء الخلفاء بتولية ولاة كثيرين فى مدد متقاربة قصيرة كيلا يتمكن

---

(١) الكندى : كتاب الولاة والقضاة ص ٢٠٢ وخطط المقريزى جـ ٢ ص ٢٩٤وأبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ٣٠٠.

(٢) الكندى: كتاب الولاة والقضاة ص ٢٠٢ وأبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ٣٠٨.



ثم بعد ذلك أراد الرب أن ينيح الأب أنبا مينا وينقله إلى أورشليم العليا من هذا العالم المملو نصبا وتعبا وتنيح. وكان مدة مقامه على الكرسى سبع سنين فى أخر يوم من طوبه. وتمم تعاليمه حافظا لأمانة أبايه ومضى إلى السيد المسيح بسلام، إلى الرب الذى أحبه، واخذ أكليل الغلبه من جماعة أخوته المجاهدين وتنعم معهم فى كورة الاحيا.

أحدهم من الاستقلال بها أو التمكين لنفسه فيها، كما استخدموا البريد للتجسس على أعمال هؤلاء الولاة.

على أن ما كانت تخشاه الدولة العباسية من استقلال الولاة قد تحقق نتيجة لسياسة الإقطاع التى اتبعتها ، فمنذ عهد الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ـ ١٩٣هـ) إتبع الخلفاء العباسيون سياسة إقطاع بعض أقاليم الدولة العباسي لبعض الشخصيات على أن يؤدوا مالا معينا للخلافة.

ولا ريب فى أن النظام الإقطاعى في الشرق كان يختلف اختلافا كبيراً عنه فى الغرب، ولعل أكبر فرق بين النظامين الشرقى والغربى أن الإقطاع الأوروبى كان يتوارث فى أسرة صاحب الإقطاع وفق تقاليد وراثية معروفة أما فى الشرق فلم يكن من حق صاحب الإقطاع أن يورث إقطاعه، كذلك كان السكان فى الغرب يقطعون مع الأرض بعكس النظام فى الشرق. وقد أقطع الخليفة الرشيد افريقية (تونس الحالية) لا براهيم بن الأغلب فى سنة ١٨٤هـ[(١)] وربما تكون قسمة العالم الإسلامي إلى قسمين إقطاعيين فى عهد الخليفة المعتمد (٢٥٦ ـ ٢٧٩هـ) الذى عاصره أحمد بن طولون، والذى قسم الدولة العباسية إلى إقطاعين:

---

(١) الطبرى جـ ١٠ ص ٧١.

وبعد نياحته مضى ذلك الشيطان [بطرس] الى البلد التى ولد فيها ومات هناك بموت مر وهو موت الخطيه والفقر كما تنبأ عليه أبونا أنبا مينا. وتعجب كلمن شاهده ومجد الله وقال: لقد تم ما تنبا به عليه الأب انبا مينا بروح القدس . وقال كما قال داوود عبدالله فى المزمور: أنه يذل المتكبر مثل الجريح . وقال ايضا فى المزمور ١١٨ : ملعون كلمن يحيد عن وصاياك .

شرقي وغربى، على أن يحكم القسم الشرقى أخوه الموفق ويحكم القسم الغربى ابنه المفوض إلى الله، ربما تكون هذه القسمة قد سبقتها قسمة أخرى فى عهد الخليفة المأمون، فيذكر الطبرى [١] أنه فى سنة ٢١٣هـ ولى المأمون أخاه المعتصم الشام ومصر، وولى ابنه العباس بن المأمون الجزيرة والثغور والعواصم وقد ثبت المعتصم من الحكام من ثبت وعزل من عزل فى البلاد الخاضعة الحكمه. وتدل أوراق البردى على أنه فى سنة ٢١٧هـ كانت الأوامر والرسائل التى تصدر إلى الولاة باسم الخليفة المأمون يذكر فيها اسم المعتصم بجانبه[٢] . وقد علمنا من نص «بروتوكول» [٣] تاريخه ٢١٧ ـ ٢١٨هـ أن الأمير المعتصم كتب اسمه بعد الخليفة المأمون مع كيدر الذى كان والياعلى مصر فى سنة ٢١٧ ـ ٢١٩هـ فى حين أن كيدر هذا كان الوالى الذى أقامه الخليفة مباشرة[٤] .

ولما ولى المعتصم الخلافة (٢١٨ ـ ٢٢٧هـ) حذ حذو الرشيد والمأمون فاقطع أشناس

(١) تاريخ الأمم والملوك جـ ١٠ ص ٢٧٩ .
(٢) جروهمان: المحاضرة الثالثة عن الأوراق البردية العربية ص ١١ .
(٣) كان درج البردى يتألف من عشرين ورقة ملصق بعضها ببعض وتسمى الورقة الأولى من هذه الأوراق باليونانية Protocol وكانت تشمل على الكتابة الرسمية التى تسمى الآن الطراز (جروهمان: أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية جـ ١ ص ٤).
(٤) جروهمان : المحاضرة الثالثة عن الأوراق البردية ص ١١ .

وبقيت البيعة أرمله بلا راع [وخلى الكرسى بعده سنه واحده] وافتقد الرب خرافه الذين اشتراهم بدمه، واجتمعو الاساقفه الى مدينة الاسكندريه وتشاورو وسألو الرب أن يظهر لهم راعيا أمينا وذكرو اسما كتير وأقامو عدة أيام فى هذا والرب يحفظ مصطفاه الذى يصطفيه ويمسحه بدهن رحمته ليدعوه للبطركيه لأنها كانت له . وكانو أباونا إذا اجتمعو للاتفاق على

التركى ولاية مصر. وقد علمنا من أوراق البردى أن القائد أبا جعفر أشناس تولى الأمارة على مصر فى سنة ٢١٩هـ من قبل المعتصم ثم أذن له بأن يولى الحكام بنفسه وهذا يدل على مكانه أشناس، فقد كان يذكر اسمه فى خطبة الجمعة مع الخليفة. ومنذ سنة ٢٢٧هـ كان تحت حكمه دولة تمتد من بغداد إلى آخر حدود المغرب. كما ضربت السكة باسمه الذى نقش على الموازين والمكاييل [١]، وقد ظل أشناس صاحب إقطاع مصر ويعين ولاتها من قبله إلى أن توفى سنة ٢٣٠هـ.

ثم أعطى الخليفة الواثق (٢٢٧ - ٢٣٢هـ) مصر لإيتاخ التركى إقطاعا [٢] ولم تقتصر سلطة إيتاخ على مصر، بل نرى الخليفة المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧هـ) يفوض إليه فى سنة ٢٣٤هـ أمر الكوفة والحجاز وتهامة ومكة والمدينة مضافا إلى مصر[٣]. ولكن لم يلبث المتوكل أن أمر بالقبض على إيتاخ فى المحرم سنة ٢٣٥هـ وأقطع مصر ابنه وولى عهده المنتصر [٤] الذى ظل يولى ولاة مصر إلى أن توفى المتوكل وولى المنتصر الخلافة (٢٤٧ - ٢٤٨هـ). وفى سنة ٢٥٤ولى ابن طولون بالنيابة عن باكياك التركى صاحب إقطاع مصر[٥].

(١) جروهمان: المحاضرة الثالثة عن الأوراق البردية العربية ص ١٢.
(٢) أبو المحاسن : النجوم جـ ٢ ص ٢٥٥. (٣) أبو المحاسن جـ ٢ ص ٢٧٥.
(٤) أبو المحاسن جـ٢ ص ٢٧٨. (٥) المقريزى: خطط جـ١ ص ٣١٣.

إقامة بطرك يكتبون اسما كتير في رقاع صغار ويضعونها على الهيكل ويصلون الأساقفه والكهنه والشعب الارتدكسي الي الرب بنيه خالصه ويصيحون «كيرياليسن» ، ثم يجعلون طفلا لم يعرف خطيه يمد يده ياخذ رقعه من جملة الرقاع، فالذى يخرج اسمه يقدمونه على البطركيه . فلما فعلو ذلك وكان قيما لبيعة القديس أبي مينا قس اسمه يوحنا ولد الأب انبا خايل [خايال] ومولده في «بنا بوصير» وترهب بوادى هبيب فاتمنوه على

على أن سياسة إقطاع الأتراك ولاية مصر ادت إلى نتيجة لم تكن في الحسبان. إذ كان هؤلاء القواد الترك يؤثرون البقاء في عاصمة الخلافة خشية أن تدبر ضدهم الدسائس، كما كان الخليفة نفسه يرحب ببقائهم في العاصمة خوفا من أن يستقلوا بالبلاد التي كانوا يحكمونها فكان هؤلاء الأتراك لا يحكمون بأنفسهم بل يستخلفون من يقوم بالأمر نيابة عنهم على أن يحمل إليهم هؤلاء النواب الأموال ويدعون لهم على المنابر كما يدعى للخليفة[1].

وتدل الوثائق البردية على أنه كان يدعى للخليفة وللوالي معاً في خطبة الجمعة[2]. وإذا كان الخلفاء يراقبون أصحاب الإقطاع لئلا يستقلوا بالبلاد، فإنه لم يكن في استطاعتهم أو لم يدر بخلدهم أن يراقبوا نوابهم، ولم يكن من العسير على نائب وال له شخصية بارزة وله آمال واسعة أن يستقل بأمور البلاد بعد أن تطرق الضعف إلى مركز الخلافة نفسها. وهذا ماحدث في عهد أحمد بن طولون الذى استقل بمصر عن الخلافة وأسس بها دولة مستقلة عرفت باسم الدولة الطولونية كانت أول دولة مستقلة في تاريخ مصر وقتها.

---

(١) الدكتور زكي محمد حسن : مصر والحضارة الإسلامية ص ٤ .

(٢) جروهمان: المحاضرة الثالثة عن الأوراق البردية العربية ص ١٢ .

الأقنوميه . من قبل الأب انبا مينا المتنيح فذكره شيخ شماس دين من كهنه اسكندريه فقال لهم: هل ذكرتم القس يوحنا قيم بيعة أبى مينا لتكتبو اسمه؟ ولم يكونو ذكروه بل الرب ذكره على فم الشيخ الكاهن، فكتبو اسمه وصلو وفعلو ما قدمنا ذكره تلت دفعات فخرج اسمه فيها التلت [مرات] فتعجبو الناس الحاضرون وصرخو وقالو بالحقيقه انه مستحق فقدموه وجلس على الكرسى.

---

٢. النظام المالى

الجزية والزكاة

قبل أن نبدأ بتفصيل الكلام على النظام المالى للعرب فى مصر يجدر بنا أن يشيرا أولا إلى معنى الجزية والخراج. فالمعروف أن الجزية هى الضرائب المفروضة على الرءوس أما الخراج فهو ضريبة الأرض، ولكننا كثيراً ما نجد فى المراجع خلطا بين هاتين الضريبتين فنرى الجزية تعنى ضريبة الرءوس وضريبة الأراضى معاً. ويلاحظ Van Berchem [١] أن كلمة خراج يقصد بها الضريبة العقارية ، وأيضا جزية الرءوس،وأحيانا تطلق على ضرائب أخرى تختلف فى طبيعتها عن هاتين الضريبتين.

بعد غزو العرب لمصر، وأعنى هنا بعد معاهدة بابليون الأولى، فرض العرب على أهل مصر الجزية، وهاك نص ما ذكره المؤرخون. «فاجتمعوا على عهد بينهم واصطلحوا على أن يفرض على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها [٢] من القبط دينارين عن كل نفس شريفهم ووضيعهم ومن بلغ الحلم منهم، ليس على الشيخ الفانى ولا على الصغير الذى لم يبلغ الحلم ولا على النساء شئ... وأحصوا عدد القبط يومئذ خاصة من بلغ منهم الجزية وفرض عليهم الديناران

(١) la Propreté territoriale et l'impot p. 21.

(٢) أعلاها وأسفلها أى الوجه القبلى والوجه البحرى.

السيره العشرون من سير البيعه المقدسه الاب الجليل أنبا يوحنا [الرابع] البطرك وهو من العدد الثامن والأربعون

[٧٧٥ / ٧٩٩]

وبعد جلوس الأب أنبا يوحنا كتب سنوديقا ممتليه حكمه إلى الأب المغبوط جرجه بطرك انطاكيه يعلمه اتحاده معه بالامانه وسبب جلوسه على الكرسى، وجرجه هذا الذى ذكرناه كان

رفع ذلك عرفاؤهم(١) بالأيمان المؤكدة، فكان جميع من أحصى يومئذ بمصر أعلاها وأسفلها من جميع القبط فيها أحصوا وكتبوا ورفعوا أكثر من ستة آلاف نفس وكانت فريضتهم يومئذ إثنى عشر ألف ألف دينار فى كل سنة(٢)».

هذا فيما يتعلق بالجزية التى فرضت على أهل الذمة فى مصر كما ذكرها بعض المؤرخين. ويذكر البلاذرى (٣) فى رواية له عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه وضع على كل حالم دينارين جزية إلا أن يكون فقيراً. ولا نفهم من هذا النص إذا كان الفقراء قد أعفوا من الجزية أم قدرت عليهم جزية أقل من غيرهم. أى أنه إذا استثنينا النص الذى ذكره البلاذرى بأن الفقراء لم يدفعوا الدينارين نفهم مما ذكره المؤرخون أن المصريين تساووا فى دفع الجزية.

وقد أثبتت أوراق البردى فساد الرأى الذى يقول بمساواة الذميين فى دفع الجزية وأثبتت أن الجزية كانت تتناسب مع ثروة الشخص. ففى كتاب من قرة شريك إلى صاحب كورة أشقوه.

(١) العريف:العالم بالشئ ومن يعرف أصحابه والجمع عرفاء . ويذكر De Sacy أن العريف معناها كاتب وهى المقابلة للكلمة اليونانية جرافس أى كاتب "Sur Ia Nature et les
Révolutions du droit de Propriété P. 179.

(٢) ابن عبد الحكم (طبعة المعهد الفرنسى) ص ٦٣ ـ ٦٤ وخطط المقريزى جـ١ ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ والسيوطى:ن حسن المحاضرة جـ١ ص ٥١.

(٣) فتوح البلدان ص ٢١٤.

قد قام واحد من أساقفته ورفع عليه [طعون] عند الملك حتى أخذه وقيده وحبسه وجلس الأسقف الرافع عليه على الكرسي، ولم يكن كتب رساله إلى بطرك اسكندريه ولا تقليدا، فمات وعاد جرجه وافرج عنه وجلس على كرسي انطاكيه بعد عشر سنين بمجد وكرامه. فلما وقف على كتب المغبوط أنبا يوحنا عند وصول رسله إلى انطاكيه قبلهم وفرح بهم وكذلك جماعة المطارنه

نجده يأمره بأن يرسل كشفاً بالأماكن المختلفة لمعرفة عدد الرجال في كل مكان، والجزية الواجب عليهم أداؤها وما يملكه كل رجل من الأراضى وما يقوم به من الأعمال. ويطلب من صاحب الكورة ألا يوجد أى مجال للشكوى أو الاستياء منه ويذكره بأنه مصمم على مكافأة من يسير سيراً حسناً ومعاقبة من يتنكب عن طريق العدل (١) ونحن نرى من هذا الكتاب أنه لو كان كل فرد يدفع جزية مساوية لما يدفعه الآخر لما طلب والى مصر كشفاً بما يملكه كل شخص وما يقوم به من عمل وبالجزية الواجبة عليهم، ولما طلب من صاحب الكورة أن يكون منتبهاً في عمله، وقد حفظت لنا أوراق البردى أيضاً كشوفاً من القرن الثالث الهجرى دونت فيها أسماء أشخاص مختلفين، وذكرت فيها مقدار الجزية الواجبة على كل، وقد اختلفت هذه الجزية باختلاف كل شخص وقلما نجد شخصين يدفعان جزية متساوية: فشخص يدفع ديناراً، وآخر ديناراً ونصفاً، وثالث ثلثي دينار، ورابع ديناراً وثلثاً وهكذا(٢). وهذا بلا شك راجع إلى تقدير الجزية على أساس ثروة كل شخص. ويجمع الفقهاء أيضا على أن الجزية

---

(1)Bell. Translations of the Greec Aphrodito, der Islam, II, P. 272.

(2) Grohmann: Arabic Papyri in the Egyptian Library. vol. III pp. 197 -178, 201 - 203, 217, 219, 220 - 221.

والأساقفه المجتمعين عنده مجدو السيد المسيح على اتفاق كلمتهما على الأمانه الارتدكسيه واجتماعها بعد الأيام التى جازت بفرح عظيم وبهجه روحانيه،وكتب جرجه ومطارنته وأساقفته جواب السنوديقا إلى الأب أنبا يوحنا كالقوانين البيعية السالمه من الزوغان.

وكان أنبا يوحنا حسن الهيئة تام القامة مويدا من الله فى جميع اموره، وكان كل أحد يشتهى

كانت تتناسب إلى حد ما مع ثروة الشخص فيؤخذ من الموسر ثمانية وأربعون درهما ومن الوسط أربعة وعشرون ومن دون الوسط إثنا عشر درهما[٢] وعن هشام بن أبى رقية اللخمى أن صاحب إخنا [٣] قدم على عمرو بن العاص فقال له «أخبرنا ما على أحدنا من الجزية فيصبر[٤] لها فقال عمرو وهو يشير إلى ركن الكنيسة. ولو أعطيتنى من الأرض إلى السقف ما أخبرتك ما عليك إنما أنتم خزانة لنا إن كثر علينا كثرنا عليكم وإن خفف عنا خففنا عنكم [٥]» وهذا يبين لنا أن العرب لم يحددوا الجزية على أهل الذمة فى مصر، وإنما كتفوا بفرضها عليهم كما يظهر ذلك من نص معاهدة بابليون، وترك تقديرها للوالى أو

(١) أبو يوسف: كتاب الخراج ص ٦٩ ويحيى بن آدم القرشي: كتاب الخراج ص ٥١ والماوردى: الأحكام السلطانية ص ١٣٨.

(٢) إخنا بالكسر والنون مقصور وبعض الناس يقول إخنو ووجدته فى غير نسخة من كتاب فتوح مصر بالجيم واحفيت فى السؤال عنه بمصر فلم أجد من يعرفه إلا بالخاء وقال القضاعى وهو يعدد كور الحوف الغربى وكورتا إخنا ورشيد والبحيرة وجمع ذلك قرب الاسكندرية وأخبار الفتوح تدل على أنها مدينة قديمة (معجم البلدان لياقوت جـ١ ص ١٦٦).

(٣) فى الخطط للمقريزى جـ ١ ص ٧٧ «فنصبيرلها».

(٤) ابن عبدالحكم : فتوح مصر (طبعة تورى) ص ١٥٣ - ١٥٤ وخطط المقريزى جـ١ ص ٧٧.

أن ينظر صورته المقبوله [المباركه] ورزق قبولا عند كل الملوك والولاه مثل يوسف الصديق الذى كانت يد الله معه وخلصه من جميع أحزانه وأعطاه نعمه وحكمه امام فرعون.

وكان الأب يوحنا مداوما على فعل الخير، واهتم ببنا [ء] بيعه ومسكن بطريركتى وزينه بكل زينة حسنه، وزين [كذلك] البيع باسكندريه بكل زينة وجمال، وكان الزمان مساعدا له وكانت

الخليفة. ويذكر ابن عبدالحكم[1] فى رواية له عن عبد الملك بن مسلمة عن ابن وهبة عن يونس عن ابن شهاب «أن عمر بن الخطاب كان يأخذ ممن صالحه من المعاهدين ما سمى على نفسه لا يضع من ذلك شيئا ولا يزيد عليه، ومن نزل منهم على الجزية ولم يسم شيئا نظر عمر فى أمره فإذا احتاجوا خفف عنهم وإن استغنوا زاد عليهم بقدر استغنائهم».

وكانت الجزية فى مصر تدفع نقداً بالدنانير الذهب وكسور الدنانير، وكان المصريون يعرفون تلك الضريبة حسب ما ورد فى قطع «الاوستراكا» وفى أوراق البردى المكتوبة باليونانية باسم دمزيا أما فى أوراق البردى العربية فتعرف باسم الجزية [2].

ضرائب الصناعة والتجارة

كانت حكومة العرب منذ الغزو تفرض ضرائب على الصناع والأجراء.[3].

وكان العرب فى مصر ـ كالبيزنطيين ـ يفرضون ضرائب على التجارة وتعرف هذه الضرائب بالمكوس[1].

---

(١) المرجع نفسه ص ١٥٣. (٢) الأحكام السلطانية ص ١٣١ - ١٣٢ و١٤٠.

(٣) ابن عبد الحكم : طبعة تورى ١ ص ١٥٢ ـ ١٥٣.

(٤) كلمة مكس مشتقة من اللفظ المصرية القديمة «مكس» وهو صك خراج مصر الذى نراه دوماً فى =

السلاطين تهابه وتبلغه أغراضه وتقبل قوله ولا تمنعه من شي يريده، وكان الشعب الارتدكسي يطيعه وكان في البيعه في أيامه هدو وسلامه وما يفتر من فعل الخير. وأكثر اهتمامه بعمارة بيع اسكندريه حتى أنه عمل تذكارا عظيما له بهذه المدينه. وكانت سيرته جميله حتى أن المخالفين الذين بمدينة اسكندريه حسدوه كعادتهم الملاعين مع الارتدكسيين حتى في الأمانه وخاصه في أيام هذا القديس يوحنا لنظرهم لأعماله الحسنه في

كما فرضت ضرائب على التجارة الخارجية التي تمر بثغور مصر أو التي ترد إليها أو تُصدر منها، فيذكر المقريزى في خططه جـ١ ص ١٠٩ أنه كان يجبى من التجار في الثغور المصرية، وهي دمياط وتنيس ورشيد وعيذاب وأسوان والاسكندرية، ضرائب مقررة.

الضرائب الأخرى

كانت حكومة العرب في مصر تفرض على المصريين ضرائب أخرى غير تلك التي ذكرناها، ويمكننا اعتبار واجب الضيافة على أهل البلاد للجند المسلمين وغيرهم الذين يمرون في البلاد من هذه الضرائب، فقد اشترط على القبط بعد غزو العرب لمصر أن من نزل عليه ضيف واحد أو أكثر من المسلمين وجبت عليه الضيافة لهم ثلاثة أيام(٢).

وقد ورد في نصوص أوراق البردى ذكر الضرائب غير عادية. فنرى قرة بن شريك يطالب

=يد تماثيل ملوك الفراعنه. ويذكر المقريزى أن أصل المكس في اللغة الجباية يقال مكسه يمكسه مكسا، والمكس دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الأسواق في الجاهلية، والماكس هو العشار ويقال للعاشر صاحب مكس والمكس أيضا انتقاص الثمن في البياعة ومكس درهم معناه انتقاص درهم في بيع ونحوه وعشر القوم معناه أخذ عشر أموالهم، العشار هو قابض العشر (الخطط جـ٢ ص ١٢١).

(٢) ابن عبد الحكم، طبعة المعهد ص ٦٤ وخطط المقريزى : جـ١ ص ٢٩٢ والسيوطي:حسن المحاضرة جـ١ ص ٥١.

البيعه وفى جميع البيع باسكندريه بالمجد والكرامه.

والكذاب الذى كان فى ذلك الزمان أبا الهراطقه إنسان يسمى يوليانوس كان رجلا طبيبا ماهرا، وكان ملوك الإسلام تراعيه لأجل صناعته ولم يفتر من ذكر ابينا البطرك أنبا يوحنا بكلام الحسد.

وكان الله الذى يعرف الخفايا يرفع هذا الإنسان

فى رسائله إلى صاحب أشقوه بجمع تلك الضرائب العادية أو بجبايتها من الناس[١]. ونعرف أنه فى ولاية موسى بن مصعب الخثعمى على مصر (١٦٧ ـ ١٦٨هـ) فرضت ضرائب على أهل الأسواق والدواب[٢].

لما ولى ابن طولون مصر ألغى ضرائب كان قد ابتدعها ابن المدبر[٣] ويحدثنا المقريزى[٤] عن هذه الضرائب فيقول: إن أحمد بن محمد بن مدبر لما ولى خراج مصر بعد سنة خمسين ومائتين ابتدع فى مصر بدعا صارت مستمرة من بعده فأحاط بالنطرون وحجر عليه بعد ما كان مباحا لجميع الناس وقرر على الكلأ الذى ترعاه البهائم مالا سماه المراعى، وقرر على ما يطعم الله من البحر مالا سماه المصايد إلى غير ذلك، فانقسم حينئذ مال مصر إلى خراجى وهلالى. والخراجى ما يجبى مسانهة، أما الهلالى فهو ما يجى مشاهرة. وكان الهلالى يعرف فى زمن ابن المدبر وما بعده بالمرافق والمعاون وهى التى ألغاها ابن طولون. ويلاحظ بيكر Becker حسب ما ورد فى أوراق البردى أن ابن المدبر ولى خراج مصر منذ سنة ٢٤٧هـ لا

---

(1)Bell: op. cit. pp. 272, 281 _ 282.

(٢)الكندى: الولاة والقضاة ص ١٢٥.

(٣) الكندى: ص ٢٠٥ ـ ٢١١ والمقريزى: جـ١ ض ٢١٢ ـ ٢١٣ وZaky M. Hassan: les Tulunides. P. 38.

(٤) خطط جـ١ ص ١٠٣ و١٠٧ ـ ١٠٩ وجـ٢ ص ٢٦٧ و.Zaky Hassan. op. Cit. pp. 244 _ 246.

يوما بعد يوم، وكانت روايح طيب تعاليمه قد بلغت إلى كل أحد، ولأجل هذا كانو محبو الله يفتكرون ويقولون نحن نسلم إليه اموالنا ليبنى بها بيع اسكندريه تذكارا لنا ولمن يجى بعدنا . وهكذا كانو يحملون إليه، المزين بالفضايل، مالا جزيلا وكرامات ويسيلونه [يسئلونه] أن يهتم فى عمارة البيع، حتى تم ما قيل فى النبى داود: غيرة بيتك اكلتنى. فقبل ذلك منهم لعلمه بمحبتهم وابذالهم مالهم وخيرهم وامانتهم المستقيمة بالله.

كما يذكر المقريزى بعد سنة ٢٥٠هـ [١]ونتبين من أوراق البردى أنه فرضت ضريبة مراعى المواشى وضريبة الصيد بين سنتى ٢٤٧ و٢٥٣هـ[٢].

ونلاحظ على وجه الإجمال أن النظام المالى العربى كان مأخوذاً إلى حد كبير من النظام البيزنطى، ولم يكن أخف منه وطأة فكان النظام المالى فى مجمله صورة مماثلة للنظام البيزنطى. وقد زادت وطأة هذا النظام خاصة فى عهد أصحاب إقطاع مصر من الترك كما يتبين من أوراق البردى.

الفلاح والأرض الزراعية

لتفهم وضع الفلاح والملكية الزراعية يجب أن نرجع إلى مصدرين: كتابات المؤرخين وان كان أغلبهم قد كتب بعد الفتح بثلاثة قرون، وهى اما كتب تتناول الفتح وأحداثه، أو كتب تتناول الخراج وموارد الدولة الاسلامية، وهذه تصور الجانب المثالى فالأمر اختلف عند التطبيق، ثم أوراق البردى العربية والقبطية أو الصورة الحقيقية لما كانت عليها الادارة. فكما ذكر المؤرخون أن العرب أقروا كل اقليم مفتوح على جبايته السابقة وجعلت الأرض فى مصر

(1)Zaky Hassan op. Cit. p. 37.

(٢) جروهمان : المحاضرة الرابعة عن الأوراق البردية العربية ص ٧.

وكان قد صحبه شماس محب لله مستيقظ جدا ممتلى امانه وحكمه روحانيه اسمه مرقس، وهذا كان اسكندرانيا، وقد مسك رجل [قيادة] السفينه التى هى البيعه، سفينة النجاه من طوفان الشياطين باجتهاد، وكان أبونا أنبا يوحنا يعرفه من صباه، وكان قيّم بيعة أبى مينا، وبحكم معرفته له ولأهله جعله شماسا، وكان يقرا الإنجيل فى كل موضع يقدس فيه ويحضره بصوت حنين والحان مطربة تخشع لسماعها القلوب. ولأجل هذا كان

خراجية وتركت بيد أصابها، وهذا يدفعنا إلى التساؤل هل أبقى العرب على طرق الجباية وعلى الملكية بصورتها السابقة في القرن السادس والسابع ؟ فمن واقع البرديات احتفظ العرب بالعديد من الأوضاع السابقة وان كانوا فى نفس الوقت نبذوا البعض الآخر. فقد احتفظوا بتقدير الخراج وفقا لنوعية الأرض وخصوبتها ولكنهم تركوا نظام الجباية الذاتية واحتفظوا بالموظفين الأقباط، وان كانت صورة توزيع الملكية الموجودة فى أواخر العصر البيزنطى لم تعد كما هى. ففى الفترة البيزنطية كانت الملكية الزراعية فى مصر كما يلى: أرض تتبع الكنيسة التى تحولت إلى أحد كبار الملاك ـ أرض اقطاع ـ القرى المتمتعة بالجباية الذاتية ـ أراضى صغار الملاك ـ أراض تتبع الدولة. الثلاث الأول تمتعوا بالجباية الذاتية وكان لهم موظفوهم الذين يتسلمون الضرائب النقدية والعينية ويقومون بتسليمها مباشرة لمسئول البنك التابع للولاية هذا فى حالة الضرائب المالية، أما المحاصيل العينية فكانوا يتولون ارسالها الى الاسكندرية.

وكان صغار الملاك هم الفئة الوحيدة التى خضعت للاشراف المباشر من الادارة فى الباجاركيه (القسم الادارى اللاقليم) وموظفيها فهل ظل هذا التوزيع قائما وتلك الاقطاعات بكيفها وكمها قائمة فى العصر الاسلامى؟ بلاشك اختلف الوضع كثيرا وسنعرض لكل منها على حدة بالتفصيل.

الشعوب يبكرون إلى البيعه ليسمعو قرا[ء]ته وحسن صوته، ولمعرفته بالقرا[ء]ه وحسن منظره. وعند قرأته، يجعل كل كلمه في موضعها وكان عالما بالكتب وقرأة جميع المسطاغوجى. وكانو يقولون مبارك هو الرب الإله الذى دفع ولدا حكيما لداود كما قيل . كذلك كان الشعب المومن يقول يتمجد الله مبارك هو الله الذى أقام لنا هذا الشماس المحب لله مرقس، مبارك هو الرب الذى جعل هذا الغصن يزهر لنا من هذه الشجرة

أولا: نلاحظ اختفاء نظام الجباية الذاتية وقد خضعت جميع أراضى الدولة لنفس الادارة وكما ذكر ابن عبد الحكم (يجمع عرفاء كل قرية ومازوتها ورؤساء أهلها، فيتناظرون فى العمارة والخراب حتى اذا أقروا من القسم بالزيادة انصرفوا بتلك القسمة إلى الكور، ثم اجتمعوا هم ورؤساء القرى، فوزعوا ذلك على احتمال القرى وسعة المزارع[1] «أى أنهم أعتمدوا على القرية كوحدة رئيسية واحتفظوا بمجلسها القديم بل بنفس الأسماء فالمازوت تحريف لاسم الميزون البيزنطى (أحد أعيان القرية والمشرف على الجبايات المالية) وعلى أساس تقديرهم لنوعية الأرض والمساحات المنزرعة ترفع إلى ديوان الخراج بالكورة Curia وهو تعبير يونانى بمعنى القسم وتعادل الباجاركية. وفي عدد من البرديات القبطية استعمل لفظ الباجاركية بدلا من الكورة. وبعد استشارة المسئولين هناك وتحديد نصيب كل فرد فى الاقليم يعو د رؤساء القرى لتوزيع الأنصبة عليهم اذ تساوت الجباية فى العصر الاسلامى ولم يعد هناك فرق بين أرض وأخرى فى الجباية.

ثانيا: بالنسبة للاقطاعيات الكبرى كاقطاعيات أبيون وايميانوس وكريستيدورا فلا توجد اشارة اليها فى البرديات العربية أو القبطية المعاصرة للغزو وبعده وليست هناك اشارة الى الملكيات الكبرى والتى عرفها العرب فيما بعد باسم الأوسية، بل جميعها تشير الى مليكات

---

(١)ابن عبد الحكم : ص ٢٠٦.

المباركه أبانا القديس يوحنا وولده مرقس. طوبى لمدينتنا التى استحقت هذه النعمه . وكان أبونا البطرك إذا شاهد هذا الشماس وأفعاله يفرح به ويشكر الله الذى وهب له هذه الموهبه للبيعه فتركه له مشيرا فى جميع أحواله. كان مرقس كلما قدمه البطرك ازداد تواضعا لكل أحد من صغير وكبير، وأفضل من هذا طاعته للأب فى كلما يامره به. فلما امتلا من النعمه طلب من أبينا أن يجعله مستحق الاسكيم الملايكى الذى هو

صغرى وخاصة أن سجلات أبيون توقفت عند ٦٢٠م فهل صودرت أملاكهم أم تركت فى أيديهم؟ انها تحولت فى الغالب الى اقطاعات خاصة بالخلافة فان أبيون وايميانوس كانا من كبار موظفى الدولة البيزنطية فربما صودرت أملاكهم على هذا الأساس.

وتشير المراجع إلى أن عمر بن الخطاب أقطع ابن سندر ١٠٠٠ فدان فى منية الأصبغ وبعد وفاته اشتراها الأصبغ بن عبد العزيز (١) والفدان يعادل ٢ أرورة أى أن ماحازه ابن سندر يقرب من ألفى أرورة، وهى مساحة واسعة اذا قيست بما كان يملكه الكونت ايميانوس، فمن أين جاءت تلك الأراضى والمعروف أنها أرض زراعية خصبة، حقيقة أن كل ما يخص الأباطرة من أرض آل إلى الخلفاء ولكن الضياع الامبراطورية كانت قليلة جداً وما وصلنا من القرن السادس نادر فغالبا كانت الأراضى التى وهبتها الخلافة نتيجه مصادرات كبار الموظفين والاقطاعيين أو هروب اصحابها.

أما عن الأراضى التى تتبع الدولة فى العصر البيزنطى فنادرا ما نجد اشارة الى أراض تتبع الاقليم فغالبيتها كانت أرض أفراد، ولكن فى القرن الثانى الهجرى الثامن الميلادى بدأت تنمو اقطاعيات جديدة وان كان أصحابها هذه المرة من العرب. وذكر المقريزى أن خلفاء بنى أمية وبنى العباس كانوا يمنحون الاقطاعات للمقربين اليهم ويشير ساويرس بن المقفع إلى أن أحد

(١) ابن عبد الحكم: ص ١٨٦.

الرهبنه، فأخذه معه إلى البريه عند نظره لشهوته إلى دير الأب المضى [ء] أبى مقار، مجمع الرهبان وموضع الحكم العاليه والصلاة الدايمه ليلا ونهارا بتمجيد الثالوث المقدس فى السابع والعشرين من برمهات، وهو يوم نياح القديس أبى مقار. فلما لبس الاسكيم نظر إليه إنسان شيخ راهب مضا[ء] بروح القدس. فقال هذا الشماس الذى اسمه مرقس هو مستحق أن يجلس على كرسى ابيه

الأفراد في عهد يزيد بن معاوية كان له دخل خارج أواسيه ٧ آلاف دينار، وفي عدد من برديات القرن الثاني والثالث الهجريين الثامن والتاسع الميلاديين اشارة الى أواسي ومصاريفها وأجور عمالها ومزارعيها وهي غالبا قد تكونت من الهبات والشراء وازداد حجمها في العصر العباسي بعد شيوع نظام المقابلة حيث يتولى شخص مسئولية جمع الضرائب عن الاقليم وهو قريب من نظام الجباية الذاتية البيزنطي.

ثالثا: بالنسبة لأرض الكنائس: تمتعت الكنائس بأراض زراعية ممتدة المساحة بل كان لها حق الحماية الذى حرم منه الأقطاعيون فأصبحت تملك قرى بأسرها، وكانت الكنائس تدفع الضرائب للدولة كما ثبت من برديات كوم أشقوه (١) فيما عدا ما حصلت عليه عن طريق الهبة الامبراطورية، ولكن ما اشترته وما وهبه أفراد وما استصلحته فرضت عليه ضرائب وقد حدد الحكم الاسلامى موقفه، بأنه لا تؤخذ جزية ممن ترهب أوتبتل فاذا كانوا قد أعفوا من جزية الرؤوس فهل أعفت أراضيهم من الخراج الذى كان يفرض عليهم فى العصر البيزنطى؟ خاصة أن جميع أراضيهم كانت مؤجرة لمزارعين.

فى مجموعة البردى القبطية اشارة إلى ايصالات ضرائب دفعت بواسطة ديرابوتوماس أصدرها أبو للوس وباخوم إلى أبى جورج رئيس الدير السابق. وايصالات أخرى لدير من أجل

---

(١) المقريزى : الخطط جـ١ ص ١٧٨.

مرقس الإنجيلي. وبدا ان يزيد في التواضع والطهاره والقدس حتى تم فيه ما قال الله: لمن انظر إلا على المتواضع القلب الخايف منى.

فإذا سمعتم يا أخوه منى هذا الكلام فلا تواخذو عليّ انني تركت عني كلام الأبا المغبوطين وبنا [ء] البيعه بمدينة اسكندريه وذكرهم مع لزومه لنا، وهكذا يجب علينا أن نذكر النبيين المتواضعين الذين فازو بالاعمال وارضو الابا[ء] بتقبلهم حتى

ضريبة النقود ومن الدير البحرى ذكرت في الاستروا كا اسم رهبان دير في جيما ودير القديس فيبيون حيث وجد أرشيف كامل خاص بالدير ذكر فيه أنه دفع شعير وكتان للقسم السابع والثامن، ودفع كرياكوس القس ميزانا من الشعير، وفي بردية أخرى يبدو فيها قس متوليا لوظيفة كاتب العدل ويشرف على الجبايات حيث أرسل أحد الأشخاص إلى الشماس يطلب منه تحريره من أعباء الأرض في قريته ورفع جزء من الحقول المفروضة عليه لعدم استطاعته دفع الضريبة، وفي خطاب آخر قس ينصح أحد الأفراد بدفع ما عليه من الضرائب، وجميع تلك الوثائق مؤرخة في القرن الثامن فلا نستطيع التأكد هل صدرت بعد قرار عبد العزيز بن مروان بفرض الجزية على الرهبان أم قبلها؟ فقد أرسل عبد العزيز شخصا يدعى يزيد ومعه آخرون فأحصوا كل الرهبان في كل وادى هبيب وجبل حراء وفرضوا على كل منهم جزية دينارا وأمروا ألا يرهبوا أحدا بعد من أحصاه ويذكر أبو صالح الأرمنى (أن الأساقفة بالكور الزمهم بأن يفوا بألف دينار خارج عن خراج أو اسيهم))(١).

وفي بردية تعود لعام ٦٩٧م/ ٧٦هـ من دير أبو بولس في بلدة جيما بالأقصر طلب رؤساء الدير مسئول الأقليم الذى يخاطبونه بالأمير السماح لثلاثة رهبان من الدير بالسفر من الفيوم الى الفسطاط لبيع أثواب من انتاجهم ويطلبون التصريح لهم بثلاثة أشهر حيث كانت الدولة

---

(١) أبو صالح الارمنى : تاريخ . ص ١٦٣.

تسمع الاجيال والقبايل الآتية فينمو هم أيضا بنعمه روح القدس كمثل ما كتب لسان العطر بولس وقال: انى غيور بالروح ولا أدع عنى هذا. وتفسير انى غيور يعنى بالاعمال الروحانيه. اسمعو كيف بدا ابونا البطرك انبا يوحنا ان يهتم ببنا[ء] البيعه مثل ما طلبا منه المحبان لله الطوبانيان كورا [كوريا] وبرنابا لما رأيا شهوة شعب المسيح فى هذا. وكان للبيع وصايا فدعا الشماس مرقس وقال له: يا

تحظر ترك الفرد موطنه بدون تصريح ويذكرون بأنهم قاموا بأعباء ما عليهم من الضرائب تختص بالقسم الثانى عشر وغالبا المقصود ضرائب الجزية. وهناك عدد من ايصالات الخراج والجزية دفعها رهبان، فجورج الراهب دفع صولدا لمدفوعات القسم الثانى من العام الأول فى شهر برمودة.

رابعا: الأراضى الامبراطورية وقد ألحقت هى والأرض ا لموات وأراضى كبار موظفى بيزنطة بالخلافة، وكانت مساحاتها عامة صغيرة. فغالبية الأرض ملكها صغار الملاك وقد أبقيت فى أيدى اصحابها على أن يدفعوا عنها الخراج، ولكن يلاحظ أنه منذ القرن الأول الاسلامى حوت قوائم الخراج أسماء عربية كمستأجرين وملاك، وأشارت إلى إيجارات أراض بالمقاسمة بين مسلم ومسيحى رغم أن عمر بن الخطاب منع الجند من امتلاك الأرض بل أصدر أمرا إلى أمراء الأجناد أن يبلغوا الجند أن عطاءهم قائم ورزق عيالهم سائل، فلا يزرعون ولا يزارعون»[1] وذكر ابن تيمية (اذا احتاج الجند المرصدون للجهاد إلى فلاحة أرضهم ألزم من صناعته الفلاحة بأن يصنعها لهم دون مقابل كما ألزم الفلاح أن يفلح للجند[2] دون مقابل. بل ان أحد الجنود قام بزراعة أرض فى مصر مخالفا أمر عمر فأرسله عمر إلى مكة ونزع منه الأرض.

(١) ابن عبدالحكم ؛ ص٢١٧. (٢) ابن تيمية: الحسبه فى الاسلام ص ١٦.

ولدى يكون لك أجر من الله أن تقف على بنا[ء] البيع [باسكندرية] لأنك عارف بالمدينه والصناع واعمالهم، وأنا أعلم أن الله معك واعتقد وآمن أن الذى تهتم به والخير بامانتك يكون لك ويتم . فقال: قدسك يعرف أن حجج المخالفين الملاعين كثيره التي يقاومونا بها وهو خطيه عليّ إن قاومت روح القدس الساكنه فيك، والآن فأنت يا أبى قد أردت فعل الخير. ثم ضرب له المطانوه(*) وقال له: صلى على يا أبى. فقال له: الرب يبارك عليك

(*) الميطانيــة : انحناءه مع رسم الشخص ذاته بالصليب. وهي من طقوس العبادة في الكنيسة كما=

ولقد بدت الحاجة ماسة إلى استخدام القبائل العربية نتيجة لهروب الفلاحين من الأرض بسبب التعسف في جمع الاموال منهم والزامهم بزراعة الأرض التي اغتصبها العرب دون مقابل. وبدأ ذلك واضحا مع بداية القرن الثانى الهجرى الثامن الميلادى. وفي عهد هشام بن عبد الملك أرسل عامل الخراج ابن الحبحاب إلى الخليفة يطلب ارسال ثلاثة آلاف من قيس إلى اللجون الشرقي،[1] وقد وصل بنى نصر وبنى سليم ومنحتهم الدولة مالا اشتروا به ابلا لمعاونتهم على الاستقرار وكان دخل الواحد منهم كما ذكر المقريزى ١٠ دنانير في الشهر وأدى هذا إلى انثيال العرب على مصر فنزل بنو أمية وخاصة بنو آبان بن عثمان بن عفان وخالد بن يزيد بن معاوية، ومسلمة ابن عبد الملك بن مروان، وحبيب بن عبد الملك ، وبنو مروان بن الحكم للصعيد في كورة الأشمونيين[2].

وكانت الأرض التى يزرعها العرب تعتبر في البداية أرضا عشرية أى لا يدفع عنها خراج، ولقد ازدادت أعداد الملاك العرب وما امتلكوه من أراض عن طريق شراء الأرض الخراجية أوالهبة من الدولة أو احياء الأرض الموات[3]وامتلاك أراضى المصريين الهاربين. وكان العرب

---

(١) المقريزى: الخطط ١٤٥ ـ ١٤٦.

(٢) القلقشندى: قلائد الجمان تحقيق: ابراهيم الابيارى ص ١٩٦.

(٤) أبو يوسف: كتاب الخراج ص ٧٥. الماوردى: الاحكام السلطانية ص ١٧٧.

ويكون معك حتى تكمل عمارة بيته المقدس لتفتخر به بعدنا. فقال للبطرك: تأمرنى أبوتك ان أضع الأساس كما ينور الله على.

= أنها تقدم تعبيرا عن التوقير والاحترام للرتب الكنسية الرفيعة مثل البابا أو الأسقف.

فاهتم البطرك بكلما يحتاج إليه البنا[ء] وجمع الفعله والرويسا وصلى ووضع أساس البيعه والمساكن المحيطة بها ، وسلم كلما تحتاج إليه فى يد الشماس مرقس المحب لله ليهتم بالبنا[ء] وهكذا اوتمن على بنا[ء] البيعه المقدسه وكان الله

يرحبون بامتلاك تلك الأرض ففي بردية تعود لأواخر القرن الأول أو أوائل الثانى الهجرى السابع والثامن الميلادى: (أما بعد فان ا لأمير أصلحه الله بعثنا إلى أرض ماؤها... فيها جائع، والكبير فيها ضائع فنحن على اليقين في بلد حزين نمسي جائعين نصبح ضائعين). وبدخول أهل الذمة في الاسلام أصبح من الصعب التمييز بين المسلمين من المصريين والعرب فى القوائم البردية ولو أن عدد من أسلم فى البداية كان قليلا فذكرت فى احدى قوائم الخراج ١٣٠اسما مسيحيا واسما واحدا اسلاميا ولكن الدولة وجدت أن مساحات من الأرض الخراجية تحولت إلى أرض عشرية اما بالاسلام أو بشراء العرب لها، ونفس الشئ حدث فى العراق مما أدى بالحجاج بن يوسف إلى أن يجعل جميع الأرض خراجية وكان ذلك فى عهد الوليد بن عبد الملك ومنها امتد إلى بقية الأقطار، وبرديات القرن الثانى الهجرى تشير إلى تحول مصر إلى أرض خراجية، ففى بردية ترجع لنفس الفترة يخاطب المسئول للضرائب امرأة تدعى رضا رفضت أن تدفع ما عليها من الخراج ووليت أحد الأقباط كوكيل لها وكانت تمتلك ضيعة واسعة فالضرايبة عليها كانت ٢٠٠ دينار وبما أن ضريبة الفدان دينار واحد فانها كانت تمتلك ما يقرب من مائتى فدان، ولم تكن الضريبة ثابتة فرجل يرسل إلى الأمير يطلب رقيمة بما عليه من الخراج وهذا يعنى أنه لا يعرف مقدار الخراج الذى عليه مسبقا أو أن هناك قيمة ثابتة.

معينا له بالنعمه، والبنا[ء] كل يوم ينمو ويتقدم، فــوســـوس الـشـيطان فى قلب الكذاب المخــالف صاحب الطبيعتين [يوليانوس] أن يذكر الأب أنبا يوحنا عند السلطان أنه أخذ مواضع للسلطان بناها كنايس، وفعل هذا حسدا لكى يبطل البنا[ء]، مثل الكلدانيين الذين ارادو تبطيل بنا[ء] بيت الله المقدس. فصبر الأب انبا يوحنا واحتمل أمرا عظيما مما لحقه من الكذاب وخسر لأجل ذلك للسلطان مالا كثيرا، وكان النجس يفرح بهذا، وكان يذكر

ولقد امتلك العرب منذ القرن الثامن الميلادى/ الثانى الهجرى مساحات كبيرة من الأرض وأشرف بعضهم على زراعتها. فيذكر شخص يدعى محمد بن المنذر مقدار ما بذره من القمح والشعير والجذور فيذكرن أنه بذر من القمح مائة أردب، وثمانى أرادب وويبة ومن الشعير ١٥ أردبا ونصف وبذر من اللساسة مائة وأربعين أردبا.

موقف الدولة من أهل البلاد من الأقباط:

كان أهم ما فرض على المصريين الجزية والخراج الى جانب ضرائب أخرى، ولقد حددت الشريعة ومعاهدات الفتح مقدار الجزية: تذكر الآية «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون»، وقد اختلف الفقهاء فى مقدار الجزية فذهب أبو حنيفة إلى أنها ٤٠ درهما للاغنياء ٢٤ للأوسط ١٢ للفقراء وجعلها الشافعى دينارا.

ولقد أمر عمر المصريين الا يتشبهوا بالعرب فى لبوسهم، وأمر بالجزية أن تكون ٤٠ درهما على أهل الورق (الفضة)، و٤ دنانير على أهل الذهب، وذكر ابن عبد الحكم أن الجزية كانت على مصر ديناران ونفس المقدار ذكره البلاذرى. من الواضح أن مقدار الجزية لم يكن ثابتا فى العصر الاسلامى، فالبرديات تذكر جزية مقدارها ١ صولد وفى بردية أخرى دفع ٣

أنبا يوحنا بكل سو وكذب وكلما شاهدوه كل يوم في نمو وزياده وشعبه مستقيم وتعاليمه دايمه وبيعه مثمره، وهو أيضا ينى ويجدد فى البيع، قد ازدادو غيظا فلم يقدرو على مقاومة قوة الله كمثل فعل الكلدانيين فى هيكل أورشليم، وبدد الله أمرهم، وكذلك فعل هكذا هاهنا. بدد مؤامرة المخالفين اليهود الجدد. وبرأفة السيد المسيح جعل فى قلب السلطان أن يامر الأب أنبا يوحنا بكمال البيعه وترتيبها كما يريد. وكملها فى مدة خمس سنين

أفراد ٣ صولدات للخزانة عن جزيتهم، وكذلك فى إحدى البرديات القبطية التى تعود لأول العصر الاسلامى دفعت ضريبة مقدارها ١٤,٥ قيراط للقسم الأول و ٣٥ قيراطا للقسم الثانى. وفى ايصال آخر ذكرت أموال تتراوح بين قيراطين وصولد وفى ايصال عربى يعود إلى ٧٣١م / ١١٣ هـ دفع رجل جزيته دينارا وسدسا وثمنا ونصف قيراط. وفى بردية ترجع إلى القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى ذكر للجزية ومقدارها (سدس وثمن دفعها شنودة ودينار سوير ابلوا، جرجه بلودنبر وثلث وربع مرقورة يحنس ربع وسدس) (٣٣) ولقد اعتادت الدولة القيام بمسح شامل وتعداد للسكان لتقدير الجزية، فذكر المقريزى: أن عمرا أحصى من عليه الجزية فكانوا ٨ ملايين وذكر البعض ٦ ملايين.

وفى عهد هشام بن عبد الملك قام الوليد بن رفاعة باحصاء السكان والأرض استغرق منه ٦ أشهر بالصعيد وثلاثة بالدلتا فيقال أنه أحصى فوق العشرة آلاف قرية أصغر قرية فيها ٥٠٠ من القبط وذكر ان جملة ذلك ٥ مليون،

وكانت الجزية تفرض على ضربين: على الرؤوس أى على الأفراد بأسمائهم أو على القرية ككل، وفى هذه الحالة اذا توفى أحدهم عليها أن تدفع القرية جزيته. وفى مجموعة بردى كوم اشقوه كتب قرة بن شريك لأهالى شبرا أبسيرو من نفس الكورة «أنه أصابكم من جزية سنة خمس وثمن مائة دينر وأربعة دينر وثلث دينر».

وكرزها باسم ريس الملايكة ميخايل، وهذه البيعه تسمى اليوم بمدينة اسكندريه بيعة التوبه.

وكان مع ابينا البطرك كاتب اسمه يوحنا شماس وهو الذى استحق أسقفية كرسى سخا بعد وفاة الأب أنبا يوحنا.

فلما كان بعد تمام بيعة الملاك ميخايل باحكام الرب الغير مدروكة نزل غلا عظيم على مدينة اسكندريه وصعيد مصر، حتى أن القمح بلغ تلت

ولقد أمر عمر بن عبد العزيز عامل الخراج حيان ابن سريج (٩٩ ـ ١٠٥هـ) ان بجعل جزية موتى القبط على أحيائهم،حتى اذا مات فرد من أهل القرية كانت تلك الجزية ثابتة عليهم، مما يؤكد أن الجزية تكون مسئولية القرية ككل. وفى احدى البرديات ا لقبطية يتكاتف مجلس القرية ويقوم بتسديد الأعباء والخدمات الاجبارية ولقد وضع الحجاج الجزية عمن اسلم، ويبدو أن هذا امتد إلى الأقطار الأخرى أيضا فطلب عبد الملك بن مروان من واليه عبد العزيز بن مروان أن يضع الجزية عمن أسلم فنصحه بألا يفعل فاستجاب له (أن أهل الذمة لا يتحملون جزية من ترهب منهم، فكيف نضعها على من أسلم).

وكانت الجزية تفرض فى شهر محرم من كل سنة، ولكن أوراق البردى تثبت أنها جبيت فى فترات مختلفة فخضعت لأهواء وأمزجة الوالى والجباه مما أرهق الفلاح ودفعه للهرب.

وكانت قوائم الجزية تتضمن أسماء الأفراد ومقدار جزيتهم، وأحيانا صفاتهم الجسدية المميزة. وكان على الشخص الذى يبغى ترك قريته أن يخبر موظف الاحصاء فى بلدته الأصلية بمحل اقامته أو كتابة اقرار يرسل إلى ديوان الضرائب بالمدينة، وان كان فى نهاية القرن الأول لم يعد مسموحا بترك الفرد لموطنه والاستقرار فى منطقة أخرى بل أصبح عليه الحصول على تصريح تحدد فيه مدة الاقامة لضمان دفع ما عليه من الجزية فى منطقته الأصلية كما حدث فى الالتماس الذى قدمه الرهبان إلى الوالى.

ويبات بدينار وفنيت أنفس كتير، وكان أبونا حزينا
لما يرى من الموتى والفنا[ء] ويدعو بدموع ويقول
كاشعيا النبي: صرفت وجهك عنا واسلمتنا لأجل
أثامنا، والآن يارب فـانت أبونا ونحن كلنا تراب
وعمل يديك لا تصنع بنا مثل خطايانا ولا تغضب
علينا إلى التمام، ولا تذكر خطايانا، والتفت لنا
يارب لأنا شعبك. وكان يواصل الصلاه ليلا ونهارا
قايلا: يارب أرحم خليفتك وعمل يديك لا تصنع
بنا متل خطايانا فنحن مستحقون لكل أدب لأنا لم

الخراج:

كان الخراج الذى يجبى من البلدان التى غزاها المسلمون يمثل المورد الأساسى للدولة الاسلامية وقد عرف العرب أهمية أرض مصر وخصوبتها وما يمكن أن تدره ولقد بدأ تفهمهم لهذا الامر من خلال معاهدة الفتح التى نصت على عدم جمع خراج مصر الا اذا وصلت زيادة نهر هم إلى الحد المطلوب، فان نقص رفع عنهم بقدر النقص، ولقد ذكر البلادزى أن ضريبة الأرض على كل جريب دينار وثلاثة أرادب طعاما، وأورد ابن عبد الحكم فى كتابة (فتوح مصر والمغرب) أن الضريبة على كل فدان نصف أردب وويبتان من الشعير فى حين ذكر اليعقوبى أن مقدار الخراج كان على كل ١٠٠ أردب أردبان.

أما بالنسبة لمساحة أرض مصر فكانت فى العصر البيزنطى لا تتجاوز ٦ ملايين فدان الا بقليل . وذكر ابن حوقل أن أرض مصر على عهد ابن المدبر ٦٨١م ـ ٢٤٧هـ كانت ٢ مليون فدان بسبب هروب الفلاحين.

الزراعة:

وفقا لشروط الفتح كان من المفروض أن تتم الجباية على ثلاثة أقساط كما كان الأمر فى العصر البيزنطى، ولكن الواقع اختلف اذا أثبتت البرديات أنها تمت على أقساط عدة وفى

نسلك في طريق وصاياك. والآن فيارب لا تودبنا بقضيب غضبك ولا تذكر أثامنا أمامك.

وكان ينظر إلى ضيق الناس من عظيم الغلا وكانت الرحمة تقلقه إلى الدعا، فدعا ولده الشماس مرقس ومشاركه في أفعاله، وأعطاه السلطان أن يفعل رحمة مع كلمن في المدينه. وكانت مخازن البيعة وحسابها تحت يده أيتمنه الأب أنبا يوحنا عليها عند تجربته لطريقه. وكان

شهور مختلفة وفى البرديات القبطية التى تعود للقرن السابع والثامن الميلاديين الأول والثانى من الهجرة، نجد الايصالات والعقود تستعمل الدورة الضريبية البيزنطية Indiction التى كانت تقوم على تقدير الضريبة كل ١٥ عاماً، فجميع ايصالات السداد القبطية يذكر فيها العام الثانى أو الثالث أو الخامس أو الحادى عشر وهكذا الى جانب استعمالهم الشهور القبطية بل ان عددا من الايصالات الاسلامية نفسها استعمل النموذج نفسه.

وكان البيزنطيون يستعملون السنة الشمسية فيكبسون الربع كل ٤ سنوات وعلى أساسه يحسب فيضان النيل وتوزيع الزراعات، في حين كان العرب يتبعون السنة الهلالية. ولما رأوا تداخل السنين القمرية فى السنين الشمسية أسقطوا عند رأس كل ٣٢ سنة قمرية سنة وسموا ذلك الازدلاق لأن كل ٣٣ سنة قمرية باثنتين وثلاثين شمسية، ولكن استعمال التقدير الضرائبى أو دورة الـ ١٥ عاماً وفقا للتقدير الشمسى ظل سائدا فى الفترة الأولى.

وكان استيفاء الخراج مرتبطا بالنيل ووفائه، فالدرجة العليا كانت تسعة عشر ذراعا والصغرى اثنى عشر ذراعا كما كان فى العصر البيزنطي، وكان العرب يعتبرون تمام الخراج حينما يصل النيل إلى ستة عشر ذراعا وكانت الأرض تروى فى شهر توت ويرتب من يحفظ الجسور والترع من أهل البلاد. وكان النيل يصل إلى نهايته فى شهر بابه وتبدأ الزيادة عادة

يغيث كل جايع ويدفع لهم طعامهم بكرة وعشيه في كل يوم.

وكان يشاهد على باب البطرك خلقا كثيرا من كل جنس هو يقوم بهم [يعطيهم] من [شون] البيعة لأنها كانت ذلك الزمان مملوه خيرات، حتى ان ريحة طيب أعماله الحسنه فاحت وملت المواضع. وبسيليوس وأوسابيوس الأسقفان هذان اللذان جعلا لها الصدقه اهتماما لا يقطعانها أكثر

خلال شهر أبيب وتستمر إلى مسرى وتوت حتى ان بعض القرى يصعب الوصول اليها بواسطة القوارب وينحسر الماء في شهر هاتور وكياك فتبذر البذور ويزرع القرط والكتان والقمح ويبدأ تقدير الخراج، ففي هاتور يبدأ الحرث وزرع النباتات غير السمسم ويطالب الناس بأول قسط من الخراج ويبلغ حوالي الثمن وفي أمشير يتم الربع وفي برمهات الثمن الثالث. وبعض المحاصيل تزرع متأخرة كقصب السكر الذى يزرع في برمودة ويطالب المزارعون بسداد نصف الخراج وفي بشنس يعاد المسح لأن المزروعات قد اكتمل نضجها، فالتقرير النهائي على الخراج من واقع المحصول ومقدار الفيضان ويدفع الربع ا لثالث من الخراج تضاف اليه مصاريف الصرف والجهبذة (أى مصاريف الجباة) وحق القرط البرسيم الذى يؤخذ لحيوانات الغزاة والكتاب وفقا لكشوف خاصة ويبدو أن هناك ضريبة أصبحت مفروضة على القرط الذى كان معفيا من قبل. وفي بؤونة يؤخذ جزء من متأخرات الجباية . وفي أبيب يستكمل جزء من الخراج ويذكر ابن حوقل أن أرض الفيوم تزرع في آبيب وتحصد في هاتور وكياك، وكذلك يتأخر حصد الكتان الى مسرى وأبيب ويبدو أن الخراج كان يدفع وفقا لوقت نضج المحصول فالمحاصيل كما هو واضح اختلف وقت حصادها وتعدد خلال شهور السنة فجباية الخراج كانت في شهر توت ومسرى وطوبة وبشنس وبرمودة وأبيب كما ثبت من ايصالات القرن السابع والثامنى الميلاديين.

من كل وصـيـه. هكذا هذا القـديس فـعل مثلهـمـا حـسدا لفـضلهـمـا حتى يشـاكلهـمـا في ذلك، ومع فعله هذا لـم يخل بشى من الوصايا ويحضر الريسا والأغنيـا ويقـول لهم : كـونو رحـومين للضـعـفـا ويحـثـهم على الصـدقـات [بكلام] من الكتب المقـدسـه ويقـول لهم: اغـتـنمـو هذا الوقت وهذه النعمـة التى هى جليله عند الله. وكان يعظهم بما قـاله داود النبى لولده: لا تصـرف وجـهـه عنك . وقـول غـيـره من الانبـيـا: أن الصـدقـه تـخلص من

سياسة الدولة الاسلامية تجاه الخراج وجبايته:

اهتم الخلفاء بجباية الخراج اهتماما كبيرا، وحرصوا على الحصول على نفس النسب التى كانت تجبى فى العصر البيزنطى وزيادتها. ومن الخطابات المتبادلة بين عمرو وعمر نلاحظ اهتمام الخليفة بخراج مصر ولومه عمرا لأن الفراعنة والمقوقس جبوها أكثر مما جباها عمرو واتهمه بأن عماله الذين وصفهم بعمال السوء هم المسئولون عن هذا، ولكن عمرا كان متفهما لطبيعة مصر واحتياجاتها وأن الاثقال على أهلها سيؤدى إلى خرابها فذكر للخليفة أن الفراعنة جبوها أكثر منه لأنهم كانوا أرغب فى عمارة أرضهم منه، وأن النهر يخرج الدر وحلبها حلبا يقطع درها ولن تفيد منه الدولة الاسلامية خيراً فانه سيضر بالأرض ومزارعيها . وفى خطاب آخر لعمرو الى الخليفة (أهل الأرض انتظرونى الى أن تدرك غلتهم . فنظرت للمسلمين فكان الرفق بهم خيرا من أن نخرج بهم).

ويقال انه أرسل أحد المصريين إلى مكة بناء على طلب الخليفة حيث ذكر الرجل أن محاولة أخذ الخراج قبل تمام الزرع يعنى الأضرار بالمزارع والعجز فى الجباية فيما تلى ذلك من أعوام.

ويبدو أن عمرا اتخذ هذا الموقف بناء على نصيحة المقوقس (كيرس) حيث ذكر له أن خراب الأرض وعمارتها يأتى من خمسة وجوه: أن يستخرج الخراج فى آن واحد عند فراغ

الموت وتصعد من الجحيم ولا تدع انسانا أن يدخل الظلمه. وكان يذكرهم أيضا ما كان بولس يكاتب به طيماتاوس ولده إذ يقول له: أغنيا هذا الزمان أوصيهم أن لا يتكبرو بل يجعلو توكلهم على الله الذى يعطى الغنا لكل أحد لكى يستغنو فى كل شئ ويجعلو لهم أساسا ليتمسكو بحياة الحق.

وكان يوصيهم بهذا وغيره حتى حسدو أفعاله الأغنيا والريسا وصارو يفعلون كما أوصاهم من

أهلها من زرعها، ويدفع خراجها فى آن واحد عند فراغ أهلها من عصر كرومها، ويحفر فى كل سنة خلوجها، وتسد ترعها وجسورها، ولا يقبل محل أهلها.

ولقد عهد العرب الى الأقباط والجباة السابقين بأمور الجباية لمعرفتهم بأحوال بلادهم. وأن هؤلاء الجباة لم يختلفوا فى أساليبهم وطرقهم عما اعتادوه فى العصر البيزنطى من عسف وجور تجاه الأهالى وبخاصة أن الولاة حرصوا على جباية الخراج وتخوفوا من نقصانه حتى لا يتهمهم الخللفاء بالاهمال كما حدث مع عمرو حين جباها عبد الله بن سعد عندما استعمله عثمان ١٤ مليونا فقال لعمرو (يا أبا عبد الله درت اللقحة بأكثر من درها الأول فرد عليه عمرو أضررتم بوليدها (٠٠) وقد حرص الولاة على الخراج فمصيرهم ومصير عمالهم مرتهن بتأديته، وأدى هذا بدوره الى الشدة فى الجباية فسليمان بن عبد الملك أرسل الى متولى خراجه أسامة بن زيد وأمره بأن يحلب الدر حتى ينقطع ويحلب الدم حتى ينصرم [1]. وأراد معاوية أن يزيد على المصريين قيراطا فى خراج أراضيهم ولكن وردان عامل خراجه كتب اليه (أن عهدكم ينص على ألا يزاد عليهم) فعزله معاوية[2] وزاد من الخراج.

وقد أدت الشدة فى الجباية الى محاولة المصريين هجر أراضيهم، وزاد عدد القرى التى خلت من أصحابها وهذا أدى بالولاة الى محاولة ربط الفلاح بالأرض عن طريق عدم السماح

(١) الكندى: فضائل مصر ص ٤٥. (٢) المقريزى: الخطط جـ١ ص ١٤٥.

مالهم، ولم يتأخر أحد منهم عن الصدقه والافتقاد للأرامل والأيتام والحبوس بالطعام والكسوه، وكذلك الكهنة والفقرا. وكان جماعة من الريسا في ذلك الزمان ينزل عليهم الفقرا وكان يساعدونهم أيضا، وكان يأوى الغربا حتى رحم الرب شعبه ورفع عنهم الغلا بصلاة الأب القديس أنبا يوحنا.

ثم تنيح بطرك انطاكيه أنبا جرجه واوسم عوضه

له بترك قريته الا بتصريح وهذا يعود غالبا الى ولاية عبد العزيز بن مروان فى خلافة عبد الملك، وان كانت أغلب البرديات التى وصلتنا وخاصة فيما يتعلق بتصريحات الاقامة واعادة المزارعين تعود لعهد قرة بن شريك. وفى عهد الوليد بن عبد الملك قام أخوه عبد الله والى مصر بزيادة الخراج فكان من يدفع دينارا يلزمه بدفع دينار وثلثين رغم انخفاض النيل سنة ٨٧هـ [١]. وفى امرة الحر بن يوسف أرسل عامل الخراج عبيد الله بن الحبحاب الى هشام بن عبد الملك أن أرض مصر تحتمل الزيادة فزاد على كل دينار قيراطا وثارت عليه كورة بتمى وقرنيط وطرابيا والحوف الشرقى فبعث اليهم بجنود فأخضعوا ثورتهم عام ٨٧هـ فى نفس الوقت الذى ثار فيه أهل الصعيد وقامت ثورة ثالثة فى عهد هشام ابن عبد الملك فى عام ١٢٠ هـ فأرسل حنظلة بن صفوان أمير مصر الجند فأخمدوها أيضا[٢] وتكررت، ثوراتهم فى عهد الأمويين فثاروا سنة ١٢٢ هـ فى عهد الملك بن مروان فأرسل اليهم موسى ابن نصير حيث أخمد ثورة قام بها يحنس القبطى فى سمنود. وتجددت الثورة فى رشيد فى عهد مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية وتمكنوا من أخضاعها هى الأخرى. فالدافع الى تلك الثورات هو تعسف الولاة فى جمع الاموال الزائدة وقد كشفت هذه الاحداث عن أن العلاقة بين

(١) المقريزى: اغاثة الأمة بكشف الغمة ص ١١.
(٢) المقريزى: الخطط ص ١٤٥ ـ ١٤٦.

انسان قديس اسمه كيرياكوس بتدبير من الله واجتماع كلمة المطارنه والاساقفه وجميع شعب الشام والمشرق، وكان مملو من نعمة الروح القدس. فلما اتصلت به أعمال الأب القديس أنبا يوحنا أحضر مطارنته وأساقفته وقال هلم ما يجب أن نتأخر عن مكاتبة الأب أنبا يوحنا صاحب الكرسى الإنجيلى بمدينة اسكندريه العظمى التى هى لنا ميراث من أبانا من زمان الأب ساويرس وتاودوسيوس المجاهدين على الأمانه الارتدكسيه.

معظم الحكام المسلمين والبلدان التى تم احتلالها لم تكن إلا حلبها حتى تدر الدم والبطش بكل من يحاول الاعتراض على ذلك.

وقد استغل بعض الولاة عدم وجود تقدير ثابت للجزية كما هو واضح من قول عمرو فى البرديات لتحميل البعض فوق ما يحتملونه. ولقد استبدل العرب بالأقباط جباة مسلمين فى عام ٨٧هـ فى عهد عبد الملك لزيادة طرق الجباية السابقة ووسائلها.

الضرائب التى على الأرض الزراعية:

فرض على الأرض غداة الغزو عدد من الضرائب كان أهمها ضريبة الخراج حيث فرض دينار على كل جريب وثلاثة أرادب طعاماً. ويقال ان أهل مصر صولحوا بعد المعاهدة فى مكان الحنطة والزيت والعسل والخل على دينارين آخرين، ولكن الحقيقة أن الضرائب التى فرضت على الأرض كانت ضرائب نقدية وعينية وفرضت على الأرض الزراعية وفقا لمحصولها ضريبة مالية الى جانب ضريبة تعرف بضريبة الطعام على القمح وعدد من المحاصيل الأخرى خصصت للقوات الغازية، وبعض المؤرخين يعدها جزءا من ضريبة الخراج اعتمادا على أن المعاهدات ذكرت دينارا على الفدان وثلاثة أرادب قمحا ولكن نستطيع القول وفقا للبرديات ان كلا من الضريبتين أصبحت تجبى منفصلة عن الأخرى، فالخراج كان يجبى نقدا ويمكن أن يتغاضى عن النقد فى بعض الأحيان بالنصيب العينى ولكن ضريبة الطعام كانت تجبى دائما عينيا.

وقد كنت بدأت بذكر الأب أنبا جرجه المتنيح أذ كان فى السنين الماضيه التى اعتقل فيها لم تصل سنوديقا من ناحيته إلى مصر إلى الأب مينا لأجل اضطهاده واعتقاله. ولأن أنبا مينا لم يكتب أيضا لاشتغاله فيما جرى عليه من الشماس المحروم بطرس الجاحد الغير مستحق الاسم، إلى حين خروجه هو والأساقفه من الحبس ومكاتبتهم التى ذكرناها آنفا، فقال الأب أنبا كيرياكوس: أن نحن لم نكتب كان علينا اثم وخطيه لأجل الاتفاق

ضريبة الخراج:

كان الخراج يتوقف على حالة الفيضان وعلى نوع الأرض وقد اعتاد العرب القيام بمسح شامل للأرض لتقدير الخراج، ومسحها عبد الله بن الحبحاب الهشام بن عبد الملك، والوليد بن رفاعة فى عهد عبد الملك ويبدو أن كل أقليم كان له مساحوه. ورغم أن اغلب الوثائق التى وصلتنا عن كيفية مسح الأرض وتقدير الخراج تعود للقرن الثالث الهجرى فانها تدل على ما كان معروفا من قبل، ففى بردية تعود إلى ٨١٣م / ٢٦٢هـ عن مسح الاقليم ورد فيها نوع المحصول ومساحته فذكر السلجم والكروم وحددت الأرض البور ومقدارها، والأرض غير المخصصة للزراعة[١].

وفى تقرير آخر للمساحين عن أرض أسفل أشمون تزرع خضرا وكروما أوردوا المساحة وماهو مؤجر منها، وفى تقرير مساحة من كورة طحا والتقرير مرفوع لموظف خراج ذكر فيه اسم صاحب الأرض ومساحة الأرض والمحصول. وكانت تقارير المساحة عادة تضمن ذكر اسم القرية وما يزرع والأرض البور وكانت الأرض البور تضاف إلى أملاك بعض المزارعين أو القرية

---

(١) جروهمان: جـ٦ ص ٣٧٩.

الذى بيننا والاتحـاد. وكـانو زمـان ابابنا السـالفين متفقين على الامانه الحق والمحبه، ويذكرون اسما آبابنا على هياكل كورة مصر جميعها، فلا نقطع مـا بيننا وبينهـم من المحبـه المسيـحيـه والاتفـاق الروحـانى، فكتب أبونا أنبـا كـيـرياكـوس بطرك انطاكيـه إلى انبا يوحنا بطرك اسكندريه سنوديقا مملو من نعمة روح القدس وانفذها على يد مطران دمشق انسطاسيوس ومعه أسقفان من كرسيـه، ويذكر فيها ما بين الكرسين، انطاكيه واسكندريه،

القريـة لاستصـلاحها وتعفى من الضرائب إلى أن تستصلح فتفرض عليها الضرائب، وفى احدى الاحصائيات ذكر للترع والقنوات الموجودة فى الأرض، وهناك موظف يدعى الدليل كان يقوم بكتابة سجلات أملاك الأراضى وتقدير قيمتها لتحديد مقدار الضريبة المفروضة عليها وارسال الأوامر الرسمية للحضور مع وصف تفصيلى للأنواع المختلفة للأراضى الصالحة للزراعة وممهورة بامضائه لاثبات صحة ما ورد فيها [١]. ولقد اختلفت الضريبة وفقا لنوع المحصول فكان يؤخذ فى الفترة الأولى على فدان القمح نصف أردب وويبتين شعيرا ولكنها أصبحت تدفع نقدا فكان يجبى على القمح دينار والشعير من نصف دينار إلى دينار والنخيل تؤخذ عليه ضريبة مقدارها قيراط وسدس قيراط = $\frac{١}{٤} + \frac{١}{٤٤}$ دينار وعلى الفجل دينار والسلجم من دينار الى دينارين [٢] أما القرط [البرسيم] وهو مستخدم فى غذاء الماشية فلم تكن عليه ضريبة ولكن فرضت عليه بعد ذلك ضريبة دينار. وفى عدد من البرديات نجد اشارة الى ضرائب على الأرز ثمن قيراط وعلى القرط ٧ والجزر ثلث + $\frac{١}{١٢}$ ويبدو أن الضريبة لم تكن ثابتة فى كل الأقاليم.

(١) جروهمان: جـ ٤ ص ١٩٦. (٢) جروهمان: جـ٤ ص ٢٣١.

من الاتحاد الارتدكسي وكيف جلس على كرسي اغناطيوس اللابس الاهوت. فلما وصلت الى انبا يوحنا ووقف عليها فرح فرحا عظيما ومجد السيد يسوع المسيح الذى يهتم ببيعته وشعبه في كل زمان الذى اشتراهم بدمه الكريم، فأمر أبونا أنبا يوحنا بقرا[ء]ة الكتب على الشعب، فتعجبو عند سماعهم ما فيها من الألفاظ لبعد عهدهم بوصول سنوديقا وشكرو الله على ذلك، فلما شاهدو الرسل انسطايوس والأسقفان بيعة اسكندريه عجبو

وكانت هناك مشكلة الكروم والنبيذ، فالنبيذ كان المشروب المفضل لدى المصريين وزرعت مساحات كبيرة من الأرض بالكروم وكان المصريون يتولون عصرها بعد جنيها، وفي إحدى البرديات القبطية التى تعود للقرن الثامن «تطلب جرتان من النبيذ من أجل الجنود» وهذا يثير تساؤلا: هل كان العرب يتسلمون ضرائب من النبيذ؟ ونفس الأمر بالنسبة للخنازير ويقال أن أبا عبيدة سأل عمر (أن عمالك يأخذون الخمر فى الخراج، فقال لا تأخذوا منهم ، ولكن ولوهم بيعها وخذوا أنتم الثمن. فأصبح المصريون يبيعونها ويدفعون خراجها مالا وعليها عشر أثمانها (١).

وكذلك لا نعرف بالضبط هل كانت تؤخذ على الماشية ضرائب في الفترة الأولى، فالوليد بن الرفاعة أحصى الحيوانات أثناء قيامه بمسح أرض مصر وفى كشوف القرن الثالث ذكر لكل كورة وعدد المواشي وأسماء أصحابها وأوصافها من أجل ضريبة المراعى.

وفى احدى البرديات القبطية اشارة إلى جمع خشب نخيل acacia ونصيب مفروض على كل قرية «ففى رسالة لموظف كبير أنه حمل خشب نخيل فى ٢ هاتور لصالح الشحنة الكبرى وقائمة بالقرى التى جمعت منها. ولقد ذكر المقريزى أشجار سنط فى بعض مناطق النيل بها حراس يحمونها حتى يصنع منها مراكب الأسطول فلا يقطع منها الا ما تدعو الحاجة إليه.

(١) أبو عبيد القاسم: الاموال ص ٦٢.

من نقوشها وزينتها وطقس البطرك والأساقفة والكهنه والسبع طغمات البيعيه ووقار جميعهم والسكينه التى عليهم وخوفهم من الله، فبهتو ومجدو الله على عظم النعمة عليهم من نعمة مارى مرقس الانجيلى المقدسه . فلما شاهدو ذلك قالوا ما قاله داود فى المزمور(*): كما سمعنا كذلك رأينا . وفرحوا فرحا عظيما روحانيا كما كتب فى الأبركسيس(*): ان الكلام يصل الى مسامع البيعه

(*) المزمور ٧٨ / ٣ .

(*) رؤيا يوحنا اللاهوتى .


بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد
نبتدي بعون الله وحسن توفيقه

الصفحتان الأولى والثانية من مخطوط لرؤيا يوحنا اللاهوتى يعود إلى ٢٥ طوبة سنة ١٤٥٧ قبطية.

بيروشليم من أجلهم. فانفذو برنابا إلى انطاكيه .
فلما وصل وراى نعمة الله فرح.

وأقامو عند الأب القديس يوحنا أياما قليلا ودعهم بمجد وكرامه بعد أن كتب لهم جواب كتبهم، فمضو إلى كورتهم ممجدين الله على ما عاينو.

اردت يا أبابي القديسين ان اتمم الخطاب بافعال أبينا المبارك انبا يوحنا، غير ان لساني الناقص لا

ضريبة الطعام:

ويعود انشاؤها للضرائب العينية التى قررت على الحنطة والزيت حيث قرر مدان من الحنطة وثلاثة أقساط من الزيت فى كل شهر، لكل انسان من أهل الشام والجزيرة. وأما عرب مصر وجنودهم فأردب كل شهر لكل انسان وذكر مؤرخون آخرون وثلاثة أرادب قمحاً. وذكر اليعقوبى أردبين عن كل مائة أردب وتحولت تلك الجبايات إلى ما يعرف بضريبة الطعام وهى ضريبة عينية أهم ما يجبى فيها القمح وهى تشبه الأنونة الأهلية، وهى الشحنة السعيدة التى تحمل الى القسطنطينية وكان أول ارسالها الى مكة فى عهد عمر فى عام الرمادة ٢١ هـ حيث حدث لديه قحط شديد فأرسل إلى عمرو ليبعث اليه بطعام فأرسل اليه عمرو ما أراد. ويقال أنه دفع الى كل بيت بالمدينة بعيرا عليه طعام مما يوضح مدى ما نهب من مصر.

ولقد أمر عمر بحفر خليج فى النيل الى القلزم الذى عرف بخليج أمير المؤمنين لتسهيل نقل الطعام الى المدينة ومكة وظل يحمل فيه الطعام بعد عهد عمر بن عبد العزيز الى أن قضى عليه اهمال الولاة فحمل الطعام والمال وكسوة الكعبة على القوافل والبحر الاحمر حتى عهد قريب.

وكان يحمل معه كذلك الزيت وانقطع فى الفتنة الأولى ثم عاد فى أيام معاوية ويزيد، ثم انقطع الى زمن عبد الملك بن مروان ثم لم يزل يحمل الى خلافة أبي جعفر المنصور،

يستطيع ان يقول يسيرا من أفعاله، لكن عندى ذكرى للناس القديسين الذين كانو فى زمانه يجب ان أذكر لابوتكم حسن الأفعال ونبوتهم لتسر قلوبكم كما هو مكتوب إذا ذكر الصديق فرحت الشعوب.

كان فى ذلك الزمان شيخ قديس فى البرلس اسمه جرجس وكان حسن الأفعال وينظر من البعد بروح القدس اسرارا عظيمه قبل ان يكون الشى

والبرديات تشير إلى أنه كانت تجبى إلى جانب القمح محصولات أخرى. وفى بردية تعود لآخر القرن السابع من حساب ثيودورا من القسم الأول ٣٢ أردبا وفى القسم الثانى ١٢٠ أردبا وفى القسم الثالث ٥ أرادب من التبن و ٩ مقاييس (قدح) و١٤ مقياسا من السمسم و ١٥ مقياسا من الشعير. وفى الكرنك من القرن الثامن الميلادى بردية تذكر مدفوعات من الشعير والفول تتراوح بين أردب وأربعة.

وفى خطاب آخر يأمر الوالى كاتبه أن يتجه إلى شنشور (فى المنوفية) ويخرج الأقباط (أى يجمع منهم الخراج) ويرسل إليه مائة أردب قمحا. وفى أمر لقرة بن شريك إلى أهالى كوم أشقوه أنهم أصابهم من ضريبة الطعام أحد عشر أردبا قمحا وثلاث وثلث فى صفر احدى وتسعين. وفى خطاب مرسل الى أبو الياس القس لاقناع شخص يدعى اندرياس الراعى بأن يدفع الضريبة التى عليه وهى ١٨ كيلة قمحا ويذكر أن عليه أن يدفع ضريبته قمحا، وأنه لن يقبل أى شئ خلافه، وكان القمح ينقل بالسفن الى الأهراء فى الفسطاط لنقله بالسفن إلى مقر الخلافة.

وفى بردية أخرى ترجع للقرن الثالث نقل ٣٣٠ أردبا الى الفسطاط مع ايراد ١٠ أرادب للنفقات . وورد فى حسابات أوسية فى القرن الثانى الهجرى (والى حسن النوتى مائة وسعيد

ليعلم به لجودة أعماله. وكان قد تنيح انبا جرجه أسقف مصر في ذلك الزمان وكان رجلا قديسا رحوما محبا للصدقه، وأقام عندهم زمانا عظيما يرعاهم بطهر وصدق فحزن عليه الشعب المومن واجتمعو وتشاور وكاتبو للأب انبا يوحنا وسألوه أن يجعل ولده مرقس الشماس اسقفا عليهم بمصر عوضا من جرجه المتنيح، فلما وقف على الكتب اراد بلوغهم غرضهم لمراعاته قلوبهم، وأمر ان يقدم

بن... الفسطاط المائة بدينار) أى أنه كان يتقاضى على نقل ١٠٠ أردب قمحا دينارا . وكان صاحب الاقطاع يتحمل النفقات وفى نفس البردية يذكر أنه دفع مالا إلى ابراهيم النوتى لحمل ١٥٠ أردبا وتوصيلها الى الفسطاط . وقد نقلت غلات أخرى بخلاف القمح والعدس والقرط وأصناف أخرى من الغلال و وفى ايصال يعود لعام ٨٧هـ ١٣ ـ ١٤ أكتوبر ٧٠٦ وهو ايصال من لغتين صادر من موظفين باهراء باب ليون لدفع الضريبة (من أهل مدينة ...وكتبوا عبد الله بن جرير فى ذى القعدة سنة سبع وثمانين ... ومبلغها ستمائة وسبعة عشر وثلث وأردب قمحا[١].

وكانت الأهراء لقمح مصر السفلى، يخزن بها القمح الذى ينقل الى بلاد العرب والقمح الذى تؤخذ منه المؤن العينية للجند العرب وأسرهم فى مصر.

وفى نهاية القرن السابع وأوائل الثامن ذكر لشخص يدعى أبو مزيل باعتباره محتسب الأهراء فاضطلع بأعباء جمع الأهراء فى الفسطاط. وذكر فى بردية أخرى أثنان من المشرفين وأهل كوم أشقوة سلموا ألف أردب قمحا ضريبة للطعام الى اهراء بابليون وسألوا مشرف الاهراء أن يعطيهم ايصالا يفيد تسلمه القمح. وفى احدى البرديات القبطية يذكر أن البحارة

(١) جروهمان : جـ ٤ ص ٢٨٦.

لهم مرقس الشماس. وخاطبه فلم يفعل وطرح فى رجليه قيودا حديدا. واقسمه قسا ليتمه اسقفا وهذا بغير اختياره، وكان باكيا حزينا ويقول: انت يارب تعلم اننى لا اصلح لهذا الأمر فاسلك يا سيدى ان تخلصنى من هذا الذى لا أقدر عليه، فسمع الرب محب البشر الذى يصطفى من يختاره لنعمته قبل ولاده، فقال لذلك المومن: قم اخرج من هذا الموضع الذى انت فيه. فقام فى تلك الساعه فوقع

تسلموا أجرهم نبيذا. وكان على أهل القرى واجبات تتعلق بالخدمة في الأسطول كما ورد فى احدى البرديات القبطية.

والي جانب الضريبتين . الرئيسيتين على المزارعين كان هناك عدد من الضرائب الأخرى كضريبة الجسور، وفي احدى برديات القرن الثالث ذكر أنها ربع دينار، وفي وثيقة أخرى اشارة إلى ضريبة تخص البحرية فرضت على القرى مقدارها نصف صولد. ثم نفقات الجباية وكانت حوالى ربع دينار كما جاء فى وثيقة حساب يرجع تاريخها الى القرن الثانى الهجرى ومما فرض على المصريين ضيافات العرب ويرد فى احدى البرديات ذكر ضريبة النزل.

نظام الجباية:

كان التقسيم الادارى فى مصر على قمته الوالى وكانت له سلطات ادارية واسعة بوصفه نائبا عن الخليفة، وكان يجمع فى بعض الأحيان بين السلطة الادارية والمالية المتمثلة فى ولاية الخراج وان كان الخليفة فى أحيان أخرى يعين عاملا مستقلا مسئولا مسئولية مباشرة أمامه عن الخراج وكان معنى انفصال الخراج عن الولاية أن تصبح يد الوالى مغلولة، فعمرو احتج على هذا وترك الولاية حين ولى عثمان عبد الله بن أبى سعد الخراج أثناء ولايته لمصر.

وقسمت مصر الى قسمين: مصر العليا ومصر السفلى، وان كان يوحنا النقيوسى ذكر أنها

الحديد من رجليه وانفتح له الباب وخرج ولم يستيقظ له أحد ممن كان يحفظه، فلما أصبح طلبه فلم يجد، فامر بالبحث عنه فما قدر عليه فصعب عليه، ثم انه قدّم ولدا له اسمه قسما واوسمه للمصريين فاقام أياما ومات.

وكان انسان يسمى ميخايل حسن الفعال اقسمه لهم اسقفا. وكان البطرك قد وجد على

قسمت غداة الغزو الى ثلاثة أقسام هى مصر السفلى والريف واركاديا، وقسمت بدورها الى كور وهى تعادل الباجاركية القديمة فكان يرأسها وفقا للبرديات باجارك وقمص، وذكر أحيانا بلفظ دوق، وقسمت تلك بدورها الى قرى يرأسها المازوت، وكان عمله ذا اختصاصات مالية وادارية.

وكان لديوان الخراج العام ادارات فى الباجاركية يتولاها موظف يطلق عليه الجسطال ويرد فى بعض البرديات لفظ تولاريوس وهو كاتب السجل. وظلت الوظيفة قائمة فى العصر الاسلامي الأول، والبرديات القبطية التى تعود الى القرن السابع والثامن احتفظت بأسماء وظائف بيزنطية كرؤساء القرى الذين عهد لهم بالاشراف على الجباية، لكن بعد فترة حلت محلها أسماء اسلامية فجابى الضرائب العينية حمل لقب القبال.

وكان يتبع ديوان الخراج بحارة السفن المصريين الذين كانوا يجبرون على العمل فى الاسطول كجنود ومجدفين تحت ظروف بالغة السوء بعيدا عن أهلهم وبلدانهم لفترات طويلة قد تستغرق حياتهم كلها، ويبدو أن المزارعين كانوا يدفعون نفقاتهم. وكذلك ظهرت وظيفة محتسب الأهراء أو المشرف على مخازن القمح. أما الضريبة النقدية فان الجباة كانوا يسلمونها لمسئولى القرى وهؤلاء بدورهم يسلمونها لفروع ديوان الخراج بالكورة التابعة لهم، وكانت

الشماس مرقس لهروبه ومخالفته لأمره، فكتب كتابا إلى الأب القديس جرجه فى البرلس الذى ذكرناه انفا يعلمه انه واجد [حزين] على ولده مرقس لمخالفته أياه وهروبه منه وانه وكس [خاب] جاهه عند المصريين . فاجابه جرجه القديس النبى وقال له: لا تواخذ ابوتك ولدك لاجل مخالفته لك فانت اردت ان تقاوم امر الله بل الله قد حفظه لياخذ كرسيك ورياستك بعدك . فلما سمع الاب

الأعمال تجرى فى ديوان الخراج باليونانية والقبطية الى أن عربت سنة ٨٧هـ فى عهد عبدالملك ابن مروان فكتبت بالحروف النبطية، وكما ذكر ابن عبد الحكم (يجتمع عرفاء القرية ومازوتها ورؤساء أهلها فيتناظرون فى العمارة والخراب حتى اذا أقروا فى القسم بالزيادة انصرفوا بتلك القسمة الى الكور ثم يذهبون الى رؤساء الكورة ويوزعون الأنصبة على احتمال كل قرية وسعة المزارع ومساحة الأرض الشاغرة فيبدرون، وأما بعد الحصاد فانهم يأخذون نصيبا لكتابهم ولعمال الجباية). فالواضح أن التقدير الاجمالى يأتى من ديوان الخراج الى الكور التى تحدد نصيب كل قرية ، أما التخصيص فانه يرجع لمجالس القرى حيث يبدأ توزيع الخراج وفقا للمساحة والمحصول. ويذكر ابن عبد الحكم أن من يعجز عن زراعة الأرض يتولى الاخرون عنه ومن أراد الاستزادة أخذ ويبدو أن القرية تحملت مسئولية الخراج ككل فمن ترك الأرض تكفل الباقون بزراعتها، ويؤكد هذا بردية تعود الى القرن الثامن الميلادى ٧٢٢م ١١٤هـ فالقرية كونت ما يشبه المجلس البلدى تولى دفع الأعباء والضرائب، و هذا الاتفاق وقعه سبعة عشر من أعيان القرية، ونص على أن من يرفض القيام بأعبائه عليه أن يدفع مقابلا ماليا.

وكان على المواطنين المقيمين فى الكورة اذا رغبوا فى الرحيل الى مكان آخر أن يحصلوا على تصريح من المدن المسجلين بها ليعرف الموظفون أماكنهم، وكان هناك عمال بريد فى

البطرك هذه النبوه تعجب لنه [لأنه] كان يصدق بكلما يقول له الشيخ القديس السايح.

فلما علم بهذا مرقس عاد إلى البطرك وسجد له واستغفر منه فلم يجد عليه بعد. وكان عنده من ذلك اليوم جليل القدر ولم يرجع يفارقه في كل موضع كان يمضى إليه.

ثم توجه البطرك إلى الفسطاط مصر لاجل الخراج الذى كان على الاواسى البيعيه وهذه اخر

الكورة لابلاغ الوالى عن أعمال الباجاركات كما ورد فى احدى برديات كوم أشقوة وهى رسالة من قرة بن شريك الى باجارك أنصنا. والايصالات الصادرة الى الأهالى فى القرن الأول الهجرى كان أغلبها بالقبطية والدفع على أساس الدوة الضريبية البيزنطية، وكان يستعمل فيها الصولد وهو يعادل الدينار، والقيراط والنوميزما وتيرميزما، ففى ايصال من القرن السابع دفع ٢ نوميزما (تعادل الصولد) وهى ضرائب عن القسم الثانى من العام الثانى بتاريخ ١٤ بابه لمساعد رئيس القرية، وحصل على ايصال بناء على طلبه. ودفع شخص اسمه أبيون بن كركينا صولدا كضرائب للقسم العاشر. حتى عقود البيع والايجار كانت تذكر فيها الدورة الضريبية البيزنطية، فبيعت جمال مقابل صولد و ١٤ قيراطا فى أمشير من السنة التاسعة.

وفى خطاب آخر دفعت ضريبة القسم السابع ١٤٫٥ قيراطا ونصفا من الذهب المينا لحساب ضريبة. وفى خطاب كان فيه الجابى رجلا عربيا يدعى يزيد بن عبد الرحمن أرسل الى شخص يدعى سيفريوس ليبلغه بما عليه من الضرائب للسنة العاشرة ويعود الخطاب بتاريخه الى القرن الثامن. وايصال آخر ليزيد ابن عبد الرحمن شبيه بالسابق الى سيفريوس وجولد سميث يعين الأشخاص الذين عليهم الضرائب وكذلك دفع أبو سيفريوس نصف صولد فى القسم السابع باسم الخدمة البحرية ومن مجموع تلك الايصالات يتضح أن العرب استعملوا

دفعه مضى إليها، فعمل مبغض الخير الشيطان ان يثير عليه ملأ [الناس] وقال : هذا الشيخ [إلى متى] يقاومنى وبينى البيع والتذكارات ، انا أيضا اجعل اجرته ان تكون نكده. كان فى ذلك الزمان وال باغض المسيح رمى الشيطان فى قلبه ان يهدم بعض بيع مصر لكن الرب محب البشر انتقم منه سريعا ومات موته سو سرعه وولى مكانه بعده انسان محب للنصارى، فتقدم لهم بتنظيف بيعهم

الصولد فى معاملاتهم فلقد ظلت النقود البيزنطية مستعملة مع اضافات عربية عليها الى عهد عبد الملك بن مروان والملاحظ أن غالبية ايصالات تلك الفترة كانت باللغة القبطية.

أما بالنسبة لنظام الجباية فقد احتفظ العرب بالجباة السابقين ويذكر يوحنا النقيوسى أن بعض الموظفين البيزنطيين الملكانيين بقوا عند الفتح واعتنقوا الاسلام فولاهم العرب اداراتهم السابقة، فابقوا على شخص اسمه ميناس وولوه حكم مصر السفلى، وشنودة تولى الريف، وفيليوخوليوس حكم اركاديا والفيوم، وكان هؤلاء أشد الموظفين سوءا وقسوة تجاه المصريين، ومع ذلك فان الجباة المحليين لم يكونوا بالأفضل حالا وظل الجباة الأقباط الى عام ٨٧هـ. وطريقة الجباية تختلف كثيرا عما كان مألوفا فى العصر البيزنطى. ففى رسالة من حاكم الكورة ويدعى الباجارك الى عدد من رؤساء القرى يتضح أسلوب وطريقة الجباية آنذاك (من فلاديوس اسبيوس بمشيئة الله الباجارك بواسطة زكريا ابنه الى عدد من رؤساء القرى المذكورة فى القائمة التى أعطيتها لأخى أبو يوسف، فوالدى كما تعلمون اهتم بأمر المحصول والضريبة العينية وأثمان البيع ومحصول البذور وعليكم بجمعها وارسالها الى، وأنا جعلته مسئولا عن قراكم وعليكم اختيار كتاب أو مسجلين وجعلهم مسئولين عن نصيب كل قرية، وهم مسئولون كذلك عن عدم ترك أى كيلة أو أى مقدار من المحصول لأى رجل قبل أن يدفع

التى كان الاول قد شرع فى هدمها، لكنه لم يامرهم بان يبنوها.

وكان البطرك بمصر قد قضى جميع حوايجه وعول على العوده الى اسكندريه، وكان عيد السيد(*) [فى] تمنيه وعشرين يوما من كيهاك فطلب إليه الأساقفه والشعب ان يقدس لهم ويقربهم قبل مفارقته لهم. وكانت هذه النبوه منهم ان ياخذو السراير المقدسه من يده قبل خروجه من

(*) تحتفل به الكنيسة المصرية فى التاسع والعشرين من كيهك وهو عيد الميلاد المجيد.

ضريبة المحصول وبذور المحصول والضرائب المالية والضرائب العامة ومن يتأخر سيعطى الفرصة ضده. وسأجعله مسئولا عن أى مزارع فى القرية يبيع محصوله أو أى سلة من التبن الا بموافقة كتابية منى أو من والدى، وعليكم ارسال المخالف لكى يعرف نتيجة عدم طاعته وفى النهاية يطلب ٢ من الكتبة ليساعداه فى جمع محصول قريتين.

وكما هو واضح من الخطاب فان الباجارك أو حاكم الإقليم كان يعين رؤساء القرى الذين يعينون بدورهم كتابا وجباة لجمع المحاصيل والضرائب، وهؤلاء تقع عليهم مسئولية الضرائب كاملة. وكان فشل رؤساء القرى فى الجبايات يعرضهم للعقاب، فمن رسالة من شخص يدعى بارشا الى الأمير فى بابليون يذكر أنه قبض على الرجال وأرسلهم تحت الحراسة الى بابليون مكبلين بالأغلال. وغالبا، كان هؤلاء الأفراد من الجباة لا من الأهالى . وخطاب من محمد ربما كان مسئول الخراج الى فيكتور ذكر فيه أن رؤساء أحدى القرى لم يفوا بالتزاماتهم المالية وخاصة الضرائب النقدية ويطلب تعيين رؤساء أخر يتحملون المسئولية وأن عليه مراقبتهم ومطالبتهم بالضرائب.

ولقد أصبحت الزراعة عبئا حاول التخلص منه أهالى البلاد، ففى بردية عبارة عن رسالة مرسلة الى أحدى الموظفين بواسطة قس طلب الشخص رفع عبء الحقول التى عليه وتسليمها لأخرين يتحملون عنه أعباء الضرائب، ويتعهد الشخص المرسل اليه الخطاب بمعاونته فى

هذا العالم، فلما دخل البيعه نظرها بغير سقف فتنهد فقال: ياربى والاهى يسوع المسيح انت قلت لبطرس ريس التلاميذ اننى ابنى بيعتى على الصخره ولا تقهرها ابواب الجحيم، وان كان قد ظلمها بعض الملوك المنافقين يسيرا بكلمتك يارب لا تبطل إلى الأبد، وقد طرحت الملوك الطاغيه مثل ديقلاديانوس ويوليانوس من يشبههما واما البيعه فهي ترتفع فى كل زمان، وقضى الايمان يا سيد انا

السداد ان عجز عن ذلك. وكان الجباة حريصين على ألا يفلت أحد من الجباية لأن العبء كان يقع عليهم، فقد توفى شخص اسمه ميناس وترك نساء وريثات له فكتب مسئول الخراج يطلب تقييدهن فى السجلات لفرض الضرائب عليهن ويأمر بأن يكون متيقظا لأمور الجباية فانه لن يتغاضى عن أى نقص فى السجلات وينذر بمعاقبته، ويبلغه أنه لن يضع عصابة على عينيه فلا يتهاون فيما يجب أن يدفع، ويذكر أن على الجباة ألا يحددوا للشخص ما يدفعه قبل أن تأتى الكشوف من ديوان الكورة، فالشدة كانت الطابع المميز فى الجباية حتى على الجباة أنفسهم، فباجارك يرسل الى أحد مرؤوسيه (أنه أرسل سيرينوس لاكمال الجزية وعينه كمشرف عليه وأن هذا لصالحه ويطلب منه تسليم جباياته ويهدد بأنه سيحقه. وفى رسالة من جابى الى الجهبذ يذكر له أنه نفذ تعليماته كاملة ولم يترك أى ناحية بلا تقدير ولم يضف لتعليمات الوالى أى زيادة أو نقصان.

وصيغة التهديد نفسها تتردد فى رسائل لقرة بن شريك والى مصر الى الباجارك باسيل فى كوم أشقوة ٧١٠م / ٩٠هـ يتهمه بالتقصير لتأخيره الخراج ويتوعده هو وعماله، ومع ذلك استمر باسيل فى التأخير، فعاد قرة يكرر له بأن الوقت حان لاعطيات الجند وأبنائهم ويطلب سرعة جمع المال (فان أهل الأرض قد حملوا منذ أشهر ثم عجل الى ما اكتمل عندك من

اطلب اليك وارغب ان تجددها بالنعمه وتضع كلمن يقاومها من الملوك المنافقين وتريهم ضعفهم سريعا وتبطل مؤامراتهم وتنعم على بسلطان طالب الحق يامر بعمارة البيع واعادتها إلى ما كانت عليه من الزينه والفخر باشراق نورك فيها . وفيما هو يصلى بهذا ومثله سمع صوتا يقول مثل داود المغبوط: أما انت فاخذك الى أريحك من تعب هذا الزمان والذى يجي بعدك هو الذى يبنى البيع

المال أولا بأول)[1] ثم يعود لتذكرته بأمر الخراج (ولعمرى حان الأجل منذ أكثر من شهرين وقد كتبت اليك قبل كتبى هذا آمرك أن تجعل الينا بما قد جمعت من جزية كورتك وأردت أن أرفق بهم وأتجاوز عنهم بما قد قبضت منهم على النحو الذى كانوا يؤدون فى بيت المال كل سنة) فهو يطلب العدالة فى الجباية ويطلب دخل الدولة بلا تأخير وهما أمران من الصعب تحقيقهما معا مع هروب الفلاحين وترك الأرض بورا.

وأمام هذا الضغط من الولاة كان على الجباة أن يفوا بالتزاماتهم كاملة خوفا من تعرضهم للعقاب فتعسفوا مع الأهالى، وفى بردية عربية وهى أمر من أحد الجباة الى شخص تأخر فى دفع ضرائبه فى مدينة انصنا (استحضر لنا من مدينة أنصنا بقطر الطحان ومر العمال بأحضارة واستحضر الينا أسرته أجمعين واستحضر أباه وابنه واستعجل احضاره ان شاء الله) وهكذا كان احتجاز اسر المصريين حتى يتموا سداد ما قرر عليهم من الأموال، وكانت الاسرة خلال فترة الاحتجار (التى كانت تمتد أحياناً حتى تتم دورة المحصول الجديد ويكون وافيا دون أن يأتى فيضان النيل منخفضا الخ..) تكلف بأعمال السخرة والخدمة عند الغزاة الفاتحين العرب. وفى كتاب آخر «لأبى على حسن ابقاه الله عافانا الله واياك لا تضع كتابى فى يدك حتى

---

(١) جروهمان : جـ٣ ص ١٤٩.

ويجـددها . فلمـا سـمع هذا بدا بالقـداس، فلمـا اكـمل الخـدمه ناول الشعـب من السراير المقدسـه واعطاهـم السـلام وعـادو الاسـاقفـه الى كـراسيـهم، فـحينذ توعك ابونا انبـا يوحنا ولحـقـه ضربان فى راسـه، وكـانو الابا الاسـاقفـه يريدون بلوغـه مـراده وطيبـة قلبـه ويقـولون له: يا ابانا لا يضـيق صـدرك بسـبب خـراب البيعه، الرب يقيـم لهـا من يعمـرها اجود ما كانت بصلواتك وقدسك، وهو لا يصغى

تركب الى شنشور (فى المنوفيـة) وتخرج الأقبـاط حتى تنفق الى مائة أردب قمحـا وابعث به ساعة يأتيك كتابى» وأمر آخر من ضابط الى مرؤوسيـه فى رمجوس (فى الأشمونيين) يطلب التنكيل بشخص لم يدفع ما عليه من أعباء. وفى خطاب من قرة بن شريك الى با سيل ذكر أن الوليد بن العباد صاحب البريد أخبره أنه فرضت غرامة على قرية بسبب تأخيرها فى دفع الجزية.

ولقد ارتفعت شكوى الجباة من خلال البرديات من هروب الفلاحين وتعذرهم فى الدفع ففى بردية حسابات اشارة الى بنود غير مدفوعة أو الى احالة منقولة من قسم إلى القسم الذى يليه. وفى أمر من القرن الثامن الميلادى من الباجارك فلافيوس الى رؤساء القرى والقسس فى الكنائس يطالبهـم بمزارعين لتولى وظائف محلية صغرى بسبب فرار العمـال. ويشكو أحد المستأجرين من المالك الذى يبدو أنه عربى، ويصفـه بالرجل العظيم، ويذكر أن لديه وثيقة بايجار حقل يتبع هذا الشخص، ويرغب فى مقابلة المالك بشأنه ويبدو أن المالك العربى اتفق معه فى أول الأمر على زراعتها ثم ترك الأرض فلم يتول هو زراعتها ولم يتركها للرجل. (أنه دفع لجميع الرجال أجرهم الا أنا واذا كان يريد أن ابذر الحقول فليعطنى وثيقة واذا لم يرغب فليتسلمها منى). لأنه فى هذه الحالة كان على المزارع أن يدفع ضرائب الأرض، وقام بعض الملاك العرب بالتهرب من دفع الضرائب ومقاومة الحكومة كامرأة تدعى رضا رفضت أن تدفع

لقـولهم لن [لأن] قلبـه اشـتغل بما سـمعـه من الصـوت وانه خارج من هذا العالم . وكـان يطلب إلى الاسـاقـفـة ويقـول لهم خـدونى الى مـدينتى [حيث] الموضع الذى اختاره الرب لى لكى اسجد للرب على كرسى ابى مرقس الانجيلى قبل خروج روحى من جسدى.

فـسمعو منه وحملوه إلى مركب، وكـان معه

خراج أراضيها وأثارت المشاكل مع الجباة وأدى هذا بالجباة الى أن يصحبوا معهم جندا محليين وهو أشبه بنظام البوكلارى الذى كان ملحقا بالضياع الكبرى فى بيزنطة، لقد تم تطبيق هذا النظام فى عام ٩٠هـ فمن رساله لقرة بن شريك (أما بعد فان ناسا من الجند ذكروا الى كتبة من قريتهم كانت تجرى عليهم منذ أربعين سنة ولم نجد شيئا من الكتب فلا أدرى ما صدق ذلك من كذبه فاذا جاءك كتبى هذا فلا تقدم فى كورتك الا سألت أهلها عما فى قريتهم من تلك الكتبة ولمن هى فاذا علمت ما فى كل قرية منها فارفع الى كتابا بما وجدت)[1] ويبـدو أن هؤلاء الجند أعانوا السلطات المحلية فى كل قرية فى شكل قوة شرطة للمحافظة على الأمن وجباية الضرائب.

ومن المعروف أن الجباة فى عهد عبد الملك أصبح غالبيتهم من المسلمين ففى شكوى متأخرة نسبيا ١٣٧ هـ اشتكى أهالى طحا من عمرو بن عطاس جامع الضرائب ومعاونيه فقام أمير الكورة بتشكيل مجلس من الرؤساء المحليين نوقشت فيه الشكوى والتى ثبت كذبها بالطبع ولا نعلم هل كان هذا اجراء متبعا فى الفترة السابقة أم لا.

والمشكلة الأساسية التى بدأت تتضح هى هروب الفلاحين، فالى جانب الضرائب التى عليهم كانت هناك الأراضى البور التى تضاف إلى أرض البعض ويتحمل ما عليها من ضرائب

(١) جروهمان: جـ٣ ص ١٥٠.

الاساقفه ميخايل اسقف مصر وجرجه اسقف منف.

وفى يوم انحدارهم من مصر ولى على مصر وال جديد اسمه الليث بن الفضل(*) وكان انسانا خيرا محبا للنصارى ، فلما انحدرنا بدا البطرك ان يخاطبنا وهو فى المركب ويقول: قد حضر فكر على قلبى أقوله لكم لجل قدسكم واظهر لكم ما خفى عنكم، قد علمتم ما لقيت من التعب

(*) ولى مصر من قبل الرشيد على صلاتها وخراجها بدلاً عن إسماعيل بن عيسى فى حوالى ٢٠ نوفمبر ٧٩٨م = ٥ شوال ١٨٢هـ . انظر الهامش السفلى ص٤٥٥ .

وذكرت بعض البرديات أنه كان يطلب منهم زراعتها قطانى (بقول) وتعفى لفترة من الضريبة ولكن المتبع أن القرية تتحمل ضرائب من ترك أرضه بل وما يسرقه اللصوص وغيرهم من المحصول. وفى احصاءات عربية ذكر لأراض خراب. أما بالنسبة للسخرة فكانت فى أعمال الجسور. وفى رسالة من رئيس قرية الى شخص مسئول يذكر أنه أحضر ٢٠ عاملا للعمل فى القنوات.

ولقد حاول العرب الحد من هروب الفلاحين وتركهم الأرض بأن منعوا المزارعين من مغادرة مواطنهم الا بتصريح، فالمواطن اذا أراد أن يتجه الى مكان ليقيم فيه ردحا من الزمن لم يكن ملزما فقط بالحصول على تصريح من المدينة أو المنطقة التى يتبعها، بل كان ملزما بافادة الموظف المحلى بمحل اقامته الجديد فالمزاعون كان عليهم دفع ضرائبهم فى أماكن تسجيلهم وأقاليمهم التى نشأوا بها، وفى البداية كان يسمح بالجباية فى الكورة التى انتقل اليها الشخص حيث تحول الاتصالات الى مكان تواجده الجديد ولكن الدولة منعت هذا التصرف، ثم أعادته ثانية قبل نهاية العصر الأموى.

ولقد أجبر المزارعون على التواجد فى أماكن زراعتهم وظهرت عقود ضمانة تتضمن التعهد باستمرار العامل فى عمله فى الأرض، ويبدو أن تطبيق هذا النظام بدأ منذ عهد عبد العزيز بن مروان فى خلافة عبد الملك بن مروان. وفى بردية تعود لعام سبعمائة وأربعة وعشرين من

وصبرى الى سفك الدم، والان فانا منتقل الى حيث ابابي فقد طلبت إلى الله ان لا يخرجنى بغته بغير ثمره بل يبقينى سنه واحده ويعطينى بان اعود اليه بكل قلبى واتوب وابكى على خطيتى ويرينى سلطانا عادلا بارض مصر يحب النصارى ولم يمنعنى الله من هذا وانعم على بالحياه إلى سنه واخرها هذه الايام، وقد بلغنى ان واليا قد ولى مصر وانه يفعل مع البيع والاخوه كل جيد وانا

الميلاد، يطلب رئيس دير من الأقصر السماح للرهبان بترك مدينتهم والذهاب للفسطاط لمدة ثلاثة أشهر حددها، وتعهد رئيس الدير بضمان عودتهم. ومع ذلك اشتدت حركة هروب الفلاحين وخاصة في عهد عبد الملك بن مروان بعد زيادته الخراج رغم انخفاض النيل ٧٨هـ.

وبدأ الولاة فى احصاء كل الغرباء عن كل قرية والعودة الى قوائم التعداد القديمة لترحيل كل من يثبت أنه وافد حديث. بل فى احدى البرديات طلب الوالى ترحيل كل من أقام أقل من خمسة عشر عاما فى الاقليم، والوالى الذى لم تذكر البردية اسمه فغالبا هو قرة بن شريك فالأمر يخص كوم اشقوه فيأمر الوالى الباجارك حاكم الأقليم بأن أهالى الفيوم واهناسيا واشمون وقوص الذين لديه فى قريته يجب القبض عليهم وارسالهم اليه وعليه أن يكتب أسماءهم فبعضهم هرب من أقليمه من خمسة عشر عاما، ويطلب مراجعة القوائم وتسليم هؤلاء الأشخاص لحامل الخطاب هم وزوجاتهم وأبنائهم وممتلكاتهم، مع ذكر بلدهم الأصلية.

وكان هروب المزارعين يعرضهم للعقاب والغرامة ففى خطاب من قرة لحاكم اشقوه.:

«لقد أرسلت الىّ بالنبطى البو الذى فر بالأربعة الدينر (الدينار) وثلث الدينر غرمته»(١). وفى خطاب أخر الى باسيل «حاكم الكورة» يطلب منه عدم السماح بايواء جالية (ذميون)

(١) جروهمان : جـ٣ ص ١٥٢.

مـاض الى الله ولا تنظرونى بعـد فى الجـسـد لن [لأن] زمـانى قد اقـترب هذا الذى اعلمت به من الله فـاسمعوا الان إذا أنا مت اسرعو واجلسو من يختاره الله على الكرسى.

فلما سـمعـا الابوان الاسـقـفـان هذا تيـقنا مـوته فتنهـدا ولم يقـدرا ان يصبـرا من كثرة البكا لقوله: انكم لا تشـاهدونى بعد فى الجسد. فقالا له: يا ابانا لما اظهـر الله خروجك من هذا العالم من اعلمك

لديه وفى رسالة موجهة من مرقص لشخص يدعوه بالدوق والمقصود حاكم الكورة، أن فلاحا هرب ومعه نيـران لثور يخصـان الدوق ويطلب شخصـاً ليـذهب لمكان الفـلاح أخنوخ الذى أخذ النيـر ويذكـر أن الفـلاح لا يريد العـودة والعمل ، وهذا أدى بالحكام العرب الى أن تأخـذ ضمانات على بقاء الفلاح فى أرضه ووفائه بالإيجار والخراج، ولقد أصبح هذا التقليد شائعا، ولدينا عدد كبير من الوثائق بالعربية والقبطية تشتمل كلها على ضمانات، ففى بردية يتعهد اسحق بن ابراهيم وبقطر الحارس بضمانة مزارع ويتعهد بأنه فى حالة هروبه يدفع ٢٠ دينارا. وفى خطاب الوالى الى موظفيه يطلب اطلاق سراح شخص لأن أبو الرازى ضمن ما عليه من مال.

وضمانه أخرى فى احدى البرديات القبطية معنونة الى موظف كبير حيث يضمن أبو الياس عمل شخص فى الحقل مدة خمسة أشهر.

وأحيانا يتعهد الضامن بالعمل فى الحقل فى حالة فرار الفلاح الذى يضمنه فيثودور يضمن لآخر عمل فلاح ويتعهد أن يحل محله فى احضاره، وضمانة مرفوعة للأمير بأسماء فلاحين يتعهد الضامن بوجودهم فى حقولهم، وضمن عاصر عنب شخصاً آخر فى زراعته. وأحيانا يضمن البعض الخراج والضرائب لآخرين (عافاكم الله ورحمكم فان وقاد بن عبد الله قد ضمن لنا ما يلزم بالمال مولى اسماعيل أخو وقاد من الخراج والضرائب والنوائب فى السنة

به انه يجلس على الكرسى بعدك: فقال لهما الذى قد حرسه الله الى الان وسر به ان يرعى شعبه واردت انا ان اجعله اسقفا وكان تدبير الله ان يحفظه لهذه الخدمه وهو ولدى القس مرقس. قال هذا وهم منحدرون فى المركب، فلما وصل إلى مدينة اسكندريه ثقل عليه المرض والورسكين [الحمى].

وهذا عجب آخر اظهره الله لابيناالقديس انبا

كلها فخلوا بينه جزاء ما رفع عليه) فالفلاح لم يحظر عليه ترك اقليمه فقط بل منع فى أحيان كثيرة من ترك الأرض الى أن يسدد ما عليه، وقد امتدت الضمانة الى الوظائف فهناك ضمانة لموظف مدنى، وضمان من اثنين من الموظفين لحضور شخص. ومع ذلك فان الفرار من القرية قد استمر.

وفى بردية بتاريخ ٧٣٢م/ ١١٣هـ ذكر شخص فى كورة الأشمونيين يقيم فى الفسطاط أرسل اليه عامل الأشمونيين يبلغه بقيمة ضريبته (١) ، وفى بردية أخرى من قرية البسكلون بالمنيا وتعود الى ١١٢ هـ ذكر لشخص من أعلى أشمون سمح له بالعمل فى أسفل أشمون لوفاء جزيته والتماس معيشته لمدة شهرين(٢) وسمح لآخر بالعمل لوفاء جزيته ومعيشته لمدة خمسة أشهر فى مستهل شعبان سنة ثلاث ومائة الى السلخ من ذى الحجة فى سنة.. فمن لقيه بعد الأجل الذى أجلته فليعده الى مدينته.

ولقد استمرت الدولة خلال القرنين الثانى والثالث فى حصر الأشخاص غير المقيمين فى أقاليمهم، فالمزارع أصبح مربوطا باقليمه وزراعته وربما كان هذا أحد الأسباب الرئيسية لثورات القبط خلال هذه الفترة. وأدى هذا بدوره الى اضطراب الأمور فى القرى ففى

---

(١) جروهمان: جـ٣ ص ١٧٤.   (٢) جروهمان: جـ٣ ص ١٧٥.

يوحنا لا تجب الغـفله عنه، لما كـان فى اليـوم السـادس عـشـر من شـهـر طوبه عـيـد القـديس فـيـلاتاوس(*) الشهـيد وهو يوم ولد فيـه هذا الأب كمـا ذكر الجمع وهو اليوم الذى وسم فيه بطركا وفى هذا اليوم بعينه اسلم نفسه للرب.

(*) يذكر عنه السنكسار أنه ولد فى مـدينة انطاكـيـة، وقـتل على يد دقلديانوس.

والذى اقـامه على الكرسى اربع وعشـرون سنه وكانت وفاته فى سنـة خمس مايه وخمس عشـره

احدى البرديات العربية أوامر بالقبض على أهل الريب والجرائم ومنع بقاء أحد بالقرية غير أهلها.

وقد قام فى مصر فى العصر العباسى نظام آخر لجباية الضرائب وهو نظام قبالات [١] الأراضى، ويشبه نظام الالتزام، الذى وجد فى العهد الرومانى، فيقول المقريزى [٢]: «وكان من خبر أراضى مصر، بعد نزول العرب بأريافها واستيطانهم وأهاليهم فيها واتخاذهم الزرع معاشا وكسبا وانقياد جمهور القبط إلى إظهار الإسلام واختلاط أنسابهم بأنساب المسلمين لنكاحهم المسلمات، أن متولى خراج مصر كان يجلس فى جامع عمرو بن العاص من الفسطاط فى الوقت الذى تهيأ فيه قبالة الأراضى وقد اجتمع الناس من القرى والمدن فيقوم رجل ينادى على البلاد صفقات صفقات وكتاب الخراج بين يدى متولى الخراج يكتبون ما ينتهى إليه مبالغ الكور والصفقات على من يتقبلها من الناس، وكانت البلاد يتقبلها متقبلوها بالأربع سنين لأجل الظمأ والاستبحار وغير ذلك، فإذا انقضى هذا الأمر خرج كل من كان تقبل أرضا وضمنها إلى ناحيته فيتولى زراعتها وإصلاح جسورها وسائر وجوه أعمالها بنفسه وأهله ومن

(١) يذكر دى ساسى أن كلمة قبالة معناها أن أحد الأشخاص يضمن دفع ضريبة معينة أو يلتزم بتنفيذ عهد أو ارتباط. Sur la nature et les Revolutions du droit de propriete territoriale p. 200.

(٢) الخطط جـ١ ص ٨٢.

للشهدا. وعظم حزن الشعب الارتدكسي في ذلك اليوم عليه، ولما كملت عليه الصلوات والقداس جعل جسده المقدس مع ابايه القديسين التاودوسيين، وقبل الرب نفسه الطاهره واعد مع القديسين في كورة الاحيا والمجد للسيد يسوع المسيح ولابيه الرحوم والروح القدس المحيى الان وكل اوان وإلى دهر الدهور امين.

ينتدبه لذلك ويحمل ماعليه من الخراج في إبانه على أقساط ويحسب له من مبلغ قبالته وضمانه لتلكم الأراضي ما ينفقه على عمارة جسورها وسعة ترعها وحفر خلجها بضرابة مقدرة في ديوان الخراج ويتأخر من مبلغ الخراج في كل سنة في جهات الضمان والمتقبلين، يقال لما تأخر من مال الخراج البواقي. وكانت الولاة تشدد في طلب ذلك مرة وتسامح به مرة، فإذا مضى من الزمان ثلاثون سنة حولوا السنة[1] وراكو البلاد[2] كلها وعدلوها تعديلا جديداً فزيد فيما يحتمل الزيادة من غير ضمان البلاد ونقص فيما يحتاج إلى التنقيص فيها ولم يزل ذلك يعمل في جامع عمرو بن العاص إلى أن عمر أحمد بن طولون جامعه وصار العسكر [3] منزلا لأمراء مصر فنقل الديوان إلى جامع أحمد بن طولون».

من الوصف السابق نعرف أنه كان يقوم في جامع عمرو ثم في جامع ابن طولون مزاد لتقبل الأرض أو ضمان خراجها، وكان التقبل لأربع سنوات (حتى تتعادل سنو المحصول

(١) تحويل السنة معناه تحويل السنين القمرية إلى شمسية فإذا جمع الخراج على حسب السنين القمرية فكأننا نجمع الخراج في مدى ٣٢ سنة شمسية ثلاثا وثلاثين مرة وهذا ضد طبيعة الأشياء. وعلى هذا تحذف سنة كل ٣٣ سنة قمرية خراج سنة. وهذا ما يسمى التحويل (خطط المقريزى جـ١ ص ٧٣ De Sacy: Sur la Nature et les Revolutions p. 200.

(٢) الفعل راك والاسم روك. معناها تقويم الأراضي ومسحها .De Sacy: op. cit. p. 200

(٣) في الواقع كانت القطائع هي مقر أمراء الدولة الطولونية منذ أن بناها أحمد ابن طولون لا العسكر.

مرقس البطرك وهو من عدد الابا
التاسع والاربعون
[٧٩٩ / ٨١٩م]
[السيره العشرين من سير البيعه]

ثم عاد الاسقفان الى مصر وهما ابا ميخايل اسقفها وجرجه اسقف منف بسرعه ليقدما امر من يرسم بعده، فلما اجتمعو الاساقفه والشعب الارتدكسي باسكندريه وتشاورو فيمن يقدمونه، فقالو الاساقفه: نحن سمعنا ان ابانا انبا يوحنا ذكر

الضعيف بسنى المحصول الطيب) وكان المتقبل يخصم من المبلغ المطالب بدفعه ما ينفقه في كرى الترع وما الى ذلك . ولسنا نعرف تماما تفصيل علاقة المتقبل مع رجال الإدارة.

وقد ظهرت في العصر العباسي مسألة ضمان الوالي لخراج مصر كله وكان الخليفة أبو جعفر المنصور أول من أراد إدخالها في مصر[1] ونتبين هذا مما ذكره الكندى[2] والمقريزى [3] عن محمد بن الأشعث والى مصر (١٤١ ـ ١٤٣) إذ قالا: «فلما استقر محمد بن الأشعث بها بعث أبو جعفر إلى نوفل بن الفرات أن أعرض على محمد بن الأشعث ضمان خراج مصر فإن ضمنه فأشهد عليه وأشخص إلى وإن أبى فاعمل على الخراج، فعرض عليه ذلك فأبى» أى أن الخليفة أراد أن يجعل الوالي يلتزم بدفع مبلغ معين عن القطر كله. ويبعد أن يرفض أى شخص أن يلى خراج مصر، ولكن من المعقول أن يرفض ضمان خراجها مثلما فعل محمد بن الأشعث، وذلك خشية العجز عن القيام بما التزم به نظراً لاضطراب أمور البلاد في كثير من الأحيان، أو لاحتياجه إلى المال للنفقة على الإدارة وعلى الجند.

---

(1) Zaky M. Hassan: Les Tulunides pp. 243 - 244

(٢) الولاة والقضاة ص ١٠٩.
(٣) الخطط جـ١ ص ٣٠٦.

اسم القس مرقس انه الذى يجلس بعده. فقالو جمع الكهنه من فم واحد: هو مستحق بالحقيقه هذا الطقس، هذا القديس الذى ارضى روح القدس وارضى روح ابينا الطوبانى يوحنا مدة مقامه معه فى جميع ايامه. ثم ان جميع الاساقفه والكهنه كتبو كتبا الى انبا ميخايل اسقف مصر يقولون: ابوتك تعلم ما جرى علينا من اليتم فى مضى ابينا الطوبانى ابا يوحنا الى الرب فى هذا الزمان الصعب وتقلب الملوك، وابوتك تعلم ان

وكانت الضرائب بعد الغزو ـ إذا استثنينا الضرائب غير العادية ـ تجبى كل سنة قمرية. وكان المصريون قبل الغزو يعتمدون فى الزراعة والحصاد وجباية الخراج على السنين الشمسية والشهور القبطية. وقد اضطر العرب إلى تحويل السنة الخراجية القبطية إلى السنة الهلالية العربية، فكانوا يسقطون سنة عند رأس كل اثنين وثلاثين سنة قمرية، وسموا ذلك الازدلاق لأن لكل ثلاث وثلاثين سنة قمرية اثنين وثلاثين سنة شمسية بالتقريب[١].

وكان الأهالى الذين يقومون بدفع ما عليهم من الضرائب يتسلمون إيصالات عرفت فى أوراق البردى العربية باسم براءة[٢]وكان جابى الضريبة العينية ينتخبه السكان ويسمى القبال[٣]ونسمع عن قبال قرية فى ورقة بردية كتبت سنة ١٣٤هـ[٤].

وكانت الضرا ئب العينية المكونة من الحبوب ترسل إلى أهراء العاصمة[٥] أما الضرائب

(١) انظر المقريزى ـ خطط جـ١ ص ٢٧٠ ـ ٢٧٣.

(2)Grum: Coptic Ostraca. pp; 36 - 37, Grohmann: Arabic papyri vol. III. p. 141 - 142.

(3)Papyri Schott - Reinhardt l. 45.

(4) Grohmann: Arabic Papyri vol. III. p. 102.

(5) Bell: Translations of Greek Papyri (Der Islam II) p. 271 - 381.

قطيع خراف [بغير راع يدخله الديب فيشتته، وكل مدينة] بغير سور العدو يهلكها، ولجل هذا اجتمعنا في البيعه العظمى باسكندريه والابا [ء] الاساقفه فقد كتبنا نقول واحد منا طاب به قلبنا على القس مرقس ان يكون لنا ابا لانا علمنا ان الرب قد اصطفاه وان ابانا الماضى قد اعملكم بهذا قبل نياحته، من اجل ذلك نقول كما قال المغبوط داود: عوض الابا[ء] صارو ابنا [ء] تجعلهم ريسا على جميع الارض.

النقدية فكانت ترسل إلى ديوان الخراج والأموال (١) عن طريق فروعه فى الأقاليم، وكان يشرف على كل فرع من فروع المالية فى الأقاليم موظف يسمى الجسطال(٢).

ويظهرن أنه كانت ما تزال تتبع فى مصر فى ذلك العصر وسائل الشدة لجباية الخراج. ونعرف أن الليث بن الفضل والى مصر خرج الى الخليفة الرشيد فى سنة ١٨٧هـ وسأله أن يبعث معه بالجيوش لأنه لا يستطيع استخراج الخراج من أهل الحوف إلا بجيش(٣).

كذلك تبين ورقة بردية عربية من القرن الثالث الهجرى مدى الشدة التى كانت تتبع فى جباية الأموال، ففيها أمر بأنه إذا لم يؤد كل فرد ما عليه من الأموال يضرب عشرة سياط ويغرم فى صلب ماله دينارا(٤).

النقود الاسلامية فى مصر

كان بين البيزنطين وبين الدولة الساسانية معاهدة خاصة بالعملة تقضى بأن يضرب الساسانيون نقوداً من الفضة وبألاّ يتخذوا عملة ذهبية سوى العملة الرومية، ولهذا كانت عملة

---

(١) ديوان الخراج والأموال بمثابة وزارة المالية وقد وجد العرب فى مصر ذلك الديوان فأبقوه على حاله حتى أنه كان يكتب باليونانية والقبطية إلى أن أمر عبد الله ابن عبد الملك بتعريب هذا الديوان سنة ٨٧هـ.

(٢) Becker: Neue Arabische Papyri. p. 353; Grohmann . op. cit vol. lll p. 17.

(٣) الكندى: ص ١٤٠ ومتز جـ١ ص ٢٢١ ـ ٢٢٢.

(4)Grohmann. Arabic Papyri vol. lll. p. 104.

وأنفذو الكتب مع بعض الاساقفه وارشيد ياقن المدينه، فلما اتصل بالقس مرقس خبر الكتب التى كتبت من اجله حزن جدا ونهض للوقت وهرب إلى دير ابى مقار بوادى هبيب. وكانت البريه(*) ذلك الزمان مثل فردوس الله فيها قوم قديسون روحانيون منهم من تنبا على هذا القديس انه مستحق لهذه الخدمة كما ذكرنا انفا. فلما وقف الاب انبا ميخايل اسقف مصر على الكتب ذكر كلام معلمه ابا يوحنا البطرك المنتيح فاحضر

(*) برية وادى النطرون.

بلاد الفرس الجارية هى الدراهم الفضية، بينما شاعت العملة الذهبية فى البلاد التى كانت تحت حكم الرومان من قبل [١].

وكان العرب فى الجاهلية يتعاملون بالدراهم الفارسية وكانت من الفضة، والدنانير البيزنطية وكانت من الذهب. وتذكر بعض المراجع أن أول من ضرب النقود من الخلفاء هو عبد الملك بن مروان [٢]، على أن المقريزى [٣]ذكر أن عمر بن الخطاب أقر النقود على حالها إلا أنه فى سنة ١٨هـ ضرب الدراهم على نقش الفارسية وشكلها غير أنه زاد فى بعضها «الحمد لله» وفى بعضها «محمد رسول الله» وفى بعضها «لا إله إلا الله وحده» ولما بويع عثمان بن عفان بالخلافة ضرب دراهم ونقش عليها «الله أكبر» [٤].

و قد سلك معاوية فى خلافته أيضاً دراهم ودنانير [٥]. ولما قام عبد الله ابن الزبير بمكة ضرب دراهم مدورة ، ويقال إنه أول من ضرب الدراهم المستديرة كذلك ضرب أخوه مصعب

(١) آدم متز: الحضارة الإسلامية جـ٢ ص ٣١٦.
(٢) الماوردى: الأحكام السلطانية ص ١٤٨ والقلقشندى: صبح الأعشى جـ١ ص ٤٢٤ وأبو المحاسن: النجوم جـ١ ص ١٧٦.
(٣) المقريزى : النقود الاسلامية ص ٤ – ٥ والمقريزى: إغاثة الأمة ص ٥١ – ٥٢
(٤) المقريزى : النقود الاسلامية ص ٥ وإغاثة الأمة ص ٥٢.
(٥) المقريزى : النقود ص ٥٠ وإغاثة الأمة ص ٥٢ – ٥٣.

جميع الريسا بمصر ومضو الى الوالى ودخلو اليه الاساقفه انبا ميخايل والرسل ولم يمكن غيرهم من الدخول فقال لهم: ما حاجتكم؟ فقال له انبا ميخايل : نحن نعلم رياستك لاجل ان أبانا الشيخ ابا المذهب الذى كان لنا قد توفى. فقال لهم : فما تريدون؟ فقالو له ا لله يديم ايامك ، وعلى اواسى البيعه خراج كتير ومال، ولاجل ذلك أردنا ان نقيم اخر عوضه يدبر البيعه والشعب . فقال الوالى: فما اسمه؟ قالو له: مرقس. فامر بكتب اسمه فى

بن الزبير دراهم بالعراق، فلما قدم الحجاج بن يوسف العراق من قبل أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان أبطل تلك العملة وقال: «ما نبقى من سنة الفاسق أو المنافق شيئا[١]»

غير أن هذه النقود التى سكها خلفاء الدولة الإسلامية وأمراؤها لم تثبت على وزن واحد بل، كانت متغيرة الأوزان [٢] كذلك كان العرب يتعاملون بالنقود الأجنبية جنباً إلى جنب مع النقود الإسلامية، إلى أن ولى عبد الملك ابن مروان الخلافة وتمهدت له الأمور فى الدولة بعد القضاء على منافسيه والخارجين عليه، فأراد أن يصلح النقود ويوحدها فى جميع المملكة الإسلامية ويستغنى عن النقود الأجنبية[٣].

---

(١) المقريزى . النقود ص ٥ ـ ٦ وإغاثة الأمة ص٥٣.

(٢) انظر المقريزى: النقود ص ٤ ـ ٦ وإغاثة الأمة ص ٥١ ـ ٥٣ De Sacy: Traite des monnaies Musulmanes pp. 17 - 19 والأب انستاس الكرملى: النقود العربية وعلم النميات ص ٢٧ – ٣٣

(٣) روى المؤرخون أن السبب الذى حدا بعبد الملك إلى هذا هو أن القراطيس كانت تدخل بلاد الروم من أرض مصر ويأتى العرب من قبل الروم بالدنانير فكان عبد الملك بن مروان أول من أحدث الكتاب الذى يكتب فى رؤوس الطوامير من (قل هو الله أحد) وغيرها من ذكر الله. فكتب إليه ملك الروم إنكم أحدثتم فى قراطيسكم كتابا نكرهه، فإن تركتموه وإلا أتاكم فى الدنانير من ذكر نبيكم ما تكرهونه. قال فكبر ذلك فى صدر عبد الملك وكره أن يدع سنة حسنة سنها فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية فاستشاره فى ذلك فلم يكن منه إلا أن قال. حرم دنانيرهم فلا يتعامل بها واضرب للناس سكا ولاتعف هؤلاء الكفرة مما كرهوا فى الطوامير. فقال عبد الملك: فرجتها عنى فرج الله عنك، وضرب الدنانير (البلاذرى. فتوح البلدان ص ٢٤٠ المقريزى: النقود ص ٦ وأبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ١ ص ١٧٦ ـ ١٧٧).

الديوان ثم اذن لهم فى اقامته عوض انبا يوحنا وخرجو من عنده.

ثم بلغ الاسقف انبا ميخايل هروب القس مرقس، كان انبا ميخايل الاسقف متولى ما يتعلق بالديارات فانفذ للوقت الاساقفه والكهنه وامرهم ان يقيدوه ويمضو به الى اسكندريه ففعلو به ذلك فى اليوم التانى من امشير يوم عيد(*) الاب لنجينوس، وكان يوم وصوله الى اسكندريه، وكان

(*) الاب لنجينوس رئيس دير الزجاج بالاسكندرية، ويذكر السنكسار ان الانبا بولا أول =

ولذا نرى عبد الملك يضرب الدنانير والدراهم في سنة ٦٧هـ بعد تعديل فى أوزانها. وقد أرسل إلى الأمصار الإسلامية كلها لتضرب نقودها بمقتضى السكة التى ضربها عبد الملك(١). وربما حمل المؤرخين على القول بأن عبدالملك بن مروان أول من ضرب النقود فى الإسلام كونه نظم سك النقود وجعلها وزنا واحداً وجعلها تسرى فى جميع أنحاء المملكة الإسلامية، لأننا رأينا أنه ضربت نقود فعلا قبل عبد الملك. وكان الخلفاء من بعد عبد الملك يضربون سكة على وزن سكته وأحيانا يغيرون فى أوزانها. ولما انتهت الدولة الأموية سنة ١٣٢هـ صار الخلفاء العباسيون يضربون سكا أيضا.

* * *

تدل قطع «الاستراكا» (٢) على أن المعاملات بين الأهالى فى مصر قبل الفتح كان أساسها العملة الذهبية المعروفة بالدينار tremision, solidus denarius (٣)، أى أن مصر كانت تتبع قاعدة الذهب (٤). ويذهب علماء الاقتصاد السياسي إلى القول بأن نظام المعدن الفردى

(١) انظر: المقريزى: شذور العقود ص ٦ ــ ٨ والأب انستاس الكرملى النقود العربيه ص ٣٤ ــ ٣٩.

(٢) قطع من الفخار والأحجار، كتبت عليها بعض الشعوب، ولا سيما الاغريق والفراعنة والقبط، واستنبط منها علماء الآثار كثيرا من الحقائق التاريخية.

(3) Crum: Coptie Ostraca. pp. 23. 45. 78. 79. 80.

(٤) إذا كان أساس النظام النقدى في الدولة الذهب يقال إنها تتبع قاعدة الذهب gold standard (الدكتور عبد ا لحكيم الرفاعي. الاقتصاد السياسي جـ١ ص ٤٧٩).

مع الأساقفه ابا جرجه اسقف منف واوسم في اليوم المذكور بمدينة اسكندريه، فلما جلس على الكرسي الانجيلى وجميع الشعب يشهدون له بالاستحقاق فقرا عليهم الاكساكسيس الذى يسمى عند الارتدكسيين اللوغس وذكر فيه انه عارف باعمالهم وهذا اللوغس ممتلى من نعمة روح القدس مقالات الارتدكسيين، وأظهر فيه سقطة المجمع الخلقدونى والرد عليهم وبين ضلالتهم وانهم عابدون انسانا. ورد على الذين انكرو الام

= السواح توفى فى نفس هذا اليوم سنة ٣٤١ م. وتحتفل بهما الكنيسة المصرية فى ذات اليوم.

الذهبي لا يمنع استعمال نقود أخرى غير الذهب، بخاصة النقود الفضية، ولكن الذهب يكون وحده هو العملة القانونية التى لها قوة إبراء غير محدودة[1]، وتعتبر النقود الأخرى عملة مساعدة[2] ولانجد في الاستراكا سوى إشارة أو اثنتين إلى النقود الفضية فى مصر وتعرف بالدراهم [3]. ويظهر أن النقود الصغيرة التى كانت تستعمل فى مصر إذ ذاك ـ كالقروش وكسورها اليوم ـ كانت العملة البرنزية [4].

ويقول المقريزى [5]: «أما مصر من بين الأمصار فما برح نقدها المنسوب إليه قيم الأعمال وأثمان المبيعات ذهباً فى سائر دولها جاهلية وإسلاما، ويشهد لذلك بالصحة أن خراج مصر فى قديم الدهر وحديثه إنما هو الذهب».

وتؤيد أوراق البردى وقطع الاستراكا ما ذكره المقريزى، إذ تشهد كلها بأن الجزية والضرائب

---

(١) أى تكون أداة للوفاء فإن القانون لا يعترف لغيرها بقوة الإبراء من الديون ـ عبد الحكيم الرفاعي: الاقتصاد السياسي ص ٤٤٨.

(٢) عبد الحكيم الرفاعي: الاقتصاد السياسي ص. ٤٨.

(3)Crum: op. cit. p. 23.

(4)Crum: op. cit. p. 23. 42. 45.

(٥) النقود الإسلامية ص ١١ وإغاثة الأمة ص ٦٢.

المسيح الاهنا الذى قبلها عنا بارادته بالجسد، وهم يقولون أنه خيال . فلما كمل خدمة القداس كالعاده ناول الشعب اجمع من السراير المقدسه بالجسد والدم الطاهر.

فلما تم كل شى وبعد تكريزه بأسبوع كانت جمعة الرفاع فمضى الى الدير المقدس دير الزجاج ليتعكف فيه على الصلوات فى ايام الصيام المقدس، فلما وصل الى هناك وصلت اليه كتب

وايجار لأراضى وأجور العمال وسائر المعاملات كانت تدفع بالدنانير وأقسامها، وتعرف الدنانير فى أوراق البردى اليونانية باسم Solidi(١) ويظهر أن مصر بعد الغزو كان يتعامل فيها بالدنانير الذهبية التى كان يتعامل بها قبل ذلك، ولابد أن النقود الإسلامية قد دخلت فيها بعد الفتح ويذكر Quatremere(٢) وSauvaire(٣) أن الكاتب القبطى بشندى Picendi أسقف قفط الذى عاصر فتح العرب، كتب كتابا إلى أساقفة إمته (و هذا الكتاب محفوظ فى مكتبة باريس) يقول فيه: «إن العرب أخذوا النقود الذهبية المنقوش عليها الصليب المقدس وصورة السيد المسيح ومسحوا الصليب وصورة المسيح وكتبوا محلها اسم نبيهم محمد الذى يتبعون تعاليمه واسم خليفة نبيهم ونقشوا الاسمين معاً على النقود الذهبية».

وربما ظلت النقود الأجنبية فى مصر يتعامل بها جنباً إلى جنب مع النقود الإسلامية حتى إصلاح عبد الملك بن مروان للسكة وتحريمه الدنانير الأجنبية، أى أن السكة فى مصر

---

(1) Crum: Coptic Ostraca. pp. 36 - 37, Bell: (der Islam 11) . pp. 271. 274 etc. Becker: NeueArabische Papyri. pp. 254 _ 267 etc, Grohmann Arabic Papyri vol. 11. pp. 44, 45, 48, ol. lll. pp. 17. 31 48. 141

(2) Memoires geographiques et Historiques sur l'Egypte t. 1, p343.

(3) Materiaux (Journal Asiatique. Septieme Serie T. XIV)pp. 456 - 457.

انبا ميخايل اسقف مصر تشير عليه بالدخول الى مصر بعد عيد الفصح المقدس ليسلم على الوالى. وكان ذلك تدبيرا من الله لان بعض البيع كانت مهدومه إلى ذلك الوقت والشعب حزين لذلك.

فلما تم عيد الفصح دخل الاب البطرك انبا مرقس الى فسطاط مصر ليسلم على الوالى . فلما وصل مصر اعلمو الاب ميخايل الاسقف والشعب بوصوله فخرجو اليه بالاناجيل والصلبان والمجامر

خضعت للسكة الإسلامية، وهذا مظهر من مظاهر التبعية دون شك. ولم تستقل سكة مصر عن السكة المستعملة في الخلافة إلا بعد أن استقلت عنها كما حدث في عهد أحمد بن طولون [1]. وفي ذلك يقول المقريزى [2] «ومع هذا فإن مصر لم تزل منذ فتحت دار إمارة وسكتها إنما هى سكة بنى أمية ثم بنى العباس إلا أن الأمير أبا العباس أحمد ابن طولون ضرب بمصر دنانير عرفت بالأحمدية» .

البحرية

«ساهمت مصر بنصيب وافر في إنشاء الأساطيل الأولى وكان عمرو بنى العاص اول من تنبه إلى قيمة الاساطيل فى الحروب وذلك عندما استخدم الاسطول المصرى وملاحيه من المصريين القبط فى نقل المؤون والعتاد لمساندة حملته على شمال افريقيا بعد احتلاله للأسكندرية تحت قيادة القائد البيزنطى السابق للأسطول فى مصر الذى قبل العيش فى مصر

(1) Stanley Lane - Poole: Catalogue of the Collection of Arabic Coins preserved in the Khedivial Library at Cairo pp. 135 - 6

(٢) النقود الإسلامية ص ١٢.

ولقوه بفرح عظيم وتهليل وقرا[ء]ه وكانو يقولون : نعم وحسن وصولك الينا يامرقس ابن مرقس . فمضى لمنزله ليستريح لانه كان اخر النهار، وبالغداة قام البطرك والاسقف أنبا ميخايل وباقى الاساقفه المجتمعين معهما ليجتمعو بالوالى، فلما وصلو الى داره استاذنو عليه فامر بدخوله ، فلما دخل وسلم على الوالى التقاه ودعا له حتى تعجب الوالى من حلاوة لفظه وكلامه الممتلى نعمه ، ومن النعمه التى هو مشتمل بها فجعل الله فى

والعمل لدى الغزاة الجدد من العرب. كما يذكر ساويرس فى سيرة البطرك بنيامين. فكان المسلمون يقومون بغزواتهم البحرية ضد البيزنطيين من الشام بقيادة معاوية ومن مصر بقيادة عبد الله بن سعد. ولا تنسى أن سكان مصر ولا سيما القبط كان لهم الفضل فى بناء السفن وتزويدها بالجند والجدفين، وتشييد دور الصناعات فى وادى النيل بذلك».

أجل إن مصر اشتهرت منذ البداية بصناعة السفن التى كان يحتاج إليها أسطول العرب، فالعرب عند ظهور الإسلام لم يكونوا شعباً بحرياً (١).

---

(١) ولكن أهل بلاد العرب الجنوبية فى ممالك معين وسبأ وحمير بإقليم اليمن كانوا يشتغلون بنقل التجارة بين مواطن المدنيات القديمة فى الهند ومصر وبلاد الجزيرة والشام بل والصين فيذكر فى بعض المراجع القديمة أن السفن العمانية واليمنية كانت تنقل الحجاج البوذيين من الصين إلى الهند. وكانت سفنهم تمخر عباب البحر الواقع جنوبى شبه جزيرة العرب والذى أصبح ينسب إليهم فيقال بحر العرب أو البحر العربى ـ ومهما يكن من شئ فإن الامبراطورية الاسلامية لم تصبح دولة بحرية بمعنى الكلمة لأن الشعوب التى قامت على أكتافها كالعرب والفرس والترك كانت تتألف فى البداية من قبائل معظمها رحل.

Hans Mzik Beitrage zur historischen Geographie (Leipzig 1929)p. 42.

راجع أيضا مادة «سفينة» فى ملحق دائرة المعارف الإسلامية.

قلبه له رحمه وامره ان يجلس وساواه فى المخاطبه وقال له: قوّ منّبتك وشد ازرك فانى اقضى جميع حوايجك وكلما تريده منى ابلغك اياه. فقال له البطرك: ان الله يرفع سلطانك ويسعد ايامك ويوفق رعيتك ببقاك . وخرج من عنده بسلام.

فلما راو مخاطبة الوالى له واهتمامه بامر البيع قال انبا ميخايل اسقف مصر: الواجب ان نهتم بعمارة البيع فى هذا الوقت لما ظهر من محبة

ولكن عندما اتسعت امبراطوريتهم وشملت شعوبا وأمما بحرية، وعندما اضطروا إلى محاربة شعوب بحرية وعملوا على الاستيلاء على جزائر فى البحار، بدأوا يشعرون بحاجتهم الماسة إلى أسطول يكون عونا لهم فى تحقيق أمانيهم فى مد سلطاتهم وغزو الروم فى عقر دارهم.

لم يكن البحر يركب للغزو في حياة الرسول أو فى خلافة أبى بكر وعمر بن الخطاب، وقيل إن أول من ركب البحر للغزو فى الإسلام العلاء بن الحضرمى وذلك فى خلافة عمر بن الخطاب، إذ ندب أهل البحرين وكان أميراً عليها غزو فارس عن طريق البحر بغير إذن الخليفة فغرقت سفن المسلمين وغضب عمر على العلاء، وأمر بتأمير سعد بن أبى وقاص عليه.

ولما فتح المسلمون الشام ألح معاوية بن أبى سفيان ـ وهو يومئذ على جند دمشق والأردن ـ على الخليفة عمر بن الخطاب فى غزو البحر معللا ذلك بقرب الروم من حمص، ولكن الخليفة لم يوافقه على ذلك لأنه خشى على المسلمين من ركوب البحر وقال فى ذلك : «والذى بعث محمداً بالحق لا أحمل فيه مسلماً أبداً» وسرعان ما غير العرب سياستهم وسعوا الى إنشاء أسطول بحرى للغزو فى البحر على أن يكون جند الاسطول من غير العرب.

الوالى للنصارى. ولما كان بالغداه عاد البطرك الى الوالى فسلم عليه فبجله واكرمه ورفعه واجلسه وخاطبه قايلا: قد قلت لك بالامس انى اقضى جميع حوايجك ولم تطلب منى حاجه والان فمهما كان لك من حاجه فاذكرها فانها مقضيه عندى لمحبتى لك. فقال له البطرك بكلام لين: الرب يحفظ ايامك ويزيد فى رفعتك وسلطانك، تعلم ان لم يولو عبدك على مال ولا خراج بل على الانفس والبيع، وارغب الى جلالتك ان لنا

فغزا المسلمون جزائر عدة مثل قبرص وصقلية ورودس وأرواد وكريت وغيرها من الجزائر بجنود وبحارة من القبط وغير العرب بل إن معاوية بن أبى سفيان غزا مضيق القسطينطينية فى سنة ٣٢هـ [١] ونعرف أن عبد الله بن سعد بن أبى سرح والى مصر من قبل عثمان بن عفان قد قاتل البيزنطيين بحراً فى غزوة ذى الصوارى وانتصر عليهم بالبحارة القبط وتحت قيادتهم رغم قلة سفنهم.

كان طبيعياً أن يستخدم العرب فى غزواتهم البحرية شعوب الأمم التى فتحوها والتى مرنت على ركوب البحار منذ القدم. وإذ كنا فى معرض الكلام على مصر فلا بد أن نذكر هنا أن العرب أفادوا من خبرة المصريين البحرية وقيادتهم للأساطيل ومن العمال المصريين أيما إفادة فقد أصبحت مصر عقب الفتح مركزاً لصناعة السفن اللازمة لأسطول الخلافة كما كانت تمد هذا الأسطول بخيرة الملاحين والعمال المصريين وإن كان ذلك يتم تحت ظروف حياتية قاسية حتى أن المصرى كان يقضى معظم حياته أو حياته كلها فى خدمة الاسطول تحت أحط

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك جـ٥ ص ٧٧. راجع أيضاً Lammens Etude sar le regme du califet emaiyade Moawia ler pp. 52,270,279.

هاهنا بيعا قد هدم الظالم بعضها قبل وصولك الى مصر فهدم الرب دياره وقطع حياته من على الارض، فان راى رايك فيها ان يتقدم لنا بعمارتها لنصلي فيها وندعى لجلالتك فالامر لك ، فجعل الله في قلبه عاجلا أن يامر بعمارتها فبنيت جميع بيع فسطاط مصر، وكان فرح عظيم لجميع الارثدكسيين وسبحو الله على عظم رحمته التى فعلها معهم وعاد حزنهم الى فرح. وكان ابونا مرقس يتهلل بالروح ويرتل مع داود ويقول: مبارك

الظروف المعيشية. وأصبح اسم «الصناعة» في مصر يدل على المكان الذى تبنى فيه السفن الحربية. وقد عقد المقريزى في كتابه الخطط جـ٢ ص ١٨٩) فصلا في ذكر المواضع المعروفة بالصناعة ، كما أشار في مواضع أخرى من هذا الكتاب جـ١ ص ٣٠١) إلى أن الصناعة كانت بجزيرة الروضة وأنها أسست في سنة ٥٤هـ، ويلوح أن ذلك كان على أثر غزو الروم ثغر البرلس والخسارة الفادحة التى حلت بالمسلمين في قتالهم. وقد سميت جزيرة الروضة حينئذ «جزيرة الصناعة» كما كانت تسمى أحيانا «جزيرة مصر»[١] ولكننا نرجح أن «الصناعة» أنشئت في مصر قبل هذا التاريخ، فعبد الله بن سعد غزا غزوته البحرية في سنة ٣٤هـ وليس بعيد الاحتمال أن يكون المسلمون قد بدأوا يعنون ببناء السفن الحربية منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان (٢٣ ـ ٣٥هـ) وأن قتال الروم جعل المسلمين يعنون بصناعة السفن في جهات مختلفة من أنحاء دولتهم بعد أن كانت الصناعة في مصر وحدها. فيذكر البلاذرى[٢] أنه لما كانت سنة ٤٩هـ هاجم الروم السواحل الإسلامية وكانت الصناعة بمصر فقط فأمر معاوية بن أبى سفيان بانشاء دار للصناعة في عكا.

(1) Maspero et Wiet: Materiaux pour servir a la Geographie d'Egypte p. 68; et G. Wiet: Corpus Inscriptionum Arabicarum, Egypte II. pp. 197 - 199.

(٢) فتوح البلدان اص ١٧٧.

الرب الذى لم يرفض صلاتى ولم يبعد رحمته عنى.

وعاد الى اسكندريه واهتم باجتماع اتحاد الكرسيين اسكندريه مع انطاكيه، وكتب سنوديقا كما جرت العاده ممتليه من كل حكمه وارسلها الى كرياكوس بطرك انطاكيه يعلمه فيها بنياح الاب انبا يوحنا وكيف كان جلوسه على الكرسى الانجيلى، واعلمه فى رسالته عن جميع المخالفين،

ولما ولى عبد الملك بن مروان الخلافة بعث إلى حسان بن النعمان عامله على إفريقية يأمره بإتخاذ صناعة بتونس لإنشاء الآلات البحرية، وقد كتب عبد الملك بن مروان إلى أخيه عبد العزيز والى مصر أن يوجه إلى أفريقية (تونس) ألف قبطى بأهلهم وولدهم لإنشاء دار صناعة فيها. أما مهمة البربر هناك فكانت أن يجروا ويحملوا إلى دار الصناعة ما تحتاجه من خشب لصنع المراكب[1] هؤلاء القبط أسسوا كذلك ميناء تونس واعطوه اسم المدينة التى قدموا منها وهى «تنيس».

ويظهر أن بناء السفن فى مصر كان له شأن عظيم فى فجر الإسلام ولا سيما فى العهد الأموى فقد ألقت أوراق البردى شعاعاً من النور على صناعة السفن بمصر وأظهرت مهارة المصريين فى تلك الصناعة ومهارة الملاحين المصريين وتقدير الحكومة الإسلامة المركزية لتلك المهارة ومدى استغلالها على يد الأمراء المسلمين.

وقد أظهرت أوراق البردى التى كشفت فى كوم أشقاو والتى ترجع إلى عصر الوليد بن عبد الملك أن صناعة السفن كانت زاهرة بوادى النيل فى جزيرة الروضة [2] وفى

---

(١) أبو عبيد البكرى: المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب (طبعة الجزائر سنة ١٨٥٧م) ص ٣٨ ـ ٣٩ راجع أيضاً مقال الأستاذ فييت عن المواصلات فى مصر فى العصور الوسطى ص ٣٣ - ٣٤ من كتاب «فى مصر الإسلامية» الذى أخرجه الدكتور زكى محمد حسن وعبد الرحمن زكى).

(2) Bell: (Der Islam vol. IV) P. 92

واجتهاد ابانا على صحة الامانه وبعد كل الشقاق والمخالفين والمجمع الطمث الخلقدونى لأنه سبب الشك بجميع المسكونه، وشيعة نسطور الذين هم اليهود الجدد. وبين اتفاق الكرسيين ويدعوه ابا وشريكا فى الخدمه. وارسلها مع اسقفين فهمى الخطاب بكلام اليوناني، احدهما مرقس اسقف الفرما، والشماس جرجه قيم بيعه اسكندريه ، فلما وصلو بالسنوديقا الى البطرك كرياكوس ووقف عليها حزن على نقله [نياحة] الاب يوحنا وفرح

القلزم [١] وفى الإسكندرية [٢]، فبعض تلك الأوراق يكشف لنا أن الوالى قرة بن شريك كثيرا ما يطلب من صاحب كورة أشقوه أن يرسل إليه عمالا وصناعا وملاحين للعمل فى دور الصناعة [احواض السفن] والمساهمة فى إعداد الأسطول المصرى الحربى. كما تشهد تلك الأوراق بأن الوالى كان ينفق مقدما على أجور هؤلاء العمال والملاحين الذين يعملون فى الأسطول المصرى [٣]، وكان يفرض على الكور قدرا من الأدوات والآلات المختلفة اللازمة لصناعة السفن ولتنظيفها ، وكذلك يفرض عليها[٤] تموين الملاحين الذين يشتغلون فى إعداد الأسطول[٥].

ولم يقتصر نشاط المصريين على إعداد الأسطول المصرى، بل كان والى مصر يرسل بعض الملاحين المصريين للعمل فى أسطول المغرب [٦] أو أسطول المشرق[٧] والمساهمة فى المشروعات البحرية العامة للدولة الإسلامية.

(1) Bell: (Der Islam vol. II)P. 277

(2) Bell: (Der Islam vol. II)P. 280.

(3) Bell: (Der Islam vol. II) PP. 271, 272, 279, 280.

(٤) هذه الحقوق للحكومة على الهيئات أو الأفراد كلها من آثار الليتورجيا Leiturgia أو الالتزامات الاجتماعية التى عرفت فى العالم القديم.

(5) Bell: op Cit. PP. 277, 279, & (der Islam Vol. XVII) P. 8.

(6) Bell: op. Cit. vol. II. P. 279.

(7) Bell: op. cit. vol. XVII. P. 6-8.

بجلوس الاب انبا مرقس والاساقفه القديسين، فلما قرى الكتب فى بيعة انطاكيه فامتلت نفوسهم فرحا عند سماعهم كلامه والحكم المملوه طيبا روحانيا التى تنبع من قلب انبا مرقس الممتلى روح القدس، وباركو الرب واعطو الطوبى للابا[ء] الذين يستحقون الجلوس على كرسى مرقس الانجيلى، ثم تعجبو من الاساقفه الواصلين من مصر بالسنوديقا لحسن منظرهم ولباسهم واتضاعهم وفصاحة منطقهم وطيب كلامهم.

ولابد أن المصريين كانوا يصنعون أيضا سفنا نيلية غير تلك السفن الحربية لأن الطريق المائى فى مصر كان يستخدم كثيراً للنقل [1] والتجارة فى ذلك العهد. وطبيعى أنه كانت هناك سفن بحرية معدة للتجارة الخارجية.

وقد ظلت صناعة السفن الحربية زاهرة فى مصر فى العهد العباسى أيضا، فيذكر المقريزى (الخطط جـ٣ ص ١٩١) أنه بعد أن نزل الروم دمياط فى سنة ٢٣٨هـ فى خلافة المتوكل وفى ولاية عنبسة بن اسحق على مصر «وقع الاهتمام من ذلك الوقت بأمر الأسطول، وأنشئت الشوانى [2] برسم الأسطول، وانتدب الأمراء له الرماة، فاجتهد الناس بمصر فى تعليم أولادهم الرماية وجميع أنواع المحاربة وانتخب له القواد العارفون بمحاربة العدو، وكان لا ينزل فى رجال الأسطول غشيم ولا جاهل بأمور الحرب.

وكتب المقريزى أن بعض مناطق وادى النيل كان بها أشجار لا تحصى من سنط ، لها حراس يحمونها حتى يعمل منها مراكب الأسطول فلا يقطع منها إلا ما تدعو الحاجة إليه، وكان فيها ما تبلغ قيمة العود الواحد منه مائة دينار. ويذكر أيضاً أنه كان لا يباع مما فى البهنسا

---

(١) انظر مقال فييت عن المواصلات فى مصر فى العصور الوسطى ص ٤ ـ ٦.
(٢) الشونة: المركب المعد للحرب والجمع شوان.

وقامو عند البطرك [كرياكوس] اياما قليلا وودعهم بكرمات تضاهى البطركية، وكتب معهم كتب السلامه بتمجيد ابينا القديس مرقس البطرك. ولما وصلو الى مصر وقريت كتب البطرك كرياكوس ببيع مصر مجدو الشعب الله وفرحو باتحاد الاتنين بعضهما مع بعض.

ونذكر ايضا امر فعله الرب فى ايام ابينا مرقس لتفرح قلوبكم وتعرفو انه قد ضاهى الاب ساويرس

إلا ما فضل عن احتياج المصالح السلطانية. ولكن المقريزى (الخطط جـ١ص ١١٠ ـ ١١١) يعود فيقول إن هذا بطل جميعه فى زمانه أى فى عصر المماليك واستولت الأيدى على تلك الأشجار فلم يبق منها شئ البتة ونسى هذا من الديوان وإن كنا لا نعرف متى نشأ هذا النظام ومتى ألغى، فان من المحتمل أن هذا الاهتمام بالأخشاب يرجع إلى عهد الولاة ولا سيما فى نهايته.

ومما يذكره المقريزى أيضان أن القرظ وهو ثمر شجر السنط كان لا يتصرف فيه إلا الديوان وإذا وجد مع أحد شئ منه اشتراه من غير الديوان نكل به واستهلك ما وجد معه، فإذا اجتمع مال القرظ أقيم منه مراكب تباع. ولكنه يضيف أن ذلك كله بطل فى عصر المماليك.

ومن هذا نرى أن صناعة السفن فى مصر، وخاصة السفن الحربية المعدة لمحاربة الأعداء وللدفاع عن الشواطئ، كانت من أهم الصناعات فى فجر الإسلام كما أن المصريين كان لهم الفضل الأكبر فى عظمة الدولة الإسلامية البحرية، إذ كانت الخلافة تعتمد عليهم فى إنشاء أسطولها الحربى. بل المعروف أن بناء السفن كان فى البداية بمصر فقط وظل كذلك إلى زمن معاوية بن أبى سفيان. وحتى بعد ذلك العهد كانت الخلافة تستخدم العمال المصريين فى دور الصناعة التى أنشاتها فى المشرق والمغرب كما يتبين من أوراق البردى.

وكيرلس وديسقرس هولا الذين ابعدو المخالفين في زمانهم، كان بمصر قوم يعرفون ببار سنوفه(*) ويسمون ايضا «من ليس لهم راس» اقامت هذه الهارسيس زمانا كتير من ايام بطرس البطرك الذى جلس بعد طيماتاوس المعترف في زمان زينون الملك الدين ،كانو بعد هذه المدة باقين خلافهم، فحزن الاب مرقس الذى يهتم بخلاص انفس الناس ودعا الى الرب من اجلهم، ويقول : يارب القوات الابدى النور الذى لا يدرك ولا يلمس ولا يشاهده

(*) انظر الجزء الأول من الكتاب ومن المعروف أن هذه الجماعة ظلت منتشرة في مصر ولها عدد كبير من الاتباع حتى أن البابا مرقس البطرك رقم ٤٩ أقام لهم كنيسة عرفت باسم «بيعة البطريك» بعد أن تبعوا بطركيته. انظر كذلك ص ٦٥٠ في هذا الجزء.

ونلاحظ أن الدولة الإسلامية التي كانت تخشى غزو البحر حتى خلافة عمر بن الخطاب استطاعت بعد ذلك أن يكون لها شأن في البحر. فمنذ أيام عثمان بن عفان بدأ المسلمون يمتلكون بعض الجزر في البحر المتوسط، واستطاعت مصر في خلافته أن تهزم الروم في موقعة ذى الصوارى البحرية. وقد سميت بهذا الاسم لكثرة صوارى السفن التي التحمت في القتال فيها، وتسمى في الكتب الأوربية واقعة فونيكه Phoenicus وربما كان ذلك لوقوعها بالقرب من ثغر فونيكة غربي الأسكندرية (١). الحق أن هذه المعركة كانت نصراً بحرياً كبيراً على البيزنطيين. ومما ذكره المقريزى في وصفها أن قسطنطين بن هرقل (٢) قدم لغزو الإسكندرية سنة ٣٤هـ على رأس أسطول من نحو ألف سفينة. وكان عبد الله بن سعد قد أنزل نصف جنوده إلى البحر ثم فوجئ بقدوم العدو وعلم من أحد الرسل أو المراقبين أن الروم أقبلوا في

(١) Justus Perthes: Atlas Antiquuis Tab 18 D 3 ولكن معظم المستشرقين يرون أن هذه الواقعة البحرية حدثت في آسيا الصغرى بجوار ثغر فونيكس Phoeinx راجع M. Canard: Expedition des Arabes Contre Constantinople dans l'Hisoire et dans la Legende (Journal Asiatique, Janvier - Mars 1926 وانظر ماكتبه الدكتور زكي محمد حسن في هذا الصدد في عدد شهر مايو سنة ١٩٤٤ من مجلة المقتطف ص ٤٨٢ - ٤٨٣.

(٢) يجدر الإشارة هنا أن امبراطور البيزنطيين حينذاك كان قنسطانز بن هرقل لا قسطنطين كما تذكر المراجع العربية.

احـد ولا يدنو اليـه، الذى ينظر الى الخليـقـه التى
خلقـها بيده وهى غـارقه فى عـمق الخطيه لاجل
الخلاف صنعت لنا خلاصا بسر لا يدرك، وجعلت
الارض مثل السمـا بموتك وقيامتك المقدسه كما
قال بولس الحكيم لكى يجمع الامم اليه بالسلامه
بقوة صليبه الذى اهلك العدو، وبشرنا بالسلامة
للقريب والبعيد، ومضيت الى الجبل حتى رددت
الخروف الضال وخلصته من فم الديب الردى،
ولم تاخده بسيف ولا سوط بل برحمتك العظيمة،

ألف مركب (؟!) بقيادة قسطنطين بن هرقل «وكانت مراكب المسلمين مائتى مركب ونيفا فقام عبد الله بن سعد بين ظهرانى الناس فقال: بلغنى أن ابن هرقل قد أقبل عليكم فى ألف مركب فأشيروا على . فما كلمه رجل من المسلمين فجلس قليلا لترجع إليهم أفئدتهم ثم قام ثانية فكلمهم فما كلمه أحد فجلس، ثم قام الثالثة فقال إنه لم يبق شئ فأشيروا على، فقام رجل من أهل المدينة كان متطوعاً مع عبد الله بن سعد فقال: أيها الأمير إن الله جل ثناؤه يقول كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين فقال عبد الله اركبوا فركبوا. وإنما فى كل مركب نصف شحنته لأنه قد خرج النصف الآخر إلى البر... فلقوهم فاقتتلوا بالنبل والنشاب وتأخر ابن هرقل لئلا تصيبه الهزيمة وجعلت القوارب تختلف إليه بالأخبار فقال: ما فعلوا؟ قالوا: قد اقتتلوا بالنبل والنشاب فقال: غلبت الروم. ثم أتوه فقال: ما فعلوا؟ قالوا : قد نفذ النبل والنشاب فهم يرمون بالحجارة فقال غلبت الروم . ثم أتوه فقال: ما فعلوا؟ قالوا: قد نفدت الحجارة وربطوا المراكب بعضها ببعض يقتتلون بالسيوف. قال: غُلبت الروم (بضم الغين)!

وانتهى الأمر بأن أصبحت الدولة الإسلامية سيدة فى البحر المتوسط. وإليك نص ما ذكره

ولم تقنع بعودته لكن دعوت القوات السماويه والطغمات الملايكيه العلويه لكى يفرحو معك، اذ قلت لهم فى إنجيلك: «افرحو معى لوجود خروفى الضال»(*). والان يارب اسمع صلاة عبدك وليدخل دعاى امامك بسبب هذه الخراف الضاله ولتجمع اعضا [ء] بيعتك ليكونو قطيعا واحدا وراعيا واحدا كالقول الصادق فى الانجيل . فسمع الرب دعاه بسرعة فحرك قلوب ريسا تلك الهارسيس، وكان مقدمهم اسمه ابراهيم وابوه

(*) متى : ١٨ / ١٢ ، ١٣ .

ابن خالدون «المقدمة» (فصل ٣٤) عن عظمة المسلمين فى هذا البحر من جميع جوانبه وعظمت صولتهم وسلطانهم فيه، فلم يكن للأمم النصرانية قبل بأساطيلهم بشئ من جوانبه وامتطوا ظهره للفتح سائر أيامهم فكانت لهم المقامات المعلومة من الفتح والغنائم وملكوا سائر الجزائر المنقطعة عن السواحل فيه مثل ميورقة ومنورقة ويابسة وسردانية وصقلية وقوصرة ومالطة واقريطش وقبرص وسائر ممالك الروم والأفرنج»

وإذا كان الفضل لعظمة الخلافة البحرية يرجع إلى الشعوب التى فتحوها والتى تعلموا منها هذا الفن والتى استخدموها فى حاجاتهم البحرية فلنا أن نقول غير مبالغين بأن الفضل الأكبر والأول يرجع إلى مصر والمصريين

وليس فى المراجع العربية ما يمكننا بوساطته أن نعرف شيئاً يستحق الذكر عن أشكال السفن الحربية المصرية ومعداتها فى فجر الإسلام، ولكن أكبر الظن أنها لم تكن تختلف كثيراً عن السفن المعروفة عند الروم فى ذلك العصر لأنها كانت من صناعة عمال تأثروا بالأساليب المعروفة عند الرومان والبيزنطيين، بل إن السفن التى صنعت بمصر للمسلمين فى البداية «أخذت أشكالها من سفن الروم التى استولى عليها عمرو بن العاص فى واقعة

الجسدانى جرجه كان اسقفا لهم وهو علمهما ان يعرفا الضلاله التى كانو فيها وتركو ينبوع ما[ء] الحياه من الكرسى الانجيلى وحفرو لنفوسهم بير السقطة كما قال ارميا النبى. فقاما مسرعين وحضرا عند الاب البطرك انبا مرقس الجديد وطرحا نفسيهما بين يديه وسجدا له قايلين: مبارك الله الذى انار علينا بتعاليم قدسك التى وصلت الى مسامعنا وردنا من الضلاله التى غشيت علينا طول هذه المده، نحن الآن محسوبان من خرافك

الإسكندرية»[1] طبيعى أن المراكب الحربية كانت متنوعة فى أحجامها وأغراضها كما تدل على ذلك الأسماء المختلفة التى اطلقت عليها بعد ذلك مثل الحراقات والشونات والطرادات والعشاريات والشلندات والمسطحات [2]. وإذا كنا لا نعرف تماما معدات تلك السفن وأسلحتها فإننا نظن أنها كانت تشبه ما عرف بعد ذلك عن السفن الحربية الإسلامية فى العصور الوسطى، وكان فى بعضها أبراج وقلاع للدفاع والهجوم وفى بعضها منجنيقات وآلات تقذف النفط، وكان بعضها لحمل المؤن لرجال الأسطول والبعض الآخر لحمل الخيل[3].

---

(١) اسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار جـ٢ ص ٢٢

(٢) انظر الدكتور زكى محمد حسن: كنوز الفاطمين ص ٥٠ حاشية ٥ وما جاء فيها من مراجع وانظر مادة سفينة فى ملحق دائرة المعارف الإسلامية.

(٣) راجع جورجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى جـ ١ ص ١٨٠ - ١٨٢ عبد الفتاح عبادة: سفن الأسطول الاسلامى وأنواعها ومعداتها (فى أعداد السنة الحادية والعشرين من مجلة الهلال ثم طبعت مستقلة بمطبعة الهلال سنة ١٩١٣م).

مـثل اولادك الذين لكرسـيك الانجـيلى الذى للقـديس مـارى مـرقس، فلمـا راى ابينا البطرك رفـضـهـمـا مـا كـانا عليـه وعـودتهـمـا الى القطيع الروحانى فرح جدا ومجد الله لاجل ذلك، وقال التسبيح الذى ينبغى كما قال داود المسبح لله فى المزمور(*): «اذا رد الرب سبى شعبه صرنا كالمتعزين فليفرح يعقوب وليتهلل اسرايل.

(*) مزامير: ١٤ / ٧.

ومن نعمه المضيه فى ابينا القديس البطرك اراد

موقف مصر من الحركات السياسية والدينية التى ظهرت فى الخلافة

بعد وفاة الخليفة عثمان مباشرة ظهر الخلاف مرة أخرى بين المسلمين حول مسألة الخلافة ومن الذى يتولاها، وهل هى إرث فى بيت النبى محمد وفى فرع معين من هذا البيت كبنى هاشم أو بنى أمية، أم يتقلد أمرها أى فرد كفء لها بغض النظر عن القبيلة التى ينتسب إليها. فالدين الإسلامى لم ينص على شكل حكومة معينة للأمة العربية أو لغيرها من الأمم، ولم يعهد الرسول إلى شخص معين من بعده ليكون زعيما للعرب يتولى الإشراف على أمورها الدنيوية والدينية.

وكان امتناع العباس عم الرسول وعلى بن أبى طالب وطلحة والزبير وغيرهم ممن لم يرضوا بمبايعة أبى بكر الصديق بالخلافة إيذانا بما حدث بعد ذلك من انقسام المسلمين إلى سنين وشيعيين. وكثر النزاع حول الخلافة ومن يتولاها، وكان هذا النزاع تارة بالكلام والجدل وتارة بالسيف والحرب، وقد اتبع كل فرقة أو حزب من الأحزاب التى نشأت أفراد عديدون، إما إيمانا بعقائدها ومبادئها، وإما رغبة فى منفعة أو مصلحة مادية تعود عليهم.

وقبل أن نعرض للكلام عن الحركات التى قامت فى الخلافة والتى اشتركت فيها مصر،

ان يجرب ويكشف امانة الرجلين ان كانا متضعين كما ينبغى لمن يريد ان يعود الى المسيح، ام هما لابسان الكبريا[ء] لاجل الرياسه التى كانا فيها، حينذ قال لهما بتواضع ورحمه: اعلما ما قاله الذى فيه ينبوع الرحمه لسان العطر بولس فى بعض رسايله: ما نصيب المومن من غير المومن، وما مسرة المسيح مع الشيطان، وانتما الان مع الشيطان فلا نظنا انكما تقيمان في هذا الطقس الذى انتما فيه مما اخذتماه من هذه الملة المخالفه

يجدر بنا أن نشير إلى أن الذين اشتركوا فى تلك الحركات لم يكونوا من المصريين الوطنيين الذين اعتنقوا الدين الإسلامى، وإنما كانو من الجند العربى الذين استقروا بمصر أو من الأجناد الأخرى الذين أتوا إليها فى عهد الدولة العباسية. أما المصريون أنفسهم سواء أكانوا من الأقباط أو من الذين أسلموا بعد الفتح فلم يشتركوا فى تلك المنازعات ـ إذا استثنينا معاونتهم إلى حد ما للعباسيين ضد الأمويين.

١. الحركات السياسية والدينية زمن الخلفاء الراشدين

(٢٠، ٤٠هـ = ٦٤٠، ٦٦٠م)

أ. موقف مصر من الحركة التى قامت ضد عثمان بن عفان

ظهر النزاع حول الخلافة بأجلى مظاهره فى الثورة التى قامت ضد الخليفة عثمان بن عفان، إذ احتكم فى ذلك النزاع إلى السيف بدلا من أن يحكم العقل واللسان، وكانت هذه أول مرة يحتكم فيها إلى السيف فى النزاع الخليفى الذى يدور حول مسائل الحكم والملك.

فلم تمض ست سنوات من حكمه حتى بدأت تسرى ضده حركة تذمر فى الولايات المختلفة وقد ترأس هذه الحركة عبدالله بن سبأ الذى أخذ يتنقل فى البلاد يدعو إلى الثورة ضد

بغير وسم حسبما فى القوانين، ولم تحل عليكما روح ا لقدس الهابطه على الابا الاساقفه عند قرا[ء]ةالصلاه القانونيه التى قررها الابا[ء] الحواريون عليهم. فلما سمعا ذلك منه اجابا بالاتضاع لما صار اليهما من النعمة بدعا الاب القديس فقالا له: يا ابانا القديس ومن الان ما نستحق ان نكون فى طقس ولا نبقى فيه لكنا اتينا اليك لنكون تحت ظل صلواتك، ولكنا نطلب منك شيا واحدا ان تسال الرب فى ان يغفر لنا اثم

عثمان، فبدأ بالحجاز ثم البصرة والكوفة والشام، ولكن يظهر أن محاولاته لم تكن ذات بال فى تلك البلدان، فلم ينجح فى الحجاز أو الشام وعندما أتى إلى مصر وجد أن الحالة فيها كانت مهيأة للثورة ضد عثمان فأخذ ينشر دعايته وتعاليمه، فكان مما نشره مذهب الرجعة. وأخذ يقول إنه يعجب ممن يقول إن عيسى يرجع ويكذب برجوع محمد عليه الصلاة والسلام وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾(١)، ولذا فإن محمدا أحق بالرجوع من عيسى. كذلك نادى عبدالله بين سبأ بمذهب الوصاية، فذكر أن لكل نبى وصى وعلى بن أبى طالب وصى محمد ﷺ، ولما كان محمد خاتم الأنبياء فإن عليا خاتم الأوصياء، أى أن عثمان قد اغتصب الخلافة من وصى الرسول، وبذلك حرض ابن سبأ جند العرب فى مصر على الوثوب على عثمان لأخذه الخلافة بغير حق(٢).

وقد أنكر المتمردون على عثمان أموراً، منها الدور الفخمة التى شيدها لأهله وبناته بالمدينة، وتوليته أهله وبنى عمه من بنى أمية على الأعمال والولايات دون غيرهم(٣)، كذلك قالوا إن

---

(١) سورة القصص آية ٨٥.
(٢) الطبرى: تاريخ الاسم والملوك ج ٥ ص٩٨؛ خطط المقريزى. ج٢ ص٣٣٤.
(٣) ابن قتيبة: الامامة والسياسة ج١ ص٣٦.

ما كنا عليه من الضلالة والتفريط. وقالا هذا بقوة ايمان واعتراف، والتمسا منه دواه وقرطاسا وهما جالسان بين يديه وكتبا بخطهما انهما يحرمان نفسيهما وانهما لا يلتمسان منه طقس اسقفيه ولا كهنوت فى موضع من المواضع . فلما نظر قوة امانتهما ورجوعهما الى الأمانه الارتدكسيه التى لابائنا القديسين اللابسين النور بارك عليهما من عمق قلبه قايلا كما قال بولس الرسول: اله الرجا يملوكما من كل فرح وسلامه لتكثرا فى الايمان

عثمان وسع على نفسه وعلى أهله بخلاف أبى بكر وعمر اللذين اعتادا التقلل والكف عن أموال المسلمين، فنفر المسلمون من ذلك التبذير وعهدهم قريب بضبط أبى بكر وعمر[١]، وزعموا أيضا أن الوليد بن عقبة صلى بالناس الصبح وهو أمير عليها أربع ركعات وهو سكران ثم قال لهم: إن شئتم أن أزيدكم ركعة زدتكم. فلما بلغ عثمان ذلك لم يسرع إلى إقامة الحد عليه بل أخر ذلك[٢].

ولم يغفل فيلسوف المؤرخين ابن خلدون[٣]، ما انطوت عليه هذه الحركة، فقد أوضح أن المسألة لم تكن مسألة عثمان إنما كانت عود إلى الجاهلية ونزاع بين القبائل على السيادة، وأنفة بعض القبائل العربية مثل بنى بكر بن وائل وعبدالقيس وربيعة والأزد وكندة وتميم وقضاعة وغيرهم، من سيادة قريش، فأظهروا الطعن فى ولاة عثمان وفى الخليفة نفسه، فلما وصلت تلك الأخبار إلى الصحابة بالمدينة ارتابوا لها وحملوا عثمان على النظر فى الأمر.

ومما يدل على أن المسألة كانت مسألة أغراض مختلفة ما رواه الطبرى[٤] من أنه عندما

---

(١) ابن طباطبا: الفخرى ص٨٦.
(٢) ابن قتيبة: الامامة والسياسة ج١ ص٣٦.
(٣) ابن قتيبة: الامامة والسياسة ج١ ص٣١.
(٤) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٩٨ ـ ٩٩.

المستقيم بقوة الروح القدس. وكعادة المحبه واظهار الخير فى كل وقت والمجازاة عليه اظهر لهما سرعه، ثم امر ان يوخذ الرجلان جرجه وولده ابراهيم، وبعد ان تحقق نياتهما اوسمهما اسقفين وقرا عليها الصلاة القانونيه والبسهما ثياب الاسقفيه . وكان ذلك ببيعة الشهيد مارى مينا بمريوط فى يوم عيده الجليل وهو الخامس عشر من هتور، وجميع الشعب الارتدكسى مجتمع لعيد الشهيد وكان الجمع قياما على اطراف اصابع ارجلهم ينظرون ما



اوانى مار مينا التى كان يحمل فيها الماء المقدس.

حرض عبدالله بن سبأ جند العرب فى مصر على الطعن فى أمراء عثمان «وإظهار الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر». أخذ جند العرب فى مصر يكتبون الكتب إلى الأمصار المختلفة فى عيوب ولاتهم، ويكاتبهم أخوانهم فى مثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يحدث، حتى «أوسعوا الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يبدون، فيقول أهل كل مصر إنا لفى عافية مما ابتلى به هؤلاء. إلا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فقالوا إنا لفى عافية مما فيه الناس».

ويظهر أن الخليفة عثمان كان يجهل تلك الحركة فى بادىء الأمر، إذ أنها كانت حركة سرية. ويظهر أيضا أنها وصلت إلى مسامع الصحابة بالمدينة أولا فأعلموا عثمان بها وأشاروا عليه بأن يرسل رجالا ممن يثق بهم إلى الأمصار المختلفة ليتبين ذلك الأمر ففعل، وأرسل محمد بن مسلمة إلى الكوفة وأسامة بن زيد إلى البصرة وعبدالله بن عمر إلى الشام وعمار بن يسار إلى مصر، وأرسل غيرهم إلى سائر الجهات، فلما عاد الرسل إلى عثمان أخبروه أن الحالة على ما يرام وأن أهل البلاد لا ينكرون شيئاً وأن أمراءهم يقسطون بينهم ويقومون عليهم، ولكن عمار بن ياسر الذى أرسله الخليفة إلى مصر تخلف ولم يعد إلى المدينة، ولشد ما كانت

كـان ويمجـدون الرب الصـانع العجـايب على يد هذا القديس قايلين: المجد لك يا محب البشر الذى انقذ نفسى هذين من عبودية الشيطان المضل.

ثم لما اكـمل العـيـد المقـدس عـاد الى مـدينة اسكندريه وجميع الشعب بفرح عظيم ويمدحون الاب البطرك لانه قـدم للرب هذا القـربان واخـذ هذين الاسقفين اليه ولازمهما.

وبعـد قليل تنيح اسـقفـان من جـمله الاسـاقفـه

دهشتهم عندما أرسل واليها عبدا لله بن سعد كتابا إلى المدينة يقول إن قوما استمالوه، منهم عبدالله بن سبأ وخالد بن ملجم وكنانة بن بشر[1].

ويجدر بنا الآن أن نعرف موقف الجند العرب المتمردين فى مصر وكيف كانت هذه البلاد سببا فى تعجيل الحوادث وفى إشعال نار تلك الثورة التى انتهت بقتل الخليفة عثمان بن عفان، والتى كانت سببا فى انقسام المسلمين على أنفسهم انقساما طال أمده وتعددت مناحيه.

كان عبدالله بن سبأ طرد من البصرة والكوفة ولم يلق أى نجاح فى الشام، ثم قدم إلى مصر فوجد جندها من العرب متهيئة لقبول دعوته وللطعن فى عثمان، وهذا الأمر يستلفت النظر ويدعو الباحث إلى أن يتساءل عن السبب فى ذلك؛ فلم نجحت دعوة ابن سبأ فى مصر نجاحا كبيراً؟ ولم يطرد منها كما حدث له فى البصرة أو الكوفة مثلا؟ نحن لا نجد فى المصادر القديمة ذكر السبب فى ذلك، ولكن إذا أعوزتنا الأدلة النقلية فلا بأس من أن نلجأ إلى الأدلة العقلية. ويظهر أن الدعوة ضد عثمان نجحت نجاحا كبيراً فى مصر لأن أفراد القبائل العربية التى لا تنتمى لقريش ومن بينهم بعض الصحابة والمجاهدين الذين استقروا بمصر وكذلك الانصار من أهل المدينة بل واليهود الذين شتتهم أبو بكر وعمر بن الخطاب خارج الجزيرة

(١) الطبرى ج٥ ص٩٩، تاريخ ابن خلدون ج٢ ص١٣٩، خطط المقريزى ج٢ ص٣٣٤ ـ ٢٣٥.

بكورة مصر احدهما بقيره اسقف طنبذا ومينا اسقف اتريب ، فقسم ابراهيم على اتريب وجرجه اباه على طنبذا، وصار هذان الاسقفان مصطفيين عنده إلى يوم نياحتهما، والمجد للسيد يسوع المسيح الذى يفرح بكل من يعود الى الحياه.

فلما نظر البرسنوفيون المقدم ذكرهم الذين كانوا بكورة مصر [الفسطاط] ان ريساهم قد عادو ارتدكسيين ولم يبق لهم اساس كتبو الى انبا مرقس

العربية وخاصة إلى مصر رأوا فيها فرصة للقيام ضد الخلافة القرشية، وهم فى ذلك لم يقصدوا الخليفة عثمان نفسه وإنما أرادوا زعزعة سيادة قريش خاصة الفرع الأموى الممثل فى عثمان وبنى أمية، فقد كرهوا تلك السيادة التى زادت منذ ظهور الإسلام. على أنه وجد أيضاً فى مصر بعض القرشيين الذين ثاروا ضد عثمان ولكنهم ليسوا من الفرع الأموى بل من بنو هاشم الفرع النبوى المناهض للأمويين، وعلى رأسهم محمد بن أبى بكر الصديق ومحمد بن أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، ولا يبعد أن يكون هؤلاء ممن طمعوا فى الخلافة نفسها، فهم يرمون سيادة قريش بالطبع، ولكن ربما حدثتهم أنفسهم وسط حركة التذمر التى سرت بين الناس أن يلقوا دلوهم فى الدلاء علهم يصلون إلى منصب الخلافة أو إلى أى منصب عظيم فى الدولة الإسلامية. كان عبدالله بن سبأ ذا مواهب متعددة جعلته يجذب الكثيرين إلى تعاليمه، ولم يكن تأثيره عظيما على العامة فحسب، بل نرى أيضاً أنه استطاع بمهارته أن يجذب إليه رجالا من أئمة الحديث وأن يؤلبهم على عثمان، مثل عمار بن ياسر الذى كان عثمان قد أوفده للاستفسار عن حقيقة ما قيل بصدد التذمر والثورة ولكنه تنكر للخليفة ولم يعد إليه.

واستطاع عبدالله بن سبأ أن يجذب إليه أيضا أحدكبار أئمة الحديث، كان مقيما بالشام عندما كان ابن سبأ يتنقل فى الأمصار المختلفة ليثير الناس ضد عثمان، ذلك هو أبو ذر

يسالونه ان يمضى اليهم ليكرز بيعهم، فلما وقف على الكتب فرح فرحا عظيما وترك جميع اشغاله ومضى مسرعا الى مصر وكرز لهم البيع والديارات وجعل لهم القداسات بالناموس البيعى واعطاهم السراير المقدسه جسد ودم السيد يسوع المسيح الاهنا. وكان بفسطاط مصر فرح عظيم ومسره روحانيه.

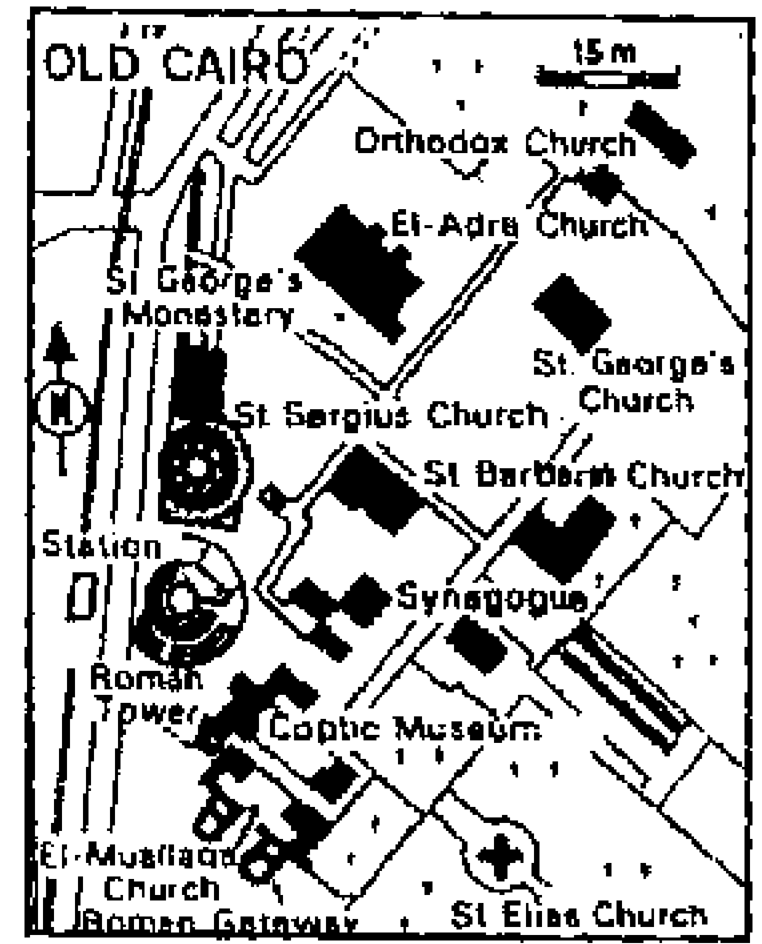
وكان السيد يسوع المسيح يفعل مع ابينا

الغفارى[1] . وكان هناك فريق من الصحابة يفضل علياً على غيره، وطبيعى أن يكون فى مصر فريق ممن يؤمنون بأن علياً أحق بالخلافة ممن عداه.

وهكذا نرى أن التمرد ضد عثمان كان الباعث عليه اتجاهات وميول مختلفة، فمن متذمر من خلافة قريش وسيادة الفرع الاموى، ومن طامع فى الخلافة ومن شيعى خرج مؤمنا بحق على بن أبى طالب فى الخلافة، وقد تتجمع هذه العوامل المختلفة فى بلد آخر غير مصر. ولكن يظهر أن الذى ساعد على نجاح تلك الحركة فيها والذى سهل على ابن سبأ القيام بمهمته هو انشغال والى مصر إذ ذاك، عبدالله بن سعد بن أبى سرح، بالحروب الخارجية التى قام بها، إذ غزا النوبة سنة ٣١هـ وغزا شمال إفريقية سنة ٢٧هـ كما حارب الروم فى وقعة ذى الصوارى سنة ٣٤هـ[2] ، وفى هذه الأثناء بالذات كان عبدالله بن سبأ يقوم بدعوته وفى سنة ٣٤هـ كان المتمردون على عثمان من جند العرب فى مصر والأمصار المختلفة يتكاتبون للاجتماع لمناظرته فيما كانوا يذكرون أنهم نقموا عليه بسببه[3]، أى أن الحركة التى كان يدعو إليها ابن سبأ والتى كان مركزها فى مصر كانت قد اختمرت وخرجت إلى دور العمل والتنفيذ فى السنة التى كان يغزو فيها عبدالله بن سعد الروم، ويظهر أن عبدالله بن سعد لم يعلم بأمر هذه

(١) الطبرى ج٥ ص٦٦.
(٢) الكندى: الولاة والقضاة ص١٢ ـ ١٣.
(٣) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٩٢.

القديس مرقس كلما يساله فيه، وكانت كل الجموع تجتمع اليه لتسمع كلامه وتعاليمه العذبه.



ومن بعد ايام قليل نظر تلك البيعه التى كرسها للبرسنوفيين اصحاب تلك المقاله اذا دخل اليها ليقدس [فوجدها صغيره] لا تسع الجموع فدعا بالصناع وانفق عليها من عنده حتى بنيت بنا حسنا وسميت بيعة البطرك الى يومنا هذا.

وكانت هذه النعمة العجيبة تنمو فى ايامه، فلم

الثورة إلا سنة ٣٥هـ بعد رجوعه من غزوة ذى الصوارى كما يخبرنا بذلك أبو المحاسن[١]، فليس هناك ما يشير إلى أنه علم بهذه الحركة قبل ذلك الوقت وإلا لما تغافل أو تعامى عنها وهو أخو عثمان في الرضاعة وموضع ثقته.

وتذكر بعض المراجع المتأخرة أن الذى ساعد على نجاح تلك الحركة في مصر هو سخط اجناد العرب بها على واليها عبدالله بن سعد لأنهم كرهوا أن يليهم بعد عمرو بن العاص ولأنه استخدمهم فى قتال أهل المغرب وغيرها[٢]. ولعل عمراً نفسه ـ وهو المعروف بدهائه العظيم ـ كانت له يد فى إثارة الاضطراب بمصر ليفسد الأمر على خلفه عبدالله بن سعد. ولعل كثيراً من الجند العرب في مصر أصبحوا لا يرحبون بقتال أهل المغرب إما رغبة فى الراحة أو استخفافاً بنتائج هذا القتال وما يصيبونه فيه من غنائم قليلة لا تبرر تركهم مصر الغنية بالاسلاب.

ولنرى الآن ما تم من أمر هذه الحركة وإلى أى حد نجح المتمردون في حركتهم.

وفد عبدالله بن سعد بن أبى سرح إلى عثمان بن عفان بالمدينة فى رجب سنة ٣٥هـ واستخلف على مصر عقبة بن عامر الجهنى فى قول، أو السائب ابن هشام بن كنانة العامرى

(١) النجوم الزاهرة ج١ ص٨٠.
(٢) النجوم الزاهرة ص٨٠، السيوطى: حسن المحاضرة جـ٢ ص٢.

يصبر العدو [الشيطان] عند نظره السلامه والامور العلويه والوصايا التى ثبتها فى قلوب المومنين وتخلص السبى الذى عاد بصلواته، فاطلق سهاما فى بيعة المشرق وعمل فى مطران من مطارنة كرياكوس البطرك بانطاكية يسمى إبراهيم حتى انه قال كلاما معوجا فى سراير المسيح ما لا اردنا ذكره لولا الضرورة لكى لا ينجس مسامع المومنين الاصفيا سماعه لانى اعلم انكم مشتملون بالنعمه فى كل حين بنور البشير مارى مرقس، لان

فى قول آخر[1] ، ولكن خليفته عليها طُرد من الفسطاط فى شوال من السنة المذكورة على يد محمد بن أبى حذيفة الذى أخذ يدعو الناس إلى خلع عثمان ويحرض عليه بكل الوسائل الممكنة لدرجة أنه كان كما يذكر المقريزى[2] يكتب الكتب على لسان أزواج الرسول عليه الصلاة والسلام ويدعى أنهن كتبنها ويقرأها فى المسجد فإذا فيها الاستغاثة مما عمل فى الإسلام وما صنع فى الإسلام، وبالطبع صدق أناس وكذب آخرون وبالطبع كان لعثمان شيعة فى مصر فناوأوا ابن أبى حذيفة وأرسلوا إلى عثمان من يخبره بصنيعه، ومن بين شيعة عثمان فى مصر معاوية بن حديج وخارجة ابن حذافة ومسلمة بن مخلد وبسر بن أبى أرطاة وغيرهم كثير[3] .

وأراد عثمان بن عفان معالجة الموقف باللين والسياسة لا بالعنف والشدة، فأرسل سعد بن أبى وقاص عله يستطيع أن يصلح بين المصريين ويصل إلى حل فى المسألة. ولكن سرعان ما خطب ابن أبى حذيفة فى أتباعه يحضهم على التماسك وألا ينخدعوا لرسول عثمان بدعوى أنه جاء ليشتت أمرهم ويفل عزيمتهم، وكان لكلامه أكبر الأثر فى أتباعه إذ سار إلى سعد بن

(١) الكندى: الولاة والقضاة ص١٣ ـ ١٤، خطط المقريزى جـ٢ ص٣٣٥.
(٢) الكندى ص ١٤، المقريزى جـ٢ ص٣٣٥.
(٣) الكندى: الولاة والقضاة ص ١٥، خطط المقريزى جـ٢ ص٣٣٥.

بصلوات ابينا البشير الإنجيلي لا تخليه الى الابد من النعمه. وهذه الضلاله التى ضل فيها ذلك المطران بتجديفه على السراير. حينئذ لما سمع ابونا مرقس حزن جدا وقال: ما الذى نربح اذا كنا الزمان كله باتحاد واحد في الامانه فتظهر هذه المقاله الغريبه في بيعة انطاكيه وهذا الوجع هو لي من اجل اتحاد الابا[ء] الارتدكسيين الذى نحن وهم متمسكون به ولاسيما لقول بولس(*) «اذا تالم عضو واحد من الجسد فقد تألمت جميع الاعضا، واذا تمجد عضو

(*) رسـالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس: ١٢ / ٢٦ .

أبي وقاص نحو مائة شخص فأساءوا إليه واضطروه إلى العودة من حيث أتى. وما لبث عبدالله بن سعد أن أتى مصر إلا أنه لم يكد يبلغ جسر القلزم حتى منعه أتباع ابن أبي حذيفة من الدخول فيها، فطلب منهم أن يسمحوا له بالدخول ليخبر جنده بما أتى به، ولكنهم أصروا على منعه فرحل إلى عسقلان وظل بها إلى أن توفى[١] .

ولم تقف الحركة في مصر عند هذا الحد من عصيان الخليفة، بل فكر ابن أبي حذيفة في إرسال جيش من مصر إلى عثمان بن عفان، فأرسل ستمائة رجل على كل مائة منهم رئيس أما قائدهم الأعلى فكان عبدالرحمن ابن عديس البلوى. وكانت النتيجة أن قتل عثمان في ذى الحجة سنة ٣٥هـ وعاد هذا الجيش ثانية إلى مصر[٢]. وهناك رواية أخرى تذكر أن وفد مصر، وكان معهم الثائرون من البصرة والكوفة، خرجوا متظاهرين بأن غرضهم العمرة[٣] ولكنهم كانوا يريدون الثورة على عثمان ابن عفان، وكان من بينهم محمد بن أبي بكر الصديق فشكوا إلى عثمان بن عفان واليه على مصر عبدالله بن سعد وطلبوا منه عزله فأجابهم عثمان إلى طلبهم وكتب بتولية محمد بن أبي بكر على مصر وعزل عبدالله بن سعد فقفل ذلك الوفد راجعاً، وبينما هم في الطريق رأوا راكباً ارتابوا في أمره ففتشوه واذا معه كتاب من عثمان

(١) الكندى ص١٦ ـ١٧ ، خطط المقريزى جـ٢ ص٣٣٥.
(٢) الكندى ص١٧ ، خطط المقريزى جـ٢ ص٣٣٥.
(٣) العمرة: زيارة البيت الحرام في غير أوقات الحج ويسمى الحج الأصغر.

واحد من الجسد قد تمجد معه جميع الجسد » ، قال هذا القديس مرقس البطرك وهو داع الى الرب.

ولاجل عظم اهتمامه بالامانه والاتحاد معهم كتب الى الاب البطرك كيرياكوس بما هذه نسخته: اتصل بنا ما قد بذره الشيطان فى بيعتكم المقدسه من ضلال ابراهيم فحزنت بيعتنا وتجمعنا لذلك لانا لم نسمع قبل هذه الايام بشى غريب

إلى عبدالله بن سعد يأمر فيه بقتل محمد بن أبي بكر ونفر ممن معه، فأخذوا الكتاب ورجعوا ثانية إلى المدينة. وقرأوه على من فيها من الصحابة وقد أنكر عثمان ذلك الكتاب وحلف لهم أنه لا يعلم من أمره شيئاً، فظنوا أن الكتاب كتبه مروان بن الحكم كاتب عثمان وابن عمه وطلبوا إليه أن يسلم إليهم مروان فلم يرض عثمان بذلك إذ أن مروان حلف هو الآخر أنه لم يكتبه. فطلبوا إليه أن يعتزل الخلافة فأبى وتمسك بها، وما لبث الثوار أن تطاولوا عليه وقتلوه أفظع قتلة وربما شجعهم على قتله ما علموا من استنجاده بمعاوية بن أبى سفيان وعبدالله ابن عامر والى البصرة وأمراء الأجناد فأرادوا أن يتموا ثورتهم قبل وصول المدد إلى عثمان خوفا من أن يقضى على حركتهم هذه بالفشل. ويقال إن محمداً بن أبى بكر هو أول من حرض الثوار على قتله وأول من دخل عليه ليقتله[1].

قد تكون الرواية السابقة صحيحة وقد يكون خصوم عثمان دسوها دساً يتهموه بالخداع أو الغفلة، خصوصاً إذا علمنا أن عبدالله بن سعد كان قد خرج من مصر قبل خروج الثائرين إلى عثمان.

ولم يضع قتل عثمان حداً لتلك الفتنة، بل كان بداية الفتن والمنازعات التى حفل بها التاريخ الإسلامى فى العصور الوسطى.

(١) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة جـ١ ص٤١ ــ ٤٨، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ٣ ص١٢٨ ــ ١٣٦.

من اتحادنا بالامانه الارتدكسيه، وما جمعه الرب وجعل جميعنا بالنور الحقيقى وصرنا الان مثل من قد سبى سبيا ويقدمه كرامة للملك، وفيما هو مهتم بهذا قام عليه شعب غريب وملك السبى لكنى اومن من ذلك الملك الذى نحن متدرعون بسلاحه لقتال اعدايه ان يخزى اعداه سريعا وينقذ السبى من ايديهم، ومن اجل ذلك ايها الاب المبارك لا تغفل عن طلب الضال واغذه بالطعام الذى يجب ان يغذى به الاعلا[ء]، الذى هو كلام

ب.أثر النزاع بين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان فى مصر

كان مقتل عثمان بن عفان كما يقول ابن خلدون [(١)] فتنة ابتلى الله بها الأمة، فقد بويع على بن أبى طالب من بعده بالخلافة في سنة ٣٥هـ ولكن النزاع تجدد بين المسلمين حول هذه المسألة. إذ رأى على ومن تبعه أن بيعته قد انعقدت ولزمت من تأخر عنها وذلك لاجتماع من اجتمع عليها بالمدينة. ورأى آخرون أن بيعته لم تنعقد لإفتراق الصحابة ولا تكون البيعة صحيحة إلا باتفاق أهل الحل والعقد كما أنها لا تكون صحيحة بغيرهم أو بحضور أقلية منهم، كذلك رأوا أن المسلمين كانوا حينئذ فى فوضى واضطراب فيجب أولاً المطالبة بدم عثمان ثم الاتفاق على خليفة المسلمين. وكان على رأس هذا الفريق المعارض لخلافة على، معاوية بن أبى سفيان والى بلاد الشام من قبل عثمان بن عفان وابن عمه.

وقد بادر على بعد توليه الخلافة بعزل ولاة عثمان وإرسال عماله إلى الولايات، كذلك أرسل بيعته إلى جميع الأمصار. والظاهر أن البيعة جاءته من كل مكان إلا بلاد الشام التى كان يليها معاوية بن أبى سفيان، فكان لابد من نشوب النزاع بين الطرفين بينما هما يستعدان لذلك وقع على مسرح الخلاف السياسى حادث جديد. هو خروج طلحة والزبير وعائشة زوج الرسول على خلافة على واشتباكهم معه فى موقعة الجمل التى انتهت بانتصار على وقتل

(١) المقدمة ص١٧٩ (فصل فى ولاية العهد).

الله كما كتب لنا المعلم بولس يقول: ان الضعفا فى الامانه أقبلوهم وايدوهم ليس بمحاورة فكر لكن بصنعة الطب، طب الاجساد الذى يعرف العلة فيها بمعالجة الاعلا[ء] تعافو وتقوو، وانت الآن طبيب الانفس، وبقدرة تعليم سيدنا المسيح تبطل الذى للعدو، والسلامة لابينا القديس المبارك امين.

فلما وصلت الكتب الى البطرك انطاكية كرياكوس تعجب من اهتمام هذا القديس واهتم

طلحة والزبير وأسر السيدة عائشة فى سنة ٣٦هـ. وفى تلك الأثناء استطاع معاوية أن يستميل إليه رجلا من أكبر دهاة العرب: هو عمرو ابن العاص. ويذكر اليعقوبى (١) أن عمرو بن العاص اشترط على معاوية بن أبى سفيان أن تكون ولاية مصر طعمة له نظير مساعدته له ضد على فقبل معاوية ذلك.

سار على بن أبى طالب فى أواخر سنة ٣٦هـ من الكوفة التى اتخذها مقراً لخلافته بعد موقعة الجمل ـ نحو الشام لمحاربة معاوية وتقابل الفريقان فى سهل صفين، حيث نشب القتال بين الفريقين. وانتهت تلك الموقعة فى صفر من سنة ٣٧هـ بحيلة ارتآها عمرو بن العاص. إذ أشار على معاوية برفع المصاحف على الرماح والنداء بتحكيم القرآن بدلا من تحكيم السيف فكان ذلك سببا فى فتور أكثر جند على بعد أن كانوا قاب قوسين أو أدنى من الانتصار. وقد اختير عمرو بن العاص حكما من قبل معاوية كما اختير أبو موسى الأشعرى من قبل على. وقيل إن هذا التحكيم انتهى باتفاق الحكمين على خلع على معاوية، فأعلن أبو موسى الأشعرى خلعهما، ثم قام عمرو فأعلن خلع على وتثبيت معاوية لأنه ولى عثمان والطالب بدمه وأحق الناس بأن يخلفه(٢).

(١) تاريخ ابن خلدون جـ٢ ص٢١٦ ـ ٢١٧.

(٢) انظر الطبرى جـ٦ ص٣٧ ـ ٤٠، المسعودى: مروج الذهب. جـ٢ ص٢٨ ـ ٣٣ (ط. القاهرة).

بكل جهده فى اعادة ذلك الظالم فلم يقدر عليه، وكان الشيطان يميل قلبه حتى ان جماعه ممن معه من الاساقفه باعمال انطاكيه مالو اليه وضلو معه فى هذه الضلاله وسموهم اهل المشرق الإبراهيميين(*) هولا افترقو من البيعه والمجمع الارتدكسى.

(*) شيعة الابراهيميين فى انطاكية .

فلما عاد ابونا انبا مرقس الى اسكندريه بعد بنا البيعه المعروفه به فرحو الارتدكسيون وامتلو

وقد خرج معاوية من التحكيم أقوى مما كان فقد رضى أهل الشام بخلافته، ولابد أن فريقاً غيرهم من الناس اعتقد بصحة التحكيم وبصحة خلاف معاوية، كذلك خرج فريق من أتباع على عليه بسبب رضائه بالتحكيم وهذا الفريق هو الذى يعرف بالخوارج، كما أن فريقاً آخر من جند على ملوا الحرب والنزاع، وقد عزم على على محاربة أهل الشام لاعتقاده أن الحكمين حكما الهوى ولم يحكما القرآن، وحث الناس على قتالهم فى سنة ٣٨ فتقاتلوا ولم يطيعوه إذ كانوا قد ملوا الحرب وسئموا القتال.

وقد اتفق ثلاثة من الخوارج على قتل على ومعاوية وعمرو فلم ينجح من هؤلاء الخوارج سوى عبدالرحمن بن ملجم الذى قتل علياً بالكوفة فى شهر رمضان من سنة ٤٠هـ. وبقتله انتهى عهد الخلفاء الراشدين وبايع المسلمون من بعده ابنه الحسن بن على، ولكن خلافته لم تزد على بضعة أشهر، إذ كان لا قبل له بمحاربة معاوية وجنده فتنازل له عن حقه فى الخلافة.

* * *

تجلى النزاع بين على ومعاوية بأجلى مظاهره فى مصر التى كانت مركزاً للمتمردين على عثمان بن عفان. فبعد مقتله فى ذى الحجة سنة ٣٥هـ عاد الركب الذى كان قد خرج عليه إلى مصر ثانية، ويلوح أن نفراً منهم تخلفوا فى المدينة ومنهم محمد بن أبى بكر نفسه، ويظهر

جميعهم جسدا الهيا، فاما الريس المحب لله
سليمان وجماعة معه فحضرو عند ابينا وسلوه
سوالا كتيرا قايلين له: ان ارض مصر جميعها
امتلت مسره بنبا البيع وخاصة هذه البيعه التى
بنيتها بمصر [الفسطاط]، وانت تعلم يا ابانا انه
من حياة ابينا انبا يوحنا سالناه فى بنا[ء] بيعه
السيد المخلص ان يوسعها ويزيد فيها لاجل كونها
فى وسط المدينه فلم يتفق هذا الامر وبقيت الى
الان، ونحن نسلك ان تورينا هذا الفرح فى ايامك.

أن أولئك المتمردين كانوا يتوقعون أن ينتقم منهم شيعة عثمان أو أنهم كانوا كعادتهم دائما يمزجون السياسة بالدين، وذلك لأنهم لما أتوا الفسطاط ودخلوا المسجد صاحوا: «إنا لسنا قتلة عثمان ولكن الله قتله»[1] أما شيعة عثمان فى مصر فقد بايعوا معاوية بن حديج على الطلب بدم عثمان فسار بهم إلى الصعيد، ولكن ابن أبى حذيفة أرسل إليهم من يحاربهم والتقى الفريقان فى إحدى قرى البهنسا فكان النصر حليف شيعة عثمان وهزم جيش ابن أبى حذيفة. ثم سار معاوية بن حديج إلى برقة ولا نعرف لماذا سار إليها ـ ثم رجع ثانية إلى الاسكندرية فأرسلى إليه ابن أبى حذيفة جيشاً آخر على رأسه قيس بن حرمل اللخمى فاقتتل الجيشان بخربتا[2] فى أول شهر رمضان سنة ٣٦هـ فقتل قيس بن حرمل وهزم جيشه[3]. وعلى هذا نرى أن شيعة عثمان فى مصر انتصرت للمرة الثانية على الحزب الذى ثار على عثمان ولما يمض عام واحد على مقتله.

نرى إذن أن النزاع الذى كان يقوم فى حاضرة الخلافة أو حول منصب الخلافة كان يؤدى إلى فوضى ونزاع فى مصر حتى تكاد تنعدم سلطة الخليفة فى تلك الظروف، فنرى ابن أبى

---

(١) الكندى: الولاة والقضاة ص١٨ خطط المقريزى جـ٢ ص٣٣٥.
(٢) خربْتا. بفتح الخاء أو كسرها كانت من كور الحوف الغربى بالقرب من الإسكندرية (ياقوت: معجم البلدان جـ٢ ص٤١٦).
(٣) الكندى ص ١٨ ـ ١٩، خطط المقريزى جـ٢ ص٣٣٥ ـ ٣٣٦.

فأجاب الراعي الصالح وقال لهم: انتم تعلمون حسد هولا المجاورين لكم [الخلقدونيين] ومتى بدانا بعمل ما ذكرتموه فهم يرفعون فينا للسطان ويشكونا فنقع في تجربه مثل ما قد صبرنا دفعات عليهم أنا وأبي يوحنا عند بنا بيعة ميخايل الملاك «بيعة التوبه». وكلما كلمهم سألو وزادو في السوال قايلين له: صلواتك المقدسات يكن لنا حصنا حتى يكمل هذا التذكار. فلما نظر قوة إيمانهم وحموة امانتهم اجاب سوالهم واحضر

حذيفة يغتصب ولاية مصر لنفسه دون أن يعينه خليفة، كما نرى شيعة عثمان وشيعة على يقتتلان في مصر.

ويظهر أن انتصار شيعة عثمان على ابن أبي حذيفة شجع معاوية بن أبي سفيان على القدوم إلى مصر لثروتها وخيراتها الوفيرة ولموقعها الجغرافي الممتاز فوصل في نفر من أصحابه إلى سلمنت من كورة عين شمس في شوال سنة ٣٦هـ فخرج إليه ابن أبي حذيفة وأهل مصر[١] ليمنعوه من دخولها، فبعث معاوية ـ بما عرف عنه من الدهاء وحسن السياسة إلى ابن أبي حذيفة يقول إنهم لم يجيئوا لقتال أحد وانما جاءوا يطلبون القصاص لدم عثمان ويريدون القبض على قاتليه وهما عبدالرحمن بن عديس وكنانة بن بشر اللذين كانا على رأس الوفد الذى يذهب إلى المدينة لقتل عثمان، فلم يجب ابن أبي حذيفة طلب معاوية وقال له لو طلبت منا جديا رطب السرة بعثمان ما دفعناه إليك!! وهنا لجأ معاوية إلى الحيلة مرة أخرى فعرض على ابن أبي حذيفة وأتباعه بأن يعطوه رهنا لكى يتفادوا حربه ضدهم. فرضى ابن أبي حذيفة بذلك وخرج في الرهن هو وابن عديس وكنانة بن بشر وغيرهم من قتلة عثمان فلما

---

(١) مصر هنا تعنى الفسطاط لا القطر المصرى لأن معاوية بوصوله إلى عين شمس كان قد دخل القطر المصرى فعلا وليس الفسطاط عاصمة مصر.

جماعه من الصناع والمهندسين ووضع الاساس على اسم السيد يسوع المسيح، وكانت هذه البيعه في وسط المدينه. وكان يقوم وقت الصلاه ووقت صياح الديك ليشاهد البنا مثل أحد المهندسين ويدبره لن [لأن] الرب قد انعم عليه بكل حكمه، وكان يحسب تعبه راحه لاجل محبته وشهوته للصالحات وبنا البيع. وعندما بنى البيعه المذكوره بنعمه الرب الحالة فيه زينها بكل زينه إلى ان صارت كمدا للمخالفين الخلقدونيين وفرحه وبهجه للمومنين الارتدكسيين.

بلغوا لد[1] سجنهم معاوية بها. وسار هو إلى دمشق فهربوا من السجن فتبعهم صاحب فلسطين وقتلهم في ذى الحجة سنة ٣٦هـ[2].

واستطاع معاوية بمهارته وسياسته أن يقضي على معظم الحزب العلوى فى مصر، ولا سيما الذين كانوا قد ثاروا على عثمان، دون أن يكلفه ذلك حربا أو سفك دماء. ولم يلجأ إلى حربهم أو إلى دخول مصر عنوة في وقت كان يستعد فيه لحرب يتوقف عليها مصير الخلافة بينه وبين على بن أبى طالب.

ولما بلغ عليا نبأ قتل ابن أبى حذيفة أرسل إلى مصر قيس بن سعيد ابن عبادة الأنصارى واليا عليها من قبله فدخلها فى بداية ربيع الأول سنة ٣٧هـ. ويظهر أن قيسا كان من أصحاب المقدرة السياسية الذين يعرفون كيف يستميلون الرجال حتى المعادين لآرائهم ومبادئهم، فنراه يحسن إلى شيعة عثمان بخربتا ويكرمهم ويبعث إليهم بأعطياتهم. ولعل معاوية خشي أن تجعل سياسته هذه من مصر ولاية علوية لا تعرف غير على والطاعةله فيقضى بذلك على حزب بنى أمية، فعمل هو وعمرو بن العاص على إخراجه من مصر بأية وسيلة،

(١) هى الآن اللد Lydda فى فلسطين على الطريق بين مصر وسوريا (لد. بالضم والتشديد.. قرية قرب بيت المقدس من نواحى فلسطين) ياقوت: معجم البلدان جـ٤ ص٣٥٤).
(٢) الكندى: الولاة والقضاة ص ١٩، وخطط المقريزى: جـ٢ ص٣٣٦.

ولما كان في اليوم السابع عشر من توت يوم عيد الصليب اجتمع الأساقفه الذين في كورة اسكندريه واساقفه اخر من المجاورين بمصر وكرزت البيعه على اسم السيد يسوع المسيح. فما اعظم ذلك الفرح الذى كان في ذلك اليوم بتسبيح وبركات وتمجيد كطغمات السماويين في العلا. وتصدق ذلك اليوم على الفقرا واهل الحاجه باشيا كتيره فما اكتر اعمال الاب الجليل مرقس البطرك التى لا يحصى لها عدد ولا يقدر لساني الناقص ان ينطق بها.

ولكنه امتنع منهما بالدهاء والمكايدة. وأخيرا لجأ معاوية إلى مكيدة استطاع بها أن يجعل عليا يشك في إخلاص قيس بن سعد فكان معاوية يحدث رجلا من ذوى الرأى من قريش في هذا ويقول «ما ابتدعت من مكايدة قط أعجب إلى من مكايدة كدت بها قيس بن سعد حين امتنع منى قيس». إذ تظاهر معاوية لأهل الشام بأن قيسا من شيعته وأن كتبه ونصائحه تأتيه منه وكتب بذلك إلى شيعته في العراق، فسمع بذلك جواسيس على في العراق، وانتهى ذلك الخبر إلى على وأراد أن يتحقق من صحته فأرسل إلى قيس يأمره بمحاربة شيعة عثمان بخربتا فرفض قيس مقاتلتهم معللا ذلك بأنهم وجوه أهل مصر وأشرافهم فمنهم مسلمة بن مخلد وبسر بن أبى أرطأة ومعاوية بن خدج وقال إن معاملتهم بالحسنى خير من قتالهم؛ فقتالهم لا يجدى نفعا وأنه في الواقع يكيد لهم بمعاملتهم بالحسنى، ثم كتب إلى على: «إن كنت تتهمني فاعزلني وابعث غيرى» فعزله على وكانت ولايته على مصر حوالى أربعة أشهر. وولى على مصر الأشتر مالك بن الحارث النخعي وهو من أعوان على وكبار قواده حضر معه موقعتى الجمل وصفين. وسار الأشتر إلى مصر حتى نزل القلزم في بداية رجب سنة ٣٧هـ، وهناك شرب عسلا فمات مسموما. ولما سمع بذلك معاوية وعمرو قال عمرو: «إن لله جنودا من عسل»[١] ومن المحتمل أنه كان لمعاوية وعمر يد في مقتله.

(١) الكندى: الولاة والقضاة ص٢٠ ـ ٢٤، خطط المقريزى جـ٢ ص٣٣٦.

وفى تلك الايام اقام الاب قيما على الخدمة البطركيه وكان ذلك القيم مملو حسدا وسو لكل احد وخاصة لرجل كاتب لابينا انبا مرقس وكان يذكر عنه كل قبيح لكى يطرده ابونا البطرك ويسلم له البيعه وحده، فيردعه ابونا ويمنعه ان يتكلم بهذا الكلام، فلم يقبل الدوا من الطبيب، ولما كان يوم من الايام وهو اليوم السادس عشر من طوبه اراد الاب القديس ان يتم يوم نياح الاب يوحنا الذى توفى فيه حضر ذلك الشرير وبدا ان

وكتب أبو المحاسن(١) أن معاوية استاء من تولية الأشتر مصر لكفايته وشدته فكتب إلى عامل القلزم يمنيه بوعود مختلفة على أن يهلك الأشتر بكل طريقة يقدر عليها، فكان أن قدم عامل القلزم للأشتر طعاما وعسلا مسموما فمات لساعته.

لما علم على بموت الأشتر أرسل إلى مصر محمد بن أبى بكر فكان حكمه بداية النهاية لحكم على بن أبى طالب في مصر، ولا غرو فقد كان رجلا يجهل أمور السياسة والحكم، وكانت تغلب على طبيعته روح الفوضى والثورة، وفيه حب للرياسة والزهو، وقد تجلت طبيعته هذه فى ثورته ضد عثمان وفى سياسته فى مصر عندما وليها.

قدم محمد بن أبى بكر إلى مصر فى رمضان سنة ٣٧هـ. ويقال إن قيس ابن سعد لقيه فنصحه عدة نصائح تختص بحكم مصر، تذكرنا بسياسة قيس قبل أن يعزله على، ومن تلك النصائح أن يصانع شيعة عثمان فى مصر ليكشف بمعاملته الحسنة عن أمرهم وآرائهم، كما نصحه بأن يحسن سياسته مع الشعب بوجه عام وبأن يتحبب إلى الناس وذلك بأن يعود المرضى ويشهد الجنائز، وغير ذلك من النصائح التى تستحق التقدير. على أن محمد بن أبى بكر لم يفعل شيئا من ذلك، بل كان أول ما عمله أن كتب إلى معاوية بن حديج ومن معه من شيعة عثمان يدعوهم إلى بيعته فلم يجيبوه فبعث إلى دورهم فهدمها ونهب أموالهم

(١) النجوم الزاهرة: جـ١ ص١٠٣ ـ ١٠٤.

يتكلم في الاخ الكاتب مثل اخوة يوسف معه فقال البطرك له: الان قد عسر داؤك، الان قد جربناك في كل شي لخلاص نفسك وانت لا تكف بل تزيد، والان فظلمك يكون هلى هامتك كما قال النبي في المزمور. وكان هناك قونه [ايقونه] فيها صورة السيده الجليله مريم والسيد المسيح في حضنها منصوبه في موضع جلوس البطرك فنظر اليها ذلك القيم ومد اصبعه من يده اليمنا وقال: ان كنت وقوتها قلت كذبا فيما ذكرته فهذه



الست مريم وطفلها المسيح.

وسجن ذراريهم، فنهضت شيعة عثمان لمحاربته ولما علم أنه لا قبل له بهم كف عنهم ثم صالحهم على أن يسيرهم إلى معاوية ففعلوا ولحقوا بمعاوية[١] . ويظهر أن ذلك جعل معاوية يتخذ خطة الهجوم وينهى خطة السياسة والمكائد ويرسل جيشا لفتح مصر.

فى ذلك الوقت الذى عزم فيه معاوية على إرسال جيش لاستخلاص مصر من علي، كان قد اتفق هو وعلى على التحكيم عقب موقعة صفين، ونعرف أن مدة التحكيم كانت بمثابة هدنة يضع فيها الفريقان المتحاربان السلاح. وتذكر المصادر أنهما لما اتفقا على التحكيم غفل عليي أن يشترط على معاوية ألا يقاتل أهل مصر[٢] ، ولذا أصبح معاوية حل من قتال أهلها. ويذكر أبو المحاسن[٣] أن معاوية طمع فى مصر لما اختلف أهل العراق على علي، وكان معاوية قبل ذلك يهاب مصر لكثرة الشيعة بها بالرغم من أن أهل خربتا كانوا عثمانية، ويذكر أيضا أن معاوية قصد باستيلائه على مصر أن يستعين بها على حرب علي. ولأهمية تلك المسألة استشار معاوية خواصه ومن بينهم عمرو. فقال عمرو: «أهمك أمر مصر وخراجها الكثير وعدد أهلها فتدعونا لنشير عليك فيها فاعزم وانهض، في افتتاحها عزك وعز أصحابك وكبت

---

(١) الكند ص ٢٦ ـ ٢٨، خطط المقريزى جـ٢ ص٣٣٧.
(٢) الكندى ص٢٨، خطط المقريزى جـ٣ ص٣٣٧.
(٣) النجوم الزاهرة جـ١ ص١٠٧ ـ ١٠٨.

الصوره تنتقم مني. فاسمعو الان ما نزل على هذا الشقى من الامر المر من فم ذلك النبى القديس الذى قوله بسلطان قال له قولا مملو خوفا مثل قول دانيال النبى للشيخين المخالفين شهود سوسنه(*) العفيفه قايلا: يامن عتق فى ايامه السو ملاك الرب يضربك ويقطعك نصفين مثل ما ضرب الذى شهد على سوسنه بالزور. فى تلك الساعه عند تمام الكلام الخارج من فيه وقع ذلك الشقى على جنبه الايمن تحت رجليه وهو جانب يده اليمنا التى

(*) سوسنه: هو اسم للست مريم.

عدوك. فقال له معاوية. يا ابن العاص: «إنما أهمك الذى كان بيننا»[1] وقد رأى بقية خواصه ما رأى عمرو. وفى تلك الأثناء كاتب معاوية شيعته فى مصر وعلى رأسهم معاوية بن خديج ومسلمة ابن مخلد يمنهم بقدوم جيشه فكتبا إليه: «أما بعد فعجل علينا بخيلك ورجلك، فإن عدونا قد أصبحوا لنا هائبين فإن أتانا المدد من قبلك يفتح الله علينا».

هذه هى الرواية التى يذكرها أبو المحاسن ويستفاد منها أن شيعة عثمان بمصر لم يخرجوا منها، وأن معاوية لم يرسل جيشاً لاستخلاص هذه البلاد إلا بعد أن تمهدت له الأمور فى مصر.

وقد تكون شيعة عثمان فى مصر قد خرجت حقا فى ولاية محمد بن أبى بكر كما ذكرنا سابقاً، ولكن الأرجح أنها لم تخرج كلها بل ظل فيها طائفة منهم.

وقد أرسل معاوية سنة ٣٨هـ جيشاً إلى مصر بقيادة عمرو بن العاص.

وهنا يجب أن نتذكر أن عمراً لم يكن يستخلص مصر هذه المرة من أيدى البيزنطيين كما فعل سنة ٢٠هـ وإنما كان يستخلصها من شيعة على ابن أبى طالب، فكان جيش عمرو فى تلك المرة يحارب فريقا من شعبه يدين بدينه، لا شعبا أجنبياً عنه ويدين بدين غير الدين

(١) يشير معاوية بذلك إلى الاتفاق الذى كان بينه وبين عمرو على أن يعطيه مصر طعمة له وذلك عند ما تعاهد معه على قتال على.

مدها الى الصوره بالسو وانفلج الى يوم وفاته. فلما نظرو الاعجوبه والامر الهايل خافو جميعهم من كلامه الذى كان مثل كلام الانبيا.

والآن يا ساداتي الابا[ء] وأولاد الارتدكسيين قد بدات وذكرت لكم انى لا أقدر ان انتهى فى ذكر افعال اباى لعظمها لاننى كالسرات [كالسائرين] خلف الحصادين، وليس لى قلب مضى[ء] لانى غارق في ظلمة ذنوبى . وقد سمعنا من قوم ثقات

الإسلامى. ففى سنة ٢٠هـ وقف العرب كتلة واحدة أمام البيزنطيين، وهنا فى سنة ٣٨هـ انقسم العرب على أنفسهم وأصبح حزب منهم يقاتل حزبا آخر. وكان جيش عمرو يتكون من أهل دمشق وعليهم يزيد بن أسد البجلى وأهل فلسطين وعليهم رجل من خثعم وكان معاوية بن حديج على رأس شيعة عثمان، وأبو الأعور السلمى على أهل الأردن. وتقابل جيش عمرو مع جيش محمد بن أبى بكر فاقتتلوا بالمسناة[١] وهزم الجيش الذى كان يقوده محمد بن أبى بكر بعد أن تكبد الفريقان خسائر فادحة في الأرواح. ويبين شدة القتال فى تلك الموقعة ما قاله عمرو: «شهدت أربعة وعشرين زحفاً فلم أر يوما كيوم المسناة ولم أر الأبطال إلا يومئذ» وبعد انتصار عمرو دخل هو وأهل الشام مدينة الفسطاط[٢] .

هرب محمد بن أبى بكر بعد تلك الموقعة فأقبل معاوية بن حديج فى رهط من أنصاره يبحث عنه فدلتهم على مكانه امرأة فسار إليه معاوية بن حديج وقتله وقال: يقتل كنانة بن بشر ويترك محمد بن أبي بكر وإنما أمرهما واحد[٣] ! ويقال إن محمدا طلب العفو من معاوية بن حديج فقال له معاوية: «قتلت ثمانين رجلا من قومي في عثمان وأتركك وأنت صاحبه!» فقتله ووضعه في جيفة حمار ميت وأحرقه بالنار. فكانت ولاية محمد بن أبى بكر

(١) المسناة: مكان بين عين شمس وأم دنين أى شمالى القاهرة.
(٢) الكندى: الولاة والقضاة ص٢٩.
(٣) الكندى ص٢٩.

صادقين كانو بخدمون ابابنا القديسين في كل زمان ما نحن ذاكرون بعضه ، واذكر ايضا ما ظهر من هذا الاب انبا مرقس البطرك لكي تتعجبو وتمجدو الله من اجل الرافه والرحمه التي يعملها مع اصفياه كما قال بولس: ان الذين يحبون الله يصنع معهم كل عمل جيد. كان في زمان هذا القديس جراد عظيم ظهر في أعمال البحيره واسكندريه فاكل جميع اثمار الارض والكروم كما هو مكتوب في المزمور انه قال: فجا جراد وجندب

على مصر خمسة أشهر ومقتله في ١٤ من صفر سنة ٣٨هـ وقيل أيضاً إنه قطع رأسه وأرسله إلى معاوية بن أبي سفيان بدمشق وطيف به، وهو أول رأس طيف به في الإسلام[١] ، وبذلك انتهى حكم الخلفاء الراشدين من مصر في صفر سنة ٣٨هـ[٢] . وتقديراً لهذه الخدمات التي أداها عمرو بن العاص ولاه معاوية مصر صلاتها وخراجها وجعلها له طعمة بعد عطاء جندها والنفقة على إدارتها، وهذه هي ولاية عمرو بن العاص الثانية على مصر. ولم يلبث عمرو أن خرج للتحكيم الذى كان بين علي ومعاوية واستخلف على مصر ابنه عبدالله، وقيل خارجة بن حذافة صاحب شرطته، وبعد أن أدى مهمته في التحكيم كما رأينا عاد ثانية إلى مصر[٣] ليجمع أموالها لحسابه وحده. وهكذا أصبحت مصر ولاية تابعة للدولة الأموية منذ سنة ٣٨ هـ بالرغم من أن علياً ظل خليفة حتى سنة ٤٠هـ.

٢. النزاع الذى قام حول الخلافة زمن الخلفاء الأمويين (٤٠-١٣٢هـ = ٦٦١-٧٥٠م):

أ. دعوة ابن الزبير لنفسه بالخلافة وأثر ذلك فى مصر

طمع عبدالله بن الزبير في الخلافة كما طمع غيره وتجلت أمنيته هذه منذ خروجه مع أبيه

(١) خطط المقريزى: جـ٢ ص٣٣٧.
(٢) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ١ ص١١٠.
(٣) الكندى ص٣١، خطط المقريزى: جـ٢ ص٣٣٧.

فـاكل جـمـيـع عـشب الارض. فـحـزن الاب عند معرفته بذلك وامر الشعب الارتدكسى ان يخرجو بالبـخور والصلبان و الإناجيل ويسالو الله الرحـوم ان يزيل عنهم الغضب الحال بهم، وخرج معهم الاب وهو يسـال الله فى قلبـه بدمـوع غـزيره، وخرجو خار ج المدينه موضع الجراد كما قال لهم ونظرو الجـراد وقد طار متعاليا الى الجو وكان امرا عظيـمـا حـتى غطا الجـو، وكـانت دموع الشـعب تخـتلط مع دعـاهم والاب البطرك يقـول: يارب

فى موقعة الجمل[١] ، على أن الفرصة لم تكن قد حانت بعد لخروجه وادعائه الخلافة، بل نراه يشترك فى خدمة الدولة زمن معاوية ابن أبى سفيان ويخرج فى الجيش الذى سار لغزو القسطنطينية سنة ٤٩ هـ بقيادة يزيد بن معاوية[٢] . وعندما أخذ معاوية قبيل وفاته البيعة لابنه يزيد، عارض فى تلك البيعة نفر يسير من أهل المدينة منهم الحسين بن على وعبدالله ابن الزبير. وقد حذره معاوية من هؤلاء النفر وخاصة من ابن الزبير إذ قال له «... وأما الذى يجثم لك جثوم الأسد ويراوغك مراوغة الثعلب فإن أمكنته فرصة وثب فذاك ابن الزبير فإن هو وثب عليك فظفرت به فقطعه إربا إربا واحقن دماء قومك ما استطعت»[٣] ولما ولى يزيد بن معاوية الخلافة (٦٠ ـ ٦٤هـ = ٦٨٠ ـ ٦٨٣ م) امتنع الحسين والزبير عن مبايعته. فأما الحسين فقد خرج على يزيد وقتل فى اليوم العاشر من المحرم سنة ٦١هـ بكربلاء، وبقتله خلال الجو لابن الزبير فدعا لنفسه بالخلافة فى سنة ٦١هـ وبايعه أهل تهامة والحجاز[٤] . وقد أرسل يزيد جيشا فى سنة ٦٣هـ لمحاربة ابن الزبير وأتباعه فى المدينة ثم مكة، ومات يزيد ولما يتم إخضاع ابن الزبير. ثم ولى الخلافة معاوية الثانى ابن يزيد، إلا أن مدة خلافته لم تطل فقيل إنه ملك

(١) انظر الطبرى: تاريخ الأمم والملوك جـ٥ ص١٦٩، ابن طباطبا: الفخرى ص٧٦.
(٢) الطبرى: جـ٦ ص١٣٠.
(٣) ابن طباطبا: الفخرى ص٩٨.
(٤) الدينورى: الأخبار الطوال من ص٢٦٠، الطبرى: ج٦ ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤.

يارب الرأفــه والرحــمــه لا تهلكنا لاجل خطايانا وذنوبنا ولكن تجاوز عن سيآتنا لجل رحمتك، وكما سمعت صراخ اهل نينوى اسمع يارب تضرعنا واقبل دعانا يارب وكما سمعت دعا موسى فى ذلك الزمان وازلت الجراد عن ارض مصر اسمع اليوم دعانا وانظر دموع شعبك وتنهدهم من عمق قلوبهم وازل عنا هذا الغضب.

ولولا انا نكره التطويل لشرحنا كلما قالوه من

أربعين يوما وقيل ثلاثة أشهر، وحدثت بعدموته فترة هرج ومرج ونزاع حول منصب الخلافة، وفى تلك الأثناء اتسع نطاق دعـوة ابن الزبيـر الذى بايعـه أهل الشـام كلهم إلا أهل الأردن، وكذلك بايعه أهل مصر كما غلب على أهل العراق والحجاز واليمن.

ولما بويع مروان بن الحكم بالخلافة فى سنة ٦٤هـ (٦٨٤م) كان عليه أن يقضى على معارضة عبدالله بن الزبير. أما فى الشام فقد انتصر على الضحاك بن قيس عامل عبدالله بن الزبير فى موقعة مرج راهط وقتله وبذلك خلصت بلاد الشام لمروان، وكذلك استولى مروان بن الحكم على مصر من عامل ابن الزبير كما سنرى، ومات مروان فى سنة ٦٥هـ (٦٨٥م) وابن الزبير متغلب على الحجاز والعراق.

وفى عهد عبدالملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٦هـ = ٦٨٥ ـ ٧٠٥م) تم القضاء على ابن الزبير، إذا تغلب بنو أمية على العراق فى سنة ٧٢هـ، وعلى الحجاز فى سنة ٧٣هـ، وانتهى الأمر بقتل ابن الزبير فى هذه السنة.

* * *

وقد مر بنا أن مصر أصبحت ولاية تابعة للدولة الأموية منذ سنة ٣٨هـ وأصبح ولاتها منذ ذلك الحين يولون من قبل الخلفاء الأمويين، ولم تظهر دعوة ابن الزبير فى مصر إلا عقب وفاة

الدعا والتضرع بالاتضاع والحرقه والدموع، والله العظيم الذى يسمع دعا عبيده ويخلص الذين يصرخون اليه ويدعونه، يا لعظم تلك الاعجوبه التى لم تنقص شيا عما كان فى ايام موسى، يا لعظم قوة المسيح التى فى ابينا البطرك، ففى تلك الساعة طار الجراد فوق روسهم الى ان نزل فى لجج بحر اليم ومات جميعه بصلاته.

اسمعو الآن يا اباى واخوتى ما تفرح به قلوبكم

الخليفة يزيد وذلك فى ولاية سعيد ابن يزيد عليها (٦٢ـ ٦٤هـ). وقد قام بتلك الدعوة الخوارج وكانوا يحسبون ابن الزبير على مذهبهم[1] . والواقع أن هذه الفرق المختلفة من الشيعة والخوارج كانت تؤيد جموع الثائرين على الخلافة علها تستطيع الوصول إلى مآربها المختلفة دينية كانت أو سياسية. فلم يقل أحد بأن ابن الزبير كان يدين بمذهب الخوارج، ولكن ربما ادعى الخوارج فى مصر ذلك، وساعدهم فى دعوتهم هذه ما لاقوه من ترحيب ابن الزبير بهم واعتماده عليهم فى نشر دعوته.

أوفد الخوارج فى مصر وفدا إلى ابن الزبير ـ ليرسل إلى مصر أميرا من قبله يؤازرونه. كذلك خرج من مصر إلى ابن الزبير أناس من غير الخوارج، منهم أبو عبيدة وعياض ابن عقبة بن نافع بن عبد قيس الفهرى وأبو بكر بن القاسم بن قيس العذرى وحيان بن الأعين الحضرمى وحجوة ابن الأسود الصدفى ـ ثم أرسل ابن الزبير واليا من قبله على مصر هو عبدالرحمن بن عتة بن جحدم الفهرى، فقدم مصر فى طائفة من الخوارج الذين قاموا ضد واليها سعيد بن يزيد فاعتزل الولاية سنة ٦٤هـ ومن ثم بدأت ولاية عبدالرحمن بن جحدم فى شعبان سنة ٦٤هـ وأصبحت مصر ولاية تابعة لخلافة عبدالله بن الزبير. وقد بايعه الناس فى مصر ومنهم شيعة بنى أمية الذين بايعوه فى الظاهر إلا أنهم كانوا مخلصين للأمويين

---

(١) الكندى: الولاة والقضاة ص٤٠ ـ ٤١، خطط المقريزى: جـ٢ ص ٣٣٧.

برافة الله التى جعلها فى هذا الاب ، لما كان بعد ذلك عند عودته من مصر وهو يفتقد الشعب اجتاز بلد تسمى الان اغروه، وقديما اغرا[ر](*) وخرجو الكهنه للقايه كالعاده ليقرو قدامه، وجماعه من الشعب ريسا مقدمون وبارك عليهم ودعا لهم جميعهم، فخرج مع الناس انسان به شيطان فصرعه بين الناس وخنقه حتى خرج الزبد من فيه، فلما راه ابونا حزن عليه وتحنن وامتلا من روح

(*) أغرار : هى الآن غالباً قرية الغريره. وهى ناحية إدارية تكونت سنة ١٩٢١ ، تقع فى زمام ناحية كيمان المطاعنه مركز اسنا محافظة جرجا .

وللحكم الأموى فى الباطن[١] . فلما بويع مروان بن الحكم خليفة بالشام فى ذى القعدة سنة ٦٤ هـ دعاه شيعته بمصر لاستخلاصها من عامل ابن الزبير.

فقدم مروان بن الحكم إلى مصر وأرسل أمامه جيشا بقيادة ابنه عبدالعزيز بن مروان وأمره أن يدخل مصر عن طريق أيلة. وقد أشار الجند على ابن جحدم بحفر خندق حول الفسطاط للدفاع عن مصر، فأمر بحفر هذا الخندق فحفر فى شهر واحد.

وقد أعقب ابن جحدم ذلك بإرسال جيش إلى الشام أمر عليه السائب ابن كنانة بن هشام العامرى كما سير إليها حملة بحرية بقيادة الأكدر بن حمام اللخمى. وأرسل إلى أيلة جيشا آخر بقيادة زهير بن قيس البلوى ليمنع عبدالعزيز بن مروان من السير إليها. أما جيش السائب فقد انتصر عليه مروان بخدعة غريبة إذ أخبره روح بن زنباع بأن للسائب بفلسطين ولدا رضيعا فأخذه مروان ولما التقى بجيش السائب أظهر له ابنه وهدده بقطع رأس ابنه إذا لم يرجع، فرجع السائب دون قتال ولذلك سمى جيشه جيش الكرارين، وأما المراكب التى سيرها ابن جحدم فقد هبت عليها ريح عاصف أغرقتها ونجا أميرها الأكدر وعاد إلى الفسطاط. وقد التقى جيش زهير بن قيس بعبد العزيز على مقربة من أيلة وتقاتلا فانهزم زهير ومن معه[٢] .

(١) الكندى: الولاة والقضاة ص٤٠ ـ ٤٢ ، خطط المقريزى جـ٢ ص٣٣٧.
(٢) الكندى ص ٤٢ ـ ٤٣، خطط المقريزى جـ٢ ص٣٣٧ ـ ٣٣٨.

القدس وقال لهم قدموه الى ورسم على وجهه علامة الصليب وقال: الرب يسوع المسيح الكلمه الوحيد من الاب الذى اخزى الشياطين وعتق خليقته منهم، انت الذى عرفوك الشياطين وانت الذى القيتهم فى قعر الجحيم فصرخو وقالو: ما لنا ولك يا يسوع ابن الله اتيت لتهلكنا قبل الوقت الذى نعذب فيه، انت الان يا سيدى يسوع المسيح اصرف هذا الشيطان النجس واخرجه من هذا الرجل. فلما قال هذا سقط الرجل على الارض

وسار مروان إلى مصر حتى نزل عين شمس فخرج إليه ابن جحدم فى اتباعه وتحاربوا يوما أو يومين ثم رجعوا إلى خندقهم. وأخذوا يحاربون مروان وهم فى الخندق، وقد سميت تلك الأيام بأيام الخندق والتراويح، فكان أهل مدينة الفسطاط، يتناوبون القتال فيخرج نفر للقتال ثم يرجع ثم يخرج غيرهم، وهكذا وقد اشتد القتال بين الفريقين حتى قام نفر ليصلحوا بين المصريين ومروان وتم ذلك الصلح وكتب مروان كتابا أمن فيه المصريين ثم دخل الفسطاط فى غرة جمادى الأولى سنة ٦٥هـ[١] . وانتهى فى مصر حكم ابن الزبير بعد أن دام نحو تسعة أشهر وهى المدة التى ولى فيها عبدالرحمن بن جحدم.

وقد بايع الجند العرب فى مصر مروان بن الحكم إلا نفرا لم يرضوا بنكث بيعه ابن الزبير بعد أن بايعوه طائعين. ولما كان مروان يريد أن يقضى على خلافة ابن الزبير نهائيا من مصر، فقد قتلهم بعد أن أبوا بيعته وكانوا ثمانين رجلا.

وأقام مروان بن الحكم بمصر شهرين ثم غادرها فى أول رجب سنة ٦٥هـ بعد أن وطد أمورها وأعادها ثانية إلى الحكم الأموى، كما ولى عليها ابنه عبد العزيز بعد أن زوده بالنصائح الهامة التى تجعل منه حاكما قديرا وتساعده على حكم مصر[٢].

---

(١) الكندى ص٤٣ ـ ٤٥ ، خطط المقريزى جـ٢ ص ٣٣٨.
(٢) الكندى ص ٤٧ ـ ٤٨.

وانقطع حسه وسبت [دون حركة] كانه نايم، وقام بعد ساعه وقد خرج منه الشيطان بصلواته، فسجد على قدميه المقدسه وشكر الله على ما ناله من الخلاص. حينئذ قال له الاب قول الرب الذى قاله في الإنجيل لصاحب اليد اليابسه لما ابراه: قد عوفيت فلا تعود تخطى فينالك اكثر من هذا وانظر كيف تصعد لتأخذ السراير المقدسه وأعلم أن الذى حل بلك هو بسبب انك كنت تتناول السراير المقدسه بجهل، فاحفظ نفسك من الكلام

على أن جند العرب في مصر بعد خروجهم عن طاعة ابن الزبير لم يقفوا على الحياد في النزاع الذى كان بينه وبين الخلفاء الأمويين، بل مدوا يد المساعدة إلى الأمويين كى تعينهم على التخلص منه، فأرسل عبد العزيز بن مروان والى مصر (٦٥ ـ ٨٦هـ) في سنة ٧٢هـ حملة بحرية إلى مكة لقتال ابن الزبير كان عدتها ثلاثة آلاف رجل، وكان في هذا البعث رجل اسمه عبد الرحمن بن بحنس [١] أحد موالي تجيب يقال إنه هو الذى قتل ابن الزبير في جمادى الآخرة سنة ٧٣هـ[٢]

وقد رفعت خلافة ابن الزبير من شأن الخوارج بمصر لفترة يسيرة، إلا أنه، كما يقول المقريزى [٣] انكفت ألسنتهم هم والعلوية بعد تغلب مروان على مصر. على أنهم عادوا الى الظهور في ولاية قرة بن شريك على مصر (٩٠ ـ ٩٦هـ) في خلافة الوليد بن عبد الملك، فيذكر الكندى [٤] والمقريزى [٥] أنه عندما خرج قرة إلى الإسكندرية في سنة ٩١هـ اتفق الخوارج بالاسكندرية، وكانت عدتهم نحو مائة، على الفتك به وكان رئيسهم إذ ذاك المهاجر

---

(١) كتب الاسم في المصادر بحنس ويحتمل أن يكون ذلك الاسم «يحنس»
(٢) الكندى ص ٥١، خطط المقريزى: جـ١ ص ٢١٠.
(٣) الخطط جـ٢ ص ٣٣٨.
(٤) الولاة والقضاة ص ٦٤.
(٥) الخطط جـ٢ ص ٣٣٨.

البطال الذى يخرج من فيك. فنظرتم يا احباى هذه النعمه العظيمه التى استحقها ابونا انبا مرقس وانه بكلام فمه يطرد الشياطين بامر وسلطان مثل الحواريين تلاميذ المسيح الرسل الاطهار. وكان يدهن جماعه من المرضى بالزيت باسم السيد المسيح ويصلى عليهم فيبرون [فيبرؤن] عاجلا.

فان قال إحد من المقاومين: فلاى شى لم يشف نفسه من وجع الضربان الذى كان به فليقرا فى

ابن أبى المثنى التجيبى أحد بنى فهم، وقد علم بذلك رجل يكنى بأبى سليمان فأبلغ قرة ما عزم عليه الخوارج فأخذهم بغتة قبل أن يتفرقوا وحبسهم وقد أقروا بما عزموا عليه فقتلهم.

وبذلك انتهى ذلك الدور من أدوار النزاع حول الخلافة وظلت مصر تقريبا طوال الحكم الأموى فيها (٣٨ ـ ١٣٢هـ) هادئة لا تشترك فى أية منازعات أو حركات ظهرت فى مقر الخلافة أو فى غيرها من أنحاء الدولة الإسلامية إذا استثنينا تلك الفترة التى قامت فيها خلافة ابن الزبير فى مصر كما تقدم. على أن مصر دخلت فى أواخر ذلك العهد فى النزاع الذى قام بين الأمويين والعباسيين والذى انتهى بقيام الدولة العباسية كما سنرى.

ب.زوال الخلافة الأموية وأثر ذلك فى مصر

تجمعت الظروف والعوامل التى أدت إلى زوال الخلافة الأموية وظهر أثرها بوضوح منذ أواخر القرن الأول الهجرى وأوائل القرن الثانى، فمن شيعة يعملون على الكيد لبنى أمية ليغتصبوا الخلافة منهم، ومن خوارج كانت مبادئهم وحركاتهم هادمة لخلافة قريش، إلى موال كرهوا الدولة الأموية لتفضيلها العرب عليهم.

وهذه العناصر المناوئة للدولة وجدت منذ قيام الدولة الأموية،ومع ذلك لم يظهر أثرها فى إضعافها إلا بعد أن ظهر الضعف من جانب الدولة نفسها، ولعل أهم مظاهر ذلك الضعف هو انقسام البيت الأموى على نفسه انقساما تاما منذ خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥

الكتب فيجد قول الله انه يجرب اصفياه بالعلل والتجارب مثل ايوب الصديق بالجذام، ويوسف برميه فى الجب من ايدى اخوته، ودانيال مع الاسود الضوار، والتلته فتيه فى اتون النار، واشعيا النبى بمنشار الخشب. واهل هذه الطبقه من الانبيا والصالحين كتير لو شرحنا ما نال كل منهم لما وسعه المصاحف، لان القديس بطرس الحوارى كان ظله اذا مر على مريض فى الطريق قد برى من مرضه، ولاجل هذا كانو المرضى يجلسون فى

ـ١٢٦هـ=٧٤٣ ـ ٧٤٤) إلى أن ولى الخلافة مروان بن محمد اخر الخلفاء الأمويين فى سنة ١٢٧هـ (٧٤٤هـ)، وإذ أصبح كل فرد من أفراد البيت الأموى يتخذ لنفسه حزبا يستعين به على الوصول إلى الخلافة، مما شجع الطامعين من غير بنى أمية على إلقاء دلوهم فى الدلاء علهم يصلون إلى ما يريدون. وكان صاحب النصيب الأكبر فى هذه الغنيمة هم العباسيون.

كذلك وضح خطر العصبية القبلية فى أواخر عهد الدولة الأموية ومما زاد فى شقة الخلاف بين أفراد القبائل أن الخلفاء زجوا بأنفسهم فى هذه المنازعات، فتعصب بعضهم لعرب الشمال وتعصب آخرون لعرب الجنوب.

وقد استغل بنو العباس عم النبى محمد كل هذه الظروف السيئة التى أحاطت بالخلافة الأموية، يظهر أنهم بدأوا منذ أواخر القرن الأول الهجرى ينظرون من جانبهم فيما طمح إليه الشيعة[١] فأخذوا يعملون لأنفسهم واستغلوا فى حركتهم الشيعة والموالى استغلالا كبيراً؛ إذا كانوا يدعون لواحد من آل محمد وطبيعى أن هذا يشمل آل على وآل العباس.

وفى الوقت الذى أثمرت فيه الدعوة العباسية كان حال الخلافة الأموية قد ساء إلى أقصى حد. وقد وجدت الدعوة العباسية فى شخصية أبى مسلم الخراسانى صاحب الفضل فى

---

(١) المسعودى: كتاب التنبيه والإشراف ص ٣٣٨.

الطريق التى يعبر فيها فيمر ظله عليهم فيبرون [فيبرؤن] وكان فى ساق بولس نمله(*) وهو متالم منها لا يقدر على بروها [وكانت الحزق التى تشد عليها تبرى المرضا وكان بصلاته يبرى العميان] وانما ابلاه الله بها رحمة منه ليلا [لئلا] يكبر نفسه عندما يعمل العجايب باسم المسيح، وسمعان الحبيس كان به قروح تدودت لم يقدر على بروها، وكان بصلاته يبرى العميان ويطهر البرص ويعمل اعمالا كثيره، وكلما اقام فى علته

(*) يقصد بالنملة هنا حبه نافرة فى الجلد.

إخراجها إلى حيز العمل والتنفيذ، فهو كما يقول ابن طباطبا [1] «رجل الدولة وصاحب الدعوة وعلى يده كان الفتح». وقد نجح أبو مسلم فى إظهار الدعوة العباسية ورفع راية العباسين فى خراسان سنة ١٢٩هـ[2] . وتمت الغلبة للعباسيين على الأمويين فى خراسان والعراق، وسار أبو مسلم بجنده من خراسان إلى الكوفة حيث بايع أبا العباس السفاح بالخلافة فى سنة ١٣٢هـ. وتبعه الناس من بعده. وتقابل جيش العباسيين مع الجيش الآموى الذى كان يقوده مروان بن محمد عند نهر الزاب (أحد روافد نهر دجلة)، وهناك كانت الغلبة للعباسيين فى سنة ١٣٢هـ (٧٥٠م[3]) وفر مروان بعد ذلك هاربا إلى مصر.

ولا نعرف على وجه التحقيق متى بدأت الدعوة العباسية فى مصر لأن العباسيين كما عرفنا اهتموا بخراسان والمشرق لنشر دعوتهم فيها ولأن محور الحوادث منذ البداية كان فى المشرق، ولكن كان مقدرا أن تكون نهايتها فى مصر التى فر إليها الخليفة مروان بن محمد ولقى فيها حتفه.

أول ما نسمع عن الدعوة العباسية فى مصرأيام خلافة هشام ابن عبد الملك (١٠٥ ـ

(١) الفخرى ص ١١٨.
(٢) الطبرى جـ٩ ص ٨٢ ـ ٨٤.
(٣) الطبرى جـ٩ ص ١٣٠ ـ ١٣٢، ابن طباطبا: الفخرى ص ١٢٥ ـ ١٢٦.

تلت سنين، وابونا القديس انبا مرقس البطرك قام اثنتى عشره سنه في وجعه، وكان يشكر المسيح ويقول: اشكرك يا ربى والاهى اذا جعلتنى مستحقا لهذه الالام مثل العازر المسكين.

وكانت الشعوب وجميع كورة مصر في سلامة وهدو في جميع ايامه.

فلم يصبر مبغض الخير الشيطان لما راى من اعماله وعجاييه التى هى كل يوم تزيد، فبدا ان

١٢٥هـ) وفي ولاية عبد الرحمن بن خالد عليها (١١٧ ـ ١١٩هـ) إذ يذكر أبو المحاسن [١] أن دعاة بنى العباس أرسلوا إليه سرا فاكرمهم ووعدهم فبلغ ذلك هشاما فعزله.

لكن مصر ظلت هادئة لم تتأثر مما كان يدور في المشرق حتى كانت خلافة مروان بن محمد (١٢٧ ـ ١٣٢هـ) فيبدأ الاضطراب في مصر منذ توليه الخلافة ونرى الجند لا يطيعون أوامر الخليفة في كثير من الأحيان، كما نرى النزاع بين القيسية واليمنية يتجلى بأجلى مظاهره في مصر ولا غرو فقد عمت روح العصبية القبلية إذ ذاك في جميع أنحاء الدولة الإسلامية، فاليمنيون لا ينفذون أوامر الخليفة، والقيسيون أو المضريون في جانب الخليفة، ولكن بعضهم يشقون عصا الطاعة، كما يثور بعض أفراد البيت الأموى تعصبا للخليفة مروان بن محمد وبعضهم يثور ضده، كذلك يظهر الخوارج في مصر. أى أن ما يحدث في مقر الخلافة يقع مثله في مصر. وهنا نجد ظاهرة لم نعهدها من قبل وهى ثورة المصريين الوطنين [البشمور] ومساعدتهم للعباسيين ضد الأمويين، فالمصريون الوطنيون لم يشتركوا في المنازعات الخلافية من قبل ولكنهم لعبوا هنا دورا لا يغفل أثره، فتهيأت بذلك الظروف للعباسين، كي يتموا نصرهم ضد الأمويين، وكي ينشروا دعوتهم في مصر.

لما بويع مروان بن محمد بالخلافة في صفر ١٢٧هـ كان على ولاية مصر إذ ذاك حفص

---

(١) النجوم الزاهرة جـ١ ص ٢٧٨.

يقيم الفتن على كورة مصر وصار حزن فى كل مكان وفى اسكندريه، فلحق البطرك قلق عظيم حتى ان الانسان اذا سمعه لا يصبر عن البكا.

(*) وفاة هارون الرشيد وقيام الخلاف بين ولديه الأمين والمأمون وكان ذلك فى حوالى ٢٥ مارس ٨٠٩م = ٣ جماد الثانى ١٩٣هـ.

وانا الان اذكر لكم ذلك كان قد مات(*) فى تلك الأيام هرون الرشيد ببغداد وجلس موضعه محمد ولده المعروف بالامين، وكان سبب ذلك ان هرون الرشيد قد جمع قبل موته وجوه دولته وقال لهم الخلافه بعدى للسيد المامون ولدى، فلما

بن الوليد الحضرمى، فلما أعلن بالفسطاط نبأ بيعة مروان، كتب حفص إليه يستعفيه من ولايته على مصر فأعفاه مروان منها [1] وهنا يجدر أن نشير إلى أن حفصا هذا كان من عرب الجنوب، أو من اليمنية الذين كانوا فى ذلك الوقت فى عداء مستحكم مع المضرية أى عرب الشمال الموالين للخليفة.

ولى مروان بن محمد حسان بن عتاهية على صلاة مصر، وولى على الخراج عيسى بن أبى عطاء، وهنا تتجلى العصبية القبلية بأجلى مظاهرها، كما تتجلى حالة الفوضى التى وصلت إليها البلاد ، وكيف قطعت الدولة العباسية شوطا بعيداً وسط تلك الفوضى الشاملة التى عمت أنحاء الدولة الأموية إذ ذاك. فقد كانت سياسة مروان بن محمد تنطوى على الاتحاد مع القيسية أو المضرية ضد اليمنية ، فكان طبيعيا أن يثور اليمنيون فى مصر ضد سياسة الخليفة لذا نجد أن حسان بن عتاهية عندما قدم إلى مصر فى ١٢ من جمادى الآخرة سنة ١٢٧هـ يأمر بحل الفرق التى كان حفص بن الوليد [2] قد جندها على أن حسان لم يكد يستقر فى ولاية مصر حتى ثار قواد الفرق التى جندها حفص وأعلنوا عدم رضاهم إلا بحفص بن الوليد[3]. وكان هذا فى الواقع نزاعا بين ا ليمنية والمضرية. إذ كان اليمنيون يثورون ضد عامل

(١) الكندى: الولاة والقضاة ص ٨٤، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ١ ص ٢٩٢.
(٢) الكندى ص ٨٥. (٣) الكندى ص ٨٥.

وصل الخبر إلى محمد الامين امتلا غضبا وجمع اليه جماعه وحاربه فقتله وجلس على كرسى الملك.

ولما وقع الخلف بين الاخين قام [بمصر] تاير [ثائر] وحشد اليه جماعه وخلايق لا يحصى عددها(*)، وحفظ طريق مصر والمشرق . وكان ينهب جميع مال المسافرين إلى مصر والصعيد والحبشه والنوبه حتى انقطعت الطريق وجميع

(*) اضطراب الأحوال فى مصر وانقسامها بين أيدى المتمردين على الخلافة العباسية.

مروان بن محمد الذى كان يهمه موالاة المضريين، على أن الذى شجعهم على عصيان الخليفة هو حالة الفوضى والاضطراب التى سادت أنحاء الدولة إذ ذاك ، إذ كان الخليفة فى ذلك الوقت مشغولا بمحاربة الخارجين على الدولة من مختلف الطوائف والأحزاب، حتى إنه عجز عن عمل أى شئ ضد الدعوة العباسية.

ويظهر أن الدعوة العباسية فى مصر كانت فى ذلك الوقت قد قطعت شوطا بعيدا. إذا أرسل ثابت بن نعيم الجذامى ـ وكان ممن خرجوا على مروان بن محمد ـ كتابا إلى حفص بن الوليد يدعو فيه إلى خلع مروان ابن محمد. كذلك أتى إلى مصر رسول زامل بن عمرو الذى خلع مروان بحمص ودعاهم إلى مثل ما دعاهم إليه ثابت بن نعيم[1]. والمهم هنا أن اليمنية وسائر الخارجين على مروان ساروا إلى دار حسان بن ثابت وحاصروه فيها وطلبوا منه أن يخرج من مصر فنزل على رغبتهم واتجه إلى الشام ليلحق بمروان، فكانت ولاية حسان بن ثابت على مصر ستة عشر يوما. كذلك أخرج الثائرون من مصر صاحب الخراج عيسى بن أبى عطاء. وولى الثائرون عليهم حفص بن الوليد [2] على أنه بالرغم من أن حفصا كان من اليمنيين إلا أنه كان رجل دولة بالمعنى الصحيح يعرف أن مصلحة الدولة فوق مصلحة القبيلة وأن طاعة

---

(١) الكندى ص ٨٥ ـ ٨٦.
(٢) الكندى ص ٨٦، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ١ ص ٣٠١.

المسالك من خوفه، واستطال الثوار على مصر وجميع أعمالها بحكم اضطراب مملكة بغداد، وخرجو الخوارج على المملكه بمصر وجبو الخراج لنفوسهم ، وكان من جملتهم رجل يسمى عبدالعزيز الجروى(*) اخذ من شطنوف الى الفرما وشرقية مصر بلبيس واعمالها، ورجل اسمه السرى بن الحكم اخذ من مصر [الفسطاط] الى اسوان ، واستوليا على الخراج، وقوم يسمون لخما وجذاما القبيلتين اخذو غربى مصرى واعمال اسكندريه

(*) عبد العزيز الجروى يستقل بشرق الدلتا. والسرى ابن الحكم يستولى على الصعيد، وقبيلتى لخم وجذام تحتلان غرب الدلتا والاسكندرية ومريوط.

الخليفة واجبة. ويتبين لنا ذلك مما قاله الكندى [1] إذ يذكر أنه ولى مصر في هذه المرة كرها وأن قواد الجند هم الذين أجبروه على ذلك.

وفي تلك الأثناء قدم حنظلة بن صفوان الكلبى من إفريقية إلى مصر وكان أهلها قد أخرجوه منها، فنزل بالجيزة. وعند ذلك كتب مروان إلى أهل مصر بتولية حنظلة بن صفوان عليهم. ولكن الجند من عرب مصر عصوا أمر الخليفة مرة أخرى، بل حاربوا حنظلة وأخرجوه من الفسطاط إلى الحوف الشرقي، وظل حفص بن الوليد واليا على مصر طوال سنة ١٢٧هـ حتى أوائل سنة ١٢٨هـ[2].

على أن الخليفة مروان بن محمد وجد أن تنفيذ أوامره فى مصر لا يكون إلا بالقوة، لذا عزل حفص بن الوليد عن ولايتها في المحرم سنة ١٢٨هـ وولى عليها حوثرة بن سهيل الباهلى وزوده بالجيوش لقتال حفص والجند العرب في مصر، فسار حوثرة إلى مصر يصحبه سبعة آلاف رجل من أهل حمص والجزيرة وقنسرين، وهنا نجد حفصا مرة أخرى يلبى نداء عقله ولا يستمع لنداء العصبية القبلية حين اجتمع إليه الجند وطلبوا منه أن يمنع حوثرة من دخول

(١) الكندى ص ٨٦.
(٢) الكندى ص ٨٧، أبو المحاسن جـ١ ص٣٠٢.

ومريوط وملكو البحيره جميعها ، وكانت هاتان القبيلتان في اكثر الاوقات متحاربتين ونهب بعضهم بعضا، وكان على البلاد منهما بلا عظيم، فلما ضيقو على مدينة اسكندريه دعو أهلها واستغاثو بالرب وسألوه ان يخلصهم من هذه الامه الظالمه.

وكان في تلك الايام غربى اسكندريه دير يسمى دير الزجاج وفيه شيخ حبيس وقد اعطى نعمه ان ينظر بروح القدس علامات واشيا، واسم ذلك

مصر، إذ أبى عليهم ذلك وسلم ما بيده إلى أبى الجراح الجرشي بشر ابن أوس الذى أرسله حوثرة ريثما يحضر إلى مصر[١] .

ولما دخل حوثرة أرض مصر يصحبه الجنود، خشى أهل مصر منه، فأرسلوا إليه يزيد بن مسروق الحضرمى يسأله الأمان فلقيه بالعريش وأجابه إلى ما طلب، وكتب إلى الجند من عرب مصر كتاب أمان فخرج إليه حفص بن الوليد فى وجوه الجند، إلا أن حوثرة لم يعبأ بالأمان الذى أعطاهم إياه فأمر بالقبض عليهم. ثم سار إلى الفسطاط فى ١٢ من المحرم سنة ١٢٨هـ. وعقب دخول حوثرة الفسطاط بعث فى طلب رؤساء الفتنة وكانوا من اليمنيين وتمكن من القبض عليهم وقتلهم، ومنهم حفص بن الوليد، وذلك سنة ١٢٨هـ[٢] .

ولم يكد حوثرة يتخلص من اليمنية في مصر ويمهد أمورها حتى ظهرت فيها حركة أخرى كانت صدى لحركة الخوارج بالحجاز. فعندما قام عبد الله ابن يحيى الملقب بطالب الحق فى الحجاز ضد مروان بن محمد ودعا إلى نفسه بالخلافة، قدم إلى مصر داعيته ودعا لمبايعته ، فأجابه نفر من تجيب وغيرهم، ولما علم حسان بن عتاهية صاحب الشرطة بذلك قبض عليهم فقتلهم حوثرة بن سهيل[٣] .

(١) الكندى ص ٨٧.
(٢) الكندى ص ٨٨ ـ ٩١، أبو المحاسن جـ١ ص ٣٠٥.
(٣) الكندى ص ٩٢، خطط المقريزى جـ٢ ص ٣٣٨.

الشيخ يوانس، فقال لاهل اسكندريه نبوه: اراكم قلقين من اجل هذه الامه هكذا صدقونى انه تجى امه من الغرب وتهلك هذه الامه وهذه المدينة بغير رحمه وينهبون كلما فيها.

فلما كان بعد قوله هذا دخل الى اسكندريه قوم ومعهم شى كثير من جزاير الروم يسمون الاندلسيين(*)، وأقامو على هذه القضيه من مصر الى جزاير الروم ينهبون ويجيبون السبى [النصارى] الى اسكندريه ويبعونهم كالعبيد، فلما نظر ابونا

(*) فى عهد الحكم بن هشام الأموى بالاندلس وعلى أثر وقعة الربض بقرطبة فى عام ١٩٨هـ - ٨١٤م التى قامت بينه وبين=

وما زال حوثرة يمهد أمور مصر حتى استدعاه مروان بن محمد سنة ١٣١هـ ليخرج إلى العراق لقتال الخراسانية دعاة بنى العباس (١).

ولى مصر بعد ذلك المغيرة بن عبدالملك الفزارى فى جمادى الأولى سنة ١٣٢هـ ثم عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير، وفى تلك الأثناء كان مروان بن محمد قد هزم أمام جيش العباسيين فى وقعة الزاب (جمادى الآخرة سنة ١٣٢هـ) وفر إلى حران عاصمة الجزيرة. وكانت مصر البلد الذى فكر مروان فى الهرب إليه عله يستطيع منها أن يقضى على العباسيين ليسترد سلطانه المهدد بالضياع، وذلك بما لها من مزايا عديدة من حيث الموقع والثروة. ويقال إن مروان فكر أولا وهو بحران فى الهرب إلى بلاد الروم حيث يجمع أمره ويلم شمل جنوده ليحارب العباسيين، واستشار فى ذلك رجلا من أخص الناس عنده وهو اسماعيل بن عبد الله القسرى. فكان ذلك رأى اسماعيل، غير أنه تذكر معاداة مروان لليمنيين وتحامله عليهم فصرفه عن هذا الرأى، وقال له يا أمير المؤمنين: أعيذك بالله أن تحكم أهل الشرك فى نفسك وحرمك لأن الروم لا وفاء لهم(٢).

(١) الكندى ص ٩٢، أبو المحاسن جـ١ ص ٣٠٥.
(٢) الدينورى: الأخبار الطوال ص ٣٤٦ - ٣٤٧.

مرقس ذلك السبى حزن جدا لبيعهم الانفس مثل الغنم ويسلم منهم كتير، ومما فى قلبه من الرحمه كان يشترى منهم كثيرا مثل رهبان وقساوسه وشماسه وعذارى وامهات اولاد الى ان اشترى منهم ستة آلاف نفس، وكان اذا اشترى منهم شخصا كتب له عتاقته لساعته وسلم له كتاب عتقه فى يده ويقول لهم: من اراد منكم ان يجلس عندى فهو مثل ولدى ومن اراد العودة الى بلده دفعت له ما يوصله الى أهله.

=أهل قرطبة هرب العديد منهم فى سفنهم وأتوا إلى اسكندرية التى تعودوا أن يقدموا إليها للتجارة فوجودوا أحوالها مضطربة بسبب الصراعات المسلحة التى كانت قائمة فيها بين والى الخليفة وبين المدعو عمر بن هلال الذى حرضه عبدالعزيز الجروى الذى استقل بسلطانه فى الدلتا، على الدعوة له باسكندرية فاستعان بهؤلاء القرطبيين للإستيلاء على اسكندرية. وتطورت الأمور حتى صار لهؤلاء القرطبيون السيادة

وحين عاود الخليفة سؤاله قال: «الرأى أن تقطع الفرات وتستقرى[1] مدن الشام مدينة مدينة فإن لك بكل مدينة صنائع ونصحاء، وتضمهم جميعا إليك وتسير حتى تنزل ببلاد مصر، فهي أكثر أهل الأرض مالا وخيلا ورجالا فتجعل الشام أمامك وإفريقية خلفك، فإن رأيت ما تحب انصرفت إلى الشام، وإن تكن الأخرى اتسع لك المهرب نحو إفريقية فإنها أرض واسعة نائية منفردة[2]» وقد صادف هذا الرأى قبولا لدى الخليفة، إلا أن مروان عندما وصل إلى مصر وجد أن الدعوة العباسية قد قطعت مرحلة كبرى فيها فكان أمامه محاربة العباسيين فى داخل مصر وخارجها، وكانت النتيجة أن غلب على أمره فى النهاية.

لما وصلت الأخبار إلى مصر بانهزام مروان فى موقعة الزاب أخذ واليها عبد الملك بن مروان يستعد لمقاومة العباسيين فصادر كل ما وجده من الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيره ليستعمل ذلك فى الصناعة وغيرها من الأمور اللازمة للدفاع. وقد اخترعت فى ذلك الوقت مادة من العقاقير تدهن بها المراكب كيلا توثر فيها النيران، ويحدثنا ساويرس بن المقفع بأنه شاهد تلك الظاهرة بنفسه وهى عدم تأثر المراكب بالنيران إذا ما دهنت بتلك المادة، بل كانت

(١) استقرى البلاد تبعها وطاف بها.
(٢) الدينورى ص ٣٤٧.

= كاملة على اسكندرية مدة أربعة عشر عاماً أنتهت فى عام ٨٢٧م = ٢١٢هـ. بخروجهم إلى جزيرة كريت (اقريطش) وقيامهم بأعمال القرصنة فى البحر المتوسط.

وكان جماعه منهم عند نظرهم افعاله يقعدون عنده فيسلمهم لمعلمين يعلمونهم المزامير وعلم البيعه، ومن اراد منهم ان يروح لاهله زوده ودفع له ما يحتاجه.

فشاعت اخباره وما فعل الى ممالك الملوك واهل الدول وصار له بينهم سمعه جميله، فحسده الشيطان على افعاله فسحرك عليه البلايا واظهرشوكة شره، وكان في مدينة اسكندريه في

النيران تنطفئ في الحال [1] . ولا بد أن أهالي مصر الوطنيين قد نالهم بلاء عظيم من جراء مصادرة أموالهم وأستخدامهم في كثير من الأمور اللازمة للعرب.

وممن ثاروا على مروان فى مصر عمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان وتبعه فى ذلك الدماحس بن العزيز الكنانى فى جمع من قيس، فأرسل إليهم الوالى عبد الملك بن مروان جيشاً قوامه سبعة آلاف شخص برياسة موسى بن المهند، وفى بلبيس التقى هذا الجيش مع الثائرين الذى طلبوا الصلح، فأجابهم موسى بن المهند إلى ماطلبوا، ثم ظفر بعمرو بن سهيل وحبسه في الفسطاط [2]. وحسبنا دليلاً على الاضطراب الذى وصلت إليه مصر فى تلك الفترة أن يتمرد على مروان بن محمد بعض أفراد البيت الأموى كعمرو ابن سهيل وأن يتبع هذا المتمرد جزء من قبيلة قيس التى كانت موالية لمروان. ولما عزم مروان على المسير إلى مصر اجتمع بعض الجند فيها على منعه من دخولها وأمروا عليهم عبيد الله بن عبد الرحمن بن عميرة الحضرمي وهو ـ كما نرى من نسبه ـ ينتمى إلى عرب الجنوب الذين أصبحوا فى عداء مستحكم مع الخلفاء الأمويين. وقد أرسل مروان على مقدمة جيشة ابنه عبيد الله بن

(١) ساويرس ص ٢٧٣ جـ ٢.
(٢) الكندى ص ٩٤، أبو المحاسن جـ١ ص ٣١٦.

تلك الايام وال كبير فى جنسه من المسلمين يسمى عمر بن مالك فثارو عليه اللخميون والجذاميون والمداجه وطلبو قتله حتى يملكون المدينه وبدو يقاتلونه فما قدرو عليه، وكان شيخ كبير من الاندلسيين كان قد وصل الى اسكندريه منذ صباه ويعلم كل مكر ودغل، وكان يتوسط بين لخم والاندلسيين ليساعدوه على قتل الوالي،واتفق راى الجميع على ذلك فاتو اليه في اليوم العاشر من بوونه سنة خمس ومايتين وتلتين للشهدا، فلما اتفق

مروان، فلما وصل إلى مصر دعا ابن عميرة الجند إلى النهوض معه فتثاقلوا عنه ولم يقوموا بشئ مما عزموا عليه (١)، ثم قدم مروان مصر لثمان بقين من شوال سنة ١٣٢ هـ فوجد أن أهل الحوف الشرقى قد أصبحوا من أعوان العباسيين، كما وجد الأسود بن نافع بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع الفهرى فى الاسكندرية قد صار من أنصارهم، وكذا عبد الأعلى بن سعيد بن عبد الله ابن مروان الجيشانى بصعيد مصر ويحيى بن مسلم بن الاشج مولى بنى زهرة باسوان(٢). ومن هذا ندرك كيف نظمت الدعوة العباسية فى مصر.

ونجح مروان فى أن يخضع الاسكندرية والصعيد ولكنه لم يجن ثمار هذا النصر لأن صالح بن على بن عبد الله العباسي وأبا عون تبعاه إلى مصر على رأس الجيوش العباسية فوصلا إليها بعده بنحو شهر كما يحدثنا بذلك ساويرس (٣) أو بعد مجيئة بشهرين تقريبا

(١) الكندى ص ٩٤ - ٩٥.

(٢) الكندى ص ٩٥.

(٣) تاريخ البطاركة ص ٣٩١ جـ ٢ .

يذكر ساويرس أن مروان قدم إلى مصر فى عشرين بؤونة سنة ٤٦٧ للشهداء، وأن الخراسانيين وصلوا مصر في يوم ١٩ أبيب. وساويرس فى الواقع أكثر ثقة من المراجع المتأخرة لأنه استمد معلوماته من الوثائق اليونانية والقبطية المعاصرة لتلك الحوادث والتى كانت محفوظة بالأديرة.

راى الشيخ معهم هداهم الى ماعملوه فقتلو الوالى وملكو المدينه.

والذى جرى بعد ذلك يحزن ويولم، فلما كان تاني يوم بعد قتل الوالى وهو الحادى عشر من بوونه انفسد ما بين اللخميين والاندلسيين وصار عوض الصلح عداوه وحرب، والتقو ولم يزل الحرب بينهم الى الليل وظفرو الأندلسيون ، فلما نظرو اهل اسكندريه ذلك جردو سيوفهم ومشو فى

أعنى فى النصف من ذى الحجة كما تخبرنا بذلك المراجع المتأخرة(١). وقد زاد الحالة حرجا فى ذلك الوقت ثورة أهل البشمور (٢) فى وجه عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير والى مصر قبل قدوم الخليفة إليها وقد امتنعوا عن دفع الخراج، فحاربهم عبد الملك ولكنهم هزموه. ولما وصل مروان بن محمد إلى مصر وعلم بثورتهم، أرسل يعرض عليهم الأمان ولكنهم لم يقبلوا ذلك منه وظلوا على ثورتهم، وساعدهم على ذلك أن المنطقة التى ثاروا فيها كانت تحيط بها المستنقعات، وتعيق حركة الجيوش المهاجمة. وفشلت الجيوش التى أرسلها مروان لمحاربتهم.

ولما اقترب العباسيون من الحدود المصرية وبلغوا غزة صمم مروان على إحراق مدينة الفسطاط وأعلن وجوب إخلائها فى ثلاثة أيام، فهرب جميع أهلها إلى الجيزة و إلى جزيرة الروضة ثم أمر مروان بإحراقها. ولما علم بوصول الخراسانيين إلى الفرما أمر بإحراق جميع المراكب فى مصر وإحراق ما يستطاع إحراقه من المدن والكور وتخريب ما يستطاع تخريبه فى الوجه البحرى، وتم إحراق بعض المدن وتخريبها فى شرقى الدلتا فألحق بمصر وأهلها ومدنها وحرثها ونسلها وحيواناتها وأموالها خراباً هائلاً، ولم يهتم سوى بنجاة نفسه وجنده فكانت

---

(١) الكندى ص ٩٦، أبو المحاسن جـ١ ص ٣١٧.

(٢) إقليم البشمور أو البشرود كما فى المراجع العربية: هو المنطقة الرملية للواقعة على ساحل الدلتا بين فرعى دمياط ورشيد والمعروفة فى التاريخ القديم باسم بيكولى Bucolies التى حدثت فيها حرب الفلاحين فى عهد الإمبراطور ماركس أورليوس (G. Wiet: Hist. de la Nation Egypt. t. V. p. 37).

الاسواق والشوارع والحمامات والبيوت وقتلو من وجدو من الأندلسيين فى كل موضع. فكان عدة الذين قتلو منهم ثمانين نفسا. فلما افترق القتال وانهزموا اللخميون سالو الاندلسيون عن قضية اصحابهم فاعلمو ان الإسكندرانيين قتلوهم، وامتلو غيظا كالأسد الضاريه لشجاعتهم فجردو سيوفهم وخرجو فى المدينه مغضبين وقتلو كلمن لقوه من اهل البلد من المسلمين والنصارى واليهود واى موضع وجدو فيه احدا من اصحابهم المقتولين

مصر تجنى منه ومن أمثاله من الحكام العرب كل الخراب والدمار. أما مروان نفسه فقد عبر إلى الضفة الغربية للنيل فى مراكب هو وجنده بعد أن أحرق الفسطاط على الضفة الشرقية. ويذكر ساويرس أن مروان قام بحركة التخريب والإحراق لأنه ظن أن الخراسانيين إذا أتوا إلى الضفة الشرقية للنيل ووجدوها خالية من الناس والبهائم والغلات ولم يجدوا مراكب يركبون فيها رجعوا من حيث أتوا [1].

وهنا نجد ظاهرة جديدة لم نعهدها من قبل وهى اشتراك المصريين الوطنيين ونقصد هنا الأقباط الذين كانوا يكونون أغلبية الشعب المصرى حينذاك، فى تلك الحركة التى أدت إلى زوال الخلافة الأموية. ذلك أن المصريين الوطنيين لم يشتركوا فى المنازعات الخليفية قبل ذلك وإنما فى هذه المرة نراهم يرحبون بالعباسيين لأنهم أرادوا التخلص من الحكم العربى الأموى بالإضافة إلى أن العباسيين وعدوهم برفع الجزية والمغارم عنهم، وهذا ما لم يحدث بالطبع عندما تمكن العباسيون من الاستيلاء على مصر.

ظل أهل البشمور على ثورتهم، بل ساروا إلى الفرما لمقابلة الخراسانيين يشكون إليهم من مروان بن محمد ومن اضطهاده الشعب القبطى على العموم [2] ولم يكن هذا شعور أهل

(١) ساويرس بن المقفع: تاريخ البطاركة ص ٤١٨ جـ٢ .
(٢) ساويرس تاريخ البطاركة ص ٤٢٦ جـ ٢.

احـرقـوه بالنار، فلمـا انتهـو الى بيـعـة المخلص وهى السـطيـر التى بناها ابونا مـرقس وجـدو بعض اصـحـابهم على ابوابهـا مطروحـا لان المسلمين قتلوهم هناك فى الدور وحملوهم رموهم عند باب البيـعـه فعند ذلك غـضـبـو جدا، وظهر فى ذلك الوقت شـيخ من فـوق الدور ينظر الى الطريق،وهو الشيطـان الذى ظهر بذلك الشبه وقال للاندلسيين: انا رايت صاحب هذه البيعه وقد قتل اصحابكم .

البشمور فقط بل كان شعورن القبط على وجه الإجمال ففى ذلك الوقت كان مروان قد قبض على بطرك الأقباط أنبا ميخائيل لأنه لم يقم بدفع المال الذى طلبه منه كما أنه لم يعمل شيئا لردع أهل البشمور [١] ويحدثنا أحد القساوسة الذين كانوا فى السجن إذ ذاك مع البطرك عن المعاملة السيئة التى لقيها هذا الرئيس الدينى على يد مروان ثم يقول إن الخراسانيين كانوا فى الضفة الشرقية للنيل ينظرون ماحل بالبطرك ولو وجدوا سبيلا إلى العبور إلى مروان لقتلوه لما رأوا من ظلمه وقسوة قلبه [٢]. وهذا يظهرلنا شعور القبط إذ ذاك نحو الأمويين وأنهم كانوا يأمولون فى الخلاص على أيدى العباسيين.

لم يجد العباسيون إذ ذاك مراكب يعبرون فيها إلى الضفة الغربية للنيل حيث كان مروان مقيما بالجيزة. وكان مروان قد أحرق الجسرين اللذين يصلان الفسطاط بجزيرة الروضة وبالجيزة. وكانت هناك مخاضات فى النيل يمكن العبور منها بسهولة إلى الضفة الغربية ولم يكن العباسيون يعرفونها، ولكن دلهم عليها قوم يعرفونها وعبروا معهم إلى الضفة الغربية واستولوا بعدها على مراكب مروان التى عبر فيها هو وجنده إلى الجيزة.

ثم دارت رحي الحرب بين مروان وبين العباسيين وكتب النصر لهم ففر مروان حتى وصل

---

(١) ساويرس ص ٣٩٨ وما بعدها جـ٢.

(٢) ساويرس ص ٤٢٤ وما بعدها جـ ٢.

فرمو النار فى البيعه وكان النار تعلو جدا حتى انها احرقت دوركتير واماكن بعيده.

فلما علم ابونا بهذا الامر بكى بكا مر وحزن جدا، وقتلو مالا يحصى عدده من الخلايق ومواضع كتير نهبوها واحرقوها. وبعد هذا نحن الآن نريد أن نتكلم على ما دخل على قلب ابينا البطرك مرقس من الالم وخاصة بيعة السطير، وكان ينوح ويبكى ويقول بهذا النوح كما قيل فى

إلى بوصير[١]، وهناك لحق به صالح بن على العباسي حيث قتله لسبع بقين من ذى الحجة سنة ١٣٢هـ[٢] وبذلك زالت الخلافة الأموية نهائيا، وأعقب العباسيون ذلك بقتل كثير من

(١) بوصير أو أبو صيرة اسم لبلدان كثيرة فى مصر. وهذا الاسم من بقايا التاريخ القديم إذ كان المصريون القدماء يسمون بلدانا كثيرة باسم الإله أوزير. وبوصير هذا مشتق من الاسم الإله أوزير (أوزيريس). وبوصير هذا مشتق من الاسم المصرى القديم بروسرأى «مكان الإله أوزير» (سليم حسن بك: أقسام مصر الجغرافية. ص ١٨٧). وكان هناك زمن مقتل مروان أربع قرى بمصر باسم بوصير، فكان هناك بوصير قوريدس من أعمال الأشمونين وبوصير السدر فى كورة الجيزة، وبوصير دفدنو فى كورة الفيوم، وبوصير بنا فى كورة سمنود (ياقوت معجم البلدان جـ١ص ٧٦٠) وقد أختلف المؤرخون فى المكان الذى قتل فيه مروان. فيذكر الكندى أنه قتل فى بوصير من كورة الأشمونين (ص ٩٦) ويذكر ابن العميد فى كتابه تاريخ المسلمين ص ٩٦ أنه قتل فى بوصير قوريدس. ويذكر المقريزى فى الخطط جـ١ ص ٣٠٤ وأبو المحاسن جـ١ص ٣١٧ أنه قتل ببوصير بالجيزة. ويرى الأستاذ فييت أن مروان قتل فى أبى صير الملق الحالية التى تقع الآن فى مركز الواسطى فى مديرية بنى سويف وذلك لأنه يوجد هناك ضريح صغير باسم مروان يعمل له كل عاما احتفال سنوى. كذلك نعلم أن مروان حمل معه ثروته إلى مصر. وقد اكتشف أخيرا فى أبى صير الملق إبريق فخم من الطراز الساسانى يرجح أنه كان ملكا له (انظر: زكى محمد حسن: الفنون الإيرانية ص ٢٧٠). والأصح أنها كانت بوصير التى فى أعمال الجيزة. وبوصير الملق الحالية قرية من الجيزة وربما كانت ضمن كورة الجيزة فى العهد العربى. وساويرس يذكر أن الخراسانيين عبروا فى آخر يوم من ابيب أى بعد وصولهم إلى الفسطاط بعشرة أيام ويذكر أنهم عندما عبروا إلى الجيزة قتلوا مروان (ص ٤٥٧ وما بعدها جـ ٢) إذا قارنا ذلك بما ورد فى المصادر العربية بأن مروان قتل بعد وصول الجيش العباسى إلى الفسطاط بنحو تسعة أيام. نرجح أن قتله كان قريبا من الجيزة ونرجح أن أباصير هى أبو صير الملق الحالية لقربها من الجيزة.

(٢) الكندى ص ٩٦ ـ ٩٧، أبو المحاسن جـ١ ص ٣١٧.

المزمـور «يا الله دخلت الامم الى ميـراثك ونجسـو هيكل قـدسك جعلو يروشليم خـرابا كـمثل ظلمة الحبس، جعلو جثث عبيدك طعاما لطير السمـا، ولحوم قديسيك لوحوش الارض وسفكوا دما[ء]هم مـثل الما[ء] حـول يروشليم ولم يكن لهـم من يدفنهم»(*). ثم نزل من على كرسيه وجلس على الارض . وكان مداوما هذا النوح مثل قـول ايوب المغبوط «انا كنت في السلامه بدّدني ونزع عني

(*) المزمور ٧٩ / ١ ، ٢ ، ٣ .

أنصار بني أمية في مصر وأسر البعض الآخر ، ثم دخل صالح بن علي العباسي الفسطاط في المحرم سنة ١٣٣ هـ وبعث برأس مروان بن محمد إلى العراق [١]. ولم ينس العباسيون أن يكافئوا القبط الذين رحبوا بهم، فخففوا عنهم الخراج وأخلوا سبيل أنبا ميخائيل الذى حبسه مروان، ولما طلب البطرك من قائد العباسيين في مصر أن يحمي أملاك الكنيسة في جميع البلاد ولا يتعرض لها، أجابه إلى ما أراد. كذلك أعفى العباسيون البشامرة من دفع الخراج[٢].

وهكذا زالت الدولة الأموية نهائيا بعد انتصار العباسيين على مروان ابن محمد في مصر، وأصبحت مصر منذ أواخر سنة ١٣٢هـ وأوائل سنة ١٣٣هـ ولاية تابعة للخلافة العباسية بالعراق.

الحركات السياسية والدينية منذ قيام الدولة العباسية الى قيام الدولة الطولونية (١٣٢ ـ ٢٥٤هـ).

أ ـ موقف الأمويين والعلويين في مصر من الخلافة العباسية

لم يكن زوال الخلافة الأموية ومقتل مروان معناه انتهاء المقاومة الأموية نهائيا، فقد ظهر من

(١) الكندى ص ٩٧ ، أبو المحاسن جـ١ ص ٣١٧.

(٢) ساويرس ص ٤٦٠ جـ٢. ولعل الأعفاء كان عن هذه السنة فقط.

حلتى وارشق فىّ سهامه»(*). ويقول هذا وما يشاكله. ولم يفطر ذلك اليوم وتلك الليله ولم يقدر احد ان يجلسه على كرسيه ولا على حصير بل كان مطروحا على الأرض ينوح فلما كان نصف الليل قام ليصلى كعادته، فلما اصبح خرج ومعه اثنان من اولاده وقال: يا ايها المدينه المقدسه التي كثر فيها القتل وملكها العدو يا كرسى الذى قد اعتقدت انني اجلس عليه [الى حين انتقالى]، ايها الموضع الذى لاباى [لآبائى] القديسين

(*) ايوب: الاصحاح ١٦ / ١٢.

وقت لآخرين بعض أنصار البيت الأموى أو أفراده، قاموا ضد الخلافة العباسية ولم يتهاون العباسيون فى القضاء على المعارضين لهم حتى لو كان هؤلاء ممن ناصروهم من قبل.

ونلاحظ أيضا أن قيام الدولة العباسية لم يكن معناه أنتهاء مطالبة العلويين بالخلافة وتركهم مناوأة الحكومة القائمة، فقد كان العباسيون فى نظر العلويين وشيعتهم مغتصبين للخلافة كما كان الأمويون من قبلهم لذا نجد أنه كلما قام خليفة عباسى، قام علوى يدعو إلى نفسه بالخلافة. وقد استعمل العباسيون كل الوسائل من قتل وغدر للقضاء على المعارضة العلوية، ولا يكاد تاريخ أى خليفة يخلو من وقائعه مع العلويين، وظلت فرق الشيعة من جانبها تكيد للدلة العباسية فى الخفاء أو تحاربها جهراً إن أمكن الجهر. والذى يهمنا الآن هو موقف الأمويين والعلويين بمصر من الخلافة العباسية وموقف الخلفاء العباسيين منهم.

فى عهد الخليفة العباسى المهدى (١٥٨ ـ ١٦٩هـ) وفى ولاية إبراهيم ابن صالح على مصر من قبل ذلك الخليفة (١٦٥ ـ ١٦٧هـ) نسمع عن خروج أحد الأمويين وأنه دعا إلى نفسه بالخلافة ، ذلك الأموى هو دحية ابن مصعب بن الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان الذى خرج بالصعيد، فلما بلغ ذلك والى مصر تراخى عنه ولم يحفل بأمره ولم يهتم بمحاربته للقضاء عليه وكان نتيجة سياسة هذا الوالى المتراخية أن استفحل أمر دحية وملك أغلب بلاد

اللابسى النور الذى تنيحو فيه بابتهاج وسرور، وانا صرت غريبا منه لاجل خطاياى. قال هذا وخرج من المدينه وسار من مكان الى مكان يشق بحار مياه واماكن صعبه فأقام فى هذا الضيق خمس سنين من بعد خروجه من المدينة كمن هو سبى، وكان فى جميع ذلك شاكرا لله ليلا ونهارا. وما ذا حل باولاد البيعه من البلايا فى ذلك الزمان والاباء] الاساقفه والاراخنه، وكانو ياتون اليه ويعزونه ويسالونه وكل منهم يساله ان يمضى به

الصعيد وكاد أمره أن يتم وتخرج مصر من حكم العباسيين . فلما علم الخليفة المهدى بذلك سخط على الوالى وعزله سنة ١٦٧هـ(١).

ولى مصر بعد ذلك موسى بن مصعب بن الربيع الخثعمى (١٦٧ ـ١٦٨هـ) فأرسل جيشا مكونا من خمسة آلاف محارب بقيادة عبد الرحمن بن موسى بن على بن رباح اللخمى، إلى الصعيد لمحاربة دحية. وما لبث هذا الوالى أن قتل فى ٧ شوال سنة ١٦٨هـ أثناء محاربته قيسا واليمنية الذين ثاروا ضده فى الحوف (٢). ولى مصر بعد مقتله عسامة بن عمرو وافتتح أمرته بحرب دحية الأموى بالصعيد، وأرسل إليه الجيوش بقيادة أخيه بكار بن عمرو فحارب يوسف بن نضير الذى كان على مقدمة جيش دحية، وقد عاد الجيشان دون أن يحدث بينهما ما يستحق الذكر (٣). وبعد ذلك بأيام يسيرة ورد الخبر بعزله عن ولاية مصر وتولية الفضل بن صالح بن على العباسى عليها فى آخر المحرم سنة ١٦٩هـ(٤). وكان أمامه قبل كل شئ أن يقضى على دحية الذى تفاقم خطره وبايعه كثير من الناس حتى كاتبه البعض ودعوه إلى دخول الفسطاط(٥).

---

(١) الكندى ص ١٢٤، أبو المحاسن جـ٢ ص ٤٩.
(٢) الكندى ص ١٢٦، أبو المحاسن جـ٢ ص ٥٤ ـ ٥٥.
(٣) أبو المحاسن جـ٢ ص ٥٧. (٤) أبو المحاسن جـ٢ ص ٦٠.
(٥) الكندى ص ١٢٩.

الى منزله لياخذ بركته فلم يفعل . وكان الارخن الدين مقاره بن ساث [نبات] النبرواى(*) مــن كرسي سمنود، فلما سمع ما جرى قام ومضى الى عند عبد العزيز المتولى على المشرق وخاطبه بسبب الاب البطريرك انبا مرقس ، وان الأمم الذين تغلبوا على اسكندريه نهبوا جميع ماله وترك كرسيه رجا[ء] سكن تحت ظل الله وظلك، فان كنت قد ظفرت بنعمه امامك فاكتب له كتابا باسمك ليتقوى بامرك ليكون في موضعه امنا.

(*) نبروه: تقع في محافظة كفر الشيخ عرفت بالفسيخ النبراوى. ورد اسمها في قوانين ابن مماتي وفي تحفة الإرشاد من أعمال السمنودية. أما سمنود فكانت عاصمة للمملكة المصرية في عهد الأسرة الثلاثين الفرعونية. واسمها المصرى سبنترت مكون من مقطعين «سب» بمعنى الأرض، و«نترت» بمعنى المقدسة ثم حرف اسمها سبنترت إلى =

أتى الفضل إلى مصر ومعه جيوش من الشام استخدمها في قتال دحية في بويط[1]، وقد تقهقر أصحاب دحية أمامه وتوجه بعدها دحية على رأس حامية من جنده إلى الواحات فبعث إلى أهلها ـ وكانوا من المسالمة [2] والبربر الذين يدينون بمذهب الخوارج ـ يدعوهم إلى القيام معه فأبوا أن يقاتلوا معه حتى يتبين إذا كان يدين بمذهبهم فأجابهم بأنه على مذهبهم فخرجوا اليه وقاتلوا معه يوم الدير. وقد أرسل إليه الفضل بن صالح جيشا كبيرا بقيادة عبد الله بن على فخرج إليه دحية في أهل الواحات فهزم عبد الله بن على وقتل يومئذ عبد العزيز بن مروان بن الأصبغ، على أن أهل الواحات مالبثوا أن تخلوا عن دحية لإيثاره العرب على المسالمة وتقديمهم على البربر، كما أنه لم يرض بأن يتبرأ من عثمان فتبين لهم أنه على غير مذهب الخوارج فتركوه وانصرفوا عنه، فلما علم عبد الله بن على بانصرافهم عنه أتى ثانية لمحاربة دحية فقتل يومئذ مروان بن عبد الملك بن أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان [3]. وقد انتهى الأمر بأسر دحية وأتى به إلى الفسطاط فضرب الفضل عنقه وصلب جثته وبعث برأسه إلى الهادى وكان قتله في جمادى الآخرة سنة ١٦٩هـ [4]. وكان القضاء على دحية الأموى

(١) بويط بالضم ثم الفتح قرية في مصر الوسطى قرية من ديروط.
(٢) المسالمة لفظ كان يطلق على القبط (خطط المقريزى جـ١ ص ٥٠) أو من يسلم حديثا من القبط أو اليهود (خطط جـ١ ص ١١٠).
(٣) الكندى ص ١٢٩ ـ ١٣٠
(٤) أبو المحاسن جـ٢ ص ٦٠ ـ ٦١.

حينذ [حينئذ] كتب له سجلا عظيما كما التمس الريس المحب لله، حينذ اخذ ذلك الارخن نصيب دروتاوس ارخن سخا(*) الذى اوى اليه الاب القديس سويرس حتى تنيح عنده ، ثم انفذ رسلا من عنده وسجل [كتاب] الامير الى الأب البطرك ان ياتي ويقيم في منزله، فقام ابونا البطرك وصلى وسار الى أن وصل الى نبروه(*) فخرج اليه ولقيه وكلمن معه من اجل الرياسه ، فلما راى الاب سجد له بقوة امانته وقال : الرب قد صنع

=سبنوتس الرومية وسمنوت القبطية ثم سمنود حاليا.

(*) سخا: هي سخوى Skhouy القبطية قرب براري شمال الدلتا، كانت عاصمة للغربية وقت الايوبيين.

(*) انتقال البطرك إلى مدينة نبروه بسبب سقوط الاسكندرية في يد الاندلسيين.

معناه انتهاء أول المحاولات وآخرها من جانب الأمويين في مصر لاسترداد الخلافة. على أنهم بعد ذلك كانوا أحيانا ينضمون إلى الثائرين على الخلافة العباسية من العلويين وذلك رغبة في الكيد للدولة العباسية.

وقد ظهرت الدعوة العلوية في مصر منذ عهد الخليفة أبي جعفر المنصو (١٣٦ ـ ١٥٨هـ) ففي أمارة حميد بن قحطبة (١٤٣ ـ ١٤٤هـ) قدم إلى مصر على بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب داعية لأبيه وعمه (١). وقد كان أبوه محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على المعروف بالنفس الزكية قد دعا إلى نفسه سرا في خلافة المنصور وتلقب بأمير المؤمنين، وفي سنة ١٤٥هـ ظهر بعد أن اختفى زمنا كان أشياعه يقيمون له الدعوة حتى كثر أنصاره في خراسان واعترف الناس بإمامته في مكة والمدنية، ومن ثم أرسل أخاه إبراهيم إلى البصرة لنشر دعوته. على أن محمدا كان مصيره القتل على يد عيسى بن موسى ، فدعا أخوه إبراهيم إلى نفسه وقام لنصرته كثيرون من فقهاء البصرة وذوى الرأى والجاه. ولكن إبراهيم لقى حتفه كأخيه على يد عيسى بن موسى العباسي أيضا في موقعة باخمرا (٢) وذلك في أول ذى الحجة سنة ١٤٥هـ.

(١) خطط المقريزى جـ٢ ص ٣٣٨.
(٢) باخمرا: موضع بين الكوفة وواسط وهو إلى الكوفة أقرب (ياقوت: معجم البلدان جـ١ ص ٤٥٨).

معى اليوم رحمة عظيمه اذ جعل ابوتك ان تنزل بيت عبدك وانا اومن ان مجيك الينا يكون بركه ومعافاة لانفسنا. ثم مضى معه الى البيعه بالقرا[ء]ة امامه كما يجب للبطاركة وجعله فى موضع يشاكل [يناسب] رياسته وهو موضع اعمره والده على اسم القديس ابى مقارى بوادى هبيب.

ومع جميع ذلك لم يكن يتخلى هذا الاب القديس عن الاهتمام بالبيع المقدسه باسكندريه

أما ما كان من أمر هذه الدعوة فى مصر فهو أنه لما قدم على بن محمد إليها يدعو لأبيه وعمه توانى حميد بن قحطبة فى الأمر ولم يجد فى القبض عليه، وبعث إلى أبى جعفر المنصور يقول إنه أرسل فى طلبه فلم يجده. وكان ذلك سببا فى سخط أبى جعفر المنصور على الوالى وعزله فى ذى القعدة سنة ١٤٤هـ. ولى مصر بعد ذلك يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة (١٤٤ ـ ١٥٢هـ) وفى بدء ولايته كانت دعوة بنى الحسن بن على قد ظهرت فى هذه البلاد وبايع كثير من الناس لعلى بن محمد، وكان على هذا أول علوى قدم مصر. وكاد أمر بنى الحسن أن يتم فى مصر حتى قدمت الخطباء إليها برأس ابراهيم بن عبد الله بن الحسن فى ذى الحجة سنة ١٤٥هـ فنصبوه فى المسجد الجامع أياما[١]. فخمدت تلك الحركة كما خمدت فى الحجاز والبصرة بمقتل زعمائها سنة ١٦٠هـ. وأما على بن محمد النفس الزكية فقد اختلف فى أمره فزعم بعضهم أنه حمل إلى أبى جعفر المنصور وقيل إنه اختفى بمصر عند عسامة ابن عمرو حتى مرض ومات. وقد حمل عسامة إلى العراق وحبس زمانا حتى آلت الخلافة إلى المهدى فأمنه على أن يصدقه عن على بن محمد فاعترف بأنه مات فى بيته [٢] وهكذا انتهت تلك الحركة فى مصر وقد كان يزيد بن حاتم قد منع

(١) الكندى ص ١١١ ـ ١١٤، خطط المقريزى جـ٢ ص ٣٣٨، أبو المحاسن جـ٢ ص ١ ـ ٢.
(٢) الكندى ص ١١٥.

والبطركيه، وبيعة الشهيد ابى مينا بمريوط، وايضا لاجل اتحاد الاعضا[ء] التى افترقت من بيعة انطاكيه التى افرقها ابراهيم المطران ومن معه.

وفيما هو مهتم بهذه الامور اخذ الرب الاب كيرياكوس بانطاكيه وتنيح وجلس بعده انسان جيد اسمه «ديونوسيوس» فلما جلس المذكور على الكرسى بدا بمخاطبة ابراهيم [المطران] بخطاب لين واعاد جماعه ممن كان قد ضل معه فاظهرو

أهلها من الحج بسبب خروج هؤلاء العلويين فلما قتل ابراهيم ابن عبد الله العلوى أذن لهم فى الحج [1].

ويجدر بنا أن نشير إلى أن بعض أفراد البيت الأموى الذين بقوا فى مصر كانوا ممن بايع لعلى بن محمد ومن هؤلاء مصعب ومنصور وزيد. أبناء الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان.

وحدث بعد ذلك أن آوت مصر أحد العلويين الذى استطاع بعد خروجه منها أن يقتطع لنفسه جزءا من بلاد الدولة العباسية ويكون لنفسه دولة مستقلة، ذلك العلوى هو ادريس بن عبد الله أخو محمد الملقب بالنفس الزكية. ففى عهد الخليفة الهادى (١٦٩ ـ ١٧٠ هـ) خرج الحسين بن على بن الحسن ابن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب بالمدينة يدعو إلى نفسه ومنها سار إلى مكة حيث التقى بجيش العباسيين فى فخ [2] فقتل بعد أن أبلى بلاء شديدا. وكانت هذه الموقعة من الشدة بحيث قيل لمن تكن مصيبة بعد كربلاء أشد وأفجع من فخ. وكان ممن ناصر الحسين بن على فى حركته هذه يحيى وادريس ابنا عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على وقد هربا قبل هذه الموقعة. أما يحيى فقد ثار فى بلاد الديلم فى عهد هرون الرشيد وانتصر له أهل اليمن وغدا أمره من الخطر بحيث هدد سلامة الدولة العباسية وأقلق بال

(١) أبو المحاسن جـ٢ ص ٢.
(٢) فخ بفتح أوله وتشديد ثانيه... وهو واد بمكة (ياقوت معجم البلدان جـ٣ ص ٨٥٤).

التـوبه واعـتـرفـو بضـلالتـهم . فلمـا اتصل بابينا القديس مرقس ذلك فرح جدا واسرع وكتب كتبا الى الاب ديونوسـيـوس بطرك انطاكـيـه باهتـمـام باعادة [اخراف] الضاله اول كتابه هكذا:

مبارك الرب اله المجد الذى لم يزل فى كل حين مهتما بقطيعه وبيعته الذين اشتراهم بدمه الطاهر وعلم فى البد[ء]أن ابوتك يصير باسمه المقدس [بركه] كما شهد عن بولس ان هذا يكون لى

الرشيد فأنفذ إليه الفضل البرمكي، فما زال به حتى رضى بالصلح على أن يكتب له الرشيد أمانا بيده، ولكنه قتله ومداد الأمان لم يجف بعد.

أما إدريس بن عبد الله فقد توجه إلى بلاد المغرب الأقصى وبايعه البربر في سنة ١٧٢هـ، وكون هناك أول دولة للعلويين وهي دولة الأدارسة.

مر إدريس بن عبد الله على مصر فى طريقه الى المغرب فى ولاية على ابن سليمان بن على بن عبد الله العباسى (سنة ١٦٩هـ ـ ١٧١هـ) زمن هرون الرشيد. ويقال إنه لما قدم إلى مصر علم واليها بمكانه وقابله سرا ولم يفضح أمره حتى توجه إلى المغرب (١). ويقول أبو المحاسن (٢) بأن واضح ابن عبد الله المنصورى الذى كان واليا على مصر زمن المهدى سنة ١٦٢هـ، وكان على بريد مصر عندما قدم إدريس إليها، وكان يميل إلى العلويين فحمل إدريس على البريد إلى المغرب. أى أن مصر سهلت الطريق لإدريس بن عبد الله وساعدته فى خروجه على الدولة العباسية.ولو قبض عليه واليها إذ ذاك أو أخبر عامل البريد بوجوده فى مصر لما قامت تلك الدولة العلوية في المغرب بالرغم من أنف هرون الرشيد.

ويظهر أن تعقب العباسيين للعلويين واضطهادهم إياهم قد ألجأهم إلى الفرار إلى الجهات

---

(١) الكندى ص ١٣١.
(٢) النجوم الزاهرة جـ٢ ص ٤٠.

انا[ء] منتخبا باسمى امام الملوك والأمم، كذلك بارادته المقدسه اصطفاك لاسيما فى هذا الزمان الذى اقتناه وهو التمام كما قال الرسول المغبوط، وانا اسيل الان ابوتك ان تقدم صلوات ودعا كتير الى السيد المسيح الرووف الهنا ليهدينا ويبعته لانا قد افتقرنا جدا، لان باحكامه الغير مفحوصه يتمم ما قد بدا. وقال ان الامم [المخالفه] دخلو الى ميراثه ونجسو هياكلنا المقدسه وجعلو المدينة العظمى اسكندريه مثل محرس [سجن] حبس لما جرى من

البعيدة عن مقر الخلافة العباسية ولاسيما ما كان مرتعا خصيبا للمعارضة كبلاد البربر(١)، والذى يهمنا أن كثيرا من آل البيت قد أتوا إلى مصر ليكونوا بعيدين عن الاضطهادات والمضايقات التى نالتهم على أيدى الخلفاء العباسيين. ولاتزال مصر حافلة بقبور آل البيت منذ ذلك العهد البعيد.

ولم نسمع بأن أحداً تعرض للعلويين فى مصر بسوء طوال ذلك العهد إلى أن كان زمن الخليفة المتوكل على الله العباسى (٢٣٢هـ - ٢٤٧هـ)، وكان يبغض العلويين، فأرسل كتابا هو وابنه المنتصر - صاحب اقطاع مصر حينذاك - إلى والى مصر اسحاق بن يحيى (٢٣٥ - ٢٣٦هـ) يأمره بإخراج آل على بن أبى طالب من مصر فأخرجوا من الفسطاط فى رجب سنة ٢٣٦هـ إلى العراق وهناك أمروا بالخروج إلى المدينة فى شوال من سنة ٢٣٦هـ(٢) ويذكر المقريزى (٣) أن الذين بقوا فى مصر من العلويين اضطروا إلى الإختفاء.

أصبح العلويون والشيعة فى مصر غير آمنين على أنفسهم من اضطهاد العباسيين منذ عهد

(١) أبو المحاسن جـ٢ ص ٦٨.
(٢) الكندى ص ١٩٨، خطط المقريزى جـ٢ ص ٣٣٩، أبو المحاسن جـ٢ ص ٢٨٣ - ٢٨٥.
(٣) خطط جـ٢ ٣٣٩.

الحروب فيها بين الامم، حتى ان قتلاها لم يجدو
من يدفنهم واجساد كتير منهم صارت طعاما لطير
السما ووحوش الارض.

وبهذه الأفكار كان يتكلم لأنه مثل ما كتب عن
يروشليم فى نواح ارميا النبى لما جرى عليها بعد
قيامة السيد المسيح لاجل ما فعلوه ا ليهود الكفار
ارسل عليهم طيطس ملك الروم الكافر المجوسى
يفعل فيهم ما هو مشروح فى كتاب «يوسف ابن

المتوكل. وقد عمل الوالى يزيد بن عبد الله على استئصال شأفتهم فعاقبهم وأبادهم وحمل منهم جماعة إلى العراق على أقبح وجه[1].

ولما قتل المتوكل فى شوال سنة ٢٤٧هـ وبويع ابنه المنتصر بالخلافة أرسل إلى يزيد بن عبد الله يقره على ولايته بمصر[2] ثم ورد كتابه إلى يزيد بألا يقبل [3] أحد من العلويين على ضيعة، ولا يركب فرساً ولا يسافر من الفسطاط إلى طرف من أطرافها، وأن يمنعوا من اتخاذ العبيد إلا العبد الواحد ، وإن كانت بينه وبين أحد من الطالبيين خصومة من سائر الناس قبل قول خصمه فيه ولم يطالب ببينه [4].

توفى الخليفة المنتصر فى شهر ربيع الأول ٢٤٨هـ وبويع المستعين بالله فى شهر ربيع الآخر. وفى خلافته علم يزيد بن عبد الله بأن رجلا يقال له محمد بن على بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب بويع له، فأخذه فاعترف بذلك كما اعترف بمن بايعه، فأخذ

---

(١) الكندى ص ٢٠٣، خطط المقريزى جـ٢ ص ٣٣٩، أبو المحاسن جـ٢ ص ٣٠٩.
(٢) أبو المحاسن جـ٢ ص ٣١٣.
(٣) قبل وقبل قبالة. ضمن والتزم، قبل المزارع الأرض. جعله يلتزمها بعقد.
(٤) الكندى ص ٢٠٤، المقريزى جـ٢ ص ٣٣٩.

كـروتوس» الذى اهتم وجـمع اخبـار اليـهـود فى البيت التانى، ومن اجل ذلك خرجنا من المدينه لما شاهدناه فيهم لانهم لم يكفو عن القتل والنهب والحريق وليس من يمنعهم ولذلك اخترنا ان نسكن فى الغربه وندعو الى السيد المسيح الاهنا، واردنا اعـلام ابوتك ذلك، ولكن حـزن عظيم بسـبب الذين افترقو من البيعه بجريرة المسمى «إبراهيم»، ولما اتصل بنا الان ان بعض منهم طلبـو التـوبة ويعودون من ضلالتهم فرحنا جدا ونسينا الاوجاع

بعضهم فضربوا بالسياط ثم أخرج العلوى فى جمع من آل أبى طالب إلى العراق فى شهر رمضان سنة ٢٤٨هـ [١].

خلع المستعين من الخلافة فى المحرم سنة ٢٥٢هـ وبويع المعتـز (٢٥٢ - ٢٥٥هـ). فاضطربت الأمور في مصر لاضطراب أمر الخلافة [٢] بسبب تحكم الأتراك فى شئون الدولة. والأتراك كما نعلم كانوا فى البداية من الرقيق الذين اتخذهم الخلفاء العباسيون جنوداً، ثم كثر عددهم وقوى نفوذهم منذ أيام الخليفة المتعصم الذى أكثر من شرائهم، إذ رأى فيهم قوماً أشداء يميلون إلى الحرب، وليس لهم وطن أو مجد قديم يعملون على إحيائه وليست لهم عصبية العرب، وإذا خصهم أحد بمنحه وعطاياه فلا يعرفون رئيساً إلا هو، وقد بلغ من قوة نفوذهم فى عهد المعتصم نفسه أن اضطر إلى مغادرة بغداد حاضرة الخلافة العباسية وبناء حاضرة جديدة له ولجنده الأتراك هي سامراً (٢٢١هـ) ليكون بعيداً عن الجند العربى والفارسي ببغداد[٣]. على أن هؤلاء ما لبثوا أن تدخلوا على مر الزمن فى معامع السياسة، وصاروا يولون ويعزلون من شاؤا من الخلفاء، وأصبح بيدهم القوة المدنية والحربية فى الدولة.

---

(١) الكندى ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤. (٢) أبو المحاسن جـ٢ ص ٣١٤.

(٣) اليعقوبى : كتاب البلدان ص ٢٥٦، ياقوت : معجم البلدان جـ٣ ص ١٦، ١٧ وابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ٦ ص ٣١٩، الدكتور زكى محمد حسن : الفن الإسلامى فى مصر جـ١ ص ٢٤ ـ ٢٥.

المحيطة بنا لانه اذا كان اتحاد فى البيعة المقدسة وهى تحت السلامه تضاعفت عندنا النعم، والان يا ابى القديس نحن نعلم رحمة السيد المسيح الاهنا الذى اتى الى العالم ليس لجل [لأجل] الصالحين لكن من اجل الخطاه وافتح لهم الان باب التوبه واهدهم إلى طريق الحق لكى تفرح بعودتهم طغمات السموات لنهم [لأنهم] اعدو فى ابنا[ء] النور. فلما وصلت هذه الكتب الى الاب ديونوسيوس فرح جدا وجميع شعب سوريه لكثرة

وكان هذا إيذانا باضطراب الأحوال فى الأقاليم المختلفة فى الدولة الإسلامية كما كان فرصة لذوى الأغراض المختلفة للقيام ضد الخلافة العباسية ومن بينهم العلويون. ففى خلافة المعز ثار فى الإسكندرية جابر بن الوليد المدلجى فى ربيع الآخر سنة ٢٥٢هـ، واشتد أمره وقويت شوكته وبسط سلطانه على بلاد كثيرة من الوجه البحرى. وجبى منها الخراج، ولم يستطع يزيد ابن عبد الله والى مصر إذ ذاك أن يقمع حركته، فأرسل إليه الخليفة نجدة بقيادة مزاحم بن خاقان الذى قدم من العراق فى عسكر عظيم، (رجب سنة ٢٥٢هـ) وقد استطاعت جيوش الخليفة أن تهزم جابراً وتظفر به في النهاية، لما كتبوا إلى الخليفة بذلك ورد عليهم الجواب بصرف يزيد بن عبد الله عن إمرة مصر وتولية مزاحم بن خاقان بدلا منه (ربيع الأول سنة ٢٥٣هـ[١]).

والذى يهمنا فى حركة جابر بن الوليد ماكان من انضمام أحد العلويين إلى تلك الحركة، وهوعبد الله بن أحمد بن محمد بن اسماعيل بن محمد بن عبد الله ابن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، وكان يقال له ابن الأرقط. فلما هزمت جيوش جابر بن الوليد بعد قدوم مزاحم بن خاقان، أخذ ابن الأرقط وأخرج إلى العراق فى ربيع الأول سنة ٢٥٣هـ. وفى ولاية

(١) الكندى ص ٣٠٥ ـ ٢١٠، خطط المقريزى جـ٢ ص ٣٣٩، أبو المحاسن جـ٢ص ٣١٤.

اهتمامه وصلاحه، اعنى ابانا انبا مرقس، ولذلك عاد الذين ضلو فى تلك الايام عند سماعهم كتبه، الا يسيرا مع إبراهيم الذى هو راس الضلاله وهم يسمون الان إبراهيميين. وصارت بيعة انطاكيه بفرح عظيم.

ثم ان الاب ديونوسيوس بطرك انطاكيه كتب سنوديقا الى الاب انبا مرقس يظهر له اتحاد المحبه ويشكر محبته واهتمامه فى خلاص كل احد،

أزجور التركى على مصر (ربيع الاخر- رمضان سنة ٢٥٤هـ) خرج أحد العلويين بالصعيد وهو احمد بن ابراهيم بن عبد الله بن طباطبا بن اسماعيل بن ابراهيم ابن الحسن بن الحسين بن على وكان يعرف باسم بغا الأكبر [١]. فحاربه أصحاب أزجور ففر ثم مات.

كذلك خرج من العلويين بغا الأصغر واسمه احمد بن محمد بن عبد الله ابن طباطبا فيما بين الإسكندرية وبرقة فى موضع يقال له الكنائس. وذلك فى شهر جمادى الأولى سنة ٢٥٥هـ ثم سار فى جمع إلى الصعيد حيث هزم على يد أحمد بن طولون وقتل فى الحرب وأتى برأسه إلى الفسطاط فى شعبان سنة ٢٥٥هـ [٢]. كذلك ثار بصعيد مصر سنة ٢٥٥هـ أحد العلويين ويقال له ابن الصوفى العلوى، ودخل إسنا فى سنة ٢٥٥هـ فنهبها وقتل أهلها فبعث إليه احمد بن طولون جيشاً لقتاله، وانتهى أمر ذلك العلوى بأن ذهب إلى المدينة المنورة حيث قضى فيها بقية أيامة[٣].

ومن ذلك نرى كيف تتابعت حركات العلويين فى مصر منذ عهد الخليفة المتوكل العباسى. فكأن أضطهاده لهم وتضييقه عليهم هو ومن أتى بعده من الخلفاء لم يمنعهم من الخروج

---

(١) خطط المقريزى جـ٢ ص ٣٣٩.
(٢) الكندى ص ٢١٢، المقريزى جـ٢ ص ٣٣٩.
(٣) الكندى ص ٢١٣ ـ ٢١٤و Zaky M. Hassan: Les Tulunides. PP. 54 - 56.

ولذلك صار فرح عظيم فى كورة مصر والمشرق بهذا الاتحاد ومجدو الله.

فلما تمت هذه النعمه لم يصبر الشيطان الذى هو مقاوم الصلح فى كل حين ومقيم الشرور فبدا وانزل على برية وادى هبيب بلايا عظيمة، التى هى مسكن للعرب [فى ذلك الزمان]، وكانت برية وادى هبيب مثل فردوس النعيم فنهبوها العرب واسرو الرهبان وهدمو بيعها والمناشيب [اعنى

علانية بعد أن كانوا يكيدون للخلافة العباسية سرا، علهم ينالون حظا من السلطان ويتخلصون من الخلافة العباسية واضطهادها. كما شجعهم على الخروج فى تلك الفترة أيضا ضعف الخلافة العباسية نفسها وسوء حالة الخلفاء الذين أصبحوا ألعوبة في يد الأتراك.

ب. أثر النزاع بين الأمين والمأمون فى مصر

قام النزاع بن الخليفة الأمين وأخيه المأمون بسبب نظام ولاية العهد فقد كان الخليفة هارون الرشيد قد أخذ البيعة من بعده لابنه الأمين ثم المأمون، على أن يلى الأمين العراق والشام إلى آخر المغرب ويلى المأمون من همذان إلى المشرق على ألا يكون للأمين سلطان عليه (٣).

لكن الأمين أظهر منذ توليه الخلافة عدم رغبته فى تنفيذ عهد الرشيد (٢)، فخلع المأمون من ولاية العهد وبايع لابنه موسى،وقامت الحروب لهذا بين الأمين والمأمون منذ سنة ١٩٥ هـ وانتهت بحصار جيش المأمون بغداد وقتل الأمين فى سنة ١٩٨ (٣) وبذلك انتهت خلافة

(١) الطبرى جـ١ ص ٥٣، ٦٩ ـ ٧٠و ٧٣، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٢ ص ٨١، ١٠٥ ـ ١٠٦، ١٠٩ ـ ١١٠.

(٢) الطبرى جـ١٠ ص ١٢٤.

(٣) الطبرى جـ١٠ ص ١٣٠، ١٣٨ ـ ١٣٩، ١٧٠، ١٧٤ ـ ١٧٥، ١٩٥.

القلالى] وتشتتو الشيوخ القديسين فى كل موضع من الارض . فلما نظر الاب انبا مرقس هذا الامر الصعب افكر القديس معدن المحبه الروحانيه التى تنبع منه المحبه والامانه، لكل احد ولا سيما فى البريه المقدسه التى لابائنا فى تلك الامور، فلم يحتمل هذا الحزن بل كان يسيل [يسأل] الرب من عمق قلبه ويقول قول داوود فى المزمور(*) «اضطرب قلبى داخلى وفى كلاى اشتعل النار، عرفنى يارب انتهاى لان رجاى قد فنى وليس لى

(*) المزمور ٣٩ / ٤ ، ٥ .

محمد الأمين وآلت الخلافة لعبد الله المأمون ولم ينتقل المأمون بعد توليه الخلافة إلى بغداد بل ظل فى مبدأ الأمر فى مرو عاصمة خراسان.

كانت خلافة الأمين (١٩٣ ـ ١٩٨هـ)، أو بعبارة أخرى فترة النزاع بين الأمين والمأمون ، عهد فوضى واضطراب فى جميع أنحاء الدولة الإسلامية. ولم تنته تلك الفوضى باعتلاء المامون عرش الخلافة فى سنة ١٩٨هـ، بل ظلت آثارها عدة سنين وحدثت ثورات مختلفة فى أنحاء الدولة، ثورات من جانب العلويين، وأخرى من جانب الأمويين الذين استغلوا ذلك النزاع حول الخلافة لينالوا هم أيضا حظا من السلطان.

وقد شملت هذه الفوضى مسلمو مصر أيضا، فتحزب فريق للأمين وتحزب فريق آخر للمأمون، كما ظهرت فى تلك الأثناء رغبة بعض الشخصيات فى الاستقلال بمصر عن الخلافة ونجحوا فى ذلك إلى حد ما، واستطاع بعض الأندلسيين فى تلك الفترة أن يؤسسوا لهم شبه سلطة مستقلة عن الخلافة بالأسكندرية ، فكانت مصر فى تلك الفترة يكاد لا يربطها شئ بالحكومة المركزية الإسلامية.

لماولى الأمين الخلافة كان على ولاية مصر الحسن بن التختاخ [١] وقد بدأ اضطراب الجند

---

(١) فى النجوم الزاهرة لأبى المحاسن جـ٢ ص ١٤١ أن اسمه الحسن بن البحباح

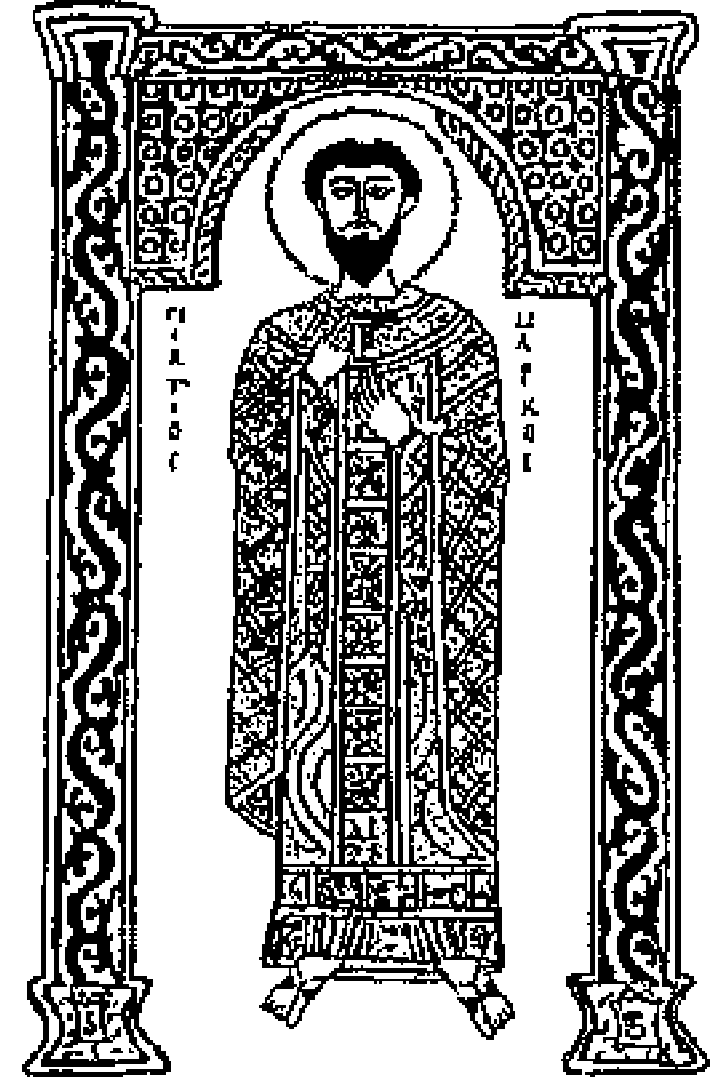
مينا سلامه انجو به» . لان قد انقضى افراح كورة مصر ووادى هبيب الذى هو قدس القديسين صار خرابا [و] مساكن للسباع الضاريه، ومساكن اباى المباركين الذين رقدو بصلواتهم، وصارت ماوى للبوم ومغاير ثعالب السو هذه الامه النجسه» . وكان أبونا لا يفتر من البكا ليلا نهارا من اجل الضيق والحزن الموافى [الكثير] وخاصة خراب الديارات المقدسه وكنايسها . فلما نظر الرب هذه البلايا والاحزان التى صبر عليها هذا القديس اراد

فى مصر عقب وفاة الرشيد مباشرة ونشب القتال بين الحسن هذا وبين الثائرين عليه، وقتل من الفريقين جمع غفير قبل أن يسكن الأمر، ثم أخذ بعد ذلك فى جمع الخراج، وكتب إليه الفضل بن الربيع بأن يرسل الأموال إلى بغداد، ولما مر الرسل الذين كانوا يحملونها بفلسطين وثب أهل الرملة عليهم وأخذوها منهم (١) . وحسبنا مثل هذا الحادث دليلاً على الفوضى التى حلت إذ ذاك بالبلاد . وما لبث الخليفة الأمين أن عزل ابن التختاخ عن إمرة مصر (ربيع الأول سنة ١٩٤هـ) وولى عليها حاتم ابن هرثمة بن أعين، الذى قدم من بغداد على رأس جيش قوامه ألف من الجنود الفرس، ونزل بلبيس. وهناك اتفق معه أهل الحوف على أن يدفعوا ما عليهم من الخراج، ولكنهم ما لبثوا أن نقضوا ذلك الصلح واجتمعوا لقتال الوالى ، فبعث حاتم لمحاربتهم جيشاً أفلح فى هزيمتهم (٢) . ثم عزل الأمين حاتم بن هرثمة فى جمادى الآخرة سنة ١٩٥هـ. ولعل سبب ذلك أن والده هرثمة بن أعين انضم للمأمون ضد الأمين. وولى الأمين على مصر جابر ابن الأشعث الطائى .

وقد ظهرت الاضطراب فى مصر عندما علم أهلها بخلع الأمين أخاه المأمون من ولاية

(١) الكندى ص ١٤٦ ، أبو المحاسن جـ٢ ص ١٤١ .
(٢) الكندى ص ١٤٧ ، أبو المحاسن جـ٢ ص ١٤٤ .

ان يريحه من نفاق هذا العالم فاخذته حمى اياما قليلا ، فظهر له في منام مرقس الانجيلي في اليوم السابع عشر من شهر برموده وكان يوم احد الفصح تلك السنه وقال له: افرح يا مرقس خليفتي المأمون، أفرح ايها المجاهد على الحق هو ذا قد وهبك السيد يسوع المسيح هذه الموهبه ان ينقلك الى مساكنه الابديه في يوم قيامته المقدسه، كن مستعدا للقاه، في هذه الليله تفارق هذا الجسد، وهذه علامتة لك أن عند تناولك من


القديس مرقص الانجيلي

العهد. ففكر فريق من الجند فى خلع الأمين غضبا للمأمون وتزعم هذه الحركة السرى بن الحكم بن يوسف فبعث إليهم والى مصر لينهاهم عما قاموا من أجله ويخوفهم عواقب الفتن. ولكن السرى بن الحكم ظل يدعو الناس إلى خلع الأمين [١]. وقد أتى السرى إلى مصر زمن الرشيد إذ كان من جند الليث بن الفضل والى مصر حينئذ (١٨٢ ـ ١٨٧هـ). ويقال إنه كان خامل الذكر ولم يرتفع شأنه إلا بقيامة فى خلع الأمين [٢]، وقد شجع السرى بن الحكم على القيام بحركته هذه ما بلغه من انتصار طاهر بن الحسين على جيوش الأمين [٣].

ولم يهمل الخليفة المأمون من جانبه أمر مصر فكتب إلى وجوه القوم فيها يدعوهم إلى القيام بدعوته فأجابوه كلهم سرا، ثم ورد كتاب قائده هرثمة بن أعين إلى عباد بن محمد بن حيان وكان وكيلا على ضياع هرثمة بمصر ـ يدعوه إلى الدعوة للمأمون، فجمع الجند فى المسجد وقرأ عليهم كتاب هرثمة ودعاهم إلى خلع الأمين فأجابه نفر عظيم منهم فأعطاهم عباد رزقاً يسيراً وبايعوا للمأمون. وكان خلع الأمين بمصر فى جمادى الآخرة سنة ١٩٦هـ.

(١) الكندى ص ١٤٧ ـ ١٤٨.
(٢) الكندى ص ١٤٨.
(٣) أبو المحاسن جـ٢ ص ١٥٠.

السـراير المقـدسـه الله يقـبل روحك اليـه. فلمـا استيقظ الاب القديس قال للاساقفه الجلوس عنده اسـرعو لتتمـو القداس مجـدا لقيامـة المسيح ربنا، فلما نظروه الابا الاساقفـه وهو قلق جدا ما أرادو مفارقته، فلما صلب عليهم فعلو ارادته وقدسو فلما فـرغ القـداس جم [جـاؤوا] اليـه بالكاس فـتناول جـسـد ودم المسـيح الاهنا. ثم قـال اودعكم جميعكم للرب. وفتح فاه واسلم الروح.

وثار الجند على الوالي جابر بن الأشعث فأخرجوه من مصر في رجب من هذه السنة ثم ولى هذه البلاد عباد بن محمد من قبل المأمون [١].

ولما علم الأمين بخلعه فى مصر واخراج واليه جابر بن الأشعث كتب إلى ربيعة بن قيس ـ وكان زعيم قبيلة قيس بالحوف ـ يبلغه اختياره إياه والياً على مصر وكتب إلى بعض وجوه القوم فى مصر يطلب إليهم أن يشدوا أزر ربيعة بن قيس، فقام هؤلاء يدعون إلى خلع المأمون وساروا إلى الفسطاط لمحاربة عباد، إلا أن عباد سرعان ماحفر خندقا حول الفسطاط للدفاع عنها فسار ربيعة بن قيس إلى الخندق فى آخر ربيع الآخر سنة ١٩٧هـ ووقعت الحرب بين الطرفين عند الخندق عدة أشهر دون أن ينتصر أحدهما، فرأى عباد أن يحاربهم فى الحوف فأرسل إليهم جيشاً بقيادة عبد العزيز ابن الوزير الجروى فى ذى القعدة سنة ١٩٧هـ فانهزم الجروى ومضى فى قومه من لخم وجذام فاقوس [٢]. وهناك حرضه قومه على أن يدعو لنفسه وقالوا له: «لم لا تدعو لنفسك فما أنت بدون هؤلاء الذين غلبوا على الأرض؟». فصادف ذلك هوى فى نفس الجروى وذهب إلى بلبيس ومن هناك بعث عماله لجباية الخراج من مصر

(١) الكندى ص ١٤٨ ـ ١٤٩.
(٢) الكندى ص ١٤٩ ـ ١٥١.

يا لعظم ذلك الحـــزن الذى نال جـــمـــيع الارتدكسيين فاجتمعو اليه وقرا[ء]و عليه كما يجب وكفنوه وجعلوه فى تابوت خشب فى بيعة نبـــروه الى زمـــان اراد الله ان ينقله الى مـــدينة اسكندريه . والذى اقام على الكرسى عشرون سنه وسبعون يوما، وكان نياحته فى التانى والعشرين من برموده، [سنة] خمس مايه [و] خمس وتلتين للشهدا وهو ماسك البيعه المقدسه وكتب فى ايامه

السفلى. وهكذا نرى أن النزاع فى مصر لأجل الأمين أو المأمون بدأ يتطور إلى نزاع للاستئثار بالسلطة دون الخلافة.

وكانت آخر مرة سار فيها أهل الحوف إلى الفسطاط لمحاربة عباد فى المحرم سنة ١٩٨هـ فعقد عباد السرى بن الحكم لمحاربتهم فاقتتل الفريقان، وفى تلك الأثناء وصل إلى مصر خبر مقتل الأمين فى المحرم وبيعة المأمون فتفرق أهل الحوف، ثم عزل المأمون عبادا فى صفر سنة ١٩٨ وولى المطلب ابن عبد الله الخزاعى(١).

ساد الاضطراب فى مصر كما رأينا زمن الخليفة الأمين ولم ينته ذلك الاضطراب بمقتله وتولية أخيه المأمون الخلافة، بل تطور الأمر فى هذه البلاد إلى نزاع بين بعض القواد للاستئثار بالسلطة فيها والاستقلال بأمورها عن الخلافة، فكان على المأمون أن يبذل جهداً خاصاً لإعادة مصر إلى سلطانه والقضاء على الفتن فيها.

ومما يدل على اضطراب الحالة فى مصر حينئذ أن أعمال الشرطة فيها وليها خمسة رجال على التوالى فى بضعة أسابيع (٢). وقد عزل المأمون المطلب ابن عبد الله عن ولاية مصر فى

---

(١) الكندى ص ١٥١ ـ ١٥٢.

(٢) أبو المحاسن جـ٢ ص ١٥٧.

احدا وعشرين مصطاغوجيا وعشرين ارطستيكيا ، وسكن مع القديسين فى كورة الاحيا والمجد للاب الابن والروح القدس الى الابد امين.

ابا يعقوب(*) البطرك
وهو من العدد الخمسون
[٨١٩ / ٨٣٠م]

(*) اسمه قبل البطركية يوسف ويُكنى أبا يعقوب. كما يرد اسمه يوساب.

كان قبل نياحة الاب القديس انبا مرقس كانت البريه المقدسه بوادى هبيب خرابا، التى ذاق خرابها

شوال سنة ١٩٨ هـ بعد أن وليها سبعة أشهر ونصف، وولى مكانه العباس بن موسى، وقد أرسل العباس ابنه عبد الله إلى مصر خليفة له ريثما يحضر هو، فقدم عبد الله إلى مصر فى شوال من هذه السنة، وكان أول ما فعله هو القبض على المطلب بن عبدالله وزجه فى السجن. وقد اشتد عبد الله فثار الجند عليه وقاتلوه غير مرة، حتى هزموه فى النهاية وأخرجوه من مصر، ثم قصدوا المطلب بن عبد الله حيث أخرجوه من حبسه وولوه عليهم فى المحرم سنة ١٩٩هـ(١).

حدث كل ذلك ووالى مصر نفسه العباس بن موسى لم يحضر إليها فلما علم بما حدث لابنه عبد الله قدم من مكة إلى الحوف فنزل بلبيس ولم يلبث إلا قليلا حتى توفى وذلك فى جمادى الاخرة سنة ١٩٩. ومن هذا نرى أن الوالى الذى عينه الخليفة، لم يستطع دخول الحاضرة كما لم يستطع الوقوف وجها لوجه أمام الوالى الذى انتخبه الجند، ومن هذا ندرك أيضا كيف تلاشت سلطة الخليفة على ولاية مصر تقريباً.

بعد موت العباس، كاتب المطلب أهل الحوف فبايعوه، فولى على الوجه البحرى يزيد بن

(١) الكندى ص ١٥٣ - ١٥٤، أبو المحاسن جـ٢ ص ١٦١ ـ ١٦٢.

الاب المذكور حتى انه سال الرب في نقله من هذا العالم والا يبقيه للحزن الذى ناله على تلك المواضع لما نالها من العرب المخالفين وكونهم ملكوها وطردو ابائنا القديسين الذين كانو فيها، وقتلو منهم جماعه واحرقو البيع والمناشيب، واعنى القلالى، بالنار، ولاجل ما نالهم من القتل تفرقو الرهبان في المدن والقرى والديارات باعمال مصر والصعيدين ولم يبق فيها منهم الانفر يسير ممن اختار الموت ليفدى نفس اخوته بنفسه فورث الحياة

خطاب الكلبى، وبعد ذلك بعث المطلب إلى الجروى بولايته على تنيس وأمره بالشخوص إلى الفسطاط[1] ويظهر أن المطلب أراد بذلك أن يخدع الجروى ويوقع به لأنه عرف رغبته فى الاستقلال وطمعه فى ولاية مصر، فالمسالة لم تعد تتصل بالحكومة المركزية فى بغداد، وإنما أصبحت مصر وسط هذه الفوضى غنيمة لمن غلب ، فالوالي الذى عينه الجند يرى أن طاعته واجبة على أهل مصر، والجروى لايرى نفسه أقل من الوالى كفاية. وبعد قليل نرى السرى أيضا ينضم إلى زمرةالطامعين في مصر ويحاول أن يؤسس له ملكا وراثياً فيها، كل هذا يحدث والخليفة المأمون مشغول بالقضاء على الثورات المختلفة التى قامت فى أنحاد الدولة الإسلامية .

لم يذهب الجروى إلى الفسطاط كما أمره المطلب، وإزاء هذا بعث المطلب بوال على تنيس ولكن الجروى أخرجه منها، فبعث إليه السرى ابن الحكم في جمع من الجند يسألونه الصلح فأجابهم إليه، إلا أنه أراد الغدر بهم ففطنوا إلى ذلك وحاربوه، ثم عاد فدعاهم إلى الصلح واستطاع أن يقبض على السرى خدعة ويأسره ثم مضى به إلى تنيس حيث سجنه بها (جمادى الأولى سنة ١٩٩هـ) ويظهر أن بلاداً عدة في شرقى الدلتا دخلت فى حوزة الجروى إذ ذاك وزادت قوته نتيجة لذلك بدليل تحديه قوة الوالي. فبعد أن سجن السرى بن الحكم،

---

(١) الكندى ص ١٥٦.

الابديه بصبره. وحفظهم الرب فلم يرجع احد يوذيهم ولا يضرهم.

وكان في ذلك الزمان في دير ابينا ابى مقار قس مضى الافعال اسمه يعقوب ، هذا لما بدا خراب الديارات خرج منها ومضى الى دير في الصعيد ليتعبد فيه منتظرا زمانا يعود فيه الى الجبل المقدس ميزان القلوب وادى هبيب، والرب محب البشر العارف السراير المخفيه التى يظهرها لقديسيه في

ذهب لمقاتلة يزيد بن الخطاب، عامل المطلب على الوجه البحرى، واستطاع الجروى أن يهزمه فأرسل إليه المطلب جيشا لمحاربته بقيادة ابن عبد الغفار الجمحي ولكن الجروى هزم ذلك الجيش وأسر ابن عبد الغفار وذلك فى أول رجب سنة ١٩٩هـ [١].

عزم المطلب إزاء هذا على أن يوجه كل قوته للقضاء على الجروى فلما علم الجروى بذلك أخرج السرى من سجنه وعاهده على أن يطلق سراحه ويذكر للمصريين أن كتاباً ورد من الخلافة بولايته على مصر، على شرط أن يقوم السرى بمحاربة المطلب، فعاهده السرى على ذلك. وعند ذلك أطلقه الجروى وأعلن ولايته إلى الجند، فبايعه الجند من أهل خراسان وامتنع الجند العرب وقد وقعت حروب بين السرى وبين المطلب انتهت بأن طلب المطلب الأمان من السرى على أن يسلم إليه الأمر ويخرج من مصر. فأمنه السرى وخرج المطلب إلى مكة فى رمضان سنة ٢٠٠.

وعقب ذلك ولى السرى بن الحكم مصر بإجماع الجند فى مستهل شهر رمضان سنة ٢٠٠هـ[٢]. وقد أدرك المعاصرون من المصريين أن الذين ولوا مصر إذ ذاك كانوا خارجين على الخلافة، فيذكر ساويرس [٣] نقلا عن الوثائق المعاصرة له: واستطال الثوار على مصر وجميع

(١) الكندى ص ١٥٧. (٢) الكندى ص ١٥٩ ـ ١٦١.
(٣) تاريخ البطاركة ص ٦٨٠ جـ ٢.

كل زمان ويفعل ارادته فيهم صنع امرا عجيبا فى هذا الانسان المذكور القس يعقوب القديس وهو انه استحق ان ينظر جليان النور، لأنه كان فى الموضع الذى كان فيه يصلى كما جرت عادته فنظر امورا عجيبه، وذلك ان السيده الطاهره ام النور ظهرت له قايمه عند راسه ليلا وعليها تاج عظيم تنير بنور عظيم جدا ومعها ملاكان وقالت له ملكة الحق(*): يا ولدى يعقوب ما الذى فعلت معك من الشر انا التى ربيتك من صغرك وحفظتك الى الان

(*) ملكة الحق، اسم آخر للست مريم لأنهاتمثل الحق والعدل =

اعمالها بحكم اضطراب مملكة بغداد، وخرجو الخوارج على المملكة بمصر، وجبو الخراج لنفوسهم، وكان من جملتهم رجل يسمى عبدالعزيز الجروى أخذ من شطانوف إلى الفرما وشرقية مصر بلبيس واعمالها، ورجل اسمه السرى بن الحكم أخذ من مصر (الفسطاط) إلى اسوان، واستوليا على الخراج، وقوم يسمون لخما وجذاما القبيلتين أخذو غربى مصر واعمال اسكندريه ومريوط وملكو البحيرة جميعها.

هكذا قسمت مصر بين الخارجين على الخلافة كما يذكر ساويرس، فالجروى كما رأينا سابقا كان صاحب السلطة الفعلية فى شرقى الدلتا، كما كان صاحب الفضل فى تولية السرى بن الحكم على مصر ليتخلص بذلك من المطلب بن عبد الله ، إلا أنه لكى يتخلص من المطلب، أوجد له منافسا آخر فى شخص السرى، الذى سرعان ما طمع فى أن يكون صاحب السلطة الفعلية فى مصر كلها، فبعد أن كان الجروى والسرى يحاربان لأجل الخليفة المأمون، أصبح كل منهما يحارب الآخر، وهذا أدى إلى النزاع بين الجروى والسرى نزاعا متواصلا فى السنين التالية، بل إن هذا النزاع استمر بين أولادهما بعد و فاة الاثنين.

أما منطقة غربى الدلتا ، ونعنى منطقة الاسكندرية بوجه خاص، فقد خرجت عن سلطة والى مصر منذ ولاية عباد بن محمد بن حيان (١٩٦ ـ ١٩٨هـ) إذ تغلب بهلول اللخمى على الاسكندرية فى ولايته. فلما ولى المطلب بن عبدالله مصر من قبل المأمون سنة ١٩٨هـ

لما اصطفاك ولدى الحبيب من وقت كنت فى بطن امك ليقيمك على بيته فمضيت الان عنى، لاتفعل هكذا لكن قم وعـد الى المكان الذى خرجت منه لانك انت تكون ريسا على شعب عظيم وهم المصطفون الى مكان الراحة قريبا غير بعيد. فلحقه خوف عظيم ولم يكن ذا قلبين، ولا شاك فى المنام الذى شاهده بل نهض مسرعا وعاد الى البريه المقدسه ميزان القلوب، فلما وصل اليها اراد الرب أن يطيب قلبه اظهر له الاب الروحانى ابا مقار

=وهى حتى اليوم ومن قبلها «ماعت» رمزاً للعدالة في جميع أنحاء العالم. ومن هنا نعرف لماذا سمى وادى هيب بميزان القلوب «شيهات»، فقد كانت ستنا مريم سيدة هذا الودى.

ولى على الاسكندرية، حديج بن عبدالواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج، فثار ضده بنو مدلج بالاسكندرية، فبعث إليهم المطلب بأخيه هرون فانهزم هرون أمامهم[١].

ولما ولى المطلب بن عبد الله ولايته الثانية على مصر بإجماع الجند (سنة ١٩٩هـ ـ ٢٠٠هـ) ولى على الاسكندرية محمد بن هبيرة ابن هاشم بن حديج ، فاستخلف محمد هذا عمر بن عبد الملك بن محمد ابن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج الذى يعرف باسم عمر بن هلال [٢] فوليها عمر بن هلال ثلاثة أشهر ثم عزله المطلب وولى عليها أخاه الفضل ابن عبد الله [٣].

فى تلك الأثناء كانت مراكب الأندلسيين قد رست عند الاسكندرية وكثيراً ما كان الأندلسيون يأتون إلى الاسكندرية فيتبادلون التجارة مع الناس، ولكن ولاة مصر كانوا لا يسمحون لهم بالدخول فيها [٤]. أما فى هذه المرة فإن أهل الأندلس لم يأتوا للتجارة وإنما خرجوا من وطنهم مطرودين وذلك فى عهد ملكهم الحكم بن هشام الأموى على أثر وقعة

(١) الكندى ص ١٥٣.
(٢) يذكر الكندى أنه عرف باسم عمر بن هلال ويذكر المقريزى فى الخطط ١ ص ١٧٢ أه عرف باسم عمر بن ملاك.
(٣) الكندى ص ١٥٧، خطط المثريزى جـ١ ص ١٧٢.
(٤) الكندى ص ١٥٨، خطط المقريزى جـ١ ص ١٧٢.

وقال له: نعم مجيك الى هاهنا ايها المامون عند الرب. انظر، لا تكن ذا قلبين ولاتشك فى المنام الذى رايته لن [لأن] بك يجتمعون اولادى الى مواضعهم التى بددهم منها الشيطان.

فأقام فى وسط من بقى من الرهبان يعزيهم ويسليهم يوما بعد يوم. ولما نظر المنام زاد فى نسكه واعماله الحسنه حتى شاهد امور عجيبه عظيمه علويه، وكان كلمن يشاهد النور الذى هو حايط به يعلم ان الله قد اصطفاه.

الربض بقرطبة فى رمضان سنة ١٩٨هـ[١]. فرسا فريق منهم بالقرب من الاسكندرية وكان عددهم حوالى ١٥،٠٠٠ شخص إذ استثنينا النساء والأطفال [٢].

لماعزل عمر بن هلال، كتب إليه عبد العزيز الجروى يأمره بالدعاء له فيها وبإخراج واليها من قبل المطلب فلم يجد عمر بن هلال بدأ من استدعاء هؤلاء القرطبيين [الاندلسيين] ليساعدوه فى ذلك وسرعان ما لبوا طلبه واستطاع أن يخرج واليها - الفضل بن عبد الله - ويدعو للجروى بالاسكندرية. إلا أن أهل الاسكندرية ثاروا ضد الأندلسيين وأخرجوهم من الاسكندرية إلى مراكبهم بعد أن قتلوا منهم نفراً، وأقاموا عليهم الفضل ثانياً [٣].

ثم عزل المطلب أخاه الفضل عن الاسكندرية وولى عليها إسحاق بن أبرهه ابن الصباح فسار إليه عمر بن هلال فى شهر رمضان سنة ١٩٩هـ، فعزله المطلب وولاها أبا بكر [٤] بن جنادة بن عيسى المعافرى [٥] ولما انتصر السرى ابن الحكم على المطلب وولى مصر فى

---

(١) ابن الأثير جـ٦ ص ٢٠٩ - ٢١٠ وأبو المحاسن جـ٢ ص ١٥٨. Dozy: Histoire des Musulmans d' Espagne. t. I. PP. 296 - 300.

(2) Dozy: op. Cit. p. 300.

(٣) الكندى ص ١٥٨، خطط المقريزى جـ١ ص ١٧٢.

(٤) فى خطط المقريزى (جـ١ص ١٧٣) يقول إن اسمه أبو ذكر بن جنادة.

(٥) الكندى ص ١٥٨، خطط المقريزى جـ١ ص ١٧٣.

ثم اظهر الله امرا عجيبا له فيما هو قايم يصلى للرب بالليل، ويجعل بقية ليله فى عمل يديه كعادته، لحقه خوف ورعب وبكى جدا فقال له من كان معه : ما الذى حل بك يا ابى القديس؟ ما أنت نايم. فقال لهم يا اولادى افكارى اختطفت الى فوق وسمعت امرا لاجل أبينا القديس انبا مرقس ان يقيم على البطركيه اربعين سنه، ثم بعد ذلك سمعت امرا اخر من عند الرب بان ينيح ابانا البطرك فى هذه السنه ولاجل ذلك بكيت

رمضان سنة ٢٠٠هـ بإجماع الجند، وسار عمر بن هلال إلى أبى بكر بن جنادة وأخرجه من الاسكندرية ودعا للجروى بها، وكان الجروى والسرى إذ ذاك متسالمين، فلما علم الأندلسيون بولاية ابن هلال على الاسكندرية قدموا إليه، إلا أنه لم يعاملهم فى تلك المرة كما عاملهم أولا إذ بلغه عنهم بعض الفساد فأمر بإخراجهم من الاسكندرية إلى مراكبهم.[١].

حقد الاندلسيون على ابن هلال، وظهر فى الاسكندرية فى ذلك الوقت طائفة تعرف بالصوفية[٢] «يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» فيما زعموا، ويعارضون السلطان فى أمره واتخذوا رئيسا لهم رجلا منهم يقال له أبو عبد الرحمن الصوفى، وقد أتحد الأندلسيون مع هولاء الصوفية كما تقووا بقبيلة لخم وكانت أقوى من فى ناحية الاسكندرية، ثم ساروا إلى عمر بن هلال ليثأروا لأنفسهم منه فحاصروه وانتهى الأمر بقتله فى ذى القعدة سنة ٢٠٠هـ[٣]. وعقب مقتل ابن هلال انقلبت صداقة الأندلسيين واللخميين إلى عداوة ووقعت الحرب بينهم. ولما رأى أهل الأسكندرية ما حدث بين الفريقين جردوا سيوفهم وقتلوا من

(١) الكندى ص ١٦١ - ١٦٢، المقريزى جـ١ ص ١٧٣.

(٢) يذكر ادم متز فى كتابه الحضارة الإسلامية جـ٢ ص ١٤ أن أول ظهور الطوائف الصوفية حوالى عام ٢٠٠هـ وذلك فى مصر مهد الرهبنة المسيحية أما الصوفية ذاتها كمذهب فقديمة فى مصر قدم الديانة الاوزيرية.

(٣) الكندى ص ١٦٢، المقريزى ص ١٧٣.

بحرقة قلب فسألت الرب ان يصطفى من يجلسه على هذا الكرسي باستحقاق، ثم سكت.

ولم يمض بعد نظره الرويا الا زمان يسير حتى بدا الاب مرقس القديس ان يمرض مرض وفاته، كما شرحنا انه سال الرب ان ينقله اليه، وكان عنده اربا[ء] اساقفه فسالوه بتضرع قايلين : يا ابانا المغبوط نسألك ان تقول لنا ما اظهره الرب لك، من يستحق ان يجلس بعدك على الكرسي

الأندلسيين نحو ثمانين نفسا، فلما علم الأندلسيون بذلك بعد انتصارهم على اللخميين خرجوا لقتال كل من لاقوة من أهل الاسكندرية، مسلمين كانوا أو نصارى أو يهود وأحرقوا كل موضع عثروا فيه على أحد من أصحابهم المقتولين [1].

أصبح الاندلسيون أصحاب السلطة الفعلية في الاسكندرية منذ انتصارهم على عمر بن هلال وتأكد سلطانهم عندما هزموا اللخميين وملكوا الإسكندرية عنوة في ذى الحجة سنة ٢٠٠ هـ[2] فولوا عليها أبا عبد الرحمن الصوفى، إلا أن الأحوال في الاسكندرية اضطربت في عهده وعم القتل والنهب فيها فعزله الاندلسيون عنها وولوا عليها رجلا منهم يعرف بالكناني[3].

وهكذا نرى أن الاسكندرية أصبحت شبه دولة مستقلة للأندلسيين، وأصبحت مصر بمثابة قطائع مقسمة بين أفراد أو جماعات مختلفة، كل منها مستقلة عن الأخرى وهى كلها مستقلة عن الخلافة.

بلغ الجروى مقتل ابن هلال وما فعله الاندلسيون بالاسكندرية فسار إليها في خمسين ألفا

---

(١) ساويرس: تاريخ البطاركة ـ ص ٦٨٢وما بعدها .
(٢) الكندى ص ١٦٣ .
(٣) الكندى ص ١٦٣ ـ ١٦٤. خطط المقريزى جـ١ ص ١٧٣.

الإنجيلي؟. ولم يكن الاب القديس يظهر للاساقفه ولا يوجدهم انه يعرف شيا من هذا بل قال لهم : قد اوقد الرب المصباح وجعله على المنارة ليضى على ساير من فى بيته الذى هو البيعه. فوقف احد الاساقفه ممن كان فيه امانة قويه فى الاب البطرك وبدا ان يساله ويقسم عليه باسم الرب والكرسى المقدس ان يقول له من الذى اصطفاه الرب للجلوس بعده على الكرسى . فاجاب بصوت خفى [خفيض] وقال : للاسقف يعقوب القديس

وحاصرها وكاد يفتحها فى المحرم سنة ٢٠١هـ ولكن السرى خشى ازدياد نفوذ الجروى فبعث عمرو بن وهب الخزاعى على رأس جيش إلى مقره فى تنيس، فترك الجروى حصار الاسكندرية ورجع إلى تنيس حيث أخرج جيش السرى منها. ومن ثم تطورت المنافسة الخفية بين الجروى والسرى إلى نزاع علنى بينهما.

وربما خشى الاندلسيون على مصيرهم فرأوا أن يتقووا بانضمامهم إلى الوالى، لذلك نراهم يدعون فى الاسكندرية للسرى بن الحكم سنة ٢٠١هـ[١] على أن السرى ما لبث أن أختلف مع آل عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدى، وكانوا وجوه أهل خراسان بمصر، فبايعهم الجند على القيام ضد السرى وأظهروا كتابا من طاهر بن الحسين (قائد المأمون) بولاية سليمان بن غالب ابن جبريل البجلى على مصر، فلم يكن من السرى إلا الرضوخ لهم وذلك فى ربيع الأول سنة ٢٠١هـ فكانت ولاية السرى فى هذه المده ستة أشهر[٢].

أمر سليمان بن غالب السرى بن الحكم بترك العاصمة والذهاب إلى اخميم . على أن السرى مالبث أن تقوى ثانية بانضمام بنى مدلج وكثير من الناس إليه . فسار بهم يريد الفسطاط، ولما علم سليمان بن غالب بذلك أرسل إليه جيشا لمحاربته قبل أن يصل إليها فدارت الدائرة على السرى وأسر هو وابنه ميمون ، فأمر سليمان بردهما ثانية إلى اخميم وسجنهما

(١) الكندى ص ١٦٥.

(٢) الكندى ص ١٦٥.

الذى من بيعة ابينا القديس ابى مقار هو الرجل المزين بافعاله . وتقدم الى الاسقف ان لا يعلم احدا بهذا واقسم عليه بالبيعه على ذلك حتى ينظرو مجد الله يتم فيه.

ثم تنيح الاب القديس كما ذكرنا انفا. فيا لهذا المجد العظيم الذى لكرسى القديس مارى مرقس الانجيلى ولكلمن يجلس عليه لانه بنعمه روح القدس البار يصطفى ويختار بحلوله على كل

وذلك فى جمادى الأولى سنة ٢٠١هـ [١]، ولا نعرف لماذا لم يقتل سليمان بن غالب السرى بعد أن ظفر به، وربما دعاه إلى هذا التصرف خوفه من أتباع السرى ومن ثورتهم ضده، وما لبث أهل خراسان بمصر أن قاموا ضد سليمان بن غالب وذلك لتقديمه أتباعه وبطانته عليهم، وانتهى الأمر بأن خلعه الجند من ولاية مصر فى شعبان من سنة ٢٠١هـ ثم لحق سليمان بالجروى [٢]. بعد عزل سليمان، ولى السرى بن الحكم مصر للمرة الثانية على أنه فى هذه المرة لم يتولاها كالمرة الأولى بمبايعة الجند له وإنما وليها بأمر من الخليفة المأمون [٣] ويظهر أن اضطراب الحال فى الدولة الإسلامية دعا المأمون إلى التسليم بالأمر الواقع فى مصر ريثما تهدأ الأمور فولى السرى الذى كان له أتباع كثيرون إذ ذاك.

وحدث فى سنة ٢٠١هـ أن بايع المأمون لولاية عهده عليا الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق وسماه الرضا من آل محمد ، وأمر جنده بطرح السواد شعار العباسيين ولبس ثياب الخضرة شعار العلويين، وكتب بذلك إلى جميع الآفاق.

وقد ظن أهل بغداد أن هذا من عمل الفضل بن سهل الذى كان يدبر أمور المأمون فى مرو. والفرس كما نعلم كانوا يميلون إلى العلويين. ولذا نجد أهل بغداد يبايعون بالخلافة

(١) الكندى ص ١٦٦.
(٢) الكندى ص ١٦٦ ـ ١٦٧.
(٣) الكندى ص ١٦٧.

واحد منهم، كما قال الرب لتلاميذه ورسله: هو ذا انا معكم كل الايام والى انقضا العالم.

وانا أشرح لكم يسيرا من اعمال يعقوب القديس القس في رهبنته قبل ان يجعلونه قسا، ومن قبل ان يجلس على الكرسي، غير انى اعرف عجزى وانى لا ابلغ شيا من عظم افعاله ومجد الثالوث الحايط به ولذلك اختصر في الكلام. فاما بداية وسمه وما صبر عليه فهو ربح وبركه لجميع الارتدكسيين.

إبراهيم بن المهدى عم المأمون فى سنة ٢٠١هـ ويخلعون المأمون . واضطربت الأحوال فى بغداد، ولم يعلم المأمون بذلك إذ كتم الفضل بن سهل هذه الأخبار عنه ويقال إن الذى أعلمه بهده الأمور عليا الرضا بل إنه أشار عليه بالرجوع إلى بغداد لتهدأ الحالة وليضبط الأمور بنفسه، فسار المأمون إليها وفى طريقه إلى هناك مات الفضل بن سهل سنة ٢٠٢هـ ثم مات على الرضا فى طوس سنة ٢٠٣. وأخيراً دخل المأمون بغداد فى سنة ٢٠٤هـ واختفى إبراهيم بن المهدى، واستطاع المأمون بعد دخوله بغداد أن يقبض على ناصية الحال ويقضى على الاضطرابات التى سادت فيها بعد أن تخلص من النفوذ الفارسى ومن النفوذ العلوى، وقد استعطفه إبراهيم بن المهدى فصفح عنه.

أما فى مصر فإن أمورها فى تلك الفترة كانت تسير دائما متأثرة بما يجرى فى الخلافة فينعكس عليها ما يحدث هناك واضحا جليا. لذا نرى الخليفة المأمون يكتب إلى السرى بن الحكم يأمره بالبيعة فيها لولى عهده على الرضا فى المحرم سنة ٢٠٢هـ فبويع له بها، على أن المسلمين المصريين أنقسموا على أنفسهم كما حدث فى بغداد وسائر الدولة الإسلامية، إذ كتب إبراهيم بن المهدى إلى وجوه الجند بمصر يأمرهم بخلع المأمون وولى عهده، والثورة ضد السرى، وكان من السهل أن يلقى إبراهيم بن المهدى أنصارا له بمصر، لاحباً فى خلافته وانما طمعا من بعض الزعماء فى السلطان أو لتذمرهم من ولاية السرى أو غير ذلك من

لما تنيح ابونا البطرك انبا مرقس حزنت البيعه عليه حزنا عظيما وجميع الشعب وخاصة المدينه المحبه لله اسكندريه لعدمهم نظر ابيهم ومن غيبته عنهم، وبعد ايام زال الحرب والقتال من اسكندريه ومصر وجميع قبايل الاندلسيين(*) واللخميين والمداجه. وبدوا يبتهلون ويصلون الى الله فى ان يذكر بيعته التى اشتراها بدمه ويظهر لهم راعيهم الذى رعاهم ويعزيهم فى قلقهم ، فاجتمع الابا[ء] الاساقفه والشعب المحب للمسيح وطلبو من

(*) كان الاندلسيون قد خرجوا من الاسكندرية منذ عام ٨٢٧ م = ٢١٢ هـ ورحلوا إلى جزيرة كريت «أقريطش» واحتلوها وجعلوها مركزاً لأعمال القرصنة فى البحر المتوسط.

الأغراض المختلفة التى كانوا يسترونها وراء قيامهم بالدعوة لأحد الخلفاء أو لأحد الخارجين على الخلافة. فقام بالدعوة لإبراهيم فى مصر الحارث بن زرعة بن قحزم بالفسطاط، وعبد العزيز ابن الوزير الجروى بالدلتا وسلامة ابن عبد الملك الأزدى الطحاوى بالصعيد، وسليمان بن غالب بن جبريل الذى كان منضما إلى الجروى . وعقدوا الولاية لعبد العزيز بن عبد الرحمن الأزدى، على أن السرى حاربه حتى ظفر به، وقتله فى صفر سنة ٢٠٢هـ (١)وانضم بعد ذلك كل من كره بيعة على الرضا إلى الجروى لعظم سلطانه إذ ذاك، فسار الجروى إلى الإسكندرية للمرة الثانية لمحاربة الاندلسيين بها فحاصرها وانتهى الأمر بأن اصطلح الاندلسيون على فتح حصن الإسكندرية والدعوة للجروى بها . ثم دعى للجروى بالصعيد أيضا.

وعندما علم الجند بموت على الرضا وانخذال إبراهيم بن المهدى أظهروا بيعة المأمون والدعوة إليه، وقد ورد كتاب المأمون إلى السرى بذلك وبغسل المنابر التى دعى عليها لعلى الرضا فغسلت(٢) . وانتهز الاندلسيون أيضا هذه الفرصة فأخرجوا عامل الجروى بالإسكندرية منها وأغلقوا الحصن دونه وخلعوا الجروى ودعوا إلى السرى بن الحكم ، فسار إليهم الجروى فى رمضان سنة ٢٠٣هـ. على أن القبط بسخا ثاروا ضده وانضم إليهم بنومدلج فهزمهم

---

(١) الكندى ص ١٦٨.
(٢) الكندى ص ١٧٠.

يستحق هذه الرتبة وذكرو جماعه وفيهم المضى[ء] يعقوب القس، وكان هذا تدبير من الله، وجعل اسمه في فمهم لانه المستحق لهذه الرياسه، فذكر الاسقف المغبوط الذى كان قال له الاب البطرك مرقس المتنيح من اجل العمود المضى[ء] يعقوب، فاعلم السر لجماعة الاساقفه فصرخو بصوت واحد: يستحق يستحق الذى افعاله مثل افعال الملايكه وهو الارضى وهو سماوى فاسرعو وجاو [جاؤوا] الى البريه الى بيعة القديس ابى مقار

الجروى وهرب بنو مدلج ثم بعث الجروى بجيوش إلى الإسكندرية لمحاصرتها [1]. وربما دعا القبط إلى الثورة ضد الجروى ما أتاه من أفعال؛ إذ يذكر ساويرس[2] أن الجروى ما كان يفتر من قتل الناس وأخذ أموالهم وكان يدفن في الأرض ما يأخذه من أموال ، وإذا دفن المال يقتل الذين ساعدوه على دفنه كي لا يبيحوا بسره. وكذلك جمع الجروى قمح أرض مصر جميعاً ووضعه في الأهراء تحت تصرفه، حتى ندر القمح وعز وجوده، فحدثت مجاعة كبيرة بسبب ذلك ولاسيما بالإسكندرية، وكان يرمي من وراء ذلك إلى أن تسلم إليه البلاد جميعها.

لكن السرى بن الحكم أفسد على الجروى خططه فأرسل جيشاً في ذى القعدة سنة ٢٠٣ إلى بلاد الصعيد لا ستخلاصها منه ، فمنهم سلامة ابن عبد الملك الطحاوى حليف الجروى بالصعيد، وأسر هو وابنه إبراهيم وأرسلا إلى الفسطاط حيث قتلا هناك في المحرم سنة ٢٠٤هـ[3].

وفي تلك الأثناء سار عبد العزيز الجروى لحصار الاسكندرية للمرة الرابعة فأغلق الأندلسيون حصنها ولكن الجروى حاصرهم حصاراً شديداً وأخذ يضرب الحصن بالمجانيق وظل على ذلك

---

(١) الكندى ص ١٧٠.
(٢) تاريخ البطاركة ص ٧٤٢ جـ ٢ .
(٣) الكندى ص ١٧١.

واخـذو القس يعـقـوب قـبل ان يعلم وسـارو بـه الى مـدينة اسـكندريه، وكـان يـبكى ويقـول : مـبارك هو الرب الويل لى انا الغيـر مـسـتـحق لهـذه الكرامـه العظيـمه لنقصى عن هذا الامر والمجد العظيم الذى انا قـادم عليـه، ويسـال الله ليله ونهـاره اجـمع ان يخرجه من العالم قبل ان يقلده هذا الامر. وهو ذا هو باك وسايل فى هذا اذا راى مناما عجيبا كعادته ان الله يعـزيه ويقـول له كـمـا قـال ليـعـقـوب الاب الاول: لاتخف يا يعقوب فهو ذا أنا معك الى مصر

سبعة أشهر من بداية شعبان سنة ٢٠٤هـ إلى آخر صفر سنة ٢٠٥هـ. وانتهى الأمر بأن قتل الجروى أثناء الحصار. ومات السرى بن الحكم بعده بثلاثة أشهر فى الفسطاط فى آخر جمادى الأولى سنة ٢٠٥هـ بعد أن ولى مصر ثلاث سنين وتسعة أشهر.

بويع بولاية مـصـر بعـد السـرى بن الحكم ابنه أبو نصـر بن السرى، ولم يكن معنى ذلك القـضـاء على المنازعـات التى قـامت حـول ولاية مـصـر، إذا ورث أبناء السـرى والجـروى نزاع والديهما، فكان بيد أبى نصر من أرض مصر الفسطاط والصعيد وغربى الدلتا وكان بيد على بن عبد العزيز الجروى، بقية الوجه البحرى بما فى ذلك الحوف الشرقى، وقد وقعت الحروب بينهما ثم اصطلحا على أن يكف أحدهما عن الآخر. وأخيراً توفى أبو نصر فى ٨ شعبان سنة ٢٠٦هـ بعد أن ولى مصر أربعة عشر شهراً (١).

بايع الجند عبيد الله بن السرى بولاية مصـر بعد وفاة أخيـه فى شعبـان سنة ٢٠٦هـ ولم يتـعـرض كل من عـبيـدالله وعلى بن الجروى للآخـر حتى انتهت سنة ٢٠٦هـ، حين عـقـد المأمون ولاية مصر لخالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى وبعثه إليها فى جيش من ربيعة فلما دخل الحدود المصرية أرسل إلى عبيد الله يعلمه بذلك فامتنع عبيدالله عن التسليم له واحتج بأن كتاب المأمون قد ورد إليه بولايته هو، واستعد عبيـدالله الحرب خالد فـحفر خندقاً حول

---

(١) الكندى ص ١٧٢ ـ ١٧٣.

واقويك واكون معك في جهادك لتستحق الاكليل مثل اخويك المجاهدين ساويرس وديسقرس ريسا على الاساقفه بيد كامله وشرطونيه صحيحه. واستوجب ان ينظر شيخ راهب كان خرج من البريه عندما فرشوا الانجيل فوق راسه صورتين احديهما تشبه صورة ديسقرس والاخرى تشبه صورة ساويرس تمسكان الإنجيل من هاهنا ومن هاهنا واسم يعقوب البطرك في وسطهما فلما نظر هذه الاعجوبه، وفيما هو مفكر راى قوما يتحدثون

الفسطاط وجند الجنود، فسار خالد إلى خندق عبيد الله وهناك وقع القتال بينهما وانتهى بأسر خالد بن يزيد فأكرمه عبيد الله بن السرى وخيره بين المقام في مصر أو الرحيل حيث شاء فاختار الذهاب إلى مكة عن طريق القلزم [١]. ويظهر أن الأمور في مختلف انحاء الدولة الإسلامية شغلت المأمون حتى ذلك الوقت عن التفرغ للقضاء على الفوضى في مصر وإرجاعها ثانية إلى حظيرته، فأرسل رسولا من قبله يقر عبيد الله على ما بيده من أرض مصر ويقر علياً ابن الجروى على ما بيده[٢].

حدث بعد ذلك نزاع بين عبيد الله بن السرى وبين على بن الجروى وسببه أن قوما من أهل الحوف منعوا ابن الجروى من جباية الخراج وكتبوا إلى عبيد الله بن السرى يطلبون منه المساعدة ضد على الجروى، فأمدهم بما طلبوا وبعث إليهم أخاه أحمد بن السرى في سنة ٢٠٧ هـ فوقعت حروب بينهما كان نتيجتها أن دخل عبيد الله تنيس، مقر ولاية الجروى، وهرب ابن الجروى إلى الفرما ثم العريش في ربيع الأول سنة ٢٠٩هـ [٣]، أى أن مصر كلها خضعت لعبيد الله بن السرى إذا استثنينا الاسكندرية التي كانت تحت سلطة الأندلسيين. على أنه لم يكن من السهل أن يتخلى ابن الجروى عن ولايته في مصر السفلى. فحدثت مناوشات

(١) الكندى ص ١٧٣ ـ ١٧٦.
(٢) الكندى ص ١٧٦ـ ١٧٧.
(٣) الكندى ص ١٧٧ - ١٧٨.

ويقـولون هذا الانسـان فـعله يشبـه فـعل هذين الرجلين بالحقيقه.

يا ابهاتي ان هذا القديس كانت سيرته فاضله مثل سيرة القديس ساويرس في افعاله، وكان عظة للمخالفين بالخوف وبحسن امانته واعترافه وطقسه. وكانو يهابون كلامه لانه عند جلوسه عمل مقاله نوثاتيريون يقطع فيه جميع الهارسيس الكسار سطوس والجمع الطمث الخلقدونى

وحروب بينه وبين ابن السرى [1]، وبينما قدم عبد الله بن طاهر بن الحسين من الشام موفداً من قبل الخليفة المأمون ليقضى على تلك الفوضى التى سادت في مصر منذ نحو إحدى عشرة سنة، كادت مصر فى أثنائها تكون مستقلة عن الخلافة، لاترسل إليها الخراج والأموال ولا ترضخ فيها لأوامر الخليفة ولا تقبل العمال الذين يوليهم وقد تغلب على كل ناحية فيها قائد أو زعيم.

سار عبد الله بن طاهر إلى مصر فاستقبله على بن الجروى بالأموال والأنزال وانضم إليه، ثم أرسل ابن طاهر إلى عبد الله بن السرى يدعوه إلى الطاعة ولكن عبيداً أخذ يستعد لحربه فحفر خندقه وأعد سفنه وأحكم أموره وكانت النتيجة أن اشتبك الفريقان ووقعت الحرب بينهما فانهزم عبيد وقتل معظم أصحابه حتى أشرف على الهلاك فطلب الأمان. فكتب ابن طاهر إلى الخليفة المأمون كتابا يسأل فيه أمان عبيد فأجابه الخليفة إلى ذلك. ثم كتب عبد الله بن طاهر لعبيد كتاب أمان أشهد فيه شهوداً من الجند والفقهاء وأشراف إهل مصر فى صفر سنة ٢١١هـ وخلع عليه ابن طاهر وأجازه بعشرة آلاف دينار وأمره بالخروج إلى المأمون[2] وبذلك خلصت معظم مصر للخلافة على يد عبد الله بن طاهر وكان أمامه أن يقضى على الدولة التى أقامها الأندلسيون بالاسكندرية منذ عشر سنوات.

(١) الكندى ص ١٧٨ ـ ١٧٩، خطط المقريزى جـ١ ص ١٧٩.
(٢) الكندى ص ١٨٠ ـ ١٨٢.

واصحاب الخيال الذين هم الغايانيون هولا الذين ينكرون الالام المحييه التى لله الكلمه التى قبلها بالجسد.

وفى بعض الايام قرب الشعب وجا الى منزله، وكانت عادة الاسكندرانيين ان يدعون عندهم المخالفون ليرو اعيادهم ومجد البطرك وكانو يفعلون هذا حتى يظهرو لهم المجد الذى اعطاهم الله وما يظهره لهم من اعمال الابا[ء] الذين جاو [جاؤا]

سار عبد الله بن طاهر فى قواده إلى الاسكندرية فى بداية صفر سنة ٢١٢هـ وحاصرها فى شهر ربيع الأول فطلب أهلها الأمان، وصالح الأندلسيين على أن يسيرهم من الاسكندرية حيث أحبوا فخرجوا الى جزيرة أقريطش (كريت) وملكوها وكان أميرهم أبو حفص عمر بن عيسى، ثم ولى ابن طاهر على الإسكندرية الياس بن ساسان، ورجع ثانية إلى الفسطاط فى جمادى الآخرة سنة ٢١٢هـ [١].

وهكذا عادت مصر بفضل مجهودات عبد الله بن طاهر ولاية خاضعة للخلافة بعد أن سادت فيها الفوضى وكادت تخرج من حكم الخليفة وتستقل بأمورها منتهزة فرصة النزاع بين الأمين والمأمون ثم الاضطراب الذى قام فى أوائل حكم المأمون. ويجدر بنا أن نلاحظ أن السرى بن الحكم، الخراسانى الأصل، استطاع أن يكون لنفسه ولأسرته من بعده ملكا شبه مستقل دام نحو عشر سنوات ولم تسيطر هذه الأسرة على مصر طوال هذه المدة وإنما سيطرت على العاصمة دائما وعلى الوجه القبلى فى الغالب. ونلاحظ أيضا أن أسرة السرى كانت كغيرها من الأسرات التى استقلت بمصر فيما بعد، مثل ا لطولونيين والأخشيديين، أى أنه لم يكن لها أساس قومى فى البلاد التى اتخذتها مسرحاً لنشاطها. فهذه الأسرات التى قامت فى مصر الإسلامية لم تكن نتيجة لحركات قومية وإنما كانت حركات فردية قام بها

(١) الكندى ص ١٨٣ ـ ١٨٤، خطط المقريزى جـ١ ص ١٧٣.

وجلسو على كرسى البشير مرقس، ففعلو هذا مع الاب البطرك يعقوب وحضر جماعة منهم فنظرو الممتلى من نعمة الروح القدس وهم مختلطون مع الارتدكسيين وقال مثل ما قال بولس الرسول(*): اى شركه للحق مع الاثم او اى شركة للنور مع الظلمه، او كيف يتفق المسيح مع الشيطان، او اى نصيب لمومن مع مخالف، وكما ان ليس لهم معنا نصيب في الروحانيات ولا يكون لهم في الجسدانيات. فخرجو جميعهم بخزى وخجل من

(*) رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس : ٦ / ١٤، ١٥ .

ذوو الشخصيات الطموحة القوية من المغامرين. ولذا لم يكن من المنتظر أن تعمر طويلا بعد وفاة مؤسسيها، وخاصة إن كان خلفاء هؤلاء المؤسسين لا تتوفر لديهم القوة والشخصية التى كانت لأسلافهم. ويصح أن تعتبر أسرة السرى مقدمة لأسرة ابن طولون التي استقلت بمصر استقلالا فعلياً فى الواقع وذاتياً فى الظاهرة.

جـ . مصر والمحنة بخلق القرآن

مسألة خلق القرآن هى إحدى المسائل التى أثارتها المعتزلة حين ظهرت بتعاليمها كما ظهر غيرها من الفرق والمذاهب.

ولا يعنينا هنا أن نبحث في اراء المعتزلة الدينية ومعتقداتهم وإنما يهمنا أن الدولة العباسية فى وقت ما اتخذت الاعتزال مذهبا رسميا لها، وحملت جميع رعايا دولتها على اعتناق ذلك المذهب مستعملة في ذلك جميع وسائل القوة والعنف، ومسلمو مصر ممن حمل على اتخاذ ذلك المذهب . كانت مسألة خلق القرآن هى مسألة التى تركز فيها الاعتزال في تلك الفترة (٢١٨ ـ ٢٣٤هـ) لكثرة القول والجدل فيها، ولأنها مبنية على أكبر أصل من أصولهم وهو التوحيد وعدم تعدد صفات الله (١).

---

(١) أحمد أمين بك: ضحى الإسلام جـ٣ ص ١٦٥ .

باب البيعه، وكان فيهم انسان غنى مسلط على جباية خراج اسكندريه فى ذلك الوقت وكان له سلطان فى الاندلسين(*) ولايه، فمضى مسرعا واعلم صاحب الخراج ما جرى وتكلم فى الاب البطرك ابا يعقوب وقال له أنه قد احرمهم، فلما سمع المخالف هذا امتلا غضبا على ابينا البطرك وقال كلاما عظيما، وارسل الى الاب وقال له: انى ادعك ان تلتفت فى البيعه، اذا قلت السلام لا تجد انسانا يقول لك ومع روحك [يرد عليك] . فلما

(*) من الواضح أن خروج الاندلسيين لم يكن كاملاً بل بقيت منهم أعداد من التجار فى الغالب وأصحاب الأموال والأملاك.

وقد أظهر المأمون القول بخلق القرآن فى سنة ٢١٢هـ (١)، إلا أنه لم يحمل الناس على اتباعه إلا فى سنة ٢١٨ هـ قبيل وفاته وهو خارج بغداد لغزو الروم إذا كتب إلى والى بغداد إسحق بن إبراهيم يطلب منه أن يمتحن القضاة الفقهاء والمحدثين فى خلق القرآن ويعاقب من لا يقر بخلقه على أن المأمون توفى بعد ذلك بنحو أربعة أشهر (رجبت سنة ٢١٨هـ) فحمل هذا الأمر من بعده أخوه المعتصم (٢١٨ ـ ٢٢٧هـ) ثم الواثق (٢١٧ ـ ٢٣٢هـ) وقد عذب كثير ممن امتنعوا عن القول بخلق القرآن، وقتل البعض الآخر، وبقدر ما كان الخلفاء يشتدون فى تلك المسألة كان العلماء والشعب يعارضون فيها (٢)، وقد أصبحت كلمة المحنة تعنى اختبار العلماء فى القول بخلق القرآن وما لاقوه فى ذلك من عذاب (٣)، وهكذا أصبحت الدولة الإسلامية كلها موضوع محاكمة،. ويهمنا ما كان من أمر مصر فى هذه المسألة.

فى ولاية كيدر نصر بن عبد الله على مصر (٢١٧ ـ ٢١٩هـ) ورد عليه كتاب المعتصم (صاحب إقطاع مصر حينذاك) فى جمادى الآخرة سنة ٢١٨هـ يأمره بأخذ الناس بالمحنة

(١) الطبرى جـ١٠ ص ٢٧٩.
(٢) أحمد أمين بك : ضحى الإسلام جـ٣ ص ١٥٦ ـ ١٨٢.
(٣) المرجع نفسه ص ١٦٦.

سمع ابونا هذا الكلام من المخالف قال بنعمة روح القدس: هكذا نعم ما تنبا به على هذا المخالف اشعيا النبى اذا يقول(*): ان غضبه وزخره وفكره يرجع على راسه ، وظلمك وغضبك قد صعد الى فانا اربطك بلجام فى شفتيك ولا يزول من مكانه حتى تتم القضيه عليه، وهكذا تكون قضيته، وحقا اقول لكم اننى لا ادخل بيعه الرب حتى يتم الله هذا الحكم فيه عاجلا.

(*) اشعيا: ٣٧ / ٢٩ .

بخلق القرآن وأن يمتحن قاضى مصر إذ ذاك هرون بن عبد الله الزهرى وأن يمتحن المحدثين والفقهاء والشهود ، وأن يعزل القاضى إن لم يقر بخلق القرآن، وكذلك طلب منه ألا يأذن لأحد فى حديث أو فتوى أو شهادة إلا إذا أقر بخلق القرآن [١]. يظهر أنه لم تقم بين مسلموا مصر فى أول الأمر معارضة شديدة للقول بخلق القرآن، كما قامت فى العراق مقر الخلافة، ولم تتعرض مصر لما تعرضت له العراق من قتل وتعذيب واضطهاد لهذا السبب، وربما أقر مسلموا مصر القول بخلق القرآن تقية فكفاهم هذا شراء كثيراً. فيذكر الكندى أنه حين ورد كتاب المعتصم على كيدر يأمره بأخذ الناس بالمحنة أحضر هرون بن عبد الله القاضى ودعاه إلى هذا فأجاب إليه ووافقه على ذلك عامة الشهود ومن عرف بالعدالة كما أجاب أكثر الفقهاء إلا من هرب منهم وكذلك كان هرون ابن عبد الله يوقف شهادة من لا يقول بخلق القرآن ويقبل شهادة من يقر بخلقه[٢].

ظل هرون بن عبد الله يلى قضاء مصر إلى أن ورد عليه كتاب الخليفة المعتصم فى سنة ٢٢٦هـ يأمره بالتوقف عن الحكم. وولى القضاء بعده محمد ابن أبى الليث الخوارزمى. ولعل مسلموا مصر لم يقوموا بمعارضة شديدة ضد المحنة طالما لم يؤخذوا فيها بالشدة، فيذكر الكندى[٣] أن أمر المحنة كان سهلا فى خلافة المعتصم ، «فلم يكن الناس يؤخذون بها شاءوا

(١) الكندى ص ١٩٣ ، ٤٤٥ ـ ٤٤٧ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٢ ص ٢١٨ ـ ٢١٩ .
(٢) الكندى ص ٤٤٧ .
(٣) الكندى ص ٤٥١ .

وبعد ذلك وقع للمذكور خصومه وقتل واخذ جميع مافى بيته ولم يبق له شى فلما نظرو المخالفون الذين فى اسكندريه هذا العجب الذى كان وتمام ما قاله الاب المشتمل بروح القدس، لم يقدر احد من المخالفين ان يخاطبه بكلمه وكان بطركهم يوقره ويخافه ويحيد عنه.

وكانت اعماله الحسنه تتزايد وتنمو اكتر من اعمال رهبانيته، ولم يكن ينظر مجد الناس بل

أو أبوا حتى مات المعتصم وقام الواثق سنة سبع وعشرين ومائتين فأمر أن يؤخذ الناس بها وورد كتابه على محمد بن أبى الليث بذلك وكأنها نار أضرمت». فالخليفة الواثق (٢٢٧ ـ ٢٣٢هـ) كان يقول بخلق القرآن عن عقيدة كما قال به المأمون[١]، لذا نجده يرسل إلى قاضى مصر محمد بن أبى الليث يأمره بامتحان الناس جميعاً حتى لم يبق أحد من فقيه أو محدث أو مؤذن أو معلم حتى أخذ بالمحنة، وعندئذ عارض كثير من المصريين المحنة وثاروا ضدها . فملئت السجون منهم كما هرب الكثيرون.

وقد أمر ابن أبى الليث أن يكتب على المساجد لا إله إلا الله رب القرآن المخلوق، كما منع الفقهاء من أصحاب مالك والشافعى من الجلوس فى المسجد وأمرهم أن لا يقربوه وقد اختص أصحاب مالك والشافعى بالمنع لأنه لم يكن للمذاهب الأخرى أتباع فى مصر حينذاك.

وعلى وجه الإجمال نلاحظ أن أمر المحنة فى مصر كان سهلا خفيف الوطأة على المصريين فلم يقاسوا بسببها إلا بضع سنوات فى عهد الخليفة الواثق فملئت السجون منهم، كما تحمل البعض الآخر مشقة الرحيل عن مصر. ولكننا لا نسمع عن كثير من حوادث قتل أو تعذيب كما كانت الحال فى العراق. فلما ولى الخليفة المتوكل العباسى وجد أن المسألة طال أمدها فأبطل هذه المحنة .

---

(١) الكندى ص ٤٥٣ .

يعمل باعمال الله وعقله فوق مثل بولس الرسول الذى لم يكن يفتر من الكرازه والبشاره باسم يسوع المسيح ويسبح الله فقال لشعبه: سمعت ان منكم قوما بطالين كسالى وانا طلب اليكم ان تعملو اعمالكم بدعه، وتاكلو خبزكم كما قال بولس الرسول : ان بيدى كنت اخدم ولم اثقل عليكم ونعم اصلاح نصيب المحتاج، ولا ياخد من احد، وكان هو يسير من الدنيا يكفيه وليس ينصب للموايد مثل الناس بل ياكل خبزه

الأقباط والنظام المالى

كانت سياسة الخلفاء بوجه عام ترمى إلى استغلال مصر استغلالا منظما، وإن اختلف بعضهم عن البعض الآخر من حيث درجة الاستغلال، وإذا بينما نرى بعض الخلفاء أو ولاتهم يشتط فى جمع الضرائب نرى البعض الآخر يرى أن من مصلحة الراعى أن يقص صوف غنمه وليس من مصلحته أن يسلخها. وحسبنا أن نشير فى هذه المناسبة إلى ما ذكره الماوردى[1] من أن «الحجاج كتب إلى عبد الملك بن مروان يستأذنه فى أخذ الفضل من أموال السواد فمنعه من ذلك وكتب إليه: لا تكن على درهمك المأخوذ أحرص منك على درهمك المتروك وأبق لهم لحوما يعقدون بها شحوما». فإن هذا مثل يرينا كيف كانت سياسة هذا الخليفة ترمى إلى عدم تحميل البلاد فوق ما تحتمل كيلا يجف معينها ويؤثر ذلك على ماليته ولكن بعض الخلفاء لم يراع هذا المبدأ وراحوا يبتزون كل ما تملك البلاد، فنرى الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦هـ - ٥٩٩م) يكتب إلى أسامه بن زيد التنوخى متولى خراج مصر «أحلب الدر حتى ينقطع وأحلب الدم حتى ينصرم [2]» وقد ظهر اهتمام الخلفاء بثروة

(١) الأحكام السلطانية ص ١٤٣.

(٢) أبو المحاسن جـ١ ص ٣٣١.

بالدموع، بل كانت اعماله تنير فى وجهه، وكلما يطلبه من الله يعطيه، وكلمته تقطع اكثر من سيف ذى فمين.

واخبركم يا اخوتى انه كان فى ايام هذا المغبوط البطرك انبا يعقوب له قرابه، محب للمسيح، ريس مقدم فى نبروه اسمه مقاره، فلما سمع بجلوسه على الكرسى فرح فرحا عظيما ومجد الله الذى يختار اصفياه وزاد فى الصدقه ومحبة الاخوه،

مصر عقب الفتح مباشرة، فيذكر ابن عبد الحكم [1] عن هشام بن أبى رقية اللخمى أن عمرو بن العاص لما فتح مصر قال للقبط: إن من كتمنى كنزا عنده فقدرت عليه قتلته. وسمع عمرو بأن أحد أهالى الصعيد يقال له بطرس عنده كنز فلما سأله أنكر ذلك، وعندما تبين لعمرو ابن العاص صحة ما سمعه عنه أمر بقتله. فلما سمع بذلك الأقباط أخرجوا كنوزهم خوفا من القتل.

ويظهر أن العنصر المالى الرئيسى الذى كان يهتم به العرب هو الجزية ولذا كانت الجزية سببا فى إسلام كثير من الأقباط الذين أرادوا التخلص منها وهذا طبعا معناه نقص فى دخل الدولة. وربما حدا هذا بالخلفاء إلى مضاعفة مقدار الجزية على من بقى من الأقباط على دينه حتى لقد قيل إن الخليفة عمر بن عبد العزيز أرسل إلى حيان بن سريج عامله على خراج مصر أن يجعل جزية موتى القبط على أحيائهم [2]. وإذا كان هذا النص صحيحاً وإذا كان الأقباط الأحياء يكلفون بجزية من مات منهم فلا نستبعد أن يجعلهم الخلفاء يتحملون جزية من أسلم

(1) فتوح مصر - طبعة تورى - ص ٨٧.

(2) ابن عبد الحكم. طبعة تورى. ص ١٥٤ وخطط المقريزى جـ١ ص ٧٧ يقول الماوردى فى كلامه عن أهل الذمة والجزية «ومن مات سهم فيها أخذ من تركته بقدر ما مضى منها ومن أسلم منهم كان ما لزم من جزيته ديناً فى ذمته يؤخذ بها. الأحكام السلطانية ص ١٣٩.

وارسل الى اسكندريه ما تحتاج اليه البيع بحكم انه قريب البطرك وكان يكرم الاساقفه ويخافهم. وبدا الغلا والسبى يقل فى اسكندريه، ولم يجد البطرك ما يدفع للبيع كالعاده ولم يبق معه شى وانقطع مضى الشعب من كل موضع الى بيعة الشهيد مارى مينا بمريوط ومنه. وكان البطرك [محصور] بالبيع، وسبب هذا، الحرب والقتال الذى كان بين المصريين والمداجه والاندلسيين وكان هذا بالاسكندريه.

منهم. ولا نستطيع أن نعرف بالتقريب ماهى نسبة نقص الجزية بسبب أعتناق الأقباط الدين الإسلامى لأن المؤرخين كثيرا ما يجمعون بين الجزية والخراج فيقال إن عمرو بن العاص جبى من مصر ١٢ مليون دينار وجباها عبد الله بن سعد بن أبى سرح فى خلافة عثمان بن عفان ٢٤ مليون دينار وقد سر عثمان بن عفان من ذلك وعاتب عمرو بن العاص فى هذه الكلمات:

«يا أبا عبد الله درت اللقحة بأكثر من درها الأول فقال عمرو: «أضررتم بولدها» ويذكر اخرون أنه قال: «ذلك أن لم يمت الفصيل [١]» ويذكر المقريزى [٢] أن الذى جباه عمرو ثم عبدالله إنما هو من الجماجم[٣] خاصة دون الخراج.

بلغ خراج الأرض مع جزية الرءوس فى أيام معاوية بن أبى سفيان خمسة ملايين دينار وبلغ فى أيام هرون الرشيد أربعة ملايين دينار وبعد ذلك أصبح ما يجبيه الخلفاء حوالى ٣ ملايين دينار [٤] إذا استثنينا فترات معينة ولعل الفرق الهائل بين ما جباه عبد الله (٢٤ مليون

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ـ طبعة تورى ص ١٦١ وخطط المقريزى جـ١ ص ٩٨.
(٢) الخطط جـ١ ص ٦٨.
(٣) يقصد بالجماجم هنا جزية الرءوس.
(٤) اليعقوبى : البلدان ص ٣٣٩.

وكان شماس اسمه جرجه من مقدمي كهنة اسكندريه وكان قيما لبيعة اسكندريه، فبدا يتكلم عن هذا الاب حتى انه قال له: تدفع لنا ما نحتاج اليه كما جرت العاده والا فامض الى البريه من حيث جيت. فلما سمع قول هذا العاتي الاب البطرك وانه ما احتشم منه وزاد في كلامه قال له: لا تعود من الان تدخل رجلك من هذا الباب الى هذا الموضع. فخرج الشماس بغضب عظيم من عنده [و] مضى الى بيته ولم يلتمس من الاب

دينار) وماجباه الخلفاء بعد ذلك (حوالى ٣ ملايين دينار) يوضح حجم النهب والخراب الذى أصاب مصر فانتهى الأمر إلى أن نقصت الجباية من ٢٤ مليون دينار إلى ٣ مليون.

وتشهد المكاتبات التى دارت بين الخليفة عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص عقب الفتح مباشرة على مدى الاهتمام بجباية أموال مصر ؛ فعندما بلغت عمر بن الخطاب اكذوبة أن المقوقس جباها قبل عمرو بستة وعشرين مليون دينار وأن عمروا جباها اثنى عشر مليون دينار كتب الخليفة إلى عمرو يستبطئه فى الخراج. وهذا ما دار بينهما من المكاتبات:

كتب الخليفة إلى عمرو يقول: «بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص. سلام عليك فأنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو. أما بعد فأنى فكرت فى أمرك والذى أنت عليه فإذا أرضك أرض واسعة عريضة رفيعة قد أعطى الله أهلها عددا وجلدا وقوة فى بر وبحر وأنها قد عالجتها الفراعنة وعملوا فيها عملا محكما مع شدة عتوهم وكفرهم فعجبت من ذلك وأعجب مما عجبت أنها لا تؤدى نصف ما كانت تؤديه من الخراج قبل ذلك على غير قحوط ولاجدب، ولقد أكثرت فى مكاتبتك فى الذى على أرضك من الخراج وظننت أن ذلك سيأتينا على غير نزر، ورجوت أن تفيق فترفع إلىّ ذلك فإذا أنت

القـديس تحليـلا ولا تاب فلحـقـه حـمى صـالبـه [شـديدة]، وكـانو يمسكونه من قـوة النيـران التي تلحـقـه ، وتوفى في يومـه، واعلمـو البطرك بهـذا فحزن عظيـما وطلب الى الله ان يحل نفسـه من الرباط الذى ارتبط به ويحله ايضا من الخطيه. ومن يوم وفاة هذا الشماس دخل الموت والفنا الى جميع بيته ولم يبق فيه احد الى اليوم، فلما نظر الجمع وسمع هذه الاعجوبه وان كلامه بسلطان كمثل

تأتيني بمعاريض تعبأ بها لا توافق الذى فى نفسى. ولست قابلا منك دون الذى كانت تؤخذ به من الخراج قبل ذلك . ولست أدرى مع ذلك ما الذى أنفرك من كتابى وقبضك؟ فلئن كنت مجزئا كافئا صحيحا إن البراءة لنافعة ولئن كنت مضيعا نطفا إن ا لأمر لعلي غير ما تحدث به نفسك. وقد تركت أن أبتلي ذلك منك في العام الماضي رجاء أن تفيق فترفع إليّ ذلك وقد علمت أنه لم يمنعك من ذلك إلا أن عمالك عمال السوء وما توالس عليه وتلفف اتخذوك كهفا وعندى بأذن الله دواء فيه شفاء عما أسألك فيه فلا تجزع أبا عبد الله أن يؤخذ منك الحق وتعطاه فأن النهر يخرج الدر والحق أبلج ودعنى وما عنه تلجلج فأنه قد برح الخلفاء والسلام[1]».

فكتب إليه عمرو بن العاص. «بسم الله الرحمن الرحيم. لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عمرو بن العاص. سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو. أما بعد فقد بلغنى كتاب أمير المؤمنين فى الذى استبطأني فيه من الخراج والذى ذكر فيه من عمل الفراعنة قبلى وإعجابه من خراجها على أيديهم ونقص ذلك منها منذ كان الإسلام، ولعمرى للخراج يومئذ

(١) ابن عبد الحكم ـ طبعة تورى ـ ص ٥٨ ـ ١٥٩ وخطط المقريزى جـ١ ص ٧٨ والسيوطى : حسن المحاضرة جـ١ ص ٦٤.

الرسل خافو وفزعو وارتعبو ولم يجسر احد ان يخاطبه، وكان عندهم مثل نبي.

فلما قربت الاربعون يوما الصوم المقدس اراد الاب ان يمضي الى برية ابى مقار ليقوى الاخوه الرهبان ويعزيهم ويقيم عندهم الى عيد الفصح المقدس كما جرت عادة الابا البطاركه، فلما وصل اليها فرح جميعهم ولقوه وصاحو: مبارك الاتى باسم الرب. وجا كل الابا[ء] الشيوخ من مغايرهم

أو فر وأكثر والأرض أعمر لأنهم كانوا على كفرهم وعتوهم أرغب فى عمارة أرضهم منا منذ كان الإسلام وذكرت أن النهر يخرج الدر فحلبتها حلباً قطع ذلك درها وأكثرت فى كتابك وأنبت وعرضت وثربت وعلمت أن ذلك عن شئ تخفيه على غير خبر فجئت لعمرى بالمفظعات المقذعات ولقد كان لك فيه من الصواب من القول رصين صارم بليغ صادق وقد عملنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن بعده فكنا بحمد الله مؤدين لأماناتنا حافظين لما عظم الله من حق أئمتنا نرى غير ذلك قبيحا والعمل به سيئاً فيعرف ذلك لنا ويصدق فيه قيلنا، معاذ الله من تلك الطعم ومن شر الشيم والاجتراء على كل مأثم فأقبض عملك فإن الله قد نزهني من تلك الطعم الدنية والرغبة فيها بعد كتابك الذى لم تستبق فيه عرضاً ولم تكرم فيه أخا . والله يا ابن الخطاب لأنا حين يراد ذلك منى أشد لنفسى غضباً ولها إنزاها وإكراما وما عملت من عمل أرى على فيه متعلقا ولكني حفظت مالم تحفظ ولو كنت من يهود يثرب ما زدت يغفر الله لك ولنا وسكت عن أشياء كنت بها عالما وكان اللسان بها منى ذلولا ولكن الله عظم من حقك ما لا يجهل والسلام(١).

---

(١) ابن عبد الحكم، ص ١٥٩ ـ ١٦١ طبعة تورى وخطط المقريزى جـ١ ص ٧٨ و٧٩ والسيوطى : حسن المحاضرة ص ٦٤ ـ ٦٥.

باجبال يجرون كمثل الوحوش المشتاقين الى مجارى الما[ء] وكانو ياخدون بركته بفرح عظيم. وكانت هذه البريه مثل فردوس الرب بصلاة الاب البطرك ومساعدة بنى المعموديه المصريين، وكان للبطرك محبه عظيمه للبريه اكتر من الرهبان ويفعل فيها مثل كرنيليوس فى زمانه، فارسل الى جميع الابا وأبهات القلالى وقال: كلمن يحتاج الى شى لمنشوبيته ياتى ياخذ. لان البربر كانو قد نهبو جميع مالهم وهدمو البيع واحرقو القلالى

ولم تقف المكاتبات بين عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص فيما يختص بالخراج عند هذا الحد. فقد عاود عمر بن الخطاب الكتابة فكتب إلى عمرو «سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو. أما بعد فقد عجبت من كثرة كتبى إليك فى إبطائك بالخراج وكتابك إلى ببينات الطرق وقد علمت أنى لست أرضى منك إلا بالحق البين،.ولم أقدمك إلى مصر أجعلها لك طعمة ولا لقومك ولكني وجهتك لما رجوت من توفيرك الخراج وحسن سياستك فإذا أتاك كتابى فأحمل الخراج فإنه فيء المسلمين وعندى من قد تعلم قوم محصورون والسلام[(١)]».

فكتب إليه عمرو بن العاص. «بسم الله الرحمن الرحيم. لعمر بن الخطاب من عمرو بن العاص. سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو. أما بعد فقد أتانى كتاب أمير المؤمنين يستبطئنى فى الخراج ويزعم أنى بعيد عن الحق وأنكب عن الطريق وأنى والله ما أرغب عن صالح فكان الرفق بهم خيراً من أن يخرق بهم فيصيروا إلى بيع مالا غنى بهم عنه والسلام [(١)]».

(١) ابن عبد الحكم ، ص ١٥٩ ـ ١٦١ طبعة تورى وخطط المقريزى جـ١ ص ٧٨ و٧٩ والسيوطى : حسن المحاضرة ص ٦٤ ـ ٦٥.

بالنار. فلما اجتمعو الابا[ء] الرهبان سبحو الرب على تجديد النعمة عليهم ومجدو الله على ذلك، ولما راى الاب ان الحمام قد عاد الى وكره الاول فرح. وكان فى ايام قسيسيته قد بدا بعمارة هيكل على اسم القديس شنوده قبلى هيكل القديس ابى مقار وكانو الرهبان يجتمعون اليه عوض البيع المهدومه، وكمله وجدد البيع وسبحو ومجدو التالوت كالملايكه، فلما راى الشيطان هذا زار [زأر] كمثل السبع وأعد سهاما للبطرك وللبيعه.

هذه الرسائل ترينا إلى أى حد كان الخليفة يهتم بخراج مصر وأنه كان يريد أن يجبى مثلما كان يجبيه الروم من قبل . ولذا نجد أن المصريين سرعان ما عادوا إلى ماكانوا فيه تحت حكم الروم فوقعوا تحت الأعباء المالية الكثيرة التى تطلبتها الخلافة وأصبح المطلوب منهم توفير المال اللازم لبيت المال وللمنتفعين من الولاة والموظفين أيضاً. وفى العصر العباسى اضطربت الأحوال المالية وذلك لكثرة تغيير الولاة وبسبب إقطاع مصر لبعض قواد الترك أو أولياء العهد فكان هم الوالى جمع ما يمكن جمعه من المال لنفسه أولا وللخلافة أو لصاحب الإقطاع ثانيا.

ولنستعرض الآن الفترات التى أشتد التحول فيها إلى الدين الإسلامى بسبب المغارم المالية الباهظة ولنبدأ بولاية عبد العزيز بن مروان الذى كان يمثل الخليفة عبد الملك بن مروان فى مصر (٦٥ ـ ٨٦هـ).

كان عهد عبد العزيز بن مروان عهد رخاء ويسر للعرب فى مصر حتى انه أنفق مالا كثيراً فى بناء مدينة حلوان، يقال إنه بلغ مليون دينار [١] وقد زيدت أعطيات الجند فى عهده [٢] كما اشتركت مصر فى القضاء على ثورة عبد الله بن الزبير وقد تطلب هذا كله كثرة الإنفاق

---

(١) «سعيد بن بطريق : التاريخ جـ٢ ص ٤٠.
(٢) الكندى ص ٤٩.

وكان فى ذلك الزمان للبطرك شماس يختص به خدمته و يفعل ما يريد بغير مشاوره، فضرب احد التلاميذ لاجل شى عمله وعنف عليه، فمن كثرة ما ضربه مات، وكان ذلك منصوبه من فخاخ العدو الشيطان، فلما شاهدو المداجه خفرا الدير ذلك مسكو الاب البطرك واقلقوه لاجل موت الانسان وطلبو منه الشماس ليقتلوه عوضه، وكان الاب مجتهدا فى خلاص نفس الشماس لاجل تربيته له من صباه، وكان يظن انه يقدمه فى درجة

والأموال الكثيرة حتى قيل إن عبد العزيز بن مروان كان يجبى خراج مصر أسبوعياً خوفاً من فتنة تنزل به يحتاج فيها إلى المال. ولم يزل على ذلك حتى قتل عبد الله بن الزبير وتم الأمر لعبد الملك بن مروان (١).

وكانت نتيجة حاجة هذا الوالى إلى المال أن اتجه إلى شئ لم يتجه إليه أحد من قبل، فأمر بإحصاء (٢) جميع الرهبان فى كل الكور وفى وادى النطرون وسائر الأماكن وفرض ديناراً جزية على كل راهب وأمر الا يترهب أحد بعد من أحصاه، وكانت هذه أول جزية أخذت من الرهبان (٣). ويقال إنه ألزم أساقفة الكور أن يؤدوا ألفي دينار سنوياً بالإضافة إلى خراج أملاكهم (٤).

---

(١) سعيد بن بطريق جـ٢ ص ٤١ .Wiet: Histoire de la Nation Egyptienne p. 47

(٢) ساويرس ص ١٠٧ جـ ٢ : ونذكر هنا أن بعض المخطوطات كان فيها تصحيف فى كلمة «أحصى» أو أن خطأ أدى إلى قراءتها «أخصى» فشاء بعض المستشرقين أن يستنبط منها توحش المسلمين فى هذه المناسبة. ولكن فطن إلى هذا الخطأ مستشرقون آخرون كالأستاذ فيت فى مقاله Kibt فى دائرة المعارف الإسلامية .Wiet: art. Kibt (Encyclopaedia of Islam) P. 993

(٣) ساويرس ص ١٠٧ جـ٢ .

(٤) ساويرس ص ١٠٧ جـ ٢ .

الكهنوت. ولما رأو المداجه اعتنا الاب به وعلمو انه ما يسلمه اليهم تشددو فى طلبه وطلبو منه مالا جـزيلا، ولـم يكن مع البطرك شى يدفع لهم فاعانوه الاساقفه والشعب المحبون لله الى ان دفعو لهم شيا وخلصوه من ايديهم.

ثم خرج الاب المغبوط يعقوب الى الصعيد ليتفقد الشعب والديارات فلما لقوه الشعب والرهبان كانو يمجدون الله ويقولون : مبارك الاتى باسم الرب. وتعجبو من اعماله ويقولون:

ونحن نعلم أن الرهبنة كانت منتشرة حينذاك، وقد ساعد على انتشارها ما وقع للمصريين من ظلم واضطهاد، ففضل الكثيرون أن يعيشوا فى عزلة عن العالم منفردين أو جماعات فى أديرة. ولما كان الراهب لا يملك شيئا ويعيش فى عزلة عن العالم، لذا لم تفرض عليه أى ضريبة. على أن الأديرة التى كانت تزداد كثرة على مر الأيام مالبث أن وقف عليها أملاك كثيرة وزادت ثروتها، ولكن الحكومة فى عهد الرومان والبيزنطيين لم تكتف باعفائها من الضرائب ، بل كانت تدفع لها قدراً ـ معيناً من الإيرادات المالية (١).

فلما احتل العرب مصر حافظوا على ماكان موجوداً قبلهم من التقليد الذى يحرم فرض أية ضريبة أو جزية على الرهبان. وبذلك وجدت تحت حكم العرب من أول الفتح طبقة ممتازة من المسيحيين لا تقع تحت طائلة الأعباء المالية. وقد لجأ كثير من الأقباط إلى هذه الأديرة كى يتخلصوا من الضرائب (٢). ففطنت الحكومة إلى ذلك وبادرت بإحصاء الرهبان، وفرضت عليهم جزية الدينار التى أشرنا إليها.

ولما زاد أحتياج عبدالعزيز بن مروان إلى المال لجأ إلا الأديرة التى أصبحت تملك ثروات

---

(1) Munier: L Egypte Byzantine. P. 77.

2) Wiet: Precls de L'hist. d' Egypte. T. 11. P. 132.

مبارك ابونا ايلياس الجديد. واقام عندهم اياما قليلا وعاد، و كانو يفتخرون باعماله وفضايله.

وذكر ابونا الاتحاد والمحبه والرباط الذى بينه وبين ديونوسيوس بطرك انطاكيه وكان يحب النظر اليه بالمشاهده او بالمكاتبه ويمنعه من ذلك الحروب التى كانت بارض مصر وفى الطرق، لانها اقامت اربع عشره سنه. وكان يطلب الى الله ان يتبت المحبه بين الكرسيين الجليلين الاسكندرانى والانطاكى، ويدعو الى الله ان يجمع بينهما

ضخمة. ففرض على رهبانها جزية سنوية كى يسد بذلك عجز ميزانية الدولة، وكان من أثر هذا أن اعتنق الكثيرون الدين الإسلامى.

وبعد وفاة عبدالعزيز ولى مصر عبد الله بن عبد الملك بن مروان، وذلك فى جمادى الآخرة سنة ٨٦هـ ولم تمض بضعة أشهر حتى توفى الخليفة عبد الملك بن مروان، وبويع بعده بالخلافة ابنه الوليد بن عبد الملك (٨٦ ـ ٩٦) فأقر الوليد أخاه عبد الله على ولاية مصر حتى سنة ٩٠هـ. وقد تشدد عبد الله بن عبد الملك على الأقباط فى الأمور المالية. فألزم البطرك بدفع ثلاثة آلاف دينار أو يعتقله فلقى البطرك مشقة عظيمة فى جمع هذا المال من الأساقفة والرهبان والأقباط على العموم، كذلك زاد عبد الله الخراج على المصريين، فمن كان يدفع ديناراً خراجاً ألزمه بدفع دينار وثلثين، حتى أن كنائس كثيرة سرى إليها الخراب لهذا السبب[1]، وقد زاد وطأة ذلك الوالى على المصريين ما حدث فى أيامه من الغلاء، وذلك على أثر انخفاض النيل [2] فى سنة ٨٧هـ.

والظاهر أن هذا الوالى عمد إلى ابتزاز الأموال، ولا سيما من القبط وربما أسلم نفر منهم

(١) ساويرس ص ١١٧ جـ ٢ .
(٢)الكندى ص ٥٩ والمقريزى: إغاثة الأمة ص ١١ . وأبو المحاسن جـ١ ص ٢١٠ ـ ٢١١ .

بالمشـاهده والمكاتبـه، فلم يرفض الله صـلاة هذا الاب بل كملها بنظر الاب ديونوسيوس بالجسد.

وانا اعلمكم بالسبب واعلمكم القلق الضيق الذى لحق ارض مصر والاب يعقوب البطرك.

و ملكو الاندلسيـون اسكندريه وعبـد العـزيز الجروى ملك بعض البـلاد. وكـان الاب مـبـتـهـلا وباكيا لاجل خراب البلاد وطول استمرار الحروب فى القتال وان اجساد الناس طعام لطيور السما.

ليتخلص من هذه الأعباء، وقامت في عهده حركة مقاومة سلبية ضد هذه السياسة المالية من جانب الذين ضايقهم الأعباء المالية والذين لم يريدوا تغيير دينهم بسببها. فأخذ بعض الأفراد يهربون إلى مناطق أخرى غير تلك التى كانو مقيدين فيها بعد أن وجدو ألا فائدة من الاعتصام في الأديرة. غير أن هذا الوالى ومن جاء بعده تشددو فى مراقبة هذه الحركة التى كانت تثير الفوضى فى البلاد، فضلا عن تأثيرها في مالية الدولة. فأمر عبد الله بن عبد الملك بوسم الغرباء الذين وجدو فى الأقاليم المختلفة على أيديهم وجباههم وأرسلهم إلى مواضع لم يعرفوها[١].

وولى مصر بعد عزل عبدالله بن عبد الملك فى سنة ٩٠هـ قرة ابن شريك، وظل على ولايتها إلي أن مات بها في سنة ٩٦هـ. ويذكر ساويرس أن قرة أنزل بلايا عظيمة بالمسلمين والنصارى على السواء، وبالكنائس والرهبان [٢]. وكتب المقريزى عن قرة أنه «أنزل بالنصارى شدائد لم يبتلو قبلها بمثلها» [٣]. وتكثر النصوص والروايات من التحدث عن ظلم قرة بن شريك وعسفه، فيذكر أبو المحاسن أن قرة كان سئ التدبير، خبيثا ظالما غشوما فاسقا

---

(١) ساويرس ص ١١٧ جـ ٢.
(٢) ساويرس ص ١١٩ جـ ٢..
(٣) الخطط جـ٢ ص ٤٩٢.

وان الجـــروى(*) ما كان يفتر من قتل الناس واخذ اموالهم، وكان يدفن ما ياخذه من الاموال ليـــلا فى الارض واذا دفن المال يقـــتل الذين يساعدونه على دفنه حتى لا يبقى من يعرف مكان شي يدفنه، فتـمت فيـه كلمـة مـيخـا النبى اذ يقـــول:(*) هولا المتـفكـرون بالســو والدغل لانهم دفعـو ايديهم في ذلك واخـذو الحـقـوق وظلمـو اليتامي واختطفو الانسان وبيته وورثته. لاجل هذا يقـول الله أني اجيب الشرور على قبايلهم ولا يتم

(*) الجروى يحتكر الأموال والغلال ويرفع أسعارها وينهب الأموال.

(*) ميخا: ٢ / ١، ٢، ٣.

متهتكاً»[١]، وقيل إن عمر ابن عبد العزيز ذكر عنده ظلم الحجاج وغيره من ولاة الامصار أيام الوليد بن عبد الملك، فقال: «الحجاج بالعراق، والوليد بالشام، وقرة بن شريك بمصر! وعثمان بالمدينة! وخالد بمكة! اللهم قد امتلأت الدنيا ظلماً وجوراً فأرح الناس» [٢]. فنراه يشدد في طلب المتأخر من الجزية التي لم تدفع منذ عهد الوالي الذى سبقه[٣]، ويأمر عماله على الأقاليم بأن يقدمو له سجلات بأسماء القرى والأقاليم المختلفة، وإحصاء الرجال والجزية الواجبة عليهم وما يملكه كل رجل من الأراضي والخدمات التي يؤديها [٤]. ولكنا نراه أحياناً يفرض ضرائب غير عادية [٥].

ويذكر ساويرس [٦] أن قرة فرض على البلاد مائة ألف دينار سوى خراجها المعروف وقد استمرت في عهد قرة حركة الهرب التى بدأت في ولاية عبد الله بن عبد الملك بل وإنها اتخذت في عهده شكلا واسعاً فكانت أسرات بأسرها رجالا ونساء وأطفالا تهرب من مكان

(١) النجوم الزاهرة جـ١ ص ٢١٧. فى طبعة دار الكتب «منهمكاً».
(٢) المرجع نفسه ص ٢١٨.
(3) Becker: op. cit. d. 267, Grohmann: op. cit. p. 48.
(4) Bell: op. cit. p. 272.
(5) Bell: op. cit. p. 272.
(٦) ساويرس ص ١٤٢ جـ ٢.

ما ظنو . فجا[ء] على هذا الرجل حكم الله العالى
القوى، وكان قد جمع قمح ارض مصر جميعها
وجعله في الأهرا[ء] تحت احتكره وقال: اجعل
الغلا فى ارض مصر جميعها، واجمع اموالهم كما
فعل فرعون يوسف فيطيعنى كل مقاوم. وفعل هذا
وصار غلا عظيم حتى بلغ القمح ويبه واحدة
بدينار، ولم يطلق قمحا الى اسكندريه غرضا فى
هلاك الاندلسيين الذين ملكو مدينة اسكندريه،
وصارت الويبه القمح فى اسكندريه بدينارين

إلى مكان، لا تستقر فى مكان معين وذلك فراراً من دفع الضرائب. واضطر قرة إزاء هذا إلى إنشاء هيئة خاصة لوقف تلك الحركة وإعادة كل شخص إلى موضعه [١].

وتلقى أوراق بردى كوم اشقاو شعاعا من النور على هذه الحركة التى كان محورها الزراع أو الجالية [٢] وكان الوالى يأمر باعادتهم إلى قراهم الأصلية فنراه يكتب إلى صاحب أشقوه أنه علم بوجود جالية بأرضه ويطلب منه أن يرد الجالية ـ أى الهاربين ـ إلى أرضهم الأصلية[٣] ونراه يرسل مندوبين للنظر فى حركة الهرب ويطلب من صاحب الكورة أن ييسر مهمتهم وأن يرسل معهم رجالا ثقات يعرفون الكتابة ليقومو حضرتهم بكتابة أسماء الهاربين وألقابهم وليبينو أيضا من أين هرب كل شخص والى أى جهة ذهب. وذلك لحصر الذين عادو إلى قراهم والذين سمح لهم بالاستقرار على أن يؤدو الضرائب، وليقومو على وجه الإجمال بالاستفسار عن كل ما يجب أن يعرف. ثم يعود قرة فيطلب من صاحب الكورة أن يأمر هؤلاء

---

(١) المرجع نفسه ص ١٤٣ .

(٢) قيل لأهل الذمة الجالية لأن عمر بن الخطاب أجلاهم عن جزيرة العرب ولزمهم هذا الاسم أينما حلو ثم لزم كل من لزمته الجزية من أهل الكتاب بكل بلد وإن لم يجلو عن أوطانهم. ويقال استعمل فلان على الجالية أى على جزية أهل الذمة (لسان العرب).

(3) Grohmann: Arabic Papyri. Vol. I11 P. 24.

ودرهم واحد وماكانو يجدون شيا يشترونه، وهلكو الناس بارض مصر ولاسيما باسكندريه (*)، فعلم ذلك المتكبر ان الناس قد هلكو ففتح فمه وقال كلمه، لم يقلها الله. انا ادعهم ان يبيعو القمح قدحا بدينار. فكمل عليه كلام ناحوم(*) النبى اذ قال : يقول الله لى الانتقام يعطينى واهلك مقاومى واعداى عاجلا. فرحم الرب تنهد الخلق وما يراه من الغلا وما الناس فيه وانتقم الله منه هكذا لانه [الجروى] مضى بجيشه الى اسكندريه ليقاتل

(*) يلاحظ اهتمام ساويرس باحداث الاسكندرية لأنها كانت مقر البطرك.

(*) ناحوم: الاصحاح الأول / ٢ ، ٣ .

الرجال بالعمل في هذه المسألة بجد ونشاط وألا يقبل أحد منهم هدية أو رشوة من أى شخص وإلا فسيحل العقاب بصاحب الكورة كما سيحل بالرجل المذنب (١) وفى كتاب آخر لقرة نراه يطلب من صاحب أشقوه أن يرسل إليه الهاربين مع عائلاتهم وكل ما معهم من أشياء وأن يعد سجلا يكتب فيه أسماء الأشخاص الذين أرسلو، وفى أى موضع من كورته هربو، وأملاك كل شخص، والوقت الذى أمضاه كل شخص فى كورته، وكل شئ يعرفه عن الهاربين دون كذب أو محاباة، وأن يرسل. كل الأشخاص وهذه المعلومات مع المندوب الذى أرسله قرة لهذا الغرض، ويهدده بأشد العقاب الجثمانى والمالى إن هو توانى عن النظر فى هذه المسألة وتغافل عن أحد الهاربين كما يهدد الأشخاص الذين يوجد بينهم أحد الهاربين بغرامة مالية كبيرة فوق مقدورهم (٢).

وظل قرة يتابع تلك الحركة بنشاط كى يقضى عليها إلى أن مات سنة ٩٦هـ. وفى عهد خلافة سليمان بن عبد الملك كان المتولى على خراج مصر أسامة بن زيد التنوخى فكتب إليه سليمان بن عبد الملك «احلب الدر حتى ينقطع ، واحلب الدم حتى ينصرم (٣)» أى أن

(1) Bell: Translations of the Greek Aphrodito Papyri (Der Islam, Band 11.) P. 270.

(2) Bell: op. cit. PP. 274 - 275.

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ١ ص ٢٣١ .

الاندلسيين فهربو منه الى داخل السور واغلقو الابواب حتى اكلو دوابهم من الجوع وكان قد قوى عليهم وصار يضرب الحصن بالمنجنيقات ليهدم الحصن وظن انه يهلك كلمن فيها بالسيف، وكان يطلب البطرك لانه انفذ اليه يشفع في انسان ان يصلحه اسقفا فلم يقبل [البطرك] ان يخرج عن قانون البيعه. فلما نظر المحب لله مقاره غضب عبدالعزيز الجروى كتب الى الاب البطرك وطلب اليه ان يقسم ذلك الانسان اسقفا ففعل. وكان

سياسة هذا الخليفة كانت سياسة استغلال لموارد مصر إلى أقصى حد ممكن وقد وجد من أسامه خير منفذ لأوامره. وقيل إن سليمان بن عبد الملك قال يوماً وقد أعجبه فعل أسامه ابن زيد: «هذا أسامة لا يرتشي ديناراً ولا درهما» فقال له ابن عمه عمر ابن عبدالعزيز بن مروان: « أنا أدلك على من هو شر من أسامة ولا يرتشي دينادراً ولا درهما» . قال سليمان: «ومن هو» ؟ قال عمر: «عدو الله إبليس» فغضب سليمان وقام من مجلسه[١].

نفذ أسامه بن زيد تعليمات الخليفة بكل دقة واشتد في طلب الخراج والجزية وأمر عماله ألا يتوانو في جمع الضرائب فأسلم الكثيرون في عهده كي يتخلصوا من الأعباء المالية ولكن حركة الهرب استمرت من جانب الذين أثقلت كاهلهم الأعباء المالية ولم يرغبو في اعتناق الدين الإسلامي.

وقد أمر أسامه ألا يأوى أحد غريبا في الكنائس أو الفنادق أو السواحل. ولشدة الخوف منه طرد الناس من كان عندهم من الغرباء أو الهاربين[٢]. ولكي لا يتمكن أحد من الهرب من منطقة إلى أخرى عملت سجلات للأهالي أشبه بجوازات السفر اليوم Passport فالزم كل

(١) المرجع نفسه ص ٢٣٢.
(٢) ساويرس : تاريخ البطاركة ص ١٥٣ جـ ٢ .

الجروى حريصا فى طلب البطرك وقال انه يهدم البيع ويقتل الاساقفة فى كل موضع إن لم يجتمع به البطرك ، فسمع مقاره الارخن النبراوى، فكتب الى البطرك كتابا يقول له لابد من ان تجتمع بهذا الرجل والا فهو يهدم البيع ويقتل الناس، وحلف له وقال: انى ادفع جميع مالى عنك ولا يلحقك ما يغمك. فقال البطرك كلمة اشعيا النبى: ان ليس نفسى عندى عزيزه وانها لله ولينظر الرب خلاصى لانى توكلت عليه فلا اخاف ما يصنعون بى

شخص يريد الانتقال من جهة إلى جهة في أنحاء القطر المصرى أو يريد ركوب سفينة أو النزول منها أن يحمل معه سجله وقد أمر الوالي بالقبض على أى شخص يرى ما شيا فى موضع ما أو عابرا من موضع إلى موضع وليس معه سجله . واذا وجد شخص راكبا مركبا أو نازلا منها وليس معه سجله تنهب المركب وتحرق بالنار. أما من فقد سجله أو أتلفه فقد ألزمه الوالي بالحصول على سجل آخر مقابل دفع غرامة قدرها خمسة دنانير [١].

وقد عمل أسامة بن زيد إحصاء ثانيا للرهبان بعد الاحصاء الاول الذى تم فى عهد عبد العزيز بن مروان وأمر الرهبان ألا يقبلو فى الرهبنة من يأتى إليهم وأمر بوسم كل راهب بحلقة حديد في يده اليسرى ليكون معروفا، ووسم كل واحد منهم بإسم بيعته وديره والتاريخ الهجرى وفرض على كل واحد منهم ديناراً جزية . أما من وجد هارباً أوغير موسوم فقد كان يلقى عقابا قاسياً [٢] ويقال إن أسامة بن زيد جبى مصر فى خلافة سليمان ابن عبد الملك اثنى عشر مليون دينار [٣] .

وبهذه المناسبة نذكر أن أول من أخذ الجزية ممن أسلم من أهل الذمة الحجاج بن يوسف،

(١) المرجع نفسه ص ١٥٦ جـ٢ .
(٢) المرجع نفسه ص ١٥٣ جـ٢ . وخطط المقريزى جـ٢ ص ٤٩٢ ـ ٤٩٣.
(٣) خطط المقريزى جـ١ ص ٩٩.

الـنــاس(*) . فقام وخـرج للقاه، وكـان معهـم قس محب لله اسمـه يوسـاب لبـيعة القـديس ابى مقار استـحق ان يجلس على الكرسى الرسولى ونحن نذكـر فـضـايله فى هذه السـيـره، وبينمـا هو فى الطريق وقـد فرغ من صلاته فقال للقس يوساب: امن بالله يا ولـدى ان هذا الـرجل لا ينـظرنـا ولا ننظره حيا. فلما كان الصباح وقع عليه حجر من الحـصن فطارت عـيناه من وجـهـه وطار يافـوخـه ومات. هكذا تمت عليه كلمة زكريا النبى انه فكر

(*) اشعيا: الاصحاح ٥٩ .

ثم كـتب عبـد الملك بن مـروان إلى عبـدالعزيز بن مروان والى مـصـر من قبله أن يضع الجزية على من أسلم من أهل الذمة فكلمه ابن حجـيرة فى ذلك وقال «أعيـذك بالله أيها الأمـير أن تكون أول من سن ذلك بمصر. فوالله أن أهل الذمة ليتحملون جزية من ترهب منهم فكيف تضعها على من أسلم منهم؟» فتركهم عند ذلك(١)».

وكـتب عـمـر بن العـزيز أيضـا إلى حيـان بن سـريج أن يجـعل جـزية مـوالى القـبط على أحيائهم(٢) كما ذكرنا من قبل وربما كان هذا الأمر هو الذى بعث ساويرس على أن يقول إن عمر بن عبد العزيز أمر بأن تؤخذ الجزية من سائر الناس اللذين لا يسلمـون حتى فى الحالات التى لم تجر عـادتهم بالقـيام بهـا(٣). ونحـن لا نعـرف تماما متى بدأ أخـذ الجـزية ممن أسـلم. والظاهر أن هذا بدأ قبل عهد عمر بن عبدالعزيز (٤).

ويعلق السير توماس ارنولد(٥) Thomas Arnold «ولكـن الولاة المتأخرين استمراو فى فرض

(١) ابن عبد الحكم ص ١٥٦، خطط المقريزى جـ١ ص ٧٧ ـ ٧٨.
(٢) ابن عبد الحكم ص ١٥٤، خطط المقريزى جـ١ ص ٧٧.
(٣) ساويرس: تاريخ البطاركة ص ١٦٣ وما بعدها جـ ٢ .
(٤) ابن عبد الحكم ص ١٥٦ والمقريزى ص ٧٧.
(5) The Preaching of Islam p. 103.

بالسو وما بلغ ان يفعله وخلصوه من الحجاره. فلما راو اصحابه هذا حملو جسده ودفنوه في بعض الضياع، وكانو يسدون انافهم من ريحته ونتن جتته، فوصل الخبر الى الاب فمجدو الله اصحابه الذين كانو معه وسمعو ما قاله لهم قبل ان يكون فقالو للاب: قد تم ماقلته يا ابانا. فقال: يا اولادى هذا فعله الله به لن [لأن] هذا الانسان اراد قتل بني بشر بالجوع.

ثم تولى ولده بعده وكان اسمه على ولم يعمل

الجزية على الذين أسلمو وبالجملة لم يكن هناك استمرار في مثل هذا السياسة بل كان الولاة يتبعون في ذلك سياسات مختلفة على حسب أهوائهم دون السير على وتيرة واحدة.

ثم حدث أن الخليفة يزيد بن عبد الملك (١٠١ ـ ١٠٥هـ) أخذ المسيحيين بالشدة من الوجهة المالية فأعاد الخراج الذى كان عمر بن عبد العزيز قد رفعه عن الكنائس والأساقفة. ويدلنا على مبلغ كراهية المسيحيين له تلك الكلمات التي يصفه بها مؤرخ البطاركة إذا يقول «إنه سلك في طريق الشيطان وحاد عن طرق الله[١]».

ولما بويع هشام بن عبد الله الملك (١٠٥ ـ١٢٥هـ) بالخلافة تفاءل المسيحيون خيرا. ويصفة مؤرخ البطاركة بأنه رجل يخاف الله مخلص للأرتودكسيين ومحب لسائر الناس [٢]. وقد أمر هشام بأن يعطى كل من يدفع خراجا إيصالا باسمه كيلا يظلم أحد في مملكته[٣].

على أن سياسة هشام بن عبد الملك المالية كانت كسياسة غيره من الخلفاء. وليس أدل على ذلك من أن عامله على خراج مصر وهو عبيد الله بن الحبحاب ظل في هذا المنصب منذ أن ولى هشام الخلافة إلى سنة ١١٦هـ[٤] أو إلى سنة ١١٤هـ[٥] في قول آخر، بينما

(١) ساويرس: ص ١٦٣ وما بعدها جـ ٢.
(٢) ساويرس ص ١٦٦ جـ ٢.
(٣) ساويرس ص ١٦٨ جـ ٢.
(٤) خطط المقريزى جـ١ ص ٢٠٨.
(٥) أبو المحاسن جـ١ ص ٢٧٣.

باعمال ابيه فجا رخا عظيم حتى نسى الناس ما
كانو عليه من الغلا وقالوا: نسبحك اللهم فى ذك
اليوم كما قال اشعيا النبى(*): لـنـك [لأنـك] (*) اشعيا : الاصحاح ٥٧ / ١٦
غضبت علينا ثم رددت غضبك عنا ورحمتنا لنك
ربنا ومخلصنا وتوكلنا عليك. وبعد هذا نظر الله
تشرد الرهبان اولاد ابى مقار وتشتتهم فى كل
مكان فاعادهم الى مواضعهم المقدسه فشكر الله
الاب البطريرك ومجده وقال كما قال داود النبى
فى المزمور(*)[٨٥]: رجعت واحييتنا، شعبك يفرح (*) المزامير : ٨٥ / ٦، ٧.

تعاقب على حكم البلاد فى زمنه خمسة ولاة، وكان يتمتع أثناء ذلك بنفوذ كبير لا يحد، يولى من شاء من الموظفين ويعزل من يشاء. بل إنه نجح فى عزل اثنين من الولاة، وهما الحر بن يوسف، وحفص بن الوليد. وجعل إليه الخليفة أمر اختيار من أحب من الولاة، فاختار عبد الملك بن رفاعة(١). وكان له الأمر أيضا فى تولية القضاة، فقد قام بأمر توبة بن نمر الحضرمى حتى ولى القضاء فى سنة ٢١٦هـ (٢) وطبيعى أن من الأسباب التى حصل بها ابن الحبحاب على هذه السلطة الواسعة أنه كان يمثل سياسة الخليفة المالية أحسن تمثيل. أما قوام هذه السياسة فنتبينه من بعض أخبار هذا العامل على الخراج. فإننا نعرف مثلا أنه لما ولى خراج مصر أمر بأن تحصى الناس والبهائم،وأن تقاس الأراضى الزراعية والأراضى البور وضع أميالا أى علامات للمسافات فى حقول مصر على الحدود والطرقات، وضاعف الخراج وأمر بأن تختم رقاب الناس بسمة الأسد (٣) وذلك لتسهل معرفة هؤلاء الذين تجب عليهم الجزية والضرائب. ويذكر المقريزى (٤) أن الخليفة هشام ابن عبد الملك أوصى عبيد الله بن الحبحاب بالعمارة، فيقال إنه لم يظهر فى خراج مصر بعد تناقصه كثرة إلا فى وقتين، أحدهما فى خلافة هشام

(١) الكندى ص ٧٤ ـ ٧٥. (٢) الكندى ص ٣٤١ ـ ٣٤٢.
(٣) ساويرس : تاريخ البطاركة ص ١٧١ جـ ٢.
(٤) الخطط جـ١ ص ٩٨ ـ ٩٩.

بك، ارنا يا رب رحمتك واعطنا خلاصك. وايضا تكلم بالسلام على شعبه وابراراه. فراى الاب انبا يعقوب هيكل ابى شنوده انه لا يسع جماعة الرهبان فبنى البيعه التى على اسم ابى مقار وهى هيكل بنيامين لنه [لأنه] كان قد دثر، وزينها بكل زينه وكملها وكرزها اول يوم من برموده وكان هذا تذكارا للبطرك ومجدا للرب.

وكان مقارة النبراوى الارخن يشتهى ان يرى الاب البطرك ويبارك عليه في منزله وجا الى بيته،

ابن عبدالملك عندما ولى الخراج عبيد الله بن الحبحاب، والوقت الثانى فى إمارة أحمد بن طولون لما تسلم أرض مصر من أحمد بن محمد بن مدبر، فبعد أن كان خراج مصر دون الثلاثة ملايين دينار خرج ابن الحبحاب بنفسه ومسح العامر من أرض مصر والغامر[1] فراكها كلها وأصلحها، وآستطاع أن يجبى من مصر أربعة ملايين دينار.

ويذكر الكندى [2] والمقريزى [3] أنه فى أمرة الحر بن يوسف (١٠٥ ـ ١٠٨هـ) كتب عبيد الله بن الحبحاب إلى هشام بن عبد الملك بأن أرض مصر تحتمل الزيادة، فزاد على كل دينار قيراطاً [4].

وإزاء هذه الأعباء المالية الثقيلة بدأ الأقباط للمرة الأولى يتركون سبيل المقاومة السلبية ويقامون حكومة العرب مقاومة إيجابية. فثار الأقباط فى سنة ١٠٧هـ فى الوجهين البحرى والقبلى فبعث إليهم الحر جيشاً لمحاربتهم فقتل منهم نفر كثير [5].

---

(١) الغامر الأرض الخراب أو البور. (٢) الولاة والقضاة ص ٧٣.
(٣) الخطط جـ١ ص ٧٩.
(٤) القيراط نوع من العملة المستعملة حينذاك فكان الدينار ينقسم إلى ٢٤ قيراطا (ابن عبدالحكم ــ طبعة تورى ص ١٥٣).
(٥) الكندى ص ٧٣ ـ ٧٤ وساويرس ص ١٧٣ جـ٢. وخطط المقريزى جـ١ ص ٧٩.

وكان قد ولد له ولد ذكر ففرح به وكان عنده وعمل صدقات كثيرا ورحمه، واراد الله ان يمجد البطرك بهذا السبب فاظهر هذه الاعجوبه، وبعد ايام يسيره اعتل الصبى ومات فاخذه بامانه وجا به الى قلاية البطرك، مثل ما فعل ريس الجماعة الذى اقام المسيح ابنته، وقال الارخن للبطرك: اعن عبدك فان ابنى يموت: فقال: احضره الى. فاحضره فقبل الصبى إليه وصلب على صدره وفواده وجبهته وقال: يا سيدى يسوع المسيح

وعند ما ولى مصر الوليد بن رفاعة من قبل هشام بن عبد الملك (١٠٩ ـ ١١٧هـ) خرج ليحصى أهلها، وينظر فى تعديل خراجهم، واصطحب معه جماعة من الكتاب والأعوان ليساعدوه فى مهمته هذه، فأقام بالصعيد ستة أشهر حتى بلغ أسوان، وأقام بالوجه البحرى ثلاثة أشهر، فأحصو من القرى أكثر من عشرة آلاف قرية، ولم يحص فى أصغر قرية منها أقل من خمسمائة رجل ممن تفرض عليهم الجزية [١].

وقد تتابعت ثورات القبط، فثار أقباط الصعيد وحاربو عمال الحكومة فى سنة ١٢١هـ، فبعث إليهم حنظلة بن صفوان والى مصر (١١٩ ـ ١٢٤هـ) جيشاً لمحاربتهم، فانتصر عليهم وقتل منهم عدداً كبيرا [٢] وفى ولاية حفص بن الوليد الثالثة على مصر (١٢٧ ـ ١٢٧هـ) أعلن إعفاء كل من يسلم من الجزية، فاعتنق نحو أربعة وعشرين ألفاً من الأقباط الدين الإسلامى .

---

(١) ابن عبد الحكم ـ طبعة تورى ص ١٥٦ وخطط المقريزى جـ١ ص ٧٤ والسيوطى: حسن المحاضرة جـ١ ص ٦٣ ـ ٦٤ فى مجموعة الارشيدوق رينر بالمكتبة الأهلية فى فينا وثيقة بردية تشير إلى أحصاء سكان مصر فى ولاية الوليد بن رفاعه . وتفصل هذه الوثيقة البيانات التى كان على الموظفين جمعها عن كل شخص . وراجع Papyrus Eizherzog Rainer. Führer durch die Ausstellung (Wien1894), No 599 p 152.

(٢) خطط المقريزى جـ١ ص ٧٩.

معطى الحياه والمنعم بالنعمه من عنده: أقم هذا الطفل لابيه دفعة اخرى حيا. فعادت اليه نسمة الحياة وفتح عينيه وحرك يديه ورجليه. فقال ابونا بصوت عال لابيه الارخن مقاره كما قال السيد المسيح لريس الجماعه: ان ولدك لم يمت بل كان نايما. فلما راى الارخن هذا العجب العظيم لحقه خوف شديد منه ومجد الله صانع العجايب في قديسيه. وفي تلك الساعه زاد الارخن في صدقته وفعله الخير وكانت صدقته تفيض من يديه كالنهر

ومع ذلك فقد تتابعت ثورات القبط فخرج ثائر منهم بسمنود، يدعى يحنس ، فبعث إليه عبد الملك بن مروان ابن موسى بن نصير ، والي مصر إذ ذاك جيشاً لمحاربته، وكان ذلك في سنة ١٣٢ هـ، فقتل يحنس مع كثير من أصحابه [١].

ثم ثار القبط برشيد في سنة ١٣٢ هـ، فأرسل إليهم مروان بن محمد جيشاً لمحاربتهم، وذلك حينما دخل مصر فاراً من بني العباس فهزمهم هذا الجيش [٢]، كذلك ثار ضده أهل البشرود ولكنه لم يستطع القضاء على ثورتهم، إذ سرعان ما هاجمه العباسيون وقضوا عليه.

ولما قامت الدولة العباسية في مصر تفاءل الأقباط خيراً وخمدت ثورة البشموريين من أجل ذلك ، إلا أن المشكلة المالية لم تنته وعادت إلى ما كانت عليه زمن الأمويين، بل عادت للعهد السابق فلم تمض ثلاث سنوات على قيام الدولة العباسية بمصر حتى ضوعف الخراج على الأقباط ولم يتم ما وعدو به من التخفيف عنهم .

ولكن حدث من ناحية أخرى أن قرر الخليفة السفاح أن يعفى من الجزية كل من يعتنق الدين الإسلامي ويقيم شعائره، فتخلى كثير من المسيحيين، أغنياء كانو أو فقراء، عن دينهم

(١) الكندى ص ٩٤ وخطط المقريزى جـ١ ص ٧٩.
(٢) الكندى ص ٩٦ وخطط المقريزى جـ١ ص ٧٩.

الجارى الفايض، ودفع تلت ماله للارامل والايتام [المعوزين] ويكسوهم الثياب ويفعل كلما يجب فعله.

ووصل هذا الخبر الى مدينة يروشليم وانفد مقاره الارخن وبنى فيها بيعه، وهى الان ملجا الارتدكسيين الى اليوم ولمن يطرق المدينة للصلاه فيها، بناها تذكارا له الى الابد وهى تعرف ببيعة المجدلانية، فبارك الله عمل يديه وضاعف له أمواله مثل القديس ايوب.

واعتنقو الدين الإسلامى بسبب فداحة الجزية والأعباء الملقاة عليهم. وسرعان ما عاد القبط الذين بقو على دينهم إلى الثورة فثار الأقباط يسمنود فى سنة ١٣٥هـ فى ولاية أبى عون الأولى على مصر ١٣٣٠ ـ ١٣٦هـ) فبعث إليهم أبو عون جيشاً لمحاربتهم فهزموا وقتل أبو مينا زعيم تلك الثورة [١].

ثم ثار القبط فى سخا سنة ١٥٠هـ ولاية يزيد بن حاتم بن قبيصة على مصر (١٤٤ ـ ١٥٢هـ) وانضم إليهم أهل البشرود وبعض جهات الوجه البحرى، ولكن العرب انهزمو أمام القبط فى هذه المرة [٢] . ثم خرج القبط فى سنة ١٥٦هـ فى ولاية موسى بن على بن رباح اللخمى (١٥٥ ـ ١٦١هـ) فأرسل إليهم الوالى جيشاً هزمهم[٣].

وكثيراً ما ثار العرب ضد الحكومة بسبب الخراج بعد أن زاد عددهم وأصبحو يملكون الأراضى فى البلاد، وكثيراً ما اشتراكو مع الأقباط فى ثوراتهم. وكانت آخر ثورة للأقباط تلك التى حدثت فى جمادى الأولى سنة ٢١٦هـ زمن الخليفة المأمون أثناء ولاية عيسى بن منصور على مصر من قبل المعتصم (٢١٦ ـ ٢١٧هـ) إذ ثار أهل الوجه البحرى كلهم سواء فى

(١) الكندى ص ١٠٢ وأبو المحاسن جـ١ ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦.
(٢) الكندى ص ١١٦ وخطط المقريزى جـ١ ص ٧٩.
(٣) الكندى ص ١١٩ وخطط المقريزى جـ١ ص ٧٩.

واراد الله ان يرى هذا الرجل سرا عظيما عجيبا من كثرة امانته ليرزقه الله رجا[ء] الحياة الابديه، وفي بعض الايام اقسم يمينا ان يتمم فعلين، وهما ان لا يرد احد يساله، ولا يغلق بابه في وجه احد.

اسمعو ماجرى له، كان له امانه ورجا بشفاعة القديس تاودرس، وكان يرشده في اعماله ويقضى حوايجه، وكان فى زمان خلافة هرون الرشيد كثر الخراج على مقاره هذا لكثرة وصاياه واعماله، فمضى الى الملك ليوفى ما عليه فطال مقامه وانفق

ذلك العرب والقبط ـ فطردوا عمال الحكومة، وقدم الأفشين قائد المأمون من برقة لمحاربتهم، فسار إلى أهل الحوف وهزمهم وأرسل القواد وعيسى بن منصور إلى مختلف جهات الوجه البحرى لمحاربة الثائرين. ثم أقبل الأفشين في جنوده إلى الإسكندرية فهزم كل من اعترضه في طريقه إلى أن دخلها في ذى الحج سنة ٢١٦ هـ، ثم سار بعد فتحها إلى أهل البشرود، فامتنعو عليه حتى قدم المأمون إلى مصر [١].

وقد عرف أهل البشرود أو البشمور بتمردهم والثورة منذ التاريخ القديم، وقد شجعتهم طبيعة المنطقة التي يعيشون فيها على ذلك فإن هذه المنطقة الرملية على ساحل الدلتا بين فرعى رشيد ودمياط [٢] كانت تحيط بها المستنقعات والأوحال التي تعيق حركة الجند وقد ثارو زمن المأمون لكثرة الخراج الواقع على كاهلهم والقسوة التي كانت تستعمل في جبايته وقبل مجئ المأمون إلى مصر كتب البطرك أنبا يوساب إليهم كتبا ينصحهم بأن يرجعو عن ثورتهم ويحذرهم من قوة السلطان فلم يرجعو، ولما رأى الأفشين تمادى البشموريين في ثورتهم كتب إلى الخليفة المأمون يعلمه بما حدث [٣] فرأى المأمون أن يأتي إلى مصر لإخماد تلك

(١) الكندى ص ١٩٠ ـ ١٩١.

(2) Wiet: Hist. de la Nation. Egypt. T. IV. p. 73.

(٣) ساويرس ص ٨١٧ جـ٢ .

جميع ما كان معه، لنه [لانه] لم يكن يمتنع من دفع الصدقه ولم يجتمع بالملك، فجاز يوم وهو ماضى الى قصر الملك فراى فى الطريق منزلا عظيما مزينا لم يراه قبل ذلك اليوم، فقال لغلمانه قد ضللنا عن طريقنا لان هذه الدار لم نرها فى طريقنا قبل اليوم،. وصار مثل انسان قد سها او بغير عقله، فنظر الى انسان نير وقد خرج من الدار يشبه معرفه له لما كان بارض مصر فقال للارخن : يا مقارة لك ايام منذ وصلت الى هاهنا ولم تفتقد

الثورة فجاء فى جيشه وصحب معه البطرك ديونوسيوس بطرك أنطاكية (١) فى المحرم سنة ٢١٧هـ .

أرسل المأمون البطرك أنبايوساب والبطرك ديونوسيوس إلى البشموريين. ووعدهم إلا يعاقبهم إن هم رجعو عن ثورتهم ولكن البشموريين لم يجيبوا البطركين فسير المأمون إليهم الأفشين بجنده ولكنهم قاوموا جند الأفشين بشدة فلما علم المأمون بذلك سار إليهم بجيشه وركز جميع قواته ضدهم إلى أن سلم البشموريون فأعمل فيهم القتل بالسيف وأحرقو مساكنهم وهدموا كنائسهم (٢) .

وبعد ثورة البشموريين التى كانت آخر ثورة للأقباط فى عهد الولاة، اسلم العديد من المصريين وعلى الأخص فى الوجه البحرى إذ يظهر أن عدداً كبيراً من الأقباط أسلم فى ذلك الوقت (٣).

وهكذا نجد ان المصريين كانوا قد قبلوا النظام المالى الذى فرضه الخلفاء حتى سنة ١٠٧هـ

---

(١) ساويرس ص ٨١٦ جـ ٢ .
(٢) ساويرس ص ٨٢٢ وما بعدها جـ ٢ .
(٣) خطط المقريزى جـ١ ص ٧٩ ــ ٨٠.

بى، فكلمه الارخن مقاره بحضور من معه فتقدم اليه وعانقه وقبل بعضهما بعضا ومسك صاحب الدار يد الارخن ودخل به الى الدار من عدة ابواب وجا به الى موضع فيه مال عظيم يشبه خزاين الملوك وقال له: خذ جميع ماتحتاج اليه لنفقتك واذا مضيت الى بلدك فانت تعيده الى وانا اليوم انجز حاجاتك عند الملك وكلما تحتاج اليه. فاخذ الارخن المال من بيت ذلك الانسان النير الذى كان يخاطبه وخرج ودفعه لمن كان معه من غلمانه

ثم بدأو يقاومون حكومة العرب مقاومة علنية دموية ظلت أكثر من قرن لاسيما فى منطقة الدلتا. على أن ثورات القبط كان يقضى عليها سريعاً. وكان يتبع إخمادها فى العادة تحول جزء كبير من الأقباط إلى الدين الإسلامى. ولم تكن هذه الثورات حركات قومية بالمعنى الصحيح وإنما كانت حركات غير منظمة لم يعرف فيها القبط كيف يوحدون أنفسهم وكيف يتخذون لهم قيادة حكيمة. وكان هدفها خفض الضرائب أو الهرب من دفعها. فبينما نجد أن الاضطهاد الدقلديانوسى ضد المسيحية في مصر قد زاد من قوتها وولد حركة قومية بين المسيحيين نجد أن القبط يغلبون على أمرهم فى ثوراتهم ضد العرب(*).

(*) انظر: ١ ـ مصر فى فجر الإسلام. د. سيدة اسماعيل الكاشف دار الفكر العربى. القاهرة ١٩٤٧.
٢ ـ الفلاح المصرى بين العصر القبطى والعصر الإسلامى. د. زبيده عطا. سلسلة تاريخ المصريين ٤٨. الهيئةالمصرية العامة. القاهرة ١٩٩١.

القيام على الباب، وركب الرجل فرسه واسرع قدام الارخن فلما قرب من القصر بدو الاعوان ينادون اليه ويقولون: اين مقاره المصرى. فاخذو بيده وادخلوه الى الملك فخاطبه الملك وقال له: اطلب جميع حوايجك وكلما تحتاج إليه حتى اقضيه لك في هذا اليوم. فا نجز له حاجاته والانسان النير الذى خاطبه خرج به من القصر، فلما صار بعيد من القصر غاب عنه ولم يعد الارخن ينظره، وظن انه قد عاد الى داره التى اجتاز

علاقة الحكام المسلمين بالأقباط المصريين

عهد الخليفة يزيد بن معاوية (٦٠ ـ ٦٤هـ = ٦٨٢ ـ ٦٨٤م) بولاية اقليم الاسكندرية والبحيرة ومريوط، وما يليها لأحد المسيحيين الملكانيين، ويسمى تيودوسيوس[(١)]. ووقف تيودوسيوس موقفا عدائيا من القبط الأرثوذكس، وبطركهم الأب اغاثو. وساعده في ذلك ما صار له من سلطان بفضل مرسوم الخليفة. فقد طلب من البطرك اغاثو جزية سنوية على تلاميذه مقدارها ستة وثلاثون دينار. كما كان يلزمه بكل ما يحتاجه من نفقات على الأسطول والنوتية. كما طالبه بزيادة على خراج كنائسه، وقدرها سبعة آلاف دينار[(٢)]. وفي الحقيقة كان

---

(١) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، يسميه تاوضوسيوا. وفي موضع آخر ص ١٢٢ تادرس. انظر أيضا، السنكسار. جـ ١، ص١٢٧، ترتون: أهل الذمة في الاسلام، ص٢٢. ويذكر هؤلاء ان تيودوسيوس ذهب الى الخليفة المذكور بدمشق وقدم له هدايا وأموالا عظيمة وطلب منه أن يوليه حكم الاسكندرية وما يجاورها، وأن يكتب الخليفة له سجلا بذلك. فكتب الخليفة يزيد لتيودوسيوس سجلا يحق له به حكم الاسكندرية والبحيرة ومريوط. كما أشار الخليفة في هذا السجل الى أن والى مصر ليس له سلطان على هذا الحاكم.

(٢) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، السنكسار، جـ١، ص١٢٣ وما بعدها. وأصل البطرك أغاثو من مريوط. وكان قسا في الكنيسة في بطريركية الأب بنيامين. وشهد اضطهادات المقوقس وتحدى مذهبه الذى كان يدعو اليه القبط. فكان ليلا يتزيا بزى العلمانيين، ونهارا يتنكر في زى نجار ـ يحمل آلات النجارة ـ كما ذكرنا آنفا في التمهيد ـ وعاد الى الظهور بعد الفتح العربى وعودة البطرك بنيامين الذى عهد اليه بتدبير أمور البيعة، وولى البطركية من بعده. انظر ابن المقفع: المصدر السابق.

به فيها، فلما وصل الى الموضع الذى كانت فيه الدار لم يجد لها اثرا بالجمله فشخص الرجل وغاب عقله ساعه، وبعد هذا فهم انه الشهيد العظيم تادرس [الشاطبى] الاسفهسلار (*) لجل محبته له، فمجد الله وزاد على الرحمه والصداقه والاعمال الحسنه، وكان ثابتا على هذا الحال الى الزمان الذى نقله الله من هذا العالم.

(*) تحتفل بشهادته الكنيسة المصرية فى ٢٠ أبيب. أنظر السنكسار جـ ٢ ص ٣٢٢ . مكتبة المحبة.

فنعود الان الى ذكر بقية قصة الاب انبا يعقوب البطرك، فما فعلنا هذا وذكرنا جبر هذا الارخن

موقف هذا الحاكم من البطرك اغاثو يمثل انتقاما من القبط اليعاقبة وبطركهم، ورغبة فى اضعاف شأنهم، وعودة سيادة الملكانيين عليهم، كما كان الحال فى العهد البيزنطى، وخاصة أن هذا الحاكم كان يمارس سلطان واسعة فى دائرة حكمه، فكان يفرض ضرائب جديدة، ويزيد مقدار الضرائب المفروضة فعلا.

ثم أمر تيودوسيوس، أصحابه برجم البطرك اغاثو بالحجارة وقتله: فكان هذا البطرك لا يخرج من قلايته[1] ليلا ولا نهارا. ولما توفى البطرك اغاثو حجر تيودوسيوس على كل أمواله، وعلى جميع أموال الكنائس القبطية فى الاسكندرية وختم عليها. فانتشرت المجاعة فى المدينة واستمر الحال على ذلك حتى توفى تيودوسيوس[2].

ويشيد المؤرخون المسلمون وغير المسلمين بدور القبط الواضح فى الادارة والحكومة فى

---

(١) القلاية جمعها قلالى، وهى أماكن منفردة للمتعبدين و النساك المنعزلين عن السكن بين الناس. وهى تعد أصلا لسكنى الرهبان ويقوم الرهبان بحفرها فى الصحراء أو أماكن الجبال أو بنائها من الطوب. انظر عبدالمسيح البرموس: تحفة السائلين. ص١٧ . حكيم أمين: دراسات فى تاريخ الرهبانية، ص ١٣٨ . والمقصود هنا البناء الذى يسكنه البطرك ويكون فيه اقامته طوال توليه كرسى البطركية.

(٢) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة ص ٥ جـ ٢ .

مقاره الا غرضا فى عز الاراخنه الارتدكسيين، فان الله لا يدعهم فى هذا الدهر ولا فى الاتى كما قال بولس الرسول(*): لا تدع عمل الخير حتى تحصد ما بذرته، وما دام الزمان معنا تفعل الخير مع كل احد ولا سيما اخوتنا اهل الايمان. ثم انه كان يوصي طيماتاوس ولده ويقول له: اكثر من تذكار فعل الخير للمومنين عند ما يكاتبه يقول له هكذا: ان اغنيا [ء] هذا الزمان تقدم ليهم بان لا تتكبر قلوبهم ولا يجعلو رجاهم وتوكلهم على غناهم

(*) الغلاطين: الاصحاح ٦ / ٩ ، ١٠ .

ولاية عبدالعزيز بن مروان (٦٥ ـ ٨٦هـ) الذى اتخذ له كاتبين أرثوذكسيين هما: أثناسيوس(١) وأصله من مدينة الرها، والثانى يسمى اسحق من أهل شبرا(٢).

خدم هذان الكاتبان مصالح القبط، ومصالح بطركهم يوحنا(٣). وعملا على تحقيق كل آمالهم ورغباتهم بشأن الكنائس وغيرها. وكان حاكم الاسكندرية.تيودوسيوس ـ كما ذكرنا ـ قد حجر على أموال الكنائس وأملاكها بعد وفاة البطرك أغاثو، فلما أقيم يوحنا بطركا، بعث لأثناسيوس وزميله اسحق يعلمهما بما أصاب القبط على يد حاكم الاسكندرية وما حل ببيعهم آنذاك. وتمكن هذان الكاتبان بما لهما من نفوذ وسلطان أن ينهيا هذا الحجر، فعادت جميع أملاك وأموال الكنائس القبطية الى البطرك يوحنا(٤).

(١) ويسميه أحد المورخين السريان اثناسيوس بن غومايه Athnasius Bel Gaumaye ويقول انه كان يشتهر بالنبل، والذكاء، وكان متبحر فى العلوم الكنسية والدنيوية. وذاعت شهرته حتى بلغت اخباره الخليفة الاموى عبدالملك بن مروان الذى عهد اليه بتعليم أخيه عبدالعزيز بن مروان الذى ولى امرة مصر..
chronique de Michel le Syrien, T. 2, fasc. 3, p. 475.

(٢) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركةجـ٢.
Amélineur: Histolre du Patriarche Copte Isaac, p. 43.

(٣) أصله من سمنود، وترهب بدير أبى مقار، وكان كاتبا للبطريرك أغاثو وولى البطركية من بعده، الأنبا ايسيدورس: الخريدة النفسية، جـ٢، ص١٢١.

(٤) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة جـ٢ .

فـان الغنى لا ربح فـيـه، لكن يكون توكلهم على الله الذى يعطينا كل شى يغنى، ويكون فـعلنا فى الخيـر ويكون غنانا فى الافـعـال الحـمـيـده لنكون مـسـتـقـيـمين ليكون لنا اساس ثابت فـيـمـا ياتى، ونتمسك بحياة الحق.

فلذلك ابسطو عذرى واسمعو منى بقية اعمال هذا الأب القـديس المؤيد الذى هو نبى واعطاه الله ان ينظر الاسرار من البعد.

ويبدو أن أثناسيوس قد تولى ديوان الخراج فى عهد الوالى عبدالعزيز بن مروان. واستمر فى اهتمامه بمصالح القبط والكنيسة القبطية طوال عهده. فلما توفى البطرك سيمون[١] (فـى سنة ٦٩١م) وأصبحت الكنيسة بدون راع لها، طلب أثناسيوس ومن معه من الكتاب القبط من الوالى عبدالعزيز بن مروان، أن يرسل الأسقف اغريغوريس الى الاسكندرية للتحفظ على أموال الكنائس ورعاية شئونها[٢] وأجاب عبدالعزيز بن مروان الكتاب القبط الى طلبهم، وأنفذ اغريغوريس الى الاسكندرية وكتب له سجلا، يفوضه التصرف فى أموال الكنائس، وعهد اليه بتدبير شئونها، وقام اغريغوريس بهذه المهام نحو ثلاث سنوات[٣].

وكان أثناسيوس ينعت فى المكاتبات الرسمية بالكاتب الأفخم، ويضم ديوانه عشرين كاتبا، ثم زاد عددهم حتى بلغ أربعين كاتبا[٤]. وزادت ايرادات أثناسيوس وأولاده. الى جانب ما كان

(١) أصله من أهل المشرق، جاء به والده منذ صباه الى الاسكندرية. صار قسا فى بطركية أغاثو. وبعد وفاة البطرك اسحق، وقع اختيار القبط على الأب سيمون ليكون بطركا لهم. وحاول بعض الكهنة دس السم له. وحارب البطرك سيمون ظاهرة التسرى بين الأساقفة والقبط. وتعرض لكثير من المحن. انظر: ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة..

(٢) ساويرس ابن المقفع: المصدر السابق.

(٣) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة.

(٤) ترتون: أهل الذمة فى الاسلام، ص٢١.

لما ذكر الرب كورة مصر الضعيفه ليزيل منها الحروب اظهر الامر للاب القديس وعرفه ان هذا يكون قريبا غير بعيد وكان يعلم ان الارشيدياقن الذى له يفعل افعالا بغير ارادته فدعاه وقال له : يا ولدى سوف يجى سلطان الى بلاد مصر قريبا ويملك على مصر وعلى رويساها وعلى اسكندريه وجمع كورتها، فاذا وصلنا مع سلامة الله الى اسكندريه فاياك ان تسمع من احد من الناس ان

يحصل عليه من الهدايا والأموال العظيمة من الوالى عبدالعزيز بن مروان حتى بلغ ما يتقاضاه ستين ألف دينار سنويا[١]. وصارت كل شئون البلاد المصرية فى ولاية عبدالعزيز بن مروان ـ تحت تصرف كاتبه أثناسيوس[٢]. وأثرى أثناسيوس نتيجة ذلك كله ثراء كبيرا، واتسعت أملاكه. فقيل انه كان يمتلك أربعة آلاف عبد، الى جانب عدد لا يحصى من الضياع والدور والحدائق، ومقدار عظيم من الذهب والفضة[٣]. وكان أثناسيوس غيورا على دينه، متحمسا لمذهبه، فشيد كثيرا من الكنائس بمصر خاصة فى الفسطاط، ومنها كنيسة مار جرجس وكنيسة أبى قير[٤].

---

(١) ترتون: أهل الذمة فى الاسلام، ص ٢١.

(2) chronique de Michel.., T. 2, fasc. 3. p. 475.

(3) Ibid. p. 475.

(٤) انظر: Ibid., p. 476.

وابن بطريق: التاريخ المجموع، ص٤١.

وقد سعى باثناسيوس أحد الملكانيين ويسمى سرجيوس بن منصور، عند الخليفة عبدالملك بن مروان فى دمشق، واتهمه أمامه بنهب أموال مصر، وحملها معه الى الشام بعد وفاة عبدالعزيز بن مروان. فاستدعى عبدالملك اثناسيوس، وقد تمكن الأخير من ارضاء الخليفة وقدم له مبلغا عظيما من الأموال. ويقال ان عبدالملك قبض على اثناسيوس وأهله وأخذ منهم كل ما جمعوه من الأموال.

تمد عينك الى شي من هذا العالم فتكون مظلما في اعمال الله ونكون ذليلين عند الامه المخالفه الذين اذلهم قدامنا، والشيطان امامهم، واعلم انك اذا خليت كلامي فتقع بيعة الله في بلا عظيم.

ثم بعد ان قال له هذا القول بقليل وصل الى كورة مصر امير من عند ملك المسلمين اسمه عبدالله بن طاهر(*)، وكان رجلا خيرا رحوما في دينه محبا للعدل مبغضا للظلم ومن اجل ذلك

(*) عبد الله ابن طاهر يصل إلى مصر واليا عليها في ١٣ ابريل ٨٢٦م = الأول من محرم =

ولم يكن أثناسيوس واسحق هما الموظفان الوحيدان من أهل الذمة في حكومة عبدالعزيز بن مروان، اذ كان هناك كثير من الكتاب القبط[١]، الى جانب بعض حكام الأقاليم نذكر منهم بطرس حاكم الصعيد، الذى أسلم في نهاية حكم عبدالعزيز بن مروان[٢]. وأيضا كان حاكم مريوط مسيحيا الا أنه كان من أتباع المذهب الملكاني. وهكذا تغلغل الذميون من المسيحيين خاصة في الأعمال الادارية والحكومية المختلفة.

ومن صور تغلغل الذميين في شئون الادارة والحكم ما نلمسه في عصر قرة بن شريك (٩٠ ـ ٩٦ هـ) فقد كان يتولى ديوان الاسكندرية رجل من أهل الذمة، من المسيحيين الملكانيين ويسمى تاودرس[٣]. وكان هذا الحاكم على عداء شديد مع البطرك القبطي الاسكندروس[٤].

---

(١) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة.
(٢) المصدر نفسه. ص ١٠٨ جـ ٢.
(٣) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة.
ويقول ترتون، ص٢٢ـ ٢٣ ان اسمه تيودور، وانه كان يلقب في الكتب الرسمية باسم اجستاليس Augustales وكان هذا لقب حاكم الاسكندرية في العصر البيزنطي.
(٤) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة ص ١٢١ جـ ٢. وقد ولى الاسكندروس البطركية بعد ثلاث سنوات من وفاة البطرك سيمون. وكان متواضعا، انظر المصدر نفسه ص ١٠٣ جـ٢.

اخضع الله له كل عاص واذل له امة الاندلسيين التي باسكندريه واقام بمصر اياما حتى استقامت له الأمور.

نعود الان الى خبر انبا يعقوب مع ديونوسيوس بطرك انطاكيه وانه لم يمكنه ان ينفذ سنوديقا لجل الحروب بمصر والمشرق، وكذلك الأب البطرك ديونوسيوس كان يسمع بافعال الاب البطرك انبا يعقوب وكان يشتهي ان يسلم عليه وهو في

=٢١١ في عهد الخليفة المأمون الذي عزله في ٢٨ يناير ٨٢٩م= ١٧ ذو القعدة ٢١٣ هـ انظر الهامش السفلي ص ٥٠٦.

وكان جباة الضرائب، وحكام الكورات أيضا في عصر هذا الوالي من القبط[١]. وقد عهد قرة بن شريك الى أحد القبط ويدعى يونس بجباية الخراج من الرهبان والأساقفة وكان يونس يتمتع بمكانة عظيمة لدى قرة وكبار رجال الحكومة المصرية في ذلك العصر. وقد قال قرة بن شريك: «يجب أن تعلم أن الرهبان والأساقفة الذين في سائر الأماكن قد ثقل عليهم الخراج. وها هنا أمر سهل منهم من هو مكثر ومنهم من لا يقدر على قوته. ونحن نعرف حال سائر النصارى فان رأيت أن توليني أمرهم واستخرجت الخراجات» فولاه قرة بن شريك أمر خراج الرهبان والأساقفة وان كان الواضح من هذه الرواية أنه ولاه أمر الجزية والخراج عامة، ويؤكد ذلك أن قرة بن شريك قد أوصى يونس أن يضاعف الجزية على غير القبط[٢] وهكذا رأينا أن العرب تركوا معظم وظائف الدولة في أيدى الذميين. على أن هذا النظام لم يكن من مميزات حكومة قرة بنى شريك أو العهد الأموى، وانما كان من مميزات النظام المالى نفسه الذى تركه البيزنطيون لخلفائهم العرب[٣].

(١) سيدة كاشف: مصر في فجر الاسلام، ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧.
(٢) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة. ص ١٣٣ جـ ٢.
(3) Lammans: Un Gouverneur Omaiyade, p. 115.

الجسد، فلما اتفق له هذا الأمير وهو متوجه إلى مصر سار صحبته [البطرك ديونوسيوس] اليها حتى وصل إلى مصر، فلما نظره ابونا انبا يعقوب فرح فرحا عظيما روحانيا وتلقاه احسن تلق وتهللت جميع كورة مصر بمشاهدتهما بعضا لبعض. وكانو الكهنه المصريون يقرو قدامهما من قول داود: الرحمه والعدل التقيا والصدق والسلامة اقبلا الينا. ثم اقام الاب ديونوسيوس البطرك بانطاكيه عند الاب انبا يعقوب البطرك اياما كثيرة

وفي الوقت الذى نجد فيه بعض الولاة في مصر يستخدمون الذميين في شئون الحكم والادارة نجد بعض الخلفاء الأمويين، يعارضون هذه السياسة، وينهون ولاتهم في مختلف الأقاليم الاسلامية عن استخدام أهل الذمة، والاعتماد على المسلمين بدلا منهم. ومن هؤلاء الخلفاء عمر بن عبدالعزيز (٩٩ ـ ١٠١هـ) فقد كره هذا الخليفة ـ كما كره الخليفة العباسى المتوكل بعد ذلك ـ استعمال الذميين فى الادارة وأعمال الدواوين. وتعددت روايات المؤرخين حول تفسير سياسته واتجاهاته ولكن كتبه العديدة التى وجهها الى عماله فى مختلف الأقاليم الاسلامية، جاء فيها توصيات بعدم استخدام أهل الذمة، واحلال المسلمين محلهم. ويجدر بنا الاشارة الى بعض هذه الكتب ومنها: «أما بعد، فان المشركين نجس حين جعلهم الله جند الشيطان، وجعلهم الأخسرين أعمالا، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، فأولئك لعمرى مما تجب عليهم لعنة الله، ولعنة اللاعنين. ان المسلمين كانوا فيما مضى. اذا قدموا بلدة فيها أهل الشرك، يستعينون بهم لعلمهم بالجباية والكتابة والتدبير، فكانت لهم فى ذلك مدة، فقد قضاها الله.. فلا أعلم كاتبا ولا عاملا فى شيء من عملك، على غير دين الاسلام الا عزلت واستبدلت مكانه رجلا مسلما. فان محق أعمالهم محق

ليشبع كل واحد منهما من قدس الاخر فبدو
اساقفة كورة مصر ان يحضرو خصايم [متلازمين]
بين يدى الاب ديونوسيوس لاجل الارشيد ياقن
الذى لابينا الاب انبا يعقوب من اجل انه خوّله
كلما بدينا وقلنا، فبدا الاب ديونوسيوس مثل من
يريد ان يذكر لهذا القديس انبا يعقوب ان يردع
الارشيد ياقن وان لا يكون فيه ضجر على الاساقفه
ولا يخاطبهم الا بما يجب. فلما سمع ذلك العمود
المضى انبا يعقوب تبعت منه روح النبوه وقال

أديانهم، فان أولى بهم انزالهم منزلتهم، التى أنزلهم الله بها من الذل والصغار، فافعل ذلك، واكتب الى كيف فعلت»[١].

وهكذا أمر هذا الخليفة عماله باستخدام المسلمين، فان لم يكن فيهم خير، فغيرهم من الذميين أولى ألا يكون فيهم خير أيضا[٢]. وكان والى مصر آنذاك حيان بن شريح، الذى احتج لدى الخليفة بأن هذا الاجراء، سيؤدى الى اعتناق معظم أهل الذمة فى مصر الاسلام،

(١) عبدالله بن عبدالحكم: سيرة عمر بن عبدالعزيز، ص ١٣٥ ـ ١٣٦. ابن النقاش. الذمة فى استعمال أهل الذمة ورقة ٨٣، مخطوط بدار الكتب رقم ٣٩٥٢ تاريخ. ابن قيم الجوزية: أحكام أهل الذمة، ق١ ص ٢١٢ ـ ٢١٣ ويزيد فى النهاية هذا الكتاب «وأمر بمنع اليهود والنصارى من الركوب على السروج الا على الأكف. وليكتب كل منكم بما فعله من عمله».

(٢) ابن كثير: عمر بن عبدالعزيز. ص ٩١ ويرى بعض المؤرخين المحدثين أن هذا الخليفة كره أن يكون للذمى سلطان على المسلمين. وأن بعض كتبه الى ولاته فى هذا الشأن يعد رسالة تعليمية، جاء فيها «أما بعد، فان الله عز وجل. أكرم بالاسلام أهله، وشرفهم وأعزهم، وضرب الذل والصغار على من خالفهم، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس. فلا تولين أمور المسلمين أحدا من أهل الذمة، فتبسط أيديهم وألسنتهم، وتذلهم بعد أن أعزهم الله. ونهينهم بعد أن أكرمهم الله تعالى. فان الله عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾. ترتون: أهل الذمة فى الاسلام، ص ٢٣.

للاب ديونوسيوس: وكيف حتى استجرو الاساقفه وقالو فيمن هو مصطفى الله ومبشر به فطوبى له مثل الذى عمل ساعة واحده فى الكرم مع صاحب الاحدى عشره ساعه فاخذ اجرة النهار اجمع، فلما سمع ديونوسيوس البطرك كلام الاب انبا يعقوب البطرك ونظر الى روح القدس يتلالا فى وجهه وضع له مطانوه وقال كما قال داود النبى: كما سمعنا كذلك راينا. انا اومن انى

مما ينتج عنه قلة الجباية، مما يضر بموارد الخزانة العامة[1]. وكان معظم الولاة حريصين على المحافظة على مستوى الايرادات.

واستجاب والى مصر لأوامر الخليفة، فعزل الموظفين من أهل الذمة من مختلف الأعمال واستبدل بهم غيرهم من المسلمين، كما أبعد أهل الذمة عن العمل فى المواريث، كما نزع منهم رئاسة الكور المختلفة[2].

وتشير الرواية القبطية الى أن عمر بن عبدالعزيز كتب الى عامله بمصر «من أراد أن يقيم فى حاله وبلاده، فيكون على دين محمد مثله، ومن لا يريد يخرج من أعمالى» فعزل القبط وغيرهم من الذميين من وظائفهم، وجعل مكانهم المسلمين «ودخلت (تسلطت) اليد على النصارى من الولاة والمتصرفين المسلمين فى كل مكان كبيرهم وصغيرهم، غنيهم وفقيرهم»[3].

ولنا أن نتساءل بعد ذلك، هل استمر الخلفاء والولاة، بعد عصر عمر بن عبدالعزيز فى انتهاج سياسة اقصاء الذميين عن المناصب الحكومية والادارية؟

وفى الحقيقة أن الأوضاع قد عادت الى ما كانت عليه قبل خلافة عمر بن عبدالعزيز

(١) ابن قيم الجوزية أحكام أهل الذمة، ق١، ص٢١٣.
(٢) الكندى: الولاة والقضاة، ص ٦٩ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، جـ ١، ص٢٣٨.
(٣) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، ص ١٦٣ جـ ٢.

شـاهدت انسـانا له عند الله منزلة ان يشـفع فى كورة مصر. ثم سال ابانا البطرك يعقوب ان يدعه ليمضى الى كرسيه فدفع له كرامات عظيمة كقدر رياسته ثم ودعه هو والاساقفه بسلام يمجدون الله ويباركونه لاجل مشاهدتهم لقدسه وحسن صورته وهيبته وعفافه.

فلما وصل الى المشرق بلد سوريه كان يحدث بما شاهده من قدس ابينا انبا يعقوب ويشكر السيد يسوع المسيح الذى يمجد اصفياه.

واستمرت سياسة استخدام الذميين فى الادارة وأعمال الدواوين، فكان من بينهم الكتاب ورؤساء الأقاليم وغير ذلك من الأعمال طوال عصر الولاة الأمويين فى مصر، بل وفى عصر الولاة العباسيين، بتأييد من الخلفاء أنفسهم الا فى عدة حالات كما سنرى وذلك بسبب كفائتهم التى كانت تنقص العرب والمسلمين منهم.

أختار الخليفة العباسى المأمون (١٩٧ ـ ٢١٨هـ = ٨١٣ ـ ٨٣٣م) معاملة أهل الذمة وخاصة زعماء القبط فى مصر بدهاء لأنهم كانوا مفاتيح حكمه فى البلاد. فقد قدم الى مصر فى سنة ٢١٧هـ للقضاء على ثورات المصريين فى الدلتاء والحوف بعد أن فشل قواده الأتراك فى انجاز ذلك، وصحب معه جيوشه الجرارة، وظل يدمر ويقتل كل ما يقابله من الثوار المصريين ويحرق أراضيهم ومحاصيلهم وحيواناتهم حتى ابادهم وأسر من بقى من أهالى تلك البلاد وحملهم إلى مستنقعات جنوب العراق للعمل كعبيد لتعميرها واصلاحها. فى اعقاب ذلك. تقدم اليه أحد كبار رجال القبط ويسمى بكام، وطلب من الخليفة أن يوليه كورة بورة[1] فعرض عليه المأمون اعتناق الاسلام حتى يمكن له أن يعهد اليه بهذه الولاية. ولكن بكام كان متمسكا بدينه فى الوقت نفسه الذى كان فيه شديد الحرص على الولاية، فقال للخليفة

---

(١) بورة مدينة على ساحل النيل، بالقرب من دمياط. وتنسب اليها العمائم البورية والسمك البورى.
انظر: ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ٤، ص٥٠٦.

فاما الامير عبدالله بن طاهر فعند وصوله الى مصر ولى اميرا من اصحابه على مدينة اسكندريه وعلى جباية الخراج بها وباعمالها، واسم الذى ولاه ايلياس بن يزيد(*).

(*) هو إلياس ابن أسد ابن سامان خدا.

فاما [حكاية] ذلك الشماس الذى لابينا يعقوب فسها عن الخطاب الذى كان خاطبه به أولا وهو قوله له أنه لا يمد عينه الى شى من امور العالم، وعمد الى ضياع اراضى اخذ منها بقطا وظن

المأمون: «لأمير المؤمنين عشرة آلاف مولى مسلم، أفلا يكون له مولى واحد نصرانى». وعند ذلك عهد اليه المأمون بكورة بورة وما حولها(١).

أحسن بكام معاملة القبط، كما أحسن معاملة المسلمين، على حد سواء، ولم يتحيز لاخوانه فى العقيدة المسيحية، فكسب بذلك محبة وود سكان الكورة على اختلاف مذاهبهم الدينية(٢).

وفى عهد الخليفة المأمون أيضا، كان يلى الديوان فى مصر، أحد القبط ويسمى اسحق بن أندونة، ينتسب الى أسرة عريقة تشتهر بالثراء. وكان قد أمل فى البطركية الا أن قانون البيعة قد حال بينه وبين تحقيق آماله(٣).

وتشير بعض الروايات التاريخية الى أن المأمون حينما قدم الى مصر شكا اليه المسلمون من تسلط الذميين عليهم، وأن الخليفة سأل أحد أصحابه، ويسمى، عمرو بن عبدالله الشيبانى عن أصل قبط مصر، فأجابه بأن أصلهم يرجع الى فراعنة مصر القدماء وذكره بأن الخليفة عمر بن الخطاب كان قد نهى عن استخدامهم فى أعمال الحكومة والكتابة. ثم قرأ عليه قصيدة لخالد

(١) ابن بطريق: التاريخ المجموع، ص٥٨. ترتون: أهل الذمة فى الاسلام، ص ٢٤.
(٢) ابن بطريق: المصدر السابق، ص٥٨، ترتون: المصدر السابق، ص٢٤ ـ ٢٥.
فأذن للقبط ببناء كثير من الكنائس. كما سمح للمسلمين ببناء مسجد آخر غير المسجد الموجود.
(٣) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، ص ٧٩٠ جـ٢.

بذلك انه يحصل شيا للبيعه ولم يعلم ان سوف يتم ما قاله وتنبا الاب يعقوب. فلذلك لحق الاب والشماس احزان كتيره لما الزما به من الخراج وليس معهما ما يقومان به، وكان الاب المبارك يقول قول الحكيم بولس الرسول لذلك الشماس: ما كان يجب لك يا ولدى ان تجعل عليك حجه بل تسمع ما وصيتك به بامانه ومحبه للسيد المسيح . او ما سمعت يا ولدى ما قاله بولس(*): ان الذين يريدون ان يكونو اغنيا يقعون فى البلايا

(*) الرسالة الأولى إلى تيموثاوس: ١٠،٩ .

بن صفوان، مدح فيها عمرو بن العاص، كما حرضه فيها ضد القبط وأغراه بهم، وفيها يقول خالد بن صفوان:

يا عمرو قد ملكت يمينك مصرنا ... وبسطت فينا العدل والأقساطا
فاقتل بسيفك من تعدى طوره ... واجعل فتوح سيوفك الأقباطا
فيهم أقيم الجور فى جنباتها ... ورأى الأنام البغى والافراطا[1]

فلما عاد الخليفة المأمون الى بغداد أمر بعزل جميع الذميين من وظائفهم وسجن الكثير منهم[2].

استمر ولاة مصر فى العصر العباسى. يستخدمون الذميين فى أعمالهم، ويعتمدون عليهم فى ادارة البلاد. فقد قام كل من مقارة بن يوسف ـ وكان يتولى شئون بيت المال واستخراج

(١) ابن النقاش: الذمة فى استعمال أهل الذمة ورقة ٨٦ ـ ابن قيم الجوزية: أحكام أهل الذمة. ق١، ص٢١٧ ـ ٢١٨ . ويزيد بيتا رابعا جاء فيه:

عبدوا الصليب وثلثوا معبودهم ... وتوازروا ونقدوا الأشراطا

(٢) ابن النقاش: الذمة فى استعمال أهل الذمة ورقة ٨٦ ـ ٨٧. ويقول ان الامام على بن حمزة الكسائى كان يقرأ القرآن على الخليفة بعد عودته الى بغداد، فلما وصل الى قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ قال الكسائى للخليفة: انك تقرأ كتاب الله ولا تعمل بما جاء فيه. ولذلك أمر بعزل الذميين من أعمالهم. واستخدم المسلمين بدلا منهم.

والعثرات وشهوات الجهل اللاتى لا يربحن شيا، ويطرح الناس فى الفنا والهـــلاك . واصل كل الشرور محبة الفضه التى احبها قوم كتيرا فضلو عن الامانه وجذبو لهم هموما عظيمه، فبكى ذلك الشماس وساله ان يغفر له مخالفته.

وبدا ذلك الامير ان يشدد على الاب فى طلب الخراج، ولم يكن معه ما يدفع كما ذكرنا من عدم البيعه لانقطاع الناس عن الحضور الى بيعة القديس

لأموال ـ وابراهيم بن ساويرس، بدور عظيم فى سياسة البلاد، وذلك فى أثناء ولاية عبدالواحد بن يحيى الوزير (٢٣٦ ـ ٢٣٨هـ = ٨٥١ ـ ٨٥٢م) ـ وكان هذان الموظفان من القبط، يرفعان من شأن اخوانهم فى العقيدة، ويحققان لبطركهم رغباته بقدر المستطاع. وظهر هذا واضحا حينما أساء والى الاسكندرية، أحمد بن دينار، الى البطرك اليعقوبى قزمان[١]. فقد تقدم مقارة بن يوسف، وابراهيم بن ساويرس الى الوالى عبدالواحد، يطلبان منه استدعاء البطرك قزمان الى الفسطاط بحجة أنه ولى البطركية حديثا، ولا علم له بما على كنائسه من خراج.

واستجاب عبدالواحد لطلب هذين القبطيين، وأرسل من يستدعى البطرك من الاسكندرية. فلما قدم الى الفسطاط، استقر الأمر على أن يسكن مدينة دميرة[٢]، وجميع سكانها من القبط، كما اهتم هذان القبطيان بأمور البيعة وتعهدا بضمان الخراج المفروض عليها[٣]. وهكذا نجح الموظفان القبطيان فى انقاذ البطرك القبطى من يد والى الاسكندرية.

---

(١) ويسمى أيضا قسما وقد جلس على كرسى البطركية بعد وفاة أنبا خايال. وكان شماسا فى بيعة القديس أبى مقار. وأصله من سمنود انظر الجزء الثالث من ساويرس.

(٢) قرية كبيرة بمصر بالقرب من دمياط: انظر ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ٨، ص٤٧٢.

(٣) ساويرس ابن المقفع: المصدر السابق، سيرة البطرك قسما وهو ٥٤ من العدد. ويعلق على عناية الموظفين القبط باخوانهم وبطركهم فيقول: «وكان من نعمة الله أن جماعة من المؤمنين متولين ديوان السلطان، =

الشهيد مارى مينا لكترة الحروب، ولما لم يجد شيا يدفعه فى الخراج اخرج انية [أوانى] البيعه للامة المخالفه. والرب محب البشر الذى يظهر عجايبه فى كل حين فى بيعته وجعلها غالبة للملوك فى كل زمان، اظهر اعجوبه يجب ان نتعجب منها، لما جلس الامير يوما من الايام ليكسر الآنية وفيما الصايغ يكسر كاسا من الكاسات المقدسه سكب دم على يديه كتيرا جدا مثل دم خروف قد ذبح، فلما نظرو هذه الاعجوبه نزل عليهم خوف عظيم

وظهر فى العصر العباسى بعض الكارهين لاستخدام الذميين فى المصالح الحكومية ـ كما حدث فى العصر الأموى من قبل ـ فقد حاد الخليفة العباسى المتوكل (٢٢٣ ـ ٢٤٧ = ٨٤٨ ـ ٨٦١م) عن سياسة التسامح التى اتبعها بعض الخلفاء العباسيين فعانى أهل الذمة فى عصره من بعض المضايقات. فقد نهى المتوكل عن استخدام أهل الذمة فى دواوين الحكومة التى ترتبط بمصالح المسلمين(١).

تعددت روايات المؤرخين حول سياسة المتوكل نحو أهل الذمة، وكتبه الى عماله بضرورة اتباعها، واقصاء الذميين عن مختلف الأعمال. وهناك كتاب للمتوكل فى هذا الشأن وفيه يوصى عماله فى مختلف الأقاليم الاسلامية، بأن يكون موظفوهم من أهل الأمانة والنصح، وهو يرى أن هذه الخصائص لا تتوافر عند أهل الذمة، فنراه فى هذا الكتاب يقول: «فأما الأمانة، فليس أحد منهم مأمونا على أموال الفىء وأمور المسلمين، لأنهم عداة الدين ونعاته.

= وجميعهم يبذلون أنفسهم مع البيعة شهوة واجتهادا عن أمانتهم، وأراحوا البطرك والبيعة والمؤمنين وصاروا تحت هدوء وسلام ولا يوجد موضع واحد فيه اضطراب فى تلك الأيام».

(١) ساويرس ابن المقفع. المصدر السابق البطرك قسما وهو ٥٤ من العدد. الطبرى: تاريخ الأمم والملوك جـ٧، ص٣٥٥، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٢٨٥.
ابن قيم الجوزية: أحكام أهل الذمة، ق١، ص٢٢١ ـ ٢٢٢.

وخاف الامير وكلمن حضر وامر ان لا يكسر شى منها، ثم انه خاف ان يجعلها فى خزاينه فامر باعادتها إلى الاب وأمره اشد بالقيام بمال الخراج فناله صعوبه عظيمه قبل ان يوفى ما عليه من الخراج، ثم بعد ذلك عزل الامير بمدينة اسكندريه وسار الى كورته ولحقه علة هناك وكانت علة موته. وبعد ايام كثير ذكر العجب العظيم وهو خروج الدم من الكاس، وفى ذلك الوقت تقدم الى اولاده

وأما النصيحة، فغير موجودة عند من كان مقامه بين ظهرانى المسلمين على.. قهر وذلة وصغار»[1].

ونهى المتوكل فى كتابه هذا، عن استخدام الذميين فى شىء من أمور المسلمين، وأموالهم وتدبير خراجهم، فلا يكون منهم فى الدواوين الخاصة والعامة فى العاصمة والنواحى، وأعمال الجهبذة والمعادن والبريد وسائر الأعمال[2].

وفى الوقت نفسه حدد المتوكل فى كتابه، بعض الحالات التى يمكن استخدام المسلمين لأهل الذمة فيها فكتب: «من كان متقلدا لعمل من خاص أعمال أمير المؤمنين ونفقاته، ولا يد له، ولا سلطان على المسلمين. فان اقراره فى ذلك العمل، ريث ما يؤخذ بما جرى على يده، ويجار لمكان غيره من المسلمين ثم يصرف عنه، وخلا من استعان به مستعين فى قهرمته (خدمه) وخاصة نفقات منزله وحشمه»[3].

---

(١) ابن زبر القاضى (أبو محمد عبدالله بن أحمد): شروط النصارى ورقة ١٦، مخطوط بدار الكتب تحت رقم (٣٩٥٢ تاريخ).

(٢) المصدر نفسه، ورقة ١٧.

(٣) المصدر نفسه، ورقة ١٧، ١٨.

واكد عليهم بان ينفذو الى مصر بالمال الذى اخذه من البطرك ليسلم الى من يوجد بطركا على مدينة اسكندرية ففعلو اولاده ذلك [فى ايام من يذكر فيما بعد] وتمت هذه الاعجوبه فى ايام من استحق ان تتم على يديه، كما انا نظهر الامر لمحبتكم عند تمام هذه السيره.

فاسمعو عجبا اخر أيضا ظهر فى ايام هذا القديس انبا يعقوب البطرك لما كان فى ايام ايلياس

كما هدد المتوكل عماله، اذا تهاونوا فى تنفيذ ما جاء فى هذا الكتاب، أو حاولوا الاغضاء عن أحد من أهل الذمة، باخفاء أمره تحت اسم غيره من المسلمين[1]. ونرى أن كل ما كتبه المؤرخون الأقدمون عن سياسة المتوكل ازاء أهل الذمة، كانت كتابات عامة، ولا نجد كتابات مفصلة ـ الا نزرا يسيرـ عن الاجراءات التنفيذية التى اتخذت فى هذا العصر فى مختلف الأقاليم الاسلامية.

ولى الخليفة المتوكل على مصر، رجلا فارسيا مسلما يسمى عبدالمسيح بن اسحق وجعل له الولاية والخراج، وأمره أن ينتهج سياسة نحو القبط وكنائسهم مثل سياسته نحو النصارى فى

(١) المصدر نفسه. ورقة ١٨. ويذكر القلقشندى كتابا للمتوكل جاء فيه «وقد انتهى الى أمير المؤمنين ان أناسا لا رأى لهم، ولا روية، يستعينون بأهل الذمة فى أفعالهم، ويتخذونهم بطانة من دون المسلمين، ويسلطونهم على الرعية، فيعسفونهم، ويبسطون أيديهم الى ظلمهم وغشهم. والعدوان عليهم. فأعظم أمير المؤمنين ذلك، وأنكره... وتبرأ منه. وأحب التقرب الى الله بحسمه والنهى عنه. ورأى أن يكتب الى عماله على الكور والأمصار، وولاة الثغور والأجناد فى ترك استعمالهم لأهل الذمة فى شىء من أعمالها وأمورهم. والاشراك لهم فى أماناتهم وما قلدهم أمير المؤمنين واستحفظهم اياه...» وأشار الخليفة فى كتابه هذا الى ما يتميز به المسلمون دون الذميين من الثقة والأمانة والدقة وغير ذلك.
انظر: صبح الأعشى، جـ١٣. ص٣٦٨.

الامير الوالى باسكندريه. توفى اسقف فى الصعيد على كرسى «فاو»(*) فانفذو انسانا للبطرك يوسمه عوضه، فخاف الرجل [ان] يطلع الله البطرك على اعماله فيمنعه فمضى الى الامير ودفع له مالا وساله ان يتقدم الى الاب البطرك انبا يعقوب باصلاحه، فلما سال الامير فى اصلاحه امتنع الاب البطرك لقوة اعتقاده وتشدده فى القوانين، فسالوه الحاضرون وقالو له: تجيب [توافق] سوال الأمير ليلا [لئلا] يجرى عليك وعلى البيعه شر.

(*) فاو: تعرف الآن باسم فاو قبلى لأنه أقيمت قرية حديثة باسم فاو بحرى. وهى تابعة لمركز دشنا قرب مدينة الأقصر. كان اسمها القبطى فابو Pheböou.

بغداد والمشرق. فأنزل عبدالمسيح بالقبط كثيرا من الاضطهاد، وأخرجهم من الديوان ومن كثير من المصالح الحكومية، وولى مكانهم موظفين من المسلمين(١).

ثم أمر المتوكل واليه على مصر، ببناء المقياس الهاشمى للنيل، وبمنع القبط من تولى أمره، وأن يعهد بذلك الى المسلمين(٢). ولكن هذه السياسة التى انتهجها المتوكل، لم تدم طويلا، وعاد ولاة مصر الى استخدامى الذميين فى أعمالهم، وفى ادارة البلاد.

وتشير بعض أوراق البردى الى استخدام القبط بصفة خاصة فى تحصيل الجزية والخراج، سواء أكان ذلك قبل عصر الخليفة المتوكل أم بعده. فنجد ورقة بردية، يرجع تاريخها الى ١٣

(١) ساويرس ابن المقفع تاريخ البطاركة. سيرة البطرك قسما وهو ٥٤ من العدد. ويصف هذا المؤرخ ما صارت عليه أحوال القبط الموظفين منهم وغير الموظفين والبطرك تحت ضيقة عظيمة، وصعوبة، من هذا الذى ليس بانسان. ومن قوة أمانتهم لما صرفوا من أشغالهم، توكلوا على رحمة الله تعالى ذكره وسألوا أن لا ينساهم. فأما أبونا البطرك، لما شاهد الأراخنة وما نالهم من الصعوبة من ذلك الشيطان والبطالة، وقطع معايشهم، وأنهم الذين كانوا يهتمون بأمور البيعة كان حزينا جدا وقد أحملت كتب المؤمنين الى الأب البطرك، يسألونه الدعاء لهم. وكانوا أيضا يكاتبون الآباء الصالحين المنقطعين الى الله فى الجبال والديارات بمواصلة الدعاء لهم وللمؤمنين بالمسيح، أن يكشف الله عنهم هذه الغمة، ولا ينساهم، ولا يدعهم تحت رجزه وغضبه».

(٢) الكندى: الولاة والقضاة، ص٢٠٣.

ولم يزالو يلطفون به الى ان اصلحه اسقفا، فلما سار قال عليه امرا هو هكذا مثل قول بطرس لسيمون الساحر فى ذلك الزمان فقال: موضع توكل هذا الاسقف على اخذ النعمة به فهو يضمحل بعد قليل، فتكون النعمه التى نالها بعيده منه. فلما سار وقرب من كرسيه اعتل فى الطريق ومات قبل ان ينظر الكرسى. فمن الان لا يخاف من هذه الاعمال العجيبة فيمجد الله الذى

طوبة سنة ٢٣٣هـ (١٠ سبتمبر سنة ٨٤٧م) جاء فيها أن القسطال[١] لكورتى الأشمونين وأسفل انصنا وقوص، كان قبطيا ويسمى مينا بن ابراهيم[٢]. وهناك بردية أخرى مؤرخة فى سنة ٢٤٩هـ (٨٦٣/٨٦٤م) وفيها أن القسطال كان قبطيا ويسمى ابن ابهيوه[٣]. كما تشير بعض أوراق البردى الى أن رؤساء القرى فى القرن الثانى الهجرى والثامن الميلادى، كان كلهم من المصريين القبط تقريبا[٤].

والحقيقة أن المصريين القبط بصفة خاصة، دون غيرهم من أهل الذمة، كان لهم دور واضح فى ادارة البلاد المصرية ـ كما ذكرنا ـ فكان منهم الكتاب وعمال الدواوين وحاكم الأقاليم وعمال ديوان الخراج، وكانوا يستفيدون دائما من مناصبهم فى خدمة اخوانهم القبط ورعاية كنائسهم، وتوفير كل سبل الراحة لبطركهم. ونبحث فيما يلى موقف ولاة مصر المسلمين فى ذلك العصر، من اقامة البطاركة.

---

(١) ويكتبها البعض بالجيم بدلا من القاف. والقسطال لقب يطلق على الموظف المشرف على مالية الكورة، أو بمعنى آخر مندوب ديوان الخراج والأموال. ويرى جاستون فيت G. Wiet أن كلمة جسطال تقابل الكلمة البيزنطية أوجستاليوس. انظر سيدة كاشف: مصر فى فجر الاسلام، ص٢٦.

(٢) جروهمان: أوراق البردى، جـ١، ص١٣٤، ١٤٠.

(٣) المصدر نفسه، ص١٤٥، واسم القرية التى كان يقوم بتحصيل خراجها غير واضح.

(٤) المصدر نفسه، ص ٧٠.

يظهرها من هذا المصطفى. ولو انا نذكر يسيرا من كثير سمعناه من عجايب هذا القديس وجهاده الجيد لكتر القول جدا ولا نقدر ان نشرحها لضعف عقولنا المظلمه عنها، لكن نذكر مما يجب ذكره ونشرح تمام جهاده ربحا لمن يسمع وبركه.

لما كان عند توجهه الى الشرق ليفتقد البيع والشعب ووصل الى ضيعة تسمى بيت [منيت] تشمت احضروا له شابا به شيطان قد اخرسه

كان والى مصر له حق الاشراف على اختيار بطرك القبط. باعتبار الوالى نائب الخليفة، فى مصر. ويبدو من النصوص التاريخية أن الأساقفة كانوا يستشيرون الوالى فى اختيار البطرك، كما أنهم كانوا يقدمون من الاسكندرية الى العاصمة ـ الفسطاط ـ بعد اختيارهم للبطرك، لمقابلة والى مصر، وتقديم واجب التحية له. وكانت موافقة الوالى على البطرك الجديد. شرطا ضروريا لاتمام رسامته بطركا.

وهناك أمثلة عديدة، منها، ما حدث فى ولاية عبدالعزيز بن مروان، عندما توفى البطرك يوحنا الثالث (يوحنا السمنودى) (٦٧هـ ـ ٦٨٦م) فقد اجتمع الأساقفة والكهنة والقبط بالاسكندرية واتفقوا فيما بينهم على ترشيح الشماس جرجه، بطركا دون مشورة الوالى عبدالعزيز بن مروان كالعادة ، وأنه اذا اعترض على ذلك، يخبرونه بأن البطرك يوحنا كان قد أوصى به أن يكون بطركا من بعده، وأنه لا يمكن مخالفة هذه الوصية. وبالفعل عينوا جرجه فى درجة قسيس. وألبسوه الثياب الخاصة بذلك وقرروا رسامته بطركا فى غد ذلك اليوم(١).

---

(١) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، سيرة البطرك اسحاق وهو رقم ٤١ من العدد ص ٤٤ جـ٢.

واطرشه وسالوه ان يضع يده عليه، وان الاب اخذ زيتا يسيرا من على عظام القديس ساويرس ودهن به الصبى ورسم على وجهه واذنيه وقال: باسم السيد يسوع المسيح الذى انقذ خليقته من عبودية الشيطان ليعف هذا الشاب وينحل عنه رباط الشيطان . وللوقت عوفى وانفتح فوه واذناه وتكلم وسمع، وكلمن ابصره تعجب ومجدو الله بالحقيقة.

ومن محاسن الصدف، أن اليوم الذى تقرر تنصيب القس جرجه فيه بطركا، لم يكن يوم أحد، وقد جرت العادة بين القبط على أن يتم تعيين بطاركتهم فى يوم الأحد دون غيره من أيام الأسبوع. وقد أدرك ذلك أرشيدياقن[1] المدينة، ويسمى مرقس، فمنعهم من تنفيذ رغبتهم فى رسامة جرجه بطركا، فى غير يوم الأحد، حتى لا يخالف القوانين الكنسية التى جرت العادة بمراعاتها واتباعها[2]. وفى ذلك اليوم قدم الى الاسكندرية رسل الوالى عبدالعزيز بن مروان، وطلبوا من الأساقفة والكهنة وبطركهم المرشح، الرحيل معهم الى الفسطاط لمقابلة الوالى عبدالعزيز، ولكن ما لبث أن اكتشفت حقيقة الأمر، وفطن الجميع الى أن جرجه، ليس هو الذى أوصى به البطرك يوحنا، ليكون خلفا له، وانما الأب اسحق. فغضب عبدالعزيز بن مروان لذلك أشد الغضب، وأبطل تعيين جرجه، وأمر باقامة الأب اسحق بطركا بدله[3].

---

(١) Archdeacon وهو رئيس الشمامسة ويكون مسئولا عن نظام الكنسية ونظافتها. كما يكون من مهامه الاشراف على أملاك الكنائس ومساعدة الأسقف فى أعماله كما يكون حريصا على مراعاة العادات والتقاليد والقوانين الكنسية. انظر: The Oxford Dictionary of Christian Church, p. 79.

(٢) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، ٤٦ جـ٢، ويقول: «وهذا أمر من الله، ليقدم من اصطفاه، أولا وهو أبا اسحق الراهب من أهل شبراه انظر أيضا:

Amélineau: Hist, du, P. Isaac, pp. 444-5.

(٣) ساويرس ابن المقفع: المصدر السابق، ٤٦، ٤٧ جـ٢ Ibid., pp. 45-47.

وكان هذا الاب في قدسه مثل التلاميذ لما صبر عليه من التجارب وما تتم على يديه من العجايب [مثل] احيا[ء] الميت واخرج الشياطين، واعلا [مرضى] كثير ابرأهم، والسيده ام النور ظهرت له [وتكالمه] قبل ان يصير بطركا، والسيد المسيح ايضا والقديسون الذين استحق ان يراهم.

ثم انه اشتهى ان يقيم في مدينة «تندا» اياما قليلا عند عبوره عليها، فلما اقام بها شهد لنا بعض الاساقفه من الثقات الصادقين وقال: انى

وبعد وفاة البطرك اسحق، حدث خلاف بين الأساقفة والكهنة والشعب القبطى على من يصبح بطركا بعد وفاة الأب اسحق. فرأى قوم منهم، أحقية يوحنا، وكان راهبا بدير الزجاج، كما كان رجلا عالما كاتبا. في حين اختار الآخرون الأب بقطر، وكان أيضا ممن اشتهروا بالفضل والعلم. ورجحت كفة الفريق الأول، فقد كان من بينهم أعضاء الكنيسة الانجليلية التى تضم مائة وأربعين كاهنا. فكتب حاكم مدينة الاسكندرية تادرس الى الوالى عبدالعزيز بن مروان، يخبره باتفاق القوم على اختيار الأب يوحنا بطركا لهم[١]. مما يثبت ضرورة موافقة والى مصر على تنصيب البطرك الجديد. وتوجه تادرس وفى صحبته البطرك المرشح وبعض الكهنة الى الفسطاط ـ كما جرت العادة ـ للقاء الوالى وتقديمى الولاء والتحية له. ولكن حدث ما لم يكن فى الحسبان، فقد اعترض أحد الأساقفة على اقامة يوحنا بطركا، مما أصاب الجميع بذهول عظيم. فلما سأل الأمير هذا الأسقف، عمن يصلح لهذا المنصب، رشح الأب سيمون[٢].

---

(١) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة ص ٥٩ جـ٢.

(٢) المصدر نفسه. ص ٥٤ وما بعدها جـ٢. كان والدا الاب سيمون قد حضرا به الى الاسكندرية، حيث قدماه قربانا للبيعة لأجل جسد القديس ساويرس. فأخذ تادرس سيمون في بطركية الأب أغاتون، وعهد الى الأب يوحنا ـ وكان شماسا ـ ليعلمه قوة الكتابة وفصول الكتب [والعلوم البيعية] فتعلم سيمون الكتابة القديمة، وكثيرا من الحديثة في زمن يسير. ولما أدرك البطرك أغاتون صلاحيته، أوسمه قسا. وكان يلي الأب يوحنا في الدرجة في دير الزجاج. انظر كذلك السنكسار، جـ٢، ص٢٣٣.

مضيت اليه لافتقده واخذ بركته، فلما وقفت على باب موضعه سمعته يقول كلاما خفيا وهو : يا سيدى وام سيدى انا اسالك ان تغفرى لى و انا مستعد لما تامرينى به وان اتممه واكون حافظا له الى النفس الاخير. قال الاسقف: ولما عولت ان اطلع من الباب الذى هو داخله وقبل وصولى صاح بصوت عظيم: من هذا الذى يرى. فخفت من هيبته ورجعت الى وراى فسمعته يقول: الله

علم عبدالعزيز بن مروان أن الأب سيمون هذا، من أصل سريانى، من أهل المشرق. فقال للأساقفة المجتمعين: «فما تقدروا أنتم أن تقيموا واحدا من بلادكم» فأعلموه أنه لا يوجد أفضل من يوحنا، وأنهم يختارونه بطركا لهم، وأن الأمر لله وللوالى. وسأل عبدالعزيز سيمون عن رأيه فى الأب يوحنا، فأجابه: «ما يوجد فى كورة مصر، ولا فى المشرق من يستحق مثل هذا، وهو أبى الروحانى، وربانى من صغرى، وسيرته سيرة الملائكة». وانتهى الأمر باتفاق الأساقفة والكهنة وغيرهم من الحاضرين على اقامة سيمون بطركا لهم، ووافق الوالى عبدالعزيز على رأيهم[(١)].

وكان قد حدث بعد وفاة الأب سيمون (٨٢هـ = ٧٠١م) أن خلا كرسى البطركية حوالى ثلاث سنوات، وتولى شئون الكنيسة خلالها الأسقف اغريغوريس. وفى ختام هذه السنوات الثلاث، اتفق الأساقفة والكهنة على ترشيح القس الاكسندروس بطركا، وكان راهبا بدير الزجاج، عالما بالكتب. وطبقا للعادة المتبعة، قدم القوم معه الى الوالى عبدالعزيز بن مروان الذى أجابهم الى رغبتهم، ووافق على اختيارهم، وأقيم هذا القس بطركا فى عيد القديس مارى مرقس فى (٨٦هـ = ٧٠٥م = ٤٢٠ ش)[(٢)].

(١) ساويرس ابن المقفع: المرجع السابق، ص ٥٤ وما بعدها جـ ٢.
(٢) ساويرس ابن المقفع: المرجع السابق، ص١٠٢ / ١٠٣ جـ ٢.

يغفر لك أيها الاخ الذى منعنى الا اشاهد مجد سيدتى ونورها وتركها ان تمضى عنى.

فلما نظر الطوباوى البطرك هذه الاسرار العظيمه التى ظهرت شهد ان ما يجلس احد من البطاركه على هذا الكرسى الا من يختاره الرب، لكن الشيطان يقاوم تقدمتهم ولا يدعهم ان يفعلو الخير، وقوم يقولون فى قلوبهم: إن تقدمنا واخذنا الدرجه، هو من مولدنا، وليس هو هكذا بل رب المجد هو الذى يختار. والاب انبا يعقوب القايل هذا

وتحفظ لنا النصوص التاريخية مثلا آخر، لتدخل الولاة فى اختيار البطرك، وضرورة موافقتهم على اقامة البطرك الجديد. فلما تولى حفص بن الوليد حكم مصر ـ للمرة الثانية ـ (١٢٥هـ = ٧٤٣م) ـ فى عهد الخليفة هشام بن عبدالملك ـ اجتمع اليه الأساقفة والكهنة من جميع أرجاء مصر، وسألوه أن يأذن لهم فى اقامة البطرك. فأذن لهم حفص، بترشيح من يرونه يصلح لهذا المنصب، واشترط عليهم أن يلقاه قبل ان يتم تعيينه بطركا. ولكن حدث بين الأساقفة والكهنة، اختلاف فى الرأى كاد يودى بالكنيسة القبطية[١].

وانتهى الأمر، باختيار القس (ميخايل) خايال ـ ويسمى أيضا كييل ـ ليكون بطركا. وكان قسا فى بيعة القديس أبى مقار. وبادر المجتمعون الى حفص بن الوليد ليعلموه بما تم بينهم، وأعطاهم كتابا، يطلب فيه من شيوخ وكهنة وادى هبيب، تسليم القس خايال اليهم. ثم أذن لهم باقامته بطركا بعد قدومهم به اليه[٢].

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٦٦ / ١٦٧ وكانت الكنيسة القبطية بدون بطرك منذ وفاة الأب تادرس فى ولاية القاسم بن عبيدالله للخراج (١١٦ ـ ١٢٥هـ = ٧٣٤ ـ ٧٤٣م) حتى ذلك الوقت الذى تمت فيه اقامة أنبا خايال بطركا فى ولاية حفص بن الوليد، انظر المصدر نفسه، ص ١٩٢ جـ٢.

(٢) المصدر نفسه، ٢٥٨ جـ٢. وتشير الرواية القبطية الى أن الفريق الذاهب الى وادى هبيب لاحضار أنبا خايال تقابل مع وفد من شيوخ ورهبان هذا الوادى وكان من بينهم أنبا خايال. وكان هذا الوفد قادما=

قبل موته: ان الله [هو] الذى يختار من يقيمه والشيطان مضاد له والله الغالب.

وكانت عادته اذا اراد ان يقسم الاساقفه ان يسهر ويصوم ويطوى حتى يظهر الله له اعمالهم.

وكان يحفظ ايام نياح الابا[ء] من مرقس الانجيلى الى مرقس ابيه بالروح، ويعيد لهم ويلبس فيها ويقدس ان كان فى المدينه او فى الديارات او فى القرى مجدا لسيدنا المسيح وتذكارا لابايه.

فلما أراد الله ان يريحه من التعب وينقله الى

وهكذا كان لوالى مصر حق التدخل فى اقامة البطرك الجديد طوال العصر الأموى. وذكرنا من الأمثلة ما يوضح ذلك ويؤكده. ونجد فى العصر العباسى أيضا من الأمثلة ما يؤكد استمرار هذا الحق لولاة مصر.

لما توفى البطرك يوحنا فى ولاية الليث بن الفضل على مصر (١٨٢ ـ ١٨٧هـ = ٧٩٨ ـ ٨٠٣م) ـ فى عهد الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ ـ ١٩٣هـ = ٧٨٦ ـ ٨٠٩م) اجتمع الأساقفة والكهنة الأرثوذكس بالاسكندرية، واتفقوا على ترشيح القس مرقس بطركا، وكتبوا بذلك الى الأنبا (ميخايل) أسقف مصر[١].

= لتهنئة حفص ابن الوليد بالولاية، وليلتمس منه ازالة الظلم الذى نزل بهم فى ولاية سلفه ـ القاسم بن عبيدالله ـ وبعد عودة وفد الأساقفة ومعهم أنبا خايال، أخبروا الوالى حفص بن الوليد بما حدث مما أثار دهشته واعجابه. المصدر نفسه والصفحة.

(١) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، ص ٦٢٧ وما بعدها جـ٢ . وجاء فى هذا الكتاب: «أبوتك تعلم ما جرى علينا من اليتم فى مضى أبونا الطوبائى أبا يوحنا الرابع الى الرب فى هذا الزمان الصعب وتقلب الملوك وأبوتك تعلم أن قطيع خراف بغير راع يدخله الذئب فيشتته وكل مدينة بغير سور العدو يهلكها. ولأجل هذا اجتمعنا فى البيعة العظمى بالاسكندرية والآباء والأساقفة. فقد كتبنا نقول، واحد منا طلب به قلبنا على القس مرقس أن يكون لنا أباء.

مــسـاكن النوارنيين الســمـاويه فظهـر له الرب وهو راكب سـحابه من نور ومعـه الاثنا عـشـر تلميـذا فقـال له: تقـو ايهـا العبـد الصـالح الذى عـمل فى وزنات سيده وربح، انا الان اخذك إلىّ واريحك من تعبك وتجلس مع اصـحـابك الذين جاهدو مـثلك وكملت مثلهم.

وقـبل هذه الرويا العـجيب تنيح زخـريا اسـقف «تنـدا» وجلس مـوضـعـه الارشـيـدياقن الذى قدمنا ذكره وقلنا عنه ان يكون وعا[ء] مختارا لله.

ثم قدم انبا ميخايل على الوالى وفى صحبته جميع الرؤسا، القبط ليخبره بما حدث، ويلتمس منه الموافقة على اقامة القس مرقس بطركا. فأمر الوالى بكتابة اسمه فى الديوان وأذن لهم فى قسمته بطركا لهم[1].

وتذكر المصادر التاريخية، مثلا آخر، لدور الولاة العباسيين فى اقامة البطرك الجديد. فبعد وفاة الأب سيمون الثانى (٢١٥/٢١٦هـ = ٨٣٠/ ٨٣١م) بدأ أهالى الاسكندرية يفكرون فيمن يتولى البطركية بعده. وطمع فى البطركية صاحب ديوان مصر اسحق السيد بن اندونة، وكان فاحش الثراء، ووعد حاكم الاسكندرية عبدالله بن زيد بألف دينار، اذ ساعده فى اقامته بطركا للقبط[2].

وكانت اقامة اسحق بطركا، أمرا يخالف قانون الكنيسة القبطية فى ذلك الوقت لأنه كان علمانيا، ومتزوجا. فرفض الأساقفة تنصيبه، واستقر رأيهم على ترشيح القس يوساب ـ أحد رهبان دير أبى مقار ـ وطلبوا من عبدالله بن زيد حاكم الاسكندرية الموافقة

(١) المصدر نفسه، ص ٦٢٨ جـ٢. ابن العميد: تاريخ المسلمين، ص ١٢٢.
(٢) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، ص ٧٩٠ وما بعدها جـ٢.

واعتل ابونا يعقوب البطرك وضعفت قوته، وفي اربعه عشر يوما من امشير تنيح وهو يوم تنيح فيه الاب القديس ساويرس [و] في اربع ساعات من الليل سمعوه قايلا: جيد يا ابوى ساويرس وديسقرس مجيكما.ورجع قال: العالم كله في حل بصلوات القديسين. واسلم الروح في يد الرب ففاح من جسده بخور طيب حتى ملا جميع الموضع.

فلما اصبح الصبح كفنو جسده وقدمو القربان

على تنصيبه بطركا، الا أنه رفض ذلك طمعا فيما وعده به اسحاق من منحه ألف دينار(١).

وغضب الأساقفة من موقف عبدالله بن زيد منهم، وهددوه بالرحيل الى والى مصر بالفسطاط، ليحقق لهم رغبتهم. وانتهى الأمر بموافقة والى الاسكندرية على اقامة الأب يوساب بطركا في ٢١ هاتور سنة ٥٤٧ش(٢) = (٢١٦هـ ـ ٨٣١م). ونستخلص من هذه الرواية أن والى الاسكندرية كان يحل محل والى مصر في الموافقة على اقامة البطرك وان كنا لم نلمس ذلك في عصر الولاة الأمويين. ونستخلص أيضا أن الوالى المسلم في هذا العصر لم يكن يشترط رؤية الشخص المرشح للبطركية قبل قسمته، كما كان الحال في العصر الأموى.

وبعد أن تحدثنا عن دور القبط ـ بصفة خاصة ـ في أعمال الحكومة والادارة، وما كان من دور ولاة مصر المسلمين في اختيار بطركهم، نتساءل عن موقف الولاة المسلمين من كل من

(١) المصدر نفسه، والقس يوساب أصله من منوف العليا. وآباؤه من كبار رجال القبط، وقد خدم حاكم الاسكندرية ثم خرج الى وادى هبيب. ثم أقامة البطرك مرقص شماسا ثم قسا.
(٢) المصدر السابق، ص ٧٢٧ وما بعدها جـ٢.

تذكارا للابوين المغبوطين ساويرس والاب يعقوب، وكملت رويا الراهب القديس عن الصورتين اللتين راهما تكرزانه بالانجيل.

وهكذا تمت سيرته بشيخوخة حسنه وهو ماسك الكرسي المقدس الانجيلي عشر سنين وثمانية اشهر، وسلم القطيع لرب الصباوت ثابت، واستحق ان يسمع الصوت القايل: تعالو الى يا مباركى ابى ارثو الملك المعد لكم من قبل خلق العالم.

المذهبين المسيحيين في مصر. الملكاني واليعقوبي؟ وهل كان هؤلاء الولاة ينتصرون لليعاقبة دون الملكانيين؟ أم كانوا يعدلون بين الفريقين؟

كان عمرو بن العاص ـ عقب فتح مصر ـ قد كتب أمانا للبطرك اليعقوبى بنيامين فعاد الى كرسيه، بعد أن غاب عنه ثلاث عشرة سنة. ويصف المقريزى[1] أثر ذلك فيقول: «فغلبت اليعاقبة على كنائس مصر، ودياراتها كلها، وانفردوا بها، دون الملكانيين».

ومما لا شك فيه أن القبط اليعاقبة كانوا قد تنفسوا الصعداء بعد زوال حكم البيزنطيين، وقيام الحكم الاسلامى فى مصر، نتيجة لما قاسوه من الاضطهاد والظلم فى عهد الرومان. وكان طبيعيا أن يتقرب القبط من الحاكم العربي، حتى يقوى أمرهم على الملكانيين، خصومهم فى المذهب، فقد جاء الوقت لتكون فيه كفتهم هى الراجحة.

وكان أكثر سكان مصر آنذاك من القبط اليعاقبة، وقد تقرب عمرو والمسلمون اليهم كثيرا، وتوددوا اليهم أكثر من الملكانيين أتباع كنيسة القسطنطينية وهم أقلية قليلة، وقد ضعف أمرهم بزوال حكم الرومان فى مصر. وقد سار خلفاء عمرو بن العاص على نفس منوال هذه السياسية.

(١) الخطط، جـ٤، ص٣٩٣ ـ ٣٩٤ .

والاخ الذى كان قد تنبا عليه رسمه اسقفا قويا متقنا لا يكنز درهما واحدا غنيا باعمال الرب وبالكتب الروحانيه واستحق ان يغمض عينه بيده وياخذ بركته، ومن قوة امانته جعل جسده في تابوت وتركه في مدينته التي هى «تندا» ليتبارك به ويتشفع بقدميه. وبعد أيام يسيرة تنيح الاسقف بصلوات ابيه التى صلاها عليه امام السيد المسيح، له المجد مع ابيه وروح القدس المحيى السماوى من الان والى ابد الابدين امين.

وانتصر المسلمون غالبا للقبط اليعاقبة على الملكانيين. وأخذ القبط كثيرا من الكنائس والأديرة التي كانت في يد خصومهم الملكانين. كما انتهزوا فرصة حسن علاقاتهم بالمسلمين لكى يجذبوا بعض الملكانيين الى مذهبهم[1].

كان الملكانيون في مصر، طوال عصر الولاة، ليس لهم بطرك الا في فترات محدودة بعكس ما كان عليه الحال بالنسبة للقبط اليعاقبة. ونذكر فيما يلي الفترات التى تمتع فيها بعض الملكانين بالحرية، وبعض النفوذ والسلطان.

استطاع تاوضوسيوس أحد الملكانيين الخلقدونيين ـ في خلافة يزيد بن معاوية ـ أن يستصدر من الخليفة سجلا يمنحه السلطة والحكم على الاسكندرية ومريوط وما يليهما، بحيث لا يكون لوالي مصر، سلطان عليه، وقد توصل الى ذلك بعد أن أدى مبلغا عظيما من المال للخليفة يزيد. فتسلط هذا الحاكم الملكانى على القبط وبطركهم أغاتون وفرض عليه الغرامات المالية، ثم حجر على أموال الكنيسة القبطية وأملاكها بعد وفاة البطرك أغاتون[2] البطرك ٣٩ .

(١) سيدة كاشف: مصر فى فجر الاسلام، ص١٩٦ ، الراهب البراموسى حسن السلوك فى تاريخ البطاركة والملوك، جـ١ ، ص٢٠٨ ـ ٢٠٩ ، ستانلى لين بول: سيرة القاهرة، ص ٧١.

(٢) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، ٥ جـ٢ ، السنكسار، جـ١ ، ص١٢٧ ـ ١٢٨.

الاب انبا سيمون البطرك وهو من
العدد الحادى والخمسون
٨٣٠م

ولما تنيح الاب القـديس الجليل البطرك انبـا يعقوب مصطفى الرب ومختاره العمود النير، ومضى الى الرب، وبصلواته التى قدمها له بدد الله العساكر والحروب والقوم الذين كانو يثيرونها فى كل وقت، الذين كانو على مدينة اسكندريه ومصر

كما اتخذ عبدالعزيز بن مروان ـ فى أثناء ولايته على مصر ـ فراشين له من الملكانيين. ولما انتقل من الفسطاط الى حلوان، واتخذها عاصمة له، سمح لهؤلاء الملكانيين ببناء كنيسة لهم فى هذه العاصمة الجديدة(١).

كذلك نجد الخليفة هشام بن عبدالملك، بعد أن تم الاتفاق بينه وبين الامبراطور البيزنطى(٢)، يسمح للملكانيين فى مصر، باقامة بطرك لهم. وتم اختيارهم للأب قزما، الذى أقام فى كرسى البطركية الملكانية ثمانى وعشرين سنة(٣). وكان قزما أميا لا يعرف القراءة، ولا الكتابة،

(١) ابن بطريق: التاريخ المجموع، ص ٤١، أبو صالح الأرمنى، ص ٦٧.

(٢) قيل انه حدث فى سنة ١٠٧هـ ـ ٧٢٥م أن أرسل الامبراطور البيزنطى لاون، هدية الى الخليفة هشام فأتت هذه الهدية أكلها، وتمكن الخلقدونيون فى مصر من اقامة بطرك لهم. انظر: ترتون: أهل الذمة فى الاسلام، ص ٨٢، ميخائيل شاروبيم: الكافى فى تاريخ مصر القديمة والحديثة، جـ٢، ص ١٢٤.

(٣) ابن بطريق: التاريخ المجموع. ص ٤٥. ويذكر أن الملكانيين كانوا بدون بطرك منذ هروب بطركهم الى القسطنطينية فى السنة الثالثة من خلافة عمر بن الخطاب الى أن أقيم قزمان هذا بطركا، وغلبت اليعاقبة على جميع الكنائس بمصر. انظر، المصدر نفسه، ص ٤٥ ـ ٤٦. فى حين أشار ساويرس الى أن = الملكانيين كان لهم بطرك فى خلافة الوليه بن عبدالملك وولاية قرة بن شريك على مصر، وان كان لم يبق فى كرسيه طويلا. وتحول الى المذهب اليعقوبى. ثم يشير فى موضع آخر الى اقامة بطرك لهم فى ولاية القاسم بن عبيدالله وليس أبيه عبيدالله بن الحبحاب.

واعمالها . ومن بعد وفاته بمدة يسيرة قدمو عوضا منه بامر الله تعالى شماسا راهبا اسمه سيمون من مدينة اسكندريه من نسل طيب، وكان ولد الاب انبا يعقوب وفى قلايته، وتربى منذ صباه عند الاب البطرك انبا مرقس المتنيح. واقام على الكرسى الانجيلى خمسة شهور وستة عشر يوما وتنيح فى اليوم التالت من بابه. وكان مدة مقامة [مصابا] بوجع النقرس يتوجع منه وجعا شديدا الى ان تنيح. الرب يرحمنا بصلواته اجمعين.

ويعمل فى صناعة الأبر. ولما ولى البطركية للملكانيين خرج من الاسكندرية وقصد الخليفة هشام فى دمشق، وطلب منه أن يعيد للملكانيين الكنائس التى استولى عليها اليعقوبيون فى مصر. فعهد الى واليه بمصر عبدالله ابن الحبحاب، أن يسلم للبطرك قزما، كل ما بيد اليعاقبة القبط من الكنائس الملكانية[١].

ووقع خلاف بين الملكانيين واليعاقبة فى مصر، فى خلافة مروان بن محمد (١٢٧ ـ ١٣٢هـ = ٧٤٥ ـ ٧٥٠م) ـ آخر الخلفاء الأمويين ـ وكان يتولى حكم مصر آنذاك عبدالملك بن مروان، وكان هذا الخلاف حول أحقية كل فريق منهما، فى ملكية كنيسة أبى مينا بمريوط. وتولى عبدالله الفصل بينهما فى هذا الخصام، وكان بطرك القبط فى ذلك الوقت هو الأب خايال (ميخايل)، فى حين كان بطرك الملكانيين الأب قسما[٢].

قضى كل من الفريقين، اليعاقبة والملكانيين، صوم الأربعين، وهم يترددون على قصر الوالى عبدالملك، كل يوم من الصباح الى آخر النهار، حتى يفصل بينهم، ويحكم بأحقية أى فريق منهما للكنيسة دون الفريق الآخر، وانتهى الأمر بأن عهد عبدالملك الى

(١) ابن بطريق: التاريخ المجموع، ص ٤٥ . ويسمى هذا الوالى عبدالله بن الجيحان السكوى.
(٢)ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، ص ٢٧٤ جـ ٢.

السيره الحاديه والعشرين من سير البيعه المقدسه
الاب انبا يوساب(*) البطرك
وهو من العدد الثانى والخمسون
[٨٣٠ / ٨٤٩م]

فلمـا تنيح الاب سيمـون اجـتـمع الشـعب الارتدكسى بمدينة اسكندريه وتشاورو فى ان يقيمو بطركا بحكم ان الكرسى خال، لانه كان قد اقام بغيـر [بدون] بطرك بعد الاب انبا يعقـوب مده كبيره، وتسلو باقامة الاب انبا سيمون، فلما تنيح

(*) هو من مدينة منوف. فى ايامة قامت عدة مشاحنات من الاهالى ضد بعض الاساقفة خاصة فى تنيس والفسطاط وطالبوا بعزلهم كما تعددت فى شمال الدلتا ثورات البشمور حتى ابادهم واحرقهم واحرق بلادهم الخليفة المأمون. ويقال أن الخليفة المأمون أعطى انبا يوساب تفويضاً بخط يده باقراره رئيساً عاماً روحانيا على الأمة القبطية وجميع كنايس مصر.

صاحب الديوان ويسمي يسا بن يمن، أن يحكم بين الفريقين، ويدرس حجج كل منهما(١).

أمر يسا، صاحب الديوان، كل فريق بكتابة حججه وآرائه فى أحقيته فى ملكية الكنيسة الا أن الملكانيين أغدقوا عليه الهدايا والأموال، طمعا فى أن يحكم لهم يسا، بأحقيتهم للكنيسة على حين تقدم البطرك خايال، بالحجج التى تبرر أحقيته للكنيسة، وتحدث عن تاريخ بنائها، وكان كتابه الى صاحب الديوان، باللغتين العربية والقبطية. واستمر التحكيم بين الفريقين شهرا كاملا دون الوصول الى قرار حاسم(٢).

فلما ولى الديوان القاضى أبو الحسين وتولى التحكيم بين المتخاصمين، نيابة عن الوالى. سأل كل فريق عن رئيسه الدينى، وأصل عقيدته، واطلع على الكتب التى قدموها، لسلفه الذى كان يتولى التحكيم بينهم. ويبدو أنه أدرك عدم أحقية الملكانيين فى الكنيسة، لأنه طلب

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٧٥ وما بعدها جـ ٢.

(٢) المصدر نفسه، وقد أشار بعض الأرثوذكسيين على الأسقف أنبا موسيس أن يشير على البطرك خايال بدفع مبلغ من المال لصاحب الديوان كما فعل الملكانيون، حتى ينصفهم ولكنه رفض ذلك وقال ان هذا التصرف لا يليق بالقبط المؤمنين، وعليهم جميعا الصبر وان الله لن يتخلى عنهم.

زاد قلقهم وكانو يقولون كما قال داود النبي: لا تذكر يارب اثامنا الاولى بل لتدركنا رافتك سريعا لانا افتقرنا جدا.

وكان كل منهم يتقصي بالمدينه، وبحثو جمع الاسكندرانيين والابا الأساقفه، وطلبو من يصلح ان يجلس على الكرسي، وانتم عارفون باهل اسكندريه انهم محبون لنعيم الجسد، فافتكرو فكرا رديا في تلك الايام خارجا عن القوانين البيعيه، وكان بفسطاط مصر في ذلك الزمان رجل ذو

من الفريقين، تقديم حجج وأسانيد أخرى. وحاول الملكانيون، وفي مقدمتهم البطرك قزما، أن يتفقوا مع اليعاقبة، على ما يرضى كلا من الفريقين. كما تحول بعض الملكانيين، ومنهم قسطنطين أسقف مصر الملكاني، الى المذهب اليعقوبي[١].

ثم جمع القاضي أبو الحسين، الفريقين المتخاصمين، وحضر الاجتماع أصحاب الدواوين والكتاب ووجوه القوم، ليصدر القاضي حكمه النهائي في هذا الخصام. فطلب من البطركين أن يقسم كل منهما بأحقيته في الكنيسة. فرفض ذلك أنبا خايال، في حين أقسم الأب قزما. ثم سأل كليهما عن شهودهما. فأجاب الأب خايال، أن هذه البيعة، بنيت منذ ثلاثمائة وخمسين سنة، وأن القائمين على بنائها، هما تاوفيلس وطيماتاوس واسمهما مكتوب على الكنيسة. فلما تأكد القاضي من صدق البطرك خايال[٢]، وضع حدا لهذه الخصومة، وحكم بأحقية القبط اليعاقبة في كنيسة أبي مينا بمريوط دون الملكانيين[٣]. وهكذا انتصر اليعاقبة وتسلموا بيعتهم، وهم فرحون، مسرورون.

---

(١) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، ص ٢٩٨ وما بعدها جـ ٢.
(٢) وجرت مناظرات بين البطرك خايال والبطرك قزما عن الاتحاد، وكتب الأب خايال: «أنه لا يجب أن يقال ان في المسيح طبيعتين، متفرقتين بعد الاتحاد، ولا اثنين ولا شخصين» انظر أيضا السنكسار، جـ٢، ص ٣٥.
(٣) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، ص ٣٠١ وما بعدها جـ٢.

جنس وذو مال، له من الذهب والفضه والاثاث [مالا يحصى] وكان صاحب ديوان السلطان، الذى هو ملك مصر، اسمه اسحق السيد ابن اندونه(*)، فلما نظروا الجماعة اهل اسكندريه محله وغناه مع جاهه، كتبو اليه كتابا يقولون له : انا ما نختار احدا نقدمه بطركا سواك . وكان رجلا علمانيا وهو متزوج بامراه ، فانعزل بعض الاساقفه عن هذه النوبه التى فعلوها المراون [المراؤون] اهل اسكندريه واتبعو هذا لاجل مجد الناس ولم يذكرو

(*) قلده فيما بعد البطرك يوساب وكالة البطركية.

ثم كان العصر العباسي، وفي عهد الخليفة أبى جعفر المنصور (١٣٦ ـ ١٥٨هـ = ٧٥٣ ـ ٧٧٥م)، أصبح بلطيان بطركا على الملكانيين. وكان طبيبا حاذقا، وتولى كرسى البطركية ستا وأربعين سنة. وعظم نفوذه فى عهد الخليفة هارون الرشيد واسترد كثيرا من الكنائس الملكانية، بأمر من الخليفة نفسه(١).

كان والى مصر عبيدالله بن المهدى (١٧٩ ـ ١٨٠هـ = ٧٩٥ ـ ٧٩٦م) قد أهدى الخليفة هارون الرشيد، جارية مصرية. فمرضت، وطلب الخليفة أحد أطباء مصر لعلاجها، فبعث اليه عبيدالله، بلطيان البطرك الملكاني المعروف بمهارته فى الطب، ونجح هذا البطرك فى علاج جارية الخليفة. فسر لذلك الرشيد، وأعطى بلطيان كثيرا من الأموال والهدايا، كما كتب له منشورا، يحق له بمقتضاه، استرداد الكنائس الملكانية من أيدى اليعاقبة(٢).

ويرى بعض الكتاب المحدثين أن الشروط التى اشترطها عمر ابن الخطاب، فى العهد الذى

(١) ابن بطريق: التاريخ المجموع، ص ٤٩، ٥٢.
(٢) المصدر نفسه، ص ٥١ ـ ٥٢ المقريزى: الخطط جـ ٤، ص ٣٩٦ و
Le R. P. Antefage: Les Coptes, pp. 23-24.

مـا هو مكتـوب في مـزمـور : ان الرب يـدد عظام المراين [المرائين] للناس. وايضا فيخرون لان الرب يرذلهم.

ثم مـضى بعض الاسـاقـفـه الى هذا اسـحق وساعدوه وقالو له ما لنا بطرك الا انت . واسماهم: زكـريا اسـقف وسـيم، وتادرس اسـقف مـصـر، ثم انهـمـا جعـلاه ان يكتب كـتابا الى اسكندريه يعد كهنتها واهلها بجميل كتير يفعله معهم متى صار بطركـا ويقـول انى اذا جلسـت على هذا الكرسى

منحه لأهل الذمة، كانت نواة هذه المضايقات، وأساسا اعتمد عليه بعض الخلفاء والولاة فى التشديد على الذميين، والتضييق عليهم. فالخليفة عمر بن الخطاب، هو أول من وضعهم فى مرتبة أدنى من مرتبة المسلمين فأمر أن تختم رقاب أهل الذمة بالرصاص، ويظهروا مناطقهم، ويجـزوا نـواصيـهـم، ويركـبـوا على الأكف عـرضـا، مما أدى أحيـانا الى تعرض أهل الذمـة للمضايقات[1].

والحقيـقة أن عمر بن الخطاب قد اشترط على أهل الذمة بعض الشروط، التى تتضـمن تحديد شكل الملابس، وطريقة الركوب. فقد اشترط عليهم لبس الزنار، ونهاهم عن التشبه بالمسلمين في ثيابهم. وسـروجهم، ونعالهم، وأن تكون قلانسـهم مضربة، ومنع نساءهم من ركوب الرحائل[2].

وهناك أمثلة كثيـرة على هذه الأحداث، نذكـر منها، مـا حدث في ولاية عبـدالعـزيز بن مروان، حينما قدم الى الاسكندرية، ولم يخرج البطرك يوحنا لاستقباله والسلام عليه. وعند

(١) توفيق الطويل: قصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية والاسلام ص١٥٧ ــ ١٥٨.

(٢) على حسنى الخربوطلى: الحضارة العربية الاسلامية، ص ١٤٣.

بنيت لكم ما انهدم من بيعكم وجددت عمارة رباع البيع، وازيل عنكم الجوالى [و] جميع ايامى أقوم بها من مالى عن الكهنه وضعفا الشعب. ووعدهم باشيا اخرى كتيره.

فلما سمعو ذلك مالو اليه ورغبو اليه ونسو قول الانجيل: لا ياخذ احد كرامه من ذاته الا ان يعطاها من السما من عند الله.

وكان فى ذلك الزمان اساقفه قديسون ممن يقول الحق ممتلين من النعمه، وهو انبا خايال

ذلك سعى به قوم من الملكانيين، وأوغروا صدر عبدالعزيز، اذ زعموا له أن البطرك لم يخرج للقائه، لتكبره، وجبروته، ولا تساع ثرائه[1].

وغضب عبدالعزيز على البطرك أشد الغضب. واستدعاه. وعنفه، وفرض عليه غرامة مالية قدرها مائة ألف دينار. وعهد به الى رجل يدعى «سعد» يشتهر بالقسوة حتى يعذبه. حتى الموت ليرغمه على أداء الأموال للوالى. وهدد سعد البطرك يوحنا، اذا لم يدفع المبلغ المطلوب منه، بأنه يلبسه ملابس يهودى، ويلطخ وجهه بالرماد، ويطوف به أنحاء المدينة. وانتهى الأمر بقبول البطرك يوحنا دفع مبلغ عشرة آلاف دينار[2].

---

(١) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، ص ٢٤ وما بعدها جـ٢. وأصل يوحنا من سمنود، وقد ولى البطركية بعد وفاة الأب أغاثون. المصدر نفسه، ١٦ وما بعدها جـ٢، السنكسار، جـ١، ص١٢٨.

(٢) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، ص ٢٥ وما بعدها جـ٢. ويروى أن يوحنا قال لسعد: ليس حتى معى مائة درهم فما شئت ان تفعل بجسدى فافعل، فنفسى وجسدى معا بين يدى المسيح. فغضب لذلك سعد، وأمر بقصرية نحاس، مملوءة جمر نار، وتجعل رجلاه فيها حتى يقبل دفع المطلوب منه. ويشير ساويرس الى ان زوجة عبدالعزيز بن مروان، تعرضت فى هذا اليوم لشدائد عظيمة، وبعثت الى تأمره ألا يلحق أى أذى بالبطرك. كما قال الوالى نفسه لسعد: «اياك أن تمس جسده لاجل ما نالنا فى هذه الليلة بسببه. ولكن مهما قدرت عليه خذه منه بلطف. والا فلا تقربه بسوء، لأن الله قد أظهر لى أنه عبده». كما أشار ساويرس الى أن البطرك يوحنا، قال لسعد، لما هدده بلباس يهودى: «أن لم يخلصنى الرب الهى من يديك، والا فما لك قدرة أن تفعل بى شيئا الا بأمره».

اسقف بلبيس، وانبا خايال اسقف صا، وانبا يوحنا اسقف بنا، وكتير مثلهم كاملين في الدين والامانه، فلما بلغهم ما فعله الاسقفان وجماعة اهل اسكندريه تحركت فيهم النعمه الالهيه، وجمعو لهذين مجمعا وتوجهو الى اسكندريه على ما يقتضيه القانون. ولما حققو راى الاسكندرانيين قالو لهم: اين تركتم خوف الرب وخالفتم القوانين حتى انكم عمدتم الى رجل علماني متزوج بامراه لتجلسوه على كرسى مارى مرقس الانجيلي

علم الكتاب والمتصرفون القبط بالاسكندرية، بأن الغرامة المالية المفروضة على البطرك يوحنا قد خفضت الى عشرة آلاف دينار، فأبدوا سرورهم، وطمأنوا البطرك بأن الأساقفة وكتاب الدواوين سيتحملون سدادها، وتعهدوا للوالى عبدالعزيز بن مروان بذلك، فأطلق سراح البطرك يوحنا، وعم الفرح والسرور قلوب القبط الأرثوذكس(١).

تعرض القبط وبطركهم اسحاق مرة أخرى في ولاية عبدالعزيز بن مروان، لبعض الأذى والضيق فقد كانت كنيستا الحبشة والنوبة تابعتين للكنيسة القبطية بالاسكندرية، فلما وقع سوء التفاهم بين ملكي البلدين، رأى البطرك القبطي اسحق، أن يكتب اليهما ليزيل ما بينهما من

---

(١) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، ص ٣٣ وما بعدها جـ٢ . ويشير الى أن عبدالعزيز بن مروان لما أحضر البطرك للاتفاق معه على دفع عشرة آلاف دينار، أمر باحضار وسادة كبيرة ليجلس عليها البطرك، وقال له أما تعلم أن السلطان لا يقاوم؟ فأجاب البطرك: السلطان نسمع منه أمره فيما يجب، ونخالف أمره فيما يغضب الله. فقد قال ربنا في الانجيل، لا تخافوا ممن يقتل الجسد، وليس له سلطان على النفس، ولكن خافوا ممن يقدر يهلك النفس والجسد جميعا، يعنى الله القادر على ذلك وحده. عند ذلك قال له الأمير: الهك يحب الصدق والحق. فأجاب يوحنا: الهي حق كله، ليس فيه كذب، بل يهلك كل من ينطق بالكذب. فقال له الأمير: انك صادق وثقة. وان ما دفعه لك القبط بسبب مطالبتي لك بالأموال، ادفعه لي ولا أطلب منك أكثر من ذلك. وبذلك أطلق سراح يوحنا وخرج من دار الامارة في موكب حافل بالقراءة والترتيل حتى بلغ الكنيسة وقدس مع شعبه.

بخلاف ما جرت به العاده والقوانين. فعند ذلك سكنو ولم يجاوبوه بحرف واحد لعلمهم بغلطهم.

وبمعونة الله الذى يفتقد شعبه فى كل حين ويضى وجهه على ميراثه، ذكر إنسان قديس كامل فى فعل الخير، فثبت ذكره عند الجمع بتدبير نعمة الله، الذى هو المصباح المضى يوساب القس والقيم ببيعه القديس ابى مقار بوادى هبيب، وعند ذكره ابتهج قلبى وتهلل [وطاب قلوب الجميع به والاساقفه والكهنه لمعرفتهم به].

سوء تفاهم. فسعى قوم بالبطرك لدى عبدالعزيز، واخبروه بأن البطرك يراسل ملكى الحبشة والنوبة، فغضب عبد العزيز، وأمر باحضار البطرك ليقتله حتى يحول بينه وبين التخاطب مع ملكى دولتين أجنبيتين (١).

وبادر الكتاب القبط، بتحرير كتب أخرى، غير التى كتبها البطرك، وأعطوها للرسل المبعوثين الى ملكى الحبشة والنوبة، واستردوا الكتب الأولى التى كتبها البطرك ثم أخبروا الأمير عبدالعزيز، بأنهم استدعوا رسل البطرك واستردوا منهم الكتب التى كانوا يحملونها الى ملكى الحبشة والنوبة، وقرأ عبدالعزيز الكتب، فلم يجد فيها شيئا يضر مصالحه، فهدأت ثورته وأطلق سراح البطرك(٢).

وتذكر الرواية القبطية أن الوالى عبدالعزيز بن مروان، قد أساء ـ آنذاك ـ الى القبط وبطركهم، اذ أمر بكسر جميع الصلبان فى كور مصر، سواء أكانت من الذهب أم الفضة كما كتب عدة رقاع، جعلها على أبواب كنائس مصر جميعها، وفيها: «محمد الرسول الكبير الذى لله وعيسى أيضا رسول الله، وان الله لم يلد ولم يولد»(٣).

(١) المصدر نفسه. ص ٢٤ جـ ٢.
(٢) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، ص ٤٨ وما بعدها جـ٢.
(٣) المصدر نفسه، ص ٤٩ جـ٢.

واردت ان اذكر يسيرا من سيرته فى رهبنته والاعمال التى فعلها فخفت ان اقطع ذكر صفه الحال فى جلوسه، ولكنى اذكر ذلك فيما بعد ليبتهج قلب من يسمع سيرة هذا القديس.

فلما طابت قلوب الجمع به مع الاساقفه والكهنة لمعرفتهم به عند كونه مصاحبا للاب انبا مرقس فانفذو بعض الاساقفه وكهنة الاسكندريه الى الوادى وبينما هم سايرون قالو هكذا: ان كان الرب يختار تقدمة هذا الانسان فانا نجد باب قلايته

وكان الأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان، يلى كثيرا من أمور مصر فى ولاية أبيه. وكان يحوذ طاعة الجميع. الا أنه كان مبغضا أشد البغض للقبط، ينزل بهم كل أذى ممكن. وقد احتضن شماسا يسمى بنيامين، وكان يظهر للأصبغ جميع أسرار القبط، كما ترجم له الانجيل وكتب القيامة وغيرها من الكتب الدينية الخاصة بالقبط الى اللغة العربية. وكان الأصبغ يحرص أشد الحرص على قراءتها، لينظر هل يشتمون فيها المسلمين ام لا. واستمر الأصبغ على موقفه العدائى من القبط[1].

وجد الملكانيون المخالفون للعقيدة الأرثوذكسية الفرصة سانحة أمامهم للايقاع بخصومهم فقدموا كل مساعدة ممكنة للأصبغ للايقاع بالقبط، وحرضوه على رهبانهم، وذهبوا الى أنهم يمتلكون أموالا وأملاكا كثيرة. فأمر الأصبغ باحصاء الرهبان فى جميع أنحاء البلاد المصرية، وفرض عليهم الجزية لأول مرة فى مصر الاسلامية، ومنع الأديرة من قبول رهبان جدد، كما ألزم الاساقفة فى مختلف الأقاليم بدفع ألفى دينار، زيادة عن خراج وساياهم.. وأمام هذه الشدائد اضطر كثير من القبط، الى ترك دينهم المسيحى واعتناق الاسلام[2].

(١) المصدر نفسه، ص ١٠٦ جـ٢.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٧، ١٠٨ جـ٢.

مفتوحا. فلما وصلو الى الدير بالغداه وقفو على باب قلايته فوجدوه قايما وقد خرج ليغلق الباب خلف اولاده، وقد مضو ليملو الما، فبهتو ونظر بعضهم الى بعض قايلين: قد تم ما قلناه ونظر اليهم المتمسك بالطهر والاتضاع سجد لهم وسلم عليهم ودخل بهم الى قلايته بسرعه. فلما سارو داخل بيته ضربو بيدهم اليه وطرحو القيد الحديد في رجليه وقالو له : انت بالحقيقه مستحق البطريركيه. فبدا ان يبكى بكا عظيما ويقول: ما

وتعرض القبط أيضا لبعض المضايقات في ولاية عبدالله بن عبدالملك الذى ولى مصر بعد عبدالعزيز بن مروان (٨٦ ـ ٩٠هـ = ٧٠٥ ـ ٧٠٩م) فقد انتهج هذا الوالى سياسة اضطهاد القبط، ولجأ أحيانا الى وسائل التعذيب، والى القتل أحيانا أخرى[١]. وتصف بتشر[٢] فترة حكم هذا الوالى، بأنها فترة شؤم، عانى القبط منها، فى حين كانوا ينتظرون منه العدل والانصاف، ولكنه خيب ظنهم.

جرت العادة ـ كما ذكرنا ـ على أن يخرج البطرك من الاسكندرية. الى الفسطاط، للسلام على الوالي الجديد وتهنئته. فلما ولى عبدالله ولاية مصر، خرج اليه البطرك الاكسندروس لتهنئته بامارة مصر والسلام عليه. ففرض عبدالله على البطرك غرامة مالية قدرها ثلاثة آلاف دينار، وسلمه لأحد حجابه، وأمره باهانته والتضييق عليه، حتى يسدد هذه الغرامة[٣]. وحاول القبط تخفيض مقدار هذه الغرامة، ولكن دون جدوى. وانتشر القلق بين عامة القبط والرهبان والاساقفة، حتى اضطر أحد الشمامسة أن يطلب من الوالي عبدالله، ان يسلمه البطرك،

---

(١) المصدر نفسه، ص ١١٣ وما بعدها جـ ٢.
(٢) تاريخ الأمة القبطية، م٣، ص١٧٢.
(٣) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، ص ١١٤ وما بعدها جـ ٢.

ربح رجل ناقص يدخل تحت هذا النيــر العظيم. فعزوه وطيبو قلبه، واجتمعو فى البيعه واخدو السراير المقدسه، لانه كان عيد الملاك ميخايل التانى عشر من هتور. وتبارك من الابا القديسين وسالهم ان يدعو له وان يتم الله سعيه، فدعو له وباركو عليه جميعا من عمق قلوبهم، وودعوه باكين لانهم عدمو من ديرهم انسانا قديسا فيه روح الله، فلما سارو ووصلو ظهر الصخره وهو معهم سمعو صوتا خلفه قايلا: الرب يصحبك يا

ليتجول به فى مدن الوجه البحرى لجمع المبلغ المطلوب من القبط ورؤسائهم فى هذه البلاد واستجاب الوالى لطلب الشماس وانتهى الأمر، بأن سدد البطرك الغرامة المالية[1].

وكان عبدالله يأمر أعوانه. بأن يجمعوا له الأساقفة والرهبان، فيسخر منهم. ويسمعهم ما لا يحبون، وكان يقول لهم: «أنتم عندى مثل الرومان. ومن قتل منكم واحدا، غفر الله له، لأنكم اعداء الله»[2].

وبعد عبدالله، تولى حكم مصر، من هو أشد منه قسوة، فقاسى القبط فى عهده كثيرا من الشدائد، وهو الوالى قرة بن شريك (٩٠ ـ ٩٦هـ = ٧٠٩ ـ ٧١٥م) الذى أساء معاملة القبط، وسجن كثيرا منهم، كما ضيق على البيع والرهبان[3].

حدث عندما قدم قرة بن شريك الى مصر، أن خرج البطرك الاكسندروس ـ كما جرت العادة ـ للسلام عليه وتهنئته. ولكن قرة بن شريك ألزمه بدفع غرامة مالية قدرها ثلاثة آلاف دينار، كما دفع من قبل لسلفه عبدالله. وأصر قرة على طلبه، على الرغم من أن البطرك أكد

---

(١) المصدر نفسه، ص ١١٦ وما بعدها جـ ٢.
(٢) المصدر نفسه، ص ١١٦ وما بعدها جـ ٢.
(٣) المصدر نفسه، ص ١١٩ وما بعدها جـ ٢.

يوساب ويقويك لتصبر على البلايا التى تحل بك وبها تنال اكليل الحياه. فلما سمع القديس والذين معه هذا الصوت العظيم ولم ينظرو احد تعجبو وبهتو وعلمو ان سوف تناله تجارب عظيمه واحزان شديده.

ووصلو الى مدينة اسكندريه، فلما سمع الجمع خرجو للقاهم متهللين ممجدين الله، فعرفوهم ما جرى لهم في الطريق وكيف وجدو باب قلايته مفتوحا، واخدهم اياه والصوت الذى سمعوه

له، أنه لا يمتلك منها شيئا، بل انه لا يقدر على أداء خراج الكنائس، وأنه انما جمع المبلغ الذى دفعه لسلفه من عامة القبط وغيرهم(١).

اضطر البطرك أمام اصرار والى مصر على دفع الغرامة التى حددها، الى التجول ثانية فى مدن وقرى الصعيد، ليجمع من القبط ما يقدرون على دفعه اليه. وقد رحب به شعب الصعيد ترحيبا كبيرا، لأنه البطرك الوحيد الذى زار الصعيد منذ عهد بنيامين وتمكن البطرك من دفع ألف دينار لقرة بن شريك، بعد سنتين، لحقه فيها كثير من الضيق(٢).

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٢٣ جـ٢. وما بعدها. ويذكر ساويرس أن البطرك الأكسندروس قال لقرة بن شريك عندما طالبه بالمال: «شرعنا يأمرنا أن لا يكون لنا قنية. ولا نكنز ذهب ولا فضة، بل تصرف حاجة يوم بيوم، لما نحتاجه من الكلف للفقراء والمحتاجين. وانما فعل بى عبدالله ما فعل بسعاية الناس السوء، حتى كلفنى وألزمنى ثلاث ألاف دينار. ولم يوجد معى منها شيء. حتى أخرجنى الى البلاد، كالمكدى اتصدق. حتى وفق الله لى. ما طيب به نفسى. وعليّ الى الآن خمسمائة دينار، فمن أين يكون معى شيء». وامتنع البطرك أن يقسم على الا يوجد عنده أموال.

(٢) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، ص١٢٣ وما بعدها جـ٢. ويقص أنه من سوء حظ هذا البطرك ان عثر راهبان. على خمسة كيزان نحاس مملوءة مالا من سكة الرومان. فأخفيا واحدا منها لهما، وأعطيا الأربعة الاخرى لأبيهما. وقد بادر بدوره الى ارسال هذه الأموال الى البطرك ليدفع منها الغرامة المطلوبة منه، فتسلمها وكيل البطرك الاكسندروس وكاتبه نيابة عنه فى أثناء تغيبه فى بلاد الصعيد. =

خلفهم عند طريق الشاروبيم ظهر الصخر. فمجدوا الله صانع العجايب وحده فى كل حين.

واعلموا الامير والى اسكندريه، وكان اسمه عبدالله بن يزيد، بوصولهم بهذا القديس لياخذو رايه قبل قسمته وامره كما جرت العادة فى كل زمان. فامتنع الوالى ولم يمكنهم من ذلك وقال: اسحق بن اندونه الذى من مصر انفذ الى ووعدنى بالف دينار اذا جلس على هذا الكرسى، فان كنتم قد اخترتم هذا فادفعو لى ما قد وعدنى به اسحق.

ولم تنته المضايقات التى سببها والى مصر قرة بن شريك للبطرك القبطى الاكسندروس عند هذا الحد. اذ ما لبث أن أوقع بعض المغرضين بالبطرك، فقد أبلغوا قرة بن شريك بأن لدى هذا البطرك من يضربون له الدنانير. فقبض قرة على البطرك وأغلق البطركية، وعاقب البطرك وأصحابه أشد عقوبة. ولما ثبت بطلان هذه السعاية وكذبها، أطلق سراحهم، وأمر بفتح البطركية[1].

ثم حدث بعد ذلك، أن ثار كهنة الاسكندرية وقبطها على البطرك، وألزموه بدفع رسوم مالية لهم، الا أنه لم يكن لديه الأموال الكافية للاستجابة لطلبهم، فأساءوا اليه وأهانوه، وحاول البطرك الدفاع عن نفسه، فقال لهم، ان أموال الكنائس قد نهبها الوالى قرة بن

= وحدث بعد ذلك أن ترك الراهبان الرهبنة، ولبسا لباسا فاخرا، مما لفت اليهما الأنظار. واضطر أحدهما الى الاعتراف بحقيقة الامر. فوصل الخبر الى الوالى قرة بن شريك فأمر بغلق الابسقوبية ــ الدار البطركية ــ والاستيلاء على ما فيها وفى غيرها من البيع من الأوانى والذهب والفضة والكتب. وأساء الى أصحاب البطرك، فأخذ أربعة الكيزان المذكورة. كما أحضر البطرك من الصعيد، وأراد قتله، الا أنه طرحه فى السجن وهو مكبل بالحديد، وبعد سبعة أيام أفرج عنه، وألزمه فى الوقت نفسه بدفع الغرامة المطلوبة منه.

(١) المصدر نفسه، ص ١٢٩ جـ٢.

ومنعهم من قسمته اياما وكانو الابا الاساقفه ملازمين داره طالبين منه متضرعين فى تمكينهم، وهو لا يفعل لمحبته فى المال. فاجتمعو الاساقفه الذين من المشرق وقالو له: ليس نحن تحت سلطانك فان لم تمكنا والا مضينا الى فسطاط مصر ونقسمه هناك. فلما نظر ثباتهم وانهم يفعلون ما ذكروه فاذن لهم، فاجتمعو الى بيعة مرقس الانجيلى على ما جرت به العاده فى احد وعشرين يوما من هتور سنة خمس مايه وسبع واربعين

شريك، حتى انهم أصبحوا فى القداس يستخدمون كاسات من الزجاج بدلا من الكاسات الذهبية والفضية[1].

وكان الوالى أسامة بن زيد (٩٦ ـ ٩٩ هـ = ٧١٥ ـ ٧١٨م) أشد قسوة ممن سبقه من ولاة مصر فى العصر الأموى، كما كان أبغضهم للقبط خاصة، فقد أمر بعدم ترهب أى راهب جديد، وأحصى الرهبان فى مصر، وأمر أن يوسم كل واحد منهم بحلقة حديدية، توضع فى يده اليسرى، وعليها اسم بيعته وديره، وألا ينقش الصليب على هذه الحلقة وأن يكون التاريخ المسجل على الحلقة هو التاريخ الهجرى (سنة ٩٦هـ) وعاقب الوالى الرهبان الذين خالفوا هذه الأوامر، عقابا شديدا، وصل الى حد القتل أحيانا[2].

وكان أسامة بن زيد، مثله مثل بعض الولاة، حريصا على جمع المال بأية وسيلة فأمر عماله بالاستيلاء على بعض الممتلكات. وكان يقول لعماله: «سلمت لكم أنفس الناس، فاحملوا القماش والمال والبهائم، وكل ما تجدونه لهم، ولا تراعوا أحدا، وأى موضع نزلتموه، فانهبوه»[3].

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٣١ جـ٢.

(٢) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، ص ١٥٣ جـ٢ ، المقريزى: الخطط، جـ٤، ص٣٩٥.

(٣) ابن المقفع: المصدر السابق، ص ١٥٥ جـ٢. ابن العميد، المصدر السابق، ص٦٩ ويقول ابن المقفع:=

للشـهـدا وكـملو الصـلاة على الهيكل وبـدو ان يصـعدو الى الرتبه البطركيه يباركون ويمجدون الله.

والان فاريد هاهنا ان اذكر سيرته منذ صباه ذلك الطوبانى القديس ليمجد الله كلمن سمعها قبل ان اذكر تمام قسمته وما جرى عليه من الشدايد وصبره عليها.

وهذا القديس من ابا[ء] اخيار مشهورين من مدينة منوف العليا معروفين من مقدمى مصر، فلما ماتو بقى القديس يتيما فنظره انسان ارخن محب

وطلب أسامة من الرهبان ألف دينار، وأغلق أبواب البيع. كما طلب من رؤسائهم دينارا عن كل واحد منهم، وعذبهم فى سبيل أداء ذلك. وهددهم بهدم جميع الكنائس والاديرة فى مصر. وانتهت هذه المظالم بنهاية عهد أسامة، فقد توفى الخليفة الأموى سليمان بن عبدالملك، وولى الخلافة عمر بن عبدالعزيز الذى عزل أسامة عن حكم مصر[1] (فى سنة ٩٩هـ = ٧١٨م).

ورغم ما نعرفه من تسامح وعدل عمر بن عبدالعزيز، فان أهل الذمة عامة، والقبط منهم خاصة، تعرضوا فى عهده للمضايقات. فقد نهى عن استخدامهم فى الادارة وأعمال الحكومة ـ كما ذكرنا آنفا ـ وكتب الى ولاته، أن من أراد أن يستمر فى الاقامة فى العمل بالدواوين، فعليه اعتناق الاسلام[2]. كما شدد عليهم فى الملبس والركوب.

وأبدى ساويرس حيرته، من أوامر عمر بن عبدالعزيز، فهو يأمر دائما ولاته بالعدل والرحمة والتسامح، وقام بكثير من الاصلاحات التى عادت بالفائدة على المسلمين والذميين ورفع

= المصدر نفسه والصفحة ـ ان عماله كانوا تنفيذا لأوامره يقلعون الأعمدة والأخشاب. ويبيعون ما يساوى عشرة دنانير بدينار.

(١) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، ص ١٦١ جـ٢، ابن العميد: تاريخ المسلمين، ص ٦٩.

(٢) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، ص ١٦٣جـ٢.

الله كان متولى كورة مصر اسمه تادرس من اهل نقيوس وهو يتيم، فاخذه اليه ليصيره له ولدا محبة للمسيح لعظم جنسه. واقام عنده مدة طويله ففكر في نفسه وقال: هو دا انا اليوم يتيم وما لى اجود من البريه المقدسه، فهي دار اليتاما. فمضى الى الريس الذى هو عنده وقد رباه وساله بتواضع ان يفسح له في المسير الى البريه المقدسه، فقال له: يا ولدى انت من جنس جيد وتربيت في نعمه، فيلحقك تعب في البريه ولا تقدر على شقاها. فلم يمكنه من الخروج وانفده الى مدينة اسكندريه الى

الخراج عن الكنيسة والأساقفة. ولكن الخليفة في الوقت نفسه يدعو أهل الذمة الى اعتناق الاسلام، ويشجع على اعتناقه برفع الجزية عمن أسلم من الذميين ويضيفها على من يبقى على دينه. وعليه يشبهه ساويرس بالدجال، ويقول: ذلك لأنه يصنع خيرا كثيرا أمام الناس ويفعل السوء أمام الله[١].

ثم ولى الخلافة يزيد بن عبدالملك بعد وفاة عمر بن عبدالعزيز (١٠١ ـ ١٠٥هـ = ٧١٩ ـ ٧٢٣م) وكان شديد العداء للذميين، وخاصة القبط، الذين عانوا الكثير من الشدائد في عهده. وأمر يزيد (في سنة ١٠٤هـ) بكسر الصلبان. وازالة الصور من البيع في مختلف أرجاء الدولة الاسلامية[٢].

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٦٢ جـ٢.

(٢) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، ص ١٦٥ جـ٢. أبن العميد: تاريخ المسلمين، ص٧٠، المقريزى: الخطط، جـ٤، ص٣٩٥. ويجدر بنا الاشارة الى أن الامبراطور البيزنطى ليو الأيسورى، أصدر قرارا بحظر الصور والتماثيل الدينية، كما فعل الخليفة يزيد بن عبدالملك، ولكن قرار الامبراطور كان في سنة ١٠٨هـ ٧٢٦م. انظر سيدة كاشف: مصر في فجر الاسلام، ص ٢٠٢.

ويشير المقريزى ـ الخطط، جـ٤، ص٣٩٧ ـ الى أنه في بطركية قسما أمر امبراطور الرومان نوفيل بن خائيل سنة ٢٤٤هـ بمحو الصور من الكنائس. لأنه سمع أن قيم كنيسة عمل في صورة مريم شبه ثدى، يخرج منه لبن في يوم عيدها. واتخذ ذلك وسيلة لجمع المال. فقتل هذا القيم، وأمر بمحو الصور من=

الاب البطرك انبا مرقس وكتب اليه كتابا يذكر فيه له قصة حاله وسلمه اليه مثل الوديعه.

ففرح به القديس مرقس وسلمه الى انسان شماس كان له [رعاية] ولد [أولاد] القلاية يومئذ وكان عالما ليعلمه الكتابة بلغة اليونانى(*). وكانت معونة الله معه ولا تدعه ان ينسى ما كان اراده من المضى الى الديارات. فلما اقام عند الاب القديس انبا مرقس اياما قلايل ضرب له المطانوه وساله ان ينفده الى الجبل المقدس، فنظر شهوته واظهر الله

(*) من الواضح أن تعليم اللغة اليونانية كان سببه أن معظم التراث الدينى المسيحى فى هذا الوقت كان مكتوب بها.

أما الخليفة هشام بن عبدالملك (١٠٥ ـ ١٢٦هـ = ٧٢٣ ـ ٧٤٤م) فقد أبدى عطفه، وبسط رعايته على القبط الأرثوذكس فى مصر. وكان يحرص على أن يراعى فى معاملتهم شروط العهد التى منحها عمرو بن العاص للقبط بعد الفتح العربى. وولى الخليفة عبيدالله بن الحبحاب على خراج مصر، وأوصاه بالقبط وغيرهم من المصريين(١). ولكن هذا الوالى، لم ينفذ أوامر الخليفة ووصاياه. فحينما قدم عبيدالله الى مصر، أوقع الظلم على القبط وغيرهم من أهل الذمة فى مصر. وأمر بوسم جميع القبط على أيديهم، بعلامة صورة الأسد، وقطع يد من لم ينفذ هذا الأمر. الا أن البطرك الاكسندروس امتنع عن ذلك، وأصر على الخروج الى

= الكنائس، وكتب ذلك الى قسما بطريرك القبط فى مصر، ولكنه ما لبث أن سمح باعادة الصور الى الكنائس ثانية.

(١) ابن العميد: تاريخ المسلمين، ص٧٠. ويقول أنه ولى عبدالله ابن صفوان. فى حين يسميه ساويرس عبيدالله، فقط، انظر: تاريخ البطاركة، ص ١٦١ جـ١ . ويقول المقريزى: ان الوالى المذكور هو حنظلة بن صفوان. الخطط، جـ٤، ص٣٩٥ ـ ونرى أن الأصح هو عبيدالله بن الحبحاب الذى ولاه الخليفة على خراج مصر (١٠٥ ـ ١١٦ هـ = ٧٢٣ ـ ٧٣٤م) فى حين كان حنظلة بن صفوان يلى أمرة مصر منذ سنة ١٠٢هـ = ٧٢٠م. ثم عزله هشام وجعل مكانه محمد بن عبدالملك، فى سنة ١٠٥هـ = ٧٢٣م. انظر سيدة كاشف: مصر فى فجر الاسلام، ص٣٧٠ (جدول بأسماء الولاة وعمال الخراج) ويذكر ساويرس أن الخليفة هشام كان ينتهج السياسة نفسها بالنسبة للمسيحيين الأرثوذكس فى بلاد الشام، وكان يقرب اليه بطركهم أثناسيوس. كما كان يقدم له الكثير من الأموال للكنائس والأديرة.

له ما يجده الصبى من النعمه فانفذه سريعا الى دير ابى مقار الى عند قس قديس اغومنس اسمه بولا، وكان يتعجب الناس من سيرته وان الله يظهر له اسرارا ونبوات، فلما نظر الى الصبى فرح به جدا وبحسن طريقته وتواضعه.

ولم يزل يغديه بالتعاليم المقدسه التى للابا الرهبان لاسيما لما نظر طريقته، وكان يبارك عليه ليلا ونهارا فاستحق ان يصير شماسا.

وبعد قليل استحق ان يكون قسا بيد الاب انبا مرقس البطرك.

الفسطاط لمقابلة والى مصر، لعله يعفيه من الوسم. ولكن عبيدالله أصر على ضرورة وسمه أسوة بجميع قبط مصر. وأصر البطرك على موقفه، ولم ينقذه من تنفيذ الأمر سوى وفاته(١).

والزم هذا الوالى أنبا صمول أسقف وسيم(٢) بدفع ألف دينار غرامة لبيت المال الا أنه كان فقيرا، ولا يصل الى قوت يومه. والتمس من الوالى اعفاءه من الغرامة، فأمر الوالى الشرطة بالقبض عليه، وسلمته الشرطة لنفر من البربر، ألحقوا به صنوفا مختلفة من العذاب، حتى جمع له القبط، ثلاثمائة دينار، قدمها للوالى، فأفرج عنه، بعد أن أوشك على الموت(٣).

والحقيقة التاريخية، أن المصريين الذين اسلموا نالوا من مظالم هذا الوالى الأموى، ما ناله القبط أيضا وكان عبيدالله بن الحبحاب عامل الخراج (١٠٥ ـ ١١٦هـ) يتبع سياسة ظالمة نحو أهالي مصر على اختلاف أديانهم. وتقدم بعض المسلمين، بشكواهم الى الخليفة هشام بن

---

(١) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، ص ١٧٤ وما بعدها جـ٢.

(٢) أوسيم قرية على بعد ميل من الفسطاط فى الطريق الى الجيزة. انظر: ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ٢٠، ص٢٧٧.

(٣) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، ص ١٧٧ وما بعدها جـ٢. ويذكر أن سبب ذلك هو اتهام أنبا صمويل بتحريضه البطرك على ألا يقبل الوسم، وأشار عليه بالهروب الى الاسكندرية. وعليه طلب من عبيدالله مهلة ثلاثة أيام حتى يفكر فى الأمر، وبذلك يتمكن من الخروج الى الاسكندرية سرا. ولكن البطرك مات فى الطريق قبل وصوله الاسكندرية.

ولما كبر هذا الاغومنس بولس اعتل عللا مختلفه وكان هذا القديس يخدمه النهار والليل برجا وامانه لينال بركته. وكان هذا الشيخ يجعل يده على راسه ويباركه بركات عظيمه لا تحصى، فلما قربت وفاته بدا ان يقول للصبى الذى حلت روحه عليه: يا يوساب هو ذا الرب قد انعم عليك بنعمه وميراثه لترثه. ثم قال مثل قول الرب لبطرس: وانت ايضا ارجع زمانا وثبت اخوتك الذين هم قد صارو مشاركين لك فى تعب هذه الخدمه وقدمهم كهنه. وكان له اولاد عنده

عبدالملك الذى بادر بعزله عن خراج مصر، وجعل مكانه ابنه القاسم عبيدالله، الذى كان أكثر ظلما وقسوة من أبيه(١).

وتعرض القبط والبطرك أنبا خايال أيضا فى ولاية حفص ابن الوليد، لكثير من المضايقات ورأى بعض القبط الأرثوذكس الخلاص منها، اما بالهجرة من القطر المصرى أو باعتناق الاسلام. وبلغ عدد من من اعتنق الاسلام منهم، أربعة وعشرين ألف قبطى. وأبدى البطرك ألمه وأسفه لهذه الأحداث. ولكن هذه المضايقات، انتهت بنهاية ولاية حفص بن الوليد(٢).

نعمت مصر، بعد ذلك، بالهدوء والأمن فى ولاية حسان بن عتاهية (سنة ١٢٧هـ ـ ٧٤٥م) الذى بسط رعايته وحمايته على البيع والأساقفة والرهبان. وكان دائما على علاقة طيبة مع البطرك أنبا خايال. وقد انتهج من جاء بعده من الولاة هذه السياسة نفسها، حتى اذا ولى حكم مصر عبدالملك بن مروان فى (سنة ١٣٢هـ ـ ٧٥١م) ـ فى عهد الخليفة مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين ـ عانى القبط كثير من المضايقات، ذلك أن عبدالملك كان

(١) المصدر نفسه، ص ١٩٦ جـ٢.

ويشبه ساويرس ذلك بما جاء فى الانجيل: «ان كل شجرة رديئة تثمر ثمرة رديئة».

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٦٦ وما بعدها جـ٢. السنكسار، جـ٢، ص٣٤.

يخدمونه [و] غيره فتم قوله عند جلوسه على الكرسى واستحقو هولايك الاخوه له فى الخدمة النعمه الشماسيه والقسيسيه مدة فى بيعة القديس ابى مقار. وذكرت هذا ليكون منفعه لكلمن سمعه من الاولاد الرهبان ليعلمو ان الله يصطفى من يخدمه بنية صادقه.

والان فاعود الى بقية خبر هذا القديس الاب الجليل انبا يوساب. لما جلس على الكرسى الانجيلى

شديد الكراهية للقبط. وتفرغ عبدالملك لجمع أكبر قدر من الذهب والفضة وغيرهما. ليبعثها الى الخليفة(١).

واعتقل عبدالملك البطرك. وبعض الأساقفة، وأساء معاملتهم، كما اعتقل أيضا ثلاثمائة رجل وامرأة، وألقاهم جميعا فى السجن(٢). وبعد عدة أيام، استدعى عبدالملك اليه البطرك، وطلب منه دفع خراج البيع، وشدد فى التضييق عليه، فطلب البطرك من الوالى اطلاق سبيله، ليتجول فى مدن وقرى الصعيد، ليجمع الأموال المطلوبة منه، فكان ذلك. ثم أطلق عبدالملك سراح البطرك بعد أن قدم له الأموال التى جمعها من القبط(٣).

وحدث أن اعتقل عبدالملك البطرك مرة ثانية، مما أثار غضب ملك النوبة كرياكوس وجهز فرقة من الجند، ليتقدم بها الى مصر، لقتال عبدالملك، وليرغمه على أن يطلق سراح البطرك حتى أنه وصل إلى بركة الحبش جنوب الفسطاط، مما أثار مخاوف عبدالملك، فأطلق سراح البطرك، وعهد اليه بتحسين العلاقة بينه وبين ملك النوبة(٤).

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٧٢.
(٢) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، ص ٣٠٩ وما بعدها جـ٢.، السنكسار، جـ٢، ص٣٤ ـ ٣٥.
(٣) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، ص ٣١٨ وما بعدها جـ٢..
(٤) السنكسار، جـ٢، ص٣٥ وكذلك ساويرس ص ٣٦٣ وما بعدها جـ٢. =

وكانت البيعه ليس لها شي فبدا ان يعمل تذكارات كروما وطواحين ومعاصر للبيعه، فلم يصبر عليه مبغض الخير الشيطان كعادته فاثار حربا عظيما في بداية قسمته في الاعمال التي شرقي مصر وغربيها، حتى انهم كانو ينهبون كل المواضع ويقتلون، وكان حرب عظيم في كل مكان، كما قال عاموس النبي: ان هذا ما قاله الرب الضابط ان يكون نوح [بكاء] في كل موضع. فلما نظر الاب القديس ذلك حزن وسال الرب ان يستر على

تعرض القبط أيضا لبعض المضايقات، في أثناء الصراع بين الأمويين والعباسيين. فلما فر مروان بن محمد ـ آخر الخلفاء الأمويين ـ الى مصر، عاث جنده في البلاد فسادا، ونهبوا رؤساء القبط، وسبوا النساء والأطفال، واستولوا على الأموال. كما هرب كثير من القسس والرهبان خوفا من بطش مروان وجنده(1).

واعتقل مروان البطرك اليعقوبي أنبا خايال، والبطرك الملكاني قزما. ودفع قزما مبلغا من المال، فأطلق مروان سراحه، في حين بقي أنبا خايال في معتقله يقاسي العذاب، وتردد مروان في قتله. ثم قال: «ما فائدتنا في قتل هذا الشيخ، وقد كان منع البشامرة عن قتالنا، وكتب اليهم فما قبلوا منه. لكن نحمله معنا، ونجعله أيضا يكتب لهم، ويقول: ان كل ما حل به لأجلكم»(2).

Quatrémere: Mémoire Géographiques et histoiriques sur l'Egypte, T. 2, pp. 56-57. et. = Fowler: Chris-tian Egypt, p. 61. and. Sanley Lane-Poole: A history of Egypt in the Middle ages, p. 27.

(1) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، ص ٣٩٧ وما بعدها جـ٢..
(2) المصدر نفسه، ص ٣٩٨ وما بعدها جـ ٢.

البيعه ويحفظها والشعب الارتدكسي في كل موضع،ويدعو ويقول كما قال داود في المزمور: يارب أذكر مجمعك الذى كان من البدى ونجيت عصا [سبط] ميراثك،جبل صهيون الذى سكنت فيه، ارفع يدك على كبرياهم [كبرائهم] إلى الأبد لان كثيرة هي الاسوا[ء] التي صنعها العدو.

ولم يفتر الشيطان من اثارة الحروب والقتل. وكان متولي الخراج في ذلك الزمان رجلان،

ولما وصل جيش أبي مسلم الخراساني الى مصر، هرب جند مروان الى الصعيد. وهناك قتلوا كثيرا من القبط، ونهبوا أموالهم، وسبوا نساءهم وأطفالهم، وأحرقوا الديارات بمن فيها من الرهبان والراهبات[1]. ويشير بعض المؤرخين الى أن جند مروان كانت تدخل مدن الصعيد، فتقتل كثيرا من أهلها، وتهدم ما بها من الكنائس[2].

وفي الحقيقة تعرض القبط جميعا وبطركهم أنبا خايال، خلال تواجد مروان بن محمد في مصر، لشدائد عظيمة، فقد أراد مروان قتل البطرك عدة مرات، ولكنه كان في كل مرة يتراجع عن قتله وقد انتقل مروان وبعض جنده الى الجيزة عندما وصل الجيش العباسي، ومروا في أثناء ذلك على دير راهبات، فأسروهن جميعا[3].

(١) المصدر نفسه، ص ٤٠٢ جـ٢، ابن العميد: تاريخ المسلمين، ص٩٩.
المقريزى: الخطط، جـ٤، ص٢٩٥.

(٢) أبو صالح الأرمني، ص٩٨.
ويذكر من بين هذه المدن مدينة طما ويبلغ عدد سكانها خمسة عشر ألف قبطي، وليس بينهم يهودى واحد. وكان لهم ست وثلاثون كنيسة. وقد أرسل مروان بن محمد فرقه من الجند، قتلت الكثير من أهل طما، وشردت آخرين. كما هدمت الكنائس ما عدا كنيسة أبى مينا، في نظير تأدية ثلاثة آلاف دينار فلم يتمكن القبط الا من أداء ألفي دينار، فأصبح ثلث الكنيسة مسجدا للمسلمين.

(٣) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، ص ٤٠٣ وما بعدها جـ٢. ابن العميد تاريخ المسلمين، ص٩٩.

احدهما اسمه احمد بن الاسبط، والاخر إبراهيم بن تميم. هذان مع ما كانو الناس عليه من البلايا لا يدعان طلب الخراج بغير رحمه، وكانو الناس في ضيق زايد لا يحصى. اصعب ما عليهم ما يطلبه منهم متوليا الخراج، وطلب ما لا يقدرون عليه. وبعد هذا انزل الله، الكريم باحكامه الحق، غلا عظيما على كورة مصر حتى ان القمح بلغ خمس ويبات بدينار. ومات بالجوع خلق كثير من النسا والاطفال والصبيان والشيوخ والشبان ومن

ولما تغلب العباسيون على الخليفة مروان بن محمد في مصر، وقامت الخلافة العباسية، أطلق العباسيون سراح البطرك، ومن معه من المعتقلين. وقد أحسن الجند العباسيون للقبط وبطركهم، وطلبوا من كل قبطى أن يعلق صليبا من الذهب أو الفضة أو النحاس على جبهته وعلى ثوبه بل وعلى باب بيته، حتى يمكن التعرف عليهم دون غيرهم من المصريين، لتوفير الحماية لهم[1]. ومع ذلك ما لبث أن ضوعفت الجزية والخراج على المصريين. فلما تقدم البطرك بالشكوى، قيل له: ان هذا أمر من الخليفة لأنه علم أن أهل مصر اذا وجدوا راحة سنة واحدة، نافقوا وحاربوا، كما حارب البشامرة مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين[2].

والواقع، أنه كما تعرض أهل الذمة ـ وخاصة القبط ـ للمضايقات فى فترات معينة طوال العصر الأموى، تعرضوا أيضا لبعض الشدائد فى عهد الخلافة العباسية فى بعض الفترات. نذكر منها، فترة النزاع بين الأمين والمأمون على الخلافة ـ رغم أن المصريين لم يكن لهم أى شأن في ذلك ـ ، بعد وفاة أبيهما هارون الرشيد (١٩٣هـ ـ ٨٠٩م) وما صاحب ذلك من تنافس بين الزعماء على الرئاسة ومناطق النفوذ فى مصر وانقسمت البلاد المصرية بين الزعماء

(١) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، ص ٤٥٦ جـ٢.
(٢) المصدر نفسه، ص ٤٦٥ وما بعدها جـ ٢.

جـمـيع النـاس مـا لا يحـصـى عـدده، مـن شـدة الجوع.

وكان متولى الخراج يوذى الناس فى كل مكان واكثر النصارى البشموريين كانوا يعذبونهم بعذاب شديد مثل بنى اسرايل. الى ان باعـو اولادهم فى الخراج من كثر العذاب.

لانهم كـانو يربطونهم فى الطواحين بدلا من الدواب ويضربونهم حتى يطحنوا مثل الدواب.

المتنافسين من العرب، فصار لعبدالعزيز الجروى شرقى الدلتا، فى حين ساد نفوذ السرى بن الحكم من مصر الى أسوان. أما قبيلتا لخم وجذام، فقد سيطرتا على غربى مصر، والاسكندرية ومريوط والبحيرة وأعمالها، وضيقوا على أهالى الاسكندرية[١] وكل أهالى مصر.

وخلال هذه الاضطرابات نزلت جماعة من القراصنة الأندلسيين فى مدينة الاسكندرية، وجاءوا بأعداد ضخمة من الرقيق والسبى. وكانوا يبيعونهم فى أسواق الاسكندرية، واشترى منهم البطرك اليعقوبى مرقص، حوالى ستة آلاف، من بينهم رهبان وقسس وشمامسة ونساء وأطفال، وقد أعتقهم البطرك مرقص، وجعل لهم حرية البقاء فى مصر أو الخروج الى بلادهم فاذا اختاروا مغادرة البلاد، كان يدفع لهم نفقات الرحيل حتى يبلغوا بلادهم[٢]. ويبدو أن الأندلسيين، كانوا يطردون سكان الاسكندرية من ديارهم، سواء من القبط أو اليهود ـ ويسكنون فيها[٣].

طمع الأندلسيون فى السيطرة على مدينة الاسكندرية. فحاربوا قبيلتى لخم وجذام وقتل فى

---

(١) المصدر نفسه، ص ٦٨٠ جـ٢.

(2) Chronique de Michel Le Syrien, T. 3, fasc. I, pp. 23-24.

(٣) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، ص ٦٨١ وما بعدها جـ٢..

وكان الذى يعذبهم رجلا اسمه غيث. وتمادت عليهم الايام وانتهو الى الموت، فلما نظرو اهل البشموريين ان ليس لهم موضع يخرجون منه وموضعهم لا يقدر عسكر يسلكه لكثرة الوحلات فيه وما يعرف طرقه الاهم، فبدو أن ينافقو ويمتنعو ان يدفعو خراجا واتفقو وتامرو على ذلك.

وكان الملك فى ذلك الوقت عبد الله المامون ابن هرون الرشيد، ولما انتهى اليه حال مصر وما

أثناء ذلك كثير من أهالى الاسكندرية، سواء من القبط أو اليهود أو المسلمين. كما أحرقت معظم أحياء المدينة، وكثير من الكنائس. وعاث الأندلسيون فى المدينة نهبا وسلبا. وقتلا وتخريبا، مما اضطر البطرك مرقص الى مغادرة الاسكندرية، وقضى خمس سنوات فى ضيق وعذاب(١). وتمكن أحد رؤساء القبط ويسمى مقارة بن ثابت النبراوى ـ من أهل سمنود ـ من الحصول، من عبدالعزيز الجروى على تصريح، يسمح فيه للبطرك، بالقدوم الى نبروه فى أمن وسلام(٢). وبالرغم من ذلك واصل البطرك اهتمامه ببيع الاسكندرية، وبيعة أبى مينا بمريوط(٣).

---

(1) Chronic de Michel, T. 3, fasc. I, p. 60.

(٢) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، ص ٦٩٣ وما بعدها جـ٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٧٠٣ جـ٢، حاول عبدالعزيز الجروى أن يتدخل فى تعيين البطرك الجديد بعد وفاة الأب مرقص ورفض القبط هذا التدخل، وعينوا البطرك يعقوب. فغضب لذلك عبدالعزيز الجروى، وأقسم بضرورة قتل الأساقفة، وتخريب ما بقى من كنائس مصر اذا لم يسلم يعقوب نفسه، ولكنه توفى قبل أن يصله البطرك يعقوب. انظر بتشر: تاريخ الأمة القبطية، م٢، ص٢٢٠. ويذكر ساويرس أن سبب العداء بين البطرك يعقوب وبين عبدالعزيز الجروى، أن الأخير طلب من البطرك تعيين أحد الأشخاص أسقفا فرفض البطرك لمخالفة ذلك للقوانين الكنسية. فغضب عبدالعزيز وطلب البطرك اليه، وهدده اذا رفض قبوله. ولكن لم يتم ذلك لوفاة عبدالعزيز الجروى. انظر: ساويرس: ص ٧٧٤ جـ٢.

فعلوه المتغلبون والمتولون، انفذ اليهم عسكرا مقدمه امير اسمه الافشين فقتل الذين نافقو [البشمور] والخوارج من شرقى مصر، الى ان انتهى الى المدينة العظمى اسكندريه فاراد ان يقتل كلمن فيها من اهلها، لانهم مكنو العدو من الدخول الى مدينتهم فمنعه الله من ذلك لاجل دموع المومنين وصلاة البطرك انبا يوساب.

وكان الأفشين يقتل حتى الابريا بجريرة

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد تعرض الرهبان فى برية شيهات[١]، لكثير من الأذى والارهاب، من العرب القاطنين فى الصحراء. وقد أسر هؤلاء العرب، الرهبان وهدموا البيع والقلالى، فى حين تمكن بعض الرهبان والقسس من الفرار من وجه هؤلاء العرب، وتشتتوا فى كل موضوع من البلاد المصرية[٢].

ويصف أحد المؤرخين هذه الشدائد التى تعرض لها القبط فى مصر عقب وفاة هارون الرشيد اذ اختلف أولاده، وقامت الخوارج وتغلبوا على الاسكندرية ـ يقصد بالخوارج الأندلسيين ـ وقتلوا الكثير، ونهبوا البلاد، وخرج البطرك مرقس من المدينة، وبقى غائبا عنها خمس سنوات وثار المغاربة، وأحرقوا الديارات بوادى هبيب، ونهبوها، ولم يبق بها من الرهبان الا نفر قليل[٣].

---

(١) برية شيهات هو الاسم القبطى لمنطقة أديرة وادى النطرون، ومعناه ميزان القلوب، لأنه مكان عبادة ونسك واصلاح السريرة. كما تسمى هذه المنطقة باسم الاسقيط أى الناسك أو النساك أو محل النسك= = وتسمى أيضا باسم وادى هبيب. انظر الخطط، جـ٤، ص٤١٥، عمر طوسون: وادى النطرون ورهبانه وأديرته، ص٣٩، عبدالمسيح البراموسى: تحفة السائلين، ص٤٤ .

(٢) ساويرس ابن المقفع: مصدر سابق.

(٣) ابن العميد: تاريخ المسلمين، ص١٢٣.

المفسدين الى ان ما بقى احد يراه الا قتله. وقتل جماعه من اراخنه النصارى فى كل موضع. وكان البطرك انبا يوساب حزينا لمشاهدته ذلك، من الوبا والغلا والسيف.

وتمو البشموريون موامرتهم وصنعو لهم سلاحا وحاربو السلطان واحمو نفوسهم ان لا يدفعو خراجا. فكلما يمضى اليهم ليتوسط حالهم قامو عليه وقتلوه.

وتعرض القبط وبطركهم الأب يوساب، أيضا لبعض الشدائد فى خلافة المعتصم (٢١٨ ـ ٢٢٧هـ = ٨٣٧ ـ ٨٤٢م) عندما دفع أحد القبط الطامعين فى أسقفية وسيم، ويسمى تادرس، مبلغا كبيرا من المال، ليأمر البطرك يوساب، بتعيينه أسقفا، الا أن البطرك رفض ذلك، مما أثار حنق الوالى وغضبه. فهدد البطرك بهدم كل كنائس مصر، وبدأ بهدم كنائس الفسطاط[١].

وألزم هذا الوالى أيضا البطرك بدفع غرامة مالية قدرها، ثلاثة آلاف دينار، حتى يوقف عملية التخريب والهدم فأقلق ذلك القبط، الا أنهم ـ وخاصة الكتاب والرؤساء منهم ـ طمأنوا البطرك، ووعدوا الوالى بسداد المبلغ، مما خفف من حدة غضبه.

تداعى أسقف مصر (الفسطاط) أمام القاضى محمد بن عبدالله ضد البطرك يوساب، وكان يساعده فى ذلك بعض الأساقفة. فكان القاضى يستدعى البطرك ـ وهؤلاء القوم مجتمعون عنده ـ ويسمعه كلاما مهينا، الا أن البطرك يوساب، كان يجيب على كلامه فى قوة وشجاعة، ويستشهد فى حديثه بعبارات من الكتاب المقدس. كما أظهر البطرك يوساب.

(١) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة.

لما نظر ابونا البطرك انبا يوساب حزن على اولايك الضعفا لأنهم لا يقدرون على مقاومة السلطان، وانهم باختيارهم اختارو الهلاك لنفوسهم.

فبدا المهتم بخلاص شعبه الامين بالحقيقه وكتب اليهم كتبا مملو خوفا ويذكر لهم ما يحل بهم ليعودو ويندمو ويرجعو عن خلافهم ويدعو [يتركوا] مقاومة السلطان. فلم يرجعو، فلم يفتر

للقاضي واعوانه سجلات من الخلفاء بتأييد حقه في البطركية، وتنصيبه بطركا للقبط في مصر، السجل الذى منحه اياه الخليفة هارون الرشيد، ثم السجل الذى منحه اياه الخليفة المأمون عندما قدم الى مصر، والسجل الآخر كان من الخليفة المعتصم أخي الخليفة هارون الرشيد، ثم إلى السجل الذى منحه أياه الخليفة المأمون الواقع، وصرف البطرك مكرما، معززا(١).

وكان هذا القاضي. يأخذ غلمان البطرك يوساب، القادمين اليه، كهدايا من أفريقية والحبشة والنوبة، ويضطرهم الى اعتناق الاسلام، وترك خدمة البطرك يوساب وكنيسته .

وكانت أشد الفترات قسوة بالنسبة لأهل الذمة، فى العصر العباسي، هو عصر المتوكل على الله، الذى ضيق على الذميين جميعا ـ المسيحيين على اختلاف مذاهبهم واليهود ـ وظهر هذا واضحا في تحديد أشكال الملبس والمسكن، ومنع الخليفة استخدام أهل الذمة في الوظائف، كما منعهم من بناء الكنائس، وأمر بهدم المستحدث منها.

وكان والى مصر آنذاك ـ عبدالمسيح بن اسحق ـ يمقت أهل الذمة من القبط واليهود مقتا

(١) المصدر نفسه، ص٣٠١ وما بعدها.

من مكاتبتهم كل يوم. وكان يكتب اليهم فصولا من الكتب ويقول: قال لسان العطر بولس كلمن يقاوم السلطان فهو يقاوم حدود الله، والذى يقاومه يدان(*).

ولما وصلتهم كتب البطرك مع اساقفته، ونظرو اولايك الاشرار الابا الاساقفه، وثبو عليهم ونهبو كلما معهم، واهانوهم. فعادو الى البطرك وعرفوه ما جرى عليهم فقال: ما يبطى عن

(*) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية ١٣ / ١ ، ٢، ٣ «لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة. لأنه ليس سلطان إلا من الله والسلاطين الكائنة هي مرتبة من الله. حتى إن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونه. فإن =

شديدا، الا أنه «بدأ بالنصارى، وأنزل عليهم بلايا، وأذلهم جدا، بأحزان شتى». فأمر بمحو علامة الصليب، وكسر الموجود منه، وألزمهم بأداء الصلاة والطقوس الدينية بصوت خفي. كما منعهم من الصلاة على أمواتهم، ومن ضرب الناقوس. وحرم النبيذ في جميع أنحاء مصر، فصار القبط يبلون عيدان النرجون بالماء، ويعصرونها، ويجعلونها محل النبيذ فى القربان وعمل القداس(١).

أنزل هذا الوالى، كل ظلم ممكن بأهل الذمة، فأبعدهم عن أعمال الحكومة والدواوين واضطرهم الى صنع ثيابهم، حتى لا يتشبهوا بالمسلمين. وأمرهم بأن يضعوا على أبواب دورهم صورا مفزعة تمثل الشياطين، كما منعهم من ركوب الخيل، ولذا رأى كثير منهم اعتناق الاسلام(٢).

---

(١) المصدر نفسه، وكان القبط يقولون: «انك أسلمتنا فى يد أعداء أثمة منافقين ماردين، وبيد ملك ظالم، أشر من كل من على وجه الأرض. والآن لا نقدر أن نفتح فانا، لأن حزنا وعارا، صار لعبيدك، والذين يعبدونك، ولا تسلمنا لاجل اسمك».

(٢) المصدر نفسه، وكان من بين القبط الذين اعتنقواى الاسلام، قبطى يسمى اصطفن بن أندونه وأهله. وصار يذكر القبط بكل سوء. ويقول انهم كانوا يلبسون ثيابا بدون اكمام مثل الرهبان فى ذلك العصر.

=الحكام ليسوا خوفاً للأعمال الصالحة بل للشريرة.

هولا الهلاك بل يتم عليهم ما قال النبى اشعيا: انى اسلمكم للسيف ويقع جميعكم بالقتل، لانى ناديتكم فلمم تسمعو كلامى وخالفتم وفعلتم الشر امامى.

(*) البطرك يوساب لا يتمكن من كتابة سنوديقا إلى شريكه فى الامانة بطرك انطاكية بسبب ثورات البشمور.

ولاجل هذه البلايا (*)والاحزان المذكورة ما تمكن الاب البطريرك ان يكتب سنوديقا الى شريكه فى الخدمه والامانه بطرك انطاكيه وكان مهتما بذلك اكثر مما ناله من التجارب، فانه لم

وما لبث أن عزل الخليفة المتوكل، هذا الوالى، وجعل ابنه مكانه، ولكنه انتهج سياسة أبيه فى معاملة أهل الذمة، بالقسوة والارهاب(١). وسخر القبط فى اصلاح مراكب الأسطول. مقابل اطعامهم، وبدون أجر.

كما أمر هذا الوالى باحصاء عام للمدن والقرى، وفرض على كل ضيعة، تقديم عدد من الرجال للعمل فى الأسطول. وكان على القبط أن يشتروا من أموالهم، الأدوات والعدة اللازمة لذلك، ومن خالف هذه الأوامر، فرضت عليه غرامة مالية. وكان الوالى يجند أحيانا لهذا العمل الضعفاء الذين ليس لهم قدرة على السير، ولا يعرفون صنعة البحر، فيضطر هؤلاء بدورهم أن ينيبوا عنهم من يقوم بذلك بدلهم، نظير دفع مبلغ من المال لهم.

ولما ولى المنتصر بن المتوكل الخلافة (سنة ٢٤٧هـ ـ ٨٦١م) جعل على خراج مصر أحمد بن مدبر، الذى اشتهر بالقسوة والشدة، وحبه لجمع المال، فأحزن ذلك الأب شنوده بطرك

(١) المصدر نفسه، ويقص لنا بعض العجائب التى هى فى الواقع من صنع الخيال، فلا يعقل مثلا أن تنزف صور مرسومة دما ولا يسيل من عيونهه دموع. ويروى هنا المؤرخ أن سكان وادى هبيب، شاهدوا الدم ينزف من جنب صورة السيد المسيح فى بيعة القديس ساويرس، واستعمل هذا الدم فى شفاء المرضى. وفى رواية أخرى أن جميع صور أديرة وادى هبيب كانت تسيل الدموع من عيونها، بسبب ما أنزله ولاة مصر من ظلم بالقبط. انظر المصدر نفسه، ص .

يجـد راحـه يومـا واحـدا منذ جلس ليكتب الى كرسى انطاكيه باتحاد المحبه وثبات الارتدكسيه.

ولم يدعه محب البشر فى حزنه هكذا لاجل اتحاد الكرسيين اسكندريه وانطاكيه فدبر بأمر عجيب ان يصل الاب ديونوسيوس بطرك انطاكيه الى مصر ويشاهد بعضهما بعضا حسب ما نذكره فيما بعد.

ولما نظر الامير الافشين تمادى البشموريين على

القبط[1]. ولما قدم ابن مدبر الى مصر، وضع يده على أموال المسلمين، والقبط، واليهود، وضاعف عليهم الجزية والخراج. وأمر باحصاء الرهبان فى جميع أرجاء مصر، وألزمهم بدفع الجزية والخراج.

وقرر ابن مدبر أن يصحب معه البطرك شنودة الى وادى هبيب، ليضمن له ما على أديرته من جزية وخراج، وطبق ابن مدبر هذه القرارات أيضا على باقى أديرة وبيع مصر كلها ورأى الأب شنودة، الهرب بجاة بنفسه من هذه المضايقات، كما هرب كثير من الأساقفة.

انفذ ابن مدبر نوابا عنه، الى مختلف الأقاليم المصرية، فسلبوا من الأديرة والكنائس ما بها من الآلات والأدوات الخاصة بالقداس، وألزموا القومة[2] بدفع ديارية الأساقفة وحملوا كل ذلك الى الديوان. كما أمر ابن مدبر باغلاق جميع الكنائس فى مصر الا كنيسة واحدة،

---

(١) المصدر نفسه، ويشير الى أن ابن مدبر أنزل كثيرا من البلايا بأهل فلسطين قبل قدومه أما البطرك شنودة فأصله من قرية البتنون، وعمل فى خدمة البطرك يوساب ثم عين أقنوما لبيعة القديس أبى مقار. وقد أقيم بطركا بعد وفاة البطرك قسما.

(٢) القومة: جمع قيم وهو الشماس. انظر القلقشندى: صبح الأعشى. جـ٥، ص٤٧٤. ويقومون بخدمة الكنيسة ومساعدة الأساقفة والقسس فى تقديم القداس. انظر:

Autefag.s: Les Copts, p.33.

شـرهم ونفـاقـهم وانهم لا يعـودون عن فـعلهم ، كتب الى الخليفه عبد الله المامون يعلمه بماجرى.

فاسمعو الآن ايضا، كان اسقف على كرسى تنيس اسمه اسحق وكان شعبه قد سعى به دفعات بكلام ردى وقالو للاب يوساب: اذا لم تقطع هذا الاسقف وتزله عنا والا خرجنا عن دين الارثدكسيه.

وكان ايضا بمصر اسقف اخر اسمه تادروس قد

ليقدموا فيها القربان[1] وأنزل نواب ابن مدبر، المظالم بالأساقفة والرهبان، وكانوا يحملونهم مقيدين بالحديد الى مصر، حتى يؤدوا ما عليهم للديوان، واستمر البطرك مختفيا نحو ستة أشهر، فى حين كان شعبه القبطى فى أشد حالات الحزن والألم، لما أنزله ابن مدبر ونوابه بهم جميعا.

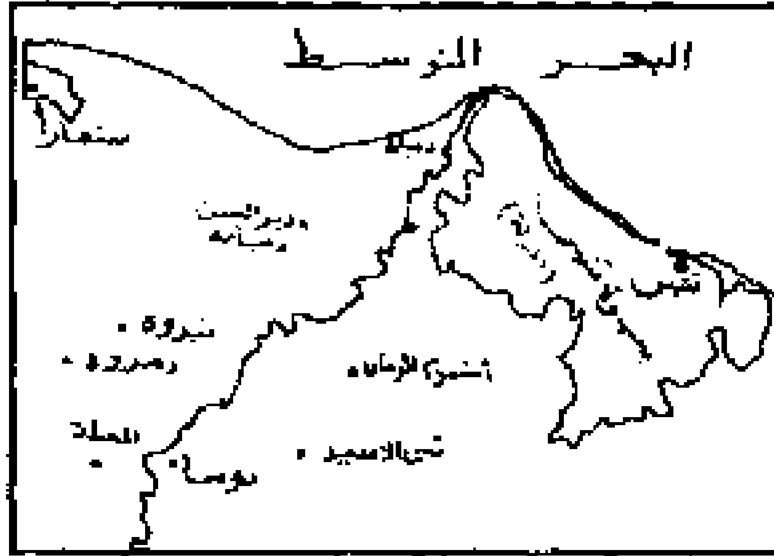
ورأى البطرك شنودة أن يعاود الظهور من مكمنه، ويسلم نفسه لابن مدبر. فكتب يلتمس منه الأمان، فوعده ابن مدبر بذلك، اذا قدم قبل أن يقبض عليه أحد عماله، أما اذا قبض عليه قبل أن يسلم نفسه، فان ابن مدبر سينزل به وبالكنائس والأساقفة أشد أنواع العذاب[2]. فسلم البطرك شنودة نفسه لابن مدبر، الذى ما لبث أن طالبه بما عليه من خراج بلغ سبعة آلاف دينار. وقد تعاون جميع الأساقفة بمصر مع البطرك فى تسديدها «وكانت كورة مصر فى ضيق عظيم، وافتقر الأساقفة والرهبان، وكل واحد، من أجل الغرامات التى رتبها هذا الانسان المخوف، أكثر من جميع من تقدمه».

---

(١) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة.

(٢) المصدر نفسه، وذكر هذا المؤرخ أن ابن مدبر كان يكتب على ما يجمعه من الأموال، هذا ما كان يسرقه من تقدمني، المصدر نفسه ص٢٨.

ذكر شعبه عنه مثل هذا، وكتبو المصريون الى البطرك يقولون له: ان لم تقطعه وتبعده عنا والارجمناه وقتلناه.



تنيس أحد معاقل ثورة البشمور
في بحيرة تنيس (المنزلة)

فلما نظر البطرك القديس قيام الشعب حزن جدا وقلق وقال: ما الذى في هذا البلا[ء]. وكان يدعو ويقول يارب ثبت شعبك لرعاتهم، ولا تدع في ايامى بغضا.

ولم يفتر من مكاتبة الشعب [في] تنيس ومصر

بعد وفاة الخليفة المنتصر، وقع نزاع بين المتنافسين على الخلافة (المستعين والمعتز) واستمر هذا النزاع ثلاث سنوات (حتى سنة ٢٥٢هـ = ٨٦٦م) وانتهى بتولية المعتز الخلافة. وفي أثناء هذا النزاع، كسدت التجارة بين مصر والمشرق، واستمر ابن مدبر عامل الخراج في مصر، في تشدده على جمع الأموال ومصادرتها من أهل الذمة وغيرهم في مصر[١].

وعاثت العرب، القاطنون في الجبال والبرارى في أرض مصر من بقايا القبائل العربية التي هاجرت إلى مصر ثم حرمهم الولاة من غير العرب امتيازاتهم فسادا ونهبا، وخاصة في الصعيد، ونهبوا كثيرا من الأديرة، وقتلوا من بها من الرهبان والراهبات. عند ذلك قرر الكاتبان القبطيان ابراهيم وساويرس السفر الى بغداد، العاصمة العباسية، وتقديم شكواهم الى الخليفة المعتز، ورحب الخليفة بمقدمهما، وكتب لهما سجلاً، يسمح للقبط باعادة بناء الكنائس في مصر، وضمان سلامتها. وثبت السجل في الديوان، الا أنه توفي قبل أن يوقع عليه.

ابتهج البطرك شنودة والقبط في مصر، وقاموا باعادة بناء الكنائس في كل مكان من

---

(١) ساويرس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، جـ٢. كان المتوكل، قد أوصى بولاية أولاده الخلافة من بعده. فلما ولى بعده المنتصر، اعتقل أخويه المعتز والمؤيد، فلما ولى المستعين الخلافة (في سنة ٢٤٨هـ - ٨٦٢م) أطلق سراحهما، الا أن المعتز حاربه من أجل الخلافة، فكان ما ذكرنا في المتن.

المدينتين ، ويقول من قول بولس : ما تفرحون انتم اذا اعتللنا نحن، وتكونون انتم اقويا. هذا الذى ادعوه من اجلكم لتخلصو واكاتبكم به، ولا احضر عندكم كانني حاضر عندكم، ولا اصنع حرما ومنعا، كما امرني الرب ان ابنى ولا اهدم.

وبقي الشعب متمادين على فعلهم يقولون بقول واحد ولا يتغيرون عنه: انه ان لم ينقطع

أسوان الى الفرما وعم الفرح والسرور فى البلاد. ولكن ما لبث أن انقلب ابتهاجهم الى حزن، فقد ثار بعض المسلمين فى الاسكندرية، وانضم اليهم العربان، وعاثوا فى البلاد نهبا وسلبا، وأحرقوا الأديرة بمن فيها، ثم حاصروا الاسكندرية، ومنعوا وصول المؤن والمياه اليها. فساءت أحوال السكان داخل المدينة، وحرمت الكنائس من اقامة القربان، لعدم توفر الغلة والخمر «فأواس [أوقاف] البيع قد ملكها هؤلاء القوم، ونهبت مخازنها وأموالها وتقووا بها على محاصرة اسكندرية».

حزن البطرك شنودة لذلك أشد الحزن، واستقر به المقام فى مدينة المحلة الكبرى وكان يدفع للتجار الأموال، ليشتروا بها تجاراتهم، فاذا دخلوا مدينة الاسكندرية سلموا هذه الأموال للمسئول عن الكنائس بها ـ ويسمى الأقنوم ـ لينفق منها على البيع وبهذه الوسيلة استقامت أحوال كنائس الاسكندرية. واستمر العربان ومن معهم، ينهبون الأديرة والقلالى، والرهبان صابرون على ما حل بهم من ضيق وشدة.

فلما ولى مصر مزاحم بن خاقان (٢٥٣ ـ ٢٥٤هـ = ٨٦٧ ـ ٨٦٨م)، صحب معه الى مصر قوما من الأتراك الأقوياء، وأعد العدة لقتال القوم الثائرين بمدينة الاسكندرية وحاربهم فى

هذان الاسقفان والا فما بقى منا انسان واحد فى الامانه الارتدكسيه، بل نعود الى المخالفين وانت المطالب عنا.

فلما سمع هذا اسرع الى تنيس وسالهم ان يعودو عن غضبهم فلم يفعلو، بل زادو فى غضبهم، وكذلك مدينة مصر ايضا مع اسقفهم.

فما راى ذلك انفذ واجمع الاساقفه من كل موضع وعرفهم الخبر وقال لهم انا برى من هذا

البر والبحر، حتى تمكن من اخماد ثورتهم والقضاء عليهم. واسترداد ما نهبوه من المتاع والأموال، فأمنت مصر من شرهم. وعاد اليها الأمن والهدوء[1].

---

(١) المصدر نفسه، وكان ذلك وابن المدبر مازال على خراج مصر. كثر الاتراك فى مختلف أنحاء الدولة الاسلامية منذ خلافة المعتصم سنة ٢١٨هـ. وعلا أمرهم فى البلاد. فقد ضاق المعتصم من استئثار الفرس بالنفوذ كما ضاق بتيارات الشعوبية التى ثارت بين الفرس والعرب. كما كانت أم الخليفة تركية فاعتمد الخليفة على الاتراك، واتخذ منهم حرسا خاصا له، كما أسند اليهم مناصب الدولة، ومن ثم أصبح ولاة مصر معظمهم من الأتراك وكانوا يقيمون فى مقر الخلافة فى بغداد يرسلون الى مصر من ينوب عنهم فى حكم البلاد باسمهم، فيدعون لهم على المنابر، وينقشون أسماءهم على السكة. انظر: حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسى، جـ٢، ص١٢٦ ـ ١٢٧.

وانتم [كـذلك]. اخيـرا نكتب ونمنع الاسـقـفين اسـحق اسـقف تنيس وتادرس اسـقف مـصـر وحطوهما عن كرامتها وابعدوهما عن الاسقفيه.

ولـم يتـخل ابونا الرحـوم من دوام الصـلاه وسكب الدموع الغزيره و التنهـد على قطع هذين الاسقفين.

وكان الافشين بمصر ينتظر جواب ما كتب به الى المامون بسبب اهل البشـمور. وكـان المامـون

مصريوا النوبة عبر التاريخ(*)

من القرن الأول الميلادى حتى القرن ١٦م

مقدمة جغرافية. النوبة وأسماؤها المختلفة فى التاريخ. النوبيون ومراحل تاريخهم.

من الضـرورى قبل أن نبدأ بدراسـة تاريخ ممالك النوبة المسيحية، أن نتعرض فى شيء من الإيجاز، للمقومات الجغرافية للبلاد التى قامت فيها هذه الممالك المسيحية، لمعرفة ما لهذه المقومات من أثر فى تشكيل المجتمع النوبى، وتفسـير بعض نواحى حيـاته ونشـاطه وأسس حضارته.

يطلق لفظ «النوبة» على أجزاء وادى النيل الممتـدة على جانبى النهـر الأعظم بين مدينتى أسوان والخرطوم الحالية، وعلى الرغم من انكماش أوطان النوبيين فى الوقت الحاضر فإن ذلك لا يمنع من دراسة إقليم النوبة بوضعه الجغرافى القديم، لأنه كان مجالا لنفوذ تلك الممالك التى أسهمت بنصيب كبير فى تاريخ السودان فى العصور الوسطى.

ويبدو من وصف الكتاب القدماء لهذه البلاد، أنه لم يطرأ تغيير ظاهر على بيئتها الطبيعية،

(*) أنظر كتاب الاسلام والنوبة. تأليف: د. مصطفى محمد مسعود. مكتبة الانجلو المصرية. القاهرة ١٩٦٠.

رجــلا حكيــمــا فى فـعله ويبــحث عن مــذهبنا، ويجلس عنده قوم حكما يفسرون له كتبنا، وبهذا الحكم كان محبا للنصارى.

فجا[ء] الى مصر وجمع جيشه واستصحب معه البطرك ديونوسيوس بطرك انطاكيه.

فلمـا علم الاب البطرك انبـا يوسـاب بوصـول المامـون وصحبتـه بطرك انطاكيـه جمع الاسـاقفـه

ما خلا ما تناولته يد الإنسان بالتعديل أحيانا، وبالتهذيب أحيانا أخرى(١) .

ويتـصف هذا الجزء من وادى النيل بظواهر جغـرافيـة هامة، أثرت في تاريخ الجـماعـات البشرية التي استوطنته في مختلف العصور. ومن أهم هذه الظواهر كثرة انحناءات المجرى فيما بين مدينتى أسوان والخرطوم، فضلا عن اعتراض الجنادل، وهو بهاتين الظاهرتين يمثل القطب الذى ترتبط به حياة السكان، الذين تجمعوا في واديه الصحراوى الضيق(٢) وثمة ظاهرة أخرى هي اختلاف الأحوال الجوية بين جزأى هذا الاقليم، فبينما نرى منطقة يصيبها مطر صيفى محدود وتمتد من جنوبى بربر إلى الخرطوم، نرى منطقة نادرة الأمطار أو تكاد تكون عديمة الأمطار، وهذه تمتد من شمالى بربر إلى أسوان، لذلك قسم الجغرافيون إقليم النوبة إلى ثلاثة أقسام هي: وادى النوبة العليا ـ ووادى النوبة الوسطى ـ ووادى النوبة السفلى(٣) .

أما وادى النوبة العليا فيمتد من منطقة التقاء النيلين الأبيض والأزرق إلى دنقلة، وتبتعد حافة الوادى بعض الأحيان قليلا على جانبى النهر فيتسع الوادى، وتصبح له صفة الحوض، الذى

(1) Kirwan, L. P. "The Ballana Civilization". Bulletin de la Societe Royale de Geographie d'Egypte XXV, P. 103.

(2) Tothill, J.D. : ed. Agriculture in the Sudan p. 740.

(٣) محمد عوض محمد ـ السودان الشمالي ـ سكانه وقبائله ـ ص٢٨٥.

وسار الى فسطاط مصر ليسلم عليه كما يجب للملوك.

فلما نظر الاب ديونوسيوس الاب انبا يوساب فرح فرحا عظيما روحانيا، وكان هذا تدبيرا من الله كما بدأت، وقلت انه ما قدر ان ينفذ السنوديقا الى دينوسيوس، وكان له منزله عند عبد الله المامون، فلما عرفوه بوصول انبا يوساب تقدم بدخوله اليه، فلما حضر عنده قبله بفرح بنعمه الله الحالة عليه، ثم عرفه انبا ديونوسيوس ان ابانا

تنغمر بعض أجزائه خلال أيام الفيضان. ويتمثل ذلك في الجزء الذى يقع فيما وراء شندى[١] . وكذلك الجزء الذى يمتد إلى ما وراء الجانب الأيسر من النهر، فيما بين مروى وأبو فاطمة[٢] . وتمثل هذه المناطق التى يتسع فيها الوادى على أحد الجانبين مركز تجمع السكان الذين تساعدهم البيئة الطبيعية على مباشرة الزراعة معتمدين على مياه النهر.

وتفهم أحوال المناخ فى النوبة العليا من موقع الإقليم على الحافة الصحراوية التى تتضاءل فيها كميات المطر السنوى إلى حد كبير، إذ يلاحظ المتجه شمالا من الخرطوم تناقص كمية المطرى السنوى، فهى فى الخرطوم ١٦٣ مليمترا سنوياً، وفى أتبرا ٧٥ مليمترا سنوياً، ومن ثم يزداد الجفاف شمالا فتنخفض كمية المطر السنوى فى كريمة إلى ٢٥ مليمترا سنويا، وتتساقط هذه الكمية المحدودة فى شهور الصيفى، فيما بين يوليو وسبتمبر[٣] . وهى الشهور التى ترتفع فيها الحرارة بشكل ملحوظ وتسود فيها رياح الجنوب الساخنة. وهذه الكميات المحدودة من المطر لا تؤثر فى حياة السكان ونشاطهم، إلا فى حدود ضيقة، ولكنها مع ذلك تتجمع فى بطون الأودية الجافة والأخوار، وتسيل فى اتجاه الوادى من الصحراء التى تشرف على الجانبين،

(1) Tothill, J.D. - ed. op. cit. p. 744.

(٢) محمد عوض محمد ـ نهر النيل ـ ص١٢١.

(3) Tothill., J.D. - ed. op. cit. p. 740.

لم يتاخر من مكاتبة البشموريين واردعهم ان لا يقاومو امرك.

ففرح المامون بهذا الامر ثم قال للبطرك انبا يوساب: هو ذا آمرك انت ورفيقك البطرك ديونوسيوس ان تمضيا الى هولا القوم(*)، وتردعاهم كما يجب في ناموسكما، ليرجعو عن خلافهم ويطيعو امرى، فان اجابو فانا افعل معهم الخير فى كلما يطلبونه منى، وان تمادو على الخلاف فنحن بريون من دماهم.

(*) المامون يرسل البطرك انبا يوساب والبطرك ديونوسيوس لتحذير البشمور من قوته وسطوته.

فتبعث بعض النشاط في بطون تلك الأودية، حيث تمرح الحيوانات في مناطق العشب القصير الذى يتبع فصل المطر. وتمثل هذه الأودية من ناحية أخرى طرق المواصلات التى تنساب من الشرق والغرب إلى الوادى. ومنها واد الملك الذى ينساب منحدرا من الجنوب الغربى إلى الوادى قرب الدبة. ووادى مقدم الذى ينساب فى قلب صحراء بيوضة نحو الشمال. أما من ناحية الشرق فهناك وادى عامور الذى ينساب من السفوح الغربية لتلال البحر الأحمر.

فى هذه المنطقية ـ أى فى وادى النوبة العليا ـ قامت دولة كوش، وكانت عاصمتها نباتا ثم بعدها مروى(١) ، التى تكونت فى منطقة يتسع فيها الوادى اتساعاً ملحوظاً، حتى أصبحت مركزاً زاول فيه السكان الزراعة. وكانت مروى تعتبر مركزاً هاماً للتجارة، لا بين الجنوب والشمال عن طريق النيل فحسب، بل كذلك بين سهول كردفان فى الغرب وموانى البحر الأحمر فى الشرق(٢) . ووصف سترابون وديودور الصقلي وبلينى هذه البلاد. فأشار سترابون إلى موقعها بين التقاء نهر Astaboras «الأتبرا» ونهر Astasobas «النيل الأعظم». وهى غنية بثروتها المعدنية والغابية، وكان سكانها يزاولون الزراعة والصيد. ولاحظ سترابون تجمع السكان

(١) مدينةنباتا وهى العاصمة القديمة لدولة كوش تقع عند سفح جبل البركل قريبا من الشلال الرابع، أما مروى فهى بخلاف مروى الجديدة والتى تجاور مدينة نباتا. ومروى القديمة تقع بالقرب من كبوشية الحالية ويسمى الإقليم الواقع بين الأتبرا والنيل جزيرة مروى.

(2) Triminghom, J.S. Islam in the Sudan. pp. 42 - 43.

ففعل ابوانا البطركان وسارا الى البشموريين وسالاهم ثم نصحاهم ووبخاهم ليتخلو عن افعالهم، فلم بجيبو ولا قبلو سوالهما(*) [ولا سلم لهم البشموريين]، فعادا واعلما المامون بذلك فامر حينذ المامون الافشين الامير بان يسير اليهم بعسكره وان يقاتل البشموريين.

(*) البشمور يرفضون وساطة البطركين يوساب و ديونيسيوس ويستمروا في مقاومة جيوش المأمون بقيادة التركي افشين.

فلم يقدر عليهم لتحصين مواضعهم بالمياه، ومواضعهم تسمى التنفير(*) بل كانوا يقتلون من

(*) وهي ما نسميه الآن البراري.

على امتداد هذا الجزء من وادى النيل فعلى الجانب الأيسر كان يعيش النوبيون والليبيون. وفي الناحية اليمنى كان يعيش الميجاباريون Megabari والبليميون Blemmyes . أما الصحراء فكانت خالية من السكان إلا في بعض مواقع[1] كالواحات. وفي هذه المنطقة أيضاً قامت دولة علوة حوالي منتصف القرن السادس الميلادى، وكان طرفها الشمالي منطقة الأبواب (كبوشية الحالية) وتمتد إلى جنوب التقاء النيلين الأبيض والأزرق. وقامت العاصمة سوبا على الضفة اليمنى للنيل الأزرق.

أما وادى النوبة الوسطى، فيمتد من دنقلة إلى حلفا، وكان ولا يزال جزءاً أساسياً من أوطان النوبيين. واحتفظ النوبيون به عندما اضطرتهم الأحوال البشرية التي سادت إلى التخلي عن أغنى الأجزاء من وطنهم. ويتصف هذا الإقليم بضيق واديه وكثرة ما يعترض مجرى النهر من جنادل[2] . ويقلل القيمة الإنتاجية لهذا الإقليم، ضيق الشريط الخصيب على جانبي النيل، وارتفاعه كثيراً عن مستوى النهر.ومما يزيد الحياة صعوبة كذلك وقوع هذا الإقليم في وسط

(1) Budge, E. A. Wallis.: The Egyptian Sudan. p. 158.
نقلاً عن Strabo .

(٢) محمد عوض محمد ـ نهر النيل ص١٢٢ ـ ١٢٣ .

عسكر الافشين كان يوم جماعه ، فلما اتصل الخبر بالمامون سار بجيشه(*) وانحدر الى هناك، وامر ان يحشدو جميع من يعرف طرق البشموريين من اهل المدن والقرى المجاوره لهم ومن كل الاماكن ومن اهل تندا وشبرا سنبوط الذين يعرفون طرق تلك الاماكن. وكانت العساكر تتبعهم الى ان سلمو لهم البشموريين، فهلكوهم وقتلوهم بالسيف بغير اهمال ونهبوهم واخربو مساكنهم واحرقوها بالنار وهدمو بيعهم، وتم عليهم قول داود النبى فى

(*) المامون يجمع جيوشه ويهاجم البشمور بعد فشل الأفشين فى القضاء عليهم.

النطاق عديم المطر، وتتراوح كمية المطر السنوى بين الصفروخمسة مليمترات. فلا يصيب الإقليم إلا بعض الرذاذ الذى يتساقط فجأة ودون أن يكون لسقوطه قيمة تذكر(١) .

وبهذا يمكننا تصوير مدى قسوة الأحوال الطبيعية فى هذا الإقليم، ومدى ارتباط حياة السكان تماما بالنهر، ونوع الفيضان والمستوى الذى يصل إليه ماؤه. ويمارس السكان زراعة السلوكا فى الأجزاء الضيقة المحدودة التى ينحسر عنها النهر فى مدة انخفاض المناسيب، وتزرع فى هذه الأجزاء المحاصيل دون ريّ معتمدة على ما تتشبع به من رطوبة فى موسم فيضان النهر. ويغلب عليها أن تكون من المحاصيل سريعة النضج. أما الزراعة الحقيقية فتعتمد على الساقية التى تروى مساحات محدودة لا تزيد على عشرة أفدنة. وامتدت المضخات إلى هذا الجزء، ولكنها لم تجد أرضا فسيحة لخدمتها إلا فى منطقة الأحواض التى تعرف باسم حوض دبيرة وحوض حلفا(٢) .

ويكتنف ذلك الإقليم على الجانبين صحراء جافة جرداء تنعدم فيها مظاهر الحياة إلا فى مناطق الواحات. وأهم هذه الواحات ما يمر بها درب الأربعين وهى واحة بيرنطرون ونخيلة وسليمة.

(1) Tothill, J.D. - ed. op. cit. pp. 74 - 750.

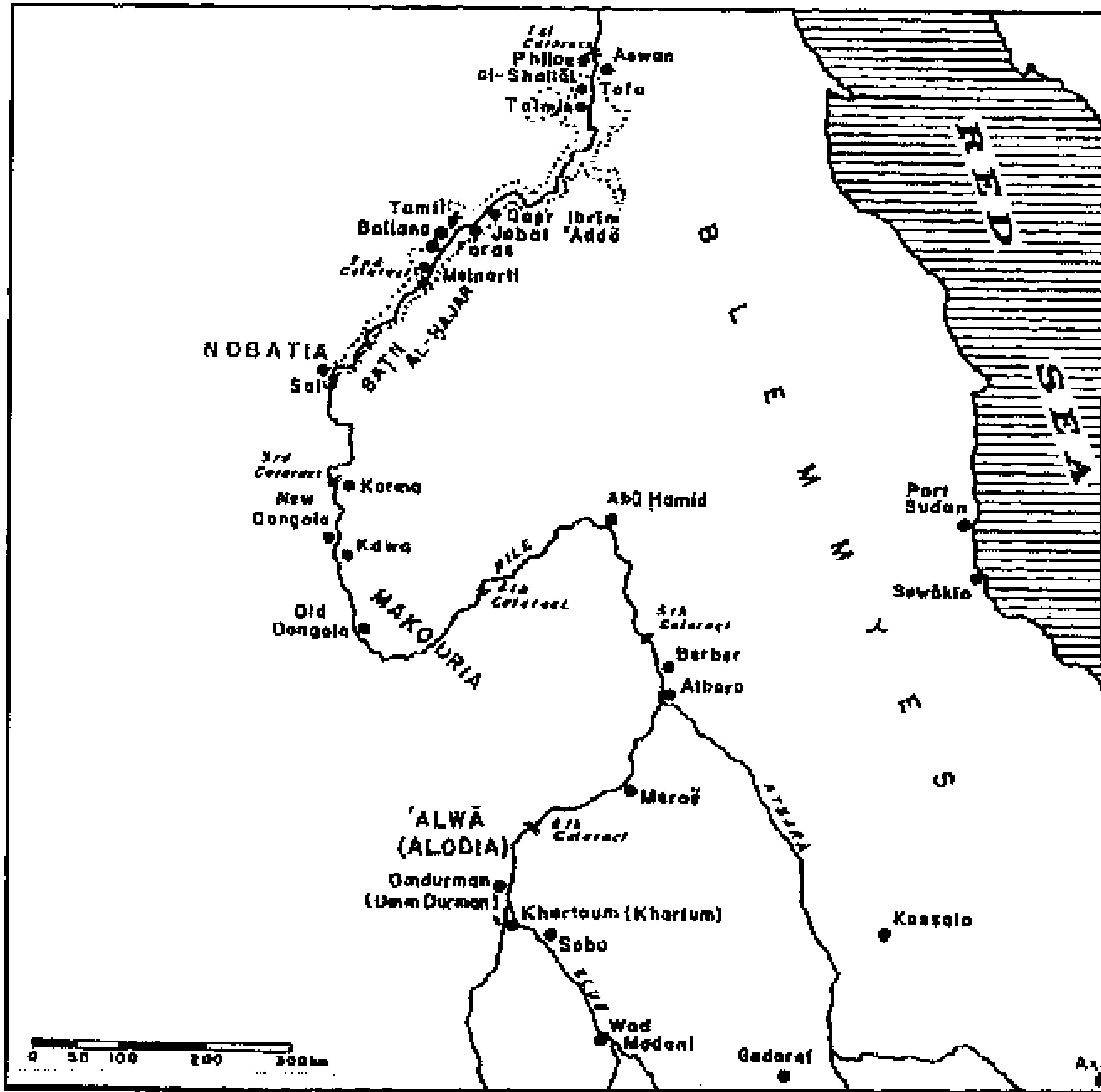
(2) Tothill, J. D. , ed. : op. cit. p. 749.

المزمور [٧٧] : اسلم قوتهم للسبى ومالهم لاعداهم واسلم شعبه للسيف ولم يشفق على ميراثه.

ولما نظر المامون كثرة القتلى امر العسكر ان ترفع السيف والذى بقى منهم اسره الى مدينة بغداد (*) من الرجال والنسا.

فسال الاب البطرك انبا ديونوسيوس(*) : اى شى كان السبب في نفاق هولا القوم؟ فعرفوه انه بسبب ظلم متولى الخراج لهم أولا. فتوجع قلبه

(*) كان من تقاليد العباسيين الطواف بأسراهم فى الحروب بعاصمتهم بغداد.
(*) كان البطرك ديونوسيوس من المفاوضين للبشمور فكيف لا يعرف سبب ثورتهم؟



النوبة وممالكها.

على هلاكهم وتقدم الى المامون وقال له لمنزلته عنده، وكان مع المامون اخوه المسمى ابرهيم(*) الذى ملك بعده وقال له: السبب فى نفاقهم ظلم متولى الخراج لهم وعنتهما عليهم.

(*) ابراهيم: هو الخليفة المعتصم فيما بعد تولى فى سبتمبر ٨٣٣ م = رجب ٢١٨هـ.

فلما سمع منه هذا قال له اعف نفسك(*) ولا تقم بمصر بعد هذه الساعه، ان سمع اخى ابرهيم ذلك فهو يقتلك، لان جباة الخراج كانو من عنده.

(*) المأمون يعفى البطرك ديونوسيوس ويأمره بالرحيل عن مصر بسبب نصيحة منه حول المعاملة القاسية للمصريين عند تحصيل الخراج.

وأما وادى النوبة السفلى فيمتد بين وادى حلفا وأسوان، ويمثل بذلك المرحلة الأخيرة للوادى الضيق. وهذا الجزء من الوطن النوبى محدود القيمة، ففى مدة ارتفاع المناسيب يبدو النهر منحصرا بين حائطين جبليين شديدى الانحدار، ويبدو هذان الحائطان عموديين فى بعض المواضع، ويشرف على النهر مباشرة بعض الثغرات التى تمثل فتحات للأخوار والوديان التى تنساب إلى النهر من الجانبين الشرقى والغربى.

أما فيما يتعلق بالنهر ذاته فهو معتدل الجريان صالح للملاحة[1] وفى مدة انخفاض المناسيب ينحسر النهر عن شريط ضيق، يظهر هنا وهناك فى أحد الجانبين، وفى هذا الشريط يكثر النخيل ويهبط السكان من حافتى الوادى ليمارسوا الزراعة، فيزرعون مساحات محدودة للغاية. أما فى موسم الفيضان فتغمر تلك المساحات، ويصعد السكان إلى قراهم فيما وراء مستوى التخزين ويباشرون زراعة مساحات أشد ضيقا فى مصاطب يعدونها. ويرفعون الماء إليها بالسواقى.

ويعتبر هذا الاقليم ـ وقد بدا فقره ـ موطنا من مواطن العزلة التى يعبر عنها العلماء بأنها مناطق الطرد. ونرى النوبيين جيلا بعد جيل يخرجون من أوطانهم الفقيرة متتبعين مجرى النهر شمالا وجنوبا، ولكنهم مهما طال بهم البعد عن أوطانهم يعودون إليها. ويعيش كثير من

(١) محمد عوض محمد ـ نهر النيل ـ طبعة ثانية ص١٢٣.

فلما سمع الاب ديونوسيوس هذا خرج وهو قلق وودع الاب انبا يوساب وقال له: ما يمكن ان اقيم ساعة واحده بمصر. واستعلم منه الخبر فاعاده عليه وودعه وهو باك.

فلما سمع ابرهيم هذا الخبر طلب البطرك ديونوسيوس وارسل اليه فاعلم بمسيره الى بلده فغضب جدا وتمكن الغضب منه اياما كتيره.

سكان القرى النوبية اليوم على المساعدات المادية من أولئك الذين يعيشون في مصر والسودان[1]

وقامت فى هاتين المنطقتين ـ النوبة السفلى والوسطى ـ مملكة النوبة الشمالية وأطلق عليها اسم مَقُرّة،وعاصمتها دنقلة، وامتدت هذه المملكة من جنوبى أسوان إلى منطقة الأبواب[2]. ويبدوى أن اختيار دنقلة عاصمة للدولة المسيحية فى الشمال،كان نتيجة لوقوعها فى منطقة يتسع فيها الوادى، بحيث يسمح بقيام حياة بشرية مستقرة.

* * *

عرفت هذه المنطقة جميعها ـ أى النوبة العليا والوسطى والسفلى ـ وهى التى تمتد من الشلال الأول فى الشمال إلى جنوبى إلتقاء النيلين الأبيض والأزرق باسم النوبة فى العصور الوسطى. ولكن ما مصدر هذه التسمية؟

ليس لدينا من الوثائق ما يشير إلى ظهور كلمة نوبة قبل العصر البطلمى فى مصر. وأول من أشار إليها إراتوسطينى Eratosthenes الجغرافى وأمين مكتبة الاسكندرية (٢٧٦ ـ ١٩٩

(١) محمد عوض محمد ـ السودان الشمالى ـ سكانه وقبائله. ص٢٨٥.

(٢) لا زال النهر ما بين الشلال الأول والسادس يعرف باسم النيل النوبى. ويعنى هذا أن النوبيين خلعوا اسمهم على النهر بعد أن تخلوا عن جزء كبير من واديه من الخرطوم إلى الدبة.

ولما توفى المامــون وجلس ابرهيم [المعتــصم] اخوه هرب البطرك ديونوسيوس ولم يقم بانطاكيه ولا باعمالها حتى عاهده انه لا يقتله. فلما عاد الملك ابراهيم ايضا الى مصر وخرج البطرك ودعه كما يجب عليه للملوك ووصل اليها واقام بها.

وكان الاب البطرك انبا يوساب بمصر فنظر الى ذلك الارخن اسحق [السيد ابن اندونه وهو ليس اسحق اسقف تنيس] الذى كان طلب البطركيه

ق. م.)، ثم أخذها عنه سترابون. ويبدو مما ذكره سترابون عن هذه المنطقة وسكانها أنها أخذت اسمها من أحد الشعوب التى كانت تعيش على الضفة الغربية للنيل وهم النوبيون. ثم صار هذا الشعب فيما بعد سيداً عليها كما أن اسمه ظل علما على هذه المنطقة كلها طوال العصور الوسطى[1] . بيد أن سترابون ذكر أن النوبيين شعب مستقل عن الأثيوبيين، على حين ذكرهم بلينى على أنهم شعب من مجموعة الشعوب الأثيوبية التى تعيش فى وادى النيل [2] .

وجاء فى النقوش المصرية القديمة ذكر كلمة نوب nubu ومعناها الذهب ـ أى بلاد الذهب ـ وهو أحد الاسماء التى أطلق المصريون القدماء على هذه البلاد، كما وصفت البلاد بهذا الاسم فى كتابه فى الأسرة الثانية عشرة فى عهد الملك امنحتب الأول[3] .

وأقدم تعريف للبلاد الواقعة جنوبى مصر مباشرة، جاء فى نقوش الدولة القديمة. إذ أطلق المصريون على هذه البلاد اسم خنت، ومعناها الأراضى الجنوبية[4] . ويقول ريزنر إن المصريين القدماء أطلقوا اسم الأراضى الجنوبية على الأقاليم المتاخمة لمصر من ناحية الجنوب وتمتد إلى أواسط أفريقيا وشرقها وتضم شعب بنت، والزنوج فى الجنوب، والنوبيين بوادى النيل،

(1) Beckett, H. W. : ASN. II, Report for 1907 - 8, p. 343.

(2) Kirwan. L. P. : "A Survey of Nubian Origins", SNR., XX Part II, 1937, , PP. 47 - 48.

(3) MacMich aeL, H. A. : AHistory of the Arabs in the.

(4) Budge, E. A. W. : A Hist. of Ethiopia Nubia, and (Abyssinia, I,p.1.

وهو متقد نارا بسبب سخرة الاسكندرانيين به والاساقفه، وعند اجتماعه به تلقاه ببشر كعادته مع كل احد يكلمه بكلام لين ليونسه من افكاره القلقه، ثم دبر امر الحكمة ليطيب نفسه فقال له: يا سيدى اسحق انا مشتاق اليك واودك جدا، واريد ان تكون عديل نفسى، واحب ان تكون تنوب عنى فى جميع اسبابى، ويكون معك خاتم البطركيه ليعلم كل احد انك المدبر لى فى جميع الامور البيعيه والسلطانيه.

والليبين فى الصحراء الغربية، وبدو الصحراء الشرقية[1] . وأطلق المصريون القدماء على الجهات الجنوبية كذلك اسم تاستى، أى أرض القسى.

وجاء فى الآثار أن خشب الأبنوس كان يأتى من تاستى، وهذا لا يعنى بلاد النوبة السفلى، بل يعنى بلاد السودان الواقعة جنوبى الشلال الثانى[2] ثم تطورت هذه الأسماء، فأطلق على هذه البلاد فى الدولة الحديثة اسم خنت ـ هن - نفر. وتدل المتون على أن هذا الاسم كان يطلق على السودان حتى الشلال الثالث على الأقل، بل يحتمل أنه أطلق على كل البلاد التى خضعت لمصر فى هذه الجهات الجنوبية، ولم يكن يقتصر على جزء معين من بلاد النوبة [3].

وجاء فى الآثار كذلك ذكر اسم نحسيو، ويقصد به سكان الجنوب ولما دخل الزنوج لأول مرة بلاد النوبة - حوالى بداية الأسرة الثانية عشرة - واستوطنوا بعض جهاتها، كانوا كذلك يسمون نحسيو. وعلى هذا فإن اسم نحسيو أخذ بالتدريج يحمل المعنى الخاص بالزنوج [4].

وأطلق اسم كوش على الإقليم الواقع جنوبى وادى حلفا وعاصمته نباتا ويحكمه نائب ملك يحمل لقب ابن الملك صاحب كوش.

ولما ضعفت مصر حوالى منتصف القرن الثامن ق. م. ووقعت فريسة للغزاة، وأضحت

---

(1) Reisner, G. A.: "Outline of the Ancient Hist. of the Sudan", SNR. 1, No. 1, 1918 P. 3.

(٢) سليم حسن ـ مصر القديمة. جـ١٠ ص ٨٠.

(٣) المصدر السابق ص ٧٨. (٤) المصدر السابق ص ٨١.

فلما سمع منه هذا فرح جدا وطاب قلبه فقال لابينا البطرك: انا عبـدك وبين يديك في كلما تامرني به.

ولما حضرو في بيعه السيده بمصر في قصر الشمع يوم عيد الشعانين وسم الارخن اسحق شماسا، وكان في البيعه جمع كثير في ذلك اليوم لا يحصى عدده.


ايقونة الشعانين من مخطوطة قبطية من القرن ١١ م

فحضر المبغض للخير الشيطان واثار بلا[ء]

أرضها ميدانا للحرب بين المتنافسين عليها من ملوك آشور، وملوك نباتا، ورد ذكر هذا الصراع في الوثائق الآشورية وأشير إلى ملوك نباتا باسم كوش. وعليه فإن كوش في نظر الأشوريين امتدت وقتذاك إلى الشلال الرابع.(١).

أما اليونانيون فأطلقو على هذا الأقاليم كلها اسم إثيوبيا. وورد ذكر الأثيوبيين في أشعار هوميروس، ونوه هذا الشاعر بمكانة الأثيوبيين عند الآلهة اليونانية. وحدد هيرودوت موقع أثيوبيا في أقصى الجنوب، بيد أن نظرة هيرودوت لأوطان الأثيوبيين كانت أوسع من نظرة من جاء بعده من الكتاب، فشملت في نظر هيرودوت، أراضي واسعة في أفريقيا وجنوب غربي آسيا ، بل والهند كذلك. وعلى الرغم من أن هيرودوت زار مصر في القرن الخامس قبل الميلاد، ووصل في رحلته جنوبا إلى أسوان، فإن وصفه لشعوب أثيوبيا وتحديد أوطانهم لا يستند على حقائق جغرافية أو أثنولوجية(٢).

وحدد سترابون موقع إثيوبيا بالأراضي الضيقة التي تحاذي النيل، وتمتد من جنوبي أسوان إلى منطقة المستنقعات التي يتعذر سكناها.

(1) Budge, E. A. W. : A Hist. of Ethiopia. op. Cit. P. 2.

(2) Beckett, H. W. : op. cit. P. 343.

أنظر كذلك:

Herodotus: The History, II, P. 148 I, PP. 218, 264.

عظيما ودخل فى الاسقفين المقطوعين [اسحاق اسقف تنيس وتادرس اسقف مصر] وجعلهما له وعا[ء]ين، فمضيا الى الافشين الامير من قبل الملك وقالا له: قد اسلم الله اليك اعداك واعدا[ء] الملك وافنيتهم ويجب ان لا تبقى احدا ممن كان سبب نفاقهم . فقال لهما: ومن هو الذى احوجهم للنفاق على الملك؟ فقالا له : البطرك يوساب فعل ذلك، اراد بذلك حتى أن يقتله، وهو ذا هو مجتمع

أما تقدير كل من بلينى وديودور الصقلى لأوطان الأثيوبيين، فتشمل إثيوبيا فى نظرهما جميع الأراضى الممتدة جنوبى مصر إلى قلب أفريقيا والتى تمتد شرقا إلى البحر الأحمر. ويبدو أن إسم إثيوبيا كان من أختراع الكتاب اليونانيين ويقصد به وطن الزنوج، ولم يعرف لهذه المناطق حدود جغرافية واضحة(١) .

وفى العصر الرومانى عرفت النوبة السفلى باسم دود يكاشينوس "Dodekaschoinos" وتريا كونتاشينوس "Hierosykaminos" وتمتد الثانية من المحرقة إلى عكاشه جنوبى الشلال الثانى، وتدل هذه الأسماء على امتداد التنظيم الرومانى إلى هذه الأقاليم وتقسيم الرومان لها إلى أقسام. وإلى الجنوب من الشلال الثانى قامت دولة كوش ، وظلت هذه الأقسام إلى قيام الممالك المسيحية فعرفت بأسماء أخرى.

---

(1) Arkell, A. J. : A History of the Sudan to 1821. p. 113.

أطلق ريزنر على دولة نباتا – مروى إسم اثيوبيا، مؤثرا طريقة الكتاب القدماء الذين عاصروا دولة مروى، وأطلقوا على ملكها اسم ملك الاثيوبيين، ولما كان تاريخ بعض أقاليم دولة مروى أو كوش أو اثيوبيا، كما سماها الكتاب القدماء، اختلط بتاريخ دولة اكسوم فى الحبشة، فإن الأحباش فى الوقت الحاضر يطلقون على دولتهم اسم اثيوبيا بدلا من الحبشة. ولهذا يحسن أن نحدد اسم مملكه نباتا – مروى باسم دولة كوش تمييزا لها عن اثيوبيا الحالية (الحبشة).

فى البيعه ومعه جمع كتير ما يخالفونه، وكلما فعل بامره حتى لحق الملك ولحق الأمير حفظه الله التعب العظيم.

ووقت دخول الاسقفين الى الافشين كان سكران فامتلا غيظا وانفذ اخاه الى البيعه ومعه جمعا كثيرا ليحضر اليه الاب البطرك ليقتله، وكان يمشى امامهم اسحق الذى كان اسقف تنيس مثل

وقبل أن ننتقل إلى دراسة النوبيين ومراحل تاريخهم، نرى من الضرورى أن نتعرف على أوطانهم وتوزيع سلالاتهم الحالية فى الوطن النوبى.

تمثل الأوطان الحالية للنوبين، تلك الأراضى الملاصقة لنهر النيل من شمالى أسوان إلى بلدة الدبة وكورتى [(١)]، وهم يستقلون أحيانا بهذه الجبهات النوبية، لا يشاركهم فيها أحد، يجاورهم أحيانا جماعات عربية [(٢)].

وينقسم النوبيون إلى خمس مجموعات رئيسية: الدناقلة فى الجنوب ما بين الدبة وأبو فاطمة، ثم المحس والسكوت فى إقليم الجنادل، ثم الفديجة ما بين وادى حلفا وكرسكو، والكنوز فى الجزء الشمالى الممتد من كرسكو إلى أسوان [(٣)].

وعلى الرغم من أن النوبيين فى تاريخهم الطويل دخلت بلادهم عناصر مختلفة واندمجت فيهم، فإنهم ظلوا متمسكين بثقافتهم وبلغتهم الخاصة [(٤)].

---

(١) هذا التحديد ينصب على الأوطان الحالية للنوبيين، وهى تمثل نصف المساحة التى كانوا يحتلونه من قبل، فامتدت كما سبق أن أوضحنا إلى الجنوب من إلتقاء النيلين الأبيض والأزرق، بل أمتد نفوذها أحيانا إلى بعض جهات الجزيرة. ولكنها انكمشت إلى الحدود الحالية على أثر ضغط القبائل العربية التى احتلت أخصب بقاعها إلى الجنوب من الدبة كما سنوضحه فيما بعد.

(٢) محمد عوض محمد – السودان الشمالى – ص ٨٤.

(٣) المصدر السابق ص ٣٠٢ (٤) المصدر السابق ص ٢٨٥.

يهـودا الاسـخـريوطى الذى اسلم السيـد المسيـح لليـهـود. فـدخل الى الهـيكل واومـا باصبـعـه الى البطرك لكى يعـرفـهم به ليـاخـذوه، فـجـرد اخـو الأفشين سيفه لياخذ راس البطرك، فعند ذلك مالت يده فوقع السيف فى عـمـود رخام انكسر، فـازداد غضبا وكـان فى وسطه سكين فاخذها من وسطه واوما بها الى جنب البطرك ليقتله، فيا لعظم تلك الاعـجـوبه فى تلك السـاعـه عند كل احـد التى

وتختلف لغة النوبيين اختلافا يسيراً من إقليم إلى إقليم، فلغة الدناقلة والكنوز تكون مـجموعة متشابهة، ولغة السكوت والمحس والفديجة تكون مجموعة ثانية متشابهة [(١)].

هذا من حيث توزيع سكان النوبة الأصلية فى الوقت الحاضر، أما الجزء الممتد من الدبة إلى جنوبى التقـاء النيلين الأبيض والأزرق، وهو الوطن القـديم للنوبيين المسيـحيين فـيحـتله الآن الجعليون.

وفيـما يتعلق بموضـوع المراحل التاريخية للجـماعـات النوبية واستقرارها فى أوطانها حتى ظهور ممالكهم فى القرن السـادس الميـلادى، فإنه كـان ولا يزال مـوضع خـلاف بين العلمـاء، وخـصـوصـا عندمـا تعرضـوا لأصل هؤلاء النوبيين، حـتى أضـحى فى نظرهـم مـشكلة تشـغل تفكيرهم. وخرج علينا كثير من العلماء بأبحاث وآراء متعددة متضاربة حول أصل النوبيين. ولا يهمنا من هذا الموضوع شئ بقدر ما يهمنا التعرف على المرحل التى مرت بها هذه الجـماعات النوبية حتى اكتمل مجتمعهم عندما استقبلوا الدعوة المسيحية، والأسس التى أقاموا عليها حـضارتهم وهل هم شـعب أصيل فى أوطانه أو هو عنصـر دخيل فرض ثقافـته على شعـوب سبقته إلى هذه الأوطان؟.

---

(1) Hamilton' J. A. ed. : the Anglo Egytian Sudan from Within. P. 168.
أنظر كذلك Griffith. F L I. Ency. Brit. Art. Nubia.

اظهرها الله في قديسيه لما ضربه بالسكين قطعت الثياب التى عليه وانتهت الى المنطقة التى فى وسطه فقطعتها ولم ينل جسده شي بالجمله، فتبلبل جميع الشعب الذى فى البيعه وكتر صياحهم وظنو انه قد مات، فلما نظر ذلك المشتمل بالاعمال الصالحه وراى قلق الشعب واضطرابه اوما بيده اليهم وقال هلم: لا تقلقو . فلما علمو انه حى فرحو فرحا عظيما ومجدو الله

يحسن أن نستعرض فى إيجاز المناسبات التى ذكر فيها اسم النوبيين، وهل يمثلون العنصر الوحيد فى أوطانهم التى ورد ذكر اسمهم فيها أو شاركهم غيرهم من العناصر الأخرى؟.

عرف العرب سكان وادى النيل من أسوان إلى جنوبى الخرطوم الحالية باسم النوبة، وسبقهم فى الإشارة إلى النوبيين كثير من الكتاب القدماء أمثال أراتوسطينى وسترابون وبلينى [١].

وجاء بعد هؤلاء بطليموس الذى عاش فى القرن الثانى للميلاد. وذكر أن النوبيين يعيشون على الضفة الغربية للنيل وفى جزيرة مروى[٢]، وجزر النيل[٣] كذلك.

---

(١) كان اراتوسطينى أول من أشار إلى النوبيين في مؤلفه الجغرافى عن النيل (٢٠٠ ق. م.) وتبعه سترابون وذكر أن النوبيين بأقسامهم الكثيرة يؤلفون وحدة مستقلة عن سلطان ملوك مروى، وهم يعيشون على الضفة الغربية للنيل، ويمتد وطنهم من شمال مروى إلى انحناءة النيل.

Strabo. " The Geogrephy of Strabo." VIII, P. 7,

أما بلينى، وهو أيضا من كتاب القرن الأول الميلادى فيشير إلى أن النوبيين كانوا يقطنون على بعد ثمانية أيام من جزيرة سمبرتى «Sembritae» و(هى غير معروفة لنا الآن) إلى مدينة يقال لها تنوبسس Tenupsis على النيل. Arkell, A, J, oP. Cit. P. 178.

وتنوبسس هذه ربما يقصد بها بانوبيس Panubs فى جزيرة أرجو.

(2) Kirwan. L. P. :" A Survey of Nudian Origins" SNR, XX part I. 1937. p. 46.

(3) Arkell: A. J. : op. Cit. 178.

وعدو اليه لينظرو ما لحقه فوجدو سالما ولم ينقطع غير الثياب والمنطقة فسبحو الله وصرخو قايلين كقول داود النبي: الرب يحفظ اصفياه الرب يحفظ الابرار وينجيهم من يد الخطاه. وشكرو الله على خلاصه وقالو: لولا ان الرب نجانا كانت نفسي تكون في الجحيم،وان قلت ان رجلي زلت فرحمتك يا رب اعانتني، ولكثرة اوجاع قلبي افرحني عزاك.

وذكر أجاثيماروس Agathemarus، أنهم كانوا يسكنون على ضفتي النيل الشرقية والغربية(١).

وذكر بروكوبيوس Procopius (٥٤٥م) أن النباطيينNobatae سكنوا الواحة الخارجة فى القرن الثالث الميلادى عندما استدعاهم دقلديانوس (٢٨٤ - ٢٩٦م) للاستقرار فى منطقة النوبة السفلي الرومانية، ليدفعوا عن الرومان خطر البليميين. ثم تحدث عنهم مرة أخرى أنهم يسكنون النوبة السفلى فى منتصف القرن السادس الميلادى (٢).

وفى القرن الرابع الميلادى نسمع عن غزوة قام بها عيزانا أول ملوك أكسوم المسيحية على مملكة كوش. وجاء فى اللوحة التى سجل عليها عيزانا انتصاراته، أن النوبيين يحتلون جزءا من جزيرة مروى، وكانت لهم مدن على طول النيل.

وفى بردية ترجع إلى القرن الخامس الميلادى (٤٢٥ - ٤٥٠م) نرى أسقف فيلة يوجه نداء للأمبراطور تاوداسيوس الثانى ليحمى كنائسه من إغارات البليميين والنوباديين «Annoubades» وهذه الوثيقة المعاصرة تؤيد وجود النوباديين فى . منتصف القرن الخامس الميلادى(٣).

---

(1) Kiewan, L.P. : op cit. 49.

(2) Procopius, : History of the Wars, transt. by. H. B. Dewing. P. 185.

(3) Kirwan, L. P. ; op. cit. p. 53.

فلما نظر اخو الافشين هذه الاعجوبه وعلم ان الرب معه اخذه ليمضى به الى اخيه كما امره، وفيما هم يجذبونه ليخرجوه والشعب متعلق به فقال لهم: لا تمسكونى فما نحن مقاومون السلطان. فخرج والشعب يتبعونه باكين يسجدون على رجليه ويديه ويظنون انه يقتل، فلما نظرهم اخو الامير يمسكونه غضب جدا ورفع يده وضربه بمقرعه على راسه فانجرحت عينه، ودخل الى

وتحدث المؤرخ الروماني برسيق «Priscus » عن نص المعاهدة التي فرضها مكسيمينوس «Maximinus» (٤٥١م) على النباطين والبليميين وهى معاهدة عدم اعتداء لمدة مائة عام[١].

ويذكر يوحنا الافسى فى كتابه «التاريخ الكنسى» أن النباطين يسكنون إلى الجنوب من أسوان، على حين يعيش البليميون فى الصحراء الشرقية. تشير الوثائق القبطية إلى أن المملكة المسيحية في الشمال أطلق عليها اسم نوباتيا «Nobatia» أو نوباديا « Nobadia»[٢].

وعلى هذا فإن لدينا من معلومات عن النوبيين منذ القرن الثالث قبل الميلادى حتى القرن السادس الميلادى، لاتزيد على أن تصفهم بأنهم قبيلة أوشعب من الشعوب التى تسكن وادى النيل من الشلال الأول حتى جزيرة مروى، وهم أحيانا يسكنون غرب النيل وأحيانا أخرى على جانبى النيل، وأحيانا يحتلون بعض جهات الأتبرا وجزيرة مروى، ثم نسمع عن وجودهم في الواحة الخارجة. وأخيرا نراهم فى القرنين الخامس والسادس يسكنون جهات النوبة السفلي.. وحتى عهد الملك سلكو – حوالى منتصف القرن السادس الميلادى على الأرجح – كانوا يمثلون عنصرا متمايزا عن بقية الأثيوبيين.

(1) Arkill, A. J. : op. cit P. 179.

(2) Kirwan, L.P. : op. cit. P. 55.

الافشين فخاطبه بما ينبغي، وبما قالوه عنه الاساقفه وسعو به، فقال له : بنعمة الله امر الاسقفين امر عجيب وذلك انى قطعتهما عن اسقفيتهما. ثم اعلمه سبب قطعهما لقيام شعبهما عليهما، فعلم الافشين الحق وبطلان قولهما عنه وبدا ان ينزل البلايا عليهما. وقال للحاضرين: لقد اراد هذان الرجلان ان يكسبانى خطيه عظيمه

إن هذه الإشارات المختلفة إلى النوبيين فى خلال التسعة قرون التى سبقت الغزو العربى لمصر، أثارت الخلاف بين العلماء عن أصل النوبيين. هل هم فى الأصل قوقازيون حاميون، أم أقوام من الجنوب وتغلب عليهم الصفات الزنجية؟ الواقع أن بعض العلماء وقعوا فى خطأ كبير عندما بنوا نظرياتهم الخاصة بأصل النوبيين على أسس لغوية دون غيرها. وبذلك حدث خلط بين النوبيين على النيل وبين النوباويين سكان جبال نوبا فى جنوب كردفان، رغم ما بينهما من فروق جثمانية وثقافية واضحة (١).

بيد أن البحث الأثرى فى المنطقة - التى غمرتها المياه بسبب تعلية خزان أسوان سنة ١٩٠٧ ـ على يد ريزنر وغيره من الأثريين، كشف عن ثقافات مختلفة فى منطقة النوبة، لعلها تفيد فى تفهم خصائص هذه الجماعات التى عمرت المنطقة منذ أقدم العصور، وصفاتها الطبيعية ونوع حضارتها ومدى اتصالها بغيرها من الجماعات المجاورة وتأثرها بها.

ونظراً لاستقرار الجماعات البشرية فى بلاد النوبة منذ عهد سحيق يرجع إلى ما قبل التاريخ، فإن العلماء لجأوا إلى تقسيم المقابر التى تحوى أثار هذه الجماعات وبقايا عظامها إلى مجموعات رمز لها بالأحرف .A. B. C. D. X. وتمثل كل مجموعة من هذه المجموعات الثقافية عصراً معيناً.

(١) محمد عوض محمد - السودان الشمالى - ص ٢٧٨.

واقتل ابا النصارى جميعا. فلما نظر القديس ان الانتقام يحل بهما بسببه قال له: مذهبى يامرنى بفعل الخير مع من يعمل معى الشر، والذى سعيا به هذان قد طرح الله فى قلبك الصحيح، فاسالك ان تفعل معهما خيرا برياستك وتركهما كرامة لله. فلما نظر فعله تعجب واطلق الاسقفين، فمجد الشعب الله وشكروه وقالو انه مستحق

وتشمل المجموعة الثقافية A (من حوالى ٥٠٠٠ ق. م. إلى ٣٠٠٠ ق. م.) عصر ما قبل التاريخ وعصر الأسرات الأول، وفيه تكونت السلالة النوبية الأولى، ودل البحث الأثرى بالنوبة السفلى على وجود سلسلة مراكز للسكان عند فتحات الأودية حيث كونت الرواسب مساحات مختلفة صالحة للزراعة، وقامت حياة سكانها على الزراعة، كما دلت بقايا هؤلاء السكان على أنهم من نفس سلالة قدماء المصريين الذين سكنوا مصر قبل ظهور الأسرات المصرية وهم جميعاً من الجنس الحامى، كما أن فخارهم ومصنوعاتهم من المعدن والحجر والعاج وغيرها كانت مطابقة فى مادتها وشكلها للمصنوعات التى وجدت فى نفس العهد المصرى [١]. كما أن طريقة الدفن تشبه تلك التى وجدت فى مصر فى ذلك العهد.

ولاحظ اليوت سمث أن المؤثرات الزنجية لم تصل إلى مصر ولا إلى بلاد النوبة قبل عهد الأسرة الثالثة المصرية، باستثناء النساء الزنجيات اللائى اتخذهن المصريون أو النوبيون أزواجاً لهم.. ويضيف إلى هذا قوله: «إن الأبحاث الأثرية تؤيد ما ذهبت إليه من أن سكان النوبة حتى الأسرة الثالثة كانوا امتداداً لسكان مصر نحو الجنوب [٢]».

---

(١) سليم حسن ـ مصر القديمة ـ جـ١٠ ص ٢ ـ ٤.
وانظر .Arlell, A.J. : op. cit. PP. 37 - 38

(2) Illiot Smith, G.: "Anatomical Report" 'A' ASN B. 3, PP. 22- 23.

المجد لاقامته هذا الاب القديس العامل بوصاياه علينا مقدما.

ولما علم المامون الخبر من الواردين عليه امر ان يكتب له سجل بكرامته ورعايته ان لا يعترضه احد في احكامه ولا في من يوسمه او يقطعه.

ثم بعد ذلك امر المامون ان يطلب من بقى من البشموريين بكورة مصر وان يسيرو الى بغداد، فسيرو واقامو في الحبوس مدة كبيرة حتى اراد الله

والمجموعة الثقافية «B» في بلاد النوبة، تقابل من حيث الزمن عصر بناة الأهرام حتى الأسرة السادسة. غير أنه لم يلاحظ عليها أى أثر مصرى بارز كالكتابة مثلا. والواقع أن ثقافة النوبيين في هذا العهد تمثل صورة منحطة من ثقافة المجموعة A التى كانت فيما يبدو مخالفة لها [١]. ويرى فرث أن أهم ما يلاحظ على ثقافة المجموعة النوبية «B» ـ اختفاء الأوانى الفخارية، وأن العدد القليل الذى عثر عليه من نوع محلى ردئ يختلف عن الفخار المصرى[٢]. ويرى ريزنر أن طريقة الدفن عندهم تختلف عن تلك التى اتبعت فى عهد ثقافة المجموعة «A» ويدل هذا على أن مظاهر ا لاحتكاك الحضارى بين مصر والنوبة فى هذا العهد كانت ضعيفة [٣].

أما المجموعة الثقافية «C» (٢٤٠٠ – ١٦٠٠ ق. م.) فدلت الأبحاث الأثرية على أن سكان النوبة في هذا العصر كانوا من الحاميين الذين اختلطت دماؤهم بدم الزنوج، وهم قوم من الرعاة اضطروا إلى ترك أوطانهم الأصلية والتقدم شمالا تحت ضغط جماعات أقوى منها[٤]. وإذا قورنت ثقافتهم بثقافة الدولة الوسطى المصرية وجدت متخلفة عنها.

(١) سليم حسن – مصر القديمة جـ١٠ ص ١٨ ـ ١٩.

(2) Firth, C. M. : ASN, Report for 1908 - 9, I, p. 1.

(3) Ibid, op, cit . p. 12.

(4) Ibid, op. cit. p. 14.

خلاصهم من يد ابرهيم الملك بعد اخيه، فمنهم من رجع الى بلده ومنهم من بقى هناك ببغداد وانشو بساتين واقامو هناك الى اليوم وهم الى اليوم يسمون أهل البشروديين(*).

ثم بعد ذلك اراد الاب يوساب ان يرسم اسقفين بمصر وتنيس عوضا من المقطوعين [اسحاق وتادرس] ليتمم قول السليح بولس: واعظم ما على الاهتمام بالبيع. فاما اسحق [ابن اندونه]

(*) تذكر بعض المصادر أن البشموريين تم توطينهم في مستنقعات الأهواز (شط العرب) في جنوب العراق المطل على الخليج الفارسى ليصلحوا أراضيها لحساب العباسيين، وذلك في ظل ظروف مناخية سيئة وأمراض الملاريا والقحط الشديد، ولعل=

وفى عهد الدولة الحديثة نزحت أفواج كبيرة من مصر إلى بلاد النوبة. وظهرت فى بلاد النوبة نهضة ثقافية مركزها نباتا، وازدحمت البلاد بطوائف مختلفة حملت معها ألوانا من الحضارة المصرية. ويمكن القول إن بلاد النوبة مصرت تمصيرا تاما وانتشرت عبادة الآلهة المصرية جميعاً وخاصة آمون.

أما المجموعة الثقافية «X» (من ٣٠٠م – ٥٥٠م) فتشير تقارير العلماء الذين قاموا بفحص مقابر أصحاب هذه الثقافة فى بلانة وقسطل وفركة إلى وجود الأثر الزنجى واضحا (١)، ويرجع إلى هجرة زنجية من الجنوب واستقرار أصحابها في بلاد النوبة واختلاطهم بسكانها(٢)، كما أثبت فحص الجماجم البشرية وجود عدد من النساء مساو تقريبا لمثله من الرجال، مما يدل على أن وجود هذه العناصر الزنجية لم يكن الغرض منه مجرد الغزو، بل كان الدافع لهم الاستقرار فى هذه الجهات وتعميرها، ويبدو من التقرير الذى وضعه الدكتور البطراوى أن هذه الهجرة كانت زنجية تحت قيادة حامية (٣). وأهم ما يلاحظ على هؤلاء القوم، أنهم مارسوا الزراعة بوصفها حرفة أساسية تساندها حرفة الرعى، واختفاء الطابع

(1) Kirwan, L.P. : The Oxiord University Excaxations at Firka p. 36.

(2) Ibid, op. cit. p. 38.

(٣) محمد عوض محمد – السودان الشمالي ص ٢٩٨.

= بقاياهم شارك بعد ذلك فى ثورات الزنج على الخلافة العباسية، نظراً لتمرسهم بأساليب القتال فى المستنقعات، عندما كانوا فى برارى شمال الدلتا بمصر.

الارخن الذى صيره شماسا ونايبا عنه اوسمه اسقفا على وسيم، واوسم انسانا اسمه ديمتريوس على تنيس وبقى فسطاط مصر بغير اسقف، وبقى [اسحق ابن اندونه] اسقف وسيم مدبر كرسى مصر، وجعل سلطانه عليه. ولم يكن احد يقدر ان يقاومه بقوة كلامه عند الولاه وعند اخوته وجماعته، وبقى على الكرسين الى يوم وفاته.

فلما افاق البطرك قليلا اهتم بامر الحبشه والنوبه

المصرى فى بناء المقابر وطرق الدفن، وكثرة وجود الضحايا البشرية والحيوانية. وهى تمثل خليطا من حضارة بيزنطية ومروية لم تخل من الآثار البدائية (١).

واختلف العلماء فى أصل أصحاب هذه المجموعة الثقافية «X» ويرى فرث أنهم نباطيو دقلديانوس. ولا يسلم كروان بهذا الرأى لأسباب منها أنه لم يعثر على آثار أصحاب هذه الثقافة إلا منذ القرن الرابع الميلادى على حين أن النباطيين جاءوا إلى النوبة فى القرن الثالث الميلادى، كما أن النباطيين لم يتخطوا مدينة المحرقة، على حين وجدت آثار المجموعة «X» فى جهات تقع إلى الجنوب من الشلال الثانى عند فركه (٢).

واعتقد البعض اعتمادا على ما ذكره المؤرخ أوليمبيودوروس Olympiodorus أن البليميين هم أصحاب الثقافة «X» . لأن هذا المؤرخ لاحظ أن البليميين يحتلون خمس مدن على النيل من إبريم إلى فيلة فى أواخر القرن الخامس الميلادى. وفى هذه المنطقة ذاتها عثر على آثار المجموعة الثقافية «X»، مما يرجع معة نسبة البليميين إلى هذه الثقافة. ولكن يصعب التسليم بهذا الرأى لأن البقايا التى عثر عليها فى مقابر المجموعة الثقافية «X» تدل على أن أصحابها كانوا قوما مستقرين يمارسون الزراعة، على حين أن البليميين شعب رعوى متنقل، ثم أن

(1) Kirwan, L. P. : " The Ballana Civilization " op. Cit. P. 104.

(2) Kirwan, L. p. : Firka P. 39.

وانفذ اليهم كتبا وتفقدهم وتفقد بيعهم ولم يتمكن لخلف [الحروب] الملوك مع ولاة مصر المسلمين. وكان يطلب الى الله ان تكون السلامه بينهم ليبلغ غرضه فى عمارة المواضع التى للاب البشير مارى مرقس، فسمع الله دعاه واجاب طلبته.

وكان الحرب قد اقام اربع عشره سنه بينهم [بين ملوك الحبشه والنوبه من جهة والولاه المسلمين من

وجودهم في هذه المنطقةن كان مؤقتا لم يلبثوا أن طردوا منها على يد الملك سلكو. وبفحص الجماجم وجود نسبة كبيرة من الدماء الزنجية، وهي تختلف عن تلك التي وجدت في مقابر المجموعتين الثقافيتين "B, A" ، وهي كما سبق تنسب للجنس الحامي أيضا، وينسب إليه البليميون. وثالثهما يتعلق بتوزيع اثار هذه المجموعة إذ عثر عليها جنوبى الشلال الثانى، على حين أن البليميين لم يتخطوا إبرايم في المدة التي استقروا فيها موقتا على النيل ثم طردهم نهائيا على يد الملك سلكو[1].

ورأى آخر ينسب أصحاب هذه الثقافة إلى النوبا ـ النوباديين ـ "Noba Noubades" ، الذين خضعوا لسلطان الملك سلكو، الذى أطلق على نفسه لقب ملك النوباديين والأثيوبيين، وهذا اللقب يؤكد قيام التحالف بين النوبيين والمرويين، والذى ظهرت آثاره في مخلفات المجموعة الثقافية «X»، وهي تحتوى ـ كما سبق أن بينا ـ على عناصر ثقافية مشتركة نوبية ومروية[2]وتمكن النوباديون (النوبيون) بفضل ملكهم سلكو بعد طرد البليميين من منطقة إبريم ـ الشلال، أن يصبحوا سادة هذه المنطقة التي تمتد من فيلة شمالا حتى الشلال الثالث جنوبا، وأن يؤسسوا مملكه نوباتيا (النوبة) وعاصمتها بلانة [3].

---

(1) Kirwan, L. P. : Firka op . Cit. P. 39.

(2) Ibid, Op. cit. P. 43.

(3) Kirwan, L. P. : "A Survey of Nubian Origins", SNR. XX Part, II. P. 59.

جهة أخرى] الى أن ملك ابراهيم [المعتصم] اخو المامون وجعل حفظه على طريق الحبشه والنوبه.

وكان الملك على النوبه زكريا، فانفذ ابراهيم يقول له: ان كنت تفعل كما كان يفعل غيرك من الملوك فانفذ خراج اربع عشره سنه سلفت والا نحن نحاربك.

وكان كاتب الوالى فى الصعيد انسان شماس اسمه جرجه، فكتب الى البطرك يعرفه ما صدرت

هذه هي مجموعة البحوث التى قام بها علماء الآثار، وهي وإن لم تقطع برأى صريح فى أصل النوبيين، فإنها مع هذا ألقت ضوءاً على المجموعات البشرية التى عمرت بلاد النوبة منذ أقدم العصور وتتابعها الزمنى.

ومن السهل أن نسلم ـ بعد دراسة نتائج أبحاث علماء الآثار والأجناس ـ بأن النوبيين بوضعهم الذى كانوا عليه عندما استقبلوا الدعوة المسيحية كانوا يمثلون خليطا من سلالات حامية مثل سلالة قدماء المصريين فى عصر الأسرات الأول وما قبلها، ومن سلالات زنجية، وذلك لأن بلاد النوبة منذ عهد الأسرة الثالثة المصرية استقبلت جماعات حامية من الشرق والغرب وجماعات مصرية من الشمال، كما أنها أخذت تستقبل من الجنوب جماعات زنجية[(١)].

ويرى كروان أن النوباديين "Annoubades " الذين ورد ذكرهم فى بردية ليدن [(٢)] والنباطيين الذين عقد معهم مكسمينوس صلحا، ونوبادى سلكو، هم جميعا النوبيون الذين أغاروا على

(١) تمثل مروى فى رأى فرث نقطة التقاء هذه العناصر الحامية القادمة من الشرق والنيلية (الزنجية) القادمة من الجنوب، ثم أخذ هذا الخليط يهبط أرض النوبة السفلية

Firth, C. M: ASN Report for 1910 - 11, P. 37.

(٢) وهى البردية التى تشير إلى نداء أسقف فيلة إلى الامبراطور ناوداسيوس الثانى لحماية كنائس أسوان وألفنتين من البليميين و النوباديين.

به كتب الملك ابراهيم، فلما سمع هذا البطرك مجد الله وفرح وقال: هذه الوسيله لأكتب ايضا بمايتعلق بالبيعه الى الملوك. فكتب كتبا متضمنه ما يجب من نعمة روح القدس يسلم عليهم ويفخهم ويوجدهم [يخبرهم] ما يفعلونه معه ملوك المسلمين من الجميل لما اجلسه الرب على الكرسى الجليل المقدس، ويقول: وانا غير مستحق لذلك، وكنت مشتاقا الى اخباركم، وكانت خطيتى تمنعنى الا اكاتبكم لاجل الحروب التى كانت

مروى فى القرن الرابع الميلادى، ثم اندفعوا شمالا أمام الغزو الأكسومى إلى جهات النوبة الوسطـ. ومن الجائز أن هؤلاءعاشوا جنبا إلى جنب مع المرويين وأخذوا عنهم بعض ثقافتهم التى تتمثل فى ثقافة المجموعة «X» إلى جانب المؤثرات البيزنطية كما سبق ذكره [١]. ويبدو أن هؤلاء الطارئين يمثلون العنصر الزنجى فى ثقافة المجموعة «X» ومن الجائز أن يكون هؤلاء من سلالة العناصر الزنجية التى امتدت أوطانها جنوبى مروى، من أرض الجزيرة شرقا إلى جبال كردفان غربا. ويفسر هذا وجود أوجه شبه بين الفرجاب الذين يعيشون قرب بارة بكردفان وسكان جبل مويا. وأيضا بين النوباويين بجبال كردفان وسكان دار فونج بأرض الجزيرة، لا فى الصفات الطبيعية فحسب، بل فى بعض عناصر ثقافتها كذلك.. وهؤلاء هم الذين أغاروا على مروى، ثم تكون منهم بعد ذلك الحلف المروى النوبى تحت زعامة سلكو [٢].

بيد أن دى فيار يفرق بين النوبا Nuba، وهم فى نظره أصحاب البلاد الأصليين وبين النباطيين Nobatae الذين ظهروا فى بلاد النوبة السفلى الرومانية منذ عهد دقلديانوس. ويرى دى فيار أن أصل النباطيين من ليبيا، وأنهم نزحوا من شمال إفريقيا تحت ضغط الرومان الذين شنوا عليهم حربا لا هوادة فيها اقتصتها سياستهم التنظيمية الجديدة، وإزاء هذا الضغط الرومانى، اضطر هؤلاء إلى الهجرة إلى الصحراء، متخذين طريق الواحات، كما فعل أسلافهم

---

(1) Kirwan , L. P. : " The Oxford Excavations in Nubia" JEA, XXI, p. 197.

(2) Kirwan, L. P. : Firka op . cit. P. 43.

بارض مصر، ومخالفة اهل البشموريين لاوامر الملك الى ان قتلهم واخرب مواضعهم وهدم بيعهم، فوجدنا الوسيله بهذه المكاتبه ان نعلمكم ماجرى ، ويجب الان يا احباى ان تتمو ما يجب عليكم لهولا الملوك، وان كان لا يجب ان نامركم بشى من هذا فقد قاسيت عذابا من اخوتى كما قاسى يوسف بن يعقوب من اخوته، ويجب الان ان تطلبو السلامه تكون بينكم يا محبى الله، وتصير السلامه فى البيعه من اجلكم.

فى الطمحو وخلفاؤهم من الهوارة وغيرهم، وساعدهم ظهور الجمل (فى القرن الأول الميلادى) على سرعة تحركهم فى الصحراء. وعلى الرغم من هذا فإن علاقتهم بالرومان لم تنقطع، وكثيرا ما ترددوا على المدن الرومانية بشمال افريقيا ليغشوا أسواقها، كما أنهم قاموا بدور الوسيط فى نقل المتاجر الرومانية، واستقر بعضهم فى الواحة الخارجية، وعندما اضطر دقلديانوس إلى الاستعانة بهم ضد البليميين، استدعاهم إلى بلاد النوبة السفلى فى القرن الثالث الميلادى، وسيطروا على منطقة النوبة السفلى، واختلطوا بسكانها القدماء، وأخذوا عنهم بعض عاداتهم، ودخلوا فيما بعد فى المسيحية، وأسوا مملكة النوبة المسيحية. فهم يمثلون إذن فى رأى دى فيار الطبقة الارستقراطية فى المجتمع النوبى، على حين يمثل النوبيون الاصليون عامة الشعب، وهم الذين كشفت عنهم أعمال التنقيب فى مقابر المجموعة «X» التى سبق ذكرها (١).

ومع مافى هذا الرأى من طرافه إلا أنه لا يمكن قبوله، لأن معنى هذا أنه قبيل مجئ هذه الطبقة الاستقراطية من ليبيا إلى بلاد النوبة السفلى، كان جميع سكانها من الزنوج، وهذا مما لا يتفق والحقائق التاريخية ونتائج الابحاث الأثرية.

أما البحوث اللغوية التى قام بها بعض علماء اللغات لحل مشكلة أصل النوبيين كما يدعون، فقد لا تفيد كثيرا بقدر ما تزيد هذا الموضوع تعقيدا. وذلك أن فردريك ملر ومدرسته

---

(1) De Villard, : Storia della Nubia Cristiana. PP. 133 - 139.

وهذه الرساله انفذها الى الوالى الذى فى المعدن باسوان لينفذها [إلى زكريا ملك النوبه].

فلما وصلت الكتب الى زكريا الملك وقريت عليه قال: ما الذى اصنع فى ما التمس منى الملك [ابراهيم]. من يجمع لى بقط اربع عشرة سنه انفسا [عبيدا] انفذهم اليه، و[أنا] لا اتمكن من مفارقة كرسيى ليلا [لئلا] يهلكونا البربر المخالفون لى، ويجب ان انفذ ابنى اليه. فاحضر ولده الاكبر

لاحظوا وجود نوع من التشابه بين اللغة السائدة في بلاد النوبة وبين بعض اللغات الموجودة فى شمال تلال كردفان، فبنوا نظرياتهم على أساس أن النوبيين والنوباويين (سكان جبال النوبا فى جنوب كردفان) من سلالة واحدة، ورغم مابين الشعبين من خلاف كبير. ويرى عوض بناء على ما قام به سلجمان من دراسات فى هذا الموضوع أن ملر ومدرسته وقعوا فى خلط مزدوج. ذلك أن اللغة التى قد تشبه من بعض الوجوه لغة النوبيين لم تكن سوى واحدة من ثلاث في الجبال جنوب كردفان. وثمة خطأ كبير آخر هو أن السلالة النوبية قوقازية على حين أن النوبويين فى جبال كردفان تغلب عليهم الصفات الزنجية، كما أن ثقافتهم تختلف تمام الاختلاف[(١)].

يرى زيلارس أن لغة جبال النوبا بكردفان واللغة النوبية على النيل هما فرعان من لغة واحدة كانت منتشرة في شمال كردفان ثم انتقلت بواسطة أصحابها إلى كل من الاقليمين[(٢)].

(١) محمد عوض محمد ـ السودان الشمالى ـ سكانه وقبائله ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩.
أنظر Seligman, S . G. "Some Aspects of the Hamitic Problem in the A. E. Sudan, JRAI, 43, 1913.

(٢) محمد عوض محمد ـ نفس المصدر ـ ص ٢٩٠ ـ ٢/١.
أنظر Hillelson, S. : "Nubian Origins " , SNR, XIII, I, PP. 132- 146.
Henderson, K. D. D. : "Nubian Origins" SNR, XX, II, PP. 90 - 92.
Henderson, K. D. D: "Nubian Origns" SNR, XXI, I, PP.. 222 - 224.

وكان اسمه جرجه وضرب بالبوق وجعل مناديا ينادى «ان الملك له بعدى» ثم ا نفذه الى مصر صحبة الرسل الواصلين من مصر مع هدايا اعدها.

ولما وصل الى مصر اجتمع به الاب المغبوط انبا يوساب، فلما نظر اليه جرجه بن زكريا الملك فرح فرحا عظيما وسجد بين يديه فبارك عليه البطرك واعاد عليه بعض ما جرى عليه ليقيم عذره فى تاخر كتبه عن مملكتهم ، فقال له جرجه: مبارك الرب الذى لم يفعل معنا مثل خطايانا لكن خطيتنا

ومن الضرورى اذن أن نبحث أصل هذه اللغة، هل هى حامية أوزنجية؟ يرى راينش أن اللغة النوبية حامية الأصل ثم دخلتها مؤثرات أجنبية [1] ولعل هذه المؤاثرات الأجنبية من الجنوب.

وعليه فان النوبيين ـ كما وصفهم اليوث سمث ـ حاميو الأصل من نفس سلالة قدماء المصريين وتأثروا على مدى العصور بمؤثرات زنجية ظهرت بوضوح فى المجموعة الثقافية «X» وبالتالى يغلب على اللغةالنوبية أنها ذات أصل حامى تأثرت ببعض المؤثرات الزنجية. أما عن وجود شبة بين أحدى اللغات الثلاث الموجودة فى جبال كردفان الجنوبية وبين اللغة النوبية فان هذا لا يقوم دليلا على اشتراك هاتين السلالتين فى أصل واحد، فهو لا يستند على حقائق علمية، فالاختلاف واضح بينهما، والأرجح أن بعض الموجات النوبية سوءاً كان هذا قبل سقوط دنقلة أو بعدها هاجرت إلى بعض جهات كردفان أمام الضغط العربى المستمر، واستقرت بعض عناصرها فى شمال جبال كردفان، وفرضت أسمها ولغتها على سكان الجبال دون غيرهم، وهذه كانت واحدة من اللغات الثلاث الموجودة بهذه الجبال. وما لبث أن أطلق العرب اسم نوبا على سكان الجبال جميعاً. وربما كان هذا راجعاً إلى أن هؤلاء النوبيين المهاجرين كانوا عنصرا بارزا مما جعل اسمهم علما على الجبال جميعاً على الرغم من أن السكان الأصليين لا يطلقون على أنفسهم اسم «نوبا» ولكن «سكان الجبال».

(١) محمد عوض محمد – السودان الشمالى ـ سكانه وقبائله ، ص ٢٩١.

منعتك الى الان، وقدسك الذى جعلنى مستحقا ان اقبل يديك المقدستين ايها السراج المضى لجميع المسكونه وللارتدكسيين.

وبدا ان يمشى فى الطريق الى بغداد ساله ان يدعو له ان يعيده الله اليه بسلام. فوصل الى بغداد مدينة الملك فقبله الملك بفرح وقال له: قد وهب الله لك بقط جميع ما مضى من السنين لجل حضورك الى عندى وطاعتك لى . واقام عنده اياما كتيره مكرما ثم سرحه بكرامات كثير ذهب وفضه

بلاد النوبة قبيل دخول المسيحية

النوبيون وعلاقاتهم بالدولة الرومانية

دولة مروى. اضطراب الأمن بمناطق النوبة الوسطى والسفلى .تخلى الرومان عن منطقة النوبة السفلى. استمرار إغارات البليميين. موقف الدولة الرومانية ، حملة مكسيمينوس. طرد البليميين من وادى النيل، اغلاق معبد فيلة .

* * *

كانت بلاد النوبة جزءا من دولة كوش التى امتدت من الشلال الأول جنوباً إلى جهات النيل الأزرق وكردفان(١).

ويرجع ظهور هذه الدولة إلى حوالى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد، على يد سلالة من كهنة آمون، الذين هجروا طيبة حوالى منتصف القرن العاشر قبل الميلاد،على أثر تولية الملك شاشانق الأول الليبى الأصل حكم مصر.

وأنشأت هذه السلالة الكهنوتية دولة جعلت عاصمتها نبات(٢)، واستقلت عن حكم

(1)Arkell, A.J. : A History of the Sudan to AD. 1821. pp. 112 - 113.

(٢) اتين دريتون وجاك فانديه: مصر، تعريب عباس بيومى ص ٥٨٦.

Arkell, op, Cit, pp. 112 - 113.

وملبوس وانفذ صحبته عسكرا لكي يوصلوه الى بلاده بسلام.

فلما وصل إلى مصر ومن معه بمجد عظيم وتبحيل وصليب [ذهب] بيده يقبله كل احد موضع اكرام الملك له، وسال ابانا البطرك ان يحمل هيكلا مكرزا معمولا من خشب يتفصل [يفك] ويتركب الى داخل قصر الملك حيث كان نازلا فيه، وكانو معه اساقفه من بلاده يقدسون له

مصر. ولم تقف جهود ملوكها عند شئونهم الداخلية، بل يبدو أن فكرة تخليص مصر من يد الليبيين الأجانب غدت ركنا من أركان سياستهم رغبة فى توحيد القطرين.

وتحقيقا لهذه السياسة، قام ملوك هذه الأسرة الكوشية بمحاولات انتهت بضم مصر إلى كوش وتوحيدهما في مملكه واحدة عاصمتها طيبة[١]. وأسس هؤلاء الملوك الكوشيون الأسرة الخامسة والعشرين في مصر، وهي الأسرة التي منعت الآشوريين مدة من دخول البلاد المصرية. ثم ما لبث الأشوريون أن استولوا على مصر واضطر تانوت آمون آخر ملوك هذه الأسرة في مصر إلى التقهقر جنوباً إلى نباتاً عاصمة أجداده. وبهذا انتهى حكم الملوك الكوشيين الذى استمر في مصر من سنة ٧١٥ق. م. إلى سنة ٦٦٣ق. م. وانتهت الأسرة الخامسة والعشرون[٢].

أما في الجنوب فظلت دولة الكوشيين قائمة، وأضفى ملوكها على أنفسهم ألقابا مصرية، وتشبهوا بفراعنة مصر، وظلت نباتا عاصمتهم تمثل مركزا لنوع من الحضارة المصرية، وظلت اللغة المصرية هى اللغة الرسمية للبلاد، وعندما حلت محلها لغة وطنية ظلت تكتب كذلك

---

(1) Arkell, A. J. : op. cit . p. 125.

(2) Ibid, op. cit. p. 128 - 136.

انظر كذلك اتين دريتون وجاك فانديه - «مصر» ترجمة عباس بيومى ص ٥٩٧ ـ ٦٠٣.

فيتقرب ابن الملك وكلمن معه. وامر بضرب الناقوس فوق السطوح الذى لقصر [الملك] فى وقت القداس كما يفعل فى البيعه، فتعجب كل احد من هذا وفرح جميع النصارى بهذا وجدو الله على ما اظهره بصلاة هذا القديس الاب البطرك.

وفي ايامه سافر ابن الملك المذكور واخذ فى هيئة المسير، فمشى معه ابونا البطرك الى موضع

بالخط الهيروغليفى، ودفن ملوك هذه الأسرة فى أهرام على الطريقة المصرية، وبنيت المعابد وانتشرت عبادة الآلهة المصرية إلى جانب المعبودات المحلية. ثم فقدت نباتا أهميتها منذ بداية القرن السادس قبل الميلاد، لانقطاع صلتها بمصر، ونفاذ مواردها من مناجم الذهب القريبة، وانتقل مركز الحكم والإدارة إلى مروى [١]، التى تمتاز بموقع جغرافى فريد وسط سهل غنى بموارده الزراعية،علاوة على وجود صناعة الحديد بالقرب منها. وظلت مروى عاصمة دولة كوش من ٣٠٠ ق. م. إلى ٣٥٠م على وجه التقريب، أى أن الدور المروى من تاريخ هذه الدولة يعاصر حكم البطالمة ثم الرومان فى مصر.

وفى مروى أخذت الثقافة المصرية تتضاءل شيئاً فشيئاً ، حتى غدت مزيجا من ثقافات مختلفة، مصرية ويونانية ورومانية، فضلا عن ثقافات حبشية سبئية وخاصة فى ناحيتى الدين والفن [٢].

وفى الدور المروى من تاريخ دولة كوش يتحدث الكتاب القدماء عن ملكات (كنداكة) ،

(١) مدينة مروى قرب كبوشية الحالية.
Smith H. F. C. ; " The Transfer of the Capital of Kush From Napata to Meroe " Kush, III PP. 20 - 52.

(2) Hamiktom, J. A. - ed. : The Anglo Egyptian Sudan from Within p. 18.

يعرف ببولاق(*) بمجد عظيم . وتعزى بذلك الاب عما جرى عليه من التجارب، ومن لا يتعجل اذا سمع هذه العجايب، وهو ان كل بطرك يجلس على هذا الكرسى المقدس يصرف اهتمامه الى تلتة اقسام: الاهتمام بسنوديقا الى بطرك انطاكيه، التانى امرنا الذى يتعلق بالحبشه والنوبه، والتالت تنجز سجلات من ملك مصر له [للبطرك] وللاساقفة ليستقيم امر البيع الارتدكسيه. فجمع الله لابونا البطرك انبا يوساب هذه التلتة اقسم بالمشاهدة،

(*) بولاق: كلمة مصرية فرعونية تعني الحدود. ولعل المقصود هنا وصول البطرك مع أبن ملك النوبة زكريا إلى ميناء بولاق المعروف قرب القاهرة العالية، هذا مع العلم بأنه كانت هناك مدينة بنفس الاسم جنوب اسوان على الحدود بيني مصر والنوبة، ولا يستبعد أن البطرك سار مع ابن الملك إليها.

يبدو أنهن حكمن أحيانا كوصيات على العرش نيابة عن أولادهن القصر[١]. ويتضح من أخبار ذلك الدور من تاريخ كوش أن العلاقات الطيبة بين البطالمة وحكام كوش استمرت حتى نهاية العهد البطلمي، بدليل أن كليوبترة بعثت بابنيها من القائد الروماني انطونيوس إلى الجنوب ليكونا في مأمن من خطر الرومان الذين هددوا ملكها في مصر، ولتنشد مساعدة الكوشيين لها ضد روما [٢]. وربما كان مرجع هذه العلاقات الطيبة إلى أن الدولة البطلمية في عز أيامها لم تجنح إلى التوسع جنوبي أسوان، بل شجعت المنطقة الممتدة من أسوان إلى المحرقة Hierosykaminos، وهي بلاد النوبة السفلى التي عرفت قديما باسم Dodekasch. على أن تظل مستقلة عن مصر وكوش تحت حكم أمرائها الوطنيين [٣]. على أن هذه المنطقة لم تلبث أن فقدت استقلالها زمن بطليموس السادس (١٨١ ـ ١٤٥ق.م)، وظلت كذلك حتى نهاية الدولة البطلمية على يد الرومان عام ٣٢ ق. م. [٤].

* * *

---

(١) أطلق هؤلاء الكتاب على ملكة مروى اسم كنداكة، ويبدو أن هذا كان لقبا بمعنى ملكة . أنظر: Arkell, A. J. op . cit. p. 126.

(2) Woolley. and Maciver, : Karanog - The Romano - Nubian Cemetery P. 85.

(3) Beckett, H. W.: ASN, II, Report 1907 - 8, P. 349.

(٤) يبدو أن فراعنة مصر من أيام الأسرة الثانية والعشرين عجزوا عن دعم النفوذ المصرى القديم في =

ووصول الملك المامون من بلاده، فوصل اخيه ديونوسيوس بطرك انطاكيه. ومشاهدته له، ووصول ابن ملك النوبه كما ذكرنا ، واستقامة الامور ونظره المجد العظيم بالحقيقه كما قال داود النبى : ان تسجد له كل الامم.

وفعل له عجبا اخر حتى كمل الله له جميع ما طلبه حتى يتمجد كرسى الاب الجليل مارى مرقس البشير، بركات صلواته تحفظنا.

كان في ذلك الزمان اسقف اسمه يوحنا، وكان

ويعد العهد الرومانى فى مصر بداية عهد جديد فى تاريخ العلاقات بين مصر الرومانية وبين ملوك كوش، إذا عاد الكوشيون إلى بسط نفوذهم على إقليم دوديكاشينوس ولم يعترفوا للرومان بحقهم في تلك البلاد، باعتبارهم ورثة البطالمة، كما لم يعترفوا بالحدود القديمه التى امتد إليها نفوذ البطالمة من قبل [1]، بل ساعدوا المصريين الذين ثاروا عام ٣٩ ق. م. على الرومان فى إقليم طيبة عندما ظهر جباة الضرائب من الرومانيين لأول مرة فى تلك المنطقه، ولذلك أوغل القائد الرومانى كورنيليوس جالوس Cornelius Gallus جنوبا حتى أسوان، بعد أن قضى على الثورة في طيبة [2]، واستدعى إلى أسوان حكام إقليم تريا كونشتشينوى

= بلاد النوبة السفلى، ولذا صارت هذه البلاد جزءا من دولة كوش مع تمتعها بشئ من الاستقلال عنها ، وظلت هكذا حتى انتقل إليها آرك أمن الذى عرف باسم أرجمينيز Argemenes أحد ملوك مروى على أثر نزاع بينه وبين كهنة نباتا. وكان هذا الملك معاصراً لبطليموس الثانى والثالث والرابع، وتلقى علومه فى جامعة الإسكندرية وتثقف بالثقافة اليونانية واتخذ هذا الملك مدينة دكة Pseleckis عاصمة له، وبنى بها معبدا، وأنشأ علاقات ودية بدولة البطالمة، وخلفه على عرش هذا المملكة النوبية أخوه أركرا من Arkharaimen, فسار على سياسة سلفه، وبموت أركرامن ، انتقلت هذه المملكة الصغيرة إلى بطليموس السادس وأصبحت جزءا من مصر.

Firth . C. M. : ASN. Report for 1910 - 11, 11, O, 29.

Beckett H. W. : ASN. Report for 1907 - 1908. 11, p. 349.

(1) Wooley - Maciver: K aranog, P. 85.

(2) Budge, E. A. W. : The Egyptian Sudan, II P. 166.

الاب انبا يعقوب قد وسمه لبلاد الحبشه، وكان ملك الحبشه قد خرج فى حرب فعمدو اهل البلاد فاخرجو الاسقف واقامو اسقفا باختيارهم بخلاف القانون، فعاد المذكور الى مصر ونزل فى دير برموس بوادى هبيب، لنه [لأنه] كان ترهب فيه اولا، والرب محب البشر الذى يريد خلاصهم ويردهم الى معرفة الحق لم يجعل تلك الكورة ومن فيها ان يقيمو على الخلاف الذى فعلوه، لكن اثار عليهم الكرسي الانجيلى دفعة أخرى ليظهر الرب عجايبه هكذا فانزل عليهم وبا وفنا عظيما

Triakontachoinoi [(١)]، وأوضح لهم أن هذا الاقليم منطقة نفوذ رومانية، على أن تظل تحت حكم أمرائها من الكوشيين [(٢)]. ويعتبر هذا أول اتفاق بين الرومان والكوشيين على تحديد مناطق النفوذ والحدود بينهما.

بيد أنه لم يقدر لهذا الاتفاق أن يدوم طويلا، ولم يتح للرومان أيضا فرصة التمتع بثمرة ما أحرزوه من كسب فى هذه المنطقة، إذ شجعت أخبار الفشل الرومانى فى اليمن طوائف الكوشيين على الثورة على الحكم الروماني، واحتلوا الفنتين وأسوان، وحطموا تماثيل أغسطس قيصر، وهزموا الحامية الرومانية [(٣)].

كان من الطبيعي أن يرد الرومان هذا الهجوم، فقاد جالوس بترونيوس Gallus Petronius حملة تعقب فيها الكوشيين جنوبا وطاردهم حتى دكة، ثم دارت بين الجانبين مفاوضات غير مجدية، فعاد القائد الروماني إلى الحرب، ونشبت معركة انتهت بهزيمة الكوشيين وأسرقادتهم وإرسالهم إلى الأسكندرية، ثم استولى بترونيوس على دكة وابريم، ووصل فى زحفه جنوبا حتى نباتا فحاصرها. وعلى الرغم من العرض الذى تقدمت به كنداكة إلى بترونيوس برد الأسرى الرومانيين وإعادة تماثيل قيصر إلى أسوان، فان بترونيوس هاجم نباتا واستولى عليها،

(١) وهى المنطقة التى تمتد من المحرقة إلى عكاشة جنوبى الشلال الثانى أنظر الفصل السابق.

(2) Milne, J. G. : A History of Egypt Under Roman Rule V. P. 17.

(3) Strabo: op. Cit. P. 137.

وعلى بهايمهم، وجعل ملكهم مغلوبا من كلمن يقاومه ويقتل اصحابه. فلما عاد من الحرب لحقه حزن عظيم ولم يعلم بما جرى على الاسقف ولا كيف انفوه من بلدهم وكانت الملكة [هى] التى فعلت هذا كما فعلت اوضوكسية ذلك الزمان مع يوحنا فم الذهب. فلما علم الملك بذلك اسرع وكتب الى الراعى الصالح انبا يوساب يقول له انا اسجد للكرسى الانجيلى الذى استحقت ابوتك الجلوس عليه، وبنعمته ثبت ملكى، والان فان قوما من كورتى ضلو عن نور الكرسى المقدس وجعلو

ثم قفل راجعا إلى الإسكندرية. وفى طريق عودته قوى بترونيوس حصون إبريم، وترك فيها حامية من أربعمائه جندى مزودة بمؤن تكفيها ثلاث سنوات[1].

لم يكد بترونيوس يصل إلى الاسكندرية حتى سمع بنبأ الاغارة من جديد على حامية إبريم، فعاد مسرعا وخلص هذه الحامية من الحصار الذى فرضه الكوشيون عليها [2]. وانهزمت جيوش كندا كة، وقبلت دفع جزية وإرسال عدد من الرهائن [3]. ثم سعت كندا كة إلى الصلح، وأرسلت سفراءها إلى الإمبراطور، واستغلت الدولة الرومانية هذه الحال، فأ كدت حقوقها فى منطقة دوديكاشينوس واحتلتها القوات الرومانية. ودام السلام بين الرومان وبين الكوشيين مدة غير قصيرة [4]. ثم بدا فى منتصف القرن الأول الميلادى كأن الدولة الرومانية تريد غزو بلاد كوش كلها، إذ أرسل الامبراطور نيرون (٥٤ ـ ٦٨م) بعثة إلى بلاد كوش لاستطلاع أحوالها، ووصلت البعثة جنوبا حتى إقليم السدود. بيد أن تقريرها جاء مخيبا لآمال الامبراطور فعدل عن مشروعه [5].

(1) Ibid : op. Cit. p. 139.

(2) Ibid : op. Cit. p. 141.

(3) Woolley - Maciver: op. cit. P. 86.

(4) Milne, J. G. op cit. P. 36.

(5) Ibid: op. Cit. p. 36.

Pliny: Natural History, II, P. 475.

ارجلهم في الطريق المملوه شـوكـا لما اخـرجـو خليـفـتك، فـانزل الرب مـجـازاة ذلك على روسنا فاذاقنا عنه الانتقام بموت الناس والبهايم بالوبا [ء]. ومنع السـمـا [ء] من المطر علينا، والان يا ابانا القديس فاغفل عن جهلنا وانفذ الينا من يدعو الى الله فينا ويصلى عنا لنخلص بصلوتك المسموعه.

لما وقف الاب على الكتب فرح بامانته وانفـذ سـرعـه واحـضـر ذلك الاسـقف من دير برمـوس، وعزاه وتبته وسيره اليهم، وانفذ معه قوما مامونين

وفي مدة قرنين (من ٦٠م إلى ٢٦٠م) قام الرومان بسلسلة من مشاريع التعمير في هذه المنطقة، غرضها توسيع التجارة بين مصر وبلاد دارفور وكردفان. ولهذا أقيمت المعابد في فيلة وكلابشة، وكشف الرومان طريق القوافل القديم الذى يؤدى إلى هاتين المقاطعتين الغنيتين بمواردهما الطبيعية، كما أقيم معبد في الواحة الداخلة. ومما لا شك فيه أن الرومان كانوا يهدفون إلى قيام علاقات صداقة بينهم وبين القبائل التى تعيش في الغرب والجنوب لتحقيق أغراضهم التجارية[١]

غير أن هذه السياسة السلمية لم تلبث أن طرأ عليها ما أفسدها بسبب إغارات البليميين[٢]. ويبدو أن البليميين كانوا يستوطنون بعض جهات النوبة السفلى. جنوبى المحرقة

(1) Budge: A Hist. of Ethiopia.., I. P. 8.

(٢) أطلق الكتاب القدماء منذ القرن الأول الميلادى ـ على سكان الصحراء. الشرقية اسم البليميين Blemmyes (Strabo : op. cit.; P. 5). وذكر بروكوبيوس في القرن السادس الميلادى أنهم يكون المنطقة الممتدة من حدود مصر إلى أكسوم (Procopius op.cit.p. 185) ، على حين أن كوزمس التاجر المصرى الذى عاش في هذا الوقت أيضا أطلق على سكان هذه المنطقة اسم بجا. Bega.

(Cosmas. Christian Topography of Cosmas - ed. Mac Crindle Haklyot Socicty P. 62.

والظاهر أن البليميين هم البجة أو شعبة منهم. ففي القرن الرابع عشر الميلادى يشير كل من الادريسى وابن الوردى إلى وجود جماعة تسكن الصحراء الشرقية يقال لها البليون، ويشير الرحالة البرتغالى الفارز إلى وجود جماعة تدعى Bellones (بلونيون) ولا يبعد أن يكون هؤلاء وأولئك هم البليميون الذين أشار=

لجل الطريق، ودفع له ما يتسفر به وما يكفيه وشيعهم وهو يبارك عليهم يسهل الله طريقهم، فسمع الله له ووصلو الى الملك المحب ففرح بهم وكلمن فى كورته.

فرمى الشيطان عدو السلامه فى قلب قوم من اهل تلك الكورة الى ان وقفو للملك وقالو له نحن نطلب من امرك ان تامر هذاالاسقف ان يختتن لن [لأن] كلمن فى كورتنا مختتنون سواه. ومن قوة فعل الشيطان طاب قلب الملك بهذا ان

منذ زمن البطالمة [1]. ولكننا لا نعرف إذا كانوا قد خضعوا لنفوذ دولة مروى فى الجنوب بعد ضم منطقة دوديكاشينوس للإدارة الرومانية فى مصر. أما المعروف فهو أن البليميين لم يستقلوا بهذه المنطقة تماما على الرغم من احتلالهم لها [2]. ومن هذه المنطقة بدأت سلسلة الإغازات التى شغلت الرومان وضايقتهم وكلفتهم الكثير من الجهد، وكانت أولى هذه الاغارات عام ٢٥٠م. ومما شجع المغيرين على القيام بهجومهم على الأطراف الرومانية، حالة الفوضى والانقسام فى جوف الدولة الرومانية، وقلة حاميات الأطراف[3]، وكذلك تصفيةالحكم

= إليهم الكتاب فى العهد الرومانى، ولو صح هذا، ونسبوا إلى البجا لأصبحوا يعتبرون من الجنس الحامى. ويرى سلجمان أنهم من نفس سلالة قدماء المصريين واقتبسوا من حضارتهم وتعلموا الزراعة واستئناس الحيوان. ويبدو أن لفظ البجا، أو البجه هو الاسم الحديث للقبائل القديمة التى كانت معروفة لقدماء المصريين تحت إسم ميجا أو ميجوى، واستعان بهم قدماء المصريين منذ الأسرة السادسة (٢٥٠٠ق م) فى مختلف الأعمال وعلى الأخص كانوا يؤلفون منهم فرقا عسكرية تستخدم للبوليس والحرب. ومن أهم أقسام البجا فى الوقت الحضار. البشاريين، الهدندوة، الأمرار، وبنى عامر، الحلانقه، قارن.

Paul, A. : A History of The Beja Tribes, PP. 20 - 57.

Kirwan, L. P. : "Studies in the Later History of Nubia" L.A.A.A. XXIV, PP. 1- 11.

Kirwan, L. P. : Firka, P. 41.

محمد عوض محمد - السودان الشمالى. ص ٣١ - ٣٣.

(1) Beckett, H. W. : ASN. II, Report for 1907 - 8,p. 350.

(2) Emery, W.B.; The Royal Tombs of Ballana and Qustul, I. P. 5.

(3) Budge, E.A. Wallis: The Egyptian Sudan op. cit, p. 175.

يوخد ذلك الشيخ الاسقف ويختن والا فيعود إلى المكان الذى جا منه. فلما تذكر [الاسقف] صعوبة الطريق التى سلكها فى مضية وعودته، ثم ما يلقاها ايضا [فهان عليه ذلك و] خاف من صعوبة الطريق فى البر والبحر فقال: انا افعل هذا لخلاص الانفس التى اقامنى الرب راعيا لهم بغير استحقاقى، والآن فقد قال بولس الرسول ووصانا وقال: اذا دعى احد بغير ختان فلا يختتن. فلما ساعدهم على ذلك اظهر الله فيه امرا عجيبا بما

العسكرى فى منطقة دوديكاشينوس، وإلحاقها بالإدارة المدنية الرومانية بالفنتين. ثم أنه ليس من المستبعد أن يكون البليميون اندفعوا شمالا نحو دوديكاشينوس تحت ضغط قبائل النوبا الذين كانوا مصدر تهديد لدولة مروى فى الجنوب (١).

وفى الواقع أن الإمبراطورية الرومانية قبيل عهد دقلديانوس واجهت مشاكل عديدة فى الداخل والخارج . ففى مصر مثلا قامت حركات قومية تدعو إلى الثورة ضد الرومان للتخلص من نفوذهم. وتركزت هذه الحركات فى الدلتا بزعامة فيرموس المصرى. واشتعلت ثورة قومية أخرى فى طيبة كذلك. وانضم إلى هؤلاء وأولئك أهل تدمر الذين جاءوا إلى الصحراء الشرقية، والليبيون بالصحراء الغربية، واشترك البليميون فى هذه الحركة العامة. ومما زاد هذه الحركات اشتعالا، قيام يوليوس أيميليانوس Marcus Julius Aemilianus (٢). بحركة غرضها الاستقلال بمصر. ذلك أن البليميين انتهزوا فرصة انشغال الجيوش الرومانية بالقضاء على حركة إيميليانوس والقبض عليه واندفعوا شمالا من قواعدهم بالنوبة السفلى وانضم إليهم أهل طيبة واحتلوا قفط ثم انضم إليهم أهل تدمر بقيادة ملكتهم الزباء Zenobia، وما لبث هؤلاء الحلفاء أن أصبحوا سادة مصر العليا (٣).

(1) Emery, W.B. op. cit. p. 5.

(٢) نادى الرومانيون المتوطنون بالاسكندرية بهذا القائد ملكا على مصر كلها ولم يلبث أن قبض عليه.
Woolley. Maciver. op. cit. P. 90.

(3) Miln, J. G. op. Cit. p. 79.

قد كتب به الى ابينا البطرك انبا يوساب، وهو انه
لما مسكوه ليختتوه وكشفوا عنه فوجدو علامة
الختان فيه كانه مختون من تامن يوم من ولادته،
واقسم في كتابه انه لم يعرف هذا قط الا ذلك
اليوم. وطاب قلب الملك واهل الكوره وفرحو فرحا
عظيما بهذه العجوبه قبلوه بفرح.

ولما وصلت الكتب الى البطرك بذلك فرح
كتيرا لعودة هولا الضالين الى راعيهم، وبالاعجوبة
التي ظهرت قايلا: مبارك الرب الذى رد سبى شعبه

ثم استتب الأمر للدولة الرومانية بالتخلص من أيميليانوس، وشرع القائد الروماني بروبوس Probus في القضاء على الثوار جميعاً، فأوقع هزيمة بفيرموس، ثم قضي على أهل تدمر، ورد البليميين إلى ما وراء الشلال الأول في عام ٢٧٤م [١]، وأحرز النصر النهائي على الليبيين بالصحراء الغربية [٢]. ولم يأت عام ٣٨٠م حتى عاد الرومان إلى احتلال دوديكاشينوس مرة أخرى. ولم يشأ القائد الروماني أن يخاطر بقواته بالتوغل إلى الجنوب من المحرقة، ولذا لم يستطع أن يقضي على البليميين، فظل خطرهم قائماً [٣].

* * *

أما المرحلة الثانية من مراحل الصراع بين الرومان والبليميين، فتبدأ بعهد دقلديانوس (٢٨٤ – ٣٠٥م)، إذ وجه هذا الامبراطور عنايته لحل مشكلة الحدود الجنوبية لمصر، وكانت ما تزال موضع تهديد البليميين. فرأى أن منطقة النوبة الرومانية (دوديكاشينوس) منطقة فقيرة لضيق واديها وأن إنتاجها لا يوازى بحال ما يصرف على الدفاع عنها، وأن الاحتفاظ بقوات كبيرة فيه يكلف الخزانة الرومانية ثمنا كبيراً [٤]. ولهذا قرر إخلاء منطقة دوديكاشينوس ونقل

---

(1) Emery, W. B. op. cit. p. 6.

(2) Milne, J. G. op cit p. 81.

(3) Woolley - Maciver op. cit. p. 91.

(4) Ibid. op. cit P. 91.

Procopius op cit p. 185.

وانقذهم من يد العدو ولم يجعلهم فى الضلالة الى الأبد.

ومن كثرة اهتمام هذا الراعى الصالح وبذله نفسه عن خرافه، اصلح اساقفه كثيرا وانفذهم الى كل موضع من كرسى مارى مرقس الانجيلى وهى افريقيه و الخمس مدن والقيروان واترابولس [طرابلس الغرب] وكورة مصر والحبشه والنوبه لنه [لأنه] قال: اذا لم يكن الرعاة كثيرا لحفظ الرعيه والاهلكت فما اغفل عنها ليلا [لئلا] يضيع منها

الحامية الرومانية من المحرقة إلى أسوان والفنتين. ثم أغرى دقلديانوس النباطيين Nobotae بترك الواحة الخارجة ليستقروا بهذه المنطقه التى انسحب الرومان منها على أن يمنحهم ملكيتها. واستهدف بذلك أن يضرب عصفورين بحجر واحد، فان انتقال النباطيين إلى منطقة النوبة السفلى سينهى أعمال الفوضى التى كان النباطيون يقومون بها فى الواحة الخارجة، ثم أن نظرتهم لوطنهم الجديد سوف تدفعهم إلى مقاومة إغارات البليميين. وقبل النباطيون عروض الإمبراطور واستقروا على كلتا الضفتين فيما وراء الفنتين (١). وقرر دقلديانوس للنباطيين أتاوة سنوية ومثلها للبليميين على ألا يقوموا بعمل عدائى ضد روما (٢). لم تقف جهود دقلديانوس عند ذلك، علما منه بأن هذه القبائل لا سبيل إلى إرغامها على أحترام مواثيقها إلا بالقوة، فاختار جزيرة بالنيل قرب الفنتين، وأقام قلعة حصينة تقوم بالدفاع عن الحدود الجنوبية لمصر ضد المغيرين (٣)، وبالإضافة إلى كل هذا، رأى دقلديانوس أن يستغل عاطفة البليميين الدينية، فأقام معبدا جمع فيه رموز عقائد البليميين، والنباطيين والرومان ليدل على أن رابطة دينية تجمع بين الرومان وهذه القبائل وتذكرهم باحترام مواثيقهم (٤).

---

(1) Ibid - op. cit. PP. 183- 187.

(2) Ibid. op. cit. P. 187.

(3) Procopius op. cit. P. 187.

(4) Wolley - Maciver op . cit. P. 92.

شى او يهلك ولو واحـــد كنت مطلوبا بـه من المسـيح، فـلاى شى اقـامنى الا لحـفظ قطيـعـه من السبع القايم يطلب غفلة الراعى ليخطف ويفترس ويهلك ، ثم اقول امام الرب ان الذين سلمتهم لى لم يهلك منهم ولا واحد . وفيما هو فى ذلك تحرك العدو المناصب ليقـيم عليه بلايا واحـزانا، والرب كـان مع هـذا الانسـان الاب القـديس يخلصــه فى كل حين ويريه ضـعف اعداه واعدا[ء] البيعه يوما بعد يوم كقول الرب الذى قال: ابواب الجحيم لا تقهر بيعتى.

وبمقتضى المعاهدة التى أبرمت بين دقلديانوس والنباطيين قام النباطيون بدورهم الذى كلفوا به وهو أن يصبحوا المنطقة الحاجزة بين البليميين فى الجنوب وبين الرومان فى ا لشمال. ويبدو كذلك أن ملوك النباطيين سيطروا على المنطقة التى انسحب منها الرومان [١].

وعلى العموم يمكن القول إن دقلديانوس نجح إلى حد كبير في وقف الاغارات التى شنها البليميون على جنوب مصر طوال القرون الثلاثة التى سبقت حكمه [٢]. وفى عهد قسطنطين الأكبر (٣١٣ - ٣٣٧م) ساد السلام بين الرومان والبليميين، ودل ظهور رسل البليميين وسفرائهم في بلاط قنسطنطين [٣] على استمرار ذلك السلام[٤].

* * *

أما عن سياسة الرومان فى حوض النيل الأوسط والأعلى، فإنها ارتبطت بالاتجاه العام نحو بسط نفوذهم على تجارة الشرق، والإعتماد على حليف قوى لتنفيذ أغراضهم التجارية والسياسية. وذلك أن تجارة الهند والصين وشرق أفريقيا تحولت من أيدى التجار الرومانيين أواخر

----

(1) Milne, J. G. op. cit p. 99.

(2) Budge, E.A.W. : The Egyptian Sudan, II, P. 177.

(٣) إن تاريخ هذه البعثة النوبية إلى القسطنطينية غير معروف تماماً.

(4) Woolley - Maciver op. cit. p. 92.

ولما كان في ذلك الزمان انفذ الملك ابراهيم [المعتصم] الى مصر ان توخذ من البيع فى كل مكان العمد والرخام. وكان الواصل فى هذا الطلب انسانا مخالفا مبغضا من النسطوريه اسمه العازر، فلما وصل الى مصر اجتمع اليه اهل مذهبه النجس الذين هم الهراطقة الخلقدونيون المقيمون باسكندريه، ولم يزالو يسعون بالبيع ليلا ونهارا وحسنو له ان يهدم بيع مدينة الاسكندريه، وكانو يدلونه على المواضع التى فيها العمد والبلاط فياخذهم غصبا بيده.

القرن الثاني الميلادى، إلى وسطاء من الفرس والأحباش والحميريين على أثر الاضطرابات التى شملت أنحاء الامبراطورية الرومانية حوالى ذلك الوقت [١]. وفضلا عن هذا فان دولة مروى - التى تمتعت بمركز تجارى ممتاز لتحكمها فى الطرق التجارية المؤدية إلى مصر فى الشمال عن طريق النيل وتجارة وسط أفريقيا المتجهة إلى البحر الأحمر - أخذت فى الاضمحلال التدريجى منذ منتصف القرن الثالث الميلادى عندما أخذ يغير عليها النوبا [٢]. وكذلك عندما هدد البليميون منطقة النوبة السفلى وجنوبى مصر فى الشمال ومروى فى الجنوب. ولم يعد النيل طريقا صالحا لمرور التجارة بين الجنوب والشمال، ففقد الرومان وارداتهم من وسط أفريقيا وخاصة الرقيق والعاج وريش النعام والأبنوس عن طريق النيل [٣]. ولهذا حاول الرومان توثيق علاقاتهم بدولة أكسوم، واستخدامها فى قمع حركات البجا الشماليين (البليميين) والنوبا، لفتح طرق التجارة من جديد إلى قلب أفريقيا. وتم أول اتصال لهذا الغرض فى عام ٢٧٥م على عهد الامبراطور أورليان Aurelian[٤] واستمر اتصال التجار الرومان بدولة أكسوم حيث توجد ميناء عدول أعظم سوق لتجارة الرقيق ومنتجات شرق ووسط أفريقيا. ومن بين هؤلاء

(1) Bury, J. B.: History of the Later Roman Empire, II. p. 318.

(٢) وربما كان مصدرهم من الجنوب.

(3) Bury, J.B.: op. cit . P. 318.

(4) Paul, A. : A History of The Beja Tribes of the Sudan, P. 41

فلما اخرجوه الى بيعة الشهيد مار مينا بمريوط، من كترة حسدهم لها، وقالو له ليس بشبهها شى من البيع، وان كلما توجهت لطلبه تجده فيها. فقام ذلك النسطورى مسرعا بمشورة السعاه ودخل الى بيعة الشهيد مارى مينا بمريوط، فلما نظر اليها والى زينتها وحسن ما فيها من العمد والرخام الملون تعجب وبهت وقال: هذا الذى يحتاج اليه الملك، هذا هاهنا ولم اعلم به.

فلما سمع ابونا انبا يوساب البطرك ان ذلك

التجار فرومنتيوس المصرى Frumentius الذى أوفدة قسطنطين الأكبر لعقد معاهدة تجارية مع عيزانا ملك أكسوم، الذى اعتنق المسيحية على يدفرومنتيوس حوالى ٣٤٠م. ومنذ ذلك الحين أخذت المسيحية فى الإنتشار فى بلاد أكسوم بعد أن مهدلها التجار اليونانيون الذين وفدوا على هذه الديار من قبل. ورسم البطريرك أثناسيوس فرومنتيوس أسقفا لأكسوم [1].

يبدو أن مهمة فرومنتيوس لم تقف عند التبشير بالمسيحية فى بلاد أكسوم، بل حمل عيزانا على تجريد حملته المشهورة على مروى حوالى ٣٥٦م. وذكر عيزانا فى اللوحة التى تركها تخليداً لانتصاره، غرضه من هذه الحملة وهو تأديب النوبا الذين يغيرون على جيرانهم ولم يحترموا عهودهم، فأحرق بيوتهم المبنية من القش والطين، وخرب مزارع القطن ، وألقى بتماثيلهم إلى النهر. ومن بين المدن التى ذكرها عيزانا، مدينتا علوه، ودارو [2] وترتب على هذه الحملة القضاء على البيت الملكى المروى، ولكنها ـ على ما يبدو ـ لم تترك أثراً للمسيحية فى تلك الجهات.

* * *

ثم أن السلام الذى ساد مدة بين البيزنطيين والبليميين ما لبث أن تزعزع منذ أواخر عهد

(1) Trimingham, J.S.: op. cit

(٢) وهذه المدينة الأخيرة «دارو» تقع جنوب أسوان.

الانسان السو لم [لن] يمنع يده لما في قلبه من السو والبغضه وما لقوه المخالفون: فقال له : هو ذا كل البيع التى بحكمى بين يديك فافعل فيها ما امرك به الملك وهذه البيعه فقط احب منك الا تعترضها، ومهما التمسته منى سلمته اليك. فلم يقبل المخالف قوله ولا سواله بل جاوبه مواجهة بما لا يجب . ثم بدا واخرج من البيعه الرخام الملون والبلاط المعدوم [النادر] الذى هو قايم من كل لون وليس له نظير ولا يعرف له ثمن، فلما وصل

الامبراطور تاوداسيوس الأول Theodosius (٢٧٨ - ٣٩٥م). ويمكن تفسير هذا بأن البليميين بدأو يحسون بخطر المسيحية التى تهدد معبوداتهم ومعتقداتهم، وبأنهم شعروا بهذا الخطر من ناحية أكسوم بعد أن اعتنق ملكها عيزانا الدين المسيحى. كما أصدر تاوداسيوس الأول مرسومه الشهير عام ٣٨٥م وهو المرسوم الذى قضى بإبطال جميع مظاهر الديانات المصرية المخالفة. وفى هذا يتضح أن الضغط المسيحى المزدوج عن طريق أكسوم وعن طريق مرسوم تاوداسيوس خلق عند البليميين ضرورة الدفاع وشن الإغارات.

وأول ما قام به البليميون هو احتلالهم جزءاً كبيرا من أرض النوبة الرومانية (دوديكاشينوس) وتحديهم قرارات تاوداسيوس وإظهار الميل إلى أنصار الديانات المصرية ودعاتها، كالاحتفال بالمؤرخ اليمبيودرس Olympiodorus الذى زار المنطقة المحتلة فى أرض النوبة الرومانية عام ٤٢١ م [١]. وحوالى ذلك الوقت بدأ البليميون سلسلة إغاراتهم على منطقة طيبة والواحة الخارجة فاحتلوا الواحة الخارجة سنة ٤٢٩ ونهبوا مدنها وأسروا سكانها ومن بينهم نسطورس الذى كان منفيا بها. بيد أن البليميين اضطروا إلى إطلاق أسراهم [٢]

(1) Woolley - Maciver: op. cit. P. 94.

(2) Ibid, : op. cit. P. 95.

الرخـام الى مـدينـة اسكندريه لينفـذوه الى مـدينة الملك فحزن الاب حزنا عظيـما على البيعه وقال: انا اعلـم انك تقـدر ايهـا الشهيـد القديس ان تاخذ حـقك من هذا المخـالف الذى لـم يوقـر بيتك الذى هو عـزا لجميع المومنين. ولم يفتر الليل والنهار من هذا الحزن للذى حل لهذه البيعه المقدسـه. وكان مهتما بعمارتها سرعة وانفذ احضـر صفايح مزوقه من مـصـر واسكندريه وبدا ان يتعمر المواضع التى

لعجزهم عن الاحتفاظ بهم أمام ضغط قبيلة ليبية قوية تدعى مازيكى Mazici [(١)] التى كانت تهدد خطوط انسحابهم [(٢)].

ومنذ حوالى منتصف القرن الخامس الميلادى لم يصبح البليميون وحدهم عنصر الشغب ومثيرى الاضطراب فى الأطراف الجنوبية المصرية، بل شاركهم النباطيون وكانوا من قبل حماة هذه المنطقة والمدافعين عنها ضد البليمين . ومعنى هذا أن مشروع المنطقة الحاجزة الذى ابتكره دقلديانوس لم يعد صالحا فى هذا الوقت. ويؤدى اتفاق البليـمين والنباطيين وقيامهما بعمل مشترك إلى الاعتقاد بأن هاتين القبيلتين أجمعتا رأيهما على الوقوف فى وجه الامبراطورية الرومانيه فى بادئ الأمر[(٣)].

ومن الدلائل على ذلك بردية معاصرة لأواخر عهد تاوداسيوس الثانى، إذ تخبر هذه البردية عن إغارة مشتركة قام بها البليميون والنباطيون على كنائس فيلة التى أقيمت محل معابدها. ولهـذا التـمس أبيـون Appion أسقف أسوان والفنتين من هذا الامبراطور أن يكلف القائد الرومانى الذى ترابط قواته فى تلك المنطقة أن يحمى هذه الكنائس من إغاراتهم [(٤)]. ومـع

---

(١) المزيكى ربما كانوا من قبيلة الطوارق التى تعيش فى الصحراء الليبية.

Arkell, A. J. op. cit. p. 179.

(2) Milne, J. G. : op. cit . P. 99.

(3) Emery: op. cit. p. II.

(4) Ibid: op. cit. p. II.

Kirwan, L. P. : " The Ballana Civilization". SGE. XXV 1953, P. 107.

قلع منها البلاط بكل زينه حسنه حتى ان كل من يشاهدها ما يعلم ان قد مضى منها شي.

وفي تلك الأيام والعازر المخالف باسكندريه تم عليه القول المكتوب «من الذى قاوم الرب فخلص؟. فضربه الرب عاجلا بضربة هكذا، وهو ان جسده تنفخ و احشاه بالمرض المسمى الاستسقا، وتغير لون وجهه وبقي مطروحا لا يقدر ان يرفع راسه، وكان قد ناله فقر عظيم حتى انه ما وجد من يقوم بقوت نفسه ودوابه أو يتداوى به.

هذا يبدو أن البليميين استقروا فى منطقة طيبة، وخضعت لهم الحامية الرومانية فى هذه المنطقة، وأقاموا نوعا من الحكم المستقر، واتخذوا بطلمى قاعدة لجيوشهم التى كانت تشن إغاراتها على مايلى طيبة شمالا[١].

لم يسكت الرومان طويلا على هذه الحال، بل أصدر الإمبراطور مارقيان Marcianus (٤٥٠ - ٤٥٧م) أوامره إلى القائد مكسيمينوس Maximinus بضرورة إخضاع البليميين والنباطيين بالقوة [٢]. فزحف القائد الرومانى نحو بلادهم وما زال يحاربهم حتى عقد هدنة بينهم وبين الرومان لمدة مائة عام [٣]. وفى شروط هذه المعاهدة نقلا عن برسيق Priscus نص: أن يرد البليميون وحلفاؤهم الأسرى الرومان، وأن يدفعوا تعويضا لما أصاب الأفراد والممتلكات من أضرار خلال أغاراتهم، وأن يرسلوا عددا من الرهائن[٤]. وفى مقابل هذا سمح لهم بالحج إلى فيلة وحمل تمثال معبودتهم إيزيس إلى بلادهم. والتقى مكسيمينوس بمبعوثى البليميين والنباطيين فى الجزيرة المقدسة (فيله)، حيث نقشت نصوص هذه المعاهدة على جدران هيكل الإلهة إيزيس [٥]. ولم يوقف الرومان ما كانوا يمنحونه لكل من البليميين

(1) Woolley - Maciver, : op. cit. P. 96.

(2) Emery, W. E. : op. cit. p.13.

(3) Kirwan, L.P. : LAAA. XXIV, P. 82.

(4) Budge, E.A.W. : Ethiopia, op. cit . p. 102.

(5) Woolley - Maciver: op. cit. p. 96.

فسال الاب البطرك فيما ينفقه عل نفسه وان
يصلى عليه ففعل الاب هذا كالمكتوب الذى هو :
«ان جاع عدوك فاطعمه وان عطش فاسقيه».
وكان الوجع يتزايد عليه كتيرا وهو مطروح، وكل
ما يشاهده يمجد الله وشهيده مار مينا ويعطي
الطوبى للراعي الصالح لنه [لأنه] كان يعمل الخير
مع كل من يسعى اليه.

وصار لسان الاب كالسيف القاطع ، فمن لا

والنباطين من أتاوة منذ عهد دقلديانوس [١]. ومع أن موافقة الرومان في وثيقة رسمية على السماح للبليميين والنباطين بالحج إلى فيلة وحمل تمثال معبودتهم، يدعو إلى الدهشة بعد أن أصبحت الدولة الرومانية مسيحية، فيبدو من تنازل الرومان وقبولهم هذا الشرط على أنهم كانوا غير راغبين في فرض المسيحية بالقوة على هؤلاء القوم حتى هذا العهد. وبمقتضى هذه المعاهدة انسحب البليميون من منطقة طيبة إلى منطقة دوديكاشينوس، واتخذوا كلابشة Talmis عاصمة لهم. أما النباطيون فاستقروا في المنطقة الواقعة جنوبي أبريم.

بيد أنه لم يكد يصل البليميين وحلفاءهم خبر موت القائد الروماني مكسيمينوس، حتى عادوا إلى شن إغاراتهم من جديد، وأطلقوا سراح رهائنهم بالقوة [٢]. ثم استطاع القائد الروماني فلورس Florus أن يوقع بهم هزيمة ساحقة احترموا بعدها شروط الصلح التي عقدوها مع سلفه مكسيمينوس.

والمعتقد أن معاهدة الصلح نفذت بعد ذلك بحرص شديد، بدليل عدم تجدد الإغارات على منطقة طيبة مدة قرن تقريبا، واستمرار البليميين على ولائهم لمعبودتهم ايزيس. على أن المعابد الوثنية في منطقة طيبة أصابها التدمير والانهيار. كما أن المسيحية بدأت تتسرب إلى

(1) Ibid. : op. cit. p. 98.

(2) Emery, W.E.: op, cit. p. 13.

نقلا عن. Priscus, - ed. Meubuhr, p. 153.

يتعجب من سماع فضايل هذا الاب القديس السعيد انبا يوساب.

وايضا عجبا اخر اسمعو يا احبا لهذا الاب، كان باسكندريه رجل مخالف من الخلقدونيين غنى جدا، وكان له سواق(*)، فلما خرج فى بعض الايام ليتفرج فى بعض كرومه بظاهر اسكندريه راى ساقيه مكسورة فالتمس نجار، وكان شيخ قس نجار فقال له الخلقدوني: تقوم تمضى معى لتعمل

(*) سواق: جمع ساقية. آلة تدار بالثيران لجلب الماء اللازم لرى الحقول، وهى مازالت مستعملة حتى اليوم فى الريف المصرى.

النباطين الذين لم يستمروا - فيما يبدو - على تحالفهم مع البليميين، بل أطلقوا على أنفسهم أصدقاء روما. وعلى الرغم من أن المسيحية وجدت لها أنصارا بين النباطين، فإن البليميين ظلوا على تشبثهم لدينهم المصرى (١)، ولم يظهروا أى ميل للدين الجديد حتى بداية القرن السادس الميلادى.

* * *

أما العبادات التى مارسها كل من البليميين والنباطين قبل دخول المسيحية إلى بلاد النوبة، فيبدو واضحا أنها كانت خليطا من مصرية قديمة، ومروية. وفى الدليل على ذلك قول بروكوبيوس، أن البليميين والنباطين عبدوا إيزيس وأوزوريس. لكن إيزيس تمتعت بمكانة سامية تفوق ما كانت تتمتع به الالهة الأخرى عند تلك القبائل من التبجيل والتعظيم. ولا غرو فإن معبد فيلة شهد مواكب الحجاج من البليميين والنباطين كل عام تحمل تمثال إيزيس إلى أراضيهم لتمنحهم الخصب والثروة (٢).

ولعل ضخامة هذه المراسم الاوزيرية وتجمع القبائل كل عام فى فيلة منذ أيام دقلديانوس،

---

(1) Woolley - Maciver: op. cit. p. 97.

(2) Kirwan, L.P. : LAAA. XXIV, P. 88.

لى الساقيه. فقال له القس: اليوم يوم الجمعه العظيم وما اعمل فيه شيا، لانه يوم صلب فيه كلمة الله مخلص العالم . فاجابه الملعون الهراطقى وفتح فاه المخالف وجدف على الله الكلمه وقال ما لا يجب ذكره، فوبخه الشيخ القس ومضى وتركه، وكان ابونا البطرك فى البرية بوادى هبيب يعيد فى الدير عيد الفصح ويكمل عيد قيامة المسيح ، ولما عاد الى اسكندريه حكى له الشيخ القس ما جرى من



طبق خزف عليه رسم المسيح

هما اللذان أثارا جستنيان إلى القيام بحركه لخدمة المسيحية، وخاصة وأن هذه المواسم الاوزيرية الكبرى كانت تروح وتغدو بمواكبها الصاخبة فى قلب أسقفية أسوان وألفنتين،حيث توجد الكنائس والأديرة المسيحية الجديدة، ثم إن تجمع هذه القبائل فى فيلة أثار القلاقل على الحدود المصرية مع قرب انتهاء أجل الهدنة [١]، ولا سيما بعد أن أخذ النزاع يدب بين البليميين والنباطيين [٢].وسواء أكان جستنيان مدفوعا بعوامل سياسية أودينية، فإنه انتهز فرصة انقضاء أجل الهدنة ليقضى على الاوزيرية فى فيلة، كعبة البليميين والنباطين. ولكن كيف السبيل إلى تحقيق هذه الغاية ومنطقة النوبة السفلى من الشلال الأول حتى أبريم تحت سيطرة البليميين الذين يتحكمون فى المسالك المؤدية إلى فيله ؟.

يبدو أن جستنيان كان على صلات بالعناصر النوبية التى أخذت تميل إلى المسيحية، فشجعها على حرب البليميين وطردهم من وادى النيل[٣]. وانبرى «سلكو» أحد ملوك النباطيين لهذه المهمة. وليست لدينا الوثائق الخاصة بجهود هذا الملك ضد البليميين إلا وثيقة

(1) Budge, E. A.W.: The Egyptian Sudan II P. 178.

(2) Beckett H. W.: ASN., Report for 1907 - 8II, p. 365.

(3) Budge : op cit. p. 294.

Beckett H. W.: op. cit. p. 367.

تجديف المخالف، فاجاب بصوت النبوه المشتمل بروح القدس وقال: تخرس الشفاه الناطقه بالتجديف على المسيح الاهى. وقال ايضا كما قال داود: عدو افترى على الرب وشعب جاهل اغضب اسمك. فيا لهذه العجوبه العظيمه، عند ذلك صار المخالف اخرس لا يتكلم، وانفلج الى يوم وفاته. وكل من شاهد هذا من الاسكندرانيين المخالفين صار فى خوف عظيم، حتى ان ريسهم غير البطرك المسمى صفرون صار له فى ايبنا

واحدة تتمثل فى النقش الذى تركه محفوراً على أحد جدران معبد كلابشه تخليدا لانتصاره على البليميين [١].

ومما جاء فى هذا النقش أن «سلكو» حضر مرتين إلى كلابشة وتافه، وحارب البليميين فى ثلاث مواقع، وانتصر عليهم فى الرابعة واستولى على مدنهم. ثم أقسموا بآلهتهم يمين الطاعة والولاء له. فصالحهم. ثم عاد إلى الأجزاء العليا من مملكته ليقضى على حركات العناصر المعادية له من بين النوباديين، ثم عاد لشن حرب جديدة ضد البليميين، فاكتسح أراضيهم، وطاردهم من أبريم حتى الشلال الأول [٢]. ويبدو أن حملته الأولى كانت ناجحة، ولكنها لم تكن حاسمة [٣]. ولهذا اضطر للقيام بحملته الثانية بعد عودته من الجنوب، فأحرز نصرا حاسما ضد البليميين، واحتل كلابشة وتافه اللتين لم يتح لملك نوبى من قبل أن استولى عليهما منذ احتلال البليميين لهذه المنطقة أواخر القرن الرابع الميلادى، كما قضى على منافسيه من زعماء النوبة. ولهذا أطلق على نفسه ملك النوباديين وجميع الأثيوبيين [٤].

---

(١) وأول من قام بنشر هذا النقش هو «جو» Gau فى كتابه «آثار النوبة» ونافش نوبهر Niebuhr محتويات هذا النقش. وهناك نسخة أخرى حصل عليها كل من لبسيوس وكايو، وشرحه كل من ليترون Latronne وريفير Revilleot شرحاً وافياً. أنظر ملحق رقم ١ .Budge, op cit. p. 292

(2) De Villard, : op. cit. pp. 56 - 57.

(3) Woolley - Maciver. P. 98.

(4) Budge: op. cit. p. 293.

اعتقاد وامانه وكان يجى اليه عدة دفوع فيتواضع له ويسلم عليه.

وفى سابع سنة من بعد تقدمته وهى خمس مايه واربع وخمسين للشهدا، اظهر الله علامة عظيمة فى السما، وظهر نجم عظيم فى المشرق وينتهى إلى المغرب مثل السيف الذى يلمع، واقام اياما كتيره وكانو الناس يقولون: ما راينا مثل هذا قط فما عسى ان يكون من هذا النجم.

وعلى الرغم من أن سلكو عزا انتصاراته على البليميين إلى الله، إلا أن النص لا يشير صراحة إلى اعتناقه المسيحية. ومن المرجح أن كاتبا قبطيا على جانب عظيم من الثقافة تولى كتابة هذا النقش على جدران معبد كلابشه [(١)]. ومما يزيد الشك فى تنصره أن النقش يحمل صورة ملك النوباديين فى زى فرعونى تزينه صور الآلهة [(٢)]. ولا يشير النص أيضا، إذا كان سلكو صالح البليميين بعد حملته الثانية كما فعل عقب حملته الأولى واستولى على بعض مدنهم وترك لهم بعضها، أم طردهم نهائيا من تلك المنطقة. ومما لاشك فيه أن البليميين لو تركوا بهذه المنطقة أو بعضها، لما سمحوا بوجود هذا النقش على جدران معبدهم [(٣)]. والأرجح أنه تم لسلكو طرد البليميين من النوبة السفلى ومنها اتجهوا إلى الصحراءالشرقية. ويؤيد هذا ما ذكره بروكوبيوس أن شعوبا كثيرة من بينها النباطيون والبليميون تعيش فى المنطقة الممتدة من أكسوم إلى الحدود المصرية عند الفنتين، بيد أن البليميين يسكنون الجهات الوسطى ويحتل النباطيون ضفتى النيل [(٤)]. وعليه فإن النباطين أصبحوا السكان الجدد لمنطقة النوبة السفلى. ويرى رفيو Revillout أن احتلال النباطيين لهذه المنطقة ما كان ليتحقق دون

(1) De Villard; op. cit. p. 57.

(2) Kirwan, L.P.: LAAA. op. cit. P. 85.

(3) Beckett, H. W. : ASN, op. cit. P. 365.

(4) Procopirs: op. cit. P. 185.

وبعد ايام جا[ء] وبا[ء] عظيم على البهايم ، وكانت الدواب تموت للوقت فى الغيطان وفى ساير المواضع الى ان لم يبق لحد من اهل مصر دابه، ولم يجدو ما يعملون عليه اعمالهم، ولا يقدر احد ان يمشي في الازقه الابعد ان يسد انفه من كترة جيف الدواب، حتي ان الزرع انقطع وقلت الثمره،و كانت ارض مصر فى حزن عظيم.

ثم عاد الوبا على الناس وفنو مثل البهايم كما

طرد البليميين عنوة. ذلك أن بروكوبيوس وهو المعاصر لهذه الاحداث حدد مواطن البليميين تحديدا جغرافيا يختلف عما ذكره أوليمبيودوروس [١].

ويبدو أن البليميين يمثلون الشعبة الشمالية للبجا الذين ظل اسمهم عاما على هذه المنطقة كلها طوال العصور الوسطى [٢]. وأخذ البليميون (البجا) ينظمون حياتهم الجديدة في الصحراء الشرقية بالسيطرة على وسائل النقل والتجارة بين النيل والبحر الأحمر. [٣].

وعلى هذا يمكن القول إن الانقسام بدأ يدب في صفوف البليميين منذ هزيمتهم على يد فلورس [٤]، على حين استفاد النباطيون بعد أنفصالهم عن البليميين، فمارسوا سياسة مستقلة وحصنوا مراكزهم في بلادهم وتوسعوا ناحية الجنوب. ثم بدأ اتصالهم من جديد بالبيزنطيين

---

(1) Woolley - Maciver: Op. cit. p. 98.
Trimingham, G. S. : op. cit. P. 47.
Beckett, H. W.: op. cit. P. 366.

(2) Ibid: op. cit. p. 351.

جاء فى اللوحة التى تركها عيزانا ملك أكسوم بعد هجومه على مروى أسماء الشعوب التى خضعت له ومن بينها البجا، وهو الإسم الذى عرف به سكان الصحراء الشرقية فى العصور الوسطى. (أنظر حاشية رقم ٢٢ ص ٢٩) De Villard: p - 60.

(3) De Villard: op. cit. P. 59.

(4) Moric, L.J. ; Histoire de l'Ethiopie, Tome I, er. P. 410.

قال داود عن اهل مصر: انه لم يوفرهم من الموت ولا دوابهم .

وكان ابونا لا يفتر من البكا على الناس والبهايم ويطلب من الله بدموع ويقول : يارب لقد حولت وجهك عن شعبك لجل ذنوبي، ولا تفعل معهم مثل اثامي وادركهم عاجلا برحمتك وخلص شعبك وجدد وجه الارض، الهم محب البشر. فسمع الله صلاة عبده ونقل [بدل] غضبه الى

بفضل ثيودور أسقف فيلة، وهو الذى قام بدور الوسيط بينهم وبين البيزنطيين، وسواء أكان هذا التوسط عن طريق الاقناع أو بذل المال، فإنه نجح في حمل سلكو على مسايرة البيزنطيين مما دعاه إلى محاربة حلفائه القدامى وطردهم من وادى النيل[1]. وربما تم هذا بمساعدة القوات البيزنطية بقيادة نارسيس Narses.

لا شك أن الوفاق البيزنطي النوبي الجديد، شجع جستنيان على القضاء على آخر مظهر من مظاهر العبادات المصرية فى فيلة، فما كادت تنقضى مدة الهدنة حتى أمر قائدة نارسيس باغلاق معبد فيلة، وإرسال تماثيل الالهة إلى القسطيطينية، وسجن جميع كهنته[2] حوالى عام ٥٤٣م. ثم عهد إلى ثيودور الإشراف على الطقوس الدينية فيه بعد تحويل هيكله إلى كنيسة.

ولا شك أن الوفاق البيزنطي النوبي أدى إلى كسر شوكة البليميين الذين كانوا عقبة فى سبيل تقدم المسيحية إلى بلاد النوبة التى أصبحت بعد طردهم مهيأة لقبولها[3].

---

(1) De Villard: op. cit. P. 58.

(2) Procopius: op. cit . P. 189.

(3) Maspero, J. : "Theodore de Philai", Rev, de l'hist. des rel, 49. PP. 299 - 317.

سلامه على الناس والبهايم وعرفهم انه القادر على كل شي.

وكثرت الناس في ارض مصر والبهايم، ونسو ما كان، حتى البهايم كانت تلد زوجا زوجاحتى صار الناس والبهايم كان لم يمت أحد ولا هلك شي منهم.

اريد ان اذكر لكم شيا من جهاد هذا الاب وتعبه الذى تعبه لكى تسمعو وتمجدو الله الذى

دخول المسيحية بلاد النوبة

انتشار المسيحية فى مصر ■ الاضطهادات الدينية والصراع المذهبى وأثرهما فى بلاد النوبة ■ المسيحية المبكرة عند النوبيين والبجه ■ أثر كنيسة أسوان ■ التبشير فى بلاد النوبة، وسائله ومراحله ■ طبيعة المسيحية فى بلاد النوبة ■ تحويل المعابد إلى كنائس ■ المسيحية فى أوطان البجه.

* * *

يحيط هذه المرحلة من مراحل التاريخ النوبى كثيرمن الغموض لقلة المصادر (١). والقليل الذى كتب عن بلاد النوبة فى العهد المسيحى، إنما جاء فى إشارات عرضية على لسان بعض مؤلفى العصور الوسطى، وبالقدر الذى يتطلبه تحديد علاقة هذه البلاد بمصر أو بالعالم الخارجى. وهذه الإشارات العرضية القليلة لم تخل أحيانا من مبالغات أو تحريفات قد تتعارض أحيانا مع الآثار الباقية من العهد المسيحى فى بلاد النوبة، وهى آثار قليلة لم تدرس بعد دراسة كافية (٢). أما كتابات أهل النوبة أنفسهم باللغة النوبية، أو النصوص اليونانية أو القبطية ـ سواء كانت مكتوبة على البردى أو الرقاق أو شواهد القبور - فمعظمها قصص قصيرة أو أدعيات للترحم على الميت فى قبره. يضاف إلى هذا جملة الأخبار القليلة المبعثرة فى جوف

---

(1) Griffith, F. Ll. : "Pakhoras - paknaras - Faras in Geography and History" JEA. XI. P. 268.

(2) Crowfoot, J.W. ; " Christian Nubia " JEA. XIII. P. 141.

صنع مع هذا الاب عجايبه وخلصه من احزانه وشدايده.

فلما تنيح انبا اسحاق [ابن اندونه] اسقف وسيم الذى كان تمسك كرسي مصر، وهو الذى كان يطلب اولا البطركيه، قدم عوضه «بنه» الشماس بسوال رويسا مصر، وقدم على كرسى وسيم اخر من اولاده اسمه بقيره، وتنيح بعد ايام قلايل، وكان ولد لأسحاق المتنيح اسمه تاودرس،

المخطوطات الكنسية بالاسكندرية أو القسطنطينية، وهى كذلك محدودة القيمة من الناحية التاريخية[1].

ويحتاج دخول المسيحية بلاد النوبة إلى كثير من الحذر فى معالجته، ولا سيما عند شرح الطريقة التى دخلت بها المسيحية، وتحديد تاريخ دخولها ومعرفة دعاتها الأول، لأن شيئا من هذا لم يعرف على وجه التأكيد، مع العلم بأن معظم الروايات التاريخية ترجح دخولها عن طريق مصر[2].

دخلت المسيحية مصر حوالى منتصف القرن الأول الميلادى على يد القديس مرقس الإنجيلى [3]الذى بنى أول كنيسة مصرية بالاسكندرية، ورسم إينيانوس أسقفا لها[4]. واجتذبت المسيحية عددا من يهود الاسكندرية وبرقة وغيرهم من سكان البلاد من اليونانيين والمصريين[5]. وحوالى نهاية القرن الثانى زاد عدد المسيحيين زيادة تطلبت إنشاء ثلاث

(1) Roeder, G. : "Die Christiche Zeit Nubiens und des Sudan" ZK. XXX III. P. 365.

(2) Somers Clarke: Christian Antiquities in the Nile Valley P. 8. Budge. E.A.W. : P. The Egyptian Sudan, II. P. 288.

(3) Ibid. : op. Cit. P. 288.

(4)Butcher. E.L. : The Story of The Church of Egypt, I. PP 19 - 21.

(5) Budge, E.A.W.: op cit p. 278.

وهو الاسم المتفق لتلاته اساقفه جلسو على كرسى مصر، وهذا كان يطلب كرسى وسيم وما يرضى به الشعب، ولم يرد الاب ان يوسمه بغير اختيار الشعب، وكان فى مصر فى ذلك الزمان وال اسمه على ابن يحيى الارمنى(*) من قبل ابى اسحاق ابرهيم المعتصم ابن هرون الرشيد اخى عبد الله المامون، فترك تاودرس خوف الله ومضى الى الوالى ووعده بمال لكى يقهر [يغصب] البطرك

(*) تولى صلاة مصر من قبل اشناس التركى وزير المعتصم فى يوم الخميس الرابع من فبراير سنة ٨٤١ = ٧ ربيع ثانى ٢٢٦ . انظر الهامش السفلى الوالى رقم ٩٦ .

أسقفيات[١] فى الاسكندرية والوجهين القبلى والبحرى. وانبرت المدرسة الفلسفية بالاسكندرية للوقوف في وجه الدعوة الجديدة، ونشطت فى جمع الكتب الفلسفية وتأليفها لصرف الناس عن المسيحية[٢] . ثم بدأ الأباطرة يحسون بالخطر الذى يهدد الدولة الرومانية من هذا الدين الجديد، فأصدر الامبراطور ساويرس مرسوما ٢٠٧م، يحرم فيه على رعاياه الدخول فى الديانة المسيحية والدين اليهودى[٣] .

لم يضعف هذا المرسوم من قوة الدعوة، بل أدى إلى ازدياد إقبال المصريين عليها. ولم يكد ينتصف القرن الثالث الميلادى حتى زاد عدد الأسقفيات إلى عشرين أسقفية فى الوجهين البحرى والقبلى [٤] .

لقيت المسيحية فى مصر بيئة صالحة للنمو والانتشار، لأنها كانت تعبيرا قويا لنزعة قومية ضد الرومان، بدليل تمسك المصريين بلغتهم القبطية التى غدت فيما بعد لغة الكنيسة [٥]، فضلا عن التظيم الكنسى الذى انفردت به الكنيسة المرقسية منذ نشأتها وخاصة فى ترتيب

(1) Ibid. : op. cit. p. 288.

(٢) بتشر – كتاب تاريخ الأمة القبطية وكنيستها – تعريب تادرس شنوده ص ٥٨ – ٥٩.

(٣) المصدر السابق ص ٦٤.

(4) Budge, E. A.W. : op. Cit . P. 289.

(5) Bonet - Mauray : L,Islamisme et le Christianisme en Afrique. p. 37.

على ان يقيمه اسقفا، فارسل الوالي يسال عن الاب البطرك ويساله فيه، وكان يقول: انه لا يصير اسقفا ابدا. وقاوم الوالي وقال: ما اتمكن من هذا، فحنق عليه حنقا عظيما لاجل ما وعده به وبدا ان يهدم بيع فسطاط مصر، فاول ما ابتدا جا الى البيعه التى فى قصر الشمع التى تسمى المعلقه فهدمو اعلاها حتى وصلو الى الاسطوان، وكان الاب البطرك يحزن حزنا عظيما ويقلق ويبكى بدموع مرة كما قال داود النبى: ايها الرب الاله

الوظائف الكهنوتية وهى الأسقفية والقسيسية والشماسية [١]، علاوة على انتشار الديرية والرهبنة، ظهور مدرسة اللاهوت بالاسكندرية، التى انبرت للرد على مدارس الفلسفة اليونانية. ومن هذه المدرسة اللاهوتية، قاد رواد المسيحية الأول البعثات التبشيرية إلى البلاد المجاورة [٢].

* * *

تعرض المسيحيون فى مصر لسلسلة من الاضطهادات الدينية على عهد الامبراطور دسيوس Dicius سنة ٢٥٠م، ثم فى عهد فالريان Valerian (٢٥٣ - ٢٦٠م) ودقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥م) الذى كان أشدهم عنفا فى محاولة القضاء على المسيحية وأنصارها[٣]، لما فى الدين الجديد من تهديد للوحدة الامبراطورية، وفى عهد دقلديانوس خاصة هجر المصريون المسيحيون مساكنهم واتجه بعضهم إلى منطقة طيبة الممتدة من الأقصر الحالية إلى أسوان، وهى المنطقة التى لم يستطع الرومان إتمام السيطرة عليها، بسبب الحركات البليمية المعادية لهم منذ القرن

(١) بتشر - نفس المصدر ص ٢٩.

(2) Bonet -Mauray : op. cit. p. 37.

(3) Budge. E.A.W. : op. cit. PP. 289 -290.
Bell, H. I. : HTR, 37, PP. 185 - 208

اله القوات حتى متى تغضب على صلاة عبدك، اطعمتنى خبزا بدموعى، وسقيتى دموعا، وجعلتنى مقالة [عبرة] لمعارفى وهزو[ء] وطنزا [سخرية] لاعدائى، يارب الاه القوات ارجع يارب واضى وجهك علينا فنخلص .

جزء من عتبج الكنيسة المعلقة من القرن الرابع ـ الخامس يمثل استقبال المسيح.



الثالث الميلادى [١]. واتجهت جماعات أخرى من المهاجرين المصريين إلى الصحراء الغربية، فضلا عمن اتجه منهم إلى منطقة النوبة السفلى والوسطى، واستقروا فى جزر النيل وبين ثنايا التلال والصخور على جانبى النيل، حيث مارسوا عبادتهم الجديدة فى اطمئنان بعيدا عن ضغط الرومان[٢].

وغدا إقليم طيبة مركزاً للدعوة المسيحية فيما حوله من أقاليم، وخاصة بلاد النوبة السفلى. وأنشئت فيه الأديرة، التى ازداد عددهم منذ القرن الثالث الميلادى ، ومنها دير أخميم «بانوبوليس». والراجح أن المصريين المسيحيين، لم يركنوا إلى حياة العزلة والانطواء فى طيبة، بل اختلطوا بالسكان وزينوا لهم الدخول فى المسيحية.

أما فى الصحراء الغربية حيث توجد الواحة الخارجة، فإن المسيحية شقت طريقها إليها منذ القرن الثالث الميلادى، ولجأ إليها كثير من الأقباط فراراً بدينهم وحياتهم، وشارك المسيحيون القدامى إخوانهم المهاجرين فى مشاعرهم، ومدوا لهم يد المساعدة، وفى القرن الرابع الميلادى، زاد عدد المسيحين فى تلك الواحة زياده تطلبت إنشاء أسقفية بها [٣].

(١) أنظر ماسبق ذكره.

(٢) تعتبر منطقة النوبةالوسطى جنوبى الشلال الثانى أنسب الأقاليم لحياة هؤلاء المهاجرين لصعوبتها و خاصة المنطقة المعروفة ببطن الحجر . Budge, E. A.W P. 290.

أنظر كذلك. Dunbar, J.H. : "Betwixt Egypt & Nubia". AE. XIV P. 109.

(3) Ahmad Fakhry: the Necropolis of El Bagawat in Kharga Oasis. P. 12.

وكـان يتنهـد بتنهـد عظيم بحـزن قلب لاجل هدم البيعه. وان قوما تقدمو الى الاب وقالو له: الى متى تمسك ولا تصلح هذا الانسان اسـقـفا حـتى يتـهـدم جـمـيع البـيع وقـد نظر الله حـرصـك واجتـهـادك على الحق فـافعل مع هذا الذى جـعل توكله على السلطان فـيـمـا طلبـه والله يسـتـفـل به وظلمه على راسه.

فرضى بما قالوه الشعب. ولم يتخل الوالى عن الغـضـب وطالب الاب بمال وقـال: مـا ارفـع الـهـدم

وللواحة الخارجة أهمية خاصة فى نظر الرومان، لوقوعها على الطريق التجارى بين مصر والسودان (درب الأربعين) من ناحية، وبين وادى النيل وشمال أفريقيا من ناحية أخرى. لهذا أقيمت بها القلاع لتأمين القوافل المارة به، كما حفرت بها الآبار، وأنشئت بها المعابد. ومن الواضح أن دخول المسيحية إلى تلك الواحة فى هذا الوقت المبكر أتاح للمبشرين فرصة التعرف والاتصال بالتجار من النوبة وغيرهم، وأن رجال القوافل التجارية المارين بالواحة الخارجة، قاموا بالدعوة للدين الجديد بين من اتصلوا بهم من سكان النوبة، ونقلوا أخبار الصراع بين الرومان والمسيحية فى الإسكندرية إلى عملائهم وذويهم فى الجنوب [١]. ولا يبعد أن يكون هؤلاء التجار سهلوا للفارين من المصريين أمر الهروب والالتجاء إلى أقاليم النوبة، وأن التبشير للمسيحية بين النوبيين يرجع إلى هذا الوقت المبكر من تاريخ المسيحية.

وفى أوائل القرن الرابع الميلادى، اجتذبت المسيحية إلى صفوفها أعدادا كبيرة برغم مانزل بهم من اضطهاد فى هذا الحين على يد كل من جاليريوس Galerius (٣٠٥ ـ ٣١١م) ومكسنتيوس Maxintius (٣٠٥ ـ ٣١٣م) بدليل ما لقية أنطونيوس الكبير فى عام ٣١١م من نجاح منقطع النظير فى التفاف المريدين حوله حتى أمس قوة يخشى بأسها فى مصر [٢].

---

(1) Budge, E.A. W. : AHist. of Ethiopia..., op, cit. L., p. 113.

(2) Budge, E.A.: The Egyptian Sudan. op. cit p. 290.

عن البيع الا بتلته الاف دينار، فقلق الشعب والاساقفه الحاضرون معه وقالو: يا ابانا لا يضق صدرك نحن نقوم بهذا المال فقسطه علينا لتسلم البيع ولا يلحقها شي فتقدمو الاراخنه الى الوالى وضمنو له القيام بتلته الاف دينار، فهدا غضبه وامر بقسمة الاسقف فاقسمه الاب، وقال من عمق قلبه على الوالى كما قال داود النبى فى المزمور الخامس: «الانسان الظالم يرذله الرب وهو يصنع حكم الفقرا» . وقال ايضا الكلمة التى فى

ثم كانت أيام قنسطنطين الأكبر (٣١٣ ـ ٣٣٧م) الذى لم يكد يحرز النصر على منافسه وخصيمه مكسنتيوس حتى أظهر ميله للمسيحية، وأصبحت الكنيسة متمتعة بحماية السلطات المدينية. ومع أن الامبراطور لم يعتنق المسيحية رسميا ولم يسمح بتعميده إلا وهو على فراش الموت سنة ٣٣٧م، فانه بذل كل ماالديه من سلطة ونفوذ فى خدمة الديانة التى جاءت له بالظفر فى أرجاء ايطاليا[١]. ففى مصر جاهر الأقباط بدينهم، ومارسوا عبادتهم فى غير ضغط أو إكراه، وحولوا معظم المعابد المصرية إلى كنائس[٢] واستولوا على أوقافها واملاكها. وجاء فى كتاب حياة قسطنطين الذى ألفه يوسيبيوس Eusebius أن المسيحية دخلت أثيوبيا على يد البعثات التبشرية الدينية التى أوفدتها كنيسة الاسكندرية على عهد قسطنطين الأكبر[٣]. ومعنى هذا أن البعثات التبشيرية الرسمية بدأت نشاطها فى بلاد النوبة، فى عصر مبكر يرجع إلى القرن الرابع الميلادى[٤].

(١) فشر: تاريخ أوربا فى العصور الوسطى القسم الأول ـ تعريب الدكتور محمد مصطفى زيادة ص ٦ ـ ٧.
(٢) دليل المتحف القبطى: جـ٢، ص ١٤٠.
(٣) انظر الفصل السابق، وانظر: Trimingham, J.S.: op, cit. P. 49:
نقلا عن Eusebios: vit. Constantini P. 8.
(٤) تبدأ أخبار البعثات التبشرية الرسمية فى القرن السادس الميلادى ـ كما سيجئ بعد ـ انظر ص ٥٦ وما بعدها، واختلط على الكاتب أن اثيوبيا تشمل بلاد النوبة أيضاً ، لأنها كانت فى نظر القدماء كذلك. على أن المقصود هنا هو دولة أكسوم (الحبشة).

ناموس موسى: «في يوم النقمه اجازيهم في يوم تزل اقدامهم». وقال ايضا: «في يوم هلاكهم انا اجازيهم وادين الاعدا والمبغضين». وكان كل احد يعلم ان كلامه كالنبوه، وكانو يقولون ما ترى يكون بعد هذه النبوة.

ثم ان هذا الوالى بعد قليل ارسله السلطان الى بلاد الروم يغزو فيهم، فسبى منهم واخذ بلادا ثم عاد فارسله تانى دفعه، فخرج عليه قوم من الروم فقتلوه اشر قتله وجميع عسكره، كما كان الاب

وكيفما كان المحتمل وغير المحتمل، فان المسيحية أخذت تتسرب تسربا نظيما بطيئا إلى بلاد النوبة منذ أواخر القرن الثالث الميلادى، ولم ينقطع سيل الوافدين المسيحيين إلى بلاد النوبة. وأخذت هجرة الجماعات المصرية المسيحية إلى الجنوب تزداد تدريجيا لما نالها من اضطهاد بسبب الخلاف الذى نشب بين المسيحيين حول طبيعة المسيح (١)، حتى تطلب الأمر أنشاء

(١) اختلف كل من آريوس وأثناسيوس حول طبيعة المسيح، وتدخل قسطنطين لحسم هذا الخلاف، وعقد مجمع نيقية سنة ٣٢٦م، حيث نجح قساوسة مصر وتأيد مذهبهم ثم أثار قساوسة القسطنطينية هذا الموضوع من جديد، ونجح كيرلس بطرك الكنيسة المرقسية على خصيمه نسطورس بطريرك القسطنطينية فى مجمع افسس الأول سنة ٤٣١م، بعد أن استمال إليه الإمبراطور تاوداسيوس الثانى روما، ثم مالبث أن ثار الموضوع مرة أخرى، ونال قساوسة مصر والشام وعلى راسهم ديوسقورس بطريق الاسكندرية نصرا جديداً في مجمع افسس الثانى سنة ٤٤٩م وشجع هذا النصر قساوسة الاسكندرية، فبالغوا في تقدير ديوسقورس إلى درجة أحفظت بابا روما ليو الكبير. ولهذا أصدر ليو قراراً يتعارض مع مذهب الكنيسة المرقسية، وانحاز الامبراطور مارقيان إلى هذا الرأى، وتقرر عقد مجمع دينى فى خلقيدونية سنة ٤٥١م، وفيه تقرر عزل ديوسقورس، وأقر المؤتمرون الصيغة البابوية. ومن أخطر نتائج خلقيدونية تكفير رجال الدين في كل من مصر والشام. فتكونت فيهما شيع معادية للامبراطور وتحول النفور الدينى إلى نفور سياسى. وبخروج كنيسة الإسكندرية منهزمة أتاح الفرصة للامبراطور لبسط سيطرته على الكنسية البيزنطية. وأطلق على الأقلية المصرية التى قبلت قرارات خلقيدونية اسم ملكانيين. واشتدت معارضة المصريين لقرارات خلقيدونية، واضطرت الدولة إلى تجريد حملات حربية لقمع حركاتهم، ونزل بالمصريين اضطهاد شديد، استمر حتى الغزو العربى لمصر. أنظر:

Groves, C.P. : The Planting of Christianity in Africa, I. PP. 4f3 - 46.

قال من اجله. وعند [ذلك] زوال التعب عن البيع وتجديد ماقدم هدم منها، واهتمام المومنين بها وعمارتها إلى أن صارت خيرا مما كانت أولا وابهج، لان البيعه هي التي على الصخره لا يقهرها شي وهي تقهر وتهلك من يعاندها.

كان الاب يقول كما قال داود النبي: يارب من يشبهك اوريتنا شدايد عظيمه ورجعت احييتنا، ومن عمق الارض اصعدتنا، وايضا نزع الرب مسحي والبسني سرورا وجعل نوحي الى فرح.

أسقفية في فيلة في القرن الرابع الميلادى [١]. هذا فضلا عن إنشاء عدد من الأديرة والكنائس في منطقة طيبة وأسوان.

* * *

لكن إلى أى حد تأثر النوبيون والبليميون بهذه المراكز المسيحية التي نشأت بالقرب من أوطانهم في القرن الرابع الميلادى، مع العلم بأنه ليست لدينا وثائق أو أخبار موثوق في صحتها عن نشاط تبشيرى رسمي ببلاد النوبة قبل القرن السادس الميلادى؟ أما المعلومات السابقة لهذا التاريخ فمنها ماورد في كتاب الكاتب العربى أبي البركات من قيام آنى Ani أسقف الإسكندرية بتعميد بعض النوبيين في القرن الأول الميلادى، وربما كان المقصود بهم أولئك النوبيين الذين يعيشون في مصر للعمل بها كما يفعلون اليوم، أو ربما كانوا ممن يعيشون في جهات الأطراف مثل فيلة وأسوان، أو بعض أفراد مثل وصيف كنداكة ملكة مروى، الذى عمدة الأسقف فليبوس في القرن الثانى للميلاد [٢]. وفضلا عن هذا توجد مجموعة من

(1) Laturette, K. S. : AHistory of The Expansion of Christianity, II. P. 232.

(2) Roeder. G. op. : cit. PP. 376 -77.

تذكر بعض الروايات أن المسيحية دخلت بلاد النوبة على يد المبشرين المصريين في القرنين الأول والثانى للميلاد بدليل أن بطريرك الكنيسة المصرية منذ عهد المسيحية الأول يحمل لقب بطريرك الإسكندرية =

وكـان اسـقف مـصـر [بنه] يلتـمس من الاب البطرك زيادة تقدمه.

وكان انسان قاض بمصر اسمه محمد بن عبد الله، وكـان ذلك الرجل فى كلمـا يعـانيـه يرا[ء]يه فيه، وكان مخوفا لا يقدر احد ان يقاوم كلامه لانه كان عند جميع المسلمين مثل الفقيه والامام وعـارف بمذهبـهـم، ويفـعل افعـالا مـذمـومـه سـرا، وكان محبا لشراب النبيذ وسمـاع الغنى، واقتنى

- -

القصص التى تصور حياة الرهبان فى الأديرة المصرية على أطراف مصر الجنوبية وعلاقاتهم بالنوبيين والبليميين. ويبدو أن لهذه القصص أساسا تاريخيا يتصل بحركات هذه الجماعات ضد الرومان منذ القرن الثالث الميلادى، وتعرض الأديرة المصرية أحيانا لهجمات تلك الجماعات. وتصور هذه القصص وغيرها محاولات الرهبان كسب ود هذه الجماعات ومحاولة تنصيرهم والتمتع بحمايتهم وتجنب أذاهم. ومن هذه القصص أربعون قصة نشر منها كرم Crum ثلاثا وثلاثون. وتروى القصة الثانية والثلاثون منها نبوءة راهب يدعى مرقوريوس بإغارة النوبيين على إحدى الأديره المصرية، ونصحه أنستاسيوس كبير رهبان الدير بضيافة أولئك

= والديار المصرية والنوبة والحبشة والخمس مدن الغربية تجمعها الكلمات الثلاث المنقوشة على خاتمه «بطريرك الكرازه المرقسية» أنظر دليل المتحف القبطى جـ٢ من ١٤٠، وجاء فى كتاب: Maspero, J: Histoire des Patriarches D'Alexandrie. p. 382 أنه أطلق عليه لقب بطريرك الإسكندرية والحبشة والنوبة والخمس مدن الغربية والبلاد الأخرى التى بشر فيها القديس مرقس، وتأيد هذا اللقب فى مجمع نيقية الأول سنة ٣٢٥م ومجمع القسطنطينية الثانى سنة ٣٨١م. وذكر أيضا فى تاريخ البطاركة والسنكسار فورد فى تاريخ حياة الأنباء ديمتريوس البطريق الثانى عشر (١٨٩ - ٢٣١م) أنه رئيس أساقفة مصر والخمس مدن الغربية والنوبة والحبشة. وأما الخمس مدن فهى برقه وتونس وطرابلس الغرب وفريجيا (أفريقيا) والقيروان. عن كتاب السلم الكبير، لشمس الدين بن كبر قسيس المعلقة. غير أن أخبار هذا التبشير المزعوم لم يرد عن نص صريح فى المراجع الكنيسة.

الجـوارى الحسـان، واحب اللذه والزنا بلا خـوف من الله ولا حـيا من الناس، كـقـول الانجـيل عن مثله: وكان الله يصبـر عليه ويمهله ويزيده يوما مقداره الف سنه. وهو مستمر على جهله وشتمه لاهل هذا المذهب الارتدكسي وغيره من مذاهب المسيح، ويحلف عليه، ففاتح الاب البطرك عدة دفعات ويخزى عليه فانزل الله فعله على هامته كقول داود فى المزمور: افض غضبك على الامه التى لا تعرفك.

المغيرين، لأن أميرهم سوف يصبح راهبا وقديسا. وفى القصة الثالثة والثلاثين تتحقق النبوءة كاملة. وتتحقق حماية الدير على يد هذا الأمير النوبى. ويتضح فى نهاية القصة أن مرقوريوس هذا هو الذى تولى تنصير هذا الأمير النوبى وأتباعه خلال رحلة تبشرية قام بها فى بلاد النوبة[1]. وعلى الرغم من أن تاريخ هذه القصص غير معروف تماما، وأنها مكتوبة بلغة عربية فى عصر متأخر [2]، إلا أنها تعتبر ترديدا لنوع من الروايات التى احتفظت بذكرى التبشير فى بلاد النوبة فى وقت مبكر ربما يرجع إلى القرن الرابع أو الخامس الميلادى، وهو الوقت الذى طفح بأخبار الإغارات النوبية البليمية المشتركة على أطراف مصر الجنوبية قبل أن يعقد معهم القائد الرومانى مكسيمينوس صلحا فى عهد الإمبراطور مارقيان[3].

(1) Crum, B. W. E. : ANobian Prince in an Egyptian Monastery in Studies Presented to Griffith, F. L. I. PP. 137 - 148.

وتعرف هذه القصص باسم بساتين الأبا الرهبان ـ فردوس النعيم ـ الأربعين خبر التى للأبا الرهبان بوادى هيب وغيره.

(٢) الراجح أن هذه القصص قديمة ترجع إلى القرن الرابع أو الخامس الميلادى وأنها مكتوبة باللغة القبطية أو اليونانية ثم ترجمت بعد ذلك إلى اللغة العربية حين ترجمت بعض طقوس الكنيسة المصرية إلى اللغة العربية.

(3) Kirwan, L, P. : LAAA., XXIV. PP. 92 - 94.

فلما نظر «بنه» [يوحنا] اسقف مصر قوة القاضى ومكانته من الوالى وامرا المسلمين صادقه لكى يفعل بما يهواه، ولا يقاومه احد فى حكمه مثله فى المسلمين فيما يحكم به، صحيحا كان او خطا[ء] ام محالا. والاب انبا يوساب ما كان يفتر عن الجهاد فى الحق ويقول: انا اتوكل على الله. فلا يخاف الا من الله الذى خلقه.

والبطرك قد عرف ما صار بين الاسقف والقاضى

وثمة دليل على نشاط الجماعات المسيحية الأولى بمنطقة أسوان وجزيرة فيلة وجهودهم بمنطقة النوبة السفلى، هو ما تذكره وثيقة قبطية [١] عن بعثة تبشرية [٢] إلى تلك البلاد فى القرن الرابع الميلادى، ولهذه القصة أهمية خاصة لأنها توضح العلاقة بين رجال الدين المسيحيين وجيرانهم النوبيين [٣].

* * *

(1) Ibid. op. cit, PP. 95 - 96:

(٢) إن هذه البعثة التبشرية ــ لوصحت ــ فهى بعثة غير ر سمية، أى أنها غير صادرة عن الكنيسة العامة أو الحكومة البيزنطية.

(٣) تشير هذه الوثيقة إلى زيادة راهب اسمه بافنوليوس لراهب آخر عجوز يعيش فى جزيرة بالجنادل الأولى ويدعى إسحاق، وهو وتلميذ لناسك مشهور فى هذا الإقاليم اسمه أنبا هارون. و حدث إسحاق زائره عن أن سكان فيلة واوزوريون وقليل منهم مسيحيون، و هؤلاء هم المضطهدون من جيرانهم. ويزورهم رهبان أسوان وفيلة مرة فى كل أسبوع لتعليمهم قواعد الدين، فأرسل مقدونيوس وهو موظف رومانى تقريراً بهذه الأخبار إلى أثاناسيوس بطريرك الإسكندرية (٣٤٤ ــ ٣٩٠م) فعينه أسقفاً حتى يستطع أن يقوى من شأن المسيحية فى هذه المنطقة ، ثم خلفه مرقس واسحاق.

Kirwan, L,p. : op. cit. P. 95.

Maspero, J. : op. cit. P. 382.

فبدا القاضى ان يتفكر ماذا يفعل بالبطرك من السو، فامر القاضى فى بعض الايام باحضار الاب البطرك وكان عنده اساقفه يوميذ وهم مساعدون «لبنه» اسقف مصر واسما هم : انبا بخوم اسقف بسطه(*)، وجرجه اسقف طحا، وجرجه ايضا اسقف اهناس(*)، وزخريا اسقف البحيره، ومينا اسقف البهنسا وقوم اخرون فقال القاضى للبطرك عند حضوره اليه: من جعل لك السلطان ان تكون ريسا على جميع النصارى . فقال له البطرك: الله.

(*) تل بسطه: قرب الزقازيق.
طحا: قرب سمالوط.
البهنسا : مركز بنى مزار.

(*) أهناس: اسم لموضعين بمصر في الصعيد. ويذكر ياقوت الحموى في تعريفه لها ما يلي: وأهناس هذه قديمة أزلية... وهي على غرب النيل ليست بعيدة عن الفسطاط. وذكر بعضهم أن=

وفضلا عن هذا فإن تيودور Theodore أسقف فيلة وأسوان (١) قام بدور هام في التمهيد لدخلو النوبيين جميعاً فى الدين المسيحى فى القرن السادس الميلادى. وذلك أنه عاش فى هذه المنطقة أكثر من خمسين عاماً تعرف خلالها إلى زعماء النوبيين وتوثقت الصلة بينه وبينهم خلال زياراته المتعددة لبلادهم. ويبدو أنه قلم بدور الوسيط بين هذه العناصر النوبية التى تزعمها سلكو وبين الدولة البيزنطية، وأنه ساعد بذلك على طرد البليميين من منطقة النوبة (٢)، لاستمرار مقاومتهم للبيزنطيين في منطقة طيبة(٣).

من الوسائل التى لجأ إليها البيزنطيون لترغيب البليميين في المسيحية، أنهم أقطعوهم إقطاعاً بمنطقة طيبة، يؤيد ذلك ثلاث وثائق مكتوبة باليونانية على رق غزال، وربما ترجع إلى القرن

(١) De Villand : op. cit. P. 56. وتولى تيودور أسقفية أسوان بعد أن . كرسه البطريرك تيموثاوس أسقفا سنة ٥٢٦م. وقد ظل يباشر سلطته حتى وفاته سنة ٥٨١م وعمر نحوا من ثمانين سنة.

(2) De Villard : op. cit . P. 56.

(٣) كثيراً ما هدد البليميون سكان منطقة طيبة المسيحيين، وفي القرن الخامس الميلادى مثلا، اضطر المشردون منهم إلى الالتجاء إلى دير إخميم للاحتماء فيه من هجمات البليميين. ويقال أن الآنبا شنودة آوى آلافاً من المسيحيين المشردين إلى دير إخميم حيث رحب بهم وكان يقدم لهم الطعام والشراب مدة ثلاث شهور.

ثم التفت القاضى الى الاساقفه المذكورين واسقف مصر معهم وقال لهم: لاتسمعو من هذا البطرك من اليوم ولا تسموه ابا، بل اجعلو لكم هذا ابا، يعنى «بنه» اسقف مصر، ويكون مقدمكم. فاجابوه الاساقفه: هذا الجيد ما قلت ايها القاضى يكون ما امرت به. وكان ذلك بتقرير منهم مع القاضى ووعدوه بمال يدفعونه اليه. فقال زخريا اسقف البحيره لابينا البطرك: ما قد قلت لك بالامس لا تمنع الاسقف انبا «بنه» يعنى اسقف

=المسيح عليه السلام وُلد فى أهناس وأن النخلة المذكورة فى القرآن المجيد «وهزى إليك بجذع النخلة» موجودة هناك وأن مريم عليها السلام أقامت بها إلى أن نشأ المسيح عليه السلام وسار إلى الشام .. انظر: معجم البلدان. المجلد الأول ص ٣٧٩ . مطبعة السعادة. القاهرة ١٩٠٦ = ١٣٢٣هـ. وينسب إليها دحية ابن مصعب ابن الأصبغ ابن عبدالعزيز ابن مروان ابن الحكم،

السادس الميلادى. وفى الوثيقة الأولى، أن الملك البليمى شاراشن منح أولاده الثلاثة حكم جزيرة تنارى، كما منحهم حق جباية الضرائب بها [١]. ويلاحظ أن اسمى الشاهدين البليميين على هذه الوثيقة يحملان علامة الصليب. وفى الوثيقة الثانية أصدر ملك بليمى آخر اسمه باكيتمن قراراً بتعيين القسيس IEPEUS حكم جزيرة تنارى، وهذا اللقب من الألقاب المعتادة فى الوثائق المسيحية. وقد اقترن اسم الملك فى هذه الوثيقة الثانية بعلامة الصليب، مما يرجح إعتناق أولئك البليميين فى هذه المنطقة للديانة المسيحية [٢]. أما الوثيقة الثالثة فهى إيصال باستلام عشرة صلادى ذهباً.[٣]

ويبدو أن منح البليميين إقطاعا فى الأرض المصرية كان جزءاً من سياسة البيزنطيين فى البحر الأحمر للقضاء على نفوذ الحميريين التجارى فى هذا البحر بالتعاون مع دولة أكسوم المسيحية، فضلا عن إغراء البليميين بالدخول فى المسيحية والسيطرة على أوطانهم الممتدة جنوب شرقى مصر إلى حدودا أكسوم [٤] ولهذا أرسل الإمبراطور جوستن الثانى Justin, II

(١) تقع جزيرة تنارى مقابل قرية الجبلين على بعد خمسة وعشرين ميلا جنوبى الأقصر الحالية. Emery, W. E. : op. cit PP. 11- 12.

(2) Kirwan, L.P. : op. cit. pp. 87 - 91.

(3) Emery, W. E. : op. cit. P. 12.

(4) Kirwan, L.P.: op. cit. p. 87.

مصر ، ان لا يعمل جميع ما يهواه بامر القاضي. فاجابه ابونا القديس أنبا يوساب وقال له بصوت مملو خوفا بالقبطي: يا غير فهمين كيف ضللتم هذه الضلاله ؟ كيف قبلتم هذا الكلام الذى ليس له كمال لكن حق ما تنبا به عليكم بولس الرسول واظهر جهلكم لما قال: انا لم نفعل حق الله بفهم ان نتوب من ذاتنا . ولم تطيعو حق الله. وكان قوم من الفقها جلوسا عند القاضي ومنهم من يفهم لغة القبطي وكانو يميزون قوة كلام

خرج منها على السلطان وقصد الواح (الواحات) وغيرها ثم قتل سنة ١٦٩ هـ. وأهناس الصغرى في كورة البهسنا أيضاً قرية كبيرة.

وبطريرك الإسكندرية تيموتاوس رسلهما إلى ملك أكسوم لهذا الغرض وهو حرب الحميريين[١] . وفي رواية أخرى أن الإمبراطور هدد بإرسال جيش من البليميين والنوبيين لحرب الحميريين إذا أبطأت أكسوم عن هذا الواجب المسيحي[٢] . ولا يبعد أن تكون جزيره تنارى التي أقطعها الرومان لفريق من البليميين ثمنا لخدماتهم للدولة البيزنطية [٣] ، وقبولهم الدعوة المسيحية. ومما يدل على أن بعض البيلميين اعتنق المسيحية ماجاء في بردية نشرها ماسبيرو[٤]، وهي تشتمل على شكوى موجهة إلى حاكم طيبة البيزنطى فلا فيوس ماريانوس Flavius Marianus ضد الفيلارك في منطقة طيبة واسمه كلوذوس Kallothos أتهم فيها بتحريض البليميين على إعاده فتح معبد فيلة من جديد والارتداد عن الاعتقاد في الديانة

(1) Bury, J. B.: History of The Later Roman Empire,, II. P. 324.

(2) De Villard: op. cit , PP. 57 - 58.

استغل الامبراطور جوستن حادثة نجران باليمن لإثارة عاطفة ملك أكسوم الدينية ليحرضه على حرب اليمن، واستعان في ذلك بالبطريرك تيموتاوس. أما عن حادثة نجران فيقال إن ذا نواس الحميرى اليهودى حاصر جماعة من المسيحيين في نجران باليمن. ولما رفضوا الارتداد عن المسيحية قتل منهم حوالى ٢٨٠ شخصا في ليلة واحدة. انظر:

Bury, J, B. : op. cit. p. 324.

(3) Kirwan, L.P. : op. cit. p. 86.

(4) Ibid. op. cit. p. 89.

البطرك وما يخاطب به الاساقفه، فاعادو على القاضى جميع ما قاله البطرك، فلما سمع غضب وقال للاب: انت تظن ان امرى لا يتم . فقال له ابونا بصوت متضع : هل لك ان تقدر ان تجعل يدك على الشمس وتستر ضو ها؟ فان كنت تقدر ان تفعل هذا فانت تستطيع ان تفعل ما قلت، او تقدر ان تقاوم الله وامر مولاى الملك الذى انت من قبله، وقد قلت انفا ان تقدمتى من الله ليس من انسان، والان معى سجل من الملك بتقويه يدى

المسيحية والعودة إلى الأوزيرية والراجح من هذه الوثيقة أن فريقاً من البليمين اعتنق المسيحية بعد إغلاق معبد فيلة سنة ٥٣٥م وأن كلوذوس أراد تحويلهم إلى الأوزيرية من جديد[١]. وكيفما كان الأمر فالواضح أن المسيحية والأوزيرية عاشتا جنباً إلى جنب فى طيبة وأسوان وفيلة. ولم يشأ البيزنطيون أن يقضوا على الأوزيرية بالقوة قبل منتصف القرن السادس الميلادى، بل أنهم سمحوا للبليميين والنوبيين بممارسة عباداتهم على الرغم من وجود الكنائس فى أسوان والفنتين [٢]. وينهض دليلا على وجود هذه الكنائس ما جاء على لسان برسيق Priscus، وما تذكره بردية أبيون، وما ذكره اليمبيودورس Alympiodirus حوالى منتصف القرن الخامس الميلادى، وبروكوبيوس فى منتصف القرن السادس الميلادى [٣]. وذكر كوزمس Cosmas التاجر المصرى الذى كتب كتابه المعروف [٤] ما بين سنتى (٥٣٧ –

(1) Ibid. op. cit. p. 89.

(٢) يؤيد هذا ما ذكره برسيق حوالى منتصف القرن الخامس الميلادى عن معاهدة مكسيمينوس والسماح للبليميين والنباطين بالحج إلى فيلة، وماجاء على لسان اليمبيودورس من ممارسة البليميين للأوزيرية واحتفالاهم به. وفى منتصف القرن الخامس الميلادى أى حوالى ٥٤٥م يحدثنا بروكوبيوس عن ممارسة هذين الشعبين للأوزيرية ثم يعود ويذكر كيف أنهى جستنيان هذه العبادة بإغلاق معبد فيلة لإيزيس.

(٣) راجع الفصل السابق ص ٣٧ ـ ٣٩.

(4) Cosmas Indicopleusets. : The Christian Topography. ed. Mc Crindal, Hakluyt Soc. p. 120.

وانت هو ذا تقول هذا الكلام لهولا الاساقفه الذين ليس لهم على سلطان بل سلطانى عليهم من الله والملك، وانفاذ حكمى فى شعبى ورعيتى، ولى ان اقطع كل من حاد عن الطريق المستقيمه وانفيه. فلما سمع القاضى هذا منه قال له: كان بيدك سجل من الملك ان تفعل ما تريد؟ [فقال له ابونا: نعم] فقال له القاضى احضره الى لاقراه.

وكان له سجلات من الملوك من المامون عبد

٥٤٧م) «أن فى بلاد الحبشة وفى أكسوم ذاتها وفى البلاد المجاورة وعند النوباديين Nobades الجرمنتيين Garamentes توجد كنائس مسيحية وأساقفة ورهبان ونساك[١].» ويتضح من هذا النص اعتناق جماعات من النوبيين للمسيحية منذ القرن السادس الميلادى. ولا يمكن أن تكون المسيحية وصلت إلى تلك الأوطان فجأة بل بالتدريج وعلى مراحل ترجع إلى عهد الإضطهادات الأولى فى مصر[٢].

* * *

ثم بدأت المرحلة الحاسمة من مراحل الدعوة للمسيحية فى بلاد النوبة زمن الإمبراطور جستنيان (٥١٧ - ٥٦٥م). وذلك أن هذا الإمبراطور لم يقنع بأن ينسب إليه القضاء على معاقل الأوزيرية فحسب ـ كما فعل فى فيلة عندما أغلق معبدها، أو كما فعل فى أثينا عندما أغلق المدرسة الفلسفية بها - بل رغب كذلك فى أن يدخل القبائل الأوزيرية على أطراف إمبراطوريته فى حظيرة الدولة البيزنطية. ولهذا سعى إلى اجتذاب البليميين والنوبيين إلى الديانة

(١) الجرماتيون هم القرعان وهم شعب رعوى تمتد أوطانهم من فزان جنوباً إلى النوبة مشتملة على صحراء بيوضة التى كانت تعرف حتى القرن السابع عشر باسم صحراء جوران أو جورهام. وهم يعيشون الآن فى شمال دارفور.

Kirwan, L. P. : "Christianity and the Kura'an."JEA., XX, PP. 201 - 3.

(2) Trimingham, J.S. : op. cit. PP. 50 - 51.

الله بن هرون الرشيد عند وصوله الى مصر، ومن ابرهيم [المعتصم] اخيه، ولما ولى هرون الواثق ولد إبرهيم سالوه فى تجديد سجل لابينا فكتب له، وهرون الواثق هو الذى ولى هذا القاضى مصر، فسلم اليه ابونا السجلات ووقف عليهن وعلم منهن ثبات من يرشد ممن يحيد عن الواجب والطريق المستقيمه، وخزى القاضى وامتضح، وامر ابانا بالانصراف مكرما فعجب كل الحاضرين. وكان جماعه من الاساقفه لا يرضون بهذا وهم

المسيحية ليتسنى له السيطرة على وادى النيل الأوسط (١). ووضح هذا الاتجاه السياسى عندما بدأت عملية التبشير الحقيقى ببلاد النوبة على يد رسل الكنيسة المصرية. على أن التبشير بالمسيحية فى بلاد النوبة فى النصف الثانى من القرن السادس الميلادى كان إنعكاسا لصورة النزاع المذهبى بين الكنيستين المصرية والبيزنطية، وسباقا بينهما لكسب الأنصار. ولما كانت الكنيسة المرقسية فى مركز لا يسمح لها بخوض هذه المعركة التبشيرية بسبب عزل بطريركها ثيودوسيوس Theodosuis (٢) ونفيه إلى إحدى مدن تراقيا سنة ٥٣٩م فإن رجالها عزموا على الاستعانة بالإمبراطورة ثيودورا التى تميل إلى مذهب الكنيسة المصرية وتعطف على رجالها(٣). ولذا لم يكد يصل ثيودوسيوس من منفاه فى تراقيا إلى القسطنطينية بمساعدة ثيودورا، حتى أخذ يعمل على ما سبق أن عزم عليه وهو تحويل النوباديين Nobades إلى المسيحية. وممن شاركه هذا الشعور إثنان من رجال الكنيسة المصرية هما يوليان Julian ولونجينوس Longinus وهما اللذان قاما بالدور الأول فى نشر المسيحية فى ممالك النوبة التى قامت على أنقاض دولة مروى. وانقسمت إلى ثلاث ممالك مستقلة - مملكة نوباتيا Nobatia فى الشمال، وتمتد من أسوان إلى قرب الشلال الثالث وعاصمتها فرس، ومملكة مقرة

(1) Kirwan, L,P. : LAAA. op. cit . P. 87.

(2) De Villard : op. cit . P. 54.

(3) John of Ephesus Ecclessiastical Histery. Beek IV Part III. ed. by Payn Smith,. P. 254.

مطيعون له واسماهم: مينا اسقف طانه، وشنوده اسقف صا(*)، وبقية الاساقفه. وكان يدفع لهم ثمرة شفتيه فيدعو لهم ويباركهم، وكان الاب البطرك يقول عن الاساقفه المخالفين يارب لا تحسب عليهم خطيه.

ثم ان الشيطان جاب عليه تجربه اخرى [بفعل اوليك]، وهى ان الاب انبا يوساب كان رحوما لا يريد هلاك احد من الناس، فجعل الشيطان فى

(*) صا: هى صا الحجر بمركز كفر الزيات . وهى من المدن القديمة. بها آثار للمعابد المصرية القديمة لا تزال مرئية فى جهتها الشمالية. أما طانه فقد اندثرت وحل محلها طنايا التى اضيفت إلى منية جنان مركزه القمح بمحافظة الشرقية، ثم حذف اسم طنايا واصبحت الناحية كلها باسم منية جنان.

Makoritae وتمتد من قرب الشلال الثالث إلى قرب كبوشية الحالية، ثم علوة Alodia وتمتد من قرب كبوشية إلى جنوبى الخرطوم الحالية وعاصمتها سوبا (١).

والمصدر الرئيسى لهذه المرحلة من مراحل التاريخ النوبى هو يوحنا الأفسى (٢). ومما جاء فى كتابه «التاريخ الكنسى» بشأن البعثات التبشيرية إلى بلاد النوبة فى منتصف القرن السادس الميلادى ، أن يوليان عرض على الإمبراطورة ثيودورا مشروعا للتبشير بين النوباديين Nobades، وقابلته الإمبراطورة بسرور عظيم وحماسة شديدة، ووعدته بالمساعدة. وأخبرت ثيودروا زوجها الإمبراطور بما اعتزمت القيام به على يد يوليان فى بلاد النوبة. بيد أن الإمبراطور ساءه أن يكون يوليان على رأس هذه البعثة التبشيرية، لأنه من الحزب المعادى لقرارات خلقيدونيه(٣)،

(1) Kirwan, L. P. : "A Contemporary Account of the Conversion of the Sudan to Christianity" SNR., XX, Part II. P. 290.

(٢) يوحنا أسقف أفسس ـ ولد فى أميدا شمال العراق حوالى سنة ٥١٦م. كتب كتابه التاريخ الكنسى باللغة السريانية، استقر ما يقرب من ثلاثين سنة فى مدينة القسطنطينية. وعلى الرغم من أنه من أتباع الكنيسة المصرية إلا أنه تمتع بثقة وصداقة جستنيان، وتقلب يوحنا فى كثير من الوظائف فى البلاط الإمبراطورى واستفاد من هذا المركز فى تدوين ما يقع عليه بصره ويصل إليه سمعه فى البلاط الملكى فى بيزنطة. وأوفده الإمبراطور فى عدة بعثات إلى القبائل الغير مسيحية فى ليدبا وكيريا وفريجيا.

(٣) كان يوليان من رجال الكنيسة المصرية التى عارضت قرارات خلقيدونية وهى القرارات التى لا تتفق ورأى الكنيسة المصرية فى طبيعة المسيح.

قلب القاضى الظالم الذى قد صار له وعا[ء] ان ياخذ غلمان البطرك من الروم والحبش الذين هم دون البلوغ ويستسلمهم، [يؤسلمهم] وكانو كتير من الناس لهذا السبب يرفعون [يرشدون] بعضهم على بعض بسبب الغلمان الذين عندهم، وياخذهم القاضي يردهم الى دين الإسلام تحت القلق والتهويل، فقام بحبس مواليهم الى زمان، ويصانعونه ويفرج عنهم. واستقصى عن غلمان البطرك الروم والحبش الذين يهدون اليه من افريقيه

ولهذا عزم جستنيان على أن يبعث سفارة إمبراطورية خاصة تحمل هدايا للملك النوباديين وخطابات لحاكم طيبة البيزنطى [١]. وعلمت ثيودورا بعزم الإمبراطور على أن يضمن لبعثته النجاح والسبق، فأسرعت بتحرير رسالة إلى حاكم طيبة، وطلبت إليه أن يحجز سفارة الإمبراطور حتى تصل سفارتها هى إلى بلاد النوبة [٢]، وهددته بالقتل إذا خالف أوامرها. وأطاع الحاكم أوامر ثيودورا وحجز سفارة الإمبراطور عند وصولها، وبرر عمله هذا لرئيس البعثة الإمبراطورية بعدم وجود وسائل النقل، وطلب إليه الانتظار حتى يدبر له الدواب والمرشدين الخبيرين بمسالك الصحراء. أما سفارة الإمبراطورة فوجدت الدواب والمرشدين اللازمين لها فى الانتظار [٣]. على أن حاكم طيبة لم يخف حقيقة الأمر عن مبعوث جستنيان وأبدى مخاوفه من الإمبراطورة ووعده بإعداد وسائل السفر، ثم واصلت البعثة الإمبراطورية سيرها مقتفية أثر يوليان دون أن يعبأ رئيسها بما دبر له من خيانة [٤].

وصل يوليان وصحبه أطراف النوبة حوالى عام ٥٤٣م [٥] ومعهم ثيودون أسقف فيلة،

---

(1) John of Ephesus. op . cit . pp. 251- 252.

(2) John of Ephesus: op. cit. p. 252.

(3) Ibid op. cit . PP. 252 - 253.

(4) Ibid. : op. cit. p. 253.

(5) De Villard: op. cit. P. 55.

والخمس مدن والحبشه والنوبه، وقالو له : ان له غلمانا باسكندريه في المكتب يتعلمون . فانفذ اعوانه اليها مع اسقف مصر المقطوع واسمه بنه، والذى تفسيره النار ، حتى دخل مدينة اسكندريه الى الموضع الذى كانو فيه الغلمان واخذهم، وساقهم كمثل الخراف الى الذبح وهم باكون بلا مغيث، حتى جابوهم الى مصر، وكانو تمنماية نفر، فلما راهم قاضى الظالم فرح وقال: وهذا شى يكيد البطرك ويحزنه. وقال القاضى لابونا البطرك:

الذى رأى فيه يوليان خير معين له فى مهمته لخبرته بأحوال البلاد وأهلها (١). وعند الأطراف النوبية التقت البعثة برسل ملك النوباديين الذين تولوا حراسة القافلة إلى عاصمتهم باخوراس Bakhoras، فرس (٢). واستقبل الملك أعضاء البعثة أحسن استقبال وقبل هدايا الإمبراطورة بسرور بالغ، ولم يلبث أن أعلن هو وأمراؤه ترك ما كان عليه أجدادهم وأقروا جميعاً «أن لا إله إلا الله واحد لا شريك له (٣)». ورأى يوليان أن يشرح للنوباديين قواعد النزاع الذى نشب بين المسيحيين حول مسائل العقيدة، واضطهاد الإمبراطور ليثيودوسيوس وعزله ونفيه لرفضه الاعتراف بقرارات خلقيدونية (٤)، على حين أن الإمبراطورة تؤيده وتؤازره لتمسكه بعقيدته التى ضحى بمنصبه فى سبيلها «ولهذا أوفدتنا جلالتها إليكم لتسلكوا طريق البابا ثيودوسيوس وتذهبوا مذهبه وتثبتوا ثباته، أما الإمبراطور فإنه بعث بسفرائه إليكم وهم فى طريقهم إليكم(٥)». ثم وصل رسل الإمبراطور، فقدموا الهدايا ودعوا الملك النوبى إلى قبول المسيحية،

---

(1) Ibid: op. cit. P. 55.

(2) John ef Ephesus : op. cit. p. 253.

(3) Ibid: op. cit. P. 254.

يشبه هذا الشهادة عند المسلمين. وفى الواقع أن موضوع طبيعة المسيح كان شغل رجال الكنيسة الشاغل فى مثل هذا الوقت من تاريخ الصراع بين أنصار المذهبين. ويبدو من روح هذا النص معنى الطبيعة الإلهية الواحدة.

(4) John of Ephesus : op. cit . p. 254.

(5) Ibid: op. cit. P. 254.

لا يجوز لك ان تقاوم امر الملوك وتدوس اوامرهم ، ولا يجوز ان تستعبد هولا الصبيان وتنصرهم. فقال له البطرك: انا ما اقاوم امر الملك، ولا اقاوم كلمه صالحه، بل ما كان من كلام الظلم. قال له القاضى : فانا ظالم كما تقول؟ فقال له : انت عارف بان كل من تقدمك ما كان يلزم مثل هولا الذين هم نصارى اولاد نصارى باسلام، لانهم يقدمونهم للبيع هدايا، وهولا فمن عند ملك الحبشه والنوبه والروم جونى هدية اهديت الى.

على أن يتبع الكنيسة الأرثوذكسية ورجالها، وألا يضل كما يضل أولئك الذين طردوا منها[١]. بيد أن الملك النوبى قبل الهدايا ورفض ما عرضته عليه السفارة الإمبراطورية وآثر مذهب الكنيسة المصرية[٢].

أما يوليان فظل فى نوباتيا نحواً من سنتين وقام بتعميد الملك والأمراء، وعاونه فى أعماله الأسقف ثيودور الذى عهد إليه يوليان برعاية النوباديين بعد سفره إلى القسطنطينية، حيث استقبلته ثيودورا استقبالا حسناً[٣].

وظل ثيودوسيوس مشغولا بأمر النوباديين وخاصة بعد وفاة يوليان. وأصدرت ثيودورا أمرا بتعيين القس لونجينوس أسقفا لبلاد نوباتيا سنة ٥٦٦م وبهذا تبدأ المرحلة الثانية من مراحل التبشير فى بلاد النوبة.

حاول لو نجينوس السفر إلى بلاد النوبة غير أن أعداءه أو غروا صدر الإمبراطور جوستن

---

(1) Ibid: op. cit. P. 254.

(2) Ibid. : op. cit. P. 255.

تحدث يوليان عن شدة الحرارة فى الصيف بقوله «إنه من الساعة التاسعة صباحا إلى الرابعة بعد الظهر كان يضطر إلى أن يلجأ إلى الكهوف المليئة بالماء، ويجلس فيها دون ملابس اللهم إلا الثوب الكتانى الذى كان يلف به جسمه كما يفعل أهل تلك البلاده.

(3) Ibid. : op. cit. p. 256.

وكـان القـاضي مما ملكه الشـيطان لا يسـمع كـقـول داود : مـثل الافـعي الصـمـا[ء] التي تسـد اذنيـهـا لا تسـمع صـوت الراقي . فـامـر القـاضي باحـضـار الصـبـيـان قـدام البطرك وخـوفـهم حـتى اسلمو قدامه وابونا حاضر ينظرهم، فقال وهو باك: الويل لي ، تجـدد حـزني وحـمى قلبي في باطني، ونظـرت انتـقـامي وانفـصلت مني اعـضـاى، الان يارب عـرفني تمامي [مـوتي] لان احـزان الجـحـيم احـاطت بي. فقـال القـاضي للاب: ليس بقي بينك

الثاني ضده، وأوهموه أن لونجينوس سيؤلب النوباديين ضد الدولة البيزنطية فيعودون لحربها وشن الرغارات على أطرافها، فقبض عليه [1]. ولما كانت العيون تترصده في كل مكان فإنه لجأ إلى حيلة تمكنه من الفرار، فخرج متنكرا بوضع شعر مستعار على رأسه الأصلع ثم وصل سالما إلى بلاد النوبة حوالى سنة ٥٦٩م [2]. واستقبل النوبيون لو نجينوس استقبالا عظيما، ولقي منهم مساعدة كبيرة لبناء كنيسة [3]. وتبدو لباقة لو نجينوس ودهاؤه عندما أوعز إلى الملك النوبي بإرسال هدية للإمبراطور ليبرهن على نبل مقصده. ووصلت السفارة النوبية حاملة الهدايا، واستقبلها الإمبراطور بحضور رجال البلاط ومن بينهم يوحنا الإفسسي، وأخذ رسول الملك النوبي يمتدح لو نجينوس في حضرة الإمبراطور [4].

وأقام لونجينوس بين النوباديين حوالى ست سنوات ، ثم رحل إلى الإسكندرية ليشترك في انتخاب بطريرك للكنيسة المرقسية. ولما علم الملك النوبي وأمراؤه بعزم لونجينوس على السفر

(1) Ibid. : op. cit. P. 257.

(2) Kirwan, L. P. : SNR. , XX. Part II, P. 292.

(٣) أخذ لونجينوس يعلم النوباديين الإنجيل وتطلب إنشاء الكنيسة تأليف هيئة كهنوتية تتولى تلقين طائفة من رجال الدين التعاليم اللازمة لأداء واجبهم المقدس

John of Ephesus : op. cit. P. 257.

(4)Ibid. : op. cit. pp. 257 - 258.

وبين هولا معامله فقد صارو مسلمين خد تمنهم
واتركهم. اجاب وقال له : ان كان غرضك ان
تستعيد الاحرار فما لى انا فى هذا غرض لان هولا
احرار واعضا[ء] من جسمي والله يدينك عنهم
وتعطى عنهم جوابا بين يدى الله الاه الكل. فامر
القاضى بقسمة الغلمان فاقتسموهم المسلمون.
فلما راى الاب الرحوم هذا تنهد وقال امام الرب:
طلبت الدما[ء] وذكرتهم لا تنس صوت الفقرا.
وقال: اذلو شعبك وميراثك، ضرو وقتلو اليتامى

إلى مصر، حاولوا أن يستبقوه بينهم وأظهروا له حاجتهم إليه، التى يوضحها قول ملكهم «ستتركنا كاليتامى دون أب» [١]. ثم سمحوا له بالرحيل، وفى طريق عودته مر بجزيرة فيلة وعرض على الأسقف ثيودور ـ وهو كهل فى الثمانين ـ أن يصحبه فى رحلته، ولم يمنع ثيودور من السفر سوى كبر سنة [٢].

لم ينته الدور الذى قام به لو نجينوس فى بلاد النوبة عند هذه الحوادث، بل كانت تنتظره مهمة لا تقل خطورة عما قام به فى نوباتيا ، وهى تنصير أهل مملكة علوة Alodia، ذلك أنه حوالى سنة ٥٧٨م بعث ملك علوة رسالة إلى ملك نوباتيا يعلن فيها رغبته فى الدخول فى المسيحية، ورجاه أن يسمح للأسقف لونجينوس بالسفر إلى مملكته لتعميده هو رعاياه، وذلك بعد أن غادر لونجينوس بلاد نوباتيا. فأرسل ملك نوباتيا رسله إلى مصر لإقناع لونجينوس بالعودة إلى النوبة وزيارة علوة تلبية لرغبة ملكها [٣]. ولماعلم الملكانيون بنبأ هذه الدعوة الجديدة أخذوا يدسون الدسائس، وأوعزوا إلى بطرس بطريرك الكنيسة الملكانية بالإسكندرية بإصدار قرار بعزل لونجينوس، وأرسلوا صورة هذا القرار إلى ملك نوباتيا لتحويله عن لونجينوس ومذهبه.

---

(1) Ibid. : op. cit. P. 258.

(2) Ibid; op. cit.

(3) Trimingham, J.S.: op. cit. p. 55.

والغربا وقالو ان الله لا ينظر . ولم يكن يفتر من البكا والتنهد والنوح، وكان يقول: ان كل من يبغى هولا الصبيان الرب يهلكه. ويقول: انا يارب انسان خاطي لكن يارب تاتي على هذا القاضى الظالم بالانتقام عوضا من فعله السو، وتتم عليه كلمة سليمان الحكيم «ان يوم الانتقام يهلك المنافقون» . وصبر الاب على هذا الحزن ويصلى ليلا ونهارا ويقول: يارب ليس من اجل خطيتى ترفض شعبك.

بيد أن الملك لم يستجب لهذه الدعوة وأصر على عودة لونجينوس لأنه لا يقبل له بديلا، وطرد رسل الملكانيين من بلاده [1].

وصل لو نجينوس إلى بلاد النوبة حوالي عام ٥٨٠م [2]، حيث وجد رسالة ثانية من ملك علوة بدعوته لزيارة بلاده. ولم يكد الملكانيون يسمعون بخبر هذه الدعوة الثانية حتى أرسلوا أسقفين ملكانيين إلى ملك علوة يحملان رسالة مشحونة بالطعن فى حق لونجينوس لأنه على قولهم «هرطقي مطرود من الكنيسة ، ومن ثم فهو غير جدير بتعميد أحد» [3]. بيد أن ملك علوة رد هذين الأسقفين خائبين بعد أن قال لهما «إننا لا نعرفكم ولا نقبل التعميد إلا من هذا الذى عمد النوباديين من قبل. ثم أننا لا نصدق ما تقولونه فى حقه لأننا نعرف أنكم أعداؤه[4]» .

اما لونجينوس فلم يسعه إزاء هذه الدعاية ضده إلا أن يلبى دعوة ملك علوة وبهذا تبدأ المرحلة الثالثة من مراحل التبشير فى وادى النيل الأوسط، وهى المرحلة المعروفة بتنصير مملكة

(1) John of Ephesus : op. cit. p. 317.

(2) Ibid: op. cit . p. 326.

(3) Ibid : op. cit. PP. 317- 318.

(4) Ibid: op. cit. P. 318.

وكان في زامنه قوم مومنون رهبان قديسون يدعون له بان يرزقه الصبر على ما يناله من هذه التجارب.

وكان انسان سايح من جملتهم اسمه «امونه» في دير ابي يحنس، وانبا مينا السايح في جبل ارمون(*)، اعطى روح النبوه وكان يشفي جميع المرض، وشهد له جماعه ان له سلطانا على الارواح النجسه يخرجها من الناس. وانا الحقير

(*) ارمون : قرية قديمة عرفت باسم ارميون بمركز كفر الشيخ. تم تدميرها غالباً في ظل قمع ثورات البشمور. وحوالي سنة ١٧٨٥م نزل أهلها في قرية محلة الشيخ بالبحيرة واعطوها اسم منشأة أريمون.

علوة. وغادر لونجينوس مملكه النوبة بصحبة بعض الأمراء ورجال ذوى خبرة بمسالك الصحراء. وتعرض في هذه الرحلة لمصاعب لم تخل من تضحية ، أوضحها ملك علوة في خطابه إلى أورفيلا Awarfiula [1].ذلك أنه كان على لونجينوس أن يسلك طريق الصحراء الشرقية وأن يتجنب النيل في المنطقة الواقعة جنوبي مملكة نوباتيا حيث توجد مملكة مقرة لعداء ملكها للملك نوباتيا. وربما كان هذا بتحريض من الملكانيين [2]. وفي هذا يقول ملك النوبة في رسالة بعث بها إلى تيودور بطريرك الكنيسة المصرية «ولكن بسبب المكيدة الخبيثة الى دبرها ذلك الذى يقيم بيننا [3]، فقد أرسلت أبي البار إلى ملك البليميين ليوصله إلى داخل البلاد». ولكن أهل المقرة سمعوا بهذا أيضاً وأرسلوا عيونهم للبحث عنه في جميع الممالك في الجبال والسهول [4]. ويبدو أن قافلة لو نجينوس عرجت ثانيا إلى النيل جنوبي الشلال الرابع [5]، حيث استقبله أيتيكيا Aitekia مبعوث ملك علوة واستأنف الجميع الرحلة في سفينة نيلية

(١) أورفيلا اسم محرف لملك نوباتيا. ويقول ما سبيرو في كتابه تاريخ البطاركة إن اسم هذا الملك إيرباتومى Eirpanome وربما كان هذا الملك خليفة الملك سلكو. حاشية رقم ٤.
Maspero. J: op cit. P. 289.

(2) John of Ephesus : op. cit . p. 319.

(٣) يقصد به هنا ملك مقر، لأن مملكته تتوسط نوباتيا ومملكة علوة.

(4) John of Ephesns : op. cit . p. 325.

(5) Kirwan, L. P. SNR, vol. XX. Part II, P. 294.

العاجز حضرت عنده وخاطبني بسبب البيعه، وكان خصيا من بطن امه طاهرا لله، وكان راهبا من صباه في دير ابي يحنس، وفي زمان خراب البريه، في اخر سني البطرك انبا مرقس وقد ذكرناه انفا، التجى هذا الراهب الى بيعه على اسم [الأباء] التلاميذ في قريه، كان يظهر عجايب كثيرا من اشفا[ء] المرضى واخرج الشياطين، وحضرت انا الحقير عنده وكان يعلمني الكتابه وذلك في عاشر سنه من بطركية الاب انبا يوساب.

حتى سوبا. ثم بدأ لونجينوس عمله فى الحال، فعمد الملك وأسرته المالكة والأمراء ومن بين من عمدهم بعض الأحباش كذلك [1]. ومما يدل على نجاح لونجينوس فى مهمته الدينية ماجاء فى الرسالة التى بعث بها ملك علوة إلى زميله ملك نوباتيا يحييه فيها باعتباره أخا فى الدين ويشكره على مساعداته القيمة، ويطلب المزيد من المساعدة فى تأثيث كنيسة [2].

* * *

والخلاصة أن مملكتين من ممالك وادى النيل الأوسط ثم تنصيرهما على مذهب الكنيسة المصرية، لكن ماذا كان مصير المملكة الثالثة ـ مقرة ـ، هل اعتنق إهلها المسيحية، أو ظلوا

---

(١) قابل لونجينوس بعض الأحباش المسيحيين فى علوة. وهم ممن يعتقون بعض الآراء الهرطقية التى تنسب إلى قس اسمه يوليان الهاليكارناسى. Julian of Halicarnasus وقد أعاد لونجينوس تعميدهم وتلقينهم مذهبه، ويرى البعض أن وجود أولئك الأحباش المسيحيين فى علوة قبل قدوم لونجينوس يعنى وصول المسيحية إلى علوة عن طريق الحبشة.

Trimingham, J.S. :op. cit P. 57 Nete. غير أنه – فيما يبدو ـ لم يكن لهؤلاء الأحباش أثر يذكر فى بلاد علوة. Kirwan, L. P.: Firka. p. 55. وإذا وجدت مظاهر الفن الحبشى فى كنيسة دنقلة كما يقول كروفوت. فإن هذا الأثر ضعيف، كما أن حملة عيزانا لم تترك أى أثر للمسيحية، لأن عيزانا نفسه لم يشر إلى رغبته فى نشر الدعوة الجديدة التى تلقاها على يد فرومنتيوس. وعلى هذا فان مصر – كما كانت دائما – مصدر الثقافة.

(2) John of Ephesus: op. cit. p. 321.

وكان هذا الشيخ القديس جالسا في يوم من الايام يقرا في سير البيع القديمه وما جرى على الابا في سابع عشر سيره للبيعه، فقلت له انا بسذاجه ولا ادرى ما اقول: ما هذا الذى تقول؟ فقال لى بكلمة روح القدس: يا ابنى طوبى لمن كتب واهتم بسيرة البطاركه . وقال لى : يا ابنى صدقنى فيما اقوله لك ان لا يبتدى احد بثامن عشر سيره للبيعه حتى ياتى الذى اسمه ثمنيه عشر، وانت الذى تهتم بكتابتها لان الرب يدعوك.

على دينهم؟ على الرغم من الأهمية التي نعلقها على رواية يوحنا الإفسسي في دراسة موضوع دخول المسيحية بلاد النوبة على اعتبار أنه كاتب معاصر، غير أنه مما يقلل من أهمية روايته أنه من مؤيدى مذهب الكنيسة المصرية، ومن المعادين لقرارات خلقيدونية [١] ولم تخل هذه الرواية بطبيعة الحال من مبالغة في تعظيم رجال الكنيسة المصرية ومهاجمة منافسيهم أتباع المذهب الملكاني. مثال ذلك أنه لم يشر أية إشارة إلى تنصير مملكة مقرة[٢]. كما أنه فيما يبدو تعمد ألا يذكر شيئاً عن نشاط بعثة جستنيان إلى بلاد النوبة حوالى سنة ٥٤٣م، مع أنه لا يبعد أن تكون هذه البعثة عرجت على مملكة مقرة وأصابت فيها بعض النجاح [٣].

على أن هنالك كاتبا آخر يدعى يوحنا البكلرى Lohn of Biclarum وهو ملكانى المذهب ومعاصر لوحنا الإفسسي. ذكر أن أهل مملكة مقرة اعتنقوا المسيحية في سنة ٥٦٩م، ثم تلاهم الجرامنتيون «القرعان» [٤]، ولا يبعد أن تكون البعثة الملكانية وهى فى طريقها إلى علوة ما بين (٥٧٠ - ٥٨٠م) لتحويلها عن لونجينوس مرت بمملكة مقرة وإقليم القرعان،

----

(1) Kirwan, L. P. : SNR. XX, Part II., P. 295.

(2) Ibid : op. cit. P. 295.

(3) Ibid : op. cit. P. 295.

(4) Kura'an , L.P. Christianity and the Aure 'an' JEA., XX, P. 201.

فصرت كانني فى غفله ولم أقدر ان اساله عن شى اخر.

وكان هذا الشيخ قد اقام كل زمانه سايحا وبارك على دفعات.

وقد اختصرت فيما كتبت وتركت كثيرا خوفا ممن يقرا فيما كتبته من خبر هذا القديس الشيخ السايح وتركت سيرة الابا وامسكت عن اخبارهم،

ووضعت أسس المذهب الملكانى (١). وربما كان هذا هو سر العداء بين ملك مقرة وملك نوباتيا ولونجينوس كذلك (٢).

وعلى الرغم من اختلاف هذين الكاتبين فى المذهب وعدم اتفاق روايتيهما فالراجح أنه أصبح لكل من المذهبين المصرى والملكانى أساس فى بلاد النوبة (الممالك الثلاث). لكن إلى أى حد تأثرت بلاد النوبة بأحدهما أو بكليهما ، وأيهما كانت له الغلبة وأصبح هو المذهب السائد؟ يقول دى فيار أنه لا يأخذ برواية يوحنا الإفسسى لتعصبه لمذهبه، ويرى اعتمادا على نتائج الأبحاث الأثرية التى قام بها يونكر فى بلاد النوبة، أن شواهد القبور التى عثر على كثير منها تبرز صورة مخالفة . ذلك أن الأدعية المكتوبة عليها باللغة اليونانية تشبه أدعية الكنيسة البيزنطية، ولا يوجد لها شبيه فى مصر، مما يقوم دليلا على أن مصدرها بيزنطة ويعزز الرأى القائل بضعف الحركة المونوفيزية فى بلاد النوبة فى بدء الحركة التبشرية (٣). وفضلا عن هذا فإن اللغة اليونانية كانت اللغة التى تكتب على شواهد القبور ، كما أن الكتب النوبية القديمة ترجمت عن اليونانية لا عن القبطية (٤). وثمة دليل آخر على ازدياد النفوذ الملكانى وهو وجود

(1) Kirwan, L. P. : Firka P. 50.

(2) Ibid. op. cit, p. 50.

(3) De Villard, : op. cit . PP. 61.

(4) Kirwan, L. P. : Firka P. 51.
Griffith, F. L, : LAAA., XIII, P. 52.

وقـد شـرح انبـا سـويرى اسـقف سنبـو فى بعض ميامره خبر هذا السايح.

فلنعـود الان الى مـا فـعله الله على يد الاب البطرك انبا يوسـاب فـاذكر اعـجوبه. وهى انه لما كان هذا الاب بمصـر فى زمان قاضى الظلم الذى شرحنا حاله معه، حضر عنده انسان نصرانى قال له: انا يا ابى الروحانى ترأف على فان لى ولدا وقد اعـتراه روح شيطان يعـذبه منذ أيام كـثيره، ثم انه

أسقف ملكانى فى وقت من الأوقات فى تافه بالنوبة السـفلى، كـمـا أن بعض ألقـاب حكام النوبة مـثل لقب إبارك eparch ودو مـسـتيكرس Domesticus مـأخـوذة من المصطلحـات اليزنطية الإدارية.[(١)].

غير أن نتائج أبحاث يونكرن لا تقلل من قيـمـة أثر الكنيسـة المصرية فى بلاد النوبة. وربما كـان المسئول عن وجـود الأثر البيـزنطى فى المقابر النوبيـة، نشـاط الحركـة الملكانيـة فى مملكة مقرة، وهذا يتفق مع رواية يوحنا البكلرى [(٢)].

لكن أى المذهبين كـانت له الغلبة فى النهاية ؟ المعروف أن كـتابات القـبـور أخـذت الطابع المصرى تماما حين حلت اللغة القبطيـة محل اللغة اليونانيـة فى الطقوس الدينية [(٣)]. وفـضـلا عن هذا فإن رواية سـعيـد بن بطريق يوتيـخا بشـأن خلو الكرسى البطريركى للكنيسـة الملكانية بالاسكندرية مدة ٩٧ عـامـا - من خلافة عمر بن الخطاب إلى خلافة هشـام بن عـبـد الملك - أتاح الفـرصـة لبطريرك الكنيسـة المرقسـيـة لا نتخاب أساقفة النوبة، بحيث أضـحت كل بلاد

....

(1) Shinnie, P. L. : Medieval Nubia, P. 5.

(2) Kirwan, L.P. : JEA. XX. P. 202.

Kirwan, L.P. : Firka. P. 56.

(3) De Villard : op. cit . p. 62.

يصرخ ويقول ما ازول عنه حتى يامرنى انبا يوساب البطرك ، فارحم عبدك ولدى ايها الاب.

وكان الاب كتير التواضع، قال للرجل بقلب نقى متواضع : واى شى عملى انا يا ولدى مع هولا الذين ذكرتهم، لكن بامانتك يخلص ولدك . فاخذ الرجل قوله بقبول مثل ما اخذ قايد الماية قول الرب الذى قال: انى لا استحق ان تدخل [تحت] سقف بيتى بل قل كلمه فقط فيبرا[أ]

النوبة على مذهب الكنيسة المصرية [1] وثمة دليل على التحول من المذهب الملكانى إلى المصرى وهو ما جاء فى حياة إسحاق بطريرك الكنيسة المرقسية (٦٩٠ - ٦٩٣) من أن ملك مقرة يشكو قلة عدد الأساقفة فى مملكته لأن ملك موريتانيا لا يسمح بمرور رجال الدين من مقرة إلى الإسكندرية لتكريزهم، ويدل هذا على رغبة النوبيين من أهل مقرة فى اتباع مذهب الكنيسة المصرية. أما المؤلفون العرب فإنهم أجمعوا على أن المسيحية فى النوبة كانت على مذهب الكنيسة المصرية. فيقول المسعودى «لليعاقبة كرسيان لاثالث لهما أحدهما بأنطاكية والآخر بمصر، والغالب على نصارى مصر من الأقباط وغيرها بفسطاطها وسائر كورها ومايليها من أرض النوبة يعقوبية» [2]. ويقول ابن الفقية «والنوبة يعقوبية وكذلك أهل علوا» [3].

(1) Ibid, : op. cit. p. 62.

Kirwan, L. P. : Firka. P. 49.

ويقول شنى أصبح انتصار اليعاقبة أمرا واقعاً بعد الغزو العربى لمصر إذ اعتبر الملكانيون انصار الإمبراطورية البيزنطية ، على حين لقيت الكنيسة القبطية كل عطف من العرب الحاكمين. وفى مدة تقرب من مائة عام من ٦٣٧م إلى ٧٣١م لم يكن للملكانيين بطرك ملكانى. وعلى هذا لم يستطع النوبيون الحصول على أساقفه ملكانيين. ووجد أنصار الكنيسة المصرية الفرصة سانحة لتدعيم سلطانهم.

Shinnie, P. L.: op. cit. P. 5.

(٢) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ١٥١ .

(٣) ابن الفقيه : كتاب البلدان ص ٧٧ .

فـتـاى. كـذلك هذا الإنسـان المومن لم يفـتـر من السوال اليه والتضـرع قايلا: ترا[ء]ف على يا ابى . فقال له الاب : ماذا تريد ان افعله معك . فقال له: استحق ان تمشى معى ولا تدخل بيتى بل تكتب لى بيدك خطا باسمك لاغير يامر الشيطان بالخروج من ولدى.

فلما سمع ابونا هذا منه تعجب منه ومن عظم امـانتـه، ولـم ير ان يدعـه ان يمضى عنه الا بما

ثم إلى أى حد تأثر النوبيون بالمسيحية، وهل كان اعتناقهم لها على نطلق واسع، أو شمل بعض طبقات الشعب دون البعض الآخر؟ الواضح مما كتبه يوحنا الأفسسى أن يوليان ولونجينوس بدءا بتعميد الملوك ثم الأمراء ثم بعض أفراد النوبيين. ومن غير المعقول أن يتم تعميد النوبيين جميعاً فى المدة القصيرة التى قضاها كل منهما فى بلاد النوبة[1]. ولابـد أن قراراً صدر من ملوك النوبة باعتبار المسيحية دين الدولة الرسمى، فاعتنقها الناس لا عن فهم واقتناع ولكن الناس على دين زعماء قبائلهم وملوكهم وفضلا عن هذا فإن عملية التبشير بالنوبة لابد أنها أخذت أبسط أنواع صورها لتلائم ظروف البيئة البدائية وثقافة السكان. واعتمد المبشرون على سرد القصص المحببة إلى نفوس السامعين أكثر من الاعتماد على الحجج المنطقية والمناقشات اللاهوتية. وبهذا يمكن تصور نوع التعاليم التى تلقاها النوبيون على يد مبشريهم الاول ولابد أن تكون هذه التعاليم خرجت أحيانا عن أصولها للحصول على كسب سريع[2]. ثم أنه لابد أن النوبيين لم يعتنقوا المسيحية دفعة واحدة، ولكن على مراحل، بدليل وجود بعض العادات القديمة بين النوبيين فى الوقت الذى كان يقوم فيه كل من يوليان

(١) نعلم أن يوليان بقى فى نوباتيا حوالى سنتين من ٥٤٣ إلى ٥٤٥م ثم ترك تيودور بها حتى سنة ٥٥١م عاد بعدها إلى أسقفيته . ثم جاء لونجينوس وبقى بنوباتيا حوالى ست سنوات من ٥٦٩ إلى ٥٧٥م ثم عاد مرة أخرى سنة ٥٨٠م إلى نوباتيا . وظل يمكث بها طويلا بل أتجه إلى علوا . ويبدو أن إقامته بها كانت قصيرة.

(2) Kirwan, L.P. : LAAA. op. cit. p. 103.

طلبه. فلما سمعت انا الخاطى كاتب هذه السيره هذا فصرت مثل الشماس المحب لله تاوفسطس، عند كونه مع الاب القديس ديسقرس فى جزيرة جاجرا (*) بسبب الرجل الاعسم الذى عوفى بدم يد المعترف، امنت ان الرب يفعل مع هذا الاب ما يرى ولد هذا الانسان.

(*) البابا ديسقرس البطرك ٢٥ من العدد: انظر الجزء الاول حيث يذكر أنه نفى إلى جزيرة جاجرا بسبب موقفه من مجمع خلقدونيه.

وفيما انا متفكر فى هذا اراد الرب ان يزيدنى فى هذا القديس ايمانا، فامرنى ان اخذ ورقه ودواه

ولونجينوس بالتبشير بينهم. مثال ذلك عادة وضع الأوانى الفخارية التى يحفظ فيها طعام الميت وشرابه في القبور [١]. ثم ازداد انتشار المسيحية ببلاد النوبة حتى أصبحت عامة تقريباً بسبب هجرة الأقباط من مصر إلى بلاد النوبة على أثر الغزو الفارسى لمصر عام ٦١٩م واضطهاد الملكانيين للأقباط بعد استرداد البيزنطيين مصر. وفضلا عن هذا فإن التنظيم الإدارى لمملكة النوبة المتحدة [٢]، وتقسيمها إلى مديريات تحت سلطة حكام خاضعين للملك مباشرة بدنقلة أدى إلى ازدياد سلطة الحكومة ، وبالتالى ساعد على إحكام رقابتها على الحياة الدينية وأدى إلى أنتشار المسيحية[٣].

* * *

غير أنه لم يكن فى وسع النوبيين أن ينشئوا إلا القليل من الكنائس الجديدة بعد تنصيرهم، فبدأوا بتحويل المعابد الفرعونية إلى كنائس، وأول من استن هذه السنة هو الأسقف ثيودور. ففى حوالى أوائل القرن السادس الميلادى حول معبد فيلة لايزيس إلى كنيسة باسم القديس اسطفانوس[٤]. وفى النوبة حيث يوجد كثير من المعابد المصرية التى تحمل جدرانها نقوشاً فرعونية تحولت هذه المعابد إلى كنائس بعد طمس هذه النقوش بطبقة من الجص، ونقشت

(1) Ibid : op. cit. p. 103.

(٢) مملكة النوبة المتحدة هى التى تكونت من مملكة نوباتيا ومقرة.

(3) Kirwan. L.P. ; LAAA. op. cit. p. 105.

(4) Roeder. G. : op. cit . p. 379.

واكتب فيها: يقول يوساب الحقير اصغر البطاركه جميعهم يامرك ايها الروح النجس ان تخرج من عبد المسيح الاهنا، ولا تعود اليه فيما بعد بقوة الاب والابن وروح القدس الاله الواحد .

فاخذ ابو الصبى الكتاب ومضى مسرعا الى بيته وقراه على ولد وللوقت خرج منه الشيطان ولم يعد إليه.

ومدة مقامه بمصر كان يأتى الى ابينا ويسجد له

صور تمثل السيد المسيح والحواريين (١). وحوالى سنه ٥٥٩م حول الملك إربانم Erpanome معبد دندور إلى كنيسة. ونقش على جدارها كتابات ذات أهمية خاصةتوضح علاقة هذا الملك النوبى بأسقف فيلة. كما توضح علاقة الملك بمندوبه وممثله فى كلابشه، والذى يحمل لقب hezarch أو eparch «نائب ملك» (٢) أما معبد كلابشه فيبدو أنه حول أيضاً إلى كنيسة حوالى ذلك الوقت، وعلى جداره نقشت كتابتان تخليداً لهذه الذكرى(٣).

وهذه هى المعابد التى عرف تاريخ تحويلها إلى كنائس. أما بقية المعابد الأخرى مثل معبد دكة وأمادا ووادى السبوع وأبو سمبل فلا نعرف تاريخ تحويلها. ومن الكنائس التى ظلت فى حالة معقولة تلك التى تحتل قلب معبد وادى السبوع الذى بناه رمسيس الثانى وطليت جدارانه بالجص وكتبت عليها كتابات قبطية وصور تمثل ميلاد السيد المسيح وتلاميذه الإثنى عشر. وصورة للملاك ميخائيل وبجانبه صورة امرأة قد تكون إحدى المتبرعات لإنشاء هذه

(1) Ibid : op. cit. P. 380.
Kirwan, L. P. : LAAA. XXIV P. 93.

(٢) والراجح أن هذا الموظف hezarch كان يمثل الإمبراطور البيزنطى Kraus Johann. S.V. D. : Die Anfange, Des Christ. in Nubien. p. III.
Revillout : Memoire sur les Blemmye, P. 121.

(٣) عثر على نقشين على جدار هذا المعبد وجاء فيهما : «أنا بولس صليت فى هذا المكان للمرة الأولى»، «باسم المسيح عيسى - أنا القسيس بولس وضعت الصليب فى هذا المكان لأول مرة». انظر: Roeder, G, : op cit.

بامانة عظيمه ويقول : انا اشكر الرب بصلواتك لان بكلامك عوفى ولدى. وكان ابونا ينهيه ويجعل عليه قانونا [حلفان] للبيعه ان لا يقول لاحد هذا الكلام واما الرجل فحلف لنا ان الشيطان لم يعد الى ولده من ذلك اليوم.

وفى تلك الايام تنيح الاب ديونوسيوس بطرك انطاكيه، فاهتم المطارنه والاساقفه والشعب الارتدكسى، وقدمو عوضه انسانا كاملا فى

الكنيسة، وكذلك صورة القديس بطرس وبيده مفتاح كبير مازالت واضحة المعالم (١).

أما الكنائس التى بناها النوبيون، فأولها كنيسة مارى بإبريم، وربما يرجع تاريخ بنائها إلى أواخر القرن السادس أو أوائل السابع. والكنيسة الثانية هى التى أشار إليها يوحنا الأفسسى وقال إن لونجينوس بناها للنوبيين أثناء إقامته بينهم فى المرة الأولى من سنة ٥٦٩ ـ٥٧٥م. والكنيسة الثالثة هى كنيسة دنقلة. أما كنيسة فرس وبوهن فربما يرجع تاريخ بنائهما إلى أواخر القرن السادس وأوائل السابع الميلادى (٢). أما سائر الكنائس المنتشرة على طول النيل من أسوان فى الشمال إلى القطينة على النيل الأبيض فى الجنوب، فلم يعرف تاريخ إنشائها لعدم وجود نصوص مكتوبة على جدرانها، ولم يبق من هذه الكنائس إلا أطلالها، ومعظمها اندثرت معالمه لأنها كانت مبنية من الطين. ولهذا فإن ما تبقى منها معظمه إلى الشمال من أبو حمد حيث تندر الأمطار. ويقول أبو صالح فى الوقت الذى وضع فيه كتابه حوالى منتصف القرن الثانى عشر الميلادى إن مدينة علوة بها أربعمائة كنيسة (٣)، ويضيف بتلر (٤) أن فرنسسكو الفارز مبعوث ملك البرتغال إلى بلاط ملك الحبشة فى القرن السادس عشر الميلادى، ذكر أن شخصا سوريا يدعى يوحنا السورى حدثه أن ببلاد النوبة مائة وخمسين كنيسة مزينة جدرانها بصور السيد المسيح والسيدة العذراء والقديسين. وعثر سومرز كلارك على سبع وأربعين كنيسة

(1) Roeder, G, : op. cit. p. 381.
(2) Kirwan, L. P. LAAA. XXIV p. 100.
(٣) أبو صالح : ص ١٢٠.
(٤) المصدر السابق ص ٢٦٤ حاشية ١.

الخصال اسمه يوحنا، وكان [ذلك] فى السنة الخامسة عشر من بطركيته، اعنى الاب انبا يوساب.

وفى سنة خمس مايه واتنين وستين للشهد، ولما جلس على كرسى انطاكية كتب الى ابينا سنوديقا كالعاده بالاتحاد وانفذها مع مطرانين، وهما اتناسيوس مطران افميه، وطيماتاوس مطران دمشق وكهنة معهما،فلما اجتمع الاب انبا يوساب

فى النوبة فى جهات مختلفة على طول النيل من أسوان إلى جنوبى الخرطوم. ووصف هذه الكنائس ووضع لها رسوما فى كتابه عن الآثار المسيحية بوادى النيل. وعثر دى فيار أخيراً على بقايا عشر كنائس أخرى منها اثنتان بقصر إبريم.

بقى هنا أن نشير إشارة خفيفة إلى البليميين ومدى تأثرهم بالمسيحية بعد القرن السادس الميلادى، فلا يبعد أن يكون لونجينوس عمد بعض زعمائهم أثناء مروره ببلادهم. غير أننا لا نسمع عن البليميين شيئا إلا بعد الفتح العربى بحوالى مائة سنة، حين عرفوا باسم البجا وهو اسمهم القديم، ووصفهم الكتاب العرب بأنهم وثنيون، ويقول اليعقوبى «ليس لهم شريعة إنما كانوا يعبدون صنما يسمونه ححاخوا» (١) ويقول أبو الفدا «إنهم يعبدون الأوثان(٢)» أما الإدريسى فيقول بأنهم نصارى خوارج على مذهب اليعقوبية (٣).

ويمكن القول إن المجموعة البجاوية ظلت على دينها المصرى السابق للمسيحية باستثناء جماعات قليلة منها اعتنقت المسيحية بحكم اتصالها بالجماعات المسيحية. ومنذ الفتح العربى لمصر أخذت المسيحية تمتد رويداً رويداً إلى أوطان البجة، وبقى بعضهم على دينهم المصرى حتى دخل الإسلام ديارهم.

---

(١) اليعقوبى: كتاب البلدان، ص ٣٣٦.
(٢) أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، ص ١٩٦.
(٣) الإدريسى : المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص ٢٧.

بوصولهم، الى قريب مصر، وصحبتهم السنوديقا سار الى اسكندريه كيما يجتمعوا به هناك بمجد، فلما قربو من المدينه انفذ يستقبلهم باساقفه وكهنة يقرون قدامهم الى ان دخلو بهم الى القلايه البطركيه بمجد وكرامه . فلما اخد ابونا السنوديقا امر بقرا[ء]تها على الشعب الارتدكسى ففرحو فرحا عظيما .

فلما نظر الشيطان المناصب هذه النعمة بدا ان يثير على ابينا البطرك بلايا من جهة من هو له

النظم والحضارة فى ممالك النوبة المسيحية

التنظيمات الإقليمية ■ التنظيمات السياسية ■ طبقات المجتمع ■ التنظيمات الكنسية ■ الاقتصاد النوبى ■ بعض مظاهر الحضارة النوبية.

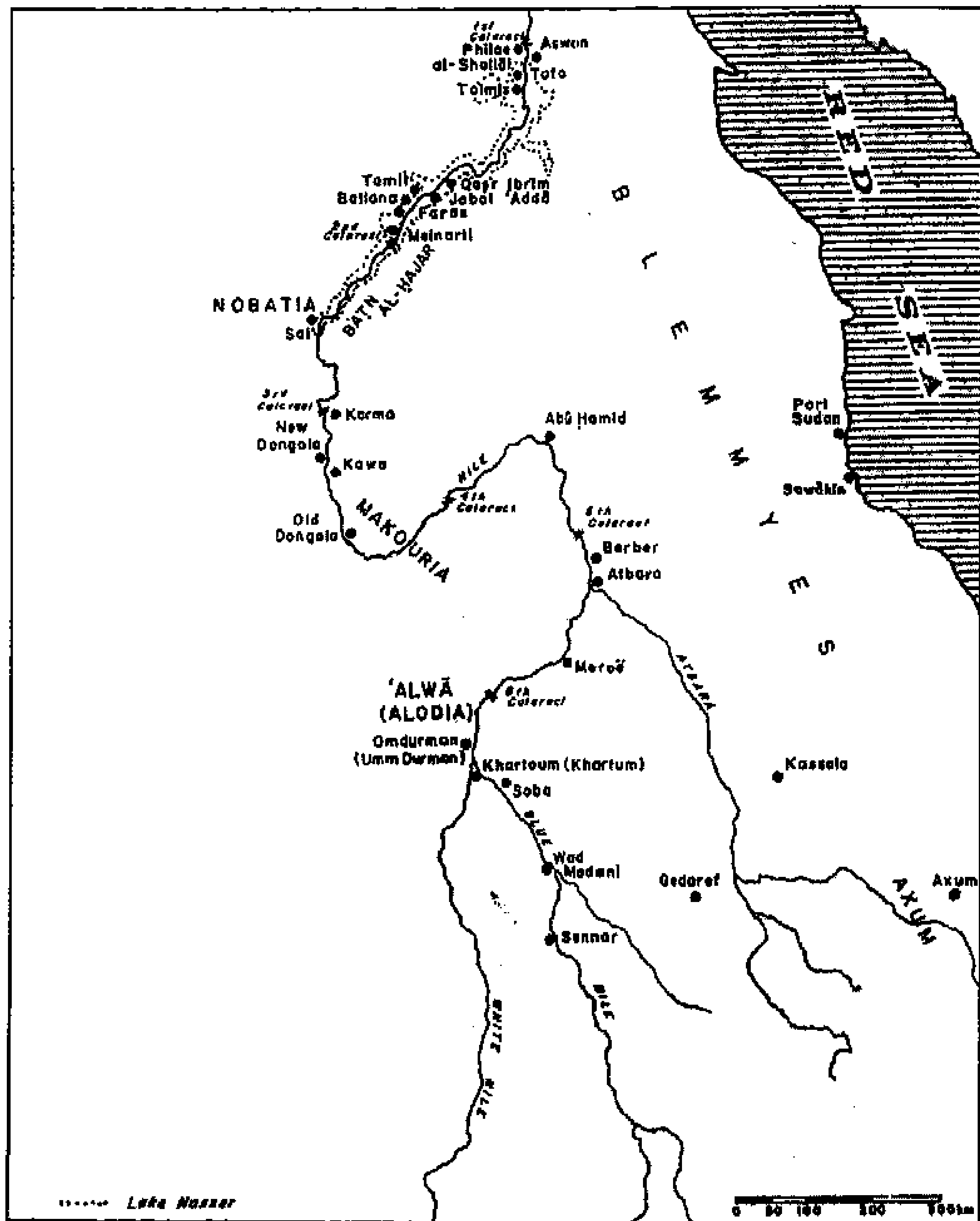
* * *

يرجع ما وصل إلينا من تاريخ ممالك النوبة المسيحية إلى قطع من نصوص مكتوبة بواحدة أو أخرى من اللغات القبطية أو اليونانية أو النوبية، وإلى إشارات قليلة فى المؤلفات القبطية، وإلى ما ذكره بعض المؤلفين العرب الذين جاء ذكر النوبة عرضا فى مؤلفاتهم [(١)]. ولهذا جاءت هذه المعلومات إما ناقصة أو غامضة فى كثير من الأحيان[(٢)].

والممالك المسيحية التى استقبلت المبشرين المصريين والبيزنطيين الرسميين حوالى منتصف القرن السادس الميلادى كانت ثلاثا، تحدث عنها يوحنا الأفسسى دون أن يعين لها حدودا جغرافية واضحة. أولاها: مملكة النوباديين Nobadae جنوبى الشلال الأول، وثانيتها: مملكة أطلق اليونانيون على سكانها اسم Alodaie، وهى فى أقصى الجنوب من بلاد النوبة، وثالثتها:

(1) Kirwan. L. P. : "Note on the topography of the Christian Nubian Kingdoms". JEA. XXI, 1934. P. 57.

(2) Quatremere, E, : Memoires, II p. 1.



ممالك النوبة المسيحية

وعا[ء] كما فعل في قاضى الظلم بمصر، وكان لذلك القـــاضى رجل ينوب عنه باسكندريه واعمالها، وكان اشر منه وكان اسمه محمد بن بشير ، فمضو اليه [المخالفين] الذين احرمهم اولا، واشارو عليه ان يهينه قدام المطرانين، وكانو مهتمين بهذا اولاد النار ويظنون ان هذاالامر ينتقل عليه، وهو المشتمل بالاتضاع لا يالى ولا يفكر فيما يفكرون فيه، لنهم كانو مفكرين في قلوبهم انهم

مملكة الماكوريين Makoritae – أى مقرة – وموقعها بين المملكتين السابقتين [١]. أما المملكة الأولى، فهى التى أسسها الملك سلكو حوالى ٥٣٠م. ويبدو أنه تمكن من إخضاع الماكوريين[٢] أصحاب المملكة الثالثة مدة قصيرة [٣]. أما المملكة الجنوبية التى يسكنها Alodaie فهى التى نشأت على أنقاض مملكة مروى بعد سقوطها على يد الملك عيزانا حوالى منتصف القرن الرابع الميلادى. وورد فى نقش الملك عيزانا اسم مدينة علوة alwah ضمن المدن المبنية بالطوب الأحمر والتى وقعت فى قبضته. وهى تقع على نهر سيدا Seda جنوبى إلتقائه بنهر تكازى Takkazi (أتبرا).

ومنذ عام ٥٨٠ ظلت هذه الممالك الثلاث المسيحية مستقلة بشئونها تحت حكم رؤساء وطنيين [٤]. غير أن المراجع العربية تخبر بأنه بعد استيلاء العرب بقيادة عمرو بن العاص على

(1) John of Ephesus, : op. cit. P. 319.

(٢) ربما كان هؤلاء الماكوريون هم الذين أشار إليهم سترابون باسم Meya Bapoi وأشار إليهم بطلميوس الجغرافى باسم Malloupai. Kirwan, L. P. op. cit. P. 57.

(٣) من الواضح أن خضوعهم لم يدم طويلا بدليل موقفهم العدائى أثناء بعثة لونجينوس التبشيرية.

(4) Kirwan L. P. : op. cit. p. 58.

والراجح أن علوة مدينة قديمة ترجع إلى حوالى منتصف القرن الرابع قبل الميلاد. ولا يبعد أن تكون مدينة (t) IL التى ورد ذكرها على لوحة تركها الملك ناستاسن Nastasen ملك مروى ٣٢٨ ق . م.=

اذا اهانوه قدام المطرانين ينقص جاهه، ولم يعلمو ان موامرتهم مرذوله عندما يظفر الظافر كل حين، وينال الاكليل على الجهاد، وينال الطوبى على صبره، وينتهى به ذلك الى اقصى المشرق، وصورته عندما يشاهده الابرار المطارنه فيما يجرى عليه.

حينذ انفذ القاضي، قاضى اسكندريه، ان يحضر الاب القديس انبا يوساب البطرك ويحضر معه المطرانين. فقال له لما حضر عنده: قد اعلمونى

مصر سنة ٦٤٠م، قامت حملتان عربيتان من الأراضى المصرية سنة ٦٤٠ - ٦٥٢م بقيادة عبد الله بن سعد ابن أبى السرح لغزو تلك الممالك المسيحية، كما تخبر بأن عهد الصلح الذى عقده عبد الله بن سعد كان «لعظيم النوبة ولجميع أهل مملكته... من حد أرض أسوان إلى حد أرض علوة[١]» ومعنى هذا أن المملكتين نوباديا ومقرة أصبحتا مملكة واحدة عرفت باسم النوبة. أما المملكة الأخرى وهى علوة فيبدو أن المسلمين لم يتعرضوا لها على أن موضع الأهمية هنا، هو معرفة متى حدث هذا الاتحاد؟ أما المؤرخون فاختلفوا حول تاريخ اتحاد هاتين المملكتين، فهناك قول بأن هذا الاتحاد حدث فيما بين ٥٨٠ - ٦٥٢م وأن دنقلة أصبحت بذلك عاصمة للمملكة النوبية المتحدة، على حين ظلت فرس عاصمة المقاطعة الشمالية [٢].

=Kirwan, L. P. : op. cit. p. 57.

أنظر أيضا Shinnie, P. L. : "Excavations at Soba" SAS. No. 3, 1955. p. 11

وكذلك Cammerer, A. : Essai Sur l'histoire Antique d'Abyssinie p. 82.

ويقول كامرير: إن علوة اسم قديم لأنها ذكرت على نقش هيروغليفى فى النقعة (قرب شندى) تحت اسم Alut.

(١) المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٢٠٠، سيرد ذكر هذه الحملات تفصيلا فيما بعد.

(2) Crawford, O. G. S. : op. cit. p. 23.

وانظر أيضا : Kirwan, L. P. : op. cit. p. 61.

ان لك غلمانا الذين امرك القاضى صاحبى ان لا تقبلهم اليك دفعة اخرى بعضهم عندك وقد اعدتهم الى دينك . فاجاب القديس وقال له : ما عندى شي مما ذكرته وانى لم اشاهد وجه واحد منهم من ذلك اليوم. فامر به ان يضرب على قفاه بغير رحمه(*) ، ويلكمونه لكما كتيرا، ولم يتخلو عن ضربه وقتا كتيرا، وكانت راسه مطاطيه لا يشيلها لاجل ضعفه ولم يفتح فاه ينطق بلفظه الا قوله هكذا: اشكرك يا سيدى يسوع المسيح. فبكينا

(*) الضرب على القفا من وسائل التعذيب والاهانة.

وثمة قول آخر وهو أن اتحاد المملكتين «نوباديا ومقرة» حدث بعد مضى خمسين عاما على عقد هذا الصلح[1] . ويستند صاحب هذا الرأى إلى أمرين: أولهما ماورد فى بعض المراجع القبطية [2] بشأن نزاع نشب بين ملك مقرة وملك موريتانيا سنة ٦٩٠م بسبب حاجة الأولى إلى أساقفة ومنع الأخير إياهم من المرور بمملكته، وملك موريتانيا فى نظره هو ملك نوباديا. ومعنى هذا ـ فى رأيه ـ أنه حتى سنة ٦٩٠م كانت لا تزال المملكتان مستقلتين. وثانيهما ما ورد فى هذه المراجع كذلك [3] من أن الملك مرقوريوس سلك مسلكاً جديداً نال عليه ثناء الكنيسة المصرية واستحق من أجله لقب قسطنطين الجديد. وربما كان هذا المسلك الجديد هو تحوله إلى المذهب المونوفيزى وتحويله معبد تافه فى نوباديا إلى كنيسة سنة ٧١٠[4] . وبهذا يكون مرقوريوس جمع بين حكم المملكتين بعد إخضاع المملكة الشمالية وتوحيدهما دينيا وسياسياً كذلك.

(1) De Villard, : op. cit. p. 76.

(٢) اعتمد دى فيار فى إيراد هذا الرأى على ما جاء فى سيرة البطريرك إسحق (٦٩٠ - ٦٩٣م) والتى جمعها الأسقف مينا. Ibid, : op. cit. p. 79.

(٣) واعتمد هذا المؤلف أيضاً على ما ورد فى سير بطاركة الإسكندرية Ibid. : op.cit. p. 80.

(٤) يقول دى فيار: إنه عثر على حجر فى معبد تافه يحمل نقوشاً يونانية مؤرخة ١٤ ديسمبر سنة ٧١٠م تمجد مرقوريوس لإتمامه هذا العمل الجليل. وربما كان هذا العمل الجليل هو تحويل معبد تافه إلى كنيسة. وتافه تقع فى نوباديا ومعنى هذا أن مرقوريوس ملك مقرة، يحكم نوباديا كذلك.

نحن اولاده بكا[ء] مر لمشاهدتنا ما جرى عليه من ذلك القاضى السو، ولم ييأس من الرحمه بل كان شجيع [شجاع]، فتعجب هو ليك المطرانان وقالا: تبارك الله الذى جعلنا مستحقين ان نشاهد جهاد هذا الاب. وكان ابونا المبارك يقول قول الرب لاجل قاضى الظلم: ان الرب يظهر فيه الانتقام الذى يحل به كما قال لوقا: الله ينتقم لاصفياه سريعا، الداعين له ليلا ونهارا ويطول روحه عليهم.

غير أن هذا الرأى لايمكن قبوله، لأنه لايتفق وما جاء في عقد الصلح سنة ٦٥٢م [١] ثم إن اعتماد هذا الرأى على المراجع القبطية وحدها لا يعد دليلا كافيا على صحته، لعدم اتفاق رواياتها. إذ أن بعض هذه المصادر القبطية تقول إن النزاع كان بين ملك مقرة وملك الحبشة[٢]. ومع التسليم بصحة ماجاء بشأن ملك موريتانيا. فالمعروف أن موريتانيا هى ليبيا وأن الأساقفة كانوا يستخدمون الطريق الليبى - لا طريق النيل - فى سفرهم من الإسكندرية إلى دنقلة[٣]. ثم أن تحول مرقوريوس إلى المذهب المونوفيزى وتوحيد المملكتين دينيا، لايعنى أن المملكتين لم تتحدا سياسيا من قبل. والراجح أن الوحدة السياسيه تمت قبل الوحدة الدينية فى وقت سابق لحملة عبد الله بن سعد على بلاد النوبة سنة ٦٥٢م، أو فى وقت معاصر لها

(١) ولنص الصلح على أن المملكة النوبية تمتد من أسوان إلى حد علوة.

(٢) يقول بتلر فى كتاب تاريخ أبى صالح الأرمنى (حاشية ١ ص ٢٦١) وإن البطريرك إسحق تدخل لحسم النزاع بين ملك النوبة وملك الحبشة مما أدى إلى غضب عبد العزيز بن مروان والى مصر على البطريرك إسحق. انظر متن ساويرس أعلاه ص ٤٨ جـ٢. وورد فى كتاب رينودو «تاريخ بطاركة الإسكندرية، ما يؤيد رأى بتلر الذى استقاه من مصدر قبطى هو سيرة البطريرك إسحق التى جمعها ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونيين.

Renaudot, E, : "Hist. Patriarcharum Alexandrinarum." P. 178.

Conti Rossini : Note Ethiopiche - 1 - Una Guerra fra la Nubia e l. Ethiopie. Nel Seclo XII. p. 1.

(3) Maspero ; op. cit . p. 348.

Roeder , op. Cit. pp. 383- 484.

وبعد ذلك كتب الى البطرك انبا يوحنا كتب السنوديقا وودعهم بمجد وكرامه تصلح لهم وهم يعطون الطوبى لابونا يوساب، وجعلوا يبشرون بفعله في جميع بلادهم.

وكانت في ايامه نعمه وسلامه. وكان في زمانه اعجوبه، ونظر الى الديارات في كل موضع تنمو وتتزايد كل يوم بصلواته وصلوات القديسين الذين كانو في ذلك الزمان، وباخاصه الديارات بوادى

على الأقل، فإن حاجة الدفاع عن البلاد والوقوف في وجه الغزو الإسلامى فرضا هذه الوحدة السياسية [1]، على أن تحتفظ كل من الدولتين بسيادتها على أراضيها واستقلالها الداخلى. ولابد أن هذا كان أشبه باتحاد فيدرالى أو تعاهدى، احتفظ فيه ملك المملكة الشمالية بسلطاته على أن يكون بمثابة نائب ملك ـ كما سيجئ تفصيله بعد – ولعل تحول ملك مقرة إلى المذهب المونوفيزى تضمن تأييداً وتأكيداً لهذه الوحدة السياسية التى سبقته.

أطلق الكتاب العرب على هذه الأقاليم جميعا اسم النوبة.و يتفق في هذا كل من اليعقوبى (٨٩٤م) والمسعودى (٩٣٥م) . بيد أن اليعقوبى جعل الحد الشمالى لمقرة عند بلدة إسمها ماوا [2] . على حين جعل المسعودى الحد الشمالى لمقرة عند أسوان. ومعنى هذا أن المملكة

(1) Arkell, A.J.; Ahist. of the Sudan. p. 186.

(٢) اليعقوبى: كتاب البلدان، ص ٣٣٦ «ومن أسوان أول بلاد النوبة الذين يقال لهم مقرا وهو موضع يقال له ماواه. وفى موضع آخر «فأما من قصد من العلاقى إلى بلاد النوبة الذين يقال لهم علوة...» – أى أن اليعقوبى أطلق النوبة على كل الأقاليم جنوبى أسوان بما فيها مقرة وعلوة وجعل ماوا الحد الفاصل بين نوباديا ومقرة، بيد أنه لم يذكر شيئاً عن الحدود بين مقرة وعلوة. ومدينة ماوا غيرمعروفة، وربما قصد بها ماما وهى فى رأى كروفورد تقع قرب جبل فركة جنوبى الشلال الثانى، وهى تمثل نهاية اقليم السكوت، واعتبار الحد الفاصل بين نوباديا ومقره جنوبى ماما بحوالى ١٤ ميلا لهو أمر مقبول Crawford, op. cit. p. 23.

هبيب، كانت مثل فردوس الله لا سيما دير ابى مقار. ومعونة الله مع جميعهم وبالخاصه الاقنوم شنوده القس القديس الذى اظهر الله منه افعالا حسنه لا تحصى من امانته فى القديس ابى مقار، وجعل له تذكارات كروما وبساتين وبهايم وطواحين ومعاصر وخيرات كتيرا لا تحصى.

ولما شاهد الشعب المومن فعله ابتهجو بذلك وكانو يحسدونه على فعله ويساعدونه بحسن نياتهم.

الشمالية «نوباديا ومقرة» عرفت باسم مقرة. وعرفت الآخرى باسم علوه [١]، وأن الجزء الشمالي من مقرة والمتاخم لمصر عرف باسم مريس دون تعيين حدود سياسية واضحة لهذه الممالك. ويضيف المسعودى أن المملكتين مقرة وعلوة كانتا تحت حكم ملك واحد اسمه كبرى بن سرور، غير أن هذا الاتحاد لم يسمع عنه، وهو - إن صح - لم يدم طويلا. ويشير المسعودى إلى وجود عاصمتين هما دنقلة عاصمة مقرة، وسوبا عاصمة علوة. ويتفق عبد الله ابن أحمد بن سليم الأسوانى [٢] (٩٦٩م) مع كل من اليعقوبى والمسعودى، ولكنه يضيف كثيراً من المعلومات الجغرافية والتاريخية لهاتين المملكتين، فذكر الأسوانى أن الحد الشمالى

(١) المسعودى : مروج الذهب. جـ٣، ص ٣٣ «فأما النوبة فافترقت فرقتين، فى شرقى النيل وغربيه، وأناخت على شطيه، فاتصلت ديارها بديار القبط أرض صعيد مصر من بلاد أسوان وغيرها. واتسعت مساكن النوبة على شاطئ النيل مصعدة، ولحقوا بقريب من أعاليه، وبنوا دار مملكة تدعى دنقلة. والفريق الآخر من النوبة يقال لها علوة وبنوا مدينة للملك سموها سوبة... والبلد المتصل من مملكته بأرض أسوان يعرف بمريس».

(٢) عبد الله بن أحمد بن سليم الأسوانى كان مبعوث الخليفة المعز لدين الله الفاطمى إلى ملك النوبة ليدعوه إلى الدخول فى الإسلام ويذكره بدفع البقط وكتب كتابه «أخبار النوبة ومقرة وعلوة والبجة والنيل» وهذا الكتاب مفقود ولكن المقريزى حفظ لنا فى كتابه المواعظ والاعتبار شيئا منه.

(*) كان أصحاب المذاهب المخالفة يقيمون فى الدير المقدس بوادى هبيب.

وكان فى الدير المقدس خلايق لا تحصى، ليس الارتدكسيون فقط بل هراطقه، (*) لاجل العجايب التى تظهر فى هذه البيعه . وفعل هذا الاقنوم شنوده وكان يرجو المجازاة من الله، كقول بولس الرسول: نحن بالروح بالامانه ننظر رجا[ء] حقيقيا. ولما راى الرهبان يتزايدون بنعمة الله التى تدعوهم، بدا وبنى بحرى البيعه الكبيره بيعه باسم الابا[ء] التلاميذ، وكملها وزينها بكل زينه، ودعا ابانا القديس انبا يوساب البطرك الى هذه البيعه،

لمريس[1] يقع عند مدينة القصر، بينها وبين أسوان خمسة أميال، وبينها وبين جزيرة بلاق (فيلة) ميل واحد، وإلى بلاق تنهى مراكب النوبة أما الحد الجنوبى لمريس فيقع عند المقس الأعلى[2]، بينها وبين الشلال الأول [3] ست مراحل، والعاصمة نجراش. ويتفق هذا التحديد مع ما ذكره أبو صالح الأرمنى (١٢٠٠م). ويرى دى فيار أن هذا الحد يقع عند قرية عكاشة جنوبى الشلال الثانى [4] وتبدأ مقرة بأقاليم ثلاثة هى : سقلودا وبقون وصفد

(١) مريس معناها فى اللغة القبطية الجنوب. وتنسب إليها الريح المريسية، وهى رياح الجنوب الباردة التى تهب على جنوبى مصر فى فصل الشتاء. أنظر عبد اللطيف البغدادى كتاب الإفادة، ص ١٣ .

(٢) المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ١ ، ص ١٩٠ «... وأول الجنادل من بلد النوبة قرية تعرف بتقوى وهو ساحل، وإليها تنتهى مراكب النوبة المصعدة من القصر أول بلدهم، ومنها إلى المقس الأعلى ست مراحل».

(٣) الشلال الأول هنا المقصود به أول الشلال فى الأراضى النوبية، ولم يدخل إبن سليم الجندل الأول (الشلال الأول) فى أرض النوبة لأنه داخل فى الحدود المصرية. وعلى هذا فإن الجندل الأول حسب قول ابن سليم يقابل الجندل الثانى (الشلال الثانى قرب حلفا) ومنها أى من تقوى (عند الشلال الثانى) إلى المقس الأعلى ست مراحل – حوالى ٧٢ ميلا ـ وهى منطقة الشلال الثانى.

(٤) أبو صالح: الشيخ أبو صالح الأرمنى، ص ١٢٠ . ويعتمد دى فيار فى تحديد هذا الموقع على ما ذكره أبو صالح من أن فى جهة المقس الأعلى يوجد السنباذج Corundum وهو حجر ساخن يوجد قرب عين ماء ساخنة. ومن تقرير لهيوم وجد أن هذه العين لاوجود لها فى وادى النيل كله إلا عند عكاشة ويسميها السكان هناك حمام عكاشة أنظر. De Villard :op. cit. p. 136 .

فلما نظرها امتلا قلبه سرورا وكرزها في اول يوم من برموده في السنة السابعه عشره من بطركيته ولم يفتر الاب من البركه على ابونا القس شنوده الاقنوم من عمق قلبه. وينظر التذكارات التي يعملها يوما بعد يوم وبالخاصة هذه البيعه المقدسه الجامعة الحسنه ، وكان لنا نحن اولاد هذا الاب محبه ابينا له، وكان الاب يقول لنا : بقوة روح القدس الحال فيه، يا اولادى صدقوني ان لهذا الأخ تذكارات كثيره يفعلها، وبنا[ء] بيع وكنايس ،

بقل [1] وهي جميعا شمال مقر، تمتد جنوبا بعد انشاءة النيل الكبرى بحث تشمل إقليم شنقير [2]. وتنتهي جنوبا عند حد الأبواب (كبوشية الحالية) حيث تبدأ مملكة علوة. ويذكر مفضل بن أبي الفضائل أن مريس تنقسم إلى قسمين: بلاد العلي وتنهي عند مهندى (جنوبي المحرقة الحالية) وبلاد الجبل وتنهي بنهاية حد مريس في الجنوب (٢٨). ويشير ابن سليم إلى

(١) المقريزى : جـ١ ص ١٩١ . سقلودا معناها في اللغة المصرية السبع ولاه. ويبدو أنها تتفق مع إقليم السكوت. وبا كون مع إقليم المحس وصفد بقل مع إقليم الجوايرة25 - 24 ..Crawford .op. cit pp : وجاء في رواية أخرى لابن سليم «أن وستو آخر قرى مريس آخر عمل متملكهم ». والواقع أن هذه الرواية تتعارض مع ما سبق أن ذكره أن المقس الأعلى هي اخر مريس من ناحية الجنوب، ولكن إذا علمنا أن وستو أو باستو تقع شمالي دنقلة الأوردى بحوالي ٢٧ ميلا .Burckhardt, J.L: Travels in Nubia, P 523. أى قرب أبو فاطمة التي تنتهي عندها لغة الدناقلة التي تشبه لغة الكنوز وهي اللغة المريسية، نرى أن ابن سليم ربما قصد الحد الشمالي للغة مريس الدنقلاوية لا الحد الجنوبي لإقليم مريس.
انظر .Kirwan, L. P. :op. cit. p. 60

(٢) منطقة شنقير هي منطقة أبو حمد – بربر حيث يبدأ منها الطريق البرى إلى سواكن.
Crawford. :op. cit. p. 26.

(٣) إن مهندى غير معروفة تماماً لكن دى فيار يرى أنها تقع إلى الجنوب من المحرقة وبهذا يمكن القول إن هذه التقسيمات تتفق تماما والتقسيمات الرومانية بأراضي النوبة ـ نقلا عن مفضل بن أبي الفضائل ، «النهج السديد».

De Villard, : op. cit. pp. . 137 - 138.

وكنا نسمع هذا منه فنقول ترى انه بنى بيع اخر في هذا الجبل . وكان كلامه كالنبوه ونحن لا نعلم حتى ظهر لنا بعد ذلك ما سوف نذكره.

وكان في يد ابونا عكاز لطيف دفعه لشنوده الاقنوم وقال له: خذ هذا يا ولدى تذكارا لك. فلما راينا هذا قلنا ان هذا بسبب امور تظهر لأن كل أفعاله بنعمة روح القدس.

ولما كان في السنة الثامنة عشره من بطركيته

صعوبة الانتقال بين جميع تلك الأقاليم بسبب وجود الجنادل التي تعترض سير النهر في كثير من المواضع[1].

اتفقت كتابات المؤلفين العرب على أن حد علوة من ناحية الشمال يبدأ عند منطقة تعرف بالأبواب [2] غير أن أحداً من الكتاب العرب أو غيرهم لم يعط صورة واضحة لمدى اتساع هذه المملكة أو يعين لبقية جهاتها حدوداً جغرافية واضحة. فيكتفي ابن سليم بقوله« إن مملكة علوة أوسع وأخصب من مملكة مقرة [3]». ولم يكن ابن سليم في تحديده لعلوة دقيقاً كذلك. إذ يشير إلى الحد الشرقي لعلوة مثلا بقوله «وعليه أى النيل الازرق جنس مولد من العلوة والبجه يقال لهم الديجيون وجنس يقال لهم بازة... وبعد هؤلاء أول بلاد الحبشة[4]». ومعنى هذا ـ في قوله ـ أن مملكة علوة تمتد شرقاً في اتجاه النيل الأزرق إلى حدود الحبشة.

(١) المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص ١٩٠ ـ ١٩١.

(٢) المصدر السابق، جـ١، ص ١٩٢ والأبواب هي كبوشية الحالية: .Crawford op. cit. p. 24 ويرى دى فيار أن الأبواب هى الإقليم المحاذى للنيل من نقطة التقائه بنهر أتبرا إلى الشلال الرابع.
De Villard, : op. cit. p. 153.

(٣) المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص ١٩٣.

(٤) الديجيون والبازة غير معروفين تماماً وربما البازة هم الباريا الذين كانوا يحتلون هذه المنطقة قبل أن ينتقلوا جنوباً.

ولى على مدينة اسكندريه امير اسمه مالك بن ناصر الحدر، وكان انسان سو ظالما. فلما دخل المدينه بدا ان يفعل سو بكتير من الناس اكتر من الوالى الذى كان قبله، فاعترض اصحاب الصنايع والتجار الكبار، والبزازين والباعه،و تقدم الى التجار الكبار والبزازين ان لا يبيعو ويشترو الا حدا يحده لهم، وعمل قياسا كبيرا [للأطوال] وجعل ينادى مناد ويقول: من وجد عنده توب ناقص عن هذا القياس انا اعتقله واهينه واقتله.

وقدر ابن حوقل [(١)] طول علوة بحوالي شهر وعرضها من النيل مشرقاً بثمان مراحل (حوالي ٩٦ميلا)، على حين أن ياقوت[(٢)] قدر المسافة من عاصمة مقرة إلى حدود علوة بثلاثة أشهر وقال: إن إلى الجنوب من علوه توجد أمه أخرى من السودان تدعى تكنة [(٣)]. والخلاصة أن هذه الأقوال فى جملتها غير دقيقة ولا توضح إلى أى الجهات امتد نفوذ ملوك علوة المسيحيين. غير أن ما جاء فى مخطوط تاريخ قلاون [(٤)] قد يوضح ولو قليلا الأقاليم التى تتألف منها

(١) ابن حوقل: كتاب صورة الارض، ص ٥٦.

(٢) ياقوت : معجم البلدان، ص ٣٢٣.

(٣) ربما كان هؤلاء التكنة هم الدنكاء والراجح أنه في هذا الوقت تقدموا شمالا على النيل الأبيض متجاوزين أوطانهما الحالية.

(٤) مخطوط تاريخ قلاون المعروف باسم تشريف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور جـ٢ ص ٢٩٣ - ٢٩٣ ب.

أنظر كذلك..Quatremere, E. : Memoires hist. et. geog... II. PP. 109 - 112

ومعظم هذه الأقاليم (الممالك) غير معروفة ، وحاول بعض الكتاب تحقيق أسمائها فيرى دى فيار أن بارة هم الباريا قبل انتقالهم من نهر أتبرا إلى أوطانهم الحالية. والتاكة هو الإقليم المحيط بكسلا، وكرسه ربما هم الذين أشار إليهم ابن سليم وكانوا يسكنون أرض الجزيرة، أما دنفوا ويقال وآرى فغير معروفة. أما الأنج فربما كانوا فى جبل حرزا، ويقول دى فيار: إن الأنج شعب قديم واسع الانتشار ، وبعد سقوط سوبا أطلق عليهم «القدماء». وفى الرصيرص تطلق كلمة الهمج على العنج. أنظر:

Mac Michael, H. A. : Ahist. of the Arahs in the sudan, I. P. 183.

Arkell, A. J. : op. cit. p. 196.

فلما شاهدو اهل اسكندريه هذا حزنو، و قالو: قد علمنا الان ان الله قد اذل هذه المدينه وسكانها بيد هذا الرجل الظالم. فاما الضعفا [ء] والحاكه والقراريون [النساجون] فكانوا يصيحون من قطع معايشهم وبطلو اولادهم حتى عدمو قوتهم، وعولو على الغربه والخروج الى البلدان ليعيشو، وكانو يصرخون ليلا ونهارا بان ينقذهم الله من هذا الظالم، فلم يغفل الله عن دعاهم، لكن سمعهم سريعا لانه قال على لسان داود النبى فى مزموره

مملكة علوة. ومن هذه الأقاليم بارة ـ التاكة ـ كدروا ـ دنفوا ـ آرى ـ بفال ـ الأنج ـ كرسه. ومهما يكن من أمر، فإن هذه الأقاليم على كثرتها لا تعطى لنا صورة واضحة تماماً عن مدى اتساع مملكة علوة. ولعل الأبحاث الأثرية التى تمت فى منطقة النيل الأوسط حيث قامت مملكة علوة المسيحية، يمكن أن تعطى صورة أدق لحدود هذه المملكة . ذلك أنه عثر على بقايا كنائس فى مناطق مختلفة على النيل الأبيض عند بلدة القطينة وقوز رجب على نهر أتبرا، وجبل سجدى بأرض الجزيرة وقرب خزان مكوار على النيل الأزرق.و ربما امتدت حدود علوة إلى أبعد من هذه المراكز شرقاً وغرباً وجنوباً بحيث شمل نفوذ ملك علوة جهات لم تبن فيها كنائس، أما لعدم اهتمامهم ببنائها لضعف عقيدتهم، وأما لأن أثار هذه المناطق زالت بفعل عوامل التعرية. وعلى كل حال فالراجح أن مملكة علوة امتدت من الأبواب (كبوشية) شمالا إلى القطينة على النيل الأبيض جنوباً وشملت جهات الأتبرا والنيل الأزرق حتى حدود الحبشة شرقاً وبعض جهات دارفور كردفان غرباً (1) .

* * *

أما عن التنظيمات السياسية فى ممالك النوبة المسيحية، فالمصادر لا تعطى سوى صورة ضئيلة

---

(1) CrWford, : op. cit. p. 25. De Villard, : op. cit. op. cit. p. 156.
Arkell. A.J. : op. cit. p. 196

[٩٠]: اصرخ الى وانا انجيك واخلصك. وقال ايضا :الرب قريب من الذين يدعونه.

فلما كان بعض الايام ركب ذلك الامير وجا[ء] الى قلاية البطرك ومعه سرارى، ثم انه قام وطاف جميع مساكن البطرك حتى انتهى إلى المخدع الذى ينام فيه البطاركه كل زمان، فطرد الاب منه وادخل سراريه اليه واكل معهن وشرب هناك ونام معهن فيه، وهو الموضع الممتلى بخورا وطيبا من صلوات

باهتة لما كان عليه حكم هذه الممالك في تاريخه الطويل. غير أن هذه المصادر على قلتها وغموض بعضها لا تخلو من فائدة في التعريف بألقاب الملوك وسلطاتهم ونظام وراثة العرش، والتعريف بحكام الولايات وألقابهم وسلطاتهم .

ولنبدأ هنا بدراسة نظم الحكم في مملكة مقرة ثم ننتقل بعد ذلك إلى دراستها في مملكة علوة.

بعد نقش سلكو المكتوب باللغة اليونانية على جدران معبد كلابشة أول مصدر سجل عليه اللقب الذى اتخذه سلكو لنفسه [١] وهو Basilikos اى ملك صغير. وهذا اللقب يتفق وما ادعاه سلكو لنفسه من سلطة على النوباديين وجميع الأثيوبيين. وربما يرجع هذا التخبط في اختيار اللقب الفعلى للملك إلى الجهل باللغة اليونانية الدخيلة عليهم[٢].

أما نقش دندور ٥٥٩م فيشير إلى تطور الألقاب الملكية في نوباديا، إذ يتخذ إرجامنز

(١) على الرغم من أن سلكو لا يعرف عنه تماماً اعتناقه للديانة المسيحية فإنه على الأقل يعتبر المؤسس الأول لمملكة نوباديا المسيحية.

(2) Emery, W. E. : The Royal Tombs of Ballana & Qustul I. p. 12.

ويتفق هذا اللقب مع لقب مك أى حاكم إقليم وهو اللقب الذى حمله حكام الأقاليم الخاضعة لسلطان الفونج، وهناك كثيرون لا يزالون يحملون هذا اللقب حتى الآن.

De Vjllard, : op. cit. p. 83.

القديسين البطاركه، فلما شاهد هذا الانبا القديس حزن وبكى جدا وقال قول داود النبى فى المزمور [٧٨]: يا الله دخلت الامم الى ميراثك ونجسو هيكل قدسك. فلما فعل هذا الافعال الطمثه بغير حق خرج وعاد الى موضعه، والله صانع حق خرج وعاد الى موضعه، والله صانع العجايب فى كل حين انتقم منه، لحقه فى ذلك اليوم ضربان فى احشاه وقارب الموت عاجلا. ولم يتخل عن ظلمه وفعله السو.

Ergamenes لنفسه لقب ملك، وهو لقب يفوق فى المرتبة لقب Basilikos. ويوضح هذا النقش حقيقة أخرى، وهى أنه يوجد إلى جوار الملك عدد من الموظفين، وأعظم هؤلاء الموظفين خطرا هو الذى يحمل لقب هيزارك Hezarch أو إيبارك Eparch، وهو يعادل لقب (Dux) فى الألقاب البيزنطيه، ومعناه هنا نائب الملك أومندوب الملك [١]. وكان هذا الموظف الكبير ينوب عن الإمبراطور البيزنطى فى حكم نوباديا بالاشتراك مع إرجامنز، واتخذ هذا المندوب الإمبراطورى بلدة تالمس مقرا له [٢]. وفى ذلك دليل على اشتراك البيزنطيين مع الملك سلكو فى طرد البليميين من نوباديا إلى الصحراء الشرقية.

ومن الألقاب الأخرى التى ورد ذكرها مسبوقة بأسماء حامليها من الموظفين الملكيين Neciorp أى خصى أو أغا، وCipua Repitapio ومعناها البريدى أو حامل الرسائل، Cauata ومعناها أمين الأختام. وليس لدينا ما يوضح طبيعة العمل الذى مارسه أولئك الموظفون سوى ألقابهم التى يحملونها، وهى ألقاب بيزنطية أستعارها النوباديون وأطلقوها على موظفين فى بلادهم [٣].

---

(1) De Vllard, : op, cit. p. 85.

(2) Morie, L. J. : Hist. de l'Ethiopic et la Nubie Tomler p. 412.

أنظر أيضاً : Beckett. H. W. : ASN, II. Roport 1907 - 8 p. f366.

(٣) يبدو أن النوباديين استعملوا هذه الألقاب البيزنطية ومنحوها لأشخاص ربما لم يسبق لهم ممارسة=

ثم مـضـو اولاد النار وسـعـو بالاب قـايلين: هذا يكاتب ملوك الروم وينفذون اليه مالا كتيرا فانفد [الوالى] سرعـه واحـضـر ابانا وامـر باعـتـقـاله فى مـوضـع ضـيق، ووكل به حفظه يحفظونه، وعـول على عقوبته الى ان يدفع له الف دينار. وهو صابر ولم يزل يهدده الى ان استقر الحال على اربع مايه دينار، وفى جـمـيع هذا الضـربان يتزايد عليـه والدم يجرى من تحته ولا ينام ليلا ولا نهارا ، ولم يقدر له على طبيب يداويه، ولم ينفع فيه دوا.

وعرفت نوباديا ومقرة بعد اتحادهما باسم النوبة، كما عرف ملك المملكتين باسم عظيم النوبة وعـاصمته دنقلة [١] غير أن نقش تافه الخاص بالملك مرقوريوس والمكتوب سنة ٧١٠م يدل على أن هذا الحـاكم يحمل لقب «ملك» ويشمل نفوذه جميع أجزاء مملكة النوبة المتحدة ـ نوباديا ومقرة. وإلى جانبه حاكم يحمل لقب نائب ملك Eparch [٢] ويباشر سلطاته فى نوباديا (مريس). وجاء فى سيرة البطريرك ميخائيل (٧٤٤ - ٧٦٨م) التى جمعها ساويرس أن الملك كـيرياكس Cyriacus (٧٥٠م) يسيطر على ثلاثة عشر ملكا [٣]. ولهـذا أطلق عليه

= مثل هذه الوظائف التى تحمل ألقابها. إذ لا يمكن أن نتصور مملكة حديثة النشأة لم يمض على تأسيسها أكثر من ١٥ عاماً أن تطبق النظم البيزنطية بنصها وفصها، على حين أن حضارتهم التى سبق أن أشرنا إليها ، فى حضارة المجموعة الثقافية لا توحى بمثل هذا النظام الذى لابد أن يمر فى مراحل حضارية طويلة وأن يعتمد على أسس ثقافية عميقة.

De Villard op. cit. p. 86.

(١) المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص ٢٠٠، نص عقد الصلح الذى عقده عبد الله ابن سعد لعظيم النوبة «وأهل مملكته من حد أرض أسوان إلى حد أرض علوة».

(٢) إن اتحاد المملكتين نوباديا ومقرة تم على أساس أن تحتفظ كل من المملكتين باستقلالها الداخلى . ويظل حاكم المملكة الشمالية نوباديا أو مريس فى منصبه يحمل لقب eparch «نائب ملك». والظاهر أن النوبيين احتفظوا بهذا اللقب حتى بعد أن شغر هذا المنصب بانسحاب نائب الإمبراطور البيزنطى فى نوباديا على أثر خروج البيزنطيين من مصر ، ثم أطلق هذا اللقب على ملك نوباديا بعد اتحاد مملكته مع مقرة. أنظر:

De Villard, ;op. cit. p. 86.

(3) Griffith, FLI. Christ. Documents from Nobia. P. 28.

وكـان الاب مـعـتـقـلا على الاربع مـاية دينار، ويدعـو لله ليـلا ونهـارا قـايلا: ليـدخل اليك يارب ابتـهـالي وتنهـدات المعلولين الاسـرى. واقـام تحت الضـيق اياما وهو يهدده ويخوفـه بسبب احـضـار المال . وكـانو تلاميـذه واصحابه تحت حزن عظيم وقلق، فـاشـارو عليـه بدفع المال، فـقـال لهم الذى عليـه روح النبـوه: ان كـان مـا نخـرج من هذا الموضع حتى ندفع ما طلبه هذا الظالم، ففي اليوم السابع من دخولنا اليه يظهر ما يتعجب كل احد

لقب «الملك الكبير» [١] أوملك الملوك [٢] وعرف باسم ملك النوبة[٣] أو كابيل ملك مقرى ونوبة [٤] وعرف أحيانا باسم كاسل [٥].

واتخـذ ملوك النوبة عـادة شـارات للملك منهـا: السـرير (العـرش) ويصنع فى الغـالب من خشب الأبنوس، والتاج وهو مرصع بالأحجار الكريمة يعلوه صليب ذهب [٦]، ثم المظلة ترفع على رأس الملك فى المواكب[٧].

---

(١) أبو صالح ص ١٢٥.

(2) De Villard, :op. cit. PP. 97 - 99 - 172.

(٣) المسعودى : نفس المصدرجـ٣ ص ٣١.

(٤) ياقوت معجم البلدان: ص ٣٢٣ — «وملوكهم يزعمون أنهم من حمير ولقب ملكهم كابيل وكتابته إلى عماله وغيرهم: من كابيل مالك مقرى ونوبة» وربما كان أصل كلمة كابيل من قبل. وهو لقب أطلق على بعض أمراء اليـمن، ابن هشـام سيـرة النبى جـ٤ ص ٢٥٨. ويقـول دى فيـار ص ١٧١: وليس بمستبعد أن الأسرة المالكة النوبية ترجع فى أصلها إلى جنوبى الجزيرة العربية، وإذ عبر الحميريون البحر الأحمر واستقروا فى السودان حيث نقلوا أسماء أجدادهم – مثل كوة – دارو – سبأ ولايبعد أن تكون الأخيرة حرفت إلى سوبا (العاصمة).

(٥) الإدريسى : المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ص ١٩.

(٦) أبو صالح ص ١٢٥.

(7) De Vill ard: op. cit . p. 178.

منه من احكام الله التى تظهـر سـرعـا، ثم دفع الاربع مـايه دينار واطلقـوه هو من كـان مـعـه فى الحبس. وانا كاتب هذه السيرة الحقير كنت معه فى السجن، الرب الشاهد لقد اتم كلام هذا القديس فى اليوم السابع من وزنه الدنانير ونحن عنده حتى دخلو اليـه قـوم اعلمـوه بوفـاة الوالى، وأن مناديا ينادى فى الأسواق للناس قومو ادفنو الوالى، فمجد كل احد الله صانع العجايب مع قديسه. وصارو

وتمتع ملوك النوبة بسلطان مطلق عـلى رعاياهم، فالملوك يملكون الأرض ومن عليـهـا، ورعاياهم عبيد لهم، لاحق لهم فى امتلاك الأرض أو التصرف فيها ببيع أو شراء(١).

ولا خلاف بين الروايات التاريخية على أن نظام وراثة العرش النوبى كان يسير على نظام الأمـومـة (٢). ومن الدلائل على هذا قول أبى صالح «إن عادتهم جارية بأنه إذا مات ملك وخلف ولداً وكان له ابن أخت فيـملك بعد خاله دون ولد الملك، وإن لم يكن له ابن أخت يملك ولده بعده بلاد النوبة» (٣)، وسواء تمسك النوبيون بهذا النظام أو خالفوا بعض قواعده، فالمعروف أن وراثة العرش لم تخل من وقوع اضطرابات لسبب أو لآخر، بدليل ما جاء فى سيرة الأنبا ميـخائيل من أم الملك زكريا بن مرقوريوس الذى خلف أباه على عرش النوبة سنة ٧١٠م آثر التفرغ للعبادة واختار لعرش النوبة أربعة ملوك تولوا الحكم واحدا بعد الآخر آخرهم كرياكس ، ولم تخل هذه العملية من حوادث قتل واغتيال ذهب فيها أحد الملوك المتنافسين على العـرش(٤). وارتقى عرش النوبة ملوك لا تعرف صلتهم بهذه السلسلة حتى جاء الملك

(١) المسعودى : نفس المصدر، جـ٣ ، ص ٤١.
(٢) نظام الأمومة – أى توريث ابن البنت أو ابن الأخت Matrelineam System وهو نظام حامى قديم ولازالت بعض الجماعات السودانية تسير عليه حتى الآن.
(٣) أبو صالح ص ١٢٥.
(4) De Villard : op. cit. p. 96 - 97.

اهل البلد يبجلون الاب ويكرمونه لما صبر عليه من الشدايد، الاحزان والضيق. وان الله قد خلصه من جميعها ويظهر على يديه العجايب.

ولما ناله من الضيق والحزن والشده و اراد الله ان يريحه من هذا العالم ويدعوه الى المساكن النيره ليكون فى الحياة الابديه كما وعد القديس وقال تتنعم الى الابد وتحيا الى الدهر. فاعتل بعد ذلك البطرك بحمى، وفى اليوم السابع من مرضه افتقده الرب واخذه اليه وتنيح فى اليوم الثالث

زكريا بن يوحنا (١) ٨٢٣٠م) الذى عهد بولاية العهد لابنه جورج (٢) وتشير بعض المصادر السورية (٣) إلى زواج الملك زكريا هذا من أميرة من بيت الملك لكى يضفى على نفسه صفة الصلة الملكية، وأنه ظل يباشر سلطاته نيابة عن ابنه القاصر حتى بلغ سن الرشد. ومن الجائز أن زكريا هذا أحدا أفراد البيت الملكى بعلوة، وانتهز فرصة الاضطراب فى مملكة النوبة وضمها إليه، بدليل ما جاء فى بعض النصوص النوبية الخاصة بهذا الملك بأنه «نادى بنفسه ملكا» وهذه عباره غريبة على البروتوكول الملكى النوبى. والراجح أن اتحاد المملكتين «مقرة وعلوة» كان مؤقتا وتم بقوة السلاح (٤) ويبدو أن هذه العملية تكررت أكثر من مرة بدليل ما جاء فى قول المسعودى وأبى صالح من أن مقرة وعلوة كانتا تحت حكم ملك واحد (٥). ثم أن ثمه

(١) تطلق المراجع العربية على هذا الملك اسم زكريا بن بخنس ، بيد أن هذه التسمية خطأ وربما كان اسم أبيه يحنس (يوحنا) وقرئت خطأ بعد قلب الياء باء والحاء إلى خاء

Ibid : op. cit. p. 106.

(٢) هو جورج الأول ابن زكريا وهو الذى قام برحلة إلى بغداد وحصل من الخليفة . المعتصم على وعد بتخفيف البقط كما سيجئ ذكره بعد، ويطلق عليه المقريزى اسم قيرقى.

(3) Michel Le Syrien : Chronique .. III. PP. 94 - 95.

(4) De Villard :op. cit. p. 100 - 106.

(٥) المسعودى: جـ٣ ص ٣١ «فأخبرت أن الملك للنوبة فى مدينة دنقلة كبرى ابن سرور وهو ملك ابن ملك فصاعدا وملكه يحتوى على مقرى وعلوة». أنظر أبو صالح ص ١٢٥ . «ملك النوبة له النوبة وأعمالها وأرض علوة والمقرة والأجناس المضافة إليها».

والعشرين من بابه سنة خمس مماية وست وستين(*) للشهدا، وكان يوم احد، وقت تناول السراير المقدسه.

(*) ٥٦٦ قبطية = ٨٥٠م = ٢٣٦هـ.

وكان مدة مقامه على الكرسى الإنجيلى الرسولى تمانى عشره سنه واحد عشر شهرا. وحملو جسده الى مدينة اسكندريه وجعلوه عند ابايه القديسين بمجد وكرامه، بكى الشعب عليه بدموع كتيره من اهل اسكندريه رجال ونسا لعدمهم رجلا ثبتا مجاهدا ونال أكليل الغلبة.

نزاعاً نشب داخل البيت الملكى النوبى على عهد جورج الأول. إذ ثار عليه ابن أخته وزوج ابنته نيوتى. بيد أن الملك جورج رصد له من يقتله (١). فطالب ابن نيوتى بالعرش وبدأ صراع عنيف بينه وبين ابن الملك جورج.

الخلاصة أن ملوك النوبة توارثوا عرش آبائهم مخالفين فى هذا المبدأ الوراثى القديم الذى قام على أساسه المجتمع النوبى، على أن مخالفتهم لهذه القاعدة لم تدم. طويلا. ومنذ القرن الحادى عشرالميلادى أمست عملية انتقال الملك إلى ابن الأخت هى الظاهرة التى سادت التاريخ الملكى النوبى. ويذكر أبو صالح أن أحد ملوك النوبة ويدعى سلمون تنازل عن العرش لابن أخته زهدا فى الدنيا ورغبة منه فى التفرغ للعبادة فى إحدى الكنائس المصرية (٢).

(١) المقريزى: المقفى، مخطوط، جـ٤، ص ١٦٦.

(٢) نزل هذا الملك ضيفاً على الخليفة المستنصر بالله الفاطمى الذى أحسن وفادته. وبعد موته دفن فى دير مارى جرجس - أبو صالح ص ١٢٤ - ١٢٥ «...كان يتعبد فى البيعة سلمون ملك النوبة لما نزل على الملك وخلع نفسه وقال من ذا الذى من الملوك يخلص من الحكم بين الناس من قبل الله تعالى ولم يميل مع الهوا ولم يسفك الدما ظلماً ولم يغتصب الناس لما لم يستحقه عليهم. فأنهى حاله إلى والى الصعيد الأعلا وهو سعد الدولة القواس فى خلافة المستنصر بالله ووزارة أمير الجيوش بدر، فسير من أخذه من هناك ووجه به إلى القاهرة. ولما وصل إلى الباب أكرم كرامة عظيمة... وبعد إقامته مدة تنيح ودفن فى دير القديس مارى جرجس بالخندق فى بطركية كيرلس وهو السابع والستين فى العدد وقبره من داخل سور البيعة مجاور الباب على يمين الداخل إليها.» أنظر روفيلة: تاريخ الأمة القبطية ص ١٤٠ ـ ١٤١.

وهذا مـا شـهـدته بعيني واقتـصـرت على مـا شرحته من كثرة عجايبه ونحن ندعو الى الرب ان يجعل صلواته معنا.

ويجب عليكم يا ساداتي القديسين ويجب على ايضا ان اعلمكم تمام نبوته مما كان قاله لى وهو في الحياه، وتممه الرب بعد وفاته ليتعجب من يسمع ويمجد الله الممجد بمختاريه، وقد بديت وقلت ان في الزمان الذى انزل قاضى الظلم على الاب البلايا بمصر قال: ان كنت انا خاطيا فان

والراجح أن النوبيين تمسكوا بمبدأ توريث ابن الأخت أو ابن البنت. وثبت مبدأ الوراثة على هذا النحو، وأضحى ركنا من أركان سياستهم التى ساروا عليها فيما بعد. غير أن هذا النظام لم يؤد إلى استقرار علاقة المتملكين وأولياء عهودهم من البيت الملكى النوبى، بل خلق مشاكل لم يكن من الهين عليهم حلها لصالح مملكتهم، فظهر الانقسام والتخاصم بينهم، مما أدى فيما بعد إلى سقوط المملكة المسيحية في الشمال.

وجرى حكم الأقاليم على ما تقدمت الإشارة إليه من تعين ثلاثة عشر حاكما إقليميا أطلق عليهم جميعاً لقب الملوك الخاضعين للملك الكبير بدنقلة [1]. وناب أولئك الحكام (الملوك) عن الملك الكبيرفي حكم الأقاليم، وكان عليهم إقامة الطقوس الدينية مثلما يفعل الكبير تماما، حتى وصفهم أبو صالح بأنهم «جميعهم كهنة [2]». أما طبيعة وظائفهم الإدارية فلم يصلنا عنها شئ لعدم تعرض المؤرخين العرب أو غيرهم لهذا الموضوع، ومما لاشك فيه أن

(١) يفرق أبو صالح ص ١٢٥ بين هؤلاء الملوك وملك مقرة فأطلق على الأخير لقب الملك الكبير، أما هؤلاء الملوك الذين تحت طاعته فهم أشبه بالمكوك (جمع ملك) الذين تولوا حكم الأقاليم فى عهد دولة الفونج وكانوا خاضعين للسلطان أو المانجل.

(٢) أبو صالح – ص ١٢٥ «وعدة ملوك النوبة ثلاثة عشر ملكا هؤلاء ضابطين البلاد وجميعهم تحت طاعة كوريا كوس الملك الكبير وجميعهم كهنة...».

الله ينزل على هذا الرجل الظالم انتقاما لجل فعله ولكن ليس في ايام حياتي بل بعد وفاتي.

ولما تنيح كان في ذلك الزمان ملك للمسلمين اسمه جعفر بن إبرهيم(*)، فانفد الى مصر رجلا اسمه يعقوب بن إبرهيم ليكشف احوال مصر ويعرفه بها، فلما وصل اليها عرفوه بامر من الله حال القاضي الظالم وافعاله الرديه التي فعلها سرا وجهرا، فعند ذلك اخذه متولي الترتيب بغته ولم

(*) هو الخليفة هارون أبو جعفر الملقب بالواثق. تولى الخلافة بعد وفاة المعتصم في ٧ فبراير ٨٤١م = ١٨ ربيع ثاني ٢٢٧هـ = ٥٥٨ قبطية.

حاكم مريس، كان أعظم هؤلاء الملوك وأكثرهم خطرا، وسماه المؤلفون العرب باسم صاحب الجبل (١). وأتخذ مدينة نجراش (٢) (فرس) عاصمة له. واتخذ هذا الملك في اقليمه شارات خاصة وهي العمامة ذات القرنين والسوار الذهبي (٣). وعثر على صورتين تمثل صاحب الجبل في زيه وشاراته: الأولى في كنيسة عبد القادر والثانية في فرس. وتمثل الصورة الأولى صاحب الجبل لابسا على رأسه عمامة يبرز منها قرنان، والعمامة مزينة في واجهتها الأمامية بمثلثين متعاشقين، وهما رمز سليمان وفوقهما هلال صغير . وتمثل الصورة الأخرى صاحب الجبل

(١) المقريزي: المواعظ والاعتبار جـ١ ص ١٩٠ يقول ايمن سليم: «... ولهذه الناحية (مريس) وال من قبل عظيم النوبة يعرف بصاحب الجبل من أجل ولاتهم لقربه من أرض الإسلام». وأطلق أبو صالح ص ١١٩ على هذا الملك لقب جوسار، ثم أطلق عليه صاحب الجبل. وربما ذكر أبو صالح اسم جريس الذى تولى منصب صاحب الجبل سنة ١٢٨٧ أى زمن أبي صالح ثم حرف إلى جوسار بدلا من جريس:
De Villard : op. cit. p. 135.

(٢) أطلق المقريزي جـ١ ص ١٩٠ على عاصمة مريس اسم نجراش على حين أن أبا صالح ص ١١٩ يطلق عليها اسم بجراس Bujaras والاسمان يطلقان على فرس الحالية قرب الشلال الثاني :Griffiih, FLI .Faras... JEA. XI. p. 267

(٣) أبو صالح : ص ١١٩) «بجراس Bujaras مدينة المريس.. وبها مقام جوسار اللابس العصابة Turban والقرنين والسوار الذهبين» ثم يعود فيقول «... مدينة تعرف بمدينة بوسقا مدينة حسنة.. وبها مقام صاحب الجبل» . أما بوسقا فغير معروفه.

يعلم فظهرت جميع أعماله المرايه [المرائية] التى يرا [يرائى] بها الناس، وافعاله الباطنه النجسه الذميمه. فاخذه واشهره في جميع شوارع مصر وحلق لحيته ونظف راسه. وكل احد يشاهده، ورماه الحبس نهب ماله.

وكل من كان ينطوى عليه من اصحابه تبددو في كل موضع حتى اولاده، ثم نفاه الى مدينة الملك ومات هناك بموتة سو.



صورة إيبارك (هيزارك) صاحب الجبل، حاكم أقليم مريس وجدت قرب كنيسة فرس التي بنيت بالحجر على خلاف بقية كنايس النوبه. ويبدو الملك هنا حاملاً بيده نموذج كنيسة يبدو أنه مؤسسها والقديس راعي هذه الكنيسة أعلاها. كما أن السيد المسيح يحتضن إيبارك ويسانده.

ومن الملاحظ على هذه الصورة اشتمالها على عدة رموز هامة منها تاج الملك الذى يحتوى على هلال وقرنين ونجمة سداسية. أما القرنان فيبدو أن استعمالهما كان استمراراً لعبادة أمون، الهلال هو في الغالب أحد الرموز للأله القمر القادم من اليمن. والنجمة هي رمز سليمان ملك اليهود، ونحن نعرف أن اليهودية دخلت اليمن في القرن الخامس الميلادى على وجه التقريب.

والقـاضى النايب عنه باسكندريه الذى امـر بضـرب الاب انبا يوساب، عمل به مثل صاحبه واسـر وهرب بعـد ذلك ولم يرجع احـد يراه فى المدينه، ولم يعـاينه احـد الى الان. وكل من نظر هذا او سمع به تعجب ومجد الله بسبب هذين الظالمين اللذين تم عليهما استحقاقهما والانتقام منهما كما هو مكتوب: جاهل وغير فهم يهلكان جميعا.

لابسا سواراً فى كلا ذراعيه لا تختلف كثيراً عن الأولى، ماعدا بعض زخارف على شكل قلب[1].

وتمتع صاحب الجبل فى إقليم مريس بسلطة لا تقل عن سلطة الملك الكبير، فكان عليه الدفاع عن حدود المملكة النوبية فى الشمال ضد أى غزو خارجى، وعدم السماح لأحد بالدخول إلى ما وراء الشلال الثانى مهما كان مركزه إلا بإذنه [2] ولهذا أقيمت مراكز

(١) تعتبر عادة لبس السوار الذهبى مظهراً من مظاهر السلطة، وهى عادة مأخوذة عن ملوك مروى الذين تبدو صورهم وأذرعتهم مضمومة وتحمل أساور ضخمة على جدران معبد النقعة قرب كبوشية وكذلك فى أهرام مروى، وهى تمثل ملوك مروى. ونسمع عن أسرة تعرف بسوار الذهب فى العصر الحاضر فى دنقلة. أما القرنان فيبدو أن استعمالهما كان استمراراً لعبادة آمون. ويرى دى فيار أن العمامة ذات القرنين و والمظلة والتاج من الشارات الملكية الساسانية التى وصلت إلى النوبيين إما عن طريق مصر أيام احتلال الفرس لها ما بين (٦١٦-٦٢٧م)، وإما وصلت عن طريق اليمن، لأنهم احتلوها مدة غير قصيرة، وأن وجود الطاقية أم قرنين عند ملوك الفونج يؤيد وصولها من ناحية الجنوب. أما عن رمز سليمان فهو أثر يهودى، ونحن نعرف أن اليهودية دخلت اليمن فى القرن السادس وربما قبل ذلك أيضا. ولا يبعد ان يكون هذا الرمز مأخوذا عن الحميريين الذى وصلوا إلى وادى النيل الأوسط. أنظر الصورة فى الصفحة السابقة.

(٢) المقريزى : جـ١ ، ص ١٩٠ «وأول الجنادل من بلد النوبة قرية تعرف بتقوى هى ساحل واليها تنتهى مراكب النوبة المصعدة من القصر أول بلدهم، ولا تتجاوزها المراكب ولا يطلق لأحد من المسلمين ولا من غيرهم الصعود منها إلا بأذن من صاحب جبلهم» وفى موضع آخر «... ولا يطلق لأحد أن يجوزها إلا بأذن الملك (صاحب الجبل) ، ومن خالف كان جزاؤه القتل كائنا من كان . وبهذا الاحتياط تنكتم أخبارهم حتى أن العسكر منهم يهتم على البلد إلى البادية وغيرهم فلا يعلمون به».

ذكرنا لمحبتكم جهاد الاب القديس انبا يوساب ونذكر لكم فعله طول زمانه ومدة مقامه على الكرسي.

لم يشغل قلبه ولا شغله ما نزل عليه من الامور الصعبه بل كان مداوم الصلوات ليلا ونهارا، وكان يختم قراية المزامير في كل يوم، خمسه وسبعين مزمور بالنهار، وخمسه وسبعين مزمور الى نصف

عسكرية لمراقبة المرور ومنع تسرب أخبار البلاد إلى الخارج. وربما كان هذا الاحتياط الشديد لمنع تسرب العرب إلى ماوراء أطراف مريس جنوباً [١].

لم يقتصر مقام صاحب الجبل على مدينة فرس وحدها، بل كان مضطرا لأسباب حربية أو إدارية أن ينتقل من مدينة لأخرى. وذكر أبو صالح عدة مدن جرت عادة صاحب الجبل أن ينتقل بينها وهي: إبريم [٢]، ونجراس ويوسقا والدو [٣] وجزر ميخائيل [٤].

وإلى جانب الحكام الإقليميين في مملكة النوبة كانت هناك طبقة أخرى من صغار الموظفين يحملون ألقاباً بيزنطية. ومن بين هؤلاء الموظفين من كان في خدمة الملك مباشرة، ومنهم من كان في خدمة صاحب الجبل . غير أن معظم ألقاب هؤلاء الموظفين غير واضحة ومنها: خادم

---

(1) De Villard, : op. cit. p. 187.

(٢) أبو صالح ص ١٢١ «ومن بلاد النوبة مدينة إبريم وهي سكن صاحب الجبل». وكانت هذه المدينة طوال الاحتلال العثماني لمصر مكان لنفي المغضوب عليهم من الامراء المماليك، وقد استوطنها عدد من المماليك بعد مذبحة القلعة في عهد محمد علي.

(٣) جاء في المواعظ والاعتبار ذكر بلدة أدواء التي ينسب إليها لقمان وذو النون المصرى، وأطلق عليها بورخـــارت اسم Adda أو الدر. غير أن دى فيار يرى أنها داود نسبة إلى شيخ بهذا الاسم سكن فيها وأخذت اسمه وهي تقع عند مدخل وادى الزرقاء.

(٤) وهي ذات أهمية استراتيجية هامة لوقوعها عند مدخل الشلال الثاني

De Villard, : op. cit. p. 140.

الليل، خارجا عما كان يقول من التسابيح بابتهال للرب ومسكنه وخشوع. وهذه التى كان عليها طول ايام حياته، اعنى التواضع والرحمه والسكينه والعفاف، وملازمة الصلوات واعطا الصدقات. حتى انه بعد هذه السنين التى اقامها بطركا كان همه وفكره وحواسه مثل من هو فى ركن من قلايه بوادى هبيب. فنال بذلك اكليل اعماله من

الملك أو أمين خاص الملك Domesticos، وأمين أول القصر الملكى Protodomesticos، وهى وظيفة كبيرة كان يشغل صاحبها إما منصب حاكم، أو أن يقوم بعمل القاضى أو يباشر بعض الشئون المالية. هذا فضلا عن حكام المدن، كحاكم مدينة درمس [(١)] الذى أشار إليه أبو صالح. ولابد أنه كان فى بلاد مريس موظف لمراجعة أوزان العملة حيث كانت العملة متداولة، بدليل ما جاء فى وثيقة عثر عليها فى مهندى «تسلمت ثمن أربع عملات طيبة ووزنها صحيح»، وأخرى فى نفس المدينة تدل على وجود موظف للإشراف على إصلاح المنازل. ومهما يكن من أمر فإن العدد الكبير من ألقاب الموظفين لم يعرف لها نظير، وتدل على مدى التعقيد فى الإدارة النوبية [(٢)].

---

(١) أبو صالح ص ١٢٥ « مدينة درمس من بلاد النوبة بها بيعة جليلة القدر حسنة الوضع مطلة على البحر فيها صفة صورة الملك الكبير وصورة صاحب درمس» ودرمس هذه هى تالمس (كلابشة الحالية).

(٢) كتبت هذه الألقاب باللغة النوبية وليست باليونانية أو القبطية ، ومن عوامل تعقيدها واضطرابها أنها أخذت أصلا النظم البيزنطية وطبقت على الوظائف التى خلفها العهد المروى وما دخل عليها من تقاليد بدائية، على حين أن الشعب ظل محتفظاً بالألقاب والوظائف القديمة . وبمضى القرون اختفت التقاليد البيزنطية من مصر بعد دخول العرب فيها واختفت معها الألقاب التى تخلفت فى بلاد النوبة ولم يكن لها أساس أو معنى فى أذهان الناس، ثم حلت محلها أسماء وألقاب نوبية مما يستعملها الشعب وعادت بعض الألقاب المروية إلى الظهور من جديد فى الإدارة النوبية وهذا هو سر تعقيدها.
أنظر De Villard : op. cit. pp. 193 - 194.

الرب يسوع المسيح وصار مع القديسين فى كورة الاحيا، والمجد للاب والابن وروح القدس الى الابد امين.

تم الجز التانى من سير البطاركه القديسين صلواتهم تكون معنا وطلباتهم تحرسنا امين.

أما عن التنظيمات السياسية فى مملكة علوة فإن المراجع لا تذكر عنها شيئا يستحق الاهتمام. ويغلب على الظن أن نظمها السياسية تشبه ـ إلى حد بعيد ـ نظم الحكم فى مملكة النوبة (مقرة)، فكبيرها عرف باسم «ملك علوة» وعاصمته صوبة [1]، التى أطلقت عليها بعض المراجع المتأخرة اسم كوسة [2]. واتبع ملوك علوة نظام الأمومة فى وراثة العرش [3]. والراجح أن ملوك علوة تمتعوا بسلطة مطلقة على رعاياهم مثل ملوك مقرة. فالملك هو صاحب الأرض والشعب كله عبيده لا يخالفون له أمرا ولا يعصونه بدليل قول ابن سليم «وملكهم يسترق من شاء من رعيته بجرم وبغير جرم ولا ينكرون ذلك عليه بل يسجدون له ولا يعصون أمره على المكروه الواقع بهم وينادون الملك يعيش فليكن أمره [4]». ولا نعرف من شارات ملكه سوى التاج.

(١) المقريزى : جـ١ ، ص ١٩٣.
(٢) الدمشقى : ص ٢٦٨ «النوبة صنفان أحدهما يقال لهم علوا وملكهم يسكن مدينة تسمى كوسة والآخر يسمى مقرا وملكهم يسكن دنقلة».
(٣) يؤكد ابن حوقل ، ص ٥٦ هذه الظاهرة بعد أن حققها بنفسه خلال زيارته لعلوة فيقول «ومن أعمر بلادهم في أرض علوة... وكان ملكهم وأنا بالناحية أسانيوس ارجوه بن حوقى وقد خلا له فى ملكه سبع عشرة سنة، وتوفى فى مجلس ابن أخته أسطانيوس ابن بركى وهو مقيم فيهم إلى وقتنا هذا . ومن سنة جميع السودان إذا هلك الملك أن يقعد ابن اخته دون كل قريب وحميم من ولد وأهل».
(٤) المقريزى: جـ١ ص ١٩٣.

لا محل للخلاف في أن الطابع العام لحكومة الأقاليم في مملكة علوة يشبه ما كان معمولا به في دولة مقرة. اذ انقسمت المملكة إلى ولايات عرفت كل واحدة مها بالمملكة وعلى رأس كل منهـا ملك [1]. وكان ملك إقليم الأبواب الواقع في شمال المملكة (منطقة كبوشية الحالية) ، أعظم أولئك الملوك الإقليمين قدراً وأعلاهم مقاماً.

* * *

وفيما يتعلق بالمجتمع النوبى المسيحي فقد اتفقت جميع الروايات التاريخية على أنه كان يتألف من طبقتين : الأولى وهى الطبقة الحاكمة، وتشمل الأسرة المالكة وعلى رأسها الملك الكبير سواء في دنقلة أو في سوبا، هذا فضلا عن حكام الأقاليم (الملوك). والطبقة الثانية هى طبقة العبيد، وهم عامة الشعب النوبى. وبين هاتين الطبقتين قامت فئة الموظفين، وقد تولى أفراد هذه الفئة مختلف الوظائف الملكية في العاصمة والأقاليم، ولابد أن عددهم كان محدوداً . ومن الواضح أن الطبقة الحاكمة الشاملة للأسرة المالكة وفروعها هي وحدها التي مارست حقوقا سياسية ودينية [2].

ويزعم بعض الكتاب ومنهم يوحنا النقيوسي والمسعودى وابن سليم والمهلبى أن ملوك النوبة يرجعون إلى أصل حميرى [3] ويبدو أن المجتمع النوبي يشكل نوعا من الاقطاع غريبا في تركيبه، ولم يعرف له نظير في الإقطاع الأوربي أو غيره. فالملك هو صاحب الأرض، ولابد أن طبقة الحكام في الأقاليم كان لهم نفس هذا الحق. أما الشعب فلا أملاك له، وهم عبيد الملك،

(١) سبق أن أشرنا إلى الأقاليم التي تتكون منها مملكة علوة والتي جاء ذكرها في مخطوطه قلاوون، ولا حظنا أن حكام هذه المقاطعات عرفوا جميعاً باسم ملوك، كما عرف حكام مقاطعات مقرة بهذا اللقب كذلك. ومعنى هذا أن هاتين المملكتين الكبيرتين - مقرة وعلوة - كانتا تحتويان على عدد كبير من الممالك.

(٢) أشرنا من قبل إلى أن ملك النوبة وملوك الأقاليم مارسوا إقامة الطقوس الدينية وقاموا بأعمال القسس.

(٣) المسعودى: مروج الذهب جـ٢، ص ٣٧٢، ٣٨٣ جـ٣ ص٣١، ٣٣، ٣٤ «وملوكهم تزعم أنها من حمير».

المقريزى : جـ١ ص ـ١٩١، يقول ابن سليم «ويقال إن سلحا جد النوبة ومقرى جد المقرة من اليمن . وقيل النوبة ومقرى من حمير «أنظر De Villard : op. cit. p. 160. وانظر كذلك Michael : op, cit. I. p. 168. ويرى دى فيار أن الشارات الملكية النوبية جاءت من بلاد اليمن على يد الحميريين الذين هاجر فريق منهم إلى النوبة حيث كونوا طبقة حاكمة، أنظر ص ٨٦. وكذلك De Villard p. cit. p. 185.

يعملون فى الأرض لصالح سادتهم [١]، يباعون ويشترون ويهدى بهم ويقومون مقام العملة.ويوضح ذلك أن العملة لم تعرف ببلاد النوبة إلا فى منطقة مريس، أماما وراءها جنوبا فالرقيق يقوم مقام العملة فى البيع والشراء. فيقول ابن سليم الأسوانى «ومن يخرج إلى بلد النوبة من المسلمين فمعاملته معه فى تجارة أو هدية إليه (صاحب الجبل) أو إلى مولاه، يقبل الجميع ويكافئ عليه بالرقيق»، ثم يضيف «ولا يجوزها دينار ولا درهم ، إذ كانوا يتبايعون بذلك إلا دون الجنادل مع المسلمين، ما فوق ذلك لا بيع بينهم ولا شراء، إنما هى مقايضة بالرقيق والمواشى والجبال والحبوب» [٢].

* * *

وفيما يتعلق بالتنظيمات الكنسية تشير جميع كتابات المؤرخين العرب والمصادر القبطية كذلك إلى أن بلاد النوبة اتجهت فى زعامتها الروحية إلى الكنيسة المصرية [٣]. ويقصد بالنوبة هنا جميع بلاد مريس ومقرة وعلوة، وبدليل أن المقاطعات الكنسية التى أوردها فانسليب Vansleb [٤] فى قائمته تشتمل على مقرة وعلوة وهاتان المقاطعتان الكنسيتان تشتملان على ثلاث عشرة أسقفية تابعة للكنيسة المصرية ومن هذه الأسقفيات : سبع فى مريس وهى كورته وإبريم وفرس ودنقلة وساى و تالمس (كلابشة) وشنقير [٥]. وأسقفيات علوة هى : بورا وجاجورا ومارتن وأروديا س وبنازى ومنكيزا [٦].

(١) المسعودى : مروج الذهب ، جـ٣، ص ٤١.
(٢) المقريزى: المواعظ والاعتبار جـ١ ، ص ١٩١.
(٣) المقريزى: المواعظ والاعتبار جـ١ ، ص١٩٣.
انظر أيضاً Roeder: op. cit. p. 384.
وكـــــذلك Renaudot : op. cit . pp. 178, 222.
(4) Vansleb, J.M. : Hist de l'Eglise D' Alex. Fonde par S. Marc. PP. 29-30.
لا شك أن قائمة فانسليب تحتوى على تحريف كثير لأسماء المدن والمقاطعات النوبية وهى تحتاج إلى تحقيق أنظر Crawford : op. cit. p. 26.
(٥) ذكر فانسليب هذه الأسقفيات محرفة وقد حاولنا تحقيقها كما هو واضح فى المتن. وبعد أن ذكر فانسليب أن بالنوبة مقاطعتين كنسيتين هما مقرة وعلوة ، عاد فذكر أن أسقفيات مريس هى كذا وكذا. على حين أنه كان يجب عليه أن يذكر مقرة بدلا من مريس، وذلك لأنها تحتوى على أسقفيات لاتقع فى حدود مريس ومنها . دنقلة، وساى، وشنقير. وهذا خلط فى الأسماء.
(٦) من الصعب تحقيق هذه الأسماء فلا يوجد الآن ما يشبهها أو ماهو قريب منها. وموضع الصعوبة فى قائمة فانسليب هو أنه نقل هذه الأسماء من مخطوط عربى أو قبطى، غير أنه لم يتمكن من مقابلتها=

غير أن الكنيسة الملكانية لم تتخل عن حقوقها الدينية القديمة في بلاد النوبة، وجاءت قوائم أقاليمها الكنسية متضمنة وجود أسقفية مريس ومطرانية نوبة [(١)]. لكن إذا جاز للكنيسة الملكانية أن تدعى نفوذا دينيا فى بلاد النوبة فهذا النفوذ لم يشمل مريس (نوباديا) بل اقتصر على مقرة ولمدة لم تتعد أوائل القرن الثامن الميلادى، بسبب تحول أهلها إلى مذهب الكنيسة المصرية . وبهذا أصبح لبلاد النوبة كلها «مريس – مقرة – علوة » كنيسة موحدة على رأسها مطران يعينه بطريرك الكنيسة المرقية ويتولى المطران رسامة أساقفة وقساوسةالبلاد جميعاً [(٢)].

والراجح أن أساقفة الكنيسة فى بلاد النوبة كانوا يرسلون من مصر، فيقول أبو صالح «ملك النوبة له النوبة وأعمالها وأرض علوة والمقرة والأجناس المضافة إليها.. وهي كرسي مارى مرقس الإنجيلي ومنه يقسم لهم» [(٣)] ويذكر أبو صالح أنه استمر العمل بهذا التقليد حتى أبطله الحاكم بأمر الله الفاطمى على عهد البطريرك زكريا (١٠٠٠ – ١٠٢٩م) [(٤)].

وشملت وظائف الاكليروس النوبى القسوس والشمامسة والمرتلين [(٥)]. وقد تقدمت الإشارة إلى ممارسة حكام الأقاليم (الملوك) وظائف كهنوتية علاوة على أعمالهم الإدارية. فكان من حقهم إقامة الطقوس الدينية داخل الهيكل، ويحرمون من ممارسة هذا الحق إذا ارتكبوا جريمة القتل [(٦)]. وقد يشغل القسيس أو الشماس منصباً إدارياً آخر إلى جانب وظيفته الدينية كموثق عقود أو أمين مخازن[(٧)].

=وتحقيقها، وثمة صعوبة أخرى وهي أنه نقلها بالأحرف اللاتينية فحدث تحريف وخطأ هجائى جعل من العسير مطابقتها على ما هنالك من أسماء، وعلى هذا فإن هذه المدن لا يعرف عنها شئ الآن.
De Villard. pp. 155 - 156 Crawford. p. 26.

(1) De Villard : op. cit. p. 130.

(2) De Villard :op. cit. p. 159.

(٣) أبو صالح ، ص ١٢٥ ، وترجمها بتلر فى حاشية ص ٢٧٢ من نفس الكتاب كما يلى:
"...Which consecrates (their bishops) for them".

(4) Roeder : op. cit. p. 386.

(5) De Villard : op. cit. pp. 166 - 167.

(٦) أبو صالح، ص ١٢٥ ، ويرى دى فيار أن هذه الصفة الدينية لملوك النوبة ربما ترجع إلى أصل فرعونى، وتسربت إلى الشعوب الإفريقية وظلت حتى العهد المسيحى فى بلاد النوبة. وأن فكرة النجاسة الناشئة عن قتل رجل منتشرة انتشاراً واسعاً .De Villard , P. 174 ولا تزال فكرة تقديس الملك أو الرئيس منتشرة عند الشعوب النيلية مثل رث (زعيم) الشلك.

(7) Ibid : op. cit. p. 167.

ويرأس الرهبان فى الأديرة النوبية أرشمندريت «رئيس رهبان» . وورد فى بعض النصوص أن الأسقف كان يتولى أحياناً منصب أرشمندريت[١] .

* * *

ويتضح من قول أبى صالح أن الطقوس الدينية بالكنائس كانت تودى باللغة اليونانية[٢] ، غير أنه فى خلال القرن الثامن الميلادى أخذ النوبيون يترجمون الطقوس الدينية عن اليونانية إلى اللغة النوبية [٣] . ويقول جريفث إن أول نص كتب باللغة النوبية يرجع إلى سنة ٧٩٥م[٤] . غير أنها لم تصبح لغة مدونة إلا منذ أواخر القرن العاشر الميلادى على الأقل[٥] .

ودخل اللغة النوبية عدد من الكلمات اليونانية والقبطية [٦] ، وكتبت بحروف ذات طابع قبطى، فضلا عن استعمال كثير من الحروف القبطية [٧] . وباستثناء بعض النقوش والكتابات المبعثرة هنا وهناك، فإنه لم يعثر إلا على سبعة مخطوطات باللغة النوبية تحمل الطابع الدينى ما خلا واحداً منها [٨] . وهذه المخطوطات وإن كانت عديمة القيمة من الناحية التاريخية فهى تلقى ضوءاً على طبيعة الأدب المسيحى فى اللغة النوبية[٩] ، وأهمها المخطوط الذى كتبه الملك سلمون وأشار إليه أبو صالح [١٠] . ويوضح هذا المخطوط ما كان يتمتع به هذا الملك النوبى

(١) يشير دى فيار إلى لوحة عثر عليها فى قبر توماس أسقف فرس وتدل على أنه كان يشغل أيضاً وظيفة أرشمندريت فى دير مرواج De Villard : op. cit.

(٢) أبو صالح ص ١٢٥ ، «وقداسهم روميا»ويرى يتلر حاشية ص ٢٧٢ . ونعرف من هذا الكتاب أن استعمال اللغة اليونانية فى الطقوس الدينية ببلاد النوبة دليل على دخول المسيحية إلى هذه البلاد قبل أن تترجم الطقوس الدينية من اللغة اليونانية إلى اللغة القبطية فى مصر أنظر

Budge, E, W. : Ethiopia, ... I, p. 117.

Budge, E. W. : The Egypt. Sudan II. P. 301.

Bulge, E. W.: Nubian Texts,pp. 7-10.

(3) Griffith. FLI : op. cit. p. 17.

(4) Griffith, FLI. : Oxford Ex. in Nubia, p. 55.

(5) Shinnie, P. L. ; Med. Nubia, P. 6.

ويرى شنى Shinnie أن اللغة النوبية القديمة ذات علاقة وثيقة باللهجة المحلية الحديثة المنتشرة ما بين الشلال الثانى وأبو فاطمة عند الشلال الثالث.

Ibid. : op. cit. pp. 6-7.

(6) Griffith, F. LI.: The Nubian texts of Christian period. pp. 5-6.

(7) Shinnie, P. L. : op. cit.

(8) Ibid. : op. cit. p. 70.

(9) Roeder, : op. cit. p. 392.

(١٠) أبو صالح ، ص ١٢٤ - ١٢٥.

من علم ومعرفة. وتشتمل بعض هذه المخطوطات علي ترجمة فقرات من الإنجيل وترانيم عن صلب السيد المسيح ومناقبه إلى اللغة النوبية [١]. ويحتوى بعضها الآخر على أعمال تشبه المعجزات قام بها الأسقف مينا، كما يحتوى على صورة تمثل هذا الأسقف، ممتطياً صهوة جواد وبيده رمح [٢]، وعلى الرغم من أن اللغة النوبية حلت محل اليونانية فى الصلاة إلا أن اليونانية ظلت تستعمل فى كتابة شواهد القبور حتى عهد متأخر يرجع إلى القرن الثانى عشر الميلادى، على حين أنه لم يعثر على شاهد قبر واحد باللغة النوبية [٣].

ومما لاشك فيه أن اللغة القبطية كان لها نفوذ واسع فى بلاد النوبة. فهى علاوة على أنها كانت لغة الوثائق الرسمية حتى القرن العاشر الميلادى على الأقل [٤]، نجدها قد استخدمت في أغراض دينية كذلك. وكثير من شواهد القبور التى عثر عليها مكتوب باللغة القبطية. وأحياناً تسود اللغة القبطية على اليونانية فى كتابة شواهد القبور فى بعض جهات النوبة. ويرجع ذلك فى الغالب إلى هجرة جماعات من الأقباط واستقرارهم فى جهات النوبة المختلفة[٥]. ويبدو ذلك واضحاً فى منطقة دير الغزال قرب مروى [٦].

غير أن معلوماتنا عن لغة أهل علوة قليلة جداً لضياع معظم آثارها. ويبدو مما ذكره ابن سليم أن أهل علوة ترجموا الطقوس الدينية إلى اللغة النوبية [٧]. بيد أن الدمشقى يقول أنهم يقرأون الإنجيل بلغة الروم [٨]. ومهما يكن من أمر فإنه لم يصلنا من مخلفات علوة اللغوى سوى شاهدى قبر عثر عليهما فى سوبا، يرجع أحدهما إلى سنة ٨٩٧م. وبفحص نقوشه وضح بما لايدع مجالا للشك أنها لغة نوبية مكتوبة بحروف ذات طابع متميز عن حروف اللغة النوبية فى المملكة الشمالية. ويقول جريفث ليس فيها أى أثر للغة اليونانية أو الحروف

---

(١) عثر على بعض هذه المخطوطات بإدفو فى صعيد مصر واشتراها ملك ألمانيا وهى الآن بمتحف برلين. Roeder : op. cit. p. 392.

(2) Ibid op. cit. pp. 392-3.

(3) Griffith, FLI, : Oxford Ex, in Nubia. p. 53.
Sbinnie, P. L. : op. cit. p. 7.

(٤) يقول جريفث إن الوثائق الرسمية كانت تكتب بالقبطية حتى القرن ١٠م ثم حلت محلها اللغة النوبية.
Griffith, F.LI. ; Christ. Doc. from Nubia pp. - 18.

(5) Griffith, F.LI. : Oxford Ex in Nubia. p. 53.

(6) Shinnie, P. L. : op. cit. p. 7.

(٧) المقريزى : المواعظ والاعتبار جـ١ ص ١٩٣.

(٨) الدمشقى: نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ص ٩٩.

القـبطيـة [1]. غير أن لبسيوس ـ اعتماداً على مخطوط بمتحف برلين يشتمل على أنواع الكتابة المستعملة عند الشعوب التى تتكلم اللغات الحامية – يرى أن الكتابة التى يستعملها أهل علوة تعـرف باسم كـيليكيـا [2] كما يرى لبسيـوس أن الكتـابة التى أمكن العثور على نموذجين منها بالمتحف البريطاني تشبه الكتابة القبطية باستثناء بعض الزيادات التى دخلت عليـهـا [3]. ويوافقه شنى على هذا، ويضيف أن الكتابات التى عثر عليها في سوبا لا تحمل دعاء لله أو اسم صاحبها [4]. والخلاصة أن لغة علوة تختلف في طبيعتها وفى نوع كتابتها عن اللغة النوبية في مملكة مقرة [5].

وإذا كانت رغبة أهل مقرة فى الاستقلال بنوع خاص من الكتابة، هى التى دفعتهم إلى ترجمة الطقوس الدينية إلى لغة نوبية عامية كتبوها فيما بعد، فمن الصعب تفسير تمسكهم باللغة القبطية واليونانية دون النوبية فى كتابة شواهد القبور [6]. وهناك احتمال أن استمرار كتابة شواهد القبور بالحروف القبطية واليونانية عائد إلى أن محترفى كتابة هذه الشواهد كانوا من مصر ولا يجيدون نقش الحروف النوبية. ومن الطبيعي أن هذه القبريات سواء القبطية أو اليونانية لم تخل من تحريفان لغوية إملائية، فضلاً عن أنها لا تعبر إلا عن اسم المتوفى وعمره وتاريخ وفاته وطلب المغفرة له من الله، وقد تشير إلى منصبه الكنسى ، لكنها لا تذكر شيئاً عن تاريخ حياته أو نسبه [7].

أما عن علاقة الكنيسة النوبية بالكنيسة المصرية، فلا شك أنها كانت طيبة. وفضلا عن إرسال الأساقفة المصريين إلى بلاد النوبة فإن ثمة علاقة نشأت بين ملوك النوبة المسيحيين وبطاركة الكنيسة المرقسية. ولعل مصدر هذه العلاقة هو ما اجتمع لملوك النوبة من سلطة سياسية ودينية معاً. وهذه السلطة الدينية جعلت منهم ممثلين للكنيسة النوبية. واختلفت طبيعة هذه العلاقات من حين إلى آخر تبعا لما تقتضيه مصالح الطرفين . مثال ذلك أن البطريك إسحق تدخل حوالى سنة ٦٩٠م لفض نزاع نشب بين ملك النوبة وملك الحبشة ، غير أن

(1) Griffith, F. Ll. : Christian Documents from Nubia p. 14.

(2) Budge, E. W.: Nubian Texts pp. 7-8.

(3) Ibid : op. cit. p. 8.

(4) Shinnie, P. L. : Excavations at Soba, SAS. , III. P. 50.

(5) Budge, : op. cit. p. 8.

(6) Growfoot. J, W. : Christian Nubia, JEA. XIII, P. 146.

(7) Crowfoot, J. W. : op. cit. P. 146.

وساطته لم يقدر لها النجاح خوفه من بطش عبد العزيز بن مروان والى مصر إذ ذاك [١]. ومثال آخر أن خلافا نشب بين الملك زكريا ملك النوبة والأسقف كيرياكوس، وطلب الملك عزله، ولما لم يسفر التحقيق عن إدانة الأسقف. طلب البطريرك إلى الأسقف أن يقيم فى إحدى الأديرة، وعين من يقوم بعمله [٢].

وتتحدث المصادر القبطية عن حملة قام بها كيرياكوس ملك النوبة سنة ٧٥٠م على مصر لإرغام واليها على إطلاق سراح البطريرك ميخائيل[٣]. وتفسر هذه الحملة من وجهة النظر النوبية [٤] أن البطريرك بات متمتعاً بحماية ملوك النوبة. لكن يبدو أن الملك النوبى انتهز فرصة ثورات الأقباط فى إقليم الحوف بسبب نزع الصور المقدسة من الكنائس، وفداحة الضرائب، وقام بحملته على مصر.

ولما توترت العلاقات بين زكريا بن يحنس (يوحنا) ملك النوبة ووالى مصر بسبب امتناع زكريا عن تنفيذ التزاماته للخليفه، تدخل البطريرك يوساب لحسم هذا الخلاف ونصح زكريا بتنفيذ شروط العقد بين ولاة مصر وملوك النوبة. واستجاب الملك النوبى لهذه النصيحة وبعث بابنه جورج إلى بلاط الخليفة المعتصم ببغداد. وفى طريق عودته كرز له البطريرك مذبحاً نصب فى القصر الذى نزل فيه بالجيزة، وأقيم عليه القداس وسمح الوالى بدق الناقوس من سطح القصر[٥].

---

(1) Renaudot : op. cit. p. 178.

(2) Ibid. : op. cit. p. 221.
De Villard. : op. cit. pp. 96-97.

(٣) اختلفت المصادر القبطية حول تاريخ هذه الحملة واسم والى مصر إذ ذاك. أنظر الآراء المختلفة حول هذه الحملة فى أبى صالح وكذلك. De Villard,: op. cit pp 97- 98.
Griffith. FLl. : Christ.Doc. p. 28.
Lane - Poole: op. cit. p27.

(٤) يشك بعض المؤرخين فى مقدرة ملك النوبة على تجريد هذه الحملة لفقر النوبة وضعفها. ويرى رينودو أن الحبشة لابد آزرت النوبة فى هذه الحملة.
Renaudot: op. cit. p. 222.
أنظر التفاصيل فى MacMichael: op. cit. I. p. 168.

(٥) علق رينودو على هذا المذبح بقوله: إنه الأول من نوعه إذ لم يكن هناك مذابح متنقلة ولم يسمح بإقامة الطقوس فى أماكن بعيدة عن الكنائس.
Renaudot, op. cit. p. 285.

وجاء في سيرة الأنبا فيلوتاوس البطرك ٦٣ (٩٧٠ ـ ٩٩٥م) أن الملك جورج ملك النوبة توسط لدى البطريرك لإعادة العلاقات الدينية بين الكنيسة المصرية والحبشة بعد انقطاعها مدة. وقبل البطريرك رجاء الملك النوبي(١).

وجاء في تاريخ بطاركة الإسكندرية ما يشير إلى تجدد الاعتداء على البطريرك. ذلك أن اليازوري قبض على البطريرك كرستودولس وزج به في السجن وصودرت أمواله بسبب ما ترامى إليه أن البطريرك يحرض ملك النوبة على عدم دفع التزاماته للخليفة، ونال الأقباط اضطهاد شديد. ولما وصلت أنباء هذه الحوادث إلى ملك النوبة أرسل معونة مالية للبطريرك ليستعين بها على تفريج أزمته(٢). وثمة تهمة أخرى وجهت إلى البطريرك كرستودولس في وزارة بدر الجمالي، ومجمل هذه التهمة أن البطريرك أرسل الأسقف فيتورى إلى بلاد النوبة وكلفه بهدم جميع المساجد الموجودة بها، لكن أظهر التحقيق الذى أجرى ببلاد النوبة كذب هذه التهمة وحكم على صاحبها بالاعدام(٣). ولا يبعد أن يكون ملك النوبة تدخل لحسم هذا الخلاف لتمتعه بمكانة طيبة في البلاط الفاطمي في عهد المستنصر فجاء التحقيق في صالح البطريرك.

غير أن تأثير الكنيسة النوبية في حياة الناس لم يكن ـ فيما يبدو ـ قوياً، بل ظل المجتمع النوبي يعيش في مثل ما عاش قبل دخول المسيحية. وربما كان بعض السبب في هذا أن الطقوس الدينية تؤدى بلغة أجنبية لكبار رجال الدولة الذين اعتنقوا المسيحية أولاً وعلى رأسهم الملك الذى أمر النوبيين باعتناقها بأعتبارهم عبيده. وهو نفس الوضع الذى أدى إلى اسلامهم فيما بعد، فلم تختلط العقيدة الجديدة بقلوب الناس، وأخذت هذه الطقوس مظهراً تقليدياً رسمياً. فانحطت الروح الدينية ولم تظهر حركة إصلاح ديني، بل اكتفى النوبيون بترجمة الطقوس إلى اللغة النوبية التي لم تتخل عن بعض المعتقدات القديمة(٤).

ولم تنجب الكنيسة النوبية علماء متخصصين في اللاهوت أو الفلسفة الدينية، أو رجال

(١) ساويرس بن المقفع: تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية،

(2) Renaudot. op. cit. p. 435.

(3) Renaudot. op. cit. pp. 443 - 445.

De Villard: op, cit. p. 128.

(4) Trimingham, J.S.: Islam in the Sudan. p. 70.

دين ذوى مثل مستمدة من تجارب القديسين والشهداء ـ مثلما كان الحال فى الكنيسة المصرية[١]. ولهذا ظل الجهاز الكنسى بيد رجال مصريين مبعوثين من الكنيسة المصرية. واقتصر العنصر الوطنى على تقلد الوظائف الدينية القليلة الخطر. وتحدد مستقبل الكنيسة النوبية بنوع العلاقات بين الكنيستين ـ غير أن هذه العلاقات لم تلبث أن خضعت لعوامل سياسية، فتأثر مركز الكنيسة النوبية تبعاً لهذا التدخل من جانب السلطات الحاكمة فى مصر. إذ منع الحاكم بأمر الله إرسال خطابات بطريرك الكنيسة المرقسية السنوية إلى كل من الحبشة والنوبة. وتبع هذا توقف إرسال الأساقفة مدة من الزمن، حتى إذا جاء العهد المملوكى وتعرضت الكنيسة المصرية لنوع من الضغط من جانب بعض سلاطين المماليك، فقدت بهذا نفوذها القديم فى بلاد النوبة. ومن الواضح كذلك أن اعتناق النوبيين للمسيحية كان صورياً، واقتصر أثرها حيث توجد المدن والقرى الكبيرة. وظلت الغالبية العظمى من النوبيين يمارسون عاداتهم القديمة[٢]. بدليل ما لاحظه ابن سليم من أن بعض سكان النوبة يعرفون الله ولكنهم يشركون معه بعض مظاهر الطبيعة كالنجوم والكواكب والأشجار ويعتقدون فى السحر[٣]. ويؤيد هذا وجود بعض التقاليد الموروثة عن العهد السابق للمسيحية. ومنها توريث ابن الأخت أو البنت، والطاقية أم قرنين كرمز للسلطة، ولبس السوار الذهبى، والختان الفرعونى، وبعض الشعائر الخاصة بحفلات الزواج والختان. ولابد أن هذه العادات لعبت دوراً هاماً فى حياة المجتمع المسيحى[٤].

* * *

وفيما يتعلق بالاقتصاد النوبى، فمعلوماتنا عنه قليلة وتعتمد أساساً على ما ورد فى كتب المؤرخين والجغرافيين العرب مثل ابن سليم الأسوانى وابن حوقل والإدريسى. ويبدو من كتابات هؤلاء أن الاقتصاد النوبى فى العهد المسيحى اعتمد على نوعين من الحرف هما الزراعة والتجارة. فضلا عن وجود الرعى فى مملكة علوة. ففى المملكة الشمالية (مقرة) تنحصر مواضع الخصب فى شريط ضيق يحاذى النيل، ويختلف ضيقا واتساعا من مكان إلى آخر.

(١) لم يسجل تاريخ الكنيسة النوبية استشهاداً أو اضطهاداً كما حدث فى مصر إبان عهدها الأول بالمسيحية. بل إن النوبيين قبلوا الدعوة الجديدة بأمر من ملوكهم.

(2) Crowfoot, J.W. : op. cit. pp. 142 - 143.

(٣) المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص١٩٣.

(4) Crowfoot, J.W. : op. cit. pp. 142 - 143.

ففى جزئها الشمالى «مريس» ـ على حد قول ابن سليم ـ يضيق الوادى وتحفه الجبال من الجانبين، وتمتد القرى على حافة النهر. ويزرع النوبيون مساحات محدودة على شكل مدرجات تتراوح مساحتها من فدان إلى ثلاثة أفدنة اعتمدوا فى ريها على الساقية. ونظراً لضيق الرقعة الزراعية اضطر النوبيون إلى زراعتها مرتين فى السنة[١]. ويبدو أنهم عرفوا طريقة التسميد ليحافظوا على خصوبة التربة. واقتصرت زراعتهم على أنواع محدودة من الذرة وقليل من الشعير والسمسم واللوبيا، هذا فضلا عن انتشار أشجار النخيل فى المدرجات العليا.

والجزء الجنوبى من مريس حتى المقس الأعلى، أشد أجزائها فقراً. إذ يمتد النيل بين حافتين جبليتين شديدتى الانحدار وصحراء قاحلة، «وبرها مجاوب ضيقة وجبال شاهقة وطرقات ضيقة حتى لا يمكن الراكب أن يصعد منها والراجل الضعيف يعجز عن سلوكها ورمال فى غربها وشرقها، وفى جزائرها نخل يسير وزرع حقير وأكثر أكلهم السمك[٢]».

وإلى الجنوب من ساى حتى دنقلة يختلف عرض الوادى من منطقة لأخرى ويعترض مجرى النهر عدد من الجزر العامرة. ويكثر شجر النخيل والبقل. وتظهر أحيانا بعض حدائق الكروم.

وإلى الجنوب من دنقلة حتى حدود علوة تزيد المسافة بينها وبين أسوان. ويبدو أن هذه المنطقة، أغنى جهات مقرة حيث يتسع الوادى قليلا فتكثر قطعان الماشية. وتتسع حقول القمح وحدائق الكروم وأشجار النخيل[٣]. فيقول ابن سليم «ومسافة ما بين دنقلة إلى أول بلد علوة أكثر مما بينها وبين أسوان، وفى ذلك من القرى والضياع والجزائر والمواشى والنخل والشجر والبقل والزرع والكرم أضعاف ما فى الجانب الذى يلى أرض الإسلام...».

ومما لا شك فيه أن مملكة علوة أغنى وأوسع ثروة من مملكة مقرة، لا تساع واديها وخصوبة أراضيها التى تعتمد فى ريها على النيل أو مياه الأمطار الصيفية ويكثر فيها شجر النخيل ويزرع

---

(١) المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص١٩٠.

(٢) المصدر السابق، ص١٩١. تعرف هذه المنطقة الجنوبية من مريس باسم، الجنادل وهى المنطقة الممتدة من تقوى إلى المقس الأعلى، وتعرف الآن ببطن الحجر.

(٣) المصدر السابق، ص١٩٠.

الذرة[١]. «وسائر بقولهم من السلجم والبصل والفجل والقثاء والبطيخ»[٢]. وعلى الرغم من اتساع الرقعة الزراعية فى مملكة علوة إلا أن سكانها كانوا دون أهل مقرة فى المستوى الحضارى، فلم يستغلوا خصوبة أرضهم استغلالا اقتصاديا، ولم يبذلوا جهداً فى الاكثار من المحصول واتباع وسائل التسميد أو طرق الزراعة واعتمدوا على السحر[٣].

والراجح أن الزراعة لم تكن من الوفرة والتنوع بحيث يمكن استغلال فائض منها فى أغراض تجارية. أما التجارة فيبدو أن دور النوبيين فيها كان دور الوسيط للحصول على عمولة أو رسوم حماية التجارة وطرق القوافل[٤]. ولم تعرف العملة الذهبية أو غيرها من أنواع العملات المعروفة آنذاك إلا فى منطقة مريس. أما إلى الجنوب منها فكان يتم التبادل عن طريق المقايضة بالرقيق والمواشى والحبال والحديد والحبوب[٥]. وتحدث بعض الكتاب العرب عن نقط تنتهى عندها التجارة على طول النيل. وهى بمثابة محطات يتم عندها التبادل التجارى مثل مدينة بلاق (جزيرة فيلة) التى كانت تنتهى عندها مراكب النوبة شمالا. وبلدة تقوى عند الشلال الثانى حيث تنتهى عندها مراكب النوبة المصعدة من القصر[٦]. ويشير الإدريسى إلى ميناء نوبى آخر اسمه بلاق لا نعرف مكانه تماماً ويضعه بين ذراعى النيل وربما يقع قرب التقاء النيل بأتبرا. وفى هذا المكان يلتقى تجار النوبة ومصر والحبشة[٧].

* * *

ولننتقل الآن إلى رسم صورة مبسطة لأهم مظاهر الحضارة النوبية فى العهد المسيحى، ولعل أهم آثارها المادية تلك الكنائس المبعثرة هنا وهناك من أسوان شمالا إلى جبل سجدى بالقرب من سنار جنوبا. ويغلب عليها جميعا طابع عام مشترك، فهى من النوع المعروف باسم باسيلكا Basiliks والكنيسة النوبية بصفة عامة على شكل مستطيل توجد فيها ممرات فى الجهة الشمالية والجنوبية تفصلها عن صحن الكنيسة سلسلة من الأعمدة. وفى الطرف الشرقى من

(١) المصدر السابق، ص١٩٣.
(٢) الإدريسى: المغرب. وأرض السودان ومصر والأندلس ص٢٠.
(٣) المقريزى: المواعظ والاعتبار جـ١، ص١٩٣.
(٤) الشاطر بصيلى: معالم تاريخ سودان وادى النيل ص٧.
(٥) المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص١٩١.
(٦) المصدر السابق، ص١٩٠.
(٧) الإدريسى: نفس المصدر ص٢٠.

الكنيسة من الداخل يوجد الهيكل، ويقع المنبر عادة بالقرب من آخر عمود بالناحية الشرقية من الممر الشمالى[1]. إلا أن كنيسة دنقلة ذات طابع مختلف. فهى مكونة من طابقين، ربما استخدم الطابق السفلى كمخزن لحفظ أدوات الكنيسة. ويتصل بالطابق العلوى بسلم حلزونى. ويرى كروفوت، أن طراز الطابق العلوى لهذه الكنيسة يشبه طراز كنيسة حبشية قرب عدوة، وحول هذا الطابق العلوى أخيرا إلى مسجد[2].

ويرى سومرز كلارك أن فن البناء فى وادى النيل يختلف من مكان لآخر باختلاف المواد الطبيعية ودرجة كثافة السكان ومستواهم الحضارى. ويبدو من طابع البناء النوبى أنه متأثر بفقر البلاد وقلة مواردها الطبيعية وضعف المستوى الفنى[3]. وإذا كان النوبيون استعانوا ببعض الفنانين المصريين لبناء كنائسهم وزخرفتها، إلا أن مادة البناء ـ ومعظمها من الطوب واللبن والطين ـ ظل الطابع السائد للعمارة النوبية[4] باستثناء بعض الكنائس المبنية من الحجر مثل كنيسة فرس وكنيسة دير الغزال.

واقتصرت الزخرفة على الرسوم والنقوش على جدران الكنيسة الداخلية، غير أن معظمها اندثر بطبيعية الحال. ولعل أجمل هذه النقوش ما عثر عليه فى كنيسة عبدالقادر وكنيسة فرس. وعثر بجوار كنيسة عبدالقادر على نقش يمثل نائب ملك eparch فى نوباديا فى ملابسه التقليدية حاملا نموذج كنيسة يبدو أنه مؤسسها[5].

وفضلا عن هذا فإنه يوجد عدد من النقوش التى هى فى الواقع عبارة عن صور القديسين. ومشاهد من الإنجيل وأخرى لميلاد المسيح. ويرى جريفث أن طابعها العام يشبه الطابع البيزنطى[6] ويقول شنى. إن الطابع العام لهذه النقوش يدل على البساطة وعدم النضج ولكنها توضح فى الوقت نفسه رغبة الفنانين وتحمسهم لفنهم[7].

---

(1) Shinnie, p. L. : Medieval Nubia. pp. 8 - 9.

(2) Crowfoot, J. W. : op. cit. pp. 144 - 145.

(3) Somers Clarke. : Christian Antiquities in the Nile Valley p. 7.

(4) Griffith, F. Ll. : Oxford Ex. in Nubia, p. 52.

(5) Shinnie, P. L. : op. cit. pp. 12 - 18.

(6) Crowfoot, J.W. : op. cit. p. 146.

(7) Shinnie, P. L. : op. cit. p. 13.



أيقونه للسيدة الست مريم فى حالة تعبد (أيقونه حبشية)

ولم يعثر على بقايا مساكن إلا بأطلال سويا. وهى مبنية من اللبن وطرازها بسيط ساذج.

ويمكن التمييز بين نوعين من الفخار، فخار دنقلة وفخار سويا، إذ يشتمل الأول على أوانى صغيرة من طينة ناعمة ذات طلاء أبيض أو أصفر أو برتقالي. وكثير من هذه الأوانى يحمل رسوما لحيوانات أو رموزا مسيحية، وهي جميعا متأثرة بالفن القبطى، وأجود أنواع هذه الفخار يرجع إلى القرن التاسع أو العاشر الميلادى. أما فخار سويا فمن الآجر المطلى بطلاء أسود وبه زخارف على شكل زهور صغيرة صفراء وحمراء، وهو يمثل طابعا مستقلا لا وجود لمثله فى مقرة أو في مصر.

النوبيون والعرب

الاتصال القديم بين الجزيرة العربية ووادى النيل ■ الهجرات العربية إلى مصر ■ أول اتصال بين المسلمين من ناحية وبين النوبيين والبجة من ناحية أخرى ■ توغل العرب جنوبا فى أرض النوبيين والبجة، عوامله ودوافعه المختلفة فى التاريخ ■ بعض آثاره السياسية والاجتماعية والثقافية حتى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى ■ أثر الرق.

* * *

لقد صحب اتصال العرب بالنوبيين دخول لون جديد من الثقافة إلى بلاد النوبة، فصبغ سكانها بصبغة جديدة، وطبعهم بطابع خاص، مختلف عن الطابع القديم الذى اتصف به المجتمع النوبى فى العهد المسيحى. أما هذه الثقافة الجديدة فهى الثقافة الاسلامية.

وثمة ظاهرة أخرى هى نزوح بعض الجماعات النوبية من بلادها وتأثرها بتلك الثقافة خارج الوطن النوبى. وهذا العامل الأخير سنتعرض لذكرة فيما بعد.

أما عن صلة النوبيين بالعرب فقديمة وترجع إلى ما قبل ظهور الاسلام، وهذه حقيقة تؤيدها الحقائق الجغرافية والروايات التاريخية. ذلك أن البحر الأحمر لم يكن فى وقت من الأوقات حاجزاً يمنع الاتصال بين شواطئه الآسيوية وشواطئه الإفريقية، ولا يزيد اتساع البحر على المائة والعشرين من الأميال عند السودان. وليس من الصعب اجتيازه بالسفن الصغيرة.

وفي الجنوب يضيق البحر الأحمر جداً عند بوغاز باب المندب حتى لا يزيد على عشرة

أميال وهو الطريق الذى سلكته السلالات والأجناس من وإلى القارة الإفريقية منذ عشرات الآلاف من السنين[١].

ولعل التجارة كانت أهم وسيلة هذا الاتصال، إذ نشطت حركة تجارة العاج والصمغ واللبان والذهب بين الجزيرة العربية من ناحية وبين موانى مصر والسودان والحبشة من ناحية أخرى، واتخذ التجار العرب من بعض نقط على الساحل الإفريقي مراكز لهم، يوغلون منها بسلعهم وبضائعهم فى قلب القارة الإفريقية حتى وادى النيل على الأقل[٢]. وفي الألفى سنة قبل الميلاد هاجرت جماعات عربية من جنوب غربى الجزيرة العربية إلى الحبشة. وبلغت هذه الهجرات أقصاها ما بين ١٥٠٠ ق م - ٣٠٠ ق م فى عهد دولتي معين وسبأ. وحمل المعينيون والسبئيون لواء التجارة في البحر الأحمر ووصلوا فى توغلهم غربا إلى وادى النيل[٣]. ونشطت حركة التجار العرب خاصة زمن البطالمة والرومان. ولاشك أن عدداً غير قليل من هؤلاء استقروا فى أجزاء مختلفة من حوض النيل، ولحق بهم عدد من أقاربهم وأهليهم. وفى القرنين السابقين للميلاد عبر عدد كبير من الحميريين (أهل اليمن) مضيق باب المندب فاستقر بعضهم في الحبشة وتحرك بعضهم الآخر متتبعا النيل الأزرق ونهر أتبرا ليصلوا عن هذا الطريق إلى بلاد النوبة[٤].

وتشير بعض الروايات التاريخية إلى حملات عسكرية قام بها الحميريون فى وادى النيل الأوسط وشمال إفريقيا، وتركت هذه الحملات وراءها جماعات استقرت فى بلاد النوبة وأرض البجه وشمال أفريقيا[٥]. ويرى ريد Reid أن هؤلاء الحميريين اختلطوا بالحاميين سكان

(١) محمد عوض محمد: السودان ووادى النيل ص ٣٨.

(2) MacMichael, H. A. : A History of the Arabs in the Sudan, I. pp. 3 - 4.

اتخذ هؤلاء التجار هذه المراكز كنقط ارتكاز تبدأ منها قوافلهم إلى مراكز التجارة الأساسية على النيل النوبى والنيل الأعظم. وكان لهؤلاء التجار وكلاء تجاريون فى كل هذه المراكز التجارية حيث يستقبلون القوافل التى ترد إليها من دارفور وليبيا وقلب إفريقية.

(3) Mac Michael, H. A. : op. cit. p. 4.

(4) Hamilton, J.A., ed: The Anglo Egyptian Sudan from Within p. 42.

(٥) ابن خلدون: العبر جـ١، ص١٧٦. تشير هذه الروايات الخيالية إلى حملة قادها أبرهة ذى المنار بن ذى القرنين الحميرى على السودان وبلاد النوبة والمغرب حوالى أوائل القرن الأول قبل الميلاد، ثم إلى حملة أخرى قادها ابنه أفريقش إلى شمال إفريقيا، واستقرت فى بلاد النوبة جماعات حميرية، ولعل وجود=

شرق السودان، وورثوا ملك أجدادهم من ناحية الأم حسبما يقضي به نظام التوريث المعروف عند الشعوب الحامية وهو توريث ابن الأخت أو ابن البنت(١). ويرى بول Paul أن ممن انتفع بهذا النظام الوراثى من العرب جماعة من الحضارمة ـ سكان حضر موت ـ الذين عبروا البحر الأحمر إلى ساحله الإفريقي فى القرن السادس الميلادى ثم اختلطوا بالبجة وكونوا طبقة حاكمة خضع لها هؤلاء البجة المعروفون بالزنافج، وتعلموا لغتهم واعتنقوا المسيحية حتى يسهل عليهم قيادتهم والسيطرة عليهم(٢). وعلى الرغم أن عدد هذه الجماعات العربية المهاجرة لم يكن كبيرا، فما لا شك فيه أنها تركت بعض آثارها الثقافية ولا سيما فى ناحيتى الدين والفن(٣).

أما الطريق الشمالى وهو طريق برزخ السويس، فهو ذو دور خطير فى تاريخ العلاقات بين سكان الجزيرة العربية وسكان وادى النيل الأدنى منذ فجر التاريخ ولم تخل الآثار المصرية القديمة من الإشارة إلى بدو سيناء وفلسطين وسوريا وغيرهم من العرب الشماليين الذين عرفتهم مصر منذ عهد الأسرات الأول إما تجاراً يختلفون إلى الأسواق المصرية، أو غزاة

=العمامة ذات القرنين التى كانت شارة من شارات السلطة عند eparch نوباديا يفسر هذا الأثر الحميرى بدليل أن أبا أبرهة عرف بالصعب ذى القرنين. انظر MacMichael: op. cit. pp. 7-8. ويشير دى برسفال إلى حملة قادها أبو مالك ابن شمرير عش الحميرى إلى معادن الزمرد فى أرض البجه. ومن المحتمل أن يكون لقى حتفه هو ومعظم رجال جيشه حوالى منتصف القرن الأول الميلادى.

Causin de perseval, Essai sur l'histoire des Arabes avant l'Islamisme, I. p. 82.

هذا ويدعى سلالة ملوك البرنو الانتساب إلى سيف بن ذى يزن الحميرى. انظر القلقشندى جـ١، ص١١٧.

(1) Reid, J. A. : "Some Notes on the Tribes of the White Nile Tribes," SNR" XIII, part II., 1930, p. 150.

(2) Paul, A. : A History of the Beja Tribes of the Sudan. PP. 64 - 67,

ويضيف بول أن هؤلاء الحضارمة عرفوا عند العرب الحدارية الذين استقروا فى إقليم العتباى فى الشمال، ثم اضطروا إلى الانتقال جنوباً فى القرن الخامس عشر الميلادى حيث أسسوا مملكة البلو (مملكة بنى عامر) فى إقليم طوكر. أنظر المقريزى، المواعظ والاعتبار، حـ١، ص١٩٥.

(3) MacMichael, H.A. : op. cit. I. p.9.

يقول ماكمايكل MacMichael إن عبادة الشمس ظلت قائمة فى تالمس (كلابشة) حتى حوالى منتصف القرن السادس الميلادى وهى العبادة التى كانت منتصرة فى جنوب بلاد العرب والمستعمرات الحميرية فى شمال الحبشة. أما عن الفن فيبدو أنه كان للسبئيين فيه بعض الأثر كما يبدو فى الطابق العلوى من كنيسة دنقلة. فهو يشبه الطراز الحبشى المتأثر بالفن السبئى. هذا فضلا عن العمامة ذات القرنين كما سبق أوضحنا.

كالهكسوس، أو مهددين لمصالح الإمبراطورية المصرية في سوريا، أو لاجئين يرغبون العيش في كنف الفراعنة(1).

اتجهت سياسة المسلمين ـ منذ أن تم لهم غزو مصر ـ إلى فتح النوبة، وتلاقت رغبة الخليفة عمر مع رغبة قائده عمرو بن العاص في مصر لضرورة غزو النوبة لضمان المحافظة على أطراف مصر من ناحية الجنوب وتأمين طريق التجارة(2) القديم بين البلدين. فأرسل عمرو فرقة من الفرسان بقيادة عقبة ابن نافع لفتح النوبة سنة ٦٤١م(3). والراجح أن عدد المسلمين في هذه الحملة لم يكن كبيرا بينما كانت خسائرهم كثيرة لشدة المقاومة التى أبداها النوبيون، فضلا عن مهارة هؤلاء في الرمى بالسهام، حتى أطلق عليهم المؤرخون العرب اسم رماة الحدق(4) ولذا لم يستطع المسلمون أن يتوغلوا جنوبا.

بيد أن النوبيين بعد وفاة الخليفة عمر، أرسلوا سراياهم إلى الصعيد فخربوا وأفسدوا. واستعد عبدالله ابن أبى السرح الذى خلف عمرا في ولاية مصر لملاقاتهم، رغبة منه في تقليد الغزوات التى قام بها سلفه ومنافسه عمرو(5). وتمكن جيش ابن أبى السرح من التوغل جنوبا حتى دنقلة عاصمة المملكة المسيحية الشمالية «مَقُرّة» سنة ٦٥٢م وحاصرها حصاراً شديداً واستخدم المنجنيق في ضرب المدينة فخربت كنيستهم. ويقول المقريزى نقلا عن ابن سُلَيْم الأسوانى فبهرهم أى (النوبيين) ذلك وطلب ملكهم واسمه قليدوروث (قليدور) الصلح وخرج إلى عبدالله وأبدى ضعفا ومسكنة وتواضعا فتلقاه عبدالله ورفعه وقربه...» وقرر القائد العربى عقد صلح عرف باسم البقط(6)، مؤداه أن يدفع ملك النوبة لبيت مال المسلمين ٣٦٠ رأساً من الرقيق، ووعده عبدالله بن سعد بهدية سنوية من حبوب وملابس لما شكا له الملك النوبى قلة الطعام في بلده. وكتب عبدالله بن سعد للنوبيين عهداً يعتبر أساساً للعلاقات بين عرب

---

(1) Breasted, J. H. : A History of Egypt from the earliest times to the persian Conquest, pp. 25 - 26, 214 - 219, 388.

(2) المسعودى: مروج الذهب جـ٣، ص٣٨ ـ ٣٩.

(3) ابن عبدالحكم: كتاب فتوح مصر وأخبارها، ص ١٦٩.

(4) البلاذرى: فتوح البلدان، ص٣٣٦.

(5) Lane - Poole (S.): A History of Egypt in the Middle Ages, p. 21.

(6) البقط ما كان يؤخذ من النوبة في كل عام في قرية القصر على بعد خمسة أميال جنوبى مدينة=

مصر والنوبة المسيحية. وقد نص فيه على حدود معلومة للمملكة التى عقدت الصلح مع المسلمين، وتمتد من أسوان شمالا إلى حد أرض علوة جنوباً أى إلى منطقة الأبواب (كبوشية الحالية). وبهذا لا يشمل الصلح دولة علوة المسيحية لعدم وصول جيوش المسلمين إليها، فضلا عن أن العقد لم يشر إلى البجة.

وينص هذا العقد كذلك على تأمين أهل النوبة وتأكيد بعدم محاربتهم ما داموا قائمين على تنفيذ الشروط التى بينهم وبين المسلمين، ومنها: إرسال ٣٦٠ رأساً من أفضل رقيق بلدهم، وحفظ من نزل بلدهم من مسلم أو معاهد، وحفظ المسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتهم، ولا يلتزم المسلمون بدفع عدو أو مغير على بلادهم[١].

ويرى بعض المؤرخين أن هذا الصلح جعل النوبيين والمسلمين على قدم المساواة فلا غالب هناك ولا مغلوب بدليل ما يدفعه المسلمون من أشياء مساوية تقريبا لما يدفعه النوبيون، وأنها مصلحة متبادلة[٢]، وهى أشبه بمعاهدة تجارية.

وعلق بعض المؤرخين العرب على هذه المعاهدة: فقال البلاذرى[٣] «ليس بيننا وبين الأساود عهد ولا ميثاق، إنما هي هدنة بيننا وبينهم». ويمكن أن يفسر هذا العقد بأنه معاهدة حسن جوار يحقق للمسلمين الاطمئنان على سلامة حدودهم من ناحية الجنوب، وفتح البلاد

=أسوان، ولفظ البقط حسب اجتهاد بعض الباحثين لفظ مشتق من أحد أصلين: الأول لاتينى يونانى الأصل ومعناه الاتفاق أو الموادعة، والثانى مصرى قديم وهو باق ومعناه الضريبة التى تدفع عيناً. أنظر ملحق رقم ٧.

Trimingham, J.S.: op. cit. p. 62 Note 3.

أما المقريزى فى المواعظ والاعتبار جـ١ ص١٩٩ فيذكر أن «البقط ما يقبض من سبى النوبة فى كل عام ويحمل إلى مصر ضريبة عليهم، ومعناه بعض ما فى أيدى النوبة. أنظر ملحق رقم ٧.

(١) المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص١٩٩.

(2) Becker, C.H. : Ency. Isl. L.,p. 6082. MacMichael, H.A.: op. cit. p, 158.

(٣) البلاذرى: فتوح البلدان، ص ٣٣٦، أخذ البلاذرى هذه المعلومات عن يزيد ابن أبى حبيب أحد سبى النوبة وكان يعيش فى مصر. وحفظ هذه الرواية شيوخ عن شيوخ ممن اهتموا بأمر النوبة، ومنهم، ابن أبى لهيعة وعبدالله بن صالح.

للتجارة، والحصول على سواعد النوبة القوية فى خدمة الدولة، وحفظ مصالح المسلمين وحريتهم الدينية، ونشر الثقافة الإسلامية فى بلاد النوبة بالطرق السلمية. ومهما يكن من أمر هذه المعاهدة، فإنها ظلت تمثل نوعا من الاتصال الدائم بين المسلمين والنوبيين المسيحيين مدة ستة قرون[1].

* * *

ومن الملحوظ فى هذه المعاهدة أن البجة[2] لم يرد عنهم نص فيها، ويرجع هذا كما يقول ابن عبدالحكم[3]، إلى عدم اكتراث عبدالله بن سعد بهم. غير أنهم ما لبثوا أن أغاروا على صعيد مصر حوالى سنة ٧٢٥م. فصالحهم ابن الحبحاب وكتب لهم عقداً[4] ينص على دفع ثلثمائة من الإبل الصغيرة، على أن يجتازوا الريف تجارا غير مقيمين، وألا يقتلوا مسلماً أو ذمياً وألا يؤووا عبيد المسلمين، ويظل وكيلهم فى الريف، رهينة فى يد المسلمين.

غير أنه لم يكد يمضى قرن على هذه المعاهدة حتى عاد البجة إلى شن الإغارات من جديد على جهة أسوان وكثر إيذاؤهم للمسلمين فرفع ولاة الأمور فى أسوان خبرهم إلى المأمون (٨١٣ ـ ٨٣٣م) فجرد عليهم حملة بقيادة عبدالله بن الجهم سنة ٢٣٢هـ (٨٤١م) فكانت له معهم وقائع انتهت بموادعتهم وكتابة عقد جديد بينه وبين رئيسهم كنون بن عبدالعزيز[5]، ومن أهم شروطه:

---

(١) استمر العمل بهذه المعاهدة حتى قيام الدولة المملوكة الأولى فى مصر، وعندها تأخذ العلاقات بين المسلمين والنوبيين شكلا آخر سنتعرض لذكره فيما بعد، وهو الدور الذى سيؤدى إلى سقوط المملكة المسيحية الشمالية (مقرّة).

(٢) أطلق المؤلفون العرب هذا الاسم على الشعوب الحامية التى تسكن الصحراء الشرقية ما بين النيل والبحر الأحمر، وتمتد أوطانهم من جنوبى مصر فى الشمال إلى حدود الحبشة فى الجنوب، وهم ما يعرفون الآن باسم البشاريين والهدندوة والامرار وبنى عامر. وآثرنا أن نتعرض للحديث عنهم هنا لارتباط تاريخهم بتاريخ جيرانهم النوبيين، وأن التسرب العربى جنوبى مصر لم يشمل النوبة فقط بل أرض البجة كذلك. وتحدث اليعقوبى عنهم وعما سماه ممالكهم، فى كتابه: تاريخ اليعقوبى، جـ١، ص٢١٧ ـ ٢١٩.

(٣) ابن عبدالحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص١٨٩.

(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٥) المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص١٩٥.

١ـ أن تكون بلاد البجة من حد أسوان إلى حد ما بين دهلك (مصوع) وباضع (جزيرة الريح) ملكا للخليفة ، وأن كنون بن عبدالعزيز وأهل بلده عبيد لأمير المؤمنين على أن يبقى كنون ملكا عليهم.

٢ـ أن يؤدى ملك البجة الخراج كل عام مائة من الإبل أو ٣٠٠ دينار لبيت المال.

٣ـ أن يحترم البجة الإسلام ولا يذكروه بسوء، وألا يقتلوا مسلما أو ذميا حرا أو عبدا فى أرض البجة أو فى مصر أو النوبة، وألا يعينوا أحدا على المسلمين.

٤ـ إذا دخل أحد من المسلمين فى بلادهم للتجارة أو الإقامة، أو مجتازا للحج، فهو آمن لآخر حدهم.

٥ـ إذا دخل البجه صعيد مصر مجتازين، أو تجارا لا يظهرون سلاحا ولا يدخلون المدائن والقرى.

٦ـ ألا يهدموا شيئا من المساجد التى ابتناها المسلمون بصيحة وهجر.

٧ـ وعلى كنون أن يدخل عمال أمير المؤمنين بلاد البجه لقبض صدقات من أسلم من البجه.

وفى رواية لابن حوقل أن أفرادا من البجه «أسلموا إسلام تكليف وضبطوا بعض شرائط الإسلام وظاهروا بالشهادتين ودانوا ببعض الفرائض»(١) ولهذا سامحهم عبدالله بن سعد ولم يحاربهم.

وفى نهاية القرن السابع الميلادى عبرت جماعة من عرب هوازن البحر الأحمر واستقرت فى أرض البجه حيث عرفوا باسم الحلانقة، ثم انتقلت إلى منطقة تاكة. ويرى بول أن هؤلاء الحلانقة كانوا أول من استقر من العرب المسلمين فى الوطن البجاوى(٢).

ويقال إن جماعات من الأمويين لجأت إلى بلاد البجه في منتصف القرن الثامن الميلادى هربا من مذابح العباسيين، واستقر عدد منهم فى ميناء باضع (جزيرة الريح)(٣). وفضلا عن

(١) ابن حوقل: كتاب صورة الأرض، ص٥٠ ـ ٥١.

(2) Paul, A.: A Hist. of the Beja Tribes of the Sudan, p. 73.

(٣) المسعودى: كتاب التنبيه والاشراف ص٣٠، ويرى بلوس أنه عثر على مقابر هؤلاء الأمويون على طول الطريق الذى سلكوه Bloss, J.F.E.: The Story of Suakin," SNR., XIX., II., 1936., p. 279.

هذا فإن الأبحاث الأركيولوجية أثبتت وجود جاليات إسلامية فى منطقة خور بنت الواقعة على مسافة ٧٠ ميلا غربى سواكن. إذ عثر على شواهد قبور عربية يرجع تاريخها إلى منتصف القرن الثامن الميلادى (٧٦٠م)، ودل البحث الأثرى كذلك على وجود مسجد فى سنكات يرجع تاريخ بنائه إلى عام ٨٣١م[١].

ويرى بلوس Bloss أنه بعد الغزو العربى لمصر هاجرت جماعات عربية على طول الساحل الإفريقى للبحر الأحمر واستقرت فى أرض البجه واختلطت بهم وتزوجت من بناتهم على الرغم من أن موجة الفتوح الإسلامية كانت لا تزال على شدتها على طول ساحل البحر المتوسط[٢].

وفى رواية لابن حوقل أن جماعات من عرب الحوف وخاصة من قيس عيلان قامت بهجوم على البجة لتعديهم على أهل مدينة قفط قبل أن تغزوهم قوات ابن الجهم بحوالى ٣٠ سنة، ولا يبعد أن يكون هؤلاء استقروا فى العلاقى حيث توجد آثارهم. ويضيف ابن حوقل إلى أن بعض الذين اشتركوا فى حملة ابن الجهم ضد البجه آثروا البقاء فى العلاقى حيث بهرتهم معادن الذهب، ثم لحقت بهم ـ فى نفس الوقت ـ جماعات من أهل اليمامة، بسبب ضغط جماعات عربية أخرى.

ولم يكد يمضى أكثر من ست سنوات على حملة ابن الجهم على البجه حتى وفدت جماعات من ربيعة وجهينة سنة ٢٣٨هـ (٨٣٧م) إلى العلاقى بعد أن وصلتها أنباء المعادن التى تحويها تربة هذا الوادى[٣].

ومما لا شك فيه أن هذه الجماعات الإسلامية المختلفة تركت لونا من التأثير فيمن اختلطت بهم من البجه، بل أن بعضهم تخلف فى بلاد البجه وتعلم اللغة البجاوية ليسهل عليه التعامل مع البجاويين والتأثير فيهم. والدليل على ذلك أن زكريا ابن صالح المخزومى من سكان جدة وعبدالله بن إسماعيل القرشى قاما بترجمة عقد ابن الجهم إلى اللغة التبداوية[٤].

* * *

(1) Crawford, O. G.S.: The Stone Tombes of the N. E. Sudan, Kush. No. 2, 1954, p. 86.
Combe, E.T. : "Four Arabic Inscriptions from the Red Sea", SNR, XIII. PP. 288 - 291.
(2) Bloss, J.F.E.: op. cit. p. 278.

(٣) ابن حوقل: كتاب صورة الارض، ص٥٣.
(٤) المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص١٩٦.

وإذا كانت الحملات الحربية التأديبية التي وجهها ولاة مصر ضد البجه أتاحت الفرصة لبعض الجماعات العربية للتعرف على خصائص البيئة البجاوية فاستقرت فيها واختلطت بسكانها فضلا عن وضع هذه الجهات من الناحية الرسمية ضمن النفوذ الإسلامى، فإن ثمة حملات حربية وجهها ولاة مصر المسلمون إلى بلاد النوبة كذلك لمثل هذا الغرض، وكانت هذه أيضا فرصة لبعض الجماعات العربية للاستقرار إلى جوار النوبيين والاختلاط بهم وخاصة فى منطقة النوبة السفلى. وترجع أسباب هذه الحملات الإسلامية نحو النوبة ـ فى الغالب ـ إلى اجبار النوبيين على دفع البقط. على أن ولاة مصر تمسكوا بهذا البقط وشروطه لما فيه من مبررات للاحتكاك والاعتداء لبسط نفوذهم على تلك الجهات، وكانوا من ناحيتهم لا يتأخرون فى مهاجمة النوبة كلما ماطلت أو ساومت فى دفع البقط. وربما كان البقط فى ذاته حملا ثقيلا ضاق به النوبيون ذرعا لما استتبعه من إعداد الرقيق الذى يرسل شخصيا للوالى أو لنائبه فى أسوان، أو إلى الوفد الذى كان يذهب لتسلم العدد الرسمى، فضلا عن حرمان النوبة من أفضل عناصرهم فى الجيش والأرض وذهابه للخدمة فى بلاط الخليفة أو الوالى فى مصر، ولم تخل عملية إعداد الرقيق سنويا من صعوبة لاضطرار النوبيين لشن الإغارات على جيرانهم للحصول على العدد المطلوب أو تعويضه من أبنائهم فيقول البلاذرى[1]، «وقد ادعوا (النوبيون) حديثا أنه ليس يجب عليهم البقط لكل سنة، وأنهم كانوا طولبوا بذلك فى خلافة المهدى، فرفعوا إليه أن هذا البقط مما يأخذون من رقيق أعدائهم فإذا لم يجدوا منه شيئا، عادوا على أولادهم فأعطوا فيه منهم بهذه العدة»، وفى كلتا الحالتين استنزاف قوى النوبيين، ولهذا حاولوا التخلص من هذه التبعية المذلة للدولة الإسلامية.

ومع هذا فإن النوبيين ظلوا يؤدون البقط سنوياً ويدفع لهم ما يقابله من جهاز. وكانوا إذا عجزوا عن دفع البقط يرغمهم ولاة المسلمين القريبون من بلادهم على دفعه بشن الإغارات عليهم، والامتناع عن إخراج الجهاز إليهم حتى إذا كانت أيام الخليفة المعتصم بالله (٨٣٣ ـ ٨٤٣م) وعظيم النوبة وقتذاك زكريا بن يوحنس (يوحنا) أنكر عليه إبنه وولى عهده جورج (قيرقى) بذل الطاعة للمسلمين واستعجزه فيما يدفع، وطلب إليه عصيانهم وشن الحرب عليهم. وامتنع النوبيون فعلا عن إرسال البقط مدة أربعة عشر عاماً واجه النوبيون خلالها ضغطاً حربياً متواصلا من جانب ولاة الصعيد الأقصى. غير أن زكريا رأى أن يوفد ابنه جورج

(١) البلاذرى: فتوح البلدان، ص٣٦٦.

إلى بلاط الخليفة فى بغداد ليعاين بنفسه قوة المسلمين ومدى استعداد النوبة لمقاومتهم «حتى يحاربهم على خبرة» أو يحاول كسب ود المسلمين وعطفهم[(١)]. فشخص جورج إلى بغداد، وأتاحت له هذه الرحلة فرصة التعرف على مدى قوة المسلمين، «فبهره كثرة الجيوش وعظم العمارة» وأدرك ألا طاقة له بمخالفتهم، لاسيما وأن المعتصم أحسن وفادته وأكرمه[(٢)]. وتم الاتفاق[(٣)] على أن يدفع بقط سنة كل ثلاث سنين على ألا ينقص المسلمون ما سبق أن تعهدوا بدفعه من حبوب وثياب وغيرها. ولبى الخليفة طلب ولى عهد النوبة بالإفراج عن المسجونين النوبيين ولم يجبه إلى إزالة المسلحة التى أقامها المسلمون بمدينة القصر[(٤)].

* * *

غير أن البجة عادوا إلى الفتنة، فأغاروا على الصعيد وامتنعوا عن دفع الخراج وقتلوا كثيرا من المسلمين بمناجم الذهب بالعلاقي، وكتب عامل البريد فى مصر إلى الخليفة المتوكل ٢٣٢هـ - ٢٤٧هـ (٨٤٧ - ٦٨١م) فندب لحربهم محمد بن عبدالله القمى سنة ٢٤١هـ (٨٥٤م). وكتب الخليفة إلى واليه على مصر عنبسة بن إسحاق الضبى بأن يمده بالرجال. فسار القمى فى عشرين ألفا من الجند والمتطوعة[(٥)]. وسار إلى أسوان وأتى العلاقى فأخذ من ربيعة ومضر واليمن ثلاثة آلاف رجل من كل بطن ألف رجل»[(٦)]. ووافته المراكب من البحر حاملة المؤن إلى ميناء عيذاب. ولجأ ملك البجه إلى المطاولة لتجويع المسلمين، غير أن القمى لجأ إلى حيلة حربية بارعة[(٧)]، انهزم بسببها البجة، وأثخن فيهم القمى حتى طلب

---

(١) المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٢٠١.

(٢) المقريزى: نفس المصدر، جـ١، ص٢٠١.

(٣) ليس من المعروف تماماً تاريخ هذا الاتفاق، ولكن المقريزى ذكر أنه كان فى عهد المعتصم (٨٣٣ - ٨٤٣م) وورد أيضاً فى كتاب «تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية لساويرس بن المقفع فى حديثه عن حياة البطريرك يوساب البطرك ٥٢ (٨٣٠ - ٨٤٩م) أنظر MacMichael, H.A.: A Hist. of the Arabs in the Sudan, I. d. 164. Note 3.

(٤) المقريزى: نفس المصدر، جـ١، ص٢٠١.

(٥) البلاذرى: فتوح البلدان، ص ٢٣٩.

(٦) ابن حوقل: صورة الأرض. ص٥٣، يدل هذا العدد الذى اشترك فى حملة القمى من ربيعة ومضر واليمن على اتساع أعمال المسلمين فى إقليم المناجم وكثرة عددهم.

(٧) البلاذرى. نفس المصدر، ص ٢٣٩.

ملكهم علي بابا[1] الصلح، على أن يدفع الخراج لما سلف ولما يأتى، وألا يمنعوا المسلمين من العمل فى المعدن. فصالحهم القمى «على أن يطأ على بابا بساط الخليفة فى سر من رأى» حيث أكرمه الخليفة[2].

وعلى الرغم من أن على بابا يظل على دينه ولم يعتنق الإسلام[3]، فإن صلحه مع العرب سنة ٨٥٤م كان تأكيدا لما سبق أن تعاقد عليه العرب والبجه واستغلال مناجم الذهب والزمـــــرد[4]. وبات العرب متمتعين بحماية الدولة الإسلامية وعين عليها وال من قبل الخليفة[5] فاجتذبت هذه المعادن إليها جماعات عربية قامت على استخراجها والاتجار فيها. واحتكر العرب هذه الصناعة[6]. بعد أن دعم ولاة مصر بالتمكين للعرب من استغلال هذه المعادن مشاطرتهم أرباحها. مما أدى إلى هجرة جماعات كثيرة منهم إلى أرض المعادن بعد أن كشف عن كثير من مناجمها[7]. ولا ريب فى أن الحملات الحربية التى وجهها العرب إلى أرض البجه أتاحت الفرصة لكثير من الجماعات العربية للتخلف والاستقرار فيها للمشاركة فى خيراتها بعد أن راجت سوقها[8].

ازداد إقبال العرب إذن على أرض المعادن وغيرها منذ عهد الخليفة المعتصم (٨٣٣-

---

(١) يبدو من اسم هذا الملك أنه ينسب إلى أصل عربى اللهم إلا إذا كان لفظ على بابا تحريفاً لاسم أو لباب البجاوى. Sanders, G. E. R: "The Bisharin," SNR., XVI., part II. 1933. p. 124.

(٢) البلاذرى: نفس المصدر، ص ٢٣٩.

(٣) البلاذرى نفس المصدر، ص٢٣٩.

(٤) كان لوجود معدنى الذهب والزمرد أثر كبير فى اجتذاب القبائل العربية المختلفة إلى أرض البجه والاختلاط بهم. ووصف كثير من المؤرخين العرب هذه المعادن وأماكنها فى الصحراء الشرقية وطرق استخراجها.

(٥) ابن حوقل. كتاب صورة الأرض، ص٥٤.

(٦) المقريزى: للوعظ والاعتبار، جـ١، ص ١٩٤.

(٧) المقريزى: نفس المصدر، جـ١، ص١٩٦.

(٨) زاد الإقبال على هذه المعادن وخاصة الذهب والزمرد بسبب ما طرأ على أحوال الدولة الإسلامية العامة من تحول من حياة البساطة إلى حياة الترف والرفاهية. فظهر البلاط الخليفى بمظهر العظمة، وبنى الخلفاء قصوراً فخمة أثثوها بأفخم الرياش. وشاركهم فى هذا الولاة والأمراء وبعض ذوى اليسار من المسلمين. وأن ثروة الفاطميين وكنوزهم وخاصة ما ظهر منها فى عهد المستنصر بالله الفاطمي لدليل واضح على مدى ما علقته الدولة من أهمية لاستخراج هذه المعادن لتزيين بلاطهم وقصورهم.

٨٤٢م)، لأن الخليفة استكثر من الجند الأتراك وأثبتهم فى الديوان وأمر واليه فى مصر كيدر بن نصر الصَّفْدى بإسقاط من فى ديوان مصر من العرب وقطع العطاء عنهم[١]. وأدى هذا القرار الخطير إلى تمردات عربية ضد الوالى وانتهت بأسر زعماء العرب[٢]. ومنذ عزل عنبسة بن إسحاق فى عهد المتوكل (٨٤٧ ـ ٨٦١م) لم يعد حكام مصر يختارون من العرب، بل من الأتراك الذين يكرهونهم ويحقدون عليهم[٣]. وبهذا فقد العرب نفوذهم القديم[٤]. وعانوا ضيقا اقتصاديا شديدا بسبب ما فرض عليهم من أتاوات وضرائب مختلفة ابتدعها ابن المدبر والى الخراج فى مصر من سنة ٨٥٢م إلى سنة ٨٦٧م. وأثارت التدابير المالية الجديدة حفيظة العرب على الأتراك فقاموا بعدة تمردات فى أنحاء مختلفة قمعها الأتراك بعنف وقسوة، وزج بزعمائهم فى السجون، وفرضت عليهم غرامات باهظة[٥].

كان لهذا الضغط السياسى والاقتصادى أسوأ الأثر فى نفوس العرب، وبدأت جماعات كثيرة منهم تسعى للرحيل والهجرة. ولم يكن أمامهم إلا الانسياب جنوبا وغربا بعيداً عن ضغط الأتراك فى مصر[٦]. وحانت لهم هذه الفرصة عقب تأسيس الدولة الطولونية على يد أحمد بن طولون سنة ٨٦٨م حينما أعلن عن إعداد حملة حربية إلى بلاد النوبة وأرض البجه بقيادة أبى عبدالرحمن عبدالله بن عبدالحميد العمرى[٧]، فاشترك فيها كثير من العرب معظمهم من ربيعة وجهينة.

وبهذا تبدأ مرحلة جديدة من مراحل انتشار العرب إلى ما وراء حدود مصر الجنوبية،

(١) المقريزى: نفس المصدر، جـ١، ص ٩٤.

(٢) ابن تغرى بردى. النجوم الزاهرة، جـ٢، ص٢٢٣.

(3) Lane - Pooles S. : op. cit. p. 42.

(٤) المقريزى. نفس المصدر والصفحة. يقول المقريزى «فانقرضت دولة العرب فى مصر وصار جندها العجم من عهد المعتصم إلى أن ولى الأمير أبو العباس أحمد بن طولون فاستكثر من العبيد».

(5) Lane - Poole, S. : op. cit. p. 43.

(6) MacMichael, H. A.: A Hist. of the Arabs in the Sudan. I. p. 166.

(٧) إن شخصية العمرى كانت من أعظم العوامل التى أدت إلى تحويل أنظار العرب إلى جهة الجنوب فى النوبة وأرض البجه حيث استقرت أعداد كبيرة منهم. ولد العمرى فى المدينة المنورة وترعرع فيها، ثم رحل إلى مدينة الفسطاط حيث اشتغل بتدريس الحديث، ثم اتجه بعد ذلك إلى مدينة القيروان، ثم عاد إلى مصر. وهناك وصلته أنباء مناجم الذهب بالنوبه والعلاقى فسال لعابه. وهكذا تحول رجل الدين إلى=

- -

وروادها من أولئك الساخطين على الحكم التركى فى مصر والمغامرين الذين يجرون وراء الثروة حيثما وجدوا إليها سبيلا. ويظهر من رواية المقريزى فى كتابه المقفى الكبير(١). أن هدف هذه الحملة لم يكن مجرد تأديب البجه كما يقول ابن خلدون(٢)، أو تأديب النوبيين كما يزعيم ما كمايكل(٣)، بل كان هدفها الكشف عن مناطق جديدة لمعدن الذهب فى أرض البجه(٤).

تقدم العمرى جنوبا سنة ٨٦٨م متجاوزا العلاقى إلى إقليم شنقير(٥). واهتدى إلى مواقع جديدة للتبر تعرف بالشلة قرب شنقير(٦). وتمكن من الحصول على حق إقامة قواعد على النهر للحصول على المياه الكافية لحياة مستقرة فى هذا الإقليم، بعد تغلبه على قوات جورج الأول ملك القوبة(٧).

غير أن بعض القبائل العربية من بلاد الشام وبخاصة سعد العشيرة وقيس عيلان خرجت على العمرى، بعد أن حصلوا من النوبيين على حق الإقامة الدائمة فى منطقة مريس ما بين أدندان وجبل عدة. فانهزم العمرى وانسحب بقواته شمالا إلى منجم قريب من منطقة

=مغامر كبير. واجتمع إليه كثير من طلاب المعدن، وسار على رأسهم نحو بلاد النوبة وأرض البجه. أنظر المقريزى: المقفى. مخطوط، المجلد الرابع، ص١٦٤ب. وانظر كذلك الملحق الموجود بأخر الكتاب عن «لعنة الحرس».

Quatremére, E. T. :Memoires geog. Hist. sur. l' Egypte..., II. pp. 59 - 80.

(١) المقريزى. المقفى، نفس المصدر والصفحة.

(٢) ابن خلدون. العبر، جـ٤، ص٣٠٢.

(3) MacMichael, H. A. : op. cit. p. 166.

(٤) وفى موضع آخر يقول ماكمايكل MacMichael إن هدفهم البحث عن المعادن والتخلص من الضرائب الثقيلة التى فرضت عليهم.

(٥) منطقة شنقير هى منطقة أبو حمد. وهى المنطقة التى تقع بين بربر ومروى الجديدة أنظر: Crawford, O.G. S. : Fung Kingdom of Sennar p. 26.

(٦) المقريزى: المواعظ والاعتبار، حـ١، ص١٩١. يقول ابن سليم «والنيل ينعطف من هذه النواحى (دنقلة) إلى مطلع الشمس وإلى مغربها مسيرة أيام حتى يصير المصعد كالمنحدر وهى الناحية التى تبلغ العطوف من النيل إلى المعدن المعروف بالشلة. وهو بلد يعرف بشنقير. ومنه خرج العمرى وتغلب على هذه الناحية إلى أن كان أمره ما كان.

(٧) انتهز العمرى فرصة النزاع داخل البيت الملكى النوبى بسبب وراثة العرش وحصل من نيوتى الثائر. على هذا الحق.

مــــريس[١]، واتسعت أعمال العمرى وامتد نفوذه شرقا حتى عيذاب وشمالا إلى أسوان، فكثرت بهم العمارة فى البجه حتى صارت الرواحل التى تحمل الميرة إليهم من أسوان ستين ألف راحلة غير الجلاب التى تحمل من القلزم إلى عيذاب[٢].

ويظهر أن العمرى كان يهدف إلى إقامة إمارة إسلامية تحت زعامته فى هذه المنطقة، بدليل أن ابن طولون شك فى نوايا العمرى نحوه وخشى ازدياد نفوذه فى هذه البلاد فيطمع فى مصر. فأرسل ابن طولون جيشا لمحاربة العمرى بقيادة صباح بن حركام البابكى. غير أن العمرى تغلب عليه وهزمه ولم يكتف بهذا بل تقدم بجيوشه شمالا حتى أدفو سنة ٨٦٩م، لكنه آثر العودة إلى المناجم[٣]، وهناك خرجت عليه قبيلة ربيعة ونشبت الحرب بينها وبين قوات العمرى التى ظلت على ولائها له، وتمكن العمرى من هزيمتها. غير أن العمرى ما لبث أن قتل على يد أحد أفراد قبيلة مضر[٤]. وبهذا انتهت قصة هذا المغامر.

واستقر كثير من عرب ربيعة وجهينة وغيرهم حول أسوان، غير أن الشقاق ما لبث أن دب فى صفوفهم وبدأ صراع عنيف بين هؤلاء جميعا بعد موت العمرى على امتلاك المعادن بالعلاقى، وتمكن فخذ من ربيعة أن يخرج من خالفه من العرب بعد أن استمال إليه البجه «وتصاهروا إلى رؤساء البجه وبذلك كف ضرهم عن المسلمين[٥].

وإذا كان اليعقوبى وهو المؤرخ المعاصر لمعظم هذه الأحداث (٨٧١م) فانه لم يشير إلى أثر هذه الجماعات الإسلاميه المختلفه ـ وهم كثيرون كما قال بأرض البجه[٦] ـ ودورهم فى نصر

(١) المقريزى. المقفى. المجلد الرابع، ص١٦٦ب. يرى دى فيار أن هذا المنجم هو منجم أم جاريات. أنظر De Villard: op. cit. p. 113.

(٢) المقريزى: المقفى. المجلد الرابع، ص ١٦٧أ.

(٣) المقريزى المقفى: المجلد الرابع، ص١٦٦ب. لا نعرف سبب تردد العمرى فى التقدم شمالا إلى الفسطاط رغم أن الطريق كان مفتوحاً أمامه. وربما أحس بقرب وقوع خلاف بين رجاله وبينه فآثر العودة إلى مركز أعماله، وقد تحقق ظنه فخرجت عليه ربيعة وهزمها.

(٤) المصدر السابق، ص١٦٨ أ.

(٥) يبدو من قول ابن سليم أن ربيعة تحايلت على كهان البجه للدعوة بطاعة ربيعة والانضواء تحت لوائها لتتخذ منهم أعواناً ضد مخالفيها من العرب للانفراد بحكم هذه الجهات وإقامة إمارة إسلامية فيها. أنظر المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص١٩٦ ـ ١٩٧.

(٦) اليعقوبى: كتاب البلدان، ص٣٣٤ ـ ٣٣٥. ذكر اليعقوبى مواضع كثيرة بأرض البجه ليس من اليسير تحقيقها. غير أن موضع الأهمية فيما ذكره هو إشارته إلى جماعات عربية إسلامية كثيرة فى مواضع مختلفة بأرض البحه.

الثقافه الإسلاميه بين البجه، فإن أبا الحسن المسعودى الذى زار مصر حوالى ٣٣٢هـ (٩٤٠م) أى بعد حملة العمرى بحوالى سبعين سنة فقط، يتحدث عن الأثر الواضح لهذه الجماعات العربية الإسلامية فى نشر الثقافة الإسلامية فى إقليم البجه وبلاد النوبة كذلك. ويبدو من رواية المسعودى[١] أن الإسلام ظهر وانتشر بعد أن سكن جماعة من المسلمين أرض البجه، وممن سكن مناجم الذهب والعلاقى وعيذاب عرب ربيعة الذين اختلطوا بالبجه وتزوجوا من بناتهم، فاشتد ساعد البجه على من ناوأهم من النوبيين وغيرهم، كما اشتد ساعد ربيعة بالبجه على من خالفها من العرب، وتحالفت ربيعة مع البجه، وكان أميرهم زمن المسعودى أبا مروان بشر ابن إسحق بن ربيعة، الذى بلغ عدد جيشه ثلاثة آلاف فارس من ربيعة وأحلافها من العرب وثلاثين ألف محارب على الإبل من الحدار بة[٢]، وهم المسلمون من سائر البجه. والراجح أن جماعة من عرب ربيعة نجحوا فى وضع أساس أول إمارة عربية إسلامية بالعلاقى بعد أن استمالوا إليهم البجه وجماعات عربية من قبيلتى مضر وتميم فخضع لهم الجميع، ويقول المقريزى «واستولوا على معدن الذهب العلاقى فكثرت أموالهم واتسعت أحوالهم وصارت لهم مرافق ببلاد البجه واختطوا قرية تعرف بالنماس وحفروا بها آبارا»[٣]. ويتحدث المسعودى عن وصول الإسلام جنوبا حتى جزيرة سواكن حيث تسكن جماعة من البجه اعتنقت الإسلام تعرف باسم الخاسّة[٤].

* * *

أما بلاد النوبة فإن حديث المسعودى واضح تمام ولا سيما فيما يتعلق بتسرب بعض

---

(١) المسعودى: مروج الذهب، جـ٣، ص٣٢ ـ ٣٤.

(٢) الحداربة. فى رأى بول Paul,A.: A Hist. of the Beja Tribes p. 64. هم الحضارمة من حضر موت، جاءوا من بلاد العرب فى القرن السادس الميلادى وكانوا وثنيين ثم اعتنقوا المسيحية تشبهاً ببعض البجه. وهاهم يعتنقون الإسلام فى القرن العاشر. ويرى بول أن الحداربة هم البليون الذين أشار إليهم الإدريسى. ومعناها فى لغة البجا العربى Paul, A. : op. cit. 64. ويقول أحد أفراد قبيلة الأمرأر: إن البليون جاءوا أصلا من الحجاز Crawford: op. cit. p. 110. ويقول بول: إنه مما يؤيد صحة نسبهم العربى استعمالهم الحصان الذى يكرهه البجه، ويضيف أنهم اضطروا للهجرة جنوباً ووضعوا أساس مملكة البليون. ويرى كـروفـورد Crawford: op. cit p. 110. أن البلين ربما يرجعون إلى قبيلة بلى التى هاجرت بعض جماعاتها إلى إقليم البجه قبل الإسلام.

(٣) المقريزى: البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ص٤٨.

(٤) نقل المقريزى هذا النص عن المسعودى. المقريزى جـ١، ص١٩٧.

الجماعات العربية من مصر إلى جزئها الشمالي المعروف باسم مريس، وما استتبع هذا التسرب العربي الإسلامي من ظهور بعض الأفكار الجديدة التي لا عهد للنوبيين بها من قبل. فيشير المسعودي[1] إلى أن جماعات من عرب قحطان وربيعة وقريش سكنوا أسوان، ثم أخذوا في التقدم جنوبا في أرض مريس حيث اشتروا أراضي من النوبيين استغلوها لصالحهم، وأثارت هذه الحالة ثائرة بعض ملوك النوبة[2]، وحاولوا تسوية هذه المشكلة وديا، وحجتهم في ذلك هي أن النوبيين عبيد للملك، ولاحق لهم في بيع هذه الأراضي، لأنها ملك خاص للملك ولا أملاك لهم. ولما أحيلت هذه المشكلة إلى حاكم أسوان وشيوخها وأهل العلم بها للفصل فيها لجأ العرب إلى حيلة تحفظ لهم حقوقهم في بلاد النوبة، فأوعزوا إلى النوبيين ألا يعترفوا لملكهم بالرق ففعلوا، ومضى البيع وتأكدت حقوق العرب المادية في أرض مريس، وتوارثوا هذه الأراضي جيلا بعد جيل. ومعنى هذا أن العرب أضحى لهم حق الإقامة الدائمة في هذه الجهات.

غير أن ثمة ظاهرة تستحق الالتفات وهي أن هؤلاء العرب المسلمين كانوا يدفعون خراج هذه الأراضي لملك النوبة المسيحي[3]. ويدل هذا على اعتراف هذه الجماعات العربية بامتداد نفوذ هؤلاء الملوك إلى هذه المنطقة التي يعيشون فيها، وتنظيم العلاقات الاقتصادية بينهم وبين ملوك النوبة[4]. غير أن هذا النفوذ لم يعد أن يكون اسمياً فقط. ذلك أن سكانها من النوبيين أنفسهم أصبحوا أحراراً غير عبيد شأنهم في هذا شأن العرب الأحرار الذين اختلطوا بالنوبيين وتأثروا بهم وأخذوا عنهم بعض أفكارهم ونظمهم الاجتماعية. ولم يعترف لملك النوبة بالعبودية سوى أهل مقرة الأصليين، وهم من يسكنون إلى ما وراء الجنادل الثانية جنوباً وهي المنطقة التي يحرم على العرب الدخول فيها إلا للتجارة «وصارت النوبة أهل مملكة هذا الملك

(١) المسعودي مروج الذهب، جـ٣، ص٤١. انظر ملحق رقم ١١.

(٢) أثيرت هذه المشكلة مرة في عهد الخليفة المأمون ومرة أخرى في عهد المعتصم، وموضع الأهمية هنا أن النوبيين لم يقروا لملكهم بالعبودية في كلتا المرتين.

(٣) لم يسمع عن مثل هذه الحالة في تاريخ العلاقات بين الدولة الإسلامية ورعاياها، وبين الممالك المسيحية أو غيرها من الممالك التي تجاور أرض الدولة الإسلامية.

(٤) تلاحظ أن هذه الحالة التي نشأت عن ابتياع العرب المسلمين أراضي في النوبة تخالف ما جاء في عقد عبدالله بن سعد لملك النوبة سنة ٦٥٢م «ونلاخل بلدكم مجتازين غير مقيمين فيه». غير أن هذه المنطقة المتاخمة لمصر جنوباً لم تقو على الصمود في وجه القبائل العربية التي ازدحم بها إقليم أسوان فبدأوا بالانسياب جنوباً.

في نوعين: نوع ممن وصفنا أحرار غير عبيد، والنوع الآخر من أهل مملكته عبيد وهم من سكن النوبة في غير هذه البلاد المجاورة لأسوان». ومعنى هذا أن حوالى نصف سكان مملكة مقرة، وهم المريسيون لم تعد تربطهم بملكهم تلك الرابطة القديمة القائمة على أساس العبودية والطاعة العمياء له.

لكن هل مارس العرب حقوقهم الاقتصادية في بلاد النوبة من أسوان، أو أنهم انتقلوا إلى بلاد النوبة لاستغلال أملاكهم؟ على الرغم من أن نص المسعودى لا يعطى إجابة صريحة، إلا أن ابن سليم (٩٧٥م) يشير في صدد حديثه عن النوبة أن المنطقة من أسوان حتى الشلال الثاني هي الجهة التي يتصرف فيها المسلمون ولهم فيها أملاك[١]. هذا وتؤيد الأبحاث الأثرية في منطقة مريس وجود جاليات عربية إسلامية مستقرة في هذه المنطقة. ذلك أنه عثر في غير قليل من الأماكن بأرض مريس على كثير من الكتابات العربية يرجع تاريخ أقدمها إلى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) وتدل كثرة شواهد القبور المكتوبة بالخط العربي وتحمل أسماء عربية في كل من تافه (٢١٧هـ ـ ٨٣٢م) وفي كلابشة (٣١٧هـ ـ ٩٢٩م) على حياة هادئة مطمئنة لجاليات عربية إسلامية في بلاد مريس[٢]. ويرى دى فيـــار أن تنقل الجماعات العربية المختلفة بين منطقة مريس وأرض البجه كان أمراً مألوفاً، بدليل وجود كتابات عربية بالخط الكوفي على جدران قلعتين من دير يهيب بالقرب من منجم للذهب في هذه المنطقة. ويرجع تاريخ هذه الكتابات إلى القرن العاشر الميلادى (٩٨٢ ـ ٩٨٣م)، فضلا عن كتابات أخرى في نيزارى على بعد ٣٠ كيلو مترا جنوبي دير يهيب. ويرجع تاريخها إلى هذا العهد كذلك[٣].

لا شك أن اختلاط هذه الجماعات العربية المهاجرة بالعناصر النوبية والبجاوية، أدى إلى تأثرهم بالدماء العربية التي كانت تتجدد باستمرار مع توالى وصول عناصر عربية جديدة إلى هذه الجهات، بسبب اضطراب بعض أجزاء العالم الإسلامي وقيام الفتن والثورات. ولم تسلم مصر ذاتها أواخر عهد الإخشيديين (٩٣٥ ـ ٩٦٩م) من التعرض لأخطار خارجية. فالفاطميون أخذوا يطرقون أبواب مصر من ناحية الغرب بعد أن ثبتوا أقدامهم في بلاد

---

(١) المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ١ ص١٩٠.

(2) De Villard: op. cit. p. 118.

(3) Ibid. : op. cit. p. 115.

المغــرب[1]. وقام النوبيون كعادتهم بإغارة على الواحة الخارجة سنة ٩٥١م وأتبعوها بحملة أخرى على أسوان سنة ٩٥٦م حيث قتل ملك النوبة جمعاً من المسلمين. فخرج إليه محمد بن عبدالله الخازن على عسكر مصر من قبل أنوجور بن الاخشيد (٣٤٥هـ ـ ٩٥٧م) فهزم النوبيين وتقدم جنوبا حتى إبريم وسبى كثيرا من أهلها وقدم بهم إلى مصر[2]. بيــد أن هذه الهزيمة لم تضع حدا لهجمات النوبيين على حدود مصر من ناحية الجنوب فتجددت إغاراتهم على صعيد مصر زمن كافور، وتقدموا شمالا حتى إدفو منتهزين فرصة اضطراب الأحوال فى مصر، وقيام المجاعة فيها بسبب انخفاض مياه النيل وتعرضها من الشرق لتهديد القرامطة[3].

وليس من المستبعد أن تكون هذه الإغارات النوبية نتيجة لدعاية فاطمية واسعة. الغرض منها إضعاف الإدارة المصرية وشغلها فى أكثر من جهة حتى لا تركز جهودها ضد الزحف الفاطمى من الغرب[4]. ويظهر أن ملك النوبة امتنع عن دفع البقط.

* * *

ثم تأسست الدولة الفاطمية فى مصر سنة ٩٦٩م فأرسل جوهر الصقلى قائد الخليفة المعز لدين الله الفاطمى، أحمد بن سُلَيْم الأسوانى مبعوثا إلى جورج الثانى ملك النوبة، يطلب إليه دفع البـقط[5]. ولابد أن الملك جورج شعر بالوضع الجديد فى مصر بقيام الدولة الفاطمية، فعاد إلى دفع البقط. أما ما يقال من أن جوهرا دعا ملك النوبة إلى اعتناق الإسلام فيرجحه أن الدولة الفاطمية قامت على مبدأ الدعاية والتوسع، وليس من غير المحتمل أن يكون جوهر فكر فى هذه الناحية من النوبة وفى أن يمتد الإسلام إليها على المذهب الشيعى.

وعلى الرغم من أن الملك جورج لم يقبل دعوة جوهر، وكذلك على الرغم مما سبق هذا من اضطراب العلاقات النوبية المصرية أواخر عهد الإخشيديين، فقد ازداد رسوخ قدم

(1) Lane Poole: op. cit. p. 8

(٢) المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص ١٩٨.

(٣) المقريزى: نفس المصدر، ص ٣٢٩ أنظر:

Lane Poole: op. cit. p. 88.

(٤) يحيى بن سعيد: المغرب فى حلى المغرب، ص٧٤.

Quatremére: op. cit. p. 81.

(٥) المقريزى: المقفى، المجلد الرابع، ص٢٢٧أ.

Lane poole: op. cit p. 185.

الجماعات المسلمة ببلاد النوبة السفلى. فيذكر ابن سليم: أن المسلمين يتمتعون بكامل استقلالهم في هذه المنطقة التي استقروا فيها حيث توجد أملاكهم[1]، فضلا عن أن كثيرا من النوبيين أنفسهم اعتنقوا الإسلام رغم جهلهم باللغة العربية[2]. والراجح أن العرب تعلموا لغة النوبيين بعد أن اختلطوا بهم واستطاعوا بذلك نشر ثقافتهم الإسلامية في النوبة[3].

وتدل الأبحاث الأثرية التي قام بها دى فيار في جهة مريس على تأثير هذه الجماعات العربية في النوبيين، إذ أنه عثر في مقابر نوبية على كتابات باللغة القبطية تحمل تأريخا مزدوجا من التقويمين القبطي والهجرى، وترجع معظم هذه الكتابات إلى القرن العاشر الميلادى (٩٠٦ ـ ٩٠٧م). ثم تظهر بعد هذا كتابات من هذا النوع أيضا لا تحمل سوى التأريخ الهجرى، وهي جميعا ترجع إلى نفس هذا القرن[4]. ويتضح كذلك مما جاء في ابن سُلَيم عن مملكة علَوة أن المسلمين يختلفون إليها للتجارة ولابد أن عددهم كان كبيراً بدليل أنه أصبح لهم رباط خاص بهم يأوون إليه[5].

---

(١) المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ١ ص١٩٠.

(٢) المصدر السابق، ص١٩٠، ويقول ابن سليم: «وفيها (مريس) جماعة من المسلمين قاطنون لا يفصح أحدهم «بالعربية». وهؤلاء بطبيعة الحال من النوبيين الذين اعتنقوا الإسلام، وظلوا محافظين على لغتهم النوبية التي لا تزال حية إلى اليوم. والراجح أن اعتناقهم الإسلام سبق تعلمهم للغة العربية.

(٣) يرى الأستاذ محمد عوض: السودان ووادى النيل، أن الجماعات السودانية اعتنقت الإسلام واتصلت بالنسب العربى، ولكنها احتفظت بلغتها الأصلية بعد أن دخلتها ألفاظ ومفردات وتراكيب عربية كثيرة، وهؤلاء هم النوبة والبجا وسكان الجبال في دارفور. وقد كان من سياسة بعض العرب حباً في سهولة نشر الإسلام أن تعلموا لغة البجة مثلا حتى يخالطوا السكان بسرعة ويؤثروا فيهم.

(٤) يدل استعمال التأريخين، ثم التأريخ الهجرى في وثائق نوبية باللغة القبطية على مدى تأثر النوبيين بالثقافة الإسلامية، وعثر على معظم هذه الكتابات في مقبرة ساكينيا بالنوبة السفلى. نشر دى فيار نتائج أبحاثه في مقال خاص عن مقبرة ساكينيا وأشار إليها في كتابه تاريخ النوبة المسيحية.

أنظر: De Villard, : op. cit. p. 119.

(٥) المقريزى: المواعظ، جـ١، ص١٩٣، يقول ابن سليم: «... وهذه الحكاية (عادات أهل علوة وتقاليدهم) صحيحة معروفة مشهورة عند جميع النوبة والعلوة وكل من يطرق ذلك البلد من تجار المسلمين لا يشكون فيه...» وفي موضع اخر: «... ولها (سوبا) رباط فيه جماعة من المسلمين...» وربما كان هذا الرباط بمثابة دار ضيافة يلجأ إليها المسلمون عند مرورهم بمدينة سوبا، أو لوكلائهم التجاريين المستقرين فيها، أنظر أيضاً: MacMichael, H.A. : op. cit. p. 171, Note 6.

ويقول اليعقوبى: البلدان، ص٣٣٥ ـ ٣٣٦: «... ثم مدينة علَوة العظمى التي تسمى سوبا وبها ينزل ملك علَوة، والمسلمون يختلفون إليها...» وسنتعرض في شيء من التفصيل عن النفوذ العربى في علوة في ص ١٠٠٦.

ويتسم عهد الفاطميين في مصر (٩٦٩ ـ ١١٧١م) بقيام علاقات دالة على حسن الجوار والمسالمة بين مصر الفاطمية والنوبة المسيحية. غير أن هذا العهد شهد ميلاد إمارة عربية قوية اتخذت مدينة أسوان مركزاً لها، وامتد نفوذها جنوبا في أرض مريس، وأنشأ هذه الإمارة زعيم من عرب ربيعة اسمه أبو مروان بشر بن إسحق[١]، ثم لم يلبث النزاع أن نشب في العلاقي وعيذاب بين بطون ربيعة ذاتها، وقتل بشر بن إسحق وخلفه على زعامة القبيلة ابن عمه أبو عبدالله محمد بن علي المعروف باسم أبي يزيد بن اسحق. واختلط عرب ربيعة بالنوبيين وتزوجوا من بنات رؤسائهم، فأضحت لهم مصالح مادية في بلادهم، لانتفاعهم بنظام الوراثة المعروف عند النوبيين، وهو توريث ابن البنت أو ابن الأخت.

والراجح أن هذه العشيرة كونت طبقة حاكمة خضع لها النوبيون من أهل مريس الذين يزال عنهم السلطان الفعلي لملك النوبة المسيحي، لاسيما بعد أن تحول معظمهم إلى الإسلام. ثم اعترفت الدولة الفاطمية بهذه الإمارة العربية النوبية، وذلك حين استعان الخليفة الحاكم بأمر الله بأبي المكارم هبة الله أمير ربيعة في القبض على أبي ركوة[٢] الخارج على الدولة الفاطمية وهو يلوذ بالفرار من مصر من ناحية الجنوب[٣]. ونجح أبو المكارم في القبض على أبي ركوة سنة ١٠٠٦م، ولذا كوفيء بلقب كنز الدولة. وتوارث أبناؤه هذا اللقب «ولم تزل الإمارة فيهم وكلهم يعرفون بكنز الدولة»[٤]. وعرف بنو ربيعة ببني كنز[٥]. وقصد الكتاب والشعراء

(١) هاجرت ربيعة إلى مصر حوالي منتصف القرن التاسع الميلادى، وانتشروا في جهات القطر المختلفة، فاستقر فريق منهم حول أسوان، وفريق آخر في العلاقي وعيذاب، وثالث حوالي بلبيس. ونجح فريق العلاقي في وضع نواة إمارة عربية إسلامية في العلاقي رئيسها أبو مروان بشر بن إسحق.

(٢) أبو ركوة هو الوليد بن هشام بن عبدالملك من بني أمية وسمي أبو ركوة لأنه كان يحمل ركوة لوضوئه على عادة الصوفية، ولجأ إلى القيروان ثم اتجه نحو مصر ونزل على ابى قرة في برقة ودعا للثورة ضد الحاكم لظلمه، فتبعه بنو قرة وبايعوه وهزموا والي برقة من قبل الحاكم وملكوها، وانضم إلى أبي ركوة جماعة من كتامة وانتصر على جيوش الحاكم، ووصل إلى أهرام الجيزة، غير أنه هزم في الفيوم لتخلي بني قرة عنه وفر إلى النوبة، فبعث الحاكم في طلبه. أنظر ابن خلدون: نفس المصدر، جـ٤، ص٥٨ ـ ٥٩.

(٣) ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص٧٠.

(٤) عمدت الدولة الفاطمية إلى الألقاب الضخمة تنعم بها على الناس مع باب المكافأة والاعتراف بالخدمات، وتلك عادة نشأت في بعض الدول الإسلامية بشكل واضح منذ أيام البويهيين في بغداد. أنظر المقريزى، البيان والإعراب، ص٥٠؛ وانظر ابن خلدون، نفس المصدر، جـ٥، ٢٨٨. أنظر كذلك MacMichael, H.A. op. cit. p. 150.

(٥) بنو كنز هم الكنوز الحاليون الذين يمتد وطنهم من أسوان في الشمال إلى كرسكو في الجنوب.

أمراء بني كنز ومدحوهم، ومن أولئك الشديد أبو الحسن بن عرام وأبو محمد الحسن بن الزبير[١].

ومن الطبيعي أن يحسب الأيوبيون، الذين خلفوا الفاطميين في حكم مصر سنة ١١٧١م كل حساب لأبناء هذه الإمارة. ويتضح هذا في ثنايا العلاقات بين مصر الأيوبية زمن صلاح الدين والنوبة المسيحية. ذلك أن الجند السودانيين في جيش الخليفة العاضد الفاطمي قاموا بحركة لإقصاء صلاح الدين من الوزارة العاضدية أواخر أيام الفاطميين، فجرد عليهم صلاح الدين حملة بقيادة شجاع الدين البعلبكي سنة ١١٧٢م. ودارت بين الفريقين معارك عنيفة في شوارع القاهرة انهزم بعدها الجند السودانيون إلى الصعيد[٢].

وإذا كان كنز الدولة اشترك مع قائد صلاح الدين في القضاء على حركة المتمردين السودانيين، فإن ولاء بني كنز لم يلبث أن تحول ضد صلاح الدين. ففي سنة ١١٧٢ - ١١٧٣م أرسل صلاح الدين أخاه توران شاه على رأس حملة لغزو النوبة. وربما كان أحد أهداف هذه الحملة الامعان في القضاء على نفوذ بني كنز، ظنا من صلاح الدين «أنهم شيعة للعلوية بمصر»[٣] غير أن هناك من المؤرخين من يرى أن صلاح الدين رغب في فتح النوبة لتكون موئلا له ولأسرته إذا هاجمه نور الدين في مصر[٤]. وربما كان صلاح الدين يفكر في إيجاد بعض المكملات الاقتصادية لمشروع الاستقلال بمصر. أو ربما كان لهذه الحملة دوافع أخرى تتصل بمشروع غزو اليمن، إذ أن صلاح الدين أراد أن تكون طريقا قريبا لبلاد اليمن، وتوغل توران شاه في بلاد النوبة حتى إبريم. غير أن تقرير توران شاه إلى صلاح الدين جاء مخيبا لذلك المشروع[٥].

---

(١) المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص١٩٨.

(2) Lane Poole: op, cit. p. 192.

(٣) يزعم ابن خلدون، نفس المصدر، جـ٥، ص٢٨٨ - أن بني كنز شيعة للفاطميين، وربما فسر ابن خلدون قيام علاقات طيبة بينهم وبين الفاطمين منذ عهد الحاكم الذي منحهم الألقاب الضخمة أنهم شيعة للفاطميين. غير أن استعداد بني كنز للتعاون مع صلاح الدين أوائل عهده لا يؤيد ما ذهب إليه ابن خلدون، وأن خروجهم عليه فيما بعد لم يكن بسبب تشيعهم للفاطميين بل لرغبتهم في الاحتفاظ بنفوذهم في إقليم أسوان. ذلك النفوذ الذي أراد صلاح الدين الانتقاص منه.

(٤) ابن خلدون: نفس المصدر، ص٢٨٦، العمري: مسالك الأبصار مخطوط، جـ٢، ورقة ٤٩٢.

(5) Lane Poole: op. cit. p. 197.

وإذا كانت أنباء هذه الحملة ليس فيها ما يدل على قيام توران شاه بعمل عدائى ضد كنز الدولة، فالمعروف أن صلاح الدين أقطع هذا الاقليم إلى أحد أمرائه وهو أخو أبى الهيجاء السمين. ولهذا ثار كنز الدولة على صلاح الدين وجمع جيشا من النوبيين والعرب وهجم على أخى أبى الهيجاء وقتله[١]. والراجح أن كنز الدولة كان على اتصال ببقايا العناصر العاملة على إعادة الدولة الفاطمية، فدعا للأمير دواد بن العاضد[٢]. غير أن هذه المحاولة لم تنجح واستطاع صلاح الدين القضاء على هذه العناصر الثائرة فى مصر وأرسل أخاه الملك العادل على رأس جيش هزم كنز الدولة وقبض عليه وقتله[٣]. وأدت هذه الهزيمة إلى رحيل بنى كنز عن أسوان[٤]، فلم تعد مركز إمارتهم، بل نقلوا مركز نشاطهم إلى الجنوب فى بلاد مريس واندمجوا اندماجا تاما فى سكانها[٥].

* * *

ويفسر خروج النوبيين فى مصر على صلاح الدين حقيقة لا سبيل إلى تجاهلها. ذلك أن صلاح الدين عزف عن استخدام النوبيين فى الجيش الأيوبى، واستبدلهم بعناصر شمالية، كردية وتركية وديلمية. ولهذا قام النوبيون بعدة محاولات لإعادة سلطان الفاطميين ليستردوا مركزهم الذى كان لهم فى الجيش الفاطمى، غير أن موضع الأهمية هنا ليس تذمر النوبيين من النظام الجديد، بل إن وجود أعداد ضخمة منهم فى مصر فى هذا الوقت هو الظاهرة التى تسترعى الالتفات، وقد يكون لها ثمة أثر فى ضعف النوبة المسيحية واضمحلالها. فمنذ أن فقد العرب سلطانهم القديم فى الدولة الإسلامية على أيام المعتصم بالله، بدأ الولاة فى مصر يستخدمون عناصر غير عربية فى الجيش. وكان ابن طولون أول من استخدم السودانيين فى الجيش الطولونى. وبلغت عدتهم ٤٠ ألف سودانى[٦]، وهو عدد لا يستهان به، وأقطعهم

---

(١) ابن خلدون نفس المصدر، جـ٥، ص٢٨٨.

(٢) المقريزى: البيان والإعراب، ص٥٠.

(3) MacMichael H.A. : op. cit. p. 177.

(٤) المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص١٩٨.

(٥) سنرى فيما بعد كيف أصبحت هذه الإمارة الإسلامية قوة ذات خطر فى بلاد النوبة ابتداء من منتصف القرن الثالث عشر الميلادى.

(٦) المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٩٤.

إقطاعاً خاصاً عرف باسمهم[1]. وبلغ من كثرة عددهم حداً استوجب معه تعيين حاجب خاص لصرف جراياتهم[2]. لكن كيف حصل ابن طولون على هؤلاء النوبيين للعمل في جيشه؟ يقول المقريزى إنه حصل عليهم بطريق الشراء[3]. ولو صح هذا فإن بلاد النوبة تعرضت لحملات عنيفة من جانب تجار الرقيق وخاطفيهم[4].

وبهذا يمكننا أن نخرج باستنتاج مطمئن وهو أن من ضمن عوامل اضمحلال ممالك النوبة ما يمكن أن نسميه تبادل في الجماعات والثقافات[5] بين مصر الإسلامية والنوبة المسيحية. فخرج من النوبة جماعات نوبية مسيحية التحقت بجيش مصر. ولفظت مصر بعض عناصر الشغب فيها - في نظر ولاتها الأتراك - وهم جميعاً من العرب المسلمين فانسابوا إلى النوبة. ثم أخذ هؤلاء يؤثرون تأثيراً بشرياً وثقافياً فيما تبقى لدى النوبة من عناصر نوبية مستقرة، على حين أن هذه العناصر النوبية النازحة إلى مصر لابد أن تكون تحولت إلى الإسلام، بدليل ما تردد في بعض المراجع من «شكوى أهل مصر من ضيق المسجد الجامع يوم الجمعة بالجند السودانيين»[6].

ولم تتوقف عملية جلب النوبيين للخدمة في الجيش المصرى بعد وفاة ابن طولون، بل استمرت في جيش الإخشيديين وخاصة في عهد كافور[7] النوبى. ثم ازدادت أعدادهم في عهد الفاطميين لا سيما في عهد المستنصر بالله، وشجعت أم المستنصر وهى سودانية الأصل

---

(١) المصدر السابق، ص٣١٥: «... ثم قطعت القطائع وسميت كل قطيعة باسم من يسكنها فكانت للنوبة قطيعة مفردة تعرف بهم».

(٢) المصدر السابق ص ٣١٥.

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة.

(4) Walkely, C.E. J.: "The Story of Khartoum," SNR. XIII. part II. p. 224.

(٥) لم يكن التبادل هنا عملية مقصودة ومرتبة، بل هو محض الصدفة. ثم أن الأثر الإسلامى كان هو الغالب على هذا التبادل، سواء في النوبة ذاتها أو مصر. ولم يتأثر المسلمون بالنوبيين إلا قليلا فيما سنشير إليه من تسرب بعض العادات القديمة إلى المسلمين بعد أن يتم تحويل النوبيين جميعاً إلى الإسلام.

(٦) المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٣٢٠، يقول المقريزى: «وشكا أهل مصر إلى ابن طولون ضيق المسجد الجامع يوم الجمعة بجنده وسودانه. فأمر ببناء المسجد الجامع بجبل يشكر».

(٧) المصدر السابق، ص٩٤:

على جلب أبناء جلدتها، وبلغت عدتهم حسب رواية ابن ميسر ٥٠ ألفا[١]. هذا فضلا عن طوائف سودانية (نوبية) كثيرة اتخذت أسماءخاصة وسكنت حارات خاصة بها كذلك[٢]. وشارك أولئك النوبيون فى حوادث الدولة الفاطمية، فاستعان بهم الحاكم فى القضاء على الثورات[٣] واستعانت بهم أم المستنصر بالله على الأتراك[٤]. وتدخلت فئاتهم فى النزاع الذى نشب بين الخليفة الحافظ وابنه الأمير الحسن بسبب الخلاف على ولاية العهد[٥]. هذا وكان للنوبيات دور هام فى الحياة المصرية. فكثيرات منهن تخصصن فى تربية أولاد السلاطين وتنظيم الأفراح والأعياد وترتيب شئون الحريم السلطانى[٦].

* * *

ومما لا شك فيه أن العناصر النوبية النازحة إلى مصر لم يقتصر دورها فى الحياة المصرية على ما سبقت الإشارة إليه من الانخراط فى صفوف الجيش المصرى أو ممارسة الأعمال الحرة فى أحيائهم الكثيرة المنتشرة فى القاهرة، أو العمل فى بيوت السلاطين والأمراء، بل قدر لبعض فئاتهم أن يشارك مشاركة إيجابية فى الحياة العربية الإسلامية فى مصر قبل أن ينتشر الإسلام فى بلادهم[٧]. فتشير المراجع العربية إلى بعض شخصيات نوبية ممن اشتغل بالعلوم الدينية والفقهية مثل يزيد بن أبى حبيب، أو ممن سلك طريق التصوف مثل ذى النون المصرى النوبى الأصل وتحية النوبية.

---

(١) المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٢) المصدر السابق ص ٣٦٤. ومن هذه الطوائف الريحانية وسكن فريق منهم حارة بهاء الدين (داخل باب الفتوح) وفريق آخر بالحسينية، وطائفة المنصورة وسكنت حارة تعرف بهذا الاسم (قرب بركة الفيل، خارج باب زويلة) وطائفة الفرجية والوزيرية وغيرها. وقد اتسعت أحوالها جميعاً.

(3) Lane Poole: op. cit p. 132.

(٤) المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٣٣٥.
أنظر: Lane Poole: op. cit. p. 145.

(٥) المصدر السابق، جـ٢، ص١٧ ـ ١٨ أنظر:
Lane Poole: op. cit. p. 168.

(٦) المصدر السابق: جـ٢، ص١١٦.

(٧) عبدالمجيد عابدين: الهجرات بين السودان والبلاد العربية، ص٥٧.

أما يزيد بن أبى حبيب، فأبوه أبو حبيب، وأسمه سويد، كان من سبى النوبة الذين أسرهم العرب فى حملتهم الثانية على النوبة سنة ٦٥٢م. وقد أفادت ابنه يزيد صلته بعدد من الصحابة الذين شهدوا فتح مصر وتابعيهم، فى أن أصبح محدثا ومؤرخا وفقيها كذلك. وتتلمذ على يديه عدد من التلاميذ أضحوا من أشهر فقهاء مصر الأوائل منهم: الليث بن سعد وعبدالله بن لهيعة.

أما أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم الملقب بذى النون المصرى فأصله من النوبة، ونشأ فى مصر فى القرن الثانى للهجرة. وقد تلقى الموطأ عن بعض أصحاب مالك بن أنس حين خرج إلى الحجاز حاجا. ولما عاد ذو النون إلى مصر مال إلى حياة الزهد والتصوف(١).

سقوط مملكة مقرة المسيحية

انتشار الاسلام والعرب فيها

ازدياد النفوذ المملوكى على ساحل البحر الأحمر الأفريقى ■ الحملات المملوكية على النوبة، حملتا بيبرس، أسبابهما ونتائجهما ■ النزاع بين أفراد البيت الملكى النوبى ■ حملات قلاوون على النوبة؛ أسبابها. النزاع بين ملوك مقرة وملوك علوة ■ أول ملك نوبى مسلم. ظهور بنى كنز وازدياد نفوذهم ■ انتشار الإسلام وأثر العرب فيه ■ سقوط مملكة النوبة المسيحية الشمالية ■ بعض الآراء فى عوامل سقوطها، مناقشة رأى ابن خلدون ■ أحوال بلاد النوبة الداخلية بعد سقوط المملكة المسيحة.

* * *

لا شك أن استقرار بعض الجماعات العربية فى إقليم العتباى، واستغلال مناجم الذهب بالعلاقى، بعث نوعاً من النشاط التجارى فى هذه المنطقة. ويشير بعض جغرافى القرن العاشر الميلادى ومنهم ابن حوقل إلى أن عيذاب كانت ميناء للذهب(٢). وذاعت شهرة عيذاب منذ القرن الثانى عشر الميلادى، بعد تحول قوافل الحجاج من مصر وبلاد المغرب، عن طريق سيناء إلى الصعيد الأعلى (قوص) فعيذاب، بسبب الحركات الصليبية على سواحل الشام وفلسطين،

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٢، ص٢٨٠ ـ ٢٨٣.

(2) Murray, G. W: "Aidhab," GJ. p. 235.

وقيام الإمارات الصليبية بها. وبلغت عيذاب ذروة مجدها وشهرتها حينما وصلتها كذلك سفن من اليمن والهند حاملة الأخشاب والتوابل. وبهذا أضحت صحراء عيذاب «عامرة آهلة بما يصدر أو يرد من قوافل الحجاج والتجار»[١]. وغدت عيذاب ميناء مصر الرئيسى على البحر الأحمر منذ أواخر الدولة الفاطمية إلى أوائل دولة المماليك الثانية[٢]. وبلغ من أهميتها أن أشرفت عليها إدارة مصرية، فعينت الدولة المملوكية - إلى جانب واليها الحدربى - واليا مصريا وقاضياً مصرياً كذلك[٣].

لفتت شهرة عيذاب أنظار الصليبيين، فحاولوا توجيه الضربات إليها، لقطع الطريق على الحجاج المسلمين من ناحية، والقضاء على مركزها التجارى من ناحية أخرى. وعلى الرغم من فشل الحملة الصليبية بقيادة أرناط ضد الأماكن المقدسة الإسلامية فى الحجاز سنة ١١٨٢، فإن سفن هذه الحملة حطمت ست عشرة سفينة للمسلمين فى عيذاب[٤]. غير أن هذا الهجوم الصليبى لفت الأنظار إلى أهمية عيذاب، فازداد اهتمام سلاطين الأيوبيين والمماليك بها كلما ازدادت التجارة المصرية فى البحر الأحمر.

ويتضح اهتمام سلاطين المماليك بتجارة البحر الأحمر وساحله الأفريقى من علاقات الدولة

(١) المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٢٠٢.

(٢) المقريزى: نفس المصدر، ص٢٠٢، يقول المقريزى عن عيذاب «فلم تزل مسلكا للحجاج فى ذهابهم وإيابهم زيادة على مائتى سنة، من أعوام بضع وخمسين وأربعمائة إلى أعوام بضع وستين وستمائة، وذلك منذ كانت الشدة العظمى أيام الخليفة المستنصر بالله أبى تميم معد بن الظاهر وانقطاع الحج فى البر، إلى أن كسا السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الكعبة وعمل لها مفتاحاً، ثم أخرج قافلة الحجاج من البر فى سنة ست وستين وستمائة، فقل سلوك الحجاج لهذه الصحراء، واستمرت بضائع التجار تحمل من عيذاب إلى قوص حتى بطل ذلك سنة ست وستين وسبعمائة». أى أنها ظلت ميناء للتجارة وطريقاً للحجاج كذلك منذ حوالى ١٠٥٨م إلى ١٣٠٠م - ثم أضحت فى خدمة التجارة حتى خربها السلطان برسباى سنة ١٤٢١م أنظر: Leo Africanus: The Hist. and Desc. of Africa III, p. 837.

(3) Bloss, J. F.E. "The Story of Swakin," SNR., II., p. 280. وانظر:
Paul, A. : "Aidhab: A Medieval Sea Port" SNR., XXXVI, Part, I, 1955. p. 66.

(4)Newbold, D.: "The Crusades in the Red Sea and the Sudan", SNR, XXVIII. part I, p. 220 - 6.

المملوكية بميناء سواكن المطل على ممالك النوبة المسيحية. ففي سنة ٦٦٢هـ (١٢٦٤م) احتج السلطان بيبرس إلى كل من صاحب سواكن وصاحب جزر دهلك[١]، لتعرضهما لأموال المتوفين من التجار المصريين[٢]. والراجح أن متملك سواكن لم يستجب للاحتجاج المملوكي، ولم يكد يمضي عام وبعض عام، حتى بعث والي قوص ـ تنفيذاً لأمر السلطان بيبرس ـ حملة حربية لتأديب صاحب سواكن سنة ٦٦٤هـ (١٢٦٥م). ومن نتائج هذه الحملة، انهيار نفوذ صاحب سواكن وفراره واستقرار حامية مملوكية بسواكن نفسها[٣]، فضلا عن فرض أموال الزكاة على سكانها لحساب الدولة المملوكية[٤] وهي الأموال التي أشرف على جمعها والي عيذاب وقاضيها.

ويرى البعض أنه كان لسقوط سواكن في يد مصر، مغزى سياسي بعيد الأثر على ممالك النوبة المسيحية. لأنه أدى إلى إحكام الرقابة والسيطرة الإسلامية على الساحل الإفريقي للبحر الأحمر، مع التهديد المباشر لمعاقل المسيحية في النوبة[٥].

ويبدو أن هذه السيطرة المملوكية الجديدة على المنفذ البحري لممالك النوبة المسيحية، أدت إلى قلق حكامها، فبدأوا يحسون بما نزل بمصالحهم الاقتصادية من أضرار، فضلا عن عزلهم عن العالم الخارجي، ولا سيما الأراضي المقدسة بفلسطين[٦]. وربما كان هذا هو الدافع للنوبيين للإغارة على أطراف مصر الجنوبية سنة ٦٧١ هـ (١٢٧٢م) في السنة العاشرة من عهد بيبرس.

ذلك أن داود ملك النوبة أغار على ثغر عيذاب ونهب متاجرها وقتل عددا كبيرا من أهلها،

---

(١) أكبر الجزر المعروفة بأرخبيل دهلك بالبحر الأحمر، وموقعها قبالة مصوع ـ أنظر المقريزي كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك (نشر الدكتور محمد مصطفى زيادة) جـ١، القسم الثاني، ص٥٠٦، حاشية رقم ١.
(٢) المصدر السابق: نفس الصفحة.
(٣) المصدر السابق: ص٥٥٠.
(٤) المصدر السابق: ص٥٥٨. ويتضح من هذا أن المسلمين كثر عددهم في سواكن إلى درجة أوجبت على السلطان استخراج الزكاة منهم.
(٥) صلاح الدين الشامي ـ التوجيه البحري للسودان وأثره في طرق التجارة والمواصلات، ص١٢٦. رسالة لم تنشر.
(6) Crowfoot, J. W. : Christian Nubia, J. E. A. : XIII., pp. 148 - 149.
Kraus: op. cit, p. 1.

من بينهم الوالي والقاضى، ثم أغار داود على مدينة أسوان، وخرب عددا من السواقى، وأسر كثيرا من الأسوانيين وسخرهم فى بناء كنيسة سوس (المسيح) بدنقلة[1].

وثمة رأى[2] فى أسباب حركة الملك داود ضد عيذاب وأسوان، وهو أن النوبيين تأثروا بما أصاب الأقباط فى مصر من بعض حوادث اضطهاد. ولو صح هذا فإن الأقباط تعرضوا لموجة من الاضطهاد على عهد السلطان بيبرس، لا تهامهم بحرق بعض أحياء القاهرة سنة ٦٦٣هـ (١٢٦٤م)[3]. ولا يبعد أن يكون هذا أحد الأسباب التى أدت إلى حركة دواد ضد عيذاب وأسوان وسكانهما.

وكيفما كان الأمر فإن السلطان بيبرس أرسل حملة بقيادة والي قوص سنة ٦٧١ (١٢٧٣ ـ ١٢٧٣م) لغزو النوبة. ووصلت الحملة المملوكية فى تقدمها جنوبا إلى دنقلة. غير أنها لم تستطع الظفر بداود، فعادت بعدد من الأسرى إلى القاهرة ومن بينهم صاحب الجبل[4].

غير أن هذه الحملة كانت ضئيلة. ويبدو أن بيبرس أرسلها وفى نيته أن يجهز غيرها. وسنحت الفرصة حين أقبل أحد المطالبين بعرش مقرة ويدعى شكندة إلى القاهرة متظلما من خاله داود لا تنزاعه الملك منه «وكان له دونه»[5]، فصادفت تلك الاستغاثة هوى فى نفس بيبرس، الذى كان موتورا من داود. فجرد السلطان معه جيشا سنة ٦٧٤هـ (١١٧٦م)

(1) Quatremére, Et: "Memoires Geographiques et Historiquea sur I' Egypte et sur Quelques Contrees Vosines II., pp. 96. 149.

(2) Beckett, H. W. : ASN., II., Report 1907 - 8. p. 253.

(٣) المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ٢، ص٨.

(٤) المصدر السابق: جـ١، ص٢٠٢. أطلق المقريزى على هذا الأسير اسم صاحب الخيل. غير أن كتر مير فى ترجمته لهذا النص ذكره باسم صاحب الجبل:

Quatremére: op. cit: p. 96.

(٥) المقريزى: السلوك، جـ١، القسم الثانى، ص٦٢٤. يطلق المقريزى على هذا المدعى اسم مشكذ على حين أن مفضل بن أبى الفضائل، النهج السديد فيما بعد تاريخ ابن العميد، جـ٢، ص٣٩٨ يطلق عليه اسم شكندة، وقال: إنه ابن عم الملك داود. ويطلق عليه ابن خلدون، العبر، جـ٥، ص٤٠٠، اسم مستشكيل ويقول إنه ابن أخى داود. أما القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٥، ص٢٧٧ يطلق عليه اسم مرقشنكز ويقول إنه عم داود. «واستنجده على ابن أخيه (داود)».

بقيادة الأميرين آقسنقر الفارقاني الاستادرا وأيبك الأفرم أمير جاندار[١]. واشتملت الحملة على ثلثمائة فارس وأجناد الولايات وعدد من الرماة ورجال الحراريق والزردخاناة. واشترك فيها عربان الوجه القبلى[٢]. وأوغل الجيش المملوكي في بلاد النوبة. وخرج النوبيون إلى لقائه في ملابس سود يطلقون عليها اسم الدكاديك[٣]، وقاتلوا الجيش المملوكى قتالا عنيفا انتهى بهزيمة النوبيين وفرارهم. واستولى الأفرم على قلعة الدو (الدر) وزحف الفارقاني برا وبحرا لاستئصال ما تبقى من شأفة عناصر المقاومة النوبية، حتى وصل إلى جزائر ميكائيل، قرب الشلال الثاني، وتمكن من اختراق الجنادل بمراكبه. ففر النوبيون إلى الجزر. وحاول صاحب الجبل واسمه قمر الدولة أن يفرّ من وجه المماليك. غير أنه قبض عليه ثم أخلى سبيله على أن يستمر في تبعيته لشكندة. وكُتب له أمان بعد أن حلف لشكندة بالطاعة[٤]. ثم أوغلت الحملة في بلاد النوبة، حتى إذا اقتربت من دنقلة، خرج الملك داود للقائها في جيشه ومعه أخوته وبنو عمه[٥] واشتبك الفريقان في معركة انتهت بفرار داود، وقتل عدد من النوبيين وأسر عدد آخر من بينهم أخ لداود ويدعى سنّكوًا[٦]. ثم عادت الحملة المملوكية إلى دنقلة بعد أن تم إخضاع النوبيين. وتقرر تعيين شكندة ملكا للنوبة بدلا من داود. وتم تتويجه في دنقلة في نفس العام[٧].

ومما يدعو إلى الالتفات هنا، أن هذه الحملة تختلف في طابعها العام عما سبقها من حملات ضد النوبة. فهي ـ على قول ابن الفرات ـ تعتبر فتحا حقيقياً للنوبة[٨]. لأنها وضعت أسسا جديدة للعلاقات بين البلدين، بدليل الشروط الجديدة التي قطعها الملك شكندة على نفسه للسلطنة المملوكية[٩]، ومن هذه الشروط:

(١) المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٢٠٢. ومفضل، نفس المصدر، جـ٢، ص٣٩٨.
(٢) المقريزى ـ المواعظ والاعتبار جـ١، ص٢٠٢.
(٣) المصدر السابق: نفس الصفحة، ومفضل، نفس المصدر، ص٣٩٩.
(٤) المقريزى: نفس المصدر والصحفة. وابن خلدون. نفس المصدر جـ٥، ص٤٠٠.
(٥) مفضل: نفس المصدر، ص٣٩٩.
(٦) النويرى: نهاية الأرب في فنون الأدب، مخطوطة، جـ٢٨، ورقة ١٠٩، والمقريزى، السلوك، جـ١، القسم الثاني، ص٦٣٢.
(٧) المقريزى: السلوك، نفس المصدر، ص١٢٢.
(٨) ابن الفرات: جـ٧، ص٤٥.
(٩) النويرى: نفس المصدر، جـ٢٨، ص٢٥٩ب. المقريزى. نفس المصدر، القسم الثالث، ملحق رقم ٥، مفضل، نفس المصدر، ص٣٩٩.

١ـ أن الملك شكندة أصبح تابعا للسلطان المملوكي، ونائبا عنه في حكم بلاد النوبة.

٢ـ أن يرسل ملك النوبة نصف حصيلة ما يجمعه من بلاد النوبه خالصا للسلطان، فضلا عن عدد من الهدايا، تشتمل على عدد من الفيلة والزرافات الخ.

٣ـ أن يدفع كل فرد من العقلاء البالغين دينارا عينا للسلطان ما بقوا على النصرانية.

٤ـ أن تكون بلاد العلى وبلاد الجبل ملكا خاصا للسلطان.

٥ـ أن يسلم ملك النوبة ما كان لسلفه داود، وأخيه سنكُوا وأقاربه، ومن قتل من عساكره، من المتاع والعقار إلى السلطان.

٦ـ ألا يترك شكندة أحدا من العربان في بلاد النوبة، ومن وجده أرسله للسلطان.

٧ـ أن يطلع ملك النوبة السلطان بكل ما يصل إليه من أخبار.

وتأكدت هذه الشروط جميعا بيمين حلف عليها شكندة[١].

وموضع الأهمية هنا أن مقرة أضحت جزءا من السلطنة المملوكية، وأن السلطان المملوكي أصبح بيده عزل ملوك النوبة وتعيينهم. ثم أن حصيلة البلاد النوبية أصبحت مناصفة بين السلطان والملك النوبي. ولا يعني عدم الإشارة إلى البقط هنا، أن النوبيين توقفوا عن دفعه بل الراجح أن عملية إرسال الرقيق النوبي إلى مصر استمرت بدليل قول المقريزي «والتزم (شكندة) أن يحمل جميع ما لداود ولكل من قتل وأسر من مال ودواب إلى السلطان مع البقط القديم[٢]». ثم أن السلطنة المملوكية طبقت على النوبيين لأول مرة الأسس الإسلامية الخاصة بمعاملة أهل البلاد التي تفتح عنوة. فعرضت الإسلام أو القتال أو الجزية. وأختار الملك النوبي دفع الجزية[٣]. وأصبح النوبيون أهل ذمة. ولهذا أنشأ السلطان بيبرس في مصر ديوانا سماه ديوان النوبة. ومهمته مراقبة جمع الجزية والخراج. وتعيين العمال لذلك[٤]. ثم أن بلاد العلي وبلاد الجبل[٥]، أضحت تابعة تبعية يحتمل أن

---

(١) النويري: نفس المصدر والصفحة، المقريزي نفس المصدر والصفحة. مفضل: نفس المصدر، ص٤٠٠.

(٢) المقريزي: المواعظ والاعتبار جـ١، ص٣٠٢.

(٣) النويري: نفس المصدر، ص٢٥٩ب.

(٤) المقريزي: السلوك، جـ١، القسم الثاني، ص٦٢٣.

(٥) بلاد الجبل هي الجنادل الأولى. والعلا هي التي تليها جنوباً حتى جنوب المحرقة تقريباً وهي التي أطلق=

تكون إقطاعيـة او استغلالية مطلقـة للسلطان، وهى حسبـما ورد فى المراجع تقدر بربع بلاد النوبة[١].

ثم رأى الأميران آقسنقر الفارقاني وأيبك الأفرم، ضرورة تأكيد هذه اليمين التى حلف عليها شكندة بيـمين أخرى تتضـمن ولاءه للسـلطان. وجـاء في هذه اليـمين الثـانيـة «متى ورد عليّ مرسوم السلطان في ليل أو نهار يطلبه (أى شكندة) إلى الأبواب الشريفة يحضر لوقته وساعته، ولا يتأخر بوجه من الوجوه إلا بمقدار ما يدبر ما يحتاج إليه من أمور السفر»[٢].

وكـما هي العادة فى العـصـور الوسطى، فإن نسـخـة ثالثـة لتلك اليـمين حلف عليـهـا أهل النوبة، تعهـدوا فيـها بالطاعـة لملك النوبة، بشـرط ولائه للسلطان، صـاحب السلطة العليـا فى البلاد. ولا طاعة له عليهم إذا خرج على السلطان. وأن يطالعوا السلطان إذا علموا على نائبه (الملك) أمـراً يخـالف المصلحـة. والتـعـهـد للملك بدفع دينار عـينـاً كـجـزية لإرسـالهـا إلى القاهرة[٣].

وعلى هذا أتمت الحملة مهـمتها، بعد أن أطلقت أسرى عيذاب وأسوان. ويقال إن الحملة خربت كنيسة سوس (المسيح) بدنقلة[٤]. وأخذت ما فيها من أدوات ذهبية ونفسية[٥]. ثـم غادرت دنقلة فى ذى الحجة من نفس العام ٦٧٤هـ (١٢٧٦م) إلى القاهرة مـصطـحبة معها عشرين أميراً نوبياً لضمان وفاء النوبيين بالتزاماتهم إزاء السلطنة المملوكية.

ومما يسترعى الإنتباه هنا، ما يتردد فى بعض المراجع بشأن الرقيق الذين غنمهم المماليك، فيقال إنه بلغ من كثرتهم أن بيع الرأس بثلاثة دراهم. ويقول المقريزى إنه «فضل بعد القتل،

=عليها فى العصـر الرومانى اسم Dodekaschoinos ويعنى ذلك إعادة الحقوق القديمة لمصر فى هذه المنطقة والتى ضاعت منها عقب انسحاب القوات الرومانية منها على عهد دقلديانوس.

أنظر: MacMichael, H.A.: A Hist. of the Arabs in the Sudan, I. p. 182.

(١) يرى ما كمايكل Ibid,: op. cit. p. 181 وكذلك Arkell: op. cit. p. 195, أن المقصود بالنوبة هنا هو النوبة الأصلية Nobatia (مريس).

(٢) مفضل: نفس المصدر، ص٤٠٣.

(٣) النويرى: نفس المصدر، جـ٢٨، ص٢٥٩ب.

(٤) المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص٢٠٢.

(٥) المقريزى: السلوك، جـ١، القسم الثانى، ص٦٢٣.

والبيع عشرة آلاف نفس»[1]. ولو صح هذا، فإن هذا العدد يدل على مدى ما تعرضت له بلاد النوبة من الخراب ونقص الرجال والأموال نتيجة لهذه الحملة.

لم تقتصر أهمية هذه الحملة على مقرة فقط، بل ترددت أصداؤها جنوباً، إذ أنها أثارت مخاوف ملك الأبواب وأقنعته بقوة المماليك وخطرهم على بلاده كذلك. يوضح هذا ما تذكره بعض المراجع[2] من أن الملك داود لجأ إلى مملكة الأبواب هرباً من وجه المماليك. غير أن ملكها لم يوافقه، بل قاتله وقبض عليه وأرسله مقيداً إلى القاهرة حيث اعتقل بالقلعة إلى أن مات[3].

وعلى الرغم من المواثيق والعهود التي حصل عليها بيبرس، فإنه ـ فيما يبدو ـ لم يكن مطمئنا تماما إلى إخلاص شكندة له. فيقول صاحب مخطوطة تاريخ قلاون، إن السلطان بيبرس عهد إلى أحد الإسماعيلية الفدائيين ويدعى سلامة، بالتردد على بلاد النوبة لمراقبة أعمال ملكها. ويقال إن سلامة اصطحب معه في إحدى رحلاته إلى النوبة شاباً آخر إسماعيليا. وظل الإثنان يعملان عيوناً للسلطان بيبرس مدة طويلة[4].

وكيفما كان الأمر، فالواضح أن السلطان بيبرس وطد للسيادة المملوكية في النوبة توطيداً تاماً، بدليل أن التقاسيم الإدارية المصرية لم تشتمل على شيء من بلاد النوبة إلا منذ عهد السلطان بيبرس[5]. ومن ضمن هذه التنظيمات إنشاء طريق للبريد يبدأ من قوص، ثم يتشعب شعبتين، إحداهما إلى أسوان والنوبة، والأخرى إلى عيذاب. هذا فضلا عما ورد في شأن أخذ البيعة للملك السعيد بن السلطان بيبرس، وتحليف الناس له بالطاعة. «ولم يتخلف أحد عن اليمين من دنقلة إلى الفرات»[6].

ثم مات شكندة قتيلا سنة ١٢٧٧م، وهي السنة التي توفي فيها السلطان بيبرس. ووثب على عرش النوبة أمير يدعى بِرك. غير أن الطريقة التي وصل بها إلى الحكم عقب قتل شكندة

(١) المصدر السابق: نفس الصفحة.
(٢) ابن خلدون: نفس المصدر، جـ٥، ص٤٠٠. والقلقشندي، نفس المصدر، جـ٥، ص٢٧٧.
(٣) ابن خلدون: نفس المصدر السابق والصفحة.
(٤) مخطوطة تاريخ قلاون، تشريف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور، جـ٢، ص ٣٠٩أ، ٣١٠ف. ويقال إن سلامة من مواليد الأبواب. أي أنه نوبي وربما جاء اختيار السلطان بيبرس له لخبرته بأحوال البلاد.
(5) Stanley Lane - Poole : op. cit. p. 272.
(٦) مفضل: نفس المصدر، ص ٤٥٤.

جعلت السلطان قلاون ـ الذى اعتلى عرش السلطنة المملوكية سنة ١٢٧٩م ـ لا يطمئن إليه. ولا يبعد أن يكون هذا الملك حاول التخلص من السيادة المملوكية. وربما كان هذا هو السبب الذى حرك السلطان قلاون ضده. فيشير صاحب مخطوطة تاريخ قلاون، أن حملة مملوكية ـ لا يذكر تاريخها ـ قادها الأمير سنجر المسرورى المعروف بالخياط، إلى بلاد النوبة. وانتهت هذه الحملة بالقبض على الملك بِرِك وقتله. ثم خلفه على عرش النوبة أمير يدعى سَمامون[١]. ويفسر لنا هذا، أن تعيين ملك للنوبة لابد أن يتم بموافقة السلطان المملوكي.

وبلغ النفوذ المملوكى فى النوبة حداً أقنع ملوك علوة بقوة السلطنة المملوكية، فتقربوا إليها بالهدايا. وبعثوا إلى السلطان قلاون سفراءهم ليعلنوا له ولاءهم وحكموه فيما ينشب بينهم وبين ملك دنقلة من نزاع. ومن ذلك ما ذكره صاحب مخطوطة تاريخ قلاون[٢]. أن نزاعاً نشب بين أدور ملك الأبواب، وملك دنقلة. وأرسل أدور سفراءه إلى السلطان قلاون سنة ٦٨٥هـ (١٢٨٧م)، حاملين إليه هدايا، فيها فيلة وزرافة. وأكد أدور فى رسالته إلى السلطان ولاءه وخضوعه التام، وشكا إليه سوء المعاملة التى يلقاها ملك الأبواب من ملك دنقلة. وعلم سمامون ملك دنقلة بذهاب سفارة ملك الأبواب إلى مصر فبادر هو أيضاً بإرسال سفارة من قبله، لتدافع عن وجهة نظره، ولتشرح أسباب النزاع. ويقال إن هذه السفارة حملت معها إلى السلطان هدية مقدارها مائة وتسعون رأسا من الرقيق، ومائتا بقرة. ولا شك أن اهتمام الملك سمامون بإرسال سفرائه إلى السلطان قلاون مما يدل على السلطة التى صارت للدولة المملوكية على بلاد النوبة.

استمع السلطان قلاون إلى حجج كل من الطرفين. ويبدو أنه لم يقتنع بما أدلى به كل منهما، فأرسل من القاهرة رسولا إلى كل من المملكتين ليحقق مواضع الخلاف فى جوها. فاختار سنجر المقدمى رسولا إلى ملك الأبواب. وملوك بارة، والتاكه، وكدروا، ودنفوا، وآرى، وبفال، والأنج، وكرسه، وهى الممالك التى تتألف منها مملكة علوة وعاصمتها سوبا. ويقال إن الأمير سنجر صحب معه سفراء ملك الأبواب، وأنه سلك معهم جميعا طريق البحر الأحمر

---

(١) مخطوطة تاريخ قلاون: جـ٢، ص ٣١٠أ.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٩٠ب.

أنظر كذلك: Quatremere : op. cit. pp. 100 - 101.

وعـيذاب خشية أن يتعرض لهم رجال ملك دنقلة، إذا هم ذهبوا جنوباً بطريق النيل. واختار السلطان قلاون علم الدين الحصني رسولا إلى ملك دنقلة.

ويبدو أن الرسول الأول، أتم مهمته وعاد مصر. أما الحصني فلا يعرف عن مصيره شئ. ويبدو أنه أنهى مهمته، وأنه عاد إلى القاهرة حيث أقنع السلطان بأن سمامون هو الجانب المعتدى. ويؤيد هذا ما ورد في مخطوطة تاريخ قلاون أيضاً، أنه على الرغم من محاولة الأمير سنجر المقدمي تجنب طريق دنقلة، وهو في طريق عودته إلى مصر فقد قبض عليه جواسيس الملك سمامون، وأراد الملك قتله. غير أن رجال حاشيته ورعاياه ثاروا عليه خوفا من بطش السلطان. وقالوا «أتريد أن تكون سببا في خراب ديارنا، وإحلال المصائب بنا» [1]. وربما كان هذا وحده كفيلا بإقناع السلطان قلاون بسوءنية الملك سمامون نحوه، ورغبته في الخروج عليه كذلك.

وكيفما كان الأمر، فقد أعد السلطان قلاون سنة ٦٨٥ – (١٢٨٧م) حملة حربية كبيرة لغزو النوبة بقيادة الأمير سنجر المسرورى المعروف بالخياط متولي القاهرة، والأمير عز الدين الكوراني. وغادرت هذه الحملة القاهرة في نفس العام. وكتب السلطان إلى الأمير عز الدين أيدمر السيفي السلاح دار متولي قوص بأن يشترك في هذه الحملة بمن تحت يده من المماليك السلطانية، وأجناد مركز قوص، والعربان القاطنين في هذا الإقليم [2]، وهم حسبما جاء في المراجع [3]: أولاد أبي بكر، وأولاد عمر، وأولاد شريف، وأولاد شيبان، وأولاد الكنز، وبنو هلال، فضلا عن طائفة من أجناد الولايات بالوجه القبلي، والقراغلية. ووضع قادة الحملة خطة الزحف على النوبة. فانقسمت إلى قسمين، سار أحدهما بقيادة الأمير علم الدين سنجر الخياط متتبعا البر الغربي من النيل، وسار القسم الآخر بقيادة عز الدين أيدمر في البر الشرقي، حيث توجد المدن الهامة، غير أن سمامون – وهو رجل تصفه المراجع بالمكر والدهاء وسعة

---

(١) ورد في هذه المخطوطة أن رعايا الملك خلعوه وعينوا بدله ملكا آخر. غير أن هذه الرواية بنصها لا تتفق وما تلا ذلك من أحداث اشترك فيها سمامون نفسه. ويبدو أنهم وفقوا على خلعه وتعيين ملك غيره عقب الحملة التي بعث بها قلاون للقبض عليه سنة ١٢٨٧م وهي حملة قلاون الثانية. Quatremere : op. cit., p. 101.

(٢) المقريزي: السلوك ، جـ١ ، القسم الثالث، ص ٧٣٦ – ٧٣٧.

(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة، وابن خلدون، نفس المصدر ، جـ٥، ص ٤٠٠.

الحيلة[١] - قرر ألا يلتحم بالجيش المملوكى فى معركة حاسمة، إلا قرب عاصمته دنقلة، بعد أن يكون الجيش المملوكى قد حلت به نتائج السفر البعيد. ولهذا كتب سمامون إلى نائبه جريس صاحب الجبل بمقره بجزائر ميكائيل والدو (الدر)، يأمره بإخلاء البلاد التى تحت يده أمام الجيش الزاحف. ثم بلغ الجيش المملوكى بقيادة أيدمر دنقلة، حيث برز إليه سمامون، ودارت بينهما معركة انتهت بهزيمة النوبيين وفرار سمامون، بعد أن قتل كثير ممن معه [٢]. وتتبع أيدمر حركات سمامون خمسة عشر يوما جنوبى دنقلة دون أن يظفر، ولم يقع فى أسره سوى جريس صاحب الجبل وابن خالة الملك كذلك.

ثم عاد أيدمر إلى دنقلة، حيث تم تعيين ابن أخت سمامون ملكا على النوبة، وأفرج عن جريس وأعيد إلى منصبه [٣]، بعد أعلن ولاءه للملك الجديد والسلطنة المملوكية. وتعهد الملك الجديد بدفع البقط القديم والجزية السنوية وسائر الحقوق السلطانية، بدليل ما ذكره القلقشندى [٤] أن نسخة يمين أخذت على ملك النوبة الجديد عند استقراره نائباً عن السلطان قلاون فى حكم بلاد النوبة. وهى لا تخرج عما سبق أن أعطاه شكندة من تعهدات والتزامات للسلطان بيبرس.

وفى سنة ٦٨٧هـ (١٢٨٨م) وردت كتب الأمير علم الدين سنجر الخياط إلى السلطان قلاون تنبئ بما تم. وقرر السلطان أن يبقى الأمير أيدمر، وهو صاحب الفضل فيما ناله الجيش المملوكى من انتصارات، ليكون أميرا مملوكيا مقيما، إلى جانب الملك النوبى الجديد. وتسهيلا لمهمته فى بلاد النوبة بعث إليه السلطان قلاون من القاهرة أميراً نوبيا يدعى سعد الدين ابن أخت داود «ليكون مع الأمير أيدمر لخبرته بالبلاد وأهلها [٥]». هذا وتقرر أيضا أن تعسكر حامية مملوكية بدنقلة تحت قيادة أيدمر وعاد الأمير علم الدين ببقية الحملة المملوكية إلى القاهرة يصحبه عدد من ملوك النوبة ونسائهم فضلاً عن عدد كبير من الأسرى[٦].

---

(١) المقريزى نفس المصدر، جـ١، القسم، القسم الثالث، ٧٣٧.
(٢) المقريزى: نفس المصدر، جـ١، القسم الثالث، ص ٧٣٧.
(٣) المصدر السابق، نفس الصفحة.
(٤) القلقشندى: نفس المصدر، جـ١٣، ص ٢٩٠ - ٢٩١. على الرغم من انفراد القلقشندى بذكر هذه اليمين، فإن هذا لا يعنى الشك فى صحتها لتمسك سلاطين المماليك بحقوقهم فى بلاد النوبة، ولاسيما بعد النصر العظيم الذى أحرزته الحملة القلاونية على ملك النوبة.
(٥) المقريزى: السلوك، نفس المصدر، ص ٤٧٣.
(٦) المصدر السابق، نفس الصفحة.

غير أنه لم تكد الحملة المملوكية تغادر البلاد حتى ظهر سمامون مرة أخرى، وأخذ يعد العدة لاسترداد ملكه، وانتهى الأمر بفرار ملك النوبة الجديد، وكذلك جريس صاحب الجبل إلى القاهرة. ثم لم يلبث السلطان قلاون، أن أعد حملة ضخمة لإخضاع سمامون، وبلغت عدتها أربعين ألفا، واشترك فيها عربان الوجهين القبلي والبحرى. وامتازت هذه الحملة بوفرة عدد الحراريق التى بلغت عدتها خمسمائة ، لحمل الزاد والسلاح والأثقال.

غادرت هذه الحملة القاهرة فى سنه ٦٨٨هـ (١٢٨٩م) بقيادة عز الدين أيبك الأفرم. واشترك معه عدة من الأمراء من بينهم قبجاق المنصورى، وبكتمر الجو كندار، وأيدمر والى قوص، وصحبهم ملك النوبة الجديد وجريس. ثم مات هذا الملك فى الطريق إلى أسوان فدفن بها ، فعين السلطان قلاون بدله أحد أمراء النوبة الموجودين بالقاهرة،وهو ابن أخت الملك داود[١]، وألحقه بالحملة قبل أن تغادر أسوان. وتبع الجيش نفس الخطة التى سار عليها جيش الحملة السابقة، فانقسم إلى قسمين. فسار أيدمر والى قوص فى نصف العسكر فى البر الشرقى، وهو الطريق الذى سلكه فى الحملة السابقة، على حين سار الأفرم على رأس النصف الآخر فى البر الغربى، وتعاون بنو كنز تعاونا صادقا مع الحملة المملوكية، فتقدموا الجيش بصحبة جريس، لتأمين أهل البلاد وتجهيز الإقامات. وبدا هذا التعاون واضحا فى منطقة مريس حتى جزائر ميكائيل، حيث خرج المشايخ والأعيان للقاء الحملة، وإعلان ولائهم للسلطان. أما فى المنطقة التى ليس لجريس ولاية عليها، وهى الواقعة جنوبى الشلال الثانى حتى دنقلة، فإن أهلها هجروها إطاعة لسمامون، الذى اعتصم هذه المرة بجزيرة فى النيل، لا تذكرالمراجع عنها شيئا سوى أنها تبعد خمسة عشر يوما عن دنقلة. وبعث أيدمر إلى سمامون رسالة يطلب منه المفاوضة للدخول فى الطاعة، ووعده بالأمان. غير أن سمامون لم يقبل المفاوضة، وفر من الجزيرة جنوبا إلى جهة الأبواب، خوفا من وصول المراكب المملوكية للقبض عليه [٢]

ومما تجدر الإشارة إليه هنا، أن سمامون لم يكن فى حال تشبه الحالة الأولى من حيث وفرة الملتفين حوله. بل أن حاشيته وأتباعه من السواكرة، انفضوا من حوله، كما فارقه الأسقف

---

(١) المصدر السابق: ص ٧٤٩. يقول ابن خلدون، نفس المصدر، جـ٥، ص ٤٠٠، إنه داود بن أخى مرتشكين (شكندة).

(٢) المقريزى: السلوك ، نفس المصدر، ص ٧٤٩ - ٧٥١.

Quatremere : op. cit. PP. 105 - 106.

والقسوس وطلبوا الأمان من أيدمر، وعادوا جميعا صحبة الجيش المملوكي إلى دنقلة، بعد تطهير البلاد من مظاهر العصيان(١).

واحتفل أمراء المماليك بهذا النصر في دنقلة وألبسوا الملك النوبي الجديد تاج الملك، وبعد أن حلف هو وكبار رجال دولته على الولاء للسلطان ودفع الالتزامات المقررة من قبل. عسكرت بدنقلة طائفة من العسكر السلطاني، وعلى رأسها بيبرس العزى مملوك الأمير عز الدين والى قوص (٢). ثم عادت الحملة إلى القاهرة بعد أن وطدت للسيادة المملوكية في بلاد النوبة مرة أخرى.

أما سمامون، فلم يكد يعلم بخروج الحملة المملوكية من النوبة حتى عاد إلى دنقلة متخفيا، واستمال إليه السواكرة، ولم يلبث أن قبض على الأمير المملوكي المقيم في دنقلة، وهو بيبرس العزى، وأرسله هو ورجاله إلى القاهرة. أما الملك الجديد الذى عينه السلطان قلاون، وكذلك جريس، فانه قبض عليهما وقتلهما (٣). ثم أعقب سمامون ذلك برسالة إلى السلطان يسأله العفو ويتعهد بحسن السير والسلوك ودفع الالتزامات المقررة. ولكى يثبت للسلطان حسن نواياه، فإنه على قول المقريزى «بعث رقيقا وغيره تقدمة فقبل منه» (٤).

ورضى السلطان قلاون بتأكيد سمامون وتعهداته وأقره على ما بيده في بلاد النوبه (٥). وربما كان مشاغله الداخلية والخارجية هى التى حملته على هذا الرضى (٦). ذلك أن قلاون، كان قد عزم على مهاجمة عكا بعد أن استطاع أن يقضى على الإمارة الصليبية بجهات طرابلس وأعمالها. ولم يبق من الولايات الصليبية سوى عكا مركز مملكة بيت المقدس الرمزية.

غير أن سمامون لم يكن عند العهد الذى قطعه على نفسه بصدد علاقاته بالسلطنة المملوكية. فلم يكد يسمع بوفاة قلاون، حتى امتنع عن إرسال البقط والجزية سنة ١٢٩١ وبعث إلى السلطان خليل بن قلاون في تلك السنة يعتذر له عن تأخير البقط إلى السنة التالية

(١) المقريزى: نفس المصدر، ص ٧٥٢.

Quatremere : op. cit. PP. 107.

(٢) المقريزى: نفس المصدر والصحفة.
(٣) المقريزى : نفس المصدر، ص ٧٥٣.
(٤) المصدر السابق: نفس الصفحة.
(٥) ابن خلدون: نفس المصدر، جـ٥، ص ٤٠٠.
(٦) المقريزى: نفس المصدر ، جـ٢٩، ص ١٢٧٤آ.

متعللا بما أصاب بلاده من التخريب بسبب إغارات ملك الأبواب «التى زادت البلاد خرابا إلى خرابها وذهابا إلى ذهابها وسوادا إلى سوادها وفسادا إلى فسادها». وذكر سمامون فى تلك الرسالة أن دخول العسكر الإسلامية إليها فى الحملات السابقة لم يساعد على نهضة البلاد، بل كلفها غاليا.

بيد أن السلطان خليل لم يقبل هذه الاعذار، فأوفد إليه الرسل تنذر بعواقب تأخير البقط، وأسرع سمامون فسأل الأمان ووعد بإرسال البقط سريعاً. فقبل السلطان خليل هذا الوعد، كما قبل والدة سمامون وبقية أهله رهائن فى دار الضيافة بالقاهرة. وبعد ذلك بقليل أرسل سمامون أخاه جريس - وهو غير جريس الذى تقدمت الإشارة إليه - برسالة استعطاف يطلب إرسال والدته إليه. ومما جاء فى رسالته «أن ملوك النوبة ما يدبرهم غير النساء» كما أرسل الشكوى من ملك الأبواب. ولم يفته أن يبعث بهدايا من الجمال والتمر والشب والسنباذج (١).

غير أن هذه المراوغة. أثارت السلطان خليل إلى استخدام القوة لعزل سمامون وتعيين ملك آخر للنوبة، والمرجع الوحيد الذى يدل على هذا الاتجاه هو مخطوطة تاريخ قلاون (٢) إذ تخبر أن حملة حربية - لم تذكر تاريخها (٣). قامت لغزو النوبة، بقيادة عز الدين الأفرم (٤) وتدل حوادث هذه الحملة وما قامت به من أعمال، أن الغرض منها هو عزل الملك سمامون، والقبض على أمير نوبى آخر يدعى آنى (٥)، لخروجه على السلطان. ويقال إن الأفرم تقدم

---

(١) ابن عبد الظاهر: الألطاف الخفية، ص ٣٩ - ٤٠.

(٢) مخطوطة تاريخ قلاون: جـ٢، ص ٣١٠أ.

(٣) يرى ماكمايكل أن هذه الحملة ربما أرسلت إلى بلاد النوبة ما بين ١٢٩٠ - ١٢٩٣م

MacMichael, : op. cit. p. 185.

(٤) كان عز الدين الأفرم أحد قواد الحملة التى جردها السلطان بيبرس سنة ١٢٧٦م فهو إذن صاحب خبرة ببلاد النوبة وأحوالها.

(٥) يطلق عليه صاحب مخطوطة تاريخ قلاون اسم الملك آنى. ويبدو أنه كان ملكا تابعاً للملك الكبير سمامون. وربما كان هذا الأمير حاكما على المنطقة المجاورة لمملكة الأبواب Quatremere : op. cit. p. 112. وربما يكون هذا الأمير هو الذى خلف سمامون على العرش بعد ثورة النوبيين ضده غير أنه ظل على عدائه للسلطان:

De Villard : op. cit. p. 218.

بقوانه جنوبي دنقلة مسيرة ثلاثة وثلاثين يوماً (١) . غير أنه لم يظفر بالأمير الثائر آني لهروبه إلى بلاد الأنج (٢) . قبل وصول الجيش المملوكي بيومين، وعلى هذا عاد الأفرم إلى دنقلة بعد أسر كثير من النوبيين ونهب متاعهم. أما سمامون فليس يعرف عنه شئ. ويغلب على الظن أنه هرب إلى مكان مجهول ، لم يرجع منه، أو أنه مات قتيل، وأن الأمير آني خلفه في مملكة النوبة وفي عدائه للسلطان خليل.

ولهذا أرسل السلطان خليل من القاهرة أميراً نوبياً يدعى بدمة لمحاربة الأمير آني، وعقد الأمير الأفرم اجتماعاً كبيراً بحضور أمراء النوبة وأعيانها في كنيسة سوس بدنقلة، وتم في هذا الاجتماع تعيين بدمه ملكا حسبما تقضى به التقاليد النوبية. فألبس التاج بعد أن أقسم يمين الولاء والإخلاص للسلطان وتبعه جريس - ولعله كان أخا لسمامون - فأقسم يمين الولاء والطاعة. ويبدو أن جريس هذا كان نائبا لبدمة. ثم تلا ذلك صيغة يمين أخرى حلف عليها الاثنان بأنه لو ثار أحدهما ضد السلطان، جرد الآخر ضده السلاح للمحافظة على حقوق السلطان. ثم تبعهما الأمراء ورجال الدين (٣) . وكما هي العادة، فإن صيغة يمين أخرى حلف عليها النوبيون بالولاء للملك الجديد بشرط ولائه للسلطان المملوكي. ومن جملة ما قالوه: «لولا مولانا السلطان ما أطعناك، ومتى تغيرت أمسكناك، ونحن نرضى أن يقيم مولانا السلطان ملكا فلاحا أو جبليا. فإن بلاد النوبة مالها ملك إلا مولانا السلطان، ونحن رعيته» (٤) .

ويمكن الحكم على أثر هذه الحملة في بلاد النوبة، على ضوء ما قامت به من أعمال، وما

---

(١) يرى ما كمايكل أن الأمير عز الدين الأفرم ربما توغل جنوباً حتى منطقة الأبواب (كبوشية) MacMichael : op. cit. p. 185.

(٢) Quatremere :op. cit. p. 109. ويرى ما كمايكل أن آني هرب إلى جبل حرزا بشمال كردفان. ويتفق هذا مع ما جاء في تاريخ قلاون، إذ يشير مؤلفه إلى أن الملك آني، هرب إلى بلاد الأنج، ولم يمنع المسلمين من المسير خلفه إلا قلة الماء لأن الطريق الذى كان عليهم أن يسلكوه عبارة عن صحراء تلجأ إليها الفيلة والقردة والخنازير والغزلان والنعام. MacMichael : op. cit. p. 185. ويرى آركل : Arkell : op. cit. p. 197. أن اسم الأنج يطلق على سكان شمال كردفان الذين قطنوا هذا الإقليم قبل مجئ العرب إليه ،وربما أطلق على المرويين. وهي في لغة الطوارق telanag أى ناس الشرق لأنهم أتوا من النيل.

(٣) مخطوطة تاريخ قلاون : جـ٢، ص ٣١١أ.

Quatremere : op. cit. p. 112.

(٤) المخطوطة تاريخ قلاون : ص ٣٠٨ ف - ٣٠٩أ.

حصلت عليه من نتائج. فهي فضلا عما قامت به من تطهير البلاد من عناصر الثورة، وتثبيت السيادة المملوكية عليها، فإنها عادت بعدد كبير من الأسرى والغنائم. والواضح مما ذكره صاحب مخطوطة تاريخ قلاون، أن كثيراً من النوبيين هجروا بلادهم بعد تخريب دورهم، وأن هذه الحملة ألقت الرعب والخوف في قلوب جيرانهم، فأعلن ملك الأبواب ولاءه وخضوعه للسلطان ذلك أنه بعد مغادرة عز الدين الأفرم دنقلة إلى القاهرة بخمسة أيام - فيما يرويه صاحب مخطوطة تاريخ قلاون - وصلت رسالة إلى قائد الحملة من الملك بدمه يستأذنه في السماح للهاربين النوبيين بالعودة إلى بلادهم وإصلاح دورهم [(١)]. وثمة رسالة أخرى وصلته من ملك الأبواب يعتذر له فيها عن عدم لقائه، لأنه كان مشغولا هو الآخر بمطاردة الأمير الثائر آني، وأضاف ملك الأبواب في رسالته، أن بلاد الأنج تعرضت لغزو أجنبي، ولكنه سوف يبذل جهده لتخليصها من هذا الغزو. وإذا تم له ذلك، فإن جميع بلاد السودان ستخضع للسلطان المملوكي. وعلق صاحب هذه المخطوطة، على هذه الغزوة المملوكية بعد توغلها إلى أقصى الجنوب بقوله: «ودخل في قلوب أهل البلاد من عساكر مولانا السلطان رعب عظيم، لأنها وصلت إلى أمكنة ما وصلها جيش قط إلا إن كان جيش الاسكندر ذى القرنين»[(٢)]

ومما لا شك فيه أن اختلاف الطامعين من أفراد الاسرة المالكة النوبية، واستمرار التجائهم إلى السلطنة المملوكية كان ضمينا ببقاء هذه السيادة على بلاد النوبة، حتى في الحالات التى لم يكن للدولة المملوكية قوةكافية أو وقت كاف لليقظة والمراقبة في بلاد النوبة، وليس أدل على ذلك من استمرار السيادة المملوكية في السنوات الأولى من عهد السلطان الناصر محمد بن قلاون. إذ المعروف أن هذا السلطان كان طفلا، وأن أمور الدولة كانت بيد فئة من المماليك الراغبين في عرشها لأنفسهم. ومع هذا ظلت مملكة النوبة المسيحية على حالها من التبعية للسلطنة المملوكية. من الأدلة على ذلك قدوم أماى متملك النوبة إلى القاهرة [(٣)] سنة ٧٠٤هـ بهدية إلى السلطان الناصر وطلب مساعدته ضد أعدائه. فأنزله السلطان الناصر بدار الضيافة

---

(١) المصدر السابق: ص ٣١٩أ.

(٢)المصدر السابق:

لم يسمع عن مثل هذه الغزوة التي ينسبها المؤلف إلى الإسكندر. وربما كان هذا من باب التشبيه بقوة الحملة ومدى ما وصلت إليه من أقاليم غير مطروقة.

(٣) المقريزى: السلوك، جـ٢، القسم الأول، ص ٧، أطلق المقريزى على هذا الملك اسم أياى على حين أن ابن خلدون، نفس المرجع، جـ٥، ص ٤٢٩ يطلق عليه اسم أماى (Amai). op. cit. p. 114.

وأمر بإعداد حملة حربية تلبية لطلبه بقيادة سيف الدين طقصبا والي قوص، واشتراك فيها جماعة من العربان. وغادرت الحملة قوص في نفس هذا العام. وبعد أن أتمت مهمتها بالقضاء على عناصر الثورة النوبية، عادت إلى القاهرة. ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن هذه الحملة أمضت مدة تسعة عشر شهراً خلال سنتي ٧٠٦ - ٧٠٧هـ (١٣٠٦ - ١٣٠٧م)، وهي أطول مدة قضتها حملة مملوكية في بلاد النوبة. وربما يكون بعض السبب في هذا، هو شدة المقاومة النوبية وتعرض الحملة لمصاعب الطريق وقلة الزاد[١].

ظل الأمر على هذه الحال الدالة على ضعف المملكة النوبية وقنوعها بتبعيتها للسلطنة المملوكية، غير أن بعض العناصر النوبية الثائرة ظلت تسعى للفتنة بدليل ما تذكره بعض المراجع من أن أماى مات قتيلا ٧١١هـ (١٢١١م) وأن أخاه كرنبس[٢] خلفه على العرش. ويبدو أن الملك الجديد كان لا يزال في حاجة إلى تأييد السلطنة المملوكية ضد هذه العناصر الثورية. ولهذا أعلن ولاءه للسلطان محمد الناصر، وقدم إلى القاهرة حاملا الجزية والضرائب المقررة على بلاده[٣].

غير أنه يبدو أن الملك كرنبس نجح في تثبيت نفوذه في الداخل بعد أن تخلص من منافسيه على عرش النوبة، وأنه لهذا اتجه إلى التخلص من التبعية للسلطنة المملوكية، فأظهر عداءاً واضحا نحوها وامتنع عن أداء الجزية سنة ٧١٥هـ (١٣١٥م)[٤]. غير أن حركته وافقت استقرار الأمر في الدولة المملوكية ببلوغ الناصر سنا مؤهلا للسلطنة واستطاعته التغلب على جميع عناصر الفتنة. وهذا هو سر إرسال الحملة الناصرية الأولى سنه ٧١٥هـ (١٣١٥م) إلى بلاد النوبة[٥].

---

(١) المقريزى: نفس المصدر، جـ٢، القسم الأول، ص٧.

(٢) المصدر السابق: ص ١٠٧، وذكر ابن خلدون جـ٥ ص ٤٢٩ أن اسم هذا الملك كربيش، وذكر أنه خلف أخاه آى (أماى) الذى توفى سنة ٧١٦هـ (١٣١٦م) ويوافقه القلقشندى، جـ٥، ص ٢٧٧، أن وفاته كانت سنة ٧١٦هـ.

(٣) المقريزى: نفس المصدر والصفحة.

(٤) ذكر القلقشندى: جـ٥، ص ٢٧٧، وابن خلدون، جـ٥، ص ٤٢٩: أن تاريخ امتناع كرنبس عن إرسال الجزية كان سنة ٧١٦هـ. غير أن المقريزى في نفس المصدر يشير إلى حملة مملوكية في عهد السلطان الناصر سنة ٧١٥هـ. ويعنى هذا أن حركة كرنبس هذه إما أن تكون سابقة لهذا التاريخ الأخير أو على الأقل معاصرة لها. ولعل ما ذكره كل من ابن خلدون والقلقشندى كان خاصا بحملة ثانية تاريخها ٧١٦هـ.

(٥) المقريزى: نفس المصدر، ص١٤٥، ١٤٦.

بيد أن هذه الحملة لم تظفر بكرنبس لهروبه إلى مملكة الأبواب[١] ولا تشير المراجع - كما هى العادة - إلى عودة هذه الحملة إلى مصر، ولعلها بقيت فى دنقلة إلى أجل غير مسمى لتقوم على تنفيذ أوامر السلطان، فيما يتعلق بتنصيب ملك جديد لبلاد النوبة.

وهنا تبدو ظاهرة جديدة هى فى الواقع نقطة التحول فى تاريخ بلاد النوبة. ذلك أنه كان من الأسرى النوبيين الذين أتت بهم الحملات الحربية السابقة على بلاد النوبة، عدد كبير من الأمراء، وأفراد البيت المالك وبعض المطالبين بالعرش النوبى، وأن هؤلاء وأولئك أودعوا سجن القلعة. واتجهت سياسة السلطنة المملوكية إلى استمالة أولئك الأمراء، فأعادت بعضهم إلى النوبة صحبة الجيوش المملوكية لتعيينهم ملوكا عليها [٢]. ولاسيما بعض الذين أسلموا منهم ومن أمثلة هؤلاء أمير تطلق عليه بعض المراجع سيف الدين عبد الله برشمبو النوبى وهو ابن أخت داود ملك النوبة [٣]. ويقول عنه النويرى إنه تربى «فى البيت السلطانى من جملة المماليك السلطانية» [٤]. ويذكر القلقشندى أن عبد الله برشمبو هذا أسلم وحسن إسلامه وأقام بمصر بالأبواب السلطانية وأجرى عليه السلطان محمد بن قلاون رزقاً [٥].

غير أن سياسة تعيين ملك مسلم حكم بلاد النوبة نقطة تحول خطيرة فى تاريخ هذه البلاد، وهى أحد العوامل الحاسمة فى سقوط مملكة النوبة المسيحية. ذلك أن اختيار السلطان الناصر لعبد الله برشمبو سنة ٧١٦هـ ١٣١٦م) لكي يكون ملكا على النوبة، أدى إلى ظهور بنى كنز بصورة واضحة على مسرح الحوادث فى بلاد النوبة، بعد أن أصهروا إلى البيت المالك النوبى، وتزوجوا من بنات ملوكها. وإذ ادعى أميرهم كنز الدولة بحقه فى مملكة النوبة، فهو فضلا عن أنه أمير مسلم، فإن الملك ينتقل إليه بعد خاله الملك كرنبس حسبما يقض به نظام

---

(١) ابن خلدون: نفس المصدر، جـ٥، ص ٤٢٩. أنظر كذلك القلقشندى، نفس المصدر، جـ٥، ص ٢٧٧.

(٢) أرسل السلطان قلاون واحداً بعد آخر من أولئك الأمراء لتعيينه ملكاً على النوبة بدلا من سمامون. انظر ص ١٥٦، ١٥٨ من هذا الفصل.

(٣) المقريزى: نفس المصدر، جـ٣، ورقة ٩٥. وجاء فى إحدى النسخ الخطية لكتاب السلوك، جـ٢ القسم الأول، ص ١٦١، حاشية رقم ٤: أن اسم هذا الأمير برشنبوا وفى نسخة أخرى سنبوا، والأخيرةهى التى نقلها كترمير في كتابه. op. cit. p. 115 على حين أن النويرى ذكر اسمه سيف الدين عبد الله برشنبو النوبى. أما ابن خلدون، جـ٥، ص ٤٢٩، وكذلك القلقشندى جـ٥، ص ٢٧٧ ذكر أن اسمه عبد الله نشلى.

(٤) النويرى: نفس المصدر والصفحة

(٥) القلقشندى: نفس المصدر، جـ٥ ص ٢٧٧.

الوراثة المعروف عند النوبيين. بدليل ما ذكره النويرى[١]، أن الملك كرنبس لما علم برغبة السلطان في اختيار ملك مسلم لبلاد النوبة «أرسل ابن أخته كنز الدولة بن شجاع الدين نصر بن فخر الدين مالك بن الكنز إلى الأبواب السلطانية، وسأل شموله بالإنعام السلطانى فى توليته الملك». ومما جاء فى رسالته للسلطان الناصر قوله «إذا كان يقصد مولانا السلطان بأن يولى البلاد لمسلم فهذا مسلم وهو ابن أختى والملك ينتقل إليه بعدى». [٢].

وإذا كان الملك كرنبس أدرك الاتجاه الجديد للسلطنة المملوكية بصدد تعيين ملك مسلم بدلا من ملك مسيحى، فرشح ابن أخته كنز الدولة، إلا أن هذا العرض لم يجد قبولا لدى السلطان الناصر. بدليل ما تذكره المراجع من أن السلطان قبض على كنز الدولة، ومنعه من العودة إلى بلاد النوبة، كما أعد حملة مملوكية سنة ٧١٦هـ ١٣١٦٠م) بقيادة الأمير أيبك جهاركى عبد الملك، لتأييد الأمير عبد الله برشمبو وتعيينه ملكا على بلاد النوبة[٣]. أما كرنبس فيقال إن ملك الأبواب قبض عليه وعلى أخيه أبرام واحترز عليهما فى جزيرة وبعث إلى قائد الحملة المملوكية يطلب إليه إرسال من يتسلمهما. فسار إليه جماعة من رجال الحلقة فتسلموهما وأحضرا إلى الأبواب السلطانية فى حراسة شديدة. وعادت الحملة إلى القاهرة فى جمادى الآخرة سنة ٧١٧هـ (١٣١٧م) [٤]. وهكذا استقر عبد الله برشمبو – وهو أول ملك نوبى مسلم – فى حكم بلاد النوبة.

غير أن الأمر لم يستتب للملك عبد الله برشمبو فى بلاد النوبة، فخرج عليه النوبيون، ولم يعترفوا به ملكا عليهم. وبعض السبب فى ذلك – حسبما ورد فى النويرى – «أنه غير قواعد البلاد وتعاطى نوعا من الكبر لم تجر عليه عادة ملك النوبة بمثله، وعامل أهل البلاد بغلظة

---

(١) النويريك نفس المصدر.

(٢) يبدو أن ماكمايكل MacMichael : op. cit. p. 186. لم يطلع على النص الذى انفرد بذكره النويرى، بصدد اعتلاء كنز الدولة عرش النوبة، وصلة هذا الأمير بآخر ملك نوبى مسيحى وهو كرنبس. والراجح أنه استعان بترجمة كترمير لما أورده المقريزى فى كتابه السلوك من إشارة عابرة لصلة كنز الدولة بكرنبس. ومع أن المقريزى ذكر أن كرنبس بعث بابن أخته كنز الدولة إلى السلطان يسألة فى أمره إلا أنه لم يتنبه لهذه العلاقة بدليل قول ماكمايكل «وسواء أكان كنز الدولة يتصل بالعائلة المالكة النوبية بصلة المنسب أوأنه لم يكن له من الأمر شئ سوى اعتماده على القوة فهذا ما نجهله».

(٣) النويرى: نفس المصدر، جـ٣، ورقة ٩٦.

(٤) المصدر السابق.

وشدة فكرهوا ولايته» [1]. والراجح أن بنى كنز ومن انحاز إليهم من القبائل العربية فى بلاد النوبة وغيرهم من النوبيين هم الذين ثاروا عليه، إذ لم يكد يصل كنز الدولة إلى بلده الدو (الدر)[2] سنة ٧١٧هـ (١٣١٧م) - بعد الافراج عنه [3] حتى التف حوله النوبيون وأعلنوا ولاءهم له ونادوا به ملكا بدليل قول النويرى: «إنهم حيوه تحية الملك وهى قولهم موشاى موشاى. فهذه لفظة لا يخاطب بها غير الملوك» [4].

وأكبر الظن أن احتفال النوبيين بكنز الدولة شجعه على محاولة الوصول إلى العرش مرة أخرى، فتقدم وحارب برشمبو وهزمه بعد أن خذلته جماعته. وقتل برشمبو وتولى كنز الدولة عرش النوبة. ويقال إن كنز الدولة «لم يضع تاج الملك على رأسه رعاية لحق أخواله وتعظيما لهم وحفظا لحرمتهم» [5].

غير أن السلطان الناصر رفض الاعتراف باعتلاء كنز الدولة عرش النوبة، لسبب واضح وهو أن تولية ملك مسلم حكم النوبة، يؤدى إلى زوال نفوذ السلطنة المملوكية. ولهذا أطلق السلطان سراح أخيه كرنبس واعادته إلى عرش النوبة [6]. ولما وصل أبرام إلى دنقلة، خرج إليه كنز الدولة طائعا [7]. ويقال إنه «سلم إليه الملك وصار فى خدمته» [8]. ثم سار معه شمالا ليحث النوبيين على طاعة خاله أبرام. غير أن أبرام لم يرع العهد، فقبض على ابن أخته كنز الدولة ليرسله مقيداً إلى القاهر. ولم ينقذه من هذا المصير سوى موت أبرام بعد ذلك بثلاثة أيام [9].

وهنا يلتف النوبيون حول كنز الدولة للمرة الثانية، ويصرون على أن يملكوه البلاد. ولم

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المقريزى: السلوك ، نفس المصدر، ص ١٦١.

(٤) النويرى: نفس المصدر، جـ٣، ورقة ٩٦.

(٥) المصدر السابق: نفس الصفحة. تظاهر كنز الدولة بحفظ كرامة أخواله فامتنع عن لبس التاج. والراجح أنه لم يفعل ذلك إلا لأن التاج يحمل علامة الصليب. الأمر الذى لا يتفق وعقيدته الإسلامية.

(٦) المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٧) المقريزى: السلوك، جـ٢ ، القسم الأول، ص ١٦١.

(٨) النويرى: نفس المصدر، جـ٣٠، ورقة ٩٦.

(٩) المصدر السابق: نفس الصفحة.

يسع كنز الدولة – بعد أن غدر به خاله – إلا أن يلبس تاج الملك ويمارس حقوقه الملكية سنة ٧١٧هـ (١٣١٧م)[١]

وكيفما كان الأمر، فإن الدور الذى قام به الكنوز لم يرق فى نظر سلطان مصر. ومن الطبيعى أن تعمل السلطنة المملوكية على الحد من سلطانهم. وهذا هو سر الحملة التى بعث بها السلطان الناصر محمد إلى النوبة سنة ٧٢٣هـ (١٣٢٢م) بقيادة الأمير علاء الدين بن على قراسنقر، لخلع كنز الدولة وإعادة كرنبس إلى العرش. وأتمت الحملة عملها بإجلاس كرنبس على العرش بعد هروب كنز الدولة من دنقلة[٢].

وهنا تبدأ عملية المراوحة التقليدية المشابهة لما حدث فى النوبة منذ أيام بيبرس، وهى أنه لم تكد الحملة تنسحب شمالا حتى ظهر كنز الدولة من جديد وحارب كرنبس «وملك منه البلاد»[٣]. على أن موضع الأهمية هنا هو انتقال ملك النوبة من أيدى ملوكها المسيحيين إلى أيدى بنى كنز ٨٢٣هـ (١٣٢٣م) [٤]. ولكن هل يكفى انتقال الملك من أسرة إلى غيرها للدلالة على سقوط هذه المملكة؟ الواضح أن بنى كنز لم يكونوا يمثلون العنصر النوبى الأصيل، فهم من عرب ربيعة، وإذا كانوا اختلطوا بالنوبيين وتزاوجوا من بناتهم وتعلموا لغتهم فإن هذا لم يؤثر فى عروبتهم. إذ أنهم احتفظوا بلغتهم العربية إلى جانب اللغة النوبية. ثم أن نسبهم العربى واضح من اسم أول ملك تولى حكم النوبة منهم سنة ١٣٢٣م «كنز الدولة بن شجاع الدين نصر بن فخر الدين مالك بن الكنز»[٥]. ومعنى هذا أن ركنا هاما من الأركان التى يعتمد عليها نظام الحكم فى المملكة النوبية المسيحية قد انهار من أساسه. فالمعروف أن حكم النوبة انحصر فى أسرة أو أسر ملكية نوبية، ومارس ملوكها سلطات سياسية ودينية

---

(١) المقريزى: نفس المصدر، ص ١١٦.
(٢) المصدر السابق : ص ٢٥٠.
(٣) الصدر السابق : نفس الصفحة.
(٤) يرى البعض أنتقال الملك إلى بنى كنز يعد نهاية المملكة النوبية المسيحية، سنة ١٣٢٣م، وبداية لمرحلة جديدة فى تاريخ هذه البلاد.

MacMichael, H. A. ; op. cit. p. 187.

Arkell, A. J. : "Fung Origins," SNR. XV, Part. II. p. 204.

(٥) النويرى: نفس المصدر، جـ١، ورقة ٩٥ – المقريزى، نفس المصدر، ص ١٦١.

مطلقة على رعاياهم، ولاسيما فيما يلى منطقة مريس جنوبا. بيد أن هذه السلطة المطلقة تضاءلت منذ أن تدخلت السلطنة المملوكية فى شئون النوبة الداخلية. وأضحى ولاء النوبيين قسمة بين ملوك النوبة والسلطنة المملوكية، بدليل كثرة الإيمان التى حلفوا عليها لسلاطين المماليك [١] وظل مبدأ سيادة الملك على رعاياه باعتبارهم «عبيد الملك» معمولا به فيما وراء الشلال الثانى جنوبا على الأقل فى عهد السيطرة المملوكية على بلاد النوبة، بدليل الاستمرار فى دفع البقط من ناحية، وكثرة الهدايا من الرقيق إلى سلاطين المماليك من ناحية أخرى[٢]. ولا شك أن بقاء هذا النظام فى النوبة يعنى استمرار أحد الأسس التى قامت عليها الملكية المسيحية حتى سنة ١٣١٣م، وهو تاريخ انتقال الملك إلى بنى كنز. وكان من الطبيعى أن يقضى على هذا المبدأ وأن تتغير نظرة ملوك النوبة العرب إلى رعاياهم كذلك.

إن بلاد النوبة منذ الربع الأول من القرن الرابع عشر، لا تعد وطن النوبيين فحسب بل شاركهم فيها قبائل عربية كثيرة من غير بنى كنز، ولم يعد الشلال الثانى - كما كان من قبل - حاجزا يمنع تدفقهم على ما يليه جنوباً. بل الواضح أن كثيراً من الجماعات العربية التى تعيش فى مصر، اشتركت فى الحملات المملوكية على بلاد النوبة مدة نصف قرن [٣] من عام ١٢٧٦ إلى عام ١٣٢٣م. ولا بد أن كثيراً من هذه الجماعات فضلت البقاء فى بلاد النوبة عقب كل انسحاب للقوات المملوكية إلى مصر، ومن هذه الجماعات، بنى بكر وبنى عمر وبنى شيبان وبنى هلال وغيرهم كثير. وربما كان الدافع لهم على البقاء فى بلاد النوبة، شدة الضغط المملوكى عليهم فى مصر [٤].

---

(١) راجع ص ١٤٧ - ١٥٠ من هذا الفصل.

(٢) راجع ص ١٤٩ - ١٥٧ من هذا الفصل.

(٣) راجع الحملات المملوكية على عهد بيبرس وقلاون والناصر محمد وغيرهم، والتى اشترك العربان فى كل حملة منها على بلاد النوبة.

(٤) قد يكون من بين الأسباب التى دفعت السلطنة المملوكية إلى أخذ المواثيق على الملك شكندة وخلفائه بتسليم العربان فى النوبة إلى السلطنة المملوكية، هو خروج أولئك العربان على السلطنة والانفصال عن بقية الجيوش المملوكية عند انسحابها. ومع هذا فإننا نلاحظ اشتراك العربان فى كل حملة مملوكية على النوبة. والراجح أن السلطنة المملوكية لم تكن تمنع مثل هذا الاتجاه من جانب بعض العربان إلا من تخشى ثورتهم عليها.

والواضح أن كنز الدولة استعان بالعرب المقيمين ببلاد النوبه للوصول إلى العرش، إذ يقول النويرى: «فاجتمع أهل النوبة على كنز الدولة وملكوه عليهم، فملك البلاد حينئذ ولبس تاج الملك واستقل بالمملكة وضم إليه العرب واستعان بهم على من ناوأه» (١)، والواضح كذلك من هذا النص أن العرب كانوا من القوة والكثرة العددية بحيث تمكنوا من التغلب على بقايا بيوت الإمارة النوبية القديمة، فضلا عن تحدى السلطان المملوكى، وإعلان الاستقلال عنه، وما كان يفيد كنز الدولة فى كثير أو قليل حقه المشروع فى ملك النوبة - عن طريق وراثة الأم - لولا ما اجتمعت إليه من قوة العرب المهاجرين والنوبيين المتوطنين الذين تأثروا بهم وامتزجت دماؤهم بدمائهم.

وإذا اقتصر دور العرب الذين استقروا فى بلاد النوبة، على القضاء على أحد مظاهر الملكية النوبية المسيحية ، وبإزالة البيت الملكى النوبى القديم وإحلال العنصر العربى محله، لكان دورهم فى سقوط الدولة وزوالها، ضئيلا بالقياس إلى ما هنالك من مظاهر أخرى اتصفت بها الملكيه النوبية المسيحية ومنها الديانة المسيحية، دين البلاد الرسمى، إذ لا يكفى لسقوط الدولة أن يحل ملك مسلم محل ملك مسيحى فى ظل النظم القديمه(٢).

المعروف أن العرب اختلطوا بالنوبيين واعتنق كثير من هؤلاء الدين الإسلامى، منذ القرن التاسع الميلادى فى أرض مريس، ثم فيما يليها جنوبا منذ منتصف القرن الثالث عشر الميلادى على الأقل . ويذكر بعض المؤلفين العرب أن الإسلام انتشر فى بلاد النوبة ولاسيما بعد أن أضحى ملوك النوبة من المسلمين فيقول ابن خلدون. «وبحثوا عن كربيس (كرنبس) ببلد الأبواب فألفوه بمصر، ووصل الخبر إلى السلطان فبعثه إلى النوبة فملكها. وانقطعت الجزية بإسلامهم»(٣).

ويتضح من هذا النص، أن النوبيين أعفوا من دفع الجزية للسلطنة المملوكية لاعتناقهم

---

(١) النويرى: نفس الصفحة.

(٢) إذا لم يستتبع انتقال الملك من يد ملوك النوبة المسيحيين إلى ملوك مسلمين اعتناق النوبيين الإسلام. فلا يحق لنا القول بسقوط المملكة النوبية المسيحية. بل مجرد تغيير الأسرة المالكة.

(٣) ابن خلدون : نفس المصدر، جـ٥، ص ٤٢٩.

الإسلام . غير أن القلقشندى، [1] يقول «فبعث السلطان كرنبس إليهم فملكهم وانقطعت الجزية عنهم من حين أسلم ملوكهم» . فهل يفهم من هذا النص أن كرنبس اعتنق الإسلام فانقطعت الجزية بإسلامه؟ لم يرد نص صريح في مولفات السابقين كالنويرى والمقريزى عن اعتناق كرنبس الإسلام. ومع هذا فإن اعتناق الملك النوبى الإسلام لا يعفى رعياه المسيحيين من دفع الجزية للسلطنة المملوكية. فإن أنقطاع الجزية كان نتيجة عاملين: أولهما انتقال الملك إلى كنز الدولة الذى يقول عنه النويرى «إنه استقل بالمملكة»[2]. والثانى اعتناق النوبيين الإسلام حسبما ذكره ابن خلدون [3].

غير أن فضل الله العمرى (١٣٤٥م) يحدثنا عن علاقة ملك النوبة بالسلطنة المملوكية فيقول: «إنه رعية من رعايا صاحب مصر، وعليه حمل مقرر يقدمه في كل سنة. ويخطب في بلاده لخليفة العصر وصاحب مصر [4]». والظاهر أن هذا التعريف الذى وضعه العمرى لبلاد النوبة يرجع إلى تاريخ سابق قليلا لوضع مؤلفه. أى إلى عهد السلطان الناصر، وقبل أن يستقل بها كنز الدولة ١٣١٣م، بدليل قول: القلقشندى «هذا (ما يقوله العمرى) كان فى الدولةالناصرية «محمد بن قلاون». وهذه الأتاوة كانت مقررة عليهم من زمن الفتح... وهى (أى النوبة) الآن (أى نهاية القرن الخامس عشر) مملكة مستقلة بذاتها)[5].

---

(١) القلقشندى : نفس المصدر، جـ٥. ص ٢٧٧.

(٢) النويرى: نفس المصدر، جـ٣، ورقة ٩٦.

(٣) ابن خلدون: نفس المصدر، جـ٥، ص ٤٢٩.

(٤) ابن فضل الله العمرى: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ٢٩. يبدو أن العمرى أخذ هذه المعلومات عن سجلات ديوان الإنشاء أوغيره من الدواوين. وقد وضعت هذه السجلات فى عهد السلطان الناصر محمد عندما تولى عبد الله بن برشمبو وكرنبس مرة ثانية حكم النوبة، ثم انقطع إرسال الجزية للسلطنة المملوكية بعد تولية كنز الدولة حكم النوبة سنة ١٣٢٣م، وربما لم تقطع الخطبة للخليفة بعد هذا التاريخ ١٣٢٣م باعتباره زعيما عاماً للمسلمين، وربما كانت عبارة العمرى «رعية من رعايا صاحب مصر» - استمرار لادعاء السلطنة المملوكية حقوقاً فى النوبة. ولابد أن الجامع الذى أشار إليه المقريزى، المواعظ، جـ١، ص ١٩٣، وقال إن كنز الدولة بناه فى دنقلة، قد كان أول جامع تقام فيه الصلاة الجامعة فى بلاد النوبة. والراجح أن كنز الدولة حول الطابق الثانى لكنيسة دنقلة إلى جامع وظل الطابق الارضى يمثل دار ضيافة بدليل قول المقريزى إنه كان يأوى إليه الغرباء، ولم يذكر تاريخ إنشاء هذا الجامع غير أنه يقال إنه أنشئ حوالى سنة ١٣١٨ وهو فى حكم كنز الدولة الأول للنوبة - نعوم شقير، جـ٢، ص ٥٥.

(٥) القلقشندى : نفس المصدر، جـ٨، ص ٦٠.

لكن هل يعنى هذا أن المسيحية قضى عليها تماما في بلاد النوبة؟ الراجع أنه حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى على الأقل، كانت لا تزال فى بلاد النوبة بقايا من الديانة المسيحية، لأسباب ترجيحية من بينها: أن بعض النوبيين ظلوا على المسيحية، أو أن بعض من أسلم ظل محتفظا بقليل أو كثير من العقائد المسيحية، لقرب عهدهم بالإسلام[١].

ولا تذكر المراجع اسم ملك مسيحى لبلاد النوبة بعد كنز الدولة والراجح أن خلفاءه جميعاً، إما أنهم كانوا عربا أو نوبيين مستعربين. أماما ذكره ابن فضل الله العمرى [٢]. بصدد رسم المكاتبة بين السلطنة المملوكية وملوك النوبة، والذى فرق فيه بين نوعين من المكاتبة، أحدهما إذا كان الملك مسلما، والآخر إذا لم يكن كذلك، فإنه يغلب على الظن أن رسم المكاتبة الذى أورده العمرى في مؤلفه، وضع أيضا فى عهد السلطان الناصر حين تعاقب على حكمها ملكان أحدهما مسلم والآخر مسيحى [٣]. ثم نقلها العمرى كما هى عن ديوان الإنشاء.

والخلاصة أنه لم يكد ينتصف القرن الرابع عشر الميلادى حتى كان النوبيون قد اعتنقوا الإسلام باستثناء أقلية نوبية ظلت على المسيحية، حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى حيث ظلت تحج إلى بيت المقدس[٤].

وثمة عوامل أخرى مباشرة عجلت بسقوط مملكة النوبة المسيحية ومن بينها، ما ذكره ابن خلدون [٥]، بصدد هجرة عرب جهينة من مصرإلى بلاد النوبة حيث يقول: «إن الجزية انقطعت بإسلامهم ثم انتشرت أحياء العرب من جهينة في بلادهم. واستوطنوها، وملكوها. وملئوها عبثا وفسادا. وذهب ملوك النوبة إلى مدافعتهم. فعجزوا ثم ساروا إلى مصانعتهم بالمصاهرة، فافترق ملكهم، وصار لبعض أبناء جهينة من أمهاتهم على عادة الأعاجم فى

---

(1)Trimingham, J. S. : Islam in the Sudan, P. 71. Note 3.

(٢) ابن فضل الله العمرى: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ٣٠، أورد العمرى رسم المكاتبة بين السلطنة المملوكية وملوك النوبة فيما يلى: «صارت هذه المكاتبة إلى المجلس الجليل الكبير الفارس المجاهد المؤيد الأوحد العضد مجد الإسلام زين الأنام... هذا إذا كان مسلماً وان لم يكن مسلماً فمكاتبته كمكاتبة صاحب سيس ولا يعلم له السلطان بخطه».

(٣) كان عبد الله برشمبو أول ملك نوبى مسلم، ثم خلفه الملك كرنبس. وكان لا يزال مسيحياً.

(4) Crowfoot, J.W. : op, cit. p. 149.

(٥) ابن خلدون : نفس المصدر ، جـ٥، ص ٤٢٩.

تمليك الأخت وابن الأخت فتمزق ملكهم، واستولى أعراب جهينة على بلادهم، وليس فى طريقه شئ من السياسة الملوكية للآفة التى تمنع انقياد بعضهم إلى بعض. فصاروا شيعا لهذا العهد. ولم يبق لبلادهم رسم للملك، وإنما هم رحالة بادية يتبعون مواقع القطر شأن بواد الأعراب. ولم يبق لبلادهم رسم للملك، لما أحالته صبغة البداوة العربية من صبغتهم بالخلطة والالتحام».

ومعنى هذا أن عرب جهينة هاجروا إلى بلاد النوبة أوائل القرن الرابع عشرالميلادى، بعد أن قطعت الجزية عن النوبيين لإسلامهم، وأن هجرتهم بدأت إما بعد انتقال ملك النوبة مباشرة إلى بنى كنز، أوقبله بقليل. ويعنى هذا أن دورهم فى إسقاط البيت الملكى النوبى غير أكيد. بل إنه كان من عمل بنى كنز، وغيرهم ممن سبقت الإشارة إليهم. وإذا كان المقصود بملوك النوبة - فى قول ابن خلدون - هم بنو كنز فإن هذا يجعل رأيه غير مقبول. والراجح كما يقول كروفوت [١]، أنه قد ينسب إلى عرب جهينة ضياع كثير من المظاهر التى امتازت بها الملكية النوبية. ومنها أن اللغة النوبية، لم تعد لغة الكتابة، بل ظلت تمثل لغة التفاهم بين النوبيين. وينسب إلى عرب جهينة كذلك تخريب كثير من الكنائس النوبية. فضلا عن زوال المبانى التى امتاز بها الفن المعمارى المسيحى النوبى.

أما ما يقوله ابن خلدون بأن عرب جهينة صبغوا النوبيين بصبغة البداوة فأصبحوا رحالة يتبعون مواقع الغيث، فهذا لا يتفق وما هو معروف عن جو بلاد النوبة الجاف. والراجح أن عرب جهينة بعد أن استقروا فى بلاد النوبة مدة تقرب من قرن ، اندفعوا جنوباً إلى الحبشة وغربا إلى جهات كردفان ودارفور. وصحبوا معهم بعض النوبيين أو النوبيين المستعربين إلى هذه الجهات حيث عاشوا جميعا عيشة البداوة متتبعين مواقع الغيث فيها [٢].

ويرجع بعض الباحثين سقوط مملكة النوبة المسيحية إلى عوامل منها، أن الكنيسة النوبية كانت دائما فى حاجة لأن تتصل بمنبعها وهى كنيسة الإسكندرية، للحصول على الأساقفة.

---

(1) Crowfoot, J. W. Op. cit. p. 148.

(2) Ibid. : op. cit. p. 148.

Kirwan, L. P. : Oxford Univ. Exc, at Firka, p. 45.

غيـر أن هذه الصلة الدينيـة قطعت نهـائيـا منذ عـهـد البطريرك ٧٥ كيـرلس الثـالث سنة ١٢٣٥م[١]، فتركت الكنيسة النوبية دون عون خارجي، فتضعضع مركزها وجاءت نهايتها حـوالي سنة ١٣٥٠م[٢]. ومنها أن دور رجال الدين النوبيين كان سلبيا. فكثيرا ما تخلوا عن ملوك النوبة وانضموا إلى الغزاة[٣].

ثم أن سوء حال الكنيسة المصرية، وما تعرض له الأقباط في مصر منذ سنة ١٣٣٢م على يد السلطنة المملوكية، كان له أثره في النوبة كذلك. ويقال إن هذا الاضطهاد، امتد إلى بلاد النوبة كذلك، على يد القبائل العربية. فخربت كنائس النوبيين، وحول الكثير منها إلى مساجد، من بينها كنيسة دنقلة التي حولت إلى مسجد [٤].

من الملحوظ أن مملكة النوبة المسيحية ظلت تقاوم وحدها الضغط العربي والمملوكي، ودون عون خارجي، فلم يتعاون معها أى من الممالك المسيحية المجاورة. فمثلا كان ملوك علوة حرباً عليها، ولا شك أن النزاع الذى نشب بين ملوك النوبة وملوك علوة كان من أهم العوامل التى عجلت بسقوط مملكة النوبة المسيحية [٥]. ثم أن ملوك الأبواب تعاونوا مع السلطنة المملوكية ضد ملوك النوبة، ورفضوا إيواء الهاربين منهم. وكثيراً ما حاربوهم وسلموا الفارين منهم إلى سلاطين المماليك.

أما ملوك الحبشة من البيت الزغوى فلم يمدوا يد المساعدة لملوك النوبة ضد السلطنة المملوكية أو القبائل العربية التى ملكت ديارهم [٦].

* * *

....

(1) Budge, E.A.W. : The Egyptian Sudan, II. P. 130.
Beckett. H.W. : ASN., II 1907 - 8p. 353.

(2) Budge, E. A. W. : Nubian Texts p. 4.

(3) Budge, E.A.W. : AHist. of Ethiopia, I, P. IIS.

(4) Budge, E. A. W. : The Egyptian Sudan, op. cit, II, P. 130.
ويرى أن تحويل هذه الكنيسة إلى مسجد كان حوالى سنة ١٣١٨ على يد كنز الدولة، وربما كان هذا هو الجامع الذى أشار إليه المقريزى.

(5) Budge, E.A.W.: The Egyptian Sudan, op. cit. p. 139.

(6) Henderson. K. D. D.: "Fung Origins" SNR. XVII.. Part I- 1935 p. 150.

أما عن أحوال بلاد النوبة الداخلية بعد سقوط المملكة المسيحية بها سنة ١٣٢٣م فلم يصلنا عنهـا شئ حـتى ٧٦٧هـ ١٣٦٦م [١]. وكل مـا يمكن اسـتخلاصـه من رواية المقـريزى[٢]. أن المنطقة ما بين عيذاب شرقا والواحات غربا، فضلا عن بلاد النوبة نفسها، أضحت مسرحـا للاضطرابات التى كـانت من عمل الكنوز وغيرهم من القبائل العربيـة التى استقرت فى بلاد النوبة مثل بنى جعد وبنى عكرمة.

وليس لهذا الاضطرابات أهمية سوى ما تدل عليه من تكاثر القبائل العربية جنوباً بسبب اضطراب الأحوال فى السلطنة المملوكية نفسها فى المرحلة الأخيرة من أيام الدولة المملوكية الأولى. وثمة أهمية أخرى توجب الإلتفات، وهى أن هذه القبائل العربية كانت تنقسم على نفسـها لأسباب قد يكون من بينها التنافس على السلطة فى بلاد النوبة. ومن أمثلة ذلك ما ذكره المقريزى [٣]، من أن سفارة نوبية مؤلفة من ركن الدين كرنبس [٤]، أحد قواد جيش النوبة، وياقوت أحد التراجمة بها، وياقوت فارس الدين، وصلت إلى القاهرة سنة ٧٦٧هـ (١٣٦٦)، تخبر أن ثمة نزاعا نشب بين ملك النوبة وبين ابن أخيه [٥]. فقدم الأمير الثائر يعاونه عرب بنى جعد إلى دنقلة، حيث دارت معركة قتل فيها الملك ولاذ جيشه بالفرار. غير أن بعض الموالين للملك، أقاموا أخاه ملكا فى مدينة الدر تاركين دنقلة تحت رحمة الأمير الثائر وبنى جعد. غير أن هذا الأمير، دبر مكيدة تخلص بها من زعماء بنى جعد. ويقال إنه انتقل شمـالا إلى الدر، حيث تم الصلح بينه وبين عمه، على أن يكون الأمير الثائر نائباً للملك. وطلب الأمير معاونة السلطان الأشرف ضد العرب لاسترداد ملك بلادهما على أن يدفعا له جزية سنوية[٦].

أرسل السلطان حـملة مملوكـيـة بقـيـادة الأمـيـر عـبـد الغنى إلى بلاد النوبة. ويقـول

(1) MaMichael, H.A.: op. cit. I. p. 187.

(٢) المقريزى: السلوك، مخطوط، المجلد السابع ص ١٤٨.

Quatremere : op. cit. p. 116.

(٣) المقريزى: السلوك مخطوط، المجلد السابع، ص ١٤٨أ.

(٤) المصدر السابق.

(٥) لم يذكر المقريزى اسم الملك ولا اسم ابن أخيه. غير أننا نستنتج من اعتماد الأمير الثائر على بنى جعد أنه من إحدى القبائل العربية وربما كان من فرع بنى كنز.

(٦) المصدر السابق : ص ١٤٩أ. وانظر:

Quatremere : op. cit. p. 118.

مـاكـمـايكل(١)، وإن هدف هذه الحملة هو تأييـد الملك الشرعي، وتأديب بني كنز وبني عكرمة، فضلا عن إعادة النفوذ المملوكي على هذه البلاد، ويقال إن زعماء بني كنز أعلنوا ولاءهم للحملة المملوكية، بعد أن منحهم قائدها الأمان. وتقدمت الحملة جنوبا في أرض النوبة قاصدة الدر، لإنقاذ ملك النوبة من الحصار الذى فرضه عليه بنو عكرمة. وعند مدينة إبريم قبض قائد الحملة على زعماء بني كنز وبني عكرمة. ثم قصدت فرقة مملوكة إلى جزائر ميكائيل، حيث يعكسر بنو عكرمة، ودارت موقعة قتل فيها كثير من بني عكرمة وفر الباقون إلى الجبال(٢).

وتدل أنباء هذه الحملة وما قامت به من أعمال في بلاد النوبة، أنها لم تحرز نصرا حاسماً، وأن نجاحها كان جزئياً (٣). بدليل أنه تقرر أتخاذ مدينة الدر مقرا للملك بدلا من دنقلة، لسببين واضحين هما هجر سكانها لها كما يقول المقريزى (٤)، وحتى لا يقع الملك في أيدى بني عكرمة، الذين كانوا يسيطرون عليها فيما يظهر.

اتمت الحملة مهمتها في بلاد النوبة على هذا النحو بعد أن أجلست الملك على العرش ولبس الحلة الملكيـة (٥) ، ثم عادت إلى مصر في نفس العام، يصحبها أسرى بني كنز وبني عكرمة الذين أودعوا السجن. ويقال إن الملك بعث بهدية قيمة إلى السلطان. أما ابن أخيه فإنه أقام في قصر إبريم (٦).

ويبدو أن السلطنة المملوكية كانت موتورة من بنى كنز وبني عكرمة، فبعث بأسراهم إلى أسوان حيث قتلهم جميعاً وإليها المعروف بالدم الأسود سنة ١٣٦٦م. غير أن هذا الحادث أثار بني كنز وبني عكرمة كذلك، فساروا في قوة كبيرة نحو أسوان واشتبكوا في معركة ضد القوات المملوكية قتل فيها الدم الأسود ، وانتهى الأمر بتخريب أسوان ونهبها وقتل عدد كبير من سكانها (٧).

---

(1) MacMichael, H. A. : op. cit. p. 187.

(٢) المصدر السابق : ص ١٤٩أ، وانظر:

Quatremere : op. cit. pp. 119 - 120.

(3) MacMichael, H. A. : op. cit p. 188.

(٤) المقريزى: السلوك، مخطوط، المجلد السابع، ص ١٩٤أ، وانظر:

Quatremere : op. cit. p. 120.

(٥) المصدر السابق: نفس الصفحة. (٦) المصدر السابق:

(٧) المصدر السابق: ص ٥٢ب، وانظر:

Quatremere : op. cit. pp. 120 - 126.

وظلت الأمور فى هذه المنطقة على حال من الفوضى حتى إذا كان عام ٧٨٠هـ (١٣٧٩م) عاد النفوذ المملوكى مرة أخرى إلى هذه المنطقة، وتمكن حاكم أسوان من القبض على أحد عشر زعيما من زعماء بنى كنز وقتلهم وبعث برؤوسهم إلى القاهرة حيث علقت على باب زويلة، كما أرسل مائتان من أبناء هذه القبيلة مكبلين بالحديد إلى القاهرة [١].

ويقول المقريزى إن سياسة العنف والقسوة التى اتبعتها السلطنة المملوكية نحو بنى كنز وغيرهم أدت إلى إضعاف نفوذها فى هذه المنطقة فأضحت تحت رحمة. بنى كنز الذين خربوا بعض جهاتها ولم تتمكن السلطنة المملوكية أن تبسط سلطانها على هذا الإقليم بصفة دائمة[٢]، وظل يتجاذبها بنو كنز حينا وسلاطين المماليك حينا آخر. ويشير المقريزى إلى إغارات قام بها بنو كنز على ثغر أسوان كان يقابلها سلاطين المماليك بتجريد الحملات عليهم[٣] وظلت عملية المراوحة التقليدية فى هذه المنطقة هى العملية الوحيدة التى تسترعى الانتباه.

ووجدت السلطنة المملوكية فرصتها فى استعادة إقليم أسوان وبسط نفوذها القديم على النوبة حينما لجأ نصر الدين ملك النوبة عام ٨٠٠هـ (١٣٩٨م) إلى القاهرة مستنجدا بالسلطان المملوكى برقوق ضد ابن عمه [٤]. ويبدو أن هذا الملك النوبى الهارب كان من أبناء بنى كنز، ويقال إن السلطان عين على أسوان واليا يدعى إبراهيم الشهابى، وأمره بتقديم المساعدة إلى نصر الدين، غير أننا لا نعرف عن أمر هذه المساعدة شيئا. وكل ما يمكن استنتاجه هو أن سلطنة المملوكية استعادت نفوذها على أسوان مؤقتا، «إلى أن كانت المحن من سنة ست وثمانمائة (١٤٠٤م) وخرب إقليم الصعيد ، فارتفعت يد السلطنة عن ثغر أسوان. ولم يبق للسلطان فى مدينة أسوان وال واتضع حاله عدة سنين[٤]». وفى سنة ٨١٥هـ (١٤١٣م) هاجمت قبيلة هوارة – التى كانت تعيش فى صعيد مصر – ثغر أسوان وهزمت بنى كنز [٥]. والظاهر أن هذه القبيلة تقدمت جنوبا كذلك فى أرض النوبة.

(١) المصدر السابق: المجلد الثامن. ص ١١٥أ. وانظر:

Quatremere : op. cit. p. 122.

(٢) االمصدر السابق: ص ١١٩أ.
(٣) المصدر السابق: ص ١٥٢أ – ١٥٢ب.
(٤) المصدر السابق: المجلد العاشر، ص ٢٦٠أ.
(٥) المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ١، ص ١٨٩.

والواضح أن الاضطرابات التى شملت جهات مصر الجنوبية وبلاد النوبة منذ حوالى منتصف القرن الرابع عشر الميلادى، وارتفاع يد السلطنة المملوكية عنها، وما صارت إليه الأحوال فى مصر نفسها، شجعت القبائل العربية فى مصر على الهجرة جنوبا إلى بلاد النوبة ليعيشوا كيفما يطيب لهم العيش بعيدا عن ضغط المماليك، لا سيماوأن بلاد النوبة فى ذلك الحين كانت تفتقر إلى حكومة قوية تكبح جماحهم [١]. ومن هذه الهجرات هجرة جهينة وفزارة الذين اندفعوا جنوبا وغربا تاركين وراءهم بنى كنز وبنى عكرمة والهوارة وغيرهم فى بلاد النوبة [٢].

وفى هذا القرن (أى الخامس عشرالميلادى). تم اختلاط هؤلاء وأولئك جميعا بالنوبيين من أسوان حتى دنقلة . وفى هذا القرن تكونت كذلك المجموعات النوبية المستعربة والتى لا تختلف فى صفاتها الطبيعية وملامحها عن النوبيين الحاليين ، وهم الكنوز الفديجة والسكوت والمحس والدناقلة[٣].

وظل بنو كنز يمثلون أقوى العناصر النوبية المستعربة فى بلاد النوبة، حتى نهاية الدولة المملوكية الثانية فى مصر والشام سنة ١٥١٧م على يد السلطان سليم.

سقوط مملكة علوة المسيحية
وانتشار الإسلام

عوامل سقواط مملكة علوة،النزاع بينها وبين جيرانها ■ أثر الرق ■ قطع العلاقات الدينية بينها وبين كنيسة الإسكندرية ■ الهجرات العربية إلى حوض النيل الأوسط وأثرها ■ الحلف السنارى وقيام مملكة الفونج ■ جهود العلماء ورجال الصوفية فى نشر الاسلام فى مملكة الفونج حتى نهاية القرن السادس عشر الميلادى.

* * *

(١) المصدر السابق ص ١٩٩.

(2) MacMichael : op. cit. p. 188.
Arkell. A. J. : op. cit. p. 199.

(3) MacMichael, H.A.: op. cit. I. p. 187.
Arkell, A.J. : op. cit. p. 199.

اكتنف تاريخ مملكة علوة المسيحية كثير من الغموض بالقياس إلى تاريخ مملكة مقرة، وذلك لضياع معظم آثار علوة من جهة بفعل عوامل التعرية الجغرافية، ومن جهة أخرى بسبب بعدها عن مصر [١].

غير أن هذا لا يعني أن مملكة علوة كانت في عزلة عن مصر تماما، فكنيسة علوة ظلت تابعة للكنيسة المصرية منذ نشأتها فضلا عن وجود علاقات تجارية قديمة بين البلدين، بدليل تمسك السلطنة المملوكية بمدينة سوا كن للإشراف منها على حقوق مصرالتجارية في جهات حوض النيل الأوسط. ثم أن رغبة ملوك علوة في استمرار العلاقات بينهم وبين السلطنة المملوكية تبدو واضحة من شكوى أدور ملك الأبواب للسلطان قلاون من تعرض ملك مقرة لرسله المسافرين إلى مصر.

وكيفما كان الأمر ، فالواضح أن مملكة علوة المسيحية تعرضت لما سبق أن تعرضت له جارتها مقرة في الشمال، من عوامل أدت إلى تفككها وانحلالها وزوال الأسس التي قامت عليها الملكية المسيحية فيها، ثم صبغ هذه الملكية بصبغة إسلامية. غير أن ثمة عوامل أخرى خارجية أدت إلى سقوطها ومن هذه العوامل، أن مملكة علوة تعرضت لإغارات مملكة الزغاوة منذ القرن الثاني عشر الميلادى على طرق القوافل التجارية ما بين بحيرة تشاد غربا إلى النيل شـــرقـــا [٢]. وظلت مملكة علوة موضع تهديد الزغاوة حتى نهاية القرن الرابع عشر الميـلادى[٣]. وقد سبقت الإشارة إلى أن الملك أدور ملك الأبواب شكا من تعرض بلاد الأنج لغزو أمير أجنبي ، ولا يبعد أن يكون هذا الأمير هو أمير الزغاوة ثم أن طمع جيران مملكة علوة في الحصول على الرقيق منها، أدى إلى نزاع مستمر بين ملوك علوة وأولئك الجيران في الشمال أو الغرب. فالمعروف أن ملوك مقرة لجأوا إلى شن الإغارات على جيرانهم للحصول

(1) Griffith, F. Ll. : Christian Documents from Nubia p. 2.

Arkell, A.J."Fung Origins", SNR. XV. part II. 1932 p. 203.

(٢) امتدت مملكة الزغاوة حسبما ورد في المهلبي من بحيرة تشاد في الغرب إلى أطراف النوبة في الشرق، ويرى آركل أنها شملت الكانم ودافور في القرن الرابع عشر.

Arlell, A. J. : A Hist. of the Sudan p. 199.

(3) De Villard : op. cit. pp. 198 -210.

على الرقيق لدفع البقط، إذا لم يتوافر لديهم منه عدد كاف، فضلا عن الاتجار فيه كذلك[١]، ولعل استمرار حاجةالسلطنة المملوكية إلى الرقيق هى التى أدت إلى استمرار هذا النزاع الذى بدا واضحاً فى القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر الميلادى [٢].

أما فى الغرب فإن أعراب جذام وغيرهم المهاجرين من مصر جنوبا اجتاحوا مملكة الزغاوة حتى سيطروا على منطقة دارفور [٣]. واتخذ أولئك الأعراب من هذه المنطقة قاعدة لشن إغاراتهم على ما جاورها من أقاليم حتى مملكة برنو فى الغرب، بدليل ما جاء فى شكوى سلطان برنو إلى السلطان الملك الظاهر ابى سعيد برقوق سنة ٧٩٤هـ (١٣٩٢م) ضد أولئك الأعراب[٤]، جاء فيها «... فإن الأعراب الذين يسمون جذاما وغيرهم قد سبوا أحرارنا من النساء والصبيان وضعفاء الرجال وقرابتنا وغيرهم من المسلمين... وهؤلاء الأعراب قد أفسدوا أرضنا كلها فى بلد برنو كافة حتى الآن وسبوا أحرارنا وقرابتنا من المسلمين ويبيعونهم لجلاب مصر والشام وغيرهم ويختدمون ببعضهم...».

وليس من المستبعد - بعد أن اقترب أولئك الأعراب من أطراف علوة - أن يكونوا شنوا عليها حربا لهذا الغرض كذلك.

وكان لقطع العلاقات الدينية بين الكنيسة المصرية وكنائس علوة، توقف إرسال الأساقفة المصريين إلى بلاد النوبة منذ منتصف القرن الثالث عشر الميلادى أثر خطير فى حياة النوبيين الدينية، فأهملت الطقوس الدينية وهجرت الكنائس النوبية وخرب معظمها. وقد حفظ قسيس برتغالى يدعى الفارز الذى زار الحبشة بين سنتى ١٥٢٠ - ١٥٢٧م - صورة عن أحوال النوبيين (أهل علوة) الدينية أوائل القرن السادس عشر الميلادى بقوله «... إن أولئك النوبيين يجهلون دينهم فلا هم بالمسيحيين ولا هم بالمسلمين أو اليهود. ويقال إنهم كانوا على النصرانية، غير أنهم فقدوا دينهم، ولم تبق لهم عقيدة».[٥] ويظهر من قول الفارز أن النوبيين

---

(١) كان الرقيق إحدى وسائل التعامل التجارى بين ممالك النوبة المسيحية وغيرها بدل العملة التى لم تكن معروفة عندهم .

(2) Walkely, C. E. J. : "The Story of Khartoum". SNR. XVIII. part II. p. 224.

(3) Arkell, A.J. : A Hist of the Sudan to AD. 1821. pp. 199 - 200.

(٤) القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٨، ص ١١٦.

(5) Father Francisco Alvarez, Narrative of the Portuguese Embassy to Abyssinia. p. 65.

فشلوا في الحصول على قساوسة من كنيسة الإسكندرية[1] فبعثوا إلى نجاشي الحبشة سنة ١٥٢٢م ليرسل إليهم من يرشدهم في دينهم، غير أن النجاشي اعتذر عن تلبية هذه الرغبة «إذ أنه يعتمد على البطريرك في بلاد المسلمين في إرسال «أبونا» فكيف يعطيهم من يتفضل بهم عليه غيره» [2]. ومما زاد في عزلتهم سقوط مملكة مقرة في الشمال واعتناق أهلها الإسلام. وذكر الفارز نقلا عن بعض الأحباش أنه منذ وفاة أسقف النوبة (علوة) منذ أمد بعيد لم يخلفه غيره بسبب الحروب بين القبائل العربية في بلاد النوبة الشمالية، فتركت كنائسهم دون رعاية رجال الدين، فنسوا كل شئ عن المسيحية[3]. وثمة دليل على هجر النوبيين كنائسهم وتخريب الاعراب معظمها، ما ذكره الفارز كذلك نقلا عن حنا السورى الذى زار علوة قبل ذلك بقليل حيث يقول« إنه كان بها ١٥٠ كنيسة قديمة تحمل جدرانها صور السيد المسيح والعذراء» [4] وهذا عدد قليل بالقياس إلى ما عرف عن عدد كنائس علوة حوالى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى والتى بلغ عددها على قول أبى صالح ، حوالى ٤٠٠ كنيسة[5].

أما الروايات التاريخية الوطنية فأجمعت على أن نهاية مملكة علوة وسقوطها أوائل القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) تم على يد جماعة من العرب والفونج. ويعنى هذا أن العرب وحلفاءهم استطاعوا اسقاط هذه المملكة عن طريق الغزوات العديدة أو أن أحوال

(١) ذكر الفارز خطأ أن العادة جرت فى الماضى بأن ترسل روما القسس لهؤلاء القوم. وأن آخر قسيس جاء من روما مات منذ أمد بعيد. ولم يتمكنوا من الحصول على غيره بسبب الحروب بين المسلمين. والحقيقة بطبيعة الحال أن الإسكندرية لا روما هى التى كانت تبعث بهؤلاء الأساقفة. ثم توقف إرسالهم بسبب الحروب في النوبة الشمالية «مقرة» وتعنت السلطة المملوكية ضد الكنيسة المصرية.

(٢) وبلاد المسلمين هنا يقصد بها مصر Ibid, op. cit. p. 352.

(3) Alvarez : op. cit. p. 352.

ويرى شنى Shinnie P. L. : Exxav, at Soba p. 13. أن رواية الفارز تشير إلى مملكة علوة أما Crawford. O. G. S. ; op. cit. p. 149. فيرى أن هذه الرواية تنطبق على مملكة مقرة أكثر من علوة. غير أن هذا لا يتفق وما عرف عن إسلام مقرة منذ قرنين مضيا، والراجح أن هؤلاء النوبيين الذين أشار إليهم الفارز تابعون لعلوة بدليل ما ذكره أن العرب يسيطرون على البلاد الواقعة جنوبى مصر وهى مقرة بطبيعة الحال فضلا عما ذكره أنهم يجاورون البلو. وهى مملكة البلو المجاورة للحبشة.

(4) Alavarez, F. : op. cit. p. 352.

(٥) أبو صالح : ص ١٢٠.

هذه المملكة كان اضمحلالية بحيث لم تقو على مواجهة هذه القبائل[1]. وإذا سلمنا بصحة هذه الروايات التاريخية فيما يتعلق بدور العرب وحلفائهم ضد هذه المملكة المسيحية، فإن هذا يدعونا إلى الاعتقاد بأنه سبق سقوطها وصول جماعات عربية فى أعداد وفيرة حتى تسنى لها طبع هذه البلاد وسكانها المسيحيين بطابع مخالف هو الطابع العربى الإسلامى.

وإذ أشار المؤلفون المسلمون إلى هجرة بعض الجماعات العربية من مصر إلى بلاد النوبة الشمالية (مقرة) وأوطان البجة، فإن أحدا من أولئك المؤلفين لم يشر إلى مثل هذه الهجرات العربية إلى بلاد علوة، بل إن أخبار هذه الهجرات واستقرار الجماعات العربية المختلفة فيها جاء من مصادر سودانية، وهى عبارة عن أوراق النسبة التى تحتفظ بها كثير من الأسرات السودانية فى الوقت الحاضر[2].

يضاف إلى ذلك ما سبقت الإشارة إليه من هجرة بعض الجماعات العربية من الجزيرة العربية عبر البحر الأحمر، سواء أكان هذا قبل الإسلام أو بعده على أثر وقوع أحداث هامة فى بلاد العرب [3]. فالمعروف أن عددا من الهجرات العربية استقرت فى جهات متفرقة فى النيل الأزرق والأتبرا والحبشة. وإذا كانت هذه الهجرات العربية السابقة للإسلام قليلة العدد محدودة الأثر فلا شك فى أن أعدادها زادت زيادة واضحة عقب الغزو العربى لمصر حتى سمح للعرب - المهاجرين أو المترددين على علوة للتجارة وغيرها - ببناء مسجد فى سوبا[4].

وموضع الأهمية هنا هل ظلت الجزيرة العربية هى المصدر الوحيدة لتلك الهجرات العربية الإسلامية إلى حوض النيل الأوسط عبر البحر الأحمر مباشرة، أو كانت هنالك مصادر أخرى

---

(١) سبق أن أشرنا إلى بعض عوامل اضمحلال مملكتى مقرة وعلوة.

(٢) جمع ماكمايكل معظم أوراق النسبة العربية فى السودان ونشرها فى مؤلفه الضخم المعروف باسم A History of the Arabs in the Sudan. II. غير أن هذه الوثائق الوطنية تحتاج إلى تمحيص وغربلة حتى يتسنى الانتفاع بها، وذلك لأن معظم عرب السودان يميلون دائماً إلى الانتساب إلى بيت الرسول أو أحد الصحابة ، وأدى هذا إلى اصطناع كثير من هذه النسبة ا لتى تجعل الاعتماد عليها وحدها أمراً غير مقبول.

(٣) ومن بين هذه الأحداث تخريب سد مأرب واضطهاد قريش للمسلمين وحروب الردة والنزاع على الخلافة بين الأمويين والعلويين وسقوط الدولة الأموية كذلك.

(٤) أرنولد: الدعوة إلى الإسلام ، ص ١٠٠ .

شاركت ، أو انفردت بتعريب هذا الجزء من حوض النيل ؟ أن ثمة رأيا يقول «هناك ثلاثة أبواب دخلت منها الدماء العربية إلى السودان : فالباب الشرقي من السودان كان واحدا من هذه الأبواب ... والباب الثاني هو الباب الشمالي في وسط السودان الذى يفضي إلى مجرى النيل ومصر.. أما الباب الثالث فهو الطريق الشمالي الغربي أو الطريق الليبي ... ولعل هذا الباب لم يكن مصدرا للهجرات والغزو إلا بعد الإسلام [1]. ويعني هذا أن كلا من الجزيرة العربية ومصر كانا مصدرا الهجرات العربية التى حملت الغزوات والهجرات الإسلامية إلى حوض النيل الأوسط . ومع تسليم الأستاذ عوض بأهمية مصر كمصدر للثقافة العربية فى وادى النيل الأوسط إلا أنه لم يقلل من أهمية الجزيرة العربية كمصدر مباشر للهجرات العربية التي قامت بنصيبها في نشر العروبة في هذا الاقليم.

غير أن هنالك من يرى أن الجزيرة العربية - كمصدر مباشر للهجرات العربية إلى حوض النيل الأوسط عبر البحر الأحمر مباشرة - كانت قليلة الأهمية ضعيفة الأثر بالقياس إلى المصدر الشمالي وهو مصر. فيقول الأستاذ عمار «إذا نحن استثنينا تلك الجماعات العربية القليلة التى وصلت إلى السودان رأسا عبر البحر الأحمر، سواء كان ذلك قبل الإسلام أم زمن التوسع الإسلامي، أم كانت هجرات حديثة كالتي أوصلت قبائل الرشايدة إلى حيث ينزلون الآن في الشمال الشرقي للسودان. فإن تعريب السودان في الواقع إنما تم عن طريق مصر إذ لا يسجل التاريخ - في أى عهد من عهوده - وصول موجات هامة أو هجرات عنيفة إلى السودان عن طريق غير طريق مجرى النيل من الشمال إلى الجنوب» [2]. ونجد للرأى الأخير تأييدا فيما ذكره ما كمايكل إذ يقول «إن بعض القبائل العربية في السودان تدعى أن أجدادها وصلوا من جزيرة العرب مباشرة إلى السودان عبر البحر الأحمر لتأييد دعواهم في الانتساب إلى أصل شريف أموى أو عباسى أو أنهم سلالة بعض صحابة رسول الله . ومع التسليم بوصول بعض الأسر العربية من حين إلى آخر عبر هذا الطريق إلى السودان إما للتجارة أو

(١) أنظر محمد عوض محمد: السودان الشمالي، ص ١٥٩ - ١٦٠ حيث يقول: «وحسبنا أن نقرر أن الباب الشرقي من السودان كان واحداً من الأبواب التى دخلت منها الدماء العربية ومعها الثقافة العربية إلى السودان، وأن تأثيرها لم يكن مقصوراً على الجهات التى تقابل الجزيرة العربية بل تجاوزتها إلى السودان الأوسط والسودان الغربي أيضا».

(٢) عباس عمار: وحدة وادى النيل . أسسها الجغرافية ومظاهرها في التاريخ ص ٨٠.

اتخاذه مكان هجرة أو بحثا عن المراعي كما فعلت قبيلة الرشايدة حديثا فإن التاريخ لم يسجل وصول هجرات واسعة عبرهذا الطريق مثلما سجل عن هجرة هذه القبائل العربية إلى مصر [١].

وكيفما كان الأمر فالمعروف أن كثيرا من الجماعات العربية انتقلت من مصر جنوبا حيث استقرت في بلاد النوبة الشمالية وأرض البجه عقب الغزو العربي لمصر، واختلطت الجماعات بعضها ببعض اختلاطا كان يغذيه وصول القبائل وسكناها بين النوبيين والبجه حينا بعد حين، ولا سيما بعد منتصف القرن التاسع الميلادى. وزادت جموع العرب المهاجرين من مصر جنوبا زيادة واضحة عقب قيام السلطنة المملوكية في مصر في منتصف القرن الثالث عشر الميلادى، ثم سقوط مملكة مقرة المسيحية بعد ذلك في يد العرب أوائل القرن الرابع عشر الميلادى. ومرجع ذلك في الغالب على قول ما كمايكل، أن أولئك العرب لم يطب لهم المقام في مصر ولاسيما بعد أن فقدوا ميزاتهم القديمة وأصبح ينظر إليهم كعنصر غير مرغوب في بقائه، فاستبدلوا بقوات حربية نظامية مدربة لأنهم لا يجيدون سوى شن الإغارات للحصول على الغنائم فضلا عن مماطلتهم في دفع الضرائب وإثارة القلاقل. وفي القرن الرابع عشر أصبح ينظر إليهم على أنهم خارجون على القانون. ثم أن رغبة العرب – في العيش عيشة البداوة التي تعودوها في بيئتهم الأصلية والبحث عن مراعي واسعة تناسب حياة الإبل والأغنام والتي لا يتوفر وجودها في مصر – دفعت بالعرب إلى الهجرة جنوباً حيث البيئة الرعوية التي تشبة بعض جهاتها البيئة الأصلية في الجزيرة العربية. هذا فضلا عن رغبتهم في الحصول على الرقيق [٢] ثم أن السلطنة المملوكية سمحت لأولئك العرب بالرحيل من مصر، وأكثر من هذا أنها أمعنت في مطاردتهم جنوبي مقرة ذاتها بدليل ما ذكره النويرى أن حملة مملوكية جردها السلطان الناصر محمد بن قلاون سنة ٦١٧هـ ـ(١٣١٧م) ضد العرب الذين يسكنون حول عيذاب لاعتدائهم على بعثة أرسلها ملك اليمن بهدية إلى السلطان المملوكي. وأوغلت هذه

(1) Hamilton J. A. de C. ed. : The Anglo Egyptian Sudan From Within. "The Coming of The Arabs in the Sudan" by MacMichael, PP. 64-47.

(2) Hamilton ed. : op. cit. PP. 47-50.

أنظر أيضا:

Reid, J. A. : "Some notes on the tribes of the White Nile Province " SNR. XIII. part.II. 1930. P. 151.

الحملة جنوبا حتى سواكن، واتجهت غربا إلى التاكة ، والى جهة الأبواب ثم عادت إلى مصر عن طريق دنقلة[١].

والواضح تماماً أن سقوط مملكة مقرة المسيحية أوائل القرن الرابع عشر الميلادى، أدى إلى ازدياد موجة الهجرات العربية، ولا سيما بعد أن بات السابقون من العرب فى شغل بمنازعاتهم الداخلية عن المهاجرين الجدد، وربما كان أشد هذه الهجرات الجديدة عنفاً، هجرة جهينة التى أشار إليها ابن خلدون، وهى واحدة من خليط هائل من القبائل العدنانية والقحطانية وبطونها المختلفة التى تجمعت فى أنحاء النوبة الشمالية، على حين تجمع خليط آخر منها عقب سقوط دنقلة فى أرض البطانة والجزيرة ونشأت على أثر ذلك بعض المهاجر العربية قرب سنار الحالية[٢]. والراجح أن معاينة هذه الجماعات للمراعي الغنية ترامت أخبارها إلى ذويهم فى الشمال فاندفعت جموعهم جنوبا ولاسيما أولئك الذين حافظوا على بداوتهم [٣]، بعد أن ضاقت بهم مهاجرهم فى النوبة الشمالية، بسبب فقر بيئتها وندرة مراعيها[٤].

لكن كيف شق أولئك المهاجرون طريقهم نحو الجنوب؟ هل اضطروا إلى شن الإغارات على الوطنيين والدخول في حرب ضد مملكة علوة المسيحية، يقول ابن خلدون: «وانتشروا (أى جهينة) ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة وكاثروا هنالك سائر الأمم وغلبوا على بلاد النوبة، وفرقوا كلمتهم وأزالوا ملكهم وحاربوا الحبشة فأرهقوهم إلى هذا العهد [٥]. والمفهوم من هذا أنه بعد سقوط دنقلة في يد العرب أضحت المنطقة الممتدة من حلفا الحالية إلى شمال غربى الحبشة مسرحا لأعمال النهب والتخريب مدة لا تقل عن ثلثمائة عام [٦] وأن العرب في تقدمهم جنوبهم قتلوا كثيراً من النوبيين وأسروا بعضهم حتى اضطر كثير من النوبيين إلى الهجرة غربا إلى تلال نوبا في جنوب كردفان، وجبل حرزا وكاجا وغيرها في شمال

---

(١) النويرى: نهاية الأرب، جـ٣٠، ص ٩٦ – ٩٧، المقريزى : السلوك، جـ٢، القسم الأول ، ص ١٦٢ : انظر ملحق رقم ١٦.

(2) Henderson, K. D. D. : "Fung Origins" SNR. XVIII part I. 1933 p. 150.

(3) Hamilton, : ed. op. cit. p. 48.

(4) Trimingham, J. S. : Islam in the Sudan. P. 71.

(٥) ابن خلدون: العبر، جـ٢، ص ٢٤٧.

(6) Walkely, C. E. J. : "The Story of Khartoam", SNR. XVIII. part II. 1935 p. 124.

كردفان[1] غير أنه يبدو أن العرب لم يقابلوا فى تقدمهم جنوبا إلى جهات علوة وغيرها مقاومة عنيفة لعجز ملوكها عن دفعهم . وإذا كانوا اضطروا أحياناً إلى استخدام العنف، فإن الطابع العام لهذه الهجرات كان طابعا شبه سلمى ونجحوا فى تحقيق مآربهم بالاختلاط والتزاوج من بنات النوبيين وملوكهم. ويقول ما كما يكل «إن كل الدلائل تشير إلى أن النصر - باستثناء أقاليم معينة كإقليم جبال النوبا، حيث لا يزال العرب يمتلكون السهول، على حين يسكن الزنوج التلال - قد تم غالبا بالاتفاق والتزاوج مع بعض العنف بسبب ضعف مقاومة النوبيون. ويمكن القول إن الظاهرة الأساسية فى التاريخ الجنسى لشمال السودان ووسطه منذ أواخر القرن الثالث عشر الميلادى كانت ظاهرة الاندماج التدريجي بين العرب والسود»[2].

لا شك أن لهذا الرأى وجاهته فهو يتفق وما ذكره ابن خلدون فى صدد هجرة جهينة إلى بلاد النوبة (علوة)[3]. أما عن اضطراب الأمن فى بلاد النوبة وأوطان البجه حتى الحدود الحبشية، فكان بسبب التنازع بين القبائل العربية ذاتها لسبب أو لآخر. وتشير بعض الروايات التاريخية إلى وجود مثل هذا النزاع بين قبيلتى جهينة ورفاعة أواخر القرن الثالث عشر الميلادى قرب عيذاب [4]. ولعل فى إشارة ابن خلدون إلى انقسام العرب على أنفسهم ، ما يزيد فهمنا لما صار إليه هذا الجزء من حوض النيل أوائل القرن الخامس عشر الميلادى. إذ يقول «واستولى

----

(1) Sager , J. W. : "Notes on The history, religion and Customs of the Nuba", SNR. V. part III. 1922 p. 139.

ويشبه سجر Sager تقدم العرب فى شمال السودان بتقدم الانجلوسا كون فى بريتانى حيث قضوا على البريتون ومن نجا منهم فر إلى جبال كرنول وويلز.

(٢) عباس عمار - وحدة وادى النيل ، ص ١٦ ، نقلا عن:

Hamilton, : ed. op. cit. p. 59.

(٣) أنظر الجزء الخاص بسقوط مملكة مقره المسيحية ص١٠٠٠ حيث ورد فيها نص ابن خلدون الذى يشير فيه إلى عجز ملوك النوبة عن صدهم، فاستمالوا إليهم العرب عن طريق المصاهرة،ابن خلدون : العبر، جـ٥ ص ٤٢٩.

(٤) المقريزى: السلوك ، جـ١ ، القسم الثالث ص ٧٠٠، أنظر كذلك:

Bloss. J. F. E. : "The of Suakin " . SNR. XIX, part II, 1936 p. 281.

أعراب جهينة على بلادهم (أى النوبيين فى علوة)، وليس فى طريقه شئ من السياسة الملوكية للآفة التى تمنع انقياد بعضهم إلى بعض فصاروا شيعا لهذا العهد» [١].

أما عن الطرق والمسالك التى سلكتها الجماعات العربية المختلفة، إلى حوض النيل الأوسط، فمن بينها الطريق الذى يتجه جنوبا بشرق من أسوان وكرسكو عبر أوطان البجه، الموازية للبحر الأحمر. غير أن أهمية هذا الطريق محدودة بالقياس إلى الطرق الأخرى لقلة الماء وفقر المرعى. والغالبية العظمى من العرب المهاجرين من مصر إلى حوض النيل الأوسط سلكت الطريق الذى يتبع مجرى النهر إلى منطقة دنقلة. وإذا كانت بعض القبائل آثرت أن تستقر على جوانب النهر، فإن منها من انتقل غربا بطريق وادى القعب، ونزل الأراضى المحيطة به، وسلك الآخرون الطريق الذى يبدأ من كورتى على طول وادى مقدم وعبر الدبة على طول وادى الملك إلى كردفان، حيث تتفرع الهجرات على شكل المروحة، فمنها ما يتحرك إلى دارفور وما يليها غربا وجنوبا، ومنها مايسير على جوانب النيل الأعظم وعبر صحراء بيوضه وأعلى الأتبرا و النيل الأزرق فى اتجاه جنوبى شرقى إلى حدود الحبشة [٢].

وثمة رأى آخر يقول إن الجماعات العربية التى هاجرت من مصر جنوبا إلى السودان بطريق النيل، لم تلازم النهر فى كل جزء منه، بل سلكت طريقا يتابع النهر من جنوب أسوان إلى كرسكو أو قبلها ثم يخترق صحراء العتمور مباشرة إلى أبو حمد حيث يتابع النهر مرة أخرى ويلازمه نحو الجنوب [٣]. غير أن هذا الطريق إذا صح وسلكته بعض الجماعات العربية فلا بد وأن يكون هذا حدث قبل سقوط دنقلة أوائل القرن الرابع عشر الميلادى، لمنع العرب أو غيرهم من غير النوبيين التقدم جنوبى الشلال الثانى إلا للتجارة [٤] وبسقوط دنقلة انفتح الباب أمام الجماعات العربية المختلفة للانسياب جنوبا على طول النهر، الذى كان دائما الطريق الطبيعى للهجرات منذ فجر التاريخ، وذلك لا حاطتة بصحراء قاحلة جرداء، على حين أن واديه الضيق يسمح بمرور القطعان حيث يوجد الماء والعشب كذلك [٥].

---

(١) ابن خلدون: العبر ، جـ٥ ، ص ٤٢٩.

(2) Hamilton, : ed. op. cit. p. 55.

(٣) محمد عوض محمد : السودان الشمالى ص ١٦٠ – ١٦١.

(٤) أنظر ص٩٠٧ من كتابنا هذا.

(5) Firth, C. M. ASN. Roport 1910 - II. p. 1.

أشتملت الجماعات العربية التي هاجرت إلى حوض النيل الأوسط على مجموعتا العدنانيين والقحطانيين. ويمثل العدنانيين في الوقت الحاضر الكواهلة والمجموعة الجعلية وبعض القبائل الصغيرة الأخرى كالرشايدة. ويمثل القحطانيين، المجموعة الجهنية. إذن متى دخلت هذه الجماعات العربية حوض النيل الأوسط؟ وكيف تم انتشارها على هذه الصورة؟ إن أول إشارة إلى بنى كاهل وردت فى رحله ابن بطوطة إلى عيذاب وسواكن فى منتصف القرن الرابع عشر الميلادى (١٢٥٣م[١])، فذكر أن أولاد كاهل يسكنون المنطقة الممتدة من عيذاب إلى سواكن، وهم مختلطون بالبجة عارفون بلسانهم [٢]. وليس من المعروف تماماً متى استقر أولاد كاهل بين البجة والراجح أن هجرتهم إلى هذا الأقليم لهذا التاريخ (منتصف القرن الرابع عشر الميلادى) بدليل معرفتهم لغة البجة.

ويقال إن الكاهلة ينتسبون إلى كاهل بن أسد بن خزيمة، وأنهم جاءوا إلى السودان من جزيرة العرب مباشرة عبر البحر الأحمر واستقروا فى الإقليم الساحلى بين سواكن وعيذاب[٣] غير أنه لا يوجد من الدلائل ما يؤيد هذه الصلة المباشرة بالجزيرة العربية[٤]. والأرجح أن هجرة أولاد كاهل كانت عن طريق مصر. إذ تقول روايات العبابدة [٥]، إنهم ينتسبون إلى عباد من نسل الزبير بن العوام، وأن جدهم عبادا قدم من جزيرة العرب إلى مصر فى القرن الثالث عشر الميلادى، ثم مات ودفن فى وادى عباد قرب أدفو، وأن عبادا هذا جد كاهل [٦]، ومن ذريته أولاد كاهل الذين أشار إليهم ابن بطوطة. واختلط أولاد كاهل بالبجة عن طريق المصاهرة ونالوا مركز الزعامة فيهم. وعلى الرغم من أن كثيرا من الجماعات العربية اختلطت بالبجة وتصاهرت معهم منذ القرن التاسع الميلادى حيث اعتنق كثير منهم الإسلام ، فإن البشاريين

(1) MacMichael, H. A. : A Hist. of The Arabs in the Sudan . I. p. 324.

(٢) ابن بطوطة: الرحلة جـ١ ، ص ١٥٤.

Murray, G. W. : Sons of Ismail, p. 303.

(٣) محمد عوض محمد : السودان الشمالى، ص ١٤٣ .

(4) MacMichael, H. A. : op. cit. p. 324.

(٥) وهم شعبة من البجة يسكنون صحراء مصر الغربية وتلال البحر الأحمر.

(6) Murray, G. W. : op. cit. op. 30.

والأمرار وبنى عامر [١] ينتسبون كذلك إلى كاهل، مما يدعونا إلى الاعتقاد أنه كان لبنى كاهل الأثر الأكبر فى نشر الإسلام والثقافة العربية فيهم[٢].

ومن المؤكد أن أولاد كاهل عاشوا زمنا فى الأقاليم الساحلية الشرقية والمناطق التى تليها، واشتغلوا بالتجارة وتنظيم القوافل بين النيل والبحر الأحمر، ثم انتشروا انتشاراً تدريجياً نحو الغرب؛ وعرف هؤلاء جميعاً باسم الكواهلة. ويمكن تقسيم هذه الحركة كلها إلى مراحل تمثل الأولى منها نزولهم فى الساحل واستقرارهم فيه فى القرن الثالث عشر الميلادى حيث رآهم ابن بطوطة مختلطين بالبجة فى منتصف القرن الرابع عشر [٣]. وتمثل المرحلة الثانية انتقال شعب منهم إلى جهات أتبرا والنيل الأزرق فى القرن الخامس عشر الميلادى واحتشدوا فيه. وتمثل المرحلة الثالثة انتقال جماعات منهم آتية من الشرق ونزحت إلى جهات النيل الأبيض ثم إلى كردفان فى أزمنة متعاقبة [٤]. وبهذا أضحى للكواهلة أوطان ثلاثة [٥]. والواضح أن معظم هذه الأوطان التى استقروا فيها منذ القرن الخامس عشر الميلادى على الأقل كانت جزءاً من مملكة علوة المسيحية وعاصمتها سوبا. غير أنه لم يصلناشئ عن تاريخ هذه المرحلة من تاريخهم، ومع هذا فإن القليل الذى عرف عن رواياتهم وقصصهم فى وقت متأخر (القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين)، ولا سيما شعبة النيل الأبيض يدل على

---

(١) البشاريون الذين تقسمهم الحدود الإدارية بين مصر والسودان ، فتترك جزءاً منهم داخل الحدود المصرية وتترك جزءاً أخر يسكن إقليما يمتد حوالى ٨٠ ميلا إلى الجنوب (حتى البطانة) أما الأمرار فيحتلون مساحة من الأرض تبلغ ٨٠٠٠ ميل مربع ترتكز من ناحية الشرق على البحر الأحمر ابتداء من خط عرض ٢١ شمالا إلى قرب بور سودان جنوب ويسكن بنو عامر المنطقة جنوب خور بركة ويمتدون فى أرض رترية.

(٢) محمد عوض محمد : نفس المصدر، ص ١٤٤.

(٣) من الملاحظ أنه ليس للكواهلة أوطان فى أرض البجه فى الوقت الحاضر إذ زال أثرهم لاندماجهم التام فى قبائل البجه. وأوطانهم اليوم مبعثرة فى جهات متعددة أخصها إقليم النيل الأبيض وأواسط كردفان.

(٤) محمد عوض محمد : السودان الشمالي، ص ١٤٥ - ١٤٦ ، يقول الدكتور عوض: إن انتشار الكواهلة فى جهات كردفان استغرق حوالى ثلاثة قرون من القرن السابع عشر إلى أواخر القرن التاسع عشر. وعلى الرغم أن قسماً واحداً من العرب على النيل الأبيض يسمى الكواهلة إلا أن الحسانية والحسنيات ينتسبون إلى الكواهلة كذلك وهم يمتدون من خط عرض ١٢ جنوباً إلى جبل الأولياء. نفس المصدر ص ١٤٨.

(٥) وهذه الأوطان هى : الأولى النيل الأزرق والأتبرا، والثانية فى منطقة النيل الأبيض ، والثالثة فى كردفان.

أنهم استعملوا الحيلة أحيانا والحرب أحيانا أخرى لتوطيد أقدامهم. وتدل الأمثلة السائرة عند بعض شعبهم (١)، أنهم اتبعوا سياسة يبدو أنها متأصلة فى بنى كاهل وهى أن ينزلوا غرباء ويدفعوا لأصحاب البلاد أجراً عن الأرض التى يحتلونها، حتى إذا كثر عددهم، أدعوا الحق فيها، والتجأوا إلى القوة لإثبات حقهم(٢).

أما المجموعة الجعلية فتركزت على النيل الأعظم من جنوب الخرطوم الحالية حتى دنقلة. وتمثل هذه الشقة من النهر المركز الرئيسي، الذى انتشرت منه فى شعب وفروع نحو البطانة والنيل الأزرق والنيل الأبيض جنوب الخرطوم ونحو الغرب إلى كردفان ، وفى الشمال حيث يعيش بعضهم مثل الجوابرة والركابية وسط الجماعات النوبية (٣).

وليس من المعروف تماما متى بدأت هجرة هذه الجماعات إلى حوض النيل الأوسط. ومن الجائز استنادا على بعض الروايات الوطنية أن تكون بدأت هجرتها من مصر إلى هذا الإقليم، منذ حوالى أواخر القرن العاشر الميلادى (٤)، سالكة طريق العتمور لتجنب مملكة مقرة المسيحية. ثم لحق بها عدد كبير فى العهد المملوكى ولا سيما بعد سقوط دنقلة (٥)، سالكين طريق النيل من الشمال إلى الجنوب، حيث استقروا فى أوطانهم الحالية على النيل الأعظم(٦).

ويقال إن الجعليين ينتسبون إلى ابراهيم الملقب بجعل، من نسل العباس عم النبى صلى الله وسلم . وترجع سبب هذه التسمية إلى أن ابراهيم هذا كان جوادا مضيافا، وأنه كان يقول للوطنيين وغيرهم من العرب «إنا جعلناكم منا» أى أصبحتم منا (٧). وتدل هذه العبارة وكثرة

....

(١) ومن الأمثلة التى يرويها مستر ريد عن الحسانية وهم من كواهلة النيل الأبيض «لا تأمن الحسانى إن كان غريب بلدان». محمد عوض محمد: نفس المصدر ص ١٥٠، نقلا عن Reid, J. A. : op. cit. p. 149. وما بعدها.

(٢) المصدر السابق ٤٨ى١ – ١٥٠.

(٣) محمد عوض محمد : نفس المصدر ، ص ١٦٤.

(4) MacMichael, H. A. : AHist. of the Arabs in the Sudan, II. p. 348.

ويقول ما كمايكل فى موضع آخر إن أسلافهم هاجروا إلى مصر حوالى ٩٦٩م ثم هاجروا إلى السودان حوالى ١١٧١م Ibid. : op. cit. pp. 9- 10.

(5) Ibid. : op. cit. pp. 9- 10.

(6) MacMichael, H.A. : "Nubian elements in Darfour" SNR. I. No. I. p. 31.

(7) MacMichael, H. A. : A Hist : of theArads in the Sndan; I. p. 197.

ترديدها أن التوغل العربى فى هذه المنطقة كان توغلا شبه سلمى مبنيا على التودد إلى السكان الوطنيين [١]. ويقول ما كمايكل إن انضواء كثير من الجماعات العربية وغيرها من الوطنيين تحت لوائه، جعل ذريتهم من هذا الخليط يدعون جميعا النسب إلى العباس [٢].

والراجح أن الجعليين لم يكونوا أول الأمر قبيلة واحدة بل مجموعة قبائل ذات نسب متقارب، وهاجرت على دفعات وعلى مدى قرون وبسطت نفوذها على هذه الجهات قطراً بعد قطر إلى أن نشأت بينهم أسرة قوية تولت الزعامة ووحدت القبيلة، فضلا عن إدماج المجموعة كلها بعضها فى بعض وإدماج السكان الأصليين فى المجموعة العربية [٣].

وتشتمل المجموعة الجعلية على عدد كبير من القبائل منها الجعليين الأصليين الذين ليس لهم اسم آخر، وتمتد مواطنهم من خانق سبلوقة إلى الأتبرا - والميرفاب إلى شمال الأتبرا حول بربر - والرباطاب من بربر إلى أبو حمد - والمناصير من أبو حمد إلى آخر الشلال الرابع - والشايقية من الشلال الرابع إلى إقليم الدبة - والجوابرة (بنى جابر) بين الدناقلة والمحس - والركابية ويشك فى نسبتهم إلى الجعليين وهم من العرب الشماليين ومواطنهم وسط بلاد المحس- والجموعية وأتباعهم شمال وجنوب أم درمان إلى حدود الكواهلة - والجمع قرب النيل الأبيض إلى الجنوب من بلاد الكواهلة - والبديرية، بعضهم فى بلادالنوبة والبعض فى كردفان. هذا فضلا عن قبائل أخرى مبعثرة بين كردفان والنيل الأبيض والبطانة[٤].

وثمة ظاهرة توجب الالتفات، وهى أن الإقليم الذى تحتله المجموعة الجعلية على النيل من جنوب الخرطوم حتى دنقلة، غلبت عليه الصبغة العربية، مما يدل على أن هذه الجماعات التى هاجرت إلى هذا الاقليم على مدى القرون كانت قوية كثيرة العدد، حضرية لا تميل إلى حياة البداوة، ولهذا فضلت الاستقرار فى مدن على طول النيل [٥]، على حين أن غيرها من الجماعات التى حافظت على بداوتها انتشرت غربا وشرقا وجنوبا فى طلب حاجات الرعى.

---

(١) محمد عوض محمد : نفس المصدر، ص ١٦٦.

(2) MacMichael, H.A. : SNR, I. Part I. 1918 p. 31.

(٣) محمد عوض محمد: السودان الشمالى ، ص ٢١١.

(٤) محمد عوض محمد : السودان الشمالى ، ص ١٦٨.

(5) Chatway, J.D.P. : "Notes on the hist. of Fungs", SNR., XIII. part II., 1939. p. 252.

والمجموعة العربية الثانية – في حوض النيل الأوسط بعد الجعليين من حيث عدد القبائل والبطون – هي المجموعة الجهنية التي تدعي الانتساب إلى عبد الله الجهني[1]. وإن كان يشك في صحة هذه النسبة، فإن جميع الشواهد تدل على نسبتها إلى قبيلة جهينة القحطانية ا لتى عاشت حول ينبع من حوالى ١٣٠٠ سنة، ومن هذا المركز توالت هجراتها إلى مصر[2]، ثم توالت هجراتها جنوبا إلى بلاد النوبة وأوطان البجة منذ منتصف القرن التاسع الميلادى[3]. وانتشرت جماعات من جهينة في أوطان البجة حتى وصلت سواكن في أواخر القرن الثالث عشر الميلادى، بدليل ما أشار إليه المقريزى من نشوب نزاع بينها وبين رفاعة سنة ٦٨١هـ (١٢٨١م) قرب سواكن[4]، ثم انتشروا جنوبا إلى أرض الحبشة. ولا بد أنها كانت من القوة بحيث يقول عنها ابن خلدون إنها حاربت الحبشة وأرهقتها حتى هذا الحين وهو أواخر القرن الخامس عشر الميلادى.

أما الجماعات الجهنية التى انتقلت إلى أرض مقرة فإنها احتشدت فيها حتى إذا كان منتصف القرن الرابع عشر، أخذت في الإنتشار جنوبا متتبعة مواقع الغيث. ويدل هذا على أن جهينة سلكت في تقدمها جنوبا مسالك مختلفة، أهمها الطريق الشرقي عبر أوطان البجة، والآخر طريق النيل، ومنها احتلت أقاليم موزعة بين الأتبرا والنيل الأزرق شرقا إلى أقاصي دارفور غربا.

وتنقسم القبائل الجهنية في السودان إلى ثلاث مجموعات رئيسية: الأولى وتشمل رفاعة (ومعها أقرباؤها من القواسمة والعبد اللاب والعركيين وغيرهم) – اللحويين – والحلويين – والعوامرة – والخوالدة – والشكرية، ومواطنهم جميعا فى أقاليم النيل الأزرق والبطانة، أى في النصف الشرقي من السودان. وتشتمل المجموعة الثانية على دار حامد – وبنى جرار – والزيادية – والبزعة – والشنابلة – والمعاليا. ويطلق النسابون على هذه المجموعة اسم فزارة، ويعيشون في المنطقة الوسطى والشرقية من كردفان . أما المجموعة الثالثة فتشتمل على الدويحية – والمسلمية

---

(1) MacMichael, H. A. : A Hist, of the Arabs in the Sudan. I. 237.

(2) Ibid. : op. cit. I. pp. 237 - 238.

(٣) سبق أن أشرنا إلى هجرة جهينة إلى جهات مختلفة من حوض النيل إلى أوطان البجة وبلاد النوبة منذ منصف القرن التاسع الميلادى إلى القرن الخامس عشر.

(٤) المقريزى: السلوك، جـ١، القسم الثالث، ص ٧٠٠.

– والبقارة – والحاميد – والماهرية – والكبابيش – والمغاربة (الذين جاءوا من المغرب) – والحمر. وهم منتشرون في كردفان ودارفور.

وينبغي أن نشير هنا إلى أن هذا الانتشار الواسع لم يتم دفعة واحدة، بل استغرق عدة قرون، وأن هذه الجماعات استقرت على شكل مجموعات متفرقة تحت سلطان ملوك علوة، محافظة على نظامها القبلي [1]. ولابد أنهم كانوا يدفعون أتاوة لملوك علوة [2]. ومن توالى وصول هجرات جديدة على مر القرون كثرت أعدادهم كثرة واضحة . فتقول إحدى الروايات الوطنية إنه كان لجهينة ٥٢ وحدة قبلية قرب سوبا على النيل الأزرق، وأكثر منها فى الأقاليم الغربية فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى [3]. ثم اشتد ضغط أعراب جهينة على ملوك علوة الذين حاولوا دفعهم أوصدهم على قول ابن خلدون، ولما لم يستطيعون لهم دفعا استمالوهم إليهم بالمصاهرة، فانتقل الملك إلى أبناء جهينة من بنات ملوك علوة حسبما يقتضى به نظام الوراثة المعروف عند النوبيين جميعاً، «فافترق ملكهم حتى هذا العهد» (أى القرن الخامس عشر الميلادى).

والمعروف أن مملكة علوة المسيحية تألفت من عدة ممالك صغيرة خاضعة للملك الكبير فى سوبا، وهذه الممالك الصغيرة هى التى انتقل سلطانها – دون سلطان الملك الكبير – إلى أبناء جهينة. ويذكر الدمشقى (١٢٥٦ – ١٣٢٧م) أن ملك علوة يسكن مدينة تسمى كوسة [4] لا مدينة سوبا العاصمة القديمة وليس من المستبعد أن يكون ملك علوة اضطر أمام ضغط الجماعات العربية المختلفة ومن بينها جهينة إلى نقل مقر ملكة فى القرن الرابع عشر الميلادى

---

(1) Morie, L.J. ; Hisoire de I'Ethiopie, Ia Nubie Tome Iere, p. 413.

(٢) أنظر ص ٩١٢ وما بعدها.

(3) MacMichael : op. cit. II, p. 28.

(٤) الدمشقى: كتاب نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، ص ٢٦٨ . أما كوسة فموقعها غير معروف تماماً، ولكن الإدريسى يقول: «إن من بلاد النوبة مدينة كوسة الواغلة (أى الداخلة) وبينها وبين مدينة نوابية ٦ أيام وهى تبعد عن النيل يسيراً وموضعها فوق خط الاستواء. والإدريسى : المغرب، وأرض السودان ومصر والأندلس، ص ١٩.

Crawford, O.G.S.: The Fung Kingdom, p. 27 Note 29.

إن كوسة تقع قرب موضع يعرف بزانكور عند بدء وادى الملك حيث عثر على بقايا فخار ومبانى تشبه ما كان موجودا فى مملكة علوة المسيحية.

على الأقل إلى مدينة كوسة واتخذها عاصمة له [١]، وبهذا تكون سوبا فقدت مركزها القديم كعاصمة لمملكة علوة، فأضمحل شأنها وخربت دورها[٢].

وعلى الرغم من انتقال العاصمة من سوبا إلى كوسة واستيلاء القبائل العربية على معظم أقاليم علوة، فإن هذا لا يعنى سقوط تلك المملكة حتى القرن الخامس عشر الميلادى على الأقل. ذلك بأن العرب لم ينشئوا حكومة مركزية تخضع لها سائر الأقاليم، لأسباب واضحة منها «عدم انقياد بعضهم إلى بعض فصاروا شيعا لهذا العهد[٣]».

والواضح تماما أن قبائل جهينة لم تكن الوحيدة التى أفادت من تداعى مملكة علوة وانحلالها، بل شاركتها القبائل العربية الأخرى التى استقرت فى جهات متعددة من مملكة علوة. وعلى هذا نشأت فى جوفها عدة إمارات عربية مستقلة. ويذكر القلقشندى أن من بين الإمارات التى نشأت فى أوطان البجة حتى الحدود الحبشية وبلاد النوبة كذلك ثمانى إمارات كان بين أمرائها والسلطنة المملوكية فى مصر مراسلات فى القرنين الثامن والتاسع للهجرة (الرابع عشر والخامس عشر للميلاد [٤]. غير أنه ليس من الواضح تماما إن كانت هذه الإمارات يقع بعضها فى إحدى جهات علوة أو قريبا منها.

وكيفما كان الأمر، فالمعروف أنه منذ القرن الخامس عشر الميلادى على الأقل ظهرت عدة ممالك ومشيخات إسلامية فى حوض النيل الأوسط [٥]، وكان لظهورها أثر خطير فى تطور

(1) Crawford, O.G.S.: op. cit. pp. 27- 28.
De Villard : op. cit. p. 220.

(٢) زار داود روبينى الرحالة اليهودى اليمنى الأصل، مملكة سنار سنة ١٥٢٢م، ومر بمدينة سوبا سنة ١٥٢٣، فوجد أنها مخربة، وكل ما فيها عدة مساكن مبنية من القش والخشب.
Hillelson, S.: Reubini, SNR. XVI. part. I. 1933. p. 60.

(٣) ابن خلدون العبر، جـ٥، ص ٤٢٩.

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى، جـ٨، ص ٥-٦، أورد القلقشندى أسماء ثمان من الأمراء كانت بينهم وبين السلطنة المملوكية مكاتبات وهم: سمرة بن كامل العامرى ـ وعباد بن قاسم ـ وكمال بن سوار ـ وجنيد، شيخ الجوابرة، الهكارية بأبواب النوبة ـ وشريف شيخ النمانمة بابواب النوبة أيضاً ـ وعلى شيخ دغيم، وزامل الثانى، وأبومهنا العمرانى. أما دنقلة فعليها ملك ولهذا أورد مكاتبة صاحبها فى جملة الملوك. أنظر ملحق رقم ١٨.

(٥) نعوم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته، جـ٢، ص ١٠٣، ١٠٧، أورد المؤلف أسماء عدد من المشيخات والممالك التى دخلت فى حلف مع ملك الفونج، أوائل القرن السادس عشر الميلادى، ومن بينها: مشيخة الشنابلة، ومملكة الجموعية، ومملكة الجعليين فيما بعد لمشايخ العبد اللاب. هذا فضلا عن الممالك والمشيخات الأخرى التى خضعت لملوك الفونج رأساً. أنظر ملحق رقم ١٨.

الحياة الاجتماعية والسياسية كذلك، مما ساعد على زوال بعض الأسس التى قامت عليها الملكية المسيحية فى علوة. ذلك أن اختلاط العرب المهاجرين بتنظيماتهم القبليه المفككة بالسكان الوطنين ساعد على تفكك هذه الممالك المسيحية إزالة بعض التقاليد الاجتماعية القديمة ولاسيما بعد اختفاء معظم بيوت الإمارة القديمة، وأضحت الأرض ملكا للجماعة القبلية بعد أن كانت ملكا لنظام ملكى، وصارت الأرض توزع على الجماعة القبلية يقومون على استغلالها ودفع الضريبة عنها لشيخ القبيلة أوزعيم الدار.

وثمة تطور آخر طرأ على الحياة السياسية. ذلك أن الحكم أضحى وراثياً فى بيت شيخ القبيلة أو الدار، وتكونت من مجموعات القبائل - فى الإقليم الذى اتخذته داراً لها - زعامات إقليمية تولاها شيخ المشايخ وهو عادة شيخ أقوى قبيلة المجموعة وعرف باسم المانجل[1]. وبهذا أختفى نظام الوراثة القديم، أى نظام الأمومة.

ولعل أهم أثر لقيام هذه المشيخات الإسلامية فى حوض النيل الأوسط، هو ازدياد انتشار الإسلام بين كثير من أهل البلاد، وذلك أنه لما رأت القلة التى بقيت على النصرانية أن لا أمل لها فى قيام حركة للإصلاح فى مجتمعهم بسبب انقطاع علاقاتهم الدينية بكنيستهم الكبرى فى الاسكندرية، كان من الطبيعى أن ينشدوا ما يسد رمقهم الروحى فى الدين الجديد الإسلامى [2].

وقد أدت هذه الاحداث فى هذا الجزء من حوض النيل، إلى عدم استقرار الأحوال فيه بسبب اختلال الأمن، والنزاع بين القبائل العربية حول مواطن الرعى من ناحية وبينها وبين الوطنيين من ناحية أخرى [3]، مما أدى إلى تدهور الأحوال الاقتصادية. وزاد الأمور تعقيداً تعطيل التجارة بين هذه البلاد وبين مصر، واختلال سير القوافل بينهما، بسبب اضطراب

---

(١) ربما أخذت هذه الكلمة عن الاثيوبية ومعناها عظيم.

Budge: The Egyptian Sudan. II, p. 212.

أما المانجل فأصلها غير معروف وكانت من أرفع الألقاب فيما بعد فى مملكة الفونج، وكذلك. لقب أرباب.

(٢) أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص ١٠٠.

(٣) نعوم شقير: نفس المصدر، جـ٢، ص ٧٢.

الأحوال فى منطقة النوبة الشمالية(١). ولهذه الأسباب ظهرت الحاجة إلى إنشاءحكومة مركزية تخضع له شتى الجماعات والقبائل المتنازعة، لإقرار الأمن وحماية طرق التجارة القديمة. وتذكر المراجع الوطنية، أن عمارة دونقس زعيم الفونج جمع رجاله فى جبل مويا (٢). ثم تحالف مع عبدالله جماع شيخ عرب القواسمة من جهينة وأصحابه الآخرين، على إخضاع ملك العنج وملك الغرب (٣). ودارت فى أربجى(٤). معركة سنة ٩١٠هـ ١٥٠٥م (٥) انتصر فيها الحليفان، و فر العنج إلى جبال فازوغلى وكردفان، ومن بقى منهم اختلط بالغزاة واعتنق الإسلام (٦).

أما الفونج فاختلف المؤرخون حول أصلهم، ورأى البعض أنهم شعبة من الشلك مستندين فى هذا على ما ذكره بروس الرحالة الاسكتلندى الذى زار سنار سنة ١٨٧١ (٧). وقيل إنهم قوم أتوا من الغرب، ويحتمل أن يكونوا فرعا من الأسرة المالكة فى مملكة برنو (٨) وثمة رأى ثالث يقول إنهم هجرة عربية دخلت السودان من الحبشة بطريق النيل الأزرق (٩). أما الفونج أنفسهم فيقولون إنهم من ذرارى الأمويين الذين لجأوا إلى ملك الحبشة، فرارا من بنى

---

(١) أنظر ص ٩٦١ وما بعدها.

(٢) يقع جبل مويا على بعد عشرة أميال غرب سنار الحالية . والراجح أن عمارة لم يقم فى جبل مويا، بل إنه كان يقيم فى لمول Lamul حسبما ذكره روبينى الرحالة اليهودى الذى زار السودان سنة ١٥٢٢ .ولمول هى التاكة الحالية Crawford : op. cit. p. 153 ويرى الأستاذ شبيكة أنها تقع فى مكان بين كوكوج والرصيرص. تاريخ ملوك السودان، نشر شبية ص ٥.

(٣) أحمد كاتب الشونة: تاريخ ملوك السودان، نشر مكى شبيكة، ص ١ . ويقصد بالعنج هنا السكان السابقين للفونج، أما ملك الغرب فربما يكون ملك علوة المقيم فى كوسة كما ذكر الدمشقى.

(٤) يقال: إن أربجى أسسها رجل يدعى حجازى بن معين حوالى سنة ١٤٤٧م.

Jackson, H. G. : Tooth of Fire, pp. 17 - 18.

(٥) يرى الأستاذ الشاطر أن تأسيس مملكة الفونج لا يرجع إلى سنة ١٥٠٥ بل إلى حوالى ١٥٢٣ لعدة أسباب من بينها أن روبينى زار عمارة فى عاصمته لمول ولم تكن سنار قد أنشئت بعد ، راجع معالم تاريخ سوادان وادى النيل ص ٢٣.

(٦) أحمد كاتب الشونة. تاريخ ملوك السودان ص ٢.

(7) Arkell, A. J. : "Fung Origins " SNR., XVII, PP. 208 - 243.

نقلا عن Bruce : Travels to discover the Source of The Nile IV. p. 458.

(8) Arkell, A. J. : A Hist. of The Sudan. pp. 206 - 207.

(9) Chatway, J. O. P. : "Notes on the Hist. of the Fong". SNR, XIII, II. pp. 247 - 257.

العباس[١] ونجد لذلك تأييدا فيما أشار إليه كل من المسعودى [٢] والمقريزى عن هجرة بقايا الأمويين إلى بلاد النوبة وساحل البحر الأحمر، ولا يبعد أن يكون بعضهم استقر إما فى بلاد النوبة الشمالية ثم انتقل إلى أرض الجزيرة، أو أن بعضهم لجأ إلى الحبشة ومنها إلى أرض الجزيرة كذلك.

وكيفما كان الطريق الذى سلكه الفونج إلى جزيرة النيل الأزرق، أو درجة الصحة فى انتمائهم إلى العرب عامة أو بنى أمية خاصة، فموضع الأهمية فى الواقع فى هذه المرحلة من تاريخ الفونج أن أولئك القوم، سواء هبطوا جزيرة النيل الأزرق من الشمال أو الجنوب أو الشرق أو الغرب، عرضوا أنفسهم على قاعدة أنهم عرب ووافقهم الناس على نسبتهم هذه[٣]، لا سيما وأنهم لم تكن لهم لغة سوى العربية [٤]، أو يدينون بدين سوى الإسلام.

وتدل شروط الحلف بين الحليفين عمارة وعبد الله، أن يكون عمارة هو المقدم على زميله فى الزعامة وحمل لقب ملك. وأن يحل عبد الله محله مدة غيابه، أى أنه كان بمثابة نائب ملك،وحمل لقب شيخ. وانتقل هذا النظام الذى وضع أساسه الخليفان إلى أولادهما من بعدهما [٥].

اتخذ عبد الله مدينة قرى (قرب خانق سبلوقة) مقرا له، واختط عمارة مدينة سنار [٦] لتصبح عاصمة مملكة الفونج التى إمتدت مساحتها من سواكن شرقا إلى النيل الأبيض غربا، ومن أقصى جبال فازوغلى جنوبا إلى الشلال الثالث شمالا. أى أنها اشتملت على معظم النوبة العليا (علوة) وقسم كبير من بلاد النوبة الشمالية (مقرة). ويقال إن حملة حربية أرسلها ملك سنار لإخضاع النوبة السفلى، ووصلت حتى الشلال الثالث ولما أراد قائد الحملة التقدم

---

(1) MacMichael, H. A. : A Hist. of the Arabs in the Sudan, II. BA., PP. 36 - 37.

(٢) المسعودى : التنبيه والإشراف، ص ٣٢٩ - ٣٣٠، المقريزى:المواعظ والاعتبار، جـ١، ص ١٩١. أنظر الملحق رقم ١٢.

(٣) أعلن عمارة هذه النسبة وغيرها فى رسالة بعث بها إلى السلطان سليم سنة ١٥٢٠م ليثنيه عن غزو سنار لأنها أرض إسلام وسكانها عرب، شقير، جـ٢، ص ٧٣.

(4) Nadler, L. F. : " Fang Origins" SNR, XIV, part I. 1391. p. 61.

(٥) نعوم شقير: نفس المصدر، جـ٢، ص ٧٣.

(٦) ومدينة سنار التى أسسها عمارة خلاف سنار الحالية وهى تبعد عنها بحوالى ثلاثة أميال.

شمالا هزمته جيوش الغز الأتراك عند حنك وظلت حنك تمثل حدا فاصلا بين نفوذ الفونج جنوبا وبين نفوذ الغز الأتراك الذى شمل النوبة [١] السفلى من حنك إلى أسوان.

وأضحت مدينة أربجى (قرب المسلمية) الحد الفصل بين نفوذ عبد الله الذى امتدت سلطته على جميع الوحدات القبلية حتى حنك (شمال دنقلة)[١]، على حين أن سلطة عمارة امتدت على ما يلى هذه الأقاليم جنوبا. هذا ولم يباشر ملوك سنار أو حلفاؤهم سلطاتهم على مملكة الفونج بصفة مباشرة، بل عن طريق المكوك (شيوخ القبائل) الذين تمتعوا بشئ من الاستقلال، على أن يدفعوا الضرائب المقررة لخزانة الملك فى سنار [٢]. واحتفظ ملوك سنار وحلفاؤهم فى قرى بحق تنصيب الملك أو المانجل من بين أفراد أسرة الملك المتوفى[٣].

وفى أيام عمارة امتد النفوذ العثمانى إلى الشام ومصر. وقام العثمانيون بعملية تأمين الحدود الجنوبية على غرار ما فعل جميع السابقين. غير أن الامتداد العثمانى اهتم بالناحية البحرية، لأن استيلاء العثمانيين على مصر كان مختلطاً فى عوامله ودوافعه بما لمصر من سيطرة على تجارة البحر الأحمر، وكانت تلك التجارة مهددة تمام التهديد من ناحية البرتغاليين. وهذا هو تفسير اهتمام العثمانيين بالناحية الجنوبية، مما جعلهم يقيمون قواعد فى سواكن ومصوع سنة ١٥٢٠م. وخشى عمارة من هذا الامتداد العثمانى من ناحية البحر، فبعث إلى الباب العالى يذكر له أن دولته إسلامية، وأن رعيته عرب بادية لا يملكون ما يصلح لدفع الجزية للسلطان. وعزز عمارة هذه الرسالة بكتاب يحوى أنساب قبائل العرب فى مملكته جمعه له السمر قندى أحد علماء سنار. ويقال إن السلطان العثمانى اقتنع بصحة ما تضمنته هذه الرسالة فعدل عن حرب سنار [٤].

---

(١) شقير: جـ٢ ، ص ١٠٨. (٢) نعوم شقير: نفس المصدر ، جـ٢ ، ص ٧٣.

(٣) الملك أو المانجل ، هو شيخ إحدى الوحدات القبلية التى تضمها مملكة الفونج. وتقام حفلة تنصيب الملك أو المانجل الجديد بأن يجلسه ملك سنار أو شيخ قرى على الككر (الكرسى) ويلبسه طاقية ذات قرنين ويقلده سيفاً. ويلاحظ أن هذه التقاليد قديمة ترجع إلى عهد ملوك مقرة المسيحية. ولا نعرف إذا كان هذا متبعاً عند ملوك علوة أم لا.

jacKson, H. C. : op. cit p. 92.

(٤) لا نعرف شيئا على وجه التحقيق عن السمر قندى الذى ينسب إليه جمع أوراق النسبة أو روايات زعماء القبائل عن نسبتهم وضمنها جميعاً فى كتاب بعث به عمارة إلى السلطان سليم. وربما كان السمر قندى أحدى الفقهاء الذين أتوا من مصر للعيش فى كنف ملوك الفونج والحصول على هباتهم : MacMichael op. cit. II, P. 7.

هكذا تم ميلاد هذه الحكومات الإسلامية أوائل القرن السادس عشر الميلادى على أنقاض مملكة علوة المسيحية. غير أن المعروف أن هذه الحكومات اشتملت على عناصر مختلفة، عربية وحامية وشبه زنجية، فضلا عن خليط منها جميعاً، وهى ذات ثقافات مختلفة ومختلطة كذلك. وهذا ما يوضحه بعدهم الشديد عن الاسلام المعهود وسيطرة المعتقدات السابقة من مسيحية وفرعونية ويصف صاحب الطبقات حال هؤلاء وأولئك جميعا عقب تأسيس مملكة الفونج بقوله «أعلم أن الفونج ملكت أرض النوبة وتغلبت عليها أول القرن العاشر سنة عشر بعد التسعمائة (١٥٠٥م) وخطت مدينة سنار ولم تشتهر فى تلك البلاد مدرسة علم ولا قرآن. ويقال إن الرجل يطلق المرأة ويتزوجها غيره فى نهاره من غير عدة »[١].

تصور هذه الحالة التى وصفها صاحب الطبقات نوع الثقافة التى سادت جهات حوض النيل الأوسط أوائل القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى). وهى تدل دلالة واضحة على اختلاط الإسلام بالعقائد والعادات الوطنية، فشارك المهاجرون أهل البلاد الأصليين فى الجهل بقواعد الإسلام. ومرجع هذا فى الغالب إلى أن العرب لم تكن تهتم حتى هذا الوقت بشرح تفاصيل الأسس التى يقوم عليها الإسلام[٢]، بل كان الهدف بسط نفوذهم عليهم من ناحية أخرى. هذا والمعروف أن معظم أولئك المهاجرين كانوا على حال من البداوة، فنسوا الكثير من تعاليم الدين الاسلامى لبعد صلتهم بمواطن العلم والعلماء[٣].

غير أن بعض المصادر السودانية تشير إلى وجود نوع من النشاط الثقافى فى بلاد النوبة قبل قيام السلطنة السنارية. ومن الأمثلة على هذا ما تذكره إحدى الوثائق أن غلام الله بن عايد اليمنى الأصل، هبط أرض دنقله أواخر القرن الرابع عشر الميلادى واستقر فيها ، لأنها كانت فى غاية الضلالة والحيرة، لا فتقارها إلى العلم والعلماء. فعمر غلام الله هذا المساجد وعلم أبناءه وتلاميذه من أبناء المسلمين تلاوة القرآن وعلمهم كذلك بعض العلوم الأخرى[٤]. ثم

---

(١) محمد ضيف الله: طبقات ود ضيف الله، نشرها ابراهيم صديق، ص ٥. والمقصود بالعدة المدة التى تقضيها المرأة بعد طلاقها أو وفاة زوجها، وبين عقد زواجها من آخر وهى ٤ شهور.

(٢) عبد المجيد عابدين: دراسات سودانية ، ص م.

(٣) عبد العزيز أمين عبد المجيد : التربية فى السودان ، جـ١ ص ٥٦.

(4) MacMichael, H. A. op. cit. II. manusc. B. A. p. 36.

عرفت الدراسات الدينية فى السودان باسم العلوم وأطلق على الفقهاء العلماء أو رجال العلم لأنه لم يكن هنا علم سوى دراسة العقيدة.

ظهر في نواحي أبو حليمة على النيل الأزرق – قبل قيام السلطنة السنارية – أولاد عون السبعة، وتولى أحدهم ويدعى الضرير منصب القضاء فى زمن الفنج[1].

وإذا استثنينا الحالات التي استخدم فيها العنف لنشر الإسلام بين الجماعات السودانية والقضاء على العادات القديمة [2]، فإن أساليب الدعوة الإسلامية زمن الفونج كانت ضعيفه. وتميزت هذه المرحلة من تاريخ الدعوة بظهور طبقة من الفقهاء ورجال الصوفية الذين تعهدوها بأساليب جديدة قامت أساسا على شرح تفاصيل الدعوة ومبادئها للناس. والواضح مما ذكرته بعض المراجع السودانية المختلفة أن هذه الحركة العلمية مصدرها مصر والحجاز وبلاد المغرب وغيرها. ويرجع هذا فى الغالب إلى هجرة أفراداً وأسرات مثقفة من هذه الدولة الإسلامية إلى جهات حوض النيل الأوسط لينزلوا فى كنف ملوكها رغبة فى عطائهم وإكرامهم، أو ليعيشوا فى خيراتها وأراضيها الواسعة، أو ليتخذوه مأوى جديدا بعد أن ضاقت بهم أوطانهم [3]. وفضلا عن هؤلاء فإن كثيرا من أبناء مملكة سنار كانوا يرحلون إلى مصر لتلقى العلم بالأزهر ثم يعودون إلى بلادهم. ومنهم من كان يحج إلى بيت الله الحرام ويأخذ العلم عن أحد فقهائها أو يأخذ الطريقة عن أحد مشايخ الطرق. وهؤلاء وأولئك جميعاً كان لهم أثر واضح فى نشر الثقافة الإسلامية الدينية فى مملكة سنار.

ومن الأمثلة الدالة على هذا ما تذكره المراجع بصدد هجرة بعض السناريين إلى مصر فى طلب العلم أوائل القرن السادس عشر الميلادى. ومن بين هؤلاء محمود العركى الذى أخذ العلم عن ناصر الدين اللقانى وأخيه شمس الدين [4] ثم عاد إلى وطنه فأسس سبع عشرة مدرسة ما بين الحسانية (توتى) وأليس (الكوة). ويعد محمود العركى أول من طبق أحكام الدين الإسلامى فى هذه المنطقة بتفقيه الناس وأمرهم بالعدة [5] فى حدوده الضيقة.

(١) ذكرهم نعوم شقير، جـ٢، ص ٧٦، أولاد ضيف الله، والحقيقة أنهم أولاد غلام الله. أنظر عبد العزيز عبد المجيد: التربية فى السودان فى السودان، جـ١، ص ٥٩، حاشية ١.

(٢) ومن أمثلة هذا ما ذكره جاكسون، أن الملك عبد القادر الذى خلف أباه. الملك عمارة حوالى ١٥٣٧م ذهب إلى قتال السكان الوطنين فى جبل مويا وجبل سقدى لأخراجهم من دينهم واحتلال بلادهم.
Jackson, H. C.: op. cit. p. 21.

(٣) عبد العزيز عبد المجيد: التربية فى السودان، جـ١ ، ص ٥٥.

(٤) توفى شمس الدين اللقانى فى سنة ٩٣٥هـ ١٥٣٠م.

(٥) محمد ضيف الله : طبقات ود ضيف الله، ص٥ ، ص ١٦٣.

وامتاز النصف الثاني من القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) بازدهار الثقافة الإسلامية في مملكة سنار. إذ أن عددا من السناريين ارتحلوا إلى مصر لطلب العلم بالأزهر، ومن بين هؤلاء أولاد جابر الأربعة [١] فأكبرهم إبراهيم المعروف بالبولاد تفقه على الشيخ محمد البنوفرى إمام المالكية في مصر، وأخذ عنه الفقه والأصول والنحو ثم عاد إلى ترنج مسقط رأسه في أرض الشايقية وكان أول من درس مختصر خليل في مملكة الفونج «وتخرج على يديه أربعون إنساناً صاروا كلهم أولياء وأقطاباً» . ومن إخوة إبراهيم، عبد الرحمن الذى نهج نهجه ورحل إلى الأزهر وتتلمذ على الشيخ البنوفرى. ومنهم من تردد على مصر من وقت إلى آخر للاتصال بعلمائها كما فعل الأخ الثالث إسماعيل، الذى أجازه الشيخ البنوفرى كذلك وغدت بلاد الشايقية مقصد الطلاب من أنحاء مختلفة في مملكة الفونج في منتصف القرن السادس عشر الميلادى [٢].

وحوالي سنة ٩٥٠هـ (١٥٤٣م) قدم من مصر الشيخ محمد القناوى المصرى الأزهرى الثقافة، تلميذ الشيخين سالم السهورى [٣]، ويوسف بن عبد الباقى الزرقانى.ودخل بربر وأربجى وسنار، غير أنه فضل سكنى بربر وبنى بها مسجداً لتدريس الرسالة والعقائد والنحو وسائر والعلوم، وولى القضاء فباشرة بعفة ونزاهة [٤]. وتخرج على يديه عدد من أبناء بربر

---

(١) وهم أولاد جابر بن عون سليم بن رباط بن غلام الله والد السادة الركابية، ولدوا في ترنج بأرض الشايقية. ويقول صاحب الطبقات إن أولاد جابر كالطبايع الأربع، أعلمهم إبراهيم وأصلحهم عبد الرحمن وأودعهم إسماعيل وأعبدهم عبد الرحيم. والواضح أن هذه الأسرة احتفظت بمركزها العلمى منذ عهد جدها الأكبر غلام الله بن عايد أواخر القرن الرابع عشر الميلادى.

(٢) طبقات: ص ٦.

(٣) عبد العزيز عبد المجيد: التربية في السودان جـ١ ص ٦٤.

(٤) طبقات ، ص ٣١.

إن معظم ما جمعته عن الشيخ المصرى القناوى مأخوذ عن حفيده الشيخ مجذوب مدثر كبير مدرسى معهد أم درمان العلمى وشيخ الطريقة التيجانية في السوادن . والشيخ المصرى من مدينة إدفو بصعيد مصر من قبيله النابية. ولما استقر في بربر تزوج من قبيلة الميرافاب. وتعرف طبقة الفقهاء التى أخذت عنه وعن أولاده واتلاميذه في مدينة بربر حتى الآن اسم المصارورة. وللشيخ المصرى مؤلفات عديدة منها شرحه على البسملة في المنطق وشرح على العقيدة المعروفة بالسنوسية الصغرى وشرح على العشماوية.

وغيرهم منهم حفيده الشيخ المضوى [١] المصرى، والشيخ محمد بن عيسى سوار الذهب من أهل دنقلة [٢].

ومن العلماء المصريين الذين قدموا إلى مملكة سنار فى النصف الثانى من القرن العاشر الهجرى كذلك - الشيخ محمد بن على بن قرم الكيمانى المصرى وهو شافعى المذهب وتلميذ الخطيب الشربينى. فأقام فى بربر ودرس المذهب الشافعى فى بربر وأربجى ومن تلاميذه ابنه الشيخ الشكاك [٣]، والقاضى دشين قاضى أربجى فى عهد الشيخ عجيب المانجلك، وغيرهم كثير [٤].

ثم وفد من الحجاز أحد أئمة الصوفية ويدعى تاج الدين البهارى البغدادى، وهو خليفة الطريقة القادرية الجيلانية. واستقر تاج الدين فى أرض الجزيرة سبع سنين تمكن فيها من إدخال الطريقة الجيلانية بعد تسليك خمسة من المريدين منهم الشيخ محمد الهميم. ثم تولى هولاء تسليك غيرهم بعد عودة شيخهم إلى الحجاز [٥].

وفى هذا الوقت أيضاً (أى النصف الثانى من القرن العاشر الهجرى) قدم التلمسانى المغربى على الشيخ محمد بن عيسى سوار الذهب وسلكه طريق القوم وعلمه علم الكلام، وعلوم القرآن من تجويد وروايات ونحوها. وانتشر علم التوحيد والتجويد فى الجزيرة. وممن أخذ عنه عبد الله الأغبش من بربر [٦].

---

(١) اتصل الشيخ المضوى بالمتمة وشندى القديمة وعلم بمسجدها كثيرا من الناس حتى قيل إن عدد من يحضر عليه بلغ الثلثمائه. وله مؤلفات منها «شرحه المطول على القصيدة المعروفة ببدء الآمال فى فن التوحيد. وتوجد منه نسخة خطية بمكتبة المعهد العلمى. وله رسالة على البسملة تكلم فيها عن نواحى كثيرة تقع فى ٢٠ كراسة من القطع المتوسط. انظر الطبقات، ص ٣٢.

(٢) طبقات، ص ١٦٥.

(٣) ويعد الشيخ الشكاك صاحب المدرسة الثانية فى بربر بعد مدرسة الشيخ المصرى القناوى. وله مسجد فى حلة السيد غرب بربر. قام الشيخ الشكاك بنشر الفقة الشافعى وأخذ عليه جماعة منهم أولاد الحاج. ومن الشايقية الذين تأثروا بمدرسة ابن قرم المصرى جماعة تدعى الخفاف (الذين يلبسون خفا) وكانوا على صلة تامة بعلماء الأزهر.

(٤) محمد ضيف الله: طبقات ص ١٦٩.

(٥) المصدر السابق ص ٤٤، ٤٥، ٣٥.

(٦) طبقات، ص ٥. يقول الشيخ مجذوب مدثر إن الشيخ عبد الله الأغبش قدم من دنقلة فى القرن العاشر وأسس مسجده غرب مدينة بربر وعلم فيه القرآن وتخرج عليه عدد يقدر بالمئات. ومدرسة الغبش كانت مشهورة بعلم القراءات.

وتمتع أولئك المشايخ بنفوذ واسع في مملكة سنار، فأقطعوا الإقطاعات الواسعة، ولم يرد لهم طلب عند الحكام والملوك، ومن استجار بهم [١] فهو آمن غضب السلطان،

والواضح من دراسة حياة أولئك الرواد أن مصر هي المصدر الأساسي للثقافة التي ظهرت في مملكة سنار في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) [٢]. ومن الملاحظ هنا أن الأثر المصري يتميز عن غيره بأنه ذو طابع علمي في معظمه يتجه إلى عموم الناس. فإن أولئك الذين أخذوا عن علماء الأزهر «بالمباشرة أو الواسطة» [٣]، ا تجهوا إلى تعليم الناس الفقه والتوحيد واللغة وغيرها من العلوم، على حين أن الطابع الصوفي كان غالبا على تعليم الثقافة الحجازية والمغربية [٤].

ومن الملحوظ هنا كذلك أن الطابع العلمي الذي تأثر به السناريون اتجه إلى حصر الانتباه في العلوم النقلية، التي سادت العالم الإسلامي منذ القرن العاشر الهجري بعد أن تغيرت أساليب التربية الإسلامية على يد الأتراك، انصراف العلماء إلى التأليف والتحرير لا إلى الاجتهاد والتخريج، وميل معظم علماء هذا العصر إلى اختصار ينقصه الشرح والتعليق [٥].

أما عن المذاهب الدينية، فالسناريون غلب عليهم مذهب مالك بسبب أتصالهم بأهل صعيد مصر الذين غلب عليهم هذا المذهب [٦] وأما الدراسة العلمية لهذا المذهب فقد ظلت مزدهرة بالأزهر إلى جانب المذاهب الأخرى، وانتقلت دراستها إلى بلاد الفونج على يد خريجي الأزهر، سنارين ومصريين مثل الشيخ إبراهيم البولاد والشيخ محمد القناوي المصري وغيرهما.

وعلى الرغم من أن انتشار المذهب الشافعي كان محدودا إلا أن القليل من علماء الشافعية الذين تخرجوا في الأزهر وتلاميذهم، كان لهم أثر واضح في نشر تعاليم الإسلام . ومن هؤلاء

---

(١) عبد المجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية في السودان ص ٥٨.
(٢) عبد العزيز عبد المجيد: التربية في السودان ، جـ١ ، ص ٧٠.
(٣) المباشرة : يقصد بها هنا السودانيون الذين رحلوا إلى مصر وأخذوا العلم عن علمائها هناك أو العلماء المصريين الذين قدموا إلى السودان حيث نشروا علومهم، أما الواسطة فتعني أولئك الذين أخذوا العلم عن السودانيين الذين جاءوا من مصر.
(٤) عبد المجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية في السودان ، ص٥٦ - ٥٧.
(٥) عبد العزيز عبد المجيد: التربية في السودان ، جـ١ ، ص ٥٢.
(٦) المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٣٦.

محمد بن قرم الكيماني المصرى تلاميذه عبد الله العركى والقاضى دشين الشافعى قاضى أربجي وعبد الرحمن ولد حمدتو والشيخ ابراهيم الفرضى وغيرهم (١).

وانتشرت علوم القرآن في مملكة سنار أواخر القرن العاشر الهجرى، ويقال إن الشيخ محمد سوار الذهب من دنقلة تلقى علوم القرآن على التلمساني المغربى (٢) كما تلقاها من قبل على الشيخ محمد القناوى المصرى في بربر (٣). وليس من المعروف تماما أيهما كان أقوى أثرا. غير أن انتشار قراءة ورش في دنقلة وأبى عمرو فى معظم جهات مملكة سنار – وهما القراءتان الشائعتان في بلاد المغرب – يدل على تأثر السناريين ببلاد المغرب فى علوم القرآن أكثر من تأثرهم بمصر(٤).

وإلى جانب الثقافة العلمية، ظهرت فى مملكة سنار منذ القرن العاشر الهجرى بوادر ثقافة دينية صوفية كذلك. وهى الثقافة التى كانت شائعة في هذا الحين فى بلاد العالم الإسلامى مثل الحجاز والعراقى ومصر وبلاد المغرب، ومنها تسربت إلى مملك سنار على يد بعض الدعاة أو الموطنين الذين اتصلوا بمنابعها. وللسناريين صلات غير منقطعة بالحجاز ولا سيما فى موسم الحج لطلب العلم على علماء الحرمين ، ثم أن بعض قادة الصوفية فى الحجاز وبلاد المغرب قدموا إلى مملكة سنار حيث طاب لهم فيها المقام (٥)، لترحيب السناريين بهم وتشجيع ملوك الفونج لهم (٦). ولقيت الطرق الصوفية في مملكة سنار منبتا خصبا ، ويرجع هذا فى الغالب إلى أن كثيراً من المشايخ أظهروا من الصفات ما جعل الناس يتهافتون عليهم ويتخذونهم ملاذا فى ساعات الضيق والعسرة (٧)، كما أن الحروب والانقسامات الداخلية التى سبقت عصر الفونج أورثت فى نفوس السناريين فى هذا العهد رغبة شديدة فى حياة مستقرة، مما دعاهم إلى الاستجابة لدعوة أولئك المشايخ الذى ظهروا مع قيام مملكة الفونج للانتظام في سلك العبادة(٨).

---

(١) محمد ضيف الله: طبقات ، ص ١٦٩.

(٢) نفس المصدر السابق، ٥. (٣) المصدر السابق: ص ١٦٥.

(٤) هذا هو رأى فضيلة الشيخ محمد المبارك عبد الله شيخ علماء السودان.

(5) Trimingham . J. S. : Islam in The Sudan, p. 195.

(٦) عبد المجيد عابدين: نفس المصدر، ص ٦١.

(٧) عبد المجيد عابدين: نفس المصدر، ص ٦٢.

(٨) المصدر السابق: ص ٦٣.

ويقال إن الطريقة الشاذلية [١] ، دخلت السودان قبل قيام مملكة الفونج، على يد الشريف حمد أبي دنانة سنة ١٤٤٥م. ثم رسخت دعائمها زمن الفونج على يد الشيخ خوجلى عبد الرحمن المتوفى سنة ١٧٤٣م والذى كان أول أمره قادريا ثم تحول شاذليا[٢].

ويظهر أن هاتين الطريقتين عندما دخلتا بلاد سنار، لم يكن لهما هيئة مركزية منظمة، تضم الشيخ الأكبر وخلفاءه ومريديه، بل كانت الطريق تسلك على يد شيوخ كثيرين منتشرين فى أنحاء البلاد مستقلين عن بعضهم إلا من حيث الرباط الروحى الذى يربطهم جميعا باعتبارهم من أتباع طريقة واحدة. ولم يدخل التنظيم على هذه الطرق إلا فى القرن التاسع عشر الميلادى.

ومن الملحوظ هنا أن بعض الفقهاء السناريين أصبحوا شيوخا صوفية ومن هؤلاء الشيخ عبد الله العركى. على أن أغلب رجال الصوفية فى هذا العهد (القرن العاشر الهجرى) كان من غير العلماء ومن هؤلاء خليل بن على الصاردى الذى كان فى أول أمره خمارا شرابا [٣]. ومنهم الشيخ محمد الهميم الذى كان من أكبر قادة الصوفية فى مملكة سنار ،مع كونه أميا لم يقرأ إلا لغاية الزلزلة [٤] . وقد يكون بعض السبب فى هذا راجعا إلى أن الناس فى هذا الوقت (القرن العاشر الهجرى) كانوا لا يزالون فى مستوى ثقافى لم يتوافر فيه التعرف على حقيقة التعاليم الإسلامية وتدبر أصول الدين مما جعلهم لا يميزون بين ما هو من أصل الدين وما هو بدعة فيسهل التأثير فيهم، ويتملكهم كل شئ طريف غير مألوف، كالتحدث بالغيب والكرامات وادعاء الطب الروحانى ، ولا سيما إذا جاء هذا عن طريق الدين [٥].

وكيفما كان الأمر فإن أثر الطرق الصوفية يبدو واضحا فى التقريب بين الجماعات الجنسية،

---

(١) تنسب الطريقة الشاذلية إلى أبى الحسن الشاذلى ١١٩٦ - ١٢٥٨م ولد فى شاذلة فى تونس وانتشرت طريقته فى مراكش فى القرن الخامس عشر الميلادى على يد أبى عبد الله محمد بن سليمان الجزولى مؤلف دلائل الخيرات. ويقال. إن إحدى بناته تزوجت من الشريف حمد أبى دنانة الذى نزح إلى السودان ومعه ابنة السيد بن الحسن وسكنا البقعة المسماة بالمحمية وحينئذ عرف الناس الطريقة الشاذلية.

(2) Triminghgn, : op. cit. pp. 196 - 197.

(٣) محمد ضيف الله: طبقات ، ص ٨٤.

(٤) المصدر السابق : ص ١٥٠.

(٥) عبد العزيز عبد المجيد: نفس المصدر، ص ٢٣٤.

لأنها تعمل على إضعاف العصبية القبلية وايجاد نوع من التعاون بين الجماعات المختلفة [١].
ومن ذلك أن التجمع الصوفي كان نواته شيخ الطريقة، يجتمع إليه الناس ويصبحون تحت لواء الشيخ طريقة واحدة تجمع الدعوة شملهم على اختلاف قبائلهم وسلالاتهم.

وهكذا يمكن القول إن القرن السادس عشر الميلادى كان عهد انتقال من المسيحية إلى الإسلام البدوى على أيدى جماعة من العلماء الذين وفدوا من البلاد المجاورة، أو من الوطنيين الذين أخذوا العلم عن أولئك العلماء الوافدين.

خاتمة

مما سبقت دراسته يمكن القول إن الجزء الممتد من أسوان في الشمال إلى جنوبي التقاء النيلين الأبيض والأزرق في الجنوب، عرف كله أو أجزء منه - في العصور القديمة بأسماء مختلفة. غير أنه ظل يعرف في العصور الوسطى باسم النوبة. وهو اسم سبق العرب في الإشارة أليه المؤلفون اليونانيون والرومان وغيرهم منذ القرن الثالث قبل الميلادى. ولعل كلمة نوب (ذهب) كانت من بين الأسماء التى أطلقت على هذه الأقاليم منذ أقدم العصور التاريخية المصرية.

ويبدو من وصف الكتاب القدماء ومؤلفي العصور الوسطى كذلك لهذه المنطقة، أنه لم يطرأ تغيير ظاهر على بيئتها الطبيعية، ماخلا ما تناولته يد الإنسان بالتعديل أحيانا وبالتهذيب أحيانا أخرى.

أما النوبيون فهم شعب قديم في أوطانه، وهم حاميو الأصل مثل قدماء المصريين في عصر الأسرات الأول وما قبلها. ثم أخذت بلاد النوبة منذ عهد الأسرة الثالثة المصرية، وعلى مدى العصور، تستقبل جماعات حامية من الشرق والغرب وجماعات مصرية من الشمال، كما أنها أخذت تستقبل من الجنوب جماعات نيلية (زنجية). وظهرت آثار هذا الخليط بوضوح في مخلفات المجموعة الثقافية (X) ببلاد النوبة وهي ثقافة الجماعات النوبية التي استقبلت الدعوة المسيحية في القرن السادس الميلادى. أما عن حضارة أصحاب هذه المجموعة الثقافية فتدل

(١) محمد عوض محمد: السودان الشمالي، سكاني وقبائله، ص ١٧ - ١٨.

آثارها على أنهم قوم مارسوا الزراعة بوصفها حرفة أساسية تساندها حرفة الرعي، ولوحظ اختفاء الطابع المصرى فى بناء المقابر وطرق الدفن ، وكثرة وجود الضحايا البشرية والحيوانية. وهى تمثل خليطا من حضارات بيزنطية ومروية لم تخل من الآثار البدائية . ثم أن اللغة النوبية ذات أصل حامى ثم دخلتها بعض المؤاثرات الزنجية. وأن وجود بعض الشبه بين اللغة النوبية على النيل وبعض لغات جبال النوبا بكردفان وغيرها، لا يعنى أن سكانهما يرجعون إلى أصل واحد بل يرجع – فى الغالب – إلى هجرة نوبية من النيل إلى بعض جهات كردفان، حيث تركت بعض آثارها اللغوية. وربما كان للاتصال التجارى بين النوبيين وغيرهم من سكان الجبال أثر فى نشر اللغة النوبية بينهم.

خضعت بلاد النوبة لنفوذ دولة كوش وعاصمتها نباتا التى ظلت تمثل مركزا لنوع من الحضارة المصرية حتى فقدت أهميتها منذ منتصف القرن السادس قبل الميلاد فورثتها مروى من سنة ٣٠٠ ق. م. إلى سنة ٣٥٠م. ويلاحظ أنه فى هذا الدور، أخذت الثقافة المصرية تتضاءل شيئا فشيئا حتى غدت مزيجا من ثقافات مصرية ويونانية ورومانية فضلا عن ثقافات حبشية. ويظهر أن ملوك مروى لم يستطيعوا بسط نفوذهم بصفة دائمة على جميع الأقاليم التى خضعت لهم من قبل بل إن بعض جهاتها استقل تحت حكم أمرائها الوطنين ولاسيما المنطقة الممتدة من جنوبى أسوان حتى المحرقة، وهى المنطقة التى عرفت باسم دوديكاشينوس. ومع هذا لم يجنح البطالمة إلى التوسع جنوبا، فنشأت بين الدولتين علاقات طيبه كان من نتيجتها أن أعلن حكام هذه المنطقة الانضمام إلى مصر.

وإذا خلف الرومان فى حكم مصر سنة ٣٢ ق. م.، ادعوا حقوقا فى تلك المنطقة، باعتبارهم ورثة البطالمة، وقد تغلبوا على محاولات الكوشيين لا ستردادها مدة من الزمن. ويظهر أن الرومان كانوا يهدفون إلى توسيع العلاقات التجارية بين مصر وجهات حوض النيل الأوسط، فأقاموا بمنطقة دوديكاشينوس حاميات عسكرى، وقاموا بسلسلة من مشاريع التعمير فيها، وحاولوا كذلك إقامة علاقات صداقة بينهم وبين القبائل التى تعيش فى الجنوب والغرب (فى كردفان ودارفور) لتحقيق أغراضهم التجارية. وهذا هو سر تمسكهم بمنطقة دوديكاشينوس . غير أن هذه السياسة لم يقدر لها النجاح بسبب إغارات البليميين الذين استقرت بعض شعبهم فى جهات النوبة السفلى جنوبى المحرقة منذ عهد البطالمة . ويظهر أن الحركات البليمية ضد الرومان اصطبغت بصبغة قومية بدليل اشتراكهم فى بعض الحركات

القومية المصرية ضد الرومان سنة ٢٥٠م. واتسعت دائرة هذه الحركات البليمية فشملت جهات طيبة وأسوان . ومع أن الرومان استطاعوا التغلب على هذه الحركات المعادية لهم سنة ٢٨٠م، إلا أنه بدا لهم صعوبة الاحتفاظ بمنطقة دوديكاشينوس لا ستمرار إغارات البليميين من ناحية وفقرها من ناحية أخرى . واتجهت سياسة الامبراطور دقلديانوس إلى التخلي عنها، على أن يحل النباطيون محل الرومان في المنطقة التي انسحبوا منها ، ليقوموا بدورالمنطقة الحاجزة بين البليميين في الجنوب وبين الرومان في الشمال. ولا يعني انسحاب الرومان من منطقة دوديكاشينوس، أنهم تخلوا عن مشروعاتهم التجارية فيما خلفها جنوبا، بل حاولوا البحث عن حليف قوى والاعتماد عليه في الحصول على تجارة الشرق (الهند والصين وشرق أفريقيا) وفتح طريق التجارة إلى قلب أفريقيا . فاتجه الرومان إلى دولة أكسوم، لتوثيق علاقاتهم بها واستغلالها في قمع حركات البليميين والنوبا كذلك. وبدت بوادر هذه السياسة منذ سنة ٣٨٥م على عهد الامبراطور أورليان. واستمر اتصال التجار الرومان بدولة أكسوم، حتى إذا كان عهد الامبراطور قنسطنطين الأكبر (٣١٣ - ٣٣٧م) تم عقد معاهدة تجارية بين الرومان وملك أكسوم على يد التاجر الصورى فرومنتيوس. ثم اعتنق عيزانا ملك أكسوم المسيحية سنة ٣٤٠م، على يد فرومنتيوس الذى عمده البطريك أثناسيوس أسقفاً لأكسوم. غير أن الغرض التجارى لمهمة فرومنتيوس، يبدو واضحا، حين قام الملك عيزانا بحملته المشهورة على مملكة مروى حوالى منتصف القرن الرابع الميلادى، لتأديب النوبا والبجا (البليميين) الذين يغيرون على جيرانهم. وليس من المستبعد أن يكون هذا تم بإيعاز من فرومنتيوس، لفتح الطريق للتجارة من جديد.

غير أن هذه السياسة لم تضع حدا لحركات البليميين المعادية للرومان، بل على العكس من هذا فقد زادت حدتها. ذلك أن البليميين بدأوا يحسون بالخطر المسيحي المزدوج عن طريق أكسوم بعد اعتناق الملك عيزانا المسيحية، وعن طريق مرسوم تاوداسيوس (٣٨٥م)، الذى قضى بإبطال جميع مظاهر الديانات السابقة للمسيحية في الامبراطورية الرومانية، ولهذا، بدأ البليميون سلسلة إغاراتهم على الأطراف الرومانية، فاحتلوا معظم إقليم دوديكاشينوس، وأغاروا على إقليم طيبة والواحة الخارجة سنة ٤٢٩م. ويدل اشتراك النباطين مع البليميين على الخلود إلى السكينة مدة مائة عام بعد هزيمتهم على يد القائد الرومانى مكسيمينوس ثم فلورس فى منتصف القرن الخامس الميلادى، إلا أن السماح لهاتين القبيلتين بالحج إلى فيلة، وحمل تمثال

معبودتهم إيزيس إلى أوطانهم يحمل على الظن أن الرومان لم يرغبوا حتى هذا الحين (منتصف القرن الخامس الميلادى) فى فرض المسيحية بالقوة على هؤلاء القوم. وكيفما كان الأمر فإن البليميين والنباطين حافظوا من جانبهم على تنفيذ معاهدة الصلح التى عقدوها مع مكسيمينوس وفلورس، وظلوا على ولائهم لمعبوداتهم وخاصة إيزيس التى كانوا يحجون إلى معبدها فى فيلة كل عام. ولعل ضخامة هذه المواكب وتجمعها كل عام فى قلب أسقفية فيلة وأسوان - حيث توجد الكنائس والأديرة المسيحية - أثار القلاقل من جديد مع قرب انتهاء أجل الهدنة، لا سيما وأن النزاع بدأ يدب بين البليميين والنباطين.

ورأى جستنيان ضرورى القضاء على العبادات الايزيسية فى فيلة، على أن يسبق هذه الحركة طرد البلميين من منطقة دوديكاشينوس، لتحكمهم فى المسالك المؤدية إلى فيلة. وانبرى لهذه المهمة سلكو ملك النباطين الذى - فيما يبدو - كان على علاقة بالبيزنطيين بفضل ثيودور أسقف فيلة وأسوان، وشن سلكو على البليميين حربا شعواء سنة ٥٣٥م. تمكن بعدها من طردهم إلى الصحراء الشرقية. ولا يبعد أن يكون تم له هذا بمساعدة البيزنطيين. وبهذا تم ميلاد مملكة نوباتيا التى أضحت فرس عاصمتها.

ثم كانت الخطوة الطبيعية وهى إغلاق معبد فيلة، وقد قام القائد البيزنطى نارسس بهذه المهمة تنفيذاً لأمر الامبراطور جستنيان حوالى سنة ٥٤٣م. وتم تحويل هذا المعبد إلى كنيسة، وبهذا أضحى الطريق ممهدا لدخول المسيحية بلاد النوبة بصفة رسمية فى منتصف القرن السادس الميلادى.

وعلى الرغم من أنه لم يرد نص صريح عن نشاط تبشيرى رسمى ببلاد النوبة قبل القرن السادس الميلادى، إلا أن معظم الروايات التاريخية ترجح دخولها عن طريق مصر، أما الطريقة التى دخلت بها المسيحية بلاد النوبة قبل القرن السادس الميلادى، ومعرفة دعاتها الأول، فإن شيئا من هذا لم يعرف على وجه التأكيد، مع العلم بأن بطريرك الكنيسة المصرية يحمل لقب بطريرك الإسكندرية والحبشة والنوبة وبنتابوليس (الخمس المدن الغربية) منذ عهد المسيحية الأول (القرنين الأول والثانى) . هذا والمعروف أن المسيحية حين ظهرت فى مصر فى القرن الأول الميلادى، اجتذبت إلى صفوفها عددا من المصريين وغيرهم من سكان البلاد. غير أن الاضطهادات التى حلت بهم وخاصة منذ منتصف القرن الثالث الميلادى أدت إلى هجرة كثير

من المسيحيين المصريين إلى منطقة طيبة والصحراء الغربية وجهات النوبة السفلى والوسطى. وغدا كل من أقليم طيبة والواحة الخارجة مراكزا هاما لنشر الدعوة المسيحية فى بلاد النوبه منذ منتصف القرن الرابع الميلادى. ولم يكد يرفع الاضطهاد عن المسيحيين المصريين على عهد قسطنطين الأكبر لاعترافه بالمسيحية ديانة رسمية حتى واجهوا اضطهادا جديدا بسبب مانشب بين المسيحيين أنفسهم من خلاف حول طبيعة المسيح. فازدادت هجرة المسيحيين المصريين إلى جهات طيبة وأسوان، حيث أنشئت الأديرة والكنائس. وتطلب الأمر إنشاء أسقفية فى فيلة فى منتصف القرن الرابع الميلادى. ويبدو أثر هذه المراكز المسيحية الجديدة التى نشأت بالقرب من أوطان النوبيين ساهمت فى نشر المسيحية بينهم، فيما تذكره بعض القصص عن جهود الرهبان فى التبشير للمسيحية فى بلاد النوبة، ومحاولة أولئك الرهبان كسب ود الجماعات من النوبيين والبليميين، كما فعل الانبا شنودة كبير رهبان دير اخميم فى منتصف القرن الخامس الميلادى. وهذا فضلا عن الدور الذى قام به ثيودور أسقف فيلة فى التمهيد لدخول النوبيين جميعاً فى الدين المسيحى فى القرن السادس الميلادى. ثم أن البيزنطيين ، لجأوا إلى إغراء البليميين إلى المسيحية بأن أقطعوا بعضهم اقطاعا فى منطقة طيبة ليتسنى لهم السيطرة على أوطانهم والاتصال بدولة أكسوم المسيحية لتنفيذ مشاريعهم التجارية فى البحر الأحمر والمحيط الهندى والقضاء على نفوذ الحميريين ا لتجارى.

ثم بدأت المرحلة الحاسمة لإدخال النوبيين جميعاً فى المسيحية فى النصف الثانى من القرن السادس الميلادى، حيث أخذت صورة النزاع المذهبى بين الكنيستين المصرية والبيزنطية والسباق بينهما لكسب الأنصار تنعكس على النوبة كذلك. فقامت بعثة الكنيسة المصرية برئاسة يوليان، وقدر لها الوصول إلى مملكة نوباتيا قبل البعثة الامبراطورية بفضل نفوذ الامبراطورة ثيودورا وموضع الأهمية هنا أن الملك النوبى وأمراءه وأفراد أسرته، قبلوا التعميد على مذهب الكنيسة المصرية والذى مهد له من قبل على يد المهاجرين المصريين وثيودور أسقف فيله، على حين أن بعثة الامبراطور جستنيان قد لحقها الفشل فى نوباتيا. وأتم القس لونجينوس ما بدأه سلفه يوليان فى نوباتيا ٥٦٩م. وعلى الرغم من الدسائس التى حاكها له الملكانيون فقد لبى دعوة ملك علوة لزيارة مملكته وتعميده ورجال دولته سنة ٥٨٨م. وبهذا تم تنصير مملكتين من ممالك وادى النيل الأوسط على مذهب الكنيسة المصرية. أما المملكة الثالثة - مقرة - فلم يشر إليها يوحنا الأفسى - وهو المؤرخ المعاصر لهذه الحوادث جميعاً. غير أن

صمت يوحنا الأفسسى - المونوفيزى المذهب - يوحى بنجاح البعثة الملكانية فى تحويل ملك مقرة إلى المسيحية على المذهب الملكانى، ونجد لذلك تأييدا فيما ذكره يوحنا البكارى الملكانى المذهب. إذ يشير إلى اعتناق أهل مقرة والجرمنتيين (القرعان) للديانة المسيحية سنة ٥٦٩م.

أما المذهب الذى ساد أخيرا ممالك النوبة المسيحية الثلاث فهو مذهب الكنيسة المصرية، بسبب خلو الكرسى البطريركى للكنيسة الملكانية بالإسكندرية ما يقرب من قرن، ومنع إرسال أساقفة ملكانيين إلى مقرة أو غيرها.

ويمكن رسم صورة تقريبية لمدى تأثر النوبيين بالمسيحية من الطريقة التى تلقوا بها تعاليم هذا الدين الجديد، ونوع هذه التعاليم. ذلك أن يوليان ولونجينوس بدءا بتعميد الملوك والأمراء ثم بعض أفراد الشعب. ومن غير المعقول أن يتم تعميد جميع النوبيين فى المدة القصيرة للتى قضاها كل منهما فى بلاد النوبة. والواضح أن النوبيين اعتنقوا المسيحية بأمر ملوكهم. ولابد أن عملية التبشير أخذت أبسط أنواع صورها لتلائم ظروف البيئة البدائية وثقافة السكان. ولابد أن تكون التعاليم التى تلقوها خرجت أحيانا عن أصولها للحصول على كسب سريع. ولكن على الرغم من بقاء بعض النوبيين على وثنيتهم فى الوقت الذى كان يقوم فيه يوليان ولونجينوس بعملهما فى بلاد النوبة فان للاقباط - الذين هاجروا من مصر على أثر الغزو الفارسى لها سنة ٦١٩م، واضطهاد الملكانيين لهم بعد استرداد البيزنطيين مصر - فضل كبير فى نشر الديانة المسيحية بينهم.

أما عن تنصير البليميين (البجا) فالمعروف أنهم ظلوا على وثنيتهم باستثناء جماعات قليلة منهم اعتنقت المسيحية. ولا يبعد أن يكون لونجينوس عمد بعض زعمائهم أثناء مروره بأوطانهم فى طريق سفره إلى علوة سنة ٥٨٨م.، ثم أخذت المسيحية تتسرب إلى ديارهم رويداً رويداً بعد الغزو العربى لمصر.

* * *

أما عن اضمحلال ممالك النوبة المسيحية فيرجع إلى عوامل داخلية وأخرى خارجية. أما العوامل الداخلية فإنها ذات علاقة بالمستوى الحضارى الذى وصل إليه النوبيون بعد أن استقبلوا الدعوة المسيحية والنظم التى أقاموا عليها مجتمعهم المسيحى، وظروف البيئة الطبيعية

التى عاشوا فيها. والمعروف أن النوبيين حين استقبلوا الدعوة المسيحية كانوا ذوى حضارة معينة كشفت عنها الأبحاث الأثرية فى بعض جهات النوبة السفلى وهى التى عرفت باسم ثقافة المجـمـوعـة (X) وهى مجموعة ثقافات أجنبية مختلطة بآثار بدائية. والواضح أن عوامل الاضمحلال من الداخل قديمة، وقد لازمت هذه الممالك منذ مولدها فى القرن السادس الميلادى أو قبله بقليل. ولا يرجع بقاء هذه الممالك المسيحية - ما يقرب من ألف عام - إلى قوتها أو إلى ما اجتمع لديها من عناصر حضارية عريقة. بل يرجع - فى الغالب - إلى أن الحكومات التى تعاقبت على حكم مصر منذ االغزو العربى لها، لم تكن لها سياسة موسومة لإخضاع هذه الممالك بالقوة وصهرها فى الإطار العربى الإسلامى العام، إنما تركت لعوامل التسرب البشرى والحضارى التدريجى حتى اكتملت عناصر قوتها فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر، فكانت نهاية هذه الممالك. وأول ما نلاحظه أن هذه الممالك المسيحية لم تستطع أن تؤلف من بينها وحدة سياسية واحدة، بل ظلت منفصلة عن بعضها . وعلى الرغم من اتحاد الملكتين الشماليتين نوباديا ومقرة لمواجهة خطر الغزو الإسلامى من الشمال، فإن انفصال المملكة الجنوبية (علوة) عن جارتها فى الشمال (مقرة) كان سبباً فى إثارة النزاع بينهما مما أدى إلى اضمحلالهما وذلك بسبب الطبيعة القبلية التى كانت سائدة فى هذا الاقليم.

وثمة ملاحظة أخرى هى التخبط فى اختيار اللقب الفعلى للملك وموظفيه كذلك. ومرجع هذا - فى الغالب - إلى أن هذه الألقاب أخذت أصلا عن النظم البيزنطية وطبقت على الوظائف التى خلفها العهد المروى وما دخل عليها من تقاليد بدائية، مما أدى إلى تعقيدها وعدم فهمها فى أذهان الناس. ثم أن ملوك النوبة (مقرة وعلوة) تمتعوا بنفوذ مطلق على رعاياهم. فالملوك يملكون الأرض ومن عليها، ورعاياهم عبيد لهم.

وجرى العرف فى وراثة العرش النوبى على نظام الأمومة . وسواء تمسك به النوبيون أو خالفوا بعض قواعده فالمعروف أن هذا النظام لم يؤد إلى استقرار علاقة المتملكين وأولياء عهودهم.

وعرف حكام الأقاليم باسم الملوك. ومارسوا سلطات إدارية ودينية. فجميعهم كهنة.

أما المجتمع النوبى فيشكل نوعاً من الإقطاع غريبا فى تركيبه. فالطبقة الحاكمة الشاملة

للأسرة المالكة وفروعها وحكام الأقاليم كذلك يمثلون طبقة السادة أصحاب الأرض، أما الشعب فهم عبيد الملك، يباعون ويشترون ويهدى بهم، ويقومون مقام العملة.

واتجهت بلاد النوبة (مقرة وعلوة) في زعامتها الروحية إلى الكنيسة المصرية ونشأت بينهما علاقات طيبة مصدرها حاجة الكنيسة النوبية إلى أساقفة، فضلا عما اجتمع لملوك النوبة من سلطة سياسية ودينية معاً. وهذه السلطة الدينية جعلت من ملوك النوبة ممثلين للكنيسة النوبية كذلك. وتبعاً لهذه الصفة الدينية لملوك النوبة فقد نشأت بينهم وبين بطاركة الكنيسة المصرية علاقات ودية، أختلفت طبيعتها من حين إلى آخر تبعاً لما تقتضيه مصالح الطرفين. غير أن موضع الأهمية هنا هو مدى تأثير الكنيسة النوبية في حياة الناس.

الواقع أن المجتمع النوبي ظل يعيش في مثل ما عاش قبل دخول المسيحية، ولم تختلط العقيدة الجديدة بقلوب الناس. واحتفظ النوبيون بكثير من عاداتهم القديمة. ولم تنجب الكنيسة النوبية علماء ذوى مثل مستمدة من تجارب القديسين - كما فعلت الكنيسة المصرية مثلا - فظلت تعتمد في الحصول على الأساقفة على ما يرد إليها من الكنيسة المصرية الأمر الذى جعل الكنيسة النوبية تخضع لتطور الظروف السياسية في مصر.

والغريب أن مقرة لم يكن تسودها لغة واحدة. فالطقوس الدينية كانت تؤدى باللغة اليونانية حتى القرن الثامن الميلادى إلى أن ترجمت إلى اللغة النوبية. ولم تصبح النوبية لغة مدونة إلا منذ أواخر القرن العاشر الميلادى، على حين أن القبريات النوبية ظلت تكتب باللغتين اليونانية والقبطية دون سواهما وهما كذلك لم تسلما من أخطاء لغوية إملائية. وتختلف لغة أهل علوة في طبيعتها ونوع كتابتها عن اللغة النوبية في مقرة.

وثمة ظاهرة هامة ذات أثر بعيد في تاريخ بلاد النوبة، هي فقر البيئة - فمواضع الخصب تنحصر في شريط ضيق بحاذى النيل يختلف ضيقاً واتساعا من مكان إلى آخر. وعلى الرغم من اتساع الرقعة الزراعية في مملكة علوة عنها في مملكة مقر، إلا أن أهل علوة كانوا دون أهل مقرة في المستوى الحضارى، فلم يستغلوا خصوبة أرضهم استغلالا اقتصاديا، بل اعتمدوا على السحر.

وأهم ما يلاحظ على التجارة في بلاد النوبة أن العملة مثلا لم تكن معروفة إلا في منطقة مريس. أما إلى الجنوب منها فكان التبادل يتم طريق المقايضة بالرقيق والمواشي وغيرها.

وتأثرت حضارة النوبيين بفقر البيئة وقلة الموارد الطبيعية. فالكنائس النوبية من النوع المعروف باسم باسيلكا. ومعظمها من الطوب واللبن والطين. ويغلب على النقوش والزخرفة البساطة وعدم النضج . وحتى بقايا المساكن التى أمكن العثور على قليل منها مبنية من اللبن وهي ذات طراز بسيط ساذج.

* * *

ويمكن تفسير أثر العوامل الخارجية في اضمحلال ممالك النوبة المسيحية من تأثر النوبيين بالثقافة العربية الجديدة عليهم، إذ طبعتهم بطابع مختلف عن الطابع القديم الذى اتصفوا به في العهد المسيحى. وإذا كان وادى النيل قد استقبل بعض الجماعات العربية من جزيرة العرب قبلى الإسلام عبر باب المندب أو البحر الأحمر، أو عن طريق برزخ السويس، سواء لغرض التجارة أو الهجرة أو الغزو فإن أثر هذه الجماعات العربية فيمن اختلطت بهم من سكان وادى النيل كان ضئيلا بالقياس إلى أثر الهجرات العربية الكبرى الى شقت طريقها إلى وادى النيل من الشمال (مصر) عقب ظهور الإسلام. وتعد حملة عمر بن العاص على مصر سنة ٦٣٩م إحدى طلائع هذه الهجرات الكبرى. وعلى الرغم من أن المسلمين في محاولتهم الثانية غزو النوبة سنة ٦٥٢م – بقيادة عبد الله بن سعد بن أبى السرح – دخلوا دنقلة العاصمة واستولوا عليها، إلا أنهم لم يحتلوها بقواتهم كما فعلوا فى مصر وغيرها من البلاد التى غزوها،ولم يطبقوا عليها القواعد الخاصة بمعاملة أهل البلاد التى تفتح عنوة، بل اكتفوا بالبقط الذى ضمن للمسلمين حرية التجارة والعبادة فى بلاد النوبة ونشر الدعوة الإسلامية التى لا تفرض بحد السيف بل بالحجة والبرهان على يد التجار المسلمين. ويدل تمسك المسلمين فيما بعد بالبقط وشروطه على إدعاء نوع من السيادة فى بلاد النوبة لاسيما وأن المسلمين لم يلتزموا بدفع شئ رسمياً للنوبيين. ولا يعنى حرص النوبيين على الاستمرار فى دفع التزاماتهم إلى الدولة الإسلامية وقبض ما يقابلها من جهاز على رضي النوبيين بالبقط وشروطه، بل يدل على عجزهم عن ممارسة سياسة خارجية قوية. وإذا كان النوبيون حاولوا أحياناً الامتناع عن دفع البقط والإغارة على أطراف مصر للتخلص من هذه التبعية المضطربة لضيقهم ذرعا بالبقط وصعوبة الحصول على العدد المطلوب من الرقيق، إلا أنهم لم يحاولوا هذه المحاولات إلا فى حالات نادرة كانوا يستشعرون خلالها ضعف السلطة المركزية فى مصر

وتعرض البلاد للقلاقل الداخلية. ومع هذا فإن ولاة مصر كانوا يقابلون المحاولات النو بية بردهم وغزو بلادهم وإرغامهم على الوفاء بشروطهم.

وثمة ملاحظة توجب الالتفات هنا هى أنه على الرغم مما نص عليه عهد عبد الله بن سعد للنوبة من عدم السماح للعرب بالدخول إلى بلاد ا لنوبة إلا للتجارة، فإن الجماعات العربية المختلفة التى ازدحم بها إقليم أسوان - بعد الغزو العربى لمصر - لم تتقيد بهذا الشرط، بل أخذت فى التسرب التدريجى إلى بلاد النوبه السفلى (مريس) حيث استأجروا فيها أراضى استغلوها لصالحهم ثم استأثروا بها وتوارثوها جيلا بعد جيل. وتأثر النوبيون من أهل مريس بهذه الجماعات الإسلامية وأخذوا عنهم بعض أفكارهم ونظمهم الاجتماعية، خاصة النظام القبلى الذى أدى فى النهاية إلى تفكك ممالكهم واعتنق كثير منهم الإسلام. ولم يعد لملوك النوبة فى هذه المنطقة سوى نفوذ اسمى.

وللصحراء الشرقية - حيث تعيش قبائل البجة - دور خطير فى تاريخ بلاد النوبة . إذا المعروف أن تنقل الجماعات المختلفة بين أوطان البجة وبلاد النوبة كان أمراً مألوفا فى العصور الوسطى. ومع أن ولاة المسلمين فى مصر لم يهتموا بادئ الأمر بأمر البجة، إلا أن اعتداءات البجة على صعيد مصر منذ منتصف القرن الثامن الميلادى، أدى إلى تجريد الحملات العسكرية عليهم لتأديبهم. وموضع الأهمية هنا أن هذه الحملات لم تؤد فقط إلى حفظ مصالح المسلمين الذين سبق أن استقروا فى أرض البجة للتجارة، وحفظ المساجد القائمة فعلا، ووضع بلادهم ضمن مناطق النفوذ الإسلامى وفرض الخراج والزكاة، بل أدت كذلك إلى استقرار كثير ممن اشتركوا فى هذه الحملات للعمل فى المعادن التى بهرتهم خاصة الذهب ، وأدت كذلك إلى هجرة قبائل عربية مختلفة إلى أرض المعادن والذهب بعد أن وصلتهم أنباؤها وخاصة بعد أن فقد العرب نفوذهم القديم بقطع العطاء عنهم وضغط الأتراك عليهم فى مصر.

ومن ثم فإن حملة العمرى سنة ٨٦٨م لم تكن فى الواقع حملة يقصد بها تأديب النوبيين أو البجة، بل الكشف عن مواطن جديدة للتبر والبحث عن مهاجر تتسع للقبائل العربية التى اشتركت فيها مثل ربيعة وجهينة وغيرها فى أوطان البجة وبلاد النوبة كذلك. واختلطت هذه الجماعات العربية المهاجرة بالعناصر النوبية (فى مريس) والبجاوية مما أدى إلى تأثرهم بالدماء العربية التى كانت تتجدد باستمرار مع توالى وصول عناصر عربية جديدة إلى هذه الأوطان بسبب اضطراب بعض أجزاء العام الإسلامى وقيام الفتن والثورات.

ويدل تأسيس أول إمارة عربية - حوالى أواخر القرن التاسع الميلادى - بزعامة ربيعة، فى أرض العلاقى وإقليم أسوان على مدى ما صار للعرب من قوة فى هذه المناطق حتى اعترفت بها الدولة الفاطمية، فاستحق زعيمها أبو المكارم هبة الله لقب كنز الدولة. ثم حسب الأيوبيون لأمراء بنى كنز كل حساب وخشوا خطرهم وأدت هزيمة بنى كنز على يد العادل أخى صلاح الدين ١١٧٤م إلى رحيلهم عن أسوان التى لم تعد مركز إمارتهم، واستقروا فى جهات مريس حيث اندمجوا اندماجا تاما فى سكانها وخضع لهم النوبيون من أهل مريس الذين زال عنهم السلطان الفعلى لملك مقرة.

ويفسر وجود النوبيين بأعداد ضخمة فى مصر للخدمة فى جيشها منذ عهد ابن طولون - على الاقل - ظاهرة هامة كانت ذات أثر فى اضمحلال ممالك النوبة المسيحية. فخروج هذه العناصر النوبية المسيحية بطريق الشراء أوغيره استنزاف لقوى هذه الممالك المسيحية على حين لفظت مصر بعض عناصر الشغب بها - فى نظر ولاتها الأتراك - وهم جميعا من العرب المسلمين الذين انسابوا إلى النوبة فأثروا تأثيرا بشريا فيما تبقى لدى النوبة من عناصر نوبية مستقرة ثم أن هذه العناصر النوبية المسيحية النازحة إلى مصر لابد تحولت إلى الإسلام وأصبحت عنصرا بارزا فيها واتسعت أحوالها وشارك أولئك النوبيون فى حوادث الدول الإسلامية التى تعاقبت على حكم مصر.

* * *

وفى العهد المملوكى تبدأ مرحلة حاسمة فى تاريخ النوبة الشمالية «مقرة» وتبدأ هذه المرحلة باغارة ملك النوبة داود على ثغر عيذاب وأسوان سنة ١٢٧٢. بسبب ازدياد النفوذ المملوكى على ساحل البحر الأحمر، والضغط على ممالك النوبة المسيحية وبسبب ما نال الأقباط فى مصر من اضطهاد على يد السلطان بيبرس، فإن السلطان بيبرس أرسل حملة مملوكية سنة ١٢٧٣م إلى بلاد النوبة لتأديب داود.

وإذا كانت هذه الحملة لم تظفر بداود، فأن النزاع الذى نشب فى داخل البيت الملكى النوبى بسبب وراثة العرش والتجاء شكنده إلى السلطان، شجعه على إرسال حملة مملوكية ثانية لغزو النوبة سنة ١٢٧٦م. وموضع الأهمية فى هذه الحملة أنها جعلت بلاد النوبة الشمالية (مقرة) جزءا من الدولة المملوكية، وطبقت عليها لأول مرة القواعد الخاصة بمعاملة أهل البلاد التى تفتح عنوه، وأصبح بيد السلطان المملوكى حق تعيين وعزل من يشاء من ملوك النوبة. وتمسكت السلطنة المملوكية بهذا الحق، إذ تدل الحملات التى جردها السلطان

قلاون مرة بعد أخرى على الرغبة في تأكيد هذا الحق على الرغم من مراوغة ملك النوبة سمامون ومحاولته التخلص من التبعية للسلطنة المملوكية.

ومن أهم نتائج هذه الحملات القلاونية على بلاد النوبة أنها أقنعت ملوك علوة بقوة السلطنة المملوكية ،فتقربوا إليها بالهدايا وحكموا السلطان المملوكي فيما نشب بينهم وبين ملوك مقرة من نزاع.

وثمة ظاهرة أخرى، هي كثرة الرقيق والأسرى النوبيين الذين أرسلوا إلى القاهرة، وكثرة عدد اللاجئين من بيوت الإمارة النوبية ومدعى العرش النوبى، وثمة ظاهرة أخرى هى اشتراك عربان الوجه البحرى والقبلى فى هذه الحملات المملوكية كلها ، واستقرار كثير منهم فى بلاد النوبة، وعدم العودة إلى مصر صحبة الجيوش المملوكية.

وإذا كانت مشاغل السلطان قلاون فى بلاد الشام جعلته يقبل الوضع الذى خلقه ملك النوبة سمامون بعد استعطافه السلطان واسترضائه، فإن ابنه السلطان خليل لم يسمح باستمرار هذا الوضع وقبول مراوغة سمامون، بل أرسل حملة لتوطيد السيادة المملوكية فى بلاد النوبة وتعيين أحد الأمراء اللاجئين إلى مصر ويدعى يدمة – نائبا للسلطان فى حكم البلاد.

ولا شك فى أن اختلاف الطامعين من أفراد الأسرة المالكة النوبية كان ضمينا ببقاء هذه السيادة على بلاد النوبة حتى فى السنوات الأولى من عهد السلطان الناصر محمد بن قلاون الذى كان لا يزال طفلا. وإذ حاول أحد ملوك النوبة ويدعى كرنبس الخروج على السلطان فإن حركته وافقت بلوغ الناصر سنا مؤهلا للحكم فرأى تعيين أحد الأمراء النوبيين – الذين تربوا فى البلاط السلطانى – ويدعى عبد الله برشمبو النوبى الذى اعتنق الإسلام ملكا على بلاد النوبة ونائبا عنه في حكمها. والواقع أن سياسة تعيين ملك مسلم حكم بلاد النوبة، نقطة تحول خطيرة فى تاريخ هذه البلاد. إذ أدى ذلك إلى ظهور بنى كنز على مسرح الحوادث فى بلاد النوبة بعد أن أصهروا إلى البيت المالك النوبى وتزوجوا من بنات ملوكها. فادعى أميرهم كنز الدولة بحقه فى الملك. فهو فضلا عن أنه أمير مسلم فإن الملك ينتقل إليه بعد خاله الملك كرنبس حسبما يقضى به نظام الوراثة عند النوبيين.

ويدل تحدى كنز الدولة للسلطنة المملوكية والتخلص من عبد الله برشمبو، على ما صار لبنى كنز من قوة لا يسندها حقهم الطبيعى فى حكم بلاد النوبة فقط، بل تسندهم قوة العرب

المتوطنين، ولم تنجح الحملات الناصرية في القضاء على نفوذ بني كنز. والواضح أن دور العرب المستقرين في بلاد النوبة لم يقتصر على إسقاط البيت المالك النوبي سنه ١٣٢٢م فحسب ، بل نشر الثقافة الإسلامية بين النوبيين الذين انقطعت عنهم الجزية بإسلامهم لاسيما بعد قطع صلتهم بكنيسة الإسكندرية من ناحية وانعكاس صور اضطهاد الاقباط في مصر عليهم من ناحية أخرى.

* * *

ومن الطبيعي بعد أن سقطت المملكة المسيحية في الشمال أن تنعكس صورة الأحداث التي وقعت في بلاد النوبة الشمالية على مملكة علوة أيضا. وتتشابه العوامل التي أدت إلى سقوطها مع تلك التي أدت إلى سقوط جارتها في الشمال . فتعرض علوة لغزو جيرانها من الغرب والشمال للحصول على الرقيق، فضلا عن قطع علاقاتها بالكنيسة المصرية وفشل أهل علوة في الحصول على أساقفة من الحبشة أدى إلى تفككها وانحلالها.

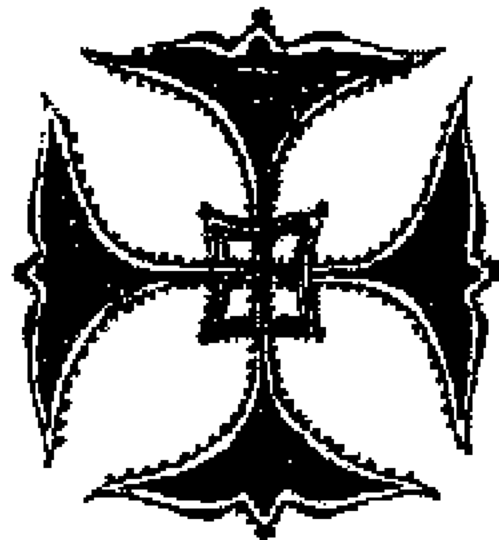
ويدل سقوط علوة سنة ١٥٠٤ على يد جماعة من العرب والفونج على أنه سبق سقوطها وصول جماعات عربية في أعداد وفيرة. فنشأت عدة إمارات ومشيخات عربية في جهات حوض النيل الأوسط بعد تغلبها على الملوك الإقليميين في مملكة علوة . ولا شك في أن تلك الجماعات العربية المختلفة كان مصدرها مصر، باستثناء بعض الأسر العربية أو الأفراد الذين جاءوا عبر البحر الأحمر من الجزيرة العربية، أو بعض الجماعات العربية التي هاجرت من بلاد المغرب عن الطريق الليبي. فالمعروف أن كثيراً من الجماعات العربية انتقلت من مصر جنوبا، حيث استقرت في بلاد النوبة الشمالية (مريس) وأوطان البجة. وزادت جموع العرب المهاجرين إلى هذه الجهات زيادة واضحة عقب قيام السلطنة المملوكية بسبب الضغط المتواصل عليهم في مصر. وساعد على ذلك اضطراب الأحوال في بلاد النوبة الشمالية. ثم أخذ كثير من هذه الجماعات ولا سيما جهينة في الهجرة جنوبا إلى جهات النيل الأزرق حتى الحبشة وغربا إلى جهات دارفور وكردفان.

وتدل كثرة الوحدات القبلية العربية في جهات حوض النيل الأوسط وانتقال مقر الملك من سوبا إلى الغرب في (كوسة) على ما صار لهذه الجماعات العربية من قوة . ويبدو أثر هذه الجماعات العربية واضحاً في تطور الحياة الاجتماعية والسياسية، وزوال الأسس التي قامت

عليها الملكية المسيحية فى علوة، لا ختلاطهم بالسكان الوطنيين وإزالة التقاليد الاجتماعية القديمة واختفاء معظم بيوت الإمارة القديمة. ولعل أهم أثر لقيام المشيخات الإسلامية فى حوض النيل الأوسط ازدياد انتشار الإسلام بين كثير من أهل البلاد بأعتبار أن ذلك كان مظهراً لقبول سيادة زعيم القبيلة على افرادها.

ومع هذا لم يؤد هذا التطور إلى استقرار الأحوال فى هذا الجزء من حوض النيل، بسبب اختلال الأمن، والنزاع بين القبائل العربية حول مواطن الرعى من ناحية وبينها وبين الاهالى من ناحية أخرى، مما أدى إلى تدهور الأحوال الاقتصادية . فظهرت الحاجة إلى إنشاء حكومة مركزية يخضع لها الجميع وحماية طرق التجارة القديمة، فكان الحلف السنارى الذى جمع بين الحليفين عمارة دونقس زعيم الفونج وعبد الله جماع شيخ القواسمة من العبد اللاب. فقضى الحليفان على البيت الملكى النوبى فى علوة وتأسست دولة الفونج الإسلامية سنة ١٥٠٤م. وشملت هذه السلطنة جميع بلاد علوة وجزءا كبيراً من أرض النوبة الشمالية.ووضع الحليفان أساس النظام الذى جرى عليه حكم هذه السلطنة . ثم انتقل هذا النظام إلى خلفائهما من بعدهما.

والمعروف أن هذه السلطنة اشتملت على عناصر مختلفة عربية وحامية وشبه زنجية فضلا عن خليط منها جميعا، وهى ذات ثقافات مختلفة ومختلطة كذلك. وتشير الروايات الوطنية إلى اختلاط الإسلام بالعقائد والعادات الوطنية، والجهل بقواعد الإسلام، إذ أن الدعوة الإسلامية حتى هذا الوقت (أول القرن السادس عشر) لم تكن تهتم بشرح تفاصيل الأسس التى يقوم عليها الإسلام، بل كانت هذه الدعوة مجملة مبسطة ليسهل بسط نفوذهم عليهم، لاسيما وأن أولئك المهاجرين كانوا من البدو الجاهلين بفقه الإسلام، فظهرت الحاجة إلى علماء يتوفرون على شرح قواعد الإسلام.



الملاحق [1]

أولا ملحق رقم ١

نقش الملك سلكو باللغة اليونانية على جدران معبد كلابشة

وقد قام بعض العلماء على نشر هذا النقش، أولهم:

Gau, Antiquites de la Nubie, pl. 1, No. 1.

ثم ناقش نوبهر محتوياته في Neibuhr, Inscriptiones Nubien

سنة ١٨٢٠، ثم نشره كل من كايو ولترون ولبسيوس في مؤلفاتهم وهي:

Cailliaud : Voyage aMeroe, tom, 3 eme P. 379.

Letronne : Oeuvres Choisies, tom. 1 ere , p. 3 tf.

Lepsius : Denkmaler, Abt. VI, B. 1 95.

وأخذ بدج عن الأخير Budge, E. A. wallis : The Egyptian Sudan, Vol. II, PP. 318 - 319.

النص الوارد هنا مأخوذة ترجمته عن بدج بعد مقابلتها لترجمة كروان لهذا النص وليس بينهما خلاف يستحق الذكر.

Kirwan, L. P. : LAAA. P. 94.

الترجمة العربية:

أنا سلكو رئيس[2] النوباديين وجميع الأثيوبيين . لقد جئت إلى تالمس [3] وتافه، حاربت

---

(١) بعض هذه الملاحق مأخوذ من مراجع مطبوعة معروفة، غير أني أوردتها هنا مع الملاحق المأخوذة من مراجع مخطوطة لأجعل منها كلها مجموعة واحدة للنصوص الهامة الخاصة بتاريخ السودان والنوبة.

(٢) على الرغم من ادعاء سلكو الزعامة على جميع النوباديين والأثيوبيين، إلا أنه اتخذ لنفسه لقب Basilikos أي ملك صغير. وهذا لا يتفق وما ادعاه سلكو لنفسه من سلطة . ويدل التخبط في اختيار اللقب الحقيقي لسلكو على الجهل باللغة اليونانية أنظر:

Emery, W. E. : The Royal Tombs of Ballana and Qustul, Vol., I, P. 12.

(٣) تالمس هي كلابشة الحالية حيث يوجد المعبد الذى نقش سلكو على جدرانه هذا النقش تخليداً لانتصاره على البليميين.

البليميين، ثم أعدت عليهم الكرة مرة أخرى، ونصرنى الله عليهم في المرة الثالثة [١]. ثم قهرتهم نهائيا، فأصبحت بذلك سيدا على مدنهم، بعد أن سيطرت عليهم بقواتي[٢] ثم هاجمتهم (مرة خامسة) حتى توسلوا إلى، فعقدت معهم صلحا بعد أن حلفوا لى بآلهتهم[٣]. وقد وثقت في إيمانهم هذه لأنهم رجال شرفاء. ثم عدت إلى الجزء الأعلى من مملكتى، ولما تمت لى السيادة عليه، لم أشأ أن أكون في مؤخرة ملوكه، بل أصبحت في مقدمتهم[٤].

أما عن أولئك الذين نازعونى الزعامة فإننى لم أسمح لهم بأن يعيشوا فى بلادهم إلا إذا التمسوا منى المغفرة، لأننى أصبحت أسدا فى الجهات الدنيا من مملكتى وظبيا فى الجهات العليا منها [٥].

لقد حاربت البليميين فى المنطقة من ابريم إلى تالمس (الشلال [٦]). أما عن رؤساء

(١) ينسب سلكو إلى الله انتصاره على البليميين فى الموقعة الثالثة. فهل يدل هذا على أن سلكو اعتنق المسيحية؟ يرى البعض أنه اعتنق المسيحية - أنظر:

Budge, E. A. Wallis: The Egyptian Sudan. Vol., II. P. 294.

Budge, E. A. Wallis : Hist of Ethiopia, Nubia, and Abyssinia, Vol, I. P, 116

غير أن كروان Kirwan, L. P. ; LAAA. Vol, XXIV, pp. 88.

استناداً إلى ما ذكره بركوبيوس حوالى ٥٤٣ يذكر أن البليميين والنباطين يعبدون إيزيس وأوزوريس ويرى أنه ليس هنالك ما يدل على اعتناق سلكو المسيحية، بل أن ظهور صورته فى النقش فى زى فرعونى تزينه صور الآلهة يحمل على الظن أنه لم يكن مسيحياً. Ibid. op cit. p. 85.

(٢) الواضح من هذه العبارة أن سلكو احتل المنطقة الى يحتلها البليميون فى بلاد النوبة وهى الممتدة من الشلال الأول حتى إبريم.

(٣) اضطر سلكو إلى شن حرب خامسة ضد البليميين ثم عقد معهم الصلح بعد أن حلفوا له بآلهتهم إيزيس وأوزوريس. والواضح أن سلكو وثق فى هذه اليمين لتمسكهم بآلهتهم.

(٤) اطمأن سلكو إلى البليميين بعد أن أقسموا له يمين الطاعة فعاد إلى الجهات العليا من مملكته أى جنوبى إبريم وتم له إخضاع منافسيه ملوك النوباديين فأضحى زعيما بلقب رئيس وهو منصب لم يسبقه إليه غيره من ملوك النوباديين. أنظر:

Budge, E. A. Wallis: The Egyptian Sudan, op. Cit. p. 308.

(٥) بعد أن أخضع سلكو منافسيه أضحى شديد الباس، فهو أسد مخيف لكل السهل، وظبى قوى نشيط ضد سكان الجبال. Ibid : op. cit. p. 309.

(٦) يقول بدج: إنها تالمس (كلابشة) غير أنه من الواضح أن البليميين لم يكونوا عند العهد الذى قطعوه على أنفسهم ولهذا حاربهم سلكو مرة ثانية بعد عودته من الجهات الجنوبية، واكتسح بلادهم من إبريم إلى تالمس. والراجح أنها Tilelis أى الشلال الاول كما يقول كروان : Kirwan, L. P. op. cit. p. 84. =

ملحق ١ : نقش سلكو.

الشعوب الآخرين الذين نازعونى الرئاسة فإنى لم أدعهم يجلسون فى الظل بل فى الشمس، ولم يتمكنوا من أخذ شربة ماء إلى دورهم [١] ومن قاومنى منهم قضيت على أولاده ونسائه.

=اعتماداً على ترجمة جرفت لهذا النص: Griffith, F. Ll., Mer. Inscriptions، ومعنى هذا أن سلكو اضطر لحرب البليميين مرة ثانية بعد عودته من الجهات الجنوبية لعدم تمسكهم بالعهد الذى قطعوه على أنفسهم فيما يظهر، واكتسح بلادهم من إبريم إلى الشلال الأول. غير أن النص لا يشير صراحة إلى طردهم من هذه المنطقة.

(١) لا شك أن سلكو اضطر إلى خوض حرب ضد بقية النوباديين الذين خرجوا عليه حتى تم له إخضاعهم جميعاً تحت زعامته فاستحق اللقب الذى ادعاه لنفسه.

الملحق رقم ٢

بساتين الآباء الرهبان - فردوس النعيم -

الأربعين خبر للآباء الرهبان بوادى هبيب وغيره

مأخوذ عن كرم، Crum, B. W. E. : "A Nubian Prince in an Egyptian Monastery", in Studies Presented to Griffith F. Ll., PP. 137 - 145.

نقلا عن نسخ مودعة بالمتحف البريطاني والمكتبة الأهلية بباريس.

... ولكن كن على حذر من قوم بنى حام[١]. ياتوك عراة الأجساد فى أوساطهم جلود المعزى. وسلاحهم من جريد النخل. وطعامهم من دبيب الارض. ياكلون النار والثعبان والفرس والورل والسحلفة والذيب والنمر. والكلب والقط. ولا ينجسون شيا من اللحوم الخبيثة النجسة. وهم أقوياء شجعان. لا يطيق بهم ا حد من سكان هذه الارض. فيملكون اكثرها. ويسبون اهلها ويقتلون ابطالها. ويرعون بافواههم كرومها وبساتينها. ويكون على هذه الاعمال منهم وبالاعظيما. وياتون اليك يا ابى انسطاسيوس وقد طعنت فى السن. لا قدرة لك على الطعام مستويا. وتنظرهم بعيناك. وبعد ذلك تموت قبل مخاطبتهم. ويمدون ايضا ايديهم فى هذا الدير. ويريدون فساده ومن فيه من الرهبان فلا يقدرون. فاندر [فانذر] الريس الذى بعدك أن يعد لهم طعاما وشرابا من جميع الاطعمة الحلال والحرام. فاذا هم اكلوا من الطعام وشربوا من الشراب فانهم يعطوك امانا لهذا الدير. ولا يفسدون أحدا فيه. لان الذى يأتى اليه ابن اخوا المقدم فيهم. واصحابه. وفيه رحمة. واعرف واوصى ولدك الذى له الرياسة بعدك. يميز وجهه ويعرفه بشخصه، فهو ياتيه ليلا. ويدخل الى هذا الدير ويصير فيه راهبا ويكون قديسا. ويكون لهذا الدير رحمة من الله عظيمة الذى ارسله اليه. لان هولا الجند يقيموا فى هذه الارض ثلثه سنين ويجعلوها مثل القفار ولايتركوا فيها اثمار ولا اشجار لأنهم خلق كثير لا يحصى عددهم. فاذا كان اليوم الرابع عشر من ابن[٢]. تاتى إلى فتجدنى فى عنجق[٣]. وهذا مكان فى صدر البرية. يسكن فيه طير السما و يأوى اليه وحش البرية وما فيها من السباع والوحشه. وذلك لاجل ما فيها من الما المتجمع من الامطار والسيول.

---

(١) المقصود ببنى حام هنا هم النوبيون.

(٢) ابن هنا يقصد به أبيب فى الشهور القبطية: أنظر: Crum, B. W. E. op. cit. p. 142

(٣) عنجق : واحة خيالية لا وجود لها Ibid op. cit.

واد [إذ] قوما قد وصلوا من ارض النوبه فملكوا ارض النخل والسدر والسنط وهى اسوان واسنا وارمنت وابيود [١] وجميع تلك الاعمال وكان كما قال هذا الراهب وما صار اليه.

الخبر الثالث والثلثون لنسطاسيوس ايضاً. قال نسطاسيوس الاب، انه لما أتى بنوا حام إلى ارض ابيود واسوان وغيرها من الاعمال كما كان وصف لى الولد القديس جعلت أفكر فى امرهم ورايتهم ياكلون ما كان من الحرام اكثر من الحلال ولا يحرمون شيا من سائر اللحوم. ويعبدون وحش البحر [فرس النهر] أيضا فيأكلوه ويأكلون من السمك مالا ياكله احدا من الناس ولا يوديهم [يؤذيهم]، فعلمت انهم كما قال لى القديس مرقوريس. وبقيت مترقبا ما ينالنى من اولا يك، لأنهم كانوا قد افسدوا فى الارض وثمارها، واكلوا زرعها، واحرقوا بالنار غاباتها وسبوا أهلها وقتلوا ابطالها، وغنموا اموالهم، ولم يبق الا هذا الدير لاجل ما كان فيه من القديسين، ولما كان فى بعض الليالى واد [إذ] قد أتى الينا سياره عظيمه من هذا الجنس الحبشى بنى حام[٢]. وهم عراة الاجساد، وفى اوساطهم من جلود المعز ما يسترون به عورتهم وفى ايديهم سلاح من جريد النخل، فنزلوا خارجا من هذا الدير. ولم ينالنا منهم سوا، اخرجنا اليهم طعاماً فاكلوا وشراباً فشربوا. ولما ارادوا المسير، دفع المقدم فيهم اماناً لهذا الدير وهو لوحا من النحاس الاصفر مكتوبا فيه ثلثه اسطر بالقلم اليونانى، وفيه هكذا ، انا قفرير بن اخى غايان بن مروا ابن صلبان، كتبت هذا الوح لهذا الدير احدر فيه من يوديه، ويغصبه مالا. او طعاما أو غير ذلك. فيكون من الهالكين وانصرف هو ومن معه. وبقى اللوح فى هذا الدير، وكان مقام هولآ ا لقوم ثلثة سنين، وكان فى هذه المده اذا اتى الينا قدما يريدون الفساد، فنخرج اليهم ذلك اللوح فيصقعون له ويرجعون إلى ورايهم ذاهبين. ولما كان آخر السنة الثالثة من مملكة هولاى القوم. اتى الينا رجل ومعه ثلثه غلمان يخدموه، ويرفعون اثوابه ان تقع على الارض. وبيده عصا من جريد يتوكا عليها ، وبيده الاخرى سيف يحمله . وعلى راسه مقدار ذراع واحد خرقه حرير مشدوده بها. كما يكون النسا. فلما رايناه تعجبنا منه وقلنا ما هذا الشيطان الذى اتى الى هذا الدير . وماذا يريد. وأنا علمت من ولدى الراهب القديس ان المدة

---

(١) أيود. قرية من قرى صعيد مصر تقع جنوبى مدينة قفط ويبدو أنها كانت ذات أهمية فى الوقت الذى ترجع إليه حوادث هذه القصص.

(٢) ورد فى بعض النسخ الأخرى ذكر نوبى، وفى بعضها الآخر ذكر حبشى . والواقع أنه كثيرا ما يحدث الخلط بين هذه الأسماء جميعاً . Kirwan, L.P. LAAA. op. cit.

قد انقظت ولم يبق لهم ملكا. لان هذا الانسان كان من بني حام وانه اراد الدخول الى الدير. ففتحوا له الباب فدخل واراد البيعه فدللناه عليها. وانا نسطاسيوس كنت امامه ماشيا. لانى من ولدى الراهب ما كان انبانى به. ولما دخل الى البيعه وقف امام الهيكل وصلى. ولما فرغ من صلاته التفت إلى وقال. انا اريد ان تريني مقدم هذا الدير. لانه كان عجميا وان واحد من غلمانه كان يترجم له، فقلت له وما الذى تريده منه. فقال اذا رايته انا اخاطبه بالذى اريده منه، فقلت له انا هو. فجلس واجلسني واخرج من بين ثيابه مما كان معلقا في عنقه. على صدره صوره من الذهب الاحمر منقوشه بالقلم. وكانت صوره ابينا القديس انبا بخوم، فتعجبت وقلت يا هذا المولا وانتم تعرفون في ارضكم القديس انبا بخوم . فقالوا نعم لان شابا راهبا لابس الثياب الصوف طرق ارضنا ورأينا له قدس عظيم . واكرز في ارضنا. وقال ان روحى صارت إلى السموات ورايت اهل العذاب وماهم فيه. ورايت اهل النعيم وماهم فيه. واظهر عجايب كثيرة. كان يقول ان روحي بعد قبضها عادت إلى جسده واندرنا انا ناتي إلى هذه الارض ونملكها ثلثه سنين ونعود إلى ارضنا. وكنت انا قد القيت نفسي اليه ورغبت إلى قدسه ويشرني اني اصير راهبا واسكن في دير انبا بخوم. المكان الذى كان فيه راهبنا. واسكن منزله. واصلي على قبره. واوراني كيف صوره القدس الجليل انبا بخوم وصنعها لى فى لوحا من الخشب. واذا عملتها فى هذا اللوح الذهب . وان ذلك الراهب مضى الى جبل عنجق من ارضنا. وهو ذا قد تم ما قاله. ولم يخل منه شياً . فعلمت أنا نسطاسيوس انه والدى القديس مرقوريس الراهب. فتعجبت واطرقت بوجهى الى الارض . وكنت ساهيا زمانا طويلا. فلما رفعت راسي. قال لى الترجمان يا ابى الراهب ماهو ذا أنت فيه مفكرا فقلت. سبحان الله الذى اعطى قدسيه ومختاريه واصفياه الراغبين اليه هذه العطية واجلهم بها. يا ولدى هذا الراهب الذى ذكرت وصوله إلى ارضكم هو في هذا الرير كان راهبا. وارضا الله باعماله. وهو دا ما كان من حاله. فسبح ذلك الرجل الله كثيرا. وقال ان هذا هو العجب. انه انباني بما كان كذلك هدا الاب. ثم التفت إلى وقال لى انى اتيت لالبس الثوب والاسكيم. واكون من اولاد القديس انبا بخوم. الى حين انقضى مدتى . فبادر يا ابى الراهب والبس الثياب . فقلت انك راهباً من قبل اليوم. لان مرقوريس اندرك بدلك واندرني واني لا اشك انك ابن اخى الملك . قال نعم . واذا اعطيتك امانا في هذا الدير. وفى هذا اليوم وهو السابع والعشرين من ايلول عادوا بنى حام إلى ارضهم . وانا بعد ذلك فى اليوم الثالث عشر من كانون الاول البسته الثياب

والاسكيم. واسكنته بيت ذلك الراهب مرقوريس. واريته قبره. وكان فيه يصلي ويذكر قدس مرقوره وقوله. وانه لم يكذب في لفظة واحد. انظروا الى قدس هذا الراهب ونضايله . وهدا ما كان من امر بني حام... انه ما يبقى احد منهم في هذه الارض الا هدا الراهب. وكان قديساً كثير الصوم والصلاه. وهذا ماكان من أمر هذا الراهب وكنت وقت لباسه الثياب اسميته قفرى. كما كان في اللوح مكتوب. الدى اعطاني اياه اماناً على هذا الدير. اسمعوا يا اخوتي واحبابي انا نسطاسيوس المسكين. بينما انا جالس في ديرى واذا سياره قد اتت يطلبوني طلبا عنيفا فخرجت اليهم وقلت ماذا تريدوا . فقالوا نريد نسطاسيوس اب هذا الدير. فقلت انا هو. فقالوا ان عندك رجل من اولاد حام وهو ابن أخو ممروا ابن صلبان الملك الدى افسد هذه الارض . وقد جعلته راهبا وهو يكاتب عمه باخبار هذه الارض. وانا نريده. والا نحن نقتل جميع من في هذا الدير ونطلق فيه النار. ولا نترك فيه شياً من العماره. وكان جميع ذلك من الشيطان عدو الخير. [فقلت] هو ذا الدير امامكم وجميع من فيه. وهو دا انا قايماً في وسطكم . فادخلوا واكشفوا وفتشوا جيدا . فادا ما قدر تم عليه فخدوه ولا تخافوا احداً. فاني ما اعرف من هذا الانسان الدى انتم تدكروه. وانهم دخلوا وفتشوا الدير ولم يتركوا فيه مكانا. ولم يدخلوا الى منزل هذا الراهب قفرى. ولا علموا به. ولا المنزل الدى كان فيه . فخرجوا وقالوا ان هدا عظيما.وان الساعى الينا قد كدب ولم يرشدنا. والتفتوا إلى رجل كان معهم . من ناحيه تسمي صفيرة كما أسمها. وكان ساعيا. لانه كان شريرا كذاباً قتالا سفيهاً . نماماً مقاطعاً. لا يخاف الله. ولا يعرف الاه. وكان لاهياً بالزنا وشرب الخمر. واكتساب المال من غير حل. فسلط عليه هولآ القوم عند وصولهم . فاخذوا جميع ما يملك. وسبوا له ثلثه بنات . وقتلوا له ثلثه اولاد من الرجال الاشدآ الاقويا. ولم يرجع عن طغيانه ولا اعتبر بما ناله. وكان يقول انه ياخذ قفرى الراهب ابن اخى الملك فيقتله عوضا عن بنيه وبناته ولم يدرى انه بعض الانتقال وفي اخرته جهنم. فاخدوه وربطوا في عنقه حبل من شعر المعزا وعلقوه على حايط الدير فمات لوقته.

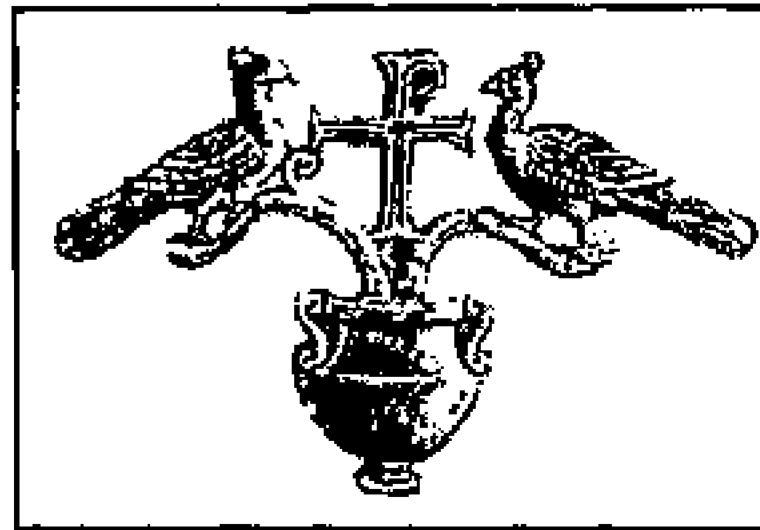
* * *

تدل الشواهد الداخلية لهذه القصص الثلاث (الحادية والثلاثين والثانية والثلاثين والثالثة والثلاثين) أن حوادثها وقعت في أديرة مصر على أطراف مصر الجنوبية. غير أن تاريخ هذه

القصص غير معروف تماما. وتدل اللغة التي كتبت بها أنها دونت في عصر متأخر قد يرجع إلى القرن العاشر أو الحادى عشر الميلادى .

والراجح أن هذه القصص ترديد لروايات قديمة تداولها الرهبان في الأديرة. وهي تمثل جهود أولئك الرهبان القدامى في نشر المسيحية بين النوبيين . وهي تشبه إلى حد كبير ما تردده الروايات عن الأنبا شنودة رئيس دير أخميم في منتصف القرن الرابع الميلادى بصدد علاقته بالنوبيين والبليميين.

والراجح أن حوادث هذه القصص ترجع إلى القرن الرابع أو الخامس الميلادى حين كان النوبيون لا يزالون على دينهم. وهو الوقت الذى نشط فيه الرهبان للتبشير للمسيحية بينهم. وقد ظهرت آثار هذه الجهود التبشيرية فيما بعد حين أضحت المسيحية الدين الرسمي للنوبيين في القرن السادس الميلادى وقبولهم مذهب الكنيسة المصرية دون المذهب الملكاني الذى شحذت الدولة البيزنطية جهودها لنشره بينهم.



ملحق رقم ٣

الوثائق الدالة على استقرار البليميين فى منطقة طيبة

عثر فلاح مصرى سنة ١٨٨٧م في قرية الجبلين على بعد ٢٥ ميلا جنوبى الاقصر عل ثلاث وثائق مكتوبة باللغة اليونانية على رق غزال - نشرها كرال وهى محفوظة بالمتحف المصرى تحت رقم. 107 60 - 107 61, 107 62. Gen. du. Musee du Caire

وقد نقلها كروان إلى الإنجليزية وعلق عليها فى :

KirWan L. P. : LAAA. op cit. p. 87.

وكـذلك Emery, W.E. The Royal Tombs of Ballana and Qustul i, Text PP. II - 12.

ولا خلاف بين الترجمتين يستحق الذكر.

وفيما يلى نص الترجمة العربية للوثيقة رقم 10760 عن إمرى.

- ١ -

الترجمة العربية:

أنا شارشن ملك البليميين . أكتب إلى أولادى شاراشن وشاراتكور وشاراهيت، أنه طبقا لأمرى هذا قد منحتكم حكم الجزيرة المعروفة باسم تنارى، وألا يقف فى سبيلكم أحد. وإذا أثار الرومان مشاكل وامتنعوا عن دفع الأتاوة العادية لكم فإنه ، لا الفيلارك ولا الهيبوتيرانوس، يمنعانكم من إرغام الرومان على دفع العطايا العادية عن جزيرتى.

شارشن: الملك.

(+) تنتكنا : أمين القصر - شاهد.

(+) كتبه سانسانوس الكاتب فى اليوم الرابع والعشرين من شهر...

تقع جزيرة تنارى جنوبى الجبلين ، أى أنها فى أرض مصرية. ويقول كروان Kirwan, LP. op cit. P. 87 لا يبعد أن يكون الامبراطور جستنيان أراد أن يتصل بدولة أكسوم ليستعين بها ضد الدولة الحميرية اليهودية باليمن. ورأى أن استخدام البليميين كجنود مرتزقة فى الجيش

البيزنطى يتيح له الفرصة لمد حدود امبراطوريته إلى الحبشة ، فأقطعهم هذه الجزيرة ثمنا لخدماتهم من ناحية، واجتذابهم إلى المسيحية من ناحية أخرى. ويدل رسم الصليب أمام اسمي الشاهدين البليميين على أن المسيحية وصلت إلى هذه الشعبة من البليميين على الأقل، على الرغم من أن الملك البليمى لا يحمل علامة الصليب.

أما امرى .Emery, W. E. op. cit فيرى أن استقرار البليميين فى الجزيرة يدل على ضعف النفوذ البيزنطى في هذه المنطقة التى أقام فيها البليميون نوعا من الحكم المدنى على حساب البيزنطيين.

ويرى وولى وما سيفر Woolley - Maciver op. cit. p. 96 أن البليميين لم يكونوا مجرد غزاة بل أنهم استقروا فى منطقة طيبة حيث أقاموا حكومة مدنية وأن القوات البيزنطية خضعت لهم واتخذوا من بطليمى قاعدة لهم يرسلون منها قواتهم لإثارة الرعب فى المنطقة التى تقع إلى الشمال من طيبة.

- ٢ -

وثيقة رقم 10761 متحف الآثار المصرى - وهى خاصة بتعيين قسيس لجزيرة تنارى الخاضعة لنفوذ ملك البليميين نقلا عن:

Emery, W. E. : op. cit.

الترجمة العربية:

أنا (+) باكتمن أشهر الملوك. قد عينت باو القسيس المعروف لإدارة جزيرة تمسير المعروفة باسم تنارى. وقد سلمتها إليك من هذا اليوم فصاعدا . وأوافق على ماسطرته عاليه.

كتبه الكاتب أجاثونوس فى اليوم الثالث والعشرين من السنة من السنة الحادية عشرة.

ليس من المعروف تماما تاريخ تحرير هذه الوثيقة. وربما كانت لاحقة للوثيقة السابقة أى حوالى أواخر القرن السادس الميلادى. وموضع الأهمية فى هذه الوثيقة أن ملك البليميين يحمل هنا علامة الصليب. ثم أنه يعين قسيسا على حكم هذه الجزيرة نفسها ويقول كروان Kirwan, L. P. op. cit. P. 90. إن لفظ IEPEUS ومعناها قسيس، من الألقاب المعتادة فى الوثائق الكنيسة، وتدل الشواهد الداخلية بأن البليميين المستقرين فى هذه المنطقة قد اعتنقوا المسيحية حوالى ذلك الحين (أواخر القرن السادس الميلادى).

ملحق رقم ٤
نقش دندور

في سنة ٥٥٩م حول معبد دندور إلى كنيسة . وقام الملك أرجمنيز بتسجيل هذه المناسبة على جدران هذا المعبد باللغة القبطية وقام على نشره كل من:

Bevillout, : Mem. Sur les Blemmyes, P. 121.

Kraus, J. Die Anfaoge Des Christiontams in Nubien. P. III.

وقد أخذ عنهما كروان Kirwan, L. P. LAAA : op. cit. p. 99.

وبكت Beckett. H. W. ; ASN. Vol. II. Report, 1907 - 8. p. 366

ولاتختلف ترجمة كل من أولئك العلماء لهذا النص كثيراً وفيما يلي ترجمته عن بكت Beckett, H. W. op. cit. p. 366.

الترجمة العربية:

بمشيئة الله وبأمر الملك أرجمنيز (اربائم) ويوسف نائب الملك في تالمس، بعد أن تسلمت الصليب من يد ثيودور أسقف فيلة، قد وضعت أنا ابراهام القسيس المسكين هذا الصليب في اليوم الذى وضع فيه أساس هذه الكنيسة وهو اليوم السابع والعشرين من طوبة من السنة السابعة (٢٣ يناير سنة ٥٥٩م) بحضور (شاى)[١] الخصى وباقنوتى مندوب الملك[٢] وأبيفانس حامل أختام ا لملك وماركوس [٣] البريدى [٤]. وأرجو ممن يقرأون هذه السطور أن يصلوا من أجلى إحساناً منهم.

يشير هذا النقش إلى أن أرجمنيز ملك نوباديا اعتنق المسيحية وأنه أخذ ينشئ الكنائس ويحول المعابد إلى كنائس كذلك بالتعاون مع ثيودور أسقف فيلة. ويدل هذا النقش كذلك على أن نوباديا أضحت بلاداً مسيحية. ومعنى هذا أن البليميين الذين قال بروكوبيوس

---

(١) ذكر كروان فى ترجمته لهذا النص أن اسم الخصى، Shai

Kirwan, L. P. : op. cit. p. 99.

(٢) ذكر بكت هذا اللقب بمعنى Stephor وذكره كروان بمعنى Stepharis مندوب. Ibid. op. Cit.

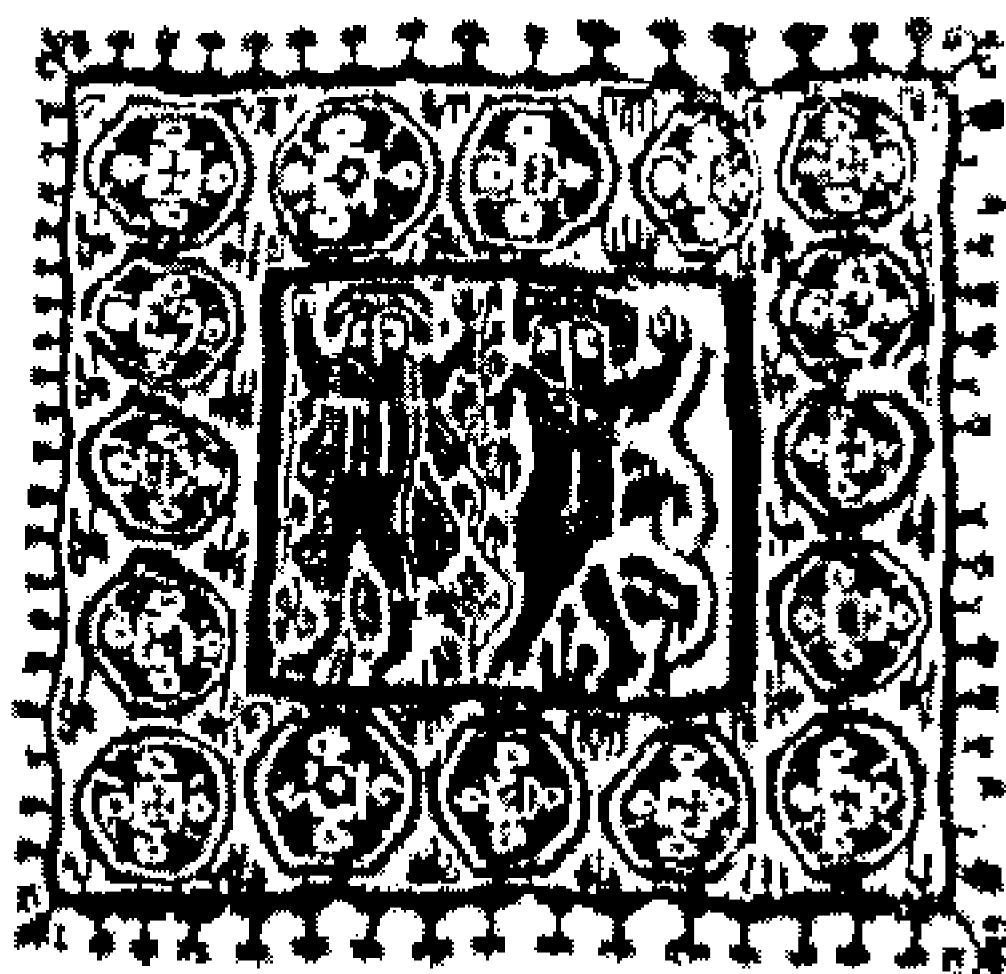
(٣) ذكر بكت أن اسم هذا الموظف Marcus على حين أن كروان ذكره باسم Sirma

(٤) يقول بكت: إن لقب هذا الموظف Veredarius ، أما كروان فترجمها Courier ، بريدى.

Procopius, op. cit. أنهم حتى ذلك الحين (منتصف القرن السادس الميلادى) كانوا لا يزالون على اوزيريتهم، قد تركوا هذه المنطقة التى عاشوا فيها حوالى قرنين. كما يدل على ذلك نقش سلكو الذى سبق ذكره . ومما يدل على تعاون البيزنطيين مع سلكو على طرد أولئك البليميين من هذه المنطقة أن الدولة عينت إلى جوار ملك نوباديا موظفاً كبيراً يحمل لقب hezarch أو eparch ومقره مدينة كلابشة ويقتسم هذا الموظف السلطة مع ملك نوباديا، نيابة عن الامبراطور البيزنطى . انظر.

Morie, L. J. Histoire de, l' Ethiopie et la Nubie, tome, lere P. 412.

ويشتمل هذا النقش على اسماء عدد من الموظفين يعاونون نائب الملك فى حكم هذه المنطقة. والراجح أن أرجمنيز أول ملك نوبى مسيحى.



راقصتان داخل مربع وزخرفة نباتيه. سجادة قبطيه من القرن ٩ . متحف اللوفر

ملحق ٤ : نقش دندور.

ملحق رقم ٥

العهد الذى اعطاه عمرو بن العاص لأهل مصر

وهو يطلق عليه الطبرى «صلح عين شمس»

مأخوذ عن الطبرى، طبعة زوتبرج، الجزء الثالث، ص ٤٩١

«هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم، لا يدخل عليهم شئ من ذلك ولا ينتقص، ولا تساكنهم النوبة.وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح و انتهت زيادة نهرهم، خمسين ألف ألف. وعليهم ما جنى لصوتهم (لصوصهم) فإن أبى أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزية بقدرهم وذمتنا ممن أبى بريئة. وإن نقص نهرهم من غايته إذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك.ومن دخل فى صلحهم من الروم والنوبة فله مثل ما لهم وعليهم مثل ما عليهم. ومن أبى منهم واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا. عليهم ما عليهم أثلاثاً فى كل ثلث جباية ثلث ما عليهم. على مافى هذا الكتاب عهد ا لله وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين و ذمم المومنين. وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأساً وكذا فرساً على ألا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة» وشهد عليه الزبير وعبد الله ومحمد أبناه وكتب وردان وحضر.



ملحق رقم ٦

عهد عبد الله بن سعد بن أبى سرح لعظيم النوبه

مأخوذ عن المقريزى . المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار

طبعة بولاق الجزء الأول ص ٧٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم. عهد من الأمير عبد الله بن سعد بن أبي سرح لعظيم النوبة، ولجميع أهل مملكته.عهد عقده على الكبير والصغير من النوبة من حد أرض أسوان إلى حد أرض علوة. أن عبد الله بن سعد جعل لهم أمانا وهدنة جارية بينهم وبين المسلمين ممن جاورهم من أهل صعيد مصر وغيرهم من المسلمين وأهل الذمة. أنكم معاشر النوبة آمنون بأمان الله وأمان رسوله محمد النبى صلى الله عليه وسلم. أن لا نحاربكم ولا ننصب لكم حربا ولا نغزوكم ما أقمتم على الشرائط التى بيننا وبينكم، على أن تدخلوا بلدنا مجتازين غير مقيمين فيه، وندخل بلدكم مجتازين غير مقيمين فيه، وعليكم حفظ من نزل بلدكم أو يطرقه من مسلم أو معاهد حتى يخرج عنكم. وأن عليكم رد كل آبق خرج إليكم من عبيد المسلمين حتى تردوه إلى أرض الإسلام، ولا تستولوا عليه ولا تمنعوا منه. ولا تتعرضوا لمسلم قصده وجاوره إلى أن ينصرف عنه. وعليكم حفظ المسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم. ولا تمنعوا منه مصليا. وعليكم كنسه وإسراجه وتكرمته. وعليكم فى كل سنة ثلثمائة وستون رأسا تدفعونها إلى إمام المسلمين من أوسط رقيق بلادكم غير المعيب، يكون فيها ذكران وإناث، ليس فيها شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل لم يبلغ الحلم، تدفعون ذلك إلى والى أسوان. وليس على مسلم دفع عدو عرض لكم ولا منعه عنكم، من حد أرض علوة إلى أرض أسوان. فإن أنتم آويتم عبدا لمسلم أو قتلتم مسلما أو معاهدا، أو تعرضتم للمسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم بهدم ، أو منعتم شيئاً من الثلثمائة رأس والستين رأسا، فقد برئت منكم هذه الهدنة والأمانة ، وعدنا نحن وأنتم على سواء حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين. علينا بذلك أعظم ما تدينون به من ذمة المسيح وذمة الحواريين وذمة من تعظمونه من أهل دينكم وملتكم. الله الشاهد بيننا وبينكم على ذلك.

كتبه عمرو بن شرحبيل فى رمضان سنة إحدى وثلاثين.

ملحق رقم ٧

البقط حسبما ورد فى كتب المؤلفين العرب

مأخوذ عن البلاذرى: فتوح البلدان

نشره، De Goeje طبعة ليدن ١٨٦٦م

(٣٦٦)... لما فتح المسلمون مصر بعث عمروبن العاص إلى القرى التى حولها الخيل ليطأهم فبعث عقبة بن نافع الفهرى - وكان نافع أخا العاصى لأمه - فدخلت خيولهم أرض النوبة كما تدخل صوائف الروم، فلقى المسلمون بالنوبة قتالا شديدا. لقد لاقوهم فرشقوهم بالنبل حتى جرح عامتهم فانصرفوا بجراحات كثيرة وحدق مفقودة فسموا رماة الحدق. فلم يزالوا على ذلك حتى ولى مصر عبد الله بن سعد بن أبى سرح فسألوه الصلح والموادعة فأجابهم إلى ذلك على غير جزية، لكن على هدنة ثلثمائة [رأس] فى كل سنة وعلى أن يهدى المسلمون إليهم طعاما بقدر ذلك... حدثنى محمد بن سعد، قال: حدثنى الواقدى، قال حدثنا ابراهيم بن جعفر عن عمر بن الحرث عن أبى قبيل حيى بن هانئ العافرى عن شيخ محمد حميد . قال شهدت النوبة مرتين فى ولاية عمر بن الخطاب، فلم أرقوما أحد فى حرب منهم. لقد رأيت أحدهم يقول للمسلم أين تحب أن أضع سهمى منك فربما عبث الفتى منا فقال فى مكان كذا فلا يخطئه. كانوا يكثرون الرمى بالنبل فما يكاد يرى من نبلهم فى الأرض شئ. فخرجوا إلينا ذات يوم فصافونا ونحن نريد أن نجعلها حملة واحدة بالسيوف فما قدرنا على معاملتهم. رمونا حتى ذهبت الأعين فعدت مائة وخمسين عينا مفقودة والهاولاء خير من الصلح. إن سلبهم لقليل وإن نكاتهم لشديدة . فلم يصالحهم . قال عبد الله بن صالح عن أبى لهيعة عن يزيد بن حبيب قال: ليس بيننا وبين الأساود عهد ولا ميثاق، إنما هى هدنة بيننا وبينهم على أن نعطيهم شيئاً من قمح وعدس ويعطونا رقيقا فلا بأس بشراء رقيقهم منهم أو من غيرهم. حدثنا أبو عبيد الله عن عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد قال: إنما الصلح بيننا وبين النوبة على ألا نقاتلهم ولا يقاتلونا وأن يعطونا رقيقا ونعطيهم بقدر ذلك طعاما. فإن باعوا نساءهم وأبناءهم لم أر بذلك بأسا أن يشترى.

ومن رواية البحترى وغيره أن عبد الله بن سعد بن أبى سرح صالح أهل النوبة على أن

يهدوا في السنة أربعمائة رأس يخرجوا بها يأخذون بها طعاما. وكان المهدى أمير المؤمنين أمر بإلزام النوبة في كل سنة ثلثمائة رأس وستين رأسا وزرافة على أن يعطوا قمحاً وخل (١) وخمر(٢) وثيابا وفرشاً أو قيمته.. وقد ادعوا حديثاً أنه ليس يجب عليهم البقط لكل سنة وأنهم كانوا طولبوا بذلك في خلافة المهدى فرفعو إليه أن هذا البقط مما يأخذون من رقيق أعدائهم فإذا لم يجدوا منه شيئا عادوا على أولادهم فأعطوا منهم فيه بهذه العدة، فأمر بأن يحملوا في ذلك على أن يؤخذ منهم لكل ثلث سنين بقط سنة. ولم يوجد لهذه الدعوى ثبت في دواوين الحضرة ووجد في الديوان بمصر.



-----

(١) وخلا .
(٢) وخمرا.

ملحق رقم ٨

هجرة القبائل العربية إلى مصر، ومنها إلى السودان [١]

أولا : القبائل القحطانية:

بنو جـذام: سكن بنو جذام الحوف منذ الغزو العربى لمصر حتى سنة ١٤٠٠م، ومنهم بنو عقبة الذين انفصلوا عن بقية الجذاميين ليلحقوا ببنى هلال فى شمال أفريقيا. وقد اضمحل شأن جذام زمن صلاح الدين (١١٧١م) وحلت محلها طئ.

بنوطئ: هبط بنوطئ مصر عقب الغزو العربى لها بنحو قرنين أو ثلاثة، وسكنوا جهات الدلتا المختلفة، حيث لحق بهم عدد كبير من أهليهم. ومن طئ بنو ثعلبة.

بلى: ان بلى فروع من قضاعة من حمير، جاءوا مصر مع الغزو العربى. وقد قام نزاع بينهم وبين جهينة ثم تم الصلح بينهما. واستقرت بلى فى صحراء عيذاب وسكن بعضهم جهات إخميم.

جهينة: سكنت جهينة جنوبى ينبع، ثم دخلوا مصر مع الفتح، واشتركوا مع ربيعة فى حملة العرب على البجا حوالى منتصف القرن التاسع الميلادى وانتقل معظمهم إلى الصعيد واشتركوا فى الحملات على النوبة.

لخـم: فرع من طئ، أسسوا مملكة الحيرة سنة ٢٨٦م ونشب نزاع بينهم وبين غسان وبنى بكروبنى تميم وغيرهم من عرب سوريا. واعتنقوا المسيحية فى نهاية القرن الخامس الميلادى وانتهى حكمهم بالحيرة عقب ظهور الإسلام . ومن بطون لخم، يشكر الذين جاءوا مع الغزو العربى لمصر واستقروا فى الجبل الذى يعرف باسمهم (جبل يشكر) ثم لحقت بهم بطون أخرى فى القرنين السابع والثامن الميلاديين. واستقروا حول الإسكندرية. وفى القرنين الرابع عشر والخامس عشر استقر كثير من بطون لخم فى إقليم الصعيد.

ثانيا : القبائل العدنانية:

كنانة وقريش: ومن هؤلاء أولاد عدى بن كعب وبنو مخزوم وبنوامية وبنو العباس

---

(١) ملخصة عن MacMichael, H. A. : A Hist. of the Arabs in the Sudan, I, PP. 133 - 150.

MacMichael, H. A. " The Coming of the Arabs to the Sudan, AESW. PP. 42 - 46.

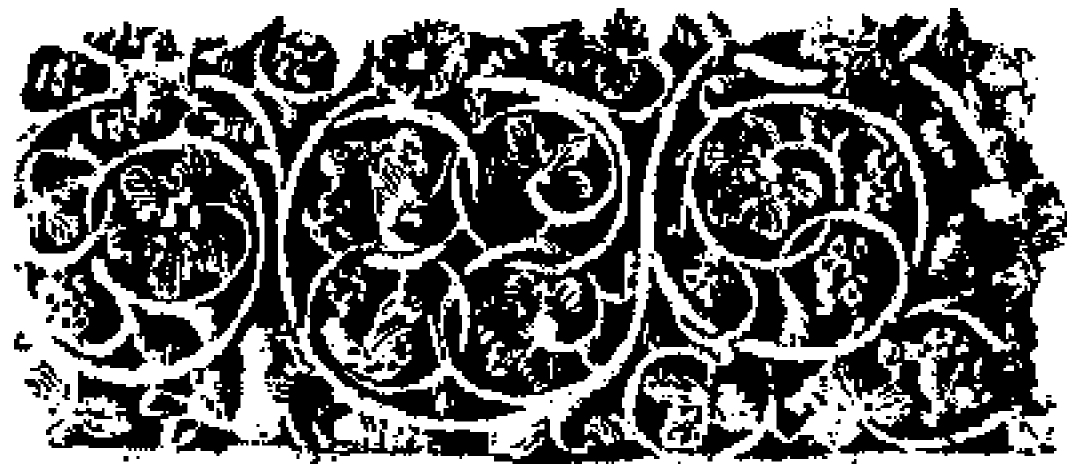
وغيرهم. وجاءت إلى مصر أعداد كبيرة منهم مع الغزو العربى لها. والمعروف أن معظم ولاة مصر كانوا من قريش. سكن كثير منهم الصعيد بجوار عرب جهينة . وفى نهاية القرن العاشر غادر جماعة من سلالة جعفر بن أبى طالب مكة واستقروا فى مصر - بين قوص وأسوان - حيث عرفوا باسم الأشراف الجعافرة.

قيس عيلان: استقدم عبد الله بن الحبحاب صاحب الخراج فى مصر سنة ٧٣٧م أعداد وفيرة من قيس عيلان الذين يسكنون نجد، ومنح بعض عائلاتهم أرضا حول بلبيس، وجمعوا ثروة طائلة من نقل المتاجر بين البحر وداخل البلاد، ولهذا لحق بهم عدد كبير من أقاربهم حتى بلغ عددهم فى عام واحد ١٥٠٠ أسرة معظمهم من بنى سليم، وهم بطن من قيس عيلان، وقد قام هؤلاء بعدة ثورات لم تقتصر على أقليم الحوف، بل امتد شرها حتى شمل معظم جهات الدلتا (٨٠٢ - ٨٠٨م).

فزارة: ينسب إلى فزارة معظم رعاة الإبل غربى النيل الأبيض، وكانوا يمثلون أيام الغزو العربى لمصر شعبة مستقلة عن غطفان. وعلى هذا فإنهم يرجعون إلى قيس عيلان. كانوا ينزلوا حول مكة. ثم هاجرت جماعات منهم إلى مصر فى القرن السابع الميلادى، ولحق بهم أقاربهم فى القرن الحادى عشر الميلادى، مع بنى هلال.

بنو هلال وبنو سليم: وهم فرع من قيس عيلان، وتشمل بطوناً من هوازن وعكرمة. انفصل بنو هلال عن القبيلة الأصلية فى زمن متقدم. وفى بداية القرن السابع كانوا يسكنون مع أقاربهم بنى سليم قرب الطائف. ولما ضعف نفوذ الفاطميين فى بلاد المغرب، أصدر المستنصر بالله سنة ١٠٤٩م أمراً لبنى هلال بالزحف على بلاد المغرب للقضاء على الروح الانفصالية فيها. وفى سنة ١٠٥١م نزح كثير من بنى هلال وبنى سليم وبنى قيس، ومعهم بنوقرة ، إلى شمال أفريقيا، وغزوا تونس وطرابلس، وحتى زمن ابن خلدون ١٣٣٢ - ١٤٠٥م وكذلك ليو الأفريقى ١٥٥٣م، ولم نعد نسمع عن بنى هلال شيئاً فى بلاد المغرب، وبدأنا نسمع عن وجودهم فى الجنوب ولاسيما بعد حملة السلطان قلاون على دنقلة سنة ١٢٨٧م. ويذكر ابن خلدون أنهم يسكنون صعيد مصر. ويذكر المقريزى أنهم كثيرون حول أسوان وفى الصحراء الشرقية حتى عيذاب وهناك من الأدلة ما يثبت أن من بنى هلال من نزح إلى السودان.

ربيعة وبنو كنز: إن الوطن الأصلى لربيعة فى الحجاز ومرتفعات نجد وتهامة. هاجر كثير من عرب ربيعة إلى بلاد الجزيرة فى القرن الخامس الميلادى حيث اعتنقوا المسيحية فى القرن السابع الميلادى. وفى سنة ٨٥٤م بدأت هجرتهم الكبرى إلى مصر ثم اندفعوا جنوباً واستقر عدد كبير منهم حول أسوان وشمال النوبة، وانضموا إلى جهينة في حملاتهم ضد البجة. واستقر كثير منهم فى أرض البجة للعمل فى المعادن. كان زعيمهم فى هذا العهد (القرن التاسع الميلادى) إسحاق بن بشر. ثم انتقلت الزعامة إلى أبى يزيد بن إسحاق الذى فضل الإقامة فى أسوان. وبهذا انتقل مركز القبيلة من العلاقي إلى أسوان حيث اختلطوا بالنوبيين وتزوجوا من بنات رؤسائهم، فأضحت لهم مصالح مادية فى بلاد النوبة. ومن هؤلاء بنو كنز وهم من ربيعة. عرفوا بهذا الاسم زمن الحاكم بأمر الله الفاطمى. ولهؤلاء يرجع الفضل فى تعريب بلاد النوبة الشمالية تعريباً جزئياً. ولعبوا دوراً خطيراً فى إسقاط مملكة النوبة المسيحية «مقرة» ثم اندمجوا اندماجاً تاماً فى النوبيين. وهم الذين يعرفون فى الوقت الحاضر باسم الكنوز، ويمتد وطنهم من أسوان إلى كرسكو.



ملحق رقم ٩

عهد عبد الله بن الجهم لكنون بن عبد العزيز عظيم البجة بأسوان

منقول عن المقريزى: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.

طبع بولاق ص ١٩٥ - ١٩٦.

هذا كتاب كتبه عبد الله بن الجهم، مولى أمير المؤمنين، صاحب جيش الغزاة، عامل الأمير أبي اسحق بن أمير المؤمنين الرشيد أبقاه الله في شهر ربيع الأول سنة ست عشرة ومايتين، لكنون بن عبد العزيز عظيم البجة بأسوان، انك سألتني وطلبت إلي أن أؤمنك وأهل بلدك من البجة، وأعقد لك ولهم أمانا علي وعلي جميع المسلمين، فأجبتك إلي أن عقدت لك وعلي جميع المسلمين أمانا ما استقمت واستقاموا علي ما أعطيتني، وشرطت لي في كتابي هذا وذلك أن يكون سهل بلدك وجبلها من منتهي حد أسوان من أرض مصر إلي حد ما بين دهلك وباضع ملكا للمأمون عبد الله بن هرون أمير المؤمنين أعزه الله تعالى. وأنت وجميع أهل بلدك عبيد لأمير المؤمنين، إلا أنك تكون في بلدك ملكا على ما أنت عليه في البجة، وعلى أن تؤدى إليه الخراج في كل عام على ما كان عليه سلف البجة. وذلك ماية من الإبل أو ثلثمائة دينار وازنة داخلة في بيت المال، والخيار في ذلك لأمير المؤمنين ولولاته، وليس لك أن تخرم شيئاً عليك من الخراج، وعلى أن كل أحد منكم إن ذكر محمدا رسول الله (صلعم) وكتاب الله أو دينه بما لا ينبغي أن يذكره به، أو قتل أحدا من المسلمين حرا أوعبدا، فقد برئت منه الذمة، ذمة الله وذمة رسوله (صلعم) وذمة أمير المؤمنين أعزه الله، وذمة جماعة المسلمين، وحل دمه كما يحل دم أهل الحرب وذراريهم، وعلى أن أحدا منكم إن أعان المحاربين على أهل الإسلام بمال ، أو دله على عورة من عورات المسلمين، أو أثر لعزتهم، فقد نقض ذمة عهده وحل دمه، وعلى أن أحداً منكم إن قتل أحدا من المسلمين عمدا أو سهوا أو خطأ حرا وعبد أو أحدا من ذمة المسلمين، أو أصاب لأحد من المسلمين أو أهل ذمتهم مالاً ببلد البجه، أو ببلاد الإسلام، أو ببلاد النوبة أو من شئ من البلدان براً أو بحرا، فعليه في قتل المسلم عشر ديات، وفي قتل العبد المسلم عشر قيم وفي قتل الذمي عشر ديات من دياتهم، وفي كل مال أصبتموه للمسلمين وأهل الذمة عشرة أضعاف. وإن دخل أحد من المسلمين بلاد البجة تاجراً، أو مقيما،

أو مجتازا، أو حاجا، فهو آمن فيكم كأحدكم حتى يخرج من بلادكم، ولا تؤوا أحدا من آبقى المسلمين، فان أتاكم آت فعليكم أن تردوه إلى المسلمين. وعلى أن تردوا أموال المسلمين إذا صارت في بلادكم بلا مؤنة تلزمهم في ذلك، وعلى أنكم إذا نزلتم ريف صعيد مصر لتجارة أو مجتازين لا تظهرون سلاحا ولا تدخلوا المداين والقرى بحال، ولا تمنعوا أحدا من المسلمين الدخول في بلادكم والتجارة فيها برا ولا بحرا، ولا تخيفوا السبيل ولا تقطعوا الطريق على أحد من المسلمين ولا أهل الذمة، ولا تسرقوا لمسلم ولا ذمي مالا، وعلى ألا تهدموا شيئا من المساجد التي ابتناها المسلمون بصحن [مدينة] هجر وسائر بلادكم طولا وعرضا، فان فعلتم ذلك فلا عهد لكم ولا ذمة. وعلى أن كنون بن عبدالعزيز يقيم بريف صعيد مصر وكيلا يفي للمسلمين بما شرط للمسلمين من دفع الخراج، ورد ما أصابه البجه للمسلمين من دم ومال. وعلى أن أحدا من البجه لا يعترض حد القصر إلى قرية يقال لها قبان من بلد النوبة حد الاعمدة. عقد عبد الله بن الجهم مولى أمير المؤمنين لكنون بن عبد العزيز كبير البجه الأمان على ما سمينا وشرطنا في كتابنا هذا، وعلى أن يوافي به أمير المؤمنين فإن زاغ كنون أو عاث فلا عهد له ولا ذمة، وعلى كنون أن يدخل عمال أمير المؤمنين بلاد البجه لقبض صدقات من أسلم من البجة ، وعلى كنون الوفاء بما شرط لعبد الله بن الجهم وأخذ بذلك عهد الله عليه بأعظم ما أخذ على خلفه من الوفاء والميثاق. ولكنون بن عبد العزيز ولجميع أهل البجه عهد الله وميثاقه، وذمة الأمير أبي اسحق بن أمير المؤمنين الرشيد وذمة عبد الله بن الجهم وذمة المسلمين بالوفاء بما أعطاه عبد الله بن الجهم ماوفى كنون بن عبد العزيز بجميع ما شرط عليه. وإن غير كنون أو بدل أحد من البجه فذمة الله جل اسمه وذمة أمير المؤمنين وذمة الأمير أبي اسحاق أمير المؤمنين الرشيد وذمه عبد الله بن الجهم وذمة المسلمين بريئة منهم. وترجم جميع مافي هذا الكتاب حرفا حرفا زكريا بن صالح المخزومي من سكان جده وعبد الله بن اسماعيل القرشي، ثم نسخه جماعة من شهود أسوان.

ملحق رقم ١٠

مناجم الذهب والزمرد باوطان البجه

عن اليعقوبين كتاب البلدان. نشردى خوية، ليدن ١٨٩١م.

ص ٣٣٠، ٣٣٥.

... ومن قفط تسلك إلى معدن الزمرد، وهو معدن يقال له خربة الملك على ثمان رحلات من مدينة قفط وفيه جبلان يقال لأحدهما العروس وللآخر الخصوم فيهما معادن الزمرد، وفيه موضع يقال له كوم الصابوني وكوم مهران ومكابر وسفسيد. وكل هذه معادن يوجد فيه الجوهر وتسمى الحفائر التي يخرج منها الجوهر شيم، واحدتها شيمة. وكان بها معدن قديم يقال له سر وحيط وهو معدن كان في الجاهلية وكذلك معدن سابر. ومن المعدن الذى يقال له خربة الملك إلى جبل صاعد وهو معدن تبر مرحلة، والى الموضع الذى يقال له الكلبي، وموضع يقال له الشكرى وموضع يقال له العجلي، وموضع يقال له العلاقي الأدنى، وموضع يقال له الريفة وهو ساحل بحر خربة الملك. ولك هذه معادن تبر. ومن الخربة إلى معدن يقال له رحم معدن تبر ثلاث مراحل، وبرحم قوم من بلى وجهينة وغيرهم من أخلاط الناس يقصدون للتجارات، فهذه معادن الجوهر وما يتصل بها من معادن التبر القريبة. ثم مدينة أسوان العظمى وبها تجار المعادن وهم في الجانب الشرقي من النيل.. ومن أراد المعادن معادن التبر خرج من أسوان إلى موضع يقال الضيقة بين جبلين، ثم البويب ثم البيضة، ثم بيت ابن زياد، ثم عذيفر ثم جبل الأحمر ثم جبل البياض ثم قبر أبي مسعود ثم عفار ثم وادى العلاقي. وكل هذه المواضع معادن التبر يقصدها أصحاب المطالب.. ووادى العلاقي كالمدينة العظيمة به خلق من الناس وأخلاط من العرب والعجم أصحاب المطالب، وبها أسواق وتجارات. وشربهم من آبار تحفر في وادى العلاقي . وأكثر من بالعلاقي قوم من ربيعة من بنى حنيفة من أهل اليمامة انتقلوا إليها بالعيالات والذرية. ووادى العلاقي وماحواليه معادن للتبر وكل ما قرب منه يعتمل فيه الناس. لكل قوم من التجار وغير التجار عبيد سودان يعملون في الحفر ثم يخرجون التبر كالزرنيخ الأصفر، ثم يسبك. ومن العلاقي إلى موضع يقال له الجبل مرحلة، ثم إلى موضع يقال له ؟ ثم إلى موضع يقال له كعار يجتمع الناس به لطلب التبر، وبه قوم من أهل اليمامة من ربيعة. ومن العلاقي إلى معدن يقال له بطن داح مرحلة. من العلاقي إلى موضع

يقال له أعماد مرحلتان، والى معدن يقال له ماء الصخرة مرحلة، والى معدن يقال له الأخشاب مرحلتان، والى معدن يقال له ميزاب تنزله بلى وجهينه أربع مراحل، والى معدن يقال له عربة بطحا مرحلتان، ومن العلاقي إلى عيذاب أربع مراحل. وعيذاب ساحل البحر المالح يركب الناس منه إلى مكة والحجاز واليمن ويأتيه التجار فيحملون التبر والعاج وغير ذلك في المراكب. ومن العلاقي إلى بركان وهي آخر معادن التبر التي يصير إليها المسلمون ثلثون مرحلة. ومن العلاقي إلى موضع يقال له دح ينزله قوم من بني سليم وغيرهم من مضر عشر مراحل. من العلاقي إلى موضع يقال له السنطة وبه قوم من مضر وغيرهم عشر مراحل. ومن العلاقي إلى موضع يقال له الرفق عشر مراحل . ومن العلاقي إلى معدن يقال له سخيت عشر مراحل. فهذه المعادن التي يصل إليها المسلمون ويقصدونها لطلب التبر.



ملحق رقم ١١

شراء العرب أراض بالنوبه

منقول عن المسعودى: مروج الذهب، نشر دى مينار ودى كورتل .

باريس ١٨٦٦ - ١٨٧٧م ج٣، ص ٤٢ - ٤٣ .

ولمن بأسوان من المسلمين ضياع كثيرة داخلة فى أرض النوبة، يؤدون خراجها إلى ملك النوبة. ابتيعت هذه الضياع من النوبة فى صدر الزمان فى دولة بنى أمية وبنى العباس. وقد كان ملك النوبة استعدى إلى المأمون حين دخل مصر على هؤلاء القوم بوفدهم إلى الفسطاط، ذكروا عنه أن أناسا من مملكته وعبيده. باعوا ضياعا من ضياعهم لمن جاورهم من أهل أسوان وأنها ضياعه والقوم عبيده ولا أملاك لهم، وانما تملكهم على هذه الضياع تملك العبيد العاملين فيها. فرد المأمون أمرهم إلى الحاكم بمدينة أسوان ومن بها من الشيوخ وأهل العلم. وعلم من ابتاع هذه الضياع أنها ستنزع من أيديهم، فاحتالوا على ملك النوبة بأن تقدموا إلى من ابتيع منهم من النوبة، أنهم إذا حضروا إلى حضرة الحاكم ألا يقروا لملكهم بالعبودية، وأن يقولوا سبيلنا معاشر المسلمين سبيلكم مع ملككم، يجب علينا طاعته وترك المخالفة له. فان كنتم أنتم عبيد لملككم وأموالكم له فنحن كذلك. فلما جمع بينهم الحاكم وبين صاحب الملك أتوا بهذا الكلام أو نحوه مما وقفوا عليه من هذا المعنى ، فمضى البيع لعدم إقرارهم بالرق لملكهم إلى هذا الوقت. وتوارث الناس تلك الضياع بأرض النوبة من بلاد مريس.وصار النوبة أهل مملكة هذا الملك فى نوعين، نوع ممن وصفنا أحرار غير عبيد والنوع الآخر من أهل مملكته عبيد وهم من سكن بالنوبة فى غير هذه البلاد المجاورة لأسوان وهى بلاد مريس.



ملحق رقم ١٢

التجاء فلول الأمويين إلى بلاد النوبه وبلاد البجه

عن المسعودى: كتاب التنبيه والإشراف.

نشر دى خويه، ليدن، ١٨٩٧. ص ٣٢٩ - ٣٣٠.

لما قتل مروان بن محمد بن مروان، تفرقت بنو أمية فى البلاد هربا بأنفسهم وقد كان عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، قتل منهم على نهر أبى فطرس من بلاد فلسطين نحوا من ثمانين رجلا مثلة، واحتذى أخوه داود بن على بالحجاز فعله. فقتل منهم نحوا من هذه العدة بأنواع المثل. وكان مع مروان حين قتل ابناء عبد الله وعبيد الله وكانا ولى عهده، فهربا فيمن تبعهما من أهلهما ومواليهما وخواصهما من العرب ومن انحاز إليهم من أهل خراسان من شيعة بنى أمية، فساروا إلى أسوان من صعيد مصر، وساروا على شاطئ النيل إلى أن دخلوا أرض النوبة وغيرهم من الأحابش، ثم توسطوا أرض البجة ميممين باضع من ساحل بحر القلزم، فكانت لهم مع من مروا به من هذه الأمم حروب ومغادرات، ونالهم جهد شديد وصبر عظيم، فهلك عبيد الله ابن مروان فى عدة من كان معهم قتلاوعطشا وضرا. وشاهد من بقى منهم أنواع الشدائد وضروب العجائب. ووقع عبد الله بن مروان في عدة ممن نجا معه إلى باضع من ساحل المعدن وأرض البجة، وقطع البحر إلى جده من ساحل مكة، وتنقل فيمن نجا معه من أهله ومواليه فى البلاد متسترين راضين أن يعيشوا سرقة بعد أن كانوا ملوكا، فظفر بعبد الله أيام أبى العباس السفاح. فأودع السجن، فلم يزل فيه بقية أيام أبى العباس وأيام المنصور والمهدى والهادى، فأخرجه الرشيد وهو شيخ ضرير فسأله عن خبره فقال يا أمير المؤمنين حبست غلاما بصيرا وأخرجت شيخا ضريرا.



ملحق رقم ١٣

رسالة ملك الحبشة إلى جورج ملك النوبه للتدخل لإعادة العلاقات بين كنيسة الحبشة والكنيسة المرقسية

من حياة البطريرك فيلاتاوس وهو من العدد الثالث والستون ٩٧٠ - ٩٩٥م

عن تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المعروف بسير البيعة.

المقدسة لساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين.

الجزء الثالث

وفي أيامه (البطريرك فيلاتاوس) أنفذ ملك الحبشة إلى ملك النوبة كتابا، واسمه جرجس، وعرفه ما أدبه الرب به هو وأهل كورته وهو، أن امرأة ملكة على بني الهموية ثارت عليه وعلى كورته وسبت منها خلق كثير وأحرقت مدن كثير وأخربت البيع وطردته من مكان إلى مكان وأن هذا الذي لحقه جزى (جزاء) عما كان الملك الذي قبله فعله مع المطران في أيام الأب انبا قزما (قسما) مما قد شرحناه أولا من تزويره وكذبه، وقال له في الكتاب الذي أنفذه له: أحب أن تساعدني وتشاركني في الشعب منجل (من أجل) الله ومن أجل اتفاق الأمانة، وتكتب كتاب من جهتك إلى الأب البطرك بمصر تسله أن يحللنا ويحلل بلادنا ويصلي علينا ليزيل الله عنا وعن أرضنا هذا البلا وينعم لنا بأن يقسم لنا مطران كما جرت عادة ابانا ويدعى لنا بأن يزيل الله غضبه عنا. وذكرت لك أيها الاخ ذلك خوفا من ان ينقرص ويبطل دين النصرانية من عندنا لان هو ذا ستة بطاركه قد جلسو ولم يلتفتو إلى بلادنا بل هي ساية بلا راعي، وقد ماتو أساقفتنا وكهنتنا، وقد خربت البيع وعلمنا أنه بحكم حق نزل علينا هذا البلا عوضا مما فعلناه بالمطران. فلما وصلت الكتب إلى جرجس ملك النوبة ووقف عليها أنفذ من جهته كتبا ورسلا إلى البطرك فيلاتاوس وشرح له فيها جميع ما ذكره ملك الحبشة وساله ان يتراف على شعبه فاجاب سواله ورسم لهم راهبا من دير أبو مقار اسمه دانيال وانفذه لهم مطرانا فقبلوه بفرح وازال الله عنهم الغضب وابطل امر الامراة التي قامت عليهم.

ملحق رقم ١٤

نص اليمين التى حلف عليها مشكد ملك النوبه الجديد بدنقله للظاهر بيبرس بعد فتح المماليك لتلك البلاد سنة ١٦٧٤هـ (١٢٧٥م)

وهو منقول من النويرى (نهاية الأرب، جـ٢٨. ورقة ١٠٩. صورة شمسية بدار الكتب المصرية معارف عامة رقم ٥٤٩ وقد صحح وقوبل على النص الوارد في ملحق رقم ٥ من كتاب السلوك جـ١ القسم الثالث ص ٩٧٣ - ٩٧٤ نشره الأستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة.

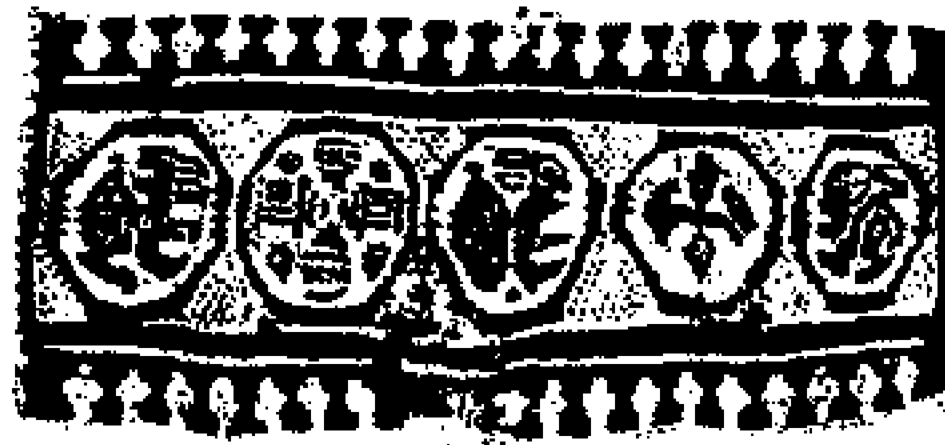
والله ! والله ! والله! وحق الثالوث المقدس، والانجيل الطاهر والسيدة الطاهرة العذراء أم النور والمعمودية، والأنبياء والمرسلين والحواريين والقديسين والشهداء الأبرار، وإلا أجحد المسيح كما جحده يودس، وأقول فيه ما يقول اليهود واعتقدما يعتقدونه، وإلا أكون يودس الذى طعن المسيح بالحربة، إنني اخلصت نيتي وطويتي من وقتي هذا وساعتي هذه للسلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين بيبرس وإني أبذل جهدى وطاقتي في تحصيل مرضاته، وإني مادمت نائبه لا أقطع ما قرر علي في كل سنة تمضي، وهو ما يفضل من مشاطرة البلاد على ما كان يتحصل لمن تقدم من ملوك النوبة، وأن يكون النصف من المتحصل للسلطان مخلصا من كل حق، والنصف الآخر أرصده لعمارة البلاد وحفظها من عدو يطرقها وأن يكون على كل سنة من الأفيلة ثلاثة،ومن الزرفات ثلاث، ومن إناث الفهود خمس، ومن الصهب الجياد مائة، من الأبقار الجياد المنتخبة أربعمائة، وإنني أقرر على كل نفر من الرعية الذين تحت يدى في البلاد من العقلاء البالغين ديناراً عينا، وأن يفرد بلاد العلي والجبل خالصاً للسلطان. وأنه مهما كان لداود ملك النوبة ولأخيه سنكوا ولأمه وأقاربه، ومن قتل من عسكره بسيوف العساكر المنصورة، أحمله إلى الباب العالي مع من يرصد لذلك. وأنني لا أترك شيئا منه قل ولا جل ولا أخفيه، ولا أمكن أحداً من إخفائه. ومتى خرجت عن جميع ما قررته أوشئ من هذا المذكور أعلاه، كنت بريئا من الله تعالى ومن المسيح ومن السيدة الطاهرة وأخسر دين النصرانية، وأصلي إلى غير الشرق، وأكفر بالصليب، واعتقد ما تعتقد اليهود. وأني لا أترك أحداً من العربان ببلاد النوبة،ومن وجدته منهم أرسلته إلى الباب السلطاني. ومهما سمعت من الأخبار السارة والنافعة طالعت به السلطان في وقته وساعته، ولا أنفرد بشئ من الأشياء إذا لم تكن مصلحة. وانني ولى من والى السلطان وعدو من عاداه والله على ما نقول شهيد.

ملحق رقم ١٥

نص اليمين التى حلف عليها النوبيون بطاعة السلطان بيبرس ونائبه فى حكم النوبه وهو الملك مشكد (شكنده)

منقول من النويرى: نهاية الأرب، الجزء ٢٨، مخطوطة مصورة بدار الكتب المصرية، معارف عامة، رقم ٥٤٩، ص ١٠٩

وكل نايب يكون للسلطان أطيعه، ولا أرى عليه بردئ، ولا أخبئ عنه مصلحة. وكل ما أسمعه من الأخبار الجيدة والردية أطالع نايبه به. ومتى علمت على نايب الملك مشكذ أمراً يخالف المصلحة، لا أطيعه فيه وأطالع السلطان به فى الوقت والساعة . وأننى لا أدخل فى حكم داود، ولا أكون معه، ولا أطالعه بخبر من الأخبار، ولا أرتضى به ملكا. ورضيت بأن أقوم بدينار عينا فى كل سنة خالية على



ملحق رقم ١٦

حملة السلطان الناصر محمد بن قلاون على العربان ببرية عيذاب؛ توغل الحملة فى أرض البجه وبلاد علوه وعودتها إلى مصر عن طريق دنقله سنة ٧١٦هـ - ١٣٢٢م

منقولة من النويرى: نهاية الأرب، مخطوطة بدار الكتب المصرية.

صورة شمسية، معارف عامة رقم ٥٤٩ - جزء ٣٠.

ص ٩٦ - ٩٨.

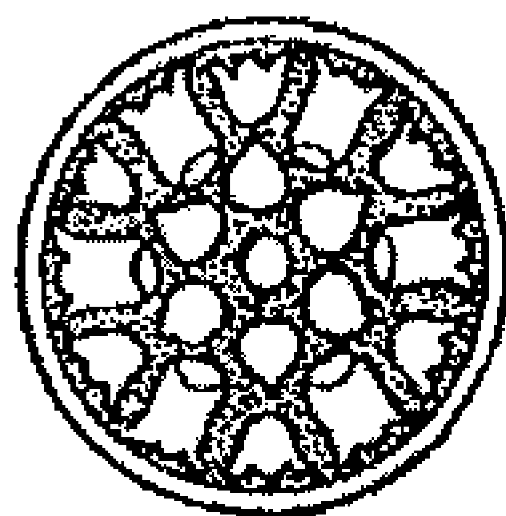
(ص٩٦) وفى سنة ست عشرة وسبعمائة أمر السلطان بتجريد جماعة من العسكر إلى جهة الصعيد، أن يتوجهوا خلف العرب حيث كانوا من البرية. فجرد الأمير علاء الدين مغلطاى أمير مجلس، وهو المقدم على الجيش، وهو من جملة مقدمي الألوف، والأمير عز الدين أيدمر الدوادار، والأمير علم الدين سنجر الدمشيرى، والأمير علاء الدين على بن الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى، والأمير سيف الدين بهادر النقوى، والأمير سيف الدين الدمياطى، والأمير صارم الدين الجرمكى، والأمير سيف الدين طقصبا متولى الأعمال القوصية والأخميمية، وسبعة من مقدمي الحلقة المنصورية، وتوجهوا فى نحو خمسمائة فارس. وكان رحيلهم من القاهرة فى يوم الأربعاء العشرين من شوال من السنة. وكان سبب ذلك أن العربان ببرية عيذاب قطعوا الطريق على رسول اليمن الواصل إلى الأبواب السلطانية وأخذوا ما كان معه من التقادم ومن رافقه من غلمانه التجار. والذى حملهم على ذلك الأمير سيف الدين طقصبا متولى الأعمال القوصية اعتقل فياضا أمير هذه الطائفة من العرب، فحملت أصحابه الحمية على فعل ذلك. فلما اتصل فعلهم بالأبواب السلطانية، جرد هذا العسكر فى طلبهم. (٩٧) و رسم أن يتوجهوا إلى مدينة قوص ويتوجهوا منها إلى البرية ويتبعوا العرب حيث كانوا. فأخبرنى الأمير عز الدين الدوادار أحد الأمراء الذين توجهوا، وهو الثقة فى أخباره، أنهم توجهوا فى التاريخ المذكور حتى انتهوا إلى مدينة قوص، فأقاموا بظاهرها خمسة وخمسين يوماً. وفى مدة مقامهم توجه متولى الأعمال والأمير صارم الدين الجرمكى إلى البرية ليجتمعا بالعربان فى رد ما أخذوه من الأموال ومراجعة الطاعة. فاجتمعا بهم ولم يهنا بالموافقة على ما

أرادوا. ولما توجها طولع السلطان بتوجههما، وأن العسكر تأخر لقلة الطهو وسعة البرية وقلة الماء. وجهز بذلك الأمير بدر الدين بكتمر الحسامي أحد مقدمي الحلقة المنصورية.

فلما وصل إلى الأبواب السلطانية حصل من السلطان الإنكار الشديد بسبب تأخر العسكر عن دخول البرية، فعندها توجه العسكر من مدينة قوص فى القمر الأول من المحرم سنة سبع عشرة وسبعمائة، ودخلوا إلى البرية، فانتهوا إلى ثغر عيذاب خمسة عشر يوماً. واجتمع العسكر بالأمير بن سيف الدين طقصبا وصارم الدين الجمركى بعيذاب، وأقاموا بها اثنى عشر يوماً. وكان متولى الأعمال قد استصحب معه فياضا أمير العرب الذى كانت الفتنة بسبب اعتقاله، ثم دخل الجيش من ثغر عيذاب، وساروا حتى انتهوا إلى سواكن فى إثنى عشر يوماً يسلكون بين الجبال والأدغال. وحصل لهم ضرر كبير بسبب المياه وقلتها حتى كادوا يهلكون فى ماء منها يقال له ديكام . فإن العربان كانوا قد غوروا المياه أمام العسكر، فأقام الجيش أربعة أيام، ووصل إلى ذلك الماء فى اليوم الخامس، فوجدوا قفاراً واحداً وهو متغير اللون والطعم والريح. فبينما هم كذلك إذ قدمت كشافة العسكر، وكانوا قد قدموا من يستقرى لهم خبر تلك الجبال. فدخلوا من هناك وقت المغرب، وانتهوا إلى مياه قد اجتمعت من الأمطار فأقاموا بها بقية تلك الليلة إلى نصف النهار من اليوم الثانى وحملوا منها وارتحلوا، حتى انتهوا إلى سواكن ، فخرج إليهم متملكها بالطاعة والانقياد إلى أوامر السلطان، وقرر على نفسه قطيعة يحملها إلى الأبواب السلطانية فى كل سنة وهى من الرقيق ثمانون رأساً ومن الجمال ثلثمائة رأس ومن العاج ثلثون قنطارا. واستقر بسواكن نيابة عن السلطان، وأقام العسكر بسواكن ستة أيام، واستصحب معه أولاد مهنا. وكان فضل أحد مقدمى العربان قد التحق بالعسكر فيما بين سواكن وعيذاب وصحبهم. وتوجه الجيش خلف العربان ودخلوا البرية يتبعون آثارهم، فساروا سبعة عشر يوما. وفى أثناء مسيرهم ظفروا بطوائف من السودان بقرب المياه فى أودية هناك، فقتل العسكر منهم وأسر وسبى وغنم من مواشيهم من الأبقار والأغنام ما ارتفق به الجند. وانتهوا إلى وادى (أتيرب) فى اليوم السابع عشر، فأقاموا بها يومين، ولم يجدوا من سواكن إلى هذا الوادى غير ماء واحد، وكان شربهم من مياه الأمطار ، وأمطرت البرية فى غير الوقت المعتاد لطفا من الله تعالى بعباده، واتقاء عليهم. ثم ساروا إلى أن وصلوا أزيينات، وهو جبل صغير على شاطئ نهر أتبرا، وهو فرع من فروع نيل مصر، يخرج من بلاد الحبشة، فأقاموا عليه يوما واحدا ثم توجهوا يتبعون آثار العربان، وهم يسيرون على شاطئ ذلك النهر ثلاثة أيام،

والنهر على يمين العسكر. ثم فوزوا ودخلوا البرية إلى أرض السالة، فانتهوا فى اليوم الثالث من يوم دخولهم المفازة إلى جبل كسلان وهو جبل أقرع ليس فى تلك البرية غيره. وجبل ألوس، وبين الجبلين واد، هذا الجبل هو حد بلاد التاكة من الحبشة. (ص ٩٨) فلما وصلوا إليه وقد قربوا من الماء وهم فى أرض صفر التربة تشبه أرض بيسان فى كور الشام، وهى كثيرة أشجار السنط وأم غيلان وشجر الأهليلج والأبنوس والصبر والحمى وهو الذى يطرح التمر هندى، إذ طلع عليهم غبار أمامهم، فندبوا من يكشف الخبر، فعاد الكشافة وأخبروهم أن طائفة من السودان تسمى هلنكة قد اجتمعوا لقتال العسكر، وهم خلق كبير فتقدم العسكر إليهم.. واجتمع العسكر فى أرض خالية من الأشجار هى من طرق.. وقد صارت مثل البركة . فدخل العسكر فيها.. وهلنكة من أعلا البركة والعسكر أسفل منهم، وبأيدى هلنكة الحراب والمزاريق والسيوف ومع بعضهم النبل. فوقف العسكر، وأرسل إليهم: أننا لم نأت لقتالكم وانما جئنا فى طلب طائفة من العرب، أفسدوا وعصوا وقطعوا السبيل، وأمنوهم فردوا الأمان وأبوا إلا القتال، فقاتلهم العسكر ورموهم رشقا واحدا بالسهام فقتل من هلنكة أربعمائة وستون نفرا وجرح منهم خلق كبير. ولم يتمكن العسكر من أسرهم فأنهم كانوا يرون القتل أحب إليهم من الأسر وقتل منهم اثنان من ملوكهم، على ما حكاه من اجتمع بهم من غلمان العسكر. وكان سبب اجتماعهم بهم وسلامتهم منهم، أنهم كانوا انقطعوا وراء العسكر وناموا فلحقهم كشافة. هلنكة فمسكوا بهم، وأتوا بهم إلى أكابرهم فسألوهم من أين انتم، وكان فيهم من يعرف لغة القوم، فقالوا نحن تجار، أغار علينا هذا العسكر ونهبونا وأخذوا أموالنا وأسروا، فلما قاتلوهم هزمنا منهم، فرقوا لهم وأطلقوهم. وذكروا لهم عدة من قتل منهم. ولما انهزمت هذه الطائفة من هلنكة تحصنوا بالأشجار وتركوا أحمالهم،فأخد العسكر منه ما قد زاد على جملة من الذرة وليس لهم طعام غيرها، وحملوا حاجتهم من الماء ورجعوا من هناك من يومهم على آثارهم، وذلك فى سادس شهر ربيع الأول سنة سبع عشرة، وعادوا حتى انتهوا إلى أربينات. ولم يمكنهم الرجوع على الطريق الذى دخلوا منه لقلة المياه والأقوات والعلوفات، فعدلوا إلى جهة الأبواب من بلاد النوبة، وأخذوا على نهر أتبرا، فساروا على شاطيه عشرين يوما. وكانت دوابهم ترعى من الخلف ثم انتهوا إلى قباله الأبواب وأقاموا هناك وتوفر سيف الدين أبو بكر بن والى الليل فى الرسيلة من جهة متولى الأعمال القوصية الأمير سيف الدين طقصبا، إلى متملك الأبواب فخاف ولم يأت إلى العسكر، وأرسل إليهم بمائتى رأس بقر وأغنام وذرة،

ونهب العسكر ما وجدوه بتلك الجهة من الذرة وتوجهوا إلى مدينة دنقلة، فى سبعة عشر يوما فى أرض كثيرة الأشجار والأفيلة والقرود والنسانيس والوحش الذى يسمى المرغفيف، فأقاموا ثلاثة أيام. وملكها عبد الله برشنبو كما تقدم، وأضاف العسكر وزودهم، توجهوا إلى ثغر أسوان ثم مدينة قوص، وأقاموا بها خمسة عشر يوما. وحصل للعسكر فى هذه السفرة مشقة كبيرة وكلفة عظيمة حتى بيعت قطيعة النعال بينهم بخمسين درهما. وابيع رطل البقسماط بدرهم ونصف فى المراكب لأمرين: أولهما عدم الطهر. ومنها أن النيل كان قد عم البلاد وقطع الطرق إلا الجبال، وكان وصول العسكر إلى القاهرة المحروسة فى يوم الثلاثاء التاسع من جمادى الآخرة سنة سبع عشرة.



ملحق رقم ١٧
المكاتبة إلى أهل الجانب الجنوبى ممن جرت العادة بالمكاتبة إليه من العرب

عن القلقشندى : صبح الأعشى، جـ٨، ص ٥ .

وقد ذكر في «التثقيف» ممن كوتب منهم جماعة بالطرقات الموصلة من الديار المصرية إلى بلاد الحبشة وغيرها، ثم قال: ولعل هؤلاء أيضا من عربان الممالك المحروسة، غير أنه لا إقطاعات لهم، وعد منهم ثمانية أشخاص وذكر أنه كتب إلى كل منهم الاسم ومجلس الأمير:

الأول: سمرة بن كامل العامرى.

الثانى: عباد بن قاسم.

الثالث: كمال بن سوار، قال: وهو مستحدث المكاتبة في العشر الأول من جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وسبعمائة.

الرابع: جنيد شيخ الجوابرة من الهكارية بأبواب النوبة. قال: وهو مستحدث المكاتبة في سنة تسع وستين وسبعمائة.

الخامس : شريف شيخ النمانمة، بأبواب النوبة أيضا، ومكاتبته مستجدة حينئذ.

السادس: على شيخ دغيم.

السابع: زامل الثانى.

الثامن : أبو مهنا العمرانى.

ملحق رقم ١٨

الممالك والمشيخات التى دخلت فى حلف مع الفونج بواسطة العابد الاب أول القرن السادس عشر الميلادى

نقلا عن نعوم شقير: تاريخ السودان القديم والحديث.

وجغرافيته، جـ٢، ص ١٠٣.

مشيخة الشنابلة: قامت على النيل الأزرق شمالى سنار، ومركزها المسلمية وأشهر مشايخها الشيخ شنبول الذى قتل فى أيام الملك عدلان الثانى.

مملكة الجموعية: امتدت غرب النيل الكبير والنيل الأبيض من عقبة قرى إلى الترعة الخضراء، ومركزها الفيزان المنسوبة إلى أولاد الملك الحينسة. وكان أهم فروعها الجميعاب والسرواب والفنيحاب وأقواهم الجميعاب.

مملكة الجعليين: قامت فى شمالى مشيخة العابد الاب على أنقاض مملكة مروى القديمة بين حجر العسل والدامر ومركزها شندى وكانت مملكة قوية تولاها فرع من الجعليين يعرف بالسعداب.

مملكة الميرافاب: فى شمالى الجعليين بين القرن ووادى السنقير، ومركزهم بربر ولهم ككر وطاقية.

مشيخة المناصير: امتدت من الشامخية إلى الشلال الرابع.

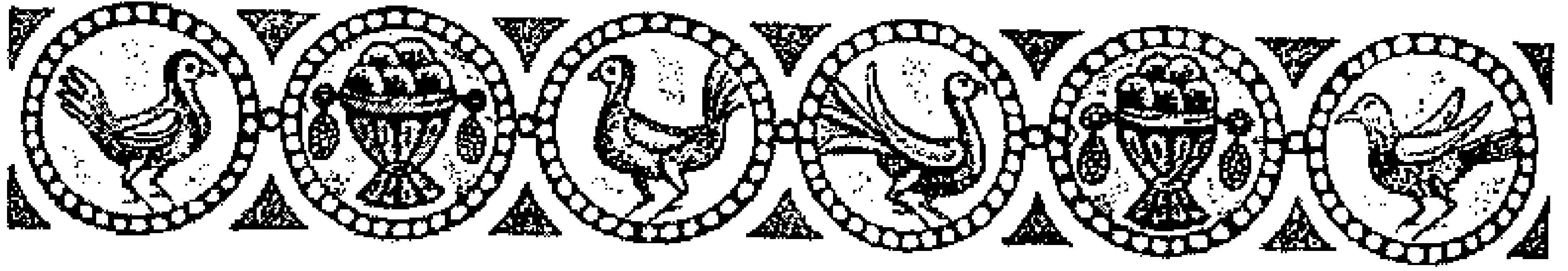
مملكة الشايقية: قامت على أطلال مملكة نبته القديمة وامتدت من الشلال الرابع إلى أبى دوم قشابى ومركزها مروى. وهى مملكة عربية محضة. وقامت فى شمالها مملكة الدفار ودنقلة والخندق وأرقو. وهى ممالك نوبية أو عربية منوبة.

قائمة باسماء ملوك النوبه الشمالية «مقرة»

سلكو		٥٣٦م
ايربانم (ارجمنيز)		٥٥٩ أو ٥٧٤م
قاليدور		٦٥١ - ٦٥٣م
زكريا بن باركى		٦٤٥ - ٦٥٥م
مرقوريوس		٦٩٧ - ٧١٠م
زكريا بن مرقوريوس		
سيمون		
ابرام	بين	٧٤٤ - ٨٦٨م
ماركو		
كيرياكوس		
ميكائيل		فى أواخر القرن الثامن
يوحنا		؟؟؟
زكريا اسرائيل الثانى بن يوحنا (يحنس)		٨٢٢م
جورج الأول بن زكريا		٨٧٣ - ٨٩٢م
زكريا الثالث بن جورج الأول		؟؟؟
كبرى بن سرور		٩٤٣م
جورج الثانى		٩٦٩ - ١٠٠٢م
رفائيل		١٠٠٢ - ١٠٠٦م
سالمون		١٠٨٠م
باسيل		١٠٨٩م
جورج الثالث		١١٣٠ - ١١٥٨م
داود الأول		١٢٧٣ - ١٢٧٣م
داود الثانى ابن داود الأول		١٢٧٤ - ١٢٧٧م
شكنده أبن أخت داود الأول		١٢٧٥ - ١٢٧٦م

قائمة: ملوك «مقره».

برك	١٢٧٩ - ١٢٩٠م
سمامون	١٢٧٦م
ابن احدى أخوات سمامون	١٢٨٨م
عودة سمامون للملك للمرة الثانية	؟؟؟
أحد أبناء أخت الملك داود الثانى	١٢٩٠م
عودة سمامون للملك للمرة الثالثة	١٢٩٠ - ١٢٩٣
آنى	؟؟؟
بدمة	؟؟؟
أماى	١٣٠٤ - ١٣٠٥م
كرنبس	١٣١٣م
عبد الله برشمبو النوبى	١٣١٦م
كنز الدولة	١٣١٧م
ابرام شقيق كرنيس	(حكم ثلاثة أيام)
كرنبس ثانيا	١٣٢٣م
كنز الدولة ثانيا، ونهاية المملكة المسيحية الشمالية	١٣٢٣م



مطالعات فى الفكر الإسلامى
من العصرين الأموى والعباسى
مؤلفات سياسية

يدخل علم السياسة حسب تصنيف العلوم عند المسلمين فى باب العلوم العملية التى تضم ثلاثة فروع موضوعها الأعمال الصادرة عن البشر. أولها علم الأخلاق وهو ما يختص الفرد، ثانيهما علم تدبير المنزل ويتعلق بنظام الأسرة. أما الأخير فموضوعه أحوال أهل البلد بجملتهم وهو علم السياسة. وقد عرف بأنه علم يتناول أنواع الرياسات والسياسات والاجتماعات المدنية وأحولها. ويطلب هذا العلم لمنفعته وليس لذاته، أما منفعته فهى معرفة الاجتماعات المدنية الفاضلة ـ أى أنظمة الحكم العادلة ـ والتوصل به إلى الوسائل المؤدية لاستبقائها ومكافحة أسباب زوالها. والمحتاج إلى هذا العلم هم أهل السلطة أولا ثم سائر الناس لأن الإنسان مدنى بالطبع ويجب عليه اختيار المدينة الفاضلة مسكنا والهجرة عن الفاسدة، كما يجب عليه أن يعلم كيف ينفع أهل مدينته وينتفع بهم. والطريق إلى ذلك هو علم السياسة، الذى يجب على الفرد العادى أن يلم به ليوصله إلى حياة مدنية فاضلة، ويأتى هذا التوجيه ضمن المجرى الذى اتخذه علم السياسة فى العصور الاسلامية متجاوزا حد الاختصاص إلى قدر معين من الشمول.

ينقسم علم السياسة إلى فروع أولها علم آداب الملوك وهو معرفة الاخلاق والملكات التى يجب أن يتحلى بها الملوك لتنظيم دولتهم. والثانى علم آداب الوزارة وموضوعه أوصاف الوزراء وقوانين الوزارة.. والثالث علم الاحتساب ويشمل النظر فى أموال أهل المدينة وتطبيق القوانين المقررة اصطلاحا أم شرعا، والقائم بهذا الأمر هو المحتسب. أما الفرع الأخير من علم السياسة فهو علم قيادة الجيوش.

ضمن هذا التصور لعلم السياسة وضعت مؤلفات حاولت أن ترسم الصورة المثلى للعمل السياسي بدراستها للقواعد التي يتعين الاهتداء بها في إدارة شؤون الدولة. وقد استند الكتاب السياسيون إلى معيار المنفعة وهو معيار عملي بحت قد يفسر بدوره خلو مؤسساتهم قبل مقدمة ابن خلدون من الشروح المختصة بفلسفة الدولة وعدم ظهور ميل قوى إلى تنظير السياسة.

اشتملت فهارس المؤلفات السياسة على صنفين عريضين: ما يختص بعرض الوجه القانوني للدولة وقد عرف باسم الأحكام السلطانية. وما يختص بفن الحكم ـ الدهاء.

الأحكام السلطانية

يشير هذا الاصطلاح إلى المبادئ التي كرستها الشريعة لتنظيم السلطة. وهي فرع من الفقه عولجت أحكامه ضمن سائر المواد الفقهية ثم أفردت له بعض المؤلفات المستقلة. ويعد كتاب الخراج أول الكتب التي استقلت بعرض هذا الموضوع. وضعه أبو يوسف بعد تعينه قاضيا للقضاة من قبل هارون الرشيد. وذكر في مقدمته أن الخليفة سأله أن يضع له «كتابا جامعا يعمل به في جباية الخراج والعشور والصدقات والجوالي ـ أى الجزية ـ وغير ذلك مما يجب النظر فيه والعمل به..». وقد مر بنا أن السلطة الاسلامية بعد الرشيدين لم تعن بالبحث عن أساس دستورى لسياستها فمن المحتمل أن يكون الرشيد قد احتاج إلى الإلمام ببعض المبادئ العامة للسياسة المالية بوجه خاص دون أن نحمل طلبه على الرغبة في تقييد سياسته بأحكام الشريعة.

يشتمل كتاب الخراج على الفصول التالية:

الفئ والخراج. أحكام أرض السواد والشام والجزيرة. ذكر القطائع. أحكام الأراضي التي افتتحها النبي. موات الأرض.. أحكام متعلقة بأهل القرى والأمصار. ما يخرج من البحر. الضرائب والصدقات. إجارة الأرض، أحكام الجزر في الأنهار. الآبار والأنهار ومياه الشرب. المراعي. وسائل وأسس الجباية. أحكام حول أهل الذمة والمجوس والوثنيين والمرتدين. عشور التجار والعقوبات. رواتب القضاة والعمال. شؤون عسكرية.

يفهم من هذه العناوين أن كتاب الخراج مفرد في المقام الأول للشؤون المالية والاقتصادية لأن القسم الأكبر من فصوله منعقد على قضايا الزراعة والتجارة والضرائب. وإذ كان غرض المؤلف بيان أحكام الشريعة في هذه الأمور فقد عني باستقصاء الخطى التي اتبعها محمد

وخلفاؤه بخصوصها. واقتضاه ذلك سلوك طريق أهل الحديث رغم أنه من أتباع مدرسة الرأئ التي أسسها أبو حنيفة. ومن هذه الجهة يخدم كتاب الخراج تاريخ الحديث كأقدم مصدر من مصادره بعد مؤطأ مالك بن أنس. على أنه رجع في الأمور المختلف عليها، أو التي لم يرد فيها نص قاطع إلى رأيه الشخصي.

ويلاحظ أن انتماء أبو يوسف للسلطة لم يحل دون تضمين كتابه مقترحات جدية لإصلاح بعض الأوضاع القائمة، فعقد فصلا في تقبيل السواد، يعنى التزام جبايته لقاء مبلغ إجمالى يدفعه الملتزم إلى الخليفة، بين فيه ما ينجم عنه من الفساد والظلم. يقول أبو يوسف [(١)]:

«ورأيت أن لاتقبل شياء من السواد ولاغير السود من البلاد، فإن المتقبل إذا كان في قبالته فضل عن الخراج عسف أهل الخراج وحمل عليهم ما لايجب عليهم وظلمهم وأخذهم بما يجحف بهم ليسلم مما دخل فيه. وفي ذلك وأمثاله خراب البلاد وهلاك الرعية. والمتقبل لايبالى بهلاكهم بصلاح أمره في قبالته. ولعله يستفصل بعد ما يتقبل به فضلا كثيرا وليس يمكنه ذلك إلابشدة منه على الرعية وضرب لهم شديد وإقامة لهم في الشمس وتعليق الحجارة في الأعناق وعذاب عظيم ينال أهل الخراج مما ليس يجب عليهم من الفساد الذى نهى الله عنه. إنما أمر الله عز وجل أن يؤخذ منهم العفو ـ أى ما فضل عن حاجتهم وقدروا على دفعه ـ. وليس يحل أن يكلفوا فوق طاقتهم . وإنما أكره القبالة لأني لاآمن أن يحمل هذا المتقبل على أهل الخراج ماليس يجب عليهم فيعاملهم بما وصفت لك فيضر ذلك بهم فيخربوا ما عمروا ويدعوه فينكسر الخراج. وليس يبقى على الفساد شئ ولن يقل مع الصلاح شئ..». ولكنه استثنى من كراهة التقبيل ما وافق عليه أهل الأرض واعتبروه أخف عليهم. واشترط في هذه الحالة أن يعين موظف من قبل الخليفة مباشرة يكون رقيبا يمنعه عن التعدى والظلم.

أما عن موظفي الخراج فذكر أبو يوسف ما يجب أن يتوفر فيهم من الخصال المناسبة لوظيفتهم. وقد أوصى بالاحتياط في توليتهم بالبحث عن أحولهم كما يجب فيمن يعين للقضاء. وأوجب أن يزود موظف الخراج بتعليمات مشددة تمنعه من عسف أهل الأرض أو احتقارهم أو الاستخفاف بهم. واستطرد من هنا فوصف أنماطا من الإساءات التي تصدر عن موظفي الخراج وهي بجملتها لاتخرج عن التصرفات المعتادة لرجال السلطة كالجلوزة

---

(١) ص١٠٥، ط. القاهرة ١٣٥٢هـ.

والتحاليل والتعذيب وابتزاز حقوق الآخرين، وشدد أبو يوسف على ضرورة حسم هذه الإساءات.

ثم أوصاه بعمارة الأرض فاقترح عليه في حالة استخباره بوجود أنهار قديمة وأرضين متروكة أن يرسل خبيرا يثق به لدراسة أوضاعها والتأكد من إمكان استصلاحها وأن يأمر في ضوء تقرير الخبير بحفر تلك الأنهار أو استصلاح الأرضين، على أن تكون نفقات العمل من بيت المال لما في ذلك من المصلحة في زيادة المعمورة من الأرض.

وتعرض بعد ذلك للإصلاحات التي يتطلبها انتظام الزراعة، فجعل نفقات كرى الأنهار العظام التي تأخذ من دجلة والفرات شركة بين بيت المال وأهل الخراج. أما الجداول الممتدة في أراضيهم فإصلاحها يجرى على نفقتهم.، ولكن ما يجرى من أشغال وإصلاحات على الأنهار العظام كالمسنيات ومفاتح المياه وسد البثوق فنفقاتها على بيت المال وحده.

ولضبط موظفي الخراج دعا إلى التفتيش عليهم سرا باستخدام عيون يرصدون تصرفاتهم لمحاسبتهم على ما يظهر منهم من خيانة لبيت المال أوظلم لأهل الخراج. ولكن هذا الإجراء ليس ناجحا وحده إذ يتعين على الخليفة أن ينظر بنفسه في مشكلات أهل الخراج وذلك بأن يعقد لهم مجلسا كل شهر أو شهرين. وعدد أبو يوسف فوائد هذا الإجراء على الوجه التالي[1]:

«ولعلك لاتجلس إلا مجلسا أو مجلسين حتى يسير ذلك في الأمصار والمدن فيخاف الظالم وقوفك على ظلمه فلا يجترئ على الظلم ويأمل الضعيف المقهور جلوسك ونظرك في أمره فيقوى قلبه ويكثر دعاؤه».

وفي فصل العقوبات تناول أبو يوسف أحكامها في الشريعة ودعا إلى الوقوف في تطبيقها عند هذه الأحكام. وثبت في غضون ذلك توصياته بشأن معاملة السجناء وإصلاح السجون. ويستفاد من ملاحظاته أن حالة السجون كانت في غاية التردى إذ كانت الدولة لاتتولى إعالة السجناء وتترك ذلك لأهاليهم ومن كان فقيراً سمحت له بالخروج مقيداً بالأغلال بحراسة السجانين للاستجداء. وإذا مات السجين لم تدفنه إدارة السجن فيدفنه رفاقه الذين معه في

(١) الخراج، ص١١٢.

السجن. ويدفن السجين بغير المراسم الدينيه كالغسل والتكفين والصلاة. وقد أدان أبو يوسف هذه الأوضاع وقال للرشيد.. «وإن ابن آدم لايعرى من الذنوب» وإن ارتكاب الجرم ليس طبعا فيه بل هو راجع إلى أحد أمرين: الجهل أوالقضاء، مما يوجب عدم المبالغة في العقوبة بحيث تصبح انتقاماً.

وقدم خطة لإصلاح السجون تتكون من البنود التالية:

١ـ تعيين موظف نزيه يتولى تسجيل أسماء السجناء من الذين لايملكون مصدرا للعيش.

٢ـ تخصيص مبالغ شهرية تدفع إلى كل واحد من السجناء المسجلين. وحدد مبلغ ما يدفع للواحد بعشرة دراهم في الشهر.

٣ـ تأمين كسوتهم. وهي في الشتاء قميص وكساء وفي الصيف قميص وإزار، هذا للرجال. أما للنساء فقميص ومقنعة وكساء شتاء، وقميص ومقنعة وإزار صيفا.

٤ـ أما السجين الذى يملك ما لا فالإنفاق عليه يكون من ماله الخاص.

٥ـ النظر في قضايا المحبوسين، فمن استحق منهم عقوبة تأديبية أدب وأطلق، ومن لم يكن عليه شئ خلى عنه.

٦ـ منع ضرب السجناء.

٧ـ استخدام الوسائل الاعتيادية في التحقيق وعدم تعذيب المتهم لحمله على الإقرار. فمن أقر على نفسه بالتعذيب فأقراره لايؤخذ به.

وفي عرضه لأصول التحقيق قال أبو يوسف بعدم جواز الإدانة استناد، إلى المعرفة الشخصية للقاضي. فإذا رأى القاضي إنسانا قد سرق فلايقيم عليه الحد حتى تقوم عنده بينة. وذكر أن هذا المبدأ مستند عنده إلى الاستحسان، وهو من أصول الاستنباط في مدرسة أهل الرأى. والقضاء الحديث يأخذ بهذا المبدأ.

إن كتاب الخراج لم يستوعب، كما بينت، كل قوانين الدولة لتركيزه على الأحكام ذات الصلة بالمشكلات المالية كما يدل عليه عنوانه. إن الاستيعاب التام لهذه القوانين جاء في مدة متأخرة عن كتاب الخراج وذلك بظهور كتابين في عصر واحد يحملان اسما واحدا هو الأحكام السلطانية. مؤلفا الكتابين هما أبو الحسن الماوردى ٤٥٠ هـ وأبو يعلى الحنبلى

٤٥٨هـ. وقد عاش المؤلفان فى بغداد أكثر حياتهما وكان الأول فقيها وقاضيا ورجل دولة. أما الثانى فهو فقيه ومتكلم حنبلى شغل منصب القضاء فى دار الخلافة.، إلا أنه لم يشغل بالسياسة، كالماوردى، وكان قد اشترط لقبول القضاء أن لايحضر المواكب الرسمية ولايخرج فى الاستقبالات ولايدخل مجلس الخليفة، فعين على هذه الشروط.

هناك تقارب شديد بين أسلوب هذين الكاتبين يرجح اعتماد أحدهما على الآخر دون أن نملك من الأدلة ما يوصل إلى معرفة السابق منهما. وقد طبع كتاب أبو يعلى فى القاهرة عام ١٩٣٨، أما كتاب الماوردى فقد حظى بعدة طبعات تبدأ بطبعة المستشرق ر. انكر فى بون ١٨٥٣ وتنتهى بطبعة مصطفى البابى فى القاهرة ١٩٦٠. وترجم إلى الفرنسية عام ١٨٩٥. كما ترجم فصولا منه المستشرق انكر ونشرها فى كتابه (أبحاث حول الملكية الريفية فى البلاد الاسلامية) المطبوع فى باريس ١٨٤٦. ثم اختيرت فصول منه ترجمت إلى الهولندية ذكر أنها أجريت لأغراض إدارية. وترجمه إلى الفرنسية مرة أخرى. أ. فاكنان ونشر فى الجزائر عام ١٩١٥ثم ظهرت له ترجمة انجليزيةفى ١٩٤٧. تعبر هذه العناية التى حظى بها كتاب الماوردى عن الأهمية التى يتمتع بها فى مجاله، دون أن نغض الغايات التى يتوخاها الغربيون من الاهتمام بكتاب يتحدث بالتفصيل عن النظم القانونية والإدارية لبلدان تقع تحت سيطرتهم.

محتوى الأحكام السلطانية

يضم كتاب الماوردى عشرين بابا وزعت على الموضوعات التالية:

ـ عقد الإمامة ويشتمل على فصول تعالج أحكام الخلافة.

ـ تقليد الوزارة ـ حول أحكام وزارتى التفويض والتنفيذ والشروط الواجب توافرها فى الوزير

ـ تقليد الإمارة على البلاد، يعنى تعيين الولاة على الأقاليم

ـ تقليد الإمارة على الجهاد، ويختص بقضايا الحرب.

ـ فى الولاية على حروب المصالح، وهى الحروب التى تخوضها الدولة ضد ثلاثة أطراف: أهل الردة وهم المسلمون إذا ارتدوا عن دينهم، وأهل البغى وهم الثائرون ضد الدولة من المسلمين. أما الطرف الثالث فهم المحاربون ويقصد بهم العابثون بالأمن كقطاع الطرق.

يلى هذه الأبواب:أحكام ـ ولاية المظالم أى القضاء المختص بالنظر فى الخلافات بين الدول

ورعاياها ـ ولاية النقابة على ذوى الأنساب وهم العلويون العباسيون. ثم الإمامة على صلاة، فولاية الحج وولاية الصدقات (الزكاة) وباب فى قسمة الفئ والغنيمة وهى الأموال المأخوذة من غير المسلمين كالجزية وعشور التجارة والخراج. يلى ذلك أبواب فى أحكام االأراضى الزراعية وباب فى أحكام الأسواق والشوارع ومنازل الأسفار كالخانات والفنادق وما أشبة. ثم باب فى الديوان وآخر فى العقوبات. أما الباب الأخير فمكرس للحسبة.

يشتمل كتاب أبو يعلى على نفس الأبواب ولكن من غير تبويب. أما تفاصيل الموضوعات فمتقاربة إلا أن الأخير يعطى الصدارة لاجتهادات أحمد بن حنبل لكونه حنبليا. ولغة الكاتبين مركزة تتماشى مع الغرض الذى استهدفه المؤلفان وهو عرض الأحكام القانونية بطريقة أقرب إلى التقنين منها إلى البحث. ولكن كتاب الماوردى يعانى من العيب الذى يشيع فى مؤلفاتة الأخرى وهو الإسراف فى الاستشهاد بالشعر والأخبار مما يمكن أن يستغنى عنه كتاب يخدم غايات تشريعية بحتة. وقد تخلص أبو يعلى من هذه الاستطرادات.

جاءت أبواب الكتابين شاملة للوجوه المختلفة لنشاط الدولة من وجهة نظر الشريعة. ولكننا نعلم أن الدولة الاسلامية منذ الأوان الأموى لم تكن تدار على أسس دستورية فما الباعث إذن على وضع هذين الكتابين؟ يقول الماوردى فى مقدمة كتابة: «لما كانت الأحكام السلطانية بولاة الأمور أحق وكان امتزاجها بجميع الأحكام يقطعهم عن تصفحها مع تشاغلهم بالسياسة والتدبير، أفردت لها كتابا امتثلت فيه أمر من لزمت طاعتة ليعلم مذاهب الفقهاء فيما له فيستوفية وما علية منها فيوفية توخيا للعدل فى تنفيذه وقضائه وتحريا للنصفة فى أخذه وعطائه..» أى أن الكتاب ألف بناء على طلب من أحد المسؤولين. ولعلها أن تكون رغبة زينها له المؤلف، الذى عبر بنفسة عن ضرورة كتاب من هذا الطراز لكون الأحكام السلطانية مدرجة فى مصادر الفقه ضمن الأحكام الشرعية الأخرى بما يصعب معه على رجال الدولة مراجعتها واستخلاصها لانشاغلهم فى أمور السياسة والدولة. ولاسبيل للاعتقاد بان الطلب وقع من هذا المسؤول بناء على التفكير بضرورة الحكم وفق دستورية مستقاة من الشريعة أو غيرها، إذ لم نجد من بين الذين اشتغل الماوردى معهم من رجال الحكم من كان يصدر فى تصرفاته عن هذه النية. أما يعلى فيذكر فى شرح السبب الباعث على تأليف كتابه: «إنى كنت صنعت كتاب الإمامة وذكرته فى اثناء كتاب المعتمد وشرحت فيه مذاهب المتكلمين وحججاجهم وأدلتنا

والأجوبة عما ذكروه وقد رأيت أن أفراد كتابا في الإمامه أحذف فيه ما ذكرت هناك من الخلاف والدلائل وأزيد فيه فصولا أخر تتعلق بما يجوز للإمام فعله من الولايات وغيرها » يعنى أنه وضع الكتاب في سياق اختصاصه كفقيه للفقه. وفي ظل الإهمال الرسمي للشريعة فإننا ملزمون بالوقوف عند هذه الاعتبارات وقد مر أن الدراسات الفقهية ازدهرت في إطار نظرى وكانت تشبع حاجة علمية ودينية لدى المختصين فيها. وهو ما يفسر استمراها ليس فقط في كل عصور الدولة الاسلامية وانما بعد ذلك، أى في العصور التي شهدت زوال السلطان السياسى للاسلام. وبتأثير نفس العامل واصل الفقهاء تقنين الأحكام السلطانية ومن بينها أحكام الأراضي المفتوحة في وقت تحولت فيه الأراضي الإسلامية إلى مستعمرات للفاتحين الجدد القادمين من أوربا وأمريكا. مهما يكن، فإن كتابى الأحكام السلطانية يعكسان الوجه القانونى المتفرض للدولة الإسلامية كما يعطيان القارئ فكرة مباشرة عن الجانب السياسى من شريعة الإسلام وفق الصيغة التي أخذتها الشريعة على يد الفقهاء.

الدهائيات

بدأ التأليف السياسى عند المسلمين على شكل مترجمات قام بها الكتاب المنحدرون من أصل فارسي. وتناولت الترجمة أدبيات ساسانية تدور حول الدهاء. وقد ذكر ابن النديم أن ابن المقفع ترجم كتابين أحدهما خداينامة في السير والثاني كتاب التاج في سيرة أنوشروان. وابن المقفع معاصر للبداية الحاسمة للترجمة مما يحمل على القول بأن الترجمات السياسية سبقت ـ أو زامنت على الأقل ـ ترجمة العلوم الأخرى التي نشطت منذ زمن المنصور. تلا ابن المقفع أبان بن عبد الحميد اللاحقى (٢٢٠هـ) وقد نسب إليه ابن النديم ترجمة كتابين في سيرة أشير وسيرة أنوشروان. ثم ترجم البلاذرى(٢٧٩) عهد أردشير شعرا. ومن المحتمل أن لاتكون المترجمات المذكورة كتبا لأن المجتمع الساسانى لم يألف تصنيف الكتب فمن الأفضل أن ينظر إليها على أنها وصايا وعهود صدرت عن هؤلاء الملوك أو نسبت إليهم. والى جانب هذه المدونات، كانت هناك حكايات متداولة عن دهائيات ملوك الفرس الساسانين وقادتهم جاء بعضها عن طرق الرواية المرفوعة إلى العرب المعاصرين للحكم الساسانى، وبعضها عن طريق المثقفين الفرس الذين عاشوا مع العرب منذ الفتح الاسلامى للعراق وإيران، وتكاثروا بشكل خاص في العهد العباسي. وبصرف النظر عن صحة إسناد هذه المرويات فهى تؤلف مع

الترجمات المشار إليها تراث السياسة والأخلاق للفرس الساسانيين. وقد اعترف بالفرس فى الفترة الاسلامية أساتذه فى السياسة يضاهى مركزهم فيها مركز الإغريق فى الفلسفة. وانتشر بين المسلمين انطباع بأن السياسة الحكيمة والوعى العمرانى يكمنان فى الدولة الساسانية. ويدين هذا الانطباع لعدة عوامل:

١ـ النفوذ الفارسي الذى أمتد فى الدور العباسي الأول إلى السياسة والثقافية والإدارة مقترنا بإحياء التراث الساسانى.

٢ـ اتخاذ الامبراطورية الساسانية مركزها فى العراق بما أدى إلى وضع العرب فى نقاط إجراءاتها وجعلهم على تماس مباشر بأعمال ملوكها وأخبارهم.

٣ـ الآثار العمرانية التى أحدثها الساسنيون فى المطارح شملها حكمهم خاصة فى العراق وايران.

٤ـ اقتباس العرب نظم الساسانيين فى الادارة والضرائب والزراعة والكثير من قواعدالعمران. ويكفى هذا بحد ذاته فى وضع السياسة الساسانية موضع القدرة بالنسبة للتفكير السياسى اللاحق.

إلى جانب التراث الساسانى، اعتمد الكتاب السياسيون على مصدر قريب هو تجارب صدر الإسلام والدولة الأموية. وقد وفرت لهم معرفتهم الجيدة بتاريخ تلك الحقبة مادة سياسية ثمينة تألفت من سيرة محمد وخلفائة وفى مقدمتهم عمر وعلى، اللذين تشغل لافكار المنسوبة إليهما حيزا ملحوظا فى المؤلفات. ثم من سيرة الخلفاء الأمويين البارزين كعبد الملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز. وفى زمن متأخر دخلت سياسات العباسيين فى عداد العبر المستوحاه من تاريخ الاسلام.

العنصر الأخير فى الفكر الدهائى يتمثل فى الممارسات الشخصية للكتاب، وهم فى الغالب من المشتغلين بالسياسة كرجال دولة أو أعضاء فى الحاشية. وليس من شك فى أن معاناتهم للأحداث قد عززت قدرتهم على فهم أصول السياسة، خاصة عندما تكون هذه الأحداث على تلك الدرجة من التعقيد التى عاناها الكيان السياسى للإسلام فى أزمنته المختلفة. وقد وردت إلينا أكثر المؤلفات الدهائية من تلك الأحقاب التى شهدت التصدعات الحادة لهذا الكيان بسبب الصراع العاصف بين أطراف المجتمع الاسلامى، لتحمل من هنا بصمات الواقع

السياسى فى وعى الكتاب. ويمكن أن نضع على هذا الملاك ما سنقف عليه من إدراك عميق لأسرار السياسة يقترون بمخططات سديدة وضعها الكتاب بين أيدى سادتهم آملين أن تزودهم بالقوى العملية والفكرية التى تجعلهم قادة ناجحين.

وماذا عن التراث السياسى للإغريق؟ لقد اطلع المسلمون على بعض الآثار السياسة لهؤلاء الأساتذة الكبار ومنها بعض محورات أفلاطون كالجمهورية وتداولوا رسائل منسوبة إلى سقراط وأرسطو حيث يذكر ابن النديم مقالة فى السياسة لسقراط ومكتابات موجهه من أرسطو إلى تلميذه الإسكندر. ولم يصل إلينا شئ مما ذكره ابن النديم ولكن الفقرات المقتبسة من آثار سقراط وأرسطور فى الكتب الاسلامية تحمل طابعا إسلاميا طاغيا يحملنا على الإعتقاد بأنها نسبت إلى فلاسفة الإغريق من أجل أن تحظى بتثمين أكبر من القراء. أما سياسات أرسطو الحقيقة فلم تترجم. وربما كان إغفال هذه المتون المهمة لفيلسوف عنى به المسلمون أكثر من سواه راجعا إلى عدم توافقها مع مزاج العرب والشرقيين عموما بينما تركت محاورات أفلاطون بصماتها فى الفكر السياسى للفلاسفة، بفضل خلفياتها المشاعية المستمدة من تقاليد الشرق. وتحت تأثير أفلاطون كتب بن رشد مؤلفه الممتاز «جوامع سياسة أفلاطون». فإذا تركنا الفلاسفة جانبا، لم نجد لسياسيات الإغريق تأثير كبيرا فى المؤلفات الدهائية.

ترجع أقدم محاولات الكتابة فى أصول الدهاء إلى أوائل عهد الترجمة. وقد ترك ابن المقفع ثلاثة مؤلفات هى: الآيين والأدب الصغير والأدب الكبير. والأول مفقود أما الأخيران فقد وصلا إلينا وطبعا عدة طبعات وهما صغيرا الحجم كرسهما ابن المقفع للبحث فى الأخلاق الفاضلة وتطرق فى غضون ذلك إلى أخلاق الملوك وقواعد السلوك السياسى بما فيه تلك الأصول التى يتعين على الحاشية مراعتها مع الملوك والولاة للحصول رضاهم واتقاء غضبهم. وفى وصاياه للملك نصحه ابن المقفع بالحزم وتعاهد الأمور الجسيمة بنفسه دون أن يحظر عليه التنعم واللهو كما أوصاه بالانحياز إلى الخاصة وإيثارهم بالعطاء والتكريم. وشغلت وصاياه للحاشية جزءا كبيرا من الكتابين بما يتناسب مع نمو حجم هذه الفئة آنذاك وحاجتها إلى مرشد يعلمها كيفية التعامل مع أوليائها. ولم ينس أبن المقفع مع ذلك أن ينبه الحاشية إلى مخاطر صحبة الملوك وأن يدعو إلى تحاشيها ما أمكن. واقتضاه ذلك أن يقدم وصفا دقيقا لأخلاق الملوك استقصى فيه ما تختص به من الشذوذ عن أخلاق عامة الناس.

ظهرت بعد ابن المقفع مصنفات دهانية لم تصل إلينا. منها كتاب للمدائنى (٢١٥هـ) بعنوان «آداب السلطان» وآخر لسهل بن هارون رئيس بيت الحكمة فى زمن المأمون عنوانه «تدبير الملك والسياسة» وكتابان لأحمد بن أبى طاهر (طيفور) ـ ٢٨٠هـ ـ الأول فى تدبير المملكة والسياسة والثانى كتاب «الملك المصلح والوزير المعين» [١].

وورد فى فهرس أعده ميخائيل عواد فى مقدمة تحقيقه لكتاب رسوم دار الخلافة ثلاثة كتب للجاحظ وهى التاج وآداب صحبة الملوك وآداب الملوك. ولم يتسير لنا الإطلاع على الأخرين لأنهما مخطوطان، أما الأول فمطبوع. ونسبته إلى الجاحظ موضع خلاف وقد استند منكروها إلى عدم ذكر الكتاب ضمن مؤلفات الجاحظ التى عدها فى كتاب الحيوان. ولكن ذلك ليس كافيا للشك فى نسبته إليه، فقد ورد فى المقدمة أنه ألف الكتاب للفتح بن خاقان وزير المتوكل أى حين كان الجاحظ قد قارب السبعين من عمره، مما يرجع أن الكتاب من مؤلفاته الأخيرة التى تلت كتاب الحيوان. وكتاب التاج يضم تعليمات حول سلوك الحاشية فى حضرة الملك تتناول المطاعمة والمنادمة والحوار معه والسلام عليه وعيادته إذا مرض. وتعليمات حول سلوك الملك فى مجلسه مع ندمائه وخواصه من الوفود. وفيه أبواب مخصصة لوصف أخلاق الملوك التى يجب أن يتميزوا بها عن بقية الناس ولوصف أزيائهم، مع باب لأصول السفارات. فالكتاب بمجمله يدور حول «الأتيكيت» والشؤون الشخصية، أى أنه من نفس نمط كتابى ابن المقفع السالفى الذكر.

ليس فى وسعنا معرفة ما إذا كان هذا الأفق الضيق الذى انحصرت فيه اهتمامات الجاحظ وابن المقفع هو نفسه ما صدرت عنه كتابات معاصريهما التى مرت الإشارة إليها، بالنظر إلى أنها لم تصل إلينا. ومهما يكن الحال، فإن كتاب العهود التالية قد تجاوزا ذلك إلى معالجات

---

(١) ينسب إلى نفس الوقت كتاب سلوك المالك فى تدبير الممالك تأليف شهاب الدين أحمد بن أبى الربيع بالاستناد إلى وهم وقع فيه حاجى خليفة صاحب كشف الظنون الذى ذكر الكتاب وقال إنه ألف للمعتصم المتوفى عام ٢٢٧هـ. وسرى هذا الوهم إلى بروكلمان فاعتبره أول كتاب عربى فى علم السياسة. والوهم ناجم فى الأصل عن تصحيف وقعت فيه بعض نسخ الكتاب المخطوطة حيث ذكر المعتصم بدلا من المستعصم الذى أرجح أن الكتاب ألف له. وهو ما نصت عليه مخطوطة باريس على هامش معيد النعم للسبكى. ولايغرب عن البال أن الألقاب المنسوبة إلى الدين، كلقب المؤلف، لم تكن متداولة فى عهد المعتصم مما يقوى ترجيحنا بأن يكون من رجال المستعصم. ومن نتائج هذا الوهم أن صاحب الأعلام خير الدين الزركلى ذكر ولادة ابن أبى الربيع فى سنة ٢١٨هـ ووصفه بأنه من رجال المعتصم الذى استخلف سنة ٢١٨هـ أى فى السنة التى قال إن ابن أبى الربيع ولد فيها ؟.

أشمل تناولت الوجوه المختلفة لنشاط رجل السياسة. وأقدم ماوصل إلينا من هذا النمط، وربما أفضلها أيضا، هي كتب الماوردى الثلاثة:

تسهيل النظر وتعجيل الظفر.

نصيحة الملوك.

قوانين الوزارة.

ينقسم البحث في الكتاب الأول إلى بابين الأول في أخلاق الملك والثاني في سياسة الملك. **الباب الأول** يشتمل على دراسة للمبادئ الأخلاقية تعتمد على ثلاثة مصادر: أخلاقيات أرسطو، التقاليد الأخلاقية للعرب، والأخلاق الإسلامية. وقد استخدمت نظرية الأوساط الأرسطية في تعيين الحدود بين المبادئ الأخلاقية المختلفة حيث نظر الماوردى إلى الفضائل بوصفها توسطا محمودا بين رذيلتين مذمومتين. إلا أنه سعى في صياغة مصطلحاته إلى الربط بين مقتضيات البحث المنطقي والواقع العلمي. يتضح هذا الربط بشكل أفضل في الفصل الذى تضمن النصائح الموجهة للملك حيث نجد شرحا لما يجب على الملك اتباعه للوصول إلى أخلاقية منتجة في ضوء ما تم تنظيره في الفصول السابقة. وكان مهيأ للماوردى أن يبتعد بذلك عن التجريد الفلسفي والوعظي للأخلاق، لولا الإسراف في تطبيق نظرية الأوساط، الذى أوقعه أحيانا في تكلف ممجوج.

في الباب الثاني من تسهيل النظر بحث الماوردى قواعد الملك فقسمها إلى قسمين عريضين: تأسيس وسياسة. يتناول القسم الأول أسباب نشوء الدول وعوامل بقائها ـ المقصود هنا انتقال السلطة من يد إلى يد ـ أى نشوء الدولة على انقاض دولة أخرى وليس نشوءها ابتداء. وقد حصر أسباب التأسيس والدوام في ثلاثة:

الدين. القوة. المال.

وعنده أن الدولة التي تقوم على الدين أقوى وأكثر دواما. وساق للبرهنة على ذلك فروضا متكلفة لايبدو أنه اضطر إليها إلابسبب العلاقة التي تجمعه بالدين بوصفه فقيها. أما القوة فتظهر بها الدولة الجديدة حين تتعرض الدولة القائمة للانحلال أو ينتشر فيها الظلم فيحدث فيها ثغرات ينفذ منها الطامعون. إن القوة الكافية لإقامة دولة تتطلب جيشا يجتمع فيه ثلاثة خصال: «كثرة العدد، شجاعة، قيادة مسموعة الكلمة». والاستيلاء على الملك بالقوة، يجعله

قائما على القهر ولكن إذا عدل أصحابه فى الرعية وأحسنوا السيرة فيهم صار ملكهم ملك تفويض وطاعة. يعنى ملكا يستند إلى رضا الناس كما لو أنهم اجتمعوا فقروا تفويض الملك للقيام بشؤونهم، نيابة عنهم. وبغير هذا الشرط يكون ملك القهر كالحكم الذى يقوم على البلطجة يصفه الماوردى بأنه «جولة توثب ودولة تغلب بيبدها الظلم ويترتب عليه هلاك الرعية وخراب البلاد» وهى نفس النتائج التى ترتبت على أى حكم تديره زمرة من الأشقياء. أما تأسيس الملك بالمال فيتم بأن يكون ذو المال مخالطا للسلطة فيستعمل أعوان الملك بالبذل لينحازوا إليه. ولايتم ذلك إلاعند ضعف الدولة وفساد الأعوان. والملك الذى ينتقل بالمال قصير المدة لعدم الثقة بأعوان يعتمد ولاؤهم على استمرار البذل لهم. ولكن هذا الملك يمكن أن يدوم إذا اقترن بسبب يقتضى ثبوته.

هذه الوجوه الثلاثة لانتقال الملك يقابلها عند أرسطو ثلاثة عوامل تقف وراء الانقلابات السياسية فى نظام الحكم الفردى، وهو نفس النظام الذى يستمد الماوردى ملاحظاته منه. والعوامل هى:

١. **فظاظة الحكام.**

٢. **تحقير المرؤوسين.**

٣. **طمع المرؤوسين فى الحكم والثورة.** أما فى الحكم الملكى المقيد بشريعة فالانقلاب يحدث على أحد وجهين: الأول خروج أعوان الملك على طاعته والثانى تحول الملك إلى طاغية بتعطيله للدستور. وبالمقارنة نرى الماوردى وأرسطو يعطيان للحاشية دورا اساسا فى الانقلابات ولكنهما يفسحان فى نفس الوقت مجالا لتأثير العامة يعبر عنه الماوردى بجعله ملك التفويض أكثر دواما بسبب استناده إلى رضا الناس، وعند أرسطو ما قرره بشأن السبب الأخير للانقلاب الذى يتعرض له الحكم الملكى حين يخرج الملك على الشريعة ويتحول إلى طاغية. ويعنى ذلك ، إذا استخدامنا تعبير الماوردى، تحول ملك التفويض إلى ملك قهر. أى إلى طغيان.

سياسة الملك تتألف من أربع قواعد:

عمارة البلدان: التنمية والإعمار.

حراسة الرعية: رعاية شؤونها.

تدبير الجند: الدفاع

تقدير الأموال: السياسة المالية.

في شرحه للأولى قسم البلاد إلى نوعين: مزارع أى أرياف، وأمصار أى مدن. والمزارع هى الأصل الذى تقوم عليه حياة الدولة. وهى عنده مقياس الرخاء، فأى بلد انتعشت زراعته اكتفى بنفسه فلم يحتج إلى أحد وانما يحتاج إليه الآخرون فيكون فى وسعه اجتلاب المزيد من الاموال لقاء ما يصدره من المنتاجات الزراعية. وللريف على الملك ثلاث حقوق:

١ـ توفير وتنظيم المياه. ويلحق بهما توزيع المياه بالعدل ومنع التحكم فيها من ذوى السطوة.

٢ـ حماية المزاعين من العدوان والعسف لكونهم مطمع أنظار المتسلطين، حتى ينصرفوا إلى أعمالهم آمنين ولايتشاغلوا بالدفاع عن أنفسهم فيهملوا زراعة الأرض وعمارتها.

٣ـ تقدير الضرائب عليهم وفق الشرع والعدل مع التخفيف عنهم قدر الإمكان. ويعنى هذا من جهة تجنب فرض الضرائب الاعتباطية، ومن جهة اتباع الرفق فى الجباية. والسلطة التى لاتلتزم هذه القواعد هى ولاية قهر خارجة عن سيرة الإنصاف.

أما الأمصار فتحتاج إلى ستة شروط:

توفر المياه العذبة. توفر مصادر الميرة. صلاح البيئة. القرب من المراعى وغابات الاحتطاب. الموقع الحصين. وجود أرياف محيطة بالمدينة لتموينها بالغذاء. وهذه الشروط تختص بموقع المدينة. أما تأسيسها فيراعى فيه:

- توزيع المياه بطريقة يتسير الحصول عليها دون عناء.
- تقدير الطرق والشوارع بمقاييس تجعلها من السعة بحيث لاتثير مشكلة مرور لأهلها.
- بناء المساجد الكافية للصلاة.
- بناء الأسواق
- أن يراعى فى إسكان أهل المدينة توزيعهم على مجموعات متجانسة.
- تسوير المدينة وتخصيص باب لضبط الداخلين والخارجين منها لأغراض الأمن.

ـ أن ينقل إليها من أعمال أهل الصناعات والعلوم ما يسد حاجة أهلها إلى هذه الأشياء.

وإذا أراد الملك أن يتخذ المدينة مقرا له فعليه أن يسكن فى طرف فسيح منها ويجعل حوله حاشيته وأمراء الجيش ويفرق الحراس فى بقية الأطراف لحمايته من كل الجهات. وعليه بعد ذلك أن يسكن عامة أهل المدينة فى وسطها لتوفير الحماية لهم. وقد نصحه أن لايظهر للعامة كثيرا حتى لايلين فى أعينهم.

لاحظ الماوردى أن المدن على نوعين: زراعية، وتجارية. والأولى أفضل لأن مواردها موجودة فيها. واشترط أن تبنى المدينة الزراعية وسط المنطقة المزروعة حتى تتساوى الطرق الموصلة إليها من جميع الأطراف. ومن مزايا هذه المدينة أن أهلها إذا نالهم حيف من داخلها تفرقوا فى ريفها فعاشوا فيه وإذا نال أهل الريف حيف لجأوا إلى المدينة فأمنوا فيها. وهكذا يكون كل واحد منهما ملاذا للآخر. أما المدينة التجارية فتلائم مطالب الملوك أى أنها للترف والزينة وليس لإنتاج المواد ـ يلمح الماوردى بهذا إلى أن التجارة من الأعمال غير المنتجة ـ وأسلوب بناء هذا الطراز من المدن يجب أن يتماشى مع طبيعة النشاط الاقتصادى فيها.

إن الكلام على هذه القاعدة ـ عمارة البلدان ـ يشغل الجزء الأكبر من هذا الفصل، فهى الغرض المقصود من تأسيس الملك. أما القواعد الثلاث الأخرى فهى لواحق يقتضيها التطبيق الأمثل للقاعدة الأولى. ولكن القاعدة الثانية وهى حراسة الرعية تستمد أهميتها من الوجوب العقلى للعدالة فضلا عن ضرورتها لاستقامة الدولة. وقرر الماوردى للرعية حقوقا على الملك لاتتجاوز فى مجملها المقدار الذى حدده المنصور فيما سبق، وما وصل إليه التطور السياسى لمفكرى البورجوازية فى العصر الحديث. أما القاعدة الثالثة فهى تدبير الجند، والمطلوب فيها أن يتفرغ الجند للجندية مع تعليمهم فنون الحرب التى هى صناعة تجمع بين العلم والعمل. وأوجب الإنفاق على الجند بما يكفيهم واشترط لهم حدا وسطا فلا يزيدهم لئلا يصرفوها فى وجوه الفساد ويستغنوا بها فيتقاعسوا عن واجباتهم ولاتنزل عن قدر الحاجة فتشره نفوسهم إلى أموال الرعية أو تدفعهم إلى الخيانة. ودعا الملك إلى العناية باستخبارات الجيش لئلا يغيب عليه شئ من شؤون وتصرفات أفراده. ثم لفت النظر إلى أن سياسة الجند من أصعب ما يعانية المدبر للدولة لأنهم أداة البطش والقهر لديه مما يستدعيه أن يسوسهم بالحزم حتى ينقادوا له وإلاصار مقهورا لهم. وتشير هذه الالتفاته إلى واقع التغلب العسكرى على الخلفاء منذ مقتل المتوكل.

القاعدة الرابعة تخص السياسة المالية. وينص الماوردى على تقدير الاموال كمهمة أساسية للسلطة ولكنه يعترف بصعوبتها لأن الملك يرى بسبب قدرته إمكان بلوغ كل غرض بأية وسيلة يختارها مما يبعث على الاختلال. إن السياسة المالية الحكيمة تقتضى مبدأين:

الأول تقدير الدخل أى الإيردات. ويشترط لاستقامته أن يكون مقيدا بما نصت عليه الشريعة بلا زيادة أو نقصان.

الثانى تقدير الخرج، أى المصروفات، ويخضع هذا لاعتبارين هما المطلوب والممكن، حتى لايقع تعسف فى الإنفاق يعجز عنه الدخل. وقاس حال الدولة على ذلك فأوضح أن الملك الذى يزيد فيه الدخل على الخرج هو الملك السليم لوجود احتياطى للنوائب تأمن الرعية به من التعدى إلى أموالها. أما الملك الذى يقصر فيه الدخل عن الخرج فهو الملك المعتل. وصاحب السلطة يضطر فى هذه الحالة إلى مخالفة لوازم الشرع وقوانين السياسة فى جباية الأموال فيهلك الرعية، وقد يقتدى به العسكريون فلايقوى على منعهم.. هناك حالة ثالثة يتكافأ فيها الدخل والخرج وفيها تكون الدولة سليمة الأوضاع فى زمان السلم ولكنها تختل إذا دهمتها الحوادث من حروب وغيرها. وعلاج هذا الوضع يكون بإحسان الملك إلى رعيته وعدله فيهم فى الظروف الاعتيادية حتى يكونوا له عونا إذا اختلت أموره. لأن استعداد الناس للتضحية من أجل السلطة يكون رهنا بالمكاسب التى وفرتها لهم.

يواصل الماوردى سرد قواعد السياسة الناجحة فيتحدث عن أعوان الملك مبينا أنهم كأعضائه التى لايتحرك إلابها. فعليه أن يحسن اختيارهم من الكفأة المخلصين وأن يعمل على تهذيبهم ومراقبتهم. ولما كان الكفاة أقلة فعلى الملك أن لايضيعهم وأن يختارهم دون النظر إلى أنسابهم أو ما ضيهم فى السيادة والجاه فإذا نفرت النفوس من صعودهم المسرع فعلى الملك أن يدرجهم فى الرتب حتى يتعود الناس عليهم. ثم بين مراتب الكفاة فحصرها فى أربعة: الوزراء القضاة، قادة الجيوش، موظفى الخراج. واستطرد فى وصف ما يجب أن يتوافر فى أصحاب هذه المراتب من المواصفات. ثم ذكر مراتب أخرى أوصى الملك بالتعامل معهم بحسب منزلتهم منه فى الخدمة وحثه على مراعاة الحدود الطبقية فى ذلك، والماوردى كما نعلم رجل دولة وعضو فى الأرستقراطية الحاكمة.. ثم اقترح على الملك أن يكتفى بعدد مناسب من الأعوان فلا يستكثر منهم لأن الاستكثار بعد الإكتفاء تضييع للمال. إلاأنه استدرك

فنصحه بعدم تضييع ذوى الكفاءة فإذا وجدهم ولم يجد لهم عملا فعليه أن يدخرهم لوقت الحاجة. ولم يضع خطة للطريقة التى يدخر فيها الأعوان. هل يحفظون كما تحفظ الأموال إلى أن تحين الحاجة إليهم ؟وكيف يتعامل معهم أثناء عطالتهم؟

يعقد الماوردى بعد ذلك فصلا للنوائب التى تصيب الملك فصنفها إلى صنفين: فساد الزمن وتغير الأعوان. والأول على نوعين: ما يحدث عن أسباب إلهية وما يحدث عن عوارض بشرية. الأولى هى الأقدار. والماوردى كرجل دين يؤمن بالإرادة الحرة للخالق أو مايسمية صدر الدين الشيرازى الإدار ة الجزافية. وهو يعتقد، كما يفهم من تسلسل آرائه فى هذه المسألة، أن الله يتدخل فى أمور الملك مباشرة فيمتحنه ببعض النوائب. ولمواجهتها يوصيه بأمرين: أن يصلح سريرته وسرائر رعاياه، يعنى أن يتدارك أخطاءه ويصفى نيته. وفى هذا الصدد يدلى بحديث نبوى يقول:« إذا جارت الولاة، قحطت السماء» . فما يصيب الملك من البلاء قد يكون نتيجة لجوره فى الحكم مما يستجلب معه غضب الخالق.. نود أن ننبه القارئ إلى أن الماوردى تفصيلا يستشهد فى مؤلفاته الدهائية والاجتماعية بأحاديث مرفوعة إلى النبى لاتوجد فى مصادر الحديث المعتمدة ودون أن يعنى بالتأكد من صحة الحديث لأنة لايتوخى فى هذه المؤلفات غرضا تشريعا.. الأمر الثانى أن يواجه القدر برباطة جأش لأن القدر كالعاصفة إذا هبت وجب عدم معاكستها حتى تمر. ولا يعطى الماوردى تفصيلا للنوائب التى تنزلها السماء بالملك.

أما العوارض البشرية فتحسم بحسم أسبابها ولكن بعد الوقوف على السبب الحقيقى. وهو أصعب ما فى هذه السياسة. ويتعين على الملك أن يعيد النظر فى سياسته إذا تبين له أن العوارض حدثت بسببها، فإذا كان ذلك قد حدث عن شدة وعسف منه تراجع اللين والعطف، وإذا كان قد حدث عن تهاون عالجه بالشدة. والأسباب تحسم بأضدادها كما تعالج الأمراض بمضاداتها من الأدوية.

هذا عن فساد الزمن، ونأتى إلى تغير الأعوان فنراه مردودا إلى أحد أمرين: أن يكون تعدى إليهم من الخارج إما لتقصير من الملك بحقهم وعدوان منه عليهم وإما لإغراء وقعوا فى شباكه. ويجب صد الأخير بالحزم والحذر وبسياسة يمتزج فيها الإغراء والإرهاب. أما التقصير والعدوان فالملك مسؤول شخصيا عن إزالتهما.. الحالة الأخرى من تغير الأعوان هو ما يحدث

لفساد في ذواتهم أى لتغير في ولائهم بسبب من الأسباب غير ماذكر آنفا، وهو أخطر من الأول، وإصلاحه وحسم دواعيه يتقرر بموجب قواعد السياسه في تدبير الدولة. والدولة تساس بثلاثة أمور، القوة والرأى والمكيدة. ولكل من هذه أحوال تستخدم فيها، ففي بداية الدولة حيث لم تتوطد أركانها بعد يمكن الجمع بين هذه الأمور الثلاثة بينما يمكن الاستغناء عن المكيدة عند استقرار الدولة ويكتفى بالقوة لحفظ قواعدها المستقرة، وبالرأى الجامع للسياسة العادلة.. والأخير يجب اتباعه في تدبير الرعية في الأحوال الاعتيادية، فإذا اضطربت الأمور وفسدوا فتستعمل القوة لردع المفسدين ،إلى جانب الرأى. ولايجوز استعمال المكيدة مع الرعية في أى حال. ولكن يجوز استعمالها مع الحاشية وأعوان الملك. ويعطى الماوردى تفصيلات دقيقة عن الأساليب التى يلزم اتباعها مع هؤلاء وفق الحالات التى يكونون عليها. ويرجع اهتمامه بهذه المسألة إلى تفاقم دور الحاشية في المرحلة التى عاصرها من الحكم العباسى، ومن المؤكد أنه كان يتوخى أن يضع بين يدى الخليفة، الذى كان الماوردى من رجاله الخلص، أسسا صالحة لاستخدام الأعوان والسيطرة على نشاطاتهم.

ويكتب عن الولاة فيوصى باختيارهم من أهل البيوتات وأن يمتنع عن استخدام العوام في أعمال الحكومة. وهو بذلك يناقض نفسه فقد مر بنا قبل قليل وصيته في استخدام الكفاة دون النظر إلى مكانتهم. ثم أوصى بعدم تنقيل الولاة. فما دام الوالى مرضى السيرة وجب إقراره في عمله، لأنه إذا علم أن مكثه في عمله قليل عمل لسوق يومه واحتجن[1] الأموال تأهبا لليوم الذى يخرج فيه من عمله. فإذا كان مطمئنا إلى بقائه في منصبه نظر المزارعين في زرعهم يفكر في إصلاحه ولايعالجه قبل أن ينضج! وحث الملك على عدم محاسبة موظفيه على مااكتسبوه في وظائفهم لأنهم قد يكتسبون بحكم المنصب من مباحات الوجوه مالاتبعة فيها عليهم[2].

تحدث الماوردى بعد ذلك عن الاستخبارات فأوجب أن يضع تحت طائلتها الرعية والحاشية

---

(١) احتجن: تؤدى هنا معنيين في وقت واحد هما الابتزاز والاكتناز.

(٢)حرم مسلمو صدر الاسلام كسب المسؤولين حتى من الوجوه المباحة كالهدايا. واعتبر السبب الذى جعله الماوردى وجها للكسب المباح مناطا للتحريم لأن مايكسبه الموظف بفعل مركزه الرسمى داخل في باب الغلول. وقد أشار الطرطوشى في«سراج الملوك» إلى مشاطرة عمر بن الخطاب لعماله، أى مصادرة نصف أموالهم، وقال تعليلا لها: كأن عمر رأى ما أصاب العامل من غير رشوة وإن كان حلالا فلا يستحق ذلك لأن له بالأمرة بالقوة على أن ينال من الحلال مالايناله غيره..

والموظفين. ويبرر ذلك بأنه لايقدر على رعاية قوم تخفى عليه أخبارهم،فربما خفيت عليه أمور من الفساد والخيانة تفضى إلى انحلال الملكة. وربما شجعت غفلة الملك على حبك أسباب الكيد ضده فتقوى المؤامرات ويشتد خطرها. وأفضل طريقة للاستخبار هى التى تعتمد على ضربين من المخبرين؛ مكشوف ومستتر أى علنى وسرى. وسيساعده ذلك على أن يكون معروفا باليقظة فتأمن الرعية إلى حسن حراسته لها كما يتهيب أعوانه فعل الشر خوفا من الافتضاح. وحث الماردى على متابعة تقارير المخبرين وقراءتها بإمعان لأنها تقدم؛ إلى جانب قيمتها الاستخبارية، فوائد وغرائب لاتخلو من متعة وموعظة.. والاستخبارات يجب أن تمد إلى سائر أنحاء المملكة وإن كانت عناية أكبر يجب أن تصرف إلى البعيد عن العاصمة لأن بعد الدار إذا رافقه قلة الاستخبار يبسط أيدى الظلمة فى الرعية والمملكة ويعرض كلتيهما لخطر التآمر والكيد، وربما أفضى ذلك إلى فسادهم فى الطاعة، وكثير من العصيان يبدأ بإهمال الملك واسترسال الأعوان فى مخالفتهم. ولايصح أن يقتصر الاستخبار على فئة دون أخرى من الأعوان فتهمل مراقبة الصالحين منهم تعويلا على حسن الظن بهم لأن الأمناء عرضة للتلقب.

ينبغى القول إن تشديد الاستخبارات إلى هذا القدر يتناسب مع حاجة الحكم الا ستبدادى والفردى. لأن المستبد يواجه باستمرار خطر التآمر، ربما بسبب انفراده بمزايا السلطة مما يثير عليه الطامعين، الذين يجدون عنده نفس المؤهلات ولايملكون فى مقابلها نفس المزايا، وربما أيضا بسبب الحاجز الذى يضعه الحكم المستبد بينه وبين الشعب بما يجعل من العسير معرفة ما يعتمل فى داخله من رغبات ونوايا بغير الاستخبارات. وقد علمتنا تجارب السياسة المعاصرة أن جهاز الاستخبارات يتسع فى الأنظمة المعزولة عن الشعب، لاسيما تللك الأنظمة ذات النهج القمعى الفاشى التى يدفعها الشعور بالعزلة والخوف الدائم من السقوط إلى توسيع الاعتماد على أجهزة القمع والتجسس. على أن الماردى وهو يدعو إلى تنشيط الاستخبارات لايظهر ميلا إلى تشديد القمع.، وقد بدا وهو يتحدث عن هذا الموضوع مهتماً بتيقظ الملك كشرط للمحافظة على حكمه من العبث. وطبيعى أن اليقظة فى حكم فردى تعتمد، حصرا، على جهاز الاستخبارات. وقد أخضع الماردى ضرورة هذا الجهاز لاعتبارين: الأول ما يسمية حقوق الاسترعاء أى مطالب الوضع الداخلى بما فى ذلك حماية الرعية. وهو المقصود بحقوق الاسترعاء. الثانى ما توجبه حقوق السياسة وهذا يشمل التجسس على ما تاخم المملكة من

دول، ليس فقط على سبيل التيقظ ضد النوايا السيئة للجيران وانما أيضا لأن صلاح هذه الممالك وفسادها يسريان فيما جاورها.

نقرأ بعد هذا فصلا للبحث في شئون العملة، يوجب فيه على الملك أن يحافظ على عيارات النقود من الدراهم والدنانير فلا يسمح بغشها. ونهاه عن إلزام الناس بقبول النقود المغشوشة لأنه يحملهم على ترك التعامل بها إلى الذهب والفضة الخالصين. ويعني ذلك استهلاك أصول الأموال مع ضعف القدرة الشرائية إلا لعدد محدود من الناس هم أرباب الأموال الجمة. وفساد النقد يفضي إلى فساد أمور المملكة. هذا مادل عليه العرف. ولايتم للدولة شئ من الازدهار والطمأنينة بغير استقرار قانون الأخذ والعطاء.

تكلم الماردى عن الضرائب وهو في صدد الحديث عن النقود فحذر من زيادتها عما أوجبه القانون الشرعي. أو من فرض ضرائب لم ينص عليها. وكانت السلطة الاسلامية

قد اتبعت هذا الخط منذ الأمويين فتصرفت في نسب الضرائب المقررة، كما فرضت ضرائب جديدة شملت المزارعين وأهل المدينة. وتعرف ضرائب المدن غير المنصوص عليها في الشريعة باسم المكوس. وقد جوبهت هذه السياسة باستنكار من قبل المعارضة السياسة كما أدانها الفقهاء. ويجد القارئ فيما يلي وصفا للأوضاع الناجمة عن التعسف في فرض الضرائب يبدو أنه مستمد من واقع الحال. وقد لفت الانتباه إلى أن زيادة الضرائب تستلزم العنف لتحصليها لأن الناس لايدفعونها عن طيب خاطر مما يترتب عليه نفور الرعية من الحكم، مع اشتطاط الموظفين الذين يجدون في مثل هذه الأحوال فرصا للكسب الحرام. وينتهي هذا كله إلى عكس المطلوب وهو نقص حصيلة المأخوذ من الضرائب، وذلك بسبب المماطلة في الدفع مع ما يلحق الزيادة في الضرائب من انفتاح أبواب جديدة للصرف يؤدي إلى زيادة النفقات في مقابل الزيادة الحاصلة في واردات الضريبة.

تشغل خصومات الملك حيزا مهما من تسهيل النظر. ومن رأى الماردى أن على الملك مداهنة الأعداء قبل مكاشفتهم بالخصومة. ودعاه إلى دفع الحرب بالمكيدة ما استطاع سبيلا إلى ذلك لأنه في المكايد لايخسر ألا الأموال وبالحروب يخسر من الأرواح. وقسم الأعداء إلى ثلاثة أصناف أعطى لكل منها نوعا من التعامل بسبب حظه من القوة، فأوصاه، بانتهازية مكشوفة، أن يلاطف ويلاين الأقوى وأن يتطاول على من هو أضعف منه وأن يقارب ويسالم

من يكافئه في القوة.. فإذا لم تنفع المداهنة نظر في أمر الحرب فدرس ما يتوقعة من نتائج الفوز والخسارة ليضع خطته في ضوئها. وهو يبني التوقع على ثلاثة احتمالات تتصل بسيرة الملكين المتخاصمين:

١ـ أن يكون الملك أعدل.

٢ـ أن يكون عدوه أعدل.

٣ـ أن يتكافآ في العدل.

والعدل هو العامل الحاسم في ترجيح كفة أحد الخصمين. ويؤخذ من تعليله لذلك أنه راجع أولا إلى القيمة الذاتية للعدل بوصفه من أركان القوة الروحية. ثم إلى موقف الرعية من الملك فإذا كان عادلا وقفت وراءه في حربه وإن كان جائرا خذلته وربما نصرت عليه خصمه. ولذلك يجب على الملك أن يخوض الحرب بلا تردد إن كان واثقا من عدله ومن حب رعاياه، وإلاوجب عليه التروى ودفع الحرب بالكيد والحذر. أما عند التكافؤ بين الملكين في العدل فقد أدلى بتحليل مبهم يقول فيه إن الزمان فاسدا مالت احتمالات الظفر يكون إلى جانب الملك الذى أعوانه أصلح وإذا كان الزمان فاسدا مالت احتمالات الظفر إلى من كان أعوانه فاسدين، بسبب المناسبة بين الزمن والأعوان في الصلاح والفساد. وفكرة صلاح الزمان وفسادها من الأفكار الغامضة التي ترددت في الفكر الاسلامي دون أن يكشف عن مقاصده. وقد استخدم تعبير الزمان في اصطلاحات فضفاضة تشمل المجتمع والسياسة وأخلاق الناس مقترنة في الغالب بتعلقات غيبية تضفي على الزمان معنى مقاربا للقدر أوأشد غموضا منه. ومن العسير أن نستخلص أى مغزى من الطريقة التي استعمل بها الماوردى هذا الاصطلاح، وإن كنا نلمح من بعيد فكرة قلقة عن التناسب بين الظروف وأسلوب العمل. ويبدوا أن ما يعنية القول بأن الملك في الزمان الفاسد يحتاج إلى أعوان فاسدين لكى يكسب النزال مع خصومه.

يختتم كتاب تسهيل النظر بفصل يحث فيه المؤلف على مراعاة المبادئ الدينية وتقريب علماء الدين. وتختلف هذه الدعوة في جوها عن الدعوة التي تكررت في الفصول السابقة من الكتاب إلى التقيد بأحكام الشريعة. فالأخيرة تهدف كما بينا مرارا إلى توفير قواعد دستورية تحكم الدولة بموجبها وتمنع الملك من إدارة ممتلكته وفقا لمزاجه الشخصي. أما مراعاة الدين فتهدف إلى تأكيد الصفة الدينية للدولة. وهى تتمثل، تطبيقا، في رعاية، رجال الدين والمؤسسات الدينية والسهر على شؤون العبادة.

نصيحة الملوك

هذا الكتاب لايزال مخطوطا كسابقه. وهي ضمن مجموع يحتوى على كتاب معيد النعم للسبكي وعلى هامشه سلوك المالك لابن أبي الربيع. وتقع مخطوطة نصيحة الملوك في ٩٨ ورقة مكتوبة بخط جيد يرجع تاريخ نسخه إلى عام ١٠٠٧ هجرية.

هذا الكتاب يشترك مع تسهيل النظر في الموضوع ويجرى الماوردى في ذلك على سنن المؤلفين القدماء في تخصيص أكثر من كتاب للموضوع الواحد. على أن الكتابين لا يتفقان في التفاصيل وإن اتفقا في الموضوع إذا يغلب على نصيحة الملوك روح وعظى استغرق حوالى أربعة من مجموعة أبوابة العشرة. وتأتي المواعظ هنا كما لو كانت استكمالا للقضايا الأخلاقية التى طرحت في الباب الأول من تسهيل النظر إلا أنها تميزت بنكهة دينية مفرطة. وقد استخدم الماوردى أسلوب الوعاظ واستعار الصور البلاغية المتداولة في أوساطهم فجاءت مواعظه مملة وقاتمة. على أننا لانلبث أن نعثر في أبواب الكتاب الأخرى على مادة سياسية لاتخلو من الجد. وقد كرس الباب الثالث لمحاولة جريئة في تفسير انحلال الدول أقامها على فرضية التماثل في أحوال الأمم والممالك وخضوعها لقانون واحد يحكم نشوئها وسقوطها. ولكي يثبت الماوردى فرضيته أسقط التجربة الإسلامية ـ في حدود فهمه لها ـ على سائر الحالات فقال إن جميع الدول تبدأ بدعوة دينية تدعو إلى عبادة الله وحده. ثم يقع الاختلاف بين أهل الملة بعد وفاة مؤسسها وتميل بعد ذلك إلى الدنيا وتنزع إلى الشهوات مما يفتح عليها أبواب الصراع والتنافس المؤديين في النهاية إلى اضمحلال الدولة. ويثير الماوردى الانتباه في هذا الصدد إلى عاملين في انحلال الدول يتمتعان بصفة أكثر شمولاً هما: ولايه العهد، التي تدفع إلى السلطة بملوك غير أكفاء لمجرد كونهم من أبناء الملك السابق. ويربط الماوردى بين ظهور ملوك من هذا النمط وبين الفساد والاختلال اللذين يعرضان للدول. أما العامل الثانى فهو خوف الملوك من النقد السياسى، الذى يدفعهم إلى تقريب المنافقين والمتزلفين وإبعاد الحكماء المناصحين لهم. وينجم عن ذلك وقوع الملك فريسة أهوائه وأخطائه التى تتفاقم فتضع الدولة على حافة الانهيار. ونستطيع أن نؤكد أن هذا المبدأ يحتفظ بقيمته إلى الآن بل هو أكثر معاصرة مما كان عليه في أى وقت مضى. وقد لاحظ هارولد لاسكى، المفكر السياسى الإنجليزى فى كتاب «أصول السياسة» أن الحكومة تستطيع أن تستفيد دائما من نقد

خصومها أكثر من مدح مؤيديها وتقريظهم، وهي إذ تخنق ذلك النقد تكون النتيجة النهائية على الأقل أنها تمهد السبيل لهدمها. والواقع أن هذا ما يحدث في جميع أنظمة الحكم الفردى، وما يماثلة، وهو ميزة ملازمة للاستبداد.

ويحتوى الباب المكرس لسياسة الخاصة على وصايا بشأن العناصر المختلفة من الحاشية. وفي فصل عن أولاد الملك أورد مبادئ تربوية قال إنها تلزم الملوك في شأن أولادهم. وقنن الأصول اللازمة للتصرف مع الحاشية والأعوان والموظفين ولكيفية اختيارهم للمهام التى تناسب مؤهلات كل منهم وبين للملك أنه لن يجد من الناس الكامل في كل الأمور فعلية أن يختار لكل عمل من هو أصلح له وأسد لمسده وإن كان فيه تقصير وتختلف من جهات أخرى، وأن لايمتنع عن استعمال ذوى المعايب إذا كانت لهم كفاءة فى موضوع ما. وأوصاه أن لايستكثر من الموظفين، وقد سبقت هذه النصيحة في تسهيل النظر وعللها هناك بالاقتصاد في النفقات أما هنا فلمحذورين: الأول أن الموظفين إذا كثروا زادت المشاكل المترتبة على أعمالهم من مكاتبات وكتب وتفتيش وشكايات منهم أو عليهم مما يشغل الملك عن أمور كثيرة أهم وأجدر بأن ينشغل بها. والماوردى يضع بذلك يده على إحدى الأزمات التي يثيرها تضخم الجهاز الإدارى في الدول المتخلفة حينما ينتقل من كونه وسيلة لتصريف شؤون الدولية إلى مشكلة معقدة تفرض تفرعاتها على أجهزة الدولة من أعلاها إلى أسفلها.. الثانى إلى أن كثرتهم مانعة من ظهور الصلاح في جهاز العمل لأن كثرة العاملين مع القلة فى عدد الأمناء والكفاة تعنى زيارة فى عناصر الفساد والخيانة.

فى الباب المكرسى لسياسة العامة رفع الماوردى شأن الرعية ودورها فى المملكة إلى مرتبة متميزة من بين سائرى القوى الفاعلة فيها. فالرعية مصدر قوة الملك. وهي لدى المقارنة بقوة جنوده وأعوانه أقوى. كما لوقورنت أيضا بقوة أعدائه. فالخطر الناجم عن معاداة الرعية أدهى من الخطر الخارجي. ثم إن الدولة تكتسب تقدمها وهيبتها من صلاح الرعية وانتظام أمورها. وبالعكس كلما كانت حالة الرعية خسيسة مترديه كانت المملكة أخس شأنا وأندر دخلا. ولكي يتم التنسيق بين مصالح التقدم فى المملكة وبين انتظام الرعية ثمة خطوط عريضة يتعين على الملك العمل بموجبها. وقد اشتملت جملة من هذه على التقيد بأحكام الشريعة، وعنى في أثناء النص على ذلك بتأكيد سلطة القضاء وتوسيعها لتشمل الملك نفسه إذ دعاه إلى قبول

التقاضي مع أي فرد من رعاياه، على أن يكون أمام القضاة في منزله واحدة مع من يقاضيه. وضرب له أمثلة من سيرة الخلفاء الراشدين. ولم ينس الماوردي مركزه كرجل دولة فدعا الملك إلى معامله الناس بحسب طبقاتهم، ورغم أنه قيدها باعتبارات عملية فدعا إلى مراعاة ذوي الكفاءة والنجدة فإن المنزلة الرفيعة تبدأ عنده بأولاد الملوك والأشراف وذوي الأنساب ورجال الدين، ثم الفصائل التي تليهم من الدهاقين والملاك والتجارة ومن دونهم. والتناسب مفقود بين التدرج بحسب هذه الطبقات والتدرج بحسب الكفاءة لإن الأخيرة لاتخضع للحدود الطبقة.

من قواعد انتظام أمور الرعية أن يتعرف الملك أحوالها. ويقتضي ذلك تقوية جهاز التجسس ـ الاستخبارات. ولكن من المعلوم أن هذا الإجراء يخدم الملك دون الرعية، التي تكون في العادة الضحية الأولى للجهاز المذكور. ومن دون أن يلتفت الماوردي إلى تناقضه أوضح في شرحه لكيفية الاستفاده من الاستخبارات أن في الرعية أنماطا من الناس لايحملون نوايا طيبه للملك وهؤلاء هم الأعداء الداخليون الذين يعرفون مواطن الضعف في المملكة. فإذا أحكم الملك فعالياته التجسسية أمكنه معرفة هذه العناصر ومعرفة الأسباب التي حملتهم على مناوأته. وانتقل من هنا إلى سرد الأسباب المحتملة في مثل هذه العله. ثم أعطى وصفا لعلاج كل حالة على حدة. والغالب على هذه الوصفات أنها مكايد لاترخص بالقمع إلافي أحوال معدودة. والماوردي بوجه عام ضد الميول الإرهابيه للسلطه.

يلي بعد هذا، باب تدبير الأموال، وتتكرر فيه مطالبة الملك بعدم تجاوز ما قرره الشرع في الجباية والإنفاق. وقال إن الملك الحازم في كل عصر ومن كل ملة هو من يمشي على قوانين شريعته في هذه السياسة. ثم تحدث عن أخلاقية التصرفات الماليه فذكر البخل والجود والتبذير. وقد استخدمت هذه التعابير في البحوث الدهائية وفي المواعظ وفلسلفات الأخلاق دون تفريق بين ما إذا كان موضوعها ملكا أم فردا عاديا. ويرجع ذلك إلى أن الكتابة تجري هنا ضمن أجواء الحكم الفردي حيث يتخذ الحاكم صفه الرجل الذي يملك بين يديه أموالا طائلة يتصرف بها تبعا لمزاجه الشخصي. ويشترك في هذا المنحى كل من الدهائيين المسلمين ومكيافللي، الذي كتب في الأمير عن البخل والجود بنفس الطريقة لأن أمير مكيافللي هو الآخر نموذج فردي. على أن الماوردي يفاجئنا بإعطائه معنى مغايرا لهذه المصطلحات آخذا بالاعتبار كون الملك رئيسا للدولة. إن هذا ما يستفاد من بعض عباراته التي تقول إن أدنى

منازل البخل أن يمنع المال سبيل الحق التي شرعها الدين، فالملك عنده يكون بخيلا إذا أخذ الأموال من غير حقها وأنفقها في غير وجهها. أما التبذير فهو أن ينفق أمواله في المحرمات من قبيل وسائل اللهو الشائعة في قصور الحكام أو أن يكثر من بناء القصور أو يتخذ من الأثاث مالا يحتاج إليه. وبوجه عام فإن كل ما أنفق في معصية الله مما يكسبه إثما أو ذما عند العقلاء فهو تبذير وإن قل، وكل ما أنفقه بخلاف ذلك فهو جود وإن كثر. ولاعلاقه لهذا التفسير بالغنى اللغوى أو الاصطلاحي لهذه المفردات.

يرد في الباب التاسع حديث عن العلاقات الخارجية أوجب فيه أن يحل الملك خلافاته مع الملوك الآخرين بالطرق الدبلوماسية ـ المفاوضة واستعمال المكيد. وفي حالة التهديد بالحرب حذره من أن تستغل المفا وضة لزيادة قوة العدو ودعاه إلى عدم إتاحة الفرصة لمثل ذلك وقال إن الحرب إذا وجبت، أى إذا لم يجد عنها محصيا، فعلية أن لايتردد في خوضها. واستطرد من هنا فاستقصى أصول الحرب التي إذا تقيد بها الملك ضمنت له الفوز.

في الباب الأخير من نصيحة الملوك عرض لتصرفات الملوك المسلمين المنافية للشرع الإسلامي ووجهات نظر الفقهاء بشأنها. يبدأ العرض بمقدمة طويلة حلل فيها الأشياء حسب استعمالاتها ودرجات الضرورة فيها مع تبيان ما هو حرام أو حلال أو مشتبه منها والجهات التي ينصرف إليها استعمالاتها الشيء الواحد. ثم سجل وجهة نظره في هذه المسألة فندد بإتيان الملوك للمحرمات المتفق عليها كشرب الخمر والزنا ولبس الحرير واستعمال أواني الذهب والفضة. وأجاز الغناء بشرط عدم تطرقه إلى أمور محر مة كالحث على الفجور وأن يقتصر على ما هو نافع ومقبول من الكلام . ولم يعترض على لبس الألبسة الناعمة عدا ما هو داخل في عددا الحرير كما تساهل في مظاهر الأبهة فلم ير فيها حرجا مادامت تؤدى إلى إعزاز مملكة الإسلام. وبإجمال: اعترض الماوردى على المحرمات القطعية وأجاز مادونها. ويدخل في قائمة التصرفات التي تسامح فيها مجمل ماكان شائعا في زمنه في أوساط ذوى السلطة. وبحكم مركزه في الدولة، كان عليه أن يعطى المبرر الشرعي لتصر فات أولياء نعمته وهو ما هدف إليه من تخصيص هذا الباب، وإن كان ذلك لم يحل دون تسجيل تحفظاته بوصفه فقيها.

قوانين الوزارة

الكتاب الثالث للماوردى في الدهاء هو قوانين الوزارة. وقد طبعته مكتبة الخانجى في القاهرة سنة ١٣٢٩ بعنوان أدب الوزير. والكتاب صغيرالحجم يقع في ٥٨ صفحة تناولت القواعد

والآداب المناسبة للوزير الناجح. والوزير عند الماوردى جامع لصفتى السائس والمسوس، فهو سائس للناس مسوس للملك مما يو جب عليه أن يعرف كيف يجمع بين الصفتين ويعطيهما حقها. وقد تحدث عن النوعين المعروفين للوزارة فى العصر العباسى وهما وزارة التفويض ووزارة التنفيذ، فاستقصى الحدود القانونية لكل منهما ثم ذكر ما يستدعيانه من أصول الدهاء؛ فوزارة التفويض تجمع السيف والقلم فهى تشترط وزيرا يتمتع بالسطوة والمعرفة أما وزارة التنفيذ فتحتاج إلى الرأى والحزم، لأن وزير التفويض يقوم مقام الملك والخليفة أما الأخير فيعمل بمقتضى أوامرهما. وتترتب بالسطوة والمعرفة. أما وزارة التنفيذ فتحتاج إلى الرأى والحزم، لأن لوزير التفويض مهام ثقيلة لأنه مسؤول عن زيادة عمران الدولة وتكثير ثرواتها، كما أن عليه المساهمة فى توسيع الدولة. وتدعو هذه الغاية إلى الحزم وربما اقتضت الحرب ولكن الأولى أن يلجأ الوزير إلى الكيد والاحتيال بدلا من المغامرة فى الحرب. ويعبر الماوردى بذلك عن النزعة التوسعية للدول الكبيرة.

يتولى وزير التفويض أيضا مهمة الدفاع عن أمن المملكة وحمايتها من كيد الأعداء المنافسين فى الداخل والخارج. والأعداء المنافسون ثلاثة أصناف: أكفاء عاقلون يجب مقاربتهم ومسالمتهم لكسب ودهم. وعظماء متقدمون يجب الحذر منهم مع ملاينتهم. وطامعون فى السلطة وهؤلاء يردعون بالقوة. ولم أفهم معيار التفريق بين هذه الأصناف كما لم يكشف الماوردى بالتفصيل عن هوية كل صنف لكى نعرف من هى الفئات المعنية بهذا التصنيف.

والوزير مهما تكن صفته يحتاج إلى موظفين يكلفون بواجبات الدولة الرسمية. ولاختيارهم يؤخذ بنظر الاعتبار أن هناك أربعة أصناف من الناس:

خيرّ عاقل. خير جاهل. شرير عاقل. شرير جاهل.

الأول يصلح لكل الأمور فيستعان به دون تحديد.. الثانى يصلح لأمور لاتتطلب علما. أما الثالث فيمكن الاستعانة به مع الحذر من مكره. والأخير لايجوز الاعتماد عليه البتة. ثم حدد شروط تعين الموظفين، وهى تختلف تبعا لنوع العمل، وذكر اختصاصتهم وصلاحياتهم كما تحدث عن عزل الموظفين فقيده ببعض الشروط ونهى عن العزل الكيفى، الذى قد يقدم عليه الوزير دون سبب معقول.

لاحظنا سابقا أن كتب الماوردى هى أفضل غرارات النظر الدهائى عند المسلمين. ويبدو هذا

المؤلف مع افتراض الثقة غير القابلة للشك فى أنه كتب بالفعل كل هذه المؤلفات، كاتبا سياسيا لامعا لاتقل براعته فى هذا الحقل عنها فى الفقه الذى يعتبر فيه من الأعلام المبرزين. على أن التأليف السياسى لم يتوقف عند هذا الكاتب الكبير فقد وصلت إلينا مؤلفات كثيرة من الأزمنة التالية يحتوى بعضها على ماده سياسية ثمنية. وقد اخترنا منها لهذا الغرض كتابين يتميز الأول فى أن كتابه من الملوك، أما الثانى فبمادته الشاملة التى تناهر، إن لم تفق، محتوى كتب الماوردى. سنبدأ بالكتاب الأول لنرى كيف يتحدث ملك مثقف بنفسه عن قضايا السياسة. والكتاب من تأليف السلطان موسى بن يوسف أبو حمو الذى حكم فى الجزائر من سنه ٧٥٣ إلى ٧٨٨ أو٧٩٢ على أختلاف الروايات. عنوانه «واسطة السلوك فى سياسة الملوك»» وقد طبع عدة طبعات فى كل من الجزائر وتونس واستنبول.. ذكر المؤلف فى المقدمة أن الغرض من الكتاب إيضاح قواعد السياسة الحكيمة لولده حتى تكون مرشد له عندما يستقل بالملك. والكتاب على أربعة أبواب:

الباب الأول فى قواعد الملك والوصايا والاداب والحكم المرشدة إلى الصواب.

الباب الثانى فى قواعد الملك وأركانه وما يحتاج الملك إليه فى قوام سلطانه.

الباب الثالث فى الأوصاف التى هى نظام الملك وكماله وبهجته وجماله.

الباب الرابع فى الفراسة.

وقد استخدم المؤلف تجاربة الشخصية كنماذج للسياسة ا لحكمية التى يتعين على ولده اتباعها. وأهم ما فى الكتاب هو الباب الثانى الذى بحث فيه قواعد الحكم وما يحتاج إليه الملك من الخصال لتستقيم أموره. وقد صنف الملك لهذا الغرض أربعة أصناف يبدو أنه استمدها من تاريخ الفرس والعرب وهى:

١ـ من له عقل يصلح به دنياه وآخرته ومثاله عمر بن عبد العزيز.

٢ـ من له عقل يصلح به دنياه دون آخرته ومثاله ملوك الفرس وبعض الملوك الحازمين من بنى أمية والعباس.

٣ـ من له عقل يصلح به آخرته دون دنياه. ولم يضرب له مثلا.

٤ـ من له عقل لايصلح به دنياه ولاآخرته ومثاله الواليد بن يزيد الأموى والأمين العباسى.

وأفضل الأصناف عنده هو الأول لأنه يمزج بين السياسة والتقوى ويراعى مقتضيات كل

منهما، فيقوم بأمور الدولة على الوجه المطلوب دون أن يشتط في سلوكه الشخصي عن القواعد المأمور بها في الشرع. وهذا النوع من الحكم يرجى له الدوام والانتظام. على أن القسم الثاني هو الآخر يكون ثابت الأركان طويل العمر رغم أن أصحابه ليس لهم دين ماداموا سائرين في السياسة على طريقة تستجيب لدواعي العدل والعمران. ويلاحظ السلطان أبو حمو أن الحكم يدوم مع حسن السياسة والفكر ولايصلح العكس، أى أنه لايدوم مع سوء السياسة والدين ولهذا السبب فالصنف الثالث ، أى الذى يصلح آخرته دون دنياه يؤول إلى خراب، وهذا هو الحكم الديني البحت. أما القسم الأخير فهو كالثالث لادوام له. وقال عن هذا النوع من الملوك بأنه يجوز على الرعية ويحدث الحوادث عليهم، يعني أنه يفرض عليهم التزامات غير شرعية من قبيل أن يرهقهم بالضرائب أو يرفع الأسعار أو يكلفهم أعمالا لاطاقة لهم بها. ومثل هذا الملك يحسن لمن أساء ويسيء لمن أحسن ويكل الأمور إلى غير أهل الكفاءة وهو في غالب أحواله منهمك في الملذات.

إن هذا التصنيف للملوك يتمتع بأهمية نسبية بمقدار تأكيدة على أولوية العمران والعدل ـ بصرف النظر عن المفهوم الفضفاض لهذا الأخير ـ مع تصريحه بالتعارض بين الحكم الديني البحت وبين متطلبات السياسة المدينة إلى حد اعتباره الأول من عوامل خراب الدول. ويبدو لي أنه لم يعثر على غرار لهذه الصنف من الملوك في التواريخ المعروفة لدية فنص عليه كافتراض منطقي ممكن الوقوع. على أننا لنجد في هذا العصر أمثلة تطابق الوصف الذى ذهب إليه هذا السلطان المثقف. عاصرنا أنظمة حكم اعتمدت على الدين البحت ورفضت الاتصال بالدنيا فبقيت لذلك منعزلة عن مجرى الحياة ولم تأخذ بأى سبب من أسباب التطور. من هذا القبيل حكم أسرة آل حميد الدين في اليمين، وحكومة الدالاى لاما في التبت فعند هذه الحكومات يقترن المحتوى الديني الخالص للدولة بالتخلف الشامل في كافة وجوه الحياة تبعا لما أكده السلطان المذكور.

يعكس أبو حمو بهذه الملاحظات الثاقبة، بقايا الوعي السياسي للإسلام، الذى كان لايزال يحتفظ في زمانه ببعض الفاعلية. وفيما عدا ذلك لايجد القارئ أفكارا تتجاوز إطار الشخصي كملك مما يفقد الكتاب كثيرا من المزايا التى تمتعت بها مؤلفات الماوردى مثلا.

الكتاب الثانى عنوانه آثار الاول فى ترتيب الدول لكاتب غير مشهور هو الحسن بن عبد الله العباسي ألفه للظاهر بيبرس(٦٧٦هـ). وللكتاب طبعة قديمة في القاهرة غير مؤرخة. وقد جعله مؤلفه على أربعة أقسام ووزع كل قسم إلى أبواب. ولإعطاء فكرة عن اتساع موضوعاته أضع بين يدى القارئ فهرس الكتاب كما وضعه المؤلف:

القسم الاول، فى الضوابط والأصول وقواعد المملكة. وأبوابه:

١ ـ في فضل الملك والحاجة الداعية إليه.

٢ ـ في أركان الملك ودعائمه وقوانينه.

٣ ـ في مجمع الملك وهيئاته وخصاله وأبهته.

٤ ـ فيما يجب للملوك على الرعية وللرعية على الملوك.

٥ ـ في حسن سيرته مع الملوك المجاورين والقبائل والأعداء والمعاندين.

٦ ـ في سيرة الملك مع أمراء دولته وأركان مملكته.

٧ ـ في سيرة الملك مع أهل الشريعة والعلماء والفقهاء والفضلاء.

٨ ـ في حسن سيرة الملك مع العباد والنساك وقبول نصائحهم.

٩ ـ في سيرته مع ذوى الشرف والبيوتات وإعانتهم.

القسم الثانى: في أصول الملك فى ذاته مع خواصه وخدمه. وأبوابه:

١ ـ في آداب الدخول علية ومخاطبته ومجالسته.

٢ ـ في أحوال الوزراء واختيارهم وما يجب لهم وما عليهم.

٣ ـ في كتاب الرسائل والدواوين وما لهم من الرسوم والقوانين.

٤ ـ في ولاة المظالم.

٥ ـ في أصحاب البريد والأخبار والعيون.

٦ ـ في الحجاب والنقباء والحرس والأعوان،

٧ ـ في ذكر رسل الملوك وصفاتها وهدايها وأتحافها.

٨ ـ في صحبة السلطان وشرائطها وما يحمد ويذم من ذلك.

القسم الثالث: في الأمور المختصة بالملك وخواصه وحاشيته. وأبوابه:

١ـ في هيئة الملك ولباسه وركوبه وجلوسه وانفراده بخصائص يتميز بها.

٢ـ في آداب الأولاد والأقارب وحسن السيرة معهم.

٣ـ في آداب خواص الملك معه في جميع أحواله.

٤ـ في أمر الحريم وسياستهن.

٥ـ في سيرة الملك مع مماليكه والخدم وتفضيلهم.

٦ـ في طعام الملك والأداب فيه.

٧ـ في سماع تلاوة القرآن والمنادمة والمسامرة.

٨ـ في مجلس السماع ـ الغناء ـ وراحة النفس واختيار ذلك.

٩ـ في الرياضة واللعب بالكرة والمطاردة.

١٠ـ في الصيد وصفات الجوارح والكواسر وأمراضها وعلاجاتها.

القسم الرابع في الحروب. وأبوابه:

١ـ في وصف أجناس الناس واختلاف أصنافهم وأطوارهم.

٢ـ في الشجاعة وحدها وفضلها وصفاتها.

٣ـ في الفروسية ورياضة الخيل والركوب.

٤ـ في الأسلحة واستعمالها في الحرب وصفات الرمي وفضله، والطعن والضرب للغزاة والحث على الجهاد.

٥ـ في تولية الأعمال والمدن والأمصار.

٦ـ في حفظ الثغور والقلاع وما يجب من أمرها.

٧ـ في الحروب والمصافات وتعبية العساكر.

٨ـ في الكر والهزيمة وما ينبغي أن يفعله الهازم والمهزوم.

٩ـ في الحصار وفتح القلاع وما ينبغي أن يفعله الحاصر والمحصور.

١٠ـ فى حروب البحر ونصفاتها.

هذه الأبواب تكشف كما قلت عن اتساع موضوعات الكتاب. فى حين تدل معالجات المؤلف لموضوعاته على خبرة سياسة جيد ة مع ثقافة تستوعب عددا من وجوه المعرفة الشائعة فى عصره. وقد أعطى المؤلف تفاصيل دقيقة عن تنظيم المدن خططيا واجتماعيا و حرفيا. كما تحدث عن حقوق الرعية فدعا الملك إلى استعمال الرفق لا العنف أصل السياسة ومدعاة للحصول على رضا الناس. كما دعا إلى ضمان معيشة الفقراء والعاجزين وعدم إهمال شؤون الناس إلى الحد المفضى إلى هلاكهم بسبب العوز. ودعا إلى كف الجند عن الرعية وذلك بأن تتخذ منازلهم فى معزل عن منازل الرعية وأن يكون لهم جامع مفرد وحمايات مفردة. وأوجب ألا يشتغل العسكريون فى الحرف لأنهم إذا عملوا فى الزراعة أو التجارة أو غيرها ضعفت أحوال الرعية من عدم التسبب الناجم عن مزاحمة العسكريين لهم بما يتمتعون به من نفوذ وسطوة، كما تضعف بيوت الأموال من عدم تحصيل الضرائب للسبب نفسه. إن هذه الوصية ترتبط بالطابع العسكرى لدولة الظاهر بيبرس التى عاش المؤلف فى كنفها مما اقتضى أن يضع حدودا تمنع من طغيان العسكرين على الجمهور كما يحدث عادة فى الدول ذات الأنظمة العسكرية حتى اليوم.

وتناول العباسى قضايا الأمن العام فبحث فى أصناف المجرمين مستقصيا الدوافع المختلفة للسلوك الإجرامى. وحول الطريقة الناجعة فى حسم مادة الأجرام أوصى بإزاحة الدوافع قبل الإقدام على العقوبة. وفى حالة كون السلوك الإجرامى. متفشيا فى جماعة فإن العلاج يجب إن يعتمد على السياسة لاالعقوبة. من هذا القبيل إن أهل الجبال والقبائل يكون فى طبعهم الظلم والقتل، كما يقول، فللتخلص من شرهم يجب أن يشغلوا بالجهاد والأسفار. وهذا الحل يشمل كل أولئك المصابين بداء الإجرام الناشئ حسب تقديرة من إفراط القوة الغضبية فيهم[١]. واعتبر إشغالهم بالحروب وتكليفهم بالمهام الثقيلة سبيلا إلى تصريف هذه القوة فيما هو أصلح. وفى مقابل التوصية بالرفق والسياسة مع عامة الناس، دعا إلى استعمال الشدة مع

(١)القوة الغضبية هى واحدة من أربع قوى حصر الإغريق فيها قوى الإنسان الغريزية. والغضبية من القوى الباعثة يقول الجرجانى فى تعريفها إنها تحمل القوة الفاعلية على تحريك الأعضاء عند ارتسام صورة أمر مهروب عنه فى الخيال طلبا لدفعه ضارا كان فى نفسه أو نافعا. بمعنى أنها قوة المقاومة ضد الأشياء الخارجية.

حاشية الملك إذا ارتكبوا أفعالا مخلة.. وإلى عدم قبول الشفاعات فيهم لأن جرائم هؤلاء أشد ضرراً على الناس من جرائم غيرهم بحكم مركزهم فى السلطة. ثم تطرق إلى أهل القرى الصحروانية فأوصى باتباع الرفق معهم وذلك لصعوبة حياتهم. وأكد العباسى على محاربة الطائفية فى المدن لأنها تؤدى إلى فتن عظيمة وخطوبة جسيمة وأثار الانتباه إلى دورها التخريبى فى الكثير من بلدان الشرق.

وأوجب المؤلف على الملك محاربة البدع المخالفة لما علية الجمهور، يقصد ما هو مخالف للعقيدة السنية التى كانت قد صارت عقيدة جمهور المسلمين آنذاك. وقد سبق للماوردى أن دعا بمثل هذه الدعوة فى نصيحة الملوك. لكنه نهى عن استعمال العنف لهذا الغرض بعد أن لاحظ أن البدع قد انتشرت وترسخت فى المجتمع الإسلامى فلم يصبح من المعقول مقاومتها بالقوة. ورأى أن الأسلوب السليم لذلك هو العمل الفكرى الذى يجب أن تقوم به الدولة وتساعد عليه لحماية الجمهور من خطر الهرطقة. أما العباسى فلم يقترح وسيلة معينة فاكتفى بالنص على اعتبار هذه المهمه من واجبات الدولة. ولما كانت الفلسفة هى إحدى أخطر أشكال البدع فإن على الملك ألا يتهاون معها. لكن العباسى أكد فى نفس الوقت على الأهمية الكبيرة للعلوم فاعتبر من شروط الملك الهمام أن يكون مثقفا مطلعا على علوم عصره فى حدود المستطاع وأن يرعا العلم وأهله. وأثار الانتباه إلى أن بقاء الدول وطول عمرها رهن بتعظيمها للعلوم وتمكين من يشتغل بها ورعاية جانبه. ثم أشار إلى دولتى الفرس واليو نان فقال إن عظمتها واستطالة مدتهما مدينان لاهتمامهما بالعلم.

إن هذا التمييز بين الفلسفة والعلوم يرجع فى الحقيقة إلى زمن المتوكل، الذى اضطهد الفلسفة وعلم الكلام بينما شجع العلوم وكان من رعاتها المبرزين. وقد تبناه الغزالى فى تهافت الفلاسفة كما تقبلة الأوساط الفقهية المعتدلة. ومعرفة السبب فى هذا الاتجاه ليست عسيرة، فالفلسفة خطر مباشرا على العقائد مادامت مجردة عن تعلقاتها الفلسفية. ولاسبيل إلى التخلص من ضغط الحاجة إلى مثل هذه الأداة فى مجتمع يزاول نموا حضاريا، على الرغم من حضور الدين كعامل سلبى.

فى حديثه عن الحروب قال العباسى إنها عوارض كالأمراض يجب دفعها بالسياسة مالم تلجئ الضرورة إلى خوضها. على أن لبعض الحروب أسباب معقولة تترتب عليها نتائج مهمه وهذه الأسباب هى:

ـ تأسيس دولة.

ـ تثبيت أركان دولة قائمة.

ـ الدفاع ضد العدوان الخارجي.

ـ حرب دينية بين أهل ملتين

ـ التوسع.

تدخل هذه الأمور في حكم الضرورات. وهناك حروب لاتترتب عليها نتائج على هذا المستوى من الخطورة وهي:

حروب الفتنة والسلب

حروب القبائل ـ الغزو

وهذه داخلة في حكم العبث والفوضى...

إن البحث في مشروعية وعدم مشروعية الحرب هي اليوم من موضوعات القانون الدولي. وقد روعيت في التمييز بين هذه الحالات معايير جديدة مستمدة من تطور المجتمع البشري في العصر الحديث. ومن حق العباسي أن يذهب بفضيلة السبق إلى وضع هذه المسألة على بساط البحث وإن تكن أسبابة المعقول ليست كلها معقولة في نظر الباحث المعاصر.

في الأبواب المكرسة لخصوصيات الملك قال المؤلف ان الهيئة المثالية للملك تقتضي صفات الهيبة والفطنة والذكاء وفخامة الصوت، وأن يكون لباسه من أفخر اللباس. أما الزى فيخضع للعادة السائدة في الزمان والمكان. ويذهب العباسي مذهبا غريبا في تمييز الملك عن سائر الناس فيحرم تقليده في ملابسه ويوجب انفراده بزى وهيئة خاصتين به. وهناك وصايا حول طعام الملك وشرابه ومتعه الشخصية وحول الرياضة وأشكالها مع تفصيل للألعاب الرياضة المناسبة لأعضاء الجسم. ووصايا حول الأولاد حث فيها الملك على عدم كثرتهم حتى يستطيع تربيتهم على نحو أفضل كما أعرب عن عدم تحبيذه للتكثير من النساء.

في عرض لأصول السفارة أوجب العباسي أن يتصف السفير بحسن الوجه والاسم وأن يكون تقيا ورعا لايؤثر فيه الإغراء فيخون واجبه أو يتسامح فيه. وأن يكون له من العقل والرزانة ما يستطيع به أداء الواجب المكلف به في سفارته على الوجه المطلوب. والسفير قد

يكون واحدا ـ لاننس أن السفارات لم تكن ثابتـه وإنما كانت على شكل وفود تقوم بمهمـة وتعود إلى وطنها ـ وربما اقتضت الحاجة تأليف الوفد من ثلاثة: عسكرى وقانونى وادارى. وهناك شرح آخر لكيفية استقباله لدى العودة. كما تناولت هذه الفقرات أصول التعامل مع الوفد الأجنبى.

* * *

خلاصة

هذه المجموعة من الكتب ليست كل ما كتبه المسلمون في السياسة. ولكنى اخترتها لسببين: الأول أن مؤلفيها بذلوا جهدا فكريا فاعتمدوا على استنتاجاتهم الشخصية في تقرير قواعد الدهاء. وهى بذلك تتميز من مؤلفات اقتصرت على سرد العبر والأمثال كنصيحة الملوك المنسوب للغزالي وعين الأدب والسياسة لابن هذيل. الثانى وضوح النزعة الدنيوية لدى مؤلفيها مما يميزها عن مؤلفات أخرى كتبت بروح دينية متطرفة، أشاعت فيها جوا فكريا قاتما. ومن أمثلتها كتاب سراج الملوك للطرطوشي.

إن الميزتين المذكورتين هما من النقاط المشتركة لهذه الكتب. وهناك أمور أخرى، من بينها الاتفاق على تأكيد العنصر الأخلاقى في سلوك الملوك وعدم السماح إلا بقدر ضئيل من المرونة السياسية على حساب الأخلاق. وليس من النادر مع ذلك أن نجدها تسقط في الانتهازية فتخرج عن هذا الخط العام. وقد مرت بنا بعض الأمثلة الدالة على أنها لاتصل في تجاهلها للأخلاق مبلغ مكيافللي الذى رسم الخط الفاصل بين الأخلاق والسياسة معلنا القطيعة النهائية بينهما. وكثيرا ما أدى التمسك بالمبادئ الأخلاقية إلى شيوع نبرة وعظية ومفتعلة أفقدت هذه الفصول شيئا من طرافتها. ويمكن أن يوضع على نفس المنوال إسراف الكتاب، وخاصة الماوردى، في الاستشهاد بالشعر والحكايات والأمثال، وكان من الأجدى لو اكتفوا بالوقائع ذات الدلالات الملائمة لمقتضى البحث كما فعل السلطان أبو حمو الذى تحدث عن تجاربة الشخصية، أو ميكافللي بإعتماده فى تعزيز وصاياه على وقائع تاريخية معروفة.

واتجهة بعض المؤلفين إلى توسيع مفهوم السياسة الصائبة ليشمل وصايا عن السياسة الاقتصادية والعمرانية إلى جانب الدهاء فى إطاره الضيق. إن الملك الناجح طبقا لهذا الاتجاه ليس هو الداهية فحسب بل هو من يعطى لكل جانب من النشاط البشرى حقه. وقد دفع

ذلك إلى الحديث عن قواعد الدول وما يجب لتأسيسها وديمومتها مع محاولات غير ناضجة للتساؤل عن أصل الدولة.

هناك أيضا اتفاق على ضرورة التقيد بأحكام الشريعة فى محاولة، لتقنين تصرفات الحكام بإرجاعها إلى أصول دستورية. كما سجل الكثير من الكتاب نقدهم لأخطاء الحكام وأدانوا ميل السلطة إلى الجلوزة مؤكدين على تخفيف العنف بحيث لايتجاوز الحد الذى تقضية ضرورات بقائها وانتظام أمرها. وقد توافرت فى هذه المؤلفات شروح مسهبة للالتزامات المتبادلة بين الحاكم والشعب أشير فى بعضها إلى الأثر الحاسم للشعب فى قيام الدول وبقائها وزوالها. ويلتقى حول هذه النقطة كل من الكتاب المسلمين ومكيافللى. وقد جاء فى كتاب الأمير ما يلى: «من الضرورى لكل أمير أن يكسب صداقة شعبة وإلا فإنه لايجد له أى ملجأ فى أوقات الشدة» وهو ما قاله الماوردى نفسه بتوسع فى تسهيل النظر ونصيحة الملوك. ولابد أن يثير التساؤل هذا الاتجاه من كتاب لم يأتوا من صفوف المعارضة وكان أغلبهم رجال دولة أو أعضاء فى الحاشية. وفى وسعنا مع ذلك أن نلفت انتباه القارئ إلى مفارقة التوجه السياسى لمثقفين متبصرين يشغلون مثل هذا الموقع من السياسة الرسمية. ففى حين يتحرك الحكام تحت تأثير الشعور بالقوة فإن الحاشية المثقفة تستطيع أن تعطى لمنطق العلاقات السببية ما يعطية الحكام لمنطق السلطة. وعندما أقول: حاشية مثقفة أعنى شيئين:

وعى فكرى.

درجة معينة من السلطة.

ومع اجتماع هاتين الصفتين فى شخص واحد فإنه يظل قادرا على التفكير بطريقة سياسية معتدلة. على أن هذه القدرة معلقة من الجهة الأخرى بالدرجة المعطاة من السلطة. ويرجع ذلك إلى أن الصفتين المذكورتين تعانيان فى واقع الحال تناسبا عكسيا تتراجع فيه الأولى بمقدار ما تشتد الثانية، أى بقدر ما تتسع صلاحيات المثقف المسؤول. وفى تقديرى أن المثقف يحتفظ بقدرته على مجابهة التأثيرات التى تفرضها السلطة على موقفة السياسى مادام يشغل مركزا ثانويا، أى مالم يتسلم صلاحيات مطلقة فيتحول هو نفسة إلى طاغية. وبمقدرى القول إن أفكار سياسة ناضجة ومعتدلة كالتى صدرت عن الكتاب المسلمين تدخل ضمن هذا الواقع، الذى هو جدير أيضا بأن يفسر لنا حرصهم على أن يتمتع أولياء نعمتهم برؤية مماثلة تضئ لهم الطريق نحو سياسات أكثر عقلانية، وبالتالى أكثر نجاحا وإنتاجا.

* * *

عهد الأشتر

أفردت الحديث عن هذا العهد بعد استكمال البحث في الكتابات الدهائية ، بالنظر إلى الخصائص التي ينفردها بها. وعهد الأشتر كتاب قيل إن على بن أبي طالب أملاه على مالك بن الحارث الأشتر حين ولاه مصر. وقد وردنا في روايتين: رواية الشريف الرضي في نهج البلاغة ورواية ابن شعبة في تحف العقول. وهما متقاربتان في الزمن لأن ابن شعبة توفي في حدود ٣٨١ وتوفي الرضي في ٤٠٦ . أما محتواهما فمتماثل ما عدا فروقا في بعض العبارات ونقصا وزيادة في فقرات معينة منهما. وهناك شك حول نسبة العهد إلى علي بن أبي طالب يرد ضمن الشك في نهج البلاغة، وتحقيق ذلك يحتاج إلى وقفة طويلة قد تخرج بنا عن غرضنا. وبقدر مايتعلق بالعهد سأكتفي بأن أضع خطوطا عريضة لاحتمالين متعارضين بهذا الشأن:

الأول:١ـ ورد في بعض الاعتراضات على صحة العهد أن أفكارة الرئيسية تجد ما يماثلها في بعض وصايا الزعماء الرسميين في الأزمنة التالية . مما يرجح أن يكون العهد صدى لهذه الأفكار أراد صانعوه أن ينسب إلى علي بن أبي طالب لغرض من الأغراض.

٢ـ إن العهد كتب في فتره مضطربة من خلافة علي وأريد به أن يكون دستورا للحكم في إقليم غير مضمون الولاء يتنازعه نفوذ الفريقين المتخاصمين علي ومعاوية. فهل فات الرجل أن إملاء مثل هذا الدستور في مثل هذه الظروف هو ضرب من العبث؟ لقد كانت المهمة المركزية التي أنيطت بمالك الأشتر هي الاحتفاظ بمصر التي تتعرض لضغط شديد من معاوية بهدف الاستيلاء عليها. ومن الصعب في هذه الأحوال أن ينصرف التفكير إلى وضع نظام للحكم بمثل تلك الدقة التي تضمنها العهد.

٣ـ في العهد مواد تتعلق بموسسات لم تكن حتى ذلك الحين قد استكملت شخصيتها النهائية من بينها المواد المتعلقة بتنظيم القضاء والديوان وشؤون الكتاب. مما يثير شكا مبررا في صحة هذه الفقرات على الأقل.

الثاني: ١ـ إن الملاحظة الواردة في البند الأول ينقضها اختلاف كبير بين أفكار العهد وأفكار الزعماء الرسميين المشار إليهم،. ففي جميع الوصايا التي وردتنا عن هذا الفريق تطغى نزعة بيروقراطية متطرفة تضع حاجزا سميكا ليس بين الحاكم والرعايا بل أيضا بين الحاكم والحاشية. بينما يتضمن العهد إدانات مباشرة لهذه النزعة على النحو الذي ستكشف عنه

الفقرات التالية من البحث. كما يجد الباحث فرقا كبيرا فى الاتجاه السياسى والاجتماعى فالعهد يصدر فى مجمل مؤداه عن مطلقات المعارضة السياسية نفسها فى العصرين الأموى والعباسى أما عهود الزعماء فتصدر عن وجهة النظر المعروفة لرجال الحكم المسلمين.

٢ـ هناك اختلاف ملحوظ أيضا بين محتوى العهد الاجتماعى والسياسى وبين ماآلت إليه فى زمن ابن شعبة والرضى، اتجاهات الفرقة التى ينتميان إليها وهى الشيعة الإمامية. وذلك بعد أن اندمجت هذه الفرقة فى خط السلطة البويهية متخلية عن شعاراتها التى كانت قدر رفعتها فى العصر الأموى وأوائل العباسى. كما أننا لانجد للرضى بالذات موقفا اجتماعيا أو سياسيا مماثلا لما نجده فى العهد مما يجعلنا نستعبد أن يكون العهد من صنع الرضى كما يقال أحيانا.

مهما يكن من شئ فإن عدم القطع برأى نهائى حول نسبة العهد إلى على لايمنعنا من تناوله كوثيقة تاريخة تسجل موقفا سياسيا متميزا عن الموقف الرسمى وهو فى الحقيقة أقرب إلى أن يعبر عن أفكار وتطلعات معارضى صدر الاسلام على اختلاف تنظيماتهم وانتماءاتهم...

* * *

يبدأ عهد الأشتر بالمقدمة المعتادة للوصايا الاسلامية وهى الأمر بتقوى الله واتباع تعاليمه مع ما يلحق بها من العصمة عن شهوات النفس. ثم يخاطب عامله مبينا له أن البلاد التى سيتوجه إليها قد جربت قبله أشكالا من الولاة وأن موقف الناس منه هو موقفه نفسه من أولئك الولاة فى السابق وأوضح له أن سيرة الحاكم تعرف من كلام الناس عنه . يقول: «إنما يستدل على الصالحين بما يجرئ الله لهم على ألسن عباده» أو كما يرد فى مكان آخر من نهج البلاغة: السنة الخلق أقلام الحق . ولابد أن يكون المقصود بكلام الناس ما يعبر عن ردود الفعل تجاه سياسة السلطة ويشكل بالتالى صورة الانطباع السائد حول الوضع السياسى، أى ما يعتبر فى الوقت الحاضر ضمن مفهوم الرأى العام . وقد تضمنت كلمة تنسب إلى عمر بن الخطاب هذا المفهوم بطريقة مقاربة حيث يقول فى وصية لأحد عماله «اعتبر منزلتك عند الله بمنزلتك عند الناس »(١).

(٧) الطبرى ـ جـ ٣ ، ص٦ . وقد استشهد بها الجاحظ فى كتاب «البرصان والعرجان» ٢ ٧٠ . والعامل هو سعد بن أبى وقاص.
يلاحظ أن وصية عمر تقلب القاعدة الدينية القائلة بأن على المؤمن أن ينال رضا الله أولا فهنا يتعين على الوالى أن يسعى للحصول على رضا الناس كمقدمة للحصول على رضا الله الذى يأتى فى المرتبة الثانية ويخضع لمقتضى العلاقة بين الحاكم ورعاياه.

يأتي هذا التعليم كمقدمة عامة تسبق تفصيل السياسة الواجبة الاتباع مع الرعية. وهنا يقول كاتب العهد:

«أشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم.

ولاتكون عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم.

فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق.

يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ.

ولاتقول إني مؤمر آمر فأوطاع فإن ذلك أدغال في القلب ومنهكة للدين وتقرب من الغير».

إن الطبيعة القمعية للدولة كمؤسسة تقوم على العنف تتجسد هنا في صيغة بشعة تظهرها في شخص الحاكم على صورة حيوان ضار يكون الافتراس محتوى سلوكه اليومي. وبدافع من مقته لهذه الصورة يطلب كاتب العهد من عامله أن يجعل الحب منطقا للتعامل مع رعيته. لماذا؟ لانهم لايخرجون عن إحدى صفتين يشتركون بهما مع الوالي فهم بين أخ له في الدين أو مشارك له في الانسانية. وتبعا لذلك، فإن صاحاب السلطة لايملك ميزة تجعلة فوق رعاياه وتسمح له بمعاملتهم كضحايا له. وعندما نضيف إلى هذا تأكيده على عدم العصمة حيث يشترك الناس كلهم في الاستعداد لاقتراف الذنوب عن خطأ أو حتى عن عمد فإن الأساس الذى تنهض عليه سياسة التنكيل بالناس يصبح لاغيا.

على أن هذه النتيجة تصطدم بقسوة العقوبات المنصوص عليها في الشريعة، مما لايدع للاعتقاد بأن المشرع الإسلامى قد نظر إلى الناس بالعين التى نظر إليهم بها كاتب العهد. ومن المؤكد في الوقت ذاته أن كتاب العهد لا يريد من عامله تعطيل هذه العقوبات فكيف إذن سيكون تصورنا للحدود التى يجب أن تتوقف عندها وصيته؟ إن الاجابة على ذلك من الصعوبة بمكان. وإننا لمضطرون إلى الاعتراف بأن العهد يتناقض في هذا الوضع مع المبادئ التشريعية التي ينطلق منها. ولعلاج هذا التناقض كان يجب أن يعاد النظر في هذه المبادئ بما يتلاءم مع روح العلاقة المقترحة بين الحاكم والرعية. ومع ذلك فسوف يتحتم علينا أن نبحث عن بعد آخر لهذا التعميم دون أن نغض النظر عن قصوره من الناحية التشريعية. ففي إحدى

الفقرات الأخيرة من العهد نجد الكاتب ينهى عاملة عن القتل الاعتباطى (سفك الدماء بغير حلها) ثم يردف نهيه عن القتل بتعداد لمحاذيره على جهة التغليظ فيعتبرة مؤذنا بزوال الدولة مستجلبا لغضب الله. وهو يؤكد فى أثناء ذلك أن أول قضية جزائية ينظر إليها يوم القيامة هى القتول. ثم يومئ إلى أن الحكام يلجأون إلى هذه الطريقة لترسيخ قواعد حكمهم ليلفت نظر الوالى إلى أن السلطة لاتقوى بالقتل وانما تضعف وتكون قصيرة العمر.

وعندما نرجع إلى تصرفات السلطة الاسلامية منذ الأوان الأموى فسيمكننا ملاحظة أن هذا النهى يستهدف الوقوف ضد الإرهاب الحكومى الذى كان حينئذ محور التعامل مع المواطن العادى. ومن جهة أخرى يكتسب التأكد على ترويض السلطة وجعل الحب بدلا الإرهاب منطلقا للسياسة الرسمية فى علاقتها بالناس، أهميتة فى التعبير عن الدور الذى تلعبه الأخلاق فى تخفيف وطأة القانون . وقد يبدو لنا عند المقاربة أن أخلاقية كاتب العهد تسمو فى بعض الأحيان على روح التشريع، الأمر الذى يتمثل فى بعض الوجوه فى إدانته لهمجية السلطة رغم عجزه الملحوظ عن إدانة التشريع.

فى سياق هذه النظرة إلى سيرة العامل مع الرعية يقول كاتب العهد إن العامة يجب أن تكون قاعدة للحكم . إن هذا ما تنص عليه الفقرات التالية:

« ليكن أحب الأمور إليك أوسطها فى الحق وأعمها فى العدل وأجمعها لرضا الرعية. فإن سخط العامة يجحف برضا الخاصة وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة. وليس أحد من الرعية أثقل على الوالى مؤونة فى الرخاء وأقل معونة لها فى البلاء وأكره للأنصاف وأسال بالالحاف وأقل شكرا عند الإعطاء وأبطأ عذرا عند المنع وأضعف صبرا عند ملمات الدهر من أهل الخاصة. وإنما عمود الدين وجماع المسلمين والعدة للأعداء العامة من الأمة، فليكن صغوك لهم وميلك إليهم.».

لم يبين الكاتب مايقصده بالخاصة، لكن هذه المفردة أطلقت فى النصوص الاسلامية على فئتين من الناس: الأغنياء والمتنفذين أو أصحاب المال والجاه. ثم أهل الفكر. وقد استعلمت الأخيرة من قبل الفلاسفة الذين تسموا بالخاصة، تمييزا لهم عن بقية الناس لأغراض تخصهم من بينها اكتساب حق التفكير بطريقة تخالف ما عليه الجمهور. ولابد أن يكون الصنف الأول هو المقصود هنا، بالنظر إلى الموضوع الذى يتحدث عنه وهو موضوع سياسى لاصلة له

بقضايا الفكر. أما العامة، فالكتاب يستعملها مرادف للرعية، استنتاجا من عبارته «أجمعها لرضا الرعية، فإن سخط العامة.. الخ» والعامة مأخوذة من الفعل عم أي شمل واشتقت منه لتسمية الأكثرية الساحقة من الأمة، وبذلك تكون العامة هي الشعب في الاصطلاح الحديث. وللخاصة صفات سلبية هي تلك الصفات الشائعة في الطبقات المصابة بخواص طفيلية، مثل الجشع، الاتكالية، الأنانية، وقلة الصبر، مما يجعل الاعتماد عليها في الحكم غير مضمون النتائج، هذا عدا عن أن حجمها، كأقلية، لايوفر القوة الكافية للسلطة. أما العامة فهي جماع المسلمين، أي أكثريتهم، ولكونها أكثرية فإن إرادتها ـ رضاها ـ هي المعول عليها دون الخاصة، وهي بتجردها من سلبيات الخاصة لابد أن تكون عدة مضمونة في مجابهة الأعداء. ولهذه الأسباب يتحم إنحياز الوالي إلى العامة تبعا لقولة: فليكن صغوك لهم. والصغو في اللغة هو الانحياز.

في هذه الوصية نجد النزعة الديمقراطية لكاتب العهد متمثلة في دعوته إلى اتباع سياسة تحوز موافقة الأكثرية دون النظر إلى الطرف الآخر. ولاشك في أن إهمال رأي الأقلية في تقرير السياسة العامة هو المبادئ العامة للديمقراطية التي ينادي بها علم السياسة التقدمي في العصر الحاضر. ولاعبرة بما يثيرة بعض الكتاب من اشتراط الإجماع في التطبيق الأمثل للديمقراطية لأن المجتمع يتكشف باستمرار عن مصالح متضاربة يمتنع التوفيق بينها. في هذا الحالة تقضي السياسة الديمقراطية بتطمين مصالح وحقوق الأكثرية، وهم عامة الشعب، على حساب الأقلية وهم الخاصة، الذين يعتبر تجريدهم من امتيازاتهم الطبقية أحد المبادئ الجوهرية في التحويل الديمقراطي للمجتمع (*).

على أن الكاتب رغم وضوح انحيازه إلى الأكثرية لم يضع أسسا لكيفية الاعتماد عليها أو تجسد إرادتها. وإذا كان الأمر بالنسبة إلى الخاصة واضحا وميسورا إذ يقتضي عدم الاعتماد عليها إبعادها عن الوالي وحرمانها من النفوذ الذي تتمتع به مثيلاتها في حكومات الأقلية، فإنه بالنسبة إلى العامة غامض وغير محدد. وربما اتصلت هذه المساله بالمآخذ التي تذكر على مبدأ الشورى فإذا وضعنا هذا النقص في حسابنا فإن التوصية بالاعتماد على العامة لايمكن أن

(*) معيار الأكثرية والأقليمية في معادلة عامة ـ خاصة يختلف عنه في النظام البرلماني. فهنا لاتوجد أقلية حقيقية لأنها تتحدد بفرق بضعة أصوات. لكن مفهوم العامة فضفاض لأنه يقوم على افتراض الوحدة المطلقة للشعب وعدم التباين في الآراء والمصالح والأمزجة.

تتعدى التأكيد على مبدأ يتوقف العمل به على شخص الحاكم. والضابط الوحيد فى ذلك هو نزعه المبدئية. وقد بينا فى مبحث الشورى أن هذه النزعة كانت، مع افتراض وجودها، إحدى الضمانات القليلة لصيرورة الشورى نظاما رسمايا للدولة فى تلك الظروف.

وزراء الحاكم وأعوانه:

بعد تقرير السياسة الواجبة مع الرعية، ينتقل كاتب العهد إلى بيان كيفية اختيار الأعوان والوزراء فيوصى عامله بتجنب الأشخاص الذين عملوا للولاة السابقين من الأشرار لأنهم شركاؤهم فى آثامهم. فإذا كان هناك ما يدعوه إلى استخدام هؤلاء بسبب كفاءاتهم فإن كاتب العهد يؤكد أن الكفاءة ليست وقفا على الطغاة فلن يعدم الحاكمون بالعدل أعوانا يشبهونهم، فى الصلاح والاستقامة ويملكون من الكفاءة ما يغنى عن الاستعانه بأعوان الظلمة. إن هذا التعليم المتشدد يصدر عن موقف على بن أبي طالب نفسه من الاشخاص «غير المستقيمين». فعلى النقيض من أسلافه، لاسيما عمر الذى طبق شعار «نستعين بقوة المنافق وإثمه عليه» كان على يصر على الجمع بين الكفاءة والنزاهة، وربما اضطره تشدده إلى التضحية بالأولى لحساب الثانية، كما فعل عند تعيينه محمد بن أبي بكر واليا على مصر. وكان المذكور من أتباعة الصالحين لكنه كان شابا قليل الخبره وقد اعترف على فيما بعد أن اختياره هذا لم يكن فى محله.

ثم اشترط عليه بعد اختيار الأعوان إن يروضهم على عدم الإطراء له لأن كثرة الاطراء تورط الحاكم في الكبرياءوالزهور. أما الباعث على اهتمامه بهذا الشرط، الذى قد لايكون على جانب كبير من الأهمية، فهو الخوف من أن تكون الصلة المباشرة بين الأعوان بحكم مراكزها الرسمية ـ وبين الوالى سببا فى إفساده. وسيأتى فى السطور القادمة أن كاتب العهد لا يحبذ التهريج الإعلامى.

طبقات الرعية:

استعمل هذا الاصطلاح فى العهد للتمييز بين الفئات الاجتماعية المختلفة ليس على أساس علاقاتها بعلمية الإنتاج، بل على أساس الاختلاف فى المهنه أو الوضع الاجتماعى، وقد سماها الأصناف أيضا. والطبقات هى:

الجنود.

الموظفون وهم كتاب العامة والخاصة.

القضاة.

عمال الإنصاف والرفق.

أهل الجزية والخراج.

التجار وأهل الصناعات.

الطبقة السفلى وهم المساكين.

وهذه الطبقات لايصلح بعضها إلا ببعض ولايستغنى بعضها عن بعض. فالجنود هم حماة الرعية والمدفعون عن الدين وقوامهم بأموال الخراج، وقوام الخراج بالموظفين والقضاة لأنهم أدوات تنظيمه وتحصيلة. وهذه الأصناف كلها تبع للتجار وذوى الصناعات لأنهم محور النشاط الاقصادى فى عموم المجتمع.

ثم وصف أسلوب التعامل مع كل طبقة على التفاصيل الآتي:

الجنود:

أوصاه بأن يستعمل عليهم رؤساء يتمتعون بهذه الخصال.

١ـ العفة والنزاهة.

٢ـ الحلم والأناه.

٣ـ الرأفة بالضعفاء والقسوة على الأقوياء.

٤ـ التوسط بين العنف والضعف.

تكرس هذه الخصال مناوأة كاتب العهد للعجرفة العسكرية وهى تتساوى مع النزعة التى سيطرت على وصاياه المتعلقة بسياسة الوالى مع الرعية. ولا مفر من الإشارة إلى أنها تحمل أثرا من طوباويات على بن أبى طالب فمن المعلوم أنها لم تجد طريقها إلى الواقع لافى الماضى ولافى الحاضر وظلت إلى اليوم محصورة فى دائرة صغيرة من أهل الفكر والأنبياء غير المسلحين.

وأوجب كاتب العهد لأغراض تنظيم الجيش أن يتفقد الوالى أحوال الجنود وأن يتعامل معهم بروح أبوية مع تخصيص ما يكفيهم ويكفى أهاليهم حتى لايشغلهم العوز عن مجاهدة العدو. كما يجب التنوية بالأفعال البطولية وتكريم أصحابها تشجيعا لهم وتحفيزا لغيرهم. وقد تضمنت رواية ابن شعبة فقرة يوصى بها بوضع عيون ـ (مفتشين سريين) من الأمناء ليتابعوا مآثر ذوى البلاء والبطولة من الجنود فيثبتوها ثم يعرضونها على الوالى ليتخذ فى ضوئها قرارته التكريمية، ومن حقنا مع ذلك أن نتعرض على التعليم الذى يوصى بمعاملة الجنود بروح أبوية ـ معاملة الآباء للأبناء، فهى من نتائج ذلك التفاوت فى الرتبة الذى يمنح الأعلى حق الأبوة على الأدنى. ويبدوا لى أن كاتب العهد وهو يحمل كل ذلك الحب لرعاياة وكل ذلك الحرص على حمايتهم من عنجهية الحكام والرؤساء لم يتمتع بالقدرة الكافية على التحرر من آثار الوصاية التى يفرضها المجتمع الأبوى على أفراده.

القضاة:

نصت الفقرة المختصة بالقضاء على صفات من يجب اختياره لهذا المنصب وهى أن يكون القاضى:

١ـ من أهل العلم والحلم والورع.

٢ـ صارما فى الحق.

٣ـ منزها عن الطمع.

٤ـ أن يكون معتدا برأية حتى يكون لديه الاستعدا د لتصحيح أخطائه اذا اتضحت له الحجة فيها.

٥ـ أن يكون متوقفا فى الشبهات. وهى الأمور الملتبسة التى تتطلب الفحص بإمعان وأناة حتى ترد إلى وجهها الصحيح. ويقتضى ذلك من القاضى أن يتريث ويلح فى الاستقصاء حتى يتهيأ له الانتقال من أدنى الفهم إلى أقصاه .

٦ـ أن لايكون ملولا يميل به عدم الصبر إلى اجتزاء الأمور وحرمان الخصوم من الإدلاء برأيهم فيها.

ثم لفت نظر القاضى إلى أمور قضائية صبها فى عبارات مكثفة يقول فيها:

«أكثر تعاهد قضائة» . والمقصود تتبع الأحكام وفحصها. ويقع ذلك ضمن حق التمييز والتفتيش على القضاءة وقد تناولته كتب الفقة فيما بعد بالتفصيل. وفى الثانية يقول: «افسح له فى البذل مايزيل علته وتقل معه حاجته إلى الناس» يعنى أن يعطية من المال ما يكفيـة، فالحاجة من بواعث الخيانه، وإزاحتها إحدى الضمانات الواقية من السقوط فى هذا الدرك. وفى رواية ابن شعبة نص على التزامات بتنفيذ حكم القاضى وآخر بترتيب أعوان له من الفقهاء وأهل الورع يساعدونه فى الحكم. ولعلها أقدم إشارة إلى تعدد الأعضاء فى المحكمة الواحدة.

كبار الموظفين:

يشترط العهد أن يكون تعيين كبار الموظفين ـ المعبر عنهم فيه بالعمال ـ بناء على الاختيار دون المحاباه والأثرة. وقد وصمهم بما يوصم به الموظفون حتى الآن: الجور والخيانة. وأمر باختيارهم من ذوى التجربة والحياء ومن لهم عراقة فى خدمة الإسلام معتبرا ذلك من وجهة نظره مدعاة للثقة بهم. وأمره أيضا بالتوسيع لهم فى العطاء لئلا تضطرهم الحاجة إلى الاختلاس، كما سبق مع القضاة، وقال إن هذا الإجراء يساعدهم على إصلاح أنفسهم كما يعطية حجة للإيقاع بهم إذا ثلموا الأمانة. ثم اشترط عليه وضعهم تحت المراقبة السرية من قبل مفتشين يختارهم من أهل الصدق والوفاء. ولعلنا إن نجد فى عدم الثقة بالموظفين مسوغا لإخضاعهم لهذا الإجراء المخالف للشريعة. وقد ربط مصير الموظف بالمفتشين فإذا اجتمعت تقاريرهم على إدانته بالخيانه كان ذلك موجبا لعزلة ومصادرة أمواله مع التشهير به ووسمه بالخيانه.

وحول صغار الموظفين ـ وهم الكتاب فى لغة العهد ـ توصية تنهى عن الاعتماد فى تعيينهم على الرأى الشخصى للوالى فربما تأثرت فراسته بتصنع المرشحين للعمل وحسن خدمتهم له دون أن يكون لهم وراء ذلك من النصيحة والأمانه شئ. وقد وضع المعيار البديل وهو: سوابق المرشح وفى مقدمتها أن يكون قد عمل للولاة الصالحين قبله مع حسن أثره فى العامة واشتهاره بالأمانه: وأمره بعد ذلك بتقسيم الواجبات وتخصيص رئيس لكل قسم. فى رواية ابن شعبة نص على تفقد حالهم أى التفتيش عليهم. وعين الغرض من التفتيش وهو ما فيهم من العجرفة فى معاملتهم للناس الذين لا يجدون بدا من مراجعتهم فيكونوا هدفا لسوء المعاملة. ثم حمله مسؤولية مايرتكبه الموظفون أذا هو تغابى عن عيوبهم.

التجار والصناع:

يقول كاتب العهد إن طبقة التجار تقوم بما يعجز عنه سائر الناس وهو التوغل فى الأبعاد بحرا وبرا وسهلا وجبلا لاستجلاب المنافع والمرافق التى يحتاجها الناس ولا يجترئون عليها. ويأتى هذا من الطبيعة الخاصة لعمل التجار فى ذلك الزمن بما ينطوى عليه من مخاطر تنشأ عن وعورة المواصلات وصعوبة تأمينها مع بدائية وسائط النقل.

ومن هنا اعتبرت التجارة عند القدماء من الأعمال الصعبة التى لايتولاها إلا ذوو الهمم العالية. وقد أسقط القدماء من حسابهم إمكان قيام الدولة بالأعمال التجارية بما يغنى عن انفراد التجار بهذه الميزة. ثم أضاف إلى عنصر المخاطرة التى يتعرض لها التجار أن هذه الطبقة ومعها طبقة الصناع هم أناس مسالمون وأنهم بحكم المجال الذى يشتغلون فيه يحبون الأمن والاستقرار ولا يشكلون مصدر إقلاق للسلطة، مما يوجب العناية بهم وتفقد أمورهم. إلا أنه لم ينس أن ينبه الوالى إلى أن فى أكثرية التجار والصناع ضيقا فاحشا وشحا قبيحا. ولم يوضح مايقصده بالضيق. ولكن محمد عبده فسره بعسر المعاملة أى عدم التسامح فى البيع والشراء. وأضاف أن فيهم أيضا احتكارا للمنافع وتحكما فى البياعات وهذا من عوامل الإضرار بالعامة كما أنه عيب على الولاة فأوصاه بمنع الاحتكار وأن يجعل البيع بيعا سمحا بلا اجحاف وأن تكون الأسعار لا تجحف بالفريقين. وفى هذا نص على تدخل السلطة فى الأسعار خلافا للحديث النبوى الذى ينهى عن التسعير.

الطبقة السفلى:

تضم هذه الطبقة تبعا لتحديدة: المساكين والمحتاجين وذوى العاهات واليتامى والعجزة. وقد أمره أن يخصص لهم نصيبا من بيت المال وغلات الصوافى ـ أراضى الدولة ـ أى دون أن يقتصر على نصيبهم من الزكاة وحذره من إهمالهم بحجة الانشغال بالأمور الخطيرة. ثم نظم له طريقة الاتصال بهم فأوصاه أن يعين لهم موظفين يتولون أمورهم فيستقصونهم ليعرفوهم مؤكدا على ضرورة الذهاب إليهم فى مواقعهم لأن فيهم من لايستطيع الوصول إلى السلطة أو تمثيلها ليعرض عليها حالته. يعنى بالضبط عدم تعليق ذلك على القصص ـ العرائض، ووضع مسؤولية المبادرة إلى ضمانهم على السلطة. وقد أوجب أن يكون الموظف من أهل التقوى والتواضع، وهو شرط يفرضه التعامل مع هذه الفئة التى يجعلها وضعها البائس عرضة اللازدراء

والإهمال فيستحيل بالتالي أن يتولى أمورهم بكفاءة وعناية من يرى نفسه أرفع رتبة منهم. واعترف كاتب العهد أن شؤون هؤلاء المسحوقين ثقيلة على رجال الحكم والادارة لكنه استطرد فقال إن الحق هو في العادة ثقيل إلا على من «طلب العافية ووثق بوعد الله» ولا بد أنه يقصد المؤمنين الصادقي الايمان.

إن هذه التوصية تتفق مع الصله التي جمعت بين علي بن أبي طالب وهذه الفئة وهي من بين المحتويات الأساسية في العهد، التي تحملنا علي توثيق نسبته أو بعضه إليه. وقد بدا الرجل حائرا فيما إذا كان بمقدوره تحقيق طموحاته بالنسبة لهؤلاء المسحوقين بالنظر الى عدم ثقته في الكثير من أعوانه فتشبث بعاطفته الدينية متوقعا أن تكون هذه المهمة الثقيلة خفيفة علي المؤمنين الصادقين.

الخراج:

يقول كاتب العهد إن الزراعة هي مصدر حياة الناس فالناس كلهم عيال على الخراج وأهله والخراج هو المصدر الأكبر لبيت المال. وقد شدد على عامله بالعناية أولا بعمارة الأرض وأن يقدمها على التفكير في حصيلة الخراج. وتعني العمارة ديمومة وتطور الإنتاج الزراعي مما يستدعي الإشراف المباشر على وضع الإنتاج في الأرياف. ولهذا الغرض تنص رواية ابن شعبة على الأمر التالي:

أن يتصل الوالي بالمزراعين لمعرفة أوضاعهم وحاجتهم. وبعد أن ينهي استقصاءاته حول أيه قضية يتصل بالخبراء فيتداول معهم بشأنها. ثم يصدر قراره في ضوء ذلك. وعلى سبيل المثال إذا كان المزارعون قد شكوا من فداحة الضريبة عليهم وجب على الوالي تخفيفها عنهم. وإذا كانوا قد طلبوا تعميرا أو إصلاحا وجب القيام به نيابة عنهم. وقد علل هذه الوصية بالاستناد إلى اعتبارين:

تحقيق العدل.

ديمومة الخراج.

ومنال العدل ضرورته الأخلاقية من جهة، وما ينتج عنه من الحصول على ثقة أهل الأرض بالوالي من الجهة الأخرى . أما الخراج فلا يدوم إلا بالعمارة فإذا خربت الأرض هبطت حصيلته. وندد بمن يجبي الخراج دون النظر في عمار ة الأرض لأنه إيذان بخراب البلاد وهلاك الناس. ثم ذكره بأن نفوس الولاة تميل إلى الجمع، بقصد الجباية، بما ينتج عنه من

إرهاق أهل الأرض وأفقارهم. وربط بين هذه الحالة وخراب الأرض، « وإنما يؤتى خراب الأرض من إعـواز أهلهـا» وعلينا أن نتـذكـر بهـذه المناسـبة أن وضـع الزراعـة كـان على الدوام هدفـا للسياسة الاستنزافية التى سار عليها الخلفاء المسلمون والتى اعتمدت أساسا على (الجمع) دون النظر فى متعلقاته. وقد سبب إفقار مستمرا للفلاحين وجعل الريف نموذجا بائسا للظلم والخرا ب. وهو مايفسر لنا عناية بعض المفكرين والفقهاء بالتأكيد على العدل والإنصاف ــ فى حدود الشريعة على الأقل ــ وعلى الاهتمام بعمار ة القيعان ومراعاه ظروف المزراعين عند الجباية.

أموريباشرها الوالى:

أوصى كاتب العهد عامله أن يتصدى بنفسه للنظر فى قضايا المتظلمين وذوى الحاجات، على أن يعقد لهذا الغرض مجلسا عاما اشترط إن يكون خاليا من الحرس حتى يكون بإمكان المتظلم عرض قضيته من غير تردد أو رهبة. كما أمره أن ينظر فى حاجات المتظلمين بلطف وأناه وأن يستحمل هفواتهم ولا يعاملهم باستعلاء.

ومهام أخرى يتعين على الوالى مباشرتها منها الإجابة على رسائل الولاة المرتبطين به إداريا إذا عجز الكتاب. ومنها تلبية حاجات الناس فى يوم ورودها، وبين له أن ذلك سيحرج، أعوانه أى موظيفة وعماله، فيمنعهم من تأخير معاملات الناس. ويدخل فى عددا الأمور المباشرة إقامة الفرائض الدينية وقد أكد كاتب العهد على أدائها وأوصاه بتفريغ أوقات لطقوس العبادة. وفى الحالات التى يؤم فيها الناس للصلاة أمره بعدم الإطاله لئلا يؤذى صاحب العلة والحاجة .وحدد الوقت المناسب لذلك بحديث رفعة إلى محمد يأمره فيه أن يصلى فى الناس صلاة أضعفهم أى أعجزهم عن القيام بالصلاة وما تتطلبة من جهد بدنى.

ثم أوصاه بعدم الاحتجاب لأنه يجعل الناس يجهلون اتجاهات السياسة القائمة فيسيئون فهمها كما يحرم الوالى من معرفة الاحتياجات العامة. ولابد لتحصيل الفهم المتبادل بين الحاكم والرعية من المخالطة لأن الحقائق، كما يقول، لا تعرف بالظن وإنما بالاختبار. وقد نص كاتب العهد على أن هذه السياسة تقود إلى البلبلة حين وصف الاحتجاب بأنه يقطع عن الرعية علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل. ودفعاً لهذه الملابسات يجب على الوالى أن يكون على صلة مباشرة بالناس.

وفى فقرة تالية أكد على الوالى بأن يدافع عن سياسته أمام الرعية فإذا اتهموه بالحيف فى إجراء ما وجب عليه أن يصرح لهم بالعذر فيكشف لهم مبرر الإجراء المنتقد. وجعل التصريح بالعذر سبباً لجملة أشياء، منها ترويض نفسه على ممارسة الاتصال والتفاهم مع الرعية وتقتضى هذه الرياضة مجابهة عقدة التعالى التى تميز علاقة الحاكم بالشعب. ثم إن الانفتاح على الرعية بهذا الشكل يعطيه العذر الكافى لمطالبتهم بالسير فى خط السلطة.

إن هذا التعليم يصدر عن الميول الشعبية لكاتب العهد. ومن المعتاد أن تعمد السلطة وهى تتمثل مثل هذه الميول إلى مكاشفة الناس بالحقائق وعدم تضليلهم إعلامياً. وفى الغالب، فإن هذا يحدث حين يكون رجل الحكم مالكاً لقضية تتعدى مصالحة الخاصة كحاكم. ويعنى ذلك:

١ـ عدم جعل السلطة، كما فهمها الحكام المسلمون، مثلاً، وسيلة للتلذذ.

٢ـ أن لا يكون الحاكم معبراً عن مصالح طبقة فاسدة.. والحالتان لا تنفصلان عن بعضهما. فالحكام الذين أرادوا السلطة لأغراضهم الشخصية هم أنفسهم الذين يحكمون فى العادة نيابة عن طبقة من هذا النوع. إن السلطة التى تتلبس هاتين الحالتين تتجه تلقائياً نحو الاستبداد والبيروقراطية، أى نحو الا نعزال عن الشعب واتباع سياسة ما وراء الكواليس. وقد اتجه العهد حتى الآن إلى رسم الصورة التقريبية للسلطة البديلة عن هذه فى حدود المستوى المتواضع للفكر السياسى فى المرحلة التى كتب بها. ويتطابق هذا المبدأ مع سلوك على بن أبى طالب فى خلافته. وقد دافع عن نفسه أمام الخوارج بأنه لم يكتم عنهم شيئاً.

الحاشية والبطانة:

أطلق هذا الاصطلاحان فى الأدب السياسى الاسلامى على الفئة القريبة من الحاكم كالوزراء وقادة الجيش والموظفين الكبار، إلى أجانب أقرباء الحاكم وأصدقائه. وقد نسب كاتب العهد إليهم الاستئثار[1] والتطاول وقلة الإنصاف فى المعاملة. وهى صفات مألوفة عرفتها أنماط الحكم المختلفة قديماً وحديثاً.

لكى يضع حداً يمنع البطانة من سوء التصرف أوصى كاتب العهد بما يلى:

(١) الاستئثار: من الاثرة وهى الأنانية: واستأثر بالشيء انفرد به. والاستئثار فى لغة العهد يعنى انفراد الحاشية بالمصالح والامتيازات مستفيدة من علاقاتها بالحاكم.

١ـ عدم منحهم إقطاعات. لأنهم إذا امتلكوا أرضاً أضروا بجيرانهم لاعتمادهم في استثمارها على نفوذهم مما يوفر لهم ميزات لا يتمتع بها غيرهم كما يمكّنهم من التصرف بقوة السلطة تبعاً لمصالحهم.

٢ـ أن لا يسمح لهم بأية صفقة عمل يحملون مؤونتها على غيرهم ويستقلون هم بثمراتها.

٣ـ تقديم ما يراه الوالي حقاً على مصالح الحاشية والبطانة وإلزامهم به رضوا أم كرهوا.

٤ـ أن لا يترك لعاطفته أثراً على سلوكه معهم.

وتعطي التوصية انطباعاً بأن خاصة الوالي لن تحصل على شيء. فمن حقنا لذلك أن نسأل: ما الذي يشد هؤلاء إلى السلطة إذا فقدوا الأمل في استغلالهم؟ الجواب هو أن تكون هناك قضية مشتركة بين القائد وأتباعه تحقق درجة معقولة من التجانس ويكون فيها القائد أسوة للأتباع في عدم استغلاله لسلطته وفي سيرته الشخصية القائمة على الورع. وعندئذ لا يعود هم الحاشية محصوراً في الاستيلاء على الامتيازات.

على أن تصور مثل هذا الوضع المثالي مستحيل إلا في سلطة ثورية وفق المفهوم العصري. أعني سلطة يتولاها ممثلوا الطبقات المسحوقة وتوجهها إيديولوجية علمية وأهداف محددة. ولابد أن يقودنا ذلك إلى القول بأن عهد الأشتر قد تجاوز الحدود الممكنة لمرحلته وهو يتصور بطانة للسلطة لا تملك شيئاً وحاكماً لا يمنح خاصته امتيازاً على سائر الناس. وحينما نعود إلى افتراض أن كاتب العهد هو علي بن أبي طالب فإننا نعلم أن بطانة هذا القائد لم تحصل بالفعل على شيء، وكان هو نفسه قدوة لهم في عدم استغلال السلطة والاستئثار بامتيازات خاصة. على أننا نعلم أيضاً أن علي بن أبي طالب فشل في كبح جماح بطانته عن الاستغلال والخيانة. وبعد أن أكلت الحرب في الجمل وصفّين وما تخللها وتلاها من أحداث خيرة أتباعه من أمثال عمار بن ياسر ومالك الأشتر وأدركت البطانة ضعف مركزه عاد أفرادها يتصرفون بروح الباحث عن الغنائم. وقد امتدت هذه الروح إلى أقرب أتباعه كابن عمه عبدالله بن عباس الذي عينه والياً على البصرة فنهب بيت مالها وهرب، وشقيقه عقيل الذي دفعه الحرمان

إليى الالتحاق بمعاوية. وانتهى الأمر بعد مقتله إلى عقد الصفقات السرية مع خصومه، فالتحق ابن عمه الآخر عُبيد الله بن العباس بمعاوية بعد تقديم رشوة اتفقا عليها. وكان عبيدالله قائداً لجيش الحسن الذى بويع بالخلافة بعد والده. ثم جاء دور الحسن ليتنازل عن الخلافة لحساب معاوية لقاء خراج دَرا بجُرد إحدى المقاطعات الكبيرة فى إيران.

لدى البحث عن تفسير لهذا الوضع فإننا نراه فى عدم تكامل المنهج الاجتماعى للحركة التى قادها على بن أبى طالب، وفى انعدام أيديولوجية اجتماعية تقف وراء الانحياز الذى أظهره للعامة. وكان من شأن ذلك أن يحرم الحركة من شروط الحركة الثورية بمفهومها المعاصر، وأن يبعدها، بالتالى، عن ذلك الجو الأخلاقى الصارم الذى يفترضه الموقف الثورى. ولم يكن أمام الحركة للتعويض عن هذا النقص غير الدور الذى تلعبه الأصالة الشخصية كما بينت سابقاً. ولعل هذا هو السبب فى أن النماذج النزيهة لم تتجاوز عدداً محدوداً من الأتباع.

وصايا ختامية:

بعد أن فرغ الكاتب من تفصيل المبادىء المطلوب من العامل أن يصرف شؤون ولايته وفقاً لها، سجل الوصايا التالية وجعلها ختاماً للعهد:

ـ وجوب البحث عن سُنَن الماضين للاقتداء بها. وفيها دعوة للاستفادة من تجارب الغير توجب على القائد أن يدرس التاريخ.

ـ مجانبة الإعجاب بالنفس وحب الإطراء. ومن هذا القبيل عدم المنّ على الرعية بالإحسان أو التزيد فى أفعاله عما هو حاصل منها. بعبارة أخرى: أن يقدم الإنجاز البسيط فيثير حوله ضجيجاً لا يتناسب مع حجمه الفعلى. ولفهم اتجاه هذه التوصية يحسن أن نتذكر ما يفعله الإعلام الرسمى فى البلدان العربية وغيرها من بلدان العالم المتخلف. إن أجهزة الإعلام فى هذه البلدان تثير الضجيج حول أصغر الإجراءات كتبليط شارع أو إنشاء حديقة عامة، أما الإجراءات من الحجم الأكبر فإنها تضع المواطن العادى تحت طائلة تذكير يومى على مدى سنوات طويلة. ويعتبر ذلك فى باب المنّ على الشعب بمنجزات السلطة التى تعرضها أجهزة الإعلام بالطريقة التى يتحدث بها المحسنون عن أنفسهم.

ـ الحذر من العجلة بالأمور قبل أن تتضح أسبابها ومن التهاون عند إمكانها، ومن اللجاجة فيها إذا تعذرت، وبذلك يزن سياسته بميزان دقيق يميز بين الممكن والمستحل، وبين ما تهيأت ونضجت أسباب المبادرة إليه وما لم تتهيأ بعد.

هذه التوصية تدعو إلى التصرف وفقاً للظروف، وهى ضد اتجاهين فى السياسة: اتجاه مغامر يعمل قبل أن تنضج الأسباب متجاهلاً أحكام الظرف القائم وآخر متخاذل يعجز عن المبادرة إذا حان الوقت.

ـ ثم يكرر وصايا سبقت فينهاه عن الاستئثار والعجرفة والسطوة ويختتم بدعاء يسأل فيه التوفيق إلى العدل والحصول على ثناء العباد مع الآثار الجميلة فى البلاد.

العنف والأغتيال السياسى فى الإسلام

الاغتيال اشتقاق من الجذر الثلاثي غ. و. ل الذى يفيد الهلاك، وصياغته على زنة افتعال تفيد الطلب، أى بما ينطوى على العمد والقصد. فالاغتيال هو إرادة الغول ـ الهلاك ـ للآخر، وبهذا المعنى يفيد القتل العمد. وإذا اعتبرنا اشتقاقه من غ. ى. ل. فهو مفسر فى قول الفيروز آبادى وابن منظور: «قتله غيلة، خدعه فذهب به إلى موضع فقتله». وأصل غ. ى. ل. هو الحرج ذو الأشجار الملتفة الكثيفة. وعندئذ قد يصح لنا الاستنتاج بناء على قول الفيروزى آبادى وابن منظور أن قولهم اغتاله مأخوذ من قتله في الغيل، أى غفلة فى موضع خفي. مع ملاحظة أن عبارة قتله غيلة أكثر وروداً فى النصوص القديمة من اغتاله.

يرادف الاغتيال كلمة أخرى هى الفتك، التى تتضمن معنى مزدوجاً: القتل عمداً وهو ما تؤديه الكلمة الانكليزية Murder التى تترجم تسامحاً إلى القتل بإطلاق. المعنى الثانى هو القتل على غِرّة كما نص عليه الزمخشرى فى «الأساس» . وهو المقصود فى الحديث النبوى: «الإيمان قَيّد الفتك» الذى سيأتى الكلام عليه . وميز اللغويون الاغتيال عن الفتك؛ فالاغتيال إذا قتله من حيث لا يعلم، والفتك إذا قتله من حيث يراه وهو غارّ (غافل) غير مستعد. وتدخل الحالتان فى مفهوم الغدر. لكن الفتك أعم فهو يشتمل على جملة أركان تكتنف الفعل: العمد، الاستغفال، الاندفاع غير المحسوب، الجرأة والإقدام، ونجد هذه الأركان مجتمعة فى صفة الفاتك التى ترد فى معان تتروح بين الإعجاب وعدم الارتياح. ولذلك لا نجدها تستعمل لوصف الشخصيات التاريخية المشتهرة بالشجاعة مثل على بن أبى طالب مع أنها تطلق مع الإشعار بالمهابة على الشجعان العاديين.

من هنا ينفرد الاغتيال بالدلالة على القتل العمد المشتمل على أحد ركنين:

١ـ استغفال المقتول، كأن يأتيه القاتل من ورائه، أو يكمن له.

٢ـ أو استدراجه للإيقاع به فى مكان معزول.

والاغتيال هو اللفظ الشائع اليوم، والذى يجب أن تقتصر عليه المعاجم الحديثة، دون قتل الغيلة لأنه مهجور فى العربية المعاصرة ولأن الأفضلية فى الاستعمال يجب أن تكون للاصطلاح المؤلف من كلمة واحدة.

الحكم الشرعي وتجارب العهد النبوي

أورد الفخر الرازي في تفسير الآية ٣٨ من سورة الحج من «تفسيره الكبير» ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾. إن مسلمي مكة استأذنوا النبي على قتل المشركين الذين آذوه، سراً، فنهاهم ونزلت الآية لتؤكد هذا النهي.

وفي هذا المعنى يرد حديث أخرجه أبو داوود في كتاب الجهاد من سننه، نصه.. «الإيمان قيّد الفتك. لا يفتك مؤمن».. وقد تردد هذا الحديث في أخبار قتل الحسين، إذ يروى أبو الفرج الأصفهاني في «مقاتل الطالبيين»(١) أنّ مسلم بن عقيل استشهد به حين دافع عن عدم تنفيذه خطة رسمها له قائد شيعي بالكوفة لاغتيال عبيد الله بن زياد. ويمكن قبول صحة الحديث في ضوء الآية الآنفة من سورة الحج، وهو يشكل بالتكامل مع الآية موقفاً شرعياً غير محبذ للاغتيال مهما تكن دوافعه. ويتجانس هذا الاتجاه مع قيم الفروسية الجاهلية التي تتمسك بالقتال وجهاً لوجه ولا تقر حتى ملاحقة الهارب. والفارس الجاهلي إذا صادف خصماً له خاطبه بالعبارة الشائعة: «خذ حذرك إني قاتلك» قبل أن يهاجمه.

ولعل الموقف الاسلامي لا يتعدى هذا المنحى الجاهلي بقدر ما يكون قاعدة أخلاقية متعارف عليها. لكن هذا ليس هو السبب الأساسي في النهي عن اغتيال المشركين بمكة، فهذا النهي يأتي في سياق استراتيجية النبي محمد في الطور الملكي. وكانت الدعوة الاسلامية حينذاك مقتصرة على التبشير وإمكاناتها لا تسمح باستعمال السلاح، كما أنها لم تكن قد امتلكت بعد مستقراً تتحرك منه لمزاولة هذا الشكل من الصراع. وفي الظروف الصعبة التي كانت عليها الدعوة آنذاك، كان مقتل أي شخص من المشركين يكفي لإعطاء مبرر لشن حملة إبادة ناجحة ضد تلك الفئة القليلة من مسلمي مكة. وفيما يتعلق بسلوك مسلم بن عقيل فهو - إذا صحت الرواية - لا يعبر عن التزام جدي بالحديث بقدر ما كان تبريراً لتردد مسلم، المعروف أنه لم يكن قدّ المهمة التي كلفه بها ابن عمه حين أوفده إلى العراق.

---

(١) ص٩٩ من . طـ القاهرة ١٩٤٩ (باب مقتل الحسين). انظر أيضاً: «الأخبار الطوال» للدينوري ص٢٣٦ القاهرة ١٣٣٠هـ.

وفي وسعنا الافتراض أن النهى عن الاغتيال كما يتحدد فى الموقف الشرعى الاسلامى موجه لمحيط العلاقات الفردية، و«نافذ» ضمن الوضع الاعتيادى لمجتمع لم يتأزم فيه التناحر حث تأخذ القوانين أو الأعراف مكانها فى ضبط سلوك الأفراد، وتخضع حالات الصراع اليومى لاختصاص السلطة القضائية، وهو اختصاص لا يشمل أطراف الصراع السياسى والاجتماعى فى ظروف التحولات التاريخية القائمة على العمل المسلح.

ويستفاد من دراسة السيرة النبوية أن فضلاً كثيراً فى النجاحات التى أحرزها محمد يرجع إلى مرونته فى اختيار الوسائل وقدرته على التصرف خارج منظومة المحرمات التى تشكلت منها شريعته. ولا شك فى أن منشىء تاريخ من طراز محمد لا يعجز عن التفريق بين إقدام فردى ينتهك مبادىء داخلية تقوم عليها البنية الأخلاقية لمجتمع ما، وبين تكتيك حركة ينفذ بالسلاح منطلقاً من أرضية سياسية تاريخية أشمل وأبعد مدى.

تضمنت مصادر السيرة والتاريخ ثماني وقائع اغتيال ناجحة ومحاولة واحدة فاشلة حدثت جميعها إلا واحدة فى المرحلة السابقة للحديبية. وهذه المرحلة اتسمت بالنمو البطىء للقدرة السياسية والعسكرية للإسلام الناشىء، وكانت فيها المدينة معقله الأوحد حينذاك، عرضة باستمرار للاجتياح. وقد استعمل تكتيك الاغتيال السياسى فى ذلك الوقت ليوفر أحياناً، تعويضاً نوعياً عن الافتقار إلى قوة عسكرية ضاربة وليساعد أحياناً أخرى على ردع العناصر المناوئة داخل يثرب فى وقت كانت سلطة الإسلام لم تترسخ بعد حتى فى معقله الوحيد هذا.

اغتيال زعماء يهود

كانت فى يثرب كما هو معلوم تجمعات يهودية تعيش غالباً فى حصون بعيدة عن مركز المدينة. وكانوا خليطاً من مهاجرين وسكان أصليين (عرب) وقبائلهم الرئيسية هى بنو النضير وبنو القينُقاع وبنو قُريظة، إلى جانب يهود خيبر خارج يثرب على طريق الشام. وكان محمد قد سعى أول هجرته إلى التحالف معهم ضد مشركى مكة على أساس العقائد المشتركة للديانتين. لكنه أخفق، فكان لمحمد أن يسعى لأضعاف تأثيرهم عليه. وكانت وسيلته المبكرة إلى ذلك هى الاغتيال، الذى وجه للتخلص من عناصر مؤثرة بينهم. وقد نفذت ضدهم خمس خطط اغتيال نستعرضها فيما يلى:

كعب بن الأشرف:

زعيم يهودى بارز والده من قبيلة طيء وأمه من بنى النضير وكان حليفاً لبنى قريظة أقوى عشائر يثرب اليهودية. نشط ضد محمد منذ أول الهجرة وكان من حلقات الاتصال الأساسية بين اليهود وقريش. وبعد معركة بدر ذهب إلى مكة ليحرض قريش على الثأر لقتلاها فى تلك المعركة. وكان يقرض الشعر فنظم قصائد يعرّض فيها بنساء الصحابة وأنشد فى مكة قصيدة فى رثاء قتلى بدر من أهل مكة. وتقول مصادر السيرة إن ذلك مما أغاظ النبى كثيراً. لكن خطره فى الحقيقة لا يتمثل فى هذا الجانب، لا سيما وأن شعره، بحسب الأمثلة التى أوردتها هذه المصادر، لم يكن فى مستوى شعر الفحول الذين يُخشى من جاذبيتهم، وانما يكمن فى موقعه القيادى بين يهود يثرب.

للخلاص من عنصر خطر كهذا تقرر اغتياله. وقد وردت تفاصيل العملية فى روايات مختلفة يغلب عليها الاضطراب والابتسار، وأقدم هنا خلاصة موحدة بالمحتويات الرئيسية، المقبولة عندى، لهذه الروايات.

اختار النبى صحابياً يدعى محمد بن مسلمة عرف بخبرته فى حبك المكايد ـ اعتمده عمر بن الخطاب فيما بعد للتجسس على الولاة ـ وأمره بالتشاور مع زعيم الأوس سعد بن معاذ. وكان الأوس حلفاء بنى قريظة فى الجاهلية، فهم يعرفون بعضهم جيداً كما توطدت بينهم علاقات شخصية استمرت بعد الاسلام. وتقول المصادر أن محمد بن مسلمة اختار لتنفيذ المهمة نفراً من الأوس، وهو نفسه أوسى، بينهم رجل يكنى أبو نائلة كان هو وابن مسلمة رضيعين لكعب بن الأشرف. وتمت الخطة على مرحلتيين؛ ذهب أولا محمد بن مسلمة أو أبو نائلة ـ بحسب اختلاف الروايات ـ إلى كعب وقال له إن هذا الرجل، يعنى محمد، قد طلب منا صدقة وإنه قد عنّانا وانى قد آتيتك أستسلفك. ورأى كعب فى هذا الكلام من رضيعه مصداقاً لتحذيراته لهم من محمد فعقب عليه: وأيضاً، والله لتملنه. فقال صاحبه: إنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أى شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين. فوافق كعب أن يسلفهم لقاء رهن. واتفقوا على موعد.

ورجع ابن مسلمة ـ أو أبو نائلة ـ إلى جماعته فأخبرهم. وتوجهت المجموعة لموعدها ومعها النبى محمد يسايرها حتى البقيع ـ من ضواحى المدينة ـ حيث بقى فى انتظارهم. ولما بلغوا

قلعة كعب ناداه ابن مسلمة أو أبو نائلة فنزل إليه فعرفه على جماعته، وتمشوا خارج القلعة للتحدث في الشأن الذى تواعدوا عليه. ولم يطل بهم المسير حين مد ابن مسلمة أو صاحبه يده إلى رأس كعب، ثم سحبها ليشمها وهو يقول مداعباً إياه: ما أطيب عطرك. وكان كعب حديث عهد بالزواج من امرأة عرفت بكثرة التعطر. وبعد قليل أعاد المذكور هذه الحركة معبراً مرة أخرى عن إعجابه بعبيره، ثم رجاه أن يسمح لأصحابه أن يشموه ليتمتعوا معه بهذه الرائحة النادرة... وكانت هذه إشارة متفق عليها فتقدم أفراد المجموعة من كعب بوضعية من يريد أن يتشمم شعره المطيب وأهووا عليه بسيوفهم فقتلوه ثم قطعوا رأسه. وقد تمت هذه العملية بسرعة خاطفة لأنها نفذت فى أراضى اليهود الذين انتبهوا على صرخة كعب لحظة ضربه فأشعلوا نيرانهم فوق أسوار القلاع. وعاد المنقذون إلى البقيع ومعهم رأس كعب ووضعواه بين يدى النبى برهاناً على نجاح المهمة.

اغتيل كعب بن الأشرف فى الشهر الثالث من السنة الثانية للهجرة، بُعيد معركة بدر.. وقد اشتملت عملية اغتياله على تكتيكات وأهداف نجملها فيما يلي:

١ـ اختيار شخصين قريبين إلى المراد اغتياله لتسهيل استدراجه إلى الفخ.

٢ـ إيكال المهمة إلى رجال من الأوس وهم كما قلنا حلفاء بنى قريظة. ويهدف هذا التكتيك إلى منع ردود الفعل المحتملة إزاء مقتله فى أوساط الأوس.

٣ـ التظاهر أمام كعب بمعارضة النبى والاستياء منه، استغلالاً لوجود معارضة فعلية فى يثرب سواء من المنافقين أو الناس الأخرين الذين لم يكونوا مرتاحين لما تعرضت له مدينتهم من مشاكل بعد هجرة النبى إليها، ويدخل ذلك فى تكتيك الاندساس الهادف للإيقاع بالعدو.

٤ـ جعل العملية فى الليل لتسهيل الانسحاب بعد القيام بها.

أما الأهداف التى وفرها الاغتيال فهى:

١ـ التخلص من متآمر خطر على حركة ناشئة.

٢ـ إرعاب المناوئين للتخفيف من اندفاعهم ضد الحركة، لا سيما وأن نجاح الاغتيال قد بيّن لهم أن الحركة تمتلك أدوات ووسائل كافية للردع. كما أثبتت لهم جدية محمد فى المجابهة.

٣ـ إن هذا العمل قد بيّن ليهود المدينة أن محمد ليس هدفاً سهل المنال كالمسيح، ولعله قد أزال ما قد يكون تبقى بعد معركة بدر من أوهام بهذا الخصوص.

استنتاج فقهي خاطيء:

قال السهيلي في «الروض الأُنُف» الذى شرح فيه سيرة ابن هشام، إن الفقهاء ـ عدا أبو حنيفة ـ رتبوا على قتل كعب بن الأشرف حكماً بوجوب قتل من سب النبى وإن كان ذا عهد[1]. والحكم مبني على أن كعب قتل لأنه كان يهجو النبى. وقولهم «ذا عهد» يشير إلى ارتباط يهود المدينة في ذلك الوقت بميثاق يثرب الذى حاول النبى محمد أن يجعله إطاراً للتحالف معهم. وقد أكسبهم هذا الميثاق صفة أهل الذمة. وهذا من الأقيسة السطحية القائمة على مناط شكلى، إذ لم يدخل هؤلاء الفقهاء في اعتبارهم أركان الحدث من جهة ارتهانه بحالة حرب وكون المقتول من قادة العدو المقاتل وكونه بالتالى إجراءً سياسياً عسكرياً لا يصلح أن يكون سابقة، لحكم قضائى. وكم من الفرق بين هذه الحالة وحالة إنسان عادى يشتم النبى لغواً أو مهاترة. ولعل معارضة أبو حنيفة لهذا الحكم وعدم إجازته قتل من سب النبى مسلماً أو ذمياً هى نتاج هذا التفريق بين الحالتيين. وأبو حنيفة معروف بدقة أحكامه وسعة أفقه فى الاجتهاد.

سلام بن أبى الحقيق:

كان من زعماء بنى النضير والتحق بعد إجلائهم بخيبر ليستمر في مناهضة المسلمين من هناك. وهو من المحرّضين الكبار الذيي عملوا على دفع قريش لشن هجومها الأخير على المدينة حيث وقعت معركة الخندق.. وكان قد ذهب في وفد يهودى إلى مكة لهذا الغرض. وبعد عودته وضعت خطة لتصفيته. ومصادر السيرة تفيد أن البادرة جاءت من الخزرج وأنها كانت بدافع المنافسة مع الأوس، خصوههم القدماء الذين حصلوا على شر ف اغتيال كعب بن الأشرف. لكن الفكرة لم تكن، مع صحة هذه المصادر، لتغيب عن النبى الذى سبق أتباعه إلى إدراك الفوائد المترتبة على مثل هذه العمليات. وقد اختار لهذه المهمة مجموعة من رجال الخزرج وأمرهم بالتوجه إلى خيبر. وفيما يلى تفاصيل العملية:

كان على المجموعة أن تدخل حصن خيبر ليلاً، حسب الخطة، فتقدم أحدهم ويدعى

(١) ج٢/ ١٢٢.ـ القاهرة ١٩١٤.

عبدالله بن عتيك أو ابن عُقبة من بوابة الحصن، وتظاهر بأنه يقضي حاجته خارج السور فصاح عليه البواب: إن كنت تريد أن تدخل فادخل أريد أن أغلق الباب. فدخل وكمن في معلف حمار قريباً من المدخل. وبعد أن دخل أهل الحصن في وقتهم المحدد دخل البواب وأغلق البواب وانتظر عبدالله في مكمنه حتى أقفر المدخل من الناس فقام وأخذ المفاتيح، وكان قد رأى أين علقها البواب، وفتح البوابة. وكانت المجموعة تنتظر خارج الحصن فدخلوا. وكان الغسق قد حل، فتوجهوا إلى دار ابن أبي الحقيق فدخلوها. وكانت الدار أشبه بمجمعة تحتوى على عدة بيوت. ولم تصف الرواية كيف استطاعوا دخولها لكنها تذكر أنهم أغلقوا أبواب البيوت على أهلها من برة. ثم اقتحموا المنزل الذى يقيم فيه ابن أبي الحقيق، والرواية هنا مبتسرة لا توضح كيف اقتحموا المنزل. وعلى أى حال فقد وصلوا إليه فوجدوه مع زوجته على فراشهما. وكان البيت مظلماً ولكي يميزوه عن زوجته نادى عليه أحدهم فأجابه فزعاً: من أنت، فهجم باتجاه الصوت وضربه ضربة عشوائية بالسيف لم تصبه. ونهضت امرأته في وجوههم فارتبكوا؛ لأن النبي أوصاهم أن لا يتسببوا في قتل امرأة أو طفل. غير أنهم استطاعوا أخيراً دفعها عنه وتناولوه بأسيافهم فأجهزوا عليه. وفي هذه الأثناء خرج أهل الحصن من بيوتهم على صراخ المرأة، فاختفى المنفذون في إحدى زوايا الحصن، فلم يعثر لهم على أثر لشدة الظلام. وعاد اليهود بعد أن يئسوا من العثور عليهم إلى زعيمهم فوجدوه قد مات، فانشغلوا به، وانتهزت المجموعة هذه الفرصة فتسللوا من الحصن.

إن اغتيال سلام بن أبي الحقيق يندمج في اغتيال كعب بن الأشرف ويحقق نفس الأهداف بالنظر للدور والمركز المتماثلين لكلا الزعيمين:

ابن سنينة:

هكذا ورد الاسم في المصادر. وكان من يهود بني حارثة. ولم تذكر له الرواية دوراً يتعدى هجاء النبي والمسلمين بالشعر. تولى اغتياله بأمر النبي شخص يدعى مَحيصة بن مسعود. وكان المقتول حليفاً لشقيقي القاتل وهو حُويصة بن مسعود. وقد اغتاله بحضور شقيقه دون علم مسبق منه. وكان حويصة مشركاً متنفذاً وقد اختار النبي أخاه محيصة لهذه المهمة وهو مسلم، بخلاف أخيه، لتفادي مشكلات الثأر.

اغتيل ابن سنينة بعد اغتيال كعب بن الأشرف. ويؤخذ من الرواية التي تناولت الحدث أنه

جاء في سياق التخويف لغيره لأن اليهود جاءوا بعد مقتله إلى محمد يشكون ما حدث فأجابهم: «إنه لو قر كما قد قر غيره ممن هو على مثل رأيه ما اغتيل. لكنه نال منا الأذى وهجانا بالشعر». وكلام النبى هنا واضح فقد اغتيل الرجل لأنه نشط فى المناهضة ولو سكت كما سكت غيره محتفظاً بوجهة نظره لسلم.

اغتيال امرأة:

ورد هذا الحدث فى روايتين مختلفتين كثيراً، إحداهما فى مصادر الحديث والأخرى فى مصادر السيرة. رواية مصادر الحديث أخرجها النسائى وأبو داود فى كتاب الحدود من سننهما وملخصها أن أعمى كانت له أم ولد (جارية ـ زوجة) وله منها ابنان وكانت تكثر الوقيعة بالنبى وتسبه وهو ينهاها ويزجرها فلا تنتهى. وذات ليلة ذكرت النبى وأخذت بشتمه فتناول مغولاً (سيف قصير دقيق) فوضعه فى بطنها ثم اتكأ عليه حتى قتلها. وجاء الأعمى إلى النبى وقال له: يا رسول الله أنا صاحبها، كانت أم ولدى وكانت بى لطيفة رفيقة ولى منها ابنان مثل اللؤلؤتين ولكنها كانت تكثر الوقيعة فيك وتشتمك فأنهاها فلا تنتهى وأزجرها فلا تنزجر. فلما كانت البارحة ذكرتك فوقعت فيك فقمت إلى المغول فوضعته فى بطنها فاتكأت عليها حتى قتلتها. فقال النبى «ألا اشهدوا أن دمها هدر». ولم تذكر الرواية اسمها.

رواية مصادر التاريخ تفيد أن المرأة هى عصماء بنت مروان وأنها كانت يهودية ولم تكن جارية بل زوجة رجل من بنى خَطْمة كانت تحرض على الاسلام وتهجو النبى بالشعر. فنذر صحابى دعى عُمير بن عدى الخَطْمى ـ من نفس عشيرة زوجها ـ أن يغتالها إذا رجع النبى سالماً من معركة بدر. فلما رجع جاءها ليلاً فدخل عليها وهى بين أولادها وكان أحدهم على صدرها ترضعه، وكان عمير أعمى، فتلمسها فوجد الرضيع فنحاه عنها ووضع سيفه فى صدرها حتى أنفذه من ظهرها. وعاد من الصبح وصلى مع النبى. ولما انتهت الصلاة نظر إليه النبى وقال: أقتلت ابنة مروان؟ قال: نعم يا رسول الله فقال: نصرت الله ورسوله يا عمير فقال: علىّ شىء من شأنها يا رسول الله؟ فقال: لا ينتطح فيها عنزان. وقال لأصحابه: إذا أحببتم أن تنظروا إلى رجل نصر الله ورسوله بالغيب فانظروا إلى عمير بن عدى.

ويصعب الجزم بأى الروايتين أصح. ولو أنهما تشتركان فى كون القاتل أعمى وفى أن المبادرة إلى الاغتيال جاءت منه ولم تكن أمراً من محمد، وأنه أ قرها بعد أن تمت. وربما

استنتجنا من قوله فى الرواية الثانية: أقتلت ابنة مروان؟ أن هناك أمراً ما، ما لم يكن هذا القول إضافة من الرواة للتدليل على معرفة النبى بالغيب. ويمكن ترجيح وجود أمر إذا أخذنا بما أوردته الرواية الثانية من كون القاتل من عشيرة زوجها لأن فيه تفادياً لمشكلات الثأر. وفى الروايتين إشكالات عسيرة الحل إذ يمكننا الارتياب فى صحةالثانية من الوصف المبسط للعملية الذى يبدو منه كأن المرأة كانت تمثالاً تجلس أمام الأعمى فى صمت وهو يلتقط المغول ويزيح رضيعها من على صدرها ثم يغرز المغول فيها ويتكىء عليها حتى تموت لكننا نجد هذا الأسلوب فى السرد شائعاً فى معظم روايات مصادر الحديث والكثير من روايات مصادر التاريخ العام. وهو ابتسار يكرس طبيعة النقل الشفوى للأخبار قبل مرحلة التدوين. ويتعذر علينا كذلك أن نعرف الصفة الحقيقية للمرأة، وهل كانت زوجة أم جارية؟ وهل هى يهودية؟ وما هو رد فعل زوجها إذا كان القاتل غيره؟ وماذا يدل عليه كون القاتل أعمى فى الروايتين؟ يضاف إلى ذلك تعارض هذا الفعل مع التشديد فى النهى عن قتل النساء. وقد رأينا كيف كادت خطة اغتيال ابن أبى الحقيق تفشل بسبب زوجته لأن المكلفين بذلك تحاشوا المساس بها التزاماً بوصية نبيهم. إننا مضطرون أمام هذه الإشكالات إلى التوقف بشأن الروايتين وعدم الجزم إن كان مثل هذا الحدث قد وقع فعلاً،ولو أن ورود الروايتين فى مصادر متعددة، مختلفة الاختصاصات ـ حديث، سيرة، تاريخ عام، تراجم، وأموال ـ يمنع من التشكيك الاعتباطى فيهما مع بقاء التفاصيل مجهولة فيما يتعلق بهوية المرأة ودورها فى الخصام إذا كان لنا أن نقبل المضمون الأولى للروايتين.

أبو عفك:

يهودى من بنى عمرو بن عوف، كان يحرض على محمد شأنه شأن غيره من كبراء اليهود فى يثرب، ولجأ فى ذلك إلى الشعر. وتقول الرواية إن صحابياً يدعى سالم بن عُمير الأنصارى عزم على اغتياله وأنه دبر الخطة بنفسه. وقد بقى يترصده حتى جاء الصيف حيث ينام الناس فى الأفنية. وفى إحدى الليالى كان أبو عفك ينام فى منازل عشيرته فتسلل إليه سالم وقتله بالمغول. وكان قد ناهز المئة والعشرين. وأقر النبى هذه العملية.

وكان اغتياله بين معركة بدر وأحد، وهى المدة التى اغتيل فيها أقرانه اليهود عدا ابن أبى الحقيق الذى اغتيل بعد معركة أحد.

توقفت الاغتيالات الموجهة ضد الشخصيات اليهودية بعد فتح خيبر الذى أعقب معركة الخندق، آخر معارك الاسلام ضد أهل مكة. وبفتح خيبر كانت المعارضة اليهودية قد صفيت حيث سبقه إجلاء بنى القينقاع والنضير وإبادة بنى قريظة وأصبح الخيبريون رعايا لمحمد بموجب عقد الذمة الذى أعقب اجتياح معقلهم الأخير.

اغتيال زعيم قبيلة:

وقع هذا الحدث بين معركتي بدر وأحد. وقد رواه الطبرى فى أحداث السنة العاشرة للهجرة من فصل عدّد فيه سرايا النبى، أى الحملات التى كان يوجهها لأهداف موصوفة. يدعى هذا الرجل خالد بن سفيان وهو من هذيل. وكان قد قرر تجميع قوة من عشيرته وغيرها لمهاجمة يثرب بعد معركة بدر. وقد يكون فعل ذلك بتحريض من قريش. ويبدو أن محمد وقف من طريق استخباراته على جدية هذا القرار. وقد نفذ هذه المهمة صحابى يدعى عبدالله بن أنيس كان ضمن المجموعة التى اغتالت كعب بن الأشرف. وحسب رواية هذا الصحابى نفسه أن النبى دعاه وأبلغه أن خالد بن سفيان يجمع الناس ليغزو المدينة، وأمره أن يذهب إليه ليقتله. وتوجه إليه بعد أن عين النبى أوصافه حتى يستطيع تشخيصه، إذ لم يكن قد رآه من قبل، ووصل قبل الأصيل فرآه يمشي مع نساء كان يبحث لهن عن منزل. ويظهر من الرواية أنه كان بعيداً عن الحي. فسلم عليه فرد عليه السلام ثم سأله من الرجل؟ فقال: رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل ـ يعنى محمد ـ فجاءك لذلك. فرد خالد، أجل أنا فى ذلك. فتمشى معه قليلاً يحادثه فى هذا الشأن فلما وجد منه غفلة عاجله بضربةمن سيفه فأرداه. وعاد إلى نبيه ليخبره بإتمام المهمة فكافأه بعصا لتكون وسيلة تعرّف بينهما يوم القيامة. وباغتيال خالد بن سفيان فشلت خطة الهجوم.

يلاحظ أن اغتيال هذا الزعيم تم بسهولة لأنه كان يتحرك على طريقة البدو، بلا حرس ولا أركان حرب. ولم يتطلب الأمر خطة معقدة كالتى اقتضاها اغتيال كعب بن الأشرف ـ التاجر والمتحصن فى قلعة. ويرجع تأثيرهاالحاسم فى إفشال الهجوم إلى أنه كان قراراً منفرداً ومرتهناً بشخص القتيل، فانتهى بانتهائه. وكان محمد حين قرر اغتياله ملماً بهذه الحقائق جيداً لأنه كان يعتمد على جهاز رصد كفؤ.

اغتيال زعيم قبيلة آخر:

في سيرة ابن هشام وتاريخ الطبري أن زعيماً لقبائل قيس يدعى رفاعة بن قيس الجُشَمي كان يجمع قيساً لحرب رسول الله. فوجه إليه ثلاثة فدائيين ذكر منهم عبدالله بن أبي حَدْرَد فكمنوا له. ورماه ابن أبي حدرد بسهم فقتله وجاء برأسه إلى النبي.

أورد هذا الخبر أيضاً ابن حبيب في «أسماء المغتالين من الأشراف» ويختلف الرواة في اسم المغدور إذ يرد أحياناً قيس بن رفاعة.

ويمكن الشك في قطع رأسه لأنه يفترض وقتاً طويلاً للعملية مع انفراد المقتول عن أصحابه، مما يتعارض مع خطة العملية التي اعتمدت على كمين متحرك. كذلك يتعارض حمل الرأس مع حكم، شرعي ينهى عنه لأنه من باب المُثلة (التمثيل بالجثث) لكن ثمة حاجة قد تكون دعت إليه لإثبات نجاح العملية. وكما بينت فمؤسس الاسلام لم يتقيد بالأحكام الشرعية إذا تعارضت مع مخططاته.

اغتيال عبهلة، الأسود العنسي:

كان عبهلة (أو عيهلة) من زعماء الردة وقد تحرك باليمن في أواخر حياة محمد وسيطر على معظم أنحائها وامتد نفوذه إلى أجزاء واسعة من الجزيرة تصل حتى الخليج وكانت حركته من مستوى حركة مسيلمة (الكذاب) في اليمامة من حيث قوتها وخطورتها.

كان من المعتاد أن يعالج محمد مثل هذه التحركات بالمجابهة الحربية لا سيما بعد أن صار هو القوة الأولى في الجزيرة منذ صلح الحديبية. وهو السبب في أننا لا نجد عمليات اغتيال في هذه المرحلة. لكن طبيعة تحرك عبهلة فرضت على محمد مجابهة من طراز خاص تنطلق من خطة اغتيال تأتي في سياق عمل منظم لسحق الحركة بأقل قدر من التكاليف. وكانت هذه الخطة من أعقد مخططات الاغتيال السياسي التي أوعز بها النبي محمد وأشدها إثارة. وفيما يلي تفاصيل العملية كما وردت في تواريخ الطبري وابن الأثير واليعقوبي وفتوح البلدان للبلاذري.

كان محمد قد أصدر بنفسه قرار الاغتيال وكلف به جماعة من أهل اليمن واستغرقت العملية وقتاً أطول من أي عملية سابقة بحيث لم تتم إلا والنبي على فراش الموت.

نهض بالمهمة إلى جانب الأشخاص الذين كلفهم محمد، جماعة أخرى مؤثرة من أهل اليمن بينهم القائد العام لجيش عبهلة قيس بن عبد يغوث، الذى قدم تسهيلات بهذا الشأن بعد اختلافه مع نبيه، وقد تصدر التنفيذ زعماء «الأبناء» وهم من الفرس الذين استوطنوا اليمن بعد جلاء الأحباش عنها وكان لهم نفوذ سياسى كبير إلى جانب أقيالها. وكان هؤلاء قد ناهضوا حركة عبهلة وخاضوا ضده معركة خاسرة انتهت بقتل قائدهم المسمى «شهر» واستيلاء عبهلة على زوجته «آزاد». وتم التنسيق على المستوى الأبعد للخطة مع غير المرتدين من أهل صنعاء على أن يتحركوا إذا سمعوا الأذان من داخل قصر عبهلة.

كانت العقدة الأساسية فى الخطة هى كيفية الوصول إلى عبهلة لأنه كان يقيم فى قصر محصن ومحاط بحرس شداد لا يفارقونه ليلاً ولا نهاراً. وقد تولى حل العقدة آزاد، الزوجة المغصوبة التى عزمت على الثأر لزوجها. فدلت ابن عم لها يدعى فيروز كان من عناصر التنفيذ، على مكان خلفى فى القصر يكون وراء الحرس ويؤدى رأساً إلى غرفة نوم عبهلة. وفى ليلة متفق عليها مع آزاد جاء فيروز ومعه فارسيان آخران أحدهما يدعى داوذويه والآخر قيس بن جَشيش الديلمى ونقبوا القصر من المكان الذى عينته آزاد. ودخلوا عليه والحرس لا يشعر لأنه كان يقف خارج الحجرة، وباغتوه بسيوفهم فأجهزوا عليه. وتقول الرواية إن الحرس سمعوا صوته لحظة ضربه فنادوا على آزاد فقالت لهم: النبى يوحى إليه. . وكان قد عرف عند العرب من الأخبار التى تحدثت عن كيفية نزول الوحى على محمد ما يحدث له أثناءه من الرعدة والغيبوبة. وبقى الحرس فى مكانهم خارج الغرفة والمجموعة مع آزاد فى داخلها وعبهلة قتيل بينهم حتى الصباح. وكانوا قد رتبوا من يرفع الأذان من داخل القصر عند الصبح. وعلى صوت المؤذن تحرك مسلمو صنعاء وهجموا على القصر، وتحرك الحرس من جانبهم فخرجت إليهم المجموعة من غرفة عبهلة وألقت إليهم برأسه مقطوعاً، فأرتبكوا واختلت صفوفهم، مما سهل على المهاجمين احتلال القصر. وهرب جنود عبهلة إلى خارج صنعاء.

تشتمل عملية اغتيال الأسود العنسى على جملة عناصر ومدلولات تتميز بها عن سائر العمليات المماثلة فى تاريخ السيرة نستخلصها فيما يلى:

١- إنها كما قلنا فى البدء ليست عملية اغتيال فردى بحت، لأنها جاءت كجزء/ أساسى/ من خطة انقلابية لنسف الحركة من الداخل. وكما بينا فإن قادة العملية نظموا مسلمى صنعاء

للهجوم على القصر عند سماع الأذان، الذى قام هنا بدور كلمة السر التى أعلنت ساعة الصفر، مع ما فى رفع الأذان المحمدى من قصر عبهلة من إرباك لأتباعه.

٢ـ إن اغتيال عبهلة قد حسم الوضع لصالح محمد. ولكن هذا لم يتم إلا بالارتباط مع المخطط الانقلابى فى جملته. وقد أدى الاغتيال بدوره إلى نجاح الانقلاب بسرعة وبأقل كلفة مما أغنى عن حروب طويلة كانت ستكلف ما كلفه القضاء على حركة مسيلمة من ثمن باهظ، لا سيما وأن عبهلة أثبت أنه يتمتع بقدرات كبيرة لعلها هى التى أطمعته أن يضع نفسه نداً لمحمد، شأن نظيره مسيلمة.

٣ـ وهنا لابد من التنويه بأن مبادرة كالتى قام عبهلة كان يمكن أن تثمر لو توفر لها مقومان: أحدهما منهاج محدد، مقترن بايديولوجيا واضحة المعالم، كالذى كان لدى محمد. والثانى لو أنها ظهرت فى أوانها. إذ من الواضح أن عبهلة جاءمتأخراً، كما هو حال مسيلمة، بعد أن تهيأ لمحمد أن ينجز ما كانت المرحلة التاريخية فى جزيرة العرب وعموم المنطقة تريد أن ينجز على يد نبى ما.

وفى ظرف كهذا تميل فيه عوامل النصر الموضوعية مع محمد، فإن تحركاً كبيراً كتحرك عبهلة بدا مع تنفيذ ذكي وجرىء لخطة اغتيال أشبه بحدث عابر سرعان ما تلاشى على صوت المؤذن. ويؤدى الاغتيال هنا، ضمن ظروفه المادية وما ارتبط به من مخطط شامل، إلى نتائج بعيدةلا يؤديها الاغتيال الفردى.

٤ـ قامت بشوط كبير فى إنجاح عملية الاغتيال زوجة عبهلة المغصوبة آزاد. والمسؤولية هنا تقع على عبهلة نفسه لأنه خاطر بالزواج من امرأة قتل زوجها. ولابد أن جمال آزاد الفتاة الفارسية، قد أنساه مرتكسات مثل هذا التصرف. إن آزاد هى التى جعلت تنفيذ الخطة ممكناً، ولولاها لكانت شبه مستحيلة، مع الوضع الحصين الذى رتبه عبهلة لنفسه، ولكان على خليفة محمد أن يجهز جيشاً كالذى جهزه لحرب مسيلمة للقضاء على هذه الحركة.

من المفيد أن نذكر هنا أن حالة آزاد قد سبقتها حالة مماثلة لكنها لم تؤد إلى النتيجة نفسها. فقد سبق لمحمد أن أقدم على نفس المخاطرة حين تزوج من صفية بنت حُيَيّ بن أخطب أحد زعماء خيبر. وكانت صفية متزوجة من زعيم يهودى من بنى النضير هو كنانة بن الربيع، الذى التجأ إلى خيبر بعد إجلاء عشيرته عن يثرب. وقد قتل أبوها وزوجها فى معركة فتح خيبر التى

قادها على بن أبى طالب وأشرف عليها محمد بنفسه. وأسرت صفية فتزوجها محمد. وتنقل مصادر السيرة عن صفية أنها كانت تكره محمد أشد الكره، وهو أمر طبيعى، لكن المصادر تضيف أنها قالت إن الله أدخل حبه فى قلبها بعد ذلك. ومن المرجح أنها لم تكن صادقة فى هذا القول. ويخبرنا «ابن سيد الناس» فى سيرته المشهورة «عيون الأثر» أن تقريراً رفع إلى عمر بن الخطاب بأن أم المؤمنين صفية تحب السبت وتتصل باليهود سراً. فاستجوبها عمر فأنكرت حبها للسبت واعترفت باتصالها باليهود قائلة بأن لها أقرباء فيهم فهى تبرّهم. وقبل منها عمر وأغلق القضية. ولم يكن له بد من ذلك لأنها من «أمهات المؤمنين» فلا سبيل له عليها، فضلاً عن أن اليهود لم يعودوا فى زمان عمر قوة يؤبه بها حتى يقلقه اتصال صفية بهم.

المهم فى هذه الحالة أن صفية كان يمكن أن تلعب مع محمد نفس الدور الذى لعبته آزاد مع عبهلة لو أن محمد كان قد وقع فى وضع مماثل. لكن الانتصارات الساحقة التى أحرزها مؤسس الاسلام منطلقاً من قاعدته التاريخية الراسخة قد نجته من عواقب هذا الزواج الخطر.

خطة فاشلة لاغتيال أبو سفيان:

بعد معركة بدر، التى قتل فيها نفر هام من زعماء قريش، تركزت قيادة أهل مكة فى يد أبو سفيان، شيخ الأمويين. وكان أبو سفيان هو منظم وقائد حملتى أحد والخندق ووراء جميع النشاطات المعادية التى قام بها المكيون حتى فتح مكة، وكان من المنتظر أن يدرج فى قائمة الاغتيالات. لكن الأمر لم يكن سهلاً، لسببين أولهما طول المسافة بين مكة ويثرب، وبالتالى عدم ضمان خط انسحاب لمجموعة تكلف بهذه العملية، لا سيما وأن قريش كانت تسيطر على معظم الطريق بين المدينتين. الثانى، وهو الأهم، صعوبة توفير مكمن فى مكة تتحرك منه المجموعة، لأنها كانت خالية من المسلمين.

لكن هذه الصعوبات لم تمنع محمد من المحاولة، وقد وردت تفاصيل ذلك فى الطبرى وابن الأثير - حوادث سنة ٤ - وتقول الرواية إن النبى اختار لهذا الغرض «فاتكاً متشيطناً» يدعى عمرو بن أمية الضَمَرى، دخل فى الاسلام بعد أن شارك مع قريش فى معركتى بدر وأحد. ولعله كان بانتظار اسلام مغامر كهذا ليجرب حظه مع أبو سفيان. وقد بعث معه رجلاً من الأنصار. وخرج الرجلان إلى مكة فدخلاها فى الليل، وهو الوقت الذى تمت فيه المهام الأخرى. وكان أهل مكة يرشون أفنيتهم فى المساء ويجلسون فيها للسمر. وفى طريقهما إلى

منزل أبو سفيان، مر عمرو وصاحبه بجماعة جالسين في فناء. فأصبروا عمرو، وكان معروفاً لديهم لشهرته، فصرخوا: هذا عمرو بن أمية، فاهتاج أهل مكة وأدركوا أنه لم يأت إليهم إلا لغرض شرير. وكان عمرو يعرف دروب البلد فاستطاع الإفلات مع صاحبه في جنح الظلام.وعاد إلى المدينة وقد سلم أبو سفيان. ولم تكرر المحاولة. ولا شك في أن محمد كان مدركاً لصعوبتها وهو عندما اختار فاتكاً كعمرو بن أمية الضمر قد فعل غاية ما في الإمكان، ولم يكن ميسوراً لغير هذا الرجل أن يوفق فيما فشل هو فيه. ومن الجدير بالذكر في هذه المناسبة أن شخصية عمرو بن أمية الضمرى دخلت في الحكايات الشعبية التي تناولت بعض أحداث الفتوحات. وقد أخذت في هذه الحكايات نفس منحاها التاريخي. ولو أن عمرو في الحكايات الشعبية، خلافاً له في مصادر التاريخ، لا يمكن أن يفشل في مهمة!

* * *

تنتهي إلى هنا قصة الاغتيالات في العهد النبوى.. وسوف نتناول فيما بعد قصتها في خلافة الراشدين.. وقبل أن نترك هذا الفصل يلزمنا إيراد بعض الملاحظات الضرورية:

١ـ إن محمد مارس هذا التكتيك كما قلنا في تعارض مع الحكم الشرعي الذى ثبته بنفسه. وهو بذلك يكرس تصوره الخاص للدائرة التي يمكن لهذا الحكم أن يتحقق فيها ـ حيث نجده يمارس الاغتيال في دائرة الصراع السياسي المسلح وبقدر ملموس من الذرائعية.

٢ـ إن الاغتيالات التي نفذت في عهد النبوة محدودة عددياً ومحصورة زمنياً.. وضمن هذه الحدود أعطى تكتيك الاغتيال نتائج ذات مفعول بالنسبة لمسيرة الثورة المحمدية.

٣ـ إن الأطراف التي وجهت ضدها الاغتيالات هي أطراف معسكر العدو الذى كان يضم المشركين واليهود. ويرتبط اغتيال الشخصيات اليهودية الخمس أو الأربع بالأدوار الخطرة التي لعبتها الجماعات اليهودية في يثرب ضد محمد وهو في أحرج أوضاعه. وقد أعطته الاغتيالات ورقة رابحة رجحت كفته عليهم وحدّت نشاطهم المناوىء.

وكما بينت، فقد توقفت الاغتيالات ضد اليهود بعد تصفية المعارضة اليهودية. وتحتوى مصادر الحديث والفقه والتفسير على وقائع كثيرة، عولجت كسوابق فقهية، كان أشخاصها من يهود المدينة، منها رواية تقول إن النبي كان إذا وزع الخمس يقول: «ابدأوا بجارنا اليهودى».

فى الخلافة الراشدية

وقعت فى خلافة الراشدين أربعة حوادث اغتيال طالت خليفتين وصحابياً كبيراً وقائداً شيعياً. وقد جاءت هذه الحوادث فى مجرى الصراع السياسى الذى انفجر بين المسلمين لحظة وفاة النبى، واستمر متفاقماً حتى تأوّج بالحرب الأهلية التى بدأت بالانتفاض المسلح ضد عثمان ثم تواصلت فى خلافة على لتنتهى بإنهيار دولة المدينة ـ حكومة الخلفاء الراشدين وتأسيس الامبراطورية الأموية.

نفذت ثلاثة من الاغتيالات بأيدى اسلامية وواحدة بيد أجنبية. وجرت ثلاثة منها فى العلن كعملية اغتيال مكشوفة، وواحدة منها سراً. لكن إحدى العمليات، هى التى طالت الخليفة الثانى، اشتملت على احتمالات عنصر سرى يكمن خلف التنفيذ المكشوف للاغتيال.

اغتيال سعد بن عبادة:

هو زعيم الخزرج وأحد النقباء فى بيعة العقبة التى مهدت لهجرة محمد إلى يثرب. عرف فى الجاهلية بسمو أخلاقه وتعدد كفاءاته فلقب بالكامل. وينقل ابن عساكر(١) عن الواقدى أن النبى قال بسببه كلمته المشهورة: «خيار الناس فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام إذا فقهوا فى الدين». وكان هو قائد الأنصار فى حروب الاسلام على عهد النبى وسلك حينذاك سلوك رجل متعفف عن الغنائم. كما يتولى حماية المدينة أثناء الحروب التى كان النبى يقودها بنفسه.

وكان سعد بن عبادة يتمسك بزعامة الأنصار ويعارض قريش. وقد أخرج البخارى(٢) أنه هتف يوم فتح مكة وفى يده راية الأنصار بسقوط الكعبة ـ كرمز لسيادة قريش ـ فشكاه أبو سفيان للنبى فقال: كذب سعد هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة. ثم أوعز بنزع الراية منه وتسليمها إلى ولده قيس فى رواية أو إلى على بن أبى طالب فى رواية أخرى.

من هذا الموقع رشح سعد نفسه للخلافة يوم السقيفة. لكنه لم يحصل على إجماع الأوس، خصوم الخزرج التقليديين، مما رجح عليه كفة أبو بكر، الذى أيدته قريش ومعظم الأوس.

---

(١) تهذيب تاريخ دمشق الكبير. بيروت ١٩٧٩ ج٦/ ٩٠ فى ترجمة سعد بن عبادة.
(٢) الصحيح ج٥ ص١٤٧ باب غزوة الفتح.

على أن سعد لم يقر بالهزيمة، وأصر على عدم الإقرار باستخلاف أبو بكر. وبسبب ذلك اختار العزلة فلم يشارك في نشاطات الخلافة في الداخل ولا في الفتوحات. وكان لا يحضر حتى الصلاة في المسجد وانما يصلي في بيته. ويبدو أنه لبث يتحين الفرص لمغادرة المدينة، فلما فتحت بلاد الشام هاجر إليها وأقام في حوران. لكنه لم يعش طويلاً. فقد مات في ظروف غامضة سنة ١٤ للهجرة. وقد وردت في موته أخبار نستعرضها فيما يلي:

ـ رواية ابن عساكر عن النَضْر بن شُميل وهي موجزة تذكر بأنه بال قائماً فمات، فسُمع قائل يقول[١]:

نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة

ورميناه بسهمين فلم نُخْطِ فؤاده

ـ ثلاث روايات أوردها صاحب العقد الفريد[٢] إحداها عن هشام الكلبي وتفيد أن عمر بن الخطاب بعث رجلاً إلى الشام فقال له ادعه إلى البيعة، واحمل له بكل ما قدرت عليه فإن أبى فاستعن الله عليه. فقدم الرجل إلى الشام فلقيه بحوران في حائط (بستان) فدعاه إلى البيعة فقال له: لا أبايع قرشياً أبداً. قال: فإني أقاتلك قال: وإن قاتلتني. قال: أفخارج أنت مما دخلت فيه الأمة؟ قال: أما من البيعة فأنا خارج. فرماه بسهم فقتله.

الثانية عن ميمون بن مهران، وتفيد أن سعد بن عُبادة رُمي في حمّام بالشام فقتل، ولا تزيد عليه شيئاً.

الثالثة عن ابن سيرين وفيها أن سعد بن عبادة رمي بسهم فمات فقالت: قتلته الجن.

وقتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة

ورميناه بسهمين فلم نخطيء فؤاده

ـ رواية في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد[٣] تقول ان سعد بن عبادة خرج إلى حوران فمات بها. واستطرد:فقيل قتلته الجن لأنه بال قائماً في الصحراء ليلاً. ثم أورد البيتين المنسوبين إلى الجن في نص مطابق لنص ابن عساكر. لكن ابن أبي الحديد يعود فينقل رواية

(١) تهذيب تاريخ دمشق ٦/ ٩٣.
(٢) ط ـ القاهرة ١٩٦٢ ج٤/ ٢٦٠ كتاب العسجدة الثانية.
(٣) ٣/ ٥٤٠.

تقول ان أمير الشام يومئذ أكمن له من رماه ليلاً وهو خارج إلى الصحراء بسهمين فقتله لخروجه عن طاعة الإمام، أى الخليفة. وأردف هذه الرواية بأيات قال إنها لبعض المتأخرين تضمنت إشارات صريحة عن ملابسات مقتل ابن عبادة سنرويها للقراء بعد قليل.

تتفق هذه الروايات في جملتها على أن سعد بن عبادة مات ميتة غامضة. ويمكننا أن نستبعد منها الرواية التى تقول إنه قتل مباشرة بأمر عمر بن الخطاب، لأن قتل زعيم الخزرج وقائد الأنصار وأحد نقباء بيعة العقبة على المكشوف تهور لا يقدم عليه سياسى محنك كعمر بنت الخطاب. ولعله كان سيثير فتنة تعيد إلى ذاكرة الخليفة أحداث الردة القريبة. ولا مفر بالتالى من قبول الروايات التى تحدثت عن الاغتيال. ومما يلفت النظر هنا دور الجن فى العملية وتفسيره بأن سعد بال قائماً. والتبول قياماً مكروه في الشريعة، قد يكون سبباً فى التعرض لعقوبة خفية، مما يمكن أن يكون قد جرى توظيفه هنا لإعطاء سبب غيبى للموت. والوعى الدينى لا يستكثر مثل هذا الإسراف في العقوبة، المتضمّن فى قتل قائد إسلامى كبير سلفت له أيادى جليلة على الإسلام بسبب مخالفة بسيطة. أما قتله على يد الجن فيفهم منه أن هؤلاء الجن كانوا من المسلمين ـ والجن كالإنس فيهم المسلم وفيهم الكافر ـ وأنهم تولوا قتل الصحابى غيرة على الدين لأنه خالف الشرع بتبوله قائماً. هذا مع ما فى القول بأن سعد بال قائماً فقتلته الجن، أو مات ميتة خفية من تصغير لشأنه فى عيون المؤمنين.

نأتى الآن إلى الأبيات التى أوردها ابن أبى الحديد لبعض المتأخرين وهذا نصها:

يقولون سعد شكّت الجن قلبه	الا ربما صححت دينك بالغدرِ
وما ذنب سعد أنه بال قائماً	ولكن سعدا لم يبايع أبا بكر
وقد صبرت عن لذة العيش أنفس	وما صبرت عن لذة النهى والأمر

إن قائل هذا الشعر لم يستوعب كيف يصح للجن أن تقتل رجلاً كسعد بن عبادة لمجرد أنه بال قائماً، وهو بالتالى يضع الحادث على ملاك الغدر ـ الاغتيال، مصرحاً بالسبب وهو موقف سعد من خلافة قريش متمثلاً فى رفضه مبايعة أبو بكر. وقد عزز الشاعر استنتاجه بالكلام عن شدة إغراء السلطة، الذى يضعف أمامه حتى الزهاد القادرين على ترويض أنفسهم للصبر عن متع الحياة. ومن الواضح أنه يلمح بذلك إلى عمر وأبو بكر اللذين عرفا بالزهد وبساطة العيش قبل الخلافة وفى أثنائها.

هذه الأبيات تعطى تفسيراً يمكن أن يكون سليماً لجمل ما حدث بشأن سعد بن عبادة. وقائلها قريب العهد بالحادث. وهى من جهتها شاهد على وعى سياسى قادر على أن يخر ق حجاب العقائد الشعبية ليطل منها على أسرار السياسة.

ونحن نميل إلى القبول بهذا التفسير ونعتقد أن اغتيال سعد تم بتدبير عمر بن الخطاب وأن الباعث عليه هو إصراره على عدم الإقرار بخلافة قريش وإباؤه أن يبايع للخليفتين حتى بعد أن بايع الهاشميون بصدارة على بن أبى طالب، صاحب الحق الأكثر رجحاناً من سعد فى خلافة محمد.. ومع أن عمر لم يكن ليجهل أن زعيم الخزرج غير قادر على تغيير مجرى الخلافة فمن المحتمل أنه كان يخشى من تأثيره على الأنصار، وربما على غيرهم من المسلمين. وهناك ما يشير إلى أن نواياه المعادية للخليفتين قد تجاوزت الأنصار فعلاً. وقد اتضحت هذه الحقيقة فى وقت لاحق حين انضم ولده قيس، الذى ورث الكثير من سجايا والده، إلى على بن أبى طالب وكان من أشد أنصاره حماساً ضد الأمويين إلى حد أنه امتنع عن مبايعة معاوية بن أبى سفيان بعد انتزاعه الخلافة من الحسن بن على حتى بعد أن بايعه الحسن نفسه..

إن مصرع سعد بن عبادة هو أول حدث من نوعه فى تاريخ الاسلام يقتل فيه مسلم على يد رفاقه أنفسهم، وهذا الحدث يجرى من جهته على سنن شائعة فى الحركات السياسية المسلحة بعد انتصارها. فهذه الحركات قلما تخلو بعد وصولها إلى السلطة من مصائر مأساوية يذهب ضحيتها بعض قادتها الذين يشاء سوء حظهم أن لا يتمتعوا بثمار انتصارهم.

اغتيال عمر بن الخطاب:

اغتيل عمر بن الخطاب على يد فيروز الديلمى المكنى أبو لؤلؤة. وكان عبداً للمغيرة بن شعبة الثقفى. وقد جرى اغتياله وهو يؤدى صلاة الصبح. وكانت العملية سهلة لم تتطلب خطة معقدة كالتى اضطر إليها المسلمون لتنفيذ الاغتيالات التى أمر بها النبى. وسبب هذا أن عمر كان بلا حرس لأنه، شأن صاحبيه أبو بكر وعلى، لم يكن يرتاح لمظاهر السلطة ويعتبرها من قبيل أعمال كسرى وقيصر ـ طغاة ذلك الزمان فى عيون العرب. وقد دخل أبو لؤلؤة مع جمهور المصلين إلى المسجد رغم أنه لم يكن مسلماً، دون أن يعترض عليه أحد. وكان يخفى خنجراً له رأسان فلما تقدم عمر صفوف المصلين اتجه إليه أبو لؤلؤة وطعنه ست طعنات، أو ثلاث بحسب اختلاف الروايات، كانت إحداها تحت سرته وهى التى قتلته. ويستدل من ذلك

أنه لم يطعنه من الخلف وإنما دغره من الأمام، مما يدل فى حد ذاته على سهولة العملية، الناتجة كما قلنا من انعدام مظاهر الحماية فى أيام عمر.

من هو قاتل عمر؟ وأية حالة طمّنها رحيله؟

المعروف أنّ الباعث على اغتيال عمر كان هو الانتقام لهزيمة الفرس وانهيار امبراطوريتهم. وهو ما حرك أبو لؤلؤة للقيام بهذه المغامرة. ويذكر عن هذا الفدائى المجوسى أنه كان يقول: أكل عمر كبدى. ولعله كان يقولها حقاً، إذا لم نشأ أن نتجاهل رد الفعل الطبيعى الناتج عن الأحاسيس القومية.

ومما أثار حفيظة أبو لؤلؤة ومن على شاكلته من الفرس أكثر، هو أنّ الفتوحات الإسلامية لم تخرج، رغم نتائجها التاريخية الهائلة، عن ناموس الفتوحات والحروب القديمة القائمة على جمع الغنائم واسترقاق الأسرى بما في ذلك نساء المقاتلين وأطفالهم. ولقد قيل أن أبو لؤلؤة كان إذا رأى سبايا بنى قومه فى المدينة يمسح على رؤوس الأطفال ويبكى.

لكن هل كان اغتيال عمر مجرد رد فعل فارسى؟

كانت قريش هى الارستقراطية الأغنى والأكثر نفوذا في بلاد العرب. ومع أنها حاربت الإسلام في البداية فسرعان ما انضوت تحت لوائه لكى تتصدر العرب المسلمين كما تصدرت العرب الجاهليين. وبالطبع فقد أصبحت قريش بعد الاسلام أغنى وأقوى منها فى الجاهلية كما اتسعت قاعدتها العددية، كطبقة اجتماعية بالعناصر الارستقراطية الجديدة التى تكونت مع الفتوحات وتدامجت معها في موقع اجتماعي واحد دون أن تكون بالضرورة من قريش.

وقد ساهم عمر بنفسه فى نمو هذه الفئة، وذلك عن طريق سياسته فى العطاء (التخصصيات المالية) وكان عمر بعد أن تدفقت عليه أموال الفتح قد اتبع قاعدة فى العطاء تقضى بتفضيل المسلمين الأولين ـ ومعظمهم من قريش ـ وأقرباء النبى من قريش أيضاً من حيث مقادير الأموال التى تدفع لهم. وقد تكدست لديهم بسبب ذلك مبالغ طائلة أضيفت لدى أكثرهم إلى ثروته السابقة من التجارة. ورغم أن هذا المبدأ حرم من العطاء عدداً من زعماء قريش الذين أسلموا متأخرين ـ بعد فتح مكة، فإن نفوذ هؤلاء استمر فى أبنائهم وأقاربهم الذين سبقوهم إلى الاسلام فشملهم التفضيل. وقد استند عمر بهذه السياسة إلى

منطق «حزبى» عبر عنه بقوله[١]: «لا أجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه» صادرا في ذلك عن نهج شبه سائد في الحركات السياسية التى تصل إلى السلطة فيستأثر قادتها وكوادرها بامتيازات مخصوصة.

غير أن عمر لم يكن على وفاق تام مع هذه الفئة. ورغم أنه كان من قريش ومتمسكاً بزعامتها للعرب فقد صدر منه ما ينم عن عدم انسجام مع النزعات المعروفة لهذه القبيلة الارستقراطية. ويورد الطبرى كلاماً له يحذر فيه من فتيان قريش وذوى الأرومة النبيلة فيها يدل على معرفة جيدة بشخصية التاجر الذى يجمع بين احتياز الثروة والجاه[٢]. ولهذا الاتجاه لدى عمر أصول اجتماعية وقبلية، فعشيرة عمر (بنوعدى) لم تكن ذات وجاهة أو ثروة قبل الاسلام. ويقول أبو حيان التوحيدى عن عمر نفسه إنه كان يشتغل دلالاً في السوق[٣]. وهى حرفة غير محترمة كثيراً عند العرب حتى الوقت الحاضر. وما يقال عن عمر أنه كان يَسفُر، يتوسط، فى الخصومات بين قريش فمرجعه ليس إلى مكانته بل إلى كفاءته الشخصية.

ويبدو أن معايير عمر «الحزبية» والدينية لم تمنعه من الوقوع فى تناقض مع أولئك الناس الذين فضلهم بالعطاء بتأثير واحد من هذه المعايير. ولدينا روايات تحدثت عن نوايا مستجدة لديه بشأن الأموال تمس علاقته بهذه الفئة على نحو خطير. ونستعرضها فيما يلى:

الأولى فى كتاب الخراج لأبو يوسف وفيها يقول عمر[٤]: «لئن عشت إلى هذه الليلة من

---

(١) الخراج، أبو يوسف، ط. السلفية ـ القاهرة ١٣٥٢هـ ص٤٣ فصل كيف فرض عمر لأصحاب رسول الله.

(٢) التاريخ ط ـ الاستقامة، القاهرة ١٩٣٩ ج٣/٤٢٧ باب مقتل عثمان. نص الكلام: «احذروا فتى قريش وابن كريمها، الذى لاينام إلا على الرضا، ويضحك عند الغضب، وهو يتناول من فوقه ومن تحته».

(٣) البصائر والذخائر. دمشق ١٩٦٦ ج٢ ق٢ ص٤١. وفى «الأمتاع والمؤانسة» يورد أبو حيان كلاماً لعمر بن العاص يقول فيه: «لعن الله زماناً عملنا فيه لابن الخطاب. لقد رأيته وأباه وأنهما لفى شملة ماتوارى ارساغهما وأن العاص بن وائل (والد المتكلم) لفى مقطعات الديباج مزررة بالذهب. ط بيروت بلا تاريخ ج٢/٩٥.

انظر أيضاً شرح النهج م١ ص٨٥ى وعبارة عمرو فيه: «لعن الله زماناً صرت فيه عاملاً لعمر. والله لقد رأيت عمر وأباه وعلى كل واحد منهما عباءة قطوانية لاتجاوز مأبض ركبته وعلى عنقه حزمة حطب. والعاص بن وائل فى مزررات الديباج».. وينبغى أن يكون هذا النص أقرب إلى الأصل لأن التوحيدى يعيد صياغة مروياته بأسلوبه ولا يتقيد بالنص الذى ينقله.

(٤) ص٤٦ فصل كيف فرض عمر لأصحاب رسول الله. أيضاً طبقات ابن سعد ج٢ ق٢ ص٢١٧.

قابل لألحقن آخر الناس بأولاهم حتى يكونوا فى العطاء سواء» ويفهم الثالثة فى تاريخ الطبرى وفيها يقول[١]: «لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين». ويفهم من قوله: «لو استقبلت ما استدبرت» إنه صرح به فى عامه الأخير. والأغنياء المقصودون هم الذين استفادوا من التوزيع المتحيز والمستفدين من عوائد الفتوحات. وكان بينهم تجار المسلمين من قريش وهم فريقين: المسلمين الأول كعثمان بن عفان ومسلمى الفتح. أما فقراء المهاجرين فهم فقراء المدن الذين هاجروا إليها من البوادى والأرياف بموجب نظام الهجرة الذى أشرنا إليه سابقاً.

إن الروايات الثلاثة متكاملة فى محتوياتها بشكل يبعث ـ مع ورودها عن رواة متفرقين لا يصدق عليهم وصف التواطؤ ـ على تعزيز الثقة بصحتها. وهى تشكل بما تضمنته من نوايا معلنة بشأن الأموال موقفاً جديداً موجهاً ضد الارستقراطية القديمة ـ الجديدة التى ساهم عمر نفسه فى بلورتها وترسيخ موقعها الاقتصادى. ويتمتع بأهمية دالة فى هذا الصدد، إجراء سبق لعمر أن اتخذه بحق القرشيين الذين اختصهم بأفضلية العطاء سبب فى حينه صراعاً خفياً بينهم وبين الخليفة. ولنترك للطبرى تفسير ذلك..

ـ عن الحسن البصرى[٢]: كان عمر قد حجر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج (من المدينة إلى الأمصار) إلا بإذن وأجل (سفر مؤقت).

ـ عن الشعبى[٣]: لم يمت عمر حتى ملته قريش. وقد كان حصرهم فى المدينة وقال إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة انتشاركم فى البلاد.

ويضيف الشعبى أن بعضهم كان يستأذنه فى الخروج إلى الجهاد فيقول له قد جاهدت مع النبى وهذا يكفيك. وخير لك من الجهاد اليوم أن لا ترى الدنيا ولاتراك..

ويقول الشعبى فى نفس الرواية إن عثمان رفع الحجر عن قريش فتنقلوا فى البلاد فكان أحب إليهم من عمر. وهو ما تؤكده الرواية التالية:

---

(١) حوادث ٢٣. مقتل عمر ـ باب شىء من سيره مما لم يمض ذكره.

(٢) نفسه.حوادث ٣٦ مقتل عثمان.

(٣) نفسه. حوادث ٢٣ فصل مقتل عمر فى آخر الحديث عن الشورى. يريد عمر انهم سوف يتسلطون على الناس بوصفهم عشيرة النبى وصحابته الأقربين. ويبدو عمر من هنا مدركاً للدور السلبى الذى تمارسه أمثال هذه الفئات فى الدول الناشئة حين تجمع بيدها السلطة والثروة. انظر أيضاً ابن عساكر ٥/ ٢٦٦.

ـ عن محمد وطلحة[1]: لم تمض سنة من إمارة عثمان حتى اتخذ رجال من قريش أموالاً في الأمصار وانقطع إليهم الناس ـ يقصد تجمعوا حولهم وصار لكل واحد حاشية وأتباع.

نقرأ في هذه الروايات مقدمات انشقاق سياسي بين عمر والارستقراطية الجديدة تسبق تصريحاته الثلاثة، منشأة الحجر عليها في المدينة. وهو إجراء يحد من اتساع هذه الفئة التي كانت تطمح إلى إيجاد مواقع لها في الأمصار مدفوعة بحافز طبيعي نحو تركيز وتوسيع مصالحها الاقتصادية ونفوذها الاجتماعي. ومن هنا كان تبرمها من عمر، وتوقها بالتالي إلى الخلاص منه (ما مات عمر حتى ملته قريش). على أن الخلاف لم يبلغ، حتى السنة الأخيرة من حياة الخليفة، من التناحر ما يكفي لتفجير صراع دموي. وينبغي لذلك أن لا نتوقع تحركاً معادياً يستهدف التضحية بإمام عظيم، حتى في عيون الارستقراطية التي ملت منه، من أجل أن تتحرر وتنطلق. ولو أنها كانت تود، بحسب ما يسعنا استخلاصه من إفادات رجال الطبرى، لو أن هذا الإمام مات في أجله المسمى ليذهب إلى ربه دون أن تتحمل شيئاً من وزره. وللمؤمنين من أتباع الأديان السماوية نهج معروف في التوفيق بين الدين والدنيا يرتبط بحرصهم على الفوز بسعادة الدارين، نعيم الدنيا والآخرة معاً.

لكن انتقال عمر إلى موقع آخر، ذو طبيعة صدامية، كان من شأنه أن يثير ردود فعل من درجة أشد قد ترتقي بالرغبة إلى مرتبة الإرادة.

هنا يخبرنا الطبرى أن عبيدالله بن عمر قال مهدداً بعد مقتل والده[2]:

والله لأ قتلن رجالاً ممن شرك (شارك) في دم أبي

وينقل الطبرى عن أحد رواة الخبر وهو عبدالعزيز بن سياه تعقيباً عليه يقول: إنه ـ أي عبيدالله ـ يعرّض بالمهاجرين والأنصار.

وكان عبيدالله قد قتل الهرمزان ورجلاً مسيحياً اسمه جفينة اتهمها بالتواطؤ على اغتيال والده ثم قتل ابنة أبو لؤلؤة وبقي شاهراً سيفه. ويقول الطبرى إن صهيب الرومي أرسل إليه حينذاك عمرو بن العاص وسعد بن أبي وقاص. وقد صاوله سعد حتى انتزع السيف منه وحجزه في داره. وتبعاً للرواية فإنه كان يردد هذا التهديد في تلك الساعة، مما يعني أنه كان

(١) نفسه. حوادث ٣٦. فصل مقتل عثمان.
(٢) نفسه، حوادث ٣٦. فصل مقتل عثمان.

ينوى بعد أن فرغ من مقتل الثلاثة أن يتوجه إلى أولئك الرجال ليصفى حسابه معهم. ولذلك لم يلق السيف إلا بعد المبارزة مع عسكريين كبيرين ما كان بمقدوره أن يتغلب عليهما.

ويبدو أن عمر لم يكن بعيداً عن التفكير في احتمال كهذا، لأنه كان يسأل الداخلين عليه من الصحابة وهو يحتضر: أعن ملأ منكم كان هذا؟ وهم يقولون: معاذ الله. (عن ملأ: تواطؤ. والملأ اصطلاح يمنى يشير إلى مجالس ممثلى القبائل التى كانت تشارك فى إدارة الدولة فى الدول اليمنية الغابرة).

وبوسعنا الافتراض أن الجهة التى كان يهمها التخلص من عمر قد جسدت إرادتها، أو رغبتها على الأقل، من خلال الغضب الفارسى على هادم الامبراطورية الساسانية. ومما له مغزاه أن أبو لؤلؤة كان عبداً للمغيرة بن شعبه الثقفى، وهو شخصية تآمرية قديرة كانت له وشائج صميمة مع الارستقراطية الجديدة، وهو الذى سعى لدى عمر للسماح لغلامه هذا بالإقامة فى المدينة لأن عمر كان نهيى عن دخول الأعاجم، الذين فتحت بلدانهم، إلى عاصمة الفاتحين المسلمين، كإجراء أمنى.

ترد فى هذا السياق أخبار غامضة عن كعب الأحبار. وهو يهودى من اليمن أسلم فى خلافة أبو بكر وقدم إلى المدينة فى خلافة عمر. وتدور شبهات حول إسلام هذا الرجل، الذى يحل فى التقييم الشيعى محل عبدالله بن سبأ فى التقييم السنى؛ كلاهما لعب دوراً فى تأجيج الفتن بين المسلمين بحسب الاتهامات المتقابلة بين الطوائف.

أورد الطبرى[١] فى تفصيله لأحداث مقتل عمر أن كعب قال لعمر قبل اغتياله بثلاثة أيام أنه سيموت. ولما سأله الخليفة من أين علم ذلك قال انه مكتوب فى التوراة. ويقال ان عمر دهش لهذا الكلام فأكد عليه: الله! إنك لتجد أن ابن الخطاب فى التوراة؟ فرد عليه: «اللهم لا. ولكن أجد صفتك وحليتك». ولما ضرب عمر فى اليوم الثالث ودخل عليه كعب أنشد عليه عمر بيتين يذكر فيهما نبوءة كعب.

وفى طبقات ابن سعد[٢] رواية أخرى تفيد أنّ زوجة عمر، أم كلثوم بنت على، قالت لزوجها وهى تبكى ـ وكانت شابة غريرة ـ إن هذا اليهودى، تقصد كعب الأحبار، يقول إنك

---

(١) نفسه حوادث ٢٣ مقتل عمر.

(٢) طبقات ابن سعد/ ٢٤٠.

على باب من أبواب جهنم. فأرسل إليه وسأله عن ذلك فقال يا أمير المؤمنين لا تعجل علي؛ والذى نفسي بيده لا ينسلخ (لاينصرم) ذو الحجة حتى تدخل الجنة. فقال عمر: أى شيء هذا مرة في الجنة ومرة في النار؟ فرد عليه: انا لنجدك في كتاب الله (التوراة) على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها.

تتحمل هذه الأخبار وجوهاً مختلفة؛ ان تكون بصحيحة، وتكون بالتالى دليلاً على معرفة كعب الأحبار بمخطط اغتيال عمر، وبمعنى ما: ضلوعه فيه. وأنا أستبعد ذلك لاعتبارات، منها أن حوار عمر مع كعب يظهره مؤمناً ساذجاً سريع التصديق، مما لا يأتلف مع شخصية قائد سياسي وعسكرى كبير يصعب على مشعوذ، أياً كان، أن يضحك عليه بهذه الطريقة المفضوحة. وينبغي أيضاً نفى صحة البيتين اللذين يقال ان عمر أنشدهما حين دخل عليه كعب لأنهما من الشعر المتين، الجيد السبك. ولم يكن لعمر من الشاعرية ما يمكنه من نظم مثل هذا الشعر وهو سليم فكيفي وهو، يحتضر؟

أو أنها اختراع أريد به إضفاء القداسة على الخليفة الثانى من حيث النص عليه فى التوراةأسوة بالنص على محمد فى الانجيل.

وقد تكون فى أصلها شائعات بثت عن عمد بعد مقتل عمر لإعطاء هذا الحدث صفة التدبير الإلهى غير الخاضع لإرادة البشر، وبالتالى لقطع اللغط حوله. إن الكثير من الأخبار التى اعتدنا على اعتبارها مكذوبة واتهام المؤرخين باختلاقها هى فى الواقع من هذا النمط. ونحن نعرف من تجاربنا الراهنة أن الأخبار الكاذبة غالباً ما تنشأ حول الحدث السياسى، وبالتزامن معه أحياناً، لدوافع وأسباب مختلفة.

يهمنا أيضاً أن نشير إلى صلة جفينة، المسيحى الذى مر ذكره، بسعد بن أبى وقاص وكون الأخير هو الذى جاء به إلى المدينة حين عاد إليها معزولاً من ولاية الكوفة بأمر عمر. ولابد أن تبعث على التساؤل هذه الصحبة إلى المدينة بين فاتح العراق وأحد العشرة المبشرين بالجنة وبين رجل نصرانى من عرب الحيرة غريب على الحجاز. ومن الجدير بالذكر أن جفينة كان على صلةبالهرمزانى وأبو لؤلؤة وهو ما حدا بعبيد الله بن عمر إلى قتلهما معاً. وقد مر بنا أيضاً أن سعد بن أبى وقاص هو الذى انتزع السيف من يدى عبيدالله وحجزه فى داره. ومن المفيد أن نذكر هنا أن عمر كان على خلاف شديد مع سعد بسبب سلوكه عند ولايته الكوفة، مما حمله

على عزله بعد أن أرسل مبعوثاً من قبله إلى الكوفة وأمره بإحراق باب قصر الإمارة الذى يقيم فيه سعد. وكان عمر يمنع الولاة من اتخاذ أبواب لمقراتهم حتى لا ينحجبوا عن الناس(١) .

تتجمع من مجمل ما رويناه حتى الآن خيوط مؤامرة خفية قد تكون حيكت من خارج المجموعة الفارسية الصغيرة التى اتهمت بالتواطؤ مع القاتل. ولعل عبيدالله بن عمر كان مطلعاً، أو على الأقل متحسساً بملابسات من هذا القبيل حين هدد بقتل آخرين قال إنهم اشتركوا فى الجريمة، إذا صح ما نقله الطبرى. وقد حال الإسراع بالقبض عليه دون تنفيذ تهديداته، وبالتالى أدى إلى كتمان أسماء كان يمكن أن تظهر للعلن مع لمعان سيف الولد الموتور.

ولكن لماذا لم يتفوه عبيدالله بذكر هذه الأسماء بعد أن قبض عليه؟ هنا قد نجد أنفسنا أمام سر آخر يتعين علينا كى نستشفه أن نعرف من كان يقصدهم عبيدالله بالتهديد. وهم فى حالتنا هذه أحد ثلاثة: قريش، أو أنصار على بن أبى طالب، أو ورثة وأعوان سعد بن عبادة. وكان هؤلاء الثلاثة قد استقطبوا فى جبهتين متخاصمتين ستخوضان حرباً أهلية بعد قليل، تضم الأولى قريش وتضم الثانية الفريقين الآخرين. وقريش هى التى استلمت الخلافة فى شخص عثمان وهى التى احتجزت عبيدالله وتحكمت فيه. وبالتالى فلو أنه كان يقصد بتهديده الفريق الآخر فقد كان من مصلحتها أن لا يسكت. لكنه وقد سكت لابد أن يكون المقصود بالتهديد رجال من قريش. وبالطبع فإن قريش، الحاكمة، تملك القدرة على إسكاته. وثمة عامل هام يفترض أنه أثر على موقفى عبيدالله وهو مطالبة على بن أبى طالب بإعدامه لقتله الهرمزان. وكان على يصدر فى هذه المطالبة عن موقف شرعى بحت. وعلى معروف بعدم مرونته فى هذا الجانب. وقد لجّ فى مطالبة عثمان بعد استخلافه بإعدام عبيدالله إلى أن حسم عثمان القضية بتخريج قانونى قال فيه إنه، أى عثمان، ولى الهرمزان لأن الهرمزان لا ولى له (يقصد ليس له أقرباء يطالبون بدمه، وفى هذه الحالة يكون الخليفة هو الولى) وانه بالتالى قد تنازل عن دمه وقرر العفو عن قاتله. وهكذا وجد عبيدالله نفسه فى حماية قريش، والأمويين بالأخص، فكان من الطبيعى أن ينحاز إليهم ويعتبر قضية والده منتهية إلى هذيا الحد.

---

(١) الدِّينورى ـ الأخبار ـ الطوال ص١٢٥ . وأورده ابن عساكر عن طبقات ابن سعد رغم الترجمة المنحازة التى اختص بها سعد بن أبى وقاص فى تاريخ دمشق الكبير ج٦/ ١٠٦ .

لا مجال مع ذلك لأى قدر من الجزم بنتيجة قاطعة. وإن كنت لألمح من الضجيج الذى أثاره القدماء والمتأخرون من رواة التاريخ حول هذه «الجريمة الفارسية» دوراً فى التمييع والتستر.

على أننا لنملك حق البت فى الحقيقة التالية، وهى أن مقتل عمر قد استجاب لمصالح اجتماعية إن لم تكن هى التى دبرت قتله فإنها كانت المستفيد الأوحد من هذه العملية. وأنه ليبدو لنا الآن دون أن نجد حافزاً إضافياً لمواصلة الهجوم على أبو لؤلؤة المجوسى، أن الفاتح العظيم قد ذهب ضحية ـ محتومة ـ لتلك المفارقة الكبرى (التى تكررت أيضاً فى خلافة على بن أبى طالب وانتهت به إلى المصير المماثل الذى سنقصه بعد قليل) بين سياسة تقوم على الفتويحات ـ أى بناء امبراطورية ـ وتسعى فى نفس الوقت لإقامة نظام داخلى فى توزيع المنهوبات يقوم على التساوى بل ويسعى لمصادرة أموال الأغنياء (قادة الفتح ومؤسسى الامبراطورية) وتوزيعها على الجنود.. إن من يفكر فى المساواة، وفى أى إطار كانت، لا يستطيع أن يبنى امبراطورية ولا شك أيضاً أن من يبنى امبراطورية لا يسعه أن يسلك سلوك عمر. لقد خلق عمر بهذه السياسة المزدوجة تناقضاً لم يكن ممكناً حله باستخلاف عثمان بن عفان. وهو الخيار الوحيد الذى أمكن معه لتاريخ الاسلام أن يأخذ مساره اللاحق. ولم يكن خنجر أبو لؤلؤة غير الرافعة التى اختارتها المسيرة لإزاحة عقبة ناشزة فى مجراها.

اغتيال على بن أبى طالب:

وصل على بن أبى طالب إلى الخلافة بعد الحركة المسلحة التى أودت بعثمان. واغتيل على بيد نفس الحركة. والفريق الذى اغتاله هم الخوارج الذين انشقوا عليه فى صفين. فاغتيال على هو نتيجة لتناقض فى صفوف مجموعة سياسية واحدة أخذ بعداً تناحرياً أدى إلى انفجار صراع دموى بين شقيها. وهذه ظاهرة مطّردة فى تاريخ الحركات السياسية المسلحة بعد وصولها إلى السلطة.

وقد تسبب اغتيال الخليفة الرابع عن مسلك تدميرى لدى الخوارج هو ما دفعهم إلى اتخاذ قرارهم بتصفية زعيمهم السابق وخصومه فى آن واحد. والخطة معروفة، فقد تداول فريق من الخوارج فى أمر الأمة فوجدوا أزمتها تكمن فى زعامتها. واتخذوا من ثم قرارهم الذى يقضى

بالتخلص من هذه الزعامة التى تمثلت حسب تحديدهم فى على بن أبى طالب، ومعاوية بن أبى سفيان وعمرو بن العاص. وعهد بالتنفيذ إلى ثلاثة فدائيين أرسل أحدهم إلى الكوفة والثانى إلى دمشق والثالث إلى مصر. وعينت الخطة للتنفيذ يوماً واحداً هو التاسع عشر من رمضان بعد أن حسبت المدة الكافية لوصول الثلاثة إلى مقاصدهم، وساعة واحدة هى ساعة صلاة الفجر.

وفى الوقت الموعود، كان كل من الثلاثة قد توجه إلى هدفه. ويبدو أن الفدائى الذى أرسل إلى معاوية لم يحسن توجيه الضربة، فوقع السيف فى إليه معاوية ولم يقتله. أما فدائى عمرو بن العاص فأجاد الضربة وقتله. ثم تبين أنه شخص آخر ناب عنه فى الصلاة لمرض ألمّ به ذلك اليوم. ويفهم من هذا أنه لم يكن يعرف شكل عمرو فلم يميزه عن نائبه. وكان اسم النائب القتيل «خارجة» فقال الفدائى قولته المشهورة: «أردت عَمْراً وأراد الله خارجة». ونجحت خطة اغتيال على بن أبى طالب. ونحاول الآن استقصاء عوامل نجاحها.

١ـ فدائية الخوارج، وهى عامل مشترك بين الثلاثة الذين نفذوا ما عليهم دون تردد ودفعوا حياتهم ثمناً لها، لولا أن صاحب معاوية لم يظهر قدرة فى توجيه الضربة القاتلة إذا لم نضع فى الحسبان وضع معاوية الأكثر حصانة من زميليه لما عرف به من دهاء وحذر.

٢ـ وجود الطابور الخامس لمعاوية فى معسكر على، مع خوارج فى الكوفة بحكم كونها المكان الرئيسى للحركة التى انشق عنها الخوارج. وكان على ترك للخوارج بعد معركة النهروان حرية الإقامة فى عاصمته ولم يلاحقهم. وقد تمت العملية بتنسيق مشترك مع الطرفين، عملاء معاوية والخوارج. وكان من العناصر البارزة فى الطابور الخامس الأشعث بن قيس زعيم كندة وحفيد ملوكها الغابرين. وتفيد المصادر أنه ساعد الفدائى الخارجى فى الاختفاء حتى يحين موعد التنفيذ، وكان معه صبيحة اليوم الموعود. وقد دفع ذلك بعض المؤرخين الذين لايعرفون ألاعيب السياسة إلى جعل الأشعث من الخوارج[1]، وهو فى الحقيقة

(١) منهم سبط بن الجوزى، وهو مؤرخ لامع، فى «مرآة الزمان» مخطوطة فيض الله أفندى (مكتبة مليت باسطنبول) رقم ١٥٢١. المجلد الرابع فى ترجمة على بن أبى طالب.
كذلك: أبو الفرج الاصفهانى ـ مقاتل الطالبيين طـ ـ القاهرة ١٩٤٩ ص٣٣باب مقتل على بن أبى طالب.
البلاذرى ـ أنساب الأشراف بيروت ١٩٧٢ جـ٥/ ٤٩٣.

عدو مشترك لهم ولعلى وحليف سرى لمعاوية. وكان من الذين حرضوا على مقاتلة الخوارج فى النهروان بدلاً من استئناف الحرب ضد معاوية.وكان التخلص من على هدفاً كبيراً لمعاوية سعى إليه الأشعث ومن على شاكلته من زعماء الارستقراطية العربية فى العراق.

٣ـ عدم توافر إجراءات صيانة لحياة على. وقد أشرنا إلى ذلك فى قضية عمر بن الخطاب. والخلل هنا أشد، لأن عمر كان يحكم من دون معارضة مكشوفة أو جدية حتى عامه الأخير، أما على فحكم وسط قلاقل دامية وجبهة مفككة. وكما بينا، كان المنشقون عليه من الخوارج وخصومه من عملاء معاوية يجاورونه فى الكوفة دون أن يتعرضوا للملاحقة. وقد أحسّ أعوانه بالخطر وحذروه من الاغتيال ولم يلتفت إليهم ورفض أن يخصص له حرس شخصى. وهو ما كان الخوارج يعرفونه جيداً، فقد أورد الطبرى أن صاحب معاوية أخبره بعد القبض عليه أن على بن أبى طالب قد يكون قتل فى نفس الساعة، وكشف له عن خطتهم. ولما شكك معاوية فى احتمال نجاحهم فى قتل على قال له الخارجى: إن علياً يخرج وليس معه من يحرسه. وقد حاول أولاده وبعض أعوانه الخلص أن يحرسوه من بعيد ولكن إجراءهم لم يكن جدياً. وهم بلا شك ملومون على ما حدث لأنهم وقد استوعبوا الخطر كان بمقدورهم أن يشكلوا حراسة منظمة من بينهم دون أن يشعروه بها. أما المراقبة من بعيد فقد دلت على بؤس القائمين بها لأن الفدائى الخارجى نفذ إلى المسجد واقترب من على، الذى كان يصلى وحده دون أن يثير انتباه أحد إلا بعد أن صاح على اثر الضربة. وكانت صيحة مضروب فعلموا أنه أصيب.

٤ـ من الملاحظ أن كلاًمن خطة الخوارج الثلاثية وخطة اغتيال عمر بن الخطاب نُفّذت عند الصلاة. وتفسير ذلك أن للصلاة موعداً معلوماً لابد أن يظهر فيه المطلوب اغتياله ليؤم المصلين مما يوفر ضبطاً فى توقيت العملية لا يتيسر خارج أوقات الصلاة. يضاف إليه أن الامام عند الصلاة يكون مكشوفاً وسهل المنال لأن الصلاة تتم ـ حسب الأصول الشرعية ـ دون شكليات وتوجب أن يندمج الإمام بالمصلين ليتساوى معهم. وقد بلغ التشدد فى هذا المبدأ أنهم حرموا أن يصلى الإمام على دكة حتى لا يكون أعلى مقاماً من المصلين. وقد بادر معاوية بعد التجربة التى مرت به إلى تسكير هذه الثغرة فأمر ببناء مقصورة منفردة يؤم منها المصين. وهو إجراء مخالف للشريعة . ولكن من المعروف أن معاوية لم يكن من الخلفاء الراشدين وكان فى سياسته معنياً بتأمين مصالح امبراطوريته وليس بتنفيذ أحكام الشريعة.

٥ ـ من الجدير بالذكر أن قاتل على استخدم سيفاً مسموماً. وقد اعترف بعد القبض عليه أنه سمم سيف باتقان، لضمان أن تكون الضربة مميتة إذا هو لم يوفق إلى توجيه ضربة قاضية. وهو ما حدث بالفعل، فقد كان على القاتل أن يضرب ضربة خاطفة توفر له وقتاً للهروب من داخل المسجد قبل أن يحاصر. وقد عاش الخليفة بعد الضربة ثلاثة أيام رغم وقوعها فى رأسه. ويستفاد من الوصف الذى أوردته المصادر عن كيفية الوفاة أن السم انتشر فى جسمه ببطء حتى أجهز عليه فى اليوم الثالث. ونحن نستنتج من هذا أن خطة اغتيال على كانت قد درست بعناية ومن جهات أخرى لا تقتصر على الخوارج مما ضمن لها نجاحاً لم يتوفر لخطة اغتيال معاوية.

ماذا حقق الخوارج باغتيال على؟

تدل خطة الاغتيال الثلاثى التى رسمها الخوارج ونفذوها على خصوبة فى الخيال العنفى تقترن بحيوية التحرك غير المقيد باعتبارات ضيقة. وهى تمثل من هنا نهجاً قتالياً ثابتاً لا يطاله التردد ولا يخضع لدقة فى الحساب أو براعة فى التخريج النظرى.

لكن أصحاب الخطة تجاهلوا عنصراً هاماً فى تكتكة العنف وهو ترتيب الأولويات فى المجابهة ضد خصوم متفرقين ومختلفين فى أهدافهم، وما يتيحه ذلك من إمكان العمل على كسب الأقرب إليهم لضرب الأبعد. وبالطبعى فهذا يعنى وجود توجه جبهوى، وهو مالم يعرفه تاريخ الخوارج قط. وقد انطوت الخطة من هذه الجهة على خطأ سياسى كبير تمخض مع نجاحها فى اغتيال على وحده، عن كارثة على الخوارج أنفسهم. فقد ترتب على مقتل على بن أبى طالب إنهاء خلافة الراشدين وإقامة الخلافة الأموية، وقطع أى احتمال للحوار السلمى يمكن أن يظل قائماً مع بقاء السلطة الراشدية. وقد وجد الخوارج أنفسهم بعد انفراد معاوية بالسلطة أمام عدو مختلف حصرهم بين خيارى القتال أو البيعة.

أضف إلى ذلك أن مقتل على حرم الخوارج من الميزة التكتيكية التى تمثلت بوجود معسكرين متناحرين يشغلهما الاقتتال بينهما عن التفرغ لهم. وكان لدى الخوارج بفضل وجود هذين المعسكرين فرصة ثمينة لتنظيم أنفسهم والعمل على إقامة قاعدة لهم فى موقع مناسب خارج نفوذ على ومعاوية اللذين اقتصرت سلطتهما الفعلية على الشام والعراق.

كان ثمة أيضاً خطر لم يحسب الخوارج حسابه، فماذا كان سيحدث لو نجحت الاغتيالات كلها؟ الخوارج لم يطرحوا على أنفسهم هذا السؤال. والمصادر التى تحدثت عن الأمر لم تتحدث عن أية لواحق يمكن أن تكون قد ارتهنت بالخطة فى حال نجاحها. ويمكن القول ببساطة، حسب هذه المصادر، إن قرار الاغتيالات كان أحادياً مبتوراً يكتفى بتصفية الزعماء الثلاثة بوصفهم سبب فساد الأمة. وليس لدينا ما يدل على أن الخوارج فكروا فى استثمار هذا الاقتحام الكبير للتحرك نحو استلام السلطة وإعلان قيام خلافة جديدة. وهو الاتجاه المعقول الذى يبرر هذه المغامرة ويعطيها مفعولها التاريخى المكافىء.

وفي ضوء هذه الثغرة الواسعة فى الخطة فإن نتيجة شديدة الاحتمال كان يمكن أن تترتب على شغور القيادة الإسلامية وهى أن يقع تحرك من الجانب البيزنطى المتربص على حدود الشام لتوجيه ضربة سريعة وخاطفة كانت ستؤدى على الأقل إلى إعادة احتلال بلاد الشام. ونحن نعرف أن محاولات تحرك من هذا القبيل حصلت عند اندلاع الحرب الأهلية بين العراق والشام مرتين، فى عهد معاوية وفى عهد عبدالملك بن مروان. لكنها اصطدمت حينذاك بخليفتين عظيمين كانت مواهبهما السياسية والعسكرية تتألق فى ظروف الأزمات فتمنحهما القدرة على احتواء التحركات المضادة مهما تعددت جبهاتها. وكان من المستبعد أن لا ينجح البيزنطيون هذه المرة مع ما سيحدثه اغتيال القادة الثلاثة من اختلال فى أوضاع الأقاليم الملاصقة لهم؛ الشام والعراق ومصر، وهى نفس الظروف التى مكنت الصليبيين فى عصر لاحق من القيام بفتوحاتهم الظافرة فى الشام.

ولم يكن للخوارج من الحنكة السياسية ما يبصّرهم بهذا المرتقب. وتدل خطتهم الثلاثية على براعة حزب مسلح يمتلك المؤهلات العالية للاقتحام العسكرى الناجح، لكن غير المقرون بتخطيط سياسى يبرر الإقدام عليه. فالخوارج كانوا مقاتلين جمعوا إلى الروح الفدائية فقراً ملحوظاً فى العمل السياسى. ويصدق هذا الوصف على الفرقة بتشعباتها العديدة طوال الخلافة الأموية، ولو أنهم اكتسبوا من بعدها بعض الخبرات التى ساعدتهم على التوصل إلى إقامة كيانات سياسية صغيرة نسبياً، خلال الحقبة الأولى من الحكم العباسى.

اغتيال مالك الأشتر:

كانت مصر من محاور الصراعي بين علي بن أبي طالب والأمويين لما تتمتع به من ثقل استراتيجي يمكن أن يساهم في ترجيح كفة الطرف الذى يسيطر عليها. وقد اختار علي لولاية مصر أول الأمر قيس بن سعد بن عبادة فاستطاع ضبطها وإحباط محاولات الأمويين لانتزاعها من علي. غير أن معاوية توصل فيما بعد وبأساليبه الماكرة إلى زعزعة الثقة بين قيس وخليفته، القليل الدهاء، فعزله عن مصر. وقد عين علي في مكانه ربيبه محمد بن أبي بكر وهو شاب متحمس ولكنه ضعيف الخبرة. بيد أن علي وقد أدرك جسامة الخطر الذى يتهدد مصر سعي لتعزيز الولاية بشخصية كفوءة أخرى هي مالك الأشتر أحد قادة الحركة المسلحة التي أوصلته إلى الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان. وقد سبب تعيين الأشتر لولاية مصر قلقاً شديداً لدى معاوية فسعى لمنعه من الوصول إليها. وتختلف الروايات في وصف الطريقة التي تم بها لمعاوية الخلاص من الأشتر ولو أنها تتفق في جملتها على أنه اغتيل وهو في طريقه إلى مصر.

وفيما يلي عرض لهذه الروايات مأخوذ من «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد..

١ـ إن معاوية بعث إلى رجل من أهل الخراج يثق به وعرض عليه أن يعفيه من الخراج المترتب عليه طيلة حياته إذا تمكن من اغتيال الأشتر. وكان هذا الرجل يقيم في مفترق سبل تؤدى إلى مصر والحجاز على البحر الأحمر يمر منه من يريد التوجه إلى مصر. فلما وصل الأشتر إلى هناك تلقاه الرجل وضيّفه. وكان قد أعد شربة عسل مسمومة فقدمها له بعد الطعام فلما شربها مات على الأثر.

٢ـ إنه بعث رجلاً ليتابع الأشتر حتى يحتال في اغتياله. وكان الرجل يحمل مزودتين فيهما شراب. فاستسقاه الأشتر يوماً فأعطاه من إحدى المزودتين، وكانت مسمومة ولما شربها مال عنقه ومات. وهرب الرجل قبل أن يلحق به رجال الأشتر.

٣ـ إنه دس إليه رجلاً من موالي عمر بن الخطاب. وكان آل عمر قد انحازوا إلى الأمويين منذ أيام عثمان لكن معسكر علي لم يصل إلى درجة القطيعة معهم، بتأثير بعض الوشائج التي كانت تجمع بين علي وعمر في سنواته الأخيرة، وقد اطمأن الأشتير إلى الرجل وضمه إلى

مرافقيه فى سفره. وبينما هم فى بعض الطريق وعطش الأشتر قدم له المذكور شربة سويق مسمومة فمات منها[1].

تتفق هذه الروايات على أن الأشتر اغتيل بالسم وبتدبير من معاوية وأن السم دس فى شراب من عسل أو ماء أو سويق. ورواية العسل أكثر شيوعاً، وقد وردت عن الواقدى وهو مؤرخ مبكر وموثوق، وروايته تفيد أن الرجل الذى سم الاشتركان دهقاناً فى العريش. وهذه البلدة من أعمال مصر لكنها قريبة إلى الشام. وقد اقترنت بالحادث كناية مشهورة لعمرو بن العاص وهى قوله بعد أن بلغه نفاذ خطة القتل: «إن لله جنوداً من عسل، أو منها العسل»[2] . والله كما نعلم قاسم مشترك لجميع الأطراف والطبقات والأحزاب المتصارعة فى مجتمعات الأديان السماوية الثلاثة.

أدى اغتيال الأشتر إلى خسارة قائد كبير كان على بن أبى طالب يعتمد عليه كثيراً فى صراعه المرير ضد الأمويين مما مكن معاوية أخيراً من الاستيلاء على مصر بعد أن انفرد بحاكمها الضعيف محمد بن أبى بكر.

وقد نجحت الخطة لأنها اعتمدت، بحسب الروايات كلها، على استغفال مالك الأشتر وهو درس استفاد منه اللاحقون فى إحباط وتنفيذ خطط مماثلة كما سيأتى تفصيله فى القسم التالى:

دلالات مستخلصة من حوادث الاغتيال الراشدية:

ترجع الاغتيالات فى هذه الحقبة إلى الأصل الذى بنى عليه الاسلام كتحرك سياسى - اجتماعى أملته ظروف العرب الخاصة فى المقام الأول، والظروف العامة للمنطقة فى المقام الثانى. وقد رأينا كيف سلك مؤسس الاسلام بعد هجرته إلى يثرب خط العمل العسكرى، بما فى ذلك الاغتيالات، كنهج ثابت أشاح به عن نهجه التبشيرى الذى اتبعه فى مكة. وترتهن سياسات النبى محمد فى يثرب بصراع قومى موجه لتوحيد أمة بينما يعكس نهجه فى مكة

(١) ابن أبى الحديد ٢/ ٢٩. السويق شراب يتخذ من دقيق الحنطة أو الشعير.
(٢) بن أبى اصيبعة - عيون الأنباء فى طبقات الأطباء. بيروت ٥ب١٩٦ ص١٧٤ترجمة الطبيب ابن أثال الذى كان يستحضر السموم لمعاوية بن أبى سفيان.

حالة صراع اجتماعى داخل معشر محدود هو المعشر القريشى ـ المكى. وكان ثمة صراع من هذا القبيل فى يثرب ولكن داخل نفس الحركة، بين الفئات الاجتماعية والقبلية التى تتكون منها كتلة الصحابة المشكّلة لقوام الحركة فى طورها اليثربى.

وحيث أفلح الاسلام فى إقامة مجتمع ودولة شملت الجزيرة بامتداداتها العراقية والشامية وما وراءها من أقاليم، فقد تعين عليه أن يواجه كل مرتكساتهما. فالمجتمع يعنى الصراع والدولة هى أداة الصراع التى لا وجود لها من دونه. وهو أداة قابلة للتداول. (اسم الدولة فى العربية مأخوذ من هذا المعنى الدال فى جوهره على الصراع). ولو أراد محمد لحركته أن تكون دعوة ولنفسه أن يكون محض مبشر فإن شيئاً مما قد سردناه للتو لن يقع فى أوانه. ولو أننا قد لا نعدم عندئذ شيئاً آخر، ولكن بعد مضيى قرون يكون فيها الاسلام قد تمكن من قلوب الناس، وتوطدت مؤسسته الدينية، المؤهلة لأن تضع نفسها فى خدمة دولة خارجة عنها لتكون أداتها القمعية أو غطاءها الايديولوجى، مثلما تهيأ للمسيحية والبوذية بعد ثلاث قرون من وفاة صاحب الدعوة.

وهناك دلالة هامة فى أن كتاب الاسلام المقدس لم يصطبغ، رغم مضاهاته للكتب المقدسة التى قبله فى طقوسيتها، بقداسة أحادية تجعل منه كتاباً إلهياً عديم اللحم والعظم، فقد استغرقه التناحر فأضفى عليه صفة خاصة به، ويتجاوز عدد المرات التى ذكر فيها القتل بمشتقاته فى القرآن عدد المرات التى ورد فيها ذكر الصلاة بمشتقاتها (حوالى ١٧٤ مقابل ٩٩). ولغة الصراعى فى الاسلام تحريضية شديدة النبرة تذكر القارىء بلغة البلاغات الحربية. ولا شك فى أن مؤسس الاسلام كان يستجيب فى ذلك لمستلزمات وضعه/ مهمته التاريخية. وهو فى الحقيقة لم يكن شديد الافتقار إلى الوعى بنواميس التاريخ البشرى لأنه سجل فى كتابه أن الناس لا يمكن أن يكونوا أمة واحدة فهم «لا يزالون مختلفين، إلا ما رحم ربك، ولذلك خلقهم» خلقهم كما يقول المفسرون ليختلفوا لا ليتفقوا. وإذا كان الناس فى حسابهم لا يمكنهم أن يكونوا أمة واحدة فهو يعرف أيضاً أن أمته نفسها لن تنجو من الاختلاف. وقد عايش بنفسه ولا سيما فى مرحلة ما بعد مكة، جانباً من التكتلات التى بدأت تشق الصحابة إلى أجنحة. ولن يكن بمقدوره، لو أراد، أن يؤلف بين أتباعه، وهم طبقات لا طبقة واحدة، ولا

أن يمنعهم من الاقتتال وهم ينظمون حياتهم وفقاً لعلائق المادة وليس الروح، شأن غيرهم في كل زمان ومكان.

كان الصراع الذى خاضه الاسلام الأول من الحدة بما يكفى لتعزيز صياغة شخصية تناحرية مشتركة بين طبقات المجتمع الظالمة والمظلومة. ولو أن هذه الشخصية لم تنشأ من فراغ إذ يمكننا فى الواقع أن نتابعها فى الشخصية الجاهلية التى يشغل السيف موقعاً مؤثراً فى علاقاتها. والمجتمع الجاهلى هو كما نعلم مجتمع تناحرى لم يعرف السلم إلا كهامش استغرقته الأشهر الحرم الأربعة فى أضيق نطاق. ولم تقتصر هذه الظاهرة على الأغلبية الوثنية من العرب، حيث جرت العادة على اتهام الديانة الجاهلية بتأجيج العداوات، فالمسيحية الشرقية التى اعتنقتها بعض القبائل، ومنها قبائل كبيرة مثل تغلب، لم تستطع أن تخلق من البدوى مسيحياً بسيطاً من الغرار الذى عرفناه مثلاً فى الحيرة. يقول الشاعر المسيحى جابر بن حُنَيّ التغلبى رداً على استخفاف صدر من قبيلة بهراء تجاه قبيلته[1] :

وقد زعمت بهراء أن رماحنا ... رماح نصارى لا تبوء الى الدم

نعاطى الملوك السلم ما قسطوا لنا ... وليس علينا قتلهم بمحرم

وقد سبق لبنى تغلب أن قتلوا ملكاً فى الحادثة المعروفة. والشاعر يرد هنا ليس على بهراء وحدها، بل وعلى تعاليم الخد الأيمن لنبيه.. وثمة إدراك لضرورة هذا اللون من العلاقات يتمشى مع التورط فيها عملياً. فالطبرى ينسب إلى عمر بن الخطاب أنه علّم المسلمين أن يطيعوا الخليفة إذا استقام ويقتلوه إذا اعوج. ولما اقترح عليه أحدهم الخلع بدل القتل ردّ عليه أن القتل أنكل لمن بعده، أى أكثر ردعاً[2] . وسواء صدر هذا التوجيه عن عمر أو غيره فهو يحمل نزوعاً إلى أدلجة وشرعنة ما جرى فى صدر الاسلام.

يمكننا أخيراً أن نرصد مؤشرين لهذه الأحداث: أولهما هو دلالتها، رغم ما قد يكون فيها

---

(١) جابر بن حنيّ (وزن قصى) التغلبى من شعراء القرن السادس الميلادى. توفى عام ٥٧٠م وهو عام ولادة النبى. والبيتان من قصيدة له من «المفضليات» التى جمعها المفضل الضبى المعاصر للمنصور. وهى من أوثق وأقدم مختارات الشعر الجاهلى.

(٢) التاريخ: باب مقتل عمر. والمعترض هو طلحة بن عبيدالله.

من تكدير لمزاج الانسان المستريح، على حيوية مجتمع غير قابل للوحدة، لأنه يشتمل في مقومه الأساسي على تلك الشخصية الاجتماعية القادرة على التصرف خارج دائرة المحرمات حيثما اصطدمت بقناعاتها، أو بكلمة أدق، بمصالحها الجوهرية.

الثاني أن العنصر التحريضي للاسلام يوكد هنا حضوره على حساب الدور التخديرى للدين، إذ لا يسعنا بحال أن نفصل ما حدث في صدر الاسلام عن الاسلام نفسه. ويمكننا أن نتلمس في هذا المجرى تلك المؤثرات المتعددة المصادر التي شملها مجتمع صدر الاسلام سواء ما يعكس منه امتدادات المجتمع الجاهلي أو ما هو نتاج الصراعات الاجتماعية التي سبقت أو زامنت نشوءه. وبالطبع فإن هذه الحالة ما كانت لتستمر طويلاً مع وجود الدين كتكوين جوهرى في الوعي الاسلامي. وسنصادف في وقت مبكر نسبياً محاولات لاهوتية لضبط سلوك المسلم يتصدرها الحسن البصرى، وهو فقيه ومتكلم من أصل فارسى لم يعايش الاسلام الأول ولم يمتحن بموروثات العصر الجاهلي. وكان يتكلم لغة دينية ناضجة لا تشوبها لكنة جاهلية، من ذلك الغرار المألوف لدى الأحبار الخلص. والحسن البصرى هو من أقدم مؤدلجي السلام الاجتماعي في الاسلام، ولو أن آراءه ظهرت في وقت كان العنصر التحريض للاسلام لا يزال أبداً في نفوس أتباعه وكان الكثير من الفقهاء لا يزالون يتلقون الجلد والنفي على أيدى الخلفاء الأمويين وولاتهم. وقد أخرج ابن عساكر في ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي ما يلي: لما كانت فتنة ابن الأشعث ـ يقصد انتفاض أهل العراق بقيادة عبدالرحمن بن الأشعث الكندى ضد الحجاج ـ دخل جماعة على الحسن فقالوا: ما تقول في هذا الطاغية الذى سفك الدم الحرام وأخذ المال الحرام وترك الصلاة وفعل وفعل؟ وذكروا من أفعاله فقال الحسن: «لا تقاتلوه فإنه إن يكن عقوبة من الله فما أنتم برادّى عقوبة الله بأسيافكم. وان يكن بلاءً فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين». فخرجوا من عنده وهم يقولون: نطيع هذا العلج؟ وكانوا قوماً عرباً فخرجوا مع ابن الأشعث[1]. وإشارة ابن عساكر أنهم كانوا من العرب وأنهم نبزوا الحسن بأنه «علج» يقصدون أعجمي يكرس ما ذهبنا إليه بشأن العنصر التحريضي لاسلام صدر الاسلام بتركيباته المعقدة التي لم يستوعبها الاكليروس الناشيء الذى كان الحسن البصرى يعبر عن اتجاهاته.

(١) تهذيب تاريخ دمشق... ج٤/ ٨٠.

فى الخلافة الأموية

في هذه الحقبة، كانت الاغتيالات السياسية متقابلة بين السلطة والمعارضة. وقد مارسها الخلفاء الأمويون بدءاً من معاوية الذى استهلها باغتيال مالك الأشتر فى خلافة على ثم واصلها بعد انفراده بالخلافة. أما المعارضة فقد انفردت منها الخوارج بالتوسع فى استعمال هذا التكتيك.. ونستقصى فيما يلى أهم وأشهر حوادث الاغتيال بادئين بما حدث منها على يد السلطة.

اغتيال الحسن بن على:

كان الحسن قد سلم الخلافة لمعاوية بعد مقتل والده، انسياقاً مع نهجه الاستسلامى المعروف، لكنه اشترط فى عقد التسليم، تحت ضغط المتشددين من أصحاب على، أن تعود إليه الخلافة بعد وفاة معاوية. وكان هذا الشرط فى غاية الخطورة بالنسبة لمستقبل الخلافة الأموية، لأنه يعنى حتمال استعادة الراشدين للخلافة في شخص الحسن، الذى كان أصغر سناً من معاوية. ولم يكن أمام الأمويين من خيار إلا التخلص من الحسن بوسيلة ما. لكن معاوية لم يستعجل الأمر، لأن وريثه يزيد كان لا يزال صغيراً وكان التفكير فى تعيينه ولياً للعهد سابقاً لأوانه . ولذلك عاش الحسن لمدة عشر سنوات بعد تنازله وهو فى دعة ينتظر، أو على الأصح، ينتظر أصحابه موت معاوية ليعود إلى المطالبة بالخلافة بحكم العقد المبرم بينهما. وفى هذه المدة كبر الوريث وصار مؤهلاً للولاية، كما جرى تسويقه فى عيون أهل الشام وبنى أمية على السواء، واقترب معاوية من شيخوخته بينما الحسن لا يزال يتمتع بشبابه. وعندئذ بدأ معاوية يفكر فى إزالة هذه العقبة التى تحول دون استمرار الخلافة فى أسرته.

ثمة ما يشبه الاجماع على أن الحسن مات مسموماً، مع الميل إلى تحميل زوجته جعدة بنت الأشعث الكندى مسؤولية ذلك. وقد وردنا شعر يرثى فيه كثير عزة – أو النجاشى الشيعى – الحسن ويستهله بتوجيه الخطاب إلى جعدة إشعاراً باتهامها. وكنا قد أشرنا فى القسم الثانى إلى موقف الأشعث بن قيس المناهض لعلى والمتواطئ مع معاوية. ويبدو أن هذه الزيجة كانت تدبيراً من على للتقرب من الأشعث واستدراجه إلى جانبه. والأشعث زعيم كندة شبه المطاع إذ هو سليل ملوكها الغابرين. لكن حسابات على لم تكن موفقة، فالمصالح الاجتماعية غالباً ما تعلو على اعتبارات القرابة ناهيك عن المصاهرة. وقد تواطأ الأشعث مع قتلة على فليس

من الصعب أن يكون لدى ابنته التى نشأت فى بيت تآمر، مناوئ لعلي وأولاده استعداد للقيام بدور مماثل لما قام به أبوها. وكان معاوية يعي هذه الحقائق وعى الحاكم الخبير باتجاهات وسرائر رعاياه.ومن المثير للانتباه أن جعدة بقيت زوجة للحسن الذى عرف بكثرة التطليق ولم تكن المرأة تثبت عنده إلا قليلا. ولعلها بقيت كذلك تقديراً لمكانتها وما ينجم عن ذلك من تمتين الروابط مع قبيلة كندة القوية.

من بين الذين أكدوا تسميم الحسن، «المدائنى». وهو من أقدم كتاب السير. وقد وردت روايته في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١). وهى تفيد بأن الحسن توفي بعد مرض دام أربعين يوماً وأن معاوية دس له سماً على يد جعدة بنت الأشعث زوجته وقال لها إن قتلتيه بالسم فلك مئة ألف (درهم) وأزوجك يزيد ابنى. فلما مات الحسن وفى لها بالمال ولم يزوجها من يزيد لعدم اطمئنانه إليها. لكن قولالمدائني أن مرض الحسن دام أربعين يوماً غير واقعى بالنسبة لمسموم. ويغلب على الظن حصول التباس فى معدود الأربعين، وقد ورد فى رواية ابن عساكر (٢) أن الحسن بعد أن سم كان يوضع تحته طست ويرفع نحوا من أربعين مرة. يشير إلى ماأحدثه السم في بطنه من مفاعيل. فلعل المرة صارت في رواية المدائنى يوماً على جهة الاشتباه.

ونص على موت الحسن مسموماً ابن عبد البر فى «الاستيعاب» (٣) عن قتادة وأبى بكر بن حفص، وهما من قدماء الرواة. وأورد عن رواة أخرين أن جعدة سمته بتدسيس من معاوية. وقال هؤلاء الرواة فى تعقيب على هذا الخبر أن جعدة كان لها ضرائر. والمقصود من ذلك إلقاء الشك على علاقته بزوجها قبل أن يحدث له ما حدث.

وأشار إلى موته مسموماً ابن حجر فى «الإصابة» و«تهذيب التهذيب» وابن الأثير فى «أسد الغابة». والكتب الثلاثة هى، إلى جانب الاستيعاب من المصادر المعتمدة فى التراجم.

ويلاحظ تجاهل الطبرى لوفاة الحسن فلم يذكرها فى حوادث السنين التى يرجع المؤرخون وفاة الحسن فى إحداها. لكن ابن الأثير ذكرها فى حوادث سنة ٤٩، ونص على وفاته مسموماً

---

(١) المجلد ٤ ص ٥. وكتاب المدائنى مفقود.
(٢) تهذيب تاريخ دمشق ٤ / ٢٢٩
(٣) الترجمة ٥٥٥ الحسن بن علي. جـ١/ ٣٨٩ - ٣٩٠.

على سبيل القطع كما فعل في «أسد الغابة» وهو بذلك يستدرك على أستاذه الطبرى (تاريخ ابن الأثير «الكامل» مبني على تاريخ الطبرى حتى السنة التي ينتهى بها ثم يكملها حتى السنة التي سبق وفاته وهى سنة ٦٢٩هـ). لكن الطبرى ذكر ذلك في «ذيل المذيل» عن ترجمته للحسن . والطبرى يتحسس للأخبار التي تسئ إلى الأمويين فيسعى لاستبعادها ما استطاع.

وروى ابن كثير في البداية والنهاية (حوادث ٤٩) أن الحسن مات مسموماً بتدبير من معاوية. وأن الذى دس إليه السم خادم له، في رواية، وفي روايات أخرى زوجته جعدة. وأثبت الرثاء الذى يستهله الشاعر بمخاطبة جعدة ونسبه إلى كثير عزة. والرواية التى تتهم الخادم بتسميمه غير مشهورة في المصادر، التى تميل في جملتها إلى اتهام الزوجة بذلك.

وربط أبو الفرج مشروع البيعة ليزيد بالتخلص من شخصيتين هما الحسن بن علي وسعد بن أبي وقاص(١) .وكان سعد من بين القلائل الذين تبقوا من قادة الاسلام الكبار، الذين يعسر تخطيهم في خطط الاستخلاف، لا سيما لشخصية عادية مثل يزيد. ويجب أن يفسر التخلص من سعد، إذا صحت رواية أبو الفرج، بمعارضته لاستخلاف يزيد وليس بطمعه في الخلافة لأنه كان يومذاك قد عمي، والبصر شرط رائس في صحة الاستخلاف عند المسلمين.

إن لجوء معاوية إلى السم للتخلص من المناوئين قد أشار إليه ابن أبي اصيبعة لدى ترجمته للطبيب السرياني ابن أثال. فقد جاء في «عيون الأنباء» أن ابن اثال كان متخصصاً بالسموم، وأن معاوية كان يقربه لذلك كثيراً. ثم استطرد فقال: ومات في أيام معاوية جماعة كثيرة من أكابر الناس والأمراء من المسلمين بالسم(٢). وتلقى هذه الملحوظة الهامة لابن أبي اصيبعة بعض الضوء على الوفيات المشبوهة لأمثال سعد بن أبي وقاص، ورغم أن المؤرخين لم يعنوا باستقصائها في ترجمتهم لهذه الشخصيات عدا الحالات المشهورة مثل حالة الحسن بن علي . ويبدو أن ابن أثال كانت له مدرسة ومريدون في هذا الفن ، لأنه قتل في وقت مبكر من خلافة معاوية كما سنبين ، بينما حدثت اغتيالات بالسم من بعده. ويمكن أن نستنتج أن من أسباب اهتمام معاوية بمسألة التخصص في تحضير السموم إنتاج سموم لطيفة لا يظهر لها أثر. وقد ذكرت الروايات التي تحدثت عن موت الحسن إنه سقى السم مرات عديدة فلم يمت،

(١) مقاتل الطالبيين ا لقاهرةت ١٩٤٩ ص ٧٣ فصل وفاة الحسن.
(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء . ط. بيروت ١٩٦٥ص ١٧١ .

مما ألجأ فيما يبدو إلى استعمال وصفة أشد مفعولاً هي التي قتلته وتدل المحاولات الفاشلة السابقة على أن السموم كانت ضعيفة المفعول بسبب المبالغة في لطافتها.

بعد موت الحسن بدأ معاوية مساعيه العلنية لمبايعة يزيد ولياً لعهده. وقد نظر بعض القدماء إلى هذا الحدث على أنه من الأحداث الفاصلة في تحول الخلافة إلى ملكية ، واشتداد وطأة الاستبداد على العرب. وينقل أبو الفرج عن رجل يدعى أبو اسحق أنه سئل: متى ذل الناس؟ فقال: حين مات الحسن. وادعى زياد وقتل حجر [١]. وهي ثلاثة أحداث متكاملة الدلالة في هذا الصدد، فموت الحسن أفسح المجال لمبايعة يزيد حيث اتخذ تحول الخلافة إلى ملكية شكله الرسمي، وادعاء زياد (استلحاقه بآل أبي سفيان) ارتهن بتسليطه على العراق ليفرض على أهله أول سياسة قمعية يقع العرب تحت طائلتها. وقتل حجر (ابن عدى الكندى) بأمر من معاوية نظر إليه في حينه على أنه تحدى مباشر للعرب الذين كانوا حتى ذلك الوقت يجاهرون بمعارضتهم للدولة دون أن تجرأ على قمعهم بهذه الطريقة.

اغتيال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد:

كان عبد الرحمن قائداً عسكرياً مرموقاً كوالده. وقد انضم إلى معاوية في صراعه ضد علي بن أبي طالب. وبعد أن استتب الأمر لمعاوية عينه لقياده جبهة الفتوحات في أسيا الصغرى (أرض الروم) التي بدأ المسلمون يقضمونها بالتدريج بعد إخراج البيزنطيين من بلاد الشام. وقد أحرز عبد الرحمن نجاحات كبيرة في حروبه هناك جلبت له شهرة واسعة بين أهل الشام أضيفت إلى رصيده الموروث من والده. ويذكر الطبرى[٢] أن عبد الرحمن انصرف عام ٤٦ من بلاد الروم إلى حمص وكان قد عظم شأنه بالشام ومال إليه أهلها لما كان عندهم من آثار أبيه ولغنائه عن المسلمين في أرض الروم وبأسه، حتى خافه معاوية فأمر ابن أثال أن يحتال في قتله. فلما وصل عبد الرحمن إلى حمص دس إليه ابن أثال شربة مسمومة، يقول ابن أبي أصيبعة[٣] إنها شربة عسل. فمات منها . وكافأ معاوية ابن أثال بإعفائه من الضرائب طيلة حياته وتعيينه والياً على خراج (ضرائب) حمص.

(١) مقاتل الطالبيين ص ٧٦.

(٢) التاريخ. حوادث سنة ٤٦ط الاستقامة، القاهرة ١٩٣٩. جـ٥/ ٢٢٧. انظر أيضاً: ابن عساكر في ترجمة خالد بن عبد الرحمن ٨٣/٥.

(٣) عيون الأنباء ص ١٧٤.

إن رواية الطبرى ، التى اعتمد عليها ابن عساكر وابن أبى اصيبعة كما يبدو، تجعل سبب الاغتيال خوف معاوية من منافسة عبد الرحمن له فى سلطانه، لكن رواية لأبى الفرج[1] تربط الحدث ببيعة يزيد وخلاصتها أن معاوية لما أراد أن يظهر البيعة لابنه قال لأهل الشام إن أمير المؤمنين قد كبرت سنة ودق عظمه واقترب أجله ويريد أن يستخلف عليكم فمن ترون ؟ فقالوا : عبد الرحمن بن خالد. فسكت وأضمرها فى نفسه حتى دس إليه الطبيب ابن أثال ، فسقاه سماً فقتله.

قد يكون محتملاً أن معاوية خاف على نفسه من عبد الرحمن عندما نعتبر أن تصفيته تمت فى وقت مبكر نسبياً - بعد خمس سنوات من انفراده بالسلطة. لكن الباعث الأقوى يجب إرجاعه إلى بيعة يزيد إذ يصعب القولى أن معاوية الذى انتصر على رجل كعلى بن أبى طالب يخشى رجلاً كعبد الرحمن بن خالد، بينما نجد عبد الرحمن يشكل خطراً حقيقياً إزاء ابنه ، الذى لا يمتلك مثل رصيده. وتبدو رواية أبو الفرج من هنا معقولة أكثر، مما يحملنا على الاعتقاد أن اغتيال عبد الرحمن بن خالد يندرج فى نفس الاعتبارات التى أدت إلى اغتيال الحسن بن على والوفاة المشبوهة لسعد بن أبى وقاص وهى إزالة عقبات تقف دون البيعة ليزيد واستمرار الخلافة فى بنى أمية.

تمت عملية أغتيال عبد الرحمن بن خالد فى سهولة أكبر بالقياس إلى اغتيال الحسن. ذلك لأن عبد الرحمن لم يكن يحس بحاجة إلى التحفظ من خطر كهذا نظرا لعلاقاته الطبيعية بمعاوية.وقد حدثت قبل اغتيال الحسن وقبل شيوع الحديث عن بيعة يزيد، أى فى وقت لم تظهر لعبد الرحمن بوادر تثير مخاوفه.

لكن العملية انكشفت بعد وقوعها وأدت إلى ردود فعل مباشرة انتهت باغتيال الطبيب ابن أثال. وقد قام بذلك ابن المغدور أو ابن أخيه، بحسب اختلاف الروايات واسم كليهما خالد (تميل الروايات إلى أنه ابن الأخ). وتفيد رواية أوردها أبو الفرج أن هذا الشخص كمن لابن أثال فى مسجد دمشق وكان يمسى مع معاوية فلما خرج من القصر وحاذاه وثب عليه فقتله

---

(١) الأغانى جـ١٦ / ١٤٠ ط بيروت - بلا تاريخ فى أخبار المهاجر بن خالد. تفهم هذه الرواية من حيث دلالتها على جس نبض المتنفذين من أهل الشام. أما التفاصيل التى تضمنتها فقد لا تكون واقعية بالضرورة..

وقد اعتقله معاوية وأمر بجلده مئتى سوط وأغرمه الدية ألفي دينار. وبقى في السجن حتى وفاة معاوية وتقول الرواية إنه قال لمعاويةعند اعتقاله: «قتلت المأمور وبقي الآمر»[1]. وهذا مجرد تهديد. إذ كان المفروض أن يبدأ بالآمر لأنه الفاعل الأصلي. لكن من الواضح أنه قد اختار الأسهل والأقل كلفة. وهو بذلك قد تصرف بموجب حساب مسبق حدد له سلوكاً مزدوجاً: لم يسكت عن الجريمة التي ارتكبت بحق والده، أو عمه، ولم يذهب في إدراك ثأره إلى المدى المطلوب حين قرر قتل المأمور دون الآمر. ومع أن المأمور يستحق نفس العقوبة (لاسيما وهو طبيب مؤتمن على أرواح الناس فخان رسالته وتحول إلى أداة قتل بيد السلطان) فقد كان واثقاً أنه لن يقتل إذا اغتال المأمور، بخلاف مالو اغتال أو حاول اغتيال الآمر. وحسابه مبنى على اعتبارين: مكانته الأعلى بوصفه حفيد خالد بن الوليد، ومكانة القتيل الدون بوصفه طبيباً غير مسلم. وهو حساب مضبوط أدرك به جزءاً من ثأره من دون أن يكلفه حياته. ومما يؤكد لنا أنه أجرى هذا الحساب سلفاً ما ذكرته رواية أبو الفرج من أنه أشرك في كمينه رجلاً من مواليه يمتاز بشدة البأس ورسم له خطة تقضي بأن يكون هو الذى يتولى قتل ابن أثال بينما يقتصر دور المولى على المراقبة والحماية من وراءه. والغرض من هذا بين فلو أن المولى هو الذى تولى قتل الطبيب لكان من المحتمل أن يقتل به، لا سيما وهو يتجرأ على اغتيال طبيب الخليفة وأداته الضاربة في تصفية خصومه ومنافسيه. وربما ساعدنا هذا الموقف الأخلاقي من جهته على ترجيح أن قاتل الطبيب هو ابن الأخ وليس الابن. وابن الأخ هو خالد بن المهاجر بن الوليد، وكان أبوه مع علي بن أبي طالب خلافاً لأخيه الموالي لمعاوية والأمويين. ولابد أنه قد اكتسب من خلال ذلك شيئا من أخلاقيات علي بن أبي طالب هي التي جعلته يتجنب توريط مولاه في قضية تخصه شخصياً، رغم ما انطوت عليه خياراته من حسابات ربح وخسارة لم تكن لعلي بن أبي طالب خبرة كافية لها.

اغتيال عمر بن عبد العزيز:

تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة بين عامي ٩٩ و ١٠١ هـ ومجمل مدته سنتين ونصف. وكانت خلافته بمثابة انقلاب (أبيض) ضد السياسة الأموية نفذ في أثنائه إجراءات كثيرة وجذرية استهدف بعضها الاتجاه العام للخلافة السائدة وبعضها الآخر المصالح المباشرة لأركان

---

(١) المصدر السابق. أيضاً ابن عساكر ٥ / ٩٥.

الأسرة. وكان مقدار الخطر الذى حملته خلافة عمر بن عبد العزيز على الوضع الأموى يكفى لإثارة اعتراضات شديدة من جانب أسرته. لكن هذه اعتراضات عبرت عن نفسها فى احتجاجات هادئة أخذت فى الغالب شكل عتاب أو نصائح من شيوخ الأسرة ووجهائها.. وفى هذا السياق المتطامن نفسه تأتى الوفاة العاجلة للخليفة لتضع حداً لانقلابه القصير العمر.

توفى عمر بن عبد العزيز قبل أن يكمل الأربعين. وكان لا يزال شاباً لم يستهلك طاقاته البدنية بالإسراف الذى اعتاده الخلفاء وأبناؤهم فى الملذات الحسية. وقد ذكر ابن كثير فى حوادث ١٠١ من البداية والنهاية أنه مات بالسل، فى رواية، وبالسم فى رواية أخرى. لكن مصادر سيرة عمر لم تتحدث عن أعراض سل حين تحدثت عن مرضه الذى توفى به. وتتجه معظم الروايات إلى القول أنه مات مسموماً. وقد أورد الطبرى فى حوادث ٩٩ التى أعقبت استخلاف عمر بعد أن استعرض مفاوضاته مع وفد من الخوارج أن بنى مروان «خافوا أن يخرج ما عندهم وفى أيديهم من الأموال فدسوا إليه من سقاه سماً» . ذكر الطبرى ذلك بعد أن تحدث عن اتفاق وشيك بين الخوارج وبين الخليفة يعلن الخوارج بموجبه تأييدهم له مقابل خلع يزيد بن عبد الملك من ولاية العهد. وكان يزيد ولياً لعهد عمر بموجب وصية سليمان بن عبد الملك التى تضمنت استخلاف عمر ثم يزيد، وكان ذلك هو الاعتراض الأساسى الذى أبداه الخوارج على سياسة عمر. وفيما يتعلق بخبر اغتياله بالسم فإن رواية الطبرى لها قيمتها الكبرى فى إثبات هذا الاحتمال، لأن هذا المؤرخ الكبير قلما يتبنى خبراً مضاداً للأمويين مالم يتثبت منه. وقال الكتبى فى «الوفيات» مانصه: سقاه بنو أبيه السم لما شدد عليهم وانتزع كثيراً مما فى ايديهم[١] . وبينما ذكر أبو الفدا فى ترجمته لعمر فى مختصره أن موته بالسم معروف لدى اكثر الناس. وقد نص على وفاته مسموماً كذلك الشعرانى فى طبقاته عند ترجمته لعمر فى المجلد الأول . بينما أورد الغزالى فى أحياء علوم الدين[٢]، أن أعراض تسمم ظهرت فى مرض عمر الذى توفى فيه. اكتشف ذلك طبيبه وأخبره بها فقال عمر إنه قد أحس بالسم حين وقع فى بطنه. وفى «حلية الأولياء» لأبى نعيم حكاية ذات مضمون غيبى تحدثت عن

---

(١) انظر ط، بولاق ١٢٨٣هـ. ١٠٥/٢.

(٢) انظر جـ٤ / ٤٦٥ مطبعة الحلبى ١٢٩٦هـ القاهرة . «كتاب الموت».
أيضاً : ابن الجوزى، سيرة عمر بن عبد العزيز. القاهرة١٣٣١ هـ ص ٢٧٧ .

تسميمه نسبت إلي الوليد ابن هشام (لم يذكر إن كان ابن عبد الملك) قال فيها: لقينى يهودى فأعلمنى أن عمر سيلى أمر هذه الأمة فيعدل فيه. فلقيت عمر فأخبرته بقول اليهودى . فلما استخلف عمر و دنت وفاته لقينى اليهودى وقال لى: إن صاحبك قد سقى فأمره فليتدارك نفسه. قال فلقيت عمر فذكرت ذلك له. فقال قاتله الله ما أعلمه . لقد عرفت الساعة التى سقيت فيها[1]. لا شك أن مخترع هذه الحكاية قد استفاد من وجود خبر ذائع عن تسميم عمر لإعطاءه «كرامة ولى» مما يحرص ذوو الأمزجة الصوفية على منحها للأولياء . ومن المعتاد للحكايات التى تتوخى هذا الغرض أن تجرى على لسان يهودى أو نصرانى لأنهم عند المسلمين من أهل العلم الأول الذين سبقوهم إلى الاتصال بالسماء.

وتقرن رواية لابن عبد الحكم تسميم عمر بحكاية عن ملك الروم تقوم إن الملك المذكور لما بلغه سقى عمر أرسل إليه رأس الأساقفة وكتب إليه يعلمه حاله عنده وما يحفظه له من الحق عنده بوصفه من أهل الخير وطاعة الله ويقول له إنه قد بلغنى أنك سقيت وقد بعثت إليك رأس الأساقفة وأطبهم (أعلمهم بالطب) ليعالجك مما بك. فقدم عليه فقال له عمر: انظر إلى. فجسه فقال: سقيت يا أمير المؤمنين. وتقول الرواية إن عمر أبى أن يتقبل العلاج الذى وصفه له المبعوث الرومى. وأنه دعا فى نفس الوقت الرجل الذى اتهمه بدس السم إليه فاستجوبه فاعترف وقال إنه خدع وغر فقال عمر : خدع وغر، خلوه ولم يعرض له بشئ[2].

والحكاية بقدر ما يتعلق بملك الروم باطلة، لأن مدة وصول الخبر وإرسال رأس الأساقفة لاتتناسب مع حالة مسموم. ولو أننا لا نعدم أن نجد لها أساساً لأن خلافة عمر كانت فترة سلام مع البيزنطيين، وقد سحب عمر القوات التى كانت تحاصر القسطنطينية بقيادة مسلمة بن عبد الملك، كما أظهر ميلاً إلى عدم التوسع فى الفتوحات حيث كان يقول «حسب المسلمين ما فتح الله عليهم». فمن المنطقى أن تكون للبيزنطيين مصلحة فى بقائه. وقد يكون صدر عن الامبراطور البيزنطى فى هذه الأثناء رد فعل ما، فصاغ منه الناس حكاية. ومن الطريف فى هذه المناسبة أن بعض المصادر زعمت أن ملك الروم نعى عمر لقومه حين بلغته وفاته ورثاه رثاء مؤثراً!

---

(١) أنظر الترجمة ٣٣٣ جـ٥ ط مصر ١٩٣٥.
أيضاً : ابن الجوزى – المصدر السابق ص ٢٧٦.
(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز . القاهرة ١٩٢٧ ص ١١٨ – ١١٩.

لا يسعنا أيضاً قبول الخبر المتعلق بالمتهم بدس السم، فانكشاف مثل هذا الفعل ليس سهلاً. وإذا انكشف فليس من السهل ترك المتهم طليقاً، إن لم يكن من جهة عمر أو من جهة أولاده. كما أن الذين يقفون وراء المكيدة سيجدون أنفسهم مضطرين إلى القضاء على أداتهم الجرمية لإخفاء مكيدتهم. وما أيسر أن يأمر الخليفة الأموى الذى استلم بعد عمر بقتل المتهم «غضباً» له و«انتقاماً» من القاتل....

مهما يكن من شئ فإن روايات اغتيال عمر بالسم هى الأرجح بين المؤرخين. وقد ذكر أبو الفدا في ترجمة عمر من مختصره أن أكثر الناس يميلون إلى هذا الرأى. وليس لدينا فى الحقيقة ما يضعف هذه الروايات غير سكوت بعض المؤرخين عنها، بينما لانجد مؤرخاً عنى بأبطالها أو تقدم برواية أخرى تصلح للتوثيق. وسكوت بعض المؤرخين يرتهن بالطبيعة السرية للحدث وهو كما رأينا حدث غير اعتيادى تقوم به أسرة حاكمة ضد خليفتها الذى يتمتع بشأن خطير ومكانة لاتطال.

علامة استفهام:

تقول بعض مصادر سيرة عمر إنه لم يتخذ عبيداً لمنزله أثناء الخلافة. لكن هذا لا يمنع أن يكون له خدم يتولون شؤونه الشخصية والمنزلية. وهناك ما يدل على أن مائدته كانت تحضر وفق الأصول وأنه كان يساهم أحياناً فى ترتيبها. فهل دس السم فى طعامه أو شرابه من طرف بعض الخدم؟ مر بنا أن بعض الروايات صرحت بذلك. وهو احتمال وارد من المعروف أن الخدم كانوا من الأدوات الشائعة لمثل هذه المكايد... لكن لدينا احتمال أخر قد يتوارد إلى الذهن.

كان عمر بن عبد العزيز متزوجاً من ابنة عمه فاطمة بنت عبد الملك، وكانت حياته معها قبل الخلافة مترعة بالحب والنعيم.ولكنها أصيبت بخيبة أمل كبرى بعد استخلاف عمر. وقد أوردت المصادر عنها أموراً تدل على تبرمها الشديد بحياتها فى تلك المدة. ومن ذلك إفادة لها بعد وفاته تقول فيها إنه لم يغتسل من جنابة منذ تولى الخلافة حتى مات[1]. ومثل هذه الإفادات كانت مألوفة من نساء العرب فى صدر الإسلام فلا يستبعد صدورها عن زوجة عمر،

---

(١) طبقات ابن سعد. ليدن ١٣٢٢هـ. جـ٥ / ٢٩٣ فى ترجمة عمر بن عبد العزيز.
أيضاً : ابن عبد الحكم ص ٥٠.

ولو أنها قد تكو غالت في ذلك لتعبر عن مدى عزوفه عن متع الحياة بسبب انهماكه في تنفيذ سياسته الإصلاحية.

بالطبع لم يكن في مقدور أميرة مدللة ربيت في بيت امبراطوري تجبى له كنوز الدنيا أن تتقبل وضعاً كالذي أراده لها خليفتها الزاهد، فطباع هؤلاء الناس هي أبعد ما تكون عن القناعة والعزوف عن الامتيازات الخرافية التي ينعمون بها . ورغم أن المصادر ذكرت أن فاطمة تابعت زوجها في البدء في التخلي عن بعض مقتنياتها النفيسة وإرجاعها إلى بيت المال، فقد عادت تتذمر فيما بعد إلى الحد الذي جعلها تصرح بتلك الإفادة المثيرة عن حياتها الجنسية. وقد تحدثت الروايات في نفس الوقت عن علاقة حب جمعت بين الزوجة الساخطة وبين رجل من أبناء عمومتها بدأت في أيام عمر وانتهت بالزواج من هذا الرجل بعد وفاة الخليفة. وقد هجيت بسبب ذلك بشعر نسبه ابن عساكر[1] إلى الأحوص وصاحب الأغاني [2] إلى موسى شهوات وهو شاعر من موالي قريش. وفي رواية أن عمر سمع زوجته أو جاريتها تقول: أراحنا الله منك. وقد وردت في مصدر معتمد وعن محدث قريب الزمن منه[3]. وبالاستناد إلى هذا الوضع يتوارد احتمال أن تكون للزوجة يد في التخلص من الخليفة . وهو احتمال لا أستبعده ولا أثبته؛ لا أستبعده لأنه طبيعي جداً في هذه البيئات ومن هؤلاء الناس في ظرف كالذي وصفناه للتو. ولا أثبته لأني لا أملك رواية صريحة أو ضمنية تدل عليه. مهما يكن فإن مصير عمر بن عبد العزيز قد تقرر كما رجحنا في منزله وأن خطة تصفيته رسمت من طرف أسرته. وقد استعادت السياسة الأموية سيرتها الأولى على يدي يزيد بن عبد الملك تبعاً للترتيب الذي أوصى به سليمان بن عبد الملك. ولو قدر لعمر أن يستمر في الخلافة مدة أطول، وهو أمر كان في قيد الإمكان لأنه حين مات لم يكن قد بلغ الأربعين، لكان ممكناً أن يشتد ساعد المعارضة الاسلامية للخلافة الأموية لتنتهي إلى انقلاب جذري يعيد حكم الخلفاء الراشدين. وهو ما

---

(١) تهذيب تاريخ دمشق ٥/ ١٩٩

(٢) جـ٣ / ٣٥٣. في أخبار موسى شهوات.

نص الشعر:

أبَعـد الأغـر ابن عبـد العـزيز ... قـريع قـريش إذا يُذكـرُ

تـزوجت داود مـخـتـارة ... الا ذلـك الخـلـف الأعـور

(٣) تاريخ أبو زرعة الدمشقي ١ / ١٩٥ . فقرة ١٢٨ . دمشق ١٩٨٠ .

كان الأمويون يخشونه من خلافة عمر بن عبد العزيز.وقد جسدت هذه المخاوف عبارة شديدة الوقع ينسبها ابن عبد ربه إلى مسلمة بن عبد الملك قالها بعد وفاة عمر[1]: «أما والله ما أمنت الرق حتى رأيت هذا القبر» والرق الذى يقصده مسلمة هو خروج السلطة من أيديهم وتحويلهم إلى رعايا.

وفيات مشبوهة

ذكرنا عند الكلام على اغتيال الحسن بن على ما أورده أبو الفرج عن موت سعد بن أبى وقاص مسموماً بتدبير من معاوية. وهو خبر لم يشتهر بين المؤرخين فسجلناه على احداث الوفيات المشبوهة. وهناك وفيات أخرى حصلت فى ظروف غامضة أو جاءت فيها روايات اغتيال غير مقطوع بها يمكن وضعها فى نفس العداد. ومنها:

وفاة معاوية بن يزيد بن معاوية:

شاب تولى الخلافة بعد والده. ويتردد المؤرخون بين وصفه بالضعف ووصفه بالورع وعدم الرضا عن سياسة أبيه وجده . وقد تنازل عن الخلافة بعد أربعين يوماً أو ثلاثة أشهر واعتكف فى منزله. لكنه لم يعش طويلاً، فقد مات فى نفس السنة وهو فى الثالثة والعشرين. وتقول بعض الروايات إنه مات بالطاعون وبعضها أنه مات مسموماً. وهو بعد أن تنازل واعتزل السياسة لم يبق من له مصلحة فى التخلص منه مالم نأخذ بروايات تقول إنه أظهر ميولاً راشدية تحت تأثير مؤدبه عمرو بن مقصوص وكان من القدرية.

وفاة مروان بن الحكم:

تولى مروان الخلافة بعد معاوية بن يزيد مسجلاً بذلك انتقال السلطة من آل أبى سفيان إلى آله. وقد توفى بعد تسعة أشهر من استخلافه. وكان قد تزوج أرملة يزيد بن معاوية وهى أم ابنه الثانى خالد الذى طالب بالخلافة بعد تنازل أخيه لكن صغر سنة لم يساعده فى تحقيق هذه الغاية. ويقال أن مروان تزوج أمه بقصد إذلاله وأنه شتمه مرة فقال له: يا ابن الرطب! فأبلغ خالد ذلك إلى أمه ولا مها على الزواج من مروان فحميت ووعدته بالانتقام منه. وفى الليل انتهزت نوم مروان وتواطأت مع جواريها فألقين مخدة على عنقه وقعدن عليها حتى اختنق. وهذه أقرب إلى أن تكون حكاية لا رواية . على أن موت مروان قد حامت حوله بعد الشكوك

(١) العقد الفريد ط أحمد أمين – القاهرة ٤/ ٤٣٧.

رغم أنه كان قد قارب السبعين. وقد أورد اليعقوبي رواية تفيد أن أم خالد سقته سم في لبن[1]. وهو أمر غير مستبعد في بيئات القصور. بينما ذكرت بعض المصادر أنه مات بالطاعون وقد يكون، ولو أننا لا نملك دليلاً على حصول موجة طاعون بالشام سنة وفاته.

وفاة عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز:

هذا الحادث هو أكثر الحوادث مدعاة للريبة. فقد كان عبد الملك غلاماً في السابعة عشرة حين مات فجأة في خلافة والده. وكان هذا الغلام أعجوبة في وعيه الديني والسياسي وقد وقف إلى جانب والده في سياسته الاصلاحية المعادية لأسرته، وكان أشد تطرفاً منه وأكثر اندفاعاً في تنفيذ الاصلاحات. وقد تبناه الخوارج لهذا السبب. وتزعم بعض مصادرهم أن والده دفعه حين مات إلى مندوبيهم الذين كانوا في ذلك الحين يفاوضونه، ليتولوا غسله ودفنه بأنفسهم، باعتباره «صاحبهم» وكان من بين هؤلاء أبو حمزة، الذى احتل الحجاز في وقت لاحق، أيام مروان الحمار، وهو الذى صلى على الولد صلاة الجنازة كما تقول الرواية الخارجية[2].

لم أجد فيما رجعت إليه من المصادر شيئاً عن هذه الوفاة المفاجئة لغلام في السابعة عشرة، ولا ما يعين المرض الذى مات منه. فهل مات مسموماً؟ المصادر أيضا لا تتضمن ما يشير إلى أعراض تسمم ظهرت عليه. على أن الحاجات التى طمنها رحيل هذا الغلام تلقى شيئاً من الريب على وفاته. لا شك أن الأسرة التي كانت تسعى لإنهاء خلافة الوالد قد وقفت على اتجاهات الولد فصار واضحاً لها أن بقاءه بعد والده يجعل العودة إلى سياسته من بعده أمراً ممكناً وهناك ما يدل على أن تجربة هذه الخليفة قد أثارت هلعاً لدى الأمويين من احتمال تكرارها (*). وهو احتمال يقويه وجود مثل هذا الوريث الخطر ويؤخذ من رواية لابن الجوزى

---

(١) التاريخ ط. النجف ١٣٥٨ ه. جـ٣ / ص ٤.

(٢) انظر: منهج الطالبين للشقصي الرستاقي. القاهرة ١٩٧٨. جـ١ ص ٦١٨.

(*) جاء في «نسب قريش» لمصعب الزبيرى أن هشام بن عبد الملك اتخذا طرازاً (قماش مطبوع) له قدر واستكثر منه حتى كان يحمل عل سبعمئة جمل، وحمله على ذلك أن عمر بن عبد العزيز لما مد يده إلى أموال بنى أمية لم يتعرض لما قطعوا من الثياب ولبسوا بل تركها لهم. فرأى هشام أن عمر امام عدل وان من يأتي بعده من أئمة العدل يقتدى به فجعل يتخذ المتاع الجيد ويؤثر فيه ويلبسه ثم يدخره لولده، فإذا جاء بعده خليفة واستأنف سياسة عمر فسيبقى لأولاد هشام شئ كثير نفيس لا تشمله المصادرة لأنه مستعمل. ط - القاهرة غير مؤرخة. ص ١٦٤ فقرة ٤.

أن الأمويين كانوا يتخوفون من أن يكون عبد الملك بديلاً عن يزيد في ولاية العهد[1]. وفي مثل هذه الحالة يكون من المعقول جداً أن يفكروا في تصفية الولد قبل الوالد. لأن قطع الأصل مع بقاء الفرع قد لا يحسم الداء.

من هنا يتقوى الشك في هذه الوفاة. ويمكن تفسير سكوت المؤرخين عن سبب الوفاة في ضوء الطريقة التي يمكن أن يكون قد تم بها إنهاء الغلام قبل والده. وهي هنا استخدام سم لطيف خفي الأثر لا يترك أعراضاً على المسموم. وعلى أية حال، ينبغي أن لا نستبعد ما تقدمه الطبيعة من خدمات مجانية في بعض الأحوال. فلعل الغلام قد مات في أجله الموعود كما يحدث لأقرانه ليوفر على ذويه إثماً زائداً كان عليهم أن يثقلوا به ضمائرهم. ولو أن المشكلة تبقى قائمة على أي حال لاسيما حين نعلم أن الولد لم يمت وحده، فقد لحقه عمه المسمى سهل بن عبدالعزيز وكان على نهج أخيه ومن أعوانه الأشداء على الإصلاح. ثم لحق بالاثنين مولى عمر المسمى مزاحم وهو بدوره من ألص أعوانه. ويقول ابن عبدالحكم إن عمر صار بعد موت الثلاثة يتمنى الموت ويدعو الله لأجل ذلك[2]. وأنه لسؤال صعب أن يكون القضاء والقدر قد مالأ بني أمية إلى هذا الحد فصفى لهم أربعة خصوم كلهم شبان في أقل من سنة؟.

وفاة يزيد الناقص

هو يزيد بن الوليد بن عبدالملك. كان يعارض سياسة أسرته، وقد استصبأه القَدَرية المناهضون لهذه الأسرة فانضم إلى جبهتهم ثم قاد تمرداً مسلحاً في ضاحية المزة، من ضواحي دمشق، وزحف على دمشق فاحتلها وقضى على حكم الوليد، ابن عمه، الذي اشتهر بمجونه وطغيانه. وألقى يزيد عند مبايعته بالخلافة خطاباً ضمنه برنامجاً في الحكم شبيهاً ببرنامج عمر بن عبدالعزيز مما كان يشكل الأهداف المشتركة للمعارضة الإسلامية لحكم الأمويين.

مات يزيد بعد ستة أشهر من استخلافه وكان عمره أربعين. وتقول بعض الروايات أنه مات بالطاعون، وغيرها أنه مات مسموماً. وليس لدينا ما يدل على أن طاعوناً جارفاً قد ضرب الشام في ذلك الوقت. واحتمال تسميمه قوي جداً وتبرره نفس الأسباب التي أدت إلى القضاء على

---

(1) سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٢٦٤.
(2) سيرة عمر بن عبدالعزيز ١١٤.
«لكل من ابن عبدالحكم وابن الجوزي كتاب عن عمر بن عبدالعزيز يحمل نفس العنوان».

عمر بن عبدالعزيز. وقد أعقب وفاته استيلاء مروان الحمار على الخلافة بعد إزاحة شقيقه الضعيف إبراهيم بن الوليد. وربما كان لآخر خلفاء بنى أمية، المشهور بدهائه وجبروته، يد فى تصفية هذا الخليفة القصير العمر.. ولو أن اليعقوبى ينقل خبراً عابراً يتهم أخاه ابراهيم بسمه.

على بن الحسين وابنه محمد الباقر:

حسب المأثور الشيعي (الاثنى عشرى) أن الأول مات مسموماً بتدبير من الوليد بن عبدالملك، والثانى بتدبير ابراهيم بن الوليد، وحسب مصادر التاريخ العام، مات الإمامان المذكوران فى أجلهما الموعود دون أية شبهة وفي ظروف لا تتحمل أى شك فى سبب الوفاة. ويعطى هذا المأثور الباطل دليلاً على الانطلاق المعكوس من الايديولوجيا إلى الوقائع، لأنه مبنى على اعتقاد جمهور الاثنى عشرية أن الإمام لا يموت إلا شهيداً. وهو مسلك يتميز به المؤرخون الدعاة فى الغالب ويتحاشاه المؤرخون المحترفون. ولذا نجد خبر تسميم الإمامين فى «بحار الأنوار» للمجلسى وهو من كتب الدعاة، ولا نجده فى «تاريخ اليعقوبى» وهو من مصادر التاريخ العام رغم أن مؤلفى كلا الكتابين هما من الشيعة الاثنى عشرية.

* * *

قبل أن ننتقل إلى الكلام عن الاغتيالات التى قامت بها المعارضة نود التنويه بأن وسيلة الاغتيال التى استعملتها السلطة فى الخلافة الأموية قد اقتصرت على السم كما هو واضح من المخططات التى وصفناها. ويرجع هذا إلى أن الشخصيات التى طالتها الاغتيالات كانت لها مكانة فى الأسرة الحاكمة أو فى المجتمع تمنع من تصفيتها علناً. والاغتيال بالسلاح قد يعرض الخطة للانكشاف بالقبض على القاتل. وقد وفر السم الذى كان يحضّر كما قلت آنفاً بطريقة متقنة غطاء للخطط ساعد كثيراً على إخفائها، مما ساعد بدوره على البلبلة والاختلاف الذى يجده المرء وهو يجوس خلال المصادر ليتعرف على مصير أولئك الناس.

الاغتيال من جانب المعارضة

كانت المعارضة الإسلامية للأمويين تتألف من الشيعة والخوارج والقَدَرية وجمهور الفقهاء والمتكلمين ـ مثقفى ذلك الوقت. وقد سلكت المعارضة بجميع أطرافها سبيل العمل المسلح. وكان الأسلوب الغالب هو أسلوب الانتفاضات المسلحة ومن أبرزها انتفاضة الحسين فى

كربلاء، والمختار في الكوفة، وزيد بن علي في الكوفة، وولده يحيي في جرجان، وابن الأشعث في العراق والمشرق والقدرية في الشام، والحارث بن سُرَيج في خراسان.

ونظراً لطول وتشعب هذا العصر وتعقد الأحداث فيه، لامجال لحصر الاغتيالات بالشكل الذي حاولناه في الأقسام الثلاثة الأولى وستقتصر دراستنا على حوادث منتقاة، إما لأهمية نتائجها أو لخطورة عنصر التنفيذ فيها.

على يد السلطة

اغتيال ادريس بن عبدالله:

من أحفاد الحسن بن علي. كان قد اشترك في تمرد قاده أحد أبناء عمه بالحجاز في خلافة موسى الهادى، أخ الرشيد، وهو التمرد المعروف بوقعة فخ. وبعد سحق التمرد هرب ادريس إلى مصر ومن هناك واصل سيره حتى المغرب الأقصى، حيث بدأ بتنظيم حركة ناجحة ضد العباسيين انتهت إلى إقامة أول دولة علوية في أفريقيا. وكانت حركة ادريس ثاني حركة انفصالية خطيرة ضد الخلافة العباسية بعد انفصال الأندلس بزعامة عبدالرحمن الداخل. وقد أرّقت هارون الرشيد، الذى استلم بعد أخيه الهادى، القصير المدة. لكن الرشيد ارتأى عدم أفضلية استخدام القوة العسكرية، ربما لبعد المكان، أو لاعتبار آخر فكر فيه، فلجأ إلى المكيدة لضرب ادريس وحركته.

يتفق معظم المؤرخين على أن ادريس مات مسموماً وعلى أن الرشيد دس إليه رجلاً استغفله حتى سمّه. لكنهم يختلفون في اسم الرجل وكيفية أدائه لمهمته. وتقول رواية لأبو الفرج الأصفهاني[1] إن هذا الرجل كان من الزيدية، وهو مذهب ادريس نفسه، وأن يحيى البرمكي رغبه وأغراه لاغتيال ادريس. واسم الرجل في هذه الرواية هو سليمان بن جرير الجزرى. وهو مشابه لاسم متكلم زيدى يدعى سليمان بن جرير الرقي، والرقة كانت من أعمال الجزيرة. ومن المستبعد أن يكون هو الفاعل لأنه كان من أعلام الزيدية المناهضين لبني العباس، كما كان من كبار متكلميهم ورأسا لشعبة منهم تسمى الجريرية. ولعل رواية أبو الفرج قد وقع في

(١) مقاتل الطالبيين. القاهرة ١٩٤٩ ص ٤٨٩ الفصل المخصص لادريس بن عبدالله.

اشتباه ناتج عن تقارب الاسمين. وقد ورد الاسم عند ابن خلدون[1] هكذا: سليمان بن حريز ويعرف بالشماخ. فربما تصحفت حريز إلى جرير. أما الشماخ فهو اللقب الذى تتفق معظم الروايات على تلقيب الفاعل به. وهو ليس لقب سليمان الرقى. وينبغى مع هذا أن لا نستبعد أن يكون الرشيد أو كبير وزرائه قد اختار رجلاً زيدياً لهذه المهمة حتى يمكنه استدراج ادريس للمكيدة. وتذكر رواية أخرى لأبو الفرج وردت أيضاً عند الطبرى[2] وابن خلدون أن الشماخ كان طبيباً وأظهر أنه من الشيعة.

أما كيفية تنفيذ الخطة فيستفاد من مجمل الروايات أن الرجل المذكور التحق بادريس متظاهراً أنه من أنصاره وأنه ساخط على العباسيين. ومن المحتمل جداً أن ادريس صدقه لكونه شيعياً. وقد أنس به وجعله من جملة خواصه. ثم حدث أن اشتكى ادريس وجعاً فى أسنانه فأعطاه مسواكاً مسموماً ونصحه أن يستالك به عند طلوع الفجر. وهرب الرجل فى نفس الليلة. وعند الفجر استيقظ ادريس وأخذ المسواك فجعل ينظف به أسنانه، ويفترض أنه كان قد بيّن له أن فى المسواك مادة علاجية، فتسرب السم إلى جسده وقضى عليه. وقد وردت عن ابن خلدون عبارة تشكك فى هذه الرواية. ولعل ذلك لأنه استصعب أن يكون المسواك المسموم سبباً فى الموت، فمثل هذه الحالات من التسمم كانت ميسورة العلاج بالمضادات الترياقية آنذاك. وقد جاء فى رواية أخرى لأبو الفرج أن الشماخ قدم إليه سمكة مشوية مسمومة. وهو ما يرد أيضاً عن ابن حبيب الذى يسبق أبو الفرج بنحو القرن[3]. وفى رواية غيرها لأبو الفرج أنه قدم إليه عطراً مسموماً فقتله بعد أن شمه وتعطر به. وقد تكون هذه الوسائل أفتك من المسواك.

مهما يكن الخلاف حول كيفية التسميم فقد مات ادريس وكافأ الرشيد مغتاله بتعيينه موظفاً كبيراً فى مصر. وكانت لإدريس جارية حامل منه فانتظرها أعوانه حتى ولدت ولداً سموه ادريس وتعهدوه ليكون وريثاً لوالده. واستمروا فى هذه الأثناء يدبرون شؤون الدولة حتى

---

(١) التاريخ ١٣/٤ الفصل الخاص بالادارسة.

(٢) التاريخ حوادث ١٦٩ ـ أخبار الحسين بن على صاحب فخ. اغتيل ادريس سنة ١٧٥ لكن الطبرى ساق قصته استطراداً من قصة التمرد الذى شارك فيه.

(٣) انظر: «أسماء المغتالين من الأشراف» سلسلة: نوادر المخطوطات، تحقيق عبدالسلام هارون. القاهرة ١٩٥٤، ص١٩٨.

بلغ الوريث سن الرشد. وقد استطاعوا بذلك صيانة دولة الأدارسة من السقوط فلم يتحقق للرشيد الهدف الذى كان يتوخاه من اغتيال مؤسسها.

تصفية الوزير ثم ولى العهد:

بعد أن انفرد المأمون بالخلافة بمقتل أخيه الأمين، وكان مقيماً حينذاك في خراسان، استدعى على الرضا بن موسى الكاظم، وهو الإمام الثامن في سلسلة الأئمة الاثنى عشر عند الإمامية، وقرر تعيينه ولياً للعهد، في حركة دراماتيكية أراد أن ينقل بها الخلافة من بني العباس إلي آل البيت. وقد تم ذلك خلافاً لرغبة الإمام الشيعى الذى قبل الخطة، مكرهاً، رغم أنه كان من المطالبين بالخلافة. ولعل السبب هو عدم تيقنه من قدرة المأمون على فرض خطته على أسرته العباسية ذات النفوذ القوى، أو عدم اطمئنانه إلي جدية الخطة. وقد سبب هذا الإجراء تمرداً في بغداد قاده عم المأمون ابراهيم بن المهدى، وتم فيه خلع المأمون ومبايعة ابراهيم بالخلافة. وكانت أخبار التمرد تصل إلي وزيره الفضل بن سهل فيكتمها عنه، وكأنه كان يتوق إلي معالجة الأوضاع بنفسه قبل أن ينتبه إليها المأمون، لأن الوزير كان من أهداف المتمردين وأحد الأسباب التى دعتهم إلي العصيان. لكن الأمور تفاقمت وخرجت من يد الوزير فاضطر على الرضا إلي مكاشفة الخليفة بتفاصيل ما يجرى في بغداد وبيّن له أن العباسين وأنصارهم في بغداد قد خرجوا على طاعته بسبب ولاية العهد وأن الفضل يستر عنه الأخبار ويتصرف باسمه في أمور سببت المزيد من القلاقل وعرضت سلطته للخطر. وكان على ملتزماً بعدم غش المأمون، جرياً على أخلاقيات متوارثة لدى أئمة أهل البيت. قرر المأمون على الأثر أن يتوجه إلي بغداد لتدارك الأوضاع. وفي مدينة سرَخس كان الفضل بن سهل، الذى رافق الخليفة في عودته، يغتسل في حمام فشد عليه جماعة وتناولوه بسيوفهم فأردوه قتيلاً. وكان المهاجمون من حشم المأمون، فأمر بالبحث عنهم وجعل لمن جاء بهم عشرة آلاف دينار، فلما مثلوا أمامه قالوا: «أنت أمرتنا بقتله». فأمر بإعدامهم وبعث برؤوسهم إلي الحسن بن سهل، شقيق الفضل، وكان معتمد المأمون في واسط[1]. وقد ورد قتل الفضل في الحمام في مصادر أخرى لم ينص بعضها على تورط المأمون. فابن العماد يقول إن الاغتيال كان بإيعاز من خال

(١) الطبرى: حوادث ٢٠٢ هـ.
ـ ابن الأثير، حوادث نفس السنة.

المأمـون[١]. بينما أوردها اليعقوبي بعبارات لا يفهم منها إن كان القتل من المأمون أو تصرفاً كيفياً من القتلة[٢]. ورواها الخطيب البغدادى[٣]، بطريقة لا تشعر بعلاقة المأمون بها. بينما صرح ابن حبيب[٤] أن المأمون دس غالب الرومي، وهو مولاه، فقتله في الحمام وأنه قبض عليه فقتله وقتل معه أربعة آخرين من الحشم.

لسنا بحاجة إلى مجاراة المؤرخين الذين يتحرجون أحياناً من توريط الخلفاء في المكايد، فقد كان المأمون فى أمس الحاجة لإنهاء الفضل بن سهل االذى كان أحد أخطر عقبتين فى طريق تسوية الفتنة ببغداد. وصراخ القتلةحين قدموا للاعدام لالبس فيه، فالمأمون هو الذى أمر بقتل وزيره، وحتى لو لم يصرخوا لكان علينا أن نفهم سرالاغتيال: فالفضل يجب أن يذهب ثمناً لعرش الخليفة. وقد يتساءل القارئ: أما كان بمقدور الخليفة أن يقتل الفضل علناً وهو شئ مألوف عند الخلفاء بعد الراشدين؟ أو يعزله على الأقل؟ وأجيب أن الفضل مكان له أعوان مستعدون للتمرد لو قتل صاحبهم بأمر الخليفة، وأن له كذلك أخاً متنفذاً لم يكن ليسكت لو حدث هذا لأخيه. أما عزله فقد كان محتملاً أن يدفعه إلى القيام بنشاط مناوئ مستفيداً من كثرة أعوانه وإخلاطهم له. وقد جاء الاغتيال حلاً لهذه الاحتمالات الممكنة حينئذ. ومما له دلالة هامة هنا أن يبعث المأمون برؤوس القتلة إلى الحسن شقيق الفضل مشفوعة بكتاب يرثى فيه المغدور ويبكيه ويخبر الشقيق أنه قد صيره مكان شقيقه... سياسى بارع من طراز معاوية ورجل دولة دقيق الحساب.

بعد قتل الفضل في سرخس، واصل المأمون سيره إلى بغداد فنزل فى طريقه بمدينة طوس ليقيم أياماً عند ضريح والده الرشيد. وهناك مات ولى العهد فجأة.. وميتة هذا الرجل محيرة؛ فالكثير من المصادر المعتمدة لا تنص على سبب قاطع يفيد الاغتيال لكنها أفادت أنه أكل عنباً فأكثر منه فمات، وكان فيما يقال مشغوفاً بأكل العنب[٥]، والإكثار من أكل العنب لا يميت

---

(١) انظر شذرات الذهب حوادث سنة ٢٠٢هـ.

(٢) التاريخ، ١٨٠/٣ط النجف ١٣٥٨هـ حوادث ٢٠٢. نص العبارات: لما صار المأمون بقُومس قتل الفضل بن سهل فى الحمام دخل عليه غالب الرومي وسراجة الخادم فقتلهما المأمون وقتل قوماً معَهما.

(٣) تاريخ بغداد. القاهرة ١٩٣١م، ٣٤٣/١٢ الترجمة ٦٧٨٤.

(٤) مصدر سابق. ص١٩٨.

(٥) الطبرى ـ التاريخ، ابن كثير ـ البداية والنهاية، حوادث ٢٠٣هـ. ابن خلدون ٢٥٠/٣ ابن خلكان الترجمة ٣٩٦. المسعودى ج٤/ ٢٨ من ط ـ محى الدين عبدالحميد الخامسة، القاهرة ١٩٧٣(باب ذكر أيام المأمون).

وانما قد يحدث ارتباكات هضميةفى أسوأ الأحوال. تنص روايات أخرى على أن العنب كان مسموماً، وهى القناعة التى يبدو أن أبو الفرج قد توصل إليها. وقد أورد فى ذلك روايتين تقول إحداهما إن المأمون أمر أحد أعوانه المسمى عبد الله بن بشير أن يطول أظفاره ثم أخرج إليه شيئاً يشبه التمر الهندى وقال له افركه واعجنه بيديك جميعاً، ففعل . ثم دخل على الرضا وكان قد اعتل فسأله عن حاله ثم قال له: هل جاءك أحد من المترفقين اليوم (يقصد الممرضين والمعتنين بالمرضى) فقال له: لا. فغضب المأمون وصاح على غلمانه. ثم قال له: خذ ماء الرمان اليوم فإنه لا يستغنى عنه. ودعا برمان فأعطاه عبد الله بن بشير وقال له: اعصر ماءه بيديك. ففعل وسقاه الرضا بيده فشب، ومات بعد يومين وفى الرواية الأخرى يرد ذكر العنب وأن الرضا كان مولعاً بأكله فأخذ له عنب وغرست الابر فى أقماعه. وتركت أياماً ثم قدم له فأكل منه، وكان مريضاً، فقتله وتضيف هذه الرواية أن ذلك كان من لطيف السموم (١).

وفى الروايتين ما يدعو إلى عدم الثقة بهما، ففى الأولى يجرى التسميم بحضور الخليفة حيث يعصر أحد الأعوان رماناً بيده بعد أن طول أظفاره وأشبعها سماً. ومثل هذه الطريقة فى تحضير الأشربة والأطعمة غير مألوفة فى دور الأباطرة التى يعد كل شئ فيها سلفاً ويقدمه خدم متخصصون فى أوانى وكؤوس مخصوصة وبطريقة مخصوصة أيضاً . وسيكون من الشذوذ المثير للشك أن يعصرالرمان بحضور الخليفة وولى عهده. أما فى الرواية الثانية فإن ترك العنب أياماً وفيهاالابر لابد أن يفسده، وكان الرضا- مثل سائر أهل بيته - متحرياً للنظافة وله معرفة جيدة بالطب، فهو لا يستسيغ أكل طعام فيه علامة فساد، مع إمكانية توفر أفضل الأصناف له.

وقد أشار اليعقوبى (٢) إلى مسألة التسميم بالرمان دون أن يجزم بصحتها. بينما ذكر ابن العماد أنه مات بالحمى أو بالسم (٣). والترجيح الأول يعزز ماورد فى بعض الروايات من أنه كان عليلاً قبل أن يدس إليه السم.

واستعرض المحقق الشيعى محسن الأمين قضية موت الرضا فجزم بأنه مات مسموماً، لكنه أورد عن علماء شيعةكبار شكهم فى ذلك. وقدلاحظ أن الكُلينى لم يتطرق إلى اغتياله، والكلينى من أقدم مؤرخى الشيعة. ونقل الأمين كذلك عن «كشف الغمة» أن السيد رضى

---

(١) مقاتل الطالبيين. ص ٥٦٦ - ٥٦٧ الفصل المخصص لعلى بن موسى.
(٢) التاريخ ٣/ ١٨٠ - ١٨١ حوادث ٢٠٣هـ.
(٣) مصدر سابق حوادث ٢٠٢هـ.

الدين علي بن طاووس - من مراجع الشيعة في القرن السابع - كان لا يوافق عل أن المأمون سم الرضا ولا يعتقده. وكان كثير المطالعة والتنقيب والتفتيش عن مثل ذلك. وعزز ابن طاووس قناعته بما كان يظهر من المأمون من الحنو على الرضا والميل إليه واختياره له دون أهله وأولاده[1].

وقد استبعد ابن الأثير رواية العنب المسموم[2]. ورأى ابن الأثير جدير بالاعتبار لأنه مؤرخ رصين وقلما يتحيز فيما لا يتعلق بمعاصريه.

وترددت أصداء اغتيال الرضا في الشعر، في قصيدة باكية لدعبل الخزاعي وهو معاصر للرضا عبر عن حيرته بشأن الموت المفاجئ لإمامه ولو أنه مال فيما بعد إلى تأكيد الاغتيال حين صب غضبه ولعناته على بني العباس:

شككت فما أدرى أمسقي بشربة؟ فأبكيك ام ريب الردى فيهون
وايهما ماقلت إن قلت شربة وان قلت موت انه لقمين
أيا عجباً منهم يسمونك الرضا وتلقاك منهم كلحةوغضون

لكن أبو فراس الحمداني جزم بالاغتيال إذا قال في قصيدته التي هاجم فيها العباسيين ودافع عن آل البيت:

«باعوا بقتل الرضا من بعد بيعته».

وأبو فراس من أبناء القرن الرابع. ولعله يردد هنا ماشاع بين الناس، لاسيما الشيعة.

يستبين من مجمل ما استعرضناه أن تسميم الرضا غيرمتفق عليه. لكن ميتة مفاجئة كهذه وفي وقت كان المأمون محتاجاً إليها لابد أن تثير شكوكاً جدية. وأنا أميل، دون أن أستبق، إلى وجود خطة اغتيال، لاسيما وأننالا نملك دليلاً على إصابة الرضا بمرض قاتل سوى الحمى التي لم يذكر لها المؤرخون مضاعفات أو أعراضاً خطيرة. فضلاً عن أنه حين مات كان بين الرابعة والأربعين والخمسين، تبعاً لاختلاف الأقوال في عمره، وفي مثل هذا السن لا يموت الانسان إلا بعلة واضحة. وكان المأمون قد كتب فور وفاته إلى العباسيين الغاضبين في بغداد يخبرهم

(١) أعيان الشيعة(٢/ ٣٠ ترجمة علي بن موسى الرضا ط - بيروت ١٩٨٣.
(٢) الكامل في التاريخ. حوادث سنة ٢٠٣.

(يبشرهم؟) بأن الرجل قد مات وأنه عاد إلى لبس السواد شعارالعباسيين الذى كان قد خلعه ولبس الخضرة شعار العلويين. وانتهت بذلك قصة ولايةالعهد التى فجرت الأزمة.. أترى المأمون كان على موعد مع القدر المسارع له فى هواه يجتاز مدينة طوس متوجهاً لإخماد الفتنة فى بغداد؟.

مقتل المتوكل:

قتل المتوكل بتدبير من ابنه المنتصر وحاشيته التركية. ولم تتضمن الخطة أية تعقيدات فقد باغته المسلحون وهم أنفسهم من أفراد القصر فى حجرته وخبطوه بسيوفهم جهاراً ودون أية تكتيكات. وقد وضعنا الحدث على ملاك الاغتيال لأنه دبر فى غفلة من المغدور ونفذ بالمباغتة. وتعكس طريقة قتله روح التهور غير المحسوب لدى المتغلبين الأتراك. وكان واضحاً أن الابن يقف وراء المؤامرة، وهو ماجرهر به البحترى فى مرثيته لولى نعمته.

أكان ولى العهد أضمر غدرة ؟ فمن عجب أن ولى العهد غادره

والسبب الذى حمل الابن على الغدر بالأب أنه قدم عليه فى ولاية العهد أخاه الأصغر. لكن ثمة ماهو أبعد من هذا السبب. فمقتل المتوكل ترتب عليه فقدان الخلافة العباسية سلطتها لحساب المتغلبين الأتراك، ومارافق ذلك من تفكك وحدة الدولة الاسلامية وظهور دويلات الطوائف. ومثل هذه التحولات الكبرى لا تنشأ من مجرد نزاع بين خليفة وابنه. وفى تقديرى أن المتغلبين الأتراك بعد أن اشتد بأسهم فى عهد المتوكل أخذوا يتأهبون للانقضاض على الخلافة وانتزاع السلطة الفعلية منها. وكان المتوكل قوياً مهيوباً، والدولة فى عهده لاتزال محتفظة بوحدتها وتكاملها المركزى. فلم يكن ميسوراً لأحد أن يتطاول على سلطته، فدبروا خطة لاغتياله. وقد انتهزوا تأخير الابن الأكبر فى عقد الولاية فاتخذوا منه أداة لتنفيذ المكيدة. وكان شاباً غراً ضعيفاً فانساق معهم. ولما قتل المتوكل استخلف الابن بقوة الحاشية التركية خلافاً لعقد الولاء. وبهذا تمت للأتراك السيطرة على الخلافة العباسية بإزاحة أخر الخلفاء الأقوياء.

على يد المعارضة

اتسعت حركة المعارضة فى الخلافة العباسية مع تفاقم وتعقد الأزمات الاجتماعية فى عموما المجتمع الاسلامى وحصلت فى أثناء ذلك تبدلات فى مواقع وفصائل الفرق المعارضة. فقد

أستمر الخوارج من خلال تشعباتهم المعروفة وأسلوبهم المعتاد (حرب العصابات) لغاية النصف الثاني من القرن الثالث قبل أن يبدأوا أنحساراً في الرقعة التي كانت تشملها نشاطاتهم ليتمركزوا في مواقع نفوذ حصلت في أيديهم نتيجة انتفاضات مسلحة تجاوزوا بها أسلوبهم القتالي السابق. أما القدرية فقد تطوروا حينئذ إلى المعتزلة وحافظوا على نهجهم المعارض إلى عهد المأمون الذى تحالف معهم وجعل مذهبهم رسمياً للدولة. وقد اشترك المعتزلة في أوائل العصر العباسي في حركة مذهبهم رسمياً للدولة. وقد اشترك المعتزلة في أوائل العصر العباسين في حركة مسلحة كبرى قادها ابراهيم بن عبد الله الحسني في البصرة وكادت تقضي على الخلافة العباسية لحساب المعارضة الاسلامية . لكنها فشلت . ولم يظهر للمعتزلة نشاط سياسي هام بعد هذه الحركة . وبقي الفقهاء في معارضتهم للخلافة غير الراشدية التي أصبحت الآن من نصيب العباسيين وشارك بعضهم في حركتي ابراهيم وأخيه محمد – الذى أستولى على المدينة في عهد المنصورة. لكن معارضتهم أخذت في التراجع بعد هاتين الحركتين لاسيما في ساحة العمل المسلح، لتنتهي إلى وئام مع السلطة الإسلامية تبلور في غضون القرن الرابع. ومن الشيعة ظهرت الزيدية بنشاط مسلح استهله الشقيقان ابراهيم ومحمد ضد المنصور. وتواصل متراوحاً بين الشدة والخفوت حتى انطفأت جذوته نهائياً بوصول الزيدية إلى السلطة في اليمن. وفي النصف الثاني من القرن الثاني بدأت الاسماعيلية الباطنية نشاطها السري الذى تطور إلى حركة كاسحة غطت العالم الاسلامي من مشرقه إلى مغربه وكانت وسيلتها الضاربة في مرحلة الظهور هي العمل المسلح.

إلى جانب الفرق، ظهرت حركات مسلحة أخذت شكل الانتفاضات في أماكن معينة وعلى يد قيادات غير مرتبطة بتنظيم فرق كان من أعظمها شأناً انتفاضة البشمور في شمال مصر والزنج في جنوب العراق والبابكية (الخرمية) في أذربيجان.

من بين الحركات والفصائل المسلحة ، واصل الخوارج أسلوب الاغتيال ولكن في نطاق ضيق. والعملية الهامة التي قاموا بها في هذا المرحلة هي اغتيال القائد البارز المخضرم معن بن زائدة. وسنصفه بعد قليل . بيد أن الأسماعيلية ملأت الشاغر الذى تركه الخوارج. وكانت هذه الفرقة قد لجأت كما قلنا إلى استراتيجية العمل المسلح في مرحلة الظهور . وقد تجلى ذلك أول الأمر في انتفاضات كبرى هي التي تمخضت عن الخلافة الفاطمية والكيانات القرمطية في العراق واليمن وشرقي جزيرة العرب . وفي غضون القرن الخامس شرعت في استخدام

أسلوب الاغتيال. ويأتي لجوء الاسماعيلية إلى هذا الأسلوب في ترتيب مناقض لنظيره عند الخوارج، الذين استخدموه في البدء ضمن استراتيجيتهم العامة في «حرب العصابات» ثم تخلوا عنه لصالح الانتفاضات في مواقع نفوذهم. أما الاسماعيلية فقد بدأت بالانتفاضات وإنشاء مواقع النفوذ ثم الكيانات واتجهت إلى الاغتيال. يقترن هذا التحول عند الاسماعيلية بمقدمات دخولها مرحلة الأفول متمثلة في انحسار الخلافة الفاطمية في مصر وشروعها في التدهور، وانكماش الحركة القرمطية في شرقي الجزيرة ثم زوالها في أواخر القرن الرابع بعد أن صفيت تماماً في العراق والشام. ولذلك لم تعط الاغتيالات مردوداً استراتيجياً للفرقة، وانما حققت لها مكاسب موضعية.. ويستدل من تحليل لابن أبي الحديد على أن الاسماعيلية سلكت هذا السبيل بدافع شرعي. ولأهمية هذا التحليل نورده بنصه (١).

«.. إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند أصحابنا (المعتزلة) أصل عظيم من أصول الدين. وإليه تذهب الخوارج الذين خوجوا على السلطان متمسكين بالدين وشعار الاسلام مجتهدين في العبادة لأنهم إنما خرجوا لما غلب على ظنونهم، أو علموا، من جور الولاة وظلمهم أن أحكام الشريعة قد غيرت وحكم بما لم يحكم به الله. وعلى هذا الأصل تبنى الاسماعيلية من الشيعة قتل ولاة الجور غيلة».

إن لقاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نطاقات مختلفة: فردية وجماعية، كما ورد هذا التحليل في سياق شرح لكلمة في نهج البلاغة عن مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أن فيها ما يتعلق بالسلطة وما يختص بعامة الناس. وتحليل ابن أبي الحديد هنا منصب على نطاقها السياسي حيث يتعين على المسلم أن يقاوم السلطة الجائرة بالوسائل المتاحة له، حسب شروطها وظروفها، ومن ذلك استعمال السلاح سواء كان هذا السلاح في حرب مكشوفة ضد السلطة أم أعمال قتل منفردة. وقتل الحاكم الجائر مبدأ اسلامي قديم، متأثر بنزعة التمرد اللقاحية عند العرب الجاهليين. وقد أشرنا في القسم الأولى إلى أن الاسلام لم يحرم الاغتيال السياسي وإنما حرم الاغتيال الشخصي.

على أن التعليل الشرعي للاغتيال لا ينفي دلالته الاستراتيجية بوصفه نتاجاً لحالة الانحسار

---

(١) شرح نهج البلاغة ٤/ ٤١٣.

التى أصيبت بها الحركة. وهو من هذه الجهة تعويض عن فشل الثورة. ولو أنه كان عند الاسماعيلية تعويضاً باهظ الثمن للمعسكر المعادى. وقد ساعد فى بعض حالاته على انتقال سلطة أو انهيار كيان كما أعطى الاسماعيلية وهى فى أوان تراجعها هيبة فى عيون أعدائها جعلت لها حضوراً مؤثراً فى الأحداث.

ربطت بعض المصادر بعض الاغتيالات التى قام بها الاسماعيلية بالصراع على السلطة بين أمراء الحرب الأتراك، بحيث ظهرت فى بعض الأحيان كما لو أنها كانت أعمالاً مأجورة. لكن الأحداث التى فسرت على هذا النحو، كانت فى الواقع قد تحددت سلفاً بحلف سرى بين بعض الأمراء والاسماعيلية ضمن هؤلاء بموجبه عدم التعرض لأعضاء الحركة مع تقديم تسهيلات تساعدهم على مواصلة التنظيم والدعوة[١]. هى من هذا أقرب إلى تكتيك الاستفادة من تناقضات الأعداء منها إلى مفهوم الارتزاق، الذى لا ينسجم مع المبادئ التى تعمل المجموعات الفدائية بموجبها. ومن الجدير بالملاحظة.، أن الفدائيين الاسماعيلين كانوا يعملون تبعاً لتوجيهات من مركز قيادتهم وكانت المبادرات الفردية فى هذا المضمار شبه معدومة.

نأتى الآن إلى وصف بعض العمليات التى نفذتها المعارضة فى هذا العصر..

اغتيال معن ابن زائدة:

كان معن من قواد الأمويين فى أواخرهم ثم انضم العباسيين فى خلافة المنصور. وكان إرهابياً سفاكاً، عينه المنصور والياً على اليمن وكانت قد وقعت فيها قلاقل فقمعها بوحشية وأباد الكثير من أهلها. ثم أرسله المنصور إلى سجستان فأساء السيرة فيه. وهناك عزم الخوارج على تصفيته. وكان للخوارج حضور قوى فى تلك النواحين. وقد وصف ابن الأثير وابن خلكان كيفية ذلك فرويا ان المجموعة الفدائية التى تكلفت بالعمل تنكرت فى زى عمال بناء. وكان معن يبنى منشأت فى منزله فدخل هؤلاء مع العمال. ويفهم من الرواية أنهم أخذوا يأتون يومياً إلى المنزل ويخرجون منه عند انتهاء ساعات العمل. وهم فى أثناء ذلك ينتظرون

(١) ذكر ابن الأثير أسماء أمراء تواطأوا مع الباطنية أو قدموا لهم التسهيلات لنشر دعوتهم. ومن هؤلاء مجد الملك الباسلانى قال ابن الأثير أنه كان من قواد الدولة السلجوقية يتشيع كثير الصدقة على العلويين إلا أنه كان يذكر الصحابة ذكراً حسناً ويلعن من يسبهم. وقد قتله أولاد أمير آخر قتله الباطنية لأنهم اتهموه بالتواطؤ معهم على قتله. كما أثر الباطنية فى سورية على حفيد لالب ارسلان كان يستولى على حلب فاستعان بهم فى كثير من أمورهم وفى عهده كثروا بحلب..

الفرصة للتمكن منه. فلما بلغوا التسقيف جلبوا أسيافهم وأخفوها في القصب المعد لهذا الغرض. وسنحت الفرصة عندما استدعى معن حجاماً واختلى معه في حجرة ليحجم له. فأخرج الخوارج سيوفهم من مخابئها وداهموه في حجرته ففتكوا به. وقد شق أحدهم بطنه بخنجر للاشتفاء منه كما يبدو، وهتف آخر وهو يخبطه بالسيف: «أنا الغلام الطاقى» نسبة إلى قرية في سجستان تسمى الطاق[1].

إن قتل معن يأتي على سبيل التأديب والزجر لغيره من الولاة الذين عرفوا بالتعطش إلى الدماء. لكنه لم يترك أثراً رادعاً. فقد أخذ ابن أخيه يزيد بن مزيد مهمة عمه وأربى عليه في القتل والتنكيل في منطقة ولايته. وكان قد قبض على قتلة معن فقتلهم وقتل معهم عدداً كبيراً من الخوارج.

اغتيالات باطنية

قتل المقتدر بالله العباسي:

عاصر المقتدر نهوض الدعوة الاسماعيلية وتوطد كل من دولتها في المغرب والحكم القرمطي في شبه جزيرة العرب وكانت الحملات توجه ضد القرامطة باسمه أو من قبله رأساً. ولأبو طاهر القرمطي رسالة جوابية إلى المقتدر رداً على رسالة تهديد كتبها إليه يدل محتواها ولغتها على مدى العداء المستحكم بين الطرفين.

أغتيل المقتدر سنة ٣٢٠ حين كان يحارب مؤنس الخادم، المتمردعليه. أما كيفية اغتياله فيقول ابن الأثير [2]إن جماعة من المغاربة والبربر لقوه في ظاهر بغداد حين انهزم فشهروا عليه سيوفهم فقال: ويحكم أنا الخليفة. قالوا قد عرفناك ياسفله أنت خليفة ابليس تبذل في كل رأس خمسة دنانير وفي كل أسير عشرة دنانير (يشيرون إلى المكافآت التي كان يعطيها لمرتزقته عن كل قتيل أو أسير يأسرونه). ثم ضربه أحدهم بسيفه على عاتقه فطاح على الأرض وجلس آخرون على صدره وذبحوه ورفعوا رأسه على خشبة وهم يكبرون ويلعنونه. ويخبرنا ابن الأبار[3] أن عبيد الله المهدى مؤسس الخلافة الفاطمية في المغرب ادعى المسؤولية عن تصفية المقتدر وأقام مجلساً للتهنئة بنجاح خطة الاغتيال. وقد نقل ابن الابار عن الصولي أن الذى

(١)الكامل حوادث سنة ١٥١، وفيات الأعيان الترجمة ٧٠٣.
(٢) الكامل حوادث سنة ١٥١، وفيات الأعيان الترجمة ٧٠٣.
(٣) التكملة ١٨٩/١.

قتل المقتدر رجل يسمى عليون الصنهاجي وأنه رماه بحربة في صدره فخرجت من ظهره. وقد يكون عليون هذا أحد أفراد المجموعة التي هاجمت المقتدر بحسب رواية ابن الأثير. وفي كلتا الروايتين فالقاتل من المغرب، مما يعزز إدعاء المهدى الفاطمي.

إن اغتيال المقتدر هو من أوائل العمليات الكبيرة التي نفذتها الاسماعيلية. لكنه حدث حين كانت الحركة في أوج قوتها وانتصاراتها فكان لذلك حدثاً منفرداً لا يندرج في سياق موجة الاغتيالات التي سيشهدها القرن التالي. أما مردوده فكان ضئيلاً إذا لم يترك أثراً كبيراً على العدو الذى كان المقتدر رمزاً واحداً من رموزه العديدة ولم يكن شغور مكانه ليسبب ارتباكاً أو قصوراً في مركز السلطة، لاسيما وأن السلطة الفعلية كانت حينئذاك بأيدى أمراء الحرب الأتراك المتسلطين على الخلافة. أما ابتهاج عبيد الله المهدى به فهو من باب استعراض القوة وإظهار قدرة الحركة على توجيه الضربات الموجعة للعدو في الوقت والمكان الذى يختاره.

اغتيال أمير حرب تركي:

تم ذلك عام ٤٤٠ أى بعد من قرن على اغتيال المقتدر. وكان الهدف هو حاكم همدان الأمير آق سنقر. وكان هذا الشخص كما يصفه ابن الأثير كثير الغزو للاسماعيلية والقتل فيهم والنهب لأموالهم والتخريب لبلادهم. وقد جرى قتله في كمين نصب له وهوفى طريقه لزيارة أحد رجال الدين جرياً على عادة أمراء الحرب الأتراك في توقير هذه الفئة والعناية بشؤونها.

ظهر التعذيب أيضاً في معاقبة الهاربين من الجيش منذ الفتوحات الأولى. وكانت العقوبة أيام الراشدين هي التعزى(*) وتتم بإقامة الهارب حاسراً في مكان عام للتشهير به. وقد أضاف مصعب بن الزبير، في العراق، إلى نزع العمامة حلق الرأس واللحية. وفي ولاية بشر بن مروان - شقيق عبد الملك - للعراق فرض التعذيب الجسدى فكان الهارب يرفع عن القاع ويسمر في يديه مسماران في حائط - على طريقة صلب المسيح - ويترك لشأنه، فربما بقى معلقاً حتى يموت وربما خرق المسمار كفه فسلم (١).

(*) التعزى عقوبة معنوية تكون عادة بجلدات محدودة العدد.

(١) ابن الأثير «الكامل في التاريخ» في أخبار الحجاج وقد ورد فيه لجند عاشق كتب إلى حبيبته:

لولا مخافة بشر أو عقوبته	وأن ينوط لفي كفي مسمار
إذن لعطلت ثغرى ثم زرتكم	إن الحب لمن يهواه زوار.

عطلت ثغرى: كناية عن الهرب من جبهة القتال. والثغور هي خطوط التماس مع دار الحرب وكانت بمثابة الحدود الرسمية للدولة الاسلامية.

إن مصدر العذيب في الحالات الموصوفة آنفاً هو الدولة، وضحياه هم عامة الناس. وهو أمر مفهوم مادام القادر على التعذيب هو المالك لأجهزة الدولة. ولدينا مع ذلك استثناء هام كان فيه ضحايا التعذيب هم الحكام أنفسهم جرى ذلك في أوان التغلب الذى فرضه العسكريون الأتراك على الخلفاء العباسيين بعد المتوكل، وقد ظهرت حينذاك طريقة سمل العيون لإرغام الخليفة غير المرغوب فيه على التنازل. ويهدف السمل إلى حرمان الخليفة من أحد شروط الاستخلاف وهو سلامة الجسد حيث يصبح بعد أن يفقد إحدى عينيه أو كلتيهما في حكم المنخلع. وكان ذلك يتم في هجوم مباغت يديره المتغلب ضد الخليفة يقوم المهاجمون خلاله بسمل عينيه أو إحداهما . وقد يكون التدبيرم خفياً بحيث من عناصر غير منضبطة، أو مباشراً بحكم السلطة الفعلية التي يتمتع بها المتغلب . وفي كلتا الحاليتين يسقط اسم الخلافة عن الخليفة القائم ويستبدل به غيره. وكان السبب في ذلك عدم قدرة المتغلبين على خلع الخليفة دون مبرر شرعي لأنه قد يثير مقاومة الخليفة ويظهرهم للناس مستهترين أكثر مما ينبغي.

فنون التعذيب وأبطاله.

في بداية الدعوة الاسلامية بمكة وجد تجار قريش حاجة لإرهاب عبيدهم ومواليهم الذين أسلموا فعذبوهم ليرجعوا عن الاسلام . وكانت وسيلتهم في ذلك هي التشميس الذى يعتمد على شمس الجزيرة الحارقة. فكانوا يكتفون الضحية ويلقونه في الشمس بعد إلباسه أدراع الحديد أو وضع جندلة على ظهره أو صدره ويترك على هذا الحال ساعات غير محدودة قد تستمر مادامت شمس النهار في عنفوانها. وظهر التشميس أيضاً في صدر الاسلام لتعذيب الممتنعين عن دفع الخراج وفي بعض الحالات كان يدهن جسد الضحية قبل تشميسها بدهن الحيوان فيحدث أن تظهر به ديدان ترعى جسد الضحية فيعاني من ذلك آلاماً شديدة حتى يموت.

إن التشميس هو أقدم وسائل التعذيب وهو وسيلة مشتركة بين الجاهلية والاسلام. ونبدأ الأن بعرض مفصل للوسائل التي ظهرت في الاسلام.

حمل الرؤوس المقطوعة:

و تدخل في باب المثلة بالميت. وقد بدأها الأمويون في زمان معاوية. ويقال إن أول رأس

حمل في الاسلام هو رأس عمرو بن الحمق، أحد أتباع علي بن أبي طالب، وقد قتله زياد بن أبيه. ومن الحوادث المشهورة في هذا الباب حمل رؤوس الحسين وأصحابه بعد معركة كربلاء. وقد ثبتت الرؤوس على الرماح وسير به من كربلاء إلى الكوفة حيث قدمت لحاكمها عبيد الله بن زياد . ثم استأنفوا السير بها إلى دمشق لتقديمها إلى الخليفة الأموى. ولم تتكرر هذه المثلة بكثرة أيام العباسيين، إلا أنها انتشرت في الأندلس أيام ملوك الطوائف، ومن المبرزين فيها المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية الذى أقام في قصره حديقة لزرع الرؤوس المقطوعة. وكان المعتمد شاعراً.

الضرب والجلد:

باليد أو السوط أو الهراوة أو المقرعة. وهو الشكل المعتاد في تعذيب الاعتراف كما استعمل في التأديب والانتقام السياسي . والضرب باليد غالباً مايكون صفعاً على القفا والوجنتين ولم يكن الغرض منه الإيلام بقدر الإهانة. ويضرب بالهراوة على الكتفين والظهر والأرداف. أما المقرعة فللرأس وهي أشد إيلاماً من اليد والهراوة. ويمكن اعتبار المقرعة تطويراً للدرة، وهي عصا خفيفة كان عمر بن الخطاب يحملها في تطوافه بالأسواق والدروب ويقرع بها المخالفين لتعليماته. وقد استبدل بها عثمان السوط، أو العصا بحسب الروايات، وكان ذلك من أسباب النقمة عليه.

أما الضرب بالسوط فهو الجلد، ينفذ في المضروب واقفاً أو مبطوحاً، وقد يقنطر ويضرب، هو ما اختاره والي المدينة لجلد مالك بن أنس مؤسس المذهب المالكي. وكان قد أفتى، كما في رواية لابن عبد البر في «الانتقاء» بعد شرعية البيعة للمنصور لأنها أخذت بالإكراه، فأمر الوالي بتأديبه، وتم ذلك برفعه من يديه ورجليه بعد أن قلبوه على وجهه وأخذوا بجلده على الظهر. وليس للأسواط مقدار معلوم إلا في العقوبات الشرعية التي تضمنت حداً أعلى هو مئة جلدة لجريمة الزنا. لكن التحديد الشرعي لم يعمل به . وكان المقدار يتحدد تبعاً لرغبة الآمر وربما استمر حتى الموت كما حدث لبشار بن برد الذى جلد بأمر المهدى بعد أن هجاه. وغالباً ما يتم الجلد دفعة واحدة ولكن يحدث أن يقسط على دفعات، ومن أمثلته جلد أبو حنيفة ، مؤسس المذهب الحنفي، مئة سوط بأمر حاكم العراق الأموى – عمر بن هبيرة لرفضه عرضاً بالعمل في إدارته . وقد نفذ الحكم بالتقسيط، كل

يوم عشرة أسواط. وكان الهدف من التقسيط إعطاءه فرصة للتراجع وقبول المنصب الذى عرض عليه [1].

تقطيع الأوصال:

ويشمل قطع اليدين والرجلين واللسان وصلم الآذان وجدع الأنف وجب المذاكير (الأعضاء التناسلية للرجل) وقطع اليد الواحدة منصوص عليه في الشريعة عقوبة للسارق، وكذلك قطع اليدين والرجلين وهو لقطاع الطرق. وقد توسع الحكام المسلمون بعد الراشدين في هذه الوسيلة دون التقيد بالجرائم المنصوص عليها، وطبقت على الجرائم السياسية. وكان المقطوع يترك حتى يموت من تلقائه فإذا لم يمت قطعوا رأسه. وأقدم مثال لهذه الطريقة هو قتل عبد الرحمن بن ملجم، قاتل على بن أبى طالب، وقد أعدم ببتر يديه ورجليه و لسانه وسمل عينيه. ثم قطع رأسه [2]. والبتر هو الغالب في هذه الحالات، أما الصلم والجدع فنادراً ما يحصل. ولكن جب المذاكير كان في بعض الأحيان عقوبة يفرضها السيد على عبده إذا صدر منه فعل جنسى لا يرضاه السيد.

سلخ الجلود:

فى رواية لابن الأثير [3] أن قائداً من الخوارج يدعى محمد بن عبادة أسر فى أيام المعتضد بالله فسلخ جلده كما تسلخ الشاة. نقل ابن الأثير حادثاً آخر كان ضحيته أحمد بن عبد الملك بن عطاش صاحب قلعة أصفهان الاسماعيلية. وكان السلاجقة قد حاصروا القلعة بقيادة السلطان محمد بن ملكشاه ثم افتتحوها وأسروا صاحبها ابن عطاش. ويقول ابن الأثير: فسلخ جلده حتى مات ثم حشي جلده تبناً [4]. والغرض من حشوه عرضه بعد ذلك للتشهير

---

(١) هذا هو المروى فى المصادر التى ترجمت للنعمان. وقد نسب ابن حجر فى «الخيرات الحسان» هذا الإجراء إلى المنصور وقال إنه مات بعد الجلد بخمسة أيام. ومن المعروف أن المنصور سجنه ولم يجلده وأنه مات فى السجن مسموماً كما ترجحه رواية أخرى لابن حجر.

(٢) الدينورى، «الأخبار الطوال» ص ٢١٧.

- ابن طاووس، فرحة الغرى. ط حجر. ايران. ١٣١١ هـ ص ٥. نقلاً عن «مقتل أمير المؤمنين للثقفى (من الكتب القديمة المفقودة). وابن طاووس من رجال القرن السابع.

- ابن الأثير، «أسد الغابة» طهران ١٣٢٢ هـ. ٤/ ٣٨٥.

(٣) الكامل فى التاريخ ٧ / ١٥١.

(٤) نفسه ١٠/ ١٥١.

والتخويف. وقبض المعز الفاطمي على الفقيه الدمشقي أبو بكر النابلسي بعد أن بلغه قوله: «لو أن معي عشرة أسهم لرميت تسعة في المغاربة (الفاطميين) وواحداً في الروم» واعترف بالقول واغلظ لهم بالكلام فسلخوا جلده وحشوه تبناً وصلبوه [1]. السلخ من أشنع صنوف التعذيب ويستدعي الإقدام عليه نزعة سادية في غاية الإفراط.

الاعدام حرقاً

فرضه أبو بكر على رجل مأبون يدعى الفجاءة السلمي. وورد في حروب الردة ما يدل على أن أبا بكر ضمن تعليماته لقادة الجيوش التي أرسلها لمحاربة المرتدين أوامر بالإحراق. وروى الطبري كتابين له في هذا المعنين كما نقل وقائع نفذت فيها أوامره[2]. ويخبرنا البلاذري في «فتوح البلدان» أن خالد بن الوليد أحرق بعض المرتدين بعد أسرهم وأن اعتراضاً من الصحابة قدم لأبي بكر ضد هذا الإجراء، فدهم أبو بكر قائلا: «لاأشيم سيفاً سله الله على الكفار». يقصد خالداً.

واستعمل بعض ولاة الأمويين هذه العقوبة ضد الثائرين عليهم. وقد ذكرت آنفاً إحراق المغيرة بن سعيد العجلي حياً بأمر خالد القسري حاكم العراق. وفي أوائل العباسيين أعدام الكاتب عبد الله بن المقفع حرقاً بأمر سفيان بن معاوية أحد ولاة المنصور [3] وقد طور العباسيون في وقت لاحق هذ الفن إلى شئ الضحايا فوق نار هادئة. وهو مافعله المتعضد بحق محمد بن الحسن المعروف بشليمة أحد قادة الزنج في البصرة، وكان المعتضد قد أعطاه الأمان ثم اكتشف أنه يواصل نشاطه المعادي سراً فأمرم بنار فأوقدت ثم شد على خشبة من خشب الخيم وأدير على النار كما يدار الشواء حتى تقطع جلده ثم ضربت عنقه [4].

---

(١) نفسه ٣٣٠/٢ حوادث ٣٦٣.

(٢) تاريخ الطبري ٤٨٨/٢، ٤٩٠، ٤٩١.

(٣) ابن النديم، الفهرست ط فلوجل ١٧٨.

قال ابن النديم: حل المنصور دمه لما فعله في شرط عبد الله بن علي. وكان ابن المقفع قد حرر الأمان الذى أعطاه المنصور لعمه عبد الله وضمنه شروط باهظة تقطع عليه سبيل نقضه.

(٤) الطبري ١٦٥/٨.

انظر كذلك: ابن النديم ص ١٩.

وفي البداية والنهاية أنه وجد نصراني يشرب الخمر مع أمرأة مسلمة في نهار رمضان فحكم نائب دمشق المنصور ابن قلاوون بإحراق النصراني وجلد المرأة. فأحرق بسوق الخيل (حوادث ٦٨٧هـ) والمنصور من حكام المماليك بمصر.

تعذيب متعدد الوسائل

تجمع هذه الطريقة عدة أشكال من التعذيب ضد شخص واحد. وقد استخدمت ضد أسرى القرامطة في بغداد، ومن أمثلتها تعذيب ابن أبي القوارس من قادة القرامطة في سواد الكوفة، بأمر المعتضد وتفصيله كما أورده الطبرى [١].

«وعلقت بالأخرى جندلة وترك في حاله تلك من نصف النهار إلى المغرب. ثم «قلعت أضراسه أولاً. ثم خلعت إحدى يديه بشدها إلى بكره متحركة. قطعت يداه ورجلاه في الصباح وقطع رأسه وصلب في الجانب الشرقي- من بغداد - وحملت جثته بعد أيام إلى محلة تدعى الياسرية كانت تعلق فيها جثث القرامطة ليصلب معهم».

مثال آخر وصفه الطبرى أيضاً وهو لصاحب الشامة الحسين بن زكرويه قائد القرامطة في السواد وكان قد أسر مع عدد من أصحابه وجئ بهم إلى بغداد ليعدموا:

«بنيت دكة في مكان عام ونودى على الناس لحضور حفلة الاعدام. وبدأوا يقتادون الأسرى واحداً واحداً وكان الرجل يؤخذ ويبطح فتقطع يمنى يديه ويحلق بها ليراها الناس ثم ترمى. ثم تقطع رجله اليسرى ويحلق به لنفس الغرض وترمى. ثم يسرى يديه فيمنى رجليه ويرمى بكل ما يقطع إلى أسفل، ثم يقعد فيقطع رأسه ويرمى به مع جثته إلى أسفل.

وقدم حسين بن زكرويه وضرب مئة سوط، وقطعت يداه ورجلاه. وكوى بالنار فغشى عليه فأخذ خشب فأضرمت فيه نار ووضع في خواصيره وبطنه فجعل يفتح عينيه ثم يغمضهما. فلما خافوا أن يموت ضربوا عنقه. ورفع رأسه على خشبة فكبر الجلادون من فوق الدكة وتبعهم سائر الناس بالتكبير» [٢] ولم تجر العادة بالتكبير في مثل هذه الأحوال إلا حين يكون الرأس المقطوع لعدو خطر. وهو ما فعله الأمويون عند قطع رأس الحسين بن على في كربلاء. وكان الحسين بن زكرويه حينما أدخل إلى بغداد واستقبله الناس خاطبهم بقوله: يا قتلة الحسين.

---

(١) الطبرى ٨/ ٢٠٧. (٢) نفسه ٨/ ٢٣٠.

تنور الزيات:

ابتكره محمد بن عبد الملك الزيات وزير الواثق لتعذيب عمال الخراج المختلسين. وكان يصنع من خشب تخرج منه مسامير حادة وفي وسطه خشبة معترضة يجلس عليها المعذب. وقد عذب فيه صانعه بعد عزله زمن المتوكل بسبب إهانة كان قد وجهها إليه قبل أن يستخلف. ووصف الطبرى تعذيبه على الوجه التالي(١).

«حبس أولاً. ثم سوهر (منع من النوم) فوكل به سجان ينخسه بمسلة كلما أراد أن يغفو. ثم ترك أياماً فنام وانتبه فاشتهى فاكهة وعنباً فقدمت إلى فأكل. ثم أعيد إلى المساهرة أياماً نقل بعدها إلى التنور حيث مكث أياماً كلما أراد أن يغفو سقط، على مسمار فانتبه، فكان يضطر إلى البقاء فوق الخشبة المعترضة ومقاومة النوم. وهى الفكرة التى تكمن وراء صنع التنور بهذا الشكل. أى أن المعذب يجد أمامه خيارين، إما النوم على المسامير أو السهرطيلة إقامته فى التنور.

أشكال مفردة:

تدخل هذه الأشكال فى عداد المبادرات الأنية ولذلك لا تجرى على نسق واحد أو تصميم متبع. وفيما يلى وصف لبعض الوقائع:

القتل بالطشت المحمى:

قبض السفاح العباسى على عبد الحميد الكاتب، وكان فى معية مروان آخر الخلفاء الأمويين، فسلمه إلى صاحب شرطته فكان يحمى له طشتاً ويضعه على رأسه إلى أن مات..

التعذيب بالمقدحة:

أوردت مصادر السيرة (٢) أن النبى محمد دفع كنانة بن الربيع، من زعماء بنى النضير، إلى الزبير قائلاً: عذبه حتى تستأصل ما عنده. وكان تحت يده كنز من أموال بنى النضير.. وعذبه الزبير بالمقدحة فكان يقدح فى صدره حتى أشرف على الموت ثم سلمه النبى إلى محمد بن مسلمة لقتله ثاراً لأخيه الذى قتله بنو النضير.

---

(١) نفسه ٧/ ٣٤٠.

(٢) ابن هشام «السيرة» وقائع فتح خيبر.

– ابن كثير، «البدية والنهاية» القاهرة ١٩٣٢، ٤/ ١٩٧.

الموت بالنورة:

من الوسائل التى قيل ان ابراهيم الإمام، زعيم الدعوة العباسية، قتل بها على يد مروان بن محمد أخر خلفاء الأمويين وضع رأسه في جراب ملئ بالنورة وشده عليه بإحكام. وقد ترك على هذه الحالة إلى أن مات مختنقاً[1].

النفخ بالنمل:

سعيد بن عمر الحرشي كان والياً على خراسان لعمر بن هبيرة حاكم العراق (كان المشرق يدار من العراق أيام الأمويين) وكان يستخف بأوامره، فأرسل إليه رجلاً يستطلع حاله. فعاد الرجل فأيد ما ذكروا عنه. وكان سعيد بعد أن علم بالرجل وضع له سماً فى بطيخة لكنه لم يمت ورجع إلى العراق فعولج حتى برئ . وعزل عمر بن هبيرة سعيداً وعذبه بأن نفخ فى بطنه النمل[2]. ولم تذكر الرواية إن كان قد مات أم لا.

التعطيش:

عام ٤٠٣ هـ هجمت خفاجة على الحجاج فقتلوا منهم خلقاً وهرب الكثيرون إلى الصحراء فماتوا عطشاً فقبض الوزير البويهى فخر الملك على قائدهم وأركانه وأمر بصلبهم على مسيل ماء بحيث يرونه ولا يصلون إليه حتى ماتوا عطشاً[3].

التبريد بعد الجلد:

أورد الغزالى فى «إحياء علوم الدين» أن عبد الملك بن مروان خطب ابنة التابعى سعيد بن المسيب، وكانت مشهورة بجمالها، لابنه الوليد فرفض سعيد لورعه ومعارضته لسياسة الأمويين، فأمر عبد الملك بتأديبه فضرب مئة سوط في يوم بارد وألبس جبة صوف ثم صب عليه جرة ماء بارد . وارتكب عمر بن عبد العزيز إجراء مماثلاً بحق خبيب بن عبد الله بن الزبير بأمر من الوليد بن عبد الملك حين كان عمر والياً على المدينة. وتقول بعد الروايات أن الوليد لم يضمن أمره صب الماء البارد وأن عمر أضاف هذه العقوبة من عنده. ولعل هذا هو السبب فى

(١) تاريخ الدولة العباسية لمؤلف مجهول. دار الطليعة بيروت . فصل : ابراهيم الامام.
(٢) الطبرى ٥/ ٣٦٩.
(٣) ابن كثير: المصدر السابق ، حوادث سنة ٤٠٣هـ.

حدة شعوره اللاحق بالجريمة كما تقول الروايات حيث أعلن الندم والتوبة وحاول التخلص من الولاية (*). وكان يومذاك في الخامسة والعشرين من عمره.

التكسير بالعيدان الغليظة:

مر بنا ذكر خالد القسرى الذى كان والياً على الحجاز ثم على العراق لهشام بن عبد الملك. وقد عزل خالد بيوسف بن عمر الثقفى ثم قتل بسبب مخالفات صدرت منه ضد الخليفة. وكان قتله على الشكل التالي: (١).

وضع عود غليظ على قدميه وقام عليها عدد من الجلادين فكسرت قدماه. ثم وضع العود في ساقيه فكسرت بنفس الطريقة. ثم نقل إلى فخذيه ومنهما إلى حقوبه وانتهى العمود إلى صدره فكسر، وعندها مات. وكان خلال ذلك ساكتاً لايتأوه..

قرض اللحم:

استخدمه قرامطة شرقي الجزيرة. وكان مؤسس الدولة القرمطية أبو سعيد الجنابى قد اغتيل بيد خادمه بعد أن دخل الحمام، وقام الخادم بعده بقتل عدد من القادة استدرجهم إلى الحمام. وقبضوا على الخادم بعد اكتشاف أمره فشدوه بالحبال ثم أخذوا يقرضون لحمه بالمقايض حتى مات(٢).

إخراج الروح من طريق آخر:

عقيدة خروج الروح من الفم عن الموت أوحت لمعتضد بأشكال من القتل أراد بها إخراج روح المقتول من غير طريق الفم. قال المسعودى فى «مروج الذهب» إن المعتضد كان شديد الرغبة فى أن يمثل بمن يقتله وذكر من وسائل ذلك:

١ ـ إذا غضب على القائد النبيل أو الذى يختصه من غلمانه أمر أن تحفر له حفيرة ثم يداس التراب بالأرجل حتى تخرج روحه من دبره بعد أن تكون قد سدت كل المنافذ التى يمكن أن تخرج بواسطتها من فمه.

(*) كان عمر يقول لمن يبشره بحسن العاقبة لما قام به في خلافته: «فكيف بخبيب ؟» وكان خبيب قد مات نتيجة تعذيبه بهذه الطريقة ويبدو مما ذكرته الرواية أنه كان شاباً حكيماً بعيد الإدراك رفيع الخلق فأراد الأمويون التخلص منه. انظر «نسب قريش» لمصعب الزبيرى ٦/ ٢٤٠ و«نسب قريش» للزبير بن بكار ١/ ٣٨٠.

(١) نفسه ٥/٥٦٣.

(٢) المقريزى «اتعاظ الحنفاء القاهرة ١٩٤٧ ص ٢٢١.

٢ ـ يؤخذ الرجل فيكتف ويؤخذ القطن ويحشى فى أذنيه وخيشومه وفمه. ثم توضع منافخ فى دبره حتى ينتفخ ويتضخم جسده. ثم يسد الدبر بشئ من القطن وبعدها يفصد من العرقين فوق حاجبيه حتى تخرج الروح من ذلك الموضع.

قلع الأظافر:

أقيمت وليمة قرشية حضرها هشام بن عبد الملك حين كان أميراً، ووجيه يدعى عمارة الكلبى. واقتضى ترتيب الوليمة أن يجلس عمارة فوق هشام، فاستكثرها منه وآلى على نفسه أن يعاقبه متى أفضت إليه الخلافة . فلما استخلف أمر أن يؤتى به وتقلع أضراسه وأظافر يديه. ففعلوا به ذلك. وكان يقول فيما بعد يندب نفسه[١]:

عذبونى بعذاب ... قلعوا جوهر رأسى
ثم زادونى عذاباً ... نزعوا منى طساسى
بالمدى حزز لحمى ... وبأطراف المواسى

وهنا يذكر أشكالاً أخرى من التعذيب لم تذكرها الرواية ولعلها جاءت استطراداً منه لاستكمال صورة العدوان الذى وقع عليه.

التعذيب بالقصب:

فيروز بن حصين من قادة انتفاضة ابن الأشعث ضد الحجاج فى العراق. أسر بعد فشل الانتفاضة، وكان تحت يديه أموال طائلة يعود بعضها للحركة . ولا ستحصال الأموال منه أمر الحجاج بتعذيبه، فعرى من ملابسه ولفوه بقصب مشقوق ثم أخذوا يجرون القصب فوق جسده. ولزيادة إيلامه كانوا يذرون الملح ويصبون الخل على الجروح التى يسببها القصب. وبعد أن يئس الحجاج من اعترافه بالأموال قطع رأسه.

التعذيب الجنسى:

من الوقائع النادرة فى هذا المجال اغتصاب نساء المدينة على يد جنود من أهل الشام بأمر من يزيد بن معاوية، وسيرد الكلام عليها لاحقاً. لكننى لم أعثر حتى الآن على رواية موثوقة بشأن الاعتداء الجنسى على الأسرى أو المعتقلين. سوى ماروواه الذهبى فى «سير أعلام النبلاء» أن الحاكم بأمر الله الفاطمى كان يتجول فى الأسواق على حمار ومعه غلام أسود ضخم فمن

(١) امالى القالى – بيروت ص ٥٧.

أراد تأديبه أمر الأسود فأولج فيه جهاراً [١]. ويبدو أن التغليظ فى النهى عن الزنا جهراً مع بقايا القيم والتقاليد القبلية قد جعل مثل هذه الاقترافات غير ميسورة. وكان ولاة الأمويين يعتقلون النساء ويقتلونهن أحياناً ولكن مع عدم المساس بشرفهن الشخصي. وقصة زوجة الكميت بن زيد مع والي العراق خالد القسرى تحتفظ هنا بدلالة هامة. فقد كان الكميت معتقلاً بأمر هشام بن عبد الملك وينتظر تنفيذ حكم من هشام بقطع لسانه على قصائده الهاشميات، فدبر خطة هروب مع زوجته فلبس ثيابها وانسل من السجن بدلاً منها وأخذوها إلى خالد القسرى فلم يزد هذا الارهابى الخطر على أن قال: حرة فدت ابن عمها!

تعذيب أدبي:

كان يطبق على المخالفات التى لا ترقى إلى درجة الجنحة أو الجناية أو التى لا تمس أمن السلطة ومصالحها . ومن وسائله حلق اللحى أو نتفها – والنتف يجمع بين التعذيب الجسدى والأدبى معاً – وحلق الرؤوس . وكان هذه العقوبات تفرض أحياناً على الزعران والزنادقة. ومنها قص الشعر الطويل، وكان يطبق على المراهقين أو الفتيان اللاهين. وقد تباهى ابن الجوزى فى «القصاص والمذكرون» بحملة قادها فى بغداد ضد هؤلاء فقصوا فيها «أكثر من عشرة آلاف طائلة – أى خصلة طويلة». ومن وسائل التعذيب الأدبى التى شاعت هو التشهير، وكان يتم فى الغالب بإركاب المشهر به على حمار والطواف به فى المدينة ومعه أشخاص ينادون بجريمته. ويورد الجاحظ فى «مفاخرة الجوارى والغلمان» تشهيراً بهذه الوسيلة لجارية ماجنة فى بغداد قبض عليها وهي تجامع مخنثاً بكنديج (قضيب اصطناعى) ويؤخذ من رواية الجاحظ أنها اعتبرت هذه الوسيلة معادلة للقتل، لأنها كانت تخاطب الرجال عند الطواف بها وتقول متهمة إياهم بالظلم: «إنكم تنيكوننا الدهر كله فلما نكناكم مرة واحدة قتلتمونا» [*]. وابتكر عبيد الله بن زياد وسيلة إضافية فى التعذيب الأدبى بهذه الطريقة طبقها على الشاعر المتمرد يزيد بن مفرغ الحميرى ، أمر بأن يسقى مادة مسهلة ثم يطاف به. وكان الشاعر يسلح على نفسه أثناء الطواف.

---

(١) ١٥ / ١٧٦. الرواية فى حاجة إلى توثيق.

(*) فى العامية البغدادية المعاصرة يقال للمرأة الماجنة أو المستهترة: مشهورة. ويبدو أن هذا من آثار تلك العقوبة التى شاع استعمالها أنذاك فى بغداد. ومنه قولهم فى التوبيخ: مسخم (بتفخيم السين إلى الصاد) ويشار به إلى المشهر به قديماً إذ كانوا يلطخون وجهه بالسخام ونحوه. وورد اصطلاح «تجبيه» ومعناه فى القاموس المحيط أن تحمر وجوه الزانيين ويحملا على بعير أوحمار ويخالف بين وجهيهما .

خارطة التعذيب:

تفاقم التعذيب على يد الأمويين، متلازماً مع تحول دولة المدينة البسيطة إلى امبراطورية يحكمها خليفة مطلق السلطة. لكن ذلك لا يعنى أن التعذيب لم يمارس من قبل. وقد أشرنا آنفاً إلى أوامر أبى بكر بحرق المرتدين ودفاعه عن أفعال من هذا القبيل صدرت عن خالد بن الوليد فى حروب الردة (*). ويمكن اعتبار خلافة عثمان نقطة تحول أولية فى القمع الاسلامى فهو مؤسس جهاز الشرطة فى الاسلام ، وقد ذكر ابن حبيب فى «المحبر» اسم مدير الشرطة الذى عينه وهو عبد الله بن منقذ التيمى – من قريش – ونوه بما يدل على بساطة جهازه، كمؤشر لى سلطة قمعية فى طور النشوء. وانتهج ولاة عثمان نهجاً قمعيا، ومحدوداً فى دار الاسلام منفلتاً فى دار الحرب (جبهة الفتوحات).. ولم يرد عن عمر بن الخطاب شئ من ذلك، أما على فهناك رواية تقول بأنه أحرق مرتدين . وقد أخرجها البلاذرى فى «أنساب الأشراف» على وجهين يرد فى أحدهما أنه أحرقهم أحياء وفى الآخر أحرقهم بعد قتلهم بالسيف(١) . وتربط بعض المصادر هذا الحدث بأتباع عبد الله بن سبأ الذى قيل أنهم ألهوا علياً فأحرقهم فى روايات ، ونفاهم فى روايات أخرى. وتورد الروايات التى ذكرت الاحراق رجزاً قيل أن على أنشده عند أو بعد إحراقهم. وعبد الله بن سبأ مشكوك فى تأريخه ، كما أن الغلو لم يكن قد ظهر فى زمان على . لكن رواية البلاذرى عن حرق المرتدين ممكنة بالنظر لوجود مثل هذه الحالات فى ذلك الوقت. ومن المستبعد مع ذلك أن يكون على قد أحرقهم أحياء لما نعرفه عنه من تشدد فى مراعاة أحكام الشريعة. والوجه الثانى لرواية البلاذرى أحرى عندى بالقبول . مع التنبيه إلى أن الرجز الذى نسب إلى على فى هذا الحادث ركيك لا يحتمل صدوره عنه. وهو من عناصر الضعف فى الرواية، مالم يكن أضيف إليها فيما بعد.

يستثنى من خلفاء الأمويين عمر بن عبد العزيز، الذى حكم أقل من ثلاث سنوات، ويزيد الناقص الذى حكم ستة أشهر. أما الباقون فكانوا قمعيين بدرجات متفاوتة. وظهرت ملامح نزعة سادية لدى بعض الولاة والقواد مثل زياد بن أبيه وابنه عبيد الله ومسلم بن عقبة المرى والحجاج وقرة بن شريك وبشر بن مروان ويزيد بن المهلب وخالد القسرى وأخوه أسد . ويروى

(*) يروى ابن سعد فى الطبقات أن أبا بكر كان يقول: إن لى شيطاناً يعتربنى فإذا رأيتمونى غضبت فاجتنبونى لا أوثر فى أشعاركم وأبشاركم – أى فى رؤوسكم وجلودكم – ج٣ / ١٥١ . ويروى أبو عبيد عن اسحق أن أبا بكر بعث سلمة بن سلامة بن وقش إلى خالد يأمره أن لا يستبقى من بنى حنيفة رجلاً قد أنبت . فوجد خالداً قد صالحهم . الأموال ص ٢٥٧ .
أنبت يعنى نبتت له عانة دليلاً على احتلامه، أى بلوغه العمر الذى يجوز فيه قتله حسب الشريعة.

(١) «أنساب الأشراف» ٥ / ١٨٨ .

أن عمر بن عبد العزيز استعرض بعض هؤلاء يوماً - قبل خلافته - فتحدث بما يشعر بالهول من اجتماع عدد منهم في وقت واحد قال : الحجاج بالعراق ، والوليد بالشام، وقرة بمصر، وعثمان بالمدينة، وخالد بمكة.. اللهم قد امتلأت الدنيا ظلماً وجوراً فأرح الناس ! و اشتهر الحجاج من بين هؤلاء. وتقول رواية شعبية إنه كان إذا أعدم أحداً يستمني على نفسه.. ويكرس هذا الجنوح في الخيال حالة الاقتران السيكولوجي بين الجنس والعنف مما عسى أن يكون الحدس الشعبي قد لمسه من خلال نموذج سادى تصدر قصص الارهاب في تاريخنا.

وأنتظم الخلفاء العباسيون في نفس السلك، مع استثناءات من النزعة السادية يمكن أن تشمل المأمون والواثق، والخلفاء الذين وقعوا تحت طائلة البويهيين والسلاجقة ففقدوا سلطتهم الفعلى، وخلفاء الحقبة العباسية الأخيرة الذين عاشوا في ظروف خاصة واقتصرت سلطتهم في الغالب على بغداد وما حولها. وعرف بالدموية من ولاتهم وقوادهم : أبو مسلم الخراساني وعبد الله بن على ومعن بن زائدة ويزيد بن مزيد وعقبة بن مسلم . ومن الوزراء الفضل بن مروان ومحمد بن عبد الملك الزيات وحامد بن العباس. وفي الأندلس، تميز المعتمد بن عباد بميله إلى التلذذ بمشهد الرؤوس التى كان يأمر بقطعها . وقد مر بنا أنه كان يشتلها في حديقة داره. واشتهر بالقسوة معظم ملوك الطوائف من غير المعتمد، وكذا المرابطون والموحدون الذين اقترن تاريخهم بأعمال الإعدام الجماعية التى ذهب ضحاياها مئات الألوف من خصومهم . ومن الخلفاء الفاطميين عرف الحاكم بأمر الله بحالته المرضية التى تجمع بين أعراض التقلب والمزاج الدموى. وعرف من القرامطة أبو طاهر القرمطي بالمذابح الجانية في مكة وغيرها من النواحى التى امتدت إليها غزواته مالم نضع في الحسبان احتمال المبالغة في أخباره التى وردتنا في مصادر معادية للقرامطة.

* * *

جلادون من الخلفاء يندمون عند الموت:

بتأثير الحرمة المؤكدة للقتل الكيفى والتعذيب كان بعض الخلفاء يتنغصون عند الموت لخوفهم من دخول جهنم. فقال عبد الملك بن مروان ليتنى كنت غسالاً . وبلغت الفقيه أبو حازم فقال: الحمد لله الذى جعلهم يتمنون عند الموت مانحن فيه. ولا نتمنى عند الموت ماهم فيه.. (ترجمة عبد الملك من الطبرى وابن الأثير) وقال الواثق العباسي: لوددت أني أقلت العثرة وأني حمال أحمل على رأسي». وطلب منه العهد لولده فقال: لا يرانى الله أتقلدها حياً وميتاً . (اليعقوبى ٨٣/٢) وفى قوله هذا إشارة إلى حتمية اقتران القمع الدموى بالسلطة الفردية.

وقال والده المعتصم عند الموت : لو كنت أعلم أن عمرى هكذا قصير لم أفعل مافعلت - الطبرى في ترجمته . وانفرد الحجاج براحة ضمير مطلقة ترجع إلى ولائه الديني للأمويين.

وسائل الاعدام:

لم يتطلع الفقهاء المسلمون إلى يوم تلغى فيه عقوبة الاعدام، مفترضين الضرورة الأبدية للعقوبات مادام الانسان مزيجاً من ا لخير والشر . وإنما تداولوا حديثاً نبوياً يقول: «أعف الناس قتلة أهل الإيمان » أى أن المؤمن إذا اضطر إلى القتل نفذه بأقل الوسائل إيلاماً . وقد استنتج منه ابن تيمية أن القتل المشروع هو ضرب الرقبة بالسيف ونحوه لأن ذلك أوحى أنواع القتل - يقصد أسرع بحيثى لا يتعذب المحكوم به [1] ويبنى على هذا أن الإعدام يجب أن ينفذ بالسيف ما دام الوسيلة الأقل إيلاماً ، فإذا وجدت وسيلة أخرى حلت محله . وهو المستفاد من الحديث. ولم يلتفت الفقهاء إلى تعارض هذا الحكم مع حكمين بالقتل يقترنان بالتعذيب. أولهما حكم قطاع الطرق، المنصوص عليه في القرآن، بقطع اليدين والرجلين والصلب وهو يقتضى قتلهم بهذه الطريقة . إلا أن جمهور الفقهاء . جعلوا الصلب بعد القتل . وقد أوله ابن تيمية برفعهم على مكان عال ليراهم الناس ويشتهر أمرهم [2]. لكن القتل بقطع الأطراف هو بحد ذاته تعذيب. ولم يكن للفقهاء الذين حرموا التعذيب إلا الامتثال لهذا الحكم بسبب صدروه عن الوحى الالهى.

الحكم الآخر هو رجم الزانى والزانية المحصنين - أى المتزوجين وهى ذات أصل سومرى وكانت تفرض على المرأة المراهطة. وانتقلت إلى المسلمين عن طريق التوراة. وينص هذا الحكم على الرجم حتى الموت . وكانت عقوبة الزانية المحصنة حبسها في منزلها حتى الموت وفقاً لنص الآية (١٥) من سورة النساء . ثم نسخت بالرجم . وقد أثار حكم الرجم التباسات ناشئة عن شناعته من جهة وعدم النص عليه في القرآن من جهة أخرى. فأنكره فريق من المسلمين بينهم الخوارجن وتساهل آخرون فى تنفيذه . ويبدو أن القائلين به شعروا بالحاجة أمام الإنكار ، إلى توكيد وروده فى الكتاب والسنة فقالوا إن حكم الرجم منصوص عليه فى آية منسوخة التلاوة باقى الحكم (*). ونص الآية كما ترد فى مصادر التفسير والناسخ والمنسوخ منسوبة إلى عمر بن الخطاب

﴿والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم﴾.

(١) السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية ص ٧٧ - ٧٨.
(٢) نفسه ٧٨. قال ابن تيمية إن بعض الفقهاء قالوا بالقتل أثناء الصلب خلافاً لقول جمهورهم.
(*) الآية المنسوخة التلاوة الباقيةالحكم، هى التى حذفت من القرآن مع بقاء حكمها سارياً.

وقد نسخت تلاوة الآية برفعها من القرآن مع بقاء حكمها. ولا سبيل إلى البت فى صحة هذه الرواية لأن أسلوب الآية المدعاة من الركاكة بحيث يصعب القول إنها صادرة عن مؤلف القرآن. ويزداد الأمر التباساً حين يراد منا أن نقبل بأن آية باقية التلاوة (الآية ١٥ من سورة النساء) نسخها آية منسوخة التلاوة (اية الرجم) مما لا نجد له نظيراً فى الناسخ والمنسوخ. على أن مصادر الحديث والسنة اشتملت على وقائع نفذ فيها الحكم على يد النبى وبعض الأحاديث التى تصرح به، مما يعزز الاعتقاد بوروده كحكم شرعى منصوص عليه فى الأصول. وعندئذ قد يكون من المعقول أن يقال بأن الآية ١٥ من سورة النساء قد نسخت بالسنة. ويوافق معظم الأصوليين على أن السنة تنسخ القرآن. على أننا نعثر فى «طبقات الصوفية» للسُبكى أن الصحابى عبدالله بين أبى أوفيى سئل إن كان النبى قد رجم فقال نعم. فسئل: بعدما نزلت سورة النور أم قبلها؟ فقال لا أدرى (ص٣٣٣) وتعزز هذه الرواية الشك فى الرجم لأن سورة النور اقتصرت على عقوبة الجلد.

ونظراً لتحريم الاجتهاد فى موضع النص لم يكن ميسوراً إعلان رأى ما بشأن هاتين العقوبتين. ولعل الفقهاء قد وضعوهما على باب الاستثناء من حكم الحديث، وهو عام فى سائر الأحكام التى قال الفقهاء بوجوب تنفيذها بضربة واحدة سريعة بالسيف.

الجلد: وللفقهاء تقييدات للجلد. فقد قال أبو حنيفة أن السكران لا يجلد إلا إذا بلغ فى سكره حداً لا يفرق فيه بين السماء والأرض وبين الرجل والمرأة. والمعروف عن أبو حنيفة أنه أباح النبيذ. وقد استفاد الناس من هذه الرخصة. وفى «محاضرات» الراغب الأصفهانى أن رجلاً لقيه فى الطريق وهو سكران من النبيذ فقال: يا أبا حنيفة يا ابن الزانية قد شربت النبيذ بفتواك! .بينما أثارت هذه الفتوى زوبعة بين أتباعه فضلاً عن خصومه[1]. وقال الفقهاء إن السارق لا يقطع إلا إذا سرق من مال محرز. والحرز أن يكون مقفلاً أو مدفوناً من مالكه. ولذا لا يقطع من سرق الكعبة أو المسجد أو بيت المال لعدم توفر شرط الأحراز فيها. كما لا يقطع

(١)قال أبو سعيد السيرافى، وكان حنيفاً، فى حديث عن إباحة أبو حنيفة للنبيذ: ولأبى حنيفة مسائل لا أرتضيها له وقد خالفه فيها أعيان أصحابه والناقلة لمذهبه. معجم الأدباء لياقوت ٧/ ١٧٠.

سارق البساتين والزروع. وكذا من سرق من حرز هتكه غيره[1]. ولا يقطع سارق المواد التى يسرع إليها التلف كاللحم والفواكه وسارق المباح الكثير كالخشب[2]. وحددوا معنى السرقة بأخذ المال على سبيل الخفية والاستتار فإن اختلس أو نشل لم يكن سارقاً ولا قطع عليه[3]. ويشمل هذا الحكم النشالين أو الطرارين. ولا يستفاد من هذا إباحة السرقة فى هذه الأمور فالمقصود هو عقوبة القطع فإذا لم تتوفر شروطها عوقب السارق بعقوبات أخف كالحبس أو التعزير.

وقال أبو حنيفة بعدم العقوبة على اللواط فى رواية[4]، وفى أخرى بالجلد مادون الحد المقرر للزانى[5] ويروى عنه أنه قال من استأجر امرأة ليزنى بها لايُحد لأن العقد يصير شبهة[6]. يقصد أن عقد الاستئجار هو كعقد الزواج، لأنه يتضمن ركنين هما المهر الذى يدفع للمرأة فى شكل أجرة، والتراضى بينهما. وأخذ الأجرة دليل مادى على رضا المرأة. وفى المحلى لابن حزم أن أبا حنيفة لم ير الزنى إلا ما كان مطارفة، وأما ما كان فيه عطاء أو استئجار فليس زنا ولا حدفيه. وقد استند فى هذا إلى خبر الجائعة التى أتت راعياً فسألته الطعام فأبى عليها حتى تعطيه نفسها فوافقت. ثم جاءت إلى عمر (بن الخطاب) فأخبرته فقال: مهر. ودرأ عنها الحد[7]. ولا يعنى هذا القول من أبو حنيفة إباحة البغاء. ويجب على أى حال أن يفهم فى ضوء الاتجاه إلى تقليص حالات تطبيق العقوبة على الزنا، مع ما يحمله من التفريق بين زنا الرغبة وزنا الحاجة.

يقصد بالمطارفة ما كان عن مجرد رغبة عابثة. ورواية ابن حزم أقرب إلى المعقول. وهى بحسب قصة الجائعة المنقولة عن عمر حكم خاص بالمرأة المزنى بها دون الرجل، لأنها زنت

---

(١) انظر: أبواب الحدود فى «المختصر النافع» وأحكام الماوردى السلطانية. كذلك: المغنى لابن قدامة ـ أعلاه ـ ٨/ ٢٥٣.

(٢) الاقسرائى. المصدر أعلاه.

(٣) المغنى لابن قدامة ـ أعلاه ـ ص ٨/ ٢٤٠.

(٤) نفسه ٨/ ١٨٨ ـ ١٨٩.

(٥) المحلى لابن حزم، القاهرة ١٣٤٧ هـ، ١١/ ٣٨٢.

(٦) أبو المعالى الجوينى (إمام الحرمين)، «مغيث الخلق فى ترجيح الحلف فى ترجيح القول الحق» القاهرة ١٩٣٤ ص٤٤.

(٧) المحلى ـ أعلاه ـ ١١/ ٢٥٠.

اضطراراً ـ لا مطارفة ـ وهذا لا يرفع العقوبة عن الراعى الذى لا تذكر الرواية حكمه، إذ يبدو إنه كان مجهولاً لعمر، وإلا لكان من المفروض أن يقع عليه الحد. ورواية الجوينى تفيد أن عدم العقوبة يشمل الرجل ويجب عدم الوثوق بها لأن كتابه مكرس للتشنيع بأبو حنيفة وليس لدراسة الأحكام الفقهية.

ويمكن أن نفهم من مجمل هذه الأقوال أن أبو حنيفة يريد رفع العقوبة عن المرأة التى تزنى اضطراراً. وبالطبع فهذا يشمل البغايا لأن زناهن للحاجة وليس للرغبة. ولابد أن العقوبة لا تسقط عن الرجل (الفاعل) لعدم توفر هذا القيد.

ويمكننا أن نرصد اتجاهاً عاماً بين الفقهاء فى التشدد فى جرائم القتل العمد وقطع الطريق والتساهل فيما عداها. وهناك قاعدة تقول: يخير الشهود (أى من شهدوا الجريمة) بين إقامة الحد عند الإمام وبين الستر على المشهود عليه واستتابته، بحسب المصلحة؛ فإن ترجح عندهم أنه يتوب ستروه وإن كان فى ترك الحد عليه ضرر للناس كان الراجح رفعه إلى الإمام[1]. وتعطى هذه القاعدة دوراً للجمهور فى معالجة الجريمة دون رفعها إلى السلطة. ولم يحدد صنف الجرائم المشمولة بهذا الإجراء لكن الإشارة إلى ما فيه «ضرر للناس» يمكن أن تنسحب على جرائم القتل والسرقة التى لا يجوز التستر على فاعلها ولابد بالتالى أن يكون المقصود هنا هو الجرائم الشخصية التى يسميها القرآن «فواحش» وهى الزنى وشرب الخمر وما أشبه.

وللقاعدة المذكورة أصل فى القرآن هو الآية ١٦ من سورة النساء: ﴿ واللَّذان يأْتيانها منكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾.

والاشارة إلى الرجل والمرأة. وقد ذكر الزمخشرى فى تفسير هذه الآية إن المراد بالإيذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع إلى الأمام. فإن تابا قبل الرفع إلى الأمام فاعرضوا عنهما ولا تتعرضوا لهما[2] . وقد وردت روايات تتضمن هذا المعنى. ففى طبقات ابن سعد عن عبدالرحمن بن حرملة أنه جاء إلى سعيد بن المسيب يسأله: وجدت رجلاً سكراناً أفتراه يسعنى أن لا أرفعه إلى السلطان؟ فقال له سعيد: إن استطعت أن تستره بثوبك فاستره[3] . ويورد ابن

(١) المقدسى، حاشية على «المقنع» لابن قدامة. السلفية ١٣٨٢، ٣/ ٤٤٤ ـ ٤٤٥.
(٢) الكشاف ١/ ٢٥٦ تفسير سورة النساء.
(٣) ابن سعد، طـ ليدن، ٥/ ٩٩.

سعد توجيهاً لعمر بن عبدالعزيز بعدم التعرض لمرتكبي الفواحش وراء البيوت[1] . وأشـار الغزالي في «إحياء علوم الدين» إلى أن النبي شجع المقارفين على الستر والانكار[2] . وقد ورد هذا التوجيه في حديث أخرجه مالك في الموطأ نصه: «من أتى شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله. فإن من أبدى لنا صفحته نقم عليه كتاب الله»[3] . وربما أمكننا استبعاد صحة هذا الحديث إذا استبعدنا كون النبي كان مجرد وكيل تنفيذ فهو يسعى لتخفيف قسوة أحكام شرعها غيره. لكن الحديث على أى حال ينسجم مع القاعدة الفقهية المذكورة.

وأوردت مصادر الفقه والحديث قول النبي : «تدرأ، أو ادرأوا، الحدود بالشبهات». ويشتمل هذا الحديث على مبدأ قضائي هام هو تفسير الشك لمصلحة المتهم. ويقول ابن حزم إن أشد الفقهاء قولاً بمضمونه واستعمالاً له هو أبو حنيفة وأصحابه، ثم مالك، ثم الشافعي[4] .

وشدد الفقهاء على مسألة تعذيب العبيد. وقد استعرضنا بعض الأحاديث المتعلقة بذلك. وهناك اتفاق عام على تحريم الخصاء لأنه مثلة. ويعتبر العبد منعتقاً تلقائياً إذا خصاه مولاه. ولهذا السبب لم تزدهر تجارة الخصيان في العالم الاسلامي آنذاك رغم الحاجة إلى هذا الصنف من العبيد. والأندلسيين كانوا يحصلون على حاجتهم من الخصيان من الامبراطورية الجرمانية المقدسة التي تخصصت في هذه التجارة وينعتق العبد تلقائياً كذلك إذا عذبه مولاه على رأى الامامية. وحرموا الضرب واللطم للعبيد ولكن دون أن يرتبوا عليهما الانعتاق مالم يبلغا حد التنكيل، وهو المبالغة في الايلام. كما خففت عقوبة الجلد الشرعية على العبد إلى نصف مقدارها على الحر في الجرائم التي تستوجبها. ويروى عن علي بن أبي طالب إنه قال في تعليل هذا التخفيف: «إن الله أكرم من أن يجمع عليه الرق والحد». واختلفوا على حكم السيد إذا قتل عبده. وقد أخرج النسائي حديثاً يقول[5] : من قتل عبده قتلناه ومن جدعه جدعناه ومن خصاه خصيناه». والحديث مقبول عند عامة الفقهاء والمحدثين لكنهم تفاوتوا في التزامه نصياً: فسره بعضهم على سبيل الزجر والتغليظ في النهي فلم يعتبروه نصاً في العقوبة وقالوا بعقوبة القاتل بما دون القتل، واحتجوا عليه بخبر في سنن البيهقي يفيد أن رجلاً قتل عبده فجلده

---

(1) نفسه ٥/ ٢٦٩.

(2) رحياء علوم الدين ٣/ ١٢٠.

(3) الموطأ ص٣٣٥.

(4) المحلى ١١/ ١٥٣.

(5) سنن النسائي ٨/ ٢٠.

النبى ونفاه سنة ومحا سهمه من المسلمين ولم يقتله. وقال آخرون يقتل الحر إذا قتل عبد غيره ومن هؤلاء: أبو حنيفة وسفيان الثورى، في رواية عنه، وابن أبى ليلى والشافعي وداود الظاهرى. وقالت فئة ثالثة بقتل السيد إذا قتل عبده ومنهم البخارى وابراهيم النخعي وسفيان الثورى فى رواية أخرى عنه. وأهل السنة والامامية على اتفاق بأن الحر لا يقتل بالعبد، سواء كان عبده أو عبد غيره. ويكرس رأى هاتين الطائفتين حالة التردى الاشمل فى العصور البعد ـ اسلامية مما يتضح على الخصوص من مقارنته بآراء الفقهاء الذين ذكرنا أسماءهم للتو، وهم معدودون، حسب التصنيف الطائفى المعاصر، من أئمة أهل السنة[١].

وتسقط الحدود بالتقادم. وهو للخمر بزوال ريحته من الفم عند العموم، وشهر عند الشيباني. وللزنا والقذف والسرقة مضى شهر عند الفقهاء الثلاثة والتقادم لا يشمل القتل العمد.

أحكام عامة:

١ـ منع الخصاء للانسان والحيوان. واعتبروه من واجبات المحتسب الذى يتولى تأديب الخاصى وملاحقته بالقصاص أو الدية فى حالة حدوث وفاة بسبب الخصاء. وقد طبق المنع بالملموس. فكان أمراء المسلمين وأغنيائهم يحصلون بالشراء على الخصيان المجلوبين من خارج دار الاسلام .

٢ـ مراعاة حرمة المنازل بمنع دخولها بغير اذن أهلها. وسمح للمحتسب باقتحام المنزل عند الشك باحتمال وقوع جريمة كأن يصل إلى علم المحتسب أن رجلاً خلا بآخر ليقتله أو احتمال حصول زنا أو لواط. ولا يجوز الاقتحام فى حالة شرب الخمر لأنه من المخالفات الشخصية التى تعنى صاحبها وحده. وفى السماح له بذلك فى حالة الزنا واللواط إشكال أنها

(١) يلاحظ هنا أن أتباع الفقهاء الأوائل، ومنهم رؤساء المذاهب الأربعة وأئمة أهل البيت يختلفون حول الكثير من آرائهم. ويرجع هذا من بعض الوجوه إلى اختلاف الروايات عن الفقهاء الذين لم يتركوا مؤلفات. لكننا نجد من جهة أخرى أن الفقهاء المذكورين كانوا قد ظهروا فى وقت مبكر من العصور الاسلامية فأدلوا بآراء أشكلت على أتباعهم الذين جاؤوا فى أطوار متأخرة تبلور فيها الوعى الدينى على حساب العقلانية الاجتماعية التى تميز بها معظم فقهاء الطور الأول. ومن هنا نقدهم لبعض آراء أبو حنيفة، وتعمد بعضهم إخفاءها أو تجاهلها لا سيما فى العصور السلفية.

معدودة فى المخالفات الشخصية. ولم يوضح النص الفقهى ملابسات الحدث وما إذا كان الفعل على سبيل الاغتصاب.

آراء للغزالي:

الغزالي غير معدود فى الفقهاء إنما فى الأصوليين (علماء أصول الفقه) وهو قبل هذا فيلسوف ولاهوتي ومتصوف ومفكر اجتماعي وكاتب سياسي. وكتابه «احياء علوم الدين» يجمع هذه الاختصاصات في جملتها. وقد تعرض فى الكتاب الخامس إلى كيفية التعامل مع أهل المعاصي وقسمهم لهذا الغرض إلى ثلاثة أقسام:

«القسم الأول، وهو أشدها ما يتضرر به الناس بالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والنميمة وهؤلاء يجب الاعراض عنهم وترك مخالطتهم والانقباض عن معاملتهم لأن المعصية شديدة فيما يرجع إلى إيذاء الخلق. ثم هؤلاء ينقسمون إلى من يظلم فى الدماء وإلى من يظلم فى الأموال وإلى من يظلم فى الأعراض. وبعضها أشد من بعض. فالاستحباب فى اهانتهم والاعراض عنهم مؤكد جداً.

القسم الثاني: صاحب الماخور الذى يهيء أسباب الفساد ويسهل طرقه على الخلق فهذا لا يوذى الخلق فى دنياهم ولكن يفسد بفعله دينهم وإن كان على وفق رضاهم، فهو قريب من الأول ولكنه أخف منه، فإن المعصية بين العبد وبين الله إلى العفو أقرب. ولكن من حيث أنه متعدٍ على الجملة إلى غيره فهو شديد. وهذا أيضاً يقتضى الاهانة والاعراض والمقاطعة وترك جواب السلام إذا ظُن أن فيه نوعاً من الزجر له أو لغيره.

القسم الثالث: الذى يفسق فى نفسه بشرب خمر أو ترك واجب أو مقارفة محظور يخصه فالأمر أخف. لكنه فى وقت مباشرته إن صودف يجب منعه بما يمتنع به منه ولو بالضرب والاستخفاف فإن النهى عن المنكر واجب. فإذا فرغ منه وعُلم أن ذلك من عادته وهو مصر عليه؛ فإن تحقق أن نصحه يمنعه عن العودة إليه وجب النصح وإن لم يتحقق ولكنه كان يرجو فالأفضل النصح والزجر باللطف أو بالتغليظ إن كان هو الأنفع. فاما الاعراض عن جواب سلامه والكف عن مخالطته حيث يُعلم أنه يصر وأن النصح ليس ينفعه فهذا فيه نظر..».

لا يذكر الغزالي ما يستحق هؤلاء الأصناف من العقوبة بموجب الشرع ويقتصر على مسألة

التعامل معهم فى المجتمع. وقد شدد على الأفعال التى تمس الناس. وتساهل فى الأفعال التى يؤذى بها الانسان نفسه دون غيره. وهو الحكم العام عند الفقهاء. والملخص فى قولهم: «إن حقوق العباد مبناها على الشح، وحقوق الله مبناها على السعة» وحقوق الله هى أفعال الفرد لنفسه كشرب الخمر وترك الصلاة والزنا وما أشبه. والحساب على هذه يسير لأن ضررها لا يصل إلى الناس.

وقد أسرف الغزالى حين اعتبر البغاء من أفعال النفس التى لا يتعدى ضررها إلى الغير، فالبغاء آفة اجتماعية وليس فعلاً فردياً. وانما حمله عليه تقريره أن العلاقة بين البغى والرجل هى بتراضى الطرفين، ولم ينتبه إلى وضع البغى، الاضطرارى فى الأصل.

هوية الجلادين والسجانين:

عندما واجه الأمويون مسألة تأسيس الدولة اصطدموا بالجذور الجاهلية فوجدوا حاجة إلى ترويض العرب حتى يصبحوا رعايا لدولتهم التى لم يألفها الجاهليون. وقد استعانوا لهذا الغرض بعناصر أجنبية سلموها أمر السجون ومهمة الجلادين لاسيما بعد أن تعذر عليهم تأمين ما يكفى لهذه المهام من الأفراد العرب. وكان جلادو الأمويين من الأتراك. وإليه يشير فتى عربى هرب من سجن ابن زياد فى العراق:

وجاء البخاريون يبتدروننى ... لهم أعين خُزْر توقَّد كالجمر
عكوف على الأبواب من يؤمرونا به ... فليس براءِ آخر الدهر

والبخاريون نسبة إلى بخارى، من مدن آسيا الوسطى.

ويصف جعفر بن علُبة سجناً أموياً كان فيه:

إذا باب دورانٍ ترنم فى الدجى ... وشد باغلاق علينا وأقفال
وأظلم ليل، قام علج بجلجلٍ ... يدور به حتى الصباح بإعمال
وحراسى سوء ما ينامون حوله ... فكيف لمظلوم بحيلة محتال
ويصبر فيه ذو الشجاعة والندى ... على الذل للمأمور والعلج والوالى

والعرب يطلقون العلج على الأعجمى. وقوله: جلجل إشارة إلى المفاتيح لما تحدثه من قرقعة عند استعمالها.

مسؤولية الجلاد:

اختلف الفقهاء في مسؤولية الجلاد فبرأ بعضهم لأنه مأمور وألقوا بالمسؤولية على الآمر فقط. وأشركه آخرون بالاثم. لكن الشيعة يقولون بتجريم الجلاد الذى يعذب السجناء ويحكمون عليه بالحبس الأبدى ـ التخليد في السجن في اصطلاحهم.

رأى للمؤرخين:

في سياق المعارضة الفقهية للتعذيب، دعا المؤرخ السخاوى إلى تجنب رواية أخباره، «إلا ما يضطر المؤرخ إلى إيراده منها بشرط بما يقتضي الانكار، إذا أمكن، حتى لا يكون تطرقاً لمن لا يروم فعل مثله وحجة يحتج بها». وأورد في هذا المعنى خبراً يفيد أن الحجاج قال لأنس بن مالك حدثنى بأشد عقوبة عاقب بها النبى. فحدثه بها. فلم بلغ الحسن البصرى ذلك قال: وددت أنه لم يحدثه[1]. وانكار البصرى لحديث أنس، مرجعه إلى الخوف من أن يستغل الحجاج تلك العقوبة لتعزيز وسائله الإرهابية أو الاندفاع أكثر في هذا الاتجاه. وأعرب ابن الأثير عن الامتعاض من هذه الأفعال لكنه أدلى برأى مغاير إذ دعا إلى تدوين أخبار الظالمين حتى يعلموا أن أخبارهم تنقل وتبقى على وجه الدهر فربما تركوا الظلم لهذا إن لم يتركوه لله[2]. وهنا خلاف في المقصود من الرواية بين الحسن وابن الأثير لم يلحظه السخاوى. فابن الأثير يتحدث عن أفعال حكام المسلمين والحسن البصرى يقصد الرواية عن النبى. وما أورده من اشكال في هذا الخصوص يتعلق بمسألة القدوة. فالحديث الذى رواه أنس للحجاج يمكن أن يوفر له عذراً في التمادى، كما قلنا، مستمداً من السنة، في حين قد يكون تصرف النبى المروى عنه مأخوذاً في خصوصياته التى لا تعتبر في عداد السنة. وهناك فرق بين أن تروى خبراً عن حاكم عرف بالظلم فتفضحه، وخبراً عن نبى مشرع فتضيف مادة إلى الشريعة. ويبدو السخاوى مع هذا حذراً من أن يستفيد الحكام من رواية وسائل التعذيب فيطبقوها. وهو المستفاد من قوله: حتى لا يكون ذلك تطرقاً لمن يروم فعل مثله.

* * *

(١) الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ. بغداد ١٩٧٣ ص١٢٧.

(٢) الكامل في التاريخ ٨/ ١٢٤.

العصبية العربية فى مواجهة المصريين

«لعنة الحرس»

كان العرب يمثلون في المجتمعات التى يغزونها أرستقراطية السيف والدم (الجنس) ويشغلون بالتالى قمة الهرم الاجتماعي. أما قاعدة الهرم فتتكون من الرقيق، يعلوهم الذميون سكان البلاد الأصليون .

وكان يقوم نتيجة لذلك تناقض اجتماعى بين العرب وغير العرب، وبين المسلمين وغير المسلمين، وكان المفروض أن يقف المسلمون الجدد ـ وهم من غير العرب طبعا ـ على قدم المساواة الكاملة مع المسلمين الأصليين أى العر ب. غير أن ذلك لم يتحقق قط إذ ظل العرب متمسكين بعروبتهم الجنسية كعامل يحفظ عليهم بقاءهم كطبقة مغلقة تستحوذ على كل الأموال ولا يستطيع غيرهم أن يشاركهم إياها.

وكل ما سمحوا به للمسلمين الجدد هو أن ينتسبوا إلى القبائل العربية، التى تتكون الطبقة العربية من مجموعها. فيحملوا اسمها فى صورة من التبعية تعرف باسم «الولاء» .

ومن هنا نفسر هذا الإدعاء الشائع حول الأصول العربية لبعض سكان مصر فهم عروبى الولاء وليسوا من جنس العرب.

ثم أن الدولة رفضت ـ حرصا على مواردها ـ أن تسقط عن هؤلاء المسلمين الجدد ـ أو الموالى ـ لما تضخم عددهم الجزية التى كانت عليهم بحكم القرآن نفسه (التوبة: ٢٩) أن يدفعوها وهم ذميون. هذا إلى أنه أصبح عليهم أداء الزكاة بما هم مسلمون. وهكذا لم يحقق اعتناق الإسلام وضعا اجتماعيا أفضل للموالى فلاهم دخلوا الطبقة العربية الحاكمة ولا هم بقوا فى طبقتهم التى ورثوا عضويتها. بل أصبحوا يكونون طبقة قلقة فى المجتمع الجديد، وبذلك لم يحل اعتناق الإسلام التناقض بين العر ب والأجناس الأخرى، بل أعطاه صورة جديدة وظل هذا التناقض أحد مصادر حركات الاستقلال السياسية والاجتماعية والثقافية فى البلدان التى احتلها العرب. وقد سجلت الروايات صورة نادرة لإحدى محاولات المتأسلمين فى مصر لحل هذا التناقض بطريقة فريدة فى بابها.

وهى فى بعض جوانبها تشبه ما حدث للبرامكة ونكبتهم.

الحرس ـ بفتح الحاء والراء ـ قرية مصرية كل ما بقى لنا من أخبارها أنها من شرقى مصر وأغلب الظن أنها من الإقليم الذى تشغله محافظة الشرقية. دخل سكان هذه القرية الإسلام ولكن يبدو أنهم كانوا يتمتعون بنشاط خاص كما هو الحال بالنسبة للبلدان التى احتلها العرب فأهل هذه البلدان أصحاب حضارات يفتقدها العر ب الذين اعتبروا أنفسهم أهل سيف لا يشغلهم عنه الثقافة والعلم. فقد ظهر منهم فى القرن الثانى ـ التاسع الميلادى عدد من الشخصيات العلمية، فكان هناك كلب القضاعى الحرسى (ت ٢٠٧هـ) الذى روى عن الفقيه عمرو ين الحارث (ت١٤٨هـ)، صاحب القراءة العظيم نافع (ت ١٦٩ هـ). وكان منهم ـ وهو أهمهم وأشهرهم ـ زكريا بن يحيى (ت ٢٤٢هـ) المعروف بكاتب العمرى، والذى تتلمذ على علماء أجلاء يكفى أن أحدهم العالم المصرى الجليل عبد الله بن وهب (ت ١٩٧هـ). وقد يكون من المفيد أن تتأمل الاسم الكامل لهذا العالم الحرسى، وهو: زكريا بن يحيى صالح بن يعقوب. فإن طوله يدل على قدم دخول الأسرة فى الإسلام، هذا من جهة، ومن أخرى يلحظ أن اسمه واسم أسلافه هى أسماء أنبياء أو بتعبر أدق أسماءدينية لا تتعارض مع الإسلام ولكنها تخلو ـ ربما عن عمد ـ من الطابع العربى الخالص. كما كان هناك أحمد بن رزق الله بن ابى الجراح (ت ٢٤٦هـ) تلميذ العالم المصرى الكبير يونس بن عبد الأعلى (ت ٢٤٦هـ). وكان هناك كذلك أبو بكر زكريا بن يحيى (ت٢٥٤هـ) نجل العالم المذكور أنفا.

كان هؤلاء الحرسيون يمارسون نشاطهم العلمى فى العاصمة ـ الفسطاط ـ حيث كان يقيم ـ فيما يبدو ـ عدد غير قليل من مواطنيهم ويكونون جميعا تكوينا متميزات يعرف باسم «أهل الحرس». ويبدو كذلك أن أهل الحرس هؤلاء ـ علماء وغيرهم ـ أصابوا من النجاح والشهرة فى الفسطاط ما نبه إليهم أفراد الطبقة العربية الذين بدءوا يرون فيهم حالة جديدة من حالات الارتقاء الطبقى الذى كان ـ بما هو حركة اجتماعية مستمرة ـ يهدد وضعهم كطبقة عليا متفردة بالسلطان، ورأى العر ب أن يبادروا إلى القضاء على هذا النجاح الجديد الذى تحرزه الطبقة الشعبية. فأخذوا يتحرشون بأهل الحرس، ويؤذونهم وينكرون عليهم حقهم فى

التفوق محتجين بأنهم ليسوا عربا ينتمون إلى الطبقة الأستقراطية الحاكمة صاحبة الحق فى الاستئثار بكل أنواع التفوق، ولكنهم. كبط مصر ينتمون إلى الطبقة الشعبية المحكومة التى ليس لها أى حق فى التمتع بأى نوع من التفوق.

وتزعم حركة اضطهاد أهل الحرس، ثلاثة من وجوه الطبقة العربية أولهم: هاشم بن عبد الله التجيبى أحد ذرية معاوية بن خديج (ت ٥٢ هـ) الذى كان من أبرز شخصيات الغزو العربى مثلما كان من أهم زعماء الأرستقراطية العربية الغازية. وكان هاشم مازال محافظا على وضعه الطبقى المورث وكان يلى الوظائف الكبرى. أما الثانى أبو رحب العلاء بن عاصم الخلانى فهو أحد رجال الدين، ولى القصص بجامع عمرو فى مقابل عشرة دنانير فى الشهر. كما كان إمام لجامع عمرو استخلفه أحد الأمراء على حكم مصر سنة ١٩٣هـ إلى حين قدومه. أما الثالث فهو أبو الدهمج رياح بن ذوابة التجيبى الكندى الذى كان أحد شيوخ المؤرخين.

هؤلاء الرجال الثلاثة أذن من أقوى القبائل العربية فى مصر وأغناها وأشدها أرستقراطية. وقد استاءوا من أولئك الحرسيين النشطين الممتازين الذين استطاعوا بالعمل والمثابرة أن يحققوا لأنفسهم حياة أفضل من حياتهم. ولسنا نشك فى أن الزعماء العرب الثلاثة فى شعورهم العدائى نحو هؤلاء الحرسيين الناجحين إنما كانوا يعكسون إحساس الطبقة الأرستقراطية التى ينتمون إليها واحساسها بخطورة هذه الظاهرة. ويعد زكريا بن يحيى خير نموذج للارتقاء الطبقى الذى حققه أهل الحرس لأنفسهم، فقد استطاع أن يرتفع إلى العلم والسلطة والثراء. وقد جعله ذلك هدفا لنقمة الشاعر العربى يحيى الخولانى الذى وصفه بأنه «صار بعد الذل للجور يرهب» وأنه « بعد قران العرى أصبح فاكتسى»، وأنه بعد الحفا والمشى قد صار يركب».

أو كما قال شاعر. عربى أخر:

عصبة من طبنة النيل مناسى الجدود

لبسوا بعد التبابين نقيات البرود

وتسموا وتكنوا بعد جرجه وشنوده

لم يستطيع أهل الحرس الصبر على الاضطهاد، وكانوا لا بدلا لهم من أن يتخذوا إجراء

مضادا، أى كان لا بد من أن يحلوا هذا التناقض بينهم وبنى العرب فلجئوا إلى زعيمهم أو عميدهم في العاصمة الذى لم يكن سوى زكريا بن يحيى يشكون إليه أنهم يؤذون ويطعن في شرفهم، ويسألونه حتى متى يصبرون على هذا.. ولم يكن زكريا يجهل الموقف ، بل لعله كان قد روى فيه طويلا، ذلك بأنه قدم إليهم أعجب حل يمكن أن يخطر بالبال. فقد نصحهم لكي يتخلصوا من اضطهاد العرب بأن يتحولوا إلى عرب طالما أن إسلامهم لم يشفع لهم. وأكد لهم أنهم يستطيعون تحقيق هذا المستحيل إذا جمعوا مبلغا من المال يقدمونه إلى قاضى مصر فيسجل لهم سجلا يثبت لهم نسبا عربيا. فهل اقترح زكريا على مواطنيه هذا الإجراء العجيب لأنه كان مألوفا حينذاك مثلما كان مألوفا في مجتمعنا المعاصر أن تشترى الأسرة لنفسها «حجة» تثبت لها شرف الانتساب إلي النبى؟ أو أنه فعل ذلك اطمئنانا إلى إمكان اتخاذ هذا الإجراء الشاذ في عهد قاضى مصر الموجود حينذاك والذى كان هو نفسه يعمل كاتبا له حتى اشتهر بلقب « كتابا العمرى»، وأيا كان الأمر فمن كان هذا القاضى؟

هو عبد الرحمن بن عبد الله العمر ى، أحد أحفاد عمر بن الخطاب الذى ينسب إليه، فقيه مدنى ملكي ـ تلميذ مباشر لمالك (ت ١٧٩ هـ) ـ دخل مصر في صفر ١٨٥هـ قاضيا عليها من قبل الخليفة هارون الرشيد. وكانت له وجهات نظر خاصة في كثير من وسائل الفقه والقضاء سرعان ما راح يطبقها في مصر ، فكان يميل مثلا إلى اتخاذ الشهود بمعنى أن يعين عددا من الأفراد تكون كل وظيفتهم هى أداء الشهادة على المتخاصمين . وقد ضرب رقما قياسيا في عدد شهوده فاتخذ مائة شاهد وجعل عليهم رئيسا. ويلحظ أنه اختار هؤلاء الشهود من أهل المدينة بالحجاز ـ بلده ـ بالذات، من موالى قريش وغيرهم. على أن الجديد الذى لم يسبق إليه أنه دون أسماء هؤلاء الشهود في سجل خاص وأسقط سائر الناس حتى تكفيهم عوائد هذه الوظيفة مشقة الكد والعمل ويركنوا إلى حياة الدعة والبطالة، فأصبح ذلك تقليدا متبعا منذ ذلك الحين. والعمرى هو أول من عمل تابوت القضاء في بيت المال لتودع فيه أموال اليتامى ومال من لا وارث له، واتخذ لنفسه عددا من الكتاب كان زكريا بن يحيى من أبرزهم.

على أن ذلك ليس كل شئ بالنسبة الى القاضى العمرى الذى لعله كان مزدوج الشخصية فقد كان يتزين ويسرف في التزين. أتاه أحدهم بعد قيامه من مجلس حكمه فإذا هو مضجع

وقد ترجل، وصفر يديه(من أثر الحنة) وكحل عينيه واتشح بأزار معصفر وأدهن بملاب على وزن سحاب وهو عطر من الزعفران، ولاشك فى أن هناك علاقة وثيقة بين التجمل وبين كلفه الشديد بفن الغناء. فقد كان يشدو بأطراف الغناء على مغانى أهل المدينة، ويبرز كثيرا فى مجالسه ولا يتحاشى أن يقول: هذا غني به ابن سريج، وهذا غنى به الدلال، وهذا من جيد غناء الغريض. ولم يكن بمصر مسمعة إلا ركب إليها يسمع غناءها وربما قوم ما انكسر من غنائها ويرى ذلك من الدين. ويضيف الرواية الذى دخل عليه فوجده فى كامل زينته أنه كان وهو فى حالة تلك يضرب بأصابع يديه بعضها على بعض ويقول:

كأنى من تذكر أم عمرو.. سرت بى قرقف صرف مدام

(القرقف/ الخمر القوية. المدام ـ بضم الميم: الخمر).

ونستطيع أن نزن هذه التصرفات إذا تصور ناها تصدر فى مجتمعنا المعاصر عن رجل يكاد منصبه يوازى منصب وزير العدل. ومهما بدا ذلك السلوك متنافيا مع ما يجب أن يأخذ القاضى نفسه به من الوقار والاتزان فمن الممكن اغتفاره على حال من و جهة النظر الفنية الجمالية. على أن الذى لاسبيل الى اغتفاره بحال هو تصر فاته المالية المتسمة بالتفريط الشديد وعدم مراعاة أى قانون مالى أو أدبى. فقد عهد الى مساعده الكبير يحيى بن عبد الله بن بكير بالإشراف على أموال الأيتام ـ أى دورا ـ ونخيلا، وراح يستغلها ويدفع الى الأيتام المستحقين من الأرباح ما ينفقونه ويخصم ما يصل اليهم من أصل أموالهم. فلما استهلكوا رؤوس أموالهم ادعى يحيى الأصول وقال: هى لى. فخوصم عند صديقه ورئيسه القاضى العمرى فقال: لا أراه ظلمكم بشئ هى أموالكم استهلكتموها.

شكل أهل الحرس لجنة منهم لمباشرة هذه القضية الهامة وبدأت اللجنة فجمعت من الحرسيين ستة آلاف دينار ـ وهو مبلغ يدل على ثراء الحرسيين ونجاحهم العلمى ـ ثم توجهت الى القاضى العمرى ـ الذى لاشك فى أن صديقه زكريا بن يحيى عميد أهل الحرس كان قد فاتحه فى الأمر ـ وعرضت عليه مطلبها مشفوعا بالمبلغ الكبير. وبالرغم من حب العمرى الشديد للمال واستخفافه فإنه لم يجسر على اتخاذ هذه الخطوة بصفة مباشرة. ولذلك نصح أعضاء اللجنة بأن يحصلوا أولا على أذن بذلك من الخليفة هارون نفسه.

ووافق أعضاء اللجنة، وقرروا السفر الى بغداد، ولكنهم فضلوا أن يتزودوا بسند قانونى يسهل مهمة اقناع الخليفة بإصدار أمره العالى الى قاضى مصر باتخاذ الإجراءات اللازمة لأثبات الجنسية العربية لأهل الحرس فماذا يفعلون؟ ذهب اثنان من أعضاء اللجنة ـ ولعلهما فعلا ذلك من قبل فى محاولة سابقة ـ الى ناسخ يدعى عبد الكريم القراطيسى «كان يضع الخطوط على نظيرها» أى يزورها، فدفعا له ألف دينار وما كان أكثر آلاف الدنانير معهم ـ فى مقابل أن يزور على لسان قاضى مصر الأسبق المفضل بن فضالة (ت ١٨٤هـ) حكما باثبات أنساب أهل الحرس الى حوتكة بن أسلم بن الحاف بن قضاعة. ثم توجها الى متولى ديوان المفضل حيث تحفظ الأحكام فدفعا اليه ألف دينار أخرى ليودع ذلك الحكم الديوان فلما تم لهما ذلك شدا الرحال الى بغداد. وسرعان ما عرفا طريقهما الى بلاط الخليفة هارون حيث أنفقا مالا عظيما للوصل الى الخليفة وعرض قضيتهم على مسامعه مؤكدين أن هناك قاضيا سابقا قد صدر حكما رسميا بعروبتهم ولم يكن المفضل هناك ليطعن بالتزوير، وعلى كل حال فإن هذه الورقة الى جانب الدنانير الذهبية، كان لها أثر فعال فى نجاح مساعى الرجلين وكتب الخليفة هارون الى قاضى مصر يأمره بالتسجيل لأهل الحرس. لم يعد أمام العمرى ما يخافه فشمر عن ساعده وشرع يتخذ الإجراءات الرسمية لمنح أهل الحرس الجنسية العربية. غير أن القاضى المدقق لم يشأ أن يكتفى بحكم زميله. بل أراد أن يقوم بواجب التأكد بنفسه من صحة الدعوى فدعا الحرسين إلى إقامة البينة عنده على أنسابهم ولم يكن شئ أسهل من ذلك على أهل الحرس فالدنانير الذهبية متوفرة، والشهود العرب الذين يحبون الدنانير أكثر توافرا وسرعان ما وجد أهل الحرس، الذين يعرفون دائما الطريق إلى ما يريدون ـ الشهود المناسبين فى أهل الحوف الشرقى وأهل الشرقية وجماعة من بادية الشام لم يجدوا جميعا مانعا من أن يحضروا إلى الفسطاط، ويمثلوا أمام القاضى الجليل ويقسموا، بالله العظيم أن أهل الحرس عرب خلص كاللبن الصريح. قد نستطيع تفسير إقدام هؤلاء الناس ـ وهم عرب ـ على تلك الشهادة الزور بأنهم بداه جفاة لا يعيبهم سوى الدنانير، وأيا كان الأمر فإن الشهود كانوا كافيين جدا لاقناع القاضى العمرى اقتناعا قانونيا بعروبة أهل الحرس وإمكان إصداره حكما بذلك، فأسجل لهم سجلا بتثبيت أنسابهم إلى قبيلة من قضاعة هى حوتكه.

لقد وقعت المعجزة، وتحقق المستحيل، وأصبح أهل الحرس عربا، ومن قضاعه. وأخيرا استطاع أهل الحرس أن يتخلصوا من ماضيهم الطبقي اللعين الذي ظل يطاردهم كالشبح. وآن لهم أن يتعربوا مع السادة العر ب على قمة الهرم، يتحدثون معهم في مهام الأمور ويتبادلون معهم العلاقات المختلفة، ويلقون في خلال ذلك بنظرات التعالي والزهور على زملائهم السابقين الذين مازالوا يرزحون عند القاعدة، ولن يستطيع هاشم بن حديج، ولا أبو رحب الخولاني ولا أبو الدهمج بعد اليوم أن يتحرشوا بهم أو يؤذوهم أو يعيروهم بأصلهم القبطي الذي أفلحوا في أن يبتروه كما يبتر الذنب. لقد تساوت الرءوس، صحيح أن الناس ـ بعض الناس ـ سيظلون يذكرون الماضي زمنا، ولكنهم لن يلبثوا حتى يزولوا ولا يعود أحد يعرف سوى أن أهل الحرس عرب أقحاح من قضاعه، والفضل لصديقهم العزيز القاضي العمرى ـ بعد الدنانير طبعا ـ فلازموه وأحاطوا به يتقدمهم عميدهم زكريا بن يحيى يغدون عليه إذ غدا ويروحون إذ راح، وهم يرفلون في نسبهم العربي الجديد، ويزهون بجنسيتهم الجديدة التي تتلألأ على هاماتهم كالتيجان.

لم يكن اعتناق أهل الحرس الإسلام ونجاحهم في ظل النظام الجديد كافيا لحل التناقض بينهم وبين العرب بل على العكس أدى إلى قيام تناقض جديد أشد حدة، فقد اضطروا إلى ذلك الحل الشاذ لعلهم يتخلصون من هذا التناقض ويحصلون على الاستقرار الاجتماعي والطمأنينة النفسية. غير أن هذا الحل الجديد قد أدى بدوره إلى تناقض جديد فقد كان يشكل سابقة شديدة الخطورة على الطبقة العربية يؤدى السكوت عليها إلى فتح الباب أمام تكرارها إلى ما لانهاية مما يؤدى بالضرورة إلى اختفاء العرب كطبقة. ولذلك هبت الطبقة العربية. وقد أصابها الذعر، تهاجم القاضي العمرى وأهل الحرس وزعيمهم زكريا بن يحيى ، وتعارض الحكم الصادر وتعمل كل ما تستطيع لوقف تنفيذه، ولعب الأدب دورا بارزا في المعركة، فلمع ثلاثة من الشعراء من ذوى الأصل العربي هم: يحيى الخولاني، معلى الطائي، طاهر القيسي، ونستطيع أن نحس الذعر الذي أصاب العر ب في صيحة يحيى الخولاني:

ألا قم فاندب العربا | وابك الدين والحسبا
ولا تنفك تنعى العدل | لما بان فاغتربا

كما نستطيع أن نستشعر دهشة العر ب إزاء هذا التصرف الجرئ فى قول يحيى أيضا:

ومن أعـجب الأشـيـاء أن عـصـابة ... من القـبط فـينا أصـحبـوا قـد تعـربوا
وقـالوا: أبونا حـوتك، وأبوهـم ... من القـبط علج حـبله مـتـذبذب
وجاءوا باجلاف من الحوف فأدعوا ... بأنهم منهم سـفـاها وأجلبـوا
ألا لعن الرحـمن من كـان راضـيـا ... بهم رغـمـا مـادامت الشـمس تغـرب

وكان طبيعيا أن يركز الشعراء هجومهم على القاضى العمرى سبب البلية كلها فانطلقوا يهجونه ويعددون عيوبه، فقال يحيى الخولاني يصف ركوبه لسماع الغناء الذى كان يصاحبه موكب من أهل الحرس:

مـر بنا راكب على فـرس ... يامن رأى هريدا على فـرس
قـد كـشف الخف من ضـلالتـه ... فى عـصـبـة من مـسـالم الحـرس
يقـدمـه خـالد ويتـبـعـه ... لوط قـران الكلبين فى مـرس
فـقلت: من ذا اللعين؟ قـيل ... أبو الندى غـدا مـسرعـا إلى عـرس
كـيـمـا يرى قـينة ذكـرت ... تشـدو بصـوت يخـال كـالجـرس
أصـبح فى المخزيات منغـمـسـا ... وليس فى غـيـرها بمنغـمس

وقال معلى الطائى يسخر من تظاهره بالتقوى، ويصفه بالظلم واللصوصية ويذكر شغفه بالغناء ويسخر منه ويحض على اغتياله:

كـم تـطـول فـى قـراتـك ... والجـور يضـحك من صـلاتك
تقـضى نهـارك بالهـوى ... وتبـيـت بين مـغنيـاتك
ليت الثـلاثين التى تجـزى ... تقـوم بمسـمـعـاتك
فـاشـرب على صـرف الزمـان ... بما ارتشـيت من الحـواتك
إن كنت قـد الحـقـتـهم عـرب ... فـزوجـهـم بنـاتك
ولـتـكـشـفـن بما أتيت ... صـدور قـوم من مـسـاتك
وكـأننى بمنيـة تسـعى ... إلـيـك بـكـف فـاتـك
أفـقـرتـه من مـالـه ... بقـضـيـة، أو لـم يؤاتك

لا تعجلن أبا الندى ... حتى تصير إلى وفاتك
أن المقامع تطلقن ... من الجحيم إلى مماتك
بل لو ملكت لسان أكشم ... ما وصلت إلى صفاتك

ولم يكن بد من أن يمد الشعراء هجومهم على القاضي العمرى حتى يتناول أهل الحرس ومعاونيه فى القضاء.

قال يحيى الخولانى:

كم فقير كان قد موله ... بالمورايث التى كان منح
زكريا وكبيش منهم ... والمدينيون أصحاب البلح
فأفادوا الدور فضلا بعدما ... كلب الفقر عليهم والح

وقال يحيى أيضا يسب زكريا بن يحيى:

وفى زكريا أية فأعجبوا لها ... فقد صار بعد الذل للوجود يرهب
وبعد قران العمر أصبح فاكتسى ... وبعد الحفا والمشى قد صار يركب

ثم أننا نتساءل: هل لزم أهل الحرس الصمت المطلق فى هذا الجانب القولى من المعركة؟ أو لم يكن لهم شعراء يتبنون قضيتهم ويدافعون عن موقفهم؟ أو لم يستطيعوا حتى أن لم يقل فى هذه المعركة دفاعا عن أهل الحرس، ذلك بأن الشعر كان ينتمى طبقيا إلى العرب بما هم أصحاب الطبقة الحاكمة السائدة التى تستطيع أن تعطى وتمنع والتى تصطنع التقاليد السلوكية التى كان الشعر كفن يتغنى بها على أنها مثل عليا، هذا إلى أن الشعر يستطيع فى تلك المرحلة التاريخية أن يتصور أن يتخذ مو قف الدفاع أو حتى العطف على الطبقة الشعبية التى كان أفرادها يوصفون بأنهم «لا ناس» فى حين أن الموالى «أشباه الناس» أما العرب فهم «الناس». ولعل ما كتب من شعر فى هذه الفترة دفاعا عن أهل الحرس لم يجد طريقة إلى التسجيل الرسمى المضاد للشعب المصرى.

على أن الخليفة هارون لم يلبث حتى مات فى جمادى الأول ١٩٣هـ ليخلفه ابنه محمد

الأمين، ولما كان الأمين يفضل إنفاق وقته فى المتع على أنفاقه فى معالجة شئون الحكم فقد فوض أموره إلى الفضل بن الربيع (ت ٢٠٨هـ) حاجب والده الرشيد ووزيره. وترامت سيرة القاضي العمرى إلى الوزير، ولعل العرب واصلوا السعى لدية فلم يتردد فى استصدار مرسوم بعزله. وصدر المرسوم بعد سنه كاملة من موت الرشيد (جمادى الأول ١٩٤هـ). وحمله من بغداد إلى مصر موظف خاص. ولم يكد ذلك الرسول يعلن النبأ فى مسجد مصر الجامع حتى عمت موجه هائلة من الفرح عند العرب، وتكاثفوا حوله يدعون ويثنون، ويهللون ويكبرون، فقد تخلصوا أخيرا بعد تسع سنوات كاملة وشهرين اثنين من القاضى الذى عبث بهم ولم يتمالك أحدهم نفسه فقال ـ ربما من أبيات أكثر:

بنعـــمــــه الله ورأى الفـــضل
نحى عن الحكم عـــدوالعـــدل
هذا ســـوار لرســـول العـــزل

وأيا كان الأمر فبهذا يبدأ الفصل الأخير من المهزلة التى لعب بطولتها القاضى العمرى.

من المفارقات أن قاضى مصر الجديدة، هاشم بن أبى بكر البكرى (ت ١٩٦هـ)، كان من ذرية أبى بكر الصديق كذلك، ولا شك فى أنه كان يعرف كل شئ، بل لعله كان مزودا بتعليمات معينة. وقد بادر العرب إلى الالتفاف به، وإطلاعه على كل ما فعل القاضى العمرى وأعوانه، وتزعم هذه الحركة الانتقامية أبو رجب العلاء بن عاصم الذى أشار على القاضى الجديد بالقبض على سلفه وأعوانه وحبسهم والتحقيق معهم. ولم يتردد القاضى البكرى لحظه، فقبض على القاضى العمرى، وسجنه وقيده وطالبه بما صار إليه من الأموال والأقوات وأخذ البكرى بما زعمه العر ب من أن جملة ما اكتسبه العمرى فى فترة ولايته القضاء عليهم مائة ألف (دينار طبعا)، فطالبه بها. كما تتبع البكرى أصحاب العمرى كلهم وسجنهم وأسقط كل من شهد لأهل الحرس فلم يرجع أحد منهم عند أحد من القضاء، وكان نصيب يحيى بن عبدالله بكير من هذه الإجراءت التطهيرية كبيرا، فقد بادر أولاد العرب والعاطلين بالوراثة إلى القاضى الجديد يشكون إليه احتياله على أموالهم واستهلاكه إياها فأخذه بالحساب، فأنكر، فأمر به فربط على عمود فى المسجد الجامع مقابل لباب إسرائيل، ومناد ينادى: « هذا جزاء

كل خائن». وظل على ذلك أياما لا يحل رباطه إلا وقت كل صلاة. ولابد أن بكيرا كان يتمتع بقدرة كبيرة على الاحتمال، ولم يستطع البكرى أن يصل منه إلى درهم واحد، فلما يئس منه خلى عنه.

استطاع القاضى العمرى أن يجد شخصا واحدا على الأقل يقف إلى جانبه منذ أن بدأت أيامه السيئة، ذلك هو عبد العزيز بن مطرف المطر وهو الذى كان يرأس فرقة الشهود التى كونها من المدينين وغيرهم، والذى تناوله يحيى الخولانى بالهجاء فيمن هجا من أصحاب العمرى. وقف المطر فى إلى جانب صديقه فى محنته فقام بأمره وضمن عنه مالا عظيما للبكرى. على أن البكرى لم يستطع أن ينال شيئا من المبالغ الطائلة التى أدين بها العمرى لا لأنه كان مصرا على عدم الدفع فحسب، ولكن كذلك لأنه لم يكن له مال بمصر، فقد كان رجلا بعيد النظر يحسب حساب ذلك اليوم ويعلم أنه سيجئ حتما، ولذلك سبق إلى تهريب كل أمواله إلى مدين، إحدى مدن الحجاز على ساحل البحر الأحمر. فلما وقعت الواقعة شرع فى تنفيذ الخطة المرسومة، فعمل على الهرب من السجن ومن مصر كلها إلى حيث أمواله. وقد افلح فى أن يفلت من السجن ويهرب. وان لم يكن قد تيسر بفضل أصدقاء له لم يتخلوا عنه، فلا بد أنه بفضل أو فى الأصدقاء: الدنانير وغاظ هربه خصومه الذين كانوا يمنون أنفسهم بالتشفى منه غيظا.

وصل العمرى إلى مدين حيث احتمل أمواله، واتفق مع مجموعة من رجال البادية على أن يخفروه فى رحلته، ثم سار يقطع شبه الجزيرة من شمالها متجها نحو الشرق ـ وربما إلى العراق ـ يتبعه هؤلاء الرجال. فلما وصل إلى فيد، شمالى شرق شبه الجزيرة، خرج عليه جماعة من قبيلتى أسد وطى فأوقعوا به وأخذوا جميع ما حواه. ولم يغن عنه حراسه المأجورون شيئا، كما لم يستطيع هو أن يفعل أكثر من أن يشترى جلده بكل ما معه من هؤلاء البدو قطاع الطريق « فما تخلص منهم إلا بحشاشة نفسه».

وغسل العرب أيديهم من القاضى العجيب، والتفتوا ليزيلوا أهم أثر تركه بينهم وهو قضية أهل الحرس.

بما أن المرسوم لا يلغيه إلا مرسوم مثله فقد كان لابد من استصدار مرسوم جديد يلغى المرسوم السابق الذى منح أهل الحرس حق التمتع بالجنسية العربية. وأخذ الزعيمان العربيان أبو رحب العلاء بن عاصم وهاشم بن عبد الله التجيبى هذه المهمة على عاتقها. وكانت الظروف مواتية تماما، فالخليفة الرشيد صاحب المرسوم الأول قد مات، والخليفة الجديد لا يعنيه التفكير فى مثل هذه الأمور، ووزيره الفضل بن الربيع عربى قح والقاضى العمرى قد ذهب إلى غير رجعة.

قام أبو رحب وهاشم بن عبد الله بتشكيل وفد يسافر إلى بغداد ويحصل على المرسوم المطلوب. ووصل الوفد إلى بلاط الخليفة، وذكروا ما فعل العمرى فى أهل الحرس، وأنه ألحقهم بالعرب، ونسبهم إلى حوتكه بن أسلم بن الحاف بن قضاعة، واقتنع المسئولون بفساد هذا الحكم وعدالة مطلب الوفد فكتب الخليفة إلى قاضى مصر بكتاب يقرر فيه مبدأ عاما هو «أنه لا يمنح أحدا من غير العرب اللحاق بالعرب» ويأمره فيما يتعلق بأهل الحرس « أن يردهم إلى ما كانوا من أنسابهم» ، فرجع الوفد بذلك.

لم يكن كتاب الخليفة إلى القاضى البكرى سوى وثيقة النصر للطبقة العربية فى المعركة. وكان على القاضى أن يعلن المتخاصمين ويجلس للنظر فى القضية. ولكن إذا كان القاضى العمرى لم يصدر حكمه بإثبات الجنسية العربية لأهل الحرس إلا بعد ان شهد بذلك لديه شهود، فقد كان على القاضى البكرى كذلك ألا يصدر الحكم بأن أهل الحرس ليسوا عربا بل قبط أى مصريون إلا بعد أن يشهد بذلك شهود كان من بينهم إلى جانب عبد الله بن وهب، وسعيد بن عفير اللذين مر ذكرهما ـ النسابة، الاخبارى، المؤرخ المحدث الذى روى عنه البخارى: سعيد بن مريم(ت ٢٢٤هـ).

نستطيع أن نتصور مسجد مصر الجامع (جامع عمرو) وقد غص بالجماهير المتطلعة من سكان الفسطاط والقاضى البكرى فى مجلسه يحيط به كتابه، وبين يديه قد مثل الزعماء من العرب ومن أهل الحرس. وفتح القاضى الجلسة، وعرض القضية وطالب كلا من الطرفين بالدليل على دعواه. أما أهل الحرس فقد قدموا إليه الحكم الذى أصدره سلفه العمرى بعروبتهم، وأما العرب فقد تركوا الأمر للشهود الذين أجمعوا على أن أهل الحرس من القبط،

والعمرى قضى فيهم بجور» فنقض البكرى قضية العمرى فيهم، وأشهد على قضائه بردهم إلى أصلهم من القبط، وأخرج من تحت مصلاه مقراضا كان يخفيه لهذا الغرض فقطع حكم القاضي وهو يقول لأهل الحرس الذين يشهدون انهيار كفاحهم ويتجرعون كأس الهزيمة المرة: «العرب لا يحتاجون إلى كتاب من قاض، إن كنتم عربا فليس ينازعكم أحد»، ولسنا نستبعد أن الشاعر معلى الطائى قد انفجر في نفس هذه اللحظة يصرخ بأعلى صوته بتلك الأبيات القاسية:

يابنى البظراء موتو كمدا واسخنوا عينا بتخريق السجل
لو أراد الله أن يجعلكم من بنى العباس طرا لفعل
لكن الرحمن قد صيركم قبط مصر، ومن القبط سفل
كيف ياقبط تكونوا عربا ومريس أصلكم شر الجيل؟

أما زميله يحيى الخولانى فقد وجد من السعادة ما أوحى إليه قصيدة راقصة، قال:

اشكروا الله على إحسانه فله الحمد كثيرا والرغب
رجع القبط إلى أصلهم بعد خزى طوقوه وتعب
ودنانير رشوها قاضيا جائرا قد كان فينا يغتصب
ما كفته رشوة ظاهرة وقضايا جوركم فيها عجب
أن أتى أعظم ما يأتى به أحد أن صير القبط عرب

ولم ينس طاهر القيسى أن يشيد بالدور الهام الذى لعبه أبو رحب العلاء بن عاصم فى الوصول إلى هذه النتيجة العظيمة فقال:

ولقد قمعت بنى الخبائث عندما راموا العلا وتحوتكوا وتعربوا
فرددتهم قبطا إلى آبائهم ونسيب أصلهم الذى قد غيبوا

أما بعد ـ فهكذا انتهت معركة من معارك الصراع الطبقى فى مصر فى القرن الثانى للهجرة، هذا الصراع الذى كان نتيجة حتمية للتناقض الطبقى الحاد فى المجتمع المصرى حينذاك.

لم تكن قضية أهل الحرس(١٨٥ـ ١٩٤هـ) الحالة الوحيدة ولا الأولى ولا الأخيرة من حالات الصراع الطبقي في المجتمع المصرى الإسلامي المبكر، فهي في الحق ليست سوى حلقة من سلسلة طويلة متكاملة تكون في مجموعها حركة تاريخية كانت تحدث كنتيجة حتمية للتناقض بين العرب والمصريين تذكر منها على الاخص ثورات البشمور التى امتدت من الخلافة الأموية حتى الخلافة العباسية.

* (أنظر كتاب الهلال ٤١٦/ أوراق مصرية. د. عبد الله خورشيد ، القاهرة/ ١٩٨٥).

عبودية القبط للعرب

وفي الصعيد حيث هيمنت القبائل العربية كان التناقض يتحول إلى تناقض عنصرى من نمط خاص. حيث نجد العلاقات بين الأسر القبطية ومشايخ القبائل أشبه بعلاقة السيد بالعبد. ولقد ترك بوركهارت وصفا معاصرا ذكر فيه ان الاسر القبطية كانت اشبه بالـ Hareedirary SLaves† الذين يمتلكهم مشايخ القبائل العربية. وأضاف ان كل اسرة قبطية كانت تحت سلطه وحماية أحد المشايخ وتعتبر من املاكه مقابل ان تقوم بالعمل في أرض مفردة له. وكان لهؤلاء المشايخ حق توارث الأسر القبطية وحق بيعها فيما بينهم . والواقع أن وصف بوركهارت ليس فيه اى مبالغة حيث يذكر على باشا مبارك في خططه (جـ ١٧ص ٢٥الاميريه) « ثم ان نصارى بلاد الهلة قليلون وكانوا مستعبدين لهم قبل حكم العزيز محمد على ويقتسمونهم ويتوارثونهم كالمماليك ويحكمون فيهم ويحامون عنهم، كما كان في كثير من البلاد إلا أن أهل الهلة أشد في ذلك.

علم الأنساب العربية

« كان نظام تعدد الأزواج والطوطمية سائدا عند عرب الجاهلية بجانب نظام الزواج الخارجي، وبذلك لم تكن نسبة الأبناء للآباء أنما كانت للقبيلة فى الغالب وأحيانا للأم. أما سلاسل الأنساب التى تنسب للجاهليين فلم يكن عرب الجاهلية يعرفونها وهى من صنعة الرواة والنسابين فى القرن الثانى للهجرة.

وفكرة الأنساب بدأت وجودها لما أسس عمر خليفة المسلمين ديوان الخراج وراعى فى تقييد الأسماء وتدوينها اعتبارين الدينى والقبلى، وكان هذا مقدمة بعد قرن من زمان لوضع شجرات الأنساب» .«سبرنجر»

إن دراسة ظاهرة الأنساب عند العرب القدماء كمظهر للصلات العائلية بين أفراد سلالة بعينها، أو بمعنى أشمل كمظهر لصلات القرابة بين القبائل العربية من وجهة عامة وبين البطون والأفخاذ من وجهة خاصة، مع صرف جانب كبير من التدقيق لسلاسل الآباء والأجداد ونسبة الأبناء لهم، لا يمكن أن يخلص بها الباحث مجردة عن دراسة العوامل والمؤثرات التى كونت طبيعة العنصر العربى. ذلك لأن ظاهرة الأنساب من حيث هى مظهر لصلات اجتماعية إنما تتأثر وتتهذب بما فى المحيط الذى يكتنفها من فواعل اجتماعية وطبيعية، فتتباين مظاهرها بتباين الظروف التى تترك أثرها الثابت فى البيئة. البداوة أساس ثقافة العرب التقليدية، والبداوة شئ يتصل بكل القبائل التى تعيش متبدية، وجميع ما يتصل بالبداوة أس من الأسس التى تقوم عليها نواحى الحياة عند البداو، إذ البداوة لأهل البادية بداية الحياة، لأن فيها تتجلى روح القبيلة بها تحتفظ الجماعة ببقائها وتصون كيانها، ومن مجموع التصورات والادراكات التى تتمثل لأهل البادية تنشأ الفكر الدينية ثم اللغة ثم ينشأ الفن، ومن بعد ذلك تتحور الأخلاق فتأخذ طابعا خاصا، ومن ثم يتكون قانون العرف البدائى. ومن غير المستطاع أن تنفك جمعية إنسانية طبيعتها البداوة عن كل ما توارثته فتنسلخ عن كل ما انتقل اليها عن اسلافها الأقدمين، ثم تستطيع بعد ذلك أن تحتفظ بكيانها الأصيل من غير أن يهتز لذلك التغيير الطارئ أعماق وجودها هزا عنيفا، ذلك لأن طبيعة العرب المطبوعة على البداوة وما يتبعها من مظاهر لا

يمكن تغييرها إلا بتقطيع أسباب البداوة فى نفوس الأعراب بأنزلاقهم لحياة حضرية تتقطع معها أسباب البداوة فيهم، ولهذا ظل العرب بعيدين عن الأشتراك فى الحركة الثقافية التى قامت فى كيان المدنية الإسلامية ولم يقوموا إلا بدور ثانوى في بناء الحضارة الإسلامية.

فإذا لاحظنا أن البداوة نظام تقوم فيه توزيع الثروة على اساس مستمد من الأسلوب والمغانم من جهة، وعلى الرعى والصيد وبعض الزرع من جهة أخرى، لهذا كانت الحياة الاقتصادية غير مستقرة لأنها تستند على الغزو ومهاجمة القوافل والإغارة على القبائل الأخرى والأقاليم والدساكر المتحضرة التي تقوم بجانب منازل البدو، ومن التنقل بين المراعى وبعض الزرع بجانب العيون والآبار ومسالك السيول في الوديان. وهذا يعرض البدو كثيرا لأخطار القحط والمجاعات، كما يجعل وسائل عيشهم ضيقة السبل، وهذا يضطر القبائل للتنقل دائما فى طلب ارتياد المراعي وانتجاع المياه، وتأخذ في التخلص من أسباب الزيادة فى الاستهلاك خصوصا إذا ما قام دون ارتحالها موانع طبيعية، والى وسائل التخلص من أسباب زيادة الاستهلاك «وأد البنات».

ونحن نعرف من التاريخ أن العرب كانوا على عادة وأد البنات فى الجاهلية حتى أن القرآن حرم عليهم ذلك، وكان نتيجة ذلك أن كان يأتى وقت على القبيلة لا يجد ر جالها لأنفسهم نساء بنسبة عددهم فيضطر كل جماعة من الرجال الى المشاركة في إمراة واحدة. وهذا النظام من الزواج يعر ف بنظام تعدد الأزواج وهو شائع بين القبائل البدوية فى العالم ومازال البعض من هذه القبائل فى بعض أطراف العالم دارجاً عليها. وفى مثل هذا النظام يتعذر أن يعرف الأب على وجه التحقيق، فإذا ولدت المرأة فإن المولود ينسب الى أمه أو قبيلته.

ويتفق علماء الاجتماع على أن هذا النظام كان سائدا عند الجاهلية. ويذكر «استرابون» الجغرافى الرومانى المشهور عن العرب أنهم كانوا على هذا النظام دارجين، وأن ذكور أسرة بعينها يتزوجون بإمرأة واحدة، ومن الملاحظات التى يبديها «استرابون» يرى الباحثون فى علم الاجتماع أن نظام تعدد الأزواج كان سائدا فى بلاد العرب وأن النسبة لم تكن الأباء، وأن الجاهليين كانوا دارجين على نظام الأمومة، والنسبة عندهم للأم أو القبيلة.

كان الزواج عند العرب القدماء على عدة ضروب، وابسط هذه الضروب، الزواج المشترك،

وهو أن يشترك الذكور فى الزواج بالإناث، وهذا الضرب كان شائعا فى عصور التاريخ الأولى وهو مجرد عن القيود، وتطور عنه مع الزمن زواج المساكنة وهو أن يساكن الرجل المرأة مدة حملها، وتمخض عن هذا الضرب زواج المتعة. وقد ظل الضرب الأخير معروفا عند العرب حتى القرن الرابع عشر للميلاد حتى أن قبيلة «زبيد» النازلة على الشاطئ الآسيوى من البحر الأحمر كانت تجرى على ضرب من الزواج المؤقت الاختيارى حيث يساكن الرجل المرأة باختياره مدة حملها وكان ذلك على عهد «ابن بطوطة» الرحالة المغربى الشهير.

ولو نظرنا للنصوص الأثرية لوجدنا ما يثبت درج العرب القدماء على هذا النظام، إذ النصوص الأثرية تثبت أن النسبة كانت للأم. فهذا نص أثرى من القرن الأول لميلاد عثر عليه فى مداين صالح ـ الحجر ـ مكتوب بالخط النبطى جاء فيه:

«هذا القبر الذى بنته كمكم بنت وائلة بنت حرم وكليبة ابنتها لأنفسهن وذريتهن».

هذا الى ان هناك تمثال للزباء عليه نقش بالخط التدمرى نسبتها فيه لأمها كما أن أبنائها وهب اللات وخيراز وتيم اللاه من زوجها أذينه كانوا ينتسبون اليها وحدها دون إبيهم، مما يثبت ان المجتمع التدمرى كان دراجا على نظام الأمومة.

ـ٣ـ

لنا أن نخلص مما سبق بأن العرب كانت فى الجاهلية دراجة على نظام الأمومة إلا الذين أخذوا بأسباب التحضر بحكم الاتصال بمراكز الحضارة فى العالم القديم وخاصة فى اليمن.

وإذا لا حظنا أن حقوق المرأة فى اليمن كانت متساوية لحقوق الرجل لها نفس حظ الذكر تتعاطى أعماله وتقوم بوظيفة الكهانة. كان لنا أن نجد فى هذا بداية انتظام الحياة الزوجية على أساس متحول من نظام الأمومة. غير أن هذا الانتظام لم يكن على اساس تعدد الزوجات، لأن العرف لم يكن يسمح للرجل بتزوج غير زوجته، وكل ما كان يسمح به أن المرأة إذا لم تلد لزوجها قدمت له جارية لتلد له، وكان ذلك بداءة ذى بدء من حق المرأة غير أنه مع الزمن صار حقا للرجل وصار مقدمة لنظام تعدد الزوجات.

أما فى الشمال فقد كان هنالك مجتمعان: حضرى وبدوى، أما الحضرى فقد كان يدرج

على نظام مزيج من تعدد الأزواج والزوجات ولهذا كان لأنسابهم على وجه عام اتصال، أما البدو فقد كانوا على نظام تعدد الأزواج دراجين. وهذا يفسر لنا ورود آثار منقطعة الأنساب، النسبة فيها للأم بجانب آثار متصلة واضحة النسبة للأب.

أما عرب الحجاز ونجد فقد كانوا بدوا حتى زمن قصي الذى جمع شمل قبيلة قريش وأسكنها مكة وما حولها، وكان سببا لأن يأخذ القريشيون بأسباب الحياة المتحضرة لوقوعهم على طرق التجارة من الجنوب إلى الشمال، ومع الزمن أخذوا يشتغلون بالتجارة فتحضروا وانتظمت حياتهم على أساس حوالى القرن الرابع للميلاد، وإلى ذلك التاريخ كان عرب الحجاز ونجد دارجين على نظام الأمومة، فما انتظمت حياتهم على أساس فى القرن الرابع للميلاد حتى أخذ نظام الأمومة فى ا لضعف والتلاشى وانتهت الحياة الزوجية عندهم إلى نظام تعدد الزوجات فى القرن السادس للميلاد وأتى الإسلام فتقبلها وجعلها متكافئة مع مبادئه

ومن المهم لنا فى هذا أن نتتبع نظام الطوطمية الذى كان عليه العرب والذى كان يرد لثلاثة أسس أولية:

١ـ اتفاق القبيلة على كائن أعلى عادة يكون نباتا أوحيوان وأحيانا جمادا، تعتقد أنه الجد الأعلى لها وأنها من صلبة منحدرة.

٢ـ الانتساب إليه والتسمي باسمه.

٣ـ تقديسه، وكان يشترك فى هذا التقديس كل أفراد القبيلة، أما إذا كان الطوطم خاصا بالشق Sex فإن الذكور أو الإناث فقط من القبيلة هى التى تقدس الطوطم.

فإذا تتبعنا العرب على عهدهم الجاهلى لنتثبت من قيام هذه الشرائط الأولية بينهم، سنجد أن العرب وإن لم تتفق يوما فى اعتقاد فى نبات أو حيوان على أنها منحدرة من صلبه إلا أنه من الشائع التلقيب بصيغة الجمع فى قولهم أنمار وكلاب وأراقم وضباب وهذا يجعل أبناء قبيلة النمر أنمار وقبيلة الكلب كلابا... ومن هنا لنا نستخلص وجود فكرة مهمة عن رواة العرب فى العصر الاسلامي عن انتساب قبائلهم فى الجاهلية لأجداد من الحيوانات أعنى الطواطم.

ذلك أن التسمى بأسماء حيوانية ونباتية شائعة عند العرب القدماء ويمكننا أن نعد من بين أسماء القبائل والبطون والأفخاذ أكثر من خمسمائة اسم من ذلك: بنو أسد بدن وبنو بكر وبنو بهثة وبنو ثعلب وبنو ثور وبنو جعدة وبنو جعل وبنو حداء وبنو حمامة وبنو حنش وبنو دؤبل نعامة وبنو نمر صنب وبنو ضبيعة وبنو عضل وبنو عنز وبنو غراب وبنو فهد وقريش وبنو كلب وبنو نعامة وبنو نمر وبنو وبر وبنو هوزن وبنو يربوع، غير أن لهذا التسمى صلة مقطوعة فى الروايات العربية فى نسبة أبناءالقبيلة للحيوان التى تحمل اسمها، غير أنه من المهم أن نلاحظ أن الروايات العربية وقد تأخر العهد بتدوينها الي أواخر القرن الثانى للهجرة، ومضت فى أذهان الرواة نيفا وأربع قرون من الزمان، فقد تأثرت بأوضا ع المجتمع وتطورت تبعا له. وهذه حقيقة أولية معروفة فى سير التراث الشعبيLagends فى الزمان وتطوره. فإذا رجعنا الى الآثار وحدها وجدنا ما يسند القول بأن العرب القدماء كانت تنتسب لآباء من الحيوانات أو النبات.

-٤-

ثم هناك عبادة العرب وتقديسها للطواطم وهذا شئ لا يتطرق اليه الريب، فنحن نعرف أن العرب كانت تنصب أوثانها وتنحت أصنامها على أشكال من الحيوانات وكان تقديسها كثيرا ما ينصرف لصور من الحيوان والنبات وأحيانا لصور من الجماد، وهذا تقديس الحجر الأسود فى الجاهلية واحترامه فى الإسلام ليس إلا بقية من بقايا الطوطمية.

كذلك من بقايا الطوطمية عند العرب اجتماع القبيلة الواحدة للثار باسمها لأحد أفرادها، ذلك نظرا لأن هذا الاجتماع مظهر من مطالبة القبيلة بحق الطوطم الذى هو الجد الأعلى، وإذا لوحظ بجانب ذلك أن آخر حدود العرب الاجتماعى هو الحى، حيث لم تكن للأعراب نظام الأسرة، جاز لنا أن نحكم من مجموع هذه القرائن بالاضافة الى ما سبق بمقدار تحكم نظام الطوطمية عند العرب القدماء. ولما كان من شرائط الطوطمية الزواج الخارجى Exogamy وكان سبب قيام نظام الزواج الخارجى عند العرب اثنين: الأول منها نظام الطوطمية نفسه، فإن صلة القرابة بين الآخذين بهذا النظام لا تعود للدم إنما للأنتساب لطوتم واحد، فيحرم صلة الزواج بين أفراد الطوطم الواحد، ويكون الزواج خارجيا، بمعنى أن إناث القبيلة يتزوجون برجال من غير قبيلتهن ورجالها يتزوجون بإناث من غير قبيلتهم. وهذا يؤدى

الى الزواج الخـــارجExogamy. إما السبب الثانى فيرجع لاختلال التوازن بين عدد الذكور والإناث فى القبيلة بأن تكون الكثرة العددية فى جانب الذكور لتفشى عادة وأد البنات فيها فينظر الذكور للزواج من الخارج أو اكتفاء عدة من الرجال بإمراة واحدة، والأول يسوق لنظام الزواج الخـارجى والثانى لنظام الأمومـة، حيث تكون الأم هى مـدار العائلة، وفى مثل هذه الحالات تنقطع صلة الأنساب الدموية. لأن النسبة من جهة للطوتم، ومن جهة أخرى معرفة الأب مجهولة.

ولنا أن نخلص من هذا كله الى أن العرب القدماء لم يكونوا يعرفون من فكرة الأنساب ذلك الاتصال الذى نعرفه اليوم نحن عنها، لأن كل ما كانت تعيه خواطرهم ذكريات مبهمة عن جد تنتسب القبيلة اليه. وهذا الجد عادة يكون آخذا صورة حيوان أو نبات أو جماد تعتقد القبيلة بأنها منحدرة منه.

إذا صح كل هذا، وهذا ما لا نرتاب فيه، فتكون النتيجة أن فكرة النسب والأنساب التى تسند للعرب القدماء لا تستند على أساس طبيعى معقول من حقائق الجماعات العربية كما نخلص بها من التحقيق العلمى.

ونحـــن لو رجعنا الى الوراء الى العهد الذى نشأت فيه القبائل وتكونت فيه البطون والأفخـاذ فإننا سنجـد فـى التكاثر العـددى السبب الأول، مثال ذلك أن عرب الوسـط، وهم ينزلون تهامة والحجاز ، نجد أنهم ينقسـمون الى فرعين كبيرين «معد»و«عك» والفرع الأخير نزل نواحى زبيد جنوبى تهامة وقد ذكرها اليونان فـى كتبهم تحـت اسـم Acchaitai وتفرع مع الزمن عنهم القبائل والبطون والأفخاد. أما«معد» فهو فرع انقسم الى قسمين «نزار» و«قنص» والأخير انقسم إلى خمسة بطون: قضاعة ومضر وربيعة وأياد وأنمار، وقد نزلت كلها فى تهامة والحجاز ونجد، فكانت مساكن قضاعة حوالى جدة على البحر الأحمر فما دونها شرقا إلى منتهى ذات عرق (الحد الفاصل بين نجد وتهامة) والى حيز الحرم من السهل والجبل، وقبائل مضر أقامت فى حيز الحرم إلى الســروات وما دونها من الغور وما والاها من البلاد، أما ربيعة فقد أقامت فى مهبط الجبل مـن غمر ذى كنده وبطن ذى عرق وما اتصل بها من بــلاد نجد الى الغور من تهامة، وأقامت أياد وأنمار معا ما بين حـد أرض مضر الى حـد نجـران وما والاها وصــاقبها. وعندما ضاقت بهم الأرض «نــزح بنو قضاعـة ثم تهامـة وكذا أيـاد،

التى أنزلت في الجزيرة، وصار لقنص وغيره من أولاد معد أرض مكة وأوديتها، فلما تكاثروا مع الزمن جميعا ضاقت بهم الأرض فنزح بنو قضاعة ثم أغاز ثم تهامة وكذا أياد التى نزلت فى الجزيرة شمال العراق. ولم يبق من بنى معد فى تهامة إلا ربيعة ومضر فنزحت ربيعة ولم تزل مضر بعد خروج ربيعة مقيمة وحدها فى تهامة حتى كثر أفرادها وتكونت الأحياء المختلفة والبطون والأفخاذ فرحل منها من رحل والباقون تمخض الزمن عنهم بقبيلة قريش »(أبن خلدون).

على هذا الأساس الذى يرويه رواة العرب يتبين لنا أن نشأة القبائل ترجع لكثرة الأفراد فى قبيلة وتزايدها زيادة يضيق دونها الوسط فتضطر للارتحال تصريفا لكثرتها العديدة، وارتحال العدد الزائد يكون سببا فى نشأة قبائل وبطون جديدة. وكثيرا ما تنشأ هذه القبائل من اجتماع عدة بطون من قبائل مختلفة.

ولقد روت المراجع العربية أن قبائل تنوخ وغسان والعنق تكونت من شتيت البطون التى تناثرت فى الصحراء من بقايا القبائل العربية المهاجرة. إذا فيمكننا أن نقول أن الصلات بين القبائل البدوية لم تكن لترجع للانحدار من أصل واحد تتفرع عنه بالزيادة العديدة فقط كما يريد الرواة أن يحملونا على ذلك إنما كانت لأسباب عديدة منها هذا السبب، فإذا لاحظنا أن الصلات الدموية بين القبائل والبطون والأفخاذ لا تجرى على أساس ثابت يمكن الاعتماد عليه سقطت حجة النسابين فى فكرة الأنساب وشجرات أنساب القبائل.

ـ٥ـ

فإذا رجعنا من فكرة الأنساب العامة للقبائل وصلاتها وعلاقاتها من القرابة والدم الى فكرة النسب والأنساب بين عرب البادية، لم نجد دليلا يسند القول بأن الأعراب كانت لهم القدرة على معرفة سلسلة آبائهم وأجدادهم تصاعدا فى الماضى لبضعة بطون غير قول الرواة واجتماع النسابين، وهو لا يكفى وحده لقبول هذه الفكرة ما لم يقم معها الدليل عليها خصوصا ونحن نرى أن تكأة الصلات بين الأفراد لا تؤدى الى مثل هذه الفكرة نظر لدرج المجتمع العربى على نظامى الطوطمية والأمومة.

غير أن لنا دليلا من الحاضر نستمده لنقيس استناد عليه ذلك الماضى وهذا الدليل يقوم على أساس أولى فى أن البداوة ثقافة العرب التقليدية وأنها لم تتغاير فى الزمان الى صورة مغايرة من عهد الجاهلين الى اليوم بما يجعلنا نمتحن فكرة الرواة والنسابين فى أعراب البادية اليوم. وسنجد أن نتيجة هذا الامتحان مما يثبت كذب الرواة والنسابين، فإن جميع الرحلات التى قام بها الباحثون فى صحراء الجزيرة وبادية بلاد العرب اتفقت على أن العرب يجهلون فكرة الأنساب ولا يتذكرون شيئا عن آباء أجدادهم وذكرياتهم مبهمة عن أنسابهم وتجرى من حول جد كبير ينتسبون اليه، ووهذا يرجع من وجهة نظر خاصة إلى ثبات ظروف الحياة على وتيرة واحدة فى البادية.

إذا صح ما قدمناه ـ وهذا ما لانشك فيه ـ فى أن عرب الجاهلية كانوا يجهلون فكرة الأنساب، فليس لنا إلا أن نحكم بأن كل ما قرره الرواه عن الأنساب وما رووه من شجرات الأنساب عن الجاهلية منتحلة لا تمت للعصر الجاهلى بسبب، هذا الى أنه لا يمكننا أن نصدق أن ذاكرة العربى كانت خزانة تعى سلسلة نسبه أبا عن جد لأن ذلك رغم منافاته لمشاهداتنا عن أعراب اليوم وهم لم يتغيروا قليلا أو كثيرا عن أعراب الجاهلية، فإنه من الصعب نسبة مثل هذا الزعم لقوم أميين لأننا رغم وجود الوثائق وأخذنا بتسجيل الأسماء نعجز عن معرفة أباء أجدادنا فى كثير من الحالات.

إن مثل هذه الدعوى الخطيرة التى روج لها الرواة العرب والنسابون فى القرن الثانى للإسلام كانت السبب فى وهم الكثيرين أن العرب شعب له مقدرة فائقة فى معرفة أنسابه. ولست أدرى كيف يكون للعرب هذه المقدرة التى تنسب لهم، ثم لايتفق اثنان من نسابيهم على نسب واحد من أنسابهم؟

هذه دولة حمير ـ أضرب بها مثلا على سبيل التمثيل لا الحصر ـ فأقول أنك لا تجد الرواة العرب اتفاقا فى عدد ملوكها وأسماء هذه الملوك وتعاقبهم فى الملك. ونحن نعرف من الاستكشافات الأثرية الأخيرة حقائق عن دولة حمير تباين كل المباينة ما رواة العرب وما قاله نسابوهم عن ملوك حمير، مما يكشف أنها من صنع خيالهم الخصيب الذى حاك هذه التخيلات من حول بعض الحقائق التى مضت فى طى الزمن فشوهت مع الزمان.

وهذا نسب عدنان، لو القيت نظرة علية لوجدته مشحونا بأسماء لاهي الى العربية تمت بصلة ولا الى السريانية كما ظن ابن دريد، وهي تدل على كذب الرواة. ويكفينا أن نلاحظ مع» ليون كايتاني «هذه الحقيقة الملموسة في أن النسابين حاولوا أن يرجعوا بكل معاصري الرسول المعروفين وعددهم يربو عن أربعة آلاف الى آدم أبي البشر في سلسلة من الأنساب.

-٦-

لنا أن نبحث الآن في الكيفية التي استندت عليها شجرات الأنساب، وسنجد أن ديوان الخراج الذي وضع قواعده عمر بن الخطاب كان الأساس لاستحداث فكرة النسب ووضع شجرات الأنساب فيما بعد. بيان ذلك أن عمر بن الخطاب أسس الديوان شاملا لأسماء المسلمين المهاجرين والأنصار ومن تابعهم ومقدار اعطياتهم تبعا للنسب النبوي والسبق في الإسلام، وكان لكل مسلم راتب يتناوله هو ورواتب لعائلته وأولاده، ويجب أن نلاحظ أن ديوان الخراج أسس على عهد عمر بن الخطاب على اعتبار أن كل المسلمين وقتئذ جند، وهاك شئ من التقسيم:

المهاجرون والأنصار الذين شهدوا غزوة بدر	٥٠٠٠درهم
الذين لم يشهدوا غزوة بدر	٤٠٠٠درهم
أزواج النبي	١٢٠٠٠درهم
العباس عم النبي	١٢٠٠٠درهم
الحسن والحسين	٥٠٠٠ درهم
ابن الخليفة	٣٠٠٠ درهم
أبناء المهاجرين والأنصار	٢٠٠٠ درهم
أهل مكة	٨٠٠ درهم
سائر المسلمين	٣٠٠ ـ ٥٠٠درهم
نساء المهاجرين والأنصار	٢٠٠ ـ ٦٠٠درهم

وكان التقييد في الديوان يراعي فيه اعتباران: السبق للإسلام والنسب، أعني الاعتبار الديني والقبلي فرتب الأفراد باعتبار الشعب والقبائل والعمارات والبطون والأفخاذ والفضائل حتى يتميز كل عن غيره. فالعرب كانوا يرتبون باعتبار القرابة من الرسول فيبدأ بالترتيب بأصل النسب النبوى ثم بما يتفرع عنه، لهذا بدأ عمر ديوان الخراج بالعباس عم النبى ثم ببنى هاشم ثم بمن بعدهم طبقة طبقة. فالعرب لما كانوا ينقسمون حسب زعمهم الى قحطانيين وعدنايين فتتقدم العرب العدنانيين في الديوان لأن النبى منهم، وعدنان يجمع ربيعة ومضر فتتقدم مضر على ربيعة لأنه منها ومضر تجمع قريش وغير قريش بنى هاشم وغيرهم فتتقدم بنى هاشم، وهكذا ترى قطب الدائرة بين هاشم ثم من يليهم وهكذا.

وكان مراعاة الجانب القبلى فى تدوين ديوان الخراج سببا أساسيا فى فتح الباب لوضع الأنساب والترويج لفكرتها، لأن العرب كانت تعيش قبائل بحكم طبيعتها، وتعد القبيلة وحدة لنفسها كوحدة الأسرة فتنمحى فيها شخصية الفرد، فالمحمدة التى يأتيها الفرد محمدة للقبيلة، والعار لها، والشاعر النابغ تفتخر به القبيلة.و لقد حاول الإسلام ضمن ما حاول أن يجعل الأخوة الدينية بدل الأخوة القبائلية ولكن العرب ظلوا ينحازون فى القتال الى قبائل ويذكرون مواقفهم بما لهم من ذكريات مبهمة عن ما ضيهم . وكان مراعاة عمر للاعتبار القبلي في الديوان سببا للتناحر بين القبائل، وعاشت الدولة الأموية تتقاتل بالعصبية حتى أتت الدولة العباسية، وكانت الأفكار قد هضمت فكرة النسب والأنساب. فقام جماعة من الرواة هم النسابون وأخذوا يضعون شجرات الأنساب ويملؤون الفراغ ما بين المعروفين من أعلام عصرهم وبين شجرة نسب الرسول فكانت بذلك سببا لوضع الأنساب وتناقلها. ويجب ألا ننسى أن عمر بن الخطاب راعى الاعتبار القبلي في التدوين بديوان الخراج مما مهد لكثيرون أن يندفعوا لأغراض مادية في الرغبة على الحصول على مخصص أكبر من الديوان الى تزكية نفوسهم كأفراد من هذه القبيلة أو ذالك ولجأوا الى أنساب مفتعلة ليصلوا الى أغراضهم فكانت هذه مقدمة أساسية تطورت مع الزمن فانتهت كما قلنا الى شجرات الأنساب.

ولقد اشتهر القرن الأول بأن الحياة فيه كانت عربية محضة. فكان الاقتتال بالعصبية، ولقد فأخرت القبائل بعضها بما لها من مواقف حاسمة فى الجاهلية والإسلام وتهاجى الشعراء

وتفاخروا بقبائلهم، فهذا جرير والفرزدق والأخطل يتهاجون بالقبائل فيفخر جرير على الأخطل بقبيلتى تميم وقيس ويفضلها على قبيلة تغلب ويفخر الأخطل بقبيلة تغلب على تميم ويفخر جرير على الفرزدق بقبيلته والفرزدق على جرير بما لأجداد من مآثره، وفى وسط هذا الاقتتال وجد بعض الرواة سبيلا يذكون به هذا الاقتتال بالعصبية بين القبائل لأغراض ومصالح لهم فزجوا أنفسهم في الميدان كنسابين، وكان أظهر هؤلاء فى ذلك الزمان البكرى الذى روى عنه رؤبة ابن الحجاج وسعيد بن المسيب. وفكرة الأنساب للأفراد، الشئ الذى اختص به العصر الثانى من ا لإسلام أيام العباسين، إنما كان السبيل لتنظيم أنساب القبائل وبيان صلاتها ببعض. ولما جاءت الدولة العباسية ، وجاء معها التفكير المنظم وقامت الشعوبية فى الإسلام انتظمت فكرة الأنساب واستقرت في العقول وظهر جماعة من النسابين كان لهم اليد الطولى فى وضع شجرات الأنساب ونشرها بين الناس.

-٧-

اشتهر من بين هؤلاء النسابين نفر أشهرهم اثنان: محمد بن السائب الكلبى وابنه أبى المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى. وبجانبهما اشتهر نفر مثل سحيم المكنى بأبى يقظان المتوفى سنة١٩٠هـ وكان من مشايخ المدائن. ويروى عنه أنه جمع نسب تميم وخندف أو قل وضع لتميم وخندف نسبهما، غير أنه من المهم أن نلاحظ أن هؤلاء النسابين والرواة فى القرن الثانى يختلف عن طابع نسابى القرن الأول ورواته . لأن اهتمام النسابين والرواة فى القرن الثانى كان موجها لإيجاد شجرات الأنساب بعكس نسابى ورواة العصر الأول الذين كان اهتمامهم موجها لفكرة الأنساب العامة والصلات القبلية بين القبائل خضوعا لروح العصر، وهذا الاختلاف فى الطابع يبين لنا سر عدم وضع شجرات أنساب الأفراد فى القرن الأول للهجرة .

وقد قلنا أن محمد السائب الكلبى المتوفى سنة ١٤٦هـ والذى ينتسب لقبيلة كلب هو أول من صنف فى الأنساب على وجه منظم، ومن هنا شهرته كأب لعلم الأنساب وموجدا لها. وكان صاحب علم غزير أخذ على رأى ر واة العرب نسب قريش عن أبى صالح عن عقيل بن أبى طالب، وأخذ نسب كنده عن أبى العباس الكندى، ونسب معد بن عدنان عن البخار بن

أوس العدواني، وكان هو وأبو اليعقوب المنهدى من مشايخ ابنه أبي النذر بن محمد السائب الكلبي شيخ النسابين، غير أنه كان متهما في روايته ، صاحب لهو لا يعتد بما يرويه كما تتفق المصادر العربية، وهذا يجعلنا نشك في قيمة ما رواه من أنساب وما قدمه من شجرات للنسب، وكلها تمتاز بأن سندها ساقط في العموم. ويجب أن نلاحظ أن فكرة الأسناد هنا لم تكن بنفس أهميتها في رواية الحديث النبوى، وإن كان ابن السائب الكلبي يرى الأسناد في الخبر كالعلم في الثواب. ويجب ألا يغرب عن البال أن الأفكار المتسلطة على ذهن العصر وأهمها الترويج للهاشميين وأبناء هاشم ورفع شأنهم لم يكن ابن الكلبي ليخلص من تأثيرها بجانب فكرة الأنساب التي راجت في القرن الأول للهجرة والتي أخذت حيزا في ذهنية ذلك العصر.

ومن أعلام الناس الذين أخذت فكرة الأنساب حيزا كبيرا من ذهنيتهم أبو المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤هـ هو قد تلقى النسب والأنساب عن والده وكذلك شيخه أبي اليعقوب المنهدى. وكان شديد الاتصال بالعباسيين يغلب عليه التشيع، روى عن أبيه وعن معروف المولى وروى عنه كثيرون منهم شباب العصفرى وابنه العباس بن هشام ومحمد بن سعيد (كاتب الواقدى) وعلى بن حرب الموصلى وعبد الله بن الضحك المهداوى وابو الأشعث أحمد بن مقدام العجلي.

وكان هشام آية في معرفة النسب ووضع شجراتها حتى صار فردا يضرب به المثل، وأهم كتاب له« جمهرة النسب» وهو أشهر مؤلف في علم الأنساب وعليه تعويل أهل العلم من نسابى العرب، وهذا الكتاب هو المصدر الوحيد لما كتب في نسب العرب مثل كتاب المعارف لابن قتيبة والأنساب للسمعاني ، وقد عول عليه ابن حزم الظاهرى فيما كتب عن أنساب العرب. الا أ ن دراستنا على الجمهرة وتلخيص ياقوت الحموى لها (في المقتضب من جمهرة النسب)، أثبتت أن هشام الكلبي كان يأخذ لنفسه الحرية في وضع الأنساب مستمدا مادته من الذكريات المبهمة التي حفظت عن الجاهلية ورويت في العصر الإسلامي.

والعلماء لا يرضون عن هشام الكلبي ويطعنون في نزاهته، فهذا السمعاني يقول إنه يروى الغرائب والأخبار التي لا أصل لها، وأبو الفرج الأصفهاني يشك فيه وفي نزاهته فيقول أن الأخبار التي وضعها عن الجاهلية التوليد بين فيها، وأن ما ذكره عن الجاهليين موضوع كله. وهو يروى الكثير عنه غير أنه يعقبها بعبارة ولعلها من أكاذيب ابن الكلبي.

إذا فسدت مروءة الرواة والنسابين وأحاطت بهم ظروف مختلفة تحملهم على الكذب والانتحال ككسب المال والتقرب الى الأمراء والظهور على الخصوم والمنافسين ظهرت وجوه الانتحال وذهبت الثقة بما يرويه الرواة.

ولم تكن العصبية بين القبائل في القرن الأول للهجرة والخلافات السياسية والأغراض الدينية والاجتماعية إلا التكأة لوضع شجرات الأنساب، فنحن نعلم أن العرب انتظمت حياتها على نظام القبائل، والقبيلة كانت الوحدة الاجتماعية التى يفنى فيها الشخص، ولقد حاول النبى محمد أن يغير من هذه الطبيعة فى نفوس العرب وبذل جهدا خارقا ليجعل من الأخوة الدينية سببا للوحدة الاجتماعية بدلا من الأخوة القبلية ـ نسبة الى القبيلة ـ غير أن ذلك كان من المستحيل، حتى أنه فى عصر الفتوحات الإسلامية كان العربى يذهب فى صفوف المسلمين غير مندمج فى جموعهم لا حقا بأبناء قبيلته. فمن هنا يتبين أن كل فئة من العرب كانت تحيا ذاتها ولذات نفسها مع الصلات التى كانت هذه الصلات تأخذ صورة من منازلة الفئة الأخرى. ولذلك ما فرغ من الفتوحات حتى أخذ يناز ل الفئات المجاورة التى تربطها به صلة القربة، أو يتحالفان للقرابة بينهما ويشنان الغارة على الجماعه العربية عنهما. وكان هذا الصراع بين قبائل العرب فى العصر الأموى مقدمة لزوال دولة العرب، وكان فى الآن نفسه سببا فى أذكاء العصبية القبلية وكانت كل فئه تفتخر بقبيلتها مما يثبت أنها كانت تعيش لذاتها وبذاتها.

ولا أدل على ذلك عندنا من صفحة الصراع الدموى بين قبائل العرب فى العصر الأموى (و حتى فى الأندلس البعيدة)، والذى كان من مظاهره الباقية افتخار كل قبيلة على الأخرى بشعرائها، وكان ذلك بدوره سببا لأن تلجأ كل فئة الى الرواة والنسابين رجاء نصرة عصبتهم على عصبية الفئه المجاورة لهم، وليس تعوزنا النصوص العر بية التى تثبت هذا القول من غير لبس أو تردد، لأن هناك شبه اجماع عند المتقدمين بهذه الحقائق الأساسية التى نخلص بها من أسباب الانتحال تمهد لنا سبيل البحث والدرس. فإذا أردنا أن ننظر لشجرات الأنساب فيجب أن نضع موضع النظر قبل كل شئ العوامل والمؤثرات والفواعل التى كان يغلى بها قلب

المجتمع العربى فى فجر الإسلام وضحاه، والمتحصل من هذا كله أن التكون الاجتماعى للعرب لم يسايره وضع الأنساب من حيث هى مظهر لصلات التكون الاجتماعى، وكما قلنا أن «ديوان» المسلمين كان مقدمة لذلك. وهو أن كان بداءة ذى بدء مواطئا لتكون العرب الاجتماعى فى عصر الخليفة عمر إلا أنه فتح الباب لأوجه من الانتحال.

ولعل من المستطاع لو نظرنا لأسباب الوضع أن نخلص بالنصوص التى أعوزتنا فى فحص النواحى المصطنعة، ولا جرم أن هذا الأمر ينتهى بنا الى تدقيقات واسعة تغربل كل ما وصلنا عن النسابين والرواة.

والذى لامعدل عنه تدبر أسباب الوضع لتكوين فكرة عامة يتدبر معها الباحث فى الأنساب السبيل الى حيث لا يخطئ، ونحن لو تدبرنا أسباب الوضع لوجدنا العصبية التى أوفيناها حقها من البحث تنزل فى الرأس، ثم يليها الدين والصراع بين الأمويين والهاشميين على الخلافة مما يدخل من جانب تحت العصبية القبلية، ومن جانب تحت السبب الدينى.

خاتمة

ودراسة كيفية افتعال الأنساب ليست بالشئ الهين، لأن التكوين الاجتماعى عند العرب كان يسمح ويساعد على تغطية أوجه الانتحال، ودليل ذلك واضح فى النصوص التى تقدمت، والمتحصل أن الناظر فى افتعال الأنساب يجب أن يلاحظ أن تكون العرب الاجتماعى كان يختلق فى العصر الذى وضعت له الأنساب من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب كما سبق الى ذلك البيان. فقدكان مجتمع عرب الجنوب Arabia Felix يقوم على أساس نظام الأبوة وتعدد الأزواج ـ من النساء ـ بعكس المجتمع الشمالى الذى كانت بدويته تقف عقبة دون تخلصه من أثار نظام الأمومة فى البيئات التى كانت تأخذ بأسباب الحضارة كما حدث فى بيئة مكة على عهد قصى.

هذا الى أن دراسة التكوين الاجتماعى عند العرب القدماء وتطور هذا التكوين وانتهائه الى صورة ما فى العصر الجاهلى، يتكافأ والمحيط الطبيعى والاجتماعى، تبين الى أى حد كان النسابون ينتحلون الأنساب ويضعوها. ولما كان كل واقعة فى التاريخ تخفى وراء مظهرها

المادى مظهرا نفسيا فاكتشاف هذا المظهر النفسى معناه الكشف عن حقيقة خفية من الحقائق التي تمضى فى صلب التاريخ، والمظهر النفسى وراء شجرات الأنساب يكشف عن وجه دقيق للحياة والتفكير والصراع فى العصر الأموى والعباسى، ومن هنا نحن نرى فى شجرات الأنساب سجلا دقيقا للمنازعات التى قامت فى العصر الإسلامى، فضلا عما لها من قيمة أسطورية لأنها فى العادة تحاك من حول أصل تاريخى. فدرسها إذن من الناحية الأسطورية تكشف للمؤرخ عن مادة واسعة غنية بالحقائق التاريخية يستعين بها فى توضيح ما غمض من أحوال العرب قبل الإسلام، ولا يخالجنى الشك أننا لو اتخذنا هذا الطريق فى دراسة شجرات الأنساب للاستعانة بها فى دراسة تاريخ العرب فإننا سنخرج بصورة جديدة عن تاريخ العرب لا أقول أنه أقرب إلى الواقع فحسب، إنما أقرب الى الواقع من كل عرفناه الى اليوم.

المراجع:

(1) kinship and Marrige in Early Arabia,By W. Robertoson Smith 2nd Edbtion, London 1903.

(2)Das Matriacht bei den alten Arabien Von G.Wilke

(الأمومة عند العرب تأليف ويلكن ونقله للعربية بندلى صليبا الجوزى قازان)

(3)Geschichte des Volkes Arab.Von G.Euroid.Berlin 1935.

(4)Travels in Arabien Desert, BY DOVghtY, 2vol.cambridge, 1888.

Beduins tribes ofthe Euphrates,By Lady Anne Bleint,2nd Vol.London.1879

أنساب العرب القدماء لجورجى

زيدان صاحب مجلة الهلال، القاهرة، ١٩٠٦

(7)Al-Ansab Al-Arabiya, Von.I.A.Edham.

(٨) تاريخ التمدن الإسلامى لجورجى زيدان، القاهرة، ١٩٠٨.

(٩) فجر الإسلام لأحمد أمين، القاهرة، ١٩٢٨.

The Kitab Al- Ansab of Abid Al-Karim Ibn Muhammde Al-Samani Reproduced in Faximile front Manuscript in The British Museum,With an Introduction BY D.s Margoliouth, London,1912.

(*) المقال بتصرف عن كتاب «المؤلفات الكاملة للدكتور إسماعيل أدهم/ جزء ٣ قضايا ومناقشات» ــ تحرير تقديم: د. أحمد إبراهيم الهوارى. دار المعارف/القاهرة ,١٩٨٦



فهرس الجزء الثانى

المصادر والمراجع

١ـ الاسقف ايسدورس: الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة. القاهرة. د. ت.

٢ـ ايريس حبيب المصرى: قصة الكنيسة المصرية. القاهرة. ١٩٦٩.

٣ـ د. سيد أحمد على الناصرى: الروم والمشرق العربى.
مركز النشر بجامعة القاهرة. القاهرة ١٩٩٣.

٤ـ محمد مختار باشا: التوفيقات الإلهامية.
المؤسسة العربية للدراسات والنشر. (القاهرة ١٩٨٠).

٥ـ محمد ابن يوسف الكندى: ولاة مصر.
تحقيق: د. حسين نصار.
الهيئة العامة لقصور الثقافة.
سلسلة الذخائر رقم ٦٦. القاهرة ٢٠٠١.

٦ـ د. مصطفى محمد سعد: الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى.
مكتبة الانجلو المصرية. القاهرة ١٩٦٠.

هذه الموسوعة

مبدئياً علينا أن نؤمن بأن هناك مايسمى بالقوة الطليعية التى قادت البشرية نحو التطور والتقدم . فعندما نرى المصريين وقد تحولوا إلى أمة متحدة تقيم الدولة الواحدة لأول مرة فى التاريخ ،بمؤسساتها المتعددة والقوانين التى تنظم علاقاتها الاجتماعية ، وما تمارسه فيها اللغة والكتابة كوظيفة كبرى. فحين ذاك يبدأ تاريخ البشرية الذى صنعه المصريون منذ آلاف السنين على ضفاف نيلهم ،وسجلوه كتابة ورسماً ونحتًا على جدران عمايرهم ومسلاتهم وأهراماتهم وأوراق البردى فأمكننا بذلك معرفة أين بدأ البشرية تاريخها ومن الذى صنعه.

ولكن عندما قسم تاريخ أمتنا المصرية إلى بطلمى وروماني وأموى وعباسى وفاطمى وأيوبى ومملوكى وعثمانى .. إلخ قام بعض المرتزقة والمنتفعين بنهب هذه الأقسام وافتعلوا بينها تناقضات وصراعات . ولم يعد فى ذهنهم أن هناك تاريخاً طويلاً متواصلاً لأمتنا المصرية يمتد لآلاف السنين نفتخر به وليس لنا سواه.

إلى جانب هؤلاء المرتزقة كان هناك كتابات تاريخية أدركت أن تاريخ المصريين ووطنهم الأم نسيج واحد ينساب عبر التاريخ منجزاً أعظم حضارات البشر ،دون أى تقسيمات أو فواصل ،من هذه الكتابات الأثرية مخطوطنا « تاريخ البطاركة » الذى رصد أول فترة من تاريخ المصريين تمتد لعشرين قرناً، من بدايات القرن الأول الميلادى وحتى بدايات القرن العشرين .

يرصد فيه العديد من أحداثنا التاريخية التى لم ترد فى مخطوطاتنا التراثية المعروفة ، ننشره هنا كاملاً ومحققاً.

وقد استكملت فى موسوعتنا هذه أحداث القرن العشرين حتى نهايته، وزودته بالملاحق العديدة وأضفت (من الكتب التراثية) متابعات موازية للأحداث الواردة بالمخطوط من أجل المقارنة والدراسة ، إلى جانب العديد من اللوحات والخرائط لنستكمل بها رؤية تاريخنا .

عبد العزيز جمال الدين

MADBULI BOOKSHOP مكتبة مدبولى

6 Talat Harb SQ. Cairo Tel : 5756421 — ٦ ميدان طلعت حرب – القاهرة – ت ٥٧٥٦٤٢١

مكتبة مدبولى